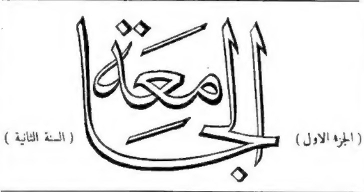
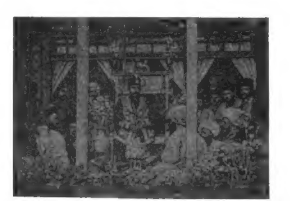
مظفر الدين شاه على عرشه



(الجزء الاول) (السنة الثانية)

الاسكندرية ١ افريل (نيسان) سنة ١٩٠٠ الموافق ١ ذي الحجه سنة ١٣١٧



﴿ عظمة مظفر الدين شاه ﴾

شاه ايران الحالي جالس على عرشه الملكي وحوله حاشيته ورجال سلطنته في قاعة العرش المكللة بالازهار والمرصعة بالاحجار الكريمة · وهو رسم فوتوغرافي رسمه سائح اميركي في طهران باذن الشاه في السنة الماضية · وثمن العرش الذي يجلس عليه الشاه ٢٥ مليون فرنك

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

دولة ايران

ناصر الدين شاه * مظفر الدين شاه

روسيا في ايران · البلاد الايرانية · ناصر الدين شاه · مظفر الدين شاه · الجيش الايراني · تجارة الايرانيين وصنائعهم · كلمة لفيكتور هيغو تصدق اليوم في ايران وغيرها

توجهت انظار العالم في الاشهر الاخيرة الى بلاد الفرس لامرين · الاول لتواتر الاشاعات عن استفحال نفوذ روسيا في تلك البلاد والثاني لعزم عظمة مظفر الدين شاه الفرس على السفر الى اوربا لزيارة معرض باريز واهم العواصم الاوربية

اما استفحال نفوذ روسيا في ايران فليس بالامر الغريب لان ذلك امر طبيعي منتظر اذ بلاد الفرس واقعة في وجه روسيا وطريقها الى خليج فارس والاوقيانوس الهندي ولا غنى لروسيا عن مرفاء في هذا الخليج لتأييد مصالحها التجارية والسياسية · اما مصالحها التجارية فهي جعل منافذ لتجارتها وحاصلاتها على خليج فارس واما مصالحها السياسية فهي اقامة مرافئ عسكرية لها في هذا الخليج تتأيد به عمارتها في حركاتها في الاوقيانوس الهندي وتكون قريبة الى الهند اذا ارادت شن الغارة عليها

لذلك كان لا غنى لروسيا عن التقرب من شاه الفرس توثيقاً لروابط الوداد والاتفاق بينها و بينه · وهذا ما حققته الآن · فانها نالت امتيازات كثيرة من حكومة ايران بمد سكك حديدية في بلادها واستخراج المعادن منها وانشاء الطرق الزراعية فيها · واقامت في طهران عاصمتها فرعاً لبنكها الروسي واذنته بان يقرض الحكومة الايرانية ما تطلب من المال فضلاً عن القرض الاخير الذي عقدته معها · فاوجس ساسة الانكليز من هذه الامور خيفة لانهم يخشون ان تقتل روسيا نفوذ دولتهم في بلاد فارس مع ما لهم في جنوبيها من المصالح الكبرى · فقاموا يسألون وزراءهم في مجلس العموم والاعيان اذا كان حقيقاً ما شاع عن نيل روسيا الامتيازات بمد السكك الحديدية واقراض المال لحكومة ايران مقابل



ناصر الدين شاه

بالملابس الرسمية

تاجيرها لها بندر عباس وهي فرضة في جنوب الفرس واقعة في الخليج الفارسي كما اجرتهم الصين بورت ارثر · فاجاب الوزراء انهم لم يبلغهم شيء من ذلك · اما الجرائد الانكليزية فانها حنقت على روسيا لانها اغتنمت فرصة اشتغال انكلترا بحرب الترانسفال لتشطح وتمرح في بلاد فارس على هواها · فاجابتها الجرائد الروسية ان روسيا لا تعبأ بتهديد انكلترا ولا سيما بعد ما بدا منها من الضعف في حربها الاخيرة · ويقال ان روسيا قد ارسلت ٣٠ الف جندي من القوقاز الى الكشك على سبيل التجربة لترى كيف تقطع الجنود هذه المسافة · فايقن الناس ان روسيا تنوي الاستيلاء على هرات لتتخذها قاعدة لاعمالها الحربية عند

غزوتها الهند . ولكن بعض مراسلي الجرائد الانكليزية في روسيا ارسلوا الى جرائدهم يقولون ان جلالة القيصر قد صرح لوزير الحربية في ذات يوم رفع فيه الوزير الى جلالته مشروعاً حربياً للاستيلاء على هرات انه يكره ان تغتنم حكومته فرصة اختلال شؤون انكلترا لعمل عمل عدائي ضدها . هذا ملخص ما تناقلته الاقلام من منذ شهرين عن استفحال امر روسيا في ايران

واما زيارة الشاه لاوربا فهي زيارة حاكم يهمه خير رعيته وبلاده . فانه سيطلع في سياحته هذه على اهم شؤون التمدن الحديث ليدخل منها الى بلاده ما ينطبق على اخلاق امته فضلاً عما يشده بينه وبين ملوك العالم من روابط الوداد . لذلك يقال ان زيارة الشاه لاوربا ستكون نافعة لبلاده من وجهين : سياسياً واقتصادياً

وقد ورث الشاه هذا الميل الى التمدن الحديث من المرحوم والده ناصر الدين الشاه . ونحن نذكر بهذه المناسبة شيئاً من ترجمة هذا الملك مشفوعة بشيء من اخلاق الفرس وصنائعهم وجيشهم واحوالهم فان ذلك مما يرتاح اليه القراء الآن لتوجه انظار الناس الى هذه المملكة كما قدمنا . فنقول

***

﴿ بلاد الفرس ﴾ بلاد الفرس الآن هي نصف مملكة ايران القديمة والنصف الثاني يشتمل على افغانستان و بلوخستان . يحدها شمالاً روسيا وبحر قزبين وجنوباً خليج فارس والاوقيانوس الهندي وشرقاً افغانستان و بلوخستان والحدود الروسية وغرباً تركيا اسيا . وهي على علو ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر . مساحتها تقدر بمليون و٦٥٠ الف كيلو متر وعدد سكانها تسعة ملايين نفس على الاقل بموجب احصاء المؤرخ كورزون

واسمها الرسمي « دولة ايران العلية » وهي مقسومة الى تسع ولايات وهذه اسماؤها . ولاية العراق العجمي وقاعدتها طهران العاصمة وعدد سكانها ٢٠٠ الف نفس . وولاية ازربيجان وقاعدتها تبريز وعدد سكانها ١٧٠ الى ٢٠٠ الف نفس . وولاية طبرستان وولاية كردستان ولوريستان وكوزيستان وفارستان وقرمان وخراسان

وللفرس تمدن قديم عظيم واثار مجيدة وهم غاية في الذكاء والفطنة ومستعدون بفطرتهم لكل تمدن وارتقاء . وقد شرعوا في ذلك منذ عهد حديث فخطوا خطوات واسعة بفضل المرحوم ناصر الدين شاه وابنه مظفر الدين الشاه الحالي

﴿ ناصر الدين شاه ﴾ اما ناصر الدين شاه فهو ابن الشاه محمد خان . ولد سنة

١٨٣١ وارتقى الى العرش في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٤٨ · وكان لا يعرف الا اللغة التركية فتعلم الفارسية والفرنسوية وكان مولعاً بدرس الجغرافية والشعر و بالرسوم المزلية · وفي سنة ١٨٥٥ عقد تحالفاً مع روسيا ولكن لما ثارت الحرب بينها و بين الدولة العثمانية في تلك السنة التزم الحيادة بالرغم عن المحالفة · وفي سنة ١٨٥٦ شن الغارة على هراة وافتتحها فشبت نار الحرب بينه وبين شركة الهند في اول نوفمبر سنة ١٨٥٦ فزحف الجنرال او ترام على بشير فاستولى عليها واستمر يزحف في شاة العرب فطلب الشاه الصلح فعقد يومئذٍ بواسطة فرنسا في باريز وذلك في ٤ مارس سنة ١٨٥٧ · فترك الشاه الانكليز وانصرف الى محاربة امير خوى وامام مسقط ثم ارسل حملة على مرو ففنيت عن آخرها · وفي سنة ١٨٥٩ استفحل النفوذ الانكليزي في طهران فخول الحكومة الانكليزية امتياز مد سلك الهند التلغرافي في بلاده وفي سنة ١٨٦٥ ضرب النقود الايرانية على الطريقة الاوربية ومنح البارون رتر في سنة ١٨٧٢ امتيازًا باحتكار الاشغال العمومية واستخراج المعادن من الغابات في جميع بلاد ايران ثم الغى هذا الامتياز بعد انقضاء سنتين

وفي سنة ١٨٧٣ و١٨٧٨ و١٨٨٩ ساح في اوربا سياحات كبيرة استلفتت الانظار الى الفرس وتمدنهم · وكانت تطيب له الاقامة في باريز على الخصوص وقد زار معرضها في سنة ١٨٨٩ · وعهد في خلال سياحاته الى بعض الكتاب ان يؤلف كتاباً بما كان يراه ويشعر به لدى مشاهدته الامور الاوربية · وكذلك صنع حين سياحته في بلاده فانه وضع كتاباً يصف فيه ما شاهده في سياحته

ولما عاد الشاه من اوربا الى بلاده ازداد رغبة في ادخال التمدن الاوربي اليها · فجعل النقود فيها على حساب النقود الفرنسوية وانشأ البريد ونظمه وادخله في الاتفاق البريدي العام · ثم اعطى احدى الشركات امتيازًا باحتكار التبغ ولكن اضطر بعد ذلك الى الغائه بسبب مقاومة الشعب لهذا المشروع

وقد نادى في آخر ايامه بالحرية الدينية كما يقولون · ولكن مذهباً من المذاهب ظهر في الفرس لم يعطه ناصر الدين الحرية وهو مذهب البابيين · و يستوجب البحث في هذا المذهب الجديد او الدين الجديد ان نخصص به فصلاً مخصوصاً لذلك لا نتعرض له الآن ولكننا نقول ان الشاه استفرغ وسعه في اضطهاد انصار هذا المذهب وقسا عليهم قسوة شديدة لانه كان يرى في مذهبهم خطرًا على ملكه بل على ديانة الفرس نفسها · فنقم عليه البابيون انصار هذا المذهب فهجم عليه احدهم وطعنه بخنجره فقتله وذلك في اول مايو سنة ١٨٩٦ ·

ويقال في رأي آخر ان قاتله غير بابي وانما قُتل لاسباب اخرى مجهولة والرأي الاول هو الارجح

وقد خلف ناصر الدين شاه ٢٠ ولداً اكبرهم غير شرعي وكان حين مقتل ابيه والياً للولايات الفارسية الجنوبية ومن انصار الانكليز . فولي الملك ابنه الثاني وهو مظفر الدين شاه الملك الحاضر

❊ مظفر الدين شاه ❊ ولما جلس مظفر الدين الشاه على تخت اجداده صرف همه الى تحسين شؤون مملكته وكان ميالاً الى الروس لانه رأى ان المستقبل والحول والطول لهم في الازمان الآتية فكره ان يخدم خصوماً له وعلى الخصوص لانهم جيرانه . اما الانكليز فبعيدون عنه . ولكن ذلك لم يمنعه من محاسنة الانكليز وممالئتهم

وهو الآن يستعد للسياحة في اوربا كما قدمنا اتباعاً لخطة ابيه . وسيزور اكبر العواصم الاوربية وفي مقدمتها الاستانة حيث يحل ضيفاً كريماً في قصر جلالة السلطان الاعظم

وعظمة مظفر الدين شاه محب للعلوم العصرية ميال للتمدن الحديث كل الميل . وهو يكرم السياح الاجانب الذين يزورون عاصمته اكراماً خصوصياً . وقد زاره منذ اكثر من سنة في طهران سائح اميركي يدعى الدكتور ماك ايلرث طاف وامرأته حول الكرة الارضية على دراجة (بيسيكليت) فاحسن مظفر الدين شاه استقباله ورضي ان يجلس امامه على عرشه بين رجال حاشيته ليأخذ السائح صورته بالفوتغراف . وقد وضعنا في هذه المقالة الصورة التي صورها السائح يومئذ وهي تمثل الشاه في عرشه كما ترى في الرسم الاول

❊ الجيش الفارسي ❊ ولما كان موقف الفرس الآن حرجاً بين روسيا من جهة وانكلترا من جهة اخرى اصبح الناس يتساءلون عن مقدار القوة التي تستطيع الفرس ان تقاوم بها الجيش الذي يعتدي عليها . وبهذه المناسبة نشير الى حديث جرى في الثغر لاحد وزراء ايران السابقين مرَّ بالقطر قاصداً الاقطار الحجازية وقد روت جريدة صدى الاهرام هذا الحديث وعنها نقلته الشركات البرقية الى اوربا . وقد جاء فيه « ان الفرس مستعدون لكل الطوارئ . فالدولة التي تعتدي عليهم تلقى من مقاومتهم اكثر مما لقي الانكليز من البوير لان البوير قوم قلال العدد والعدد بالنسبة الى الفرس »

اما الجيش الفارسي فهو منظم على الطرق الروسية ومنظموه ضباط من الروس . وهو مؤلف من جنود نظامية يسمونها (نظام) ومن الرديف . والجنود النظامية تقسم الى ٣ اقسام : بيادة (مشاة) وطوبخانة (مدفعية) وسواري (خيالة) والجنود المشاة مقسومون الى



﴿ مظفر الدين شاه ﴾

الشاه الحالي بملابسه غير الرسمية

٨٤ اورطة عدد كل اورطة ٨٠٠ جندي فيكون عدد الجنود المشاة فقط ٦٧٢٠٠ جندي ولكن لا يكاد يوجد من هذا العدد الا نصفه في صفوف الجنود

ولا يوجد عندهم مدة محدودة للخدمة العسكرية بل الجندية عندهم معتبرة مهنة من المهن يحترفها صاحبها مدى عمره · وبالنظر لقلة ايرادها وعدم انتظام رواتبها يضطر الجنود الى عمل اعمال اخرى معها ولذلك ترى اكثرهم يعنون بزراعة الحدائق والبساتين · اما ملابس الجنود ومعداتهم فانهم ينفقون عليها من جيوبهم· وقد حاول الوزير الاول مرزا حسين خان في سنة ١٨٧٥ ادخال القرعة العسكرية وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط فاخفق سعياً

واشد الجنود الفارسية بأساً الجنود التي تُجمع من الولايات التي اصل سكانها من الاتراك كاذربيجان وهمدان وكردستان وكذلك العراق · وجميع الجنود مسلمون اما

المسيحيون واليهود والمغاربة الذين يقطنون بلاد الفرس فانهم معفون من الخدمة العسكرية. الا ان الامير نظام الذي كان صدرًا اعظم في بداية ملك الشاه ناصر الدين حاول تغيير هذا القانون لجمع الايًا من الكلدانيين المسيحيين وقد افاد هذا الالاي الحكومة الايرانية افادة كبرى في كبح جماح البابيين لان الحكومة كانت على ثقة من ان مبادئ البابيين لا تؤثر في رجاله فكانت اذا ساقتهم على انصار هذا المذهب لم تخشَ ان ينضم اليهم منهم احد . ولكن الصدر الاعظم الذي خلفه صرف الجنود الكلدانية واعاد النظام القديم

وهذه هي المراتب العسكرية عندهم وبازائها مرادفاتها عند الامم الاوربية — سرتيپ اول (جنرال يقود جيش) سرتيپ ثانٍ (جنرال يقود اورطة) سرهنك (كولونل) ياور (ماجور) سلطان (كابتن) نائب (قائمقام) وكيل (سرجان) دهباشي (كابورال)

واما الجندي (النفر) فيسمى عندهم سرباز . ومعنى ذلك لا يخلو من نكتة فان « السر» معناها الراس و« باز» اللعب . فيكون معنى الكلمتين : الذي يقامر براسه اي يخاطر به . وهكذا الجندي في الحرب كما لا يخفى

﴿ تجارة الفرس وصناعتهم ﴾ واما تجارة الفرس فاهمها البسط والشالات العجمية المشهورة والقطن والحرير والافيون والشعير والارز والاثمار المجففة والتبغ وصوف الغنم والجلود وكذلك الخيل والبغال . ولكن السكك الحديدية نادرة في بلاد الفرس اذ لا يوجد منها حتى الآن الا خط طوله ٥ كيلومترات ممتد من طهران الى مكان دُفن فيه الشاه عبد العظيم يذهب اليه الاهالي للتبرك بزيارته . على انه يوجد سبع طرق تجارية مهمة تسير عليها البغال والخيل بين طهران وارزروم وقزوين وبغداد وهمدان وكرمانشاهان وبندر عباس والخليج الفارسي . هذا ما عدا الطريق الجديدة التي فُتحت في الشهر الماضي الى بلوخستان

واما الصنائع الفارسية فانها في غاية التأخر وجميع حاجيات الفرس تردهم من اوربا الا بعض الحاجيات التي يصنعونها عندهم . وقد حاول ناصر الدين شاه ادخال الصنائع الى بلاده فانشأ فيها معامل واحضر لها عمالاً من فرنسا وروسيا وآلات تعب تعبًا شديدًا في ايصالها الى اماكنها ولكن هذه المعامل اضطرت الى اقفال ابوابها لعدم نجاحها

***

هذا واننا نذكر في ختام الكلام عن الفرس كلمة لفيكتور هيغو قالها في احد مؤلفاته وهي « ان الامة قد توجد في ساعة يتوقف عليها ارتقاء هذه الامة او انحطاطها » ونحن نقول

ان دولة الفرس هي الآن في هذه الساعة . فان الانقلاب الاجتماعي الذي يحدث فيها الآن وتنازع الدول فيها سيعودان عليها اما شرًا عظيمًا واما خيرًا عظيمًا . فنحن ندعو لها بان يعودا خيرًا لا شرًا ونرجو لعظمة الشاه المناء والسرور في سياحته سائلين الله ان يجعل سعيه في اخراج بلاده من الظلمة الى النور وادخال فضائل التمدن الاوربي فيها دون رذائله مقرونًا بكل فلاح ونجاح حتى نكون الفرس يابانًا ثانية باذن الله

باب المقالات

كيف تعظم الامم

المدرسة الالمانية — السياسة الاقتصادية — زيادة السكان — المهاجرة — عامل عظيم — مدارس عملية والا فالموت العاجل

كانت المانيا منذ ٣٠ سنة دولة ثانوية ضعيفة الجانب مخفضة الجناح تهزأ اوربا بها وتنظر اليها شزرًا . واليوم هي دولة رفيعة الشأن في مقدمة الدول العظمى حيثما مالت مالت كفة الميزان السياسي معها . وحسبك دليلاً على رفعة شأنها ان ساسة اوربا يعزون اليوم الى امبراطورها عجز الدول الاوربية عن المداخلة في حرب الترانسفال . ذلك انه ابى هذه المداخلة فاحجمت الدول عنها ولو ارتضاها لاقدمت عليها . وهذا منتهى الحول والطول وغاية النفوذ والعزة

فما سبب هذا الانقلاب السياسي العظيم الذي حدث في ٣٠ سنة

لذلك جملة اسباب اولها المدرسة الالمانية

المدرسة الالمانية

لم نضع نحن « المدرسة » في مقدمة الاسباب التي نهضت بالمانيا ولكن بسمارك هو الذي وضعها في هذه المنزلة . فقد قال « اننا ما غلبنا فرنسا الا بمعلم المدرسة » ومعنى هذا الكلام ان المدارس الالمانية قبل حرب السبعين كانت ارقى من المدارس الفرنسوية . فقد كان التعليم فيها اجباريًا لعامة الامة وخاصتها . ولم يكن كذلك في فرنسا في ذلك الزمان . وكان ايضًا تحبيب العسكرية الى التلامذة وتعليمهم تعليمًا وطنيًا صحيحًا وبث روح الشجاعة والاقدام

في نفوسهم بواسطة كتب حربية تصويرية او قصص عسكرية يقصونها عليهم — كل ذلك كان في مقدمة الدروس الابتدائية التي كان يتلقنها التلامذة · فنشأ الجيل الالماني على حب القوة والوطن والاقدام فكان جيلاً قوياً غلب بقوته الجيل الفرنسوي الذي اخلد في تلك الايام الى الدعة واستنام الى الاسوار · والاستنامة الى الاسوار كما قال ابن خلدون من دواعي الضعف والدمار .

فبالمدارس غلبت المانيا فرنسا · وهذا معنى قول جول سيمون في كتابه المدرسة « ان الامم التي لها ارقى المدارس تكون ارقى الامم ان لم يكن في الزمن الحاضر ففي المستقبل »

السياسة الاقتصادية

وعند غلبة المانيا فرنسا وُضع اساس الوحدة الالمانية والعظمة الالمانية معاً · وبعد وضع هذا الاساس انصرف واضعوه الى البناء فوقه فجعلوا همهم اتباع السياسة الاقتصادية وهي السياسة التي ان لم تكن مكملة للسياسة العسكرية ذهب كل فوز ونصر هباء منثوراً

وقد كانت قيمة تجارة المانيا في سنة ١٨٧٢ نحو ٥ مليارات و٩٦٠ مليون مارك وتجارة فرنسا ٧ مليارات ونصف مليار فرنك · فانعكست اليوم الحالة اذ اصبحت تجارة المانيا تزيد تجارة فرنسا اكثر من ٣ مليارات ونصف مليار · وكان عدد الشركات المالية في المانيا منذ عشر سنوات فقط ٨٢٥ شركة راس مالها ٤٠٣ ملايين مارك فاصبحت اليوم ٤٢٠٠ شركة راس مالها ٨ مليارات مارك · وهذه الشركات توزع على مساهميها من الارباح كل سنة ١٠ في المائة و١٢ و١٥ واحياناً ١٨ في المائة · وبعض شركات معامل الانيلين وزعت على مساهميها ٢٣ في المائة

وكان وزن الحديد المستخرج من معادنها في سنة ١٨٧٠ ثلاثة ملايين و٨٣٩ الف طن قيمتها ٢٥ مليوناً و١١٣ ماركاً · اما اليوم فان المستخرج يزيد على ١٥ مليون طن قيمتها ٦٠ مليون مارك · وقد زاد المستخرج من الفحم الحجري نحو الثلث وتضاعفت المصدرات من الآلات الميكانيكية واوشكت آلاتها الكهربائية ان تكون في المنزلة الاولى في العالم · وزادت ايضاً الصادرات في المحصولات الكيماوية حتى اصبحت الصادرات من الانيلين فقط تقدر قيمتها بنحو ثلاثمائة مليون مارك

هذا فيما يختص بالتقدم الصناعي

اما التقدم التجاري فليس اقل من التقدم الصناعي . ويكفي للدلالة عليه ما قاله الامبراطور غليوم يوم افتتاح مرفاء ستيتين وهو « ان مستقبلنا على سطح البحار » والمانيا سائرة نحو هذا المستقبل العظيم بخطى واسعة . فانها ادركت فرنسا فيما يختص بالسفن التجارية وسبقتها اذ محمول سفنها يتجاوز الآن محمول السفن التجارية الفرنسوية ٣٠ في المائة . وشركة همبورج الاميركية وشركة البواخر الالمانية الشرقية هما الآن اعظم الشركات في العالم . واسرع باخرة الآن هي الباخرة الالمانية كازار وليم دركروس التي قطعت الاوقيانوس الاتلانتيكي بين اميركا واوربا في مدة خمسة ايام و٢٢ ساعة و٣٥ دقيقة . وكأن الالمانيين لم يكتفوا بهذه السرعة فشرعوا في بناء باخرة اخرى تدعى « دوتشلاند » طولها ٦٨٥ قدماً ولها آلتان بخاريتان قوتها ٣٣ الف حصان ومحمولها ٢٣ الف طن وسرعتها ٢٣ عقدة في الساعة وستكون اعظم واسرع سفينة في العالم . وقد قال احد القناصل الفرنسويين في كلامه على تقدم الالمان في التجارة « انه لا ينقضي عليهم ٣ سنوات اخرى حتى تبلغ تجارتهم مبلغ التجارة الانكليزية اذا لبثوا على هذا الجد والنشاط »

زيادة السكان

فما هي اسباب هذا التقدم الصناعي والتجاري الباهر الذي غير الحالة الاقتصادية وقلب الموازنة الدولية

السبب الاول وهو الرئيسي كثرة التناسل في المانيا وزيادة السكان . فان سكان فرنسا بينما يزيدون في السنة ٣٩ الف نفس يزيد سكان المانيا ٧٠٠ الف نفس ما عدا المهاجرين . ولذلك اصبح عددهم اليوم ٥٤ مليوناً ولم يكونوا في سنة ١٨٧٠ الا ٤٠ مليوناً فقط . اما فرنسا فان عدد سكانها اليوم ٣٨ مليوناً فقط وكان في سنة ١٨٧٠ نحو ٣٦ مليوناً ونصف مليون فتكون المانيا قد زادت في هذه الثلاثين سنة ١٤ مليوناً وفرنسا لم يزد سكانها الا مليوناً ونصف مليون . ونسبة سكان المانيا الآن الى سكان فرنسا كنسبة ١٣٥ الى ١٠٠ . فاذا انقضى على الفريقين قرن وبقيت نسبة الوفيات والمواليد بينهما على ما هي اصبحت نسبة سكان المانيا الى سكان فرنسا كنسبة ٢٥٦ الى ١٠٠

والسبب في زيادة السكان هذه الزيادة طبيعة الامة الالمانية المفطورة على كثرة التوليد وقلة العزوبة

المهاجرة

على ان زيادة السكان هذه الزيادة تبعث الالمانيين على المهاجرة من بلادهم وهذا هو

ما وراء المادة

صعود امرأة الى المريخ

قرأ بعض علماء الاسلام في القرآن الكريم قوله « الرحمن على العرش استوى » فكتب الى فيلسوف الاسلام الامام الغزالي يسأله كيف تجلس العزة الالهية على العرش وهل هي مادة او ماذا لتأتي فعل الجلوس فاجابه الامام بهذه الابيات

انت لا تعرف ذاتك ولا تدري من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات رُكبت فيك حارت في خفاياها العقول
اين منك الروح في جوهرها هل تراها او ترى كيف تحول
انت اكل الخبز لا تعرفه كيف يجري فيك ام كيف يحول
فاذا كانت طواياك التي بين جنبيك بها انت جهول
كيف تدري من على العرش استوى فتعالى ربنا عما نقول

ويجوز ان يُقال هذا القول لكل من كانوا ذوي افكار محدودة واذهان محصورة في دائرة واحدة لا تفطاها متى نبذوا نبذاً قطعياً من غير فحص ولابحث المسائل الروحية التي تقصر عقولهم عن فهمها . وهذه المسائل انواع شتى ولكن اهمها كلها مسالة السبيريتزم او التنويم المغنطيسي التي اشرنا اليها في قسم الرواية في الجزء الماضي وفي هذا الجزء

والذي دعانا الآن الى العودة اليها خبر غريب عثرنا عليه في الجرائد الاوروبية . وهو ان العالم فلورنوى استاذ الكلية العلمية في جنيف قد نشر في هذا الشهر كتاباً خصصه بفحص احوال سيدة لم يسمها وانما لقبها مدام س . وعنوان كتابه هو « من الهند الى المريخ » وموضوعه ان مدام س . المذكورة آنفاً سارت بالخروج من الهند الى السيارة المريخ فعاشت فيها وقتاً طويلاً

قال هذا العالم المدقق الذي لا يرتاب احد بكلامه . انني قضيت سنوات في استقصاء احوال هذه السيدة ومشاهدتها حين تنام نوماً مغنطيسياً فسمعتها تقول انها تقمصت ثلاث مرات . تقمصت مرة في المريخ وعاشت بين سكانه ومرة في الهند منذ قرون سابقة ومرة في عهد الملكة ماري انطوانت في نهاية القرن الثامن عشر . وقد سمعتها تتكلم في نومها عن تقمصها في المريخ وتصف اخلاق سكانه وتتكلم لغتهم وهي عبارة عن اصوات متقطعة

يلفظ بعضها تلوّ بعض . وقد خطت على ورق امامي حروف هذه اللغة بحسب الكتابة المريخية ... واما تقمصها في الهند فانها تروي عنه في نومها اموراً شتى . وكذلك عن تقمصها في عهد ماري انطوانت ومشاهدتها حوادث الثورة التي حدثت في تلك الايام

وقد ارتبتُ اولاً في صحة كلام هذه المرأة كل الارتياب . ولكني عثرت في سياحة لي في الهند على كتب قديمة تثبت كل الحوادث التي روتها عن تقمصها في الهند مما لا يتسنى لاحد الاطلاع عليها . فضلاً عن كونها تتكلم في غيبوبتها اللغة العربية والسنسكريتية (لغة الهنود المقدسة) مع انها حين انتباهها لا تفهم كلمة من هاتين اللغتين ولم تتمكن قط من درسها حتى نقول انها تغشنا . وهذه المراة مستخدمة في احد المكاتب التجارية وهي في الثلاثين من العمر وفي منتهى الادب والحشمة وحسن السمعة

ولا حاجة الى القول بان هذا العالم لا يصدق الآن قول هذه المراة تصديقاً اعمى ولكنه يظهر قلقه الشديد بازاء مسالة روحية كهذه . ويدعو زملاءه العلماء الى زيادة البحث في المسائل الروحية وعلاقتها بالجسد وعلاقة الجسد بها . ولا شبهة في انه لا يوجد دليل حسي على وجود النفس وخلودها احسن من الادلة التي ياتينا بها السبيريتزم خصوصاً هذا الدليل اذا صحّ

اما الذين يزعمون من غير بحث ولا فحص ان هذه المسائل ليست الا خرافات واوهام فشانهم في ذلك شان رجل من ابناء القرن الثامن عشر يقوم الان من قبره فياتيه على حافة القبر من يقول له : في الارض الآن اناس يتخاطبون في ساعة واحدة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب . في البحار سفن تسير من تلقاء نفسها من غير اشرعة . في البر قواطر تسابق الطير من غير خيل تجرها . في عين رتجن آلة ترى ما في باطن جسمك . لا ريب انه الو سمع هذا الكلام لحسب محدثه يهذي في نومه . ولكن صغار الاولاد في هذا العصر صيروا يعلمون ان هذا الكلام ليس هذياناً . فلا نحتقرنّ ما نجهل لان ما نجهل لا يزال اكثر مما نعلم

بعث ملك الى عبد له : ما لك لا تخدمني وانت عبدي . فاجابه : لو اعتبرتَ لعلمتَ انك عبدُ عبدي . لانك تتبع الهوى فانت عبده وانا املكه فهو عبدي

(للمستعصميّ)

كتاب الى البوير الابطال

منقول عن جريدة صدى الاهرام انشاءه بعد انقاذ لادسمث وكمبرلي

يغور الدم الى القلب ويصعد الغيظ الى الرأس لدى قراءة تفاصيل معاركم الاخيرة امام لادسمث مع الانكليز خصومكم · فقد ورد في بعضها ان ٩٥ مدفعاً كانت تطلق على جيوشكم دفعة واحدة · وكانت البطارية الانكليزية التاسعة عشرة تطلق عليكم وحدها ٧٩٤ قنبلة في كل ١٠ ثوان · وكان الليدبت يصبغ وجوه احيائكم وجرحاكم وقتلاكم بصفرة تحكي صفرة الموت · ومقذوفاته تخد الارض خداً كانها محراث يشق الارض · نعم انها محراث ولكن لزرع الارض من جماجم الضعفاء وسقيها بالدماء البشرية

وليس هذا فقط بل ان خصومكم عين رجوعكم القهقرى امام عددهم العديد وجدوا بين قتلاكم فتيات في زهرة الصبا لا يتجاوزن من السابعة عشرة منهن جرحى ومنهن قتلى بين جثث صبيان صغار قتلتهم قنابل القوة الوحشية · فماذا نقول لكم بعد هذه البسالة الرومانية التي تدافعون بها عن حريتكم واستقلالكم · ان الدموع تصعد الى اعيننا حين قراءة اخبار عنكم كهذه الاخبار ونجثو ونحن في شمال افريقيا امام تلك الدماء المقدسة التي تجري في جنوبها من جروح نسائكم واولادكم

فالمجد لكم ايها المغلوبون والسلام عليكم وعلى جرحاكم وقتلاكم · وانالكم الله اماني نفوسكم · لا نقول ذلك بغضاً لخصومكم ولكن انتصاراً للحق الذي تدافعون عنه وهو يشدد عزائمكم بين صفوفكم · انكم تذوقون الآن مرارة هذا التمدن الفاسد السقيم · فنحن نشفق عليكم ونقول معكم : قبحاً لتمدن يترك القوي على الضعيف يأكل لحمه ويمتص دمه · ونذكر حينئذ ما قاله فيكتور هيغو « قتل امرء في غابة جريمة من الجرائم التي لا تُغتفر · ولكن قتل شعب آمن ضعيف مسالة فيها نظر »

فاينسوا ايها الابطال من هذه الارض التي تسود فيها الدناءة والجبانة ووجهوا انظاركم الى السماء · فانكم اذا كنتم في هذا العالم مغلوبين فستكونون في ذلك العالم غالبين

اما نحن الضعفاء مثلكم المضغوط علينا كما يُضغط عليكم فليس لنا ما نعزيكم به سوى عواطفنا التي نرسلها اليكم · عواطف عشرة ملايين نفس في وادي النيل تحملها ريح الشمال الى الجنوب حيث انتم الآن تذودون عن ذماركم

فاقبلوها عواطف حب واشتراك في مصابكم لا يكدرها شيء حتى ولا بغض مخصومكم

الشمس

عبادة الاقدمين لها . عمرها . حقيقتها . نورها . لونها الحقيقي ازدياد حرارتها . سكنى الناس كلهم في خط الاستواء . وبعدُ . حادثة لفولتير مع الشمس

عبد الاقدمون الشمس لما ابصروا من جلالها وتاثيرها على الكائنات . فانها لا تنزل في كهف المغرب وراء الافق البعيد حتى تصبح الارض باردة مظلمة قفراء عليها مسحة الانقباض والحزن . ولكن غزالة النهار كريمة لا تطيل هجر الارض بل تطل في صباح اليوم



كيف يتصور الذهن الشمس متى شبه بها وجه الحسناء

التالي من هودجها الناري على تلك المخلوقات الباردة التي كأنها ممثلة حزناً وانقباضاً فتبعث السرور بافئدتها وتبث الحياة مع الحرارة في اجسامها . فالعصافير تتداعب وتتغنى على الاشجار . والزهر يرفع راسه بعد نوم طويل متمايلاً لظهور عروسة النور . وقطرات الندى تترقرق في تيجانه وعلى اغصان الشجر كانها قطع ماس من ماس كمبرلي ... علقتها فيها يدٌ غير بخيلة كيد المستر سسل رودس او دموع اذرفتها النجوم حسرة على فراق الليل او حسداً من الكوكب العظيم . فليس غريباً بعد ذلك ان يكون الاقدمون قد عبدوا الشمس واتخذوها الهاً

على ان هذا المعبود غير ازلي ولا ابدي اي ان له بداية كما ان له نهاية ولكن بدايته مجهولة كنهايته . وانما هي افتراضات وقياسات يرويها العلم ونحن نرويها لك معتمدين في هذه الرواية على بحث جديد للعالم بوسكو يتز فنقول

وُجدت الشمس منذ ٣٥ مليون سنة . اما كيفية وجودها فالعلماء غير متفقين عليها .

الا انهم اتفقوا على انها جرم عظيم ثابت في الفضاء الواسع الذي لا نهاية له بواسطة الجاذبية المتوازنة بينه وبين الاجرام التي حوله · وهي مركز عالمنا الفلكي ولذلك يسمونه العالم الشمسي

اما حقيقة الشمس فيقول العلماء انها نواة متجمدة مظلمة يحيط بها جو منير هو سبب النور المنبعث منها · وهذا الجو عمقه نحو ٨ الاف كيلومتر وهو مؤلف من ابخرة معدنية وغازات مختلفة فاذا نظرت اليه بالتلسكوب حسبته بحرًا متماوجًا وفيه بقع بيض شديدة اللمعان وهي ما يسمونه غيوم الشمس

وهذه الغيوم مؤلفة من نقط كاربونية سائلة وهي هي المادة التي يتولد النور منها كما ان النور الكهربائي يتولد من الفحم على ما هو معلوم · ومتى عرفت ذلك سهل عليك ان تعلم بان اشعة النور تجتاز من الشمس الينا ١٥٢ مليون كيلومتر · وانما يسهل ذلك لمعرفتك ان النور منبعث عن ملايين مصابيح كربونية محيطة بالشمس كما رأيت

ولون الشمس الحقيقي هو ازرق لا اصفر كما نراه · هكذا قال العالم لانكلي والاستاذ مي وتابعها العلماء · وانما نراها نحن صفراء لا زرقاء لان الاشعة الصفراء المنبعثة عن جوها البخاري اكثر واطول من الاشعة الزرقاء فتصل الينا قبلها فتملأ اعيننا ولذلك اذا وصلت الينا الاشعة الزرقاء وجدت النظر مشغولاً فلم تؤثر فيه

وحجم شمسنا هائل · فاننا اذا قسمناها ١٢٥٠٠٠٠ قسمًا بعضها بقدر بعض كان حجم كل قسم بقدر ارضنا اي انها اكبر من ارضنا مليونًا و٢٥٠ الف مرة · وحرارتها اذا مست ٥٠ مليون كيلومتر مكعب من الماء البارد جعلته في ثانية واحدة ماء غاليًا

وهذه الحرارة مع شدتها آخذة بالازدياد حتى الوف من القرون · على انها بعد انقضاء ٨٠٠ الف سنة سيشتد لونها زرقة لاشتداد حرارتها فيستطيع سكان الارض يومئذٍ ان يروا لون الشمس ازرق لا اصفر · هذا اذا ابقاهم الله

ولما تبلغ الشمس معظم حرارتها تاخذ في الهبوط اي تدخل في طور الهرم · فياخذ حجمها يصغر شيئًا فشيئًا وتبرد حرارتها · فتبرد الارض من جراء ذلك فيرحل جميع سكانها الى خط الاستواء ويقيمون فيه مدة مائة قرن ولكن في شتاء دائم بسبب برودة الشمس · ثم يشتد البرد فينقرض به نوع الانسان على الارض· هذا اذا لم تطرأ عليه طوارئ اخرى تهلكه

ومتى بردت الشمس فماذا يحل بها — يقال انها تستمد حينئذٍ حرارتها ونورها من

الشمس « فيكا » وهي منذ الآن تتجه نحوها

وبعدُ ؟

— بعد ذلك تنجذب شمسنا وعالمنا الى تلك الشمس بالرغم عنها · ولكن من المحتمل ان تعود فتضطرم مرة ثانية وتجدد شبابها · فيكون شانها شان من مات وبُعث من قبره · على انها سواء بقيت باردة وانجذبت الى شمس اخرى او اضطرمت وعاشت مرة ثانية فانها تكون قد قامت بالوظيفة التي خُلقت لها وهي احياء عالمنا الوفاً والوفاً من القرون بفضل حرارتها المحيية

على ان للشمس فضلاً آخر وهو تذكيرنا في غروبها وشروقها بعظمة خالقها · ولا نتمالك في هذا المقام عن ان نذكر حادثة بهذا الشأن للفيلسوف فولتير الشهير رواها اللورد بروغام وضمن صحتها وهذه خلاصتها

في الساعة الثالثة بعد منتصف ليل من ليالي ايار بعث فولتير الى الكونت دي لاتور يسأله اذا كان يرغب في مرافقته للتنزه في تلك الساعة · فدهش الكونت وحسب نفسه في حلم · ولكن ما لبث ان اتاه رسول ثانٍ من قبل الفيلسوف يلح في الطلب فنهض في الحال وذهب اليه فوجده ينتظره وقد لبس ملابسه · فسأله عن مراده فقال له فولتير دعوتك لترافقني الى بعض الآكام القريبة لانني اريد ان اشهد منها طلوع الشمس في هذا الصباح فقد حبب اليَّ ذلك ما كتبه عنه جان جاك روسو في فصل « اعتراف راهب من سافوى » فسارا يتقدمها دليل ومعه مصباح لانارة الطريق · وما زالا في تصويب وتصعيد حتى اخذ بركان النهار في الانفجار وبانت اصابع الفجر الوردية فطفق الفيلسوف يصفق بيديه فرحاً تصفيق الاولاد وهو يمشي متثاقلاً لانه كان في الواحدة والثمانين من العمر · ثم تسلقا اكمة فلما بلغا قمتها ابصرا منظراً باهراً · فان المشرق كان مضطرماً بانوار الغزالة الطالعة كأن تلك الانوار منبعثة عن مصابيح قُدمت امامها لتنير طريق هودجها · فوقف فولتير لدى هذه المناظر مبهوتاً متاملاً حتى طلع جبين الغزالة الجميلة فابرقت حينئذٍ اسرته ولمع برق عينيه فكشف راسه باحترام والشمس آخذة بالاشراق وخرَّ جاثياً على ركبتيه ناظراً الى السماء وقائلاً « عرفتك عرفتك ايها الخالق العظيم » واخذ يصف تلك المحاسن ببلاغته العجيبة · لكن من الغريب انه قطع كلامه بغتة ونهض منقبض الوجه وهو يرفس الارض برجله وقائلاً « كلا · لا يوجد شيء »

فما اعظم ذلك المنظر الذي فعل بنفس فولتير ما لم يفعله العلم والفلسفة

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اصلاح عظيم في روسيا

التعليم الالزامي

في روسيا في الدولة العلية . في القطر المصري

عزمت حكومة روسيا على ادخال اصلاح في بلادها يحسب اعظم اصلاح اقدمت عليه بعد تحرير الفلاحين ونريد بهذا الاصلاح تقرير « التعليم الالزامي » . فقد قررت ان تجرب ذلك اولاً في بطرسبرج وضواحيها فاذا نجحت التجربة عممتها في جميع اقطار الامبراطورية الروسية

ويوجد الآن في بطرسبرج وضواحيها ٨٣٥ مدرسة ابتدائية عدد تلامذتها ٧٦ الفاً قياماً بحاجات التعليم الالزامي فيها يجب انشاء ٥٢٨ مدرسة ابتدائية غيرها . وهذا ما قررت الحكومة الروسية الشروع فيه

وبما ان بعض المدارس ستكون بعيدة عن بعض القرى والمزارع فقد قررت ان تنشئ بازاء المدارس ملاجئ ينام فيها التلامذة في الليل حتى لا يحتجوا ببعد المسافة بين البيت والمدرسة . وهي عازمة عزماً شديداً على ادخال الالزامية في مدارسها مهما كلفها الامر من العناية والنفقة لانها لا ترى طريقة لجلاء الجهل عن عقول ابنائها الا بواسطة « المدرسة الالزامية »

وانا بازاء هذا الامر العظيم لا يسعنا الا ان نتساءل ماذا يمنع الدولة العثمانية من ان تسلك طريق « الالزامية » ايضاً

فنجد ان الموانع ثلاثة . الاول كثرة النفقة اللازمة . والثاني عدم قدرتنا التعليم الابتدائي قدره . والثالث — وربما كان اهمها — اختلاف العناصر العثمانية

اما الامر الاول وهو كثرة النفقة اللازمة فلا يكبر على حكمة الحضرة السلطانية ان تدبر اموالاً طائلة للتعليم الالزامي كما تدبر اموالاً طائلة لترقية شان الجيش . وكلاهما في نظرنا اهم ضروريات الامة . بالجيش تدفع الامة عن نفسها غارات الاعداء . وبالمدرسة الالزامية تدفع الامة عن نفسها غارة الجهل الذي قد يكون اشد من الاعداء خطراً

فالعناية بالتعليم الالزامي واجبة وهي بمنزلة العناية بالجيش سياج الامة

واما الامر الثاني وهو عدم قدرتنا التعليم الابتدائي قدره فهو امر نود ان ننكره على انفسنا لانه يسوءنا ان يقال فينا اننا في هذه المنزلة من الجهل والغباوة . ولذلك فاننا لا نبحث فيه

واما الامر الثالث وهو اختلاف العناصر فهو امر في غاية الاهمية . فان الفرامانات السلطانية تخول العثمانيين المسيحيين في بلاد الدولة الحق بان تكون لهم مدارس ملية حرة هذا فضلاً عن وجود المدارس الاجنبية . فكيف يمكن انشاء الالزامية ما دام التعليم غير موحد . وكيف يمكن اجبار المسيحيين على ارسال اولادهم الى مدارس الدولة الالزامية

فنجيب على ذلك بان هذا الاختلاف موجود في فرنسا ولكنهم داووه فيها بدوائين . الاول انهم جعلوا المدرسة « مستقلة » اي انهم اخرجوا التعليم الديني منها . والثاني انهم يطلبون من كل اب وام ان يبرزا شهادة من المدارس التي يتعلم فيها اولادهما ولو كانت لغير الحكومة دلالة على انهم يتعلمون . ففي الامكان ان يتقرر الامر الثاني في بلاد الدولة العثمانية اذا كان لا يمكن تقرير الاول

فالذي نطلبه الآن هو انشاء مدارس الزامية لابناء الامة العثمانية على اختلاف اجناسها . مدارس صحيحة التعليم والتربية اسلامية ومسيحية . الحكومة تنفق على المدارس الاسلامية ورؤساء الدين المسيحي ينفقون على المدارس المسيحية بمساعدة طوائفهم مساعدة « الزامية » وعلى الخصوص بمساعدة الحكومة « مساعدة مالية حقيقية »

ولقد سمعنا بعض الكتاب ينادون ان روسيا هي عدوتنا اللدودة فينبغي ان نستعد لها وان نبتاع مدفعاً كلما ابتاعت مدفعاً ونبني سفينة كلما بنت سفينة . فنحن لا نكره ان نغتنم هذه الفرصة لاثارة الغيرة في نفوس حكامنا ولذلك نقول لهولاء الكتاب : ان روسيا التي تدعون انها عدوتنا قد شرعت باصلاح عظيم يزيد قوتها زيادة هائلة . فان لم تزد الدولة قوتها بادخال مثل هذا الاصلاح الى بلادها وذلك « بتقرير التعليم الالزامي » فان الدولة تزداد ضعفاً بالنظر لازدياد روسيا قوة

فنحن نطلب الآن ان تجرب الحكومة العثمانية « الالزامية » في الاستانة كما ستجربها روسيا في بطرسبرج . وان لم تكن الاستانة فاحدى الولايات الشامية . و يسرنا جدًّا ان يسمع اولياء الامر هذا النداء الصادر عن نية خالصة ورغبة في خير الوطن وارتقاء شان الامة حتى لا يسبقها السابقون

اما ادخال « الزامية التعليم » الى القطر المصري فيخيل لنا انه امر اصعب من ادخاله الى بلاد الدولة العثمانية واسهل معاً . نقول اصعب لان الحكومة المصرية لا تستطيع الانفاق كما تشاء اذ هي مقيدة بمراقبة مالية اجنبية . ونقول اسهل لان قناطيرها الذهبية المقنطرة الموفرة في صندوق الدين كفيلة لها باخراج هذا المشروع من حيز القوة الى حيز الفعل اذا اقدمت عليه وطلبت من الصندوق بالحاح الاموال اللازمة له . ونحن على يقين بان الوزير الذي يقوم في مصر الى هذا العمل العظيم يخلد اسمه في تاريخ مصر و يستحق ان يلقب بالمحسن الى الامة المصرية

ولكن هل يقوم في مصر هذا الوزير . ام تمنع الحالة السياسية الحاضرة من قيامه فيبقى الشعب المصري بلا نور ولا علم الى ما شاء الله . مسألة نرفعها الى عطوفة الوزير الكبير مصطفى فهمي باشا الذي نرغب له ان يكون ذلك الوزير المنتظر لهذا الامر الخطير

الشبان وخطرهم وما يجب لهم

خطران . سلاح هجوم وسلاح دفاع . المدارس والشبان . مسئولية المدارس والهيئة الحاكمة . اذا قصرت الحكومة من حيث تقرير التعليم الالزامي فانها تستطيع ان تمحو بعض تقصيرها بانشاء المدارس العالية

نود قبل الكلام عن هذا الموضوع ان نقول كلمة بشان ما ننشره في هذا الباب . وهي اننا لا نستطيع ان نقول كل ما يجب ان يقال في هذا الموضوع لان التفصيل والاسهاب من شأن الكتب والمؤلفات المطولة ونحن لا نستطيع هنا الا الاشارة اشارةً الى اهم مسائل التربية لئلا يستغرق هذا الباب ابواب الجامعة الاخرى . فنحن اذاً انما نكتب هنا للادمغة الناضجة والنبهاء والنبيهات الذين يكفي ان تُعرض على افكارهم الثاقبة عبارة واحدة في احد المواضيع فتنفتح بها في اذهانهم ابواب عالم جديد لم يكونوا قد ابصروه او التفتوا اليه . اما الذين لا يفهمون الامور الا اذا فُصلت لهم تفصيلاً مملاً وبُسطت لهم تبسيطاً كلياً فانا نشير عليهم ان لا يقرأوا هذا الكلام

والآن نعود الى الموضوع

اشرنا في الجزء الماضي الى خطر الاطفال ووعدنا بان نذكر في هذا الجزء كلمة عن خطر الشبان . ونريد بخطر الشبان حالتين يوجد الشاب فيهما . الحالة الاولى تسليم الطبيعة اليه قياد نفسه . والثانية نزوله الى العالم

اما الحالة الاولى فنريد بها بلوغه سن الرجولية . فان الشعور الجديد الذي يشعر الشاب فيه يومئذٍ اذا لم يحكم عليه ويصرف امياله في طريق الخير اضاع نفسه واضاع مستقبله معه فضلاً عن جنايته على نسله وعلى الفضيلة والادب العام . ومن امعن النظر وجد ان الاباء والامهات قلما يلتفتون الى العناية باولادهم من هذا القبيل فانهم يتركونهم وشانهم دون مراقبة وربما تركوهم بلا عمل ايضاً فهنالك الطامة الكبرى لان « راس البطال مخزن الشيطان » كما يقول المثل والبطالة آفة الآفات ولاسيما في هذا الشأن الذي نبحث فيه تلميحاً لا تصريحاً . وقد وصف جان جاك روسو لهذا الداء دواء نراه ناجعاً وهو ان تُشغل اوقات الفتى كلها بما يلهيه عن امياله الجديدة وذلك بالصيد في البر والبحر . فان الصيد لذة واذا وُجد بازاء الولد من يحثه عليها ازداد رغبة فيها ولكنه يشترط ان يبقى الفتى تحت المراقبة الشديدة ليلاً ونهاراً واخماد ثورة عواطفه الجديدة بالاعتدال حتى بالمأكل والمشرب وبابعاده عن المجتمعات التي تثير عواطفه وتزيدها هياجاً واضطراماً وهذا الدواء موصوف لابناء الاغنياء البطالين

وليعلم الاباء والامهات ان مستقبل اولادهم بل حياتهم نفسها قد تكون متوقفة على هذه المسالة . وننصح لهم ان لا يهملوا ذلك . فانهم اذا ابصروا فتاهم حين دخوله في سن البلوغ قد اخذ ينحل ويتغير لونه فليبحثوا وليسعوا جهدهم الى معرفة السبب منه نفسه وليبينوا له الخطر الصحي والادبي الذي يلقي فيه نفسه ونسله من بعده وذلك باستسلامه الى امياله الجديدة . وهذا موضوع واسع نكتفي الآن بالاشارة اليه وربما عدنا الى البحث فيه في فرصة اخرى لانه من اهم ما يجب البحث فيه فيما يختص بخطر الشبان

واما الخطر الثاني وهو نزول الشاب الى العالم فيمكن اجتنابه بامر واحد وهو ان يبقى الولد تحت جنحي ابيه وامه فلا يُسمح له بالاستقلال باعماله وعلى الخصوص بالسفر الى بلاد اخرى بعيدة الا متى رسخت اخلاقه وثبتت امياله واشتدت الواحه واصبح لا يُخشى عليه من ان يسقط في تجربة او ان يحيد عن الطريق القويم والصراط المستقيم

هذا ما نقوله الآن في خطر الشبان وانما اختصرناه لننتقل الى البحث التالي وهو نسبة الشبان من الامة وماذا يجب لهم

شبان الامة هم منها بمثابة دمها . فاذا كان هذا الدم صحيحاً نقياً كان جسم الامة صحيحاً قوياً . واذا كان فاسداً كان جسمها ضعيفاً سقيماً . ولا ننكر ان الكهول والشيوخ ولاسيما من العلماء والكتاب لاتنضج مواهبهم الا بالشيخوخة وتكرار الايام فيكونون في آخر عمرهم اكثر فائدة مما كانوا في اواسطه او في اوائله ولكن هذه امور نادرة شاذة وانما القياس الصحيح والقاعدة المطردة هما ان قوة الامة تكون بقوة شبانها . اولاً لان كل عظائم الامور السياسية والعسكرية والتجارية والصناعية والزراعية يكون الشبان اقدم عليها من الشيوخ وثانياً لان هؤلاء الشبان سيمسون شيوخاً فاذا كانوا اقوياء في شبابهم من الوجه الادبي ازدادوا قوة في شيخوختهم . فقوتهم اذاً تشتمل على قوتين قوتهم في الحاضر وقوتهم في المستقبل . لذلك قلنا انهم من الامة بمثابة دمها اذا صح صحت واذا فسد فسدت

واذا كان الشبان هم دم الامة كما قدمنا ومدار صلاح حالها وجب ان تكون العناية بهم فوق كل عناية . ولا خلاف في ان كل امة تعنى بتربية شبانها . ولكن عقدة المسألة هي الطرق التي تجري هذه العناية عليها . فالشبان في فرنسا يشبون وغايتهم العظمى نيل الشهادة الادبية او العلمية والاستخدام في الحكومة . بخلاف انكلترا كما بسطنا ذلك غير مرة فان هم مدارسها مصروف الى تعليم شبانها العظامة والاقدام وحب المعيشة الحرة . فلنبحث ما هي الطريقة المثلى للعناية بالشبان

انا نرى لذلك طريقتين متلازمتين الاولى هي تربية هجوم والثانية تربية دفاع . ومعنى هذا ان الشبان في هذه الحياة الطويلة والقصيرة معاً يشبهون ركباً في سفر . فيجب ان يكون معهم سلاح للاقدام يمهدون به طريقهم ويجوزون كل ما فيها من الصعاب . وسلاح للدفاع يدفعون به كل ما يعدو عليهم في سفرهم . وبلا هذا السلاح المزدوج يشبه الشبان جنوداً بلا سلاح ارسلوا الى ساحة القتال

وكأننا نسمعكم تقولون ما هو هذا السلاح سلاح الهجوم . فنجيب على ذلك انه سلاحان مادي وادبي . اما السلاح المادي فهو تقوية اجسام الشبان بالرياضة والعمل والمهيجين اي جعل اجسامهم اجساماً صحيحة لتسكنها عقول صحيحة . فان كل رجال الاقدام والعزائم في العالم هم من اصحاب الاجسام القوية . واما السلاح الادبي فتثقيف عقول الشبان بعلوم وفنون تكسبهم رزقهم في هذه الحياة لا بدروس عقيمة يحفظونها اليوم لينسوها غداً ولا تفيدهم في دور من ادوار حياتهم

واما سلاح الدفاع فهو القوة التي يجب ادخالها في نفوس الشبان لتكون سلاحاً لهم ضد ما قد يطرأ عليهم من الضعف في هذه الحياة . فالرذيلة ضعف يطرأ على النفس يقتضي

ازالته بقوة الفضيلة · والبطالة ضعف يطرأ يجب ان يزال بقوة حب العمل والمقدرة عليه · والتبذير ضعف يزال بالاقتصاد وهلم جرّا · والا فان الشبان اذ لبثت نفوسهم من غير هذا السلاح سلاح الدفاع فانها تسقط سقوطاً هائلاً بازاء اعدائها الكثيرين الذين يهاجمونها من كل جانب في هذه الحياة

فالطريقة المثلى لتربية الشبان ان نعطيهم سلاحاً للهجوم وسلاحاً للدفاع

فهل تعطي مدارسنا هذين السلاحين

قلنا مدارسنا ولم نبدأ بالبيت مع كون التربية البيتية هي اساس كل تربية كما مر بنا لاننا يحق لنا ان نقطع الرجاء من التربية البيتية بازاء ما فيها من الفساد المتاصل · وسبب فسادها انه لا يوجد في البيت كما يوجد في المدارس عقول نيرة وافكار ثاقبة تفهم معنى التربية ان لم يكن حق الفهم فبقدر الاستطاعة · فلا نرجونّ في هذا الزمان فائدة من التربية البيتية قبل اصلاحها من اساسها

ولكن ما هو تاثير التربية المدرسية عندنا · هل هي تعطي السلاحين للذين اشرنا اليهما آنفاً

من الثمرة تعرف الشجرة · واذا اردنا معرفة احوال التربية والتعليم في مدارسنا فلننظر الى تلامذتها الشبان الذين يخرجون منها في كل عام مئات والوفاً · فان اكثرهم يكونون بعد المدرسة عالة على اهلهم دابهم البطالة والاقامة في القهاوي والحانات · المقامرة احب عمل اليهم والعمل اكره الاشياء عندهم · يناموں في المسكرات والرذيلة ويصحون في الكسل والبطالة · وهكذا يصرفون زهرة عمرهم وينفقون دماء حياتهم في هذه المعيشة السوداء والبلية الدهماء

وفي وسط هذا الليل المدلهم يوجد من يصرخ ان الامة فقيرة متاخرة · نعم وكيف لا تكون الامة فقيرة تعيسة شقية اذا كان شبانها وهم دمها الذي به تحيا وتقوى منغمسين هذا الانغماس بهذه المعيشة القبيحة · ان الامة تعيسة وستزداد تعاسة اذا بقيت على هذه الحالة من الفساد · واذا سالتم من هو المسئول عن هذا الفساد اجبنا ان المسئول فريقان الاول المدرسة · والثاني الهيئة الحاكمة

اما المدرسة فلانها تعلم طلبتها تعليماً غير منطبق على حاجاتهم · فبدلاً من التعليم الصناعي والزراعي والتجاري الواجب تقديمه على كل تعليم يعلمون اولئك الشبان تعليماً ادبياً ناقصاً يجعلهم قاصرين في كل شيء ويمنعهم حتى من العمل بشرف لاكل خبزهم بعرق جبينهم · وهذه جناية كبرى لا تلتفت اليها مدارسنا ولكنها تحتمل تبعتها بالرغم عنها .

انكم تعلمون تلامذتكم علوماً ادبية من لغات ونحو وصرف فمثلكم مثل من يثقب الماء او يضرب الهواء . اي انكم لا تؤثرون فيهم تاثيراً مفيداً بل تضرونهم من حيث اردتم ان تنفعوهم . فاذا اردتم نفعهم نفعاً حقيقياً فعلموهم مع التعليم الادبي تعليماً صناعياً وزراعياً وتجارياً

واما مسؤولية الهيئة الحاكمة فلانها لا تفتح لابنائها موارد جديدة للرزق والاستعمار والعمل في املاكها الواسعة واراضيها القفراء المخصبة فضلاً عن انها لا تعمم المدارس الزراعية والصناعية . وهي بذلك تخطئ الى نفسها لان شبان الامة الذين لا يجدون مصرفاً لقوام واعمالاً لهم ينسبون الخطأ كله اليها لا الى المدرسة فينقلبون باللائمة عليها ويسخطون ويكظمون

فحرام والف حرام ان نتركوا دماء الشباب الذي هو دماء الامة ان يذهب سدى بلا فائدة . اصرفوه الى الاعمال النافعة بدلاً من تركه ينصرف الى الشر والبطالة والرذيلة ويفسد في مستنقعاتها . علموا الشبان تعليماً عملياً . انزعوا في المدرسة من عقولهم بغض العمل وعلموهم ان كل عمل حتى اصغر الحرف اشرف من الكسل والبطالة . مدارس عملية مدارس عملية . انظروا ما صنعت المدارس العملية بالمانيا في مدة ٣٠ سنة فقط كما ترون في مقالة « كيف تعظم الامم » في هذا الجزء . انشئوا عندنا مدرسة عملية بازاء كل مدرسة ادبية ونحن الضامنون لكم ان حالنا تنقلب في اقل من ٣٠ سنة

باب تدبير الصحة

لا تأكل من اثمار معروضة على الطريق

نشر الدكتور فربي فصلاً في مجلة العلم الفرنسوية نصح فيه لجميع الذين يرغبون في حفظ صحتهم ان لا يبتاعوا شيئاً للاكل من الاثمار التي تعرض على ابواب المخازن او في اطباق خصوصية على الطريق . قال . ان جميع ذوي العلل والامراض يبصقون في الشوارع فيتحول بصاقهم الميكروبي الى تراب والتراب يطير الى الاثمار . وما عدا ذلك فان الناس ينفضون غبار منازلهم من النوافذ فينزل ذلك الغبار راساً الى تلك الاثمار المعروضة . والغبار في الشوارع والمنازل غاص بميكروبات الامراض فتنتقل هذه الميكروبات بهذه الواسطة الى الذين

يا كلون من تلك الاثمار فعلى الذين يريدون الخير لصحتهم ان لا يشتروا فاكهة او خضراً الا من الحوانيت النظيفة المغلقة التي لا يصل اليها غبار الشوارع . وحبذا لو كانت الحكومة تجبر الباعة على صنع بيوت زجاجية لستر بضائعهم وقاية لها من الميكروب فان هذا الامر من الاهمية الصحية باعظم مكان

الانفلونزا وجراثيمها وعدواها

نشرت مجلة المجلات مقالة محمة للدكتور كاز عن الانفلونزا وانتقال جراثيمها فرأينا ان نلخص منها شيئاً . قال

ان هذه العلة انتقلت في هذا العام الى اوربا واميركا من تركيا فان جراثيمها انتقلت منها اليها مع البواخر التجارية . ذلك ان جراثيم الانفلونزا سريعة الانتقال وهي تسافر كالكوليرا في البر والبحر

اما محل اقامتها فالخياشيم والرئة والشعب الرئوية والامعاء والفم . وتدخل الى الجسم عن طريق الفم او الانف

وهذه الجراثيم تموت في مدة ٢٤ ساعة اذا جفت او اغرقت في الماء . ولا تعيش في لعاب الانسان اكثر من اسبوعين ولكنها قد تثبت في الاجسام المصابة بالدفتيريا وامراض الصدر شهوراً وسنوات عديدة

والجرثومة الواحدة تشبه البيضة في تكونها لانها مؤلفة من قشرة صغيرة جداً ضمنها مادة حية وهذه المادة الحية تفرز سيالاً يسبب النزلة حين دخوله للجسم . فليست الجرثومة اذا هي السبب في العلة ولكن السيال الذي تفرزه

واما كيفية انتقال هذه الجراثيم فبواسطة اللمس . فانه يكفي ان تصافح باليد صديقاً لك مصاباً بالانفلونزا فتعلق جراثيمه بكفك . ولما تحك فمك او تضع فيه لقمة ينتقل المكروب بهذه الطريقة الى جوفك . وقلما يكون انتقاله بغير هذه الواسطة

ويمكن ان يدخل الى جسم الانسان مدة ٢٤ ساعة فقط ١٦ مليوناً وخمسمائة الف جرثومة من جراثيم الانفلونزا لانها سريعة التولد . فيجب والحالة هذه ان تتخذ التدابير اللازمة لتخفيف سريان عدواها اذا لم يكن منعها في الامكان والوسيلة الاولى لذلك هي ان يمتنع المصابون بالانفلونزا من البصاق في الشوارع والمركبات والاماكن العمومية وان يجتنب الاصحاء الاقتراب منهم

علاج للسم

كثيرًا ما حدث ان مريضًا اراد ان يتناول دواء فاخذ بدل زجاجة الدواء مادة سامة بجانبها . فالذي يجب لمعالجة السم في هذه الحالة ثلاثة امور . الاول سقي مقيء يخرج السم . الثاني اعطاء دواء مضاد للفعل الذي يكون قد احدثه السم ويسمون هذا المضاد (ترياقًا)والثالث العناية الميجبينية بشارب السم

اما اعطاء المقيء ومضاد فعل السم فامران من شان الطبيب فيجب ان يدعو اهل المريض الطبيب حالما يدرون بتسممه . والى ان يحضر الطبيب يجب ان يحفظوا حرارة مريضهم وذلك يتم بتغطيته بصوف يحمونه على النار . ويجب ايضًا ان يسهلوا له التنفس وذلك بتحريك مروحة امام وجهه و رفع ذراعيه معًا فوق راسه وخفضها معًا

معالجة الغرقى

اذا وجدت غريقًا يتخبط في الماء فمن الشهامة ان تلقي بنفسك لانقاذه . ومتى اخرجته فاول امر تتعاطه ان تمدده على ظهره وتجعله مائلا بعض الميل الى الجانب الايمن . ثم افتح فمه وارفع جسمه واخفض رأسه لينزل ما في بلعومه ومعدته من الماء . وبعد ذلك يجب عليك ان تصنع امرين . الاول اعادة الحرارة الى جسمه . والثاني اعادة التنفس الى رئته

اما اعادة الحرارة الى جسمه فتتم بان تحمى « مكواة »حديدية الى درجة خفيفة يحتملها الجلد ثم تمرها على اعضاء جسمه . وحسنٌ ايضًا ان تاخذ قطعًا من الصوف او الفلانلا وتدلك بها جسده دلكًا شديدًا ثم ضع على انفه زجاجة ممتلئة خلاً او روح النشادر ممزوجًا بالماء

واما اعادة التنفس الى رئتيه فتستوجب ان تضغط على صدره واسفل بطنه ضغطًا خفيفًا متراوحًا يشبه حركة الرئتين . ثم خذ ذراعيه معًا وارفعها فوق راسه واخفضها . واذا لم يعد اليه التنفس بهذه الطريقة فيجب ان يُنفخ في معدته بواسطة منفخ صناعي يعرفه الطبيب ولا بأس ايضًا ان تنفخ في فمه فمًا لفم

قال الدكتور ارنود الذي نقلنا عنه هذه التفاصيل . ولي اليك وصيتان . الاولى ان لا تضجر من العناية بالغريق اذا لم ترجع له الحياة في مدة قريبة فانه قد يبقى غائبًا عن الصواب ساعات طويلة وهو حيٌّ فلا تقطع النجاة من حياته ابدًا . والثانية انك اذا ابصرت غريقًا قد مضى عليه ربع ساعة في البحر او في النهر فلا تحسب انه لم يبقَ امل بشفائه فكثيرون من الغرقى لبثوا في الماء ساعة بل ساعات ثم عند المعالجة عادت الحياة اليهم

﴿ شفاء الروماتزم بالصاعقة ﴾

كان المسيو فينو من سكان رامبن من اعمال « اود » في فرنسا واقفاً امام باب حانوته وهو مصاب بالروماتزم لا يستطيع ان يمشي الا متوكئاً على عصاه واذ انقضت على ذلك المكان صاعقة صعقته والقته بعنف الى داخل الحانوت على مسافة بضعة امتار . فتجلد الرجل وحاول النهوض فلم يرَ طريقه لانه اصيب بعمى وقتي ولكنه مقابل عماه وجد انه شُفي من الروماتزم فاصبح قادراً على المشي بقوة من غير عكاز . وبعد هنيهة عاد اليه نظره فاصبح صحيح الجسم وعاد الى عمله كما كان . فتكون الصاعقة بتاثيرها الكهربائي قد شفته من الروماتزم . وقد روت هذه الحادثة مجلة « الصحة » الفرنسوية

وروت ايضاً ان الصاعقة صعقة ايضاً رجلاً من سكان افرلي في فرنسا وكان بيده مصباح فيه شمعة كبيرة فاذابت الصاعقة الشمعة دفعة واحدة دون ان تبقي لها اثراً وجعلت « تنك » المصباح لامعاً كالفضة مع انه تنك قديم . اما الرجل فلم يصب بضرر

﴿ الغليسرين وزينة السيدات ﴾

ان السيدة التي تكره استعمال الزيت دهاناً للشعر بسبب رائحته يمكنها ان تستبدله بالغليسرين . وذلك ان تاخذ زجاجة من الغليسرين وتضع فيها زهوراً كالياسمين او الفل او البنفسج مدة ٣ اسابيع فيمتص الغليسرين رائحتها لانه شديد الامتصاص للرائحة وحريص على حفظها فتدهن بعد ذلك شعرها منه فيكون دهاناً للشعر لماناً ومعطراً معاً خلافاً لزيت الزيتون

واذا وُضعت بعض نقط من هذا الغليسرين المطيب في ماء وغسل به الوجه لين البشرة وعطرها . فهذا اذاً من كل وجه خير من زيت الزيتون

﴿ تنبيه ﴾

وقع في الجزء الماضي خطاء في وصفة الدكتور بورن للانفلونزا . فقد جاء فيها ٥٠ غراماً من التربين وصوابه غرامان و ٥٠ جزءاً وهو خطاء مطبعي ظاهر لانه لا يمكن ان يوصف ٥٠ غراماً من التربين مرة واحدة

وبهذه المناسبة نقول ان الجامعة تنقل كل ما تنشره في هذا الباب « باب تدبير الصحة » عن اشهر الاطباء والمجلات في العالم علماً بان المسائل الطبية لا ينبغي ان يبحث فيها غير الاطباء . ولذلك لا يجد القراء في هذا الباب رأياً او قولاً لغير طبيب

نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب اصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتأخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

في بعض الاخلاق التي تكون في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة

لزكريا بن عدي من كتابه في تهذيب الاخلاق وهذا الفصل الادبي الجميل جدير بانتباه جميع القراء

(منها حب الكرامة) وهو ان يسرَّ الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على الرغبة في اكتساب الفضائل . وذلك ان الحدث والصبي اذا مُدحا على فضيلةٍ وُجدت فيهما كان ذلك داعياً لهما الى الازدياد في الفضائل . واما الافاضل من الناس فان ذلك يُعد منهم نقيصة . لان الانسان انما يُمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه اما اذا كان من اهل الفضل فلا ينبغي ان يسر او يستغرب ما يظهرونه من الفضائل . وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زائداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة

(ومنها حب الزينة) وهو التصنع بلبس الثياب الفاخرة وركوب الخيل وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث والظرفاء والنساء . فاما الرهبان والزهاد والشيوخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظون ورؤساء الدين فان التصنع بالزينة مستقبح منهم والمستحسن بهم هو لبس الخشن وكراهية التنعم ولزوم بيوت الصلاة

(ومنها المجازاة على المدح) وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل . وهذ الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء لانه يدعو المادح الى الازدياد في مدحه فيكتسب الممدوح ذكراً جيلاً يبقى الى الدهر . ومن فضائل الملوك والرؤساء بقاء ذكرهم الجميل . واما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهةً فذلك غير مستحب منهم لانه من جنس الملق وحب الملق مكروه لكونه من قبل الخديعة كما تقدم . فاما ايثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم وتناول الناس له وبقاؤه بعدهم فانه محمود . ومجازاة المادح مستحسنة من الملوك ومنهم مستقبح

وعار عليهم لان ذلك يدعو الى ذمهم وذمهم يبقى ايضاً الى الدهر فينشئ لهم ذكراً قبيحاً وذلك مكروه من الملوك والرؤساء . اما اصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح لهم غير مستحسن لان المادح اذا مدح الدنيء من الناس فانما يخدعه فاذا اجازه اعتقد انه اخذ منه تلك الجائزة بالحيلة . وكثير من الناس اذا مُدحوا بما ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه فلو صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء واهل المسكنة كان ذلك اجمل بهم واليق

(ومنها الزهد) وهو قلة الرغبة في الاموال والاذخار وغيرها وايثار القناعة بما يقيم الرمق والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستصغار الملوك وممالكهم وارباب الاموال واموالهم وهذا الخلق مستحسن جداً من العلماء ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت . فاما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا اظهر الزهد صار ناقصاً اذ ان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض واذخارها ليدبر بها ملكه ويصون بواسطتها حوزته ويتفقد بها رعيته وهذا مضاد للزهد فانه اذا ترك الاذخار ابطل ملكه وصار معدوداً في جملة الملوك الحائدين عن طريق السياسة

فهذه الاقسام التي ذكرناها هي اخلاق جميع الناس . اما المحمودة منها المعدودة فضائل فقلما تجتمع كلها في انسان واحد واما المذمومة منها المعدودة نقائص ومعائب فقلما يوجد انسان يخلو من جميعها حتى لا يكون فيه خلق مكروه وخاصةً من يروض نفسه ويؤدبها فان من لا يتعمل لضبط نفسه وتفقد عيوبه لم يخلُ من عيوب كثيرة وان لم يحس بها ولم يفطن اليها . واذا كان الحال على ما ذكرناه كان اولى الامور بالانسان ان يتفقد اخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في اصلاحها وينفيها عن نفسه ويتبع الاخلاق المحمودة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها لان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة انهم يتفاضلون باحوالهم واموالهم وكثرة ذخائرهم . وافتخار اكثر الناس بالاموال والذخائر والآلات وتعظيمهم الاغنياء وذوي الجاه ليس في محله . وذلك لان كثرة المال انما تتفاضل بها احوال الناس واما نفوسهم فلا تكون افضل من نفوس غيرهم بكثرة المال . وذلك لان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى اموالاً عظيمة فلا يكون بافضل من العفيف الحكيم الخير العالم ولو كان فقيراً بل انما يكون بكثرة امواله اغنى منه اذا كان ذاك معسراً فقيراً واما التفضيل فلا يكون الا بكثرة الفضائل فقط . ولكن ان اجتمع

بالانسان مع الاخلاق الجميلة والعادات المستحسنة الغنى والثروة ايضاً فلعمري انه يكون احسن حالاً من الفاضل المعسر لان ذلك من جملة سعادات الانسان وخاصةً اذا كان فاضلاً عادلاً عفيفاً يصرف ماله في وجهه وينفقه في حقه ويتفقد به من يجب عليه ولا يتهامل في مكرمة تزيد في محاسنه

اما الناقص الجاهل السيء العادات فان الغنى ربما زاده نقصاً وعيوباً واضاف الى معائبه عيوباً اخرى . ولا يُعدُّ بخيلاً من لا مال له وان كان البخل من طبعه لان فقره يخفي ذلك منه ومتى لم يظهر منه هذا الامر فلا يعاب عليه لان الانسان انما يعاب بما يظهر منه واما من كان ذا مال وايثار ولم يجدْ به ظهر بخله فيصير المال جالباً عليه عاراً . وايضاً فان اكثر الفجور والمحظورات والشهوات الرديئة لا تُنال غالباً الا بالاموال فالفقير المعسر وان كان فجوراً فلا يكاد يظهر ذلك منه اما اذا كان ذا مال تمكن من شهواته فتظهر حينئذٍ عيوبه . وبناء عليه يكون الغنى مكسباً لصاحبه احياناً عيوباً ونقائص والفقر فضائل ومحاسن . فينتج من ذلك اذاً ان الناس لا تتفاضل حقيقةً بالاموال والذخائر بل انما يتفاضلون بالاداب والمحاسن الذاتية . فالخليق بالانسان ان يسوس نفسه بالاداب المستحسنة ويسلك بها الطريق المحمودة فانه بذلك يكون محبوباً عند الناس مقبولاً لديهم معظماً في نفوسهم مفضلاً عن غيره موقراً عند الرؤساء والملوك مقبول القول عظيم الجاه

فهذه حالة العظمة الحقيقية المكتسبة بالاموال لان المال قد تلحقه المصائب فاذا فارق صاحبه سقطت منزلته من نفوس الناس وساوى العامة والسوقة وذلك لان المعظم له كان ماله فمتى زال ذلك المال لم يبقَ له شيء يعظم من اجله . وليس كذلك العالم النفيس الفاضل المهذب الاخلاق لان عظمته بفضائله وهي غير مفارقة له فهو معتبر دائماً ومعظم من اجل ذاته لا لشيء خارج عنه

يانصيب خيري

قررت الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية انشاء يانصيب خيري قدره ٣٠ الف غرش تقسم الى الفي ورقة الواحدة بعشرة غروش صاغ وجعلت منها ■ الاف وستمائة غرش للرابحين مقسومة الى ٣ اقسام (١) ورقة واحدة تربح الفاً وخمسمائة غرش (٢) اربع اوراق تربح ستمائة غرش (٣) خمس عشرة ورقة تربح الف وخمسمائة غرش . فهي تؤمل من ارباب الحمية والسخاء مساعدة هذا العمل الخيري وذلك بالاقبال على ابتياع هذه الاوراق العائد نفعها للفقراء

شؤون نسائية



نصائح للام بشان ارضاع طفلها
ومعرفة صحته واعتلاله

يعطي الله الام طفلاً لترضعه بنفسها لا لتسلمه الى خادمتها . والتي تكره ارضاع ولدها تقصر في ما يجب عليها له وتنزع عن رأسها بيدها تاج الامومة المقدس

وقد نشر الدكتور روكاز كلاماً للامهات بشان الرضاع فنلخصه باختصار . قال

لا ينبغي ان تغير الام نظام اكلها الاعتيادي بل يجب ان تاكل ما اعتادت اكله . لذلك لا اشير عليها بان تاكل كذا وكذا ولكن امنعها من اكل التوابل والحوامض والموالح لان ذلك يسري الى لبنها فيكون سبباً في اضطراب صحة طفلها ولاسيما احداث الاسهال في باطنه

وكذلك امنعها من اكل الكرنب والقرنبيط للسبب المذكور آنفاً . ويحسن ان لا تاكل بصلاً وثوماً وما اشبه من ذوات الرائحة الكريهة فان ذلك يسري الى لبنها فيشمئز الطفل منه

اما المشروبات الروحية فينبغي ان لا تشرب منها شيئاً لانها تضر الطفل ضررين صحياً ووراثياً . اما الضرر الصحي فهو انشاء الاضطراب في مزاجه وصحته لانها تصل اليه عن طريق اللبن فيكثر صراخه ويقل نومه . واما الضرر الوراثي فهو انه يستطيب طعم الكحول الممزوج بلبن امه فينشأ ذوقه على استطابة الكحول وبذلك يوجد عنده ميل وراثي الى السكر . فلا يجب اذاً ان تتناول المرضعات شيئاً من المسكرات

ولكن لا بأس من تناول شيء قليل من الجعة (البيرة) لانها على ما يقال تزيد لبن المرضعة انما يجب ان يكون هذا المشروب خالصاً نقياً . واما الشاي والقهوة فلا ينبغي ان تشرب المرضعة منها شيئاً لانها من المهيجات كما لا يخفى

وكذلك لا ينبغي ان تتناول المرضعة دواء من غير استشارة طبيبها لان الدواء قد يؤثر عليها اولاً وعلى طفلها ثانياً ويجب ان تنام في اول الليل اي ان لا تسهر ابداً وان

لا تحضر الجمعيات والمراقص والروايات فان كل ذلك يهيجها والهياج يضرها و يضر طفلها سواء كان عن لذة او الم · على انها تستطيع الخروج لتنزيه النفس بهدوء في الاماكن المطلقة الشمس النقية الهواء

بقي ان احذرها من تغذية طفلها بلبن الحيوانات مع لبنها فان ذلك مضر ولا يجب ان نلجأ اليه الا في حالة الضرورة القصوى

	الذكر	الانثى
وزنه حين الولادة	٣ كيلو و٢٥٠ غراماً	٣ كيلو
« بعد ١٠ ايام	٣ « و٢٥٠ «	٣ «
« « ٣٠ يوماً	٣ « و٧٥٠ «	٣ « و٥٠٠ غراماً
« « ٦٠ «	٤ « و٥٠٠ «	٤ « و٢٥٠ «
« « ٣ اشهر	٥ « و٢٤٠ «	٥
« « ٤	٦ «	٥ « و٧٥٠ «
« « ٥	٦ « و٧٠٠ «	٦ « و٤٥٠ «
« « ٦	٧ « و١٥٠ «	٦ « و٩٠٠ «
« « ٧	٧ « و٦٠٠ «	٧ « و٣٥٠ «
« « ٨	٧ « و٩٠٠ «	٧ « و٦٥١ «
« « ٩	٨ « و٢٠٠ «	٧ « و٩٥٠ «
« « ١٠	٨ « و٥٠٠ «	٨ « و٢٥٠
« « ١١	٨ « و٨٠٠ «	٨ « ٥٥٠
« « سنة واحدة	٨ « و٩٥٠ «	٨ « ٧٠٠
« « سنتين	١١ «	١١

واذا اردت ايتها السيدة ان تعرفي اذا كان طفلك حسن التغذية ام لا فان ذلك يعرف بواسطتين · الاولى منظر الطفل · فانه اذا كان نشيطاً مورد الوجه ضحوكاً ينام كثيراً ونومه هادئ لطيف وقلما يبكي فصحته على غاية ما يرام وتغذيته طبق المطلوب واذا كان غير ذلك فاللوم عليك لانك لم تحسني تغذيته

واما الواسطة الثانية التي تستطيعين بها ان تعرفي تقدم صحة طفلك او تاخرها فهي

وزن جسمه · نعم وزن جسمه النحيف اللطيف ولا تتعجبي من هذا الكلام فان هذه الطريقة شائعة في اوربا كلها وهي احسن طريقة لمعرفة صحة الاطفال · ويتم وزن الطفل بميزان افرنجي خصوصي تبتاعينه لهذه الغاية وبه تستطيعين ان تعرفي كل يوم مقدار تقدمه ومقدار تاخره

ولتسهيل ذلك عليك وضعنا لك في الصفحة السابقة جدولاً يتضمن معدل وزن الطفل من حين ولادته الى ان يبلغ السنتين من العمر هذا اذا كان صحيح البنية حسن التغذية وبموجبه تكون زيادة وزن الطفل في الاشهر الثلاثة الاول من ٢٠ الى ٣٠ غراماً في اليوم وفي الاشهر السبعة الاخيرة من ١٠ الى ١٥ غراماً فقط وبما ان وزن الطفل ينقص بطروء الامراض عليه او بانحراف صحته فقط انحرافاً بسيطاً فانهم يتخذون اليوم الميزان وسيلة لمعرفة صحته او اعتلاله

زيادة بيض الدجاج

اطعم بعض الفلاحين الدجاج من دقيق البلوط معجوناً بفتات من اللحم فزاد بيضها وطريقة ذلك ان يحمص البلوط في فرن ويطحنه ثم يعجنه بشيء من اللحم والغذاء

اهلاك الجرذان في المنازل

لاهلاك الجرذان طرق كثيرة (١) ان تقتني هرة في البيت · ولكن الهرة قد تكون مضرة اذ كثيراً ما يكون في فمها وانفاسها ميكروبات كثيرة اخصها ميكروبات الدفتيريا (٢) ان تصب شيئاً من صولفور الكاربون في اوكارها اذا عثرت عليها ثم تسد هذه الاوكار فتختنق الجرذان فيها بواسطة الكربون (٣) ان تنصب لها فخاخاً (٤) ان تضع لها طعاماً ساماً واحسنه الطعام الآتي — عشرون غراماً من العصفور واربعمائة غرام من الدقيق (الطحين) واربعمائة غرام من الدهن الذائب ومائتا غرام من زيت الجوز ومائتان وخمسون غراماً من ملح البارود تصبها شيئاً فشيئاً في اربعمائة غرام من الماء المغلي حتى تذوب وتبردها فتجمد · فتضع منها على قطع خبز وتقدمها للجرذان

المرأة والجنين

هل للمرأة الحامل ان ترفض ان تجري عملية لانقاذ الجنين اذا اشار الطبيب بهذه العملية رغبة في انقاذه

اختلف الناس في هذه المسألة ولكن الطبيب بودلوك يقول انه ليس من حق المرأة ان ترفض ذلك لان الولد الآتي ليس لها فضلاً عن ان المرأة لا تعرف متى يجب اجراء

العملية ومتى لا يجب ذلك . فلا ينبغي ان يكون ذلك متوقفاً على ارادتها

ثم هل من حق الرجل ان يقول عند عسر الولادة : قطعوا الجنين في بطن امرأتي على شرط ان تسلم . قال الدكتور المذكور . كلا ليس ذلك من حق الرجل ايضاً لان الولد الآتي ليس له فضلاً عن ان قتل الجنين في باطن الحامل لا ينجيها خلافاً لما يعتقده بعض البسطاء . فحق الحياة والموت وحق اجراء العملية او عدم اجرائها امران منوطان بالطبيب فقط لانه وحده يعلم ضرورة ذلك او عدم ضرورته

الماء الحار في النوم

عند الافرنج عادة للدفاء في فراش النوم يستعملونها في الشتاء وهي ان يملأوا زجاجات ماء حاراً ويضعونها في الفراش معهم ويناموا وقد اخذ بعضهم في الشرق هذه العادة ولكن احسن منها ان يحموا رملاً دقيقاً ويضعوه في اكياس ثم يضعوها بفراشهم وينامو. لان زجاجات الماء كثيراً ما انكسرت في الليل فجرحت النائم

ماء معطر

تستعمل نساء فرنسا قشر البرتقال لتعطير الماء الذي يغسلن وجوههن به . ذلك ان البرتقال الذي يأكلنه يغسلن قشره ويلقينه في وعاء الماء الذي على مائدتهن فبعد بضع ساعات يصبح الماء ذا رائحة طيبة

الغصة

قد يغص الولد وهو يأكل فيصبح غير قادر على ابتلاع اللقمة فتقرع امه عادة ظهره ليسيغ اللقمة . ولكن احسن من ذلك ان تأخذ يديه معاً وترفعها رفعاً عمودياً الى ما فوق راسه فيتسع بلعومه بهذه الواسطة فتنزل اللقمة

﴿ العناية بالبيانو ﴾ البيانو لا يفيده الهواء الجاف ولكن الهواء الرطب ولذلك يجب ان تضع في الغرفة التي يكون فيها بيانو شيئاً من النبات ليرطب الهواء . وحسن ان تضع بجانبه اسفنجة مغموسة في الماء فترطب الهواء ببخارها المائي

﴿ آلة لمسح الاحذية ﴾ اخترع المسيو مارتين الفرنسوي آلة توضع في الشوارع فاذا مررت بها والقيت في صندوقتها ١٠ سنتيمات ووضعت قدمك عليها بدأت تمسح حذاءك فتنزع الوحل منه وتدهنه (بويه) وتلمعه كانها قوة مدركة

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابة لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه عقداً شعرية تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

العظيم يخف عند المقدرة
انكلترا والترانسفال ...

زعموا بان الصقر صادف مرة عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير
اني لمثلك لا اتم لقمة ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده كرماً وأفلت ذلك العصفور

(نصر بن منيع)

فساد الشيء اذا تولاه من هو غير اهل له

لليث ملك القفار وما تضم الصحاري
سعت اليه الرعايا يوماً بكل انكسار
قالت تعيش وتبقى يادامي الاظفار
مات الوزير فمن ذا يسوس امر الضواري
قال «الحمار وزيري قضى بهذا اختياري»
فاستضحكت ثم قالت (ماذا رأى في الحمار)
وخلفته وطارت بضحك الاخبار
حتى اذا الشهر ولى كليلة او نهار
لم يشعر الليث الا وملكه في دمار
القرد عند اليمين والكلب عند اليسار
والقط بين يديه يلهو بعظمة فار
فقال من في جدودي مثلي عديم الوقار
اين اقتداري وبطشي وهيبتي واعتباري
فجاءه القرد سراً وقال بعد اعتذار

❊ مدى المدافع ❊ قال المسيو هنري بارفيل في جريدة الدنيا ان المدافع كان مداها في ايام نابوليون من ٥ الى ٦ مائة متر اما اليوم فان مداها من ٥ الى ٦ كيلومترات ومن المنتظر اذا استمر هذا التحسن ان يبلغ مداها ٢٥ كيلومترًا

❊ شروط النجاح في الاعمال ❊ نشرت المجلة الانكليزية نصائح وضعها المالي الشهير بارنوم لرجل استشاره ماذا يجب ان يصنع لكي ينجح في اعماله · فقال له اولاً اختر لنفسك العمل الذي ينطبق على استعدادك وقواك فمن الناس من يخلق ليكون مهندساً مثلاً ومنهم من يخلق ليكون مشعوذًا · ثانياً انجز وعدك دائماً · ثالثاً مهما عملت فاعمله باتقان · رابعاً لا تشرب مسكرًا ليبقى عقلك صحيحاً دائماً · خامساً لا تفقد الامل بالنجاح ابدًا ولكن لا تكن كثير التصور والتخيل · سادساً لا توزع قواك واياك ان تعمل عملين في وقت واحد ... سابعاً احسن اختيار عمالك وآلات عملك · ثامناً لا تعهد الى غيرك ان يصنع لك ما تقدر على صنعه بنفسك · تاسعاً لا تبذر ولا تنفق اكثر من دخلك · عاشرًا أكثر من الاعلان عن عملك واعلم ان رجلاً خبيرًا كان يقول انني اذا اقدمت على عمل وليس معي الى ٥ فرنكات فانني انفق منها ٤ ونصفاً على الاعلانات »

❊ داء الطباخين والطباخات ❊ قال احد اطباء برلين ان الطباخين والطباخات يكونون هادئين ساكنين فلا تشعر الا وقد اخذ احدهم يغضب فيصرخ ويكسر الصحف التي يراها امامه · فلا تحسب ذلك شراسة منه ولكن داء أسميه « كَلَب المطبخ » وهذا الداء ينشأ فيهم لتعرضهم الدائم للنار وتاثير حرارتها عليهم · نقول وهذا الداء يعرفه نساؤنا ويسمينه ضيق الخلق بسبب تاثير النار · فما اكتشف الدكتور الالماني امرًا مجهولاً

❊ فائدة العنب ❊ قال المصارع التركي الشهير قره احمد ان سرّ قوته وشدة باسه اكل العنب فانه ياكل منه كل يوم كيلوغرامين

❊ الصحة في الجيش الالماني ❊ قررت نظارة الحربية الالمانية ان تؤلف في كل موقع عسكري لجنة من الاطباء لفحص اللحوم التي يغتذي بها الجنود لان كثيرًا من الامراض قد تنتقل بواسطتها

❊ اطباء طباخون ❊ تحتم كلية ميتازوتا الطبية على اطبائها ان يتعلموا فن الطبخ فيها لينفعوا مرضاهم بارشادهم الى حسن انضاج الطعام وجودة اختياره

﴿ كحول جديد ﴾ اكتشف احد الزراع في باريز طريقة لصنع الكحول من قشر حب الحمص وهو يصنع من مائة كيلوغرام قشراً ليترين او ليترين ونصفاً من الكحول · فازداد الكحول بذلك بدل ان ينقص

﴿ الضحك داء ﴾ في احدى مستشفيات شيكاغو الآن رجل يدعى متاس يقضي وقته ضاحكاً مقهقهاً واحياناً يغمى عليه من شدة الضحك دون ان يستطيع ان يملك نفسه · وهم يعالجون داءه · اما خدامو المستشفى فانهم يضحكون كلما ضحك ولكن شتان بين ضحكهم وضحكه

﴿ اشد الناس ولعاً بالمسكرات ﴾ هو طبيب اميركي يدعى الدكتور موناي وعمره ٧٠ سنة · اعتاد ان يشرب كل يوم ٢٥ كاساً كبيرة من الويسكي ما عدا البيرة والنبيذ · وهو يقيد كل ما ينفقه على المسكرات فبلغ مجموعه من اول عمره الى اليوم ٣٠٠ الف فرنك

﴿ اعادة البصر الى العمي ﴾ شاع في نيويورك ان المستر اديسون العالم الكهربائي الشهير يجرب شفاء العميان بواسطة اشعة رنتجن فاعلن المستر روس من كبار اغنياء تلك المدينة وهو اعمى انه يدفع ٥ ملايين فرنك للمستر اديسون او لكل عالم يخترع اختراعاً يشفيه من العمى · والمستر اديسون يوالي التجربة في هذا الشان

﴿ اختراع لتنظيف البسط ﴾ البسط التي تُبسط على الارض يجب ان تنظف تنظيفاً دقيقاً لانها تكون معششة بالميكروبات · فاذا كان يمكن رفعها تنفض بشدة في مكان واسع بعيد عن الناس وعن المنزل واذا كان لا يمكن نزعها لانها مسمرة بارض البيت فقد اخترعوا طريقة لتنظيفها من الميكروب وهو اطلاق مجرى هواء مضغوط عليها فيهب كانه زوبعة ويطرد كل الميكروبات والغبار عنها و يلتقطها في علبة خصوصية

﴿ جواد غريب ﴾ وردت الجرائد الاميركية وفيها صورة جواد اميركي كبير يُدعى لينوس الثاني يجر وراءه ذيلاً طوله عدة امتار وشعر رقبته مسترسل على كتفيه الى الارض فاذا سار غطى حافري يديه وكنس الارض لطوله

﴿ العيون الصناعية ﴾ تصنع معامل المانيا وفرنسا في كل سنة نحو مليوني عين صناعية من الزجاج شديدة الشبه بالعيون الطبيعية · وتجارة هذه العيون رائجة لكثرة طلابها

عادات واخلاق

نشر في هذا الباب نتفاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحاً اليه منهم زدنا توسعاً فيه

اذا كان زيد جالساً في قهوة واتاه فقير مسكين يطلب خمس بارات ليسد بها رمقه انتهره وطرده طرداً . ولكن عمرو يعطيه دائماً واذا لم يعطه مالاً فانه على الاقل يعطيه ابتسامة . نعم ان الابتسام لا يطعمه خبزاً ولكنه لا يزيد مصابه وربما خفف المه . فابتسم للفقير اذا طلب منك ولم تعطه فان الابتسام لا يكلفك شيئاً .. وهو يفيده لانه يسره ويفيدك لانه يدل على كرم اخلاقك وحسن تربيتك

لبعض اهالي زامبيز والكونغو عادة وهي ان يحددوا اسنانهم اما لسهولة نهش العدو بها او لسهولة اكل اللحم النيء . وطريقة ذلك ان ينام احدهم ويفتح فاه فيجلس رفيق له على صدره وفي يده سكين وحجر فيضع حد السكين على طرف السن ويضربه بالحجر فينزع قشرة من السن وهكذا حتى يجعلها ذات حد كالسهم او انه يبردها ببرد. ولكن بعض المتمدنين لا يحتاجون الى تحديد اسنانهم لنهش لحم الغير بل تكفيهم السنتهم ...

اميلي واميليا فتاتان جميلتان كانهما وردتان في بستان ولكنهما مختلفتان خلقاً

فان اميلي فتاة غنية على آخر موضة . لا تلبس الفسطان اذا كان ثمنه اقل من مائة فرنك . تحضر كل المراقص والجمعيات وتذهب كل يوم الى الملعب . اذا جلست في جمعية لا يتكلم احد غيرها . حادة الطبع كثيرة الحركة ترفع صوتها كثيراً وتقهقه كثيراً . لذتها امران : النميمة بالناس و لعب البوكر . اذا كانت في الملعب فكل النظارات توجه الى لوجها . واذا كانت في جمعية فكل الانظار تحوم عليها . والسعيد من يفوز بابتسامة منها. هذه هي اميلي

اما اميليا ففتاة فقيرة بسيطة القلب والملابس . لا تذهب الى الملاعب الا مرة او مرتين في السنة . اما الجمعيات فانها تكرها لانها لا تجد فيها شيئاً غير الصخب وهذا ليس من ذوقها . اذا تكلمت خفضت صوتها وغضت من طرفها . تخيط فساطينها بيدها وتصلحها مرة او مرتين قبل ان ترميها . اذا نمت احدى رفيقاتها باحد امامها غيرت ذلك الحديث . تقول امها انها تدفع جنيهين لكل من يراها غضبى او يسمعها ترفع صوتها . ذلك لانها تعلمت ان

تملك نفسها في الحزن وفي الفرح على السواء . مقتصدة مجتهدة تقضي اوقات فراغها في الدرس والمطالعة لتثقف عقلها . نقية القلب والثوب كالثلج النقي . ولا يوجد بين رفيقاتها من تكرهها او تحسدها لانها لطيفة بادب واحتشام مع الجميع ولطفها لا يبقي لها كارهة . هذه هي اميليا

. فقل لي الآن . اذا كنت اعزب وقدموا لك هاتين الابنتين فايهما تختار لتكون شريكة حياتك .

جرت عادة عند قدماء الغاليين وهي ان الرجل الذي تضربه امرأته يركبونه على حمار ركوباً معكوساً اي ظهره الى رأس الحمار ووجهه الى ذنبه ثم يطوفون به في الشوارع وهم يضحكون. وقد اعاد عملة مونلوسون في هذا العام هذه العادة فان احدهم تخاصم وامرأته فقويت عليه وضربته فاركبه رفاقه على حمار ركوباً معكوساً وطافوا به الشوارع وقد علقوا على ظهره ورقة كتبوا عليها هذه العبارة : « رجل ضربته امرأته » وقد ضحكوا منه طول ذلك النهار

ولكن اذا كان ذلك جزاء الرجل الذي تضربه امرأته فما هو جزاء الرجل الذي يضرب امرأته

قالت مدام دي ستايل : ان فضيلة النساء تتوقف دائماً على سلوك الرجال وقال جان جاك روسو ان فضيلة الرجال تتوقف على سلوك النساء — فايهما نصدق

اذا كنتَ ذا دعوى كبيرة تحسب كل انسان دونك ولا ترى فضيلة وفضلاً لغير نفسك وتجعل دأبك انتقاد عيوب الناس اكثرها فيك فانك بذلك تحط من كرامتك ومنزلتك لدى العقلاء وانت لا تشعر . نعم ان ذلك قد يرفعك لدى الجهلاء والحمق والبسطاء بعض الشيء ولكن يكون ارتفاعك اغتصابياً اي كما يرتفع الحجر في الجو ثم يسقط بسرعة الى الارض

عند دابها الكلام عن الناس . فتقول : فلانة فمها كبير كالمغارة. فلان لطيف ولكنه جامد كالصنم . فلانة فستانها يخس ما ابشعه . صوتها قبيح حين الكلام . تلبس ملابس نظيفة من الخارج وسخة من الداخل . الخ . الخ . وفيما هي تخرج من فمها هذه الدرر تقطع احدى الحاضرات عليها الكلام وتقول : لما صديقتك أَما قالت ان قلبك اسود

وتغبين بالناس . فتستشيط غيظاً لان صديقتها نمت بها ناسيةً انها قد انقضى عليها ساعة وهي تنم بالناس

مغزاه — لاتصنع بالناس ما لاتريد ان يصنع الناس بك

يقال ان الناس تُعرف اخلاقهم من خطوطهم او من منظر وجوههم . ولكن ما سُمع انها تُعرف من وضع سكائرهم في افواههم . فقد قال بعضهم ان الذي يضع سيكارته في فمه على خط مستقيم سواءٌ كانت مشتعلة او لا فهو رجل صعب المعاملة شديد الاعتداء يجب الاحتراز منه . والذي يضعها في فمه بلا تصنع ويدخنها كيفما كان ثم يسر ان ينظر الى دخانها وهو يصعد من فمه فهو رجل كريم حر الفكر والقلب فصادقه . والذي لا ينفض الرماد عن سيكارته حتى يتكاثر ويتراكم عليها فهو متكبر ومدّعٍ كالرجل الذي يربي اظفاره حتى تطول

ويمكن ايضاً معرفة فضائل الانسان ورذائله من حذائه .... فاذا تمزق الحذاء من اطرافه الداخلية فيكون لابسه كسولاً واذا تمزق من اطرافه الخارجية فلابسه كثير الدعوى والبله . اما اذا تمزق من وراء الكعب فان لابسه يكون شديداً قوي السلطة وجسوراً مقداماً

والغريب ان كتاب الافرنج يضيعون اوقاتهم بكتابة هذه الامور ونصنع نحن صنعهم لارضاء فئة من القراء لا تطلب الفائدة بل اللذة والطلاوة ولو كانتا بعيدتين عن الحقيقة

لبعض الذين يُدعون متمدنين عادة غريبة . وهي انك تقابلهم فيقابلونك بالمشاشة والبشاشة ويظهرون لك كل حب وانعطاف فاذا درت قفاك وسرت في طريقك سبوك وشتموك في قلوبهم او بالسنتهم . فهولاء يجب ان تحتاط منهم ولاتؤاخذهم فانهم لايهينون غير انفسهم

متى رايت امرأة تحب الخروج كثيراً من البيت للزيارة والتنزه فاعلم انها غير سعيدة فيه

باب الاسئلة والاجوبة

نجيب في هذا الباب على الاسئلة الادبية والعلمية التي تردنا مما يتسع المجال للاجابة عنه اما المسائل الصحية فنعهد بالاجابة عنها الى «طبيب الجامعة» ونشترط ان يكون السائل مشتركاً فراراً من اتساع نطاق هذا الباب

* أكثر اللغات انتشاراً *

(يافا) ي · ب

ما هي اوسع اللغات انتشاراً في العالم

❊ الجامعة ❊ اوسع اللغات انتشاراً في العالم هي اللغة الانكليزية وعدد المتكلمين بها ١٢٥ مليوناً ثم الروسية وعدد المتكلمين بها ١٠٠ مليون ثم الالمانية والمتكلمون بها ٧٠ مليوناً ثم الفرنسوية والمتكلمون بها ٥٠ مليوناً ثم الاسبانية والمتكلمون بها ٣٢ مليوناً · وغني عن البيان ان هذا الاحصاء انما هو من باب التقدير فقط

ويقول بعض الباحثين ان اللغة الانكليزية ستسود في القرن العشرين على سائر اللغات لكثرة امتداد السلطة الانكليزية لان اللغة كالتجارة تتبع الراية دائماً فحيثما ذهبت الراية تبعتها اللغة · ولكن اناساً غيرهم يقولون انه لا خوف على اللغات الاخرى من اللغات الانكليزية اذ قام لهذه اللغة مزاحمات في العالم · فاللغة الروسية تزاحمها في آسيا واواسطها · واللغة الفرنسوية تزاحمها في شمالي افريقيا واواسطها وفي الشمال الشرقي من اميركا الجنوبية · واللغة الهولاندية تزاحمها مزاحمة شديدة في جنوب افريقيا كما لا يخفى

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان المتكلمين باللغة الروسية اليوم وعددهم مائة مليون كما ذكرنا لم يكونوا في سنة ١٧٠٠ الا ١٢ مليون نفس وكانوا في سنة ١٨٠٠ نحو ٣١ مليوناً وهو تقدم غريب لم تتقدمه لغة غيرها في امد قريب كهذا

على ان كلامنا هذا لا يشمل الا اللغات الاوروبية الحية الآخذة بالنمو والتقدم ولكن في آسيا لغة اكثر انتشاراً من جميع لغات العالم لكثرة المتكلمين بها وهي اللغة الصينية فان المتكلمين بها مئات ملايين

* دواء الحصاة *

(ملوي) برسوم افندي حنا

عندنا رجل مصاب بمرض رمل الكلى وقد تعاطى كثيراً من الادوية والمياه المعدنية ومع ذلك لم ينقطع نزول الرمل بالبول . وقد يتألم احياناً ألماً شديداً فما علاج هذا المرض

☙ طبيب الجامعة ❧ متى وُجدت الحصاة في المثانة وجب اخراجها باحدى عمليتين . اما بعملية جراحية واما بتفتيتها بالادوية والمياه المعدنية . والعملية الاولى اضمن لازالة الحصاة هذا اذا لم يحدث خطر من جرائها فقولوا لمريضكم ان لا يضجر من مرضه بل يحتمله بالصبر الجميل ويعمل بارشادات طبيبه فيما يختص بالامتناع عن اكل اللحوم وعن الافراط في كل شيء . ويجب ان يواظب على المياه المعدنية التي يصفها له الطبيب

* فقر الدم *

(قنا) مصطفى افندي ابرهيم

لي اخ نحيل الجسم اصفر اللون قليل القابلية للطعام شديد التأثر والتهيج فما هي الطريقة لتحسين صحته

☙ طبيب الجامعة ❧ نظن ان اخاكم مصاب بفقر الدم اي ان دمه قل وضعف فيجب تجديده وهذا يتم بالرياضة الخفيفة وحسن التغذية والامتناع عن الافراط والتعب ويجب على الخصوص ان يكثر من استنشاق الهواء النقي في الخلاء . وقلما تفيده الادوية الا بعض اشربة الحديد فهذه لا باس منها . وانما الامر المهم في هذا المرض جودة التغذية التي يتجدد بها الدم . فاجيدوا تغذية مريضكم واجعلوه يستنشق الهواء النقي كل يوم اكثر من ساعة وساعتين واتركوه يمشي في الخلاء مترويضاً مشياً معتدلاً ولا تجعلوه يتعب تعباً شديداً

* تخفيف السمن *

(طنطا) محمد . م

انا سمين الجسم كثير الشحم واللحم فما هي الطريقة لتخفيف سمني

—* طبيب الجامعة *— لا تتكل في ذلك على الادوية فان الدواء اذا نجح في تخفيف سمنك قد يضر بنيتك فيلزمك حينئذٍ دواء لمداواة نفس تأثيره . واحسن واسطة لتخفيف السمن هو انك تمشي كثيراً حتى تعرق وان تخفف اكلك وشربك فتبقى مراراً بلا اكل ولا شرب متى طلبتها نفسك وهكذا يكون ما ينفقه جسمك اكثر مما يكسبه فيخف سمنك

باب التقريظ والانتقاد

(* الفخري *) كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية كتاب جزيل الفائدة للمؤرخ العربي محمد بن علي بن طبا طبا المعروف بابن الطقطقي . انجزت شركة طبع الكتب العربية في مصر طبعه حديثاً واهدت الينا نسخة منه فتلقيناه بالشكر لهذه الشركة التي لا تألو جهداً في القيام بالخدمة العلمية الجليلة التي انتدبت نفسها لها . وموضوع هذا الكتاب معروف من اسمه وقد جاء في مقدمته ان علماء اوروبا قد عرفوا اهميته قبل علماء الشرق « فسبقوا الى طبعه وجعلوا له ثمناً باهظاً جداً بحيث يتعسر على كثير اقتناؤه . فتعميماً للفائدة وخدمة للتاريخ والادب والعلم التزمت الشركة المومى اليها بطبعه في مطبعة الموسوعات »

وهو يطلب من ادارة المؤيد الغراء ومن جميع وكلائها في الجهات وثمنه ٨ غروش صاغ وهي قيمة لا تذكر بازاء حجمه وفوائده

(* جمعية زهرة الاحسان *) وردتنا ميزانية جمعية زهرة الاحسان في بيروت لسنتها التاسعة عشرة مصدرة بهذه العبارة « اني اريد رحمة لا ذبيحة » وحبذا هذا القول

وهذه الميزانية ناطقة بهمة الجمعية ونشاط حضرات رئيستها واعضائها الكريمات فان وارداتها في السنة قد بلغت ٢٣٠٥٩٩ غرشاً بما فيه رصيد السنة السابقة وقدره ٥٨٤٧١ غرشاً اما نفقاتها فبلغت ١٥١٠٧٩ غرشاً فيكون الرصيد الصافي في صندوقها ٧٩٥٢٠ غرشاً . وقد جاء في مقدمة الميزانية « انه قد جدّ في الجمعية في هذه السنة امور ثلاثة مهمة اولاً تاليف رهبنة باسم القديسة كاترينا . ثانياً تاليف عصبة من كرام السيدات تجتمعن مرة في كل اسبوع في المدرسة للاشتغال ببعض الاشغال اليدوية التي يعود نفعها على اليتيم ثالثاً الوقف الذي تبرع به كل من جناب المحسنين الفاضلين يوسف افندي سرسق ومدام جورج افندي موسى سرسق » وايراد هذا الوقف ٩ آلاف غرش سنوياً

فنحن نثني على همة هذه الجمعية الكريمة وعلى جميع الذين ياخذون بيدها و يساعدونها في عملها . ونسال الله الاجر لرئيستها واعضائها وجميل الثواب

(* اللآلئ السنية *) اعلن حضرة الاديب البارع عبد المسيح افندي انطاكي منشئ جريدة الشهباء ان كتابه « اللآلئ السنية لعروس الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية » ينجز في شهر نيسان القادم وقد جعل بدل الاشتراك فيه ١٠ غروش تُدفع قبل شهر نيسان ولا يُباع الكتاب بعد هذا الميعاد الا بريال مجيدي. وقد اشترك غبطة بطريرك الطائفة الارثوذكسية المحترم في دمشق الشام بخمسين نسخة منه دلالة على رضاه فنحن نعيد للمؤلف كلمات التشجيع على هذا العمل ونسال له النجاح

(* الدائرة *) عزم حضرات الاديبين البارعين عيسى افندي ميخائيل الخوري والامير يوسف شديد بالطبع في نيو يورك على اصدار مجلة تاريخية فكاهية ادبية عنوانها « الدائرة » وقد وصلتنا نشرة اذاعاها بهذا الشان فنحن نرحب سلفاً برصيفتنا الجديدة التي هي اول مجلة عربية تصدر في الاقطار الاميركية

(* التمثيل *) مجلة تمثيلية ادبية انتقادية تصدر ثلاث مرات في الشهر لمحرريها حضرات الاديبين محمد افندي صادق و بيومي افندي ابرهيم ومديرها محمد افندي عرابي و بدل اشتراكها في السنة ٢٠ غرشاً فنرجو لها الثبات والانتشار

(* المفتاح *) صدر العدد الثالث عشر من مجلة المفتاح يشتمل على مقالة في كيف تنال الاستقلال والدجالون والمحتالون والعوائد الشرقية وافات الاختراع واضرار الاستخدام وغير ذلك من الفصول والشذرات المفيدة وفي ذيلها رواية ادبية فنثني على همة حضرة منشئها البارع ونسال له النجاح

(* الصواب *) انشأ حضرات الادباء البارعين بطرس افندي روفائيل كرم وحبيب افندي الخوري وميخائيل افندي مراد جريدة سياسية علمية ادبية في ريو جانيرو من اعمال البرازيل عنوانها « الصواب » وقد طابق الاسم المسمى لانها اتخذت الاعتدال رائداً لها وهي حلية العبارة لطيفة الاسلوب فنرجو لها ولسائر رصيفاتنا العربية في الاقطار الاميركية الاعتدال والانتشار

كلمات زراعية

﴿ تنقية الاشجار ﴾

عرف الزراع منذ غرست الاشجار ضرورة قضبها وتشذيبها . قال الشاعر العربي

ان الاشاء اذا اصاب مشذباً   منه اغلّ ذرى وأثّ اسافلا

ولكن لم يعرفوا ضرورة تنقيتها الى الازمنة الاخيرة . فان الشجرة اشبه بجسم الانسان . وكما يجب للجسم ان ينقى وينظف من الجراثيم التي يمكن ان تعلق به كذلك يجب للاشجار ايضاً

واحسن الازمنة لتنقية الاشجار فصل الشتاء فانها فيه تصبح عارية من الاثمار والاوراق وتستعمل لتنقيتها آلة خصوصية تزيل من جذوعها ما يكون لاصقاً بها من الحويوينات والفطر والديدان المختلفة وذلك بفركها بها . ومتى فركت الاغصان والجذوع بهذه الآلة فركاً شديداً وجب ان لا تلقي في البستان الحويوينات والفطر التي تجدها لانها تعود اليها فتكون كانك لم تصنع شيئاً وانما يجب ان تخرجها من البستان حتى لا تعود تتعلق باشجاره . ثم لا يكفي الفرك بالآلة الفاركة بل يجب غسل الشجرة وذلك بمسحها « بفورشة » لينة مغموسة بمزيج من الصابون الاسود مركب كل جزء منه مع ٣٠ جزءاً من الماء . فانك اذا احسنت استعمال هذه الفورشة تمكنت بها من ايصال هذا المزيج المطهر الى اصغر ثقب في الشجرة وادق خلاياها و بذلك تنظفها تنظيفاً تاماً . ورغبة في حفظها من الديدان الصغيرة التي يمكن ان تعود اليها ينبغي غسلها ايضاً بالمزيج الآتي

٢٥ جزءاً	ماء
٣	كلساً جافاً (جيراً)
٣	سلفات النحاس

ويحلل السلفات بضعة ليترات من الماء اما الكلس الجاف فانه يسحق اولاً ثم يذاب في الماء و يصب في اناء السلفات وتدهن الشجرة بهذا المزيج فتتم نظافتها و يذهب الخوف من ان تعلق الحيوانات والفطر بها . فما مرَّ بك ترى ان الشجرة كجسم الانسان كما ذكرنا لانه يلزمهما زينة كزينته

دواء لتهريب الخلد

اذا كان الخلد لا يضر كثيرًا في الحقول فانه شديد الضرر بالمزروعات في البساتين. وقد صنع بعضهم طريقة لتهريبه من المزروعات ذلك انه يصنع دواليب صغيرة تدور بالهواء ويركزها بين المزروعات وبما ان الخلد بليغ السمع فانه يسمع صوت دورانها دائمًا فيهرب منه ظنًا بانه صوت اقدام البستاني . وهكذا لا يلبث ان يهجر بستانك غير ماسوف عليه

مرض القرنبيط

كثيرًا ما يرى البستاني ان نبات القرنبيط قد اخذ بالذبول والاهتراء . وقد ثبت الآن ان البكتيريا او الميكروبات هي سبب هذا الاهتراء . فان بعض الديدان تأكل من اوراق القرنبيط وبذلك تترك جوف الورقة مفتوحًا للميكروب فلا يعلق بها حتى يدخل اليها فيدب الاهتراء فيها . ويبدأ عادة في اصلها ثم يتطرق الى ضلوعها

اما دواء هذا الداء فهو اولاً اقتلاع كل قرنبيطة يدب بها المرض . واخراجها من البستان حتى لا تعدي جاراتها . ثانيًا حسن تسميد الارض بسماد المزارع وجودة انتقاء التقاوي وتطهير القرنبيط قبل انقتاحه ببرمانيات البوتاسا باعتبار جزء واحد لمائة جزء من الماء والامتناع عن سقيها في مدة الازهار وتطهير مكان القرنبيط المريض بموادمطهرة كالجير او الاسيدسيلفوريك

العناية بنباتات المنازل

كثير من المنازل تكون غاصة بالنباتات التي يسمونها نباتات الفيء لانهم يربونها في القاعات والغرف ولكن هذه النباتات تكون على الغالب ضعيفة صفراء لعدم معرفتهم العناية بها . وهم يقتصرون على ريها حاسبين ان الماء وحده كاف لاصلاح حالها . والحقيقة ان الماء لا يكفي وحده . فيجب اولاً فتح النوافذ لدخول النور والهواء في الايام المعتدلة الهواء . وبقدر دخول النور والهواء اليها تحسن حالها الا ان ذلك لا يكفي وحده ايضًا. بل يجب تغذيتها بسماد مؤلف من المواد الآتية على النسبة المذكورة هنا

	جزءًا
فوصفات الامونياك	٣٥
نيترات البوتاس	٤٥
نيترات الامونياك	٢٠

فهذا المزيج يحسن حال النباتات فيصل لزهرها رونق الزهر النابت في الحديقة تحت قبة السماء ويعطي ورقها لون الخضرة الذي هو في النبات دليل العافية بدل لون الصفرة الذي هو دليل المرض . ومن هذه النباتات البيتية التي تشير اليها الازهار التي توضع في النوافذ . وهي على الغالب تكون ضعيفة من الجانب الموجه الى البيت وجميلة مزهرة من الجانب الموجه الى الخارج حتى كأن اصحاب البيت يزرعون هذه الازهار للمارة لا لهم . ولكن تحسين حالة هذه النباتات بسيط جداً وهو ان تدير من حين الى حين جانبها الذي الى البيت نحو الخارج لان ذلك الاقبال في الجانب الخارجي لا سبب له غير الهواء والشمس كما لا يخفى

﴿ اجفال الخيل ﴾

الخيل مشهورة بسرعة الاجفال . واذا اجفلت اصبح من الصعب جداً تسكينها ولكن لذلك واسطة بسيطة جداً وهي ان تضع على راس الجواد شيئاً يغطي عينيه اذ اكثر اجفاله يكون لاغتذامه برؤية يراها فيسكن الجواد ويصبح طوع العنان

الترانسفال ظالمه ام مظلومة

الرسالات الثلاث

سسل رودس ـ الملكة ـ سالسبوري ـ شامبرلن

ونزلت الفتيات الثلاث من المكان الارفع كحمامات بيض اطلقت من اقفاصها قاصدات الاماكن التي ارسلن اليها (١)

وكن يتحادثن وهن طائرات نزولاً نزولاً في فضاء الابدية فوق افلاك الكواكب والنجوم فقالت « فالي » ما احلى هذا المنظر يا اخواتي . فسالت « اوربا » ما تلك الاجرام التي حولنا . فقالت « اليون » هذه الشموس والكواكب التي كنا نراها من الارض صغيرة انظري ما اكبرها هنا وما اشد نورها . فقالت اوربا والغريب اننا نشعر بنورها ولكنا لا نشعر بنارها . فقالت فالي كانك نسيت اننا خلعنا ثوب المادة على الارض وان جوهرنا لا تؤثر المادة فيه

فقالت اليون نعم جوهرنا جوهرنا ما احلاك ياجوهرنا . انني ارى نفسي كريشة طائرة في الفضاء . باطني صاف نقي ووجودي منزه عن كل ألم وروحي متنعمة بملاذها الطاهرة

(١) انظر الجزء الماضي

وليس للمادة القبيحة الثقيلة ضغط عليها. فما اجمل هذه الحالة واحلاها . اني اعجب كيف ان سكان الارض يبكون حين فراق اعزائهم كما بكى اعزاؤنا حين فراقنا

فتنهدت فالي وقالت انهم يبكون يا اختي على انفسهم لا علينا . لاننا بمفارقتهم ناخذ منهم اشياء كثيرة كانت لهم بوجودنا . ناخذ منهم هناءهم لانهم بعدنا لا يجدون هناء لتعودهم الهناء معنا . وناخذ منهم شيئاً من قوامهم لاننا كنا لهم قوة فبسفرنا عنهم يفقدوننا ويُحرموننا . ثم انهم يرون اننا صرنا الى حفرة القبر فبالرغم عن اعتقادهم بالآخرة يقوم في ذهنهم شك فيها فيحسبون — واهولاه — ان تلك نهايتنا غير عالمين اننا ننظر اليهم من اعلى هذا المكان حين احتفالهم بدفن ثوبنا او قشرتنا التي يسمونها جسمنا . من اجل ذلك هم يبكون ولو انصفوا لفرحوا لاننا نستريح بموتنا

هذا ما نقوله الارواح فوق . لكن واحر قلباه مما تقوله الاجسام تحت في ارضنا

ثم استمرت الفتيات نازلات وهن يتحادثن حتى بلغن العالم الشمسي واشرفن على الارض فتنفسن الصعداء حين ظهور الارض لهن وهتفن معاً قائلات : السلام لك ايها العالم . النفس التي فيك تكرهك فتطلب الخروج منك والتي خارجك تحبك وتشتاق العودة اليك

واول ما وقعت انظارهن على بلادهن المحبوبة فصرخت فالي والدموع في عينيها « سلام ايها المنزل الاول » ولكن ما لبثت ان انقبضت سحنتها لانها ابصرت فيه من فوق جنازة حافلة . فقفت فيها لتسأل رفيقتيها عن هذه الجنازة واذا بها تبصر نفساً رزينة صاعدة الى المكان الارفع فعرفتها وصاحت : هذا الجنرال جوبير

ولكن تلك النفس الصاعدة كانت لا تزال قلقة لقرب عهدها بخلع ثوب المادة فلم تسمع الصوت ولم تلتفت الى الارواح النازلة . فشيعتها هذه الارواح بنظر طافح حباً وانعطافاً وضحكن لانهن رأينها لا تحسن بعدُ الطيران في فضاء الابدية

فرحن ولم يبكين لانه كما ان البشر يضحكون حين ولادة مولود لهم اي دخول روح الى عالمهم كذلك تفرح الارواح حين دخول روح الى عالمها

وهكذا فعند موت عزيز يبكي الباكون على الارض ويضحك الضاحكون في السماء . وعند ولادة عزيز يضحك الضاحكون على الارض واذا كانت روح المولود قادمة من العالم الثاني كما يقول بعض المتفلسفين فانه يكون ساعتئذٍ بكاء في السماء . من اجل هذا قال شاعر عربي : لا تبكِ ميتاً ولا تفرح بمولود . لان الضحك والبكاء امران متكافئان ومتلازمان . فالضحك نعمةٌ والبكاء نعمة . وقد قُدر لكل انسان ان تصيبه هاتان النعمتان

ولما صرن على مقربة من جو الارض عزمن على الافتراق ليقمن بمهماتهن فودعن بعضهن بعضاً وسرن كل الى غرضه : فالي الى الترانسفال والبيون الى انكلترا واوربا الى الى الاقطار الاوربية . وتواعدن ان يلتقين على شاطىء نهر بارديبرج مما يلي مدينة كمبرلي بعد الانتهاء من رسالاتهن

***

وهبطت الفتاة « البيون » من السحاب على البلاد الانكليزية في ضواحي قصر وندسور لتبدأ بالملكة . فابصرت تحت شجرة في ضاحية القصر رجلاً ضخماً راقداً . وكانت لم تجرب بعد فعل الكتاب الغريب الذي معها فقالت اجربه في هذا الرجل الراقد اولاً فدنت منه وتناولت الكتاب وفتحته ثم وضعته على صدر الرجل

فياللغرابة والدهشة . فان الرجل ما وُضع الكتاب على صدره حتى فتح شفتيه وهو مستغرق بالنوم وقال بصوته الاعتيادي

« انا سسل رودس »

فقالت البيون في نفسها لم اضع تعبي سدى فلنسمع استنطاق هذا الرجل اولاً . قالت ذلك ثم مست جبهة النائم وحركت الكتاب على صدره وقالت « تكلم ايها الرجل بكل ما تعلمه عن الحرب »

فانفتحت شفتا سسل رودس واندفع يقول « نلنا امانينا بفضل المستر تشمبرلن . ضممنا الترانسفال الى بلادنا . استولينا على معادنها الذهبية . انقذنا شركة الشارترد من الافلاس . انشأنا الخط الحديدي من الكاب الى القاهرة . اتممنا تاسيس السلطنة الافريقية »

فسالت الفتاة النائم « وشكاوى الويتلاندر » فاجاب النائم شكاوى الويتلاندر اعذار فارغة اتخذناها حجة لبلوغ امانينا »

فهزت الفتاة البويرية راسها ونظرت شرراً الى ذلك الرجل الذي كان سبباً في شقاء وطنها ثم تناولت الكتاب عن صدره بعد ما عرفت ما عرفته منه وطارت عنه فانتظرت حتى امسى المساء وقصدت قصر الملكة

ولما بلغت البيون هذا القصر اخذت ترفرف فوقه كانها حمامة تطلب الوقوع على مكان فيه ثم اخذت تسرح نظرها في تلك الامجاد الملكية وتقول : هنا تقيم رئيسة الحكومة التي هي عدوة بلادي . هنا تقيم اعظم ملكة في العالم . ملكة يخنى امامها اربعمائة مليون من النفوس البشرية . سلطتها لا تغيب الشمس عن املاكها وقد فاقت سلطنة الرومان واليونان وجميع

الامم المتقدمة • تبغضنا وتكرهنا فكيف ادخل قصرها • تقتل الآن رجالنا ونساءنا فكيف استطيع مقابلتها • ولكني مبعوثة لامر فيجب ان اقوم به • فلننزلن اليها

وكانت الساعة العاشرة ليلاً • فدخلت البيون الى القصر الملكي غير خائفة ولكن متهيبة • فان ستار الليل المسدول على ذلك المكان الملكي وحركة الحراس الذين يحرسونه في سكون الليل الرهيب قد اثرا في نفسها • ولكنها مع ذلك دخلت متشجعة حتى وصلت الى غرفة نوم الملكة

اما الحراس فلم يروها لانها كانت روحاً لا جسماً

فرفعت البيون ستاراً على باب الغرفة الملوكيـة واطلت منه بتردد واضطراب وهي تحسب ان الملكة مستريحة في فراش نومها

فماذا رأت ؟

رات الملكة جالسة بجلال وبساطة في سريرها • راسها المهيب محني الى الامام وكفها اليمنى موضوعة على عينيها • وهي جامدة كانها نائمة

فارادت البيون ان تتقدم من السرير الملكي فسمعت من صوبه صوتاً ضعيفاً فوقفت خائفة فسمعت الملكة تقول

« شعبي يارب القوات شعبي • كل نقطة من الدماء تجري منه يقطر لها دماً قلبي • ما اثقل التيجان واعظم مسئوليات الملوك • يا ملك الملوك ما اصنع لاحجب هذه الدماء • صرفتُ عمري وانا اكره الحروب وكنت اود منع هذه الحرب لو لم ارَ الشعب يريدها واحببت ان اتنازل عن الملك الى ولدي حتى لا تحدث في عهدي ولكني خفت ان لاتفهم امتي سبب تنازلي • فانرني الآن يامليكي وارشدني • ماذا اعمل • أأصالح البوير • ولكن هذا امر لا ترضاه حكومتي • ابقى على حربهم • ولكن هذا امر تاباه طبيعتي • فانني كامراة اشعر مع نساء البوير بالمصائب التي اصبن بها • وكملكة اشعر بنكبة جنودي • فانرني ياملك الملوك والهم البوير ان يتركوا العنفوان ويسترضوا حكومتي »

فبكت البيون عند سماع هذا الكلام وجثت على الارض امام الملكة • ولكن الملكة لم ترها واردفت تقول

« حمل ثقيل حمل ثقيل على عاتقي • خففه بحكمتك وقدرتك • صرفت شيخوختي بسلام فاجعلها تنتهي بسلام • انشأت هذه السلطنة لبلادي فاحفظها وباركها • اذا كان يحدث فيها ظلم فالهم رجالي ان يزيلوه انا لا اجهل ان ايرلندة مظلومة ومصر مهضومة والترانسفال كذلك فساعدني يارب القوات لاستطيع انصاف الاولى والوفاء بالوعد للثانية ومسح دموع الثالثة • بلا

مساعدتك لست الا امراة ضعيفة لا تقدر شيئاً . فساعدني بامكي والمي »

فزاد بكاء البيون وقد علمت حينئذٍ ان الملكة تصلي صلاة النوم فزحفت زحفاً بتاً ان حتى دنت من سريرها فاخذت طرف الغطاء الذي عليه وقبلته باحترام ورهبة وخرجت والدموع في عينيها لانها علمت ما تريد ان تعلمه

ولكنها بعد اسدالها الستار على باب الغرفة وراءها سمعت صوت الملكة في هدوء ذلك الليل وسكونه يقول مرة ثالثة

« رحمتك يارب القوات رحمتك لجميع البشر لا لنا فقط . كلنا ضعفاء وجهلاء فقوّنا وانرنا بنور من عندك . لا تتركنا نقوم على بعضنا البعض ونقتل بعضنا بعضاً فان ذلك من اعمال الحيوانات لا من اعمالنا نحن البشر الذين خلقتنا على صورتك ومثالك . بث في كل فئة منا روح المسالمة والاعتدال والحق لنستطيع ان نعيش مع بعضنا البعض اخواناً كما عاش يوسف وبنيامين لا كما عاش قايين وهابيل . احرس جنودي يا ربي وعزي البوير في مصابهم وانرنا جميعاً لحجب الدماء وتاييد السلام »

ثم انقطع صوت ملكة انكلترا وامبراطورة الهند فخرجت البيون من القصر وطارت تواً الى لندرا لترى اللورد سالسبوري

وكانت وهي طائرة تلتفت الى قصر الملكة فتراه مجللاً بنور جميل وكانت قبل سماعها كلامها تراه اسود مظلماً . فلله ما اشد سلطة الاهواء والمصلحة حتى على الارواح الخالدة

ولما وصلت الى قصر اللورد سالسبوري دخلت في احدى نوافذه وما زالت حتى بلغت غرفة نوم اللورد . فوجدته امام سريره جاثياً على الارض يصلي . بل ما كان يصلي وانما كان يخاطب في ظلام الليل وهدوئه قرينته التي توفيت منذ بضعة شهور . ولكن اليست مخاطبة عزيز غائب في العالم الثاني نوعاً من الصلاة ان لم تكن صلاة . بل هي صلاة تعودها اللورد من حين فارقته اليفته فصار كل يوم ينتظر مجيء ساعة النوم بفروغ صبر ليجثو امام سريره ويخاطب عزيزته

وهذه صلاة من اشرف الصلوات ما اطيب ان يتلذذ بها كل من فقد عزيزاً

ثم فرغ اللورد من صلاته ونام في فراشه وبالرغم عن تهيج دماغه بالمواضيع السياسية في جميع اقطار العالم استطاع ان ينام بسهولة . فتقدمت منه البيون ووضعت الكتاب على صدره قائلةً يقول

« انا اللورد سالسبوري . انفقت هذه السنة بلادي . حرب الترانسفال جائرة لانها

ستفضي الى الضغط على شعب صغير ولكنها عادلة لان مطالب انكلترا عادلة »

فقالت اليون وهي تتناول الكتاب عن صدره · كنا نعلم ان هذه افكاره · ثم طارت من حيث دخلت قاصدة منزل المستر تشمبرلن فوجدته نائماً في سريره نوم الابرار والصالحين

وا اسفاه · ينام تشمبرلن هادئ البال في سريره الحريري و ٣٠٠ الف رجل في ساحة القتال يتفانون في النهار ويحلمون في الليل بالمدافع والبنادق والدماء

فدنت اليون ووضعت الكتاب على صدره ففتح في الحال فمه واعاد ما قاله المستر سسل رودس قائلاً « انا المستر تشمبرلن · نلنا امانينا بفضل المستر سسل رودس · ضممنا الترانسفال الى بلادنا · استولينا على معادنها الذهبية · انقذنا شركة الشارترد من الافلاس · انشأنا الخط الحديدي من الكاب الى القاهرة · اتممنا تاسيس السلطنة الافريقية »

***

ولما اتمت اليون مهمتها لدى سسل رودس والملكة وسالسبوري وتشمبرلن وعرفت حقيقة افكار كل منهم اطلقت اجنحتها فوق مدينة لندرا العظيمة لتسافر الى بلادها وتلتقي برفيقتيها · ولكنها قبل ان ترحل مدت بصرها الى ما تحتها فابصرت للندرا في ظلام الليل منظراً جيلاً · فوقفت في الهواء تتامل محاسن عاصمة السلطنة الانكليزية واخذت تقول

« هذه بابل الثانية · ولكن هل يكون مصيرها كمصير بابل الاولى · انت عظيمة يالندن ولا تشبهك بين المدن مدينة · فكوني عادلة لتبقى عظمتك · دخلت جنودك بلومفونتين امس وغداً تدخل بريتوريا · فاكرر عليك قولي ان تكوني يومئذ عادلة · الترانسفال لا تغنيك ولا تفقرك فاصفحي عنها صفح الكبير عن الصغير والا فان عظمتك لا تحميك من حكم الاجيال الاتية وربما جوزيت على قتل حرية الترانسفال اذا قتلتها جزاء مؤلماً »

قالت اليون هذا ثم اطلقت اجنحتها للريح قاصدة بلادها الترانسفال لتراها وتنظر ماذا صنعته رفيقتاها (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

❊ الجناب الخديوي في اوربا ❊ يسافر الجناب الخديوي المعظم في النصف الاول من شهر يونيو الى لندرا فيقابل جلالة الملكة فيكوريا في ١٨ منه مقابلة رسمية ثم يبرح سموه عاصمة انكلترا ويحضر الى باريز لمشاهدة معرضها بصفة غير رسمية · ويتمم بعد ذلك سياحته في اوربا جرياً على العادة السنوية

❊ المحمل الشريف ❊ احتفل في ١٨ مارس الماضي في القاهرة بتشييع المحمل الشريف المسافر الى الحجاز جرياً على العادة السنوية اعاد الله هذا الاحتفال على ذويه بوافر الخيرات والبركات

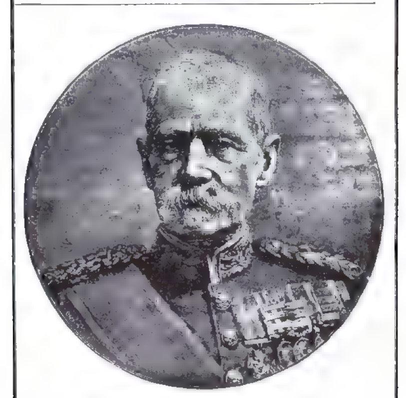
❊ البطريرك الاسكندري للارثوذكس ❊ وافق الباب العالي على انتخاب غبطة السيد فوتيوس بطريركاً للطائفة الارثوذكسية في القطر المصري · ولكن لم ترد بعد البراءة السلطانية

❊ النيل والزراعة ❊ قررت الحكومة تاخير زراعة الارز والذرة الى ايام الفيضان والتشديد في المناوبة وذلك لانخفاض مياه النيل انخفاضاً لم يسبق له مثيل في التاريخ · وقد تعين اول افريل موعداً لابتداء المناوبات ولكن وردت اخبار من اعالي النيل تفيد ان عزتلو بيك بك قد ازال اكثر السدود وان المياه هطلت في تلك الجهات فارتفع النيل في جهات الدويم وفشوده ارتفاعاً لا يعرف اذا كان سببه ماء المطر او ازالة السدود · فاجلت الحكومة المناوبة بضعة ايام ايضاً وهبطت اسعار القطن بعد ارتفاعها

❊ زلزال خفيف ❊ زلزلت الارض في ٦ مارس زلزالاً خفيفاً في القاهرة و بعض مدن القطر كبورسعيد والسويس وغيرها فلم ينشأ عنه ضرر غير الخوف والهلع

خارجية

حرب الترانسفال — يحق للورد روبرتس ان ننشر رسمه وننوه بذكره فقد انقذ وطنه من خطر عظيم واعاد حسن السمعة الى جنود بلاده · وقد تركناه في الشهر الماضي



﴿ اللورد روبرتس القائد العام للجيوش الانكليزية ﴾
﴿ في حرب الترانسفال ﴾

باسر الجنرال كرونجه ويزحف على بلومفونتين عاصمة اورانج والآن قد احتل هذه العاصمة وبدأ يزحف على كرونستاد التي جعلتها حكومة اورانج عاصمة مكانها ومنها يزحف الى بريتوريا · ولما رأى البوير قوة الجنود الانكليزية ارسل الرئيس كروجر والرئيس ستاين يسالان اللورد سالسبوري عقد الصلح وحقن الدماء على شرط ان تُمنح بلادهما الاستقلال التام · وطلبا مثل ذلك من الدول · فرفض اللورد سالسبوري منح الترانسفال واورانج الاستقلال واجابت الدول انها لا تستطيع المداخلة لان انكلترا لا ترضاها · فدب اليأس في نفوس البوير وتهددوا اوربا بنسف المعادن اذا تخلت عنهم

ولكن برقت بارقة الامل للبوير في اول الجاري فان فرقاً انكليزية كانت زاحفة الى الامام نحو كرونستاد فباغتها البوير واسروا منها ٢٠٠ وقتلوا ١٥٠ عند مدينة واركسروم الا ان هذا الفوز الوقتي بلا اهمية على ما يظن والارجح ان البوير لا تقوم لهم بعد اليوم قائمة لان الجنود الانكليزية قد بلغت في ساحة القتال ٢٥٠ الفاً وليس عددهم هم الا ٤ او ٥ الاف على الكثير . فقد قُضي اذاً على استقلال هولاء المساكين ان لم تحرك الدول الاوربية ساكناً

واعظم مصيبة دهمت البوير في الشهر الماضي بعد تسليم الجنرال كرونجه موت بطلهم وقائد جيوشهم الجنرال جوبير وهذه ضربة شديدة عليهم ما كانت تخطر ببال . وكان موته بمرض في معدته

الكوميدي فرانسز — ملعب الكوميدي فرانسز في باريز اشهر ملعب للتمثيل في الدنيا كلها . ويسمونه بيت موليير وكورنيل وراسين لان اكثر الروايات التي تمثل فيه من تأليف هولاء المؤلفين المشهورين . اضطرمت النار في الشهر الماضي في هذا الملعب وذلك بسبب مجرى النور الكهربائي الذي فيه فاحرقته في برهة وجيزة فقامت لذلك قيامة الباريزيين لان مصابهم به عظيم ولا سيما لقدوم المعرض وشدة لزومه في ايامه . وتراكت على مديره المسيو كلارسي وعلى وزير الفنون رسائل التعزية من وزراء اوربا وعظمائها وكبار ممثليها مما دل على عظم شان فن التمثيل في اوربا . حتى ان رئيس الجمهورية نفسه ارسل يعزي الشركة في مصابها والذي زاد المصاب الماً ان احدى شهيرات الممثلات في ذلك الجوق قد احترقت ضمن القاعة وهي المداموزيل هانريوت التي وضعنا رسمها هنا وقد احتفل بجنازتها كما يحتفل بجنازات الامراء وابنها المسيو كلارسي بالنيابة عن وزير الفنون . فاعجب بمقام هذا الفن في تلك البلاد

﴿ الممثلة مداموازيل هنريوت ﴾
﴿ التي ماتت احتراقاً ﴾

ولم تبرد جمرات النار في هذا الملعب حتى قدم وزير الفنون اقتراحاً الى البرلمان فحواه

تخصيص مليوني فرنك لاعادة البناء في مدة ٤ شهور ليتسنى لجوق ان يمثل رواياته في خلال المعرض فوافق البرلمان على ذلك

هذا هو اهتمام الحكومات الاوربية بفن التمثيل عندها فلنقابل هذا بما عندنا من اهمال هذا الفن الجميل

معرض باريز — يفتتح معرض باريز في ١٤ الجاري وهو اعظم عيد سلمي يُتوج به القرن التاسع عشر ويفتتح به القرن العشرون . جعله الله فألاً حسناً للقرون المقبلة

(* ليزه حموي *) تلقينا بمزيد الحزن والاسف نعي الماسوف عليها المرحومة ليزه حموي كريمة سعادة المفضال سليم باشا حموي مدير جريدة الفلاح الغراء . قصف البين غصن شبابها الرطب وعمرها ٢٠ سنة كانت في خلالها مثالاً للدعة ومكارم الاخلاق وحميد الخصال . فنحن نكف عن تعزية اسرة حموي الكريمة بهذه الفاجعة الذي اصابتها لان التعزية لا تبرد حزناً كهذا الحزن وانما نسال الله تعالى ان يلهمها نعمة الصبر الجميل و يبرد حر القلوب ببرد وسلام من عنده

وقد احتفل بجنازتها احتفالاً عظيماً يليق بمقام سعادة والدها الذي قضت وا أسفاه في غيابه وهو في الاستانة العلية . فنشترك مع سعادته في مصابه ونكرر الطلب من الله تعالى ان يلهمه مع حضرة نجله الفاضل عزتلو الياس بك حموي وسائر الاسرة الحزينة جميل الصبر والسلوان ويتغمد فقيدتهم بالرحمة والرضوان

(* يوسف وسليم خياط *) مصيبة مزدوجة طرأت على اسرة خياط الكريمة وذلك بفقد المرحومين الماسوف عليهما يوسف وسليم خياط في يوم واحد . فنحن نقدم الى جميع اسرة الفقيدين عبارات التعزية في مصابهم ونسال الله ان يهبهم طول البقاء و يرحم فقيديهم بواسع رحمته ورضوانه

(* مدولي نمور *) وردنا من صيدا نعي المرحومة مدولي نمور قرينة حضرة الوجيه الفاضل مارون افندي نمور ولها من العمر ٦٨ عاماً اثر مرض عضال تحملته مدة طويلة بالصبر الجميل . وقد توافد جمهور الاعيان في المدينة والخارج على منزل حضرة قرينها يقدمون له التعزية على مصابه فنحن نسال الله ان يحمل عزاءه وعزاء سائر آل نمور الكرام وان يرحم فقيدتهم عداد حسناتها و يتغمدها بالرحمة والرضوان

(* كاترينا افيرينوه *) انتقلت الى رحمة الله تعالى في ١١ الماضي في الثغر المأسوف عليها ارملة المرحوم اسكندر افيرينوه والدة حضرة المسيو افيرينوه قرين حضرة الفاضلة السيدة الكسندره افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس. توفاها الله وعمرها ٧٤ سنة صرفتها في الصلاح والتقوى فنقدم عبارات التعزية لجميع انجالها وسائر اسرتها ونسال للفقيدة الرحمة الواسعة والغفران

(* رزق الله بورصلي *) نعي الينا من طنطا المأسوف عليه المرحوم رزق الله بورصلي والد حضرات الخواجات جورجي وتوفيق بورصلي . توفي الى رحمة ربه في مساء ٢٧ الماضي وعمره ٥٩ عاماً صرف معظمها بالنشاط والصلاح فنحن نقدم لحضرات انجاله الاماجد وسائر اسرته الكريمة عبارات التعزية على مصابهم ونستمطر على فقيدهم صيب الرحمة والرضوان

﴿ ألغاز بجائزة يطلب حلها ﴾

ما شيء اذا اوقفته على القدم مشى على راسه

اي مخلوق يستطيع التنزه في البستان دون ان يخرج من بيته

ما شيء لا يوجد في الهند ولكن يوجد في باريز ولا يوجد في موسكو ولكن يوجد في بطرسبرج ولا يوجد في الكاب ولكن يوجد في اورانج والترانسفال

ما شيء يكبر كلما اخذتَ منه

ما شيء لا تراه عند الظهر ولكن تراه حينما لا ترى شيئاً

ما شيء لا يريده صانعه ولا يحتاج اليه مشتريه والذي يحتاج اليه لا يدري به

ما شيء ينكره حامله والذي يأخذه لا يعرفه والذي يعرفه لا يريده

اي عمل يعمله كل انسان من دون استثناء حينما ينهض من فراشه

***

تمنح الجامعة للذي يحل هذه الالغاز الثمانية روايتين جائزة والذي يحل نصفها فقط رواية واحدة . ولكن لا ينال الجوائز الا عشرون حلاً اي الذين يسبقون في ارسال حلهم لغاية العشرين شخصاً

نوجه انظار القراء الى كلمات على ظهر المجلة

الفكاهة في التاريخ

احترام القانون — دخل اللورد بالمرستون رئيس الوزارة الانكليزية في سنة ١٨٥٦ محطة السكة الحديدية في لندرا فوجد ان القطار قد بدأ بالمسير · ولكن ملاحظ القطار فتح له باب احدى المركبات ليدخل فتأهب للدخول واذا برجل من رجال البوليس في المحطة تقدم منه واخذه بيده قائلاً « ممنوع ياسيدي اللورد » وكان هذا الرجل قد عرفه ولكن النظام يمنع ركوب الركاب حين مسير القطار · فامتثل اللورد ضاحكاً واضطر ان ينتظر ٤ ساعات ليركب قطاراً آخر

الكبير يُعرف وهو صغير — كان في اجاكسيو من اعمال كورسيكا مسقط راس نابوليون الاول وهو صغير رجل انكليزي يجمع الخرق البالية وكان قذراً هائل المنظر فكانت الامهات تخيف اولادهن به بقولهن لهم انه يخطف الاولاد فلا تخرجوا الى الشارع · وكان الانكليزي يتظاهر بذلك ارضاء للامهات · ففي ذات يوم كان نابوليون وبعض الاولاد في الشارع يلعبون واذا بالانكليزي يمر فلما رآهم وضع كيسه وصار يتظاهر انه يريد ان يُدخل ولداً فيه فخاف جميع الاولاد · اما نابوليون فكان بيده سيف صغير من سيوف الاولاد فهزه وهجم عليه به · فظن الرجل انه سيف حقيقي فاطلق ساقيه للريح هارباً فقال الفتى نابوليون لرفاقه الخائفين « لا تخافوا لا تخافوا فقد هزمت العدو » فكان ذلك اول انتصاراته



الملكة ماري انطوانت ذات الشان العظيم في رواية نهضة الاسد

انه باسل وكريم فانه نذل واذا كنت قد اسفت لهدم الشعب الباستيل فانما اسفت لانني اصبحت لا استطيع ان اضعه فيه . فقال الملك ولكن لو وضعت فيليب دورليان في الباستيل هل تعلمين ما كان قد اصابنا . قالت ماذا . قال كان الشعب اخرجه من الباستيل ووضعه مكاننا ووضعنا مكانه

فصاحت الملكة مستغربة . فقال الملك لا تستغربي يا ماري ما اقول فقالت الملكة وهي تحرق الارم . نعم نعم ما كان اجدره بالباستيل . فقال الملك نعم قد يكون جديرًا به لان الباستيل كان سجن العقلاء

فاجفلت الملكة وصاحت بالملك انت تقول هذا الكلام . قال نعم انا اقول هذا . ان الباستيل كان سجن العلماء والفلاسفة والكتاب وطالبي الاصلاح وهم جمهور العقلاء . وبرهانًا على كلامي اقول لك انني من منذ نحو ساعة رأيت رجلاً عاقلاً خارجاً من الباستيل

فسالته الملكة ومن هو هذا العاقل فقال الملك رجل يدعى الدكتور جيلبار

فاجفلت الملكة لهذا الاسم وسالته هل هذا هو الرجل الذي قابلته اليوم الكونتس دي شارني . فاجاب الملك اصبت ومن اين علمت هذا . على انني كنت اود لو حضرت مقابلته لها لانني اعلم انك تحبين مشاهدة ما جرى بينهما

فنظرت الملكة الى الغرفة التي كانت اندري مختبئة بها وقالت فما يهمني ذلك قال بل اعرف انه يهمك كثيرًا لانك تحبين التنويم المغنطيسي ودليلي على ذلك انك تخفيت يوماً وزرت مسمر فنوّمك

فاحمرت وجنتا الملكة وحوّلت نظرها عن الملك . فقال ارايت انني لا اجهل شيئًا واني اعرف كل شيء . وقد لامتك يومئذٍ الجرائد اما انا فغضيت الطرف عن عملك اكرامًا لك . ولكن الدكتور جيلبار يفوق مسمر مهارةً ياماري . فان طريقة مسمر في التنويم كانت صعبة لانه يضع الانسان حول اناء كبير من الخشب ويمسه بقضيب فولاذ ويتخذ وسائل كثيرة في طريقته واما جيلبار فطريقته سهلة جدًا وهي ان يرفع يده ويدنيها من المراة فتسقط وتنام في الحال . وحينئذٍ تنام تتكلم

فدخل الخوف قلب الملكة فقالت كيف تتكلم . قال نعم تتكلم بالرغم عنها وتقول امورًا غريبة عجيبة . وليتك شهدت اليوم المشهد الذي كان بين جيلبار والكونتس فان الكونتس نامت وقالت امورًا مدهشة

فنظرت الملكة مرة ثانية الى باب الغرفة وقالت لا اظن في الامر اهمية كبرى ·
قال بالعكس فاني عرفت من كلامها امرًا مهمًا جدًا ولكني لا اخفي عنك انني ما عرفت كل شيء بعد غير ان جيلبار اصبح طبيبي وغدًا يقص علي كل قصته مع الكونتس

فصاحت الملكة · كيف اصبح جيلبار طبيبك · وكيف تستامن هذا الرجل حياتك

فقال لا تعارضيني في هذا فانك لا تستطيعين تغيير عزمي لانى قرأت في عيني هذ الرجل اخلاصه وامانته · اما حادثته مع الكونتس فالظاهر انها مهمة جدًا

فحاولت الملكة صرفه عن هذا الحديث فقالت ما لنا ولحادثته معها · فقال الملك واؤكد لك ان الكونتس من حسن حظها ان لم يسمعها احد سواي وهي نائمة

فضاقت الملكة ذرعًا بهذا الكلام الذي كانت تسمعه اندري من الغرفة التي كانت مختبأة فيها فقالت للملك ارجو من جلالتك ترك هذا الحديث· فقال الملك ضاحكًا الظاهر انك قد سئمت الحديث معي فانا اودعك الآن واهنئك بجبك السلامة · عمي مساء ياماري · ونامي نومًا هادئًا

قال هذا ومدّ يده اليها مبتسمًا لحيته وحياها ثم خرج وسار الى غرفته

ولم يخرج الملك و ينغلق الباب وراءه حتى فُتح باب الغرفة التى كانت اندري مختبئة فيها وخرجت اندري مضطربة هائجة صفراء اللون كانها من الاموات لا من الاحياء · فسارت توًا الى الباب الذي خرج منه الملك فاقفلته كلمح البصر ثم تقدمت من النوافذ فاسدلت الستائر عليها وهجمت بعد ذلك على قدمي الملكة جاثية باضطراب وهياج شديد وصارخة

— · مولاتي انقذيني انقذيني فاطلعك على كل شيء

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

الفصل الاول

(بماذا كانت تفتكر الملكة في ليل ١٥ يوليو سنة ١٧٨٩)

بعد اختلاء اندري بالملكة الى الساعة الحادية عشرة خرجت من لدنها وهي تمسح عينيها ولوائح الخجل والانفعال الشديد بادية في وجهها · اما القصة التي قصتها على الملكة فلا سبيل الى ذكرها الآن

وبعد خروج اندري دخلت الملكة الى غرفة نومها

وكان السكون قد ساد في قصر فرساليا وارخى الظلام سدوله على المنزل الملكي وجميع من فيه قد ناموا حتى الملك نفسه بالرغم عن اخبار باريز المزعجة ولم يبقَ في القصر ساهر الا الحراس الذين كانوا يحرسون دهاليز القصر بسكون كأنهم اشباح خرساء في ظلمة ذلك الليل · والملكة

وكانت الملكة تخطر في غرفتها ذهاباً واياباً امام نافذة فتحتها ليدخل منها هواء الليل تبريداً لما كان يجري في مفاصلها من الحرارة والحمى الدموية

وكانت متهيجة لامرين الاول سياسي والثاني قلبي · الاول لما ورد من اخبار باريز المقلقة والثاني لما سمعته من حبيبها دي شارني

فان اخبار باريز دلتها على قرب امحاء سلطة المملكية · وتلك الضربة التي ضربها الشعب في الباستيل دوى صداها في قلبها دوياً شديداً فرغبت ان تقابل القوة بالقوة فرأت نفسها عاجزة فصغرت نفسها واشتد غيظها

هذا من جهة السياسة · واما من جهة حبيبها دي شارني فقد آنست منه هذه المرة انه مع امرأته الكونتس دي شارني اشد لطفاً من ذي قبل · وقد سمعته يقول عنها قولاً جميلاً فخافت ان يكون قد انتبه قلبه الى جمالها فنهض الى حبها ولذلك لدغت عقرب الغيرة قلب الملكة

فكان في هذا القلب الملكي عقربان عقرب سياسي اثاره الشعب · وعقرب حبي اثارته الكونتس دي شارني

على ان حزنها هذا كان يمازجه بعض السرور · فان ضربتها الكونتس دي شارني قد

اعترفت لها بالجناية التي جناها عليها الدكتور جيلبار في حياتها . لقد ذكرت لها ان هذا الدكتور منذ كان ولداً بستانياً في تريانون وعمره ١٧ سنة باغتها واعتدى على شرفها . وانما سرت الملكة بهذا الخبر الهائل الذي سمعته من فم اندري وهي محمرة خجلاً ووجهها مطرق الى الارض لانها علمت ان هذه المرأة لم تبق اهلاً لحب رجل شريف كريم النفس كالكونت دي شارني

ولكن الكونت لم يدر بتلك الجناية فكيف يعدل عن حب امرأته وهو لم يعرف بذنبها

واذا كانت الملكة قد سرتها حادثة اندري كضرة لها فقد ساءتها كامرأة لانها رأت في كبرياء عظمتها ان هذا الاعتداء الدنيء السافل الذي اعتدى به جيلبار في صغره على جسم اندري وشرفها لاحق بالشرف الانثوي فهو اذاً اعتداء على شرف جميع النساء . فثارت هنا كبرياء المرأة واتقدت نفسها بنار الغيظ والغضب من ذلك الرجل

ثم فكرت في خروجه من الباستيل وذكرت كتبه التي كتبها ومبادئه التي نشرها فخيل لها ان سقوط الباستيل وضربة الملكية هذه الضربة لم يكونا الا بسبب جيلبار . فان الشعب ما فتح الباستيل الا لانقاذه وما ثار على الملكية الا لما انبث في نفوس ابنائه من تلك التعاليم الثورية التي كان جيلبار من نصرائها . فاشتد هنا بغضها لهذا الرجل واصبحت ترغب كل الرغبة في ان تراه لتعرف ذلك الوحش الهائل الذي مزق شرف امرأة شريفة واثار الهيئة المحكومة على الهيئة الحاكمة

ثم تاملت ماري انطوانت في اعتداء جيلبار على اندري فوجدت انه صورة مصغرة لاعتداء الشعب على الملكية . فان جيلبار وهو فتى مجهول من الطبقة السفلى ارتقى وصعد في السلم الاجتماعية الى درجة اصبح عندها جليس الملوك وباتت نساء الملكة وصديقاتها يرهبن جانبه . والشعب وهو في اسفل السلم السياسية ارتقى وصعد الى درجة اصبح عندها يناطح الملكية ويصفعها بضربات هائلة

فصممت الملكة على مشاهدة هذا الرجل الغريب في الصباح

وقضت ليلها من غير ان تنام لشدة هياجها وانفعالها . وما زالت في النافذة تشرف منها على رؤوس اشجار فرساليا والنجوم مشعشعة فوق راسها في قبة السماء حتى بدت في الافق رسل النور وانتشرت ذرات الضياء في الفضاء . وكانت وقتئذٍ الساعة الرابعة وقد دب في جفنيها النعاس فاستلقت على كرسي امام النافذة ونامت وهي تفتكر بالدكتور

جيلبار وقصته مع اندري

فحلمت في نومها حلماً مريعاً . حلمت انها كانت في تربانون فابصرت فتى بستانياً يدعى جيلبار فلما رآها تقدم منها ومدّ نحوها يدين باصابع معكوفة كأنه يناديها اليه فاجفلت الملكة وصاحت في نومها

فجاوب صياحها صياح شخص من باب غرفة النوم

ذلك ان احدى نسائها دخلت عند انشقاق الصباح لافتقاد الملكة في سريرها فلما ابصرتها نائمة في كرسيها بقلق وانزعاج لم تتمالك ان صاحت صيحة استغراب ودهشة . ففتحت الملكة عينيها

فقالت خادمتها شغلت بالي يامولاتي بقلقك وانزعاجك فهل تنادي طبيباً

وكانت الملكة قد نهضت مذعورة لحلمها وهي تذكر الدكتور جيلبار فاجابتها . نعم نادي طبيباً فاني اشعر بضعف . نادي بالحال طبيباً من اطباء الملك يدعى الدكتور جيلبار فخرجت الخادمة لانفاذ امر الملكة

الفصل الثاني

(القوي ضعيف والضعيف قوي)

وكان الدكتور جيلبار في تلك الساعة في قصر الملك فابلغه احد الحراس ان الملكة تطلبه . فلما بلغه ذلك اضطرب في الباطن وان كان لم يبدُ في وجهه شيء من الاضطراب . ثم قام على عجل وسار وراء الحارس قاصداً غرفة الملكة

وكانت الملكة تنتظره بصبر فارغ لشدة رغبتها في مشاهدة ذلك الرجل الغريب . وقد تصورته قبل دخوله انه رجل خشن الهيئة ضخم الجثة منبوش الشعر كالاغوال هائل المنظر شرس الطباع . وعند حضور هذه الصورة في ذهنها ذكرت ميرابو الذي كانت تكرهه اشد كراهة فازدادت كراهتها لجيلبار

ولكن لما دخل جيلبار الى غرفتها ابصرت امامها شاباً نحيل الجسم منتصب القامة لطيف الهيئة جميل الطلعة نظيف البزة حسن الهندام . فثارت نفسها دفعة واحدة . لانها رأت ان ذلك الرجل الخشن الذي خرج من الطبقة السفلى قد سرق ظواهر الطبقة العليا اذ خلع عنه لباس الخشونة والسماجة وارتدى لباس اللطف والظرف والكياسة فاصبحت تعتبره انه سارقاً لما ليس له وصار في نظرها مذنباً ذنباً جديداً

ولما دخل جيلبار رأت نساء الملكة في وجهها علائم الغيظ والحنق فعلمن ان الزوبعة قريبة ولكن لم يدرين لذلك سبباً . فالتفتت اليهن الملكة واشارت اليهن بنظرها بنزق اشارة فهمن معناها فخرجن من الغرفة في الحال

فاصبحت الملكة وجيلبار منفردين وجهاً لوجه

وكان جيلبار قد دخل الى الغرفة بهيئة فيها شيء من الاحترام ولكنها تدل على كبر نفس الرجل وشممه فزادت هذه الهيئة الملكة غيظاً على غيظ . فانتظرت حتى اغلق نساؤها الباب خلفهن فالتفتت الى الدكتور بنظر طافح بالكبرياء والاحتقار فرأت هذا الرجل يطيل النظر والتامل فيها من غير رهبة ولا احترام . فصاحت في وجهه قائلة . مالك تنظر اليّ هذه النظرات الطويلة . ألمثل هذا دعوتك الى هنا

وقد قالت هذه الكلمات بلهجة لو خاطبت بمثلها اميرًا من امراء البلاط او قائدًا من كبار القواد لانطرح على قدميها من الخوف والجزع . اما الدكتور جيلبار فانه اجاب بكل هدوء ورزانة قائلاً

استدعتني جلالتك لمعالجتها فانا اعمل بوظيفتي وافحصها بعيني اذ ان اهم عمل في مهنتي هو الفحص والاستقصاء

فقالت الملكة اذًا انت الآن تفحصني فقال نعم قالت وهل تجدني مريضة . قال اجدك متهيجة فقالت متهكمة لماذا لا تقول غضبى قال انما استعملت الكلمة الطبية بصفتي طبيباً . قالت فما سبب مرضي . قال هذا لا اعلمه لاول نظرة ياسيدتي لانني لست نبياً . قالت متهكمة ولكنك تعلمه فيما اظن عند النظرة الثانية . فاجاب الدكتور برزانة وهدوء ربما قدرت على ذلك . فقالت الملكة واين درست فاجاب درست في كل مكان . فرفعت رأسها وصاحت به ما هذا الاعتساف في القول . وكيف يدرس الانسان في كل مكان . فاجاب الدكتور من غير ان يغضب نعم ياسيدتي درست في كل مكان

فازدادت الملكة غيظاً وصاحت به ولكنك تذهب بصبري بهذا الكلام فما تقصد بقولك « في كل مكان »

قال اقصد ياسيدتي اني درست في قصور الاغنياء واكواخ الفقراء . في المدن وفي الخلاء في الانسان وفي الحيوان اي ان درسي كان اختبارًا لجميع امور الحياة

فسكتت الملكة وازداد غيظها لانقلابها فنهضت بنزق ثم جلست فاصابت يدها كاس شوكولاته على مائدة امامها فسقطت الكاس على الارض فانكسرت قطعاً

فرأى الدكتور الكاس تتدحرج وتتكسر فلم ينحن ليلتقطها بل بقي صامتاً ساكناً فصبغ الاحمرار وجهها من الغيظ ولكنها تجلدت وسألته . ومن كان معلك في حياتك . فاجاب الدكتور اخشى اذا اجبتك ياسيدتي على هذا السؤال ان اجرحك ايضاً

ولكن ما اتى جيلبار على هذه الكلمة حتى طار صواب الملكة فنهضت كاللبوة وصاحت به . تجرحني . تجرحني انا الملكة . انت تجرحني بكلامك . انت تجرح الملوك يارجل . يخيل لي انك لم تدرس ادب الكلام كما درست الطب او انك لم تدرس الطب اكثر مما درست ادب الكلام . ان من كان مثلك لا يجرح ملكة ولكن يتعبها و يضجرها فقط . قالت هذا وجلست بكبرياء وازدراء

اما جيلبار فقد بقي في خلال ذلك هادئاً صامتاً . ولكنها حين اتت على كلامها انحنى باحترام من غير ان تظهر علامات الغضب في وجهه وهمّ بالخروج . فلما رأت الملكة انه يطلب الخروج نهضت كأنها تطلب ايقافه . فوقف وقال . عفواً ياسيدتي فقد اخطأت في عزمي على الخروج ونسيت انك استدعيتني لاعالج مرضك وهياجك واني الآن امام مريض . فارجوان تعذريني واعدك انني لا انسى ذلك فيما بعد

فاحست الملكة بما في هذا الكلام من المعنى ولكنها بقيت ساكنة . ثم نهضت فطافت الغرفة قليلاً وعادت فجلست قائلة . أأنت تُدعى جيلبار . فاجاب نعم ياسيدتي . قالت فاسمع لاقص عليك قصة صغيرة بقيت في ذهني منذ صغري . ذلك انني منذ سنوات طوال كنت في تريانون فوجدت في بستان هناك فتى حقيراً يلبس ملابس قذرة تدل على سوء حاله واسمه جيلبار

فقطع الدكتور الكلام عليها وقال برصانة وهدوء غريب . انا ذلك الفتى ياسيدتي

فرفعت الملكة راسها وقالت بكبرياء وشيء من الحنق . وهل من الفخر ان تكون انت ذلك الفتى . فسكت الدكتور لانه لم يفقه مراد الملكة فاستتبعت قائلة . ام تخالني انني لا اعرف ذلك الفتى حق المعرفة

فغار دم الدكتور الى قلبه واصفر لونه فشاهدت الملكة تاثره وسرت بذلك . ولكنه ما عتم ان قال . وما الذي يوجب سخطك على ذلك الفتى ياسيدتي . فقالت لا تضف الرياء والكذب الى الاثم فانك لا تجهل ان ذلك الفتى جانٍ اثيم . وللاثم والجناية عقاب صارم كما تعلم

فادرك هنا الدكتور ان الملكة عالمة بكل شيء وان الاحترام لم يعد يجدي شيئاً

فاستعد للنضال و رفع راسه قائلاً . قلتِ جلالتك ان للاثم عقاباً في هذه الحياة ولكني اسالك ياسيدتي اين الانسان الفاضل او المرأة الفاضلة التي يجوز ان ترشق غيرها بحجر

فكانت هذه الضربة شديدة شديدة على قلب ماري انطوانت . فتحفزت للنهوض كاللبوة الغضبى وصاحت به ماذا تعني بهذا الكلام ايها الدكتور

فقال اعني به يامولاتي انك تصلينني حرباً لا استحقها وليس لك مقدرة عليها . فانك وان كنت ملكة فان سلطاني فوق سلطانك . وان شئت جربت ذلك واريتك قوتي .

فقالت الملكة مستهزئة سمعت انك من اولئك الاشرار الذين يستجيزون جناية التنويم وسرقة النفس والجسد معاً

فقال كلا ياسيدتي ليس التنويم المغنطيسي جناية ولكنه علم سيكون له في مستقبل الزمان شان عظيم . وان كنت ترتابين في تاثير هذا العلم فدعيني اجربه فيك

قال هذا وخطا اليها خطوة ومدَّ نحوها يده . فارتعدت فرائص الملكة لقوة غريبة شعرت بدبيبها في جسدها . فضحك جيلبار وقال . نعم هذا هو بدء التنويم ياسيدتي ومنه تعرفين قوتي . لقد قضيت وقتك وانت تهينينني منذ ساعة دخولي لغير سبب اعرفه مع احترامي واخلاصي لك . فان اردت ابقاء هذه الحرب بيننا سهل عليَّ جداً اظهار ضعفك بازاء قوتي . فانه يكفيني ان اوجه ارادتي الى ارادتك فاصرعها وافتح اسرار قلبك

فصاحت الملكة وهل تجسر ان تصنع ذلك بملكتك

فقال عفواً لا اصنع ذلك الا في حضرة شاهد يشهد عليَّ وعلى جلالتك . فقالت اذاً يكون ذنبك مزدوجاً . قال ولكن ما قولك اذ كان هذا الشاهد هو الملك بعينه

فطار صواب الملكة وتراجعت الى الوراء صائحة : الملك

فقال جيلبار نعم الملك . فانني استدعيه و باشارة مني انومك وافتح امامه خبايا قلبك فيسمع من فمك اموراً تدفنينها في اعماق صدرك ولا تقولينها حتى لنفسك . وليس ذلك فقط بل انني اشير اليك الآن اشارة وآمرك بتناول القلم وكتابة ما في ضميرك على هذه الورقة التي على المائدة ثم آخذ هذه الورقة وانقلها الى الملك فيعلم منك ما لا تريدين اظهاره هل ترغبين في ان اجرب ذلك . وخطا نحوها خطوة

فارتعشت الملكة وازداد شعورها بذلك الامر الغريب الذي شعرت بدبيبه في جسمها فتراجعت الى الوراء وصاحت دكتور دكتور

فقال عفواً يامولاتي لا تخافي فانني اوثر الموت على غضبك ولذلك فانني لا اصنع اقل

الامور التي توجب سخطك · وانما ارجو من فضلك بعد الآن ان تعرفي اخلاصي واحترامي وتحركي اماني

ثم ابتعد عنها فبطل ارتعاشها وفارقها ذلك الشعور الغريب· فنهضت كما ينهض عصفور كان مبتل الجنح وجف جنحه فقالت له بكبرياء وعظمة وهل تجد من دلائل الاخلاص والاحترام ان تسيء معاملة الملكة الى هذا الحد ايها الدكتور· ام انت تقصد الملوك لهذه الغاية

فانحنى الدكتور وقال عفواً يامولاتي فانني كما قلت لك اوثر الموت على الاساءة اليك · ولكنك انت التي بادئتني بالعدوان واذا كان وجودي في البلاط ينغص لك عيشاً او يقلق بالاً فمريني بالسفر اسافر في الحال ولا اعصي لك امراً · انما انبه جلالتك الى امر وهو انك اذا اردت ابعادي عن القصر رغبة في ابطال سلطة ارادتي ونفوذي على ارادتك ونفسك فان عملك يكون لغواً اذ هذه السلطة في البعد والقرب سيان اي ان التنويم المغنطيسي يحصل في الحالتين · والآن بعد هذه الملاحظة ارجو ان تامريني بالسفر او بالاقامة

ولكن ما اتم الدكتور كلامه حتى سُمع صوت الملك وهو قادم الى غرفة الملكة فقال جيلبار · الملك قادم ايتها السيدة فهل تكرمين بابلاغي اذا كان يجب ان اسافر ام ان ابقى · فقالت الملكة وهي مبهوتة متاملة بل ابقَ · وفي هذه الساعة دخل الملك

الفصل الثالث

(نصيحة تغيظ الملكة)

ودخل الملك بطيئاً متثاقلاً كعادته · وكان يبدو في وجهه اشتغال البال الا انه كان هادئاً ساكناً على عكس منظر الملكة التي كانت في تلك الساعة في اقصى درجات التهيج والانفعال

ولما دخل الملك قال على الفور اين الدكتور فقد ساءه في غيابه · ثم التفت الى الملكة وقال عمي صباحاً ايتها السيدة لماذا حرمتني من الدكتور في هذا الصباح · فقالت ماري انطوانت دعوته لامر ما · فقال اراك صفراء اللون متهيجة وهذا ما كنت اخشاه لذلك جئت افتقد صحتك حين علمت انك طلبت الدكتور · فقالت انطوانت بل انا في خير ياسيدي · فقال الملك اظنك لم يبقَ بك حاجة اليه فاتبعني يادكتور فان لي معك شأناً مهماً

ثم همَّ الملك بالخروج . فقالت انطوانت بل استميح جلالتك ان لا يذهب هل تصحبني بحضرة الدكتور . فقال الملك ولكن علينا ان نتحادث في هذا الصباح بامر سياسي قالت وما الذي يمنع من ان تتحادثا عندي . فقال الملك ضاحكاً اما هذا فلا تقدر عليه . فقالت ولماذا قال لانك تعلمين ان آراءنا مخالفة لآرائك . قالت بل اطلب ان اسمع حديثكما . فقال الملك باسماً ايضاً انصحك ان لا تطلبي ذلك لانك لا تطيقين استماع الآراء التي نراها . قالت بل اطلب سماعها . فقال الملك ما رأيك ايها الدكتور فقال الدكتور رأيي ان نجيب جلالتها . فجلس الملك على كرسي مخملي هناك واشار الى جيلبار بالجلوس فجلس ايضاً . فقال الملك اخبرني الآن ايها الدكتور ما جاء بك باكراً في هذا الصباح

فقال جيلبار جئت يامولاي لاقدم لجلالتكم نصيحة . وهي انني اطلعت على آراء الباريزيين ووقفت على ما ينوونه فثبت لي انه يجب ان تسافروا الى باريز

ولو ان جمرة نار سقطت في عشرة آلاف كيلوغرام من البارود وانفجر البارود لما كان انفجاره اعظم من انفجار الغيظ والغضب في صدر الملكة . فانها ما سمعت كلام جيلبار حتى وثبت عن كرسيها بقوة غريبة وصاحت به ماذا تقول ؟ الملك يذهب الى باريز

فقال جيلبار بهدوئه الاعتيادي نعم يامولاتي

اما الملك فنظر الى الدكتور وقال له اما قلت لك انها لا تطيق سماع حديثنا

فازدادت انطوانت غيظاً وهياجاً وقالت تخاطب جيلبار . كيف اجترأت ان تنصح الملك هذه النصيحة . اتريد قتل الملك حتى تشير عليه بالسفر الى باريز . الا تعلم ان سبعمائة الف وحش ينتظرونه في تلك المدينة الثائرة المتمردة للاساءة اليه والى رجاله

فعبس الملك وقال لماذا هذا الغيظ ايتها السيدة قبل استماع كلام الدكتور . اما الدكتور فالتفت اليها وقال . لو كنت اعلم ياسيدتي ان الملك يساء اليه في باريز لما كنت اجترئ على النصيحة له بالسفر اليها . ولكنني بعد درس طويل وبحث كثير وجدت ان وجوده في باريز مفيد الآن كل الافادة لذلك جئت اقترح ذلك على جلالته فاذا لم يجبني الى اقتراحي اضطر بعد ذلك ان يجيب الباريزيين الى هذا الاقتراح لانني تركتهم يفكرون باستدعاء جلالته اليهم

فصاحت الملكة افهمت ياسيدي الملك . يقول الدكتور انك اذا لم تسافر الآن من تلقاء نفسك الى باريز فان الباريزيين يامرونك بالسفر اليها فتضطر الى انفاذ امرهم

فقال جيلبار ما قلت ذلك يامولاتي وانما قصدت ان اقول ان الملك اذا لم يذهب الى الباريزيين من تلقاء نفسه فانهم سياتون هم الى هنا و ياخذونه

فصرخت الملكة مظهرة علامة الفرح · تقول انهم ياتون الى هنا فاهلاً بهم وسهلاً · وكم يكون عددهم · خمسة الاف او عشرة او عشرين · انظر الى الجيوش التي تحيط بفرساليا فانني باشارة واحدة اسوقها عليهم فاعلمهم حينئذٍ كيف تكون الوقاحة والجراءة على ملوكهم

فقال الملك وهل تحسبين ياماري ان قلبي يطاوعني على ان اتركك تقتلين عشرين الف رجل من رعيتي

فصاحت الملكة ولكنك لن تذهب الى باريز وفي نسمة حياة · انني اخشى عليك خشونة الباريزيين واعتداءهم فقال لا تخافي فانهم يحبونني · فابتسمت الملكة ابتسام استخفاف وقالت يحبك الباريزيون ؟ لو كانوا يحبونك لوجب ان يحترموا ممثليك · وهل قتلوا نائبك دي فلاسيل وعاملك دي لوناي لانهم يحبونك · او هل تظن انك لو كنت مكان دي لوناي لكانوا اقل جراءة على الشر الذي صنعوه بل كانوا اكثر جراءة لانك انت لا تدافع عن نفسك ولا يطاوعك قلبك ان تطلق النار عليهم بل تفتح صدرك لحرابهم · فانا لا ادعك تسافر الى باريز

فقال جيلبار بل تدعينه ياسيدتي · فان ذلك واجب في الاحوال الحاضرة · فازدادت غيظاً وصاحت ولكنك الا تعلم ان لوجوده الآن في باريز معنى عظيماً · فانه اذا ذهب الى هذه المدينة بعد ما حدث فيها من التمرد وجرى فيها من الدماء يكون كانه يوافق على كل ما حدث وجرى · كانه يقول حينئذٍ بوجوده انني راضٍ عن القتلة · راضٍ عن المتمردين الثائرين فهل تريد ذلك انت ايها الدكتور

فدبت روح الحماسة في نفس الدكتور وقال كلا ياسيدتي لا اريد ان يكون ذلك معنى سفره · ولكن سفره لا يكون له هذا المعنى ابداً · بل يكون معناه انكم اذنبتم لجئت لاعفو عنكم · انتم ابنائي وانا ابوكم · جنودكم هم جنودي وضباطكم ضباطي ومدينتكم عاصمتي والاصلاح الذي تطلبونه انا ارغب منكم فيه · فساعدوني والحقوني في هذا السبيل لنصلح ما في وسعنا اصلاحه

فقال الملك كئيباً هادئاً نعم وانا من رأيك ايها الدكتور وساسافر اليوم لا محالة فهمت الملكة بالصياح · فقال الملك بشيء من الحدة والغضب لا تعترضي ياماري

فانني ساسافر ولا يثنيني عن سفري شيء لانه واجب كما قال الدكتور هلمَّ بنا لنستعد له

ولا يستطيع قلم ان يصف غيظ الملكة في هذه الساعة ولكنها اضطرت ان تكظم ما في نفسها بازاء ارادة الملك . على انها سالته بحزن ظاهر متى عزمت جلالتك على السفر فقال في هذا النهار . قالت بل ارجوك ان تؤخره . قال ذلك امر يصعب عليَّ . قالت بل ارجو ذلك منك . اخره الى الغد فقط وغدًا تسافر بحراسة الله . فقال الملك وما الموجب الى هذا التاخير الديك امر سياسي ام تنتظرين مددًا عسكريًا من الخارج او ماذا . فاجابت لا انتظر شيئًا ولكني ارجوك ان تنتظر الى الغد . قال وهل تمانعين غدًا . قالت غدًا لا امانع بل اودعك واستودعك الله . فقال اذًا اترك ذلك الى الغد اكرامًا لك . ثم نهض واشار الى الدكتور ان يتبعه . فقالت الملكة للدكتور وهو خارج اذكر ايها الدكتور انك الرجل الوحيد الذي يقترح على الملك هذه الاقتراحات ويحادثنا بهذه اللهجة التي تحادثنا بها . فقال جيلبار ذلك ياسيدتي لانني الرجل الوحيد الذي يقول الحقيقة لكم في الاحوال الحاضرة وكوني جلالتك على ثقة من انه لا يوجد الآن شيء لانقاذ الملكية غير العلم بالحقيقة والعمل بها

قال هذا وانحنى باحترام كثير وخرج يتبع الملك

وكان في فناء قصر الملكة ضباط يتحادثون فلما راوا الملك مقبلاً هتفوا جميعاً « ليحيى الملك » فجاوبهم من داخل القصر وجوانبه صياح ضباط وحراس آخرين قائلين « ليحيى الملك » فوجد الملك لهذه المظاهرة سرورًا كثيرًا في وسط احزانه وشواغله

وقد سمعت الملكة ايضاً صياح الضباط « ليحيى الملك » فاطلت من النافذة لترامي فوقع نظرها على باريز البعيدة فقالت وهي تنظر اليها بغضب وغيظ . نعم ليحيىَ الملك والملك يحيى لا محالة . الملك يحيى وانت ياباريز الملعونة لا تستطيعين ان تمسيه بسوء . سانتشل من مخالبك الفريسة التي تطلبينها وادعها تحيى بالرغم عنك ايتها الماوية الجهنمية الهائلة

قالت ذلك وهي تمد قبضتها النحيفة النحيلة نحو باريز البعيدة متهددة متوعدة . ثم نادت اقرب نسائها اليها وهي مدام كمبان ودخلت واياها الى غرفتها واغلقتا الباب خلفهما

الفصل الرابع

(شهامة الملك)

وفي صباح اليوم الثاني ارسلت الملكة تستدعي الملك باكرًا اليها

فاستغرب الملك هذه الدعوة . وكان قد لبس ملابس السفر . فتناول طعام الصباح وهو شيء من مرق اللحم والنبيذ ثم قصد منزل الملكة وهو خائف من ان تكون قد غيرت عزمها في تلك الليلة

فلما دخل الملك عليها لم يجد عندها احدًا غير مدام كبان اقرب نسائها اليها . وكانت الملكة اشد صفرة من اليوم السابق ولكن فمها كان يبتسم ابتسامًا اغتصابيًا اذ ادل على سكينة بالها فان عينيها كانتا تدلان على قلقها

فحياها الملك ثم سألها كيف اصبحت وما تطلب . فاجابت كنت احب ان جلالتك تاتيني بملابس النوم قبل لبس ثيابك طبقًا لما طلبت منك مع الرسول . فزاد استغراب الملك لهذا الكلام وخطرت في باله خواطر كثيرة تفسيرًا لقول الملكة ثم قال وهو مشتغل البال لم افهم معنى كلامك أَلعلك غيرت عزمك في هذه الليلة . فقالت كلا وانما كنت احب ان تأتيني بملابس النوم لا بهذه الملابس . فقال الملك وهو يكاد يفقد الصبر لهذا لهذا الكلام المبهم ولماذا تكرهين هذه الملابس فان هذا الثوب البنفسجي الذي البسه الآن يحبه الباريزيون لانهم النوه فقالت لا اكره ملابسك بل بالعكس اراها جميلة ولكن اسمع لي كلمتين يا ملكي . انت الان مسافر الى باريز فانت الآن مستهدف لرصاص الثائرين وخناجر المتمردين . افلا تجد من الحكمة ان يلبس الملك عند القائه بنفسه في وسط المدينة المتمردة ثوبًا يمنع ان تصل اليه رصاصة تطلقها يد اثيمة او سكين تمدها قبضة جانية

فاجاب الملك احسنت بهذا القول وازيد عليه ان الوسام الذي على صدري فوق القلب تمامًا دليل للرصاص الى مقتلي

فسرت انطوانت لموافقة الملك على كلامها واشارت الى مدام كبان اشارة معنوية والسرور بادٍ في وجهها . فتقدمت مدام كبان من خزانة وتناولت منها شيئًا ثقيلاً ملتفًا بقطعة نسيج والقتها الى الملكة

ففتحت ماري انطوانت هذه « البقجة » واخرجت ما ضمنها فاذا به صدرة لامعة لمانًا غريب الهيئة . فاخذتها وارتها للملك قائلة انظر هذه الصدرة الجميلة

فقال الملك متعجبًا . ما هذا . ثم تأمل الصدرة بين يديه وقال . هذه صدرة من الفولاذ الدقيق . ما احسن حبكها وادق فولاذها . فقالت ماري أنطوانت نعم فانها مفردة في بابها لانها تكسو لابسها من عنقه الى اعلى فخذيه وتكون خير واق له . فقال الملك احق ما تقولين ثم خلع سترته ليجربها

فكادت الملكة تطير فرحًا فلبس الملك هذه الصدرة الغريبة فغطت جسمه من عنقه الى اسفل بطنه . وكانت الملكة تنظر اليها باسمة مسرورة بلبس الملك اياها . ولما فرغ الملك من لبسها وتزريرها امرّ يده عليها فاحس بان يده لمست خدشًا خفيفًا فجس هذا الخدش وسأل الملكة ما هذا . فضحكت ماري انطوانت وقالت اذا ذكرت لك سبب هذا الخدش الخفيف فانك تستغرب ذلك كثيرًا . فقال وما سببه . قالت سببه انني لما ابتعت هذه الصدرة اردت تجربتها لارى اذا كانت كما قيل لي . فدخلت انا ومدام كمبان الى غرفة عميقة واغلقنا كل الابواب ثم تناولت فردًا محشوًا واطلقت رصاصة على هذه الصدرة بيد مرتجفة وقلب خافق . فبلغ الاستغراب من الملك مبلغه فقال وبعد ذلك ؟ فقالت بعد ذلك فحصتُ موضع الرصاصة فوجدت انها لم تخدش الصدرة الا الخدش الخفيف الذي رأيته وقد انبطحت الرصاصة وتسطحت لمقاومة الصدرة لها وعجزها عن خرقها .

فضحك الملك وقال ما اكرم اخلاقك يا ملكتي واشد عنايتك . ثم مدّ يده وهم بخلع الصدرة عن جسمه

فاضطربت الملكة وصاحت ما لجلالتك تنزعها فقال كفى فانني قد اختبرتها قالت ولكنني لم ابتعها لتختبرها فقط بل لتلبسها وتدخل باريز بها خوفًا عليك من رصاص الاشقياء وخناجر الاشرار لان الرصاص والخناجر ترتد خاسئة عنها

فضحك الملك وقال اما هذا فلا تطلبيه مني يا ماري . فصاحت الملكة ولكنهم يقتلونك فقال الملك انني كأب للشعب اعتبر من واجباتي ان لا اسيء الظن بابنائي . ومع ذلك فان اشراف مملكتي يذهبون الى الحرب مستقبلين الرصاص بملابس القطن و ينزلون الى ساحة البراز مستقبلين رؤوس السيوف بقمصانهم الحريرية فقط . وبما انني انا زعيمهم ورئيسهم فينبغي ان اصنع صنعهم ولذلك استقبل الرصاص والحراب بملابسي الحريرية

فرفعت الملكة يديها حين فرغ الملك من كلامه وصاحت آه ليت جيشه يسمعه الآن

ليشهد بسالته ، واما الملك فانه خلع الصدرة ولبس رداءه ببساطة عجيبة وهو يجهل انه قال قولاً شريفاً وعمل عملاً سامياً

ثم خرج من غرفة الملكة والملكة تثني الصدرة بين يديها المتهيجتين وتقول في نفسها ايمكن سقوط ملكية يكون في ملكها هذه الكبرياء في مثل هذا الموقف

الفصل الخامس

(السفر)

وبعد خروج الملك من لدن الملكة دعا اليه الضباط الذين اختارهم لمراقبته في سفره الى باريز وحضر معهم القداس في كنيسة القصر . وفي الساعة التاسعة جلس معهم الى المائدة

فطلبت الملكة ان تجلس معه الى المائدة ايضاً لا لتاكل فانها لتهيجها كانت لا تشتهي طعاماً ولكن وداعاً له فجلست وعيناها حمراوان منتفختان من البكاء واجلست معها ولديها وهما فتى وفتاة

وكانت قد اطلعتهما على سبب سفر ابيهما فكانا كئيبين حزينين يا كلان والدموع في عينيهما تتساقط بسكوت وهدوء فتأمرها امهما ان يمسحاها فيمسحاها بصبر وثبات جأش ملكي فاثر هذا المنظر في نفوس الحاضرين اشد تاثير وملأ نفوسهم حناناً على الولدين وغيظاً من الباريزيين

اما الملك فكان يظهر البشاشة وكان يحادث الملكة والضباط وهو يأكل بشهوته الاعتيادية دون ان ينظر الى احد منهم

ولكن ما كاد الملك يفرغ من الطعام حتى دخل بعض الضباط مسرعين واخبروه بان الوفاً من الباريزيين قادمون على طريق باريز وقد قربوا من قصر الملك

فاصفرت الملكة عند هذا الكلام اما الدكتور جيلبار وكان حاضراً فانه نظر اليها نظرة معنوية كانه يقول لها : اما اخبرتك انهم يأتون

فسأل الملك الضباط وكيف هيأتهم . فاجابوا انهم في سرور ولوائح الرضى على وجوههم

فصاحت الملكة اغلقوا مع ذلك حواجز القصر الخارجية زيادة في الاحتياط . فصرخ الملك لا لا اياكم وهذا الامر اما انت يامسيو بوفو فانزل على عجل واعدّ لهم مرطبات

لتبريد غليلهم

فاطاع المسيو بوفو وهو رئيس مائدة الملك وخرج لانفاذ امره

وما خرج بوفو حتى سمع الحاضرون نافذة تفتح في تلك القاعة . فالتفتوا فابصروا الدكتور جيلبار يفتح نافذة بحجة تجديد هواء الغرفة . وبعد فتحها اطل منها على الجمع الزاحف الى فرساليا وقال . يا للغرابة فاني ارى بين القادمين اولاداً صغاراً

فسالت الملكة مدهوشة اولاد صغار فقال جيلبار نعم . ففتحت الملكة فاها لتقول كلمة ولكن هذه الكلمة وقفت في فيها اوقفها البغض والكبرياء فسكتت . اما الملك فقال في الحال . تقول ايها الدكتوران معهم اولاداً . فقال الدكتور نعم ومنهم بعض لا يتجاوزون العاشرة من العمر وجميعهم لابسون ملابس الحرس الوطني وذلك لشدة حب الشعب لهذا الجند الجديد الذي تالف حديثاً

فقال الملك حرام علينا ان نترك هؤلاء الاولاد الصغار في حر الشمس خارج القصر افتحوا الابواب وادخلوا الجمع كلهم ليستريحوا في الظل

فنظر حينئذٍ جيلبار الى الملكة نظرة ذات معنى فعلمت انه يريد بنظرته انه كان يجب ان يسمع الملكة تجيب ذلك الجواب بدل الملك لانها امرأة والحنان من شان النساء . فاحمرت خجلاً وسكتت

فادخل الجمع الى فناء القصر ودهاليزه وعدده عشرة الآف رجل ثم اديرت عليهم المرطبات فصرخوا يهتفون للملك وهم في اتم سرور ورضى . وكان غرضهم من المجيء الى فرساليا استقبال الملك لانهم سمعوا بانه مسافر في ذلك النهار الى باريز

وقبل تألف الموكب للمسير الى باريز سئل الملك كيف يكون سيره فاجابت الملكة يسير في مركبته ركضاً بقدر استطاعة الخيل فقال الملك لضباطه كلا وانما تسير مركبتي مع الجمع سيراً بطيئاً كسيره لانني أكره ان اتعبه ولا سيما الاولاد الذين معهم . فتنهدت الملكة وسكتت

ثم نهض الملك الى ركوب مركبته فعانقته الملكة تودعه وتعلق بعنقه ولداه يبكيان فحول الملك وجهه عنهما حتى لا يزيد انفعاله وتاثره . واخذت الملكة تحادث كلاً من ضباط الملك على حدة وتحثهم على حفظ حياة الملك والسهر عليها فكانوا كلهم يضعون ايديهم على قلوبهم وعلى سيوفهم للدلالة على انهم يفدون الملك بارواحهم . ثم ركب الملك مركبته وركب ضباطه ورجال حاشيته في مركبات وراءه

اما الدكتور جيلبار فان الملكة دنت منه قبل سفره وقالت له انك قد اشرت على الملك بهذا السفر فاعلم انني اطالبك بحياته واذا اصابه شر فان حياتك في خطر . فانحنى الدكتور باحترام وقال نعم حياتي معلقة بحياة جلالته

ثم ركب المركبة التي خصصوها به وراء موكب الملك . وكانت هذه المركبة مركبة المسيو بوفو

ولما تحركت مركبة الملك احاط بها حرسه الخاص من كل جانب وسارت بين تلك الالوف المؤلفة والجماهير المتاوجة قاصدة باريز المتردّدة

وكانت الجماهير حول المركبات الملكية كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وجميع الناس في فرح وسرور لعودة الملك الى مدينتهم . وكانوا يتحدثون فيما بينهم باحاديث مختلفة فاصبق الدكتور وهو في مركبته لبعضهم فسمعهم يتساءلون عن هذا الراكب في هذه المركبة فاجاب بعضهم هذا المسيو بوفو رئيس مائدة الملك . فقال غيرهم ما هذا بالمسيو بوفو لان المسيو بوفو سمين غليظ الجثة وهذا نحيل نحيف . فقال آخرون ولكن الا ترى شعار مركبته

واذا بصوت جهوري ينادي قائلاً من يقول انه المسيو بوفو . هذا هو الرجل الفاضل الطائر الصيت . سلام ايها الدكتور

فالتفت جيلبار لهذا الصوت وصاح . بيلو ما جاء بك . فقال بيلو جئت لاستقبل الملك قال واين بيتو قال ها هوذا خلفي ثم التفت وصاح . بيتو تعالَ وسلم على الدكتور

فاندفع بيتو نحو المركبة يدفع الناس تارة بيديه وطورًا بمنكبيه حتى وصل الى الدكتور فسلم عليه . وحينئذٍ قص عليهما الدكتور كل ما جرى له مع الملك واطنب في وصف مآثره ورغبته في خير الرعية وذلك بقصد استمالة رأي الجمهور اليه فاثر كلام الدكتور في سامعيه فاخذ بيلو وبيتو يصيحان بكل قواهما « ليحيَ الملك » فتناقلت اصوات الحاضرين هذا الهتاف من مكان الى مكان حتى بلغ الجماهير التي كانت محيطة بمركبة الملك فسمع الملك هتافهم ووجد لذلك سرورًا جديدًا

وبذلك نفعه الدكتور نفعاً كبيرًا

وفيما كان جيلبار يحدث بيلو عن مناقب الملك قال بيلو بغتةً شوقتني الى رؤية الملك فكيف اراه . واتفق حينئذٍ ان جيلبار مد بصره الى بعيد فابصر احد حراس الملك يدنو من مركبته وهو يفسح مجالاً لفرسه بين الجمهور بلطف وتأنٍ فعلم ان الفارس يطلبه . فنزل

من المركبة وساله اظنك تطلب الدكتور جيلبار فقال الفارس نعم قال انا هو قال يدعوك جلالة الملك اليه فقال هلم بنا ثم اشار الى بيلو وبيتو ان يتبعانه واتجه بهما صوب مركبة الملك يزحمون الناس زحماً

الفصل السادس

(على الطريق)

وظل الدكتور وبيلو وبيتو يزحمون الجمع ويدفعونه تارة بايديهم وطوراً باكتافهم سائرين وراء فرس الحارس حتى وصلوا الى مركبة الملك فكان الشعب يتزاحم تزاحماً شديداً حول هذه المركبة لان لويس السادس عشر كان لا يزال يومئذٍ محبوباً

ولما وصلوا الى المركبة التفت الملك الى جيلبار وقال له ما اجمل الطقس واجمل هذا الشعب ايها الدكتور . فانحنى جيلبار وقال اؤمل ان تكون جلالتكم مسرورة بسفرها فاجاب الملك كل السرور ثم التفت الى المسيو بوفو الذي كان يسير على فرسه الى جانبه وقال بصوت عالٍ ليسمعه الجميع اذا كنا مسرعين في السير فلنسر اكثر بطئاً حتى لا يتعب الشعب . فاجاب المسيو بوفو لا نقطع الآن ياذا الجلال بهذا السير الا ميلاً واحداً في كل ساعة

وكان الشعب قد سمع كلام الملك فازداد تحمساً

. اما بيلو فاقترب من الدكتور وقال له حقاً ان الملك رجل كريم

فسمع الملك هذا الكلام هو ورجال حاشيته فضحكوا جميعاً اما الملك فانه ابتسم ابتساماً خفيفاً وقال يعجبني هذا المديح

فسمع بيلو هذا الكلام فالتفت الى الملك وقال حقه ان يعجبك ياذا الجلال لانني لا اقوله لكل الناس

وبذلك دخل بيلو في الحديث مع الملك

اما الملك فاصبح همه المحافظة على المهابة الملكية وعلى رضى هذا الرجل معاً لانه كان يرى انه ذو تاثير على الشعب . فقال بلطفٍ . كلامك هذا يزيد سروري

فاعجب بيلو وبيتو لكلام الملك فاخذا يصيحان قائلين : ليحيَ الملك . ليحيَ ابو الفرنسويين

وكان الملك لم يعتد بعد ان يُسمى ملك الفرنسويين بل كان يُسمى ملك فرنسا وبين



الجزء الثاني السنة الثانية

الاسكندرية ١ مايو (اذار) سنة ١٩٠٠ الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨



﴿ الامير عبد الرحمن ﴾
امير افغانستان الحالي

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

افغانستان

احوالها * اميرها

الشبه بين افغانستان والترانسفال • سكانها • لغتهم • هواؤها محصولاتها ومعادنها وحيواناتها • حكومتها • آثارها • تاريخها • اميرها عبد الرحمن الحالي مع ابها تكون افغانستان

يقال في الترانسفال انها هلكت او ستهلك بمعادنها الذهبية ومركزها الجغرافي • فان معادنها الذهبية اثارت اطماع طلاب الذهب فدفعوا انكلترا الى هذه الحرب بالرغم عنها وساعدهم على بلوغ امانيهم وقوع الترانسفال في الطريق الشهيرة بين الكاب والقاهرة فكان لا بدَّ من ازالة هذه العثرة من تلك الطريق لتصبح الطريق كلها انكليزية محضة • وبذلك يكون مركز الترانسفال الجوغرافي مع معادنها هما اللذان جنيا عليها

وما يقال في الترانسفال من هذا القبيل يصح ان يقال في افغانستان ايضاً • فان هذه الامارة واقعة بين دولتين قويتين هما انكلترا وروسيا • انكلترا في الهند وروسيا في تركستان• وافغانستان بينهما كالواقف بين الحوت والفيل لا يهنأ له عيش لانه يخشى تارة ان يبتلعه الاول وطوراً ان يدوسه الثاني • وبالنظر لاهمية هذه البلاد من هذا القبيل وزحف الجنود الروسية على حدودها في هذه الاثناء تهدد الهند تهدداً اوجبت زيادة انكلترا حاميتها فيها واهتمامها بالتاهب اهتماماً شديداً راينا ان نذكر للقراء شيئاً عن احوال تلك البلاد وفذلكة من ترجمة اميرها فنقول

***

❊ افغانستان ❊ اختلف الباحثون في اصل كلمة افغانستان فنهم من زعم انها مشتقة من كلمة « اسافا » الفارسية ومعناها الفارس فقالوا اسافاستان ومنها افغانستان ويقصدون بها « بلاد الفرسان » وذلك لمهارة اهلها في ركوب الخيل • ومنهم من زعموا انها مشتقة من الكلمة الفارسية « افغان » ومعناها مضيق الجبل وذلك لكثرة المضايق فيها • وهو الاصح

ومساحة افغانستان اختلفت باختلاف احوالها السياسية . اما اليوم فساحتها ٧٢٠ الف كيلو متر يحدها غرباً بلاد الفرس وشرقاً الهند وشمالاً تركستان وجنوباً بلوخستان . وكانت هذه البلاد اي بلوخستان تابعة لها ولم تنفصل عنها الا من عهد قريب

✻ سكانها ✻ وسكان افغانستان متفاوتون اصلاً وجنساً ويقدر عددهم بنحو ٦ ملايين و ٢٠٠ الف نفس منهم ٣ ملايين و ٥٠٠ الف نفس من الافغانيين الاصليين ومليون نفس من الايرانيين (الفرس) و ٥٠٠ الف نفس من الهنود و ١٠٠ الف نفس من العرب والارمن واليهود والاحباش والباقون قبائل مختلفة

وهم قوم اشداء العزائم حريصون على حريتهم يفتخرون بجنسيتهم ولا يعتبرون الافغاني افغانياً الا اذا اثبت مئة جدود لنفسه . ولا يعتدون على حرية بعضهم البعض لانهم يكرهون الاستعباد . وهم يمتازون بالبسالة والجد والقناعة والحكمة ولكن فيهم مع هذه الفضائل الفطرية الرذائل التي تنشأ عن الجهل كالحسد والبخل والعناد والطموح الى مال الغير . والنساء عندهم محترمات مكرمات اكثر من اخواتهن في البلاد الشرقية الاخرى وهن ينظمن الشعر وقلما يراعين الحجاب لمعيشتهن البدوية

والافغانيون من الاصل الايراني وهم يزعمون انهم من الاصل السامي ليثبتوا قدم وجودهم ونظرهم مهيب شديد ولونهم ابيض ولحاهم كثيفة وعيونهم وشعورهم سود الا سكان جبال سليمان في بلادهم فان فيهم من عيونهم زرق وشعرهم اسمر . وهم يكرهون الفرس لانهم هم سنيون والفرس شيعيون كما لا يخفى

✻ لغتهم ✻ واما لغتهم فهي الافغانية ولكنها عندهم بمثابة اللغة العربية العامية عندنا فهم لا يستعملونها الا في كلامهم . اما الكتابة فيستعملون فيها اللغة الفارسية . ويذهب بعض العلماء ان اللغة الافغانية مشتقة من احدى اللغات الاصلية القديمة انفصلت عنها قبل التاريخ ولذلك لا يُعلم لها مبدأ . وهي اقرب الى اللغة الفارسية من اللغات الهندية وفيها كلمات كثيرة فارسية دخلت اليها بالامتزاج وفيها ايضاً كلمات عربية دخلت اليها مع الاسلام . وحروفها الهجائية مأخوذة من الحروف العربية

✻ مناخها اي هواؤها ✻ وافغانستان بلاد كثيرة الجبال والوديان واعلى جبالها جبل هندوكوه ومعناها « مقتل الهنود » سمي كذلك لكثرة ما يقتل فيه من الهنود الذين يجتازونه وعلو اعلى قمة في هذا الجبل ٧٥٠٠ متر عن سطح البحر . وبالنظر لتموجها وانخفاض وديانها ترى الهواء فيها يختلف اختلافاً عظيماً . فانك في يوم واحد قد تسير من مكان

حرارة هوائه لا تُطاق الى مكان يجمد فيه الماء من شدة البرد . ومن بلاء الهند ان جبال سليمان الافغانية تمنع احياناً من وصول الريح التي تنزل المطر اليها . واكثر الاهوية الناشفة الحارة التي تهب في افغانستان تردها من بلاد العرب . وتهب في بعض جهاتها ريح السموم فتؤذي القوافل وتمنعهم من المسير . واليها اي الى ريح السموم ينسب الافغانيون كلب الكلام والذئاب . على ان المناخ فيها جيد ولا تُعرف فيها امراض خصوصية ملازمة لها والربيع فيها يفد معجلاً ولكنه لا يدوم طويلاً . ويتلوه عادة حرٌّ محرق والنبات فيها سريع النمو والمطر يبدأ في وادي كابول في شهر يوليو

﴿ محصولاتها ومعادنها وحيواناتها ﴾ والافغانيون يعنون بالزراعة عناية شديدة ويحسنون الفلاحة ولهم فيها طريقتان الاولى ان يشارك الفلاح صاحب الارض فيزرع ارضه بآلة صاحب الملك وبذور يبتاعها هذا ثم يعطيه نصف المحصول . والطريقة الثانية ان صاحب الملك يستاجر الفلاحين لزراعتها . وهم يحسنون جيداً حفر السواقي حتى انهم يجرونها مسافة عشرات كيلومترات في الاراضي المطلوب ريها . وفي بعض جهات افغانستان معادن كثيرة لم تُستخرج بعد . منها معادن ماسية في جبال هندوكوه التي مرّ ذكرها ولذلك يسميها الافغانيون « بلورستان » اي بلاد البلور لشبه الماس به وذلك من قبيل تشبيه الاجود بالجيد . اما التجارة فضيقة النطاق لاختلال الامن بالرغم عن غنى التربة ونشاط اهلها . ولذلك فتجارة الصادرات فيها لا تكاد تذكر وهي محصورة في الخيل والجلود والشالات والتبغ والاثمار . واما تجارة الواردات فتردها من الهند واهمها الانسجة القطنية والعاج والشمع والسكر وغيرها من حاجيات المعيشة . واكثر اصحاب الحوانيت فيها من الايرانيين والهنود . اما الصيارفة واصحاب البنوك فيها فكلهم من الارمن واليهود

ومن حيواناتها الثعلب والنمر والارنب والجاموس وحمار الوحش وانواع كثيرة من الطيور اهمها الحجل

﴿ حكومتها ﴾ وتقسم افغانستان الى اربعة ولايات كبرى تابعة لامهات مدنها الاربع وتسمى باسمائها . الاولى ولاية كابول والثانية ولاية قندهار والثالثة ولاية هرات والرابعة ولاية بلخ . والولاية الاولى اهم الولايات لان ارضها اخصب اراضي تلك الولايات وهي اقربهن الى الحدود الهندية وطريقها اليها اسهل الطرق مما يبعث على الظن بان غارة روسيا على الهند اذا تمت فلا تتم الا عن طريقها

وكابول عاصمة افغانستان وفيها يقيم الامير . اما باقي الولايات فانها تابعة لها بالاسم

فقط ولكن حكامها في الحقيقة مستقلون وخصوصاً امارة بلخ · ذلك ان اهالي افغانستان قوم رضعوا افاويق الحرية منذ نعومة اظفارهم وهم يحبونها كما يحبها جميع القبائل الرحل · ويشبهون في هذا اهالي ايكوسا قبل الفتح الانكليزي او اليونانيين قبل قيام الاسكندر المكدوني · فان كل ولاية من تلك الولايات مقسومة الى مدن ونواحٍ يقوم حكامها بشوون حكومتها ولا يخضعون لاحد الا لانفسهم ولا يدفعون الضريبة الا خوفاً ورهبةً · والامير يعين بالانتخاب وكان لا ينتخب الا من قبيلة الدورانيين وهي اقوى قبائل الافغان اما اليوم فانه لا ينتخب الا من ذات العائلة الحاكمة وهو يقيم قاضياً نائباً عنه في كل مدينة من امهات المدن الافغانية ليتولى القضاء بين المتخاصمين ولكن قلما يرفع احد اليه شكوى من خصمه لان اكثر قضاياهم يفصلها زعماء قبائلهم اصحاب السلطة عليهم · فكأن كل مدينة او قرية من مدنهم وقراهم جمهورية صغيرة تخضع لزعيمها دون سواه

واشهر مدن افغانستان كابول العاصمة وعدد سكانها ٧٥ الف نفس ومدينة قندهار وسكانها ستون الف نفس وهرات وسكانها خمسون الف نفس وغزنه وسكانها ٨ الاف نفس ثم اسطاليف وشاريار وكانيكورام وماكين وجلال اباد وزرني وعدد سكان هذه المدينة ١٢٠٠ نفس

﴿ آثارها ﴾ وفي افغانستان كثير من الاثار القديمة الرائقة تدل على عظمة هذه المملكة في سالف الزمان · ويوجد في ولاية كابول خرائب هياكل بوذية قديمة عليها مسحة من اثر الفنون اليونانية مما يستدل منه على مرور اليونان الى الهند في هذه الطريق · وفي « غزنة » اثار الدولة العظيمة التي انشأها الامير الخراساني كما سيلي وبجانبها قبر السلطان محمود الذي يزوره كثيرون من الدراويش الى هذه الايام فيتلون عليه الصلاة ويذكرون العظمة الماضية · والناظر يرى بين الاثار الفخيمة القديمة وبين ما بجوارها من المساكن الحقيرة والاكواخ الصغيرة فرقاً يزيد الماضي عظمة ويجعل الحاضر صغيراً جداً بالقياس اليه · وتكاد تكون اكثر المنازل في كابول مبنية من الخشب خوفاً من الزلازل التي تكثر في تلك الجهات

﴿ تاريخها ﴾ جميع كبار الفاتحين من ايام تغلات فلاسر الاشوري واسكندر المكدوني ومن اتى بعدهما مروا بافغانستان لان وادي كابول هو الطريق العام الى الهند كما قدمنا · الا انهم لم يستطيعوا ان يخضعوا الافغانيين لان هولاء كانوا يعتصمون بجبالهم وبذلك حفظوا استقلالهم · ولم يخضعهم الا احد امراء خراسان وذلك في القرن العاشر

وقد حشد الامير في الايام الاخيرة جيوشاً كثيفة من القبائل على الحدود الانكليزية والحدود الروسية اتقاء الحوادث المستقبلة بعد ما رأى ان روسيا من جهة وحكومة الهند من جهة اخرى تحشدان الجند كل واحدة على حدودها

***

وقبل ختام الكلام عن افغانستان نتساءل سؤالاً لا بد منه وهو « اذا شبت نار الحرب بين روسيا وانكلترا على حدود الهند فمع اية دولة منها تكون افغانستان » . فنقول

يلوح لنا ان روسيا اذا ارادت دخول الهند فانما تدخلها لاستثارة سكانها على انكلترا من قبيل الايذاء فقط لا للاستيلاء على الهند نفسها اذ روسيا لا تحتاج الى اراضٍ للاستعمار وكفاها ما لديها من الاقطار الشاسعة التي تكاد لا تغيب الشمس عنها . وهي لم تحارب الافغانيين قط ولم تعتدِ عليهم يوماً بامر من الامور . فغير بعيد ان تضمن لهم استقلالهم اذا اذنوا لجيشها بالمرور الى الهند من جهة هرات وكابول

اما الانكليز فان خطة دفاعهم عن الهند تقضي عليهم بتوسيع حدودهم الشمالية التي من جهة الافغان دائماً وذلك لينشئوا الاستحكامات والحصون بعيداً عن الهند وهذا هو سبب حروبهم الدائمة مع قبائل الشترال والافريدس وطموحهم الى افغانستان . فغير بعيد ان يذكر الامير هذا المبدأ الذي اتخذوه قاعدة لسياستهم فضلاً عما ذاقه هو واجداده من مرارة حروبهم في الزمن الماضي فينضم الى الجيش الروسي ويحالفه عليهم . والله علام الغيوب

الصبر عشرة اقسام : الصبر عن شهوة البطن يسمى قناعة وضده الشره . والصبر عن شهوة الجسد يسمى عفة وضده الشبق . والصبر على المصيبة يسمى صبراً وضده الجزع والصبر على الغناء يسمى ضبط النفس وضده البطر . والصبر عند القتال يسمى الشجاعة وضده الجبن . والصبر عند الغضب يسمى حلماً وضده الحمق . والصبر عند النوائب يسمى سعة الصدر وضده الضجر . والصبر على حفظ السر يسمى الكتمان وضده الخرق . والصبر عن فضول المعيشة يسمى الزهد وضده الحرص . والصبر عند توقع الامور يسمى التؤدة وضده الطيش (القليوبي)

باب المقالات

السيارات وسكانها

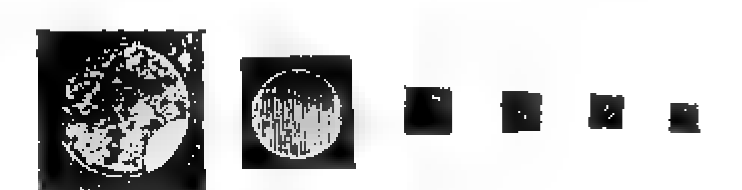
شيئان لا اجمل منهما · الواحد ينحصر في كلمة والواحد لا يحصره شيء · النظام الشمسي · عطارد · الزهرة · الارض · المريخ · المشتري · زحل · اورانوس · نبتون · هل هذه السيارات ماهولة · هل يجب ان يكون سكان النجوم مثلنا · تصور جميل

يوجد شيئان لا اجمل منهما في العالم وهما : الشريعة الادبية في باطن الانسان وقبة السماء فوق رأسه · اما الشريعة الادبية فيمكن حصرها في كلمة واحدة وهي : « اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك » · واما قبة السماء فلا يفي حقها من الوصف كلمة او كلمات فانها فضاء لا نهاية له تسبح فيه مئات ملايين ومليارات من الشموس والسيارات ونحن ساكنون في احد تلك العوالم نسبح معها وبيننا وبينها نظام يشبه نظام التضامن والتكافل كما قال المسيو بوانكاره

ولشدة بعدنا عن تلك العوالم لا نرى الا بعضها وما بقي فانه محجوب عنا وراء ستار الخفاء في هذه القبة الزرقاء ومن الاجرام التي نراها ما هو جزء من نظامنا الشمسي ومنها ما هو خارج عنه ولبيان ذلك نقول

يقول علماء الفلك ان الفضاء كان منذ ملايين لا تحصى من السنين خالياً من الاجرام الموجودة الآن وانما كان فيه السديم منتشراً والسديم الضباب الرقيق الذي تخالطه الغازات يفترض علماء الفلك وجوده لتعليل خلقة الاجرام اذ التولد الذاتي ممتنع ولا يمكن « في العلم » ان يخلق الشيء من لا شيء · فبتكرار الايام اخذ هذا السديم يدور على نفسه ويلتف بعضه حول بعض حتى تكاثف وانعقد حول نواة تجمعت منه ثم طرأت طوارئ على هذا المزيج فاخذ ينقطع اجساماً كما تنقطع نقطة زيت كبيرة ضربتها باصبعك في الماء ولكن لم تنفلت تلك الاجسام من النواة الاصلية كل التفلت بل بقيت حولها متعلقة بها بقوة ناموس الجاذبية · وهذه النواة الاصلية تدعى مركز النظام الفلكي وهي عبارة عن شمس ثابتة في وسط دائرة تدور حولها الاجرام التي تفلتت منها وتسمى السيارات لسيرها · وفي الفضاء

كثير من هذه النظامات الشمسية بعضها شموسه متقدة تشع اليه حرارتها المحيية وبعضها شموسه منطفئة لقدمها تدور حولها كواكبها في ظلام دائم ووحشة دائمة



رسوم ستة سيارات كما تظهر في المكبرات الاول وهو اصغرها في الرسم عطارد الثاني الارض الثالث المريخ • الرابع الزهرة الخامس نبتون السادس اورانوس

وشمسنا التي نراها في كل يوم هي احدى تلك الشموس وهي مركز نظامنا الشمسي وهذا النظام يشتمل على ٨ سيارات و٢٠ قمرًا تابعة لهذه السيارات و٤٠٠ نجم شبيهة بالسيارات • واهم هذه الاجرام السيارات الثمانية وهذه اسماؤُها • عطارد والزهرة والمريخ والمشتري واورانوس ونبتون وزحل وارضنا • كلها تدور حول الشمس الثابتة في الفضاء على ابعاد مختلفة منها • وقد وضعنا في هذه المقالة رسمها كما تظهر في النظارات المكبرة ورأَينا ان نقول كلمة في كل منها

عطارد

واول جرم من هذه السيارات انفصل عن النواة الاصلية هو نبتون لانه ابعدها عن مركز النظام اي الشمس ويليه في البعد اورانوس فزحل فالمشتري فالمريخ فالارض فالزهرة فعطارد وهذا الجرم هو اقربها الى الشمس لانه آخر جرم انفصل عنها • وهو يدور حولها على بعد ٣٥ مليون ميل ويُرى دائمًا بقرب الشمس احيانًا بعد الغروب قليلاً واحيانًا قبل الشروق قليلاً ويدور حولها في كل ٨٨ يومًا • وهو يستمد حرارة من الشمس اكثر منا بسبع مرات والثقل النوعي فيه نصف الثقل النوعي في ارضنا فالقنطار عندنا يكون فيه نصف قنطار سنته ٨٨ يومًا ويومه ٢٤ ساعة و٢١ دقيقة وفصله ٢٢ يومًا • وتظهر الشمس منه اكبر ٣ مرات مما تظهر من عندنا • وتُرى ارضنا منه نجمًا من الدرجة الاولى

ورصده صعب جدًّا لقربه من الشمس وحيلولة اشعتها دون ذلك فلا يعلم هل فيه ماء وهواء وارض مما يكون صالحًا لنمو الحياة ولكن عُلم من فعله بغيره من الاجرام ان كثافته اشد من كثافة الارض ومقدار مادته نحو نصف مقدار مادة الارض

الزهرة

هي عروس السيارات لانها اشدهن نورًا واكثرهن سطعانًا . وهي تبعد عن الشمس ٦٦ مليون ميل وتُرى بعد الغروب وصباحًا قبل الفجر . فيها بحور وجبال شامخة وسنتها ٢٣١ يومًا اي انها تتم دورتها السنوية حول الشمس في هذه المدة . ويومها ٢٣ ساعة و٢١ دقيقة و٢٢ ثانية . والشمس تظهر منها اكبر مرة ونصف مرة مما تظهر من عندنا وتُرى ارضنا منها نجمًا ساطعًا كما تظهر الزهرة لنا

الارض

وتلي الزهرة الارض في البعد عن الشمس ولا نظنك تحتاج الى وصف ما فيها

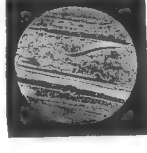
المريخ

معدل بعده عن الشمس ١٣٩ مليون ميل والثقل فيه اخف ٣ مرات من الثقل عندنا فالثلاثة ارطال عندنا رطل واحد عنده . وسنته ٦٦٨ يومًا ويومه ٢٤ ساعة و٣٩ دقيقة و٣٥ ثانية . وتظهر منه الشمس اصغر قليلاً مما تظهر لنا اما الارض فتظهر منه انها نجم من النجوم الصغيرة

وقد ثبت انه يوجد في المريخ بحار وانهار وجزائر وفي قطبيه بقعة بيضاء تضيق في الصيف وتتسع في الشتاء فاستنتج العلماء انها ثلج وهو الارجح . ومن مزايا المريخ ان العين المجردة تراه احمر اللون . وله قمران تابعان له كما يتبع قمرنا ارضنا اكتشفهما الدكتور آصف هال في سنة ١٨٧٧ وسماهما نوبوس وذيموس

المشتري

هو اكبر السيارات . حجمه اكبر من الارض بخمسة الآف و٣٠٠ مرة والثقل فيه نصف الثقل في الارض . سنته ١١ سنة من سنينا اي انه يقضي نحو اربعة الاف يوم في دورته حول الشمس ويومه ٩ ساعات و٥٥ دقيقة وتظهر منه الشمس اصغر مما تظهر لنا بخمس مرات اما الارض فتبان منه نجمًا صغيرًا جدًا وهو يبعد عن الشمس ٤٧٦ مليون ميل ويظهر بالتلسكوب انه محاط بالسحب



* المشتري *

وللمشتري اربعة اقمار تدور حوله وتكون كقمرنا تارة اهلة وطورًا بدورًا وهي تخسف في كل

دورة لان افلاكها مائلة على سطح فلك السيار . واسماء اقماره : الاول والثاني والثالث والرابع . ولا بدع ان يكون منظرها جميلاً فان الارض جميلة بقمر واحد فكيف المشتري باربعة اقمار . وفي المشتري ربيع دائم وذلك مما يزيد جماله جمالاً

زحل

سنته ٢٥٢١٧ يوماً اي يتم دورته حول الشمس في هذه المدة ويومه ١٠ ساعات و١٤ دقيقة وتُنظر الشمس منه اصغر ١٠ مرات مما تظهر لنا . اما الارض فانها لا تكاد تُرى منه . وهو اكبر منها بثمانمائة و٧٠ مرات ومسافة بعده عن الشمس ٨٧٦ مليون ميل

* زحل *

والغريب في هذا السيار انه محاط بحلقة نيرة . وهذه الحلقة مركبة في الحقيقة من ٣ حلقات متراكزة وعمقها كلها ١٣٨ ميلاً وقد رجحوا انها مؤلفة من اجرام صغيرة كاذناب المذنبات تدور حوله

ولزحل ٨ اقمار شديدة البعد عنا ولذلك لا نراها الا بنظارة مكبرة ولا نقدر على رصد عبورها وخسوفها واحتجابها كما نرصد اقمار المشتري . وهذه اسماؤها : ميماس انكيلاد تيتيس ديونه رها تيتان هيبريون يابت

ويُرى زحل بالمكبرات محاطاً بالغيوم وفيه بقع تكون تارة قاتمة وتارة لامعة

اورانوس

هو اكبر من الارض بخمسة وسبعين مرة سنته ٨٤ سنة من سنينا ويومه ١٢ ساعة وفصله ٢١ سنة . وهو يستمد من الشمس نوراً اخف من النور الذي تستمده ارضنا بثلاثمائة و٦٠ مرة . وتظهر منه الشمس اصغر مما تظهر لنا بتسع عشرة مرة . واما الارض فانها لا تظهر له فنحن نراه وهو لا يرانا

بعده عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميل وكان مجهولاً الى سنة ١٧٨١ فاكتشفه في ١٣ اذار من هذه السنة السير وليم هرشل الفلكي الشهير . وكان مجهولاً لدى القدماء . وله ٤ اقمار هذه اسماؤها : اريل وامبريل وتيتانيا واوبيرون

نبتون

تقدم لنا القول في الجزء الخامس عشر عن طريقة اكتشاف العالم لفريه هذا السيار فليراجعه القارئ هناك . وهو اكبر من ارضنا بخمسين مرة وابعد منا عن الشمس بثلاثين مرة ويستمد منها نورًا اخف من نورنا بتسعمائة مرة . سنته ١٦٥ سنة من سنينا ويومه ١١ ساعة وكل فصل من فصوله ٤١ سنة

وجوه غازي يختلف اختلافًا كثيرًا عن جو الارض . وله قمر واحد وهو ابعد سيارات النظام الشمسي ونجومه . وقد اكتشف في سنة ١٨٤٦ وبعده عن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميل

هل هذه السيارات ماهولة

هذه هي السيارات التي هي رفيقة ارضنا في الدوران حول الشمس مركز نظامنا الشمسي . ولكن هل هذه السيارات مأهولة ام غير ماهولة . هل نحن البشر منفردون على هذه الارض ام يوجد في الكواكب والنجوم الاخرى سكان غيرنا

اذا نظرنا الى هذه المسألة من الوجه العلمي لم يفدنا العلم افادة تذكر لان العلماء يبنون حكمهم فيها على القياس والاستنتاج . فيقولون ان الاجرام السموية ثلاثة اقسام . القسم الاول لا يزال بعد في الحالة النارية الغازية لحداثة عهده في الانفصال عن نواته الاصلية اي شمسه . والقسم الثاني بردت حرارته لقدمه بردًا متناهيًا في الشدة . والقسم الثالث وسط بين القسمين الاولين اي ان حرارته لا باردة ولا حامية . ويزعمون ان عطارد والزهرة في القسم الاول الذي لم يبرد بعد فلا حيَّ فيهما اذ هواؤهما غير ملائم للحياة . وقمر ارضنا من القسم الثاني كما اثبت المسيو لوي مدير مرصد باريز لان الحياة متعذرة فيه بسبب ذهاب حرارته لتقادم عهده . وارضنا هذه من القسم الثالث لملائمة هوائها للحياة . ويعبرون عن هذه الادوار الثلاثة بادوار « الطفولية والشيخوخة والشباب » فالزهرة وعطارد في الطفولية والقمر في الشيخوخة وارضنا في الشباب

وعلى هذا القياس تكون كل سيارة في دور الشباب مأهولة . ولذلك يرجحون ان المريخ الذي يلي ارضنا في بعده عن الشمس ماهول لانه مثلها في دور الشباب بدليل وقوعه في منتصف البعد بين طرفي النظام الشمسي اي طرف الحرارة القريب من الشمس في عطارد وطرف البرودة البعيد منها في نبتون . والذي جعل العلماء يرجحون هذا الراي كل الترجيح وجود السحب والضباب بكثرة في جوه

هل يجب ان يكون سكان النجوم مثلنا

والآن فاذا كانت النجوم ماهولة هل يجب ان يكون هولاء السكان مثلنا في الخلق والخلق . كلا . لان الاحياء تتكيف وتتغير طبقاً للوسط الذي تعيش فيه . وحسبنا دليلاً على ذلك تغير هيئات البشر في الارض واختلافهم خلقاً وخُلقاً مع انهم سكان جرم واحد . وقد ذهبت تصورات البشر في وصف سكان السيارات مذاهب شتى

منها انهم قالوا ان ثقل الجسم في المريخ اخف من ثقله في الارض ٣ مرات كما قدمنا فيقدر اذاً سكان المريخ لخفتهم ان يثبوا في الهواء الى علوٍ شاهق كما تثب الطيور . فيكون سكان هذا السيار قوماً وثابين وطيارين

وقال غيرهم ان الشقوق المستقيمة التي نُظرت في هذا السيار هي خلجان وترع مصنوعة صنعاً يدل على مهارة صناعها في علم الهندسة . ولذلك فكر بعضهم في ان يغرس في مساحة شاسعة في صحراء افريقيا اشجاراً من النخيل على اشكال هندسية ليراها سكان المريخ فيعلموا من شكلها الهندسي ان هذه الارض ماهولة فيخاطبونا بمثل هذه العلامات

وقد الف الكاتب فونتنل في سنة ١٧٥٠ كتاباً عنوانه « سياحة في السيار عطارد » قال فيه ان جميع سكان هذا السيار مجانين من شدة فعل حرارة الشمس فيهم لقربهم منها . وهم مخلوقات باجنحة يطيرون بها في الفضاء كالطيور وفي وجوههم لوائح الجنون وعدم الاكتراث . انظر الشكل هذا

* سكان عطارد *

وزعم فلكي الماني ان سكان المشتري واورانوس ونبتون ذوو اعين واسعة كبيرة وذلك لضعف حرارة الشمس في هذه السيارات . وطول اجسامهم ٥ امتار ويمتاز منهم سكان نبتون فان طول جسم الواحد منهم ٥٧ متراً . . . هكذا يزعم المسيو وولف الفلكي الالماني . ونرى في الشكل التالي رسم ٣ من سكان المشتري وبازائهم رجل مسكين من جنسنا نحن البشر الاقزام بالنسبة اليهم . وهم يضحكون منه ويسخرون من قصره وقبحه وقضيبه الذي بيده كانه اضحوكة عندهم

وغيره يتخيل ان سكان السيارات اشجار تسير وتنتقل فتاكل وتشرب وتسلم على بعضها

البعض بخفض اغصانها. وقد راق للكاتب برناردين دي سان بيير ان يقول عن سكان الزهرة انهم قوم مولعون بالرقص فلا ينفكون عنه وهم يصرفون اوقاتهم في رعاية مواشيهم في الجبال والوديان. والظاهر ان برناردين الفاضل كان يحب هذه المعيشة فصورها في الزهرة ليراها ان لم يكن بعيني راسه فبعين تصوره وبعد فانه من البديهي الطبيعي ان يتصور هولاء الكتاب والعلماء وجود سكان في الاجرام السموية . اذ من العبث والتجديف ان يقال ان العناية الالهية لم تضع الحياة الا



* سكان المشتري *

في هذه القبضة الترابية التي اتخذناها مسكناً لنا وابقت ملايين ومليارات الاجرام الاخرى السابحة مثلنا في الفضاء بلا حياة تؤنس وحشتها وتعمر خرابها . واذا كان ذلك كذلك ظهرت لنا حقيقة منزلتنا من الكائنات . فاننا لا نكون والحالة هذه ملوك الكائنات كما يسمينا الشعراء ولكنا نكون ذرات حية ضعيفة من الذرات الحية المنتشرة في الفضاء وجزءا صغيرا جدا من العالم الواسع الذي لا نهاية له . وحينئذٍ ينبغي ان نخفض من كبريائنا وغلوائنا ونعلم اننا لا شيء بازاء الاشياء الاخرى العظيمة التي في الفضاء فوقنا وتحتنا وامامنا وخلفنا. فننصرف عن التقاطع والانشقاق الى التواد والاتفاق رغبة في التعاون على تعمير هذه الارض التي ارسلنا عليها ومسح الدموع فيها مخافة ان يسبقنا اخواننا البشر في العوالم الاخرى فيكونوا اكثر رشداً واجزل نفعاً واقوم بواجباتهم منا

وهذه افكار تحاولجي التامل وان كانت من قبيل الاحلام والتصورات

طلب العلم لذاته * كم من ليالٍ احييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم . لا اعلم ما كان الباعث فيه . فان كان نيتك غرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك . وان كان قصدك فيه تهذيب اخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك

(من كتاب ايها الولد . للغزالي)

الحج والحجاج

الحج اعظم موسم في العالم . وقد يعجب الناس بالمعارض عندما تنشئها الدول حيناً بعد حين كمعرض باريز في هذا العام ولكن موسم الحج معرض عام يقام في الحجاز في كل سنة ويجتمع فيه كثير من عناصر الانسانية من جميع الاقطار للتآخي والقيام بواجب ديني

وقد اتم الحجاج الحج في هذا العام واخذوا في العودة الى اوطانهم في جهات الارض الاربع مسرورين بقيامهم بفريضتهم واذا بهم يقولون انه قد حدث في ينبع اربع اصابات مشتبه انها بالطاعون فقرر مجلس الصحة المصري اعتبار الحج ملوثاً بالوباء في هذا العام وضرب الحجر الصحي على الحجاج

وبهذه المناسبة نذكر في هذا الفصل شيئاً عن الحج والحجاج ومكة المكرمة معتمدين في القسم الاول من الكلام على مؤلف اوربي وفي القسم الثاني على مؤلف عربي . فنقول

❋ مكة المكرمة ❋

مكة هي البلد الحرام وتسمى ايضاً ام الكورة والبلد الامين والمشرفة . ويقال فيها ايضاً بكة بالباء على البدل وقيل بالباء البيت وبالميم ما حوله وقيل بالباء بطن مكة . وهي مهد الديانة الاسلامية واقعة في قسم الحجاز الجنوبي ومرفأها جده على البحر الاحمر ومسافة البعد بينهما ٨٠ كيلو متراً

ومكة غير مسوَّرة ولكنها محمية بثلاث قلاع قوية . وهي ممتدة في وادٍ قاحل على مسافة ٢٥٠٠ متر طولاً و٥٠٠ او ١٠٠٠ متر عرضاً تحيط بها من كل الجهات جبال وآكام جرداء علوها من ٨٠ الى ٢٥٠ متراً . والحرُّ بها شديد تكاد تزهق الارواح منه ولكن هواءها جاف وتربتها ناشفة وهذا مما يكون باعثاً على عدم استفحال جراثيم الامراض والاوبئة فيها . ولكن قد يقع فيها في بعض السنين مطر غزير ينساب في ذلك الوادي فيحدث ضرراً عظيماً في ابنية المدينة . وماء مكة يردها من جبال في شرقيها بواسطة قناة بنتها زبيدة زوجة هرون الرشيد . وطول هذه القناة ٤٠ كيلومتراً

ولم تتغير هيئة المدينة كثيراً منذ ظهور الاسلام . ولكنها ازدادت ترتيباً ونظاماً منذ توطدت فيها سلطة الدولة العثمانية . وهي الآن ولاية من ولايات الدولة يحكمها والٍ عثماني وامير عربي . واسم الامير اليوم دولتلو الشريف رفيق باشا عون الذي ترى رسمه في هذه المقالة



﴿ الامير رفيق باشا عون ﴾
شريف مكة الحالي

اما اهم الاماكن الدينية في مكة فانا ننقل وصفها عن كاتب عربي · (١)

﴿ المسجد الحرام ﴾

صحنه كبير واسع ذرعه طولاً اربعمائة ذراع واربعة اذرع وذرعه عرضاً ثلثمائة ذراع واربعة اذرع وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض عددها في طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن ٥٠ عموداً وفي عرضه ٣٠ عموداً بين كل عمودين مثل ١٠ اذرع وجملة عمد المسجد ٤٣٤

(١) منقول حرفياً ولكن باختصار من كتاب « العقد الفريد » للامام شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسي المالكي

عموداً طول كل عمود منها ١٠ اذرع ودوره ٣ اذرع · والمذهبة من رؤوس العمد ٣٢٠ رأساً وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء وابوابه على عمد رخام بين الاربعة الى الثلاثة الى الاثنين وهي ٢٣ باباً لاغلق عليها يصعد عليها في عدة من درج

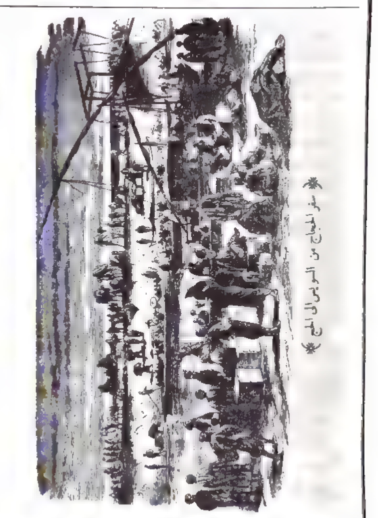
﴿ الكعبة ﴾

والبيت الحرام بوسط المسجد كان ارتفاعه في عهد ابرهيم عليه السلام فيما يقال والله اعلم ٩ اذرع وطوله في الارض ٣٠ ذراعاً وعرضه ٢٢ ذراعاً وكان له ثلاثة سقوف ثم بنته قريش في



﴿ الكعبة ﴾

الجاهلية فاقتصرت على قواعد ابرهيم ورفعته ١٨ ذراعاً ونقصت من طوله في الارض ٦ اذرع وشبراً · وحول البيت كله الا موضع الركن الاسود درجة مجصصة يكون ارتفاعها عظم



﴿ سفر الحجاج من السويس الى الحج ﴾

الذراع في عرض مثله وقاية للبيت من السيل · وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الارض طوله ٦ اذرع و١٠ اصابع وعرضه ٣ اذرع و١٨ اصبعاً · والباب من ساج غلظ كل باب ٣ اصابع ظاهرها ملبس بالذهب وباطنها بالفضة في كل باب ٦ عوارض ولما عروتان يُضرب فيها قفل من ذهب وحواجبه كلها مذهبة وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة

والبابان من ورائها والعتبة السفلى مستورة بالديباج الى الارض وبين الركن الاسود والباب ٥ اذرع او نحوها وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس . والحجر الاسود على راس صخرتين من وجه الارض قد نحت من الصخر مقدار ما ادخل فيه الحجر واشفت الصخرة الثالثة عليها مثل اصبعين . والحجر املس تجزع حالك السواد في قدر الكف الحنية قد لزمن جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفي جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظاية منه شظيت فجبرت بها . وصخر الركن الاسود احرش اكبر من صخرنا قليلاً والبيت سقفان سقف دون سقف وفيها ٤ روازن ينفذ بعضها الى بعض الضوء والبيت كله مستور الا الركن الاسود فان الاستار تفرج عنه مثل القامة ونصف واذا دنا وقت الموسم كسي القباطي وهو ديباج ابيض خراساني فيكون بتلك الكسوة ما كان الناس محرمين فاذا حل الناس وذلك يوم النحر حل البيت فكسي الديباج الاحمر الخراساني وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه فيكون كذلك الى العام القابل . ثم يكسى ايضاً على حال ما وصفت فاذا كثرت الكسوة يخشى على البيت من ثقلها خفف منها فاخذ ذلك سدنة البيت وهم بني شيبة . وذكر بعض المصريين انه حضر كشف البيت سنة ٦٥ فرأى ملاطه الزعفران والورس بان . وذكر ايضاً عن بعض المكيين حديث يرفعونه الى مشايخهم انهم نظروا الى الحجر الاسود اذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ٣ اذرع وهو ناصع البياض في ما ذكروا الا وجهه الظاهر واسوداده فيما ذكر والله اعلم لاستلام الجاهلية اياه ولطخه بالدم . والمقام بشرقي البيت على ٢٧ ذراعاً منه وجه المصلى خلفه مستقبل البيت الى الغرب والركن العراقي على يمينه والباب والركن الاسود على يساره . وهو فيما ذكر من رآه حجر غير مربوع يكون ذراعاً في ذراع وفيه اثر قدم ابرهيم عليه السلام وطول القدم مثل عظم الذراع . والحجر موضوع على منبر لئلا يمر به السيل فاذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الايدي . وحمام المسجد كثير انيس يكاد الانسان يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو في لون حمام الابرجة عندنا الا انه اقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه . ولقد همني ذلك فرأيتها حين تكاد ان تحاذي البيت وهي مستعلية في طيرانها ذلك غطست حتى تصير دونه واخذت عن يمينه او يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد الا بيت الله الحرام فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر

﴿ المسجد النبوي ﴾

بلاطاته في قبلته معترضة من الشرق الى الغرب في كل صف من صفوف عمدها ١٧

عموداً ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة والعمد التي في البلاطات القبلية بيض مجصصة شاطئة جداً وماثر عمد المسجد رخام . والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة و رؤوسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ثم السماوات على النجف . وهي ايضاً منقشة مذهبة

﴿ قبو المحراب ﴾

وفيه دارات بعضها مذهبة و بعضها خمرية وسود وتحت القبو صفة ذهب منقشة تحتها صفائح ذهب مثمنة فيهـا جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتهـا الى الارض ازار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الاول عند قيامه من السجود فيما ذكر والله اعلم

﴿ المقصورة ﴾

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الامام ويخرج وعن يساره باب صغير مشارج قد سد بعوارض من حديد و بين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف

من السور الغربي لاصقة بالباب الى الفصل اللاصق بالسور الشرقي ومن هذا الفصل يصعد الى ظهر المسجد وهي قد مختصرة العمل لها شرافات واربعة ابواب وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سرب في الارض يهبط فيه على درج يفضي منها الى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه

﴿ المنبر ﴾

المنبر عن يمين المحراب في اول البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة من الرخام محجوز حولها به وله درج ومجر في اعلاه لوح لئلا يجلس احد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن

﴿ القبر النبوي ﴾

بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي مما يلي الصحن بينه و بين السور الشرقي مثل ١٠ اذرع . قد حظر حوله بحائط بينه و بين السقف مثل ٣ اذرع وله ٦ اركان وليس بازار رخام اكثر من قامة وما فوق القامة مخلق بالخلوق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة . وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا يمشى عليه وخبايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الاربع الى مناكب العمد بخشب منقش . وللمسجد ٣ منارات اثنتان للجنوب وواحدة للمشرق .

وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء اولها وآخرها وله ١٨ باباً عتبها مذهبة وهي ابواب عظيمة لاغلق عليها ٤ منها في الجنوب و٧ في الشرق و٧ في الغرب . وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذان وكذلك الشرافات فينبغي للداخل في المسجد ان يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ثم ياتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يلصق بالقبر فانه من فعل الجهال وقد كره ذلك فاذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا بما امكنه

وقد زار كثيرون من الكتاب الاوربيين مكة وهم متزيون بازياء حجاج المسلمين وغرضهم من ذلك مشاهدة المدينة العظمى التي هي كعبة الاسلام . منهم بريتما الايطالي زارها في سنة ١٥٠٨ وباديا الاسباني وقد تسمى علي بك وروش الفرنسوي وبورتون الانكليزي وهوركرونج الهولاندي زارها في سنة ١٨٨٥ واقام فيها ٦ شهور . وكلهم كتبوا بعد عودتهم منها كتباً يصفون فيها مكة والاسلام والمسلمين

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

﴿ المعرض ﴾

وظلت اليبون طائرة في الفضاء ما بين الارض والسماء حتى اصبحت فوق بحر المانش فوقفت فوق هذا البحر تشاهد منه الشواطىء الانكليزية والفرنسوية

وكان الوقت منتصف الليل والهدوء سائداً على سطح البحر لا يكدره الا مخر البواخر التجارية والسفن الحربية في مياه الشاطئين . الاولى تمر كالبرق الخاطف تنقل الثروة للامم وتمزج القارات بعضها ببعض والثانية تتبختر في تلك الشواطىء كانها حراس تحرس جانبيها . وفي الحقيقة انها حراس كما لا يخفى

فتنفست اليبون الصعداء وقالت : متى يعود البشر الى رشدهم فيجعلوا هذه السفن الحربية سفناً تجارية

وفيما هي تنتقل فوق بحر المانش اخذت تسمع من جهات الشواطىء الفرنسوية اصواتاً غريبة . فوثبت في الهواء وثبتين فاصبحت فوق « كاله » ولكنها بقيت تسمع تلك الاصوات الغريبة . فهبطت الى الارض على الشاطىء . فاول ما حطت قدمها على الارض الفرنسوية

سمعت بجاراً يقول لرفيقه — : « الا تسافر غداً لمشاهدة افتتاح المعرض »

وكان ذلك المساء مساء ١٤ افريل فصاحت الييون في نفسها : فيجاً لذاكرتي ما اقصرها. يفتتحون المعرض غداً وانا هنا مشغولة عنه . عرفت الآن سبب تلك الاصوات. انها اصوات معاول العملة ومطارقهم تجدُّ في عملها لاعداد المعرض غداً اذ يقال انه غير مستعد تمام الاستعداد. انها اصوات المطارق التي ضُربت في الايام الماضية يتردد صداها على مسامعنا الى الآن. انها نداء السلم تخرجه في اواخر هذا القرن لاستقبال القرن القادم فنون قرون كثيرة مجتمعة في بقعة واحدة. وهذا النداء يجب ان يصغي اليه كل ذي قلب شريف فهلم لتصغي اليه »

قالت ذلك واطلقت اجنحتها في الفضاء تقصد باريز العظمى

ولكن الييون ابطأت في الطريق الى باريز اذ صرفت مدة من الوقت في مشاهدة البلاد التي كانت تمر فوقها في هدوء ذلك الليل فبلغت باريز في الصباح والشمس تشرق عليها من وراء الافق وتفنض عليها اشعتها الذهبية . فابصرت من علوها الشاهق منظراً مدهشاً لا يراه الانسان مرتين في حياته

رأت باريز لابسة حلة العيد وسماؤها التي كانت غائمة في ١٣ افريل هي الآن صافية كمرآة الغريبة . وناسها في هرج ومرج ومنازلها مزينة بالرايات وشوارعها غاصة بالوجوه المبتسمة الطافحة حبوراً وبشراً بعد الوجوه التي جعلتها حادثة دريفوس تطفح سخطاً وانقباضاً . وسط ذلك معرضها العظيم يتيه عجباً بما فيه من بدائع المصنوعات ونفائس الامور . كنوز كانت مبعثرة على سطح الارض في الشرق والغرب فجمعتها يد الانسانية في بقعة واحدة

فهبطت الييون . وكان هبوطها على قسم وطنها الترانسفال القائم بجانب القسم المصري واخذت تتأمل ابناء وطنها بحزن وسرور. وفيما هي تسرح الطرف لاحت منها التفاتة فابصرت على غير توقع رفيقتيها فالي واوربي فصاحت بنفسها ما جاء بهما الى هنا . ثم هرعت اليهما واظهرت نفسها لهما . فقالت فالي واوربي بعد التسليم عليها كنا نتوقع ان نراك هنا . قالت لماذا وما الذي جاء بكما مع انكما مبعوثتان احداكما الى ساحة القتال والثانية الى عواصم العالم

فقالت فالي « اي قتال واي عالم يا اختي. لم يبقَ الآن في العالم قتال ولم يبق عالم غير هذا العالم. انظري فوقك هذه البالونات الصغيرة والكبيرة والوسط التي تهبط في ساحات

المعرض كأنها طيور تقع عليه. هذه سفن تحمل ابناء الانسانية من الجهات الاربع ليتآخوا هنا في آخر القرن التاسع عشر ويتعاهدوا ان يكونوا في القرن العشرين أكثر اعتدالاً ورشادًا. الزارع ترك زراعته والتاجر تجارته والصانع صناعته والكاتب كتابته والامير امارته والجندي ساحته والفقير شحاذته — وكلهم لبوا دعوة الانسانية الى ساحة الانسانية. قصدتُ الترانسفال الى حيث ارسلتُ فقيل لي ان انفاس الحرب الجهنمية قد خمدت امام انفاس المعرض السلمية فركب اللورد روبرتس مع الرئيس كروجر مركبة هوائية قاصدين المعرض. كهرو قاًر ضمهما مكان واحد. ثم تبعهما الجنود الانكليز والبوير في مركبات هوائية ايضاً ليعيدوا هنا عيد السلم ثم يعودوا الى الحرب. فلحقت بهم لاعيد معهم واعود معهم. وكذلك رفيقتنا اوروبي فانها طافت في عواصم اوربا كلها فوجدتها قاعاً صفصفاً لان الملوك والحكام والسكان نسلوا الى المعرض من كل حدب وصوب. هذا هو سبب وجودنا هنا»

فقالت البيون وهل لم يفتحوا المعرض بعد فقالت فالي يفتحه رئيس الجمهورية بعد ظهر اليوم ونحن ننتظره. فقالت البيون باسمة ولماذا ننتظره هيا بنا نذهب اليه ونعود معه في مركبته

فضحكت فالي واوربي ولكن البيون جرأتها مقابلتها للملكة فيكتوريا على مقابلات الملوك فاقنعتها بمرافقتها لمشاهدة باريز ثم يعدن مع رئيس الجمهورية

فاطلقن اجنحتهن البيضاء للريح وحلقن في الجو فوق باريز العظمى واخذن من ذلك العلو الشاهق يشاهدن عاصمة العالم. فلبثن مبهوتات لدى ذلك المنظر الفخيم. ثم تنفسن الصعداء معاً وقالت البيون ليقل كل منكن يا اختيَّ كلمة في مدح هذه المدينة العظمى

فسكتت اوربي وفالي هنيهة ثم قالت فالي ملتفتة الى باريز ومشيرة اليها

« سلام يا عاصمة اللطف والظرف في العالم. سلام يا قلب الانسانية الذي يخفق لكل الاعمال العظيمة والعواطف الكريمة. نساؤك الطف النساء وازياؤك اظرف الازياء وذوقك احسن الاذواق. فنونك الجميلة امتازت عن جميع الفنون وملاعبك عن جميع الملاعب وصناعة الادب فيك ارقى منها في جميع اقطار العالم»

وقالت اوروبي « سلام يا واهبة الحرية للعالم. كم قد تقدمتِ دول الارض في الاراء الحرة والاعمال الجيدة. كم حررتِ امماً وشعوباً وهدمتِ بفأس الحرية معالم العبودية.

جنودك الفاتحة كانت تتراوح بين عواصم اوربا تراوح المتنزهين . جمهوريتك رفعت منذ مائة سنة في الارض منار الحرية فاستضاء به جميع الشعوب . وهي الآن ترفع منار السلم في اول القرن العشرين ليكسف نوره لهيب نار الحرب الجائرة المتقدة في افريقيا الجنوبية »

وقالت اليون « سلام يا ارض غاليا الجيدة . سلام ايتها الارض التي انبتت هنري الرابع ولويس الرابع عشر و بونابرت وميرابو وهوش وتيرس و باستور وجول سيمون و رنان و برتلو وفيكتور هيغو وميشيله . يزعم خصومك انك آخذة في الانحطاط وما دروا انك الآن تستريحين من جهادك الماضي في سبيل الحق والحرية كما يستريح العامل بعد عمله . وهذا المعرض حد راحتك . فانك بعده ستبدئين بالعمل والوثوب الى الامام لتحتلي مقامك الذي كنت فيه . فاسرعي اليه يا ام باستور ونابوليون اي يا ام الخير والقوة . انك لو كنت فيه لما اجترأ ماليو الانكليز على اثارة الحرب علينا نحن الضعفاء اذ كم من مرة رددت الاقوياء عن الضعفاء . ففي احتلالك مقامك الماضي فائدة لجميع العالم »

هكذا تكلمت الرفيقات الثلاث . وما زلن يتنزهن في الفضاء فوق قمة برج ايفل و باريز منبسطة تحتهن بجمالها الباهر حتى سمعن اصوات مدافع . فصاحت فالي ما هذا فمدت اوربي بصرها الى قصر الرئاسة ثم قالت قد خرج الرئيس من قصره قاصداً افتتاح المعرض

فوثبت اليون في الفضاء هبوطاً قائلة لرفيقتيها اتبعاني ولا تجبنا فتبعتاها وما زلن طائرات حتى اصبحن فوق مركبة الرئاسة

وكان في الشوارع منظر من اجمل المناظر البشرية . فان الجنود كانت مصطفة على خط مستقيم في الشارع ووراءها الشعب كانه البحر المائج من الزحام وهو يهتف للرئيس والرئيس يرد التحية باحناء راسه باسماً كأب يبسم لابنائه . وفي خلال ذلك تدوي اصوات المدافع من قلاع باريز مؤذنة بافتتاح المعرض افتتاحاً رسمياً

فهبطت اليون ورفيقتاها حتى اصبحت على علو عشرة امتار من مركبة الرئيس فقط . فرفع الرئيس راسه ليرى ما هذا الحفيف الذي سمعه في الفضاء فاجفلت البنات الثلاث وهممن بالفرار . ولكنهن ذكرن انهن ارواح ترى ولا تُرى فسكنت خواطرهن . وزاد سكونها حينما ابصرن الرئيس قد ترك النظر الى فوق لانه لم يرَ شيئاً

فقالت اليون اتبعاني على مهل ثم جمعت نفسها في الفضاء وتحفزت ونزلت معها بتأنٍ

كثير الى مركبة الرئيس كحمامات تنزل على غصن من الاغصان

وكان تزولهن الى يمين الرئيس لان رئيس الوزارة كان جالساً الى يساره فلم يشعر الرئيس بشيء . ولكن خيل المركبة ازدادت شدّاً لجر المركبة كانها شعرت بزيادة الثقل فيها

وما وقفن على جانب المركبة حتى فتحت فالي فمها لتتكلم فاسرعت البيون واشارت اليها بالسكوت لئلا يسمعها الرئيس . فسكتت

ولكن من حين تزولهن الى المركبة انشرح صدر الرئيس من غير ان يعلم السبب . فازداد ابتساماً للشعب وزاد به السرور حتى قال لرئيس الوزارة : لا اعلم ايها الرئيس لماذا انا مسرور هذا السرور في هذا اليوم كأن ارواحاً سماوية اتتنا اليوم بسرور من العالم الثاني

فنظر الفتيات بعضهن الى بعض واخذن يضحكن بسكوت وهدوء . ثم اردف الرئيس بقوله . ولكن ينقص سروري شيء واحد . فقال المسيو والدك روسو وما هو يا حضرة الرئيس . فقال المسيو لوبه . انني اليوم اكلل بيدي هامة القرن التاسع عشر وافتح باب السلم للقرن العشرين فكم يكمل سروري لو كنت قادراً ان اقفل باب الحرب ايضاً في افريقيا الجنوبية . فابتسم المسيو والدك روسو وقال اظن حضرة الرئيس يعرف طريقة لاقفال هذا الباب . فضحك المسيو لوبه وقال اما تلك الطريقة فدعنا منها ايها الرئيس لانك تعلم مثلي اننا لا نقدر عليها وعلى المعرض في وقت واحد فضلاً عن اننا نخبئها لغير من تعني

فطارت نفوس الفتيات الثلاث فرحاً وحزناً . فرحاً في اول كلام الرئيس وحزناً في آخره . ثم التفتت فالي الى رفيقتها اوريبو وهمست قائلة بحزن : عرفت راي المسيو لوبه فانت في غنى عن زيارته بعد الآن

وظل الموكب سائراً بذلك الاحتفال والجلال حتى دخل الى باب المعرض الفخيم . فهبت على رجال الموكب نسيم ذلك المكان السلمي فدخلوه مسرورين مبتهجين

وكانت الجنود صفوفاً صفوفاً خارج المعرض وداخله لتحية رئيس الجمهورية والوزراء . والشمس في قبة السماء كانها برزت خاصة في ذلك اليوم لتعيد عيد السلم مع المعيدين

وكانت ساعتئذٍ قاعة الافتتاح التي يسمونها « قاعة الاعياد » غاصة بسفراء الدول ووكلاء اقسام المعرض واعضاء مجلس الشيوخ والنواب وكبار الموظفين والمدعوين وعددهم

كلهم نحو ١٠ الاف شخص · ولا غرابة في ذلك فان تلك القاعة تسع ١٤ الف نسمة

فلما وطأ المسيو لوبه عتبتها صدحت الموسيق بالسلام الفرنسوي وساد سكوت مهيب فدخل الرئيس بساطته المعروفة يتلوه الوزراء والكبراء فجلس في صدر منبر الرئاسة

وكان منبر السيدات بازاء هذا المنبر زاهياً زاهراً بظريفات الباريزيات وهن بحللهن الربيعية الجميلة ينثرن الجمال والبهاء على تلك الحفلة العظيمة

فانتظرت الفتيات الثلاث حتى دخل الرئيس واستوى في مكانه فدخلن خلسةً وانضممن الى منبره — دون ان يراهن احد · وكن مدهوشات من ذلك المنظر الفخيم منتظرات بصبر فارغ ما عسى ان يحدث في ذلك المكان

وما سكتت المارساليز حتى رأين رجلاً قد نهض واقفاً من بين الوزراء وبيده ورقة واخذ يتلو خطاباً · فسألت اليبون من هذا فقالت فالي هذا يا اختي وزير التجارة يسلم الآن المعرض الى رئيس الجمهورية لينتحه اسمعي لنرى ما يقول · فقالت اليبون من سوء حظي انني لا افهم الفرنسوية جيداً · فقالت فالي اسمعي الآن وبعدها نرى

ولكن ما لفظ الخطيب بضع كلمات حتى علا التصفيق الشديد من كل جانب · ذلك ان المسيو ميلران من ابلغ خطباء فرنسا واقوام عارضة فكان سامعوه يقطعون كلامه كل عشر ثوانٍ بتصفيق شديد · وقبل الفراغ من خطابه هتف الوف الحاضرين هتافاً شديداً ثم لما اتى على آخر كلامه لم تبقَ يد الا وصفقت ولا لسان الا وهتف « احسنت احسنت » فلبثت الفتيات مدهوشات مبهوتات · وسالت اليبون فالي ماذا قال هذا الوزير يا اختي حتى استحق كل هذا الاستحسان فقالت فالي

« هذا الوزير هو المسيو ميلران من زعماء الاشتراكيين يا اختي · اصبح وزيراً وهو اشتراكي لان فرنسا تسبق العالم دائماً في تقدم الافكار الحرة · وقد قال هذا الاشتراكي كلمة ثناء على القيصر لعقد مؤتمر السلم في لاهاي فاحدث مدحه القيصر وهو اشتراكي والقيصر ملك مطلق تاثيراً شديداً كما رأيتِ · اما هتاف الحاضرين له في نهاية خطابه فسببه ختامه البديع · فانه بعد ذكره ببلاغته الاعتيادية عجائب الاختراعات واظهاره تقدم الانسانية فيما يختص بالتضامن البشري من حماية الشيخوخة وازالة الجهل والشقاء من هذا العالم قال في الختام

« وكلما ازدادت الصلات الدولية بزيادة الحاجات وسهولة المبادلات ازداد املنا في الوصول الى يوم لا يكون فيه بين الامم من تنازع الا في سبيل

الجد والعمل

« فسقياً لك ايها العمل المقدس . يامحرر الانسان ومشرفه ومعزيه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تحرر الانسانية من نير العبودية والظلام وترتقي في الافاق العلوية المنيرة الهادئة التي لابد ان تبلغها الانسانية يوماً من الايام »

وكانت فالي تترجم هذا الكلام لاليبون والقاعه تموج كالبحر الزاخر واصوات الهتاف تعلو من كل جانب . فالتفتت الفتيات فرأين الرئيس لوبه واقفاً ليلقي خطابه والحاضرون يهتفون له هتاف الاكرام والتجلة

فانتظر الرئيس حتى خف هتافهم له ثم اخذ يتلو خطابه (١)

فكان التصفيق شديداً والتحمس عظيماً . وفي ختامه هتف له الوف الحاضرين من فم واحد هتافاً استمر وقتاً طويلاً

اما اوروبي فالتفتت الى فالي وسالتها ماذا اراد الرئيس يا اختي بقوله في خطابه « ان هذا القرن

---

(١) هذه خلاصة الخطبة التي القاها المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية حين افتتاحه المعرض

« لم تقصد فرنسا بهذا المعرض عرض غرائب المصنوعات فقط ولكنها تقصد ايضاً غرضاً اسمى . وهذا الغرض هو اكرام ام الارض على جيد اتقانها وثباتها (تصفيق) . وهي مقتنعة بانها بالمعرض تعمل عملاً مفيداً للانسانية في آخر هذا القرن الجيد الذي تغلب على الضلال وعواطف البغض تغلباً غير تام والذي مع ذلك يورثنا الامل الشديد بالتقدم والارتقاء (تصفيق)

على ان الشعوب مع تنازعها نزاعاً شديداً فيما يختص بالامور الصناعية والتجارية والاقتصادية تشترك معاً اشتراكاً كلياً في تخفيف المصائب والآلام وزيادة المساعدات الخيرية العمومية وتعميم التعليم وتهذيب العمال والعاملين ومساعدة الشيوخ في شيخوختهم (تصفيق)

فانا ابعث من هنا سلامي الى حكومات هؤلاء الشعوب (تصفيق) وارحب بمندوبيها عندنا الذين يُنسب اليهم قسم عظيم من نجاح المعرض (تصفيق)

وانا اعتقد ان هذا الملتقى السلمي لا يحدث عبثاً . فان القرن العشرين سيشهد تخفيف الشقاء على انواعه وتشتد فيه عواطف الاخاء بين البشر (تصفيق) ورويداً رويداً يزيد العمل ثروة والانسان اقتراباً من الانسانية (تصفيق)

والآن فانني على هذا الامل اعلن افتتاح المعرض (تصفيق هائل وهتاف عظيم)

تغلب على الضلال والبغضاء تغلباً غير تام » فقالت فالي باصحة هذا يطول شرحه يا اختي . ومعناه باختصار ان الذين يبغضون ويصرون على الضلال وان عرفوه لم يتلاشوا من وجه الارض بعد ولكن قلّ عددهم بالقياس الى الازمنة الماضية . خذي مثالاً لذلك المسيو لوبه وخصومه في فرنسا فانهم هم يبغضونه ولكنه هو لا يبغضهم فالانسانية هنا تغلبت على البغض ولكن تغلباً غير تام . وهذا معنى المسيو لوبه

فقالت اليبون الحق اقوله لكما يا اختيّ انني قد احببت المسيو لوبه . فانه في بساطته يشبه رئيسنا كروجر . وقد ظلمه خصومه باضطهادهم اياه في السنة الماضية . ولكن حسبه رئاسة هذه الحفلة تعزية عن كل ما لقيه من الاساءة في الزمن الماضي . فانه اصبح الآن عراباً « للقرن العشرين » واصبح القرن العشرون فليوناً له . الا يشتري الانسان هذا الشرف العظيم بضربة عصا خفيفة على راسه من يد رجل قليل الادب (١)

ثم خرج المدعوون من قاعة الاحتفال الى قاعة الاستقبال . وبعد ذلك ركب الرئيس البواخر معهم ومخروا بين اقسام المعرض في مياه نهر السين عائدين كل في سبيله . وذلك لانتهاء الاحتفال

فقالت اليبون قد انتهى افتتاح المعرض فهل تحسبين يا اختي ان اصحابنا يعودون الى اماكنهم . فقالت فالي . انني ارى المركبات الهوائية قد اخذت بالصعود وفي اعتقادي ان الذي يطلب منهم اعمال سريعة لا بد من عودتهم الى اعمالهم بعد الاحتفال . اما الذين لا عمل لهم فانهم يبقون هنا ويأتي غيرهم كثيرون من جميع اقطار العالم

ولم تأت فالي على كلامها حتى صعدت من ساحة المعرض الوف من المركبات الهوائية وعليها اعلام انكليزية وترانسفالية وعلامات ملكية . فقالت اليبون . انظرا هذه هي الجنود الانكليزية والبويرية عائدة بعد حضور افتتاح المعرض الى مراكزها الاولى فهلم معي يا اختي فالي لنلحق بها . وتلك هي مركبات الملوك العائدين الى عواصمهم فالحقي بهم يا اوربي قياماً بهمتك

فودعتها اوروبي ولحقت بمركبات الملوك التي طارت بركابها نحو العواصم الاوربية . واما فالي واليبون فلحقتا بمركبات الجنود الانكليزية والترانسفالية . وقبل ان تغيب

(١) اشارة الى ضرب رجل من رجال الحزب الملكي المسيو لوبه بعصاه في سباق اوتيل في السنة الماضية ابان حادثة دريفوس

عنها باريز التفتت اليبون من ذلك العلو الشاهق وقالت · حقاً يا اختي ان من يخرج من هذه المدينــة يبقى مسحوراً فانه يخرج وقلبه عندها · فقالت فالي وهل شعرتِ بمثل ذلك حين خروجك من لندرا فقالت اليبون « لندرا يا اختي هي بلد الحديد والفحم والمعامل والبواخر والاسلاك والخطوط الحديدية · لندرا بلاد العمل والنشاط والاجتهاد · ولكن باريز بلاد اللطف والظرف والكيــاسة وحسن الذوق · الاولى عقل يفتكر ويعمل دائماً · والثانية قلب رقيق الاحساس يحس دائماً · ولست اقول ان القلب انفع او اعظم من العقل · ولكني اقول ان القلب اكثر استمالة واشد تاثيراً · وكذلك باريز اللطيفة بازاء لندرا العظيمة

ثم سكتت اليبون وبهتت وبعد هنيهة قالت · ولكن الحق اقول لك يا اختي ان اكواخ بريتوريا وبلونفونتين لهي احب اليَّ من قصور باريز اللطيفة ولندرا العظيمة · ولو كانت لي هذه القصور التي شاهدناها الآن لفديت بهــا تلك الاكواخ التي يهجم جيش اللورد روبرتس للاستيلاء عليها غداً

فقالت فالي · نعم حب الوطن حب الوطن ما احلاك يا حب الوطن

ثم ظلتا تابعتين مركبات الانكليز والبوير الى ساحة القتال (ستأتي البقية)

باب تدبير الصحة

البيرة

البيرة او الجعة هي الشراب الروحي الوحيد الذي يحلله الاطباء · وهم يذكرون لها خواصاً في غاية الاهمية · فيقولون ان البيرة شراب مرطب ولذيذ معاً · وهي تتضمن كثيراً من الفوصفات والمواد المعدنية فتفيد الصحة افادة تذكر · ويقولون انها خفيفة جداً على المعدة حتى ان المعد التي لاتستطيع هضم اللبن تستطيع هضمها · ومن صفاتها انها تنفع جداً فقراء الدم وللمصابين بالتدرن الرئوي وعسر الهضم وربما شفت بعضاً منهم شفاء عجيباً · وهي تعيد القابلية وترجع الى الانسان قواه وتسمن الاجسام النحيفة بما فيها من السكر والمادة النشوية والكحول وتسكن الجهاز العصبي بما فيها من اللوبولين

وهي لا تصنع من الشعير فقط بل تصنع من جميع الحبوب كالارز والذره والقمح

وغيرها وكانت معروفة عند قدماء اليونان فكان ايبوقراط وارسطو يصفانها دائماً . ولكنها لم تدع يومئذٍ جعة ولكن « شراب او نبيذ الحبوب » وفي التقاليد المصرية القديمة ان الاله اوزريس كان يشرب منها وهذا يدل على عظم قدميتها

ولكن اذا كان للجعة المنافع التي مرَّت فلها مضار . ومضارها ليست في ذاتها ولكن في استعمالها وتركيبها . فاذا شربت منها شرباً معتدلاً وكانت خالصة غير مغشوشة استفدت منها لا محالة . وانما يغشونها في الاكثر بمزجها بالكحول قصد تسفيرها لئلا تفسد على الطريق . فالطريقة الوحيدة لصنع البيرة خالصة مفيدة هي انشاء معامل لها خصوصية في البلاد التي تستعمل فيها ومراقبة هذه المعامل لئلا تمزجها بشيء من المواد المضرة

وكل القراء يعلمون ان الجامعة من اعداء كل الاشربة الروحية لكن بعد هذه الاقوال التي وجدناها للدكتور « مونين » في مجلة من اشهر المجلات الطبية الجدية اصبحنا نخفف من عداوة البيرة ونشير باستعمالها ولكن استعمالاً معتدلاً كما مرَّ بنا وعلى شرط ان تكون خالصة غير مغشوشة

﴿ دوار البحر ﴾

القى الدكتور « مادوف » في الجزائر ووهران خطبة عن دوار البحر قال فيها انه خابر اكثر اطباء اوربا واميركا فلم يجد احداً منهم مهتماً بالبحث في مسألة مداواة الدوار ولذلك عزم على عقد مؤتمر بهذا الشان في معرض باريز في هذا العام . ثم قال ان داء الدوار لا يمكن ان يكون واحداً لانه يختلف باختلاف اعمار المسافرين . ونسب الدوار على وجه ما الى عدم انطلاق الهواء التي في غرف البواخر . واشار على المسافرين بشد بطونهم بمناطق (زنانير) شداً مكيناً وطلب من شركات السفن ان تبني غرفها على اسلوب يكون الهواء فيه اكثر انطلاقاً فيها وسال الحكومة ان لا تمنح اعانات الا للسفن التي تكون كذلك واقترح على الشركات ان تعين جائزة لمن يخترع آلة لملاشاة الحركات التي تحركها السفن في سيرها

وفضلاً عن ذلك فانه وضع بياناً يتضمن اسئلة يريد توجيهها الى جميع الذين ركبوا البحر واصيبوا بالدوار ليعلم هل شعروا بالدوار على الاكثر قبل الاكل او بعده . في المساء ام في الصباح وهلم جرّاً . ومتى اجتمع لديه كثير من الاجوبة بحث فيها قصد الوصول الى حل مرضٍ لهذه المسألة

﴿ الفأر والمرض والطاعون ﴾

يطارد رجال معرض باريز الفأر على ضفات نهر السين مطاردة شديدة · لان الفار ينقل ميكروب الطاعون كما لا يخفى ولما كان في المعرض الآن اناس من جميع اقطار الارض فيخشى ان ينقل هذا الداء منهم اذا كان يوجد شيء من ميكروباته في امتعتهم و بضائعهم ولا سيما الامتعة والبضائع الاسيوية · ولذلك فرت جميع فيران نهر السين الى البيوت المجاورة للنهر فكثرت شكوى اصحابها · ولكن اشار بعض الاطباء عليهم بوصفة بسيطة للتخلص من ضيوفهم الثقال · ذلك ان يمزجوا شيئاً من مسحوق الجبسين بالدقيق و يضعوا بازاء هذا المزيج اناء ماء فيأكل الفأر من الدقيق والجبسين لانه يستطيب الدقيق ثم يشرب من الماء فيجتمع في باطنه الماء والجبسين فيتحجر الجبسين في معدته تحجراً يقتله لساعته

﴿ شفاء الجدري بالعسل ﴾

اكتشف احد اطباء اوكراكا في مكسيكا ان العسل يشفي من داء الجدري · وكان اكتشافه اتفاقاً · وبيان ذلك انه كان يعالج فتاة مصابة بهذا الداء · فبعد وقت وجيز رآها شفيت تمام الشفاء فحص عن السبب فوجد انها كانت تأكل في كل يوم سراً شيئاً من العسل فجرب مداواة الجدري بالعسل في غيرها من المصابين فنجحت التجربة

﴿ الحمى التيفوئيدية ﴾

ظهرت الحمى التيفوئيدية في هذا العام في باريز فقلق لها سكانها · وقد انشأ الدكتور كابانس فصلاً في هذا الموضوع سرد فيه الاحوال التي تبعث على احداث الحمى التيفوئيدية فقال · انها تنشأ اولاً عن ماء الانهر التي تحمل ميكروباتها بسبب هطول الامطار على اماكن ملوثة بهذا الداء وقريبة من مياه النهر · وثانياً من التعب والجهد وذلك ان تكون جراثيمها كامنة في جسم الانسان فتظهر حين تعبه وجهده · وثالثاً من ازدحام الناس في مكان واحد تكثر فضولهم فيه · ورابعاً من شرب اللبن كأن يكون ابن المرأة التي حلبته مصاباً بهذا الداء او احد اقربائها · ولذلك يجب ان يعنى اشد العناية بلبن المدن وان يغلى اشد غليان · وقد لا تكون العدوى مقصورة على اللبن فقط بل ان جميع مواد الغذاء التي تبتاع من السوق قد تكون ملوثة بميكروبات الداء · وهذا الامر يثبت وجوب تنظيف تلك المواد اشد تنظيف وعدم تناول شيء منها في اوقات الوباء او في غير اوقاته ما لم يغسل جيداً

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

مدرستان تجاريتان في سوريا

الاولى حاصلة — والثانية منتظرة

نشرنا في صدر باب المقالات في الجزء الماضي مقالة عنوانها « كيف تعظم الامم » اثبتنا فيها ان ارتقاء المانيا في الثلاثين سنة الاخيرة من مصاف الدول الثانوية الى الدول العظمى كان بالجملة اسباب اهمها مدارسها التجارية والصناعية والزراعية فضلاً عن مدارسها الادبية والعسكرية . ثم ختمنا هذا الفصل بما نصه

((بهذا السلاح غالبت المانيا انكلترا فغلبتها . بالمدارس الصناعية والزراعية والتجارية قام الغربيون ونحن لا نزال نحشو ادمغة طلبتنا بالصرف والنحو والشعر والسجع وما اشبهها من الدروس العقيمة الباردة ونشغل بعضنا بعضاً بالمخاصمات الدينية والضغائن الشخصية . فلنستعد لزيادة شقائنا شقاء وضيقنا ضيقاً بل فلنستعد للانقراض والموت بازاء الغربيين اذا كنا لا نعمم التعليم الصحيح وننشئ مدارس زراعية وتجارية وصناعية بازاء مدارسنا العلمية والادبية التي تعلم تعليماً ناقصاً لانها تعلم علماً غير مقرون بعمل))

ويسرنا أن نداءنا جاء في وقت كانت فيه بعض المدارس السورية الكبرى تفتكر بالشروع في سد فراغ عظيم في المدارس السورية . فقد عزمت الكلية الاميركية في بيروت على انشاء مدرسة تجارية فيها وهذا ما جاء في جريدة المقطم في اواخر الشهر الماضي بشان هذه المدرسة

« عزمت الكلية الاميركية في بيروت على انشاء مدرسة تجارية فيها لعلمها ان التجارة هي من اوسع المعايش في هذه الايام وان البلاد التجارية تتقدم وتحوز قصب السبق على

غيرها وان بلادنا متاخرة تجارياً ولا بد من تقوية العنصر التجاري فيها · وقد اتى اليها برئيس اميركي من المتخرجين في مدرسة التجارة في شيكاغو وستفتح ابوابها في العاشر من اكتوبر القادم · ويشترط على طالب الدخول فيها ان يكون له ست عشرة سنة من العمر على الاقل وله المام بالانكليزية والعربية والحساب ومبادىء الجبر والجوغرافية الحديثة او يكون حائزاً لشهادة القسم الاستعدادي في المدرسة الكلية · والتعليم في هذه المدرسة التجارية يكون باللغة الانكليزية اوسع اللغات التجارية انتشاراً ومدة الدرس سنتان يدرس الطالب في السنة الاولى الانكليزية والعربية والفرنسوية ومسك الدفاتر والحساب التجاري والجغرافية التجارية والخط ويدرس في السنة الثانية المخاطبات التجارية في اللغات الثلاث المتقدم ذكرها وكتابة الكمبيالات والفاتورات ومسك الدفاتر بالتطويل ونظام البنوك والسمسرة واشغال البورصة وتاريخ التجارة في العصور القديمة والوسطى والحديث ونمو الصناعة والمعاملات والتجارة في هذا القرن والاقتصاد السياسي بكل فروعه وقانون التجارة الفرنسوي والقانون التجاري والبحري الانكليزي واداب التجارة الى غير ذلك مما لا استغناء للتاجر المدقق عن معرفته »

نقول اما نحن فنرى انه في العام القادم لا تُفتح مدرسة تجارية واحدة في بيروت بل تُفتح مدرستان تجاريتان · واليك البيان

كانت المناظرة بين مدارس الاباء الفرير ومدارس المرسلين الاميركيين في احدى مدن فلسطين منذ بضع سنوات في غاية الشدة · فكانت ادارة الفرير لا تفتح مدرسة في قرية او في حي حتى تفتح ادارة الاميركان مدرسة مثلها بازائها · وبالعكس · فكان مدير الفرير يقول باسماً كلما اراد فتح مدرسة في قرية : سافتح مدرستين لا مدرسة · يعني مدرسة للفرير ومدرسة للاميركان

وهكذا نقول الآن في مدرسة بيروت التجارية · فان حضرات الاباء اليسوعيين الذين يناظرون حضرات مرسلي الاميركان في تهذيب الشبيبة السورية مناظرة حميدة سيفتحون ولا شك في كليتهم الكبرى مدرسة تجارية يسوعية بازاء المدرسة التجارية الاميركية · واذا كانت تلك المناظرة القديمة قد زالت او خفت — ولا شيء يدل على ذلك — فرغبة في ان لا تُحرم سوريا منافع مدرسة تجارية ثانية نذكرهم بان منزلتهم الادبية والعلمية في سوريا تقضي بان لا تكون الكلية الاميركية اكثر فضلاً من كليتهم · وبالنظر لما نعلمه من فضلهم وما يعلمونه من ان لا غرض لنا من هذا الاقتراح الا الخير العام

فانا بتنا نؤمل أن يقدموا على هذا المشروع النافع المفيد في وقت غير بعيد

هذا والآن فانا نوجه انظارنا الى حكومتنا العثمانية ونؤمل بعد هذه الخطوة التي خطتها المدارس الاجنبية في سبيل التعليم العملي في بلادنا ان تخطو الدولة مثلها . ثم ان هذه المدارس تحتاج الى المعلمين والمال ولكن هذه مسائل ثانوية يمكن تسويتها باي طريق كان . وانما المسالة الرئيسية معرفة اهمية الشيء والعزم عليه والشروع فيه

ولقائل ان يقول « ما الفائدة لسكان الدولة العثمانية من المدارس الصناعية والزراعية والتجارية . فان ابواب الرزق اذا كانت فيها ضيقة لتلامذة المدارس الادبية والعلمية فانها تكون كذلك ايضاً لتلامذة المدارس الصناعية والتجارية والزراعية . اذ اين المعامل في البلاد لاخراج صناع من المدارس لها . اين الاهالي الموسرون الاغنياء لتعليم اولادهم اصول التجارة حتى اذا خرجوا من مدارسها تاجروا برؤوس اموال آبائهم . اين الزراع الواسعو الاملاك الذين يريدون تعليم اولادهم اصول الزراعة استثماراً لاملاكهم . اكثر الاهالي فقراء وقليل منهم مستورو الحال والاغنياء فيهم اقل من القليل . وابناء هؤلاء الاغنياء يعولون على غنائم فينغمسون في البطالة والكسل غير عابئين بتجارة وزراعة وصناعة . فعلامَ اذاً انفاق الاموال على انشاء المدارس التجارية والزراعية والصناعية . أليكون تلامذتها في الكسل وعدم وجود العمل بمنزلة تلامذة المدارس العلمية والادبية »

هذه حجة لا تنكر قوتها ولكن لدينا حجة اقوى منها . وهي ان ابناءنا الذين نعلمهم اصول الزراعة او التجارة او الصناعة معاذ الله ان نترك مواهبهم وقواهم تفنى في الكسل والبطالة لقلة الاعمال في بلادنا فان المهاجرة باب واسع امامهم ندفعهم منه الى بلاد الله الواسعة ليكتسبوا فيها قوى جديدة و يفيدوا ويستفيدوا معاً . تاملوا الآن في مهاجرة العثمانيين الى الاقطار الاميركية . فانها في رأينا مفرحة ومحزنة معاً . مفرحة لانها تدلنا على مضاء عزم اولئك المهاجرين وحبهم العمل ورغبتهم في التفلت من اسر الضيق والكسل والبطالة . ومحزنة لانهم يهاجرون بلادهم كجنود بلا سلاح يرحلون الى ساحة القتال . اذ بصرف النظر عن بعض الادباء والافاضل منهم الذين يشرفون سوريا بتمثيلها حيثما وجدوا ما حكم العقلاء في باقي المهاجرين . وعلى اي شيء يعتمدون في مهاجرتهم ؟

يحسون بلذع الضيق والضيم ويرون باب الرزق مسدوداً في وجوههم فينادون بعضهم بعضاً هلموا الى الاقطار الاميركية . فيسافرون . ثم يصلون الى تلك الجهات بلا راس مال بل بلا مال ولا صناعة فلا يجدون امامهم غير الخدمة في بعض حوانيت ابناء وطنهم او الدوران

للبيع بالطريقة التي يعرفها الجميع · فيقاسون في هذا السبيل من عناء الغربة وذل العمل وصعوبة المعيشة ما لم يقاسوا نصفه في وطنهم · وفي الختام اما انهم يعودون بخفي حنين وهم في حال يرثى لها او يرضون بتحصيل القوت اليومي في تلك البلاد · اما المفلحون منهم فهم قليلون

قابلوا هذه الصورة بصورة اخرى · افترضوا ان هولاء المهاجرين الى اميركا او ابناءهم · كلهم او بعضهم · قد درسوا اصول التجارة او الصناعة او الزراعة في مدارس تجارية وصناعية وزراعية · فانهم يصلون الى مكان غربتهم بنفوس مطمئنة واثقة بالنجاح لوثوقها بقوتها اذ صناعة الانسان قوة له · وعند وصولهم لا يلجأون الى تلك « الكشة » القبيحة ولكن ينتشرون كالجراد في المعامل والمتاجر والمزارع الاميركية باجرة مرضية قليلة او كثيرة · فيعملون فيها براحة ويكسبون خبزهم بشرف ويصبحون في سعة في وقت قريب · والسعة تجر وراءها العائلة فيتزوجون في ارض واشنطون ويتكاثرون وبذلك يزداد عددهم زيادة مهمة · والسعة تذكر بالوطن ايضاً فيعود كثيرون منهم الى وطنهم وبما انهم صناع وزراع وتجار فينشئون في وطنهم المصانع والمزارع والمتاجر · فيكون شانهم شان الالمانيين الذين يهاجرون وطنهم ليعودوا بعد اليه بالاموال او بالاسرار الصناعية · فيا لارتقائك يومئذ ايها الوطن بارتقاء ابنائك · اما الذين يبقون منهم في بلاد الغربة فانهم يعيشون فيها براحة مكرمين محترمين لعملهم وتنعمهم البلاد التي يعملون فيها منصرفين عن الانقسامات الاليمة لاشتغالهم باعمالهم التي تستغرق كل اوقاتهم

هذه هي صورة المهاجرين من غير سلاح يعتمدون عليه وصورة المهاجرين وسلاحهم صناعة او تجارة او زراعة يتعلمونها في بلادهم · فايهما فيه سعادة الوطن وراحة ابنائه

لذلك نقترح انشاء المدارس العملية العمومية · ونسميها عمومية لاننا نود ان تعم بين جميع طبقات السكان ويكون التعليم فيها بسيطاً بقدر الامكان وقليل الاجرة اذا لم يكن في الاستطاعة جعله مجاناً · فرحماكم اسمعوا نداء الذين لا يطلبون الا الخير المجرد لابناء وطنهم وانشأوا لهم المدارس العملية

لا تشترِ كتباً قديمة لا تعرف صاحبها لئلا تنقل لك امراضاً وانت لا تدري · ولكن اذا كان لا بد من شرائك من هذه الكتب فيجب ان تطهرها · وطريقة ذلك ان تغمسها بضع دقائق في مياه « جافل » ثم تغمسها بماء صافٍ · وتجففها بعد ذلك بالشمس · ولا ريب ان هذا العمل يقتضي عناية كبرى ولكنه ضروري فلا تهمله

شؤون نسائية وبيتية

تعليم البنات التربية الصحية

من كتاب المرأة في القرن العشرين تاليف الفيلسوف جول سيمون

﴿ تمهيد ﴾

وعدنا القراء يوماً ان ننشر لهم فصولاً من الكتاب الفلسفي الجليل الذي وضعه الفيلسوف الشهير جول سيمون بعنوان « المرأة في القرن العشرين » ونقلناه منذ سنوات الى اللغة العربية باذن خصوصي من المؤلف رحمه الله · وهذا الكتاب قسمان قسم فلسفي لجول سيمون وقسم طبي لنجله الدكتور جوستاف سيمون · ولم نرَ في كل ما كتب الى الآن عن تربية الاولاد الصحيحة وتعليم الامهات ذلك اقوالاً مؤثرة طلية مفيدة كالاقوال التي قالها الدكتور سيمون في قسمه الطبي بهذا الشان · ولذلك عزمنا على نشر هذا القسم تباعاً في الجامعة ونشير على الامهات ولا سيما الفتيات منهن ان يقرأنه بامعان شديد

ومن مزايا اقوال هذا الدكتور انه جعل كلامه على سياق رواية · فانه اخذ فتاة فزوجها واولدها طفلة ثم ربى هذه الطفلة وتبعها في ادوار حياتها كلها حتى زوجها ايضاً · كل ذلك بعبارات بسيطة واساليب متناهية في الرقة حتى ان من يقرأ الفصول التالية يحسب انه يقرأ رواية ولا يدري انه يقرأ كتاباً جليلاً في التربية الصحية

ولنبدأ اولاً بالمقدمة التي جعلها تمهيداً للكلام وقد قصد بها اظهار ضرورة تعليم البنات الصحيحين ليحسنَّ العناية باولادهن في المستقبل · قال

***

لا ينكر احد ان امرأة القرن التاسع عشر وان بدت امرأة الجمعيات والملاهي جديرة بما يوجه اليها من الملام · فانها تهتم بخارج المنزل اكثر من اهتمامها بداخله وتعرف اشياء كان يجب عليها جهلها وتجهل اموراً كان ينبغي ان تعرفها · فضلاً عن انها تعتبر نفسها زينة الهيئة الاجتماعية لا المربية المرشدة المعزية في الهيئة العائلية

وكأن كل اعمالها تتجه نحو غرض واحد وهو الافتخار بالنفس والمباهاة فانها لا عمل لها غير استمالة الناس وطلب المدح والاطراء والاشتغال بالتزين والتحلي · ومن اجل ذلك تتراوح بين مخازن الخياطات وباعة الانسجة وتخضع خضوعاً اعمى لاذواق مخترعي الازياء

وتحتمل بالصبر الجميل كل الآلام والاوجاع التي تنشأ عنها . وهي تخفي عن رفيقاتها الازياء التي تختارها وذلك لتكون اول من يلبسها . تزور زيارات متتابعة لانها تميل كل الميل الى استمالة الناس الى منزلها . تحوم حول رجال الشهرة والوجاهة فتجذبهم الى بيتها وتحاول فتنهم باساليبها اللطيفة . امس كانوا غرباء عنها لا تعرفهم ولا يعرفونها واليوم اصبحوا من اخص اصدقائها . فتبدأ تترنم بذكر نفوذها على صديقها فلان وتفتخر بصداقة فلان مع ان تلك الصداقة تكون في الحقيقة اوهن واوهى من البضائع والسلع التي تزين جسمها بها

وتراها في مقدمة الذين يصنعون الخير ولكن غرضها الحقيقي صنع الخير لنفسها وذلك باكتساب الشهرة والسمعة . تحضر ليالي التمثيل ولكن غرضها ان تري نفسها لا ان ترى الرواية ؛ تطالع الروايات الادبية جهرًا وغير الادبية سرًا . تسعى لارضاء اميالها المضرة وتصرف همها الى تزيين جسمها لا الى تزيين عقلها ونفسها . تنغمس في المعيشة الدنيوية في المراقص والملاعب والجمعيات فتذوق من بلائها ونتائجها ما لو حكم عليها بان تذوقه لنفرت منه لا محالة

وما عدا ذلك فان لها قاعة ايضاً . قاعة لا يدور فيها الحديث على الموسيقى والفنون والعلم والادب ولكن على الوشاية والنميمة والامور التافهة الصغيرة

ولقائل ان يقول « اراك قد بالغت في القول فانك وصفت امرأة من نساء الملاهي لا كل النساء . اذًا انت قد عممت وكان يجب التخصيص »

كلا لم اعمم ولكني ذكرت بعض ما يوجه الى النساء في هذا القرن من الملام . ولا انكر ان المرأة المتوسطة الحال قد تكون بعيدة من الصورة التي رسمتها ولكن ما اقرب الشبه بينهما

على انني لا الوم النساء على تلك المعيشة وانما الوم الذين ربوهن هذه التربية . واطلب من نساء القرن التاسع عشر ان يربين بناتهن تربية اساسها الادب الصحيح والاعتدال والحكمة ليكن سعادة العائلة واساسها في القرن العشرين الآتي

واذا بقيتم مصرين على قولكم باني بالغت في الكلام فسلوا النساء اذا كنت قد بالغت فيما قلت . سلوهن اذا كن هن انفسهن لا يشكين من تلك المعيشة التي وصفتها . سلوهن عن معارفهن . ماذا تعلمتن ايتها السيدات — تعلمنا الصرف والنحو والبيان والتاريخ والجغرافيا والحساب والاملاء والانشاء وشيئاً قليلاً من الخياطة ؛ ولكن هل علومهن

واجبات الام واعدوهن لوظيفة الزوجة . سلهن هن اللواتي يطلب منهن ان يقدمن للوطن رجالاً اقوياء الاجسام هل يعرفن مبادىء علم حفظ الصحة واصول التربية البيتية الصحية . هل درسن شيئاً من هذا العلم الذي يجب عليهن ان يضعنه فوق كل علم . هذا العلم الذي يقلل مخاوفهن ويخفف همومهن ولا يجعلهن كما هن اليوم بلا سلاح ولا معرفة بازاء المخلوق الصغير الذي تعطيهن اياه العزة الالهية

وا اسفاه كم قد سمعت من الامهات من تقول: اننا لا نغتفر في حياتنا ذنوب اولئك الذين علمونا الصرف والنحو واللغات ولم يعلمونا كيف يجب ان نربي اولادنا وعلى الخصوص الولد الاول

على اننا سنبدأ بتعليمهن ذلك في المقالات التالية

طبخ الدجاج المسنة

بعض الدجاج الكبيرة في العمر اذا طبختها ربة البيت لم تؤكل لعصيان لحمها على الاسنان . على ان لتليين هذا اللحم طريقة وهي ان يوضع ماء على النار ويضاف اليه شيء من الملح . ولما يغلي الماء توضع الدجاجة فيه مدة ساعة كاملة . ثم تقلى او تشوى فيكون لحمها كلحم الفراخ ليناً . هذا اذا لم يكن عمرها ١٠ سنوات . فانها حينئذٍ يصح فيها قول الشاعر

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت   ولا يلين اذا قومته الحطب

حفظ الليمون

اذا اردت حفظ البرتقال او الليمون وقتاً طويلاً فأتِ بصندوق مسدود سدّاً محكماً وليمون صحيح غير مصاب . ثم احمِ رملاً دقيقاً على النار حتى تزول رطوبته . ومتى برد افرش منه في قعر الصندوق قشرة على سمك ٦ او ٧ سنتيمترات ثم لف الليمون بورق رقيق وضعه على قشرة الرمل دون ان يمس بعضه بعضاً . ومتى انتهى الصف غطه بقشرة اخرى من الرمل المذكور يكون سمكها ٦ او ٧ سنتيمترات واعد صف الليمون طبقة ثانية في الصندوق وهلم جرّاً حتى يمتلىء فغطه بقشرة رمل سميكة وسمره ليسد سدّاً محكماً وضعه في مكان رطب . فتحفظ الليمون بهذه الواسطة وقتاً طويلاً

الشعر

يغسل بعض السيدات شعرهن بمح البيض (صفاره) فينظف الشعر ويصبح لامعاً .

وبعضهن تعودن في اوربا ان يقصصن في راس كل شهر عند محاق القمر اطراف شعرهن تفاولاً فيتكاثف شعرهن بهذه الطريقة ويتضاعف حجمه في مدة سنتين او ٣ سنوات

ازالة بقع البيرة

لازالة بقع البيرة عن الثياب طريقة بسيطة وهي ان تفرك البقع بالغليسرين الخالص ثم تغسلها بالماء الحار وتكويها وهي مبللة فتزول البقعة ويعود مكانها الى لونه الاصلي

ازالة رائحة اليودوفورم

خير طريقة لازالة رائحة اليودوفورم الكريهة ان يفرك الاناء او اليد المطلوب تنظيفها بقليل من الماء الممزوج بالتربنتينا ثم بماء الصابون فتزول الرائحة

الازهار في عروة الثوب

يلذ لبعض المتانقين في ملابسهم ان يعلقوا زهرة في عروة ردائهم . وقد تكون الزهرة احياناً من سوء حظهم مما يصعب تعليقها في العروة اذ تسقط كلما خطوا خطوة . والطريقة لتعليقها باطمئنان وامان ان يخيطوا في قفا العروة خيطاً من الكاوتشوك ليسند طرف الزهرة وبذلك يقضون لبانة الظرف والتانق

غسل وجوه السيدات

اي ماء احسن لغسل وجوه السيدات الماء البارد ام الماء الحار . قال الدكتور ديس لا يجب ان تغسل المرأة وجهها بماء بارد مطلقاً لانه يزيل بهاء الوجه ونعومته ولكن يجب غسله بماء فاتر اي حار بعض الحرارة الا اللواتي تكون وجوههن سمينة فكلما كان الماء حاراً كان احسن

النساء السكيرات اولادهن سكيرون

لاحظ علماء الوراثة ان ابناء السكيرين والسكيرات يأتون على الاكثر ضعاف البنية ويغلب فيهم الجمود والبله . ويرى بعض الاطباء ان المرأة السكيرة تنقل الكحول الى طفلها بلبنها لان هذا اللبن يتضمن كريات الكحول . ولكن المسيو نيكلو لم يكتف بذلك بل قدم في الشهر الماضي الى جمعية العلوم في باريز تجارب اثبت فيها ان المرأة التي تشرب المسكرات تنقل المسكر الى جسم طفلها حينما تكون حاملاً به لان الكحول يمشي بدمها ومنه ينتقل الى دمه قبل ان يولد وهذا سبب انتقال السكر بالوراثة . فلتحذر الامهات

نساء البوير

كتب مكاتب جريدة الديلي ميل من بريتوريا يقول اننا لما ظننا انه يسهل علينا

التغلب على البوير لم يحسب حساب نسائهم . فان نساء البوير قمن في هذا الصيف مقام الرجال بحصد الحبوب وجمعها فلم ترتفع اثمان الماكولات مع كون الرجال كلهم في ساحة القتال . وفضلاً عن ذلك ايضاً فان نساء البوير اشد النساء جلداً وصبراً على المصائب فقد سمعت احداهن تقول في احدى المعارك حين سقط ولدها قتيلاً بين يديها « هذا هو الولد الرابع الذي فقدته في هذه الحرب فدى الشعب والوطن فليكن اسم الرب مباركاً »

فكم تذكرنا هؤلاء البويريات الباسلات بهذا السلوك اخواتهن العربيات والاسبرطيات . وهل يمكن ان يسمح الله بانسحاق قوم هذه عواطفهم

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابةً لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

✻ الاقتراح على الشعراء ✻

مصر والنيل

اقترحنا على الشعراء في الجزء الرابع والعشرين نظم قصيدة بشان نقص فيضان النيل في هذا العام وعينا للمبرز هذه الجائزة : خمسون نسخة من رواية البرج المائل . كتاب الحكمة الشرعية لفيلسوف الاسلام الامام الغزالي وهو جزءان . السنة الاولى والثانيـة من هذه المجلة

وقد وردتنا الى حين كتابة هذه السطور من الادباء سبعة قصائد منها ستة من مصر وواحدة من سوريا بتوقيع « يزيد بن جابر الاسدي من وادي النقا » وعلى الغلاف ختم بوسطة اللاذقية . وبعد فحص هذه القصائد ومطالعتها مع بعض الشعراء اجمعت الاراء على ان القصيدتين التاليتين استحقتا الجائزة وهما من نظم حضرات الشاعرين المجيدين الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي في الازهر بمصر وصديقنا الشيخ امين افندي الحداد . فقسمنا الجائزة بينهما ونشرنا قصيدتيهما بحسب ورودها في باب « صفحة الشعر » مع الثناء على براعتهما والشكر لهما ولباقي الادباء الذين اجابوا دعوتنا

وهذه قصيدة حضرة الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي

استعطاف النيل

فديتك من جان تجور وتعتب ... ونبذل جهدًا في رضاك وتغضب
نرى كل شيء انت حبة قلبه ... فتحلو لك العتبى ويحلو التجنب
اما بين ايدٍ ضارعات مشفع ... وبين دموع سائلات مقرب
عهدناك صبًا بالوفاء فما لنا ... نرى ماء ذاك العهد قد صار ينضب
قسوت وما عهدي بقلبك صخرة ... بجوهرك السيال بالرفق انسب
فرحماك نهر النيل بالانفس التي ... اذا لم تداركها برحماك تعطب
ورفقًا ببهم ضامرات بطونها ... لما الجوع عشب والخصاصة مشرب
يبيت حزينًا ربها لمصابها ... فيطوى كما تطوى الليالي ويندب
لقد عاش هذا القفر دهرًا حظيرة ... من الخصب في ارجائها نتقلب
بها ما يشاء الطرف من حسن منظر ... انيق وما تهوى القلوب وترغب
فما زال سهم للرزايا يصيبها ... وسهم الرزايا في الورى لا يخيب
الى ان غدت قفرًا فلا غصن ناضر ... يلوح بمغناها ولا روض مخصب
وكان النبات الرطب يحسد لينها ... فاضحت كصم الصخر او هي اصلب
فمد يدًا بيضاء منك تنيلها ... من الخير ما ترجو وما تتطلب
وليس لنا الا الدموع وسيلة ... اليك فان الشبه بالشبه يجذب
وقد كان في فيض المدامع نافع ... لغلتنا لو كان مثلك يعذب
فقدناك فقدان الرضيع لامه ... ولم يبق من يحنو عليه ويحدب
فما كنت الا الروح فارق جسمه ... فأنَّى له من بعدُ في العيش مأرب
لئن كان قد اقصاك قلة شكرنا ... لنعماك والهجران نعم المؤدب
فها يدنا ان لانعود رهينة ... وان لا نزال الدهرَ بالشكر ندأب
لعلك خلت الارض يبلغ ريها ... دماء باصقاع الجنوب تصبب
اجل غير ان الحر تكبر نفسه ... عن الامر فيه ما يهين ويثلب
فمن ذا الذي يرضى الحياة يشوبها ... من الجور عيش بالدماء مخضب
اما في قلوب الناس للناس رحمة ... وترضعهم ام ويجمعهم أب

مصطفى لطفي المنفلوطي بالازهر بمصر

وهذه قصيدة حضرة الشيخ امين افندي الحدّاد

ايها النيل كم غدوت مَنيلا ولكم كنت بالحياة كفيلا
ولكم كان من مياهك ما احيى عليلاً اشفى وروّى غليلا
انت روح لمصر تلقي عليها رغدًا دائمًا وظلاً ظليلا
كيف اضحى منك النعيم شقاء وتبدى ذاك الكثير قليلا
ألأن دنسوا محياك بالاشلاء ام صار بالدماء غسيلا
قد غضبت ان تجود عليهم وتأبيت ان تلوح خجولا
ام ترى قد علمت انك ام ارضعوا دون توأميها الدخيلا
فتجانيت ان تجود عليهم ثم فضلت ان تكون ثكولا
انت في مصر غيران جميع الارض صارت لضفتيك مسيلا
ترقب الخير ان يجود عليها من اياديك بكرة واصيلا
انت ميزانها يسف بك الخير ويعلو فلا اصبت نزولا
ونرى الجزء منك كلاً فما تزداد شبرًا الا رايناه ميلا
عبدتك الاقوام قبلاً ولم تبعث اليها سوى المياه رسولا
وكفى بالمياه منك نذيرًا دون ذكرى جهنم تهويلا
ظن فرعون انه بك صار الله اذ كنت للحياة سبيلا
وهو ظن الذي يرى الله بالحس وما كان غيره مستحيلا
قد عبرت الزمان قرنًا وقرنًا وطويت الانام جيلاً فجيلا
لم تغيرك حادثات الليالي لا ولكن غيرت منا العقولا
كنت خيرًا محضًا على كل حال مازجًا منك باليسير الجزيلا
مستفيضًا مخففًا كل هم وعسير فصرت همًا ثقيلا
اذ ابى البعض ان تكون لهم نيران شر ولم يكونوا عدولا
حولوا منك نعمة الخير للشر الا ساء فعلهم تحويلا
سعدوا من شقا السوى ولقد كنت عميمًا ولم تخص قبيلا
يصبح النيل منهم كل حين ناقصًا زائدًا دقيقًا جليلا
ولكم انقصوه في الساعة الفردة ما يعجز الزمان الطويلا
واذا ما سألت واحدهم من اين تدري انتقاصه قال قيلا

ايها النيل لو دريت بمن تسقي ومن فيك صرفوا التأويلا
لشققت الثرى وغرت انتقاماً وسالت السحاب ان لا يسيلا
او تحولت للجنوب لقوم غاسلاً منهم الدم المطلولا
او تبدلت من زلال الى سم كما بدلوا الهدى تبديلا
بكلام ابدوا به الحق زوراً وضلالاً والنيل ما زال نيلا

الشيخ امين الحداد

كلمات زراعية

النيل والزراعة في مصر

ننشر هنا ما ذكره جناب اللورد كرومر في تقريره السنوي عن انخفاض النيل والزراعة في هذا العام لاهمية القول وقائله وهو :

« ان انخفاض الفيضان لا يؤثر في احوال الحكومة المصرية على الاطلاق فان مالية البلاد قائمة الآن على اساس متين تستطيع معه ان تدفع كل شر وضرر الا اذا طرأت حوادث غير منتظرة وظروف غير محتسبة . وذلك امر غير محتمل حدوثه بل هو امر مستحيل . هذا من جهة ومن جهة ثانية فانه لا يخشى من حدوث مجاعة في البلاد واني اعتقد كل الاعتقاد بانه يستبعد كثيراً ان تحوج الحالة الى انشاء اعمال لاعانة الاهالي (كما هي الحالة في الهند) وفي هذا المقام اذكر ان اشغال الخزان الجارية الان في اصوان واسيوط هي مصدر معاش ورزق لعدد عظيم من افقر اهالي الوجه القبلي . ومن جهة ثالثة فان هذه الحالة لم تؤخر نجاح الاعمال والشؤون في الادارة المصرية على اختلاف وجوهها تاخيراً يستحق الذكر وهو ذلك النجاح المستمر الذي كان رائد هذه الادارة وحليفها في السنوات الاخيرة فان النفقات لم يخفض منها شيء ولا اهمل اصلاح من الاصلاحات الصغيرة الجارية وغاية ما حدث انه ارجئ الى زمن قصير اعمال يمكن اجراؤها في اوقات ثانية نظير تخفيف ضرائب او اجراء اصلاحات جديدة تتطلب نفقات اضافية

وعلى ذلك فانه يمكن النظر الى العواقب التي قد تنجم عن نقص الفيضان نظراً يتخلله الرجاء والامل دون تفاؤل بالخير العظيم . اذ لا ريب في انه سيمضي نحو خمسة اشهر تكون الحالة فيها حرجة جداً قبل ان يبدأ الفيضان في شهر يوليو القادم ولا ريب انه في خلال

هذه المدة تكون الحاجة الى المياه شديدة عظيمة و بسبب الضرر موسم القطن على الخصوص ولو ان ارتفاع اسعاره سيعوض ما ينقص من كمية المحصول على نوع ما . ولا يمكن في الوقت الحاضر تقدير المساحة التي تزرع قطناً لان احوال هذه السنة لم يسبق لها نظير وخبرة السنين السابقة لا يمكن الاستدلال بها استدلالاً اكيداً على منسوب الانخفاض الذي يصل اليه النيل في شهري مايو و يونيو . وغاية ما يقال في هذا الصدد انه يمكن الاعتماد اعتماداً تاماً على كفاءة عمال نظارة الاشغال وحسن درايتهم وتدبيرهم فهم دون ريب سيستخدمون كمية المياه التي توجد لديهم في انفع الوجوه والطرق المخصصة لها »

انتهى كلام اللورد عن النيل .

ولكن حضرة اللورد كرومر استند في تقريره هذا الى مذكرة للسير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال لخصناها في عدد مضى وفيها يظهر الخوف على زراعة القطن من انخفاض النيل . وقد سافر السير وليم جارستن الى اعالي النيل لافتقاد حاله وارسل في ٢٧ الماضي مذكرة تظهر ان اكثر خوفه قد زال . فقد قال فيها ان الامطار اخذت تهطل بغزارة في اعالي النيل والزوابع تهب هبوباً شديداً فهي على الغالب مقدمة للامطار المنتظمة التي على ما يظهر ستبتدئ باكراً جداً وتكون سبباً لتعجيل الفيضان القادم ان شاء الله . وقال ايضاً انه منذ ازيل ١٤ سداً من اعالي النيل جرت المياه التي كانت محتقنة هنالك وارتفعت المياه بسبب ذلك ارتفاعاً يؤمل ان يدوم الى ميعاد الفيضان . وقال في موضع آخر من هذا التقرير انه متأكد تقريباً ان الامطار تؤدي في وقت قريب جداً الى ارتفاع النيل الاعلى واذا لم تحدث امطار في هذه السنة وهو امر ليس عليه دليل ظاهر فانه لا يخشى ان يحدث هبوط فوق الهبوط السابق في مناسيب النيل الابيض

ومن ذلك يستفاد انفراج ازمة المياه بعض الانفراج . و يزداد التحسن اذا صح خبر ورد في الاسبوع الاخير من مدير سنار في اعالي النيل وفحواه ان المياه ارتفعت عنده ٤٠ سنتيمتراً دفعة واحدة . فهذه اذاً بداية الفيضان . حقق الله الآمال

حفظ البيض

قال جناب اللورد كرومر في تقريره السنوي الاخير عن مصر والسودان ان تجارة البيض آخذة في الانتشار في مصر وانها ستكون مورداً جديداً للاهالي . وقد رأينا في احدى الجرائد الزراعية ان تجارة فرنسا من هذا الصنف قد بلغت مليارًا و ٦٠٠ الف مليون بيضة تردها في كل عام من الخارج . واوسع البلاد تجارة بالبيض بلاد الدانمرك

ومرجع الفضل في ذلك لجميات خصوصية متألفة فيها لتنشيط هذه التجارة · وقد توصل العلم الآن الى حفظ البيض من الفساد شهورًا طويلة · من ذلك تجربة جربتهـا احدى الجميات الالمانية فانها اخذت كيات من البيض الطرى وحفظتها بالطرق المختلفة المعروفة كل مائة بيضة بطريقة فاسفرت التجربة عن النتيجة التالية

١٠٠	بيضة	مغمورة بالماء الملح	فسد	منها	في ٨ شهور	١٠٠
»	»	ملفوفة بالورق	»	»	»	٨٠
»	»	مغموسة بالحامض الساليليك والغليسرين	»		»	٨٠
»	»	مفروكة بالملح		»	»	٧٠
»	»	مغمورة بالنخالة		»	»	٧٠
»	»	مغمورة بالبرافين		»	»	٧٠
»	»	غطست ١٢ او ١٥ ثانية في ماء غالٍ		»	»	٥٠
»	»	غطست في محلول الون		»	»	٥٠
»	»	غطست في محلول الحامض سليسريك		»	»	٥٠
»	»	مدهونة بسيليسات البوتاسا		»	»	٤٠
»	»	مدهونة بالكلوديون		»	»	٤٠
»	»	مغمورة بنشارة الخشب		»	»	٢٠
»	»	مدهونة بالصمغ		»	»	٤٠
»	»	مدهونة بالاسيد بوريك وسلفات البوتاسا		»	»	٣٠
»	»	مدهونة برمنغنات البوتاسا		»	»	٢٠
	»	مغمورة بالازلفلين			»	٠٠
	»	مغمورة بماء الكلس			»	٠٠
	»	مغمورة بمحلول سلفات البوتاسا			»	٠٠

فتكون احسن الطرق لحفظ البيض الطرق الثلاث الاخيرة واسهلها طريقة غمره بماء الكلس وهي ان يُذاب الكلس بالماء على نسبة غرام و٣ اجزاء الغرام في كل ليتر ماء ويغمر البيض به فيبقى البيض محفوظاً من الفساد

حياة اوراق الاشجار وموتها

بحث العالم رامان في حياة اوراق الشجر فثبت له ان المواد المعدنية التي تنحل في

جسم الاوراق تكون على اشدها في شهر يونيو وتبقى نسبتها معتدلة الى الخريف ولا سيما فيما يختص بالبوتاس والازوت · وفي الخريف يزداد الحامض الفصفوريك فيها زيادة خفيفة ثم ياخذ بالنكوص والرجوع من الاوراق الى جذع الشجرة هو ومواد الازوت وذلك بسرعة شديدة فتصفر الاوراق وتاخذ تتساقط شيئاً فشيئاً · وعلى ذلك تكون الاوراق اذا قُطفت وجُعلت طعاماً للمواشي كانت لوجود الازوت بكثرة فيها اكثر غذاء من الاوراق التي تُجمع من تحت الشجرة بعد تساقطها من تلقاء نفسها

مرض جديد للشمام

اشارت جريدة الزراعة الالمانية الى مرض جديد ظهر في الشمام في شمالي اوربا · وهو حدوث بقع رمادية في ورقه مساحة البقعة الواحدة سنتيمتران الى ٥ سنتيمترات وتولد الحيوانات الفطرية عليها بعد ذلك ثم احتراقها · وقد انتقل هذا المرض من اميركا ووصفوا لمداواته غسل الاوراق اول ظهور المرض فيها غسلاً خفيفاً بمحلول خفيف من سلفات النحاس على نسبة ٨ او ١٠ غرامات في ليتر الماء

زراعة الاثمار في المانيا

ساءت حال زراعة الاثمار في المانيا لان الزراع اصبحوا لا يربحون ارباحاً توازي اتعابهم فاخذوا يعدلون عن هذه الزراعة · ثم خطر لهم ان يؤلفوا جمعيات لبيع محصولاتهم « بالمفرق » بدلاً من بيعها بالجملة فلم ينجحوا ايضاً · وبما ان سبب بوار زراعتهم انخفاض الاسعار وسبب انخفاض الاسعار مزاحمة الاثمار الاجنبية قاموا يطلبون بالحاح وضع رسوم باهظة على الاثمار الاجنبية

جرثومة الحياة في النبات

امتحن السير وليم ديير صبر النبات على البرد كالشعير والقمح والقثاء وما اشبه فوجد ان البزرة تحتمل البرودة الى ٢٥ درجة ثم تنمو حين وجود معدات النمو · وقد ثبت من ذلك ان الثلج مهما اشتد على البزرة لا يضر بها قبل انشقاقها وخروج الجنين منها ولكن اقل برد بعد ذلك يؤثر فيها

السم والنباتات

اذا كنت مع اولادك في بستان او برية فلا تسمح لهم ان يقطفوا نباتات برية مجهولة ويأكلوا منها اذ يحتمل ان يكون بعض هذه النباتات ساماً

باب الاخبار العلمية

✱ جسر على البوسفور ✱ يضع الالمانيون الآن خطة جسر عظيم ينوون اقامته على البوسفور ومد خط حديدي عليه لوصل سكة حديد بغداد بسكة حديد برلين حتى ان المسافر من برلين يبقى مسافرًا راسًا الى بغداد . وسينار هذا الجسر بالنور الكهربائي ويبقى شاهقًا جدًا بحيث تستطيع اضخم السفن ان تمر تحته . وتقول الجرائد العلمية ان انشاء هذا الجسر سيكون من اعظم الاعمال التي يفتتح بها القرن العشرون

✱ رحلة ثانية لننسون ✱ صرح الرحالة ننسون الشهير لاحد مراسلي الجرائد في برلين انه ينوي السفر في هذا العام الى الاوقيانوس المتجمد الشمالي للسياحة فيه

✱ معدن جديد ✱ اكتشف المستر ديكرن معدنًا جديدًا سماه « الاكتينيوم »

✱ اجف البلاد هواء ✱ هي بلدة باتيا في البيرو . مرَّ عليها ٨ سنوات ولم ينزل فيها مطر الا في هذا العام فقد هطلت الامطار فيها ٣٦ ساعة متوالية

✱ زيت البترول ✱ وصلت الى كلكتا في الهند الباخرة سيبريان مشحونة بالبترول من ينابيع ببرمانيا وهي الباخرة الاولى التي نقلت من هذا البترول الجديد الى الهند وستوالي عملها هذا . مما يحدث قلقًا في منابع البترول في اميركا وروسيا

✱ المسكرات في روسيا ✱ في روسيا عادة جرت عليها في بعض بلادها وهي ان تبيع الحكومة المسكرات بنفسها لئلا يغشها التجار فيلحق ذلك ضررًا بالشاربين . وقد قررت اخيرًا تعميم هذا الامر اي ان تحتكر الدولة المسكرات وتبيعها في جميع بلادها . وربما كان هذا الامر اخف على الصحة العمومية من اطلاق الحرية في بيع المسكرات

❋ التلغراف بلا سلك ❋ استطاع ماركوني في انكلترا ان يخابر بالتلغراف بلا سلك على مسافة ٥٠ كيلومترًا واستطاع القائمقام تيسو في فرنسا ان يخابر به على مسافة ٤٦ كيلو مترًا

❋ مركبات باريز في ايام المعرض ❋ يبلغ عدد المركبات في باريز ١٣ الف مركبة ولكنها زيدت الآن لكثرة الزحام في المعرض ٤ الاف مركبة فاصبح عددها ١٧ الفًا

❋ مدافع بلا دخان ولا نار ولا صوت ❋ يوجد في مدينة البندقية مدفع مصنوع من الجلد في سنة ١٨٤٩ . وقد صنع مهندس اميركي في هذا العام مدافع على هذه الطريقة وجربها فاستطاع واحد منها ان يقذف ثلاث كرات وهو محشو بارودًا حشوًا تامًا

واغرب من مدافع الجلد مدافع تصنع من الورق المضغوط . والظاهر انه سيشيع في المستقبل صنع المدافع على هذه الطريقة لانها تكون خفيفة الحمل سهلة الاستعمال ولا سيما في الجبال التي لا تصل اليها المدافع الثقيلة

ولكن اغرب من هذا كله مدفع جديد صنعه الكولونل همبرت الايطالي . وهو مدفع اذا اطلقته لم تسمع له صوتًا ولم ترَ له لهيبًا ولا دخانًا ولذلك لا يستطيع العدو معرفة مركزك فتبقى انت مخبوءًا في مكانك تصب منه عليه كراتك المهلكة دون ان يهتدي اليك . والسر في هذا المدفع الجديد ان لفوهته غطاء قويًا فاذا انطلقت القنبلة انطبق الغطاء في الحال على الفوهة ومنع الهواء بذلك من الخروج او الدخول لاخراج دوي الانطلاق ومنع كذلك ظهور النار . وعليه فان الحروب المستقبلة ربما اصبحت هادئة صامتة لا يُسمع فيها صوت البارود ولعلعة المدافع

❋ افعى في المعدة ❋ من اغرب الامور ان ابنة من هركيمار في اميركا جاءت الى مستشفى اوتيكا في نيويورك تشكو المًا شديدًا في معدتها . ففحصها الاطباء فوجدوا في معدتها افعى طولها قدمان او ٣ اقدام وثخانتها كثخانة مقبض المكنسة . فعزموا الآن على شق المعدة لاخراجها وهم اذا دسوها من الخارج يشعرون بحركتها . ويقولون انها دخلت الى المعدة صغيرة جدًا مع الماء ثم نمت فيها فليحذر الشاربون حين شرب الماء

❋ مسير رصاصة في ٥٠ سنة ❋ اصيب نمساوي في حرب سنة ١٨٤٨ برصاصة في

في فخذه ثم التأم الجرح دون اخراج الرصاصة. وفي الشهر الماضي احس بالم في قدمه وبعد النظر فيها باشعة رنتجن نظرت الرصاصة فشق الجلد لاخراجها . فتكون الرصاصة انتقلت في ٥٠ سنة من فخذه الى قدمه

❋ العاد بالبيرة ❋ عمد رجل ابنه بالبيرة بدل الماء وقصده ان يكره المسكرات اليه منذ الصغر وهو يقول ان هذه الطريقة نجحت في احد الاولاد

❋ نسج الرتيلاء الحرير ❋ يوجد ٤٠٠ نوع من الرتيلاء واهمها كلهارتيلاء في مدغسكر تنسج خيوطاً قريبة من خيوط الحرير بلمانها وقد نسجوا منها نسيجاً وعرضوه في معرض باريز فاشبه نسيج الحرير الحقيقي

❋ اختراعات الانكليز في الحرب ❋ جرب الانكليز في هذه الحرب اختراعات جديدة فنجحت معهم . منها اختراع سكة تحفر استحكامات في الارض بسرعة غريبة ليختبيء فيها الجنود من رصاص العدو . وهي تحفر حفرة عمقها متر و٢٠ سنتيمترًا ومساحتها ٣ كيلومترات و٥٠٠ متر في ساعة واحدة

❋ نبت القمح في جسم الانسان ❋ شكا احد العملة في رومه من موضع في جسمه فشق احد الاطباء هذا الموضع فوجد فيه حبة قمح نابتة اي مبرزة جذورها على الشرايين. فاستغرب الاطباء هذه الحادثة وعجبوا من دخول حبة القمح الى دمه

❋ التلامذة والاقلام الرصاص ❋ اصدر مامور الصحة في سان باولو (ميناسوتا) امرًا بمنع التلامذة من ان يعيروا بعضهم بعضاً الاقلام الرصاص التي يستعملونها للكتابة لانه اذا كان احدهم مصاباً بالدفتيريا او باي مرض كان واعار قلمه الى رفيقه اتصل مرضه به حين يبله القلم بلعابه للكتابة به . فيجب على معلمين المدارس وعلى الامهات ان لا يدعوا التلامذة يعيرون او يستعيرون اقلاماً رصاصية

❋ القرود تتكلم ❋ ربى المستر جون هو بكنس احد اعضاء الجمعية الطبية في بلتيمور قردًا اسماه « هاني » وقد علمه ان يلفظ هذه الكلمات « ماما . نعم لا . كيف حالك . » وغيرها وعلمه ان يلبس ملابسه بنفسه ويأكل على المائدة من صحنه بالسكين والشوكة بادب واحتشام

المسيو هانوتو والاسلام

لكاتب فاضل ونستلفت الى هذه المقالة انظار جميع القراء

كتب المسيو غابريل هانوتو وزير الخارجية في فرنسا سابقاً مقالتين في جريدة « الجورنال » الفرنسوية عنوانها « الاسلام » بحث فيها بحثاً فلسفياً سياسياً عن علائق فرنسا بالمسلمين في مستعمراتها . وقد عثرت جريدة المؤيد الغراء على كلام المسيو هانوتو فترجمته ونشرته فكان له تاثير شديد في النفوس

وقبل الدخول في هذا الموضوع نلاحظ اولاً ان اسم « غبريال » كان سيء البخت مع الشرق والشرقيين . فان المرحوم غبريال شارم الكاتب الفرنسوي الشهير زار منذ عدة سنوات مصر والشام وكتب بما شاهده فيها كتابين جاء فيهما عن بعض العادات المصرية والسورية ما اسخط بعض الشرقيين فقام اديب بك اسحق بجدته المعروفة رحمه الله يصفه بعبارات لا يزال الناس يحفظونها الى الآن منها : غبريال شارم او شارم غبريال كن كيفما شئت وكيفما قلبك المواه انت ضيف قليل الحياء . كذا قال او مثله

اما « غبريال » هانوتو فقد كان مناظروه اكثر اعتدالاً معه ولكن ذلك لم يمنعهم من اعطائه بلا عدٍ ولا حساب القاب الجهل والغباوة والادعاء وغير ذلك . ولكن هذا حساب بين هانوتو ومناظريه فلا ندخل فيه ولا نبحث فيما دعا اليه وانما خطرت لنا ملاحظة فرأينا من الفائدة ان نذكرها للمنصفين

الفرق بين المرحوم غبريال شارم والمسيو غبريال هانوتو ان الاول قال ما استحق عليه اللوم والثاني لم يقل ما ليم عليه . وقد نبهت الى ذلك جريدة الاهرام العربية والاهرام الفرنسوية . فانها اظهرتا ان مترجم المقالة قد اخطأ فهم بعض العبارات الاصلية لدقة اساوبها . مثال ذلك ان الكاتب كان يستفهم استفهاماً انكارياً فحسب المترجم هذا الاستفهام ايجابياً . وربما لم يحسب المترجم ذلك ولكن كل قارىء بسيط تلا تلك العبارات اعتقدها من قول الكاتب نفسه وهذا هو سبب التاثير السيء العظيم الذي احدثته هذه المقالة . على اننا نقول في هذا المقام ان المسيو هانوتو لو اراد باستفهامه عند التعقيب على كلام المسيو كيمون الموافقة على قوله لما قابل كلامه كل العقلاء من مسلمين ومسيحيين الا بالاشمئزاز لان التساهل واحترام الدين من اعظم الفضائل الدينية . ولكن المسكين هانوتو لم يقل ما عُزي اليه . وكل مقالته تدل على اعتداله

ولقد طالعنا مقالته باللغة الفرنسوية فلم نأت على آخرها حتى خطرت لنا ملاحظتان. الاولى ان هانوتو سيء البخت . فان الفرنسويين يسمونه هانوتو باشا وقد رأينا في وقائع جلسات البرلمان غير مرة ان النواب كانوا يلقبونه كذلك في وجهه لما كان وزيرًا وغرضهم من ذلك الدلالة على تساهله مع الدولة العثمانية في سياسة فرنسا الخارجية . وقد طعنوا عليه لهذا السبب مطاعن مؤلمة . هذا من جهة . ومن جهة اخرى فان بعض العثمانيين ينسبون اليه الآن التطرف وقصد معاداتهم . فاي القولين اصدق في المسيو هانوتو

نحن نرى ونعتقد ان كلا هذين الفريقين مخطئان في حكمهم على المسيو هانوتو . فان هذا الرجل من كبار ساسة فرنسا ولا يحرك قلمه سواء كان وزيرًا او غير وزير الا لما يكون فيه نفع لبلاده . فلما كان وزيرًا جرى على سياسة مسالمة دولتنا العلية وهي السياسة المثلى التي تنطبق على مصلحتي فرنسا والدولة معًا . فغرضه من سياسته اذًا كان نفع دولته . ولما ترك الوزارة وانقطع الى التاليف والكتابة خطر له خاطر ادبي سياسي بشان الاسلام فقام يبديه لابناء وطنه . وغرضه ايضًا نفع دولته

اما هذا الخاطر فهو تنبيه الحكومة الفرنسوية الى ان فرنسا بعد انكلترا هي الدولة الاوربية الاسلامية الاولى . ولما كان من واجبات الدول المتمدنة تمدنًا حقيقيًا افادة رعاياها ومضم مستعمراتها بشد روابط الاتحاد بينها وبينهم وازالة كل ما يحول دون ذلك فانه يقترح على الحكومة ان تنشىء كتبًا تدرس فيها اخلاق وعادات رعيتها المسلمين حتى يدرسها رعيتها الفرنسويون في المستعمرات ازالة لسوء التفاهم الذي طال بين الفريقين وحملاً لهما على المعيشة معًا باتحاد وسلام

ومن الغريب ان المسيو هانوتو ما اظهر هذا الخاطر حتى قام فريقان من الناس يرجمانه بحجارة ضخمة . الفريق الاول فرنسوي وقد اتهم هذا الفريق المسيو هانوتو بالاستمرار على سياسة الانحياز للمسلمين تزلفًا للحكومة العثمانية كما كان يصنع لما كان وزيرًا والفريق الثاني شرقي وقد اتهم هذا الفريق المسيو هانوتو بانه يدس السم في الدسم لاعتباره ان اقتراحه آلة للاضرار بالمستعمرات الفرنسوية الاسلامية

والحقيقة التي تبدو لكل منصف يتجرد عن الوهم والتشيع ان مقالتي المسيو هانوتو هما عمل من اعظم الاعمال الادبية والفلسفية والسياسية التي عُملت في القرن التاسع عشر

انظروا كيف كان سلوك اوربا في العالم الى هذا العهد . اوربا بلاد مسيحية كما

تعلمون . واعظم الوصايا التي جاءت في ديانتها قول معلمها العظيم « احبوا بعضكم بعضاً » ولكن اوربا لم تسمع هذا النداء في اكثر الاحيان . فانها في الاعصر الوسطى اثارت الحروب الصليبيـة على الشرق ففتحت بها واديًا عميقاً بين الاسلامية والمسيحية وقتلت في الشرق وخربت وهدمت ما شاء التعصب والجهل . اوربا اكتشفت اميركا في القرن الخامس عشر وعدد سكانها نحو مائة وخمسين مليون نفس من الهنود الاميركيين اصحاب الجلود الحمراء فافنتهم قتلا واضطهادًا وسكرًا حتى لم يبقَ منهم الآن سوى بضع عشرات الوف في داخلية البلاد . اوربا احتلت الهند مهد الفلسفة والحكمة فاهانتها ودنستها بالدماء . قطعت اجزاء من الصين ام كونفوشيوش واهانت تعاليمه . اقامت في وادي النيل مصدر العلوم والفلسفة تضغط عليه . قيدت تونس اخت قرطجنه العظمى بقيود احتلال دائم . نشرت الرعب والهول في افريقيا بالسيف والنار . اباحت تجارة الافيون التي تقتل الآن الجنس الاصفر وحاربت الصين لما ارادت مقاومة هذه التجارة القاتلة . وهي الآن مندفعة من كل جانب على الشرق تتسلط حيثما يمكنها التسلط وتضغط حيثما يمكنها الضغط

ففي وسط هذه الفوضى الاستعمارية الهائلة التي كانت مدار السياسة الاوربية الى اليوم وقف المسيو هانوتو بين صفحات جريدة الجورنال على ابواب القرن العشرين وصاح بالامم الاوربية لا بفرنسا وحدها قائلا : اعدلوا اذا اردتم ان تكون سلطتكم دائمة . غيروا السياسة السيئة التي اتبعتموها الى الان مع الامم الاسلامية . صالحوا التمدن الاسلامي والتمدن المسيحي ليتعاونا معاً بدل ان يتقاطعا ويتدابرا . ليدرس كل من الفريقين اخلاق الآخر وعاداته حتى يزول سوء التفاهم من بينهما

هذا هو العمل الادبي الفلسفي السياسي العظيم الذي عمله المسيو هانوتو ولم يفهمه الشرقيون فانقلبوا عليه بالذم بدل المدح الذي يستحقه على اعتداله وحسن رأيه . نعم انه لا يبعد ان يكون قد اخطأ في امور تكلم بها عن الاسلام لجهله به كما انه كان يمكن ان يخطئ في نفس ديانته المسيحية لو تكلم عنها ولكن خطأه بازاء قصده الجيد لا يستوجب كل هذا النكير الذي شدد عليه

وقد يستغرب البعض دفاعنا عن هانوتو . كلا لا ندافع عنه اذ لا ناقة لنا بذلك ولا جمل ولكننا ندافع هنا عن الشرقيين انفسهم

واذا قيل كيف الدفاع عن هانوتو يصح ان يكون دفاعاً عن الشرقيين نقول ان الشرقيين فريقان عقلاء وجهلاء شأن كل امة من الامم . فالعقلاء هم الفلاسفة والعلماء

الحقيقيون الذين يتجردون عن الاطماع والاوهام البشرية ويطلبون الحقيقة لذاتها حيثما وجدت . هم مثل رنان الذي قال للرحوم جمال الدين الافغاني « انني احترم الدين الاسلامي كما احترم الدين المسيحي » ومثل جول سيمون الذي يقول « كل من لا يحترم دين الغير فانه يهين دينه » ومثل المسيو هانوتو الذي يقول في مقالتيه يجب ان تصالح فرنسا بين التمدن المسيحي والتمدن الاسلامي في افريقيا

هؤلاء هم العقلاء الذين ينزلون الى لباب الامور غير مكتفين بالوقوف عند قشرتها . فليت شعري اذا كان الشرقيون يقابلون امثال هولاء العقلاء المعتدلين بما قوبل به المسيو هانوتو من الذم والطعن فماذا يتركون للجهلاء امثال كيمون ومن اشبهه ممن كل الاديان عندهم على حد سواء

فالدفاع اذًا عن هانوتو دفاع عن كرامة الشرقيين انفسهم لاننا نكره ان يقال فينا اننا لا نعرف جميلا ونساوي في طعننا وذمنا بين المعتدلين العقلاء الذين يمدحوننا ويحترموننا وبين الجهلاء المتطرفين الذين يذموننا ولا يحترموننا وليس هذا من حسن السياسة والحكمة في شيء كما لا يخفى

هذه هي الملاحظة التي اردنا الاشارة اليها . واذا قيل ان كلام المسيو هانوتو مع اعتداله قد جاء فيه ما لا يرضينا قلنا يجب على العقلاء ان يغتفروا هفوات العقلاء وان لا يفتحوا ابواب المجادلات الدينية التي تضر بالشرق ضررًا بليغًا

وبعد فانا نقول بكل حرية ان كثيرًا مما قيل في هذه المناظرة قد جرح عواطف العقلاء من الفريقين . ولم يجرحها لما بدا فيها من الافكار والاراء . كلا فان حرية البحث والراي واجبة ولكل انسان فكره ورايه وعلى كل انسان عاقل ان يحترمها . وانما جرحها لانه دلّ على عدم رضى فريق من الشرقيين بالاتحاد والاتفاق مع مواطنيهم او مع الذين تقضي الاقدار بوقوعهم تحت حكمهم حتى ولو انصفوهم كما طلب المسيو هانوتو وهذا مما يجهز على الشرق اذا كان العقلاء لا يتلافونه ويكمل الخراب

كل طلب اشتراك لا يكون مقرونًا ببدل الاشتراك فالاحسن ان لا يقدمه صاحبه لانه لا يقبل . وكل من يطلب تخفيض قيمة الاشتراك فالاحسن ان لا يطلب الاشتراك لان طلبه لا يُقبل . وكل من يضيع عدده في البوسطة فنرجوه ان يطلبه من ادارتها لان ادارة المجلة تسلم الاعداد للبوسطة بضبط لا مزيد عليه

باب الاسئلة والاجوبة

اربعة اسئلة

(دمنهور) اسكندر افندي جاماتي

(١) ما الطريقة لاهلاك المادة التي يسميها العامة «منّ» والتي توجد على الاشجار ويتهافت النمل عليها

(٢) وجدت في لبنان على ارتفاع الف ومائة متر عن سطح البحر صدفاً وابواقاً محجرة فكيف اتصلت هذه المواد البحرية الى ذلك العلو الشاهق

(٣ نعلم ان الارض تسير في الهواء فهذا يقتضي ان لا تكون مهاب الريح عليها مختلفة بل تكون متساوية دائماً فما سبب ذلك الاختلاف

(٤) من هو الرجل الاول الذي انتحر وما سبب الانتحار وما دواؤُه

الجامعة — اما سؤالكم الاول فترون الجواب عنه في نبذة نشرناها في باب الزراعة في الجزء الماضي وعنوانها «تنقية الاشجار»

اما وجود اصداف البحر متحجرة في بعض رؤُوس جبال لبنان فينبغي ان يكون سببه واحداً من اثنين اما ان تلك الاصداف قد نقلت نقلاً الى هناك في القرون الماضية واما ان تلك الجبال كانت مغمورة في الماضي بالبحار وانحسرت المياه عنها . والثاني هو الارجح لدى العلماء اذ يقولون ان لبنان كان مغموراً بالمياه في الزمن القديم

واما سؤالكم الثالث فجوابه ان سير الارض في الفضاء لا علاقة له بهبوب الارياح وتجدون سبب هذا الهبوب في الزيت اذا صببتموه في كاس ماء . فان الزيت لا بد ان يطفو على وجه الماء لان ثقله النوعي اخف منه وكذلك هبوب الارياح . فان حرارة الشمس اذا لطفت الهواء في مكان وابقت هواء مكان آخر كثيفاً تحرك الخفيف للصعود فوق الكثيف فيحدث ما نسميه هبوباً ويكون هذا الهبوب شديداً او خفيفاً بحسب شدة لطافة الهواء او كثافته

اما سؤالكم عن الرجل الاول الذي انتحر فهذا امر مجهول . والانتحار على الارجح مرض يطرأُ على الدماغ . هكذا اثبت الفسيولوجيون . فانهم شرحوا ادمغة بعض المنتحرين

فوجدوا ما يدل على حدوث مرض فيها ساعة الانتحار . واذا لم يكن الانتحار مرضاً فهو جبن شائن لان معناه ضعف قوى الانسان وفراره من واجباته في هذه الحياة . اما دواؤه فمعرفة الواجب واحتماله ثقيلاً كان او خفيفاً والثقة بالله والاعتماد على النفس في الجد والعمل لتمهيد مصاعب الحياة

﴿ تهنئة وملاحظة وسؤال ﴾

(طرابلس الشام) غره منصور

اهنئ الجامعة بما حازته من اقبال الناس عليها ونهنئ انفسنا لحصولنا على مجلة مثلها تنشر المباحث المبتكرة ولا سيما في مسائل التربية والتعليم . ولكن لي ملاحظة اجترئ على ابدائها وهي انها تركت عادتها القديمة من الدعوة الى تربية النساء فنرجو منها ان تفسح مجالاً لهذا الامر المهم . ولي مع هذه الملاحظة سؤال . وهو انني عثرت في مقالة التربية والتعليم في الجزء الماضي صفحة ٢٥ على هذه العبارة « لا ترجون في هذا الزمان فائدة من التربية البيتية قبل اصلاحها من اساسها » فوقفت عندها اقول ما هو اساس التربية البيتية

﴿ الجامعة ﴾ اما التهنئة فنقبلها مع الشكر ولم نثبت منها الا سطرين مع انها في كتاب حضرة القارئة ١٤ سطراً . وكذلك نقبل الملاحظة بالشكر وانما نحن قد فتحنا باب « شؤون نسائية وبيتية » خاصة للكلام في ما يعود بالخير على الجنس اللطيف وقد بدأنا بذلك من هذا العدد

واما سؤال السائلة « ما هو اساس التربية البيتية » فالجواب عليه ظاهر من سياق الكلام ونقول الآن ان ذلك الاساس هو « المرأة » فان النساء لا يعرفن اليوم كيف يجب ان يربين اولادهن ولذلك لا ننتظر الفائدة منهن قبل تعليمهن ذلك . وانما ننتظر الفائدة من المدارس وان كانت غير عاملة كل العمل بواجباتها وذلك لانها على الاقل اكثر معرفة بالتربية من الامهات عندنا

ولا ننكر ان هذه الحالة لا تستحق ان نُحسد عليها لانه من العار على الامم ان تكون تربيتها المدرسية ارقى من تربيتها العائلية اذ ذلك من اعظم دلائل الضعف والتأخر . ولكن الحالة كذلك عندنا من سوء حظنا

باب التقريظ والانتقاد

(* المنطق الانتقادي العملي *) اهدى الينا حضرة الاب الجليل الفاضل الخوري خير الله اسطفان الوكيل البطريركي الماروني في القدس الشريف كتاب «المنطق الانتقادي العملي» وهو الجزء الثاني من كتابه «لباب المباحث الجدلية في المطالب الفلسفية». وقد رفعه هدية اكرام واحترام لغبطة العلامة الحبر المفضال البطريرك الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق للطائفة المارونية. والكتاب متين الحجة بليغ العبارة يدل على سعة علم مؤلفه وطول باعه فنشكر لحضرته هديته ونرجو ان ينتفع الشرق بعلمه وفضله

(* تقويم المؤيد *) اصدرت ادارة جريدة المؤيد الغراء تقويمها السنوي الذي اعتادت اصداره سنويًا على نحو ما تفعله المكاتب الكبرى في البلاد الاوربية. وهذا التقرير تام الترتيب والتبويب جزيل الفوائد يشهد لحضرة مؤلفه الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد بطول الباع وحسن الذوق. وهو يشتمل على فصول في الفلك وفي الجوغرافيا والتاريخ والسياسة والزراعة وتدبير المنزل والاحصاء وفوائد من كل نوع في غاية الطلاوة. فنثني على حضرة مؤلفه الذي يحسب تقويمه اول تقويم مفيد ظهر في اللغة العربية على اسلوب مفيد افادة حقيقية. وهو يطلب من ادارة جريدة المؤيد اومن وكلائها في الجهات وثمنه ٤ غروش صاغ فقط

(* جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس *) وصلتنا خلاصة تتضمن ميزانية هذه الجمعية المتألفة في اسكلة طرابلس الشام من بعض ادبائها النشيطين برئاسة قدس الاب الفاضل الخوري ابرهيم اللاذقي. وقد تصفحناها بسرور فرأينا فيها ما اعتدنا رؤيته في هذه الجمعية النشيطة من آثار الغيرة والاجتهاد في سبيل الاحسان. وقد بلغ دخلها في سنة ١٨٩٩ الماضية ١٤٣٧٠ غرشًا ونفقاتها على تجهيز الموتى ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء وغير ذلك ٥٢٩١ غرشًا فنشكر لحضرات رئيسها واعضائها سعيهم في خدمة ابناء وطنهم ونهنئهم بثباتهم واتحادهم

(* الانسانية *) هي جريدة اسبوعية ادبية اخبارية فكاهية لمحررها حضرة الاديب « سيدهم » وقد تصفحنا العدد الاول منها فرايناه جامعاً لشتات الحوادث والاخبار فندعو لها بالثبات والانتشار

(* العصر الجديد *) العصر الجديد جريدة اسبوعية تصويرية سياسية لمحررها حضرة الاديب اسكندر افندي شلهوب صاحب جريدة السلطنة . وهي تبحث على الاخص في الامور الشرقية فنسال لحضرة مديرها النجاح وندعو لجريدته بما تستحقه من الانتشار

(* المزامير *) جريدة انتقادية تصدر مرة في الاسبوع وبدل اشتراكها ٣٠ غرشاً صاغاً في السنة . وهي تنشر ابحاثاً انتقادية لطيفة كانت مما تلذ مطالعته كثيراً لو لم تتطرف في المجون احياناً تطرفاً غير محمود . فنحن ندعو لها ولسائر الجرائد الهزلية المصرية التي لها سلطة ونفوذ لدى عامة الناس هنا بكل اعتدال . ولا نسأل لها النجاح فانها ناجحة طبعاً

(* جمعية خيريه في وسترماس *) اهدت الينا الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في وسترماس نسخة من قانونها مصدرة بهذه العبارة « حب قريبك كنفسك » . وقد تالفت هذه الجمعية حديثاً وانشات في وسترماس كنيسة بهمة حضرات رئيسها واعضائها فنثني على اتحادهم وسعيهم الحميد في سبيل طائفتهم

قال لاروشفوكول : من علامات عظمة الانسان ان يمدحه الذين يحسدونه

قال فرنسيسك سارسي : العمل يُنسي الانسان ما عمله من السيئات ويمنعه من ان يعمل سواها

قال فولتير: من اراد الوصول الى الحقيقة وجب عليه ان لا يكون متحازاً لوطن من الاوطان

جاء في احد الامثال الايطالية « للمرأة اربعة اسلحة : اللسان . والاظافر . والدموع والاغماء »

عادات واخلاق

ننشر في هذا الباب بحثاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحاً اليه منهم زدنا توسعاً فيه

فيكتور رجل بسيط القلب ضعيف النفس . يمر على قصر شاهق وسط حديقة واسعة فيقف يتامل في القصر والحديقة . ويبدأ يقول . ما اكثف هذا الظل الظليل والطف هذا النسيم البليل . يخيل لي ان السعادة تنبت بين هذه الاشجار . هنيئاً لصاحبها ما اسعده واهنأ عيشه . جاه . وثروة ونعيم مقيم . لا كهولاء المساكين الذين يتامون هنا على بلاط الاسواق . ثم التفت الى بعض الفقراء المجتمعين حول جدار الحديقة واقترب منهم فابصر ابا وابنه ياكلان ويضحكان . فعجب من ان حالتهم لا تثير فيهم الافكار التي ثارت فيه . ثم التفت فابصر من الشباك الحديدي صاحب البيت جالساً في صحنه على كرسي وهو مبهوت منقبض النفس . فزاد استغرابه لحزن ذلك الرجل ذي الجاه والثروة وفرح ذلك الفقير مع ولده . فقال بصوت عالٍ : لقد صدق الذي زعم ان الراحة ليست في الثروة

فسمعه رجل مار في سبيله . فقال له : اخطأت واصبت معاً : الراحة ليست في الثروة ولكن الثروة جزء من الراحة والجزء الثاني هو المعرفة . واعني بالمعرفة معرفة نواميس الحياة وواجباتها . فالغني الذي يعرفها يعرف كيف يستخدم ماله فيكون به سعيداً والذي يجهلها يتسلط عليه ماله فيجعله شقياً . فالسعادة اذاً نسيج جميل لحمته الثروة وسداه المعرفة — هذا اذا كان في الارض سعادة

اسألك يا صاحبي سقراط هل يجب ان اتزوج ام ان لا اتزوج . الجواب ياصاحبي انك اذا تزوجت ندمت على زواجك واذا لم تتزوج ندمت على عدم زواجك . فاختر اهون الشرين

بعض الناس مولع بالجديد من كل شيء . يشتري مركبة في هذا الاسبوع ويبيعها في الاسبوع الآتي . يبتاع ثوباً اليوم ويرميه غداً . وبعض الناس اذا صحب الشيء ولو مدة وجيزة ولع به وارتبط بصحبته كانه صديق لا يحب فرقته . وهكذا يكرم كتابه القديم اكثر من كتابه الجديد ويصعب عليه جداً ان يترك قديمه .

الاول منقلب الوداد غير ثابت على عهد والثاني كريم ثابت الود طاهر القلب · ومن الحزب الاخير ابو الطيب المتنبي الذي قال في المعنى السابق ما نصه

خُلقت الوفاً لو رجعت الى الصبي لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

لا تلم المتكبر · فان الداعي الى الكبرياء ثقة الانسان بنفسه · والثقة بالنفس قوة · فالكبرياء قوة · ولكن الكبرياء نوعان · نوع نافع ونوع ضار · فالنوع النافع هو الذي مرّ ذكره واساسه عزة النفس واباء الضيم والاعتماد على الذات · والنوع الثاني هو احتقار الغير والازدراء بجميع الناس · فيجب غرس النوع الاول في نفوس الاولاد · ونزع الثاني

يمتحن الخطيبان بعضهما البعض ثلاثة اسابيع · ويحب بعضهما البعض ثلاثة اشهر ويتخاصمان ثلاث سنوات · ويتساهل بعضهما مع بعض ٣٠ سنة ثم يعيد الابناء ما عمله الاباء

اخلاق بعض القراء

يجدر ان نذكر في باب العادات والاخلاق اخلاق وعادات فريق من قراء اللغة العربية · فقد ابتلينا ببعض « الادباء » الذين ارسلوا يطلبون المجلة لهم ولبعض اصدقائهم فاجبناهم ولم نطلب بدل الاشتراك سلفاً لثقتنا بهم فكانت النتيجة انهم قطعوا اخبارهم عن الادارة وسدوا آذانهم لما طالبتهم بحقوقها

ومن ذلك ايضاً ان بعض الاصدقاء الذين يريدون الخير للجامعة الحوا علينا بارسالها الى فلان وفلان من اصدقائهم ومعارفهم الافاضل والادباء لانهم يرغبون في المطالعة وتنشيط الادب وبعضهم اكد انهم هم الذين طلبوا ذلك منهم فرضينا وارسلنا المجلة لهم مع اننا لا نرسلها الا بموجب طلب مقرون ببدل الاشتراك سلفاً · فكانت النتيجة ان بعض هولاء الادباء بعد قراءتها سنة ردّ احد الاعداد وكتب عليه « مردود » وبعضهم كتب « لا يمكن ان نقبلها الا مجاناً .. » وبعضهم « لا يمكن ان نقبل الا بنصف القيمة » وبعضهم لفرط ادبه وحسن ذمته انكر وصولها اليه مع ان الشهادات الخطية من البوسطة تكذبه

فنحن بازاء هذه الامور الصبيانية لا يسعنا الا الضحك من سلوك اصحابها · ولا نلومهم فان هذا احسن ما عندهم من الادب وحسن الذمة وانما نلوم اصدقاءنا الذين الحوا علينا بالارسال اليهم · ومأمولنا ان لا يتركوا لنا مجالاً لهذه الشكوى في المستقبل حتى نشغل سطور

المجلة بما هو اهم من هذه الامور التافهة والا اضطررنا حينئذٍ الى ان نعاملهم شخصياً معاملة يستحقونهـا اذا لم يكرموا انفسهم· فانغش الناس ليس بالامر الهين ولا هو مما تصبر النفوس عليـه

ونحن قد اوقفنا ارسال المجلة اليهم اذ لا اسف على ثلاثين قارئاً مثلهم يكونون عثرة في سبيلنا بدل ان يقتدوا بافاضل قرائنا الذين ينشطوننا من كل جانب · واذا اضطرتنـا الحال لم نتأخر عن ذكر اسمائهم خدمة لباقي الزملاء وذلك لئلا يخدعوا بالقابهم او بطلباتهم وفي هذا القدر كفاية الآن

ونحمد الله ان هذه الفئة قليلة بين قراء الجرائد والمجلات وان الذين يقدرون قدر متاعب الخدمة الادبية في الشرق كثيرون· وكان يجب على الجامعة ان لا تشير الى اساءة المسيئين مع رضاها كل الرضى عن قرائها الكرام ولكننا اردنا ان نغتنم هذه الفرصة لنذكر صغر عقول المسيئين وفضل العقلاء المساعدين وذلك على سبيل المقابلة بين الحسن والقبيح وبضدها تتميز الاشياء

وقد مضى علينا اكثر من شهرين ونحن نتحفز لتصفية هذا الحساب فنؤمل بعد الآن ان لا نضطر الى اشد منه لانه يعز علينا ان نجرح عاطفة احد وان نشغل وقتنا بهذه السفاسف

تاريخ الاسبوعين

⁂ السنة الهجرية الجديدة ⁂ نهنئ السادة المسلمين بدخول عام ١٣١٨ الجديد ونرجو ان يكون عليهم عميم الخيرات والبركات

⁂ الجناب الخديوي ⁂ اشرقت طلعة الجناب الخديوي على الثغر في اول مايو لقضاء فصل الصيف فيه جرياً على عادته السنوية فنرجو لسموه بيننا طيب الاقامة

وجنابه العالي مسافر الى اوربا في آخر الشهر الجاري فيصل الى لندرا على الارجح في اواسط يونيو

⁂ عثمان باشا الغازي ⁂ لم تبقَ جريدة حتى ذكرت المرحوم عثمان باشا الغازي واثنت عليه · ولم نسمع قبل الغازي برجل اجمعت على مدحه السن الشرقيين والغربيين

الاول منقلب الوداد غير ثابت على عهد والثاني كريم ثابت الود طاهر القلب · ومن الحزب الاخير ابو الطيب المتنبي الذي قال في المعنى السابق ما نصه

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبي لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

لا تلم المتكبر · فان الداعي الى الكبرياء ثقة الانسان بنفسه · والثقة بالنفس قوة · فالكبرياء قوة · ولكن الكبرياء نوعان · نوع نافع ونوع ضار · فالنوع النافع هو الذي مرّ ذكره واساسه عزة النفس واباء الضيم والاعتماد على الذات · والنوع الثاني هو احتقار الغير والازدراء بجميع الناس · فيجب غرس النوع الاول في نفوس الاولاد · ونزع الثاني

يمتحن الخطيبان بعضهما البعض ثلاثة اسابيع · ويحب بعضهما البعض ثلاثة اشهر و يتخاصمان ثلاث سنوات · ويتساهل بعضهما مع بعض ٣٠ سنة ثم يعيد الابناء ما عمله الاباء

اخلاق بعض القراء

يجدر ان نذكر في باب العادات والاخلاق اخلاق وعادات فريق من قراء اللغة العربية · فقد ابتلينا ببعض « الادباء » الذين ارسلوا يطلبون المجلة لهم ولبعض اصدقائهم فاجبناهم ولم نطلب بدل الاشتراك سلفاً لثقتنا بهم فكانت النتيجة انهم قطعوا اخبارهم عن الادارة وسدوا آذانهم لما طالبتهم بحقوقها

ومن ذلك ايضاً ان بعض الاصدقاء الذين يريدون الخير للجامعة الحوا علينا بارسالها الى فلان وفلان من اصدقائهم ومعارفهم الافاضل والادباء لانهم يرغبون في المطالعة وتنشيط الادب و بعضهم اكد انهم هم الذين طلبوا ذلك منهم فرضينا وارسلنا المجلة لهم مع اننا لا نرسلها الا بموجب طلب مقرون ببدل الاشتراك سلفاً · فكانت النتيجة ان بعض هولاء الادباء بعد قراءتها سنة ردّ احد الاعداد وكتب عليه « مردود » و بعضهم كتب « لا يمكن ان نقبلها الا مجاناً . . » و بعضهم « لا يمكن ان نقبل الا بنصف القيمة » وبعضهم لفرط ادبه وحسن ذمته انكر وصولها اليه مع ان الشهادات الخطية من البوسطة تكذبه

فنحن بازاء هذه الامور الصبيانية لا يسعنا الا الضحك من سلوك اصحابها · ولا نلومهم فان هذا احسن ما عندهم من الادب وحسن الذمة وانما نلوم اصدقاءنا الذين الحوا علينا بالارسال اليهم · ومأمولنا ان لا يتركوا لنا مجالاً لهذه الشكوى في المستقبل حتى نشغل سطور

المجلة بما هو اهم من هذه الامور التافهة والا اضطررنا حينئذٍ الى ان نعاملهم شخصياً معاملة يستحقونها اذا لم يكرموا انفسهم. فان غش الناس ليس بالامر الهين ولا هو مما تصبر النفوس عليه

ونحن قد اوقفنا ارسال المجلة اليهم اذ لا اسف على ثلاثين قارئاً مثلهم يكونون عثرة في سبيلنا بدل ان يقتدوا بافاضل قرائنا الذين ينشطوننا من كل جانب. واذا اضطرتنا الحال لم نتأخر عن ذكر اسمائهم خدمة لباقي الوصفاء وذلك لئلا يخدعوا بالقابهم او بطاباتهم وفي هذا القدر كفاية الآن

ونحمد الله ان هذه الفئة قليلة بين قراء الجرائد والمجلات وان الذين يقدرون قدر متاعب الخدمة الادبية في الشرق كثيرون. وكان يجب على الجامعة ان لا تشير الى اساءة المسيئين مع رضاها كل الرضى عن قرائها الكرام ولكننا اردنا ان نغتنم هذه الفرصة لنذكر صغر عقول المسيئين وفضل العقلاء المساعدين وذلك على سبيل المقابلة بين الحسن والقبيح وبضدها تتميز الاشياء

وقد مضى علينا اكثر من شهرين ونحن نحتفز لتصفية هذا الحساب فنؤمل بعد الآن ان لا نضطر الى اشد منه لانه يعز علينا ان نجرح عاطفة احد وان نشغل وقتنا بهذه السفاسف

تاريخ الاسبوعين

❋ السنة الهجرية الجديدة ❋ نهنئ السادة المسلمين بدخول عام ١٣١٨ الجديد ونرجو ان يكون عليهم عميم الخيرات والبركات

❋ الجناب الخديوي ❋ اشرقت طلعة الجناب الخديوي على الثغر في اول مايو لقضاء فصل الصيف فيه جرياً على عادته السنوية فنرجو لسموه بيننا طيب الاقامة

وجنابه العالي مسافر الى اوربا في آخر الشهر الجاري فيصل الى لندرا على الارجح في اواسط يونيو

❋ عثمان باشا الغازي ❋ لم تبق جريدة حتى ذكرت المرحوم عثمان باشا الغازي واثنت عليه. ولم نسمع قبل الغازي برجل اجمعت على مدحه السن الشرقيين والغربيين

على اختلاف مذاهبهم واجناسهم كما اجمعت على مدحه · وهذا وحده يدل على عظم نفس الرجل ورفعة مقامة

والحقيقة ان نفس الغازي رحمه الله كانت حاوية لاكثر المواهب الكريمة التي تحبب الناس الى الناس وتجعلهم في مصاف الرجال العظام · ومن ذلك ما رواه بعضهم عن الغازي يوم حصار بلافنا ذلك الحصار الذي كتب تاريخه باحرف ذهبية في تاريخ الدولة العثمانية · فان الروسيين وعددهم اكثر من ١٤٠ الف جندي كانوا يحصرون عثمان باشا وجنوده في قرية بلافنا وعددهم نحو ٤٠ الف فقط حتى نفذ الزاد واصبحوا ياكلون اصول الاشجار · فجاءه يوماً مكاتب جريدة التمس وقدم الى الغازي علبة صغيرة من الكعك المسكر (بيسكوتي) فارجعها اليه الغازي قائلاً · — بل ابقها لك لانني لا استطيع أكل البيسكوتي بينما جنودي ياكلون اصول الاشجار

وقد نشرت اكثر المجلات والجرائد تاريخ حياة الغازي اما نحن فنكتفي بهذه القصة الصغيرة فانها تدلنا على حقيقة اخلاق الرجل وفيها تنحصر كل حياته · منها يظهر ان الغازي كان شريف النفس عادلاً عظيماً كريماً محباً لجنوده غير مؤثر نفسه على سواه ولا مهتم بملذاته عند القيام بواجباته · توفي في ٤ افريل الماضي وكانت وفاته رحمه الله خسارة على الجيش العثماني لا تعوض · وتقول الصحف الاوربية انه اعظم قائد عثماني قام في هذا القرن

وقالت الكاتبة الفرنسوية الشهيرة السيدة مدام ادم في مجلتها « المجلة الجديدة » انها قبل وفاته باسبوع واحد وردتها منه رسائل يستغرب فيها ما اشاعه بعضهم عن وفاته حال كونه في صحة وعافية ثم اردفت بقولها ان كل من عرف هذا الرجل العظيم حفظ له في نفسه تذكاراً خالداً لرقته وعظمة نفسه ومكارم اخلاقه · نسال الله ان يرحم فقيد الامة العثمانية عداد حسناته ويجمل عزاء اسرته الكريمة

❋ حادثة بيروت ❋ مصيبة عظمى اصابت بيروت في ٢٠ افريل الماضي · فان عطوفة الوالي ركب سفينة للفراجات بسترس ونحاس قصد السفر الى طرابلس الشام واللاذقية فركب بعض اعيان بيروت الطراد العثماني « سهام » الراسي في ذلك الثغر وخرجوا به الى عرض البحر في اثر عطوفته فلم يبعدوا عن الشاطئ قليلاً حتى سُمع صوت كهزيم الرعد القاصف فرأى الناس من البران الطراد سهام انفجر قسمين وغاص مقدمه في الماء وارتفع مؤخره عمودياً في الهواء · وكان سبب ذلك انفجار المرجل والتوربيل فيه ففقد من ركابه

الثاني والثلاثين اكثر من ٢٥ شخصاً والباقون جُرحوا وكان في جملة القتلى ميشل بسترس والكونت دي طرازي وربان الطراد فعظم الخطب على بيروت وقد احتفل بجنازات القتلى احتفالاً عظيماً فنسال الله الرحمة لهم لفرط ما اصابهم من عذاب تلك الميتة ونهنئ الذين نجوا بنجاتهم . ثم نؤمل ان ينجلي البحث في هذه الحادثة عن معرفة اسباب الانفجار والمسئول عنه

(* الطاعون في بورسعيد *) عاد الضيف الثقيل الى القطر . فقد حدث في ٢٧ و٢٨ الماضي اصابتان بالطاعون في يونانيين ببورسعيد فوضعت الدولة العثمانية وبعض الدول الحجر الصحي على واردات بور سعيد ١٠ ايام وبعضها وضع الحجر على واردات القطر كله ٥ ايام ولكن طاعون بور سعيد والحمد لله خفيف ضعيف كما كان طاعون الاسكندرية

حرب الترانسفال — ما كان احد ينتظر ان اللورد روبرتس بعد دخوله بلونفونتين عاصمة اورانج ظافراً منصوراً يقف عن الزحف الى كرونستاد فبريتوريا لانهاء هذه الحرب المشومة . ولكنه اضطر الى الوقوف ليستريح جيشه من التعب الذي عاناه في مطاردة البوير لفتح كمبرلي ولكي ترده خيول جديدة وملابس للجنود لان اكثر خيوله ماتت او مرضت من شدة التعب والجهد والشتاء مقبل على الجيش فلا يستطيع ان يدخل به الى قلب الترانسفال الا اذا كان مستعداً تمام الاستعداد . ولما ابصر البوير منه ذلك ايقنوا بضعفه فعادت اليهم الجرأة فزحفوا على الانكليز ليقطعوا عليهم خط الاتصال في جنوب بلونفونتين فقلق الراي العام الانكليزي لزحفهم وخاف ان يحصروا بلونفونتين كما حصروا لاديسميث وكمبرلي من قبل . وفيما هم زاحفون حصروا مدينة وبنر في طريقهم فقاومتهم اياماً حتى جاء حاميتها مدد عدده ٤٠ الف جندي فاجلى البوير عنها لان عددهم لا يتجاوز ٤ او ٥ الاف رجل . وبما ان اللورد روبرتس قد وصلته بعض الخيول والامتعة وسئم الانكليز الانتظار فضلاً عن استراحة الجيش فقد استانف الزحف . والهجوم والقتال دائر الآن بينه وبين البوير الذين يقاومونه . وقد دبت الحمية في نفوس انصار البوير وعاد الامل اليهم لما شاهدوه من اقدامهم من جديد

ومن اهم اخبار هذا الشهر ايضاً انزال انكلترا جنوداً لها في مرفا بايره البرتغالي لايصالهم

على سكة حديد البرتغال الى حدود روديزيا الانكليزية وحدود الترانسفال الشمالية · فكان لهذا العمل دوي عظيم في اوربا لانه خرق صريح لاصول الحيادة الدولية اذ البرتغال على الحيادة كما لا يخفى

ومن امهات الحوادث في هذا الشهر ايضاً موت الكولونل فيلبوى دي ماروبل المتطوع الفرنسوي في جيش الترانسفال الذي دعته جرائد اوربا « لافاييت » هذه الحرب راجع كلمة « لافاييت » في الصفحة الاولى من ملزمة الرواية

وفيات

(* حسين جوجو *) نعزي حضرة الوجيه عزتلو علي بك جوجو بوفاة نجله المأسوف عليه المرحوم حسين افندي جوجو · توفي رحمه الله بصدمة من مركبات الترامواي · والحق يقال ان هذا الترامواي قد استفحل امره في القاهرة والثغر · ويا ليت كل مصاب به يرفع على الشركة قضية ويطالبها بالتعويض لعلها تكون اكثر عناية بارواح العباد · تغمد الله الفقيد بواسع الرحمة والغفران والهم حضرة والده وسائر آله جميل السلوان

(*ارملة المرحوم نقولا خلاط *) نعيت الينا من طرابلس الشام المرحومة مريم زريق ارملة المرحوم نقولا خلاط فنقدم لحضرات آلها عبارات التعزية على فقدها ونسال ان يتغمدها برحمته ورضوانه

(* انطونيوس حنانيا *) انتقل الى رحمة الله في ١٧ الماضي في الثغر المرحوم انطونيوس حنانيا فنعز فقده على آله رحمه الله وعزى ذويه على فقده

(*جرجي نحاس *) استاثرت رحمة الله تعالى في صباح ٢٢ افريل الماضي في كفر الزيات بالماسوف عليه جرجي نحاس نجل حضرة الخواجا اسعد نحاس · قصفته المنون في زهرة الصبا وعمره ١٥ سنة فنسال الله ان يلهم والديه نعمة الصبر الجميل ويتغمده بالرحمة والرضوان

التسميتين فرق لا يخفى

وما زال الموكب سائرًا حتى صارت الساعة الثانية بعد الظهر فوصل الى صفوف من الحرس الوطني اقيمت في الطريق للتسليم على الملك وكان هذا الحرس الوطني جيشًا قد نُظم بامر جديد وولي الجنرال لافاييت قيادته (١)

وكان هذا الجنرال محبوبًا الى الشعب الباريزي وذا سلطة عظيمة عليه فكان الشعب يهتف بملء فيه ليحيَ لا فاييت ليحيَ لا فاييت

وما سرَّ لويس السادس عشر المسكين انه سمع الشعب يهتف ليحيَ الملك بقدر ما كان يهتف ليحيَ لافاييت

ولكن هذه نعمة لا تدوم للملك لانه سيأتي يوم لا ينادون صوتًا واحدًا ليحيَ الملك حتى ينادوا عشرين مرة ليحيَ لا فاييت

وكانت مقابلة الملك للجنرال لافاييت حسنة فان الجنرال استقبله خافضًا سيفه والملك احسن مجاملته



(١) لافاييت — هو المركيز دي لافاييت المارشال الفرنسوي الشهير الذي كان رفيق واشنطون في تحرير اميركا واليه ينسب اكثر الفضل في مداخلة فرنسا وتاييدها للولايات المتحدة في ذلك الزمان . ولد في سنة ١٧٥٧ وربته جدته لابيه . وفي سنة ١٧٧٦ قرأ اخبار الحرب بين سكان الولايات المتحدة والانكليز كما يحاربهم البوير الآن وكان لافاييت غنيًا لانه كان يملك ايرادًا سنويًا قدره ١٢٠ الف جنيه فحدثته نفسه ان ينصر الضعفاء على الاقوياء فسافر سرًا الى انكلترا ومنها كتب كتابًا الى اهله يطلعهم على عزمه ثم سافر بالرغم عنهم الى فيلادلفيا فعرض نفسه على دار الندوة متطوعًا فاجمل الاميركيون وفي مقدمتهم واشنطون استقباله وولوه قيادة احد جيوشهم فحاز اكليل النصر على الجنود الانكليزية مرارًا . وفي خلال الحرب سافر مرتين الى فرنسا واستحث حكومة لويس السادس عشر على المداخلة فتداخلت وارسلت اسطولها وبعض فرق من جندها . وكان الجنرال الانكليزي كورنواليس يسميه « الصبي » لحداثة سنه ويقول انه سيأسره في وقت قريب . ولكن ما لبث هذا « الصبي » ان ضايق الجنرال وجنده بحركات حربية بديعة حتى حصره في يوركتون والجأه الى التسليم في ١٧ اكتوبر سنة ١٧٨١ فانتهت الحرب بذلك وفاز لافاييت فوزًا مبينًا . ثم عقدت مقدمات الصلح بين انكلترا والولايات المتحدة في فرساليا في ٢٠ يناير

وفيما كان الملك يستقبل لافاييت مدّ بيلو نظره فابصر قبعة الملك وعليها شعاره الملكي وهو « شريطة » بيضاء فالتفت الى جيلبار وسأله باستغراب لماذا ايها الدكتور لا يحمل الملك « الشريطة » الوطنية وهي المثلثة الالوان

فاجاب جيلبار لان « الشريطة » البيضاء شعار الملك وهو لا يعلم رسمياً ان الفرنسويين اتخذوا لهم شعارًا وطنياً غيرها وفضلاً عن ذلك فان « الشريطة » البيضاء قد كللت بالنصر والامجاد في ساحة القتال منذ قرون عديدة واما شريطتكم المثلثة الالوان فماذا صنعت الى الآن حتى يحملها الملك

فاجاب بيلو كيف تقول ذلك ايها الدكتور انسيت انها فتحت الباستيل

فاستغرب الدكتور هذا الجواب البديهي القوي وقال احسنت واصبت يا بيلو ثم سكت الدكتور

وبينما كان الموكب سائرًا وقف على حين بغتة . ذلك ان حاكم مدينة باريز كان ينتظر الملك عند ساحة تدعى ساحة الملكة قرب الشان اليزه وبازائه اثنان من اعضاء المجلس البلدي يحملان بعناء طبقاً كبيرًا احمر اللون عليه مفتاحان كبيران هما مفتاحا بابي

سنة ١٧٨٣ وهو الصلح الذي انال الولايات المتحدة الاستقلال . فارتفع شان لافاييت في اميركا وفرنسا ارتفاعاً عظيماً واصبح واشنطون صديقاً حميماً له . وقد نصب له الاميركيون التماثيل في بلادهم وفي فرنسا لانه كان احد العوامل الكبيرة في تحريرهم

ثم عاد لافاييت الى فرنسا فاصبح اشهر رجل فيها واحبه الشعب حباً عظيماً . وكان مشهورًا بارائه الحرة مع كونه من طبقة الاشراف فاسخط ذلك البلاط عليه . فلم يهمه سخط البلاط لان كل الشعب كان متعلقاً به . ولما نُظم جند الحرس الوطني الجديد في ذلك الزمان عُين قائدًا له باجماع الآراء . وهو يقابل الملك الآن بصفته قائدًا لهذا الجند وسيرد في ما يلي تتمة ترجمة هذا الرجل الكبير

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الاميركيين ذكروا في هاتين السنتين خدم لافاييت الماضية فقرروا انشاء تمثال له في باريز وضربوا وساماً خصوصياً سموه « ريال لا فاييت » واهدوه الى رئيس الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي فسلمه اليه سفير اميركا في باريز بالنيابة عن المستر ماكنلي . ومنذ ايام لافاييت الى اليوم والصداقة شديدة العرى بين فرنسا والولايات المتحدة

باريز من ايام الملك هنري الرابع

فوقف الجمع وانصت الناس لهذا المشهد الرسمي . فتقدم حاكم باريز وتلا خطاباً رحب فيه بالملك

وكان الحاكم هو العالم بالي (١) الفلكي وفحوى خطابه مديح الملك والثناء على ملكه منذ تولية تيرغو ازمة الحكومة . ولم يكن فيه شيء يجرح الملك الا كلمة كانت في صدرهذا الخطاب كالصاعقة في شدتها وهي « مولاي اقدم لجلالتكم مفاتيح مدينة باريز الجليلة . وهي المفاتيح التي قُدمت الى هنري الرابع حين دخوله اليها . انما هنري الرابع كان هو الذي قوي على شعبه اما الآن فالشعب هو الذي قوي على ملكه »

فاحمر وجه الملك لهذا الكلام ولكنه مع ذلك اشار براسه دلالة على رضاه وهو يقول بنفسه لو كانت الملكة الآن مكاني لما كانت تجيب هذا الفلكي البارد بما ساجيب به

ولما انتهى بالي من الخطابة اجاب الملك جواباً لم يشر فيه الى شيء بل قال انه مسرور كل السرور بالاستقبال الجميل الذي يستقبله الباريزيون به

واما تلك الكلمة الشديدة فلوضعها في خطاب بالي نكتة لا بأس بايرادها (٢)

---

(١) العالم بالي الذي كان حاكماً لمدينة باريز يوم عودة الملك اليها بعد فتح الباستيل . وكان قبل ذلك رئيساً للمجمع الوطني كما مرّ في الجزء الاول راجع هناك ترجمة حياته

(٢) الكلمة القوية — قبل خروج بالي لاستقبال الملك كان يتنزه مع بعض اعضاء المجلس البلدي فقال لهم ان المفاتيح التي سنأخذها للملك ثقيلة جدّاً وهل تحسبون انني ساعود بها . فسأله احدهم وماذا تصنع بها اذّاً فقال القيها على الارض واستريح منها . فاجاب العضو اياك وهذا الامر فانها ثمينة لانها من عهد الملك هنري الرابع . وكان بالي قد كتب خطابه فلما سمع كلمة هنري الرابع حضره خاطر فتناول نسخة خطابه من جيبه ووضع في صدره العبارة التي وردت آنفاً وهي « مولاي اقدم لجلالتكم مفاتيح مدينة باريز الجليلة . وهي المفاتيح التي قدمت لهنري الرابع حين دخوله اليها . انما هنري الرابع كان هو الذي قوي على شعبه اما الآن فالشعب هو الذي قوي على ملكه » ذلك ان هنري الرابع حصر باريز وافتتحها عنوة اما الملك لويس السادس عشر فالشعب يأتي به الى باريز عنوة .

وبعد هذا الخطاب استأنف الموكب السير وكان الدكتور جيلبار لا يزال مع بيلو سائرين بازاء نافذة مركبة الملك

ولما وصلت المركبة الى ساحة لويس الخامس عشر سمع على حين بغتة بين حركة الجمع صوت انفجار خفيف ونظر شيء قليل من الدخان صاعداً في الهواء . وفي هذا الوقت نفسه شعر جيلبار بصدمة شديدة على صدره ورأى امرأة كانت واقفة امامه وجهاً لوجه تسقط على الارض مجروحة برصاصة اصابت كتفها

فاصفر وجه جيلبار ونظر الى صدره فرأى على احد ازراره النحاسية الضخمة آثار الرصاصة . ذلك ان الدخان الذي صعد كان دخان رصاصة اطلقت على نافذة مركبة الملك فاصابت زرّ الدكتور جيلبار النحاسي فلم تستطع ان تنفذه فارتدت الى امرأة كانت واقفة بازائه وجرحتها

اما الملك فانه لما سمع صوت الانفجار اطل من نافذته ليعلم السبب ثم نظر الى الدكتور جيلبار وقال ضاحكاً اظنهم يطلقون البارود احتفالاً بي . فابتسم جيلبار وهو لا يزال اصفر اللون وقال نعم ياذا الجلال

ولكن من اطلق تلك الرصاصة على الملك ؟ ومن اي جهة اطلقت ؟ . امران بقيا مجهولين اذ لم يبحث احد عن ذلك في ذلك الزمان

وما زال الموكب سائراً حتى وصل الى ساحة المجلس البلدي وكان مرسوماً على صدره باحرف ضخمة هذه العبارة

« الى لويس السادس عشر ابي الفرنسويين وملك شعب حر »

فلما قرأ الناس هذه العبارة هتفوا هتافاً بلغ عنان السماء . فسأل بيلو بيتو عن سبب الهتاف فقرأ له بيتو هذه العبارة . فتحمس بيلو وصاح احذر ان تكون قد خدعتك عيناك . واقرأ جيداً . هل المجلس البلدي كتب على جدار المنزل ان الشعب حر . فقال بيتو نعم فصاح بيلو وكان لم ينس بعد حديث الشعار مع الدكتور . اذا كان الشعب حراً فله الحق بان يقدم للملك شعاره

وقد قال ديماس ان الناس نسوا خطاب باليي بل نسوا كل مؤلفاته ولم يبق منه اثر في اذهانهم الا هذه العبارة الشديدة التي ثبتت كانها حفرت فيها باحرف من نار . والذي روى هذه الرواية عن هذه العبارة هو باليي نفسه في تاريخ حياته الذي كتبه قبل مماته

قال هذا ثم وثب الى مدخل المجلس البلدي · وكان الملك قد نزل من المركبة وارتقى الدرج ليدخل الى المجلس · فصاح بيلو · مولاي انك رأيت في ساحة « الجسر الجديد » تمثال الملك هنري الرابع مزيناً بالشعار الوطني · فقال الملك نعم رايته · فقال بيلو ولماذا جلالتك لا تزين قبعتك ايضاً بالشعار الوطني

فانصت الجميع عند ذلك واجاب الملك مضطرباً نعم · · · سافعل ذلك · · لو كان لدي منه

فرفع بيلو حينئذٍ يده وفيها قطعة من الشعار الوطني وهي « شريطة » مثلثة الالوان كما مرّ بنا وقال للملك · خذ يامولاي اني باسم الشعب اقدم لك شعاره لتضعه مكان شعارك

فنظر الملك الى باليي حاكم باريز فقال باليي · ان هذا الشعار يامولاي رمز الى ان حامله فرنسوي لا الى شيء آخر · فمد الملك يده ليتناوله وقال · اذا كان هذا هكذا فانني احمله بسرور · ثم رفع شعاره الملكي الابيض عن قبعته ووضع مكانه شعار الشعب

فارتفع هتاف تلك الالوف من كل جانب وساد الهرج والمرج ابتهاجاً بصنع الملك

اما الدكتور جيلبار فحول وجهه عن ذلك المشهد مشمئزاً ومستاء لانه راى الشعب يمشي الى غرضه بخطى واسعة والملك لا يتأنى في مقاومته

وكان الشعب يصرخ « ليحيى الملك · ليحيى الملك » فقال الدكتور في نفسه · · لم يبقَ ملك بعد الآن

ثم مد الجند سيوفهم من مدخل المجلس البلدي الى الداخل فدخل الملك تحت سماء بارقة من السيوف فتنهد جيلبار وقال · ماهذا بقوس نصر ولكنه رمز الى سلطة الشعب الهائلة · ماذا تقول الملكة اذا علمت بهذا

الفصل السابع

(ما كانت تصنع الملكة في فرساليا والملك في باريز)

واستقبل اعضاء المجلس البلدي الملك في داخل المجلس استقبالاً شائقاً · فانهم لقبوه « واهب الحرية » فاظهر الملك لهم سروره بمقابلتهم ثم خرج من المجلس

فوجد الملك الشعب يداعب خيل مركبته ويزينها مع المركبة بقطع من الشعار الوطني حتى اصبحت كانها مغطاة بالحمائل المثلثة الالوان · فركب الملك المركبة ضاحكاً

وكان الدكتور جيلبار واقفاً حينئذٍ في احدى نوافذ المجلس البلدي ولم يرافق الملك لانه علم انه قد اصبح في امن من الشعب . ولكن الملك لم يكد يركب مركبته حتى نظر جيلبار فارساً من فرسان البلاط يتقدم على جواده من قصر المجلس فعلم جيلبار ان هذا الفارس رسول من الملكة

وكان هذا الفارس هو الكونت دي شارني

فلما وصل الى مركبة الملك سلم باحترام فسأله الملك كيف تركت الملكة قال تركتها بخير ولكنها مشغولة البال بشان جلالتكم . قال فلتطمئن بالاً فكل شيء انقضى على احسن ما يرام . ثم نظر الكونت الى ما حوله فابصر الجنرال لافاييت فابتسم له الجنرال فتقدم منه الكونت مسلماً فمد له الجنرال يده مصافحاً

فكانت هذه الحركة كافية لانزال فارس الملك في اعلى منزلة من الشعب فهتف الشعب للفارس « ليحيي الملك » ثم حمله مع جواده وساروا به كالبحر الزاخر

واما قدوم الكونت دي شارني من فرساليا الى باريز لمقابلة الملك فسببه في ما يلي

كان الدكتور جيلبار ما وصل بالملك الى قرب باريز حتى انفذ الى الملكة ثلاثة رسل يبلغها معهم سلامة الملك وراحته . فاحدثت هذه الاخبار سروراً حقيقياً في نفس الملكة . وفيما كانت تظهر سرورها بذلك امام حاشيتها في ذلك اليوم قال احد مقربيها لها من ادرانا ياسيدتي اذا كانت هذه الاخبار حقيقية . فنظرت اليه الملكة وقالت . اما هذا فكونوا على ثقة منه لان الذي يرسل الينا الاخبار من اصدقائنا

فقالت البرنسس دي لامبال ومن عساه يكون هذا الصديق ياسيدتي . فقالت الملكة هو الدكتور جيلبار طبيب الملك الجديد

وكانت الكونتس اندري حاضرة . فلما سمعت الملكة تقول عن الدكتور انه من اصدقائها وثبت كلبوة ثائرة وقالت : جيلبار صديق جلالتك

فبهت الحاضرون وذكرت الملكة حينئذٍ انها جرحت الكونتس في ما قالته . فنظرت الى لاندري فرأت عينيها متقدتين غيظاً وحنقاً وهي صفراء اللون كانها من الاموات . ولكن الملكة نظرت في الوقت ذاته الكونت دي شارني قادماً باتناق غريب فقالت بهدوء كانها تدعو بذلك اندري الى الانتباه وكتلم ما في نفسها : جاء الكونت دي شارني

فدخل الكونت . وكان قد رأى من بعيد اضطراب زوجته اندري واصفرارها وسمع ما قالته عن جيلبار . فلما دخل سألت الملكة اندري . وهل يغيظك ياعزيزتي ان يكون

الدكتور جيلبار من اصدقائنا

فعضت اندري شفتيها . ودنا منها الكونت زوجها بعد التسليم والتحية وسالهـا ما بك ايتها الكونتس فاني اراك صفراء مضطربة . فسكتت اندري . فقال الكونت وقد سمعت اعتراضك على صداقة جيلبار فهل لك ما تقولينه عن فضل هذا الرجل وادبه

وكان قلب اندري في خلال هذا الكلام يقطر دماً فكرهت الملكة ان تطيل عذابهـا فقالت . اظن ان الكونتس لم تعترض على صداقتنا للدكتور الا لانها رأتنا نعتبره من اصدقائنا مع حداثة معرفتنا به . اليس كذلك ايتها الكونتس

فاجابت الكونتس بهدوء وتردد . نعم .. نعم هذا هو السبب

فقال الكونت دي شارني . لاندري . هذا لا يقنعني ولا بد ان يكون لك سبب آخر

فلذعت الغيرة هنا قلب الملكة . فبعد ان كانت معذَّبة اصبحت معذِّبة . فنظرت الى الكونت وقالت بشيء من السخط ما لك عدتَ الى هذا الموضوع ايهـا الكونت كانك لم تعتقد بصحة التعليل الذي عللته . فاجفل شارني لهذا الانقلاب واجاب مولاتي ...

فقطعت الملكة عليه الكلام قائلة . فهمت سبب قلقك على الكونتس انك غيور وحقك ان تغار كما اغار انا الآن على الملك في باريز . فحاول شارني الكلام مرة ثانية فقطعت الملكة بغضب شديد كلامه للمرة الثانية وصاحت: لماذا تريد الاعتذار عن غيرتك وهل الغيرة عار . كن غيوراً بقدر ما تشاء فان الغيرة دليل على الحب

فلبث جميع الحاضرين صامتين مبهوتين بازاء غضب الملكة اما شارني فاطرق الى الارض واما اندري زوجته فانها كانت تعض شفتيها مدهوشة وخائفة

مدهوشة مما كانت تسمعه . وخائفة مما خيل لها انها فهمته

ولما سكتت الملكة انحنى شارني باحترام وقال . سمعت جلالتك تظهرين خوفك على الملك لوجوده في باريز فانا ذاهب لحراسة جلالته فاما ان اعود به سالماً واما ان لا اعود . ثم زاد في الانحناء وهم بالخروج

فوثبت اندري اليه وحالت بينه وبين الباب قائلة لا ادعك تذهب وارفق بنفسك

فاستشاطت الملكة هنا غضباً وصاحت بها . من اين لك ايتها السيدة ان تقومي هنا مقام الملكة فتامري وتنهي . ومتى جاز لك اذا كان المسيو شارني يريد الذهاب للدفاع

عن الملك ان تقعديه عن هذا الواجب

فسكتت اندري واطرقت الى الارض . اما شارني فقال . اعذريها ياسيدتي فانها لا تزال مضطربة الافكار ونحن كلنا فدى جلالة الملك وجلالتك

قال هذا وانحنى باحترام شديد وخرج . وبعد دقيقتين سمعت الملكة وقع حوافر جواده على البلاط وهو ينهب الارض نهباً قاصداً باريز . وما زال حتى وصل الى الملك على ما مرّ بنا

الفصل الثامن

(عودة الملك)

وصرفت الملكة بقية ذلك النهار منقبضة النفس لما بدأت تشعر به من حب شارني لزوجته وحب زوجته له . وفي المساء كانت مبهوتة في نافذة قصرها واذ دخل عليها بعض الحراس ركضاً صائحين قد جاء رسول قد جاء رسول . فقامت الملكة مدهوشة وسالت عن الرسول فادخلوه اليها فسالته فابلغها ان الملك في عافية وسلامة وانه يعود بعد نصف ساعة الى فرساليا . ففرحت الملكة فرحاً حقيقياً لان حب الملك كان عندها فوق كل حب اذ هو ابو اولادها وشريكها في نعمتها

ولم تنقض نصف ساعة حتى ظهرت المشاعل تتقدم موكب الملك على طريق فرساليا . فانتظرته الملكة على سلم القصر وقلبها يرقص فرحاً بلقائه سالماً . ولما وصل اليها انطرحت الملكة بين ذراعيه باكية وضمته مراراً الى صدرها لانها تحققت خلاصه من الخطر الذي كان امامه

وبينما كان الملك يقبل ابنه صاح به الولد ما هذا الذي في قبعتك يا ابتِ . فالتفتت الملكة فابصرت الشعار المثلث الالوان الذي وضعه الملك في قبعته مكان الشعار الملكي الابيض . فصاحت الملكة ما هذا انزعه انزعه . ثم مدت يدها واخذت الشعار المثلث الالوان باطراف اصابعها والقته بعيداً على السلم تحت عر الاقدام فداسه الصادرون والواردون

وبذلك اهانت الملكة الشعب باسره . ولكنها اهانة انتقم لها الشعب بعد ذلك انتقاماً هائلاً

اما الملك فانه عند اخذ الملكة الشعار المثلث الالوان من قبعته انحنى على ابنته ليقبلها

والحقيقة ان الحناء كان يخفي ما بدا في وجهه من آثار الخجل والانفعال

وقد شغل لقاء الملك الملكة عن الالتفات الى شارني الذي كان يصحبه . ولكن شارني لم يشغله شيء عند الوصول عن التقدم من زوجته اندري ومصافحتها بهز يدها مصافحة شديدة فاتت الملكة

غير ان الملكة ما لبثت ان بحثت بعينيها عن الكونت دي شارني فوجدته هادئاً رزيناً فقالت له شكرًا لك ايها الكونت فانك انجزت وعدك واتيتني بالملك سالمًا

فسألها الملك من تخاطبين . فاجابت بشجاعة وشهامة . اخاطب الكونت دي شارني . فقال الملك نعم لقد قاسى شارني عذابًا شديدًا حتى وصل اليَّ في وسط الزحام . وجيلبار كذلك . ولكن اين هو فانني لا اراه

فغيرت الملكة الحديث في الحال وقالت لشارني . نتعشى الليلة على مائدتنا ايها الكونت انت والكونتس دي شارني . قالت ذلك مسرورة ولكن ما لبث ان انقلب سرورها كدرًا لما ابصرت شارني قد سره قولها ان يأتي للعشاء « مع زوجته »

الفصل التاسع

(اهوال الثورة)

قلنا ان الشعب كان نصير ناكار وكان يدعوه « فاضل جنيف » فلما فُصل خلفه فولون فابغضه الشعب ونسبوا اليه امورًا جمة . منها انه قال ان الشعب لا ينبغي ان يجوع اذ لديه كثير من التبن والقش لسد رمقه

لذلك كان الشعب شديد السخط عليه . ولكن في ذات يوم شاع خبر موته واحتفل الباريزيون بجنازته فمشى الشعب فيها وكاد يهجم على النعش ليأخذ فولون منه ويهينه مقابلة اهانته للشعب . فصعد بيلو على حجر عال هناك وخطب في الجمع مظهرًا وجوب احترام الاموات فانثنى الشعب عن عزمه وترك الميت وشانه

ولكن ما انقضت بضعة ايام على هذه الحادثة حتى ركض في ذات يوم بيتو يطلب بيلو على عجل فوجده في المجلس البلدي . فساله بيلو الخبر لما رآه من سرعته ولهفته . فقال بيتو لدي خبر عظيم لم يسمع بمثله احد . قال ماذا . قال وجدوا فولون . قال اي فولون . قال فولون الذي خلف ناكار ذلك الرجل اللئيم الذي قال ان الشعب يسد رمقه بالتبن والقش . فقال بيلو ضاحكاً دع عنك هذا فاني في ذلك اليوم سرت بنفسي في جنازته .

قال وانا ايضاً نظرته اليوم بعيني · قال ويحك وكيف ذلك · قال الحقيقة ان هذا الرجل اشاع انه مات فرارًا من غضب الشعب الذي يحنط عليه وقد وشى به اليوم احد اتباعه ويدعى سان جان · فقال بيلو فجأ لخادم يمشي بسيده · قال بل عافاه الله لانتصاره للشعب فان فولون يستحق كل بلاء ونقمة · فقال بيلو وماذا فعلوا به الآن فقال بيتو لقد تجمهر الوف من الشعب يطلبونه لما علموا بوجوده وها هو الآن قادم الى هنا في مركبة مقفلة وقد سبقت انا الخيل فتقدمتها

ولم يكد بيتو يتم كلامه حتى وقفت مركبة في ساحة المجلس البلدي وخرج منها فولون مذعورًا خائفاً ومعه حارسان مسلحان · وكان وراء المركبة بعض الفتيان يركضون مع الخيل ويصيحون فولون فولون

ثم ما انقضت على وصول المركبة بضع دقائق حتى بدأت اصوات بعيدة ترتفع ارتفاعاً مخيفاً في الفضاء وسمعت زمجرة كانها زمجرة الاسود القساور في الغابات · ذلك ان الشعب كان قادماً الوفاً الوفاً وهو مسلح بالحراب والفؤوس والرماح يطلب فولون الذي اهانه وجوعه فعلم باليي خطر الموقف فارسل يستدعي الجنرال لافاييت وحض حراس المجلس على التاهب للدفاع · واما فولون فكان يرتعد خوفاً على نفسه

ولما وصلت جماهير الشعب الى باب المجلس اوما زعماؤها اليها بالدخول من حيث دخل فولون لاخذه فبدأ الناس يضربون جدران المجلس بايديهم واقدامهم وبنادقهم وفؤوسهم وحرابهم حتى ارتجت لذلك اسس المجلس وهم يصرخون بغضب شديد فولون فولون

وكان فولون يستعطف باليي الحاكم وباقي الاعضاء ان يخلصوه وهم يعدونه انهم يبذلون قصارى جهدهم لانقاذه · ولكن الشعب بدا يفرغ صبره ولاسيما لما كان يسمعه من ان اعضاء المجلس قد مهدوا سبيل الفرار من المجلس لفولون فاخذوا يصيحون انهم سيكسرن الباب او يحرقون المجلس ويدخلون فاوجس باليي خيفة من عزمهم هذا فقال لفولون اظهر نفسك من النافذة لئلا يحسبوا اننا هربناك · فتقدم فولون من النافذة وهو خائر العزم من الضعف والخوف

ولكن ما ظهر وجهه لتلك الالوف المؤلفة التي كانها موج البحر الزاخر حتى اندفعوا اندفاع التيار الى المجلس فقصوا الباب عنوة ودخلوا لاخذ فولون · فصاح باليي بجنود المكان ان تستعد ثم تقدم بنفسه من الهاجين واخذ يعظهم ويخطب فيهم فاستطاع بجلده وصبره ان يقنعهم بوجوب محاكمة فولون اولاً فان كان مذنباً عوقب اشد عقاب

فارتضى الشعب ذلك وعاد عن المجلس · واتفق في تلك الساعة مجيء الجنرال لافايت فافسحوا له مجالاً فايد الجنرال قول باليي من وجوب محاكمة فولون وامر باخذه الى السجن اولاً قبل المحاكمة

فلما درى الشعب بذلك طار فرحاً لا ابتهاجاً بسجن فولون بل ابتهاجاً بانه سيسلم اليهم حين اخذه الى السجن · وهكذا جرى · فان الرجل ما اودع في مركبة ليؤخذ الى سجنه حتى هجم الشعب الوفاً على حراسه فغرقوهم وتناولوا فولون كما تتناول الافعى عصفوراً صغيراً وقصدوا به وتد المصباح ليشنقوه به

فحاول باليي ولافايت ويلاوالوصول اليه لانقاذه ولكن ماذا يصنع ثلاثة رجال مع عشرة الاف رجل · ولما وصل الشعب بفولون الى المصباح علق بوتده حبلاً ووضعه في عنق فولون وشنقه به

ومن سوء حظ هذا المسكين ان الحبل كان مهترئاً فانقطع فوقع فولون على الارض فانكسرت ساقه

فضحك الناس من وقوعه فاعادوا ربط الحبل ورفعوه به وهم يصرخون ويضحكون · وكان فولون ضخم الجثة والحبل قديماً فانقطع مرة ثانية وسقط فولون على الارض بين حي وميت

فاحضروا حينئذٍ حبلاً جديداً وشدوه به ولبثوا يرقصون حول جثته وينشدون ويصرخون

ولما اسلم الروح قطعوه قطعاً قطعاً فرفعوا الراس على رمح (١) واخذوا يلعبون بالاعضاء الاخرى



(١) فولون — ان المجلة التي نقلنا عنها رسم الماجور دي لوسم الذي وضعناه في « المثلث المائل » من الجزء الاول من الرواية ترتاب في ما اذا كان هذا الراس راس الماجور دي لوسم او راس فولون · ولكن يرجح انه راس فولون لان الشعب بعد قتله وضع في فم الراس قشاً كما ترى في الرسم لان فولون كان يقول ان الشعب يكفيه ان ياكل قشاً · ولذلك نشرنا هنا هذا الرسم

لحول بالبي ولافايت وبيلو وجوههم عن هذه المناظر البربرية ثم عادوا ونفوسهم صغيرة من جراء هذه الفظائع التي ما استطاعوا منعها

ولكن الشعب ما كاد ينتهي من اللعب باشلاء فولون حتى علت ضوضاؤه مرة ثانيـة وترك تلك الاشلاء وسار لاستقبال فريسة اخرى كانت قادمة الى المجلس البلدي

ذلك ان برتيه صهر فولون وشريكه في منه به تجمهر عليه الشعب تخوفاً من ايصالـ اذاه اليه ارسلوه الى المجلس . وكان قادماً في مركبة وهو ثابت الجاش ساكن البال يحادث عضواً من اعضاء المجلس ارسل لاحضاره . وكان الشعب حولـ مركبته يهينه وبسميه بجوع الامة ويتهدده وهو ساكت يبتسم للعضو الذي الى جانبه

فاسخط هذا الهدوء الشعب فهجم منه اثنان على مركبته وصوبا حربتين الى صدره فلم يلتفت اليهما برتيه بل بقي ساكناً يخاطب رفيقه

فازداد الشعب سخطاً وكانوا قد قربوا ساعتئذٍ من المجلس البلدي والتقوا بالشعب الذي قتل فولون فاخذوا الرمح الذي عليه الرأس وادنوا شفتيه من شفتي برتيه

فصبر برتيه بثبات جاش وظل سائراً في طريقه دون ان يلتفت اليهم . وكانت الجماهير حول مركبته كانها البحر الزاخر وصياح الناس يطبق عنان السماء

ثم وصلت المركبة الى باب المجلس البلدي فنزل منها برتيه وسط زحام شديد وقاسى عناء كثيراً في الدخول الى المجلس

ولما دخل اصفر وجه لافايت وبالبي وبيلو لانهم رأوا ان مسئولية جديدة قد القيت عليهم بعد مسئولية فولون

اما الشعب فلما غابت عنه فريسته بين جدران المجلس اخذ يصيح ويصخب طلباً لها . واشتد به الهياج فازداد صياحاً

فنزل اليهم بالبي واسترعى سماعهم فكانوا يصرخون كلما طلب اليهم ان يصغوا وذلك لكي لا يتركوا له مجالاً للكلام لانهم كانوا يعرفون ما كان يريد ان يقوله . فعاد بالبي خائباً فنزل اليهم الجنرال لافايت بنفسه ودس نفسه بين صفوفهم واخذ يحثهم على السكينة ويستعطفهم ويصالحهم على سبيل الاستمالة ولكن ذلك كله لم يغن شيئاً ولم يسمع له احد كلمة فجثا امامهم على بلاط درج المجلس والتمس منهم باسم الامة ان لا يدنسوها بعمل فظيع ثان وان لا يلجسوا الثورة بتلك الفظائع . فلما رأوه يلح هذا الالحاح تهدده بعضهم ورفعوا سلاحهم عليه . فنهض لافايت وهجم الى الامام قائلاً اضربوا ان قدرتم . فخفضوا

سلاحهم وعاد لافاييت خائباً ايضاً

وبذلك خرج قياد الشعب من يدي هذين الرجلين · فان باليي الشيخ ولافاييت الشاب اثارا الشعب وحسبا انهما يبقيان متسلطين عليه يصرفان قوته كيفما شاء اونسيا ان الشعب كالمرأة يغير مربعاً قلبه وارادته

وخاف لافاييت ان يبقى برتيه في المجلس فيشدد الشعب الحصر عليه فامر بنقله الى سجن الاباي وكان الرجل لا يزال ثابت الجاش هادئ البال فاركبوه المركبة للسير به · ولكنه ما ظهر للشعب حتى ارتفع هتاف غريب طبق العنان ومدت الايدي والآلات المكوفة الى ذلك المسكين فتناولته وفرقت حراسه في بضع ثوان وسار الناس به الوفاً الوفاً كزوبعة هائلة نحو المصباح الذي شنق فيه فولون

فلما ابصر بيلو هذا المشهد اندفع يركض الى الفريسة لعله يستطيع انقاذها فوصل الى برتيه واخذ يصيح بالناس ان يتركوه حتى يحاكم فكان جواب الناس لكمه ولطمه وهم في عراك وهياج يعجز القلم عن وصفها · ولما بلغوا المصباح نظر برتيه الى فوقه فابصر حبلاً مربوطاً فيه

فبوثبة واحدة افلت من قابضيه وخطف حربة من احد الواقفين امامه واخذ يطعن بها الذين حوله · فارتفعت حينئذ مئات من الحراب والسيوف واغمدت في جسمه دفعة واحدة فسقط برتيه على الارض وخرجت روحه من جسمه بخروج دمه من جروحه الكثيرة

وحينئذٍ نُظر منظر ترتعد له الفرائص · فان رجلاً من الواقفين مدّ يده من جرح في صدر القتيل وقبض بيده على قلبه وانتشله من جوفه وهو حارٌ يقطر دماً · فجعل بيلو يلطم راسه وينتف شعره اشمئزازاً من هذا المنظر الهائل · ثم وضع ذلك الرجل القلب على راس سيف وسار به الى المجلس البلدي فوضعه على مائدة الاعضاء

فلما رآه لافاييت تناول سيفه وكسره على ركبته ورمى به الى الناس وهو يكاد يبكي من تلك الفظائع والاهوال

اما بيلو فكان لا يزال ملقى على حجر هناك فاتاه بيتو وسار به الى شاطئ النهر القريب بعيداً عن اعين الناس

لحول بالبي ولافاييت وبيلو وجوههم عن هذه المناظر البربرية ثم عادوا ونفوسهم صغيرة من جراء هذه الفظائع التي ما استطاعوا منعها

ولكن الشعب ما كاد ينتهي من اللعب باشلاء فولون حتى علت ضوضاؤه مرة ثانية وترك تلك الاشلاء وسار لاستقبال فريسة اخرى كانت قادمة الى المجلس البلدي

ذلك ان برتيه صهر فولون وشريكه في منصبه تجمهر عليه الشعب تخوفاً من ايصال اذاه اليه ارسلوه الى المجلس ٠ وكان نادماً في مركبة وهو ثابت الجاش ساكن البال يحادث عضواً من اعضاء المجلس ارسل لاحضاره ٠ وكان الشعب حول مركبته يهينه ويسميه مجوع الامة ويتهدده وهو ساكت يبتسم للعضو الذي الى جانبه

فاسخط هذا الهدوء الشعب فهجم منه اثنان على مركبته وصوبا حربتين الى صدره فلم يلتفت اليهما برتيه بل بقي ساكناً يخاطب رفيقه

فازداد الشعب سخطاً وكانوا قد قربوا ساعتئذ من المجلس البلدي والتقوا بالشعب الذي قتل فولون فاخذوا الرمح الذي عليه الرأس وادنوا شفتيه من شفتي برتيه

فعبس برتيه بثبات جاش وظل سائراً في طريقه دون ان يلتفت اليهم ٠ وكانت الجماهير حول مركبته كانها البحر الزاخر وصياح الناس يطبق عنان السماء

ثم وصلت المركبة الى باب المجلس البلدي فنزل منها برتيه وسط زحام شديد وقاسى عناء كثيراً في الدخول الى المجلس

ولما دخل اصفر وجه لافاييت وباليي وبيلو لانهم رأوا ان مسئولية جديدة قد القيت عليهم بعد مسئولية فولون

اما الشعب فلما غابت عنه فريسته بين جدران المجلس اخذ يصيح ويصخب طلباً لها ٠ واشتد به الهياج فازداد صياحاً

فنزل اليهم باليي واسترعى سماعهم فكانوا يصرخون كلما طلب اليهم ان يصغوا وذلك لكي لا يتركوا له مجالاً للكلام لانهم كانوا يعرفون ما كان يريد ان يقوله ٠ فعاد باليي خائباً فنزل اليهم الجنرال لافاييت بنفسه ودس نفسه بين صفوفهم واخذ يحثهم على السكينة ويستعطفهم ويصانعهم على سبيل الاستمالة ولكن ذلك كله لم يغن شيئاً ولم يسمع له احد كلمة فجثا امامهم على بلاط درج المجلس والتمس منهم باسم الامة ان لا يدنسوها بعمل فظيع ثان وان لا ينجسوا الثورة بتلك الفظائع ٠ فلما رأوه بلغ هذا الالحاح تهدده بعضهم ورفعوا سلاحهم عليه ٠ فنهض لافاييت وهجم الى الامام قائلاً اضربوا ان قدرتم ٠ فخفضوا

سلاحهم وعاد لافاييت خائباً ايضاً

و بذلك خرج قياد الشعب من يدي هذين الرجلين . فان باليي الشيخ ولافاييت الشاب اثارا الشعب وحسبا انهما يبقيان متسلطين عليه يصرفان قوته كيفما شاء اونسيا ان الشعب كالمرأة يتغير سريعاً قلبه وارادته

وخاف لافاييت ان يبقى برتيه في المجلس فيشدد الشعب الحصر عليه فامر بنقله الى سجن الاباي وكان الرجل لا يزال ثابت الجاش هادئ البال فاركبوه المركبة للسير به . ولكنه ما ظهر للشعب حتى ارتفع هتاف غريب طبق العنان ومدت الايدي والآلات المكروفة الى ذلك المسكين فتناولته وفرقت حراسه في بضع ثوان وسار الناس به الوفاً الوفاً كزوبعة هائلة نحو المصباح الذي شنق فيه فولون

فلما ابصر بيلو هذا المشهد اندفع يركض الى الفريسة لعله يستطيع انقاذها فوصل الى برتيه واخذ يصيح بالناس ان يتركوه حتى يحاكم فكان جواب الناس لكمه ولطمه وهم في عراك وهياج يعجز القلم عن وصفهما . ولما بلغوا المصباح نظر برتيه الى فوقه فابصر حبلاً مربوطاً فيه

فبوثبة واحدة افلت من قابضيه وخطف حربة من احد الواقفين امامه واخذ يطعن بها الذين حوله . فارتفعت حينئذ مئات من الحراب والسيوف واغمدت في جسمه دفعة واحدة فسقط برتيه على الارض وخرجت روحه من جسمه بخروج دمه من جروحه الكثيرة

وحينئذٍ نُظر منظر ترتعد له الفرائص . فان رجلاً من الواقفين مدّ يده من جرح في صدر القتيل وقبض بيده على قلبه وانتشله من جوفه وهو حارٌ يقطر دماً . فجعل بيلو يلطم راسه وينتف شعره اشمئزازاً من هذا المنظر الهائل . ثم وضع ذلك الرجل القلب على راس سيف وسار به الى المجلس البلدي فوضعه على مائدة الاعضاء

فلما رآه لافاييت تناول سيفه وكسره على ركبته ورمى به الى الناس وهو يكاد يبكي من تلك الفظائع والاهوال

اما بيلو فكان لا يزال ملقى على حجر هناك فاتاه بيتو وسار به الى شاطئ النهر القريب بعيداً عن اعين الناس

فقال بيتو اذا كان عمر بيت الآن ٣٠ سنة فقط فهذا يدل على اننا سنقاسي منه عناء طويلاً .

فقال جيلبار نعم وخصوصاً لقوة جرثومة الحياة في هذه العائلة . فان بيت الاول عاش سبعين سنة وقد حدثت له حادثة قبل موته دلت على قوة جرثومة الحياة فيه

ذلك ان بيت كان في سنة ١٧٧٨ على فراش المرض والموت وقد اشار عليه الاطباء بالانقطاع عن كل حركة والا ذهبت حياته . وكان البرلمان الانكليزي يبحث في ذلك الزمان في مسالة الحرب مع الولايات المتحدة . وكان الملك لويس السادس عشر قد اعترف باستقلال هذه الولايات مما اغاظ بيت وانكلترا اشد غيظ . فرات الحكومة الانكليزية ان تقترح في ذلك الحين على الولايات الثائرة عليها انها تعترف باستقلالها على شرط ان تحالفها ضد فرنسا التي كانت تساعدها

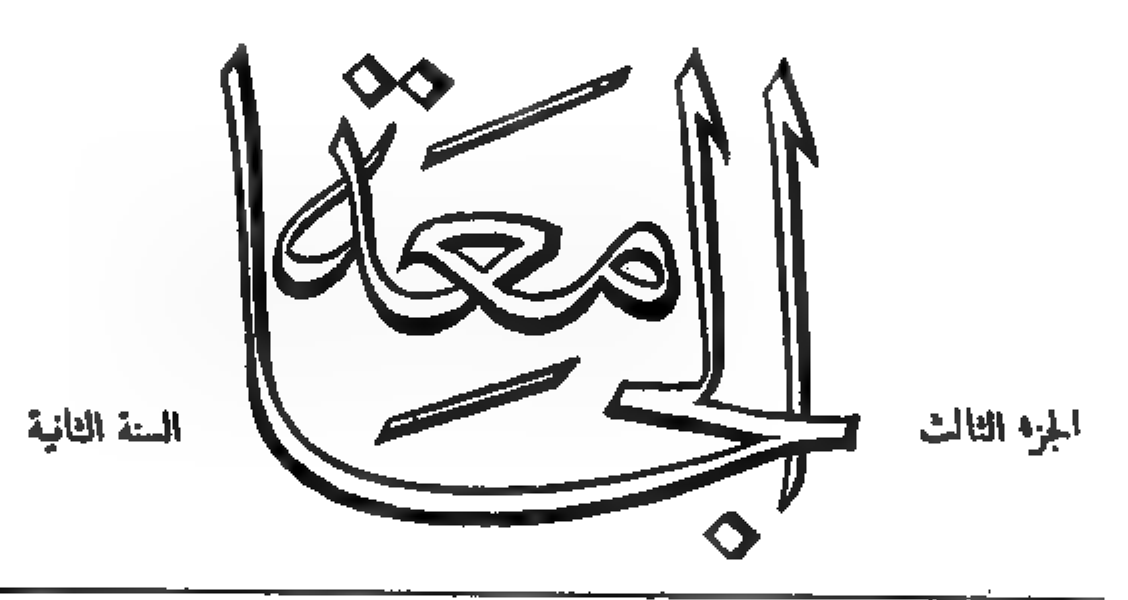
فصاح بيلو ولكن هذا اقتراح غير شريف للذي يقترحه وللذي يرضى به

فقال جيلبار باسماً ولكن هذا ما يسمونه سياسة يابيلو وطريقته محبوبة الى السياسيين . ومع ذلك فالولايات المتحدة رفضت هذا الاقتراح بواسطة واشنطون الذي هو اكرم واشرف رجل وُجد في العالم ولولاه لوُجد بين الاميركيين من يشتري استقلال بلاده بذلك الثمن الدنيء

فلما علم بيت الاب بنية الحكومة الانكليزية وكان مطروحاً في فراش المرض والموت كما ذكرت طلب الى ابنه بيت وكان عمره ١٩ سنة فقط ان يسنده ويسير به الى البرلمان . فاستغرب الاعضاء حضوره بينهم . اما هو فانتظر حتى انتهى اللورد ريشمون من الخطابة فارتقى المنبر بعده بخطى مرتجفة وابتدأ الكلام بصوت ضعيف خافت

ولكنه كلما كان يتقدم في الكلام كان صوته ينجلي وعيناه تتقدان بنار الجدال حتى احتدم واصبح كانه عاد الى الشباب . فخطب ثلاث ساعات متوالية خطبة اعجب بها جميع الاعضاء وكلها تهديد ووعيد لفرنسا والولايات المتحدة . وقد حث فيها انكلترا على ان لا تتنازل عن اصغر بقعة من مستعمراتها حرصاً على كرامتها ولو فنيت انكلترا كلها . ثم صاح الحرب الحرب داوموا حرب الولايات المتحدة حتى تنتصر او نموت . ونزل عن منبر الخطابة مغمياً عليه فمات بعد بضعة ايام

فقال بيلو وبيتو مستغربين لله ما اقوى نفس هذا الرجل . فقال الدكتور نعم والابن الآن يقاومنا كما قاومنا الاب . اسمعوا لاقرأ لكم ماجاء في الكتاب الذي رأيتم توقيعه عليه



الجزء الثالث السنة الثانية

الاسكندرية ١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٠ الموافق ٤ صفر ١٣١٨

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اسكندر الكبير

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظيم الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

استحسن قراء الجامعة الاقتراح الذي اقترحناه على الكتاب بشأن نقل تراجم اعاظم اليونان والرومان التي وضعها المؤرخ اليوناني فلوطرخوس الشهير الى اللغة العربية لانها مكتوبة باسلوب طلي رقيق جامع بين اللذة والفائدة جمعاً لم يوجد قبل هذا المؤرخ ولا نظن انه يوجد بعده . وقد اراد بعض القراء في فلسطين ان يقدم على هذا النقل فارسل يسألنا اذا كان يوجد في مصر من يطبع التراجم بعد ان ينقلها . وسألنا غيره لماذا لا نفرد في الجامعة باباً لهذا الموضوع اذا كانت له الاهمية التي ذكرناها في الاعداد الماضية

اما الفريق الاول فنشير عليه بان لا يتجشم عناء نقل هذه التراجم الجليلة اذا كان

لا يريد الاتفاق عليها ولا يطلب في نشرها الفائدةالادبية دون الربح المالي ، واما الفريق الثاني فنجيبه اننا اذا اردنا نقل هذه التراجم في الجامعة لم نتمكن في خلال الاثني عشر جزءًا التي تصدر في السنة منها من نقل اكثر من ترجمة عظيم او عظيمين . واذا قيل اختصروا أجبنا ان الاختصار يذهب بطلاوة تلك التراجم المفيدة ويبطل الغرض المقصود منها

على ان ما لا يدرك كله لا يترك كله ولذلك راينا ان ننشر في هذه السنة من الجامعة ترجمةعظيمين من اعاظم فلوطرخوس (١) ولعلهما اعظم الرجال الذين كتب تاريخ حياتهم وهما اسكندر الكبير المكدوني وقيصر الروماني . وهذان القائدان العظيمان هما مع نابوليون وانيبال اعظم قواد العالم في كل العصور المتقدمة والمتاخرة

وقد كتب فلوطرخوس ترجمة هذين البطلين واردفها بالمقابلة بينهما اي بمعارضة فضائل الواحد ورذائله بفضائل الآخر ورذائله كما صنع بجميع ابطال اليونان والرومان الذين تكلم عنهم ولذلك فاننا سنردف الترجمة بهذه المقابلة ايضاً

ولا نحث القراء على مطالعة هذه الترجمة بامعان فان الحوادث العظيمة اليونانية والرومانية التي حدثت في عهد هذين البطلين والعادات والاخلاق القديمة وطلاوة اساليب فلوطرخوس وحسن اختياره للمواضيع التي يكتب بها — كل هذه امور يعرفها القراء ويعرفون اهميتها ولذلك فانهم سيطالعون المقالات التالية عن حياة اسكندر الكبير وقيصر مع



(١) فلوطرخس — فلوطرخس او (بلوتارك) مؤرخ وفيلسوف يوناني ولد سنة ٥٠ للميلاد وتوفي سنة ١٢٠ وهو من اكابر مؤلفي اليونان واعظم ادبائهم . وقد امتاز في كتاباته بسرد امثال وقصص صغيرة تُشرب الفكر والنفس الموضوع الذي يتكلم عنه . واهم مؤلفاته كتاب « تراجم اعاظم الرجال » وهو الكتاب الذي جمع فيه تراجم كثيرين من اعاظم اليونان والرومان وقابل بين فضائلهم ورذائلهم فتارة فضل اليونانيين وطوراً فضل الرومانيين . وقد تُرجم هذا الكتاب الى جميع اللغات الا العربية وفي جملة الذين طالعوه بامعان وشهدوا بانهم استفادوا من مطالعته فوائد كبرى نابوليون الاول وجان جاك روسو ولويس الخامس عشر كما ذكرنا في الاعداد الماضية . وقد اخذنا منذ اليوم ننقل عنه تاريخ الاسكندر كما ترى

المقابلة ينعما بارتياح يوازي الارتياح الذي نجده ونحن نكتبها

وقبل الشروع في هذا الامر الخطير نقول اننا ننقل اقوال فلوطرخوس في هذه الشؤون بالتصرف الذي يقتضيه المقام و يطلبه القلم مما لا يخرج عن الموضوع الاصلي . وننبه ايضاً ان الرجل لا يكتب هنا تاريخاً جافاً ناشفاً وانما يقبض بيديه على نفسي اسكندر وقيصر العظيمتين و ينزل الى اعماقها و يشرحها تشريحاً بسيكولوجياً جيلاً دالاً على ما اشتهرتا به من الفضائل والرذائل وما صنعتاه من عظيم الاعمال وصغيرها مكتفياً في بعض الاحيان بعبارة واحدة للدلالة على اخلاق قائلها باحسن ما تدل عليه معارك شهور وايام . فهو يكتب سياسة وفلسفة وادباً واخلاقاً وعادات ملتوتة كلها بالتاريخ كما تلت قطعة من الخبز بالسمن والعسل فتكون مغذية ولذيذة معاً

***

﴿ولادة الاسكندر﴾ ولد الاسكندر (٢) في السادس من شهر « هكاتومبون » الذي كان المكدونيون يسمونه « لوس » ونسميه نحن اليوم يوليو وذلك على الارجح في سنة ٣٥٦ قبل الميلاد المسيحي . وابوه هو فيليبوس ملك مكدونيا وامه اوليميا وهي يتيمة من مدينة ساموتراسوس عرفها فيليبوس في صباها فاحبها واقترن بها . وقبل اقترانه بها رأت اوليميا في الحلم ان صاعقة انقضت عليها فاضرمت ناراً هائلة ثم تفرقت قطعاً قطعاً وتلاشت (*) . هذا ما راته هي في الحلم . اما ما رآه فيليبوس فهو ان امراته مختومة بختم اسد . فنهض من نومه مذعوراً واذ عرض حلمه على المفسرين اشاروا عليه بمراقبة امرأته مخافة ان تخونه . اما اريستاندر تلماز الذي كان يرافقه في حروبه فانه ازال سوء ظنه بقوله « ان الاناء الفارغ

(*) اذا راى القراء فيما يلي كثيراً من هذه الاحلام والرؤى وما اشبهها من التقاليد اليونانية والرومانية فلا يضربوا بها عرض الحائط ويحسبوها اوهاماً فانها على افتراض انها اوهام في الحقيقة فانها قد اصبحت لشيوعها وتناقل الالسنة والاقلام لها جزءاً من التاريخ القديم ، واذا حاولنا تجريد التاريخ منها لان فيها شيئاً فاسداً كنا كمن يقلل جمال التاريخ القديم لان بهاءه وجماله في هذه الخيالات والرموز التي كان يحترمها الاقدمون احتراماً دينياً . ومع ذلك فاننا نقول مع برناردين دي سان بيير اي رجل يستطيع ان يؤكد ان ما يقوله في التاريخ هو الحقيقة استناداً الى اقوال سواه لا يبعد ان تكون هي الفاسدة

لا يهتم وانما يهتم الملآن فامراتك حامل والولد الذي حملت به سيكون اسداً عظيماً »

وفي بعض التقاليد ان اسكندر ليس لابيه ولكن لشخص آخر لم تذكر اوليبيا اسمه لاحد الا لاسكندر نفسه قبل سفره الى حروبه . وفي هذه التقاليد ايضاً ان جوبيتير وهو اله الالهة عند اليونان تجسم في تنين واختلى باوليبيا فاتى فيليبوس زوجها فراى باب غرفتها مغلقاً فوضع عينه على ثقب الباب فابصر جوبيتير على فراشها فعميت في الحال عين فيليبوس التي ابصر جوبيتير بها . وفي بعض الروايات ان اوليبيا كانت اذا حدثها احد عن ابي اسكندر الحقيقي وقال لها ان اسكندر نفسه يطلب معرفته تافقت واظهرت الضجر ثم قالت « ان اسكندر لا يسكت عن هذا الامر حتى يغضب جينون علي » وجينون هي امرأة الاله جوبيتير تخشى ان تغار منها اذا قيل ذلك القول عن زوجها . فاذا صح ان اوليبيا كانت تقول ذلك كان قولها هذا اما لوهمها وخوفها من جينون او لانها كانت لا تكره ان يظن اليونانيون بعلاقتها مع الاله جوبيتير(٢)

وولد الاسكندر في اليوم الذي احترق فيه هيكل ديانا العظيم في افسس . قال فلوطرخوس : وقد قال الكاتب هجيزياس ما نيزي في سبب هذا الحريق قولاً بارداً كان كافياً لاطفائه ... وهو « ان الالهة ديانا كانت في ذلك اليوم مشغولة بولادة اسكندر فلم تستطع ان تحمي هيكلها » على ان جميع المجوس الذين كانوا يومئذ في افسس دب الخوف في نفوسهم لاعتقادهم بان احتراق هذا الهيكل العظيم دليل على قرب وقوع خطب جسيم فخرجوا الى الشوارع واخذوا يركضون و يلطمون و يصرخون انه يجب ان يكون قد ولد في هذا اليوم بلاء عظيم لآسيا كلها

ولما ولد الاسكندر كان ابوه فيليبوس يستولي على بوتيده وهي مدينة في مكدونيا فبلغه في ذلك اليوم ثلاثة اخبار سارة . الاول ان قائده بارمنيون هزم الايليريين في معركة كبيرة والثاني انه نال جائزة سباق المركبات في الالعاب الاولمبية والثالث انه ولد له



(٢) اسكندر الكبير — رسم اسكندر ذي القرنين المكدوني القائد العظيم وهو مخضع اليونان وفاتح فارس وصور وصيدا ومصر والهند وبابل وغيرها . وفيه قال بعضهم انه لكبر نفسه لما رأى انه لم يبق في الارض بلاد يفتحها اخذ يبكي كصغار الاولاد و بذلك كانت نفسه اكبر من العالم . انظر تفاصيل ترجمته في الفصول التالية

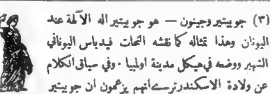
غلام . فيكون قد انتصر في يوم مولد اسكندر ثلاثة انتصارات . وقد استشار العرافين في ذلك فقالوا له ان ولداً يولد في يوم ينتصر فيه ابوه ٣ انتصارات فذلك دليل على ان الولد سيكون غالباً طول عمره

***

﴿ جسمه واخلاقه ﴾ ولم ياذن الاسكندر لاحد من النحاتين ان يصب تمثاله غير النحات ليزيب وقد حاول كثيرون من خلفائه ان ينقشوا تمثال الاسكندر فلم يبلغ احدهم حد الاتقان الذي بلغه ليزيب فانه تفرد بجعل عنق الاسكندر مائلة الى الكتف اليسرى كما كانت في الحقيقة وبتمثيل اللطف الذي كان يبدو في عينيه . وقد نقشه النقاش آبل بصورة جوبيتير وهو حامل الصاعقة بيده ولكنه لم يحسن جعل لون بشرته كما هو فانه جعله اسمر مع انه ابيض ناصع البياض . ومما كان يزيد هذا البياض جمالاً كونه مشرباً احمراراً وردياً لطيفاً في كل جسمه وعلى الخصوص في وجهه وصدره . ويقول اريستوكسينوس في كتاب له ان جسم اسكندر كانت تنبعث عنه رائحة طيبة فلعل السبب في ذلك كون طبع الاسكندر حامياً ودمه حاراً قوياً لان الرائحة الطيبة على ما قاله « تيوفراست » نتيجة الحرارة الشديدة بدليل ان البلاد التي تكون اشد حرارة تكون ازهارها اذكى رائحة لان حر الشمس يمتص كل الرطوبة التي هي من اسباب الفساد في كل الامور والشؤون . . وفي هذا المقام نقول ان حرارة طبع الاسكندر هي السبب في شجاعته وميله الشديد الى شرب الخمر

غير ان الاسكندر كان مع طبعه الحامي معتدلاً في ملاذه الجسدية ولكن مفرطاً في ما بقي . اي انه كان لا يعبأ كثيراً بالماكل والمشرب وما اشبه ولكنه كان من صغره شديد النزوع الى العلى وطلب المجد . وكان يميل بالاكثر الى المجد العسكري اما





(٣) جوبيتير وجينون — هو جوبيتير اله الآلهة عند اليونان وهذا تمثاله كما نقشه النحات فيدياس اليوناني الشهير ووضعه في هيكل مدينة اوليمبيا . وفي سياق الكلام عن ولادة الاسكندر ترى انهم يزعمون ان جوبيتير ابوه . ويروى ان اسكندر وهو على فراش الموت كان يقول « احس بان الدم الجاري في عروقي هو دم بشري لا الهي »

اما جينون فهي زوجة جوبيتير والهة الزواج انظر رسمها مقابل جوبيتير زوجها . وقد رأيت ان اوليمبيا ام اسكندر كانت تخشى ان تغار منها جينون فتنزل غضبها بها ظناً منها ان جوبيتير يحبها

المسابقات في الالعاب الاولمبية التي كان ابوه ذا ميل اليها حتى انه كان ينقش على نقوده الاكاليل التي ينالها فيها فانه كان غير راغب فيها وقد ساله احد اصدقائه يوماً لماذا لا تسابق في هذه الالعاب فاجاب بعظمة « اسابق ولكن على شرط ان يكون الذين يسابقونني ملوكاً »

ومن علامات عظمة نفسه في صغره ان اوخوس ملك الفرس ارسل الى فيليبوس وفداً وكان فيليبوس غائباً في مكدونيا فاستقبلهم الصبي اسكندر . ولما تعرف بهم اخذ يحادثهم فلم يسألهم مسائل تافهة باردة ولكنه اخذ يسالهم كم تبعد عاصمتهم عن بلاد اليونان . وما هي الطرق الموصلة الى اطراف اسيا . وكيف سلوك ملكهم مع رعاياه واعدائه هل يجور ام يعدل . وما هي قوات الفرس . فكأنه منذ صغره كان يفكر في صرع دولة الفرس التي صرعها بعد ذلك ومن اجل هذا كان يسال عن قواتها وطرقهــا . اما اعضاء الوفد فانهم اعجبوا بالفتى اسكندر وذكائه كل الاعجاب وقالوا ان كل مهارة فيليبوس ليست شيئاً مذكوراً في جانب ذكاء ابنه الصغير وحدة طبعه

وكان اسكندر يسمع وهو فتى ان اباه في حروبه يفتح البلد بعد البلد فيهز راسه كـثيباً ويقول لاصدقائه « سيفتح ابي كل البلدان ولا يترك لي شيئاً اصنعه معكم بعده »

ومما يدل على اخلاقه ايضاً حادثته مع الجواد « بوسافال » وكان جواداً لرجل من تساليا يدعى « فيلونيكوس » جاء به الى فيليبوس ليبيعه اياه بما قيمته ٦٥ الف جنيه . فاخذه فيليبوس مع رجال مملكته الى الميدان لتجربته وحاول الفرسان ركوبه لهذا الغرض فكان يجمح ويمنع ظهره من كل انسان . فضجر فيليبوس وقال لصاحبه خذ عنا جوادك فانه جموح لا يعلى له ظهر . وكان الفتى اسكندر حاضراً يرى ويسمع فساءه جداً ان اباه ترك الجواد فقال على مسمع من الحاضرين « آسف كل الاسف لانهم يضيعون من ايديهم هذا الجواد الكريم بجبنهم وجهلهم » وردد هذا القول غير مرة حتى ضجر منه ابوه فقال له « اراك تلوم من هم اكبر سناً منك واكثر خبرة كأنك اقدر منهم على كبح جماح الجواد » فاجاب اسكندر نعم انا على صغر سني اقدر منهم واستطيع كبح جماحه . فقال ابوه مدهوشاً واذا عجزت عن ذلك . قال اسكندر اذا عجزت فانني ادفع ثمنه

فضحك الجميع من هذا الجواب وامر فيليبوس ان يؤتى الاسكندر بالجواد فدنا منه اسكندر متلطفاً وتناول لجامه ثم ادار راس الجواد الى الشمس مواجهة لانه لاحظ انه كان يرى ظله بالشمس وان ذلك كان السبب في اجفاله وجموحه . ثم جعل يدلس له على عنقه

ويخاطبه بلهجة لطيفة حتى آنس اليه بعض الشيء، فقفز من غير ان يدري الجواد به ووثب كالطير الى ظهره وجمع العنان في يده جمعاً شديداً على الجواد دون ان يغيظه بوكزة او ضربة او كلمة. ثم لما رآه قد اصبح لا يطلب الا الانطلاق ارخى له العنان وزعق به ورفسه بقدميه في بطنه فانطلق الجواد به كالبرق البارق او السهم المارق

فاجفل فيليبوس مع رجاله خوفاً على اسكندر ولبثوا مبهوتين شاخصين الى الفارس وفرسه كأن على رؤوسهم الطير. واذا بالاسكندر يعود كالسهم بالجواد وهو ثابت في ظهره كالطود الشامخ — على صغر سنه وجسمه. ففتح ابوه ذراعيه له فنزل الفتى اسكندر عن الجواد فعانقه فيليبوس وبكى من شدة فرحه لبسالة ابنه وقال له « يا بني اطلب مملكة تكون اهلاً لك غير هذه المملكة فان مكدونيا تضيق دون نفسك » (٤)

وهكذا اظهر الاسكندر وهو صغير عظمة نفسه وكبر مستقبله

***

﴿ تربيته ﴾ وسلم فيليبوس ولده في بدء الامر الى عدة معلمين لتربيته وتعليمه الادب واللغة والموسيقى وكان اكبرهم ليونيداس من اقرباء الملكة اوليبا ام اسكندر. وكان يدعى « مهذب اسكندر » ولم يدعَ معلماً رغبة في زيادة اكرامه لانه نسيب الملكة

الا ان فيليبوس كان يرى ان اخلاق ابنه صعبة شديدة لا يقدر على تلطيفها وتهذيبها هولاء المعلمون بل يقتضي ذلك مهذباً اوسع علماً وابلغ حكمة لان النفس كما قال فيها سوفوكل تستوجب ادارتها « اكثر من لجام واكثر من دفة » ولذلك استدعى له اكبر فلاسفة اليونان في ذلك الزمان وهو الفيلسوف ارسطو (٥). وهذا نص الكتاب الذي كتبه اليه بهذا الشأن

« سلام من فيليبوس الى ارسطو



(٤) فيليبوس — هو فيليبوس المكدوني ابو اسكندر الكبير ولد في سنة ٣٨٢ قبل الميلاد وحكم على عرش مكدونيا من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ وهو اول من اخضع اليونان وقضى على استقلالهم. وكان الخطيب ذيموستينوس الشهير عدوه الاكبر فقام ينبه الاثينيين بخطبه الشهيرة الى الخطر الذي يصيبهم بتنازعهم وترك فيليبوس يستفحل امره فلم يعبأوا باقواله حتى كسرهم فيليبوس واخضعهم انظر ترجمة ذيموستينوس في هذه المقالة

اما بعد فانني ابلغك بانه قد ولد لي غلام . وانني اشكر الالهة لانه ولد في زمانك لتهذيبه وتربيه لي حتى يكون جديراً بان يكون ابني واهلاً للملكة التي خُلق لها »

وكان عمر الاسكندر يومئذٍ ١٣ سنة فتولى اريسطو الفيلسوف تهذيبه وتثقيفه ورغبة في مكافاته واكرامه على ذلك اعاد فيليبوس بناء مدينة ستاجير مسقط راس اريسطو التي كان قد هدمها في حروبه واستدعى اليها سكانها الذين كانوا قد فروا منها وانشأ للفيلسوف وتلميذه مكاناً سماه « نينفيوم » قرب ميزا حيث اقام اريسطو مقاعد حجرية للجلوس عليها ومظالاً حجرية ايضاً للتنزه واتقاء حر الشمس تحتها

وبقي اريسطو يهذب نفس اسكندر ويغذيها بحكمته وفلسفته حتى اتم عمله فبقي في مكدونيا حتى اتم ١٨ عاماً فيها ثم سافر الى اثينا . ولم يتعلم منه اسكندر الادب والسياسة والعلم فقط بل تعلم الفلسفة الالهية وما وراء الطبيعة وهي العلوم التي كان اريسطو لا يطلع العامة عليها وقلما يباحثهم بشانها . ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان اسكندر بعد سفره في حروبه الى آسيا بلغه ان اريسطو نشر كتباً بهذا الموضوع فكتب اليه كتاباً اظهر فيه غيرته على هذه العلوم ان تُنشر وهذه خلاصته

« سلام من اسكندر الى اريسطو

« اما بعد فانني لا استحسن نشرك للجمهور كتباً كالكتب التي نشرتها . اذ اية مزية تكون لنا على عامة الناس اذا كانوا يعلمون العلوم التي نعلمها . ولا اكتمك انني اكثر رغبة في ان امتاز عنهم بالمعارف السامية من ان امتاز عنهم بالقوة »

فما اسماك ايتها الفلسفة التي يفتخر الملوك باقتنائك ويفضلونك على القوة والامجاد العالمية اما اريسطو فاجابه بالكتاب التالي

« سلام من اريسطو الى الملك اسكندر

اما بعد فانك كتبت اليّ تقول انه كان يجب ان لا انشر الكتب التي نشرتها في الفلسفة ولكن فاعلم انني نشرتها وكأنها لم تُنشر اذ لا يفهمها احد الا الذين سمعوني اخطب في



(*) اريسطو — هو اشهر فلاسفة اليونان وُلد في ستاجير من اعمال مكدونيا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ في كالسيس . وله مؤلفات جمة تخلد اسمه الى ابد الدهور وكان مربي الاسكندر كما ترى في هذه المقالة

موضوعها والسلام »

وكان اسكندر يحب اريسطو ويعجب به ويقول انه لا يحب اباه فيليبوس اكثر مما يحب معلمه اريسطو لان اباه لم يمنحه شيئاً غير الحياة واما اريسطو فانه علمه كيف يقضي الحياة . الا انه في ايام ملكه ارتاب في هذا الفيلسوف فابتعدعنه دون ان يسوءه بشيء . ومع ذلك فان قلبه بقي ملتهباً بحب الفلسفة والادب وكفى برهاناً على ذلك اكرامه الفلاسفة مثل اناكسارخوس ومنحه الفيلسوف كسنوكراتوس ما قيمته ٢٥٠ الف جنيه واحترامه الفيلسوفين داندميس وكالانوس

ومن دلائل حبه للادب انه كان وهو في غزواته يبحث في طلب الكتب الادبية كروايات اوريبيد وسوفوكل واشيل وكان مولعاً بمطالعة رواية الايلياذة الشعرية التي وضعها هوميروس(٦) اشهر شعراء اليونان فكان يطالعها في الليل بعد معارك النهار وعند نومه يضعها تحت وسادته . وبالجملة فانه كان ذا ميل شديد للدرس والمطالعة والفضل في ذلك لمعلمه اريسطو الذي ربى هذا الذوق فيه

***

﴿ ابتداء حياته السياسية ﴾ ولما دارت رحى الحرب بين فيليبوس والبيزانتيين



(٦) هوميروس — هو اشهر شعراء اليونان بل يعتبرونه اشهر شعراء العالم على الاطلاق . وفي التقاليد اليونانية انه رجل اعمى رث الملابس كان يطوف المدن والقرى اليونانية وهو ينشد اشعاره . ومن مجموع هذه الاشعار تألفت قصيدتاه البديعتان البليغتان وهما « الايلياذه والاوديسه » وفي الايلياذه يصف معارك اليونانيين وحروب تروادة وغيرها وهذا ما كان يطالعه الاسكندر في حروبه كما كان يطالع نابوليون الاول تفاصيل معارك الاسكندر . ومنهم من يزعم ان هوميروس شخص وهمي اي انه لم يوجد قط وانما قصائده هذه مجموع اشعار نظمها كثيرون من شعراء اليونان في عدة ازمنة . ولكن يرد بعضهم على هذا القول بان هذه الاشعار منظومة على وتيرة واحدة اي ان البلاغة والبساطة والسهولة التي فيها موجودة في كل اجزائها مما يثبت ان ناظمها رجل واحد اذ لو كان غير واحد لما كانت كذلك . وحسنٌ بالذين يطلبون اقتباس البلاغة والاصطلاء على نار الحماسة اليونانية القديمة ان يطالعوا الايلياذه والاوديسه . وهما قد تُرجمتا الى جميع اللغات الا العربية

كان عمر اسكندر ١٦ سنة فولاه ابوه الملك سكانه في مكدونيا تاركاً ختم المملكة بين يديه وسار الى الحرب . فاغتنم المداريون هذه الفرصة وشقوا عصا الطاعة فسار اليهم الفتى اسكندر فاخضعهم ودخل الى عاصمتهم فطردهم منها واسكن فيها اقواماً غيرهم وسماها « الكسندروبوليس » اي اسكندرية فكانت المدينة الاولى التي سُميت باسمه . ثم رافق اباه في معركته مع اليونان في شيرونه وكان اسكندر فيها اول من هاجم فرقة الثيبيين . قال فلوطرخوس ولا يزال يوجد الى ايامنا هذه سنديانة بقرب سفيزيا تدعى سنديانة اسكندر لان خيمته نُصبت بازائها . وبجانب هذه الشجرة دفن المكدونيون الذين قُتلوا في هذه الحرب . وقد اعجب فيليبوس بما اظهره ابنه من البسالة في هذه المعارك . ولما كان يسمع المكدونيين يلقبون



ذيموستينوس — ذيموستينوس او ديموستين اخطب خطباء اليونان على الاطلاق . ولد سنة ٣٨٥ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ . وكان في اول عمره خامل الذكر وفي لسانه حبسة ولثغة وفي قامته اعوجاج . فقام في ذات يوم يخطب على الاثينيين فهزأوا به واسكتوه . فنزل عن المنبر قائلاً «سيأتي يوم ايها الاثينيون تتمنون فيه ان تسمعوا كلامي» ثم سار وانقطع الى تعلم الخطابة فجعل همه تقوية صوته وصدره وتقويم لسانه وقامته وضبط حركاته . فانفرد يخطب على امواج البحر وكان يقول انه يجب ان يعتاد هياجها لان تقلبات الشعب تشبهها في الهياج . ولما كان يخطب عليها كان يضع حصى في فمه لاصلاح لثغته . واحياناً كان يجرد سيفاً ويضع راسه على جانب من جسمه ليمنع نفسه من بعض حركات غير جائزة عند وقفته . ومن غريب ما كان يصنعه ايضاً انه كان يحلق شعر راسه حتى يمنع نفسه من الخروج من منزله رغبةً في ان يبقى فيه مقبلاً على نسخ كتب المؤلف توسيديد فكان ينسخ الكتاب الواحد ٧ او ٨ مرات لترسخ معانيه واساليبه البليغة في ذهنه . وما فتئ على هذه المثابرة والجد حتى بلغ اقصى درجات الخطابة فادهش الاثينيين واستمالهم اليه بسحر بيانه وطلاقة لسانه . ويسمونه عدو فيليبوس ابي الاسكندر الذي مرَّ ذكره كما تقدم عند الكلام على فيليبوس . وله فيه خطب باهرة تدعى « الفيليبوسية » نسبة الى فيليبوس . وكان يعيره خصومه الذين تغلب عليهم وكسف نورهم بان رائحة الزيت تُشتم من خطبه يعنون انه يستعد لها ويكتبها في الليل فيجيبهم « نعم ولكن الزيت الذي ينير خطبي هو غير الزيت الذي ينير خطبكم » يعني ان روح البلاغة التي يضعها في اقواله هي غير الروح التي يضعونها في اقوالهم

اسكندر « الملك اسكندر » ويلقبونه هواي فيليبوس بلقب القائد فقط كان يضحك من ذلك ويشرح صدره فرحاً وسروراً

ولكن فيليبوس ما لبث ان احب نساء غير زوجته وتزوج بهن فثارت الغيرة بين نسائه فتحاسدن واتصل هذا الداء القبيح بجميع اجزاء مملكته فتحاسدت تحاسدهن ايضاً . وكانت اوليبيا ام اسكندر تبث في صدر ولدها روح مقاومة ابيه حتى وقع النزاع والخلاف بينهما . وزاد هذا الخلاف يوم زواج فيليبوس بكليوبتره . فان اتالوس عم هذه الملكة شرب من الخمر في العرس حتى فقد الرشد فالتفت الى المكدونيين الحاضرين وطلب منهم ان يسألوا الالهة ان تمنحهم من كليوبتره زوجة فيليبوس الجديدة وارثاً شرعياً للملك . وكان اسكندر حاضراً فصاح به « يالك من وغد لئيم . اوتحسبني لقيطاً حتى تقول هذا الكلام » ثم تناول كاسه ورماه بها في راسه . فاغتاظ فيليبوس من صنيع ابنه فجرد سيفه ونهض هاجماً به عليه . ولكنه ما خطا خطوتين حتى عثر فسقط على الارض من السكر والغضب . فنهض حينئذ الفتى اسكندر وصاح بالحاضرين مشيراً الى ابيه « ايها المكدونيون انظروا الى ملككم فانه يطلب ان يسير بكم من اوربا الى آسيا وهو لا يستطيع العبور من مائدة الى اخرى » ثم خرج من القاعة واخذ امه اوليبيا وسار بها الى ابيروس فنزل ضيفاً عند الايليريين

وسنأتي في الجزء القادم وما يليه على تتمة الكلام . ولا شبهة لدينا ان القارئ يرتاح الى هذا الاسهاب الذي نسرد به تاريخ اسكندر لما فيه من الفائدة واللذة كما ترى مع اننا الآن لا نزال في اول حياته

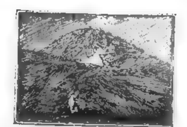
رسوم هذه المقالة — سننشر في اثناء الكلام عن تاريخ حياة اسكندر وقيصر رسوم اهم الاشخاص والآثار القديمة التي تعرض لنا كما صنعنا في هذا الجزء . ولا يسعنا الا ان نقف بازاء هذه الصور اليونانية العظيمة متاملين في عظمتها الماضية . فنجد انها تمثل اسمى القوات الفلسفية في ارسطو واسمى القوات العسكرية في اسكندر واسمى القوات الادبية في فلوطرخوس المؤرخ والعالم بادب النفس الشهير واسمى قوات التصور والفصاحة في هوميروس وذيموستينوس واعظم الاميال الروحية في جوبيتير . واذا اضفنا الى ذلك منظر جينون التي تمثل المرأة اليونانية احسن تمثيل وما ينعكس عن وجوه هؤلاء الرجال الاعاظم من آثار الشمم اليوناني وملامح العظمة العسكرية والفلسفية والادبية خيل لنا ان شمس التمدن اليوناني القديم التي انارت العالم كله تنير الآن هذه الصفحات القليلة وتنثر عليها شيئاً من بهاء مجدها القديم

باب المقالات

ثوران بركان بزوف

في الشهر الماضي

بزوف بركان عظيم قائم في ايطاليا الى جنوب نابولي الشرقي على مسافة ٨ كيلو مترات منها. ثار هذا البركان في سنة ٧٩ بعد الميلاد فدفن تحت مقذوفاته مدينتي بومباي وهركيلانوم الرومانيتين كما فصلنا ذلك مطولاً في مقالة « ثلاث مدن تحت الرماد » التي نشرناها في الجزء العشرين



جبل بزوف وثورانه

وقد ثار هذا البركان في ٧ الجاري فاخذ يجيش ويصعق صعقات هائلة كانت ترتج لها اسس الارض والدخان ينبعث من فوهته ومقذوفاته من الحجارة والرماد تصعد الى علو ٣ او ٤ مائة متر. فجزع سكان القرى والبلاد القائمة على سفحه وحسبوا انهم سيدفنون كما دُفن سكان بومباي وهركولانوم قبلهم. فخرج بعض اهالي مدينة توردل كريكو الى الخلاء وقضوا ليلهم ونهارهم فيه خوفاً من زلزلة الارض. واخرج البسطاء في توردل كريكو وريزينا وتور برانكا كيو صور القديسين الى الشوارع وعرضوها فيها استنجاداً بها على البركان الثائر

وبعد ثورة البركان ببضع ساعات والناس في خوف وجزع همدت مقذوفاته وسكتت صعقاته فاصدر الاستاذ سيمولا مدير المرصد الفلكي الايطالي القريب من البركان مذكرة لتسكين الافكار وفيها يقول ان الخوف قد زال والحمد لله. ولكن ما انتشر هذا الخبر وكادت القلوب تسكن حتى ثار البركان على حين بغتة ثورة اشد وانكى . فاحتجبت قمته بالدخان الكثيف الذي كانت تلمع فيه السنة اللهيب المتقذفة وتُسمع منها ومن جوف الارض صعقات ترتجف لها القلوب في الصدور . فصدرت الاوامر الى الحراس المتطرفين في الجبل ان يرتدوا في الحال ويمنعوا السياح من الصعود اليه . ولكن ثلاثة من سياح الانكليز تسلقوا الجبل لمشاهدته على غير علم من الحراس فما لبثت الحجارة المتقذفة من البركان ان اصابتهم فقتلتهم فراحوا شهداء شجاعتهم وحبهم الاستطلاع والمشاهدة . ثم اشتد قذف الحجارة والرماد فخربت اكواخ الادلة الذين يرشدون السياح في الجبل ودفنتها تحتها وخربت ايضاً بعض المحطة العليا التي في الجبل . واستمر هذا الهياج حتى ١٠ الجاري ثم خمد على حين بغتة ايضاً كما ثار على حين بغتة

وبعد هذا السكون صعد دليل الى قمة البركان بحذر وتأن ثم عاد بعد مشاهدة فوهته وقال ان البركان لا يزال يقذف الرماد قذفاً خفيفاً وجوفه يُسمع له ازيز هائل كازيز قدر هائلة تكون فوق نار حامية . وقمته ينبعث منها غاز شديد يقتل لشدته كل من يدنو منها . وكأنها قد انصعت من ثورة البركان وتجمع حولها من حممه شيء كثير

ويقول الادلة والحراس انهم خافوا هذه المرة خوفاً حقيقياً . وقد رفض كثيرون منهم ان يسيروا مع السياح الانكليز والانكليزيات النازلين في الفنادق التي عند سفح الجبل والذين كانوا يطلبون منهم بالحاح شديد ان يسيروا بهم في الجبل ليشاهدوا آثار هياجه . ومن الغريب المدهش ان يكون الحراس والادلة الذين عاشوا في تلك الاماكن هم الذين يخافون الاقتراب منها والانكليز السياح من كل مَن

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

هم الذين يطلبون الاقدام على مشاهدة البركان . اليس في ذلك احسن دليل على عظمة التربية الانكليزية واتخاذ ابناء هذه الامة الاقدام والجرأة شعاراً لهم في كل الامور

ويبلغ ارتفاع بركان يزوف ١٢٠٠ متر عن سطح البحر وقد ثار في القرن التاسع عشر ثلاث مرات : سنة ١٨٢٢ و١٨٦١ و١٨٧٢ . وهذه هي المرة الرابعة التي يثور فيها

اما ثورته في ١٨٢٢ فيقال ان الرماد المقذوف من فوهته يومئذٍ قد بلغ الاستانة . وفي

سنة ١٨٦١ اشتدت زلازله حتى شعر بها سكان نابولي وخافوا منها ونزل عليهم منه يومئذٍ مطر من الرماد الحامي والرمل · وقد جرت مصهوراته في هذه الثورة الى مدينة توردل حكريكو القريبة منه فكانت كأنها نهر عرضه ٣٠٠ متر تقريباً ولكنه لا يقطع اكثر من كيلومتر واحد في اليوم · وقد هُدمت هذه المدينة لتشقق الارض بسبب هذه المقذوفات بعد جفافها ودُفنت تحتها بعض شوارعها ثم اعيد بناؤها

والآن فلا بد ان يسأل القارئ من اين تاتي النار والرماد والمواد المصهورة التي تنقذف من فوهات البراكين · فنجيب ان هذه المسالة اختلف العلماء في حلها ولكن اكثرهم يذهب الى ان باطن الارض مصهور ذائب من فعل الحرارة التي في باطن الارض · ويثبتون وجود هذه الحرارة بالبرهان الحسي وذلك بجزمهم في المناجم فانهم كلما تعمقوا حفراً في الارض ازدادت الحرارة · واذا قيل من اين اتت هذه الحرارة الى باطن الارض قلنا ان العلماء يذهبون ان هذه الحرارة محفوظة في جوف الارض منذ كانت الارض كتلة نارية غازية حين انفصالها عن الشمس والله اعلم

ومما مر يظهر فساد زعم الذين قالوا وفي مقدمتهم سترابون المؤرخ بان يزوف قد انطفأت نيرانه وخمدت انفاسه · ويظهر لنا ايضاً من ذلك ان الانسان مهما عظم وتسلط على الطبيعة واخضع نواميسها فانه يبقى ولداً صغيراً بالنسبة اليها عاجزاً عن اخضاعها كلها

الاصلاح في الدولة العلية

تلقينا في العام الماضي بتمام الارتياح والسرور خبر منح الدولة العلية الامتياز بمد سكة حديدية ما بين النهرين لان هذه السكة تمرّ بلاداً من اخصب البلاد العثمانية ان لم نقل اخصبها · وننقل الآن بتمام الارتياح والسرور ايضاً خبر عزم الحكومة على مد الاسلاك البرقية والسكك الحديدية بين دمشق الشام والاقطار الحجازية لانها تُعد في بلاد شديدة الحاجة اليها

وقد صدرت ارادة مولانا السلطان الاعظم بتاليف لجنة تتولى هذا العمل العظيم تحت رئاسة جلالته وعهد الى صاحبي الدولة ناظم باشا والي ولاية سوريا والمشير جواد باشا في دمشق الشام بتنفيذ قراراتها · وسيرسل بلوكان من الجنود لبناء هذه السكة تحت مراقبة ضباطهم لان السكة عسكرية والجنود تبني السكك العسكرية في جميع البلاد

اما خطة هذه السكة فلم توضع بعد . ولكن يلوح لنا منذ الآن انه سيكون منها فوائد عظيمة

الفائدة الاولى ادارية . فان الحجاز متى ارتبط بالاستانة بالاسلاك البرقية والسكك الحديدية كما ترتبط الاعضاء بالراس اصبح اقل اضطراباً مما كان في الايام الماضية لان الاستانة تصبح اقدر على الضغط عليه وتنفيذ ارادتها في عربانه . وكأن بعض الجرائد الافرنجية التي لا تريد الخير للدولة قد ادركت ذلك فقامت تدعي ان دولة شريف مكة سيعارض في مد الاسلاك البرقية والحديدية في بلاد الحجاز لانها تضعف نفوذه وتقلل استقلاله . ولكن نسيت هذه الجرائد التي تطالب الدولة بالاصلاح دائماً ان قولها هذا قد يكون بمثابة عثرة في سبيل الاصلاح لانها تقوله على سبيل الاغراء والتحريض

والفائدة الثانية عسكرية . فان الدولة لم تمد هذا الخط من جده او من ينبع اي من شواطئ بحرية ولكنها مدته من مدينة داخلية ليس للسفن الحربية اليها وصول وبذلك تقبض على ناصية الحجاز وتأمن على الاراضي الاسلامية

والفائدة الثالثة تعمير الحجاز . فانه من الثابت الذي لا مكابرة فيه انه حيثما دخلت السكك الحديدية دخلت وراءها العمارة وتعززت التجارة والزراعة وتحسن حال السكان ولا سيما اذا كانت تلك السكك غير محصورة في ولاية او ولايتين . وهذا الامر يذكرنا الامتياز الجديد الذي نالته شركة سكة دمشق الشام من مد خطها الى حماه . فان مد هذا الخط الى حماه وان كان ظلماً واضحاً لمدينة طرابلس التي تعتبر حماه وحمص من املاكها الخلفية التي لا يحق لبيروت ان تعتدي عليها في شرع السياسة المدنية فانه مع ذلك سيكون خيراً للبلاد . لان دمشق متى ارتبطت بحماه اصبح من السهل ربطها بحلب ثم سهل ايضاً ربط حلب ببغداد وحينئذٍ يظهر الى الوجود مشروع نافع عظيم وهو اتصال السكك الحديدية في الاناضول ووادي الفرات والشام والحجاز . فتصبح البلاد العثمانية جسماً مرتبطاً بعضه ببعض فوقه الاستانة مرتبطة به ارتباطاً مكيناً

ولكن لا تنسين مصر في كلامنا عن هذا المشروع العظيم . فقد راينا ان الدولة تحذر بعض الحذر ان تمد سكة الحجاز من ميناء بحري على شاطئ البحر الاحمر وهذا مما يجعل الحجاج في المستقبل يسافرون الى بلاد الدولة ومنها يركبون القطارات الى مكة المكرمة فراراً من السفر براً عن طريق جده وينبع . فماذا يصنع الحجاج المصريون يومئذٍ

يقيننا ان مصر لا تتركهم يومئذٍ يعانون عناء السفر بحرًا الى بلاد الدولة ثم الانتقال الى القطارات للسفر الى مكة بل انها تبحث في اخراج المشروع المصري السوري القديم من حيز القوة الى حيز الفعل ونريد بهذا المشروع وصل القطر المصري ببلاد الشام بسكة حديدية. فاذا تم ذلك بسبب مد سكة الحجاز كانت منافع هذه السكة مما لا يحصيه قلم ولا يعده لسان

ويومئذٍ يصبح المصري قادرًا على السياحة وهو جالس ناعم البال في مركبة ناعمة الفراش تجري به من الاسكندرية الى الحجاز فالشام فوادي الفرات فالاناضول حتى عاصمة السلطنة السنية

والفائدة الرابعة لسكة الحجاز دينية وهي تسهيل الحج وتأمين سبيل مكة . ولا يخفى ما في هذا الامر من زيادة عدد الحجاج

ورغبة في تبيان المصاعب التي يلقاها الآن الحجاج في مسيرهم الى الحج يكفي ان ننقل عن جريدة ثمرات الفنون الغراء جدول بيان مراحل ركب الحج الشريف من دمشق الى مكة مع اسماء المحطات والمسافات التي بين كل منها مما لم نقف عليه في غير رصيفتنا بالضبط والتدقيق الواجبين. واليك هذا البيان

الطريق من دمشق الى مكة

المرحلة الاولى من دمشق الى الكسوة ساعتان والمرحلة الثانية الى الكتيبة ٩ ساعات والمرحلة الثالثة الى المزيريب ٣ ساعات والمرحلة الرابعة الى الرمته ٥ ساعات والمرحلة الخامسة الى المفرق ١٠ ساعات المرحلة السادسة الى الزرقاء ١٣ ساعة المرحلة السابعة الى البلقاء ١٦ ساعة المرحلة الثامنة الى القطرنة ١٤ ساعة المرحلة التاسعة الى الحسا ١٣ ساعة المرحلة العاشرة الى عنزة ١٣ ساعة المرحلة الحادية عشرة الى معان ١٠ ساعات المرحلة الثانية عشرة الى العقبة ١٨ ساعة المرحلة الثالثة عشرة الى المدوره ١٨ ساعة المرحلة الرابعة عشرة الى داد حج ٨ س المرحلة الخامسة عشرة الى القاع الصغير ١٣ ساعة المرحلة السادسة عشرة الى عاصي خرما ١٢ س المرحلة السابعة عشرة الى الاخضر ١٨ س المرحلة الثامنة عشر الى المعظم ١٤ س المرحلة التاسعة عشرة الى ظهر الحمراء ١٦ س المرحلة ٢٠ الى مداين صالح ١٨ س المرحلة ٢١ الى آبار الغنم ١٠ س المرحلة ٢٢ الى بئر الزمرد ١٦ س المرحلة ٢٣ الى بئر الجديد ٨ س المرحلة ٢٤ الى هدية ١٨ س المرحلة ٢٥ الى نخلتين ١٨ س المرحلة ٢٦ الى آبار ناصيف ١٠ س المرحلة ٢٧ الى المدينة المنورة ساعة واحدة المرحلة ٢٨ الى آبار علي ٣ س المرحلة ٢٩ الى

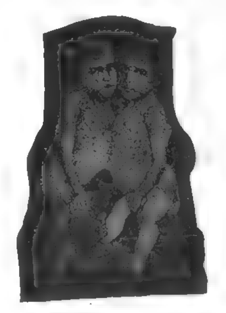
بئر ماش المرحلة ٣٠ الى الغدير ٨ س المرحلة ٣١ الى الريان ١٠ س المرحلة ٣٢ الى ام الضباع ١٢ س المرحلة الى ٣٣ ظهر العقبة ١٤ المرحلة ٣٤ الى رابغ محل الاحرام ٧ س المرحلة ٣٥ الى القضيمة ١٣ س المرحلة ٣٦ الى عسفان ١٣ س المرحلة ٣٧ الى مكة ٢٠ س

وجملة هذه المراحل ٣٧ مرحلة وجملة الساعات ٤٣٠ اي نحو ١٨ يوماً

وكفى ذلك داعياً لانشاء السكة الحديدية التي يستريح فيها الحجاج من هذا العناء وعناء اعتداء العربان . ولا ريب عندنا ان انشاء هذا الخط الحديدي سيذكره التاريخ في جملة الاعمال العظيمة التي عملها جلالة السلطان في ايام ملكه

عجائب العلم

يرى القراء في هذه النبذة رسم توأمين متصلين الواحد بالآخر من صدريهما . هذا هو رسم طفلتين برازيليتين تدعى احداهما روزالينا والثانية ماريا ولدتا في بطن واحد كما ترى واخذهما ابواهما في الشهر الماضي الى « مستشفى الشفقة » في ريوجانيرو من اعمال



البرازيل لاستشارة اطبائه في فصل الواحدة عن الاخرى

ففحص الدكتور راموس جراح المستشفى هاتين الابنتين وصرف انتباهه قبل كل شيء الى البحث في هل ان اعضاء الهضم فيهما مشتركة او هي مستقلة في كل واحدة منهما · وهل يوجد عند حد الاتصال بين صدري الطفلتين مواد تحول دون الانفصال ام لا

ولمعرفة ذلك استخدم الدكتور راموس اشعة رنتجن التي يُرى بها باطن الاجسام · فاخذ كية كبيرة من هيبونترات البزموث التي تظهر باشعة رنتجن ظهورًا واضحًا في الاجسام ثم اطعم الابنتين منها ونظر باشعة رنتجن الى جوفيهما حين ابتلاعهما هذه المادة فابصر كلاً من اللقمتين تنزل مستقلة في آلتي هضم الابنتين · وبذلك ثبت له ان اعضاء الهضم فيهما غير مشتركة

على انه مع تحققه ذلك بقي في نفسه شيء من وجود الكبد · فانه خشي ان تكون الكبد مشتركة بين روزالينا وماريا كما يُرى ذلك كثيرًا في الاجسام المتصلة وحينئذٍ يستحيل فصلها اذ يستحيل شطر الكبد · ومن المعلوم ان الكبد لا تظهر باشعة رنتجن في باطن الجسم بالوضوح اللازم لفحصها فحصًا دقيقًا فلم يكن اذا بدٌّ من تحقيق ذلك جراحيًا

فاستدعى الدكتور راموس بعض زملائه الاطباء وشاورهم في الامر بعد ان اطلعهم على رأيه ونتيجة امتحانه فصوبوا رأيه وشجعوه على اجراء العملية الجراحية لفصل الطفلتين الواحدة عن الاخرى فيطيب لها العيش بدل من بقائها متصلتين هكذا كانهما مقيدتان بقيود ثقيلة · فاستحضر الاطباء روزالينا وماريا واعدوا كل المعدات اللازمة للعدول عن العملية وارجاع كل شيء الى اصله اذا ثبت لهم في ابان العمل ان الفصل امر مستحيل · ثم انامو هاتين الطفلتين المسكينتين على مائدة نومًا افقيًا حتى برز مكان الاتصال من جسميهما فاخذ احد الدكاترة الحاضرين ينشق ماريا الكلوروفورم واخذ آخر يصنع مثل ذلك بروزالينا فما مرّت ١٥ دقيقة حتى غابتا عن الحس واصبحتا بتأثير المخدر جثتين هامدتين

فدنا حينئذٍ الدكتور راموس من روزالينا وشق بسكينه جسمها عند « الابدومين » شقًا مساحته ٦ سنتيمترات وجعله مائلاً نحو جسم ماريا · ثم رفع قليلاً الجلد الذي يغطي خط الاتصال بين الطفلتين فابصر العضلات التي هي سبب الاتصال اليمنى في جانب

ماريا واليسرى في جانب روزاليا . فاجرى العملية اللازمة لكشف الجوف من توسيع الشق وازالة ما في طريق السكين الجراحية . فانكشف له حينئذٍ جوفا الابنتين وظهرت له معدتاها وامعاؤهما مستقلة بعضها عن بعض و بذلك ثبت الفحص النظري الذي تقدم

فاراد حينئذٍ ان يحقق مسألة الكبد كما تحقق مسالة اعضاء الهضم فوسع الشق ايضاً ٣ سنتيمترات ونظر الى قسمي جسميها العلويين فابصر الكبدين الواحدة بجانب الاخرى وهما منفصلتان في الحقيقة ولكنهما متصلتان ببعض الاغشية . فسرّ لانهما منفصلتان ولكنه رأى من الضرورة ان يجري عملية فصل الاغشية ليتم الانفصال . وتمهيداً لهذه العملية مدّ يده وجسّ الكبدين ليرى مساحتها

غير انه عاد فرأى ان الطفلتين لنحافة جسميها وصغر سنيهما لا تستطيعان احتمال الكلوروفورم مدة اجراء عملية فصل الكبدين وفصل الجسمين ثم وضع كل شيء في محله وضمد الجرحين لان ذلك يقتضي وقتاً غير وجيز وقد كادت تنفد قواها الحيوية في نومها هذا . فقرر ان ينبههما ثم يعود الى العملية في فرصة اخرى . فضمد الشق الذي شقه ونبههما فانتبهتا باكيتين خائفتين فاضحكتا كل الحاضرين . وبعد انقضاء ايام اعاد الدكتور الكرة عليهما فشق جسميهما وفصل الكبدين الواحدة عن الاخرى ثم فصل صدريهما الواحد عن الآخر ووضع كل شيء في محله وضمد الجرحين واخذ يعتني بمعالجتهما اعتناء خصوصياً تكلل بالنجاح فاصبحت كل واحدة من الاختين مستقلة بنفسها وصارتا تأكلان وتمشيان وتضحكان وتلعبان

فتأمل غرائب العلم وانظر كم تقدم علم الجراحة في هذا الزمان . ولو تقدم علم الطب النظري الباطني كما تقدم علم الجراحة لكان حضرات الاطباء الآن على الارض بمنزلة انصاف الآلهة

قال الاصبهاني في الاغاني : لما رأى الفلاسفة تابوت الاسكندر وقد اخرج ليدفن قال بعضهم : كان الملك امس اهيب منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس . وقال آخر سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان اخذهما ابو العتاهية برثاء ابنه علي قال

بكيتك يا عليُّ بدمع عيني فما اغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عظاتٌ وانت اليومَ اوعظ منك حيّاً

القسم العثماني والمصري

في معرض باريز

نشرت جريدة « لفنت هرالد » التي تطبع في الاستانة فصلاً ذكرت فيه عن القسم العثماني في معرض باريز تفاصيل لم تنشرها الجرائد بعد · ونشرت جريدة « الاكلير » الفرنسوية كلاماً عن القسم المصري في المعرض فرأينا تلخيص القولين في هذه النبذة

والذي سرنا بنوع خاص من كلام اللفنت هرالد قولها ان جميع تفاصيل الامور التي ستجري في القسم العثماني من معرض باريز قد عُرضت على السفارة العثمانية فيها والسفارة عرضتها على كومسير المعرض ووزارتي التجارة والصناعة · ولذلك فكل عثماني يمكنه ان يزور القسم العثماني والمصري دون ان تحمر وجنتاه خجلاً كما كان يحدث في بعض المعارض الماضية اذ كل لعب غير اديب وكل حركات غير ملائمة للادب من رقص او ما اشبهه — كل ذلك ممنوع منعاً قاطعاً · هكذا روت جريدة اللفنت هرالد نقلاً عن مراسلها في باريز

وقد بلغ عدد العارضين من عثمانيين ومصريين ٦٥ عارضاً وهذا العدد هو مضاعف العدد الذي كان قد قُدر حين انشاء المعرض · واما العارضون فمنهم شركة الريجي في بلاد الدولة العثمانية ومعمل حركة السلطاني والمعمل الصيني الشاهاني في الاستانة وسعادة بوغوص باشا نوبار وشركة سكة حديد الشام ومعامل السجاد والبسط في الاناضول ومعامل حرير بروصه ومعامل حرير دمشق الشام وبعض صياغ بيروت وكثيرون من زراع جزيرة ساموس وبعض كبار التجار العثمانيين في جملتهم حضرات كوهين وتاجلوني وكساب ونسيم ومنصور وحسين · كذا جاء في الهرالد من غير القاب تعرّف هذه الاسماء

ومعروضات العارضين كلها موزعة في اقسام المعرض العثماني الثلاثة · وما عدا هذه الاقسام يوجد بازائها اماكن شرقية للهو والانس منها ملعب لبناني يلعب فيه اللبنانيون الذين لعبوا العاباً لطيفة في دمشق الشام عند زيارة الامبراطور غليوم اياها · ومنها ملعب تركي لتمثيل روايات بالاشارة وملعب للشعوذة والعاب الخفة والمهارة · والملعب المصري المعروف · ومنها ايضاً قهوة تركية تحت ارض المعرض وبازائها متحف صغير تُعرض فيه الملابس العثمانية القديمة · وتحت الطبقة الاولى من المعرض العثماني قهوة سورية فيها غناء سوري وهي مزينة بخشب منقوش نقشاً شامياً صنع دمشق الشام

اما الطبقة الاولى من المعرض ففيه منظر القدس الشريف وبيت لحم مصنوعتين من المعدن ومنظر البوسفور البديع وهما من اكثر المعروضات جمالاً

واكثر ما يسر الاوروبين في المعرض العثماني منظر القدس الشريف فانهم يرون فيه باب الخليل المؤدي الى بيت لحم والباب الذي دخل منه السيد المسيح الى اورشليم ويرون فيه ايضاً منظر القبر المقدس يحرسه شيوخ جاثمين حوله وجانباً من جدار سليمان حيث يأتي الاسرائيليون للصلاة ولذلك ترى الاوربيين يقبلون افواجاً لمشاهدة تلك الاثار التاريخية العظيمة

وفي القسم العثماني مطعم (لوكندة) تركي يطابخ في كل يوم لزائري هذا القسم والمقيمين فيه الواناً فاخرة واذا كان الطباخون فيه لبسوا كلهم اتراكاً فلا يمنع ذلك من طبخ الوان كثيرة من الاطعمة العثمانية التي يأكل منها العثمانيون في المعرض ويفضلونها طبعاً على الالوان الافرنجية

ويوجد في القسم العثماني ما عدا ما ذُكر كثير من الامور التي تلذ مشاهدتها وتفيد معاً وعليه فانه يؤمل ان يكون القسم العثماني في معرض باريز مما يحق الافتخار به

ومما يحق الافتخار به ايضاً بناء القسم المصري الذي راينا وصفه في جريدة الاكلير . فانه مبني على شكل هيكل مصري قديم مرتفع بضع درجات وله باب كبير واسع كابواب الهياكل العتيقة

وتحت هذا الهيكل اقبية تمثل غرف قبور سلالات الفراعنة . وفي كل غرفة مومياء ملك اوملكة من الملوك الذين حكموا مصر قديماً وعلى جدران الغرفة زينة غرف الاموات المصرية القديمة

وهذا ما جعل جريدة الاكلير تقول ان الفراعنة سيكونون في جملة الملوك الذين يزورون معرض باريز في هذا العام

اما قبة هذا الهيكل فهي من اجمل ما بنته الهندسة المصرية القديمة وهو يشبه كل الشبه بعض الهياكل المصرية القائمة في الوجه القبلي

ويوجد في القسم المصري اسواق تمثل الاسواق المصرية القديمة ومنزل يمثل المنزل الذي يسكنه جناب وكيل فرنسا السياسي في العاصمة وفيه ايضاً مرسح مصري قديم مصنوع صنعاً متقناً وفي هذا المرسح تجري الالعاب المصرية القديمة من رقص وغناء وتمثيل . قالت الاكلير . والقسم المصري في معرض باريز موضوع تحت رعاية شقيق الجناب الخديوي

صاحب الدولة البرنس محمد علي باشا وهو الامير اللطيف الذي يعرفه الباريزيون حق المعرفة

وقد احتفل في ١٦ الماضي بافتتاح القسم العثماني احتفالاً في غاية الرونق والبهاء وقد اقام عطوفة منير بك سفير الدولة في باريز وكومسير القسم الثاني فتاة على باب هذا القسم ومعها طبق عليه باقات الازهار الجميلة فكانت تهدي باقة منها الى كل سيدة من المدعوات للاحتفال فسر بهذا اللطف كبار رجال المعرض ومندوبو الدول واثنوا على حسن ذوق السفير

وقبل ختام الكلام في موضوع المعرض نود ان نوجه الانظار الى امر مفيد . وهو انه يليق بالامم العاقلة ان لا تعتبر المعرض العوبة من الالاعيب يتفرج بها الناس بل ان تعتبره مدرسة تدرس فيه جميع الشؤون الصناعية والزراعية والتجارية والعلمية ايضاً . وقد راينا كثيرين من العثمانيين يشدون رحالهم الى المعرض ولكن ما سمعنا ان بعضهم اجتمعوا لامر مفيد يصنعونه فيه

وقد قرأنا في جرائد البريد الاخيرة ان حزب الزراع في مجلس بروسيا قد اقترح على المجلس اقتراحاً مفاده تخصيص اموال تنفق لمساعدة الفلاحين والزراع الذين يرومون السفر الى معرض باريز لدرس ما فيه من الطرق الزراعية ومشاهدة احوال التقاوي والمحصولات وقد وافق وزير الزراعة والتجارة على هذا الاقتراح ورأينا ايضاً ان احد اصحاب معامل منشستر ارسل على نفقته الى المعرض الفي عامل من عملته ليشاهدوا غرائب مصنوعاته . فحبذا لو ان الحكومة العثمانية والمصرية تقدمان على شيء من ذلك . واذا استكثرنا النفقة التي يقتضيها هذا العمل فلا اقل من اختيار بعض من الزراع العارفين وارسالهم وفداً زراعياً الى المعرض لدرس ما فيه من الشؤون الزراعية . وما قلناه عن الشؤون الزراعية يصح ان نقوله ايضاً عن الشؤون الصناعية وغيرها . ولكنا قدمنا الشؤون الزراعية لانها الآن قوام حياة البلاد ومن اهم حاجاتها

ويقيننا ان الحكومة اذا صنعت ذلك افادت افادتين . الاولى ترقية الشؤون الزراعية في البلاد . والثانية ان تدل الغربيين على ان الشرقيين اذا كان فيهم من يزور معرض باريز للخلاعة والخفة واللهو وربح المال من اي طريق كان ففيهم من يزوره للدرس والفحص والفائدة . وبذلك ننفي عن انفسنا عاراً وصمنا به لدى الغربيين في معرض باريس الماضي (***)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظاماً وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اساتذة المدارس وتلامذتها

في اوقات العطلة الصيفية

خلو الاعشاش من صغارها · الحكمة في الفرص المدرسية · لا ضرر ولا نسيان · التعليم الحقيقي · زراعة او تجارة · اقتراح مهم على الاساتذة · حفلات مفيدة · دمعة فرح لذكرى تسر ودمعة حزن لذكرى مؤلمة

قربنا من ايام العطلة المدرسية

غداً تخلو المدارس الكبرى والصغرى من تلامذتها كما تخلو الاعشاش من صغارها · غداً هذه الاماكن الطاهرة الجميلة التي تنشأ فيها الاجيال بعضها بعد بعض والتي يدوي الآن في فضائها صراخ ابناء « الانسانية الصغيرة » تصبح ساكتة هادئة لا يُسمع في جنائنها غير غناء الطيور التي تزداد غناء في غياب رفقائها التلامذة كأنها استوحشت وحدها فقامت تشكو فراقهم

ولا يخفى ما في منح المدارس فرصها الصيفية (المسامحات) من الحكمة والفائدة · فان المقصود من اعطاء التلامذة فرصة شهر او شهرين او ثلاثة اشهر في السنة هو على ما نرى خمسة امور

اولاً راحة ادمغة الطلبة والمعلمين من تعب الدرس مدة تمهد فيها قوام العقلية والجسدية

ثانياً اظهار الفرق للتلامذة والمعلمين بين العمل والبطالة وكيف ان الاول سارّ مفيد مع ما فيه من العناء وكيف ان الثاني مضجر مضر مع ما فيه من الراحة فيعود كل من الفريقين الى اعماله المدرسية اكثر نشاطاً واشد شوقاً اليها

ثالثاً عودة التلامذة الى المعيشة العائلية مع اهلهم لاستعادة بعض ما افقدتهم اياه المعيشة المدرسية من الانعطاف العائلي لانه من الثابت — و باللاسف — ان المعيشة المدرسية ونعني بها هنا المعيشة في المدارس الداخلية تسلب من قلب التلميذ قسماً من الالفة البيتية

رابعاً جعل السنة المدرسية شوطاً بعيداً يجري فيه التلميذ على امل ان يصل الى الغاية اي الراحة بعد التعب واحراز قصب السبق في الامتحان بعد طول الدرس والتنقيب فان هذا الامل مما يخفف عليه مشاق الدرس و يجعله يقطع تلك الطريق الطويلة بشيء من السهولة

خامساً الفرار من حر الصيف الذي يكون الدرس فيه شاقاً متعباً

فانت ترى مما مرّ بك ان العطلة المدرسية نعمة لعنصريّ المدرسة ونعني بهما المعلمين والتلامذة · فينبغي السرور بها والارتياح اليها خلافاً لما يعتقده بعض بسطاء الاباء والامهات من انها تضر الاولاد وتجعلهم ينسون ما تعلموه

اما نسيان الاولاد ما تعلموه فهذا امر لا نحب ان نسمع به من فم عاقل يفهم معنى التعليم · افتحسبون التعليم هو تلك القواعد الباردة الشاردة الكاسدة التي يحفظها التلامذة في ذاكرتهم فاذا لم يتذاكروا بها او لم يراجعوها في كتبهم نسوها و بذلك يخسرون ما تعلموه · كلا· ثم كلا ان التعليم الصحيح غير متوقف على قاعدة او دفتر او كتاب حتى ولا على مكتبة · وانما يتوقف على المبادئ التي يكون المعلم قد بثها في نفس تلميذه ونعني بهذا توسيع نطاق مداركه وتربية دماغه وتثقيف نفسه حتى اذا خرج من المدرسة ونسي كل قواعد التصريف والاعراب وكل مبادىء البيان وما اشبهها بقي له معرفة نواميس الحياة ومقدرة على فهم كل شيء يطالعه والتمييز بين الفاسد والصحيح والنافع الضار والحرام والحلال

هذا هو التعليم الحقيقي · اما القواعد فليست الا آلة لهذا التعليم و ينبغي ان تكون كل واحدة منها بمثابة حجر يوضع في اساس هذا البناء العظيم الذي يسمى تربية وتعليماً · اما اذا كانت هذه القواعد مما يمنع التربية العقلية والنفسية التي اشرنا اليها لا مما يؤيدها فاننا نشفق حينئذٍ بنية خالصة على معلميها ومتعلميها

اذاً لا خوف من ان ينسى التلامذة في الفرص المدرسية ما تعلموه اذا كان التعليم

صحيحاً واذا لم يكن كذلك فلا اسف عليه اذا نسوه اذ بذلك يطردون الفضول من ذاكرتهم

واما قولهم ان هذه الفرص تضر بالتلامذة فهو قول فاسد وكلامنا في هذه المقالة عن هذا الموضوع

فان العطلة المدرسية تكون مما يضر ويفسد حال التلامذة اذا صرفوها في وجه ضار كالبطالة والمعاشرة الرديئة التي تفسد الاخلاق . وتكون مما ينفع اذا صرفوها في وجه نافع . وهذه اولية لا تحتاج الى تبيان . وما جئنا لاقامة الدليل عليها ولكن جئنا للاشارة الى امر مختص بالفرص المدرسية وهو عظيم الاهمية للمدارس ومعلميها وتلامذتها والهيئة الاجتماعية

وهذا الامر العظيم الذي نوجه اليه انظار جميع اصحاب العقول الناضجة من المعلمين والمتعلمين هو انشاء « مدارس عامية » في ابان العطلات المدرسية . ومعنى هذا ان لا يصرف المعلمون والتلامذة اوقات العطلة في البطالة والكسل فان ذلك امر لا يليق باصحاب العقول

وان قيل ان العطلة المدرسية قد وُضعت للراحة قلنا ان الراحة شيء والكسل والبطالة الذميمة شيء آخر . ونحن لا نطلب ان ينصرف المعلمون والتلامذة ابان العطلة الى التدريس والدرس اللذين يشتغلون بهما في اوقات المدرسة وانما نطلب ان يعمل كل من الفريقين في اوقات راحته عملاً مفيداً لنفسه ولغيره من غير ان يعاني مشقة وتعباً

اما التلامذة فانهم ينبغي ان يطلبوا الخلاء والهواء النقي ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً واحسن ما يشتغلون به فيهما مدة الفرصة حراثة الارض كالبستان او الحقل وسقيها من عرق جبينهم فترد لهم هذا العرق صحةً وعافية في العقل والبدن . ولو كان الصيد ملذة طاهرة اي لو لم يكن فيه قتل ارواح وكان من القبيح ان يعتاد الاولاد من صغرهم ان يقتلوا ولو حيواناً لاشرنا عليهم بالصيد والقنص . على اننا نفضل الحراثة والزراعة لانها فن واذا مارس التلميذ هذا الفن اكتسب ميلاً اليه والميل الى استخراج خيرات الارض واجادة ذلك من اهم اسباب الثروة ووسائل العمران

واذا لم تكن الفلاحة والزراعة في الخلاء كالقرى في اعالي الجبال ترويضاً للجسد والعقل معاً فلا احسن من ان يعمل التلميذ بصناعة كالنجارة مثلاً فان هذه الصناعة التي

كان يحبها جان جاك روسو حتى قضى بتعليمها للتلامذة والتي كان يحسنها لويس السادس عشر المسكين الذي تحكي قصته في رواية نهضة الاسد — هذه الصناعة مما يروض الجسم والعقل ايضاً · فيجب على الطلبة ان يختاروا بينها وبين الزراعة

هذا فيما يختص بصغار الطلبة اي الذين لم يبلغوا الدروس العلية بعد اما الذين بلغوا الدروس العليـة فعليهم في اوقات الفرصة ما على معلميهم من الواجب العظيم الذي اشرنا اليه

وهذا الواجب العظيم هو انشاء « المدارس العامية » كما قدمنا · والمقصود بذلك ان نحذو حذو الامم الحية التي لا تعرف السكون بل تتحرك دائماً · كان علماء فرنسا ومعلميها والمتقدمين من طلبة مدارسها ينتشرون حين اقفال ابواب المدارس في المدن والقرى والمزارع يخطبون على العامة وعلى تلامذتهم في المواضيع الصحية والادبية والعلمية والفلسفية البسيطة والامة عامتها وخاصتها تقبل على استماع اقوالهم والانتفاع بعلمهم فاي مانع —غير التواني وعدم الاكتراث — يمنع اساتذة مدارسنا ان يعملوا كذلك في اوقات الفرص المدرسية

تصور مدينة شرقية اقفلت مدارسها اليوم وانتشرت غداً في اسواقها اعلانات من الاساتذة يدعون الشعب فيها الى استماع خطب بسيطة صغيرة يلقيها كل استاذ مرتين او ثلاثاً في الاسبوع · ومتى اجتمع المجتمعون اخذ الاستاذ يلقي على سامعيه كلاماً بسيطاً في العلم والادب والهيجيين والجوغرافيا والتاريخ والمبادىء الطبيعية التي يجب اطلاع العامة عليها والمبادىء الصحية التي من واجبات كل هيئة اجتماعيــة ان تعلم عامة الشعب اياها · اليس يحضر تلامذة المدارس حينئذٍ هذه الخطب فيكملوا خارج المدرسة ما بدأوا به في المدرسة ؟ ألا يستفيد الشعب من هذه الخطب فوائد لا يستطيع تحصيلها بطريقـة غير هذه الطريقة ؟ الا تكون هذه الاجتماعات الادبية اللطيفة مما يقتل روح الجهل في الامة ويدعو الى الاتحاد والالفة لكثرة اجتماع العناصر المختلفة بعضها مع بعض ؟ الا ترقي هذه الخطب اداب الامة وذوقها اذ تصرف الافكار عن القهاوي والحانات الى طلب مكان افيد واسمى ؟ الا تتأثر نفوس ابناء الشعب مما يذكره الخطباء في هذه الاجتماعات من وصف العادات القبيحة والحث على ترك المسكرات الآفة الكبرى · ثم الا يعتبر العقلاء هذه الخدم الجليلة التي يقوم بها الاساتذة ابان الفرصة المدرسية موازية للخدم الجليلة التي يقومون بها داخل المدرسة · وماذا يخسر الاساتذة · لا شيء بل انهم يربحون اتساع الشهرة

ويكتسبون اميال الناس وحبهم واحترامهم وفوق ذلك كله يشعرون حينئذٍ بالكبرياء الطاهرة الجميلة التي يشعر بها كل من يصنع خيرًا حقيقيًا . وهذا خير جزاء لهم

فالى هذا الامر العظيم نوجه انظار اساتذة المدارس ومعلميها وتلامذتها في الشرق . نوجه انظارهم اليه ويتنازعنا عاملان : عامل سرور وعامل كآبة

اما عامل الكآبة فلاننا نخشى وا اسفاه ان يكون كل ما يكتبه الكاتبون ذاهبًا ادراج الرياح . فاننا لا نحتاج اليوم الى من يقول وانما نحتاج الى من يفعل . نحتاج الى اساتذة ومعلمين يعرفون ما يجب عليهم ويدركون عظم المسئولية التي وضعوها على عواتقهم يوم تسموا معلمين وجلسوا على كرسي سقراط وافلاطون وارسطو فيقومون الى العمل بواجباتهم

واما عامل السرور فلاننا نرجع بالفكر الى اوقات بعيدة تختلج لها القلوب في الصدور . سلام يا اوقات التلمذة الجميلة ما كان احلاكِ واسعد ايامك . يا ربيع الحياة المفروشة طريقه وردًا وريحانًا . ياعمر الزهر والطهارة وعدم الاكتراث سقيًا لك من جنة لا يراها الانسان الا بعد ان يجتازها . يا طيرًا ذا الف لون ولون يطير في فضاء هذا العالم بسرعة الحلم ولا نراه الا بعد ان يفلت منا . يا احلام الصبي الوردية وآماله الذهبية . يا جوّ الكمال التصوري الذي ترفرف فيه اجنحتنا الرطبة الرخوة في الصغر حتى اذا اتت حوادث الحياة الحقيقية في الكبر كسرتها واجتذبتنا الى الارض بالرغم عنا

هذا ما يحلو حين الافتكار بالفرص المدرسية ولكنه يحلو لمن كانوا تلامذة فاين حلاوته لمن كانوا معلمين

يا لك من فن شريف عظيم يا فن المعرفة والحكمة . بيدك يا فن التعليم زمام الامم ومستقبل الشعوب . انت القوة الحقيقية والسياسة الحقيقية . صرفنا فيك اوقاتًا لا نذكرها الاَّ ويصعد الدمع الى عيوننا . ذلك لاننا نذكر رفيقًا ساعدنا فيك وصرف فيك قواه واوقاته معنا . فنحن نبعث له بالتحية في هذا المقام وان خرجنا عن موضوعنا . سلام ياروح ذلك الرفيق العزيز نكتفي الآن بهذا القول ونترك الدمع يكمل تحيتنا

كلمات زراعية

الآبار الارتوازية

وجعلها الصحراء جنات فيحاء

الماء من اهم حاجيات الزراعة . اذا فاض انبتت الارض خيراتها واكتست ثوباً سندسياً جميلاً واذا غاض اقفرت الارض واصبحت خراباً يباباً

اذاً فالبلاد التي تشقها الانهار او التي تجري على مقربة منها تكون بلاداً عامرة غامرة اذا كان سكانها اذكياء ومجتهدين . ولكن من المعلوم ان بعض الجهات لا يجري فيها نهر ولا ساقية بل ان بعضها كالصحراء تكون لشدة حرارة هوائها وعدم وجود الماء فيها رمالاً قاحلة قرعاء فلما يعيش فيها ذو حياة من الحيوان والنبات . فهل قُضي على هذه الاراضي مع شدة اتساعها ان تبقى خراباً ام يوجد طرق لتعميرها وجعلها صالحة لسكنى الناس

اذا نظرنا الى ما حدث في جنوب بلاد الجزائر في الصحراء منذ نحو ٣٠ سنة الى اليوم تحققنا ان الصحراء قد تصبح بالطرق العلمية جنائن غناء . فان الاراضي الشاسعة المحاذية للصحراء هناك كانت منذ ٣٠ سنة رمالاً وقفاراً بلا زرع ولا ضرع . واليوم فيها الواحات الغناء التي تتمايل فيها الاشجار ذوات الاثمار والنباتات المختلفة . فما سبب هذا الانقلاب

السبب هو ان الجزائريين النشيطين انصرفوا انصرافاً كلياً الى حفر الآبار الارتوازية في تلك الجهات التي لا يسقيها ماء من الارض ولا من السماء . وكلامنا الآن في هذه المقالة على هذه الابار

الابار الارتوازية هي حفر يحفرها الزراع في الارض الى اعماق بعيدة او قريبة حتى يصلوا الى مجرى من المياه جار تحت قشرة الارض فيفتحوا له منفذاً فينبثق بزخم شديد من هذا المنصرف الى سطح الارض ويفيض على الاطيان فيرويها . وقد يكون عمق هذه الآبار ٤٠ او ٥٠ متراً وسميت ارتوازية نسبة الى اقليم « ارتواز » وهو من اقاليم فرنسا لان هذه الآبار تكاثر حفرها فيه في الاعصر الوسطى . وكانت الآبار الارتوازية معروفة عند قدماء المصريين والفرس والصينيين . وحفرت ايطاليا والنمسا كثيراً منها في الاعصر الوسطى ولكن فرنسا امتازت بها عن جميع البلاد

والظاهر ان الجزائريين اخذوا حفر هذه الآبار عن العرب او ان الحاجة التي في بلادهم

الى المياه قد أرشدتهم اليها · ولهم في حفرها طريقتان · الاولى التي كانوا يجرون عليها قبل مداخلة الفرنسويين في شؤونهم والثانية التي يجرون عليها بعد هذه المداخلة

اما طريقتهم في حفر الآبار الارتوازية قبل الاحتلال الفرنسوي فهي في غاية الخطر · وبيانها ان العملة يختارون بقعة من الارض ويأخذون يحفرون فيها فاذا غاص العامل في الارض وقف رفيقه فوقه ليسحب الدلو الذي يملأه العامل في الحفرة ترابًا وهكذا يستمرون في الحفر الى عمق ٤٠ او ٥٠ مترًا في الارض بالرغم عن الحرارة وعن مشاق الحفر وخطر انهيار التراب · ورغبة في منع التراب ان ينهار يضعون حول جدران الحفرة كلما عمقت اغصانًا من النخل فتحفظ التراب من السقوط بعض الحفظ

ولا يزال العامل عاملاً حتى يصل الى صخر ويسمع تحته هدير مجرى الماء · فهنا يقف واجمًا لدنو ساعة الخطر · وحينئذ يصعد العامل وينزل مكانه معلمه والمعول في يده وهو مربوط من وسطه بحبل يقبض على طرفه الواقفون عند فوهة البئر · فياخذ المعلم المعول ويضرب به الصخر حتى يزيحه او يثقبه فينفجر الماء صاعدًا من ذلك المنصرف الى وجه الارض · والويل لذلك المعلم اذا كان لا يجذبه القابضون على الحبل الى خارج البئر قبل ان تصيبه المياه · فانه يموت غرقًا

وبعد انبثاق الماء الى سطح الارض يجب ان يُخرج من قعر هذه البئر التراب الذي يكون قد انهار فيها حين انفجار المياه · وهذا عمل مختص بفئة تدعى فئة الغواصين · وطريقتهم ان يسدوا آذانهم بالقطن المنقوع بدهن الماعز ويأتوا فم البئر الذي يتدفق الماء منه فيحموا اجسامهم على نار قريبة ويصلوا ثم يغطسون في الماء الى قعر البئر وفي يدهم حبل ودلو او سلة لاخراج التراب بها · ويقيم الواحد منهم في جوف الماء من دقيقتين الى ٦ دقائق وهو يملأ في كل غوصة دلوًا من التراب يسع ١٠ ليترات فقط ولا يستطيع في اليوم ان يغوص اكثر من ٣ او ٤ مرات · فتصور مبلغ المشاق التي يعانيها الغواص والوقت اللازم لاصلاح بئر واحدة · ومن اجل ذلك تلاشى في الماضي فن حفر هذه الآبار في تونس حتى ان اقليم « ودريره » لم يكن فيه في سنة ١٨٥٤ الا ٣ « معلمين » للحفر و١٢ غواصًا

واما الطريقة الثانية فهي حفرها بالطرق الميكانيكية اي بواسطة آلات تغوص في بطن الارض لتتحقق اذا كان يوجد مجرى مياه في ذلك المكان ومتى ثبت ذلك استعملت آلة اخرى للحفر وخرق الصخر فتنبثق المياه من نفسها · واول بئر فرنسوية حُفرت في الجزائر على الطرق الميكانيكية المذكورة بئر في واحة « تمرنا » حفرت في ١٧ يونيو سنة

١٨٥٦ في مدة ١٥ يوماً وانبثق منها ينبوع قوي يجري منه في الثانية الواحدة اربعة الآف لتر ماء

وقد عممت هذه الآبار في صحراء الجزائر وتونس والسنغال وطرابلس الغرب · ودخلت مصر حديثاً فنحن نود ان يصرف اليها اغنياء مصر وكبار زراعها الاهتمام الواجب فانها مما تفيد الزراعة المصرية وعلى الخصوص الزراعة السودانية التي يصعب ان يؤخذ لها شيء من مياه نيل مصر ولا سيما في اوقات انخفاض الفيضان كما في هذا العام الذي نرجو ان لا يعود مثله على مصر باذن الله

قال العالم رجلسبرجر ان الآبار الارتوازية نفعتنا في استمالة الجزائريين الينا اكثر مما نفعتنا حروبنا معهم · فان هذه الابار في بعض الاقاليم ضاعفت عدد السكان وذلك لسعة معيشتهم من زراعتهم · اذ ان عدد النخيل في اقليم « ودريغ » كان في سنة ١٨٥٦ نحو ٣٦٠ الف نخلة فاصبح في سنة ١٨٨٠ نحو ٥١٨ الف نخلة · وكان محصول التمر في هذا الاقليم في سنة ١٨٣٦ نحو ٥ ملايين و٤٠٠ الف كيلوغرام فاصبح في سنة ١٨٨٠ نحو ٨ ملايين كيلوغرام وقس على ذلك

وبازاء النخل الذي ينمو بمياه الآبار الارتوازية تنمو الاشجار المثمرة من كل نوع · وتحت الاشجار المثمرة تنمو البقول والنباتات المختلفة لذلك يصح ان نقول بان الآبار الارتوازية كنز عظيم للزراعة فيجب على كل بلاد زراعية ان تهتم بها اهتماماً عظيماً

المدارس الزراعية

اسست فرنسا المدارس الزراعية حتى بلغت لغاية سنة ١٨٩٣ ست عشرة مدرسة للزراعة في الفدادين والمزارع و٣٩ مدرسة زراعية عملية وست مدارس للفلاحة العمومية وزراعة الحدائق · وذلك عدا مدارس مخصوصة لتعليم الرعاية وتربية المواشي واخرى لتعليم عمل الجبن ومدرسة لتربية دود الحرير · وكان في مدارسها الجامعة لغاية التاريخ المذكور ايضاً مائة وستون استاذاً يعلمون علوم الزراعة ويبحثون عن غوامض اسرارها · وهي تنفق في هذا السبيل ٤٥٠٤٠٥٠ فرنكاً في كل سنة · وروسيا فيها ٦٨ مدرسة زراعية يبلغ عدد الطلبة فيها ٣١٥٧ طالباً وتبلغ نفقتها السنوية ٢٠٢٥٠٠ فرنكاً تدفع الحكومة ثلثيها ويدفع مؤسسوها الثلث الباقي · وادخلت المانيا التعليم الزراعي بصفة اجبارية في جميع مدارسها حتى مكاتب الاطفال · وتنفق هذه الحكومة على مدارسها الزراعية في كل سنة مائتي الف ريال الماني · وكذلك النمسا لها مدارس زراعية على ثلاث درجات عليا

و وسطى وسفلى · واقدم مدارسها الزراعية اسست سنة ١٧٩٩ · وفي سويسرة مدرسة زراعية شهيرة في زوريخ فيها الف تلميذ وخمس مدارس جامعة اخرى وكلها تساعد في تعليم العلوم الزراعية · واقدم مدرسة زراعية في سويسرا انشئت سنة ١٨٠٦ يتلقى فيها العلوم الزراعية ثلاثة الآف تلميذ · وهولانده الصغيرة تنفق حكومتها اكثر من مائة و٧٥ الف فرنك في السنة على العلوم الزراعية · وفي ايطاليا الآن ٣٥ مدرسة لتعليم الزراعة وفي اسبانيا سبع مدارس كلية لتعليم الزراعة انفق عليها في سنة ١٨٩٦ مائة وخمسون الف فرنك · وبلاد نروج الصغيرة تنفق كل عام على تعليم الزراعة في مدارسها الابتدائية اكثر من ٧٧٥٠٠٠ فرنك · وهكذا بقية الممالك الاوربية وحكوماتها لها اهتمام كلي بتعليم الزراعة كل على حسب وارداتها حتى كادت تكون نسبتها تفوق نسبة العلوم العقلية · ولذلك نحث على انشاء المدارس الزراعية (***)

القطن ومحصوله في المستقبل

ارسل الجنرال ترنانتيان من السودان الفرنسوي الى سوق مرسيليا منذ بضعة شهور ٣٠ طناً من القطن المزروع في الاراضي السودانية الفرنسوية وهو الآن يستعد لارسال ٥٠ طناً اخرى · والناس يفحصون هذا القطن الجديد باهتمام كثير · واذا قيل ان هذه الكمية قليلة لا يُعبأ بها قلنا ان اميركا كان محصولها من القطن في سنة ١٧٨٤ اي منذ نيف وقرن واحد ٧١ بالة قطن فقط زنتها ١٠٦٥٠ كيلوغراماً صدرتها الى ليفربول فالقى الجمرك الانكليزي الحجز عليها بحجة التهريب والحقيقة انهم خافوا يومئذٍ على محصول القطن في الهند من ان يقوم له مزاحم في اميركا · ولكن ما انقضت مئة سنة على اميركا حتى اصبحوا يقدرون محصولها بعشرة ملايين او اثني عشر مليون بالة زنتها مليار ونصف مليار كيلو غرام · فاذا يمنع ان يحدث في افريقيا في مستقبل قريب او بعيد ما حدث في اميركا فيصبح محصول القطن السوداني الفرنسوي والمصري ملايين من البالات حالة كونه الآن فقط عشرات ومئات ·

والذي يرجح ذلك اهتمام رجال المستعمرات الفرنسوية في السودان الفرنسوي والكونغو والسنغال والابتغي فضلاً عن رجال المستعمرات البلجيكية والالمانية في افريقيا بزراعة القطن في جهاتهم · وهمهم الآن مصروف الى تحسين التقاوي المحلية لا الى زرع تقاوي القطن الاميركي او المصري او الهندي في اراضيهم لان هذه التقاوي لا تعطي في تلك الاراضي النتائج المطلوبة · وقد عهدوا الى علمائهم الزراعيين مساعدتهم في

تدبير تلك التقاوي وتحسينها

فترجع اذاً ان محصول القطن في العالم لم يبلغ معظمه بعد وانه ربما اتى يوم اصبح فيه هذا المحصول ضعفه اليوم

طريقة زراعة البنجر (الشمندور)

كيفية زراعة البنجر هي ان تحرث الارض بالقاطع وتزحف حتى تصير مفتتة على عمق ٣٠ او ٣٥ سنتيمتراً ثم تخطط الارض من الشمال الى الجنوب ويكون البعد بين قمم الخطوط ٧٠ او ٨٠ سنتيمتراً كما اشارت بذلك شركة تكرير السكر. ولكننا نأمل ان تعمل تجارب للوقوف على اوفق الابعاد مع ملاحظة ازدياد المحصول وعدم نقص مقدار السكر. ثم تروى الارض الى ان تصل المياه الى ثلثي ارتفاع الخطوط وحينما تجف الارض اي بعد ٤ او ٦ ايام توضع التقاوي اسفل الخط الذي وصلت اليه المياه غير ان هذه الفترة تتعلق بطبيعة الارض وميعاد الزرع. ففي الارض الرملية الخفيفة والطقس السخن تقل هذه المدة عن ٤ ايام وتزيد عن ذلك في الاراضي الثقيلة والطقس البارد. وقد توضع بذرتان او ثلاث من التقاوي في كل حفرة على جانبي الخط وتبعد الحفرة عن الاخرى بمقدار من ١٥ الى ٢٠ سنتيمتراً. ويشترط ان تكون الحفرات التي في احدى الجانبين في وسط اثنتين في الجانب الآخر ويجب ان لا توضع البذور على عمق اكثر من ٣ سنتيمترات. والمقدار اللازم من التقاوي لزرع فدان واحد يبلغ من ٨ الى ٩ كيلوغرامات او ما يقرب من ٢٠ رطلاً وثمن الكيلو خمسة غروش ونصف والرطل غرشان ونصف غرش. ويمكن الحصول على التقاوي في الوقت الحاضر من شركة تكرير السكر في مصر. والتقاوي المستعملة هي عبارة في الحقيقة عن ثمر النبات تحتوي على عدة بذور ينبت منها نباتان او اكثر ولذلك يرى بعد زرعها انبات نباتات كثيرة من حبة واحدة ويجب ان تزال هذه النباتات ما عدا واحداً منها وهذا ما يقال له في عرف المزارعين بالخف. وعملية الخف هذه يلزم ان يعتنى بها وخصوصاً ان يلاحظ ابقاء احسن النباتات وان لا تحدث اضرار لتلك النباتات الباقية وفي ذلك الحين تعزق الارض ويخلط بها ما ظهر على سطحها من الاملاح بواسطة المياه. وفي هذا الاوان يصح وضع سباخ نيترات الصودا اذ تكون النباتات حديثة الظهور ولم تثبت في منبتها جيداً لانها ستسقى اول مرة اي بعد ٦ او ٨ ايام بعد الخف. والبنجر لا يحتاج الى مياه كثيرة فقط من الضروري ان تعزق الارض لتهويتها وانقاذها من الحشائش

اذا كان المحصول ناجحاً . اما عدد مرات الري اللازمة فتعلق بحالة المحصول — فانه حينما يحتاج الامر الى ري تذبل الاوراق ويصفر لونها لكن اذا منع ماء الري فان النباتات تتعمق في الارض طلباً للماء وتجدها حقيقة في طبقاتها السفلى . وهنا لا ينبغي ان يغتر المزارع بمنظر المحصول في ظهر الايام الشديدة القيظ بانه يحتاج الى ارتواء لان النباتات ترجع الى حالتها النضرة اثناء الليل وعلى كل حال يجب ان لا يسقى البنجر لمدة ٣٥ يوماً على الاقل قبل الحصاد حتى يتم نضجه ويتكون السكر فيه — المجلة الزراعية

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابة لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه تتفاً شعرية وقصائد تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

✻ القصيدتان ✻

انتقاد

حضرات الفاضلين صاحبي مجلة الجامعة

اطلعت في العدد الاخير من مجلتكم على قصيدتين هما جوابا اقتراح كنتم اقترحتموه على الشعراء وهو ان ينظموا قصيدة في شأن النيل ونقصانه في هذا العام وان من يحوز قصب السبق له الحق في اخذ الجائزة التي ذكرتموها ثم نشرتم قصيدتين فرأيت انكم ساويتم بينهما وجعلتموها في درجة واحدة من غير زيادة ولا نقصان ولذلك قسمتم الجائزة بين صاحبيها نصفين فلم ادرِ كيف كان ذلك مع شهرتكم في الفضل واتساع باعكم في البلاغة وشدة احساسكم ولطيف ذوقكم . ولعلكم لكثرة اشغالكم عهدتم بالحكم على القصائد الى من لا يفرق بين غثها وثمينها فاسمحوا لي ان ابدي رأيي ويعلم الله ما هو الا رأي لفيف عظيم من الشعراء بمصر ما انا بالاضافة اليهم الا كالواو في عمرو

من رأى القصيدة الاولى وهي لحضرة الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي رأى عقداً منظوماً تناسبت حباته وابيات رائقات هي احسن معنى في اجمل لفظ حسنة الاتساق جميلة الوضع بحيث لا يمكن ان يقدم بيت فيها على بيت ولا ان يفصل بين بيت وآخر باجنبي . سهلة التركيب مع الجزالة لا يحتاج قارئها الى اعمال روية في فهم ابياتها مع بلاغة انشائها وعلو الفاظها في الفصاحة فضلاً عما بها من المعاني المخترعة التي اتى فيها بالسهل الممتنع من الالفاظ

والاسلوب العالي من التراكيب . ألا يكاد السامع يرقص طرباً عند سماعه قوله منها يخاطب النيل

قسوت وما عهدي بقلبك صخرة   لجوهرك السيال بالرفق انسب

وقوله

قد بدا بيضاء منك تنيلنا   من الخير ما نرجو وما نتطلب
وليس لنا الا الدموع وسيلة   اليك فان الشبه بالشبه يجذب
لقد كان في فيض المدامع نافع   لغلتنا لو كان مثلك يعذب

وقوله

فقدناك فقدان الرضيع لامه   ولم يبق من يحنو عليه ويحدب
فما كنت الا الروح فارق جسمه   فانى له من بعد في العيش مارب

وما اخترت هذه الابيات لانها هي احسن ما في القصيدة بل كلها على هذا المنوال . ان لم يكن معنى مخترع فبيت منسجم او تركيب محكم . وبالجملة والحق يقال ان قصيدة حضرة الشيخ المنفلوطي لا تكلف قارئها كبير تأمل او عظيم عناء في معرفة درجتها من الشعر ومقامها من قيمتها . واما الاخرى وهي لحضرة الشيخ امين الحدّاد وان كنت لا اذم بعض ابيات في اولها فان عمل مقايسة بينها وبين الاولى ظلم مبين لها . ظلم للاولى بوضعها بجانب الثانية وظلم للثانية باظهار صغرها بجانب الاولى فلربما تكون شيئاً مذكوراً لو انفردت

القصيدة طويلة جدّاً ودرجة ابياتها واحدة فانّى لي ان انتخب ابياتاً منها اتكلم عنها . اني أكل معرفة درجتها الى قارئها ليعلم ان كانت النسبة بينها وبين الاولى بعيدة ام لا وهل يوجد بيت فيها يصح ان يسمى بن عم لملاصقه فضلاً عن اخ . وهل ابياتها التي يمكن فهمها بمقدار الابيات التي يتعذر فهم مغزاها . على ان ليست فيها كلمة غريبة حتى نقول انه تعذر فهمها نشأ عما بها من الغريب

واني اسأل القارئ عما يتبادر له من فهم معنى قوله يخاطب النيل

اذ ابى البعض ان تكون لهم   نيران شرّ ولم يكونوا عدولا

وعن اي موضوع يتكلم في قوله

يصبح النيل منهم كل حين   ناقصاً زائداً دقيقاً جليلا
ولكم انقصوه في الساعة الفردة   ما يعجز الزمان الطويلا
واذا ما سألتَ واحدهم من اين   تدري انتقاصه قال قيلا

وهل يستلذ قوله

كنت خيرًا محضاً على كل حالٍ مازجا منك باليسير الجزيلا
مستفيضاً مختفياً كل مرٍّ وعسير فصرت (هما ثقيلا)

ولست اسأل في ذلك الناظم لانه طبعاً يقصد معنى من المعاني ولكن الشعر الفصيح ما يفهمه السامع لا ما يريده الناظم فكم يريد الناظم معنى يعبر عنه بتركيب يظنه دالاً على المعنى الذي يريده ويكون الامر بخلاف ذلك فالحكم العدل في الفهم هو القاري، لا الناظم لانه لا ينظم الشعر لنفسه بل للناس. ولو اردت الموازنة بين القصيدتين لضاقت الصحيفة وضاعت الاوقات بل يكفيني منها موضوع واحد

بنى الشيخ المنفلوطي قصيدته على استعطاف للنيل يلين له الصخر واستمالة ترق لها الجلاميد حتى جعل النيل في مطلع القصيدة كغادة حسناء ذات دلّ يستميلها عاشقها حيث يقول

فديتك من جانٍ تجور وتعتب ونبذل جهدًا في رضاك وتغضب
ترى كل شيء انت حبة قلبه فتحلو لك العتبى ويحلو التجنب

ولو كان نهر النيل رجلاً يسمع فيفهم لجرى طوفاناً عند قوله

اما بين ايدٍ ضارعات مشفع وبين دموع سائلات مقرب

وقوله يستعطفه للبهائم السائمة

فرحماك نهر النيل بالانفس التي اذا لم تداركها برحماك تعطب
ورفقاً بهيم ضامرات بطونها لها الجوع عشب والخماصة مشرب
يبيت حزيناً ربها لمصابها فيطوى كما تطوى الليالي ويندب

وقوله ايضاً معتذرًا له عما يحتمل ان يكون سبباً لاعراضه وفيه من حسن التعليل ما فيه

لئن كان قد اغضاك قلة شكرنا لنعماك والهجران نعم المؤدب
فها يدنا ان لا نعود رهينة وان لا نزال الدهر بالشكر نداب

قابل بين هذا الاستعطاف الرقيق والاستماحة الجميلة التي نحن احوج اليها في هذا العام وبين ما قاله حضرة الشيخ امين الحداد يغري النيل بالتمادي في نقصانه بل يحثه على ان (يغور) جملة واحدة وان يسأل السماء الامساك عن المطر وان يتحوّل لقوم سوانا وينقلب من ماء زلالٍ الى سم ناقع حيث يقول

ايها النيل لو دريت بمن تسـقي ومن فيك صرفوا التاويلا
لشققت الثرى (وغرت) انتقاماً وسالت السحاب ان لا يسيلا
او تحولت للجنوب لقوم غاسلاً منهم الدم المطلولا
او تبدلت من زلال الى سم كما بدلوا الهدى تبديلا

وهل لاجل تقصير بعضنا في حقوق وطنه نستحق اعدام حياتنا وفقد منبع عيشنا وهل من العدل ان يعاقب البريء لاجل المذنب ويؤخذ الجار بذنب الجار

هذا ما رأيته اكتبه اليكم واثقاً ان حرية مبدأ المجلة يحملكم على نشره وما اختلفت الآراء على حقيقة الا محصتها وكشفت عن دخيلتها والسلام احد القراء

(محمد صالح النندر بالازهر)

سفر الجناب الخديوي

الى انكلترا

من نظم حضرة شاعر مصر المجيد احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية قالها وداعاً للجناب الخديوي المعظم حين سفره في هذا الشهر الى اوربا

بدأ الطيفُ بالجميل وزارا يارسولَ الرضى وُقيتَ العثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا وتيمم من السويداء دارا
انت ان بتّ في الجفون فاهلٌ عادةُ النور ينزل الابصارا
زار والحرب بين جفني ونومي قد اعدّ الدجى لها اوزارا
حسنٌ ياخيال صنعك عندي اجملُ الصنع ما يصيب افتقارا
ما لرب الجمال جار على القلب كأنْ لم يكن له القلب جارا
واري القلب كلما ساء يجزيه عن الذنب رقة واعتذارا
اجريح الغرام يطلب عطفاً وجريح الانام يطلب ثارا
ايها العاذلون نمتم ورام السـ ـهد من مقلتيّ امراً فصارا
آفة النصح ان يكون جدالاً واذى النصح ان يكون «جهارا»
سألتني عن النهار جفوني رحم الله ياجفون النهارا
قلن نبكيه قلت هاتي دموعا قلن صبراً فقلت هاتي اصطبارا
ياليالي لم اجدك طوالا بعد ليلى ولم اجدك قصارا
ان من يحمل الخطوب كبارا لا يبالي بحملهن صغارا

لم تفق منك يا زمان فتشكو	مدمنُ الخمر ليس يشكو الخمارا
فاصرف الكأس مشفقاً او فواصل	خرج الرشد من اكف السكارى
شعراء الزمان مهلاً رويداً	ان في مصر شاعراً لا يجارى
حاملاً في الصبا لواء القوافي	مستوفياً للملكة الاشعارا
قد بلغنا (ابا محمد) النجم	كما يبلغ السراة المنارا
نزدهي منه للديار اعتزازاً	وجديرٌ بان يعزّ الديارا
ودّع الصبر امةٌ ودعت عبا	سيا المرتجى عشيةَ سارا
بعثتْ اثره القلوب تراعيه	وترعى وتاخذ الاخبارا
فاعدها قريرة يا ابن توفيـ	ـق وهبْ لقومك استبشارا
انتَ في نضرة الثلاثين كسرى	قاتل الدهر او اجل وقارا
لا يزال الوقار في الشيب حتى	تتردى المشيب ثوباً معارا
لنعيشن كالنجوم تراها	جاوزتْ وهي في الصبا الاعمارا
افنِ ان شئتَ بالثواء الليالي	واذا شئتَ افنها اسفارا
وجبِ البرّ واركب البحر واسلم	انّ للبدر في السرى اوطارا

وقال في وصف المقابلة المنتظرة بين سمو الجناب الخديوي المعظم وجلالة الملكة فيكتوريا

فاذا جئت ملكة تملك البر	بيمنى وباليسار البحارا
صانع اليمن والسعادة والتو	فيق والجد والحظوظ الكبارا
والقَ ما شئت من حفاوة شمس	تكبر الشمس عرشها اكبارا
كلما القت الشعاع بارض	شاطرتها العباد والامصارا
واحقُّ الاقوام بالعز قوم	يقدرون الامورَ والاقدارا
ورجال اذا سموا للمعالي	ركبوا في سبيلها الاخطارا
لا يبالون بالحوادث ربحا	حملت في بطونها ام خسارا
جمعوا المجد والمفاخر طراً	وجمعنا صغائراً وصغاراً
انما يبلغ القصيّ بلنوه	من حذا الحذو واقتفى الآثارا
وسما للعلى سمو ابيّ	يانف الهون منزلا وقرارا
واذا ما العزيز ساس بلاداً	علمَّ المجد اهلها والفخارا

كوكب الآملين صبح التمني كلما همت الخطوب انارا
نحن راضون في جوارك ياعبـ ـاس لا زلت للعناية جارا

باب تدبير الصحة

النوم

النوم الطبيعي . وقت النوم . جانب النوم . مدة النوم

قال شاكسبير اشهر شعراء الانكليز « النوم موت لطيف تصاب به الحياة . النوم من الجسم بمثابة الاستحمام بعد تعب شديد . النوم بلسم للانسانية المعذبة وغذاء من اقوى الاغذية للحياة »

وهي تصورات شاعر اما الاطباء فيقولون ان النوم من الاجسام بمنزلة الاكل والشرب اي انه حاجة من اكبر حاجات الحياة الانسانية . وهو ٣ انواع . (١) النوم الطبيعي ويسمى النوم الفسيولوجي (٢) النوم المرضي اي الحادث عن مرض (٣) التنويم وهو التخدير الحادث بمنومات كياوية او بالتنويم المغنطيسي

النوم الطبيعي — وكلامنا الآن عن الاول لانه اهم الثلاثة لشدة التصاقه بكل انسان فنقول ان النوم الطبيعي واجب لراحة الجسم كما تجب الراحة من العمل للعضلات . واذا حُرم الانسان منه او قلّ نومه اصيب بالضعف والامراض . ولذلك لا نجد غرابة في ما ورد في التاريخ من ان الرومانيين رغبة في عذاب « برسه » احد ملوك مكدونيا قضوا عليه بان لا ينام بل ان يبقى ساهراً . وورد ايضاً ان القرطجنيين قطعوا اجفان ركولوس لمنعه من النوم عقاباً له

احسن الاوقات للنوم — والليل احسن الاوقات للنوم فانه خُلق للراحة وكل الطبيعة تستريح فيه فلا ينبغي ان يخالفها الانسان . وفي الامثال الالمانية ان ساعة نوم قبل نصف الليل تساوي ساعتين بعده . وقال العالم هوفلاند « لا يسرّ الانسان شيء كالنهوض في الصباح على ان من لا يتمتع بذلك المنظر الفجري فانه يبقى عاجزاً عن فهم

الشباب والحياة » ولذلك اصبحت حكومات كثيرة تتساهل جداً مع الجنود وتاذن لهم بالنوم في اول الليل بدل الحراسة رغبة في صيانة صحتهم

على اي جانب يجب ان ينام الانسان — ويقول بعض الاطباء انه يجب على الانسان ان لا ينام على جانبه الايسر لئلا يضغط على قلبه واعضائه الرئيسية بل ان ينام على جانبه الايمن . وهو قول صحيح . وذهب احد اطباء ماكدبورج الى ان الانسان يجب ان يوجه راسه في النوم الى جهة الشمال وقدميه الى جهة الجنوب لان المجرى المغنطيسي الذي يجري في هذا الخط يزيد القوة الحيوية ... وقد قام لهذا الراي انصار بعد موت صاحبه

وزعم احد الاطباء الفرنسويين ويدعى الدكتور ديلوناي ان الانسان اذا نام على ظهره راى احلاماً دمغاغية شديدة . واذا نام على جانبه الايسر حلم احلاماً تدل على نباهة وذكاء واذا نام على جانبه الايمن راى احلاماً قبيحة ومضرة . وحجته ان الدم يقل توارده في مدة النوم الى الجوانب المضغوط عليها وينصرف الى ما يقابلها او ما يليها من الجوانب فيؤثر عليها

مدة النوم — ولا توجد مدة معينة لنوم الانسان بل ان ذلك يكون تابعاً لعمره . فالطفل كل وقته نوم ورضاع والفتى يجب ان ينام ثلث ايام حياته اما الشيخ فانه يسهر كثيرا ولذلك جاء في بعض الامثال الافرنجية « ان الشاب الذي يسهر كثيراً والشيخ الذي ينام كثيراً فذلك فيهما دليل على الموت او داع اليه »

ومعدل ساعات نوم الشاب يجب ان يكون ثماني . واما الفتاة فيجب ان تنام ١٠ ساعات . انما في كل حال يجب على الانسان الذي يريد حفظ صحته ان ينام في اول الليل وينهض باكراً ما استطاع بعد ان يكون قد قضى مدة النوم المذكورة . وقد جاء في احد الامثال « النوم الباكر والنهوض الباكر يجعلان الانسان صحيح الجسم غنياً حكيماً »

ويروى ان احد الاطباء كان يعتقد ان الانسان يكفيه ان ينام كل يوم ٤ او ٥ ساعات فقط واخذ يجرب ذلك بنفسه فما انقضت عليه سنتان حتى توفي باقبح الامراض

الهواء الذي نستنشقه
والفضول والميكروبات

اذا جلست في غرفة مقفلة النوافذ وجدت هواءها ساكناً وفضاءها صافياً فتحسب هواءها خالياً من الفضول . ولكن اذا فتحت فيها نافذة ودخل اليك منها نور الشمس رايت حينئذٍ ما يسميه العامة حبال الشمس ونسميه الهباء وهو ذرات منتشرة في الهواء

وهذه الذرات هي فضلات كل شيء في الوجود اي انها مجموع غبار المنازل والشوارع وغير ذلك وقد حلل بعضهم هواء باريز فوجد فيه المعدل الآتي

٣٢	غراماً	و ٢٦٥	جزءا	من	المواد الآلية وهي من اثار النبات والحيوان
٢	«	٢٢٠ «	«	«	كلور بروسالات الكالين ونيترات النشادر
٩	«	١٢٠ «	«	«	سكسيوكسيد الحديد
١٥	«	٩٤٠ «	«	«	كربونات الكليسوم
٢	«	١٢١ «	«	«	كربونات المنازيوم والالومين
٣٤	«	٣٣٤ «	«	«	السيليس

فانت ترى ان الهواء الذي يحتوي على كل هذه الامور ليس هواء نقياً ولذلك قال العالم بوسينكول : ان الانسان اذا تامل في المواد التي تمازج الهواء الذي نستنشقه اشماز منه لامحالة

ولكن هذا العالم قال هذا القول قبل ان يعرف ان العلم قد اكتشف في الهواء الميكروبات مع تلك الفضول القبيحة . وهذه الميكروبات تنتقل على اجنحة الرياح من مكان الى آخر فربما سارت من مدينة الى مدينة وربما صعدت الى اعالي الجبال

على انها ليست كلها من الميكروبات المضرة فانه يوجد منها ميكروبات غير مؤذية بل نافعة لانها تتغذى بالفضول الموجودة في الهواء وبالميكروبات المضرة فكانها تفترسها لتخلصنا من شرها

وغبار الهواء وميكروباته تنمو في الربيع وتزداد زيادة عظيمة في الصيف ولكنها لا ياتي الخريف ويبدأ المطر بالنزول حتى تتناقص وتاخذ بالهبوط الى الارض شيئاً فشيئاً مع الامطار التي تنزلها . وهذا معنى قولهم ان الامطار تنقي الهواء . وتكون هذه الميكروبات

والفضول على اشدها في الهواء في الاوقات الحارة التي تمازج حرارتها رطوبة شديدة كما في الاسكندرية واسفاه . ومتى اخذت بالمبوط هبط على الميكتار الواحد من الارض في السنة ما وزنه ٢٢ كيلوغراماً . فتامل . ومن هذه المواد الهابطة الى الارض من الهواء ما يفيد الارض خصباً فيكون سماداً لها . ومنها ما لا يفيدها شيئاً لوجود كثير منه فيها كالسيليس مثلاً وفي الميكروبات المنتشرة في الهواء ما هي سبب اختمار العنب وصيرورته خمراً واختمار الخمر وصيرورته خلاً وسبب اختمار كثير من المواد

وليست ميكروبات الهواء في فضاء المدن اكثر منها في الخلاء فقد وجد في بعض منازل باريز ٣ الاف ميكروب في كل متر مكعب من الهواء مع انه وجد في الحدائق الواسعة في الخلاء قرب باريز ١٤ الف ميكروب في المتر المكعب . وذلك اعظم دليل على ان الميكروبات لا تضر كلها . وقد استدل من ذلك ايضاً على امرين : الاول ان تلك الميكروبات تعيش في الحرارة او في الرطوبة نحو ٤ اشهر . والثاني ان النور لا يقتل الميكروبات كما ظن بعضهم

والفضول التي مرّ ذكرها قد تتراكم على الاشجار فاذا جاءت الريح اسفتها على المدن والمنازل فنقلت الجراثيم اليها . وقد روى بعضهم انه كان كلما جلس تحت بعض الاشجار حضره السعال واصبح يبصق دماً وذلك لدخول الفضول المذكورة بالاستنشاق الى صدره . ولما كان هذا الامر من الاهمية الصحية باعظم مكان كما لا يخفى اخذ العلماء يبحثون عن طرق صناعية كهربائية لتنقية الهواء من غباره وميكروباته فاذا نجحوا بذلك افادوا الصحة العمومية في المدن والقرى افادة عظيمة

وقد يُذعر الناس ان يعلموا ان الميكروبات المضرة التي هي اعداء حياتنا منتشرة هذا الانتشار فوقنا وتحتنا وخلفنا وامامنا . ولكن من يتبع اصول حفظ الصحة يقوى عليها ولا تقوى عليه . وتوصلاً الى ذلك يجب على الانسان ان يقوي جسمه بحسن الغذاء والرياضة الجسدية والنظافة التامة والنوم في اول الليل والاعتدال في كل شيء وطلب نور الشمس والهواء النقي حتى اذا دخلت الميكروبات المضرة الى جسمه هضمها لقوته فلم تؤثر فيه . هذه هي انجع طرق الوقاية

الهواء الذي نستنشقه
والفضول والميكروبات

اذا جلست في غرفة مقفلة النوافذ وجدت هواءها ساكناً وفضاءها صافياً فتحسب هواءها خالياً من الفضول . ولكن اذا فتحت فيها نافذة ودخل اليك منها نور الشمس رايت حينئذٍ ما تسميه العامة حبال الشمس ونسميه الهباء وهو ذرات منتشرة في الهواء

وهذه الذرات هي فضلات كل شيء في الوجود اي انها مجموع غبار المنازل والشوارع وغير ذلك وقد حلل بعضهم هواء باريز فوجد فيه المعدل الآتي

٣٢	غراماً	و ٢٦٥	جزءًا	من	المواد الآليةوهي من اثار النبات والحيوان
٢	«	« ٢٢٠	«	«	كلور يروسالات الكالين ونيترات النشادر
٩	«	« ١٢٠	«	«	سكيوكسيد الحديد
١٥	«	« ٩٤٠	«	«	كربونات الكلسيوم
٣	«	« ١٢١	«	«	كربونات المنازيوم والالومين
٣٤	«	« ٣٣٤	«	«	السيليس

فانت ترى ان الهواء الذي يحتوي على كل هذه الامور ليس هواء نقياً ولذلك قال العالم بوسينكول : ان الانسان اذا تامل في المواد التي تمازج الهواء الذي نستنشقه اشمأز منه لامحالة

ولكن هذا العالم قال هذا القول قبل ان يعرف ان العلم قد اكتشف في الهواء الميكروبات مع تلك الفضول القبيحة . وهذه الميكروبات تنتقل على اجنحة الرياح من مكان الى آخر فربما سارت من مدينة الى مدينة وربما صعدت الى اعالي الجبال

على انها ليست كلها من الميكروبات المضرة فانه يوجد منها ميكروبات غير مؤذية بل نافعة لانها تتغذى بالفضول الموجودة في الهواء وبالميكروبات المضرة فكانها تفترسها لتخلصنا من شرها

وغبار الهواء وميكروباته تنمو في الربيع وتزداد زيادة عظيمة في الصيف ولكنها لا ياتي الخريف ويبدأ المطر بالنزول حتى تتناقص وتاخذ بالهبوط الى الارض شيئاً فشيئاً مع الامطار التي تنزلها . وهذا معنى قولهم ان الامطار تنقي الهواء . وتكون هذه الميكروبات

والفضول على اشدها في الهواء في الاوقات الحارة التي تمازج حرارتها رطوبة شديدة كما في الاسكندرية وا اسفاه . ومتى اخذت بالهبوط هبط على الهيكتار الواحد من الارض في السنة ما وزنه ٢٢ كيلوغراماً . فتامل . ومن هذه المواد الهابطة الى الارض من الهواء ما يفيد الارض خصباً فيكون سماداً لها . ومنها ما لا يفيدها شيئاً لوجود كثير منه فيها كالسيليس مثلاً وفي الميكروبات المنتشرة في الهواء ما هي سبب اختمار العنب وصيرورته خمراً واختمار الخمر وصيرورته خلاً وسبب اختمار كثير من المواد

وليست ميكروبات الهواء في فضاء المدن اكثر منها في الخلاء فقد وجد في بعض منازل باريز ٣ الاف ميكروب في كل متر مكعب من الهواء مع انه وجد في الحدائق الواسعة في الخلاء قرب باريز ١٤ الف ميكروب في المتر المكعب . وذلك اعظم دليل على ان الميكروبات لا تضر كلها . وقد استدل من ذلك ايضاً على امرين : الاول ان تلك الميكروبات تعيش في الحرارة او في الرطوبة نحو ٤ اشهر . والثاني ان النور لا يقتل الميكروبات كما ظن بعضهم

والفضول التي مرّ ذكرها قد تتراكم على الاشجار فاذا جاءت الريح اسفتها على المدن والمنازل فنقلت الجراثيم اليها . وقد روى بعضهم انه كان كلما جلس تحت بعض الاشجار حضره السعال واصبح يبصق دماً وذلك لدخول الفضول المذكورة بالاستنشاق الى صدره . ولما كان هذا الامر من الاهمية الصحية باعظم مكان كما لا يخفى اخذ العلماء يبحثون عن طرق صناعية كهربائية لتنقية الهواء من غباره وميكروباته فاذا نجحوا بذلك افادوا الصحة العمومية في المدن والقرى افادة عظيمة

وقد يُذعر الناس ان يعلموا ان الميكروبات المضرة التي هي اعداء حياتنا منتشرة هذا الانتشار فوقنا وتحتنا وخلفنا وامامنا . ولكن من يتبع اصول حفظ الصحة يقوى عليها ولا تقوى عليه . وتوصلاً الى ذلك يجب على الانسان ان يقوي جسمه بحسن الغذاء والرياضة الجسدية والنظافة التامة والنوم في اول الليل والاعتدال في كل شيء وطلب نور الشمس والهواء النقي حتى اذا دخلت الميكروبات المضرة الى جسمه هضمها لقوته فلم تؤثر فيه . هذه هي انجع طرق الوقاية

باب الاخبار العلمية

البترول . ظهوره . اكتشاف اصله

البترول بين السويس وعدن

تدل الآثار القديمة على ان البترول (زيت الكاز) كان معروفاً في القرون الماضية . فقد وُجد منه في خرائب بابل واما في العصور المتاخرة فاول من استنار به الايطاليون الذين اكتشفوا بعض منابعه في انسيانو قرب بارما . وفي اواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان البترول لا يزال مهملاً حتى اذا وجد الاميركيون منابعه الغنية في وادي كاناوه نادوا به ودعوا الناس الى استعماله . فخشي الناس في بدء الامر انفجاره واشتعاله فصنع الاميركيون لهم مصابيح قوية تقي من الانفجار والاشتعال فلم تنقض بضع سنوات حتى بادر الناس الى الاستنارة به ولما اكتشف في سنة ١٨٥٠ النبع الاول من البترول قرب تيتوسفيل في ولاية بنسلفانيا وتدفق منه مجرى البترول بثخن ساعد اليد اضطربت الافكار اضطرابها لاكتشاف معادن الذهب في كاليفورنيا وكلونديك والترانسفال . ثم عمَّ استعماله جميع المعمورة ولا نعلم اذا كانت الكهربائية تتغلب عليه في مستقبل الزمان

ومع انتشار البترول هذا الانتشار فان سبب تكونه لا يزال مجهولاً . والعلماء يفترضون له واحداً من ثلاثة اسباب . الاول ان اصله نباتي . اي ان الاشجار والنباتات التي تُدفن في جوف الارض تختمر بمرور الزمن وتحول بترولاً بتركيبها مع مواد اخرى في بطن الارض . ولكن بعض العلماء اثبت فساد هذا القول وذلك بانه اقام الدليل على ان بعض طبقات الارض التي لم تصل اليها المواد النباتية قد وُجد البترول نابعاً منها . وهي حجة دامغة

والاصل الثاني للبترول هو انه معدني غير آلي والعالم برتلو الفرنسوي من انصار هذا الراي . فانه يعتقد ان بعض المواد المعدنية الموجودة في باطن قشرة الارض كالصوديوم والبوتاسيوم وغيرها تتحد بالاسيد كربونيك في الطبقات الارضية ثم بالهيدروجين والماء فتحول الى بترول

والاصل الثالث هو ان البترول حيواني وربما كان هذا الراي اهم الآراء الثلاثة · وقد قال هذا القول العالم هنري دونتش فزعم ان مصدر البترول الاحياء التي تجمعت في قعر البحار في القرون المتقدمة · فان البحر يبتلع جثثاً لاتحصى من الانسان والحيوان والاسماك وكلها تتراكم في قعره · ومع مرور الايام تجف مياهه بحرارة الشمس فيرسب ملحه فوق تلك الجثث المتراكمة · فاذا تم الجفاف وصار ذلك البحر يبساً او لم يتم بل دفنت تلك الجثث تحت الاملاح فقط اتحدت الاملاح بالبقايا الحيوانية وبعض المواد الارضية فصارت بترولاً

والذي يرجح هذا القول وجود منابع باكو الغزيرة على مقربة من البحر القزويني ووجود البترول بغزارة في اراض على شاطىء البحر الاحمر · فان الشاطىء الغربي منها بين عدن والسويس اذا حفرت بيدك حيثما تشاء فيه ولو حفرة صغيرة جدًّا فانه لا يلبث ان يجلب اليها ويجتمع فيها سائل كالماء فاذا فحصت هذا السائل وجدته بترولاً · هكذا يقول المسيو بول كومب

على انه قد يحتمل ان يكون اصل البترول حيوانياً ولكن ليس من صحة الراي ان يقال ان الطبيعة لا تصنعه الا من الحيوان فقط اذ لا يبعد ان يكون اصل البترول مثلثاً اي حيوانياً ونباتياً ومعدنياً معاً والله اعلم

﴿الآلات الميكانيكية وغرائب انواعها﴾ وضع بعض المصورين رسماً يمثل منزلاً وفيه آلات ميكانيكية تقوم مقام الخدم· ففيه آلة تبسط الطعام على المائدة من تلقاء نفسها واخرى تساعد السيدة على نزع ثيابها او على لبسها وثالثة تغسل ورابعة تكنس وخامسة تصب الماء وهلم جرًّا · وغرضه من هذا الرمز اظهار تقدم الميكانيكيات والتنبوء بانها ستصل الى حد عجيب

وهي الآن في الحقيقة قد وصلت الى حد عجيب فان في الآلات آلة تخيط وآلة تكتب وفيها منبهات للوقت وحاسبات وآلات تعطيك طوابع البوسطة من تلقاء نفسها اذا وضعت فيها ثمن الطابع وتنير الغرفة وتمسح الحذاء وتسقيك اللبن والماء المثلوج من تلقاء نفسها كل ذلك اذا وضعت قطعة من النقود فيها

وما عدا هذا فيوجد ايضاً آلة لترتيب الحروف وهي تغني المطابع عن المرتبين· وفي فرنسا آلة لجمع الدخان وتنقيته ووزنه واذا جاءت الرزمة ناقصة عن الوزن الاعتيادي القتها

جانباً · واغرب من هذه الآلة آلة لشرب الدخان رغبة في معرفة مقدار قابليته للاحتراق وهي عبارة عن ممص يمتص طرف السيكارة بتفريغ الهواء فتشتعل ويخرج دخانها

وفي الآلات آلة لسحب الصور الفوتوغرافية والة تصنع اكياساً من الورق وصناديق صغيرة · ومنها ما يقشر الحمص و يقطع قشره · واغرب من ذلك كله آلة حلب البقر

وطريقتها ان تصف البقر صفوفاً وتوضع تحت ثديها آنية من زجاج متصلة بها وبآلة يحركها ولد صغير كما يحرك مقبض المفخة (الطلمبة) فينزل اللبن في آنية الزجاج من تلقاء نفسه · ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة الصحية لان هذه الاواني تنظف وتطهر كلها وليس للهواء وصول الى اللبن لينقل اليه ما فيه من الجراثيم

ولا تنسين الآلة الحاكية وهي الفونوغراف ولا الآلة الموسيقية · ومما لا يقل عنهما غرابة الآلة التي تصفق في المراسح وتستعمل الآن في مراسح فيينا وهي عبارة عن كيسين من الجلد متقابلين عمودياً فاذا اراد صاحب المرسح ان يظهر للتمثيل تاثيراً في الحاضرين انتظر حتى رأى بعضهم يصفقون فيضغط على زر كهربائي متصل سلكه بهذين الكيسين فيصطدمان اصطداماً متتابعاً تشبه اصواته اصوات تصفيق مئات من الناس فيحسب الحاضرون ان القاعة كلها تصفق للمثلين فيصفقون هم ايضاً

واذا استمر التقدم الميكانيكي على هذه الوتيرة فانه لا ياتي وقت قريب حتى يصبح العلم قادراً على ان يعمل من الآلات كل شيء الا الشيء الاعظم وهو : الحركة المجردة المختارة ونعني بها الحياة

﴿ الشراع وزيادة سرعة المراكب الشراعية ﴾ تزداد المراكب الشراعية في العالم بالرغم عن البخار لانها اقل نفقة من المراكب البخارية واكثر سعة لشحن البضائع · والمراكب الكبيرة الهائلة يجعلونها ذات خمسة سوار لتوزيع الاشرعة عليها اجتناباً لخطر جمعها على ٣ سوار · والخطر الوحيد الذي يُخشى منه في المراكب الشراعية انقلاب مهاب الهواء حين انتفاخ الشراع لعدم انصرافه · ورغبة في تلافي ذلك اكتشفوا اكتشافاً يزيل هذا الخطر و يزيد سرعة المراكب وهو ان يثقبوا كل شراع مربع ثقبين وكل شراع مثلث ثقباً واحداً و يكون قطر الثقب نصف متر او ٩٠ سنتيمتراً فتزداد سرعة المركب بقدر خمس سرعته · فيجدر باصحاب المراكب الشراعية الانتباه الى ذلك

وقد اخترعوا في انكلترا شراعاً بشكل المظلة تماماً وهو يُفتح و يغلق مثلها و يستعملونه

في زوارق انقاذ الغرق في النوء الشديد لان الريح اذا نفخت المظلة المربوطة بالزورق فانما تجذبها الى فوق سطح البحر فيأمن الزورق الانقلاب والغرق كما يحدث بالزوارق الشراعية الاعتيادية

والشراع يستعمل لاجراء المركبات على الجليد في الاقاليم المتجمدة . ومنه ما يصنع في اميركا من الورق ويستعمل للزوارق شراعاً قوياً. ومنه ما يصنع من حرير خفيف سريع الانتفاخ . وكان في هولانده في سنة ١٦٥٠ مركبة للبرنس اورانج تجري بالشراع وكانت تسع ٢٨ شخصاً وتجري ٧ فراسخ في الساعة . وكان في اميركا منذ مدة وجيزة تراموای يسير بالشراع فيجتاز في الخلاء حين اشتداد الريح ٦٠ كيلومترًا في الساعة . وفي مالدين اليوم وهي جزيرة انكليزية في الباسيفيكي سكة حديدية تجري بالشراع حين هبوب الريح ويدفعها الناس دفعاً بالايدي حين سكونها وذلك لقلة الماء والمواد المحترقة اللازمة لتسييرها بالبخار

ويطير بعض البالونات بالشراع . وبه تجري بعض الدراجات . وبه تدار دواليب المطاحن ومضخات الماء . ومنه تصنع آلة لوقاية الانسان حين سقوطه من علو شاهق وذلك بتخفيف جسمه ويسمونها آلة الوقاية عند السقوط

﴿ اختراع بندقية هائلة ﴾ ربما اصبحت البندقية الايطالية في وقت قريب اشد بنادق الدول هولاً . فقد ورد من رومه ان احد ضباط العسكرية اخترع بندقية هي عبارة عن رشاش يرش الرصاص رشاً فتطلق في دقيقة واحدة اكثر من ٣٠٠ خرطوشة تكون مخزونة في مكان فيها ولا يقتضي اطلاقها غير الضغط على الكبسول . فاذا صح هذا النبأ كان هذا الاختراع ذا شان عظيم

﴿ منع البصق في نيو يورك ﴾ اصدر المجلس البلدي في نيو يورك قرارًا بمنع الناس من البصق في الاماكن العمومية ومركبات الترامواي والسكك الحديدية وغيرها من الاماكن وقضى على كل صاحب معمل يكون في معمله ١٠ اشخاص او اكثر ان يضع لهم مباصق للبصق فيها وذلك فرارًا من عدوى الامراض بواسطة الميكروبات التي تكون في البصاق . فنحن لا نطلب مثل ذلك في الشرق ولكن يحسن بالبعض ان يتركوا عادة البصق بشدة ولا سيما في المطاعم والمنازل والقهاوي النظيفة

شؤون نسائية

الام والمرضعة

من القسم الصحي من كتاب « المراة في القرن العشرين » للفيلسوف جول سيمون ونجله الدكتور غوستاف سيمون

عرفتك ايتها السيدة وعمرك ١٥ سنة وانت تلميذة تتعلمين التاريخ والحساب والانشاء والتصوير . ثم بعد ايام المدرسة جاءت ايام المنزل والحياة البيتية فصرت ترافقين امك الى السهرات والحفلات وذلك بقصد زواجك لان الأزواج على ما يظهر اصبحوا لا يوجدون الا في المراقص والسهرات بعد بضع دورات من الفالس . واذكر انني كنت احادثك مرة عن مستقبلك فهمست في اذني قولك « انا لا احب الزواج الا لاني احب الاولاد » وفي الحقيقة انك كنت تحبينهم حباً عظيماً . فانك كنت تصرفين اوقاتك في ملاعبة اولاد صديقاتك واولاد جيرانك فتحملينهم وتداعبينهم وتغيرين لهم ثيابهم وتحادثينهم . وما كنت تحادثين في الحقيقة غير نفسك لانهم كانوا لا يفهمون حديثك

وقد بلغ منك حبهم انك اسررت اليّ يوماً قولك « متى تزوجتُ فاذا لم يأتني اولاد لا سمح الله فلا شبهة في انني سأتبنى ولداً » فاذكرني قولك هذا اعمالك في صباك وكفى بهذه الاعمال دليلاً على حبك للاولاد . فانك كنت تعتنين بلعبتك اعتناء الام بطفلها فلا تضعينها على البلاط مخافة ان تبرد او تصاب بالم المغص . وتحفظينها كل الحفظ مخافة ان يصدمها شيء او يسوءها شيء . وعند خروجك من المنزل الى اماكن النزهة كنتِ تاخذينها معك وتلبسينها قبعتها اذ لا يليق بها ان تخرج الى مقابلة الناس مكشوفة الراس . فاذا امطرت السماء وضعتها تحت ردائك لئلا تُصاب بالزكام واذا اشتد الحر روحتِ لها بمروحتك . والخلاصة انك كنتِ تعتنين بها اعتناء الام بولدها

اما الآن فقد وصلتِ الى منتصف طريق الحياة . لقد تزوجتِ برجل نشيط مجتهد مقتصد واتاك منه الولد الاول فاصبحتِ اماً . ولا ازال اذكر ذلك اليوم العظيم . فانكِ نسيت فيه كل شيء : العالم والمنزل ونفسك والناس ولم تفتكري الا بالمولود ذلك القادم الجديد . وكان فرحك مزدوجاً لان المولود كان ابنةً وانت تحبين البنات لذلك كنت تسالين الله ان يرزقك الولد الاول بنتاً لا غلاماً . فاستجاب الله لك . فوضعتها بجانبك وحتِ عليها

كما تحوم الدجاجة على فراخها فضحكت من عملك وامرتك ان تامري باخذها عنك . فحدقت فيّ مدهوشة مستغربة وقلت كيف ياخذونها عني . قلت نعم فان ذلك واجب خوفاً عليك من التأثر والهياج . فساءك ذلك ولكني ابعدتها عنك الى غرفة ثانية وجعلت عليها من يعتني بها . فاسفت لذلك وكنت كلما سمعتها تبكي تصيحين للسؤال عنها وتقولي « آه لو كانت بجانبي لما كانت تبكي »

وقد رمت ارضاعها فمنعتك من ذلك لا لاني اريد ان لا ترضع الام طفلها حاشا فان ذلك واجب طبعاً وانما رايت انك عصبية شديدة التأثر والهياج تخفت عليك وعلى ابنتك من لبنك حين انفعالك ولذلك امرت باحضار مرضعة لطفلتك . فتحسرت وتاوهت لانني لم اتركك ترضعينها وكان يخيل لك — وانت مصيبة في ذلك — ان المرضعة تسلب الام شيئاً من قلب ولدها . فساءك استحضار المرضعة ولكنك قلت في نفسك انك ستراقبينها ثم تطردينها بحجة انها لا تحسن القيام بواجباتها . ولكن من سوء حظك او بالحري من حسن حظك انها كانت تعتني بطفلتك في غرفة منفردة معالقة للهواء والنور فكنت لا تعلمين ماذا تصنع بها . غير انك كنت تسمعين الطفلة تبكي في بعض الاحيان فتتمزق احشاؤك حنوًا عليها وتقولين متحسرة « لو كانت بجانبي لما بكت ولما تألمت »

وكنت قد اذنت لك برؤيتها مرة في كل مساء . ووزناها في اليوم الاول فكانت زنتها ٣ كيلوغرامات بل ٣ كيلوغرامات و ١٢٠ غراماً فيما اذكر . فدهشت لعملي وسالتني « هل يجب ان يوزن الاولاد » فقلت لك نعم لانها الطريقة الوحيدة لمعرفة صحتهم وارحت بالك بقولي ان وزن ابنتك في اليوم الاول يدل على انها ذات بنية جيدة وصحة جيدة

فجعلت تزنينها في كل مساء . وفي ذات يوم اتاني رسول مستعجلاً من قبلك فبادرت الى منزلك خائفاً من ان يكون قد طرأ عليك مرض او الم . فرايتك في حالة لا انساها في زماني . فانك كنت خائفة غضبى وعيناك مغرورقتان بالدموع فسالتك عن السبب فاجبتني بغضب « ان الطفلة بدأت تضعف والسبب هو المرضعة . اما قلت لك انها لا تحسن التربية » فسالتك من اين علمت ان الطفلة بدأت تضعف فقلت انك وزنتها فوجدت وزنها ناقصاً عن وزن اليوم السابق

وكنا حينئذٍ في اليوم الرابع من ولادتها . فضحكت بالرغم عن غضبك وقلت لك « لا تخافي فان وزن الطفلة يتناقص في اليومين التاليين للولادة ولا يبدأ يتزايد الا بعد

انقضاء الاسبوع الاول ونحن الآن في اليوم الرابع فقط · اما المرضعة فلا ذنب لها » فتنهدتِ تنهداً عميقاً وقلتِ « آه لو كنت انا التي ارضعتها لما كانت قد ضعفت » ثم لبثتِ تنتظرين الزيادة في الاسبوع التالي

وكانت المرضعة المسكينة قد خافت لغضبك واغتاظت لسوء معاملتك فقلّ لبنها واصبح اقل جودة مما كان لانها لم تاكل بقابليتها الاعتيادية ونامت نوماً مضطرباً · فنشأ عن ذلك ان الطفلة لم يتزايد وزنها في الاسبوع التالي · فاتاني رسولك المستعجل · ولما حضرت اليك صحتِ بي « اما قلت لك ايها الدكتور انه يجب تغيير هذه المرضعة لرداءة لبنها فان الطفلة لم يزد وزنها » فاعدتُ عليك قولي السابق لاني كنت عارفاً خطاءك ومطلعاً على نيتك · فانك كنت ترين مرضعتك صغيرة الجسم فتحسبين ان المرضعة ذات الجسم السمين الضخم تكون احسن لبناً وهذا اعتقاد فاسد · فثبتُ على رايي ولم احذُ حذو اولئك الاطباء الذين يخضعون للمراة حين اول نظرة استعطاف منها بل خاطبتك بلهجة جدية قائلاً « من الواجب ان تبقي المرضعة لطفلتك لانهما كلتاهما في صحة جيدة واخشى ان تطلبي مرضعة احسن منها فلا تجدي الا اقل موافقة واردأ لبناً · فاسترضيها وابتاعي لها قبعة لتطمئن نفسها وتُسرّ فيزداد لبنها ويجود فيزداد وزن ابنتك في الاسبوع الثالث »

فاغضبك كلامي وهذه هي المرة الاولى التي وجد فيها الكدر مجالاً بيننا · ولكنك اضطررت الى التسليم والخضوع فعملتِ بما اشرتُ عليك به ولم تندمي على ذلك ايتها السيدة لان الطفلة بدأ وزنها يزيد في الاسبوع التالي (ستاتي البقية)

المرأة والتشبيه

قال احد الادباء تشبه المرأة البزاقة ولا تشبهها · تشبهها لانها تلازم بيتها · ولا تشبهها لانها لا تحمل كل ما في البيت على ظهرها · ويجب ان تشبه المرأة الصدى وان لا تشبهه · يجب ان تشبهه اي ان لا تتكلم الا اذا كلموها · ويجب ان لا تشبهه اي ان لا تكون هي آخر من يتكلم · ويجب ان تشبه ساعة المدينة وان لا تشبهها · يجب ان تشبهها اي ان تكون دقيقة محكمة الضبط مثلها · ويجب ان لا تشبهها اي ان لا تكون كثير الحركة والضوضاء فتسمع صوتها المدينة كلها · هذا ما يشبه به الرجال النساء فهل بين السيدات من تقول لنا بماذا يجب ان يشبه الرجال

نشر صفحات مطويه

الشمس وكسوفها

من تاليف العلامة المرحوم كرنيليوس فنديك نشرها بمناسبة الكسوف الذي حدث اخيرًا كما ترى في تاريخ الاسبوعين · وقد تاخرت الرسوم التي كنا قد اعددناها لها مع رسوم مقالات اخرى اجلناها الى الجزء القادم

فعل الشمس في النظام الشمسي — في ما تقدم(١)قد تبين ان الارض جسم مظلم بارد دائر حول الشمس ولكونها باردة لا نور لها ولا تضيء لنفسها ولا لغيرها الا بنور مستمد من الشمس منعكس عن سطحها

وتبين ايضاً ان الارض جرمٌ من عدة اجرام مظلمة دائرة حول الشمس سميت سيارات وهي ايضاً مظلمة باردة مثل الارض فلا تضيء الا بنور مستمد من الشمس

وقد تبين ايضاً ان السنة على الارض والسنين في سائر الاجرام الدائرة حول الشمس هي المدات التي تقتضي لكل جرم لكي يدور دوراناً كاملاً حول النير المركزي اي الشمس وطول اليوم على الارض وعلى سائر الاجرام متوقف على مدة دورانها على محورها حتى يمرّ كل قسم منها بالتتابع في نور الجرم النير المركزي

وتبين ايضاً ان الفصول متوقفة على ميل فلك الارض على خطها الاستوائي وان ذلك علة الفصول ايضاً في كل جرم لان ذلك الميل هو علة توجيه اقسام مختلفة من الجرم بالتتابع نحو الشمس او عن الشمس

فترى والحالة هذه ان للشمس الفعل الاكبر في كل امر طبيعي حادث في كل الاجرام الدائرة حولها فيهمنا اذًا ان نبحث عن الشمس نفسها لانها اصل وعلة للحيوة الحيوانية والنباتية ولولا نورها وحرارتها وجاذبيتها لما ثبت هذا النظام البهيج

(١) يجدر ان تكون هذه المقالة تتمة لمقالة « السيارات وسكانها » التي نشرناها في صدر باب المقالات في الجزء الماضي

حرارة الشمس ونورها وقدرها وبعدها — الشمس كرة نارية وليس لنا قياس نقيس عليه حرارتها ولا عبارات نعبر بها عن درجة حرارتها . واشد الحرارة التي يمكننا ان نحدثها بالوسائط المعروفة ليست بشيء باعتبار حرارة الشمس ولكون الارض وسائر الاجرام التابعة للشمس باردة تكون المواد عليها اما جامدة واما سائلة وقد تعلمت ان حالة المواد بين غازية وبخارية ومائعة وجامدة متوقفة على درجة الحرارة ولا شيء جامد ولا مائع في الشمس بل كل المواد في حالة البخار والغاز الحامي الى درجة البياض

وبسبب هذه الحرارة العالية جدًّا جدًّا تضيء الشمس من نفسها اي نورها ذاتي غير مستمد من جرم آخر خلاف السيارات الاصلية واقمارها التي تضيء بنور واقع عليها من الشمس ومنعكس منها الينا

اما قدر الشمس فخمس مئة ضعف كل السيارات معًا واذا اخذت ١٣٠٠٠٠٠ كرة مثل ارضنا وجعلتها كرة واحدة تكون الحاصلة نحو جرم الشمس وحدها

اما بُعد الشمس فلا سبيل في هذا المختصر الى تبيين كيفية استعلام ذلك ومعدل بعدها ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل وقطرها ٨٦٥٠٠٠ ميل اي نحو ١٠٨ اضعاف قطر الارض اما كثافة الشمس فنحو ٢٥ُ . من كثافة الارض وهي كرة تامة لا دليل على تسطيحها من ناحيتي قطبيها

ولا تُرصد الشمس الا بواسطة نظارة ذات بلورة عينية خصوصية تكسر حدة نورها وحرارتها فاياك ثم اياك ان تنظر اليها بنظارة اعتيادية كبيرة كانت او صغيرة لانك اذا فعلت تعدم عينك لا محالة . واذا نظرت اليها من وراء زجاجة مدخنة تراها قرصًا نيرًا مستديرًا وما تراه منها انما هو قشرة نيرة تحيط بها على استدارتها وهذه الطبقة الخارجية سميت الفوتوسفيرا اي الكرة النيرة وبعض الاحيان تُرى عليها بقع قاتمة مغبرة او سوداء وتلك البقع تُرى في اكثر الاوقات بواسطة نظارة ولا تُرى بالعين المجردة الا اذا كانت كبيرة وبقرب تلك البقع تُرى قطع لامعة بيضاء سميت مشاعيل هي كوم ابخرة محماة الى درجة البياض طولها الوف من الاميال واذا راقبت البقع والمشاعيل مدة تراها تتغير كل التغيير من ساعة الى اخرى هيئة وقدرًا

الكلف او البقع والمشاعيل — والكلف التي رُصدت على وجه الشمس لو القيت فيها عدة اروض مثل ارضنا لبلعتها وقد تُشاهد كلفة على حافة الشمس الشرقية ثم بعد ايام تُرى في وسط قرصها وبعد ايام ايضًا تُرى على حافتها الغربية وهناك تختفي عن النظر

و يستنتج من ذلك ان الشمس تدور على محورها والكلفة التي اختفت على حافتها الغربية تُرى ايضاً على الحافة الشرقية بعد نحو ١٢ يوماً وتعود الى المحل التي رُصدت فيه اولاً في نحو ٢٦ يوماً اي ان الشمس تدور على محورها مرة في نحو ٢٦ يوماً . وثبوت الكلفة على هيئتها كل هذه المدة نادر ولكنه قد يحدث . واذا اعتبرنا حركة الارض في مدة دوران الشمس على محورها تعود الكلفة الى موضعها بالنسبة الى الارض في نحو ٢٧ يوماً وان لم يلتفت الى حركة الارض بل الى دوران الشمس على حدته تكون مدة دورانها على محورها ٢٥ يوماً و٧ ساعات . غير ان الكلف التي هي على خط الشمس الاستوائي تكون حركتها اسرع من حركة تلك التي هي بعيدة عنه نحو احد قطبيها واكثر الكلف هي بقرب خطها الاستوائي لا تبعد عنه اكثر من ٣٠° نحو احد القطبين والتي هي بعيدة عنه تكمل دورانها في نحو ٦٦ يوماً ونصف يوم

واذا رسمت دائرة على قطعة قرطاس ولصقتها على كرة واستقبلتها تماماً ترى الرسم دائرة كما هي واذا ادرت الكرة غرباً او شرقاً ترى الدائرة تتطاول عرضاً وتضيق طولاً حتى تصير اهليلجية الشكل واخيرًا يكاد ينطبق جانب على جانب . والكلف على قرص الشمس على هذه الكيفية تظهر واسعة عند ما تقع بقرب وسط القرص وتتطاول وتنطبق جانباها عند ما تكون بقرب احدى الحافتين

او خذ طاساً مقعرًا وسود قطعة من باطنه على شكل مستدير فاذا نظرت اليه عمودياً ترى الاجناب تحيط بالقطعة السوداء على التساوي ثم افتل الطاس حتى تنظر الى باطنه من نحو حافته فترى حافة القطعة تختفي والحافة الاخرى تتسطح وتصير القطعة متطاولة وهذا نفس منظر كلفة شمسية في مواقع مختلفة من قرص الشمس . وبناء على ذلك يُزعم بان تلك الكلف انما هي جُوَر واعماق في الكرة النيرة اي ان صعود الغازات الحامية من الاعماق دفعت الكرة النيرة الى كل جهة وكوَّنت مقوَّرات عميقة وملأتها الغازات فحجبت النور فظهرت تلك البقع سوداء

اما قرص الشمس الظاهر فهو القسم الاكثف منها فقط اما القسم الالطف فابخرة لطيفة نيرة تمتد حولها الى مسافة مئات الالوف من الاميال ولكنها محجبة عنا بشدة نور قرص الشمس مثل احتجاب النجوم بنور النهار ولكن عند حدوث كسوف الشمس واحتجاب نور قرصها بواسطة جرم القمر المظلم نرى النجوم ونرى الشعاع اللامعة مادة الى ابعاد مهولة عن الشمس الى كل جهة على الوان مختلفة . غير ان الاحمر غالب فيها وكلما قربت الى الشمس

تموّرت اكثر حتى تكونت كرة حولها سميت الكروموسفير اي الكرة الملونة وهذا المنظر سمي اكليل الشمس وهو يظهر على اشكال مختلفة سميت ثورات وتُرى في اي وقت كان بواسطة آلة سميت السبكتروسكوب

والسبكترسكوب آلة مؤلفة من عدة منشورات بلور مثلثة الاشكال بها يحل النور الى الوانه السبعة كما ترى في قوس قزح و بواسطته وُجد ان في شمسنا عدة من المواد الموجودة في ارضنا غير انها ليست في حال الجمودة كما هي عندنا بل في حال البخار لان الحرارة هناك كافية لاحالة كل المعادن بخاراً كما يتحول الماء عندنا بالحرارة بخاراً . والمواد التي تحقق وجودها في الشمس هي الهدروجين و بخار المغنيسيوم والكلسيوم والصوديوم والحديد والمنغنيس والنكل والباريوم والسترونتيوم وغيرها مع عدة غازات غير موجودة على الارض . ومن كون الشمس مؤلفة من ابخرة وغازات لا عجب من خفة وزنها وقلة كثافتها بالنسبة الى الارض كما تقدم ذكره اي ان كثافة الشمس اقل من ربع كثافة ارضنا ومن عظمها مع قلة كثافتها تكون قوتها الجاذبة كافية لحفظ كل السيارات في افلاكها

والشمس انما هي نجم من النجوم وهي انور النجوم واكبرها لانها اقرب الينا من سائر النجوم والنظام الشمسي انما هي عدة اجرام باردة دائرة حول جرم حامٍ وارضنا مثال السيارات الباقية . والشمس مثال النجوم الدراري المالئة الكون الوسيع على ابعاد لا تدركها عقول البشر وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها اما تلك السيارات فلا تظهر لنا لكونها اجراماً مظلمة وتظهر شموسها لكونها اجراماً نيرة مثل شمسنا

كسوف الشمس — اما كسوف الشمس فهو حادث من اجمل الحوادث الطبيعية انما هو وقوع ظل القمر على الارض عند الاقتران اي في اول الشهر القمري والخسوف هو مرور القمر في ظل الارض عند الاستقبال . موضع من الارض يقع عليه ظل القمر هناك تنكسف الشمس كلها لان القمر يحجبها عن نظر سكان تلك المواضع وفي المواضع التي لا يقع عليها الظل تماماً يكون الكسوف جزئياً لان القمر هناك لا يحجب كل قرص الشمس وكل ما بعدت عن المواضع التي هي داخل الظل تماماً يصغر القسم المحتجب من الشمس لانه حول الظل العميق ظل خفيف غير عميق سُمي الظليل وكل المواضع الواقعة داخل الظليل يكون الكسوف فيها جزئياً

———

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ الزواج وعدمه ﴾

(الاسكندرية) حنا افندي يوسف عياني

ذكرتم في باب العادات والاخلاق قول سقراط ان من تزوج ندم ومن لم يتزوج ندم ايضاً وبما ان الرجل العازب لا يكتفي بالنصح بل يطلب بيان السبب فاننا نطلب منكم ذلك

﴿ الجامعة ﴾ تجدون الجواب في باب العادات والاخلاق

﴿ شراب الكازوزه ﴾

(الاسكندرية) م ٠ ١

هل تضر الكازوزه التي تباع الزجاجة منها في الثغر بعشرين بارة ام تنفع

﴿ طبيب الجامعة ﴾ الكازوزه كسائر المشروبات قسمان اما صحيحة واما مغشوشة فان كانت مغشوشة فهي مضرة طبعاً ولا يمكن الا ان تكون كذلك هذه الزجاجات البخسة الثمن التي تشيرون اليها

وهبها صحيحة غير مغشوشة فانها غير نافعة ٠ نعم انها قد ترطب الجسم ولا تضر اصحاب المعد القوية والاجسام المتينة ولكن المعد التي تطلبها على الاكثر هي المعد الضعيفة والكازوزه تضر هذه المعد ضرراً بليغاً وذلك بتمديدها بسبب الغازات التي فيها وبذلك توقف عمل الهضم فضلاً عن توليدها شيئاً من الحامض الكربونيك في المعده

﴿ تاريخ افغانستان ﴾

(القاهرة) ا م

نرجو ان تذكروا لنا المصادر التي اعتمدتم عليها في الكتابة عن تاريخ افغانستان الذي صدرتم به الجزء الماضي لرغبتنا في التوسع في هذا الموضوع

﴿ الجامعة ﴾ اعتمدنا في كتابة هذه المقالة على المجلة الحربية الاستعمارية الفرنسوية التي نشرت اخيراً عن افغانستان مقالة لكولونل الماني ساح في العام الماضي في اواسط آسيا وعلى مقالتين لمؤرخين من كبار مؤرخي الافرنج منشورتين في « الانسيكلو بيذية الكبرى» الفرنسوية . وتوجد كتب كثيرة عن افغانستان منها كتاب لافرتي وآخر لاوودولف وآخر لالفنستون وغير ذلك

﴿ المرأة في المريخ ﴾

(قنا) احمد افندي محمد

هل صحيح ماذكرتموه في الجزء الاول من السنة الثانية من صعود امرأة الى المريخ نقلاً عن احد اساتذة جنيف . فقد كنا نروي ذلك لبعض الناس فانكروه

﴿ الجامعة ﴾ لو راجعتم المقالة بامعان لرأيتم ان الاستاذ الذي اشرنا اليه لا يقول ان المرأة صعدت الى المريخ ولكنه يقول انه ينومها تنويماً مغنطيسياً فتقص عليه قصصاً مختلفة وتكلمه لغة غريبة وتكتب خطاً غريباً وتدعي — ولكن في نومها — انها اتت بذلك من المريخ . فاي غرابة في دعواها هذه فان النائمين نوماً مغنطيسياً يدعون اموراً اغرب منها . اما اصحابكم الذين ينكرون هذه الرواية من غير ان يراجعوا الاصل فليسوا اكثر اطلاعاً من العلماء اصحاب المجلات العلمية الجدية التي نقلنا عنها ذلك القول كمجلة « العلم التصويري »

باب التقريظ والانتقاد

(* نور الاسلام *) نور الاسلام مجلة علمية دينية ادبية لصاحبيها ومحرريها الفاضلين حضرات امين افندي ابو يوسف المحامي ومحمود افندي عبد الكريم تاجر بالزقازيق وهي فصيحة العبارة معتدلة المشرب تشهد لصاحبيها بطول الباع وسعة الاطلاع في المواضيع التي تنشرها فنرجو لها الرواج والانتشار . وهي تطلب من ادارتها في الزقازيق

(* الدنيا في باريز *) ينشئ حضرة الكاتب الفاضل احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار وهو مقيم في باريز مجلة عنوانها « الدنيا في باريز » وغرضه منها وصف

غرائب المعرض وعجائبه · وقد وردنا الجزء الاول والثاني منها يشتملان على وصف رحلة الكاتب بقلم رشيق لا يمله القارىء لطلاوته واختلاف اسلوبه · وهذه المجلة تصدر في ادارة مجلة طبيب العائلة في العاصمة وتطلب منهـا فنثني على اجتهاد حضرة ذكي بك وخدمته للادب

(* الدائرة *) صدر الجزء الاول من مجلة الدائرة التي اشرنا اليها في احد الاجزاء الماضية · وهي مجلة ادبية تاريخية فكاهية ينشئها حضرة الاديب البارع عيسى افندي عنائيل الخوري · فنحن نهنئ الدائرة بكونها المجلة العربية الاولى التي صدرت في الاقطار الاميركية ونتمنى لها واسع الانتشار

(* جمعية اخوة الفقراء المارونية في بيروت *) وردتنا ميزانية جمعية اخوة الفقراء المارونية في بيروت التي يرئسها حضرة القانوني الفاضل عزتلو انطون بك شحيبر المشهور فضله وادبه في الاقطار السورية · ويؤخذ من هذه الميزانية ان واردات الجمعية قد بلغت منذ ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ الى ٣١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٠ نحو ٥٦٤١٤ غرشاً والنفقات ٢٤٨٦٠ غرشاً فيكون الرصيد الباقي في صندوقها ١١٥٥٣ غرشاً· فنحن نثني على همة حضرات رئيسها واعضائها الكرام ونسال الله لهم جزيل الاجر لما يبذلونه في سبيل البر والاحسان

ونغتنم هذه الفرصة لتهنئة حضرة انطون بك شحيبر بالرتبة التي انعم عليه بها من لدن جلالة السلطان والوسام الذي انعم عليه به من لدن قداسة البابا ونسال لجنابه ما يستحقه فضله من المزيد

(* مرقاة التمثيل *) تألفت في الثغر جمعية من بعض ادبائه غرضها تمثيل الروايات الادبية واختارت حضرات سليمان افندي حداد رئيساً لها وعبد اللطيف افندي حلي نائباً فنتمنى لها النجاح في خدمة هذا الفن الجميل

(* المفتاح *) صدر العدد الخامس من مجلة المفتاح وفيه رسم دولة الغازي مختار باشا ورسم بعض مشاهير الاميركيين ومقالة في آفات الاختراع ونظرة في الجمعيات واخرى عن كون الارواح وفي بابي السؤال والاختراع والمتفرقات شيء كثير من الفوائد والاخبار ورواية نابوليون في مصر

عادات واخلاق

ننشر في هذا الباب بحثاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحاً اليه منهم زدنا توسعاً فيه

قلنا في هذا الباب في الجزء الماضي: اذا تزوجت تندم واذا لم تتزوج تندم ايضاً . فما هذا القول الفاسد . اليس ذلك بمثابة قولهم : اذا شربتَ بقيتَ عطشان واذا لم تشرب بقيتَ عطشان

كلا . فانك اذا لم تتزوج تندم لان في قلب الانسان فراغاً ينبغي ان يُسد . وهذا الفراغ هو الانعطاف النفسي الذي وضعه الله في كل نفس هو الحب الطاهر الشريف الذي يقضي علينا بان ناخذ لنا شريكة في حياتنا لنجعلها سعيدة وتجعلنا سعداء . واذا لم ياخذها الانسان بقي يشعر بانه ينقصه شيء ما . اذا رأى اي وجه صبوح ناجاه الذي في قلبه يقول له : اين رفيقك ذو الوجه الصبوح . اذا رأى زهرة جميلة ذكر انه محروم من الجمال . الجمال الطاهر الطبيعي . الجمال الحقيقي الذي اساسه قبل حسن الوجه شرف النفس وادب الطبع ومكارم الاخلاق . واذا رأى صورة جميلة سمع من يهمس في اذنه قائلاً : الورق اسعد منك . وان رأى عصفورين على غصن او حمامتين فوق سطح وجد من يقول له في داخله : الحيوان اكمل منك

فالزواج المقدس اذاً كان وناموس طبيعي لا يخالفه الانسان الا ويكون قد خالف النواميس الالهية نفسها ومن يخالف نواميس الله يندم اذ لهذه المخالفة عواقب طبيعية هائلة

اما انك اذا تزوجت فانك تندم ايضاً فليس ذلك لانك تزوجت بل لانك لم تحسن اختيار زوجتك . وهذا البحث يقتضي القول بان كل الازواج لا يحسنون اختيار زوجاتهم او ان في كل الزوجات لا توجد من تصلح لان تكون زوجة حقيقية لا يندم زوجها على زواجه بها على ان هذا البحث موضوع هائل يخشى كل داخل فيه غضب السيدات

ما شيء اذا لم تنله بقيتَ صغيراً حقيراً . أهو العلم ? كلا فانك قد تكون عالماً وتكون حقيراً . اهو المال ? كلا فانك قد تكون غنياً وتكون حقيراً اهو الجاه ? كلا فانك قد تكون عند هولاء وجيهاً وعند اولئك حقيراً . ماذا اذاً — هو ان يكون قلبك لا يعرف

الحقد والبغض لاحد وفي نفسك مقدرة على احتقار صغائر وكبائر الحياة

جلستْ في المركبة مع زوجها وسارت بهما المركبة خبباً · هو عن يسارها وهي عن يمينه · هو جالس تحني الظهر وهي جالسة متصدرة كالديك المعجب بنفسه · فمر بالمركبة رجلان فقال الاول : انظر انظر يا اخي كيف الرجل يخفض الرأس ذلاً وكيف المرأة ترفع الراس تيهاً · فقال الثاني هذه موضة هذا الزمان يا اخي الرجال يتذللون والنساء يترفعن · —وما درى هذا الجاهل ان سبب تصدر المرأة ورفعها راسها دون الرجل هو الكورسه (المشد) الذي يشد صدرها ...

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

في الترانسفال مع اللورد روبرتس

(تابع)

و بينما اليون وفالي سائرتان وراء المركبات الهوائية التي تقل الانكليز والبوير من معرض باريز الى ساحة القتال ليستأنفوا الاعمال الهمجية التي كانوا يعملونها قبل سفرهم الى المعرض قالت اليون الى فالي وكانوا قد وصلوا حينئذٍ فوق البحر المتوسط عند المكان الذي يفصل القارة الاوربية عن القارة الافريقية « هلي يا اختي نشاهد ما بطريقنا وعلى جوانبها من البلدان» فقالت فالي لا ينبغي ان نترك المركبات تسبقنا · فقالت اليون لا بأس اذا سبقتنا فاننا نتبعها يا اختي · هنا مناظر لا ينبغي ان تفوتنا · انظري حدود مراكش التي امامنا فانه يجري فيها الآن عمل عظيم · اسد غربي يهجم على بقرة شرقية · ولم اقل « نعجة » لان النعجة تكون وديعة مسالمة ومراكش لم تكن قبائلها على حدود الجزائر مسالمة لذلك زحفت الجنود الجزائرية عليها والله اعلم بما ستدنعه فيها

انظري الى تلك البلاد الجميلة هذه بلاد تونس اخت قرطجنة العظيمة · هي البلاد التي قال فيها المسيو هانوتو على صفحات جريد الجورنال انها كانت بلاد النزاع والخصام في الماضي بين عنصرين من عناصر الانسانية فاصبحت اليوم بلاد الاتفاق والوئام

انظري الى تلك البلاد البعيدة هذه مصر الجميلة مصدر التمدن الاول وبهد العلم والفلسفة والحكمة · هذه بلاد سكانها الطف خلق الله طباعاً واكرم لو تعلمين مسالمة

ودعة · بلاد بيننا و بينها اوجه الشبه واوجه للاختلاف · بلادنا الترانسفال غنية بمعادنها وهي غنية بنيلها · بلادنا في طرف جنوب افريقيا وهي في طرف شمالها · اي اننا نحن اساس السلطنة الافريقية الانكليزية الجديدة من جهة ومصر اساسها من جهة ثانية · ولعل السياسة الانكليزية لولا معرفتها انها قد ابتلعت مصر لم تقدم على طلب ابتلاعنا لاتمام تاسيس سلطنة الكاب والقاهرة ولولا طمعها في هذه السلطنة لم تحتل مصر وتنقض الطرف عن وعودها وعهودها · فبلادنا اذاً جرت البلاء على مصر كما ان مصر جرت البلاء علينا · فنحن اذن في المصيبة مشتركان متضامنان

مصر قديمة المدنية كالسنديانة الجليلة القديمة والترانسفال نبتة جبلية حديثة الظهور في ارض المدنية · مصر القديمة يحكمها امير شاب له حكمة الشيوخ · والترانسفال الحديثة يحكمها حكيم شيخ له همة الشبان

مصر اصبحت بلاداً دولية تخلصت بذلك من الاستعباد ان لم يكن في الحاضر ففي المستقبل · والترانسفال بلاد كرهت ان تكون دولية فهاجتها انكلترا لتضع نير العبودية على عنقها · فالشرائع الدولية اذاً كانت لمصر خيراً لا شراً · كانت القضيب الواقي من الصاعقة الذي سيصرف الصاعقة في المستقبل عنها · فلا ينبغي اذاً ان ييأس ابناؤها ويحاربوا الشرائع التي يظلمون بها

ثم انظري الى ما وراء مصر نحو بلاد العرب وفلسطين تلك الاماكن التاريخية العظيمة التي قامت فيها مدنيتان عظيمتان · مدي بصرك الى ما وراء ذلك في اواسط آسيا حيث الالمان يعملون · والروس على حدود افغانستان وفارس يتاهبون · والى الاستانة مدينة المدن وام الدنيا حيث تفترق اوربا عن اسيا كما تفترق هنا افريقيا عن اوربا · اليست هذه كلها مناظر بديعة شائقة تلذ مشاهدتها · فطيري معي واتبعيني لنشاهدها اذ ليس لنا بعد اليوم اليها من وصول ثم نعود الى بلادنا فيكون رفاقنا قد وصلوا اليها ورجعوا الى اعمالهم فيها

فغادرت البيون وفالي اثر المركبات وحلقتا في الجو فوق الاماكن التي ذكرناها · فشاهدتا قتال المراكشيين والفرنسويين على حدود مراكش واتفاق الغربيين والشرقيين في الجزائر وتونس ومناظرات الجرائد العنيفة في مصر · والشروع في مد السكة الحديدية في الحجاز

ثم همتا ان تستأنفا السياحة واذا بفالي قد طرأ عليها على حين بغتة انقباض لم تعلم له

سبيا · مرارة حزن دخلت الى نفسها وغشاء اسود سدل على عينيها وطنين عظيم اخذ يطن في اذنيها · فذبلت كالوردة فوق غصنها · فسألتها البيون ماذا اصابك يا اختي · قالت لا اعلم ما حدث لقومنا فان طنين اذني دليل على انهم يذكروننا الآن واخاف ان يكون ذكرهم موتام على سبيل الاستنجاد والاستغاثة

فقالت البيون لا تخافي فالله يا اختي معنا كما قال كروجر عمنا ورئيسنا · وبلادنا بلاد الحرية بلاد الفلاحين النشيطين المجتهدين بلاد البساطة والسذاجة البشرية — بلادنا هذه ستبقى بلاد القوة · ولكني اراك قد تعبت من السفر فهلي نعود اليها فتستريحي فيها وتروحي نفسك بمناظر مروجها وحقولها

فقالت فالي احسنت باقتراحك يا اختي هلمي اليها فانني اشعر بان قلبي معها · ثم سارتا كالبرق الخاطف في الهواء قاصدتين افريقيا الجنوبية ارض الوطن الهادئة اللطيفة المقدسة

ولكن يا للاوهام والاحلام الجميلة · فانهما ما وصلتا الى ارض الحرية حتى وجدتا منظرًا من اشد المناظر البشرية هولاً

رعود قاصفة تلعلع في كبد السماء · وزوابع هائلة تعصف في الهواء · وبروق تخفق في غيوم سوداء · متكاثفة فوق ارض مفروشة بالاشلاء · ومخضبة بالدماء

فيا للوحشية والهمجية · يا للفظاعة البشرية · يا للحيوانية

فقالت فالي اظن اننا ضللنا السبيل يا اختي فما هذه البلاد بلادنا · اين جونا الهادئ اللطيف · اين مروجنا الجميلة التي ترعى فيها مواشينا متداعبة على الاعشاب · اين ضفات انهارنا التي تتلاعب عليها صغارنا · ما هذه بلادنا يا اختي فقومي نفتش عن بلادنا

ولكن ما اتمت فالي كلامها حتى سمعت في الفضاء صوتاً هائلاً يقول

« قولوا لبنات الترانسفال ان يلبسن السواد · قولوا للنساء والرجال ان يحنوا الاعناق امام قيود الاستعباد · قولوا للانهار ان تجف · وللازهار ان تيبس · وللجبال ان تميد · وللارض ان تخسف · وللشمس ان تكسف : فقد مات الحق في هذا العالم »

فاقشعر جسم الفتاتين لهذا الصوت ونظرت كل واحدة الى الاخرى مبهوتتين مرتعشتين ثم اصغيتا فسمعتا الصوت يقول مرة ثانية

« سيفك يالورد روبرتس لم يطعن قلبنا فقط بل طعن الدنيا كلها · وجزمتك لم تدس حقوقنا فقط بل داست مبادئ الكرة الارضية كلها · قولوا لبناتنا ان يلبسن السواد ·

وللازهار ان تذبل . وللانهار ان تجف . فقد قتل اللورد روبرتس الحق في هذا العالم »

فلم تتمالك فالي ان صاحت هنا باعلى صوتها والدموع في عينيها : « لمن هذا الصوت »

فكأن صوت فالي كان اعصارًا هبّ على الارض يجرف الغيوم السوداء جرفًا عن الجبال والسهول المجاورة فابصرت الفتاتان على قمم الجبال منظرًا جرى له الدم بلردًا في عروقهما

ابصرتا شعبًا باسره معتصمًا بهذه القمم ومتحصنًا فوقها . رجال ونساء واولاد واطفال كلهم لابسون ملابس الحداد على حريتهم المقتولة . كلهم يحملون البنادق دفاعًا عن ارض الوطن المقدسة . شعب لا يريد ان يموت ولا يريد ان يُستعبد . شعب ينظر الى السماء حيث يقيم الذي اعطاه الحرية والى جنوبي جوهنسبورج حيث يزحف جيش لقتل هذه الحرية

شعب اتكل على الله وواثق بانك لا تتخلين عنه ايتها العناية الالهية

فغطت فالي والبيون وجهيهما بايديهما وشهقتا وبكتا بكاء مرًا . ولم تكفا عن البكاء حتى سمعتا من صوب الجبال جلبة عظيمة فحلقتا في الجو فشاهدتا منظرًا اليمًا . شاهدتا الجيش الفاتح يزحف لاحتلال جوهنسبورج مدينة الذهب مدينة المستر تشمبرلن مدينة المستر سسل رودس مدينة غارة جمسون . وجيش البوير الصغير الضعيف متقهقر عنها .

فسمعت عند ذلك البيون وفالي وهما في الجو صياح الرجال والنساء والاولاد من الآكام والجبال قائلين « سبحوا الله لعله يدفع البلاء عنا سبحوا رب الجنود لعله يقوينا »

فانحدر دمعهما ثانية واصغيتا الى ذلك الخليط الهائل الذي على الآكام التي كانها وادي يهوشافاط والناس قد حُشروا فيها . فسمعتا الصوت الذي سمعتاه اولاً يقول « لماذا لا ننسف المعادن ونهدم المنازل ونخرب المدن ونحرق البلاد فلا نتركها في ايدي اعدائنا الا رمادًا »

فاجابت فتاة كانت تسمع « لان صنع الشر يا اخي يكون شرًا في كل حال ولا يبرئه شيء . نحن قادرون على ما ذكرت ولكن الذمة والشرف والدين تمنع ان نقدم عليه »

فنظرت البيون الى رفيقتها قائلة « ايبقى العالم كما هو اي لا يفتكر منه بالذمة والشرف والدين غير القوم الضعفاء »

ولم تنقضِ ساعة حتى رُفع العلم الانكليزي في جوهنسبورج فسمع حين رفعه نداءان هائلات : نداء فرح ونداء احزان

نداء احزان من البوير المساكين الذين تحققوا عند ذلك انهم خسروا كل شيء ونداء فرح من مالي الانكليز الذين تحققوا عند وجودهم المعادن سالمة انهم قد ربحوا كل شيء

نداء قطع البحار والسهول والجبال قادماً من انكلترا ومستعمرة الكاب وقد امتازت فيه قهقهة المستر سسل رودس وضحك المستر تشمبلن

قهقهة وضحك موجهان الى العالم كله لان هذين الرجلين لم يغلبا الترانسفال فقط بل تغلبا على كل دول العالم

فيا لك من دهر قبيح تموت فيك اشرف العواطف والمبادئ الانسانية و يملك زمامك ارباب الاموال ـــ

و بعد احتلال جوهنسبورج زحف الجيش الظافر على بريتوريا · فتقهقر البوير امامه الى عاصمتهم للدفاع عنها · ولكن وا اسفاه لم يغن الدفاع شيئاً فسقطت ايضاً بريتوريا

بريتوريا حرم الحرية وهيكل الوطنيــة · بريتوريا التي شهدت نشأة ذلك الشعب الصغير واشتركت معه في سرائه وضرائه قد داس الخصم ارضها المقدسة وخضبهـا بدماء ابنائها

وكانت فالي والبيون مستغرقتين طول الوقت في البكاء تذرفان دمعاً سخياً لما تسمعانه من ندب عذارى الترانسفال وصياح الاولاد وعويل النساء · ثم سالت فالي البيون ماذا تظنين ان قومنا يعملون بعد الآن يا اختي

وكان بازائها على الآكام القريبة ثلاثة جماهير من النساء والاولاد والرجال فسمعوا كلهم هذا السؤال فصاح الرجال : يسألوننا ماذا نعمل · اننا سناخذ بنادقنا ونحارب في الجبال حتى نموت موت الابطال

وقال الاولاد · يسالوننا ماذا نعمل · اننا اذا عقدوا الصلح الآن فاننا سنعمل في المستقبل ما عمله الاباء فلا يكون في هذه البلاد طول العمر اتفاق ولا سلام

وقالت النساء : يسالوننا ما ذا نعمل · اننا هذه المرة سنحمل البنادق ونحارب مع الرجال واذا انكسرت بنادقنا كما انكسرت بنادق رجالنا فسنربي اولادنا تربية تُري المستبدين كيف تكون عاقبة الاستبداد

فما اعدلك ايتها العناية الالهية انك لم تسمحي للانسان ان يستعبد اخاه الانسان حتى قضيت بابقاء مصباح الامل متقداً دائماً في نفوس الضعفاء وأنشأت في باطن

هذه النفوس حصوناً لا تصل اليها ايدي الاقوياء

ولما سمعت اليبون من تلك الجماهير هذا الكلام التفتت الى فالي وقالت: اليس من العار يا اختي ان تترك دول الارض شعباً صغيراً ضعيفاً بهذه القوة والحماسة ينسحق تحت اقدام خصم عظيم قوي • فقالت فالي الحق معك يا اختي ولكن يجب قبل الحكم في هذا ان نعلم من رفيقتنا «اوربي» افكار واعذار ملوك الارض الذين ذهبت تزورهم من بطرسبرج فالاستانة في اسيا واوربا حتى واشنطون في اميركا• وينبغي قبل ذلك ايضاً ان تنفذ مهمتنا لدى الرئيسين ستين وكروجر • فلنبحث عنهما الآن (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ يوبيل الحضرة السلطانية الفضي ﴾ يحتفل العثمانيون والمصريون في هذا العام بتذكار عيد جلوس الحضرة السلطانية احتفالاً خصوصياً لانقضاء ربع قرن عليه وسنفصل ذلك في حينه تفصيلاً وافياً ولا ريب عندنا ان مظاهر الاحتفال التي تقام في ذلك اليوم ستكون مما لم يسبق له مثيل في بلاد الدولة العلية

﴿ سفر الجناب الخديوي ﴾ سافر الجناب الخديوي المعظم في ٢ الجاري بالعز والاقبال الى تريستة ومنها يسافر الى لندرا لزيارة جلالة الملكة فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند• وستقيم جلالتها في لندرا لسموه حفلات شائقة ويقيم مجلس لندرا البلدي مادبة لجنابه العالي ويقدم له خطاباً موضوعاً نصه في صندوقة ذهبية مصنوعة على الطراز المصري القديم

﴿ اكتتاب لمنكوبي الهند ﴾ افتتح بعض اكارم المصريين اكتتاباً لاعانة منكوبي المجاعة والطاعون في الهند وقد تبرع الجناب الخديوي المعظم بمائة جنيه في هذا السبيل

﴿ كسوف الشمس ﴾ كسفت الشمس في ٢٨ مايو الماضي وكان الكسوف كلياً في اسبانيا والبرتغال والجزائر واصوان وجزئياً في ما سوى ذلك من البلدان • وقد تقاطر

العلماء والسياح من اميركا واوربا الى تلك الاماكن لمشاهدة منظر من اعظم المناظر الارضية حتى لم يبقَ في فنادق بعض المدن مكان لنزول الزائرين فنزلوا في مركبات السكك الحديدية . وقد أخذ علماء الفلك في كل مكان رسوم الشمس وهي مكسوفة والى الآن لم نعرف نتيجة هذه الرسوم ولكن يحتمل انهم يكونون قد اكتشفوا فيها اكتشافات جديدة تتعلق بقرص الشمس ا كليلها

واما النظارة الكبرى في معرض باريز فقد رُصدت الشمس بها فنجحت نجاحاً تاماً دل على انها ارق تلسكوب صنع الى هذه الايام . ولكن لم نعرف ايضاً نتيجة الرصد بعد

اما عندنا في الثغر فان الشمس التحفت ساعة الكسوف بالغيوم كانها خجلت من الارض وسكانها . ثم تلا الكسوف في اليوم الثاني زوبعة شديدة وبروق وامطار

وبعد كتابة ما تقدم رأينا في الاخبار الاخيرة ان السماء في البرتغال واسبانيا كانت صافية حين الكسوف فكان الناس في الشوارع والنوافذ ينظرون كلهم الى الشمس وعلى عيونهم الزجاجات المدخنة . وقد رسم الفلكيون صوراً متقنة جداً لاكليل الشمس ولم يظلم النهار كثيراً في الاماكن التي كان فيها الكسوف كلياً وذلك لاطراف الاكليل التي بقيت منيرة . ويسمون اكليل الشمس الدائرة المنيرة التي حول قرصها . سميت كذلك لشبهها الاكليل . وفي ابان الكسوف نظر العلماء بعيونهم المجردة في النهار المريخ وعطارد وسيريوس واكتشف العالم الاميركي المسيو «هو» السيارة «اروس» من جديد

وقد صعدت الفلكية مدموازيل كلومبك ساعة الكسوف في بالون (منطاد) من باريز فارتفعت به الى علو ٣٥٠٠ قدم لترصد الكسوف من هذا الارتفاع ولكن الغيوم كانت تسبح فوق بالونها فمنعتها من مشاهدة الكسوف وقد بلغ مقياس برودة الجو في ذلك العلو ٣ درجات تحت الصفر مما اقنعها بان الكسوف ينزل مقياس الحرارة اكثر مما يظنه العلماء . وقد لاحظ العلماء ان مقياس الحرارة نزل ساعة الكسوف ٥ درجات

وقد خاف البسطاء في بعض البلاد فاخذ بعضهم يقرع الطبول ومن القبائل المتوحشة من ذعر ذعراً شديداً وخافت الحيوانات ايضاً ففرت تختبيء . هذا اهم ما نقلته الينا الجرائد عن الكسوف الى ساعة كتابة هذه السطور

❊ الحرب ❊ احتل الجيش الانكليزي بريتوريا عاصمة الترانسفال في الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ من ظهور يوم الاثنين ٤ الجاري بعد الافراج عن مفكنج فاصبح الصلح قريباً على ما نرى لان البوير يئسوا من مداخلة الدول ولم يبقَ في امكانهم الثبات لان عددهم لا يتجاوز ٣٠ الف رجل وعدد الانكليز كما صرح وكيل وزير الحربيـة في مجلس العموم الانكليزي ٢٢٠ الف رجل · ومن المحتمل انهم يعتصمون بالجبال ويحاربون الانكليز منها ولكن هذه الحرب قلما تفيدهم شيئاً كثيراً بعد الآن

وقد خطب المستر تشمبرلن وزير المستعمرات واللورد سالسبوري رئيس الوزارة فصرحا بان الحكومة الانكليزية ستحتل الترانسفال احتلالاً عسكرياً وتضمها الى الاملاك الانكليزية اما اورانج شقيقتها فقد ضمتها اليها وسمتها « مستعمرة نهر اورانج »

❊ المرحوم ميشل بسترس ❊ صدق الذي قال ان الكريم كشمعة من عنبر يضوع نشرها حين انطفاء نورها · فان ميشل بسترس لم يقضِ رحمه الله نحبه حتى قامت الجرائد والمجلات ترثيه وتبكيه وقامت الجمعيات الخيرية الارثوذكسية في القطرين المصري والسوري تحتفل باحياء ذكره · وامامنا الآن اوراق التي واردة لنا من جمعيات الاسكندرية وطرابلس واسكلة طرابلس و بيروت ومرسين تنطق بفضل الفقيد رحمه الله وتستمطر عليه غيوث الرحمة والرضوان · فنكرر طلب الرحمة لنفسه والتعزية لآله الكرام مع الشكر لهذه الجمعيات على عنايتها باحياء ذكر افاضل الناس

❊ اصلاح خطأ ❊ جاء في صدر هذا الجزء انه الجزء الثاني والصواب انه الجزء الثالث فلزم التنبيه

❊ خطبة ❊ وردنا من الثغر انه احتفل في يوم الاحد ٦ مايو الماضي في منزل حضرة الخواجا انطونيوس حموي بعقد خطبة كريمته حضرة المدموازل انيسه الى حضرة الاديب الخواجا عارف صباغ وذلك بحضور الاهل والاصدقاء · فنهنيء الخطيبين ونرجو لهما تمام الافراح

ثم ادنى الورقة من بيتو وقال له اقرأها فقال بيتو انا لا اعرف الانكليزية فقال جيلبار انظر هذه العبارة (دنت مين ذي مني)

فقال بيلو اراها فما معناها . قال جيلبار معناها موافق لمعنى هذا السطر الثاني الذي فوقها . قال وما معناه . قال معناه « قل لهم ان ينفقوا بلا حساب وان لا يعبأوا بالمال »

فبهت بيلو وبيتو فقال بيلو وما المراد بذلك فقال جيلبار اما فهمت بعد . قال بيتو اظنهم يبتاعون اسلحة لمحاربتنا . فقال جيلبار كلا ولكنهم يرشون العامة افساداً لاعمالنا . قال بيلو وكيف يرشون العامة

فقال جيلبار أكنت انت يا بيلو تقتل دبلوناي . أكنت تقتل فلاسل ولوسم أكنت تشنق فولون وتخرج بيدك قلب برتيه من صدره

فصاح بيلو مشمئزاً معاذ الله وقد سئمت العيش من هذه الامور التي رأيتها

فقال جيلبار عافاك الله وهذا هو الامر الذي يريده اعداؤنا . انهم يسعون في افساد الثورة التي نقوم بها الآن لكي يسأم منها خاصة الامة وافاضلها . ولذلك ينفقون المال جزافاً من غير حساب

فقال بيلو واي فائدة لمستربيت في رشوة بعض سفلة الشعب لارتكاب الفظائع وجعل افاضل الامة يشئمون هذه الثورة

فضحك جيلبار بهدوء ضحكة دلت على اقتناعه ثم قال . ما ابسط قلبك . انسيت ان المستربيت هو عدو فرنسا اللدود الذي لا يهنأ له عيش الا اذا افرغ كل جيب فيها وكسر كل بندقية او سيف يتقلده جنودها . فاذا اثار على الامة عامتها وسوقتها فان الامة لا تلبث لسآمتها الثورة أن تدعو جنوداً المانية او جنوداً انكليزية لنجدتها على القتلة والمعتدين فتدخل الجنود الاجنبية الى بلادنا بحجة اغاثتنا ويكون الغرض الحقيقي من دخولها زيادة اذلالنا وتمزيق شملنا

فقال بيلو وهو مبهوت منكر وكيف مداواة الحالة الحاضرة . قال جيلبار مداواة الحالة الحاضرة في بقاء افاضل الامة في وسط الثورة ليصرفوا مجراها الى الخير ويمنعوا رجال السوء من ارتكاب الاثم وصنع الشر . ولذلك اكره ترك امثالك باريز يا بيلو فابق فيها لتكون لي عصاً تارة اتوكأ عليها وطوراً اضرب بها

فبقي بيلو مبهوتاً . فقال بيتو قد اصاب الدكتور في قوله فهل لديك جواب مقنع ايها الاب بيلو

❋ الحرب ❋ احتل الجيش الانكليزي بريتوريا عاصمة الترانسفال في الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ من ظهور يوم الاثنين ٤ الجاري بعد الافراج عن مفكنج فاصبح الصلح قريباً على ما نرى لان البوير يئسوا من مداخلة الدول ولم يبقَ في امكانهم الثبات لان عددهم لا يتجاوز ٣٠ الف رجل وعدد الانكليز كما صرح وكيل وزير الحربيـة في مجلس العموم الانكليزي ٢٢٠ الف رجل · ومن المحتمل انهم يعتصمون بالجبال ويحاربون الانكليز منها ولكن هذه الحرب قلما تفيدهم شيئاً كثيراً بعد الآن

وقد خطب المستر تشمبرلن وزير المستعمرات واللورد سالسبوري رئيس الوزارة فصرحا بان الحكومة الانكليزية ستحتل الترانسفال احتلالاً عسكرياً وتضمها الى الاملاك الانكليزية اما اورانج شقيقتها فقد ضمتها اليها وسمتها « مستعمرة نهر اورانج »

❋ المرحوم ميشل بسترس ❋ صدق الذي قال ان الكريم كشمعة من عنبر يضوع نشرها حين انطفاء نورها · فان ميشل بسترس لم يقضِ رحمه الله نحبه حتى قامت الجرائد والمجلات ترثيه وتبكيه وقامت الجمعيات الخيرية الارثوذكسية في القطرين المصري والسوري تحتفل باحياء ذكره · وامامنا الآن اوراق التي واردة لنا من جمعيات الاسكندرية وطرابلس واسكلة طرابلس و بيروت ومرسين تنطق بفضل الفقيد رحمه الله وتستمطر عليه غيوث الرحمة والرضوان · فنكرر طلب الرحمة لنفسه والتعزية لآله الكرام مع الشكر لهذه الجمعيات على عنايتها باحياء ذكر افاضل الناس

❋ اصلاح خطأ ❋ جاء في صدر هذا الجزء انه الجزء الثاني والصواب انه الجزء الثالث فلزم التنبيه

❋ خطبة ❋ وردنا من الثغر انه احتفل في يوم الاحد ٦ مايو الماضي في منزل حضرة الخواجا انطونيوس حموي بعقد خطبة كريمته حضرة المدموازل انيسه الى حضرة الاديب الخواجا عارف صباغ وذلك بحضور الاهل والاصدقاء · فنهنئ الخطيبين ونرجو لهما تمام الافراح

ثم ادنى الورقة من بيتو وقال له اقرأها فقال بيتو انا لا اعرف الانكليزية فقال جيلبار انظر هذه العبارة (دنت مين ذي مني)

فقال بيلو اراها فما معناها · قال جيلبار معناها موافق لمعنى هذا السطر الثاني الذي فوقها · قال وما معناه · قال معناه « قل لهم ان ينفقوا بلا حساب وان لا يعبأوا بالمال »

فبهت بيلو و بيتو فقال بيلو وما المراد بذلك فقال جيلبار اما فهمتَ بعد · قال بيتو اظنهم يبتاعون اسلحة لمحاربتنا · فقال جيلبار كلا ولكنهم يرشون العامة افساداً لاعمالنا · قال بيلو وكيف يرشون العامة

فقال جيلبار أ كنت انت يا بيلو تقتل ديلوناي · أ كنت تقتل فلاسل ولوسم · أ كنت تشنق فولون وتخرج بيدك قلب برتيه من صدره

فصاح بيلو مشمئزاً معاذ الله وقد سئمت العيش من هذه الامور التي رأيتها

فقال جيلبار عافاك الله وهذا هو الامر الذي يريده اعداؤنا · انهم يسعون في افساد الثورة التي تقوم بها الآن لكي يسأم منها خاصة الامة وافاضلها · ولذلك ينفقون المال جزافاً من غير حساب

فقال بيلو واي فائدة لمستر بيت في رشوة بعض سفلة الشعب لارتكاب الفظائع وجعل افاضل الامة يسئمون هذه الثورة

فضحك جيلبار بهدوء ضحكة دلت على اقتناعه ثم قال · ما ابسط قلبك · انسيت ان المستر بيت هو عدو فرنسا اللدود الذي لا يهنأ له عيش الا اذا افرغ كل جيب فيها وكسر كل بندقية او سيف يتقلده جنودها · فاذا اثار على الامة عامتها وسوقتها فان الامة لا تلبث لسئامتها الثورة أن تدعو جنوداً المانية او جنوداً انكليزية لنجدتها على القتلة والمعتدين فتدخل الجنود الاجنبية الى بلادنا بحجة اغاثتنا ويكون الغرض الحقيقي من دخولها زيادة اذلالنا وتمزيق شملنا

فقال بيلو وهو مبهوت مفكر وكيف مداواة الحالة الحاضرة · قال جيلبار مداواة الحالة الحاضرة في بقاء افاضل الامة في وسط الثورة ليصرفوا مجراها الى الخير ويمنعوا رجال السوء من ارتكاب الاثم وصنع الشر · ولذلك اكره ترك امثالك باريز يابيلو فابق فيها لتكون لي عصا تارة اتوكأ عليها وطوراً اضرب بها

فبقي بيلو مبهوتاً · فقال بيتو قد اصاب الدكتور في قوله فهل لديك جواب مقنع ايها الاب بيلو

فقال بيلو نعم وانا ارى مثلك ان الدكتور قد اصاب في قوله بالرغم عن ضجري من الثورة واهوالها وشوقي الى مزرعتي واهلي • فسافر انت يابيتو لتنوب منابي في المزرعة اذ قد طال غيابنا عنها وانا ابقى هنا طوعاً للدكتور لان حجته لا تُرد

وما اتى بيلو على هذا الكلام حتى ابرقت اسرة بيتو وطار فرحاً • لانه ذكر كاترين وايامه الماضية معها فرقص قلبه في صدره شوقاً اليها والى البلاد التي ربي فيها • وقبل ان يلفظ كلمة جواباً على قول بيلو قال جيلبار • نعم سافر ونب مناب بيلو في مزرعته وخذ معك ابني سباستيين من مدرسة لويس الكبير الى مدرسة الاب فورتيه في فيله كوتره لان هواء الخلاء يكون احسن تاثيرًا في صحته من هواء باريز

وهكذا جرى • فسار بيتو وعاد بسباستيين الى ابيه ليودعه ثم سافر معه الى فيله كوتره وقلبه يرقص طرباً لقرب اجتماعه بكاترين الجميلة

الفصل الثاني عشر

(الملكة قلقة)

عادت الراحة قليلاً الى النفوس بعد عودة الملك من باريز الى فرسايا • وقد سرَّ الملك بسياحته لانها امالت الشعب اليه

اما نكار وزيره فقد كان يعمل اعمالاً تميل الشعب عنه والاشراف يستعدون لمقاومة هذه الاعمال والشعب هادئ يراقب الفريقين

واما الملكة فكانت هي القلقة وحدها في خلال هذه المدة لانها كانت تحس بكونها ملتقى بغض الشعب باسره • على انها كانت تحس بهذا وتحس ايضاً بانها ملتقى امال جميع انصار الملكية

وكانت لم تشاهد جيلبار منذ عودة الملك من باريز • ففي ذات يوم كانت خارجة من قاعة الملك فوجدت جيلبار داخلاً • فحياها الدكتور باحترام كثير فوقفت ماري انطوانت وسألته أأنت داخل على الملك • فقال نعم • فقالت باسمة تدخل عليه كطبيبه ام كستشاره • قال بل كطبيبه يامولاتي لاني اليوم في نوبتي في القصر

فابتسمت الملكة واشارت اليه ان يتبعها فلحق بها جيلبار باحترام فدخلت معه الملكة الى قاعة صغيرة هنالك وجلست في كرسي ثم اشارت اليه بالجلوس فجلس فقالت له الملكة أ كنت تخدعني ايها الدكتور يوم قلت لي ان الملك لا خوف عليه من السفر الى

باريز . فقال جيلبار حاشا ياسيدتي . قالت فما هذا الذي سمعته اذاً من قتل امرأة كانت واقفة امام مركبة الملك برصاصة اصابت زرّ ثوبك وارتدت عنه الى صدرها

فاصفر الدكتور جيلبار وقال لم ارَّ هذا الامر مهماً بقدر ما تحسبين جلالتك فانني ارتاب في ان رجلاً اطلق الرصاص عمداً

فاغتاظت الملكة وقالت كيف ترتاب في ذلك والمرأة قد قُتلت كما ذكرت لك . وهل هكذا يكون الدفاع عن الباريزيين

فقال جيلبار مولاتي مولاتي لا تتهمي شعب باريز بهذه الجناية فان الشعب بريء منها . لقد خبرت اخلاق الشعب وشهدت غضبه في كثير من الاوقات فرأيت انه اذا اراد الانتقام فانه لا يستعمل آلة للقتل بل يتناول غرضه بيده فاذا كان حقيقياً ان رصاصة اطلقت على الملك فليس الشعب الذي اطلقها

فقالت الملكة تقول ان الشعب لا يستعمل آلة للقتل بل يقتل بيده ولكن انسيت انه قتل فلاسل برصاصة ايضاً

فقال جيلبار ولكن نسيت جلالتك ان كثيرين غير الشعب كانوا يرغبون في قتل فلاسل

فسكتت الملكة هنيهة ثم قالت له ولماذا لم ارك بعد عودة الملك من باريز . قال لان جلالتك لست بحاجة الي . فقالت الملكة هذا تواضع منك فقال انا لا احب ان اكون متواضعاً . قالت عجباً ولماذا قال لانني اذا لم اكن متواضعاً كنت قوياً شديداً وفي هذه الحالة اكون اكثر مقدرة على منفعة اصدقائي والاضرار بالاعداء

فقالت الملكة لماذا تقول الاعداء ولا تقول اعدائي . فقال جيلبار لانني لا اعرف لي عدواً ياسيدتي . فقالت الملكة مبهوتة وكيف لا تعرف لك عدواً . قال لا اعرف لي عدواً او بالحري لا اعرف اني عدو احد وذلك لاني لا ابغض احداً فقالت . ولماذا انت لا تبغض احداً . قال لاني لا احب احداً

فدهشت الملكة من هذا الكلام وقالت له تقول انك لا تحب احداً فهل انت اذاً طامع بالمجد حتى يشغل حب المجد كل قلبك . فقال جيلبار بهدوء كنت طامعاً اما الآن فقد زال طمعي لسقوط املي . فقالت الملكة باسمة ولكن لا بد ان يكون بقي في نفسك نوع واحد من الطمع والامل . قال اي شيء تعني جلالتك قالت حب الوطن

فقال اما حب الوطن فانني اسيره ووقف له . فتنهدت الملكة وقالت وا اسفاه ما

اصعب هذه الايام وما احلى تلك الايام التي كان فيها حب الملك جزءا من حب الوطن

فاحسّ جيلبار بما في كلام الملكة فقال باحترام انني احب الملكية يامولاتي اكثر من كل شخص سواي

فعادت هنا للملكة كبرياؤها الطبيعية فرفعت راسها وقالت بعنفوان وخيلاء ان من يحب ملكه فانه يقوم بما يجب عليه

فرفع جيلبار عند ذلك راسه ايضاً لانه ما كان ينتظر هذه الكبرياء الفجائية بعد استرسال الملكة في ملاطفته وقال ولكن هذا الواجب يامولاتي قد يكون القيام به صعباً وربما جاء وقت اصبح من واجبات الملكية ان تشكر من يقوم بما يجب عليه لها

فنهضت الملكة عند هذا الكلام بهدوء واستياء قائلة· هذا ما تراه انت اما انا فاري ان الله الذي اعطى الملوك عروشهم وتيجانهم قد قضى على الرعايا ان يخدموهم دون ان يجب لهم الشكر على خدمتهم · وقد علمتُ غير مرة انك تنادي كثيرًا بقوة الشعب وسلطته فانا · انا وحدي ساري كل معتدٍ على سلطة الملك كيف يكون الاعتداء

ثم سارت في طريقها بغضب تاركة جيلبار مبهوتاً مدهوشاً· فكأنها بريح غضبها هذا قد رفعت عن عيني جيلبار طرفاً من ستار كثيف كان يحاول بعضهم وضعه على الثورة وهو ستار مقاومتها وخنقها

فقال جيلبار بعد مسيرها علمت الآن شيئاً وهو ان الملكة تفكر بامرٍ ما · ثم دخل على الملك

اما الملكة فسارت وهي تزمجر وتقول في نفسها · لم يبقَ الآن شبهة لدي في انه لا يجب ان نرجو من هذا الرجل اخلاصاً

مساكين انتم ايها الملوك والعظماء الذين تريدون بكلمة « الاخلاص » الذل والعبودية لا الحب والصدق في الخدمة

الفصل الثالث عشر

(القلب والحب)

ولما دخلت الملكة الى غرفتها ضاقت الارض بها واصبحت الدنيا سوداء في وجهها لانها كانت تجد نفسها قلقة مضطربة بصفتها امرأة وبصفتها ملكة

بصفتها ملكة لانها حيثما وضعت قدمها كانت تجد الارض متحركة تحتها وسلطة الشعب تقوى شيئاً فشيئاً وتعلو على سلطتها

وبصفتها امرأة لانها رأت كل احبائها ومقربيها بدأوا يتخلون عنها. فنساؤها المقربات اليها اخذن بالمهاجرة من فرنسا خوفاً من عواقب الثورة ورجال البلاط اصبح همهم وقاية انفسهم واموالهم حتى عزيزها الكونت دي شارني الذي تحبه كما تحب نفسها تغير قلبه وانقلب عليها

كلا لم يتغير قلبه ولكنه كان آخذاً في التغير. والخوف من تغير قلب الحبيب عذاب هائل للمرأة التي تحب حباً قلبياً وشيء لا تصبر عليه المرأة التي تحب بكبرياء وعظمة

والملكة تحب شارني حباً قلبياً وكبريائياً لذلك كان خطبها مزدوجاً

فكان في قلبها جرحان جرح امرأة تحب وجرح ملكة ترى ان رجلاً لا يعبأ بها

ومع ذلك فقد كانت الملكة تستطيع ضمد هذين الجرحين لو ارادت وذلك باطلاع شارني عليها ومحادثته بالعذاب الذي تقاسيه من فتور حبه

ولكنها كانت ملكة. والملكة ان احبت فهي تحسب انها تولي حبيبها جميلاً غير جميل الحب. وهذا في الحب من سوء حظ الملكات

ولذلك لم تسع الملكة في استرضاء شارني واستمالته بالرغم عنها لان كبرياءها لم تكن تطاوعها على ذلك

وكانت قد لحظت أن شارني ينصرف عن حبها ميلاً الى الكونتس زوجته فصارت تحسدها وتغار منها

ومتى حسد الانسان او غار نقصت قيمته الادبية

ومن نتائج نقص القيمة الادبية عواطف رديئة

ونتائج العواطف الرديئة افكار رديئة

ونتائج الافكار الرديئة اعمال رديئة. ولذلك ابتدأت الملكة بالاعمال الرديئة

وقد رأينا كيف اصبحت تسيء معاملة شارني وتغضب منه ومن زوجته بلا علة ولا سبب

وكان شارني رجلاً كريماً لا يطيق ذلاً ولا ضيماً

فلما رأى غيرة الملكة من زوجته قال في نفسه لا بد اذاً ان يكون في اندريه

شيء يستحق الحسد والغيرة ولم يرَه فيها

ومن الثابت ان لا شيء في العالم يقرب رجلاً من امراة كغيرة حبيبة من هذه المرأة غيرة ظالمة

لذلك كانت الملكة كلما ازدادت غيرة من اندري ازداد شارني ميلاً اليها

كانت الملكة غيورة من الكونتس دي شارني والغيور يكون عادة احط من الذي يغار منه . فهل ان في الكونتس شيئاً لا يوجد في الملكة ؟ ام ان الملكة اكتشفت فيها الآن اشياء ما كانت تعلم بها قبلاً . ام انها رأت ان شارني اصبح اقل حباً لها مع انه لا موجب لتقليل حبه ؟

على انه لا شيء يزيد القلب الذي يطلب البعد بعداً مثل طلب تقريبه . ولا شيء يدل الحبيب على شروعه في الابتعاد عنا مثل غيرتنا عليه كأننا بهذه الغيرة ننبه الى فتور حبه

ومتى تنبه الى ذلك وعلم انك مصيبة في نسبة الفتور الى قلبه فهل ترينه يعود ايتها الحبيبة الى سابق عهده . كلا . فما اجهلكم ايها المحبون بقلوب المحبين . بل ما اجهل الذين يسمونكم جهلاء وانتم عميان لا جهلاء فقط اذ الحب لا يرى ولا يسمع ولا يختبر بل يسوق قلباً الى قلب وخلقاً الى خلق كما تسوق قوة الجاذبية الحديد الى المغناطيس

فهل يسمى المغناطيس اعمى متى نفدت قوته وضعفت عن جذب الحديد

كلا . وكذلك لا يسمى قلب شارني اعمى لان عيني الملكة اصبحتا ضعيفتين عن جذبه كما كانتا تجذبانه من قبل

والذي نبهه الى ضعفهما وفتور حبه لها هو غيرتهما عليه . فما اقبحك ايتها الغيرة وما احلاك

ما اقبحك لانك تشين بالحبيب الى حبيبه وتعكرين صفو الكاس . وما احلاك لانك اذا كنت دليلاً على ضعف الحب في احد القلبين فانك دليل على زيادته واشتداده في الثاني

وهكذا كانت كلما ازدادت الملكة غيرة على شارني ازدادت حباً وازداد فتوراً

والملكة اذا ازدادت حباً ازدادت كبرياء لانها لا تحب الا كملكة وكبرياؤها تجعل حبها ممزوجاً بالسخط والغضب

بالسخط على ذلك المتمرد على قلبها وعلى تلك الجريئة الجسورة التي سلبتها حبيبها

ولذلك اصبحت الملكة ساخطة على شارني وعلى الكونت معاً

اما شارني فانها اصبحت لا تعبأ به ولا تلتفت اليه ٠ هذا اذا كان حاضرًا ٠ حتى انها كانت تتجاهل حضوره ٠ واما اذا كان غائباً فلا تفتكر باحد سواه ولا تفتش عيناها عن احد سواه

واذا فتشت عنه عيناها وقتاً طويلاً ولم تجداه اغرورقتا بالدمع وتضخمتا واحمرتا فاصبحتا كجمرتين متقدتين ٠ ذلك لان كل ما في القلب يصعد حينئذٍ الى الراس

ولكن متى وجدتاه قادماً فانهما تنصرفان عنه بالحال الى اول قادم غيره نكاية به فتبتسم لهذا وتلاطفه اشد ملاطفة كأن شارني المسكين غير موجود في حضرتها ٠ وبما ان جميع الشبان الذين تقابلهم الملكة هم من رجال الظرف والكياسة فان عقرب الغيرة والعذاب يلسع حينئذٍ قلب الكونت دي شارني

قطرة من الصاب يذوقها بازاء الكؤوس المرة التي تجرعها الملكة

والعادة ان الغيرة تكون دليلاً على نمو الحب كما قدمنا ٠ فياخذ الحب بالنمو في قلب شارني بعد شروعه في الضعف والفتور ٠ ولكن هنالك عينان ساهرتان على قلب شارني وهذان العينان هم عينا الكونتس زوجته

تقرأ الكونتس بهما في هذا القلب آيات العذاب من معاملة الملكة فيثور قلبها لتعزية قلبه وهكذا تجمل ملاطفته وتزداد عناية به ٠ فتؤثر هذه العناية بشارني تاثيرًا شديداً

اولاً لانها من قبيل مقابلة الاساءة بالاحسان ٠ والاحسان ذو تاثير حسن دائماً

والسبب في كونها كذلك هو ان شارني صرف سنوات وهو مشغول عن زوجته المسكينة بالملكة ٠ فكيف لا تؤثر فيه ملاطفتها مع انه ما كان يعبأ بها

وثانياً لانه كان يشعر بما يجب لها عليه بصفته زوجها

اذًا كان قلب شارني يدنو من قلب الكونتس زوجته بقدر ما كان يبتعد من قلب الملكة عشيقته

مسكينة ايتها الملكة ٠ فانها جعلت سياستها من بدء حبها لشارني « فرق تسد » ولكنها ما لبثت ان رات ان التفريق بين قلبيهما انتهى باجتماعهما ٠ فكبر الخطب عليها واصابها اليأس في حبها واشتد بها اليأس حتى اصبحت لا يهنأ لها عيش في نهارها وليلها

فيا ما قاست هذه المراة المسكينة بسكوت وهدوء دون ان يدري شارني بشيء من عذابها ٠ عذاب بعظمة ملكية اذا جاز ان يقال هكذا ٠ عذاب يجعل المخلوق يسبح الخالق

ويشكره على القوى العظيمة التي منحها الانسان لاحتمال مثل هذا العذاب

ولكن من كان جسمه معيي من التعب والجهد لا تطلب منه ان يشعر كثيرًا بخشونة فراشه اذا كان خشناً. وقلب ماري انطوانت كان معذباً بالسياسة بازاء الحب لانها كانت تخشى على عرشها فكانت ترى خطبها الحبي هيناً بازاء خطبها السياسي . ولذلك لم تستغرق طويلاً في ياس الحب وعذابه

بل نظرت الى حالتها السياسية وضعف سلطتها فقام في نفسها انها لم تصل الى هذه الحالة من الضعف الا لانها استسلمت الى عواطف المراة ولم تجتنب الوهن . فعزمت حينئذٍ على ان تقوي عزمها وتشدد قواها استردادًا لما فاتها

وحين عزمها هذا العزم شعرت بفرار شيء من ياس الحب من قلبها وعودة الحماسة والقوة اليها فقررت الشروع في مشروعها

ولكن واأسفاه هذا المشروع هو الذي اضاعها (١)

الفصل الرابع عشر

(مأدبة كانت الملكية في غنى عنها)

كان في هذه الاثناء نزاعٌ بين الملك والمجلس الوطني . فان الملك كان يطلب ان يبقي المجلس له حق الموافقة على قراراته او رفضها وهو ما يسمونه « فتو » والمجلس يقول ان قراراته هي صورة لارادة الشعب فليس من حق الملك ان يتصرف فيها

وبما ان كل شيء يعارض الملك فيه كان يُعزى الى الملكة فعزوا اليها هذه المرة ايضاً معارضة الملك. ولذلك لقبوها « مدام فتو »

مسكينة ماري انطوانت . هذا هو اللقب الثالث الذي تلقب به . فانها لقبت اولاً « النمساوية » لانها نمساوية في الاصل اجنبية عن فرنسا كما هو معلوم . ثم لقبت « مدام

(١) خصصنا هذا الفصل بشيء من التطويل في حوادثه الغرامية لنطلع القراء على الاسلوب البديع الذي يتبعه كتاب الافرنج في كتابة الروايات ولا سيما تشريحهم قلب الانسان بسيكولوجياً فيما يختص بالعواطف الحبية لعل ذلك يفيد بعض كتابنا ويرشدهم الى المقصود من كتابة الروايات . وقد تصرفنا بالترجمة كثيرًا جريًا مع القلم شاننا في هذه الرواية

دفيسي » « اي مدام ينقص » لان الخزينة كان ينقصها المال . والان تسمى « مدام فتو » اي « مدام اعترض » لانها تعارض ارادة الامة

فلما رات الملكة استفحال كراهة الشعب لها قام في نفسها مشروع كما قدمنا . والذي زادها تفكيرًا في مشروعها انها رأت ان ٦٠ الف رجل من اعيان انصار الملكية هاجروا فرنسا في تلك السنة وسافروا الى اوربا

سافروا للانضمام الى المهاجرين الذين كانوا ينصرون الملكية وهم في الخارج وقد برحوا فرنسا لخوفهم من الثورة واستفحال امرها

فقالت الملكة في نفسها لماذا لا اهاجر انا ايضاً

فعزمت منذ ذلك الحين على السفر من فرنسا . وكان قصدها ان تخرج منها كرهاً او طوعاً ومعها الملك زوجها وولداها فاذا اصبحت معهم في امن من الفرنسو بين اثارت حزب الملكية في فرنسا على حزب الثورة ليعاقبه عقاباً صارماً . واذا اقتضت الحال بعثت الى حزبها بجنود اجنبية لانجاده بل ترسل الملك نفسه في مقدمة هذا الجند لارجاع سلطة الملكية واخماد ثورة الامة

ولم يكن في هذه الخطة شيء يمنع نجاحها ولكن سوء بخت الملكة كان غالباً على حسن بختها

ذلك انها من قبل ان تعزم على الفرار من فرنسا بالملك علم الباريزيون بمشروعها . لان المقربين من الملكة كانوا مع اخلاصهم لها قلما يكتمون اسرارها . ولما درت الملكة بان شعب باريز قد درى بمشروعها لم تنثن عنه بل بقيت مصرة عليه

ورغبة في انفاذ هذا المشروع سعت في استقدام فرقة فلاندر الى فرساليا بحجة حراسة قصر الملك . وكان قصر الملك في الحقيقة مهددًا لكثرة ما كان يحدث من الفتن . وهذه الفرقة فرقة فلاندر كانت اشد الفرق اخلاصاً للملكية . فحضرت الى فرساليا وخرج لاستقبالها جنود الحرس الفرنسوي والحرس الملكي . فاصبحت الملكة بعد وصولها قوية وكان في امكانها السفر حينئذٍ لو اقدمت عليه

ولكن سوء بختها كان متغلباً على حسن بختها كما قدمنا . ولذلك ثارت مدينة لييج على امبراطور النمسا في ذلك الحين فاشتغل الامبراطور باخضاعها وكرهت ماري انطوانت ان تشغله بنفسها مع هذه الشواغل فاستمرت الحوادث جارية بسرعة هائلة

وكان الجند الملكي قد استقبل فرقة فلاندر استقبالاً عظيماً جدًا فلم يكتفِ بذلك

وعزم ضباطه على اقامة مادبة لضباطها

فيالك من مادبة كنتِ السبب في اضرام نار هائلة

فاجتمع الضباط وطلبوا قاعة في قصر الملك لاقامة المادبة فاجابتهم الملكة الى طلبهم فاقاموا « الواجا » فيها واعدوا المادبة

وكان الوقت اول اكتوبر واليوم يوم خميس . وكان الملك في الصيد لانه كان يكره صرف الوقت في التثاءب والكسل فلجأ الى الصيد حين راى ان المجلس الوطني لم يترك له ان يعمل شيئاً فكان يرئس الامة دون ان يحكمها

فاسف الضباط لان الملك لا يحضر مادبتهم ولكنهم مع ذلك اجتمعوا واخذوا يشربون ويأكلون . وكان الشعب قد تجمهر امام قاعة المادبة مئات والوف من اناس صفر الوجوه خمص البطون خلاء الاجسام ممزقو الثياب ينظرون من خلال الابواب والنوافذ الى الضباط ذوي الرياش المتاوجة والسيوف اللامعة والزينة الفاخرة

وكان يخرج من قاعة المادبة انفاس الخمر واللحم فتهب على ذلك الشعب المسكين فكان يتلذذ بمجرد رائحتها . ولكن كان من الخطاء والخطر ان يشم اولئك المساكين رائحة النعمة والراحة وهم في ما هم فيه من الضيق والشقاء

وكانت الملكة في غرفتها حزينة كئيبة والحزين لا صبر له على سماع احتكاك الاقداح واصوات السرور

فشرب الضباط في اول المادبة بهدوء وتحادثوا بتانٍ . ولكن في وسط المادبة نهض احدهم واقترح عليهم شرب نخب الملك والملكة وولي العهد والاسرة المالكة . فشرب الجميع هذا النخب المربع وهتفوا اربع مرات هتافاً عظيماً

فراى احد الحاضرين حينئذٍ ان الجالسين قد اغفلوا اسماً لا يجب ان يغفل وعلى الخصوص في مثل تلك الايام فنهض واقترح عليهم شرب نخب « الامة »

وكانوا يومئذٍ اذا قالوا الامة فانهم لا يعنون بهذا القول حزب الملكية

فثار الضباط وصاحوا لا لا . فرفض نخب الامة

فيا للاهانة العظيمة . ليس بدعاً اذا نسي الناس نخب الامة ولكن الذنب العظيم ان يرفضوا نخبها فان الرفض اهانة لها . وفي الحقيقة ان الرفض كان اهانة . على ان الامة انتقمت بعد ذلك لهذه الاهانة انتقاماً هائلاً

ويروى ان الرجل الذي قام واقترح هذا الاقتراح لم يقترحه رغبة في الامة ولكن

ليحمل الضباط على رفض النخب واهانتها · فهو اذاً من اعدائها لا من اصدقائها

ثم ساد المرج والمرج بين الضباط وفاضت كؤوس الخمر تزيد هياجهم هياجاً · فانشدت الالحان وصدحت الموسيقى واستسلم الحاضرون الى الهياج الشديد

ولكن كان ينقصهم الملك والملكة

فخرج بعضهم وسار الى غرفة الملكة ليسالوها التعطف بزيارة المادبة · فوجدوها حزينة في غرفتها فعرضوا عليها التماس الضباط فاجابتهم انها لا تستطيع زيارة المادبة من غير ان يكون الملك معها · فقال لها احدهم ولكن جلالتك تستطيعين حضورها مع ولي العهد فسكتت الملكة · ولكنها ما لبثت ان سمعت قائلاً يقول لها بصوت منخفض بجانبها احذري يامولاتي وكوني حكيمة

فالتفتت الملكة فابصرت الكونت دي شارني

وكان قلب الملكة في ذلك الحين طافحاً حزناً وياساً وفي نيتها ان تصنع عكس ما يقوله شارني · فلما قال لها ذلك رمقته شزرًا بنظر طافح احتقاراً وهمت ان تسمعه كلاماً قارصاً · فقال دي شارني في الحال · رحماك يامولاتي لا تحضري المادبة فان الهياج فيها شديد وانتظري على الاقل راي جلالة الملك

واذا بضابط واقف بالنافذة ينادي عاد الملك من الصيد ياسيدتي

فايرقت اسرة الملكة · وكان ما قصه عليها الضباط من تحمس زملائهم في المادبة وطلبهم حضور ملكتهم بينهم ورفضهم نخب الامة — كل ذلك اثر في قلبها تاثيرًا عظيماً فقالت في نفسها : اذاً بقي لنا الامل في المقاومة والنجاة اذا احسنا استخدام هذا الاخلاص والامانة

ثم نهضت وخفت لاستقبال الملك وفي يسارها يد ابنها · ولما التقت بالملك قالت له الحق بي ياسيدي لاريك حفلة اهلا لحضورك فيها ثم اخذته بيدها اليمنى واخذت ابنها باليد اليسرى وسارت نحو قاعة المادبة

فلما نظرها شارني تسير قبض بيديه على احشائه من المه وغيظه · وقد وصل الملك والملكة الى مدخل القاعة وجلبة الضباط تشق عنان السماء وهم يفرغون كؤوسهم في بطونهم لمرة العشرين و يصرخون « ليحيَ الملك · لتحيَ الملكة »

الفصل الخامس عشر

(في المادبة)

ولما دخل الملك والملكة وولي عهدها الى قاعة المادبة زعق الحاضرون كلهم بصوت واحد زعقة زُلزلت لها اسس المكان هاتفين « ليحيَ الملك لتحيَ الملكة » وصدحت الموسيقى العسكرية

اما الملكة فسرها هذا التحمس فقابلته بالابتسام واما الملك فدلته غريزته على ان حضوره في وسط ذلك التحمس ليس امرًا محمودًا . ولكنه مع ذلك صبر وسرّ بما اظهره الضباط من الميل اليه

واما شارني فقد ساءه حضور الملك والملكة هذه المادبة اذ لو لا حضورها لامكن في اليوم الثاني تكذيب كل ما يُراد تكذيبه من حوادثها اما حضور الملك فيجعل حوادثها حوادث تاريخية لا يمكن تكذيبها

وبلغ استياؤه اقصى الدرجات لما راى اخًا له في جملة اولئك الضباط ويسمى جورج تقدم من الملكة وطلب منها شيئًا

فابتسمت الملكة له ومدّت يدها فحلت منطقتها (زنارها) ودفعتها اليه

وكانت هذه المنطقة سوداء والاسود شعار النمسا ورايتها . فطار صواب شارني لما راى صنع اخيه والملكة

اما اخوه جورج فانه اخذ المنطقة السوداء التي هي رمز الى راية النمسا وقطعها وناول الضباط من قطعها

فهتف الضباط هتاف السرور العظيم والقوا الشعار الملكي وهو الابيض جانبًا وداسوا الشعار الوطني وهو المثلث الالوان باقدامهم ووضعوا مكانها الشعار الاسود النمساوي

فغلى الدم في عروق الكونت دي شارني عشيق الملكة لانه ادرك خطارة هذا الامر العظيم

ذلك لان الملكة بتسليمها منطقتها السوداء ورضاها ان تتخذ لذلك الرمز لم تقصر في ما يجب عليها لفرنسا وطنها الجديد ولكن خانتها

وحينئذٍ اشتد الهياج الى درجة لا يستطيع قلم ان ياتي على وصفها . فخرج الملك والملكة من القاعة بعد مجاملة من فيها

وبعد خروجها من المادبة بلغ الهياج بين الضباط مبلغاً يقرب من الجنون فهاجوا وماجوا وسكروا حتى لم يبقَ في امكانهم الوقوف على اقدامهم . وصاروا يدوسون الشعار الوطني المثلث الالوان و يرفعون الشعار النمساوي فوق رؤوسهم

وكان بين الضباط بعض من ضباط الحرس الفرنسوي فرفعوا اصواتهم بالشكوى من اهانة الامة ولكن اي تاثير لاصواتهم القليلة بازاء اصوات باقي الضباط الكثيرة

لذلك لم يعبأ احد بشكواهم ولا التفت الى ملاحظتهم

الا ان الشعب كان واقفاً خارج المكان يراقب و يسهر على اعمال رجال المادبة . فبلغه ان الضباط داسوا شعار الامة باقدامهم ووضعوا الشعار النمساوي مكانه فثار ثائره وغلت مراجل الانتقام في صدره

ثم انقضت المادبة بعد هياج لا حد له

ولم يشترك شارل في هذا الهياج لانه كان مستاء وعارفاً ان الشعب سياخذ بثاره . واما الملكة فكانت مسرورة كل السرور بنهارها فزارها الملك قبل انوم في المساء فسالته رأيه فاجابها كيئباً : غداً ترين نتيجة تاثير هذه المادبة

فما اشد الملك جهلاً بعواطف امراته . لقد حسب انه بهذه الكلمة يبث الخوف والحذر في نفسها وما درى انه بث بها حب المقاومة والمصادمة

ففي المساء اخذت الملكة وهي في فراشها تفكر فيما صنعته فقالت في نفسها . لقد صدق الملك لا بد ان يتاثر الشعب غداً مما حدث في المادبة . واذا تاثر ذلك الوحش الهائل فانه لا يبعد ان يشحذ اسنانه لافتراس اولئك الضباط المساكين . هولاء البواسل المخلصون للملك والملكة الذين هم بقية ما بقي من انصار الملكية . الذين لا يحجمون حين الحاجة عن الجود بنفوسهم في سبيل ملكتهم — هولاء البواسل غداً يعرفهم الشعب فيحفظ الحقد لهم في قلبه وينتهز الفرصة الاولى لانشاب اظفاره في جسمهم . وكل ذلك بسببي انا الملكة . فيجب عليَّ اذاً ان لا اجحد الجميل وان اسعى في انقاذهم . وتوصلاً الى ذلك ينبغي ان احمل وحدي تبعة كل ما جرى امس في المادبة

وفي اليوم التالي كان احتفال بتوزيع الاعلام على جنود الحرس الوطني في فرساليا . فحضر الجنود حزانى كئيبين لاستلام اعلامهم من ملكتهم . وكانوا يمشون نحوها وهم مطرقون الى الارض . فرأت الملكة في وجوههم علامة استيائهم مما حدث البارحة

وكان الشعب مع هولاء الضباط ينتظرون راي الملكة في تلك المادبة . والضباط

الذين اقاموها ينتظرون رايها فيها ايضاً ليعلموا الى اي حد يمكنهم السعي لمقاومة الثورة ونصرة الملكية . فكانت جميع الانظار في الحفلة متجهة الى الملكة وجميع الاسماع تترقب الكلمة الاولى التي ستخرج من فمها اذ يتوقف عليها امر عظيم . وكانت الملكة قد عزمت ان تاخذ كل شيء على نفسها تبرئة للضباط وما صنعوه امس . فلما وزعت الاعلام على الحرس الفرنسوي قالت لهم

« ايها السادة يسرني ان اسلمكم اليوم اعلامكم . ولا تنسوا ان الامة والجيش يجب عليهما ان يحبا الملك كما نحب نحن الجيش والامة . اما مادبة امس فقد سرتني كثيراً »

فلما لفظت هذه الكلمات « اما مادبة امس فقد سرتني كثيراً » تحمس الضباط وهتفوا ملء اصواتهم قائلين « ليحيَ الملك لتحيَ الملكة » ذلك لانهم علموا ان الملكة معهم وغرضها مقاومة الثورة بما في استطاعتها واما باقي ضباط الحرس الفرنسوي وجنودهم فازدادوا كدراً وانقباضاً (١)

وكان شارني حاضراً وقد سمع قول الملكة فتنهد مستغرباً ان تثني الملكة على الاعمال التي اهان الضباط الامة بها في المادبة

اما الملكة فانها فتشت عنه بنظرها ولما وقعت عينها على عينه ابتسمت له ابتساماً كان معناه « الستُ جريئة »

فهزّ شارني راسه هزة خفيفة بضجر وكآبة وكان معنى هذه الاشارة « وا اسفاه انت متهورة لا جريئة »

الفصل السادس عشر

(متى تداخلت النساء حل البلاء)

كان جند الملك يقيم المآدب في فرساليا ويأكل اللحوم ويشرب الخمور وشعب باريز المسكين بلا كسرة خبز يسد بها رمقه

ومن ذلك يظهر قصر نظر الذين كانوا يقاومون الثورة في ذلك الزمان . فانهم بدل اهتمامهم باعطاء الشعب اعمالاً يعملها وخبزاً يأكله فيشتغل به عنهم ولا يعود يحسدهم على ما في ايديهم اخذوا يشتغلون بمقاومة نوابه واهانة شعاره

(١) لا نرى هنا بدّاً من التنبيه الى ان ما يرد ذكره في هذه الرواية عن الشعب وتقلباته مع الملكية انما هو من الحوادث التاريخية الحقيقية وكل هذا تاريخ كما نرى

وما دروا ان الشعب لا يكون قليل الصبر كثير الانفعال شديد المقاومة الا متى كان جائعاً

وكان الجوع شديداً في تلك السنة في باريز فكان الشعب يطوف الشوارع والازقة وهو ينادي بسخط وغضب طالباً خبزاً ويده على سلاحه . الا انه اصبح يجتنب سفك الدماء لانه ذكر معركة الباستيل ومقتل فلاسل وفولون وبرتيه فكره ان يسمى قاتلاً وجانياً مرة ثانية . لذلك كان ينتظر

ولكن اذا انتظر الرجال فالنساء لا يستطعن الانتظار لان اولادهن يبكون ويطلبون خبزاً وهن من طبعهن انهن شديدات الانفعال

فبينما كان الدكتور جيلبار جالساً مع بيلو في ذات يوم في احد الاندية واذا بامرأة صفراء الوجه كانها خيال من النحافة والرقة قد دخلت واخذت تنادي وتحث الحاضرين على مقاومة الظالمين . فذكرت حادثة المادبة واكرام الشعار النمساوي ودوس الشعار الوطني

فقال جيلبار لبيلو : هذه علامة من اسوإ العلامات فانه اذا تداخلت النساء لم يبطئ البلاء

ثم نهض وسار به في شوارع باريز فابصرا في الطريق فتاة في الخامسة عشرة تضرب طبلاً معها . فاستغربا ذلك . فدنا منها بيلو وسالها ما وراءك ايتها الجميلة ولماذا تضربين الطبل فقالت تلك المسكينة التي كانت كانها زهرة ذابلة في غصنها — انا جائعة وانادي الناس ليطعموني

فتمزق قلب بيلو حزناً عليها . اما جيلبار فقال هذا يخيفني فان الحالة تزداد هولاً

وبقيت هذه الفتاة تضرب على طبلها والنساء يجتمعن حولها حتى تجاوز عددهن الف امراة فاصبحن جيشاً عرمرماً . وكان في جملتهن نساء من البائعات والبوابات وغيرهن وفيهن من كانت لم تذق طعاماً منذ ٣٠ ساعة . فتصور هياجهن

وكان غرضهن الزحف الى المجلس البلدي فاتجهن اليه وامامهن الابنة التي تضرب الطبل وهن يتادين النساء اللواتي يجدنهن في النوافذ والابواب للحاق بهن فكن ينضممن اليهن طوعاً او كرهاً . ولذلك ما وصلن الى ساحة المجلس البلدي حتى كان عددهن ١٠ الاف امراة

١٠ الاف امراة كانهن جيش زاخر ومعهن الحراب والعصي والبنادق بعضهن يطلبن

الخبز لسد رمقهن وبعضهن يطلبن الانتقام لشرف الامة الذي يُهان

وحينما اصبحن تحت جدران المجلس البلدي اخذن يبحثن فيما يلزم ان يصنعنه . فصاحت احداهن : يجب ان نحرق المجلس وما فيه من الاوراق التي تمنع الخبز من الوصول الينا

وكان بالي ولافاييت لما بلغهما خبر اجتماع النساء وامامهن طبل يُضرب ضحكا وحسبا الاجتماع مزاحاً . ولكن لما ابصرا الوف النساء المسلحات وشاهدا وراءهن الوفاً اخرى من الرجال قادمين وهم يضحكون من صنعهن ضحكاً مخيفاً هالهما الامر وخافا سوء المنقلب

وكان خوفهما في محله . فان النساء ما لبثن ان اندفعن الى المجلس لاضرام النار فيه وقذف اعضائه في نهر السين

اذاً كان غرضهن امرين : اغراق واحراق

ولكن احداهن وهي اشدهن امراعاً على ما يظهر قالت ان الاغراق امر يطول اذ يقتضي حمل ٣٠٠ عضو من اعضاء المجلس وقذفهم في النهر فاقترحت ان يكتفي الثائرات باحراق المجلس رغبة في سرعة انهاء العمل

فوافقن على اقتراحها وطلبن ناراً

وقبل ان تاتي النار ابصر النساء راهباً في المجلس فهجمن عليه ووضعن حبلاً في عنقه وهن يضحكن ثم شنقنه في نافذة قريبة

وكان بينهن رجل يراقبهن وقد جاء معهن من اقصى المدينة الى هذا المكان وهو جندي يُرى في وجهه علامات الشهامة والبسالة . فلما ابصرهن يشنقن الراهب استل سكيناً وهجم فقطع الحبل بالحال فسقط الراهب على الارض فانكسرت رجله . ومع ذلك فانه نهض مذعوراً خائفاً وصار يعدو وهو يصرخ غير مصدق انه قد نجا بنفسه . وهذا الراهب يُدعى ليففر دورميسون

ثم جاءت مشاعل النار فتناولها النساء وهجمن لاضرام الاوراق

فهاجمهن ذلك الرجل بلا خوف واختطف النار من ايديهن . فهاجمنه لاستردادها فكان كلما اقتربت واحدة منهن اضرم النار في اذيال ثوبها فتنشغل باطفاء اذيالها عن مهاجمته

هن كن يشتغلن باطفاء اذيالهن وهو كان يشتغل باطفاء الاوراق المضطرمة

الجامعة

الجزء الرابع — السنة الثانية

الاسكندرية ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٠ الموافق ٤ ربيع اول سنة ١٣١٨



﴿ سمو الجناب الخديوي عباس باشا حلمي ﴾

الجناب الخديوي

من اسواء الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اعتلال الجناب الخديوي المعظم حين وصوله على اليخت اوسبورن الانكليزي الى ميناء فيكتوريا في سفره الى لندرا لزيارة جلالة ملكة انكلترا . وهذه هي صورة التلغرافات التي وردت عن صحة سموه من اول هذه الحادثة الى خاتمتها التي كانت خيرًا وسلامًا والحمد لله

في ٢١ من لندرا — وصل الجناب الخديوي الى كوينبورو على اليخت الملكي . وقد اشتد عليه دوار البحر فلم يبق في استطاعته السفر الى لندرا فاستدعي لسموه من لندرا الدكتور فليكس سيمون طبيب الحلق الشهير فوصل الى كوينبورو على قطار خاص

في ٢١ من لندرا — كان الجناب العالي معتل الصحة من ألم في حلقه قبل ركوبه اليخت اسبورن . ولكن اشتد عليه الالم مدة السفر وشاع انه قد ظهرت فيه اعراض الدفتيريا وقد بقي سموه في اليخت وسيعود الدكتور سيمون غدًا لعيادة سموه

في ٢٢ من لندرا — صرف الجناب الخديوي المعظم ليله في حالة حسنة . وهذه صورة النشرة الصحية التي صدرت عن صحة سموه « لا يستطيع الجناب الخديوي ان يستانف سياحته وزيارته الا بعد مدة قليلة . وسموه يشكو المًا في الحنجرة سببه التهاب فيها »

في ٢٣ من لندرا — صورة تلغراف من عزتلو شفيق بك الى عطوفتلو مصطفى باشا فهمي القائم مقام الخديوي : « ابشركم بغاية السرور ان الفحص البكتريولوجي اثبت ان المرض التهاب عفني بسيط مسبب عن (الستربتوكوك) لا يدعو الى القلق مطلقًا انما يلزمه راحة بضعة ايام . والجناب العالي يشعر اليوم بتحسن في صحته وهو محاط بجميع اسباب الراحة والعناية والاهتمام وممتن على الخصوص مما اظهرته جلالة الملكة والعائلة الملوكية من حسن الانعطاف والرعاية »

في ٢٥ من لندرا — امضى الجناب العالي ليله في حالة احسن وحرارته تنازلت الى الدرجة الاعتيادية . وقد دخل سموه في دور النقاهة ولذلك لا تصدر بعد الآن نشرة صحية عن صحة سموه

في ٢٦ من لندرا — يسافر الجناب العالي الى لندرا غدًا صباحًا

في ٢٧ من لندرا — وصل الجناب العالي الى هنا فاستقبل في محطة شرينغ كروس باكرام عظيم وسار بعد وصوله الى قصر بكنهام يصحبه جناب الدوق دي يورك . وسموه في صحة جيدة وليس من اثر للمرض في وجه سموه

الجامعة — فنحن نحمد الله على سلامة سمو الامير المعظم دام محروسًا بعناية الله تعالى بمنه وكرمه

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

امرأة اقوى من الرجال

« مي تاي هو » امبراطورة الصين

هي خالته لا امه · تغزل شاعر صيني · قبضها على ازمة المملكة للمرة الاولى · موت الامبراطور ابيها · علمه وتأثير سياسته · نفوذ الاجانب في الصين قبل سنة ١٨٩٤ · حرب اليابان · الامبراطور مخلوع محصور · مبدأ الاستيعار الى ٩٩ سنة · امبراطورة تصفع امبراطور · قبضها على ازمة الملك للمرة الثانية · تأثير سياستها · البوكسرية تثير البوكسريين · الطرفان متشابهان · مستقبل الصين · فوائد للشرقيين

ولو كان النساء نظير هذي   لضاق الناس ذرعاً بالنساء

خير ترجمة تصدر الجامعة بها في هذا الشهر ترجمة الامبراطورة « مي تاي هو » امبراطورة الصين التي يتهمها الاوروبيون اليوم بانها هي التي اثارت الصينيين عليهم فقاموا يذبحونهم ويحرقون منازلهم ومعابدهم ليطردوهم من بلادهم · وغرضنا من نشر ترجمتها ذكر ما يهم ذكره عنها وعن المسألة الصينية التي اتجهت اليها جميع الانظار في الايام الاخيرة ولا يُعرف كيف تكون خاتمتها فنقول

❊ ترجمة الامبراطورة ❊ ولدت الامبراطورة الحاضرة في سنة ١٨٣٤ فعمرها اليوم ٦٦ سنة وابوها مرشال من التتر وكان له ابنة اخرى غيرها فرباهما تربية اهلتهما لان تكونا زوجتين لاميرين فاقترنت الامبراطورة بالامبراطور « هن فونغ » الصيني وذلك في سنة ١٨٥٠ واقترنت اختها بامير من الاسرة الصينية المالكة يدعى البرنس « شوين » وهو والد الامبراطور الشاب الحالي · فالامبراطورة الحاضرة الآن هي خالة الامبراطور الشاب لا امه كما يظن كثيرون

ولما اقترنت الامبراطورة بالامبراطور « هن فونغ » سنة ١٨٥٠ لم تدخل الى قصره

كامبراطورة وزوجة اولى لان هذا الامبراطور كان مقترنًا بامرأة تدعى « تنغ تاي هو » التي كانت هي الامبراطورة بل دخلت كزوجة ثانية . ولكن من حسن حظ هذه ان الامبراطور لم يولد له غلام من زوجته الاولى وفي شرائع الصين ان الامبراطور الذي لا يولد له غلام بعد ارتقائه الى العرش بخمسة اعوام فانه يجب عليه ان يُعين وليًا لعهده او ان البلاط يعينه فاغنته عن ذلك زوجته الثانية اذ ولدت له غلامًا فجعله وليًا لعهده وابنًا لزوجته الاولى الامبراطورة لا لامه الحقيقية . ومع ذلك فقد اشتركتا كلتاهما بتربيته والقيام عليه

ولما ولدت الزوجة الثانية الغلام للامبراطور لقبها الصينيون « تسي هي » اي المحسنة الشفوقة سرورًا بولي عهدهم وسميت حينئذٍ الامبراطورة « سي تاي هو » وهو الاسم الذي تُعرف به

وكانت « سي تاي هو » بارعة الجمال في شبابها . واليك خلاصة ما قاله فيها احد شعراء الصينيين متغزلاً

« قدها اهيف وجسمها تام كانه عنق البطة السابحة على وجه الماء . وجهها الجميل مستطيل ينتهي بذقن مستطيلة ويبتدئ بجبين واسع صبوح مستدير كنصف قوس . انفها ظريف دقيق مستقيم يتحرك حين التأثر والانفعال . عيناها سوداوان تفيشان وجهها »

ويروي كتاب الغرب عن هذه الامبراطورة روايات عجيبة غريبة . منها ان الامبراطورة كانت تصرف ايامها في الرياضة البدنية لتقوية جسمها فتلاكم المقربين اليها الملاكمة المعروفة بلعبة « البوكس » وتصرعهم على الارض برفسهم بقدمها على طريقة « الرفس بالاقدام » وهي لعبة فرنسوية تقابل لعبة البوكس الانكليزية

ومنها ان الامبراطورة كان لها مقربون تضعهم منها باسمى مكانة كالبرنس « كنغ » الذي كانت تحبه وهو اخو زوجها وكان هذا البرنس شديد الغيرة عليها حتى انه فتك يومًا من الايام برئيس الخصيان في القصر لسوء ظنه به

ولما توفي الامبراطور زوجها اوصى بالملك لابنها « تنغ تشي » الذي كان وليًا للعهد كما قدمنا . الا انه عين قبل وفاته مجلسًا للوصاية عليه واخرج زوجتيه الامبراطورتين من هذا المجلس . فساء ذلك الامبراطورة ام ولي العهد . فتركت الوزراء ورجال الدولة حتى عادوا من دفن الامبراطور وامرت بالقاء القبض على جميع الذين عُينوا للوصاية على ابنها ثم ضربت رقابهم جميعًا الا واحدًا اماتته تسميمًا وجعلت نفسها مع الامبراطورة ضرتها

وصيتين على الامبراطور ابنها

وفي سنة ١٨٧٣ ادرك الامبراطور ابنها سن البلوغ فازوجته ونادت به امبراطوراً ولكن ما لبث ان توفي بافيح الامراض لشدة افراطه في الملاذ وتوفيت زوجته بعده فشاع ان الامبراطورة سممتها لتستأثر بالملك

وبعد موت ابنها زعمت انها سمعت من فه وهو يجود بنفسه انه يوصي بالملك من بعده لابن خالته الامير « كنغ سو » وهو ابن اختها الامبراطور الحاضر فنودي به امبراطوراً وكان عمره حينئذٍ [illegible] سنوات فجعلت الامبراطورة نفسها وصية عليه وعينت السياسي الصيني الشهير « لي هنغ شنغ » وزيراً اول لها

وفي مدة هذه الوصاية توفيت ضرتها الامبراطورة الاولى وقيل انها ماتت تسميماً ايضاً وما زالت الامبراطورة سي تاي يو متولية زمام الاحكام حتى بلغ الامبراطور سن الرشد في سنة ١٨٨٩ فاستلم ازمة المملكة

❋ الامبراطور وسياسته ❋ وكانت الصين لا تزال الى هذا العهد مرهوبة الجانب لانها مملكة متسعة الارجاء يسكنها اكثر من اربعمائة مليون من النفوس. وكان نفوذ الاجانب فيها محصوراً وهو بين ثلاث دول : روسيا وفرنسا وانكلترا . اما انكلترا فانها حاربتها في سنة ١٨٣٩ لاجبارها على اباحة تجارة الافيون في بلادها وهي الحرب المعروفة بحرب الافيون فنالت انكلترا بهذه الحرب بموجب معاهدة نتكين السيادة على جزيرة هنغ كنغ وفتح موانئ صينية للتجارة الاوربية . ثم حاربتها حرباً اخرى بمساعدة فرنسا وذلك في سنة ١٨٦٠ فزادت تجارتها في الصين تعزيزاً دون ان تستفيد فرنسا شيئاً من هذه الحرب وكان ذلك في عهد نابوليون الثالث

واما روسيا فانها من غير حرب ولا قتال احتلت جميع الاراضي الواقعة على حدودها عند نهر « امور » ثم احتلت وادي « ايلي » عند ثورة مسلمي الصين فيه على الحكومة الصينية فاعدت بذلك الطريق لسكة سيبيريا الحديدية

واما فرنسا فانها هاجمت جنوب الصين واقتطعت منها « التونكين » و « انام » التي كانت تابعة للصين ثم عقدت معها في سنة ١٨٨٥ معاهدة تعرف بمعاهدة تيينتسين نالت فرنسا بموجبها امتيازات تجارية في ولايات كنغ تنغ وكنغ سي ويونان وهي الولايات المتاخمة لاملاكها في الاقطار الصينية . فقامت انكلترا يومئذٍ وطلبت مكافأة لهذه الامتيازات فاعطيت اراضي من اراضي ولاية يونان لاصلاح تخوم املاكها في برمانيا

ومنحت ايضاً امتيازات تجارية في شرقي يونان وسي كنغ

هذا كل ما كان من نفوذ الاجانب في الصين الى سنة ١٨٩٣ قبل الحرب الصينية اليابانية . وكانت الدول الاوربية تنظر يومئذٍ الى الصين بعين الحذر والانتباه لضخامتها وكثرة سكانها : حتى ان الامبراطور غليوم رسم يوماً من الايام وهو الرسام البارع رسماً يمثل الصين في هيئة وحش عظيم قد هاجم اوربا وطمس تمدنها كما طمس البرابرة تمدن رومة في القديم وكتب تحت هذا الرسم « الخطر الاصفر » يعني انه يُخشى من ان يهجم الصينيون في المستقبل وهم مئات ملايين على اوربا فيستولوا عليها و يبيدوا تمدنها

ولكن الضعف الذي اظهرته الصين في حربها الاخيرة مع اليابان سنة ١٨٩٤ ازالت مهابتها من نفوس الدول ودلت على سوء سياسة الامبراطور الذي قبض على ازمة الاحكام في سنة ١٨٨٩ كما قدمنا . وقد تداخلت فرنسا وانكلترا وروسيا في تلك الحرب فمنعن اليابان من ان تنال ما تريده من الصين وجعلنها تخلي وي هاي واي وبور ارثر بعد احتلالها وتكتفي بالسيادة على جزيرة فرموزه الكبرى . غير ان هذه الدول الثلاث مقابلة مساعدتها الصين هذه المساعدة اغتنمت اول فرصة لاخذ جزائها . فلما قتل الصينيون وراء كياوتشو بعض الالمانيين حتى هجمت المانيا فاحتلت هذه المدينة ثم تبعتها روسيا وانكلترا وفرنسا فاحتلت الاولى بور ارثر وتاليان وان واحتلت الثانية وي هاي واي والثالثة كنغ تشو . وكلهن لم يستولين على هذه الثغور استيلاء ولكنهن استأجرنها من حكومة الصين استئجاراً الى ٩٩ عاماً ...

ولم يكتفِ الاوربيون بهذه الغنائم بل قاموا من كل جانب يطلبون من حكومة الصين ان تمنحهم الامتيازات بمد الخطوط الحديدية وانشاء الشركات في البلاد . فاستفحل نفوذ الاجانب في الصين استفحالاً عظيماً ونسخ الامبراطور التقاليد القديمة وقرب اليه اناساً من انصار المدنية الاوروبية واخذ بمساعدتهم يحاول تغيير حالة البلاد وادخال اصلاحات جديدة اليها

فدخلت حينئذٍ الى مرسح السياسة الامبراطورة خالته يدفعها الحزب القديم . فقصدته وهو في قصره في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ليلة ٢٢ منه ومعها شهود يشهدون لها . فسألت الامبراطور الشاب عن الاعمال التي يعملها واتهمته بانه يخون الاسرة الملكية لانه جعل نفسه آلة في ايدي الانكليز وحزبهم في البلاط فانكر الامبراطور ذلك فرفعت الامبراطورة يدها

ولطمته على وجهه . فامتثل المسكين في الحال وسلم اليها ختم المملكة ووقع على امر قاض بجعلها وصية عليه من جديد . فقبضت هذه المراة القوية على ازمة السلطة مرة ثانية

❊ الامبراطورة وسياستها ❊ وقد صنعت الامبراطورة ذلك مدفوعة بعاملين . الاول عامل خاص والثاني عامل عام

اما العامل الخاص فهو ان الامبراطورة نفسها نفس رجل لا نفس امرأة اي انها شديد الشكيمة قوية الميل للسلطة والشره للسيادة ولذلك كانت تنظر بعين الحسرة الى سفينة المملكة الصينية تجري من غير مساعدتها. فكانت هذه المرأة تشبه الجواد الذي تؤذيه الراحة او كما قال المتنبي يضرُّ به فرط الجمام . ولهذا السبب اغتنمت الفرصة الاولى للهجوم على ازمة الملك التي افلتت منها قبلاً

واما العامل العام فهو خوفها على بلادها ورؤيتها ان سياسة الامبراطور الشاب ستفضي الى تجزئتها اذا استمر على تساهله مع الاوربيين . ولذلك جعلت نفسها وصية عليه لتكون لها السيطرة والسيادة على اعماله

وفي اليوم التالي لقبضها على زمام الملك على الوجه الذي بسطناه امرت فقتل جميع خصيان البلاط واعدم جميع زعماء حزب الاصلاح الذين يلقبونهم بالحزب الانكليزي . ثم اخذت تهدم ما بناه الامبراطور فحالت دون مشروعات اجنبية كثيرة واظهرت عزمها على ان لا تمنح الاجانب امتيازات جديدة في بلادها . ثم صرفت افكارها الى استمالة الشعب اليها لتشد به ازرها

وهذا هو خطأُها العظيم . فانها هنا ناقضت نفسها بنفسها . لانها عند قبضها على ازمة الملك قالت ما يقوله كل ملك لا يريد ان يمنح الشعب حريته من ان « الحرية لا تُعطى دفعة واحدة والاصلاح لا يؤْتى دفعة واحدة » والحجة في ذلك ان الشعب لا يفهم حينئذٍ معنى الحرية والاصلاح حق الفهم. فاذا كان ذلك كذلك فكيف جاز للامبراطورة ان تقول للشعب اقوالاً لا يفهمها او انه من سوء حظه يفهمها اكثر مما يجب ان يفهمها

ذلك ان الامبراطورة نشرت على حكام الصين في كل الاصقاع منشورات تحثهم فيها على تدريب الشعب على استعمال السلاح للدفاع عن انفسهم وعن بلادهم وعلى مقاومة الاجانب بالقوة الفعلية اذا حاولوا الاستيلاء على ارض صينية . فهب الصينيون للتدرب على استعمال السلاح وتالفت جمعيات لتعلم ذلك واخرى لتعلم العاب الرياضة البدنية

لتقوية الاجسام . فنشرت الامبراطورة منشوراً آخر تقول فيه انها تسر كل السرور بالالعاب الرياضية التي تقوي ابدان ابنائها . ولا بدع فانها كانت « بوكسرية » كما مرَّ بنا

فهم الصينيون المساكين من كل ذلك ان امبراطورتهم تحثهم على مقاومة الاجانب واضطهادهم فثاروا عليهم في الشهر الماضي يقتلون مرسليهم وتجارهم و يذبحون نساءهم واولادهم ويحرقون معابدهم وامتيازاتهم

وامتازت منهم جمعية « البوكسر » سميت كذلك لانها تالفت لتعلم لعبة « البوكس » وهي الملاطمة بجمع اليد على الطريقة الانكليزية . ومن الكتاب من يقدر عدد هؤلاء البوكسر بمائة الف رجل ومنهم من يقول ان عددهم ١٠ ملايين ولكن مهما كان عددهم فان ثورتهم من اشد الثورات هولاً . وقد هاجموا ثغر تيينتسين ولا يزالون يطلقون القنابل عليه الى ساعة كتابة هذه السطور وهاجموا بكين عاصمة الصين فقطعوا اسلاكها البرقية وخربوا سككها الحديدية

﴿ اعلانات البوكسر ﴾ وهذه صورة احدى الاعلانات السرية التي يلصقها البوكسر في الاسواق والشوارع الصينية حضاً للناس على الثورة

— اقرأوا هذا كلكم —

ان الآلهة التي تساعد جمعية البوكسر وهي المستقيمة جداً واللطيفة جداً

تأمركم بان تطردوا الابالسة الاجانب

الذين يأتون لازعاج مملكة ابن السماء

الذين يجبرون الناس على الحنث بيمينهم

الذين يجبرون النساء على ارتكاب الفحشاء

انتم كلكم افنوا هؤلاء الشياطين . اهدموا السكك الحديدية . اكسروا القوائم التلغرافية . وعلى الخصوص اغرقوا السفن . فان ذلك يجعل في القلوب برداً وسلاماً . وحينئذٍ فان فرنسا العظيمة تصبح تراباً مع الانكليز والروس . ومملكتنا اللطيفة تنمو وتزهو »

نقول نعم تنمو وتزهو ولكن بعد استيلاء الاجانب عليها يجنون ابنائها

وفي بعض الاخبار التي لم تثبت بعد ان هؤلاء البوكسر هدموا سفارات الدول في بكين وذبحوا السفراء فكان من نتائج ذلك ان الدول ارسلت اساطيلها الى الصين فاحتلت حصون تاكو بعد ان قتلت ٤٠٠ جندي من جنود الصين وهي الآن آخذة بانجاد رعاياها في بكين وتيينتسين

وغيرها واخماد الثورة في السلطنة الصينية

﴿ الطرفان يتشابهان ﴾ هذا ما كان من تاثير سياسة الامبراطورة التي قبضت على « دفة » السلطنة الصينية لتنقذها فتكاد تغرقها . ولا غرابة في ذلك فحب التناهي في كل شيء غلط وخير الامور كما قال الشاعر الوسط . فان سياسة الامبراطور كان محورها اباحة كل شيء للاجانب فيها وسياسة الامبراطورة منع الاجانب من كل شيء. ولهذا السبب كان لا بد من ان تؤديا الى نتيجة واحدة

وقد رأينا ان الدول الآن على اتم اتحاد في المسالة الصينية . ولكن هذا الاتحاد لا يدوم لانه ان جمعت المصائب الدول فاتحدن على الدفاع فان اتحادهن يزول حين زوال الخطر وانقضاء دور الدفاع. فاذا وُجد الآن بازاء العرش الصيني يد حكيمة كيد البرنس « لي هنغ شنغ » السياسي الشهير فانها تستطيع اخماد الثورة على عجل واعادة التنافس بين الدول وبذلك تنقذ استقلال الصين. اما اذا بقيت الحكومة الصينية تدوس حقوق الامم بمحازبتها الثائرين على الاوربيين فان استقلال الصين يصبح في خطر واذا طالت الثورة فان اوربا تذكر « الخطر الاصفر » فلا تكتفي حينئذٍ بخلع الامبراطورة او تغيير الحكومة الصينية . ويومئذٍ يصح ان يقال في الصين « على نفسها جنت براقش »

﴿ فوائد ﴾ وقبل ختام الكلام في هذا الموضوع نود ان نقول كلمة عن الفوائد التي في امكان الشرقيين ان يستفيدوها من الحوادث الصينية الحاضرة فنرى ان هذه الفوائد اربع

(١) ان في الامكان إتحاد دول الغرب على الشرق متى اصبحت مصالحهن في خطر . فلتنعم النظر في ذلك كل الدول الشرقية التي تعتمد في سياستها على المنافسات الاوربيـة فان هذا الاتحاد الذي ظهر بمظهر جديد لهو باعظم مكان من الاهمية

(٢) ان الصينيين مع ضعف عزائمهم وانخلاع قلوبهم ثاروا على حكومتهم وعلى الاجانب . ذلك ان الظلم وسوء السياسة قد يدفعان اضعف النفوس الى الاستياء والثورة رغبة في دفع الضيم وصلاح الحال فليتامل في ذلك حكام الشرق في كل مكان

(٣) ان الغربيين لا بد من دخولهم الى بلاد الشرقيين فعلى حكومات الشرق ان تستخدمهم مساعدين لنشر التمدن في بلادها لا ان تعتبرهم اسياداً فتبيح لهم كل شيء او اعداء فتمنعهم من كل شيء. فان كلا السياستين تؤديان الى سوء المصير . وخير ما تصنعه الحكومات لرعاياها في هذا الشان ان تربيهم تربية اقتصادية وتساعدهم المساعدة الصناعية والزراعية والتجارية اللازمة ليتسنى لهم مزاحمة الاجانب في بلادهم بدل النهوض الى طردهم

منها حسدًا و بغضاً بوسائل تفضي الى تسليمهم البلاد وما فيها

(٤) على الشعوب الشرقية ان تنبذ كراهة الامم الغربية وعلى هذه الامم ان تمهد لها ذلك بتلطيف سياستها واتخاذها العدل والانصاف سبيلاً معها والا ساءت العاقبة على الفريقين

باب المقالات

الانسانية تتعذب في الهند

— الاعانة العثمانية والمصرية —

احص القتلى الذين سقطوا في ساحة الحرب في الترانسفال وفي ساحة الجهل في الصين تجد عددهم لا يساوي عدد الهنود المساكين الذين افنتهم المجاعة والطاعون والهواء الاصفر في هذا العام . ثلاث آفات هائلة سلطت على الهند الجليلة مهد الفلسفة والحكمة فتركت الانسانية فيها تعاني عذاباً لم تسمع بمثله الانسانية في هذا الزمان

ولسنا نلجأ الى الاوصاف الشعرية تبياناً لتلك الحالة الهائلة بل يكفي لذلك ذكر الحقيقة كما هي مجردة عن كل زينة و زخرف . اسمع ما كتبه بهذا الشان الدكتور « رخت » من كودره في الهند وهذا نصه

« ما كدت اصل الى كودره حتى رايت في مجرى النهر الذي قد جف ماؤه اكداساً خضراء وفوقها في الهواء شيء كالسحاب الكثيف . فدنوت منها لاراها فاذا بها جثث هنود ماتوا جوعاً ملقاة بعضها فوق بعض بينها الكلاب تأكل منها حتى لا تجوع ايضاً وفوقها اسراب من الذباب تحوم عليها لتمتص ما فضل في جلدها من الدم اذا كان قد بقي فيها دم وهي لكثرتها تشبه السحاب من بعيد »

وكتب طبيب آخر في الهند يقول « لا انسى في زماني اولئك التعساء الذين زرتهم في شوتانا غبور . فانهم كانوا هياكل من العظام جالسة على ارض رطبة سوداء فوق حصر مهترأة فاسدة . جلودهم لاصقة بعظامهم لذوبان اللحم عنها وعظامهم تُرى بارزة وتعد واحدة واحدة اما بطونهم فانها منتفخة بارزة لاعتيادهم اكل اصول الشجر ونبات البرية . ذلك انهم كانوا ينتشرون كالحيوانات السائمة في البر للتفتيش عن العشب ليأكلوه والسعيد من يجد منه شيئاً »

وكتب طبيب ثالث يقول « عندنا اهوال ترتجف لها فرائص الانسانية . فان الاهالي

يموتون من المجاعة الوفاً الوفاً . ومن لا يموت جوعاً فانه يبتلي بالجنون . وجنونهم انواع شتى . فنه جنون غليظ كما جرى في شندر لسبعمائة جائع لم يهدأوا و يسكنوا حتى سُجنوا في قلعة حصينة . ومنه جنون لطيف كما حدث لثلثمائة جائع في حرش اوجمر مروره فانهم ربطوا في اعناقهم حبالاً وشنقوا انفسهم باشجار الحرش وهم هادئون ينشدون بلطف اغانيهم البوذية المقدسة . ومنه جنون اليأس والانتحار كما حدث في بنحاب لثلاث وستين عيلة بين فيها من الرجال والنساء والاولاد فانهم اجتمعوا واخذ كل واحد منهم ابرة طويلة ووضع راسها فوق قلبه ثم وقف رجل امامهم واشار اشارة فرزوا الابر في قلوبهم دفعة واحدة فسقطوا كلهم قتلى المجاعة والشقاء »

وكتب طبيب رابع يقول « لقد مات من الجوع والمواء الاصفر ٢٥٠٠ هندي في ٤٨ ساعة في كودره وحدها . ومات في دواد ٣٠٠٠ هندي في ٤٨ ساعة فقط . ومات في بومباي ٤٠٠٠ هندي في يوم واحد . وقد غصت المستشفيات بالجثث حتى اصبحوا يضعونها بعضها فوق بعض امام المرضى حتى تاتي نوبة احراقها لان الهنود يحرقون موتاهم كما لا يخفى . ونيران اتنهم في هذه الايام لا تنطفئ لكثرة ما يُحرق فيها . على انها وا اسفاه لا تحرق الا جلداً وعظاماً فقط لان الجوع يذيب اللحم في الاجسام ويجفف دماءها قبل ان تفارقها ارواحها . . »

هؤلاء هم التعساء الذين اردنا رفع صوتنا الضعيف من اجلهم في هذه المقالة . بشر بروح خالد مثلنا اجدبت ارضهم في هذا العام فاصبحوا يموتون الوفاً الوفاً . نعم ان اللورد كرزون حاكم الهند صنع ما في استطاعته صنعه لجمع الاعانات واستدعى الاطباء واستاجر السفن والقوافل لنقل المؤن . نعم ان مدينة لندن وحدها قد جمعت الى الآن اكثر من ٣٠٠ الف جنيه اعانةً ولكن كل ذلك ليس بالقياس الى الهند الشاسعة الا بمثابة كاس من الماء تُصب في وادٍ عميق . فاذا كانت الانسانية في الهند تتعذب الآن الى هذا الحد فمن واجبات الانسانية ان تساعدها في كل مكان بقطع النظر عن السياسة والجنسية

وقد اوردنا هذه التفاصيل لما ذكرناه في حينه من تالف لجنتين في الاستانة والقاهرة لجمع اعانة لمنكوبي الهند المساكين استنفاراً للهمم الى مساعدة التعساء . ويقيننا ان اغنياء العثمانيين والمصريين يقومون بما يجب عليهم لاخوانهم في البشرية فيحققوا ما اشتهر عنهم من الكرم والسخاء . كما ان المامول من اغنياء العالم المتمدن واكابره ان يكونوا اكثر اهتماماً بالمصائب الهندية الهائلة بصرف النظر عن الصبغة السياسية والقومية والا فان المدنية والعلم والاخاء البشري وصنع الخير وحب القريب والتقدم العام — كل هذه لا تكون الا الفاظاً فارغة وكلاماً بكلام

اسكندر الكبير

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظايم الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

وصلنا في الجزء الماضي الى استياء الفتى اسكندر من ابيه فيليبوس وسفره بامه اوليا الى بلاد الايليريين . وبعد سفره زار ديماراتوس الكورنثي فيليبوس وهو صديقه فساله فيليبوس كيف حال اليونان وهل هم متفقون متحدون . وكان ديماراتوس لما بينه وبين فيليبوس من الوداد لا يكتم عنه افكاره فاجابه « ليس لك ان تطلب من رعيتك ان يكونوا متفقين متحدين اذا كنت مع عيلتك على غير اتحاد ولا وفاق »

فاثرت هذه الكلمة في نفس فيليبوس فارسل صديقه ديماراتوس الى الاسكندر فاسترضاه واعاده هو وامه الى وطنه

لكن لم يستمر اتفاق اسكندر وابيه زمناً طويلاً بعد ذلك فان بيكسودوروس ملك كاريا رام ان يحالف فيليبوس محالفة هجوم ودفاع فارسل يقترح عليه توطئة لذلك ان يزوج ابنته البكر الى « اريده » ابن فيليبوس . فدرى الاسكندر بهذا الاقتراح وادرك ان « اريده » اذا اقترن بابنة بيكسودوروس فانه يشد ازره بحليف عظيم يساعده بعد موت فيليبوس على ارتقاء عرش مكدونيا فيخسره الاسكندر . فاضطرب لذلك واتى الممثل الشهير تسالوس فعهد اليه امرًا يدل على شدة تاثير فن التمثيل في ذلك الزمان . ذلك انه طلب منه ان يسافر الى كاريا ويمثل على مسمع من بيسكودوروس رواية تكره اليه ازواج ابنته الى اريده الفتى « الفقيط » الضعيف وتحبب اليه ازواجها الى امير كبير كالاسكندر . فذهب الممثل وقام بمهمته . فاحل بيكسودوروس هذا الاقتراح محل الرضى . ولكن فيليبوس ابا الاسكندر درى بالامر فطلبه وعنفه اشد تعنيف لرغبته في محالفة رجل غريب دنيء ثم كتب الى الكورنثيين فارسلوا اليه ذلك الممثل مكبلاً بالقيود ونفى اربعة من اصدقاء الاسكندر لظنه انهم هم الذين اغروه بما صنع

وبعد زمن غير طويل حدث النزاع بين فيليبوس وبوسانياس فاهانه فيليبوس وضغط عليه الى حد اخرجه عن هداه فهجم على فيليبوس وقتله . ومن الكتاب من يتهم اوليبا

زوجة فيليبوس بانها هي التي حرضت بوسانياس على قتله ومنهم من يُشرك معها في الجناية ابنها الاسكندر نفسه · وقد خلف هذا اباه على عرش مكدونيا في سنة ٣٣٦ قبل الميلاد وعمره ٢١ سنة

وكان الاضطراب سائدًا يومئذٍ في مملكة اليونان · نعم ان فيليبوس كان قد اخضعها ولكنه توفي دون ان يخمد اضطرابها و ينظم شؤونها فكانت دلائل الفتنة والاضطراب بادية في كل مكان فيها · ولذلك اشار بعض المشيرين على الاسكندر بان لا يكون شديد الوطأة عليها بل ان يحسن معاملتها فيستميلها باللطف والتؤدة · ولكن نفس الاسكندر القوية كانت تكره الخضوع لاحد فعزم على كبح جماح كل ثائر بالقوة اعتقادًا منه بانه اذا اتبع سياسة اللطف والتؤدة حسبوا ذلك منه ضعفًا وخوفًا لا حلمًا وكرمًا فيقوموا الى الثورة قومة واحدة

فجيش في بدء الامر جيشًا وزحف به الى نهر ايستر (الدانوب) لاخضاع الذين شقوا عصا الطاعة في تلك الجهات · فاخمد الثورة وكسر سيرموس ملك التريباليين في معركة كبرى · الا انه لم يفرغ منهم حتى بلغه خبر ثورة ثيبة العظيمة وان الاثينيين يشدون ازرها فكر راجعًا اليهم ليذيقهم بأسه · و بعد ان عبر مضيق الترمو بيل قال هذا الفتى العظيم لقواده « انني لما زحفت بالجند على الايليريين والتريباليين سماني الخطيب ذيموستينوس ولدًا صغيرًا · ولما صرت في تساليا سماني شابًا فانا متى اضحيت غدًا تحت اسوار اثينا ساجعله يسميني رجلاً » فما اعظم هذا الكبر من فتى عمره ٢١ عامًا

ولما اصبح الاسكندر تحت اسوار ثيبة اراد ان يتخذ الحلم سبيلاً مع اهلها فوعدهم بالعفو منهم اذا دفعوا اليه الزعيمين اللذين استثاراهم الى الفتنة فاجاب الثيبيون انهم لا يكفون عن الحرب الا على شرطين ان يدفع اليهم الاسكندر رجلين يحرضانه عليهم وان يعلن في اليونان كلها ان من يطلب تحرير اليونان فلينضم الى اهالي ثيبة

فادرك اسكندر حينئذٍ انه لا يجدي مع الثيبيين امر غير الحسام فهاجمهم بجميع قواه فدافعوا عن انفسهم اشد دفاع · ولكن كان في حصن ثيبة حامية مكدونية فخرجت من الحصن وجاءتهم من وراء ظهورهم فاصبح الثيبيون بين حربين واحدة من خلف و واحدة من امام فقاتلوا قتال الابطال حتى كادوا يفنون · و بعد فتح المدينة نهبها جنود الاسكندر وقد تركهم ينهبونها لان محالفيه كانوا يطلبون ذلك بالحاح ولانه اراد معاقبة الثيبيين عقابًا يكون عبرة لسائر اليونانيين · وقد قُتل من الثيبيين في هذا القتال ٦ الاف رجل و باع

الاسكندر من بقي منهم وعددهم ٣٠ الف رجل · ولم يعف الا عن كهنتهم وعن الثيبيين الذين كانوا موالين للمكدونيين ومقاومين الثورة

على ان الاسكندر عفا عن اثينا بعد فتح ثيبة كأن الدماء بردت غضبه كما تبرد غضب الاسود او كأنه ارتاع من فظاعة عمله في ثيبة فاراد ان يعمل عملاً حميداً في اثينا · وقد ندم في ايامه التالية على ما صنعه بثيبة وكان كلما اصيب بمكروه في حياته قال انه ما اصيب به الا تكفيراً عن فظائع ثيبة · وكلما افتكر في تلك الفظائع كان يلبث مبهوتاً نادماً

وبعد عفوه عن اثينا اصبح اليونان في خوف من بأس داريوس ملك الفرس وقد اجتمعوا في برزخ كورنثيوس فقر رأيهم على ان يجعلوا الاسكندر قائداً لهم للحملة على داريوس · فرضي الاسكندر وسار الى كورنثيوس فزاره فيها الفلاسفة ورجال السياسة ليشكروه ويكرموه · فسرَّ اسكندر باكرامهم ومنَّى نفسه بزيارة الفيلسوف ديوجينوس الشهير الذي كان في تلك المدينة · ولكن ديوجينوس لم ينقل قدماً اليه فعمل الاسكندر طبقاً للمثل القائل : من لم يأتِ اليك فرح اليه · فقصد ديوجينوس ضواحي المدينة وكان هذا الفيلسوف جالساً في الشمس مفكراً · فلما دنا منه اسكندر بحاشيته الكثيرة رفع ديوجينوس راسه قليلاً ولبث ناظراً الى الاسكندر · فحياه اسكندر وساله ماذا تطلب يا ديوجينوس · فاجاب الفيلسوف بالعبارة المشهورة « اطلب ان تحيد عن شمسي » ذلك ان الاسكندر وقف بينه وبين الشمس فحال دون وقوع نورها عليه · فاعجب الاسكندر بما في جواب ديوجينوس من العظمة · اما ضباطه وحاشيته فاخذوا يستخفون بالفيلسوف فالتفت اليهم الاسكندر وقال « لا تستخفوا به فانني لو لم اكن اسكندر لفضلت ان اكون ديوجينوس » وهذا اعظم اكرام للفلسفة

وقبل زحفه بالحملة الى آسيا اراد استشارة الالهة جرياً على عادات اليونان في ذلك الاوان فسار الى دلف فرفضت الكاهنة ان تسير الى الهيكل لاستشارة الاله لان الاستشارة كانت محرمة في ذلك الشهر فساقها اسكندر الى الهيكل بالرغم عنها فلما دخلته صاحت قائلة « يابنيَّ انت لا تُغلب » فقال الاسكندر حينئذ كفى كفى رضيت بهذه النبوَّة وقد اعتبر كلمة الكاهنة تنبأ بانه سيكون ظافراً

ويعتقد اليونانيون ان الالهة ارسلت الى اسكندر انباء اخرى غير هذا النبأ تخبره بانه سيكون الظافر على اعدائه · منها ان صنم اورفه اشهر موسيقي القرون المتقدمة قد

تضع ماء حين زيارة الاسكندر فتشاءم بعضهم من هذا الامر ولكن صديقاً للاسكندر فسره له بانه سيعمل في ملكه من الاعمال العظام ما يتعب الشعراء والموسيقيين وصفها وانشاد ما يقال فيها حتى يعرقوا من التعب . وفي الحقيقة ان هذا التفسير الغريب لا يخلو من فكاهة

ثم بدأ الاسكندر بحملته الشهيرة على الفرس ويقدر اشد المؤرخين مغالاة عدد جنودها باربعة وثلاثين الفاً من المشاة و٤ الاف من الفرسان . ولم يصحب من المؤونة الا ما يكفيه شهراً ومن النقود الا النزر اليسير . وقبل سفره فرق كثيراً من امواله واملاكه على اصدقائه حتى اوشك ان لا يبقي لنفسه شيئاً . فصاح به بردبكاس « ماذا ابقيت لنفسك ايها الامير فقد فرقت علينا كل شيء » . فاجاب الاسكندر بهذه الكلمة العظيمة — ابقيت لنفسي الامل

نعم لقد صدق الاسكندر فان الامل اعظم من كل شيء في هذا العالم بل اعظم من العالم

فاجابه حينئذٍ بردبكاس . اذا كنت تبقي لنفسك الامل فاننا نود ان نبقيه لانفسنا ايضاً . قال هذا ورفض الهدايا التي اهداها اسكندر اليه . فحذا حذوه كثيرون من رفقائه فارتاح الاسكندر الى كبر نفوسهم واعطى الاموال التي رفضوها الى سواهم

ثم زحف اسكندر بجنوده الى آسيا فعبر الهلسبونت (الدردنيل) وكان قواد داريوس ينتظرونه عند نهر الغرانيك ليمنعوه من العبور الى بلادهم وقد صفوا جنودهم على شاطىء النهر ليلقوه بها حين عبوره

فرأى قواد اسكندر صعوبة هذا الامر فحاولوا صرفه عنه فراراً من خطر لقاء الفرس قبل الخروج من النهر . وقال له بعضهم ان عبور النهر محرم في ذلك الشهر فامر اسكندر بتغيير اسم الشهر وقال للقواد « ان خوفنا من عبور الغرانيك بعد عبور الدردنيل اهانة للدردنيل » قال هذا ثم القى بنفسه مع فرسه الى النهر فتبعه فرسانه يقصدون العدو على الشاطىء الثاني

وكان النهر طاغياً ونبال الفرس تهطل حوله كالمطر الهاطل فلقي اسكندر في عبوره بلاء وجهداً حتى انه كاد يغرق فيه . ولما وصل الى الشاطىء الثاني كان قد اعياه التعب هو وفرسانه

وكان الفرس ينتظرونه بفرسانهم فلم يمهلوه ان يخرج من المياه بل بادروه بالطعان بالحراب والسيوف وهم يصرخون صراخاً هائلاً فالتقتهم فرسان الاسكندر وهي على غير نظام . واحاط بالاسكندر اعداؤه وقد عرفوه من لباسه فكادوا يفتكون بحياته . وكان موقفه في تلك الساعة حرجاً جداً

الا انه بينما كان يحارب الفرس بفرسانه اخذت مشاته تعبر النهر ثم لما فرغت من ذلك هجمت على مشاة الفرس هجمة صادقة فلم يثبت الفرس طويلاً بل ولوا الادبار الا المسترزقة من اليونانيين الذين كانوا متطوعين بالاجرة في جيش الفرس فانهم لجأوا الى اكمة هناك وحاربوا المكدونيين عليها

ويقدرون عدد قتلى الفرس في هذه المعركة التي انتهت بانتصار الاسكندر بعشرين الف رجل من المشاة والفي فارس وعدد قتلى جيش اسكندر باربعة وثلاثين رجلاً فقط كما رواه اريسطوبولس . وكان عدد جيش اسكندر لا يتجاوز الاربعين الفاً كما قدمنا وعدد جيش الفرس ٦٠٠ الف رجل وهذا من الغرابة باعظم مكان

وكان من نتيجة هذا النصر ان مدينة سارد عاصمة ثغور الامبراطورية الفارسية سلمت الى الاسكندر هي وغيرها من المدن فازداد اليونانيون جرأة . ولكن اسكندر تردد بين خطتين . الاولى ان يغتنم فرصة تضعضع الجيش الفارسي ويقصد داريوس فيقضي على ملكه والثانية ان يستولي على شواطىء الامبراطورية الفارسية قبل دخوله الى فليا . على انه ما لبث ان اختار الخطة الثانية على الاولى لانه كره ان يخاطر بالمستقبل في معركة كبيرة اذ لو غُلب مرة فانه لا تقوم له بعد ذلك قائمة وخاف ان يزحف قواد الفرس وراءه بعد زحفه الى داخل بلادهم فيصبح بين عدوين ولذلك اختار فتح الثغور الفارسية

ففتح الاسكندر بنفيليا ثم اخضع البيزيديين وسار من غورديوم الى بافلاغونيا وكبدوسه ففتحها . فبلغته حينئذ وفاة ممنون القائد الفارسي الذي كان يخشى الاسكندر بأسه من جهة الثغور فرأى حينئذ ان يزحف الى اعالي الولايات بعد أمنه الهجوم من الشواطىء . وكان داريوس يومئذ في « سوزه » يستعد للقاء الاسكندر وهو واثق بالنصر اتكالاً على كثرة عدد جيشه وعلى حلم رآه وهو ان اسكندر يخدم في جملة خدامه . وقد اراد الزحف اليه بجنوده فعارضه رجل فرّ من مكدونيا واسمه امينتاس واشار عليه بان يبقى حيث هو فاذا زحف اليه الاسكندر لقي جيشه القليل بجيشه الكثير في السهل فتمكن منه اما اذا زحف هو الى حيث الاسكندر في مضائق الجبال والوديان فانه يُفقد بذلك

الجيش الفارسي مزية من مزاياه الحربية فقال له داريوس « اخاف ان يفرّ الاسكندر من يدي » فضحك المكدوني وقال . « اذا كنت يا ايها المولى لاتعرفه فانا اعرفه ولاشك عندي انه الآن زاحف اليك لانه يتلهب شوقاً الى لقائك » وفي الحقيقة ان اسكندر كان في ذلك الوقت زاحفاً اليه

أما داريوس فلم يقنعه هذا الكلام فزحف بجيش عرمرم الى جهة سوريا للقاء الاسكندر ولكن من سوء حظه انه سار في طريق غير الطريق التي سلكها الجيش اليوناني فاجتاز احدهما الآخر في ظلام الليل دون ان يدري بصاحبه . ولكن اسكندر علم في اليوم الثاني بانه اجتاز جيش داريوس فكر راجعاً اليه ليلتقي به في المضائق بدل السهول فوجده قرب مدينة « اوسوس » احدى مدائن سيليسيا القديمة وهناك جرت بينهما المعركة الشهيرة

ومن حسن حظ الاسكندر ان جيشه حين وصوله الى جيش داريوس وقع على مركز عسكري اقوى من مركز خصمه . وفوق ذلك فان اسكندر تفنن في صف جنوده في هذه المعركة . والى مراكزهم وحسن قيادتهم وادارتهم مدة القتال يُنسب النصر العظيم الذي ناله عليهم . ومع ان عدد الفرس كان اضعاف عدد جنوده فانه لم يتركهم قط ان يحيطوا به او يحصروه وقد جُرح اسكندر في هذه المعركة في فخذه وبلغ عدد قتلى الفرس فيها مائة وعشرة الاف رجل اي اضعاف جميع الجند اليوناني ثلاث مرات

وقبل هذه المعركة عمل الاسكندر عملاً يدل على عظمة الثقة وعلو شان الصداقة . فانه استحمّ يوماً من الايام على ما يقال في نهر السندوس الذي ماؤُه ابرد من الثلج فاصيب بمرض ولعله الروماتزم . فاقعده هذا المرض في خيمته دون ان يقدم اطباؤُه على وصف علاج له مخافة ان يصيبه شر فتقوم عليهم قيامة جنوده . وكان لاسكندر طبيب اول يدعى فيليب وهو صديقه وموضع ثقته فاخذ هذا الرجل على نفسه شفاء مولاه فاعد علاجاً جديداً قوياً لمعالجته به

وقبل دخوله عليه بهذا العلاج ورد على الاسكندر من المعسكر كتاب يقول فيه كاتبه ان الطبيب فيليب يتآمر مع الملك داريوس على حياة الاسكندر وقد وعد هذا الطبيب ذلك الملك بانه يفتك بحياته في وقت قريب . فليحذر الامير اسكندر . فاخذ اسكندر هذا الكتاب ووضعه تحت وسادته

واتفق حينئذٍ دخول الطبيب فيليب عليه وفي يده دواؤُه الجديد الذي اشرنا اليه ووراءه جميع اطباء الملك فدنا فيليب من فراش اسكندر وقال . خذ يامولاي هذا

الداء الجديد فانه يشفيكم من كل علة · فدا اسكندر يده واخرج الكتاب المذكور من تحت وسادته ثم ناوله الى طبيبه بالشمال وتناول منه كاس الدواء باليمين · وقبل ان يفتح الطبيب فيليب ذلك الكتاب و ينظر فيه أدنى اسكندر كاس الدواء من فمه وافرغه فيه مثبتاً بذلك عظم ثقته بطبيبه وصديقه · وفي الحقيقة ان عملاً عظيماً كهذا العمل ليس في امكان احد ان يعمله غير الاسكندر ومن كان بعظمة نفسه وشدة ثقته يهاو بالمقربين منهاء ويحسب الفلاسفة وعلماء الاداب هذا العمل الذي عمله الاسكندر من اسمى اعماله لانه به شرّف الصداقة والثقة واعلى شانهما في هذا العالم

اما الطبيب فانه انطرح على قدمي اسكندر يرجوه ان لا يسمع فيه اقوال الوشاة فاجابه لو كنت سمعت ذلك لما كنت قد شربت علاجك

و بعد انتصار اليونان على الفرس اخذ المكدونيون ينهبون الجيش المغلوب · ولكن داريوس كان قد امر بارسال كل شيء نفيس الى دمشق الشام فلم يجد المكدونيون كثيراً من النفائس في جيش فارس · انما وجدوا فيها خيمة داريوس فدخلها الاسكندر وجلس فيها في مجلس داريوس معجباً بزينتها وجمالها · وقال ضاحكاً « هل ان الملك عندهم ان يجلس الانسان في هذا المجلس » وقد اراد به ان الملك لا يكون ملكاً بمجلسه او بزينته ولكن باعماله

وقبل ان يجلس على المائدة ليستريح من معركة النهار اتاه رسول يبلغه انهم وجدوا امرأة داريوس وابنته في جملة الاسرى وانهما بكتا ولطمتا حينما رأتا خيمة الملك داريوس ظناً منهما انه قد قُتل فارسل الاسكندر اليهما من يسكن خاطرهما و يبلغهما ان الملك لا يزال حياً · قال فلوطرخوس وقد اكرمها وبالغ في ذلك حتى اذن لهما ان تدفنا من قتلى الفرس كل من ارادتا دفنه · ولكن بعض الكتاب المحدثين ينكرون على فلوطرخوس ان يكون الاسكندر قد اذن بذلك لابنة داريوس و زوجته لان الفرس كانوا لا يدفنون من موتاهم وقتلاهم غير الملوك فقط

وامر اسكندر فوضعت هاتان الملكتان في مكان امين واحاطهما بكل اكرام واحترام حتى انهما ما كانتا تسمعان كلمة تخدش الخاطر او تسوء الادب بشيء · بل ما كانتا تريان احداً او يراهما احد · وكانتا رائعتي الجمال ولكن اسكندر لم يأذن لاحد ان يذكر جمالهما امامه ولم يشأ ان يقابلهما

ذلك ان هذا الرجل او بالحري هذا الشاب كان نزيه النفس لا يفكر الا بالاعمال

العظيمة التي اقدم عليها فكانت تستغرق جميع اوقاته واميالة · وكان نزيهاً بالطبع فكان اذا ابصر اسيرات الفرس وشاهد جمالهن الرائع قال لمن حوله « ان نساء الفرس فتنة للناظرين» ولكي لا يقع في هذه الفتنة كان اذا مرَّ بهن يمر وهو مطرق الى الارض كأن الواقفات بازائه تماثيل جميلة لا اجسام بشرية

ومما لا يجدر اغفاله في هذا المقام تبياناً لشرف نفس اسكندر ان « فيلوكسين » عامله في الولايات الساحلية ارسل اليه يوماً من الايام يقول له « ان رجلاً من التتر يعرض للبيع غلامين بارعي الجمال فهل يريد الملك ان اشتريهما له » فغضب اسكندر اشد غضب وصاح « اي عمل دنيء راى فيلوكسين اني عملته حتى يراني اهلاً لان يُقترح عليَّ مثل هذا الاقتراح » وبلغه في ذات يوم ان جنديين من جنود مكدونيا اغتصبا امراة فامر باعدامهما في الحال فاعدما كما تُعدم الوحوش الضارية · ذلك لانه كان شديداً جداً فيما يختص بالعرض والنوم· فاذا نام احد كان قد وكل اليه ان يسهر على امر او انتهك حرمةً فانه يعاقبه بلا رحمة اعتباراً ان النوم دليل الاهمال والكسل وانتهاك الحرمة دليل الدناءة واللؤم والخيانة

وكان غير شره ولا نهم · فان الملكة آده التي ولاها شؤون كاريا كانت تبعث اليه دائماً بالاطعمة اللذيذة والحلوى المختلفة مع مهرة الطباخين استرضاء له فارسل يقول لها انه في غنى عن هؤلاء الطباخين لان معلمه ليونيداس منحه طباخين هما امهر الطباخين « الاول طباخ لطعام الظهر وهو التنزه قبل بزوغ الصباح · والثاني طباخ لطعام المساء وهو غداء قليل » · وكان يقول ايضاً ان معلمه هذا كان يزور في كل ليلة فراشه ليرى اذا كانت امه قد فرشت له عليه شيئاً ليناً خلافاً للعادة · وكان غرضه من ذلك تعويده من صغر معيشة الشظف والاحتمال وهي المعيشة التي تنشئ رجالاً خلافاً لمعيشة الترف والنعمة

اما الخمر فانه كان يشرب منها اقل مما ظنه بعضهم · وانما نسبوا اليه الاكثار من الخمر لانه كان يطيل الجلوس على المائدة · وما دروا ان غرضه من ذلك كان المحادثة بعد الطعام لولعه بها لا تناول المسكرات · وكان حريصاً على جعل مائدته كما يجب ان تكون مائدة ملك وامير ويراقب بنفسه توزيع الطعام بالسواء على الجالسين · وكان يبلغ عددهم عادةً ٧٠ رجلاً · وينفق على مائدته في كل وقعة ١٠ الاف دراخمة · وكان لطيفاً جداً على الطعام انما كان كثير المباهاة والافتخار بنفسه الى حد كان جلاسه عنده يمجون سماع ذلك

منه وكان يسمع لملاقيه كثيرًا و يلذ له ملقهم وكذبهم

هذا و بعد استراحة الاسكندر وجيشه بعض الاستراحة زحف به لفتح سوريا وفلسطين ومصر وسيرد الكلام على ذلك في الجزء التالي

زيارة المعرض في يوم واحد

وغرائب الملاهي التي فيه

تخرج السفن من موانىء الغرب والشرق في هذا العام غاصة بالمسافرين الى باريز لمشاهدة معرضها العام · فهولاء المسافرون الى المعرض او الذين ينوون من القراء السفر اليه هم في غنى عن قراءة هذا الفصل · اما الذين تقضي عليهم اشغالهم بعدم السفر فجدير بهم ان يقرأوه اذا شاأوا ان يرسموا في اذهانهم صورة اجمالية للمعرض

ورغبة في جعل هذه الصورة واضحة ثابتة نسير بالقارىء في جميع اجزاء المعرض فنشاهدها معه في يوم واحد ابتداء من الساعة التاسعة صباحًا الى الساعة السادسة ونصف مساء · على انه يلزم عادةً لمشاهدة المعرض حق مشاهدته والوقوف على اهم شؤونه شهر كامل على الاقل اذا زاره الانسان زيارة يومية متتالية · ولكننا نحن الآن في ضيق من الوقت والمجال ولذلك نمشي على عجل فليشمر القارىء وليتبعنا

الساعة التاسعة صباحًا — نستأجر اولاً مركبة الى مدخل المعرض من باب الشان اليزه في شارع نيقولا الثاني · ومتى وصلنا ندخل من هذا الباب الى الشارع الجديد فنجد الى يميننا « القصر الكبير » والى يسارنا « القصر الصغير » وكلاهما معرضان للفنون الجميلة فنقف هنيهة لنتمتع بمنظر ذلك الشارع الجميل

الساعة ٩ والدقيقة ١٥ — ثم ندخل الى القصر الكبير من باب الوسط لمشاهدة السلم الكبيرة التي فيه وهي آية في حسن النقش ثم نجول جولة فيه ونخرج من حيث دخلنا

الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ — و بعد ذلك ندخل الى القصر الصغير فننظر نظرة الى قاعتيه الجميلتين المعروضة فيها ابهى الصور والرسوم · ثم نعود بسرعة لئلا يفوتنا الوقت · فنسير في طريقنا على ضفة نهر السين اليمنى الى « قسم مدينة باريز »

الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ — فنصل الى معرض الزراعة والازهار والاثمار وهو آية في

الجمال و بازائه معرض الاقتصاد السياسي

الساعة ١١ — وفي الساعة ١١ نصل الى « معرض باريز القديمة » الذي تُمثل فيه حالة باريز في القرون الماضية

الساعة ١١ والدقيقة ١٠ ـ ثم نصل الى « قسم التروكاديرو » الذي فيه معارض المستعمرات الفرنسوية والاجنبية من هندية وصينية وسيبيرية وترانسفالية وتونسية وجزائرية وهلم جرا ٠ اما مصر فلم توضع بين المستعمرات لئلا يُغضب ذلك الدولة العلية ولم توضع في قسم الدولة لئلا يُغضب ذلك انكلترا بل وُضعت على حدة بصورة استثنائية

ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل فلنمضِ في سبيلنا نزولاً نحو نهر السين مارين بين البنائين الجزائريين

الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ — فنصل الى جسر «نا قبل الظهر بعشر دقائق فنعرج حينئذٍ هناك على مطعم بازاء برج ايفل لنتغدى ٠ ولا نستطيع الآن الصعود الى البرج لمشاهدة باريز منه لاننا مسرعون كما قدمنا ٠ وهكذا نأكل بسرعة لقمة في الفم ولقمة في الاذن كما جاء في المثل العامي وننهض عن المائدة في الساعة ١٢ والدقيقة ١٥

الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ — فنزور حينئذٍ الشان دي مارس مبتدئين من الجانب الايمن بمعرض العلوم والفنون والآداب ومعرض وسائل النقل ثم نصل الى معرض الصنائع الكيماوية ونخرج بعد ذلك من الباب الذي هناك يشرف على حديقة المعرض

الساعة ١ والدقيقة ٣٠ — فنصل الى شلال قصر المياه ومعرض الكهربائية ثم نعود الى جانب السين الايمن فنشاهد معرض صناعات الغزل ومعرض المعادن

الساعة ٢ والدقيقة ٥٠ — وحينئذٍ نكون على السين فلنركب هناك السكة الحديدية او فلنقف على الرصيف الدائر فنصل الى جسر يينا حيث تبتدئ معارض الدول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ — وبما اننا لا نستطيع لضيق الوقت ان ندخل كل قسم من اقسام الدول فنكتفي بالمرور على شاطئ السين لنشاهد منه على وجه الاجمال تلك الاقسام الجميلة بين عثماني وروسي وانكليزي وفرنسوي والماني وهلم جرا

الساعة ٤ والدقيقة ١٥ — ثم نمر في طريقنا على قسم المؤتمرات وقسم معرض باريز الزراعي والاتقاليد والاقسام التابعة للمعرض هناك

الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ — وبعد ذلك نصل الى جسر اسكندر الثالث وهو من اعظم اثار المعرض وهنا يجب ان نسير رويداً رويداً لنتمتع النظر بالمناظر الباهرة التي تُرى من



﴿ برج ايفل ﴾

هذا الجسر

الساعة ٦ — وقبل الخروج من دوائر المعرض التفت لتنظر اجماله نظرة اجمالية كما نظرته تفصيلاً فان منظره من هذه الجهة جدير بالالتفات لروائه وبهائه

الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ — وفي هذه الساعة لك ان تخرج من رتاج المعرض العظيم (بابه الكبير) الذي هو من افخم ابنيته واعظمها نقشاً واتقنها صنعاً

هكذا يُزار معرض باريز في يوم واحد لرسم صورة اجمالية منه في الذهن . بقي علينا ان ننظر ما فيه من الغرائب الفكاهية

برج ايفل — ففيه أولاً برج ايفل الشهير وقد بني لمعرض سنة ١٨٨٩ وعلوه ٣٠٠

متر وهو مصنوع من الحديد طبقات طبقات وصانعه المهندس ايفل الفرنسوي وداخله المنازل والفنادق والادوات فكانه مدينة مستقلة بنفسها ويصعد اليه في مراقٍ لوليبة استبدلوها في العام الماضي بمراقٍ جديدة فانفقوا عليها وعلى اصلاح هذا البرج ودهنه بالبوبا البيضاء ما قيمته مليون و٨٠٠ الف فرنك. واكثر الذين يزورون المعرض يصعدون اليه لمشاهدة باريز من علوه الشاهق على ان مراقيه تُصعد في الساعة التي تخص اي اكثر من ٣٠ الف نفس في النهار . واجرة الصعود اليه اقلها خمسون سنتيماً واكثرها فرنكان

الكرة السماوية — وثانية غرائب المعرض الكرة السماوية وهي كرة عظيمة قطرها ٤٥ مترًا قائمة على اربع قوائم حديدية مرسوم عليها بعض الاجرام السموية بحسب مواقعها وباطنها مجوف فيه جرم يمثل الارض يدور حوله جرم يمثل القمر وهو يدور حول جرم ثالث كبير يمثل الشمس باسلوب بديع تظهر فيه الحركات الشمسية والقمرية والارضية حتى الكسوف والخسوف لان هذه الاجرام تكون مُنارة بالنور الكربائي ويكون لها منظر ابهر العيون

الطواف حول الارض — والطواف حول الارض من غرائب المعرض ايضاً ذلك انه يوجد قرب السين قاعة فيها رسوم في منتهى الاتقان تمثل جميع بلدان العالم واخصها نسيج طوله ٢٠٠ متر في مثلها عرضاً رُسمت عليه بواخر المساجري وهي تنقل المسافرين حول الكرة الارضية فترى جميع البلدان مرسومة امامك كانك سائح فيها

السفر وانت جالس — ولكن اغرب من ذلك كله ان تسافر في البحر فترى امواجه هائجة والسفينة منخفضة وصاعدة وتسمع اصوات الزوابع وتشم رائحة البحر وترى نفسك سائرًا بسرعة شديدة والبحارة يهتمون بالحبال والسفينة . — كل ذلك وانت في الحقيقة جالس على كرسي في وسط غرفة في المعرض . وسبب ذلك انهم يجلسونك على مرسح يمثل سفينة تتحرك ثم انهم بحركات مدبرة متناسبة ينشرون على الجدران رسوماً مريعة الحركة تمثل المناظر التي رأيتها فتحسب نفسك لشدة اتقان التمثيل انك سائر في البحر ترى حقيقة لا خيالاً

قصر الآلة الفلكية — وقد ذكرنا شيئاً في احد الاعداد السابقة عن التلسكوب العظيم الذي يعرضونه في هذا القصر وهو التلسكوب الذي قال العامة فيه انه يرينا القمر كانه على بعد متر واحد . ومما يجدر ذكره ان النظر من هذا التلسكوب الى اجرام السماء مباح لكل

انسان حتى ابسط الزائرين . وفوق ذلك ان المسيو ديلونكل صانع هذا التلسكوب يُري الزائرين فيه ما لم تره عينان قبل الان . يريهم الزوابع تعصف في الهواء ومخلوقات غريبة هائلة تدب في الاجرام السموية و يريهم في نقطة ماء بحرًا خضماً تسبح فيه وحوش هائلة وفي الفضاء مناظر عجيبة غريبة لم يتمثل التصور مثلها . هذا ما عدا رؤيتهم الاجرام السموية وانتظامها البديع

قصر الاحتفالات — ومن ملاهي المعرض قصر الاحتفالات او الاعياد سمي كذلك لانه يتضمن المراسح والاندية الموسيقية . وفيه الآن اكبر مرسح في العالم لانه يسع ١٥ الف شخص والحكومة الفرنسوية تشدد المراقبة الادبية على الروايات التي تمثل فيه لانها تمثل امام الاجانب

وفي المعرض من الملاهي ايضاً قصر النور الذي ينار بلوره بالانوار الكهربائية بصورة تدهش النواظر . وقصر المياه الذي تنفجر مياهه تمازجها دقائق النور بصورة تخطف الابصار والرصيف الدوار الذي يطوف بالواقفين عليه والدولاب الهوائي العظيم الذي يحسب راكبه انه يسوح سياحة في الفضاء والسينماتوغراف والبانوراما على اختلاف مناظرها وكلها مما يقف لديه الانسان مبهوتاً مدهوشاً . هذا ما عدا الملاهي الخاصة باقسام الدول الاجنبية مثل ملاعب التمثيل والاندية الموسيقية وما اشبه

ولا يلوم العقلاء منشئي المعرض لاهتمامهم بالملاهي فيه الى هذا الحد فان ما في المعرض من الشؤون الجدية بين امور صناعية و زراعية وتجارية وعلمية وادبية واجتماعية لاتكون تلك الامور الهزلية بالنسبة اليها شيئاً مذكورًا . وما عدا هذا فان الناس كلهم ليسوا في درجة واحدة من العقل والفهم والمعارض يجب ان تكون على قدر افهامهم . فمنهم من يحسبها كتاباً يقرأ فيه اسمى ايات الاخاء البشري والوداد الدولي . ومنهم من يحسبها مخزنًا كبيرًا يستفيد منه صناعة وتجارة وزراعة . ومنه من يحسبها العوبة فيلهو بها كما يلهو الولد بالعوبته . وبودنا ان يكون الشرقيون من الفريقين الاولين وان لا يكون فيهم من الفريق الثالث الا نفر قليل

باب تدبير الصحة

داء التدرن الرئوي

مستشفى لمرضاه في مصر
او سوريا

يموت مائة الف رجل في حرب كبيرة فتقوم قيامة الناس على الحروب ومثيري غبارها وسافكي الدماء فيها · وينشو وباء يموت فيه عشرون الف نفس فيستكبر الناس الخطب ويستعظمون المصاب · وما دروا ان بعض الامراض المألوفة يقتل في السنة الواحدة اضعاف اضعاف ما تقتله الحروب والاوبئة

هذا داء التدرن الرئوي او مرض السل فان الذين يموتون به في فرنسا فقط يبلغ عددهم ١٥٠ الف نفس في كل سنة · وقس على ذلك باقي البلدان مع حفظ النسبة بين اعتدالها وافراطها · فهل قُضي على الانسانية ان تبقى محصودة بمنجل هذا الداء الويل · ام وجد العلم طرقاً لشفائه · ولكن قبل الكلام عن ذلك فلنذكر شيئاً عن ميكروب هذا الداء

﴿ ميكروب التدرن ﴾ اكتشف الدكتور كوخ ان لداء التدرن ميكروباً خاصاً وذلك في سنة ١٨٨٢ غير ان الدكتور فيلمين الفرنسوي اثبت ان داء السل داء ينتقل بالعدوى قبل كوخ بسبع عشرة سنة اي في عام ١٨٦٥ وذلك بحقنه الحيوانات ببصاق المسلولين وظهور اعراض السل بعد ذلك فيها · وقد سمى الدكتور كوخ هذا الميكروب حين اكتشافه اياه « باسيل » وهي ماخوذة من الكلمة اللاتينية « باشلس » ومعناها القضيب لان هيئة هذا الميكروب مستطيلة قليلاً كالقضيب · وهي جرثومة حية متناهية في صغر الحجم كسائر الميكروبات لا يتجاوز طولها ٣ اجزاء من المليمتر اذا قُسم الى مليون جزء وتتوالد بالتجزوء كسائر الميكروبات · ومما هو جدير بالذكر انها سريعة النمو فربما اصبحت الجرثومة الواحدة منها في بضع ساعات الوفاً من الجراثيم وتمتاز عن كثير من الميكروبات بكونها تفرز سيالاً ساماً هو اصل الداء

❋ كيفية دخول الميكروب ❋ اما طرق انتقال ميكروب الداء فكثيرة اهمها شرب اللبن (الحليب) لوجود الجراثيم فيه بكثرة فان لم يغل غلياناً جيداً نقل الداء الى شاربيه . ثم اكل لحم البقر المسلولة لان البقر كثيرة الاصابة بهذا الداء ولذلك يجتنب كثيرون الاكل من لحمها . ثم انك لا ينبغي ان تخالط المرضى به وعلى الخصوص اذا كانوا قد تجاوزوا الدرجة الاولى لان الميكروب يكون في هذه الدرجة ضعيفاً لا يعدي . ويجب ان لا يبصق المرضى في الشوارع فان بصاقهم يجف بالغبار ثم تطير ميكروباته في الهواء فيستنشقها الناس ويصابون بالداء . وهذه اهم طريقة لنقل العدوى ولذلك كان من واجبات كل حكومة ان تمنع البصق في الشوارع والاماكن العمومية كما منع المجلس البلدي في نيويورك في الشهر الماضي حفظاً للصحة العمومية لامن هذا الداء فقط بل من جميع الادواء

❋ بعد دخول الميكروب ❋ ولكن من حسن حظ الانسان ان الطبيعة قد تدبرت في وقايته من امور كهذه الامور فان الميكروبات حين يستنشقها الانسان تمر بانفه وعند مدخل الانف كما هو معلوم شعر يعيق بعضها عن الدخول ثم عند المدخل الداخلي سيال يلتقط ما بقي منها . وحين تراكم تلك الاوساخ في الانف يأخذ الانسان منديله وينفضها فيه دفعة واحدة . ولذلك قال الاطباء انه لا ينبغي ان يتنفس الانسان من الفم لئلا تدخل الفضول والجراثيم رأساً الى الشعب الرئوية . فيكون الانف والحالة هذه بمثابة « منخل » يمر منه الهواء وتعلق به الفضول

ولكن قد يحتمل ان هذه الميكروبات تتمكن من عبور الانف والنزول الى باطن الجسم . فهل قضي على الانسان حينئذٍ باصابته بالتدرن الرئوي ؟

كلا . لان هذه الميكروبات تعلق بالشعب الرئوية التي هي مما يلي الرئة فتبقى فيها وحينئذٍ فاسعل قليلاً واتفل تخرجها شيئاً فشيئاً

هذا اذا بقيت الشعب سليمة ولكن اذا فتح الميكروب ثغرة في هذه الشعب ودخل الى الرئة وعشش فيها اصبح الامر خطيراً . ولكن هل يستوجب ذلك اصابة الانسان بالمرض ايضاً

كلا . فان في الرئة بل في كل دم الانسان جراثيم حية تتغذى من الفضول والجراثيم الداخلة اليها من الخارج . فاول ما يدخل ميكروب التدرن الى الرئة تبادر جراثيم الجسم

الى هذه الجراثيم الغريبة لا كلها فينشب قتال بين الفريقين . فاذا كان دم الانسان قويّاً وبنيته صحيحة وصحته جيدة قويت جرثومة الدم على الجراثيم الغريبة فابتلعتها وهضمتها وخلصت الجسم من شرها . ولكن اذا كانت عكس ذلك اي ضعيفة عاجزة قويت عليها جراثيم المرض فمشت في الرئة وتولدت التولد السريع الذي ذكرناه

فيكون المانع الاكبر من اصابة الانسان بالتدرن الرئوي بل من جميع الامراض قوة البنية وجودة الصحة وخصب الدم . ولذلك فان هذا الداء اكثر ما يكون انتشاره بين العملة الذين يعملون في اماكن غير نقية الهواء او بين الطبقات الواطئة السيئة الغذاء

والآن فلنفرض ان هذا الميكروب القبيح استطاع عبور الانف ثم نفذ الى الشعب ومنها الى الرئة فالتقى فيها بجراثيم الصحة فقاتلها وتغلب عليها . هل قُضي الامر حينئذٍ وانقطع الرجاء من خلاص المصاب

﴿ الدواء ﴾ كلا فان هذا الداء الذي كان في الاعوام الماضية مما ترتجف له الابدان اصبح اليوم بفضل العلم داء قابلاً للشفاء التام اذا اتخذت له جميع الوسائل الصحية اللازمة . وهذا هو الغرض من انشاء هذا الفصل

ويسرنا هنا ان نقول ان مجلة « الطبيب » في بيروت قد اقترحت في احد اجزائها الماضية انشاء « مستشفى للمسلولين » ومن سوء الحظ ان اكثر جرائد سوريا فضلاً عن جرائد الاستانة ومصر لم تعضد هذا الاقتراح كما كان يجب ولعل ذلك لعدم قدرها قدر فنحن تأييداً له وتبياناً لمنافعه نقول كلمة في مستشفيات المسلولين التي هي الدواء الوحيد لهذا الداء

واول من انشأ هذه المستشفيات هم الالمانيون . فانهم انشأوا منها منذ ٥ سنوات ٢٥ مستشفى وهم آخذون الآن بانشاء ٢٥ مستشفى غيرها ومن غرائب شفائها انها تشفي ٩٥ في المائة من المرضى الذين يدخلون اليها في بدء مرضهم وهذا بمثابة شفائها المرض تماماً

وقد بنوها على ثلاثة قواعد

(١) الهواء النقي . فانهم يبنون المستشفيات خارج المدن في الغابات بين الاحراش ويجعلون الغرف المتطرفة الكثيرة الهواء غرفاً لنوم المرضى ويبقون نوافذها مفتوحة في الليل والنهار والصيف والشتاء ويحملونهم على قضاء اوقاتهم كلها تحت الاشجار في الهواء النقي

اذا كان الجو صاحياً والهواء دافئاً واذا كان الجو غير دافىء جعلوهم يجلسون في مجالس خصوصية بنوها لهم في الرياض وهي مستورة من جميع الجهات الا من جهة الجنوب . وهكذا يستنشقون الهواء النقي وهم يطالعون او يتحادثون اكثر النهار وعلى اجسامهم الملابس الدافئة اللازمة

(٢) حسن التغذية . فان المريض ينهض من النوم فيرتب فراشه ويستحم في حمام قريب « بالدوش » ثم ينزل الى قاعة الاكل فيتناول في وقعته الاولى ما شاء من اللبن (الحليب) والخبز والزبدة . ويتناول وقعة ثانية في الساعة التاسعة ونصف وهي كالوقعة الاولى . ثم يأتي وقت الغداء فيأكل ما شاء من الخبز واللحم المشوي والخضر والفاكهة واللبن ويشرب شيئاً من البيرة (الجعة) . وفي الساعة الرابعة يتناول الوقعة الثالثة وهي مؤلفة من اللبن (الحليب) والقهوة والخبز والزبدة . وفي الساعة السابعة يتناول الوقعة الرابعة وهي العشاء وطعامها كطعام الغداء . وفي كل هذه الوقعات يأكل المريض قدر ما يشاء كما ذكرنا

(٣) الراحة التامة . وبعد الطعام يذهبون جميعاً الى قاعة خصوصية فيغسلون افواههم واسنانهم بمحلول مطهر ثم يذهبون الى النزهة في الغابة بين الاشجار او في الحديقة او الى المطالعة في مكتبة المطالعة التي في المستشفى او الى النادي الموسيقي الذي فيه ايضاً. وبالجملة فان المرضى لا همَّ لهم الا استنشاق الهواء النقي دائماً والتغذي جيداً جيداً والراحة التامة المطلقة . هذا هو الدواء الوحيد لداء التدرن

وقد نجحت هذه المستشفيات في المانيا نجاحاً حمل جميع الامم على التشبه بها والنسج على منوالها فقامت تنشىء المستشفيات الصحية لمرضاها . فغير غريب ان تكون مجلة الطبيب قد اقترحت انشاء واحد منها في لبنان ذي الهواء العليل والماء النمير ولكن الغريب ان لا يُنشأ هذا المستشفى في وقت قريب

اما مصر فقد قرأنا يوماً في الجرائد المحلية ان شركة اوربية تنوي ان تقيم فيها مستشفى صحياً من هذا النوع ولكن لم نعد نسمع شيئاً عن تلك الشركة . ولا شبهة في ان هواء مصر موافق جداً لهذه المستشفيات على انه اذا انشىء مستشفى في مصر استغني به عن مستشفى لبنان . واذا انشىء مستشفى في لبنان استغني به عن مستشفى مصر . ولا ندري الآن من يكون السابق الى هذا العمل المفيد

كلمات زراعية

الزراعة في تونس

كتب من تونس عن زراعتها ما يلي

الشؤون الزراعية عندنا من اهم حاجات هذه البلاد لان البلاد التونسية بلاد زراعية والزراعة عندنا قد تقدمت تقدماً بعيداً . نعم ان اكثر الوطنيين لا يزالون جاهلين باصول الزراعة العلمية فيزرعون اراضيهم كما كانوا يزرعونها منذ ٥٠ سنة مثلاً ولكن كبار زراع الوطنيين وجميع زراع الاجانب الذين يتوافدون الى هذه الجهات كلهم يعملون بالقواعد العلمية في زراعاتهم فتزكو وتنمو نماء غريباً

وقد نفعتنا الابار الارتوازية في الجهات القاحلة الجدبة هنا نفعاً عظيماً ونحن نحفرها في كل مكان ليس فيه مياه فتتحول الارض بعد عدة سنوات من حفر هذه الابار الى جنائن غناء لانه حيثما كان الماء كان الخصب والسعة والخيرات

ولكن من الاسف اننا مع كل التسهيلات التي حدثت عندنا للزراعة لا يزال كثيرون من التونسيين معرضين عن هذه الصناعة مع انها حياة بلادهم الوحيدة . ويكفي ان ابرهن على صحة ذلك بقولي ان المدرسة الزراعية الكبرى التي انشئت عندنا لم يدخل اليها الا ٣ شبان من شباننا مع ان عدد التلامذة فيها من الفرنسويين والاجانب يزيد عن المائة . ونحن نعلم ان هذا التقصير في الشؤون العملية امر شائع بين جميع شبان الشرق ولكن الشبان في كبرهم اذا كانوا يعذرون لانهم لا يعملون الاعمال الصناعية والزراعية التي فيها حياة البلاد فما عذر ابائهم الذين لا يدخلونهم منذ صغرهم في المدارس الصناعية والزراعية ليربوا فيهم الميل الى استخراج خيرات الارض واسعاد انفسهم واهل وطنهم بجدهم واجتهادهم

ولو قابلنا بين هذه الحالة المحزنة وحالة الاجانب الذين يتوافدون الى بلادنا من كل صقع وناد لشراء الاراضي الزراعية وانشاء المزارع وبناء القرى فيها لتولانا اليأس من خمول اخواننا وتهجم الغرباء على اراضينا المخصبة لامتلاكها واستثمارها . ولكن يسرني ان اقول ان الحكومة الفرنسوية قد انتبهت الى هذا الداء ورأت من الواجب ان تتلافاه بتسهيل

واول ما نجيب به اننا لم ننسَ النساء في ما كتبناه الى الآن عن التربية والتعليم ذلك لاننا نعتبر ان الكلام في اصلاح التربية العائلية والتربية المدرسية كلام في تربية الفتيان والفتيات معاً . فاذا كان ذلك كذلك افنكون قد نسينا النساء

معاذ الله ان نتناساهن . معاذ الله ان ننسى ملكات الكون ورياحين الوجود اللواتي في ايديهن مستقبل الامم وازمة الشعوب لانهن مربيات الاجيال ومنشئات الرجال . وانما قصرنا الكلام على الرجال لان الكلام عنهم يشملهن ايضاً

ولكن لا مندوحة لنا عن الاعتراف بانه كان الاجدر بنا قصر الكلام على تربية النساء لان الكلام فيها اعم من الكلام على تربية الرجال لكونهن المربيات المثقفات . فاذا رُبين تربية حسنة استطعن ان يربين النسل كله كذلك . وهذا معنى قول « ايمه مارتين — متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال لان النساء يربينهم لا محالة . وقول روسو» كما يريد النساء يكون الرجال فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

وزيادةً في تفسير هذه العبارة وايضاح المعنى المقصود منها اجابة للسائلين والسائلات نقول

نقسم هذه العبارة الى قسمين . الاول « يكون الرجال كما يريد النساء » وهي القضية والثاني اذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة » وهي النتيجة

اما القسم الاول فمقتضاه ان المرأة متسلطة على الرجال فتجعله كما تريد . وهو قول فاسد وصحيح معاً . يكون فاسداً لدى كل الامم اذا اعتبرناه من حيث الظاهر ويكون صحيحاً لدى كل الامم ايضاً اذا اعتبرناه من حيث الحقيقة الطبيعية

اما فساده فظاهر من ان الرجل هو المتسلط شرعاً على المرأة في كل البلدان وجميع الاديان لا المرأة على الرجل واما صحته فظاهرة من ان المرأة هي المتسلطة ادبياً واجتماعياً على الرجل لا الرجل على المرأة

ويكفي لاثبات ذلك ان ننظر الى ادوار عمر المرأة وتاثيرها في كل منها

المرأة تكون ابنة ثم خطيبة فزوجة فاماً فجدة

خمسة ادوار جميلة تتقلب فيها بين طهارة الصبوة وجمال الشباب ووقار الشيخوخة . وهي في كل منها متسلطة على قلب الانسان وحاكمة عليه

فانها اول ما تولد يأخذ ابوها بالتفكير والتدبير استعداداً لزيادة رزقه على نسبة زيادة نفقته . لان « المدموازل » اذا كانت اليوم صغيرة فانها ستصبح غداً كبيرة . غداً تحتاج الى الحلل الجميلة وتطلب القبعات النفيسة وبعد ذلك يأتي « التصيب » فيطلب المال فوق الجمال والكمال . وكل ذلك يزيد النفقة . ومعلوم ان توقع زيادة النفقة يزيد اجتهاد الانسان ونشاطه في الكسب والتحصيل . فالابنة اذاً تجلب لوالديها يوم ولادتها نشاطاً جديداً واجتهاداً جديداً يوجبان عليهما ان يفرحا بولادتها لا ان يحزنا كما يحدث احياناً عندنا . فهي اذاً من صغرها تبدأ بالتأثير والتسلط على ما حولها . فما اعظم هذه القوة التي تتسلط حتى في بدء طفوليتها

ثم ينقضي دور الصبوة بطيشه ونزقه و يأتي دور الشباب بجماله وكماله . ومن هنا يبدأ التأثير العظيم الذي يفوق كل تأثير في الوجود والسلطة الكبرى التي تفوق كل سلطة في العالم

كانت تلك الفتاة امس ولداً في المدرسة تلعب وتثب غير مكترثة بشيء من هذه الحياة . همها مقصور على رضى امها ومعلمتها ودرس مثالثها واشباع معدتها ومداعبة لعبتها . ولكنها اليوم اخذت تهدأ شيئاً فشيئاً . هوذا الورد اخذ يتفتح في الخدود . والعيون اخذت تذبل وتتجلل بثوب من البهاء جديد . والنظر صار مطرقاً . والفكر مبهوتاً . والراس محنياً كوردة اثقلها الندى . والوجنات شديدة التأثر كلمة تغضها وكلمة تسجدها . فما هذا الانقلاب العجيب الذي حدث . لا شيء سوى ان « ملكة » الوجود قد بلغت سن الملك والسلطة . لقد قبلتها الطبيعة الجميلة في فمها القرمزي الجميل والبسها الحسن تاج الملك ودفع اليها الشباب صولجان السيادة

ثم مرّ الرجل فابصر هذا السلطان فخضع صاغراً . خضع لانه كُتب له الخضوع كما كُتب لها السيادة . فاصبح همه مقصوراً على رضى حاكمته . ما يُرضيها واي شيء يسرها؟ هل ترضيها الحلى والحلل . والخيل والخول . والمراقص والمتنزهات . هيا اذاً وانفق المال بلا حساب . ايرضيها المزاح الكثير فاجعل نفسك مزاحاً . او المقامرة الكبيرة فاجعل نفسك مقامراً كبيراً . او الادب والحشمة والاعتدال فاجعل نفسك اديباً ومحتشماً ومعتدلاً . كل ذلك اكراماً لعيونها لانه لا يهمك ولتتذكر شيء في هذه الحياة الا رضاها

ثم ان هذه الفتاة الخطيبة تصبح زوجتك اي انك توليها على شرفك و بيتك ومالك فيكون القول قولها والامر في كل ذلك لها . ثم تصبح اماً اي ان الطبيعة تهبكما ثمرة حبكما

واتفاقكما وتوليها على مخلوق لطيف لتربيته فتكون هي القابضة على مستقبل ولدك وعيلتك .
ثم ان هذه الام يشب اولادها فتبقى بازائهم سيدة عليهم . ثم يتزوجون فتبقى مراقبة عليهم وعلى اولادهم كأنها رمز الى الماضي والمستقبل و بركة للبيت الذي يعيشون فيه

فالآن قولوا لنا . هذه الفتاة التي لها السلطة المطلقة على الرجل وهو شاب خطيب تتصرف به كيفما تشاء وتجعله يصنع ما تشاء . هذه الفتاة التي تقبض على زمامه اراد ام لم يرد لما يصبح زوجاً لها وتزداد سلطة عليه لما تصير اماً و يصير اباً . هذه الفتاة التي نسلمها شرفنا وقلبنا ومنزلنا والتي تسلمها الطبيعة النسل لتربيه لنا . هذه الفتاة التي يكون لها تاثير عظيم كهذا التاثير وسلطان قوي كهذا السلطان اية تربية ربيناها لتحسن القيام بكل تلك الواجبات الصعبة . سلمناها شرفنا وشرفها وشرف العائلة فهل اعطيناها السلاح لتدافع به عنها؟ سلمناها البيت وما فيه ومن فيه فهل ربيناها التربية اللازمة لتحسن الاعتناء به والقيام عليه . جعلتها الطبيعة سيدة الوجود و ريحانة الكون فهل علمناها كيف تستعمل سيادتها لتفضي بنا الى الخير بدل ان تفضي الى الشر

كلا لم نعلمها شيئاً من ذلك بل تركناها تنغمس في الازياء والملاهي والالعاب . صارفين فكرها عن الامور النافعة لها ولمنزلها هذا اذا لم نسجنها بين اربعة جدران هائلة . فاخطأنا بذلك اليها والى انفسنا والى النسل والهيئة الاجتماعية كلها

ذلك لان اهمال تربية المرأة ذنب تقع تبعته على كل مسئول عن هذه التربية . على العائلة اولاً وعلى كل فرد ثانياً وعلى الهيئة الاجتماعية ثالثاً

على العائلة لان المرأة التي هي ربتها ومدبرتها اذا كانت بلا تربية فان الجهل والاهمال والشقاء يكون سائداً فيها . وعلى كل فرد لان كل فرد يجب ان يمرّ بين ايدي الامّ فاذا كانت جاهلة اساءت تربيته فكان جاهلاً . وعلى الهيئة الاجتماعية كلها لانها مجموع الافراد فاذا كانوا جهالاً كانت الهيئة مجموعة جهل لا غير

فالطبيعة اذاً تعاقبنا على اهمال تربية المرأة دون ان ندري بهذا العقاب

ولكن اشد عقاب تعاقبنا به على ذلك هو العقاب الادبي . فان المراة ملكة كما قدمنا ملكة وكل واحد من الرجال يخطب رضاها . فما هو رضى المرأة . وكيف يُنال هذا الرضى

هنا عقدة المسالة . فان البسيكولوجيين يقولون ان رضى الانسان يُنال بمجاراة اهوائه ومشاركته فيها . فاذا كان سكيراً وجعلتَ نفسك سكيراً مثله اصبحت صديقاً حميماً له

وربما اغتنك صداقة الكاس والطاس عن كل شيء ٠ وهذا امر من الامور المشاهدة في كل يوم٠ اذا كان نماماً فنم معه ومعبأ فتمليق فملقه وكذاباً فاكذب فانك بذلك تكتسب صداقته لا محالة ٠ وكذلك اذا كان فاضلاً واديباً وعاقلاً فكن مثله تكتسب صداقته لانك تصيب هوى نفسه وتكون شاعراً بعواطفه ومن اجل هذا قال الشاعر « ان الطيور على اشكالها تقع »

فالآن والرجل محتاج الى رضى المرأة كما ذكرنا احتياجاً جنسياً واحتياجاً ادبياً اجتماعياً كيف تكون حاله معها اذا كانت جاهلة لا يهنأ لها عيش الا بالطيش والمزاح والاسراف واللعب والنميمة والمراقص والجمعيات واهمال المنزل والقاء حمل الاولاد على الخدمة والمراضع ٠ الا يضطر طلباً لرضاها الى مجاراتها في كل ذلك فيكون طائشاً مزاحاً مسرفاً لاعباً وهلم جرا الى آخر ما في دركات الهيئة الاجتماعية ٠ اذا كانت امراة تضحك من الادب والمتادبين في قاعة الا يسبقها الى ذلك كل الشبان والرجال الحاضرين ارضاء لها ٠ اذا كانت تضحك من فلانة لانها لا تلعب ومن فلان لانه لا يغني ويصرخ ويمزح اضحاكاً للحاضرين الا يصبح جميع الرجال الجالسين في ذلك المجلس صراخين مزاحين اضاحيك ٠ نعم لانه يجب ان يرضوا النساء ٠ ينبغي ان لا يضجر النساء ٠ يلزم ان تسرّ النساء ٠ وهذا معنى قول روسو « يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

فانتن اذاً ياسيداتنا الجليلات رئيسات الهيئة الاجتماعية ٠ انتن ملكات الملوك وسلطانات السلاطين ٠ فرحماكن لا تصرفن هذه القوة والسيادة اللتين في ايديكن الى الامور التافهة المضرة بكن و بالهيئة الاجتماعية بل اصرفنها الى الامور المفيدة لكن ولمنزلكن وذويكن والهيئة الاجتماعية

رحماكن و بعيشكن اوجدن لنا عالماً جديداً غير عالمكن الذي اصبح العقلاء لا يستطيعون المعيشة فيه٠ بل اصبحوا — واسمحن لنا ان نقول ذلك — يانفون من المعيشة فيه عفواً ٠ انهم يانفون ذلك لا من اجلكن فان الورد في الرياض والنجم في السماء والطيب في القارورة لا يملها الا الابله ولا يانف منها غير الاحمق ٠ ولكنهم يانفون من خشونة الذين يتخذون في تلك المجالس بساطتكن وخفة ارواحكن ذريعة لاظهار ثقل ارواحهم وفساد آدابهم

وهذا العالم الجديد الذي نطلبه هو عالم يكون ميلكن فيه مصروفاً الى الامور النافعة المفيدة ٠ عالم يتقرب فيه الرجال اليكن بالاعمال الجيدة وطيب الاحدوثة والادب والفضيلة

والعلم والمعرفة فتكون هذه الفضائل هي الراجحة لديكن المقربة منكن لا نقيضها من ضروب الخلاعة والجهالة . ومتى صارت هذه اميالكن تلطفت خشونة الرجال وتغيرت اميالهم حرصاً على رضاكن لانه « يكون الرجال كما يريد النساء »

ونحن لا نجهل اعتراضكن على هذا الكلام . فانكن تقلن اولاً « لماذا لا تعكسون القضية فتقولون « يكون النساء كما يريد الرجال فاذا كانوا فضلاء وعظماء كان النساء فاضلات وعظيمات » فاننا نحن انما نظهر للرجال بالصفات والحالات التي يحبونها »

وتقلن ثانياً « اذا كنتم ترغبون ان نكون فاضلات وعظيمات الا يجب اولاً ان تطلبوا من الرجال ان يربونا تربية تجعلنا كذلك »

نقول اما الاعتراض الثاني فانتن مصيبات فيه وسنتكلم عن هذه التربية بالتفصيل في الجزء التالي ان شاء الله

واما الاعتراض الاول فانتن غير مصيبات فيه . لان الهيئة الاجتماعية لا تربح اذا جعلت الرجل مرجع الذوق والادب والعظمة والفضيلة في هذا العالم . الرجل من طبعه الخشونة ومن طبعكن اللطف . من طبعه الاثرة والقسوة والطمع وانتن من طبعكن الشفقة والحلم وصنع الجميل . وان لم يكن ذلك من طبعه فاعماله ومصالحه تجبره على ذلك ان لم نقل انها تقضي به عليه . فاذا كان في ايديكن ميزان اللطف والادب والشفقة والحلم وصنع الخير وسائر الفضائل البيتية فكيف تجعل الرجال مرجعها ومقياسها

كلا ثم كلا . ليس من احد غيركن دعامة هذه الفضائل في هذه الحياة . انتن بيننا المربيات المهذبات المسعدات المعزيات . اذا رأى الانسان ان كل شيء في هذا العالم يسقط كمنازل مبنية من الورق او بيوت مؤسسة على الرمال . اذا رأى الراحة خيالاً لا يُقبض عليه . البشر وهم اخوان يتقاطعون ويتذابحون كالذئاب الضارية . الاصدقاء ينسى بعضهم بعضاً . الاقربون يقوم بعضهم على بعض . العالم فوضى فيه شياطين الظلم والطمع والغش والاعتداء والسلب تتسابق لافساد الارض ومن عليها — اذا رأى الانسان كل ذلك لا يسعه الا ان يفتش بنظره عن وتد يتمسك به في وسط هذه الزوابع الهائلة وكوة يدخل منها اليه النور وسط ذلك الظلام الحالك . فلا يرى حينئذٍ الا وجهك الباسم ايتها السيدة . يا ايتها الاخت والابنة والزوجة والام والجدة . فبالحال ينقلب ذلك السواد بياضاً والشقاء هناء بنظرة او نظرتين من عينيك السحريتين وبسمة او بسمتين من شفتيك الجميلتين . فانت اذاً مثلة الكمال والهناء والراحة والادب والفضيلة في هذا

العالم لا الرجل . لذلك نطلب منك ان تكوني اكثر منه كالاً لتكوني له قدوة وجالاً ومثالاً . ولذلك نقول مع روسو ولو غضب الرجال « كما يريد النساء يكون الرجال »

صفحة الشعر

للمعار في انخفاض النيل

اعدى احتراق النيل اكباد الورى　　فغدت تذوب تلهباً وتلهفا
وتزايدت نيرانه من نقصه　　فاذا به طاف البلاد وقد طفا

وله في الفيضان الذي سيتم قريباً ان شاء الله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت　　عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره　　فاستكثر الماء في عينيه ثم عمى

وله فيه وفي الخزان

حزن الخزان لما ان راى　　نيلنا قد عم سهلاً وجبل
وراى الارض لنا قد اخرجت　　سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه　　زادها الله عروقاً وسبل

لاحمد بك شوقي في « اسد وضفدع »

انفع بما اعطيت من قدرة　　واشفع لذي الذنب لدى المجمع
اذ كيف تسمو للعلى بافق　　ان انت لم تنفع ولم تشفع
عندي لهذا نبأ صادق　　يعجب اهل الفضل فاسمع وع
قالوا استوى الليث على عرشه　　فجيء في المجلس بالضفدع
وقيل للسلطان هذي التي　　بالامس آذت عاليّ المسمع
تنقنق الدهر بلا علة　　وتدّعي في الماء ما تدعي
فانظر اليك الامر في ذنبها　　ومر نعلقها من الاربع
فنهض الفيل وزير العلى　　وقال يا ذا الشرف الارفع
لا خير في الملك وفي عزه　　ان ضاق جاه الليث بالضفدع
فكتب الليث امانا لها　　وزاد ان جاد بمستنقع

قال ابو تمام في السيف والقلم

السيف اصدق انباءً من الكتب · في حده الحد بين الجد واللعب

وقال المتنبي

حتى رجعت واقلامي قوائل لي · المجد للسيف ليس المجد للقلم

ولكن ابن الرومي يقول

ان يخدم القلمُ السيف الذي خضعت · له الرقابُ ودانت خوفه الاممُ

فالموت (والموت لا شيءٌ يعادله) · ما زال يتبع ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله في الاقلام اذ بُريت · ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

باب الاخبار العلمية

❋ كم ارضاً توازن الشمس ❋ ثبت لاحد علماء الفلك انه اذا وضعت الشمس في كفة ميزان وجب ان توضع ٣٢٥ الف كرة بحجم كرتنا الارضية في كفته الثانية لتساويها في الوزن اي ان وزنها اخف من وزن الشمس ٣٢٥ الف مرة

❋ اختراع حربي عجيب ❋ كتب العالم نقولا تسلا الكهربائي الشهير الذي يناظر اديسون في هذا الزمان مقالة يقول فيها انه اخترع اشخاصاً كالبشر يتحركون كرّاً وفرّاً هجوماً ودفاعاً صفوفاً صفوفاً وفي ايديهم الحراب والسيوف والبنادق يطلقونها ويضربون بها من يقف في طريقهم فيكون كل شخص منهم قائماً مقام جندي في الحرب وهكذا فهو يستطيع زيادة عدد الجنود الى ما شاء الله . فاذا صح هذا الاختراع كان له شأن عظيم

❋ خبز بلا اختمار ❋ كتب احد ضباط الجيش الفرنسوي الى وزير الحربية يبلغه انه اكتشف طريقة لاختمار الخبز من غير خمير اي بواسطة صناعية لا تستوجب انتظاراً فارسل وزير الحربية يستدعيه الى باريز لتجربة اكتشافه . فاذا صح نفع الجيوش في ايام الحرب نفعاً عظيماً وذلك بسرعة اعداد خبزها

✻ الماس الصناعي ✻ اخترعوا طريقة جديدة لصنع الماس وهي اشمال الفحم بمجرى كهربائي والضغط عليه ضغطاً شديداً على سندان يحتمل الضغط مهما اشتد فيتبلور الفحم وينقلب ماساً

✻ معرفة بُعد الزوابع ✻ اذا اردتَ معرفة مسافة الزوابع المنتظر هبوبها فانظر الى البرق . فاذا خفق فاحصِ الثواني من حين خفقانه الى حين وصول صوت الرعد الى اذنيك ثم اضرب هذا العدد بثلاثمائة و٤٠ وهي قياس سرعة الصوت في الهواء في كل ثانية . فالحاصل هو مسافة بعد مركز الزوبعة عنك امتاراً

✻ آلة جديدة للانتحار ✻ لم يكتفِ الاميركيون بانهم انشأوا في بعض مدنهم جمعيات يتعهد اعضاؤها بانهم ينتحرون تخلصاً من هذه الحياة بل اخترعوا اختراعاً جديداً يُسهل لهم هذا الانتحار ودفن جثتهم بعده . وذلك انهم يحفرون القبر الذي يطلبون ان يُدفنوا فيه ثم يضعون بازائه الآلة المذكورة وفيها الكلس (الجير) الذائب . ثم يتمددون في الحفرة ويضغطون على زر الآلة فتتصل بهم منها مجرى كهربائي يقتلهم للحال ثم تاخذ الآلة من تلقاء نفسها برد الكلس والتراب عليهم حتى تمتلىء الحفرة فاذا كان الرجل لم يمت من الكهربائية مات بالكلس والتراب

✻ كسوف الشمس وبيض الدجاج ✻ لاحظ احد فلاحي المانيا ان الدجاج التي في مزرعته قد ذُعرت يوم كسوف الشمس وفرت الى بيوتها وباضت فيها في المساء بعد بيضها في الصباح فتكون قد باضت مرتين في يوم واحد . وقد روى صحافي اميركي ان الفلاحين في ولاية جيورجيا بعد اطلاعهم على هذا الامر صاروا يُذعرون الدجاج في البيوت ويجعلونها في ظلمة كظلمة الكسوف فتبيض في النهار مرتين . اما الجرائد الاوربية فانها تضحك من هذه الغرابة الاميركية

✻ نور النجوم والقمر والشمس ✻ ان نسبة النور المنبعث من النجوم الينا نسبة نور شمعة موضوعة على مسافة ٢٠ كيلومتراً منا اي لا شيء . اما القمر فان نسبة نوره الينا كنسبة شمعة موضوعة على ٥ امتار منا . اما نور الشمس فانه يقتضي ان يُجمع محصول العالم من الفحم الحجري مدة ٦٠٠ الف سنة كومة واحدة ويُشعل بالنار فيكون له نور مساوٍ لنور الشمس

❋ نور الحباحب ❋ ثبت لاحد علماء الطبيعة ان نور الحباحب غير ناشئ عن حياتها ولكن عن احتراق مواد في غاية الضعف في باطنها · وهذا النور يبقى بعد موت الحباحب واذا وُضع على الترمومتر فانه لا يُصعده الا جزءًا من مليون اذا قُسمت درجة الحرارة الى مليون جزء ···

❋ المدافع وبرد السماء ❋ يُنتشر في اوربا استعمال المدافع لمنع نزول البرَد وقد بلغ عدد المحطات التي اقيمت في ايطاليا التي محطة فيها المدافع تُطلق على الغيوم وقاية للزرع من بردها وثمن كل مدفع ١٦٠ فرنكاً فقط وهو يحشى كل مرة ١٠٠ غرام من البارود وكل مدفع يحمي ٢٥ هكتاراً من الارض

باب التقريظ والانتقاد

❋ المكتبة الشرقية في القاهرة ❋ اهدى الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في القاهرة ست روايات من الروايات التي طبعها على نفقته وتباع في مكتبته · الاولى رواية لايس وهي جزءان احدهما تعريب المرحوم شاكر شقير والثاني تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا · والرواية الثانية رواية غصن البان تاليف الشاعر لا مارتين الفرنسوي الشهير وتعريب فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد · والثالثة رواية الفتاة النهيلستية · والرابعة رواية الامير النهلستي تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا · والخامسة السمر في السهر وهو « كتاب يحتوي على حكايات فكاهية والاوهام التي يعتقد بها العامة من الافرنج والشرقيين والعاب الورق الفكاهية والحوازير الحسابية ولغة الازهار ونوادر لطيفة وغير ذلك » وكلها تُطلب باثمان بخسة من هذه المكتبة

❋ التيبيكون ❋ جمع حضرة العالم الفاضل الارشمندريت جراسيموس مسرة رئيس كنيسة السور بين الارثوذكس في الاسكندرية ترتيب الفروض الكنائسية الارثوذكسية في كتاب حسن التبويب والوضع وطبعه على نفقته ليوزع على كنائس الكرسي البطريركي

تذكاراً لارتقاء غبطة البطريرك السيد ملاتيوس الى هذا الكرسي وقد اهدى الينا نسخة منه فنشكر له هديته

﴿ جمعية عيادة المرضى ودفن الموتى في يافا ﴾ وردت الينا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية لعيادة المرضى ودفن الموتى في يافا فوجدنا فيهــا دلائل النشاط والاجتهاد في سبيل صنع الخير مما يوجب الثناء الجزيل على غبطة رئيسها وجناب نائب رئيسها ابرهيم افندي القدسي . وقد بلغ مجموع دخلها ٥٢١٣١ غرشاً و٣٩ بارة ومجموع نفقاتها ٢٢١٦٥ غرشاً و٥ بارات فيكون الباقي في صندوقها من النقود والكمبيالات ٣٩٩٦٦ غرشاً و٣٤ بارة فنثني على اجتهادها ونشاطها اجمل ثناء

﴿ طوغري سوز ﴾ اذاع جناب المفضال والصحافي القديم سعادتلو سليم باشا حموي مدير جريدة الفلاح الغراء نشرة تركية يعلن فيها عزمه على انشاء جريدة تركية في القطر المصري عنوانها « طوغري سوز » اي الكلام الحق وغرضها خدمة الدولة العثمانية فنرجو لسعادته كل توفيق في هذه الخدمة العمومية

﴿ الشمس ﴾ الشمس مجلة ادبية علمية فكاهيــة تصدر في دمشق الشام لجناب منشئيها البارعين جورج افندي متى وجورج افندي سمان وقد وردنا العدد الاول منها محتوياً بعد المقدمة على ابحاث مفيدة في القيام بالواجبات واشمة رتبتين واول نسافة في العالم وقوة الفطنة والذكاء فنرجو لها النجاح والانتشار

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

الرئيس كروجر

(تابع)

فقالت البيون لفالي هلي اذاً يا اختي نفتش عن الرئيس ستاين والرئيس كروجر فحلقتا في الجو وحامتا فوق الاراضي التي تلي بريتوريا تبحثان عن مركز الرئيس كروجر بعد سفره من عاصمته . فابصرتا ان الارض قد تغيرت ومن عليها . فالحقول مهملة يسود فيها الخلل وعدم النظام . والمزارع خاوية خالية ليس فيهــا غير بعض النساء وصغار الاولاد لان الرجال خرجوا كلهم الى ساحة القتال . والعدو سائد على تلك الامكنة

ولكنه هدوء مخيف لانه هدوء الرعب والموت

فقالت فالي ابن بركات السلم من ويلات الحرب يا اختي · اين نعم تلك من نقم هذه· الحرب حيثما حلت حلت وراءها جميع الافات · فالقتل والسلب والامراض والاوبئة والخراب والجوع وتيتيم الاولاد وترميل النساء ودوس الحقوق وتنغيص الحياة وتضييق العيش — كل هذه نباتات هائلة قلما تنمو وتزهو الا في الدماء · اما السلم ففيها الطمأنينة والعمار والهناء والسعة والخير على انواعه · الاول شيطان ينثر في الارض شوكاً وحسكاً والثاني ملاك ينثر على الارض ازهاراً وريحاناً

فقالت اليون صدقت يا اختي وانظري الى ما تحتنا الآن فانك ترين الشوك قائماً نامياً والزهر والزرع ذابلاً ذاوياً · فنحن الآن في وقت تسود فيه مملكة الشوك والحسك· ولكن من بذر هذا الشوك والحسك لا يجني كما يقول رئيسنا كروجر وكتابنا الا شوكاً وحسكاً

وفيما كانتا تتخاطبان بهذا الكلام في تلك الجهات وهما تبحثان بنظرهما فيها كما يبحث في الارض شحيح ضاع في التراب خاتمه واذا بهما تبصران محطة من محطات السكة الحديدية وفيها حركة غير اعتيادية· فنزلتا فابصرتا زحاماً حول مركبة فوق الخط الحديدي فاقتربتا فسمعتا صوتاً جهورياً ضعيفاً يقول ·

« قل لهم ايها المكاتب ان الله لا يتخلى عنا · اخذوا بريتوريا عاصمتنا ولكن هذه المركبة اصبحت عاصمتنا· لقد بنيتها خفيفة لطيفة كما ترى لاتمكن من الانتقال فيها بالسرعة اللازمة اذا هاجمونا · وقد حار بنا م الى اليوم في السهول وجهاً لوجه اما الآن فليتبعونا الى الجبال والوديان لمحاربتنا »

ثم سكت الصوت فقالت فالي هذا صوت عمنا كروجر فقالت اليون وهي تتطاول لترى ما في داخل المركبة نعم وهو يخاطب احد مراسلي الجرائد الانكليزية لابلاغ صوته الى انكلترا وحكومتها

وبعد سكوت الصوت خرج اناس من المركبة التي صارت « العاصمة » كما قال الصوت وتفرق الناس من حولها فدنت اليون وفالي من احدى نوافذها واطلتا ثم قالت فالي « هو بعينه »

فقالت اليون ندخل اليه · فقالت فالي اذا دخلنا فانني انطرح بين ذراعيه · قالت اياك ان تُظهري نفسك اما سمعتِ ما اوصينا به فوق · فتنهدت فالي وقالت الامر لم ·

ثم دخلتا الى المركبة بلطف وتأن كحامتين من النافذة

فابصرتا رجلاً طاعناً في السن جالساً على مقعد هناك في صدر المكان . يداه على عينيه لرمد بهما وظهره محني من الحزن والتعب ولكن على وجهه لوائح الكبر والعظمة مضافين الى البساطة الطبيعية . وكانت لحيته المستديرة حول وجهه كانها اكليل نكلله وقبعته الطويلة ونظاراته (عويناته) الزرقاء تزيد منظره غرابة على غرابة وتجعل له مشهداً لطيفاً وعجيباً معاً

فلما دخلت الفتاتان همست فالي باذن اليون قائلة : هذا هو الشيخ الذي ارتعدت له فرائص انكلترا كلها وزعزعت له اساساتها

واذا بهذا الشيخ الذي كان مطرقاً بفكر بهيئة الحزن واشتغال البال ويداه على عينيه يشدهما كانه يحاول استخراج الالم منهما قد رفع ذراعيه في الفضاء بعظمة وشيء من الحماسة قائلاً

« ... ولكن شيئاً واحداً لا تستطيعون الاستيلاء عليه اذا استوليتم على بلادنا كلها . وهذا الشيء هو هذا الذي في نفوسنا . هو نور الله الذي وضعه فينا اي حب حريتنا . فاذا قتلتم اليوم هذه الحرية فانكم لا تستطيعون اطفاء جذوة حبنا لها ولا منع نهوضنا في المستقبل لاسترجاعها »

ولكن الشيخ كروجر لم يكد يتم كلامه حتى دخل ضابط من جند البوير بلهفة وقال « رسالة من الانكليز يا جناب الرئيس » فاجفل كروجر لهذا القول لانه لا ينتظر رسالة ومد يده اليها فتناولها وطالعها من غير ان يفرك عينيه حتى ولا مرة مع مرضهما وذلك لفرط اهتمامه بموضوعها

ثم بعد تامل وتفكر قال « عجباً ما هذه الاقتراحات المتتالية . اقترحوا علينا اولاً ان نسلم فهزأنا بهذا الاقتراح . اقترحوا عليَّ ثانياً هدنة فهادنتهم . والآن يقترحون عليَّ ثانية ان اسلم على شرط ان يبقوا لي حرية السكنى في جنوب افريقيا »

واذا برجل ثان مهرول وفي يده رزمة كبرى فتقدم من الرئيس وقال « بريد اوربا يا جناب الرئيس » فضحك كروجر ضحكة غريبة وقال . « اوربا . اوروبا . ما اضحكك يا اوروبا » ثم تناول من البريد الكتب واخذ يفضها ويقرأها

وما اتى على الكتاب الاول حتى اتقدت عيناه وابرقت اسرته فقام وقعد بعنف وقوة بالرغم عن ضعفه وشيخوخته . ثم ترك الكتب من يده وتناول اولاً جريدة الشمس وجريدة

الطان فوضع احداها على ركبته ومزق غلاف الثانية

ثم اخذ يقرأ . اخذ يقرأ ويضحك . اخذ يقرأ ويفرك تارةً جبينه وطوراً ركبته ويهتز كعصفور بلله القطر . وبعد قليل القى الجريدة من يده وقرع جرساً قرعاً عنيفاً فدخل سكرتير وزارة الخارجية

وكأن تلك الغمامة التي كانت على جبين ذلك الشيخ قد انقشعت فاستقبل السكرتير ضاحكاً حتى القهقهة وقائلاً « اعلمتَ يامسيو رتز سبب اقتراحهم علينا هذه الاقتراحات » قال كلا ياسيدي الرئيس . قال سببه انهم ربما احتاجوا الى اللورد روبرتس لارساله يتنزه في اقاصي المعمورة في هذه الايام . فقال المسيو رتز وكيف ذلك

فانتصب حينئذٍ الشيخ كروجر قائماً على قدميه بقوة وعنف كأن الشباب قد عاد اليه ومدّ يده صارخاً

« نور جاءنا من الشرق يارتز . نور طلع علينا من بلاد الصين بلاد المدنية القديمة . لقد نجح الوفد الذي ارسلناه اليها مع ان الوفد الذي ارسلناه الى اميركا بلاد الحرية قد اخفق فكأن الشرق في هذه الحادثة قد اصبح هو الميال للحرية والنور . والغرب هو الميال للعبودية والظلمة . لان الاول قام يضحي كثيراً من مصالحه في سبيل طلبها لنفسه ولغيره والثاني سدّ اذانه دون ندائنا ولم يشأ ان يضحي شيئاً حتى ولا كلمة تعزية لنا . فالسلام لك ايها الشرق الذي مهما نزل بك من النوازل فانك تبقى جواداً كريماً

فقال رتز واي وفد تعني يا جناب الرئيس فاني لم اسمع به قبل الآن مع اني مطلع فيما اظن على جميع الامور الخارجية

فضحك كروجر وقال « لا تجعل ملاحظتك بمثابة لوم يا رتز فاني قد صنعت هذا من غير اطلاعك طلباً للسلامة مما نحن فيه . لقد ارسلت وفداً الى الصين ووفداً الى الهند . الثاني ليستثير الهنود على خصومنا شغلاً لهم عنا والاول ليفتح المسالة الصينية بوساطته لدى الامبراطورة فتاخذ انكلترا الى الصين جنودها الذين عندنا . وقد كنت في عجب من اقتراحات اللورد روبرتس علينا في هذا الاسبوع وكيف انه اصبح كانه يجتنب لقاءنا فلا يطاردنا ولا يطلبنا اما الآن فقد عرفت السبب وهو ان انكلترا خافت الحرب في الشرق الاقصى فارسلت اليه سرّاً ان ينتظر ويصبر لعلها تحتاج اليه والى جنوده معه . فاملنا الان اصبح موضوعاً في المسالة الصينية

وقد فهمت من هذا الكتاب ان الثورة قد اشتدت في الصين فحدث فيها قتل

السفراء والاجانب وهدم منازلهم وطردهم فارسلت اوربا الاساطيل اليها . ولكن اوربا ان اتفقت اليوم اختلفت غداً . وخلاصنا الآن متوقف على اختلافها

وكان في جملة الجالسين غلام عمره ١٢ سنة جميل الوجه لطيف المنظر وهو حفيد للرئيس كروجر . فنهض على قدميه عند ذلك الكلام ومدَّ اصبعه اللطيف مستأذناً جده بالسؤال فقال كروجر . ما تريد يا بطرس . فقال الولد : قلت ياجدي ان الصينيين يقتلون الاجانب ويطردونهم وان خلاصنا متوقف على استمرار ذلك فهل تريد ان نخلص نحن من الشر بشر يقع فيه غيرنا . اذاً لا نكون قداردنا لغيرنا ما نريده لانفسنا كما علمتني واوصيتني

فضحك كروجر وقال : عندك يابني . لقد فهمت معنى كلامك . ولكن ما العمل اذا كان البشر الجهلاء قد جعلوا بفساد آدابهم وسوء اعمالهم الخير لا يتم الا بشر . ومع ذلك فلا تحسب ما قلته عن القتل صحيحاً فان الصينيين الآن يمثلون الحوادث تمثيلاً . فهم لا يقتلون ولا يذبحون ولا يهدمون ولا يحرقون ولا ولا ولا ولكنهم يُظهرون انهم يفعلون ذلك ارهاباً للاجانب فقط . وانما هم في الحقيقة يامرون الاوربيين في بيوتهم . ولديهم وسائط سرية وخزعبلات غريبة يستعملونها امامك فترى الدم جارياً والنار تحترق في المنازل فتحسب القتل والحرق جاريين ولا يكون في الحقيقة شيء من ذلك . ولا غرابة في هذا فان التمدن الصيني القديم يكنُّ غرائب لا يعلمها احد . من ادراك انك اذا فتشت خزائن الحكومة القديمة في بكين لا تجد فيها بقايا مخترعات معفنة قديمة تفوق التلفون والتلغراف والفونوغراف واشعة رنتجن اتقاناً . اما هم الذين اول من اخترعوا البارود والطباعة والبسيكلت وغيرها من الاختراعات المجهولة عندنا . فغير بعيد ان يكون عندهم وسائل غريبة كالتي ذكرتها . وغداً متى طالبتهم الدول بالتعويضات عن خسائر الاجانب ترى ان كل واحد منهم يُخرج الاوربيين واموالهم من منزله كما يُخرج المشعوذ الغرائب من صندوقته فيسلمهم الى دولهم احياء مع انهم كانوا يحسبونهم امواتاً وبذلك يكتفون بخبثهم الصيني دفع التعويضات . فلا تحسب يابني اني اخالف ديني فاطلب تخليص وطني من شره بشر اوقع فيه سواي فقد دبرنا كل ذلك مع امبراطورة الصين احسن تدبير

ثم بهت الرئيس كروجر قليلاً . وبعد ذلك رفع راسه المهيب المجلل بالشيب بعظمة ومدَّ يده الضخمة بقوة قائلاً بصوت قوي

« وهب ان الصينيين لا يخلصون من الموت والعبودية الا بسفك الدماء فاذا يصنعون . اما من حقهم ان يكونوا احراراً في بلادهم . أمن العدل ان تؤخذ موانئهم وتُبتز اموالهم . أمن

الانصاف ان يُعتدى على تقاليدهم ودينهم ويكونوا كالغرباء في بلاد اجدادهم انت ايتها الحرية المقدسة التي نطلبك لا نطلبك لنا فقط لاننا حينئذٍ نكون كذابين مرائين على الله والناس ولكننا نطلبك لكل امم العالم . لانك مبدأ الانسان وقوام كيانه وقوة نفسه وبدونك لا يكون الانسان انساناً . انت نظير نور السماء وماء الارض وهواء الفضاء اي مشاعة بين جميع البشر وملكهم كلهم لا ملك القوي دون الضعيف والكبير دون الصغير . فانت اذاً من حق الصيني . واذا كنت من حقه فمن حقه ان يصونك بكل ما في استطاعته وجهده

قال كروجر هذا ثم قرع الجرس ثلاث مرات فدخل خادم فقال الرئيس قل لهم ان يهيئوا لي « بالوناً » الى الصين . فدهش ريتز والحاضرون . وساله احدهم كيف تتركنا الآن الا تخشى يا حضرة الرئيس هجوم الانكليز علينا . فقال كروجر ضاحكاً لا تخافوا فانهم الآن منتظرون حوادث الصين ولذلك لا يهجمون وانا ذاهب لازيد هذه الحوادث استفحالاً لدى صديقتي الامبراطورة فكأنني ذاهب للسعي لكم . ومع ذلك فان المسافة بيننا وبين الصين في هذا البالون مسيرة ساعتين فقط فاعود حين الحاجة سريعاً اليكم

وكانوا قد اعدوا له البالون فركب كروجر ومعه حفيده الغلام فقط . اما فالي والبيون فقالت احداها للاخرى . ما قولك يا اختي في سياحة في الصين مع عمنا كروجر فتململت اليبون وقالت : لكن اصحابنا فوق يستبطئوننا . فقالت اليبون لا نبطيء في الصين يا اختي واؤكد لك انك ستسرين بما ترينه فيها . فقالت البيون الامر اذاً لك يا اختي فقالت فالي هلمي بنا . — ثم اطلقتا اجنحتهما في الهواء للسفر وراء بالون الرئيس كروجر

وبعد هنيهة اطلق هذا البالون فصعد كالسهم في الهواء واخذ يدنو من الغيوم في كبد السماء . وكان الشيخ كروجر وحفيده الغلام ينظران في صعودها الى ذلك الفضاء الواسع الذي كانا راقيين اليه وهما يرنمان بصوت خاشع ترنيمة هذه خلاصتها

انني ادنو بخشوع يا الهي من هذا المكان الرفيع

ولكنني اشعر ان المادة التي في جسمي تجذبني الى المكان الوضيع

فمتى ياتي امرك يا الهي وتمسح هذه الدموع

وتقول للحمامة التي في باطني ان تطير الى جنابك الرفيع

اشتقت اليك . والذين عندك . فارحمني . واسمح لي بالوصول

لا تُرجعني لا ترجعني الى المكان الوضيع

مللت ما فيه . سئمت ما فيه . خذني اليك . الى تلك الربوع

وهكذا بقي كروجر والتق حفيده ينشدان هذا النشيد اللطيف وهما صاعدان في الهواء يقتربان من غيوم السماء وفالي والبيون تسبحان في الهواء وراءهما وهما تسمعان وتبكيان وكلهم متجهون نحو البلاد الصينية (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

(* الجناب الخديوي في لندرا *) ذكرنا في صدر هذا الجزء الاعتلال الذي طرأ على الجناب الخديوي في سفره الى لندرا · وقد نال سموه العافية بعد ذلك وزار في ٢٧ الماضي لندرا وقصر وندسور حيث قابل جلالة الملكة فيكتوريا فاستقبل سموه استقبالاً عظيماً نادر المثال واقام له المجلس البلدي في لندرا مادبة في كيلد هال · ثم سافر سموه من لندرا فزار معرض باريز متنكراً وسار بعد ذلك الى حمامات ديفون الفرنسوية

(* الجنسية المصرية *) قررت الحكومة المصرية مشروع تجنس العثمانيين بالجنسية المصرية · ومقتضاه ان العثمانيين الذين في القطر المصري والذين وفدوا اليه قبل سنة ١٨٤٨ والذين يقيمون فيه ١٥ سنة ويقومون بالخدمة العسكرية او بدفع البدل العسكري كلهم يُحسبون مصريين

(* خطة سكة الحجاز الحديدية *) روت الجرائد الاوربية ان هذه السكة ستمد من دمشق الى الحجاز فيمر خطها قرب شبه جزيرة سيناء في جهة العقبة ويصل الى الحرمين الشريفين بعد ان يخترق الحجاز · ثم يُمد الى جده فينبع · وسيكون عدد محطاته ٣٥ محطة وقُدرت نفقته بعشرة ملايين ليرة عثمانية · اما مسافته فهي ١٨ يوماً يسير فيها القطار في النهار دون الليل ليتمكن الحجاج من تادية فروض الصلاة · وستصنع له المعامل العثمانية ٥ آلاف متر من الخطوط الحديدية في كل يوم

(* الجمعية الاسيوية الفرنسوية وعلماء الشرق *) سرنا ما علمناه من اخبار طرابلس الشام من تعيين الجمعية الاسيوية الفرنسوية في باريز حضرة العالم الفاضل مؤرخ سوريا الشهير جرجي افندي يني الطرابلسي صاحب التصانيف التاريخية الجليلة عضواً من اعضائها بناء على طلب صديقه جناب العلامة كلاربون كانيو الفرنسوي · فان الجمعيات الاوربية

العلية تحتاج في الشرق الى عالم كصديقنا جرجي افندي بني كما ان الشرق يحتاج ان يمثله لدى الغرب شرقي بعلمه وفضله · فنهنئه بهذا الاكرام العلي الذي هو جدير به كما نهنيء الجمعية بعضويته ونرجو له ما يستحقه فضله من المزيد

(* رصيفنا المصباح *) تفضل رصيفنا المصباح البيروتي الاغر وخصص بعض صفحاته للكلام عن الجامعة ومنشئها فقال قولاً يدل على فضله وحسن ظنه وعلى انه ينظر الى رصيفته الجامعة بعين الرضى التي ترى المحاسن ولا ترى سواها · فنحن نشكره شكرًا جزيلاً على كلامه اللطيف الذي املاه عليه ادب مديره ومحرره الفاضل وحسن ذوقه ونرجو للجامعة ان تبقى حائزة استحسان رصفائها الافاضل وقرائها الكرام مع ما نشعر به من ضعفنا وقصورنا · والله نسال ان يوفقنا جميعاً الى ما فيه الخير العام والسلام

(* الحوادث الخارجية *) كسفت حوادث الصين حوادث الترانسفال واحتلت محلها من الاهمية في العالم · وقد ثبت ان الصينيين قتلوا سفير المانيا في بكين فارغى الامبراطور غليوم وازبد وعين الف « تايل » لكل صيني ينقذ اوربياً · وفي بعض الروايات ان كل الاوربيين الذين في بكين قد ذُبحوا عن آخرهم مع جميع السفراء · وقد عزمت اوربا على ارسال جنود الى بكين لفتحها · ويقال ان الامبراطورة قد فرَّت منها · اما الاميرال سيمور الذي زحف اليها بالفي رجل فقد عاد الى تينتسين لانقطاع الخط الحديدي الموصل الى تلك العاصمة · ولا يعلم الآن احد كيف تكون نهاية المسالة الصينية

اما حرب الترانسفال فانها اصبحت الآن مناوشات بين البوير والانكليز وهذه المناوشات اشدّ على الجيوش المنظمة من الحرب المنظمة الحقيقية

(* سابا زكا بك *) استاثرت رحمة الله تعالى في العاصمة بالماسوف عليه المرحوم سابا زكا بك باشكاتب محكمة الاستئناف الاهلية بمصر · توفاه الله بعد عمر قضاه في الفضل والاعمال الجيدة والاخلاق الطيبة فنحن نسال الله ان يتغمده بواسع رحمته ورضوانه وان يلهم آله الكرام جميل العزاء على فقده

فهرس الجامعة — يجد القراء في هذا الجزء فهرس السنة الاولى من الجامعة وقد وضعنا فيه ايضاً مقدمة الجزء الاول من الرواية وهو الذي نشرناه ذيلاً للسنة الاولى وذلك بناء على طلب الذين يرغبون في تجليد الرواية على حدة فيكون الفهرس لتجليد الجامعة ومقدمة الرواية لتجليد الرواية

نوجه الانظار الى بضع كلمات على ظهر المجلة

ولكن ما لبث النساء ان ثار ثائرهن على هذا الرجل وعجبن من انهن صبرن عليه الى الآن . فاستحضرن في الحال حبلاً طويلا والقينه من بعيد حول عنقه ثم جررنه الى نافذة ورفعنه ليشنقنه فيها

واذا برجل يخترم الجلبة ينقض من الخارج وفي يده سكين فقطع الحبل كما قطعه ذلك الرجل لما كان في عنق الراهب قبل هنيهة

واحدة بواحدة . ومن يصنع الخير يلق مثله

اما الرجل القادم فانه بعد قطع الحبل التفت الى النساء صارخاً بصوت جهوري : ماذا تصنعن ايتها الوطنيات . اما تعلمن ان هذا الرجل هو « مايار » الباسل احد الابطال الذين قهروا الباستيل

فتقدم مايار من الرجل ومد يده اليه مصافحاً ثم قال له — شكرًا لك يامسيو يلو .

فقال يلو لا شكر ياسيدي لانك خلصتني مرة تحت اسوار الباستيل

واما النساء فلما علمت ان هذا الرجل هو مايار وهو من ابطال الباستيل وكن قد سمعن ببسالته انقلبن من الغضب الى الرضى وهجمن على مايار يوسعنه ملاطفة وتقبيلا

فيا لك من بحر غريب يا بحر الشعب . فان نسمة ترفع امواجك جبالاً الى السماء واقل شيء يجعلك ساكناً راكداً

وبعد ذلك التفت مايار الى النساء وطلب منهن ان لا يحرقن المجلس فان هذه القوة التي يطلبن هدمها هي القوة المدنية التي تنصر الشعب على مقاوميه فيجب عليهن مساعدتها لا مقاومتها . فاقتنعت النساء ولكن ساءهن ان لا يصنعن شيئاً فصاح بعضهن فلنذهب اذاً الى فرساليا لنرى الخباز والخبازة

وكانوا يعنون بالخباز الملك وبالخبازة الملكة

فصاح حينئذ غيرهن نعم الى فرساليا الى فرساليا نحن جيش ومايار جنرالنا كما ان لافاييت هو جنرال الرجال . ومنذ هذا الحين اخذوا يسمون « مايار » جنرال النساء فرضي مايار باللقب وبالوظيفة

الفصل السابع عشر

(الشعب يسير الى فرساليا)

وكان عدد هؤلاء النساء المجندات ٨ الآف امرأة ومعهم المدافع والحراب

والبارود بضعنه في مناديلهن وجيوبهن فرأى مايار انهن يحدثن هياجاً عظيماً في باريز اذا بقين فيها فضلاً عن استمرار هياجهن فراى من الحكمة ان يسوقهن الى فرساليا كما يطلبن ثم متى وصلن الى هناك اخمد هياجهن بما اصبح له من السلطة عليهن

فدنا مايار من الفتاة الجائعة التي كانت تضرب الطبل في المقدمة وتناول الطبل منها. فالقته الابنة اليه تخلصاً من ثقله فوق ثقل جوعها . وبعد ان اخذه مايار منها سقطت من الجهد والجوع على الحاجز الحجري هناك والقت راسها عليه كانها مائتة

فكان الحاجز الحجري وسادة لها. وهو في الحقيقة بالنسبة الى المعذبين في الشوارع وسادة الجوع والفقر والشقاء

فسالها مايار عن اسمها . فقالت ان اسمها « مادلين شامبري ». وقد كانت صناعتها في اول عهدها نقش الاخشاب لتزيين الكنائس بها . ولكن حوادث الثورة صرفت الافكار عن الكنائس وزيناتها فلم تعد هذه المسكينة تجد عملاً

فاتخذت صناعة بيع الازهار في الشوارع لتربح ما تسد به رمقها . ولكن باقات الازهار نجوم تسطع في اوقات السلم والسعة وتذبل عند ما تهب عليها انفاس الجوع والثورة لان الجوع لا يبقي في الجيوب مالاً لابتياع الخبز فكيف الازهار . لذلك اضطرت الى ترك هذه الصناعة ايضاً . ولما لم تجد عملاً تعمله حملت طبلاً واخذت تطوف باريز وهي تقرعه وتطلب خبزاً كما قدمنا

فاقترح مايار عند اخذه هذا الطبل منها ان تُرسل هذه الفتاة مع ١٢ امرأة من الباريزيات وفداً الى الملك ليطلبن منه « باسم الجوع والجائعين » اطعام الشعب خبزاً . نعم انها لا تستطيع السير لضعفها ولكنها تسير الى فرساليا مع رفيقاتها في مركبة

فسرّ النساء بهذا الخاطر سروراً عظيماً وتركن تهديد الملك وعياله لانهن اصبحن يؤملن من الملك انصافاً

فاخترن منهن اثنتي عشرة امراة وقدمن عليهن الفتاة الجائعة « مادلين » ثم وضعنهن في المقدمة وزحفن بهن الى طريق فرساليا لمقابلة الملك

ولكنهن ما وصلن الى قصر التويلري حتى وقفن كما يقف التيار لشيء يحول دون مجراه . ذلك لان حارساً كان يحرس مدخل القصر

فاراد النساء ان يمررن بالرغم عنه فتقدم جنرالهن مايار وسالهن متلطفاً ان لا يفعلن ذلك لان فيه اهانة الملك والاعتداء على الحرية الشخصية والعمومية . فلن وما السبيل

اذاً . قال مايار السبيل ان نستاذن الحارس اكراماً للملك

فصرخ النساء معاً . نعم نستاذن الحارس

فتقدم مايار من الحارس وقد رفع قبعته عن راسه وقال له متلطفاً . نحن قاصدون جلالة الملك في فرساليا فهل تاذن لهولاء السيدات ان يمررن من حدائق التويلري للوصول الى الطريق وانا اتعهد لك بانهن لا يحدثن ضرراً

فكان جواب الحارس انه جرد حسامه بغضب وهجم به على مايار

فجرد مايار حينئذٍ حسامه والتقى به الحارس . فلما ابصر النساء ذلك انفرد بعضهن واتين الحارس وهو يناضل مايار فرفعت احداهن مقبض مكنسة ضخمة كانت في يدها وضربت الحارس بها على راسه فسقط من شدة الضربة تحت اقدام مايار . فتناول مايار سيف الحارس ومرّ النساء من طريق التويلري دون ان يحدثن فيه ضرراً كما تعهد جنرالهن ثم اخذن بالمسير نحو فرساليا وهن على ما رايناهن فيه من الهياج والاضطراب

فلنتركهن سائرات على الطريق ولنعد الى باريز

ولا شبهة في ان اضطرابهن وهياجهن كان من شانهما ان يسريا الى الشعب . وهكذا كان

وكان لافاييت قائد الحرس حين سماعه بهذا الاضطراب يستعرض الجيش في ساحة التمرين فبادر في الحال الى ساحة المجلس البلدي حيث كان الشعب آخذاً في الاجتماع كما تجتمع الغيوم السوداء في كبد السماء

وكان لا فاييت يصرف ايامه وهو لا يعرف راحة بل كان طول اوقاته راكباً جواده الابيض الذي اشتهر اشتهاره ويتنقل عليه من مكان الى مكان . وكان يصرف النهار والليل احياناً على متنه بل ربما اكل ونام على متنه لفرط تأهبه واستعداده . ولذلك صور مصورو الجرائد الجنرال لا فاييت في تلك الايام حيواناً ضخماً هائلاً اسفله جواد ابيض واعلاه انسان

وبينما كان لا فاييت مسرعاً الى ساحة المجلس البلدي وجد في طريقه فارساً عائداً منها وهو ينهب الارض بجواده نهباً . وكان هذا الفارس الدكتور جيلبار وهو سائر الى فرساليا لاطلاع الملك على ما جرى . فاستوقف الدكتور لافاييت وقص عليه ما جرى بكلمتين ثم استانف السير الى فرساليا والجنرال لافاييت الى ساحة المجلس البلدي

ولما وصل الجنرال الى هذه الساحة وجد صعوبة شديدة في المرور الى باب المجلس لكثرة

الجمع المحتشد وبعد دخوله استفهم عما جرى واخذ يملي على احد الكتبة كتاباً الى الملك بتفصيل حوادث ثورة الصباح

ولكنه لم يصل الى السطر السادس حتى دُفع باب الغرفة التي كان فيها دفعاً شديداً وظهر فيه وفد يتقدمه ضابط . قاوماً اليهم لافاييت ان يتقدموا فدخلوا الى الغرفة

ثم تقدمهم الضابط الذي كان موكولاً اليه ان يتكلم وبدأ يخطب قائلاً بجأش ثابت :

« ياسيدي الجنرال . اوفدتنا اليك عشر فرق من الفرسان لنقول لك اننا لا نستطيع ان نرفع حرابنا على نساء يطلبن خبزاً . نحن موقنون انك لست خائناً ولكن الحكومة تخوننا . واللجنة التي عُهد اليها القيام بحاجات الشعب غير قائمة بواجباتها فينبغي فصلها . ثم ان مصدر المصائب في فرساليا فنحن نريد ان يعود الملك الى باريز ونطلب اعدام جنود فلاندرو الحرس الذين داسوا الشعار الوطني باقدامهم في المادبة في فرساليا . واذا كان الملك ضعيفاً الى حد لا يستطيع عنده ان يحكم فليتنازل عن الملك الى ابنه »

وكان الخطيب يتكلم بشجاعة وثبات جأش ولافاييت مدهوش مبهوت يسمع و يرى بعجب واستغراب . فانه قد شهد فتناً كثيرة واضطرابات هائلة . رأى الشعب يزأر زئير الاسود والرصاص يهطل كما يهطل المطر فلم يؤثر فيه ذلك قط كما اثر فيه هذا الكلام القوي . ذلك انه شعر بان هذا الكلام هو انفاس الثورة الحقيقية تهب للمرة الاولى في وجهه

ومما زاد استغرابه طلب الشعب ان يتنازل الملك عن عرشه وهي المرة الاولى التي يُظهر فيها الشعب امكان استغنائه عن ملكه

فقال لافاييت للوفد بشيء من الحدة والنزق . ما هذا القول ايها السادة . اراكم تجاوزتم الحد بتعرضكم للملك ومن واجباتي ان انبهكم الى ذلك

فاجاب الضابط باحترام « نحن ياسيدي الجنرال نسفك دماءنا في سبيل مرضاتك ولكن الشعب تعيس واصل تعاسته في فرساليا وهو يريد ان يعود الملك الى باريز . هذه ارادة الشعب الواقف تحت هذا القصر »

فانعم لافاييت النظر في هذا الموضوع وهو يسمع صراخ الشعب « الى فرساليا الى فرساليا » فرأى وجوب اخماد هياجه واقناعه بترك العزم الذي عزم عليه من الذهاب الى فرساليا للعودة بالملك فترك الوفد ونزل الى ساحة المجلس واراد ان يخطب في القوم . فغطوا صوته بصراخهم الهائل قائلين « الى فرساليا الى فرساليا »

واتفق في هذا الوقت ان بالي رئيس المجلس قدم الى المجلس فازداد الشعب صراخاً وهياجاً واصبحوا يصرخون « نريد خبزاً نريد خبزاً »

وكان الجنرال لا فاييت قد دخل بين الجمع ليحاول تسكينهم فاطبق الجمع عليه من كل جانب وهم يصيحون الى فرساليا الى فرساليا ثم حالوا بينه وبين باب المجلس فلم يبقَ في استطاعته الوصول اليه . بل اصبح كزورق صغير على ظهر امواج الاوقيانوس وهي تتلاعب به وتقذفه الى حيث تشاء

غير ان لافاييت جهد النفس حتى وصل الى جواده المربوط في ساحة المجلس وامتطى صهوته . فكان كغريق وجد بين الامواج المائلة خشبة فعلق بها

اما الشعب فلما راى لافاييت قد امتطى جواده وجد انه قد اصبح اكثر تأهباً للسفر فازداد صراخاً « الى فرساليا الى فرساليا » ثم احاط بالفارس وفارسه احاطة السوار بالمعصم واخذ يشد بهما ويدفعهما بالرغم عنهما في طريق فرساليا

فبقي لا فاييت متردداً عن السير في هذه الطريق . نعم انه اذا سار الى فرساليا فانه يستطيع نفع الملك ولكن من يضمن له انه يستطيع حينئذٍ التسلط على تلك الجماهير المائلة التي تسير معه . فانه الآن وهي لا تزال في باريز يجد انها اصبحت لا تسمع له كلمة فكيف بها اذا اصبحت في فرساليا بعيدة عن مركز قوته في باريز

وبينما كان الجنرال يتامل في هذا واذا برجل قد خرج من باب المجلس و بيده ورقة . فشخصت اليه جميع الانظار . وكان هذا الرجل هو بيلو نفسه

فما زال سائراً يشق الجموع وهم يفسحون له المجال حتى وصل الى لافاييت فالقى الكتاب اليه فعلم الجنرال انه من اعضاء المجلس قبل ان يتناوله . ولكنه ما اخذه بيده حتى علا صياح الناس من كل جانب « اقرأه جهراً اقرأه جهراً » وكان الاضطراب هائلاً والصراخ مما تصم له الآذان

فاومأ اليهم لا فاييت ان يسمعوا ليتلوه عليهم فسكتت الاصوات في الحال كانها سكتت بقوة سحرية واصغى الجميع اصغاء تاماً

فقرأ الجنرال لا فاييت في الكتاب هذه الاسطر

« بناء على ارادة الشعب وعلى ما طلبه الجنرال لافاييت القائد العام مما ليس في استطاعتنا رفضه قد اذنا له بل امرناه بالذهاب الى فرساليا وسيصحبه اربعة من اعضاء المجلس »

مسكين لافاييت · فانه لم يطلب قط ذلك الطلب ولكن الاعضاء راوا ان يحملوه هذه المسئولية فكتبوا ما كتبوا بناء على ما راوه من ارادة الشعب التي لا مردّ لها

اما الشعب فانه لما سمع من هذه السطور ان الجنرال لافاييت قد استاذن المجلس بالسفر بهم الى فرساليا صاح من فم واحد صيحة كالرعد القاصف قائلاً « عاش لا فاييت»

فاصفر وجه لا فاييت عند ذلك ثم مدّ يده مشيرًا الى طريق فرساليا وصارخًا — هلموا الى فرساليا

فاندفع وراءه خمسة عشر الف رجل قاصدين فرساليا ليطلبوا من الملك ان يسد رمقهم بكسر الخبز الفاضلة عن مآدب بلاطه

الفصل الثامن عشر

(فرساليا)

وكان البلاط في فرساليا جاهلاً ما كان يجري في باريز حسب العادة

اما الملكة فانها بعد حوادث المادبة اصبحت ترى ان لديها جيشًا قويًا مستميتًا في حب الملكية فازدادت عنفوانًا وكبرياء

وكانت قد اصبحت تبتعد بما في استطاعتها عن شارني لا رغبةً عنه بل اهمالاً له كامرٍّ بنا اما زوجته الكونتس دي شارني فانها كانت تقربها منها لا رغبةً فيها ولكن حتى لا يقال انها غضبت عليها

ولم يكن هذا الانقلاب الذي حدث في عواطف الملكة ناشئًا عن سخطها على هذه الامرة فانها في صباح هذا اليوم ابصرت جورج دي شارني وهو اخو الكونت وضابط في حرس الملك مارًّا في القصر مسرعًا فدعته اليها واخذت تحادثه متلطفة معه · فسألته الى اين يسرع في مثل تلك الساعة · فاجاب الفتى جورج انه سائر ليبلغ خدمة الصيد ان الملك يتصيد في هذا النهار · فارسلت الملكة نظرها الى السماء وقالت ان الغيوم السوداء متكاثفة فوق باريز افلا يخاف الملك المطر في مثل هذا اليوم · فقال جورج · هذه ارادة جلالته · فتنهدت الملكة وقالت اذًا فلتكن ارادة الملك· ثم خفضت صوتها وقالت · يجب ان تبقى له الارادة في هذه الشؤون على الاقل · ثم رفعت صوتها وسالت الفتى جورج · واين يتصيد الملك اليوم فقال في حرش مودون فقالت الملكة اصحبه اذًا واسهر على حياته

وكانت الكونتس اندري حاضرة هذا المشهد

ولكن ما اتت الملكة على آخر كلامها حتى سُمع صوت من ورائها يقول

— لا يسهر على حياة جلالته فقط ياسيدتي ولكنه يبذل حياته دونها ولا سيما في الاخطار الحاضرة

فارتعدت الملكة عند سماعها هذا الصوت لانها علمت انه صوت شارني قبل ان تره وجهه . فالتفتت فابصرت الكونت دي شارني داخلاً فقالت له بشيء من النزق : كان حتى ان ادهش لو كان قائل هذا الكلام غير الكونت دي شارني . فسأل الكونت باحترام ولماذا ياسيدتي . قالت لانك تتشاءم وتنذر بالشر دائماً

فاصفر وجه الكونت عند هذا التوبيخ واصفر وجه الكونتس اندري زوجته ايضاً . ولكن شارني لم يجب بل اكتفى بالانحناء احتراماً . اما زوجته فانها نظرت اليه نظرة كان معناها لماذا هذا الجبن والضعف . فتشجع شارني وقال : الحق اقول لجلالتك انني اصبحت تعيساً لانني صرت لا اقول كلمة الا وتسوءها

وكان هنا لكلمة « صرت » معنى كبير وقد شدد عليها الكونت حين لفظها كما يشدد الممثلون في المراسح على الكلمات التي يودون توجيه الاسماع اليها بنوع خاص . فثار دم الملكة وصاحت به . تقول « صرتُ صرتُ » فما معنى هذه الكلمة

فاجاب الكونت بهدوء : يظهر انني لم احسن التكلم هذه المرة ايضاً . ثم وجه نظراً معنوياً الى اندري فابصرته الملكة واصفر لونها فقالت بغضب وحدة — انما يكون الكلام سيئاً متى كانت النية سيئة

فاجاب شارني انما يكون الكلام سيئاً متى كانت الاذن التي تسمعه تود جعله سيئاً ثم سكت

فاجابت الملكة انا لا اجاوب حتى ارى المسيو شارني قد اصبح اكثر اعتدالاً في كلامه

فدنت حينئذٍ اندري من زوجها واخذت يده كانها تسأله السكوت خوفاً من اغاظة الملكة فوق ما اغاظها . وهمت بالخروج معه فاوقفتها الملكة بنظرة شديدة وسألتها . والخلاصة ما كان يريد « زوجك » مني

فقالت اندري ان الكونت كان امس في باريز وقد عاد منها اليوم بعد ان شاهد اضطراباً عنيفاً

فقالت الملكة . احدث اضطراب جديد ايضاً ؟ ولماذا ذلك . لقد فتح الشعب الباستيل

وهو آخذ الآن بهدمه فاذا يريد اكثر من ذلك . تكلم ايها الكونت

فقال دي شارني نعم هدم الشعب الباستيل ياسيدتي ولكن حجارته لا تؤكل والشعب جائع يريد خبزاً

فاجابت الملكة بحدة . وماذا نصنع بالشعب اذا كان جائعاً . فقال ذي شارني بحدة ايضاً . لا تقولي هذا القول ياسيدتي فان من واجبات الملوك ان يصنعوا كل شيء للشعب وان يبذلوا كل شيء في سبيل خدمته ونفعه . فقالت الملكة ولكن ماذا شاهدت

فقال الكونت . شاهدت يامولاتي مشاهد ترتجف لها الابدان . شاهدت جماهير لا تحصى مجتمعة على الارصفة تنتظر الدقيق والدقيق لا يأتي . شاهدت جماهير اخرى خمص البطون صفر الوجوه عراة الابدان تنتظر الخبز امام ابواب الافران والخبز لا ياتي . شاهدت شعباً باسره جائعاً مجهوداً . الآباء ينظرون الى الامهات بحزن والم لانهم لا يستطيعون سد رمقهن بكسرة من الخبز والامهات تتمزق احشاؤهن من الجوع ومن الجزع على اولادهن الجياع امامهن . هذا ما شاهدته امس في باريز . وشاهدت ايضاً الايدي تمد الى فرساليا بالتهديد والالسنة تلفظ بغضب وجنون كلمات اليأس والوعيد . فصدقيني ياسيدتي ان الخطر شديد وانه ربما اتى عاجلاً او آجلاً ذلك اليوم الذي يحلو لي ولاخي ان نموت فيه في خدمة جلالة الملك وجلالتك

وكأن هذا القول قد اعيى الملكة فادارت ظهرها الى الكونت وذهبت الى النافذة واسندت يدها اليها . ثم نظرت الى الخارج

ولكن ما وقع نظرها على الطريق الموصلة الى القصر حتى اخذت تتم النظر فيها ثم قالت للكونتس انظري معي ايتها الكونتس من هذا الفارس القادم الى القصر . فدنت اندري من النافذة . غير انها ما وقع بصرها على الطريق حتى تراجعت الى الوراء مذعورة وقائلة . ما هذا ياسيدتي

فتقدم عند ذلك الكونت من النافذة فابصر رجلاً على جواد ينهب الارض نهباً . فقال هذا الدكتور جيلبار عائد من باريز

فقالت الملكة نعم الآن عرفته

فنظرت اليها اندري لترى اذا كانت الملكة صادقة في قولها ام غير صادقة . فانها اذا كانت صادقة فذلك دليل على ان السهر والدموع والمصائب قد اضعفت بصرها فلم يبق في امكانها معرفة معارفها عن بعد مئات من الخطوات . واذا كانت غير صادقة فانها تكون قد

فصلت ما فعله انتقاماً من اندري لانها تعلم ان فرائصها ترتعد لمجرد رؤيتها ذلك الرجل فلم تستطع اندري ان ترى في نظر الملكة اذا كانت صادقة او كاذبة

وكان القادم هو الدكتور جيلبار نفسه وقد قدم لاطلاع الملك على حوادث ذلك الصباح كما مرَّ بنا . الا انه لما لم يجد الملك في قصره طلب ان يواجه الملكة فاستاذن في الدخول عليها . فاذنت له فدخل لمقابلتها

الفصل التاسع عشر

(وصول النساء)

وحين وصوله انحنى باحترام امام الملكة و باقي الحاضرين ثم قال قد جئت يامولاتي مسرعاً من باريز لاطلع الملك على حركة هذا الصباح . فقالت الملكة واي حركة . فقال جيلبار ان ٨ الآف امرأة متسلحات خرجن من باريز قاصدات هذا المكان

فبهتت الملكة والحاضرون ثم سالت وماذا يطلبون عندنا. قال انهم قادمون ليطلبوا من الملك خبزهم اليومي لان منهن من يمتن جوعاً

فنظر دي شارني الى الملكة كانه يقول . اذاً قد صحت نبوتي

فالتفتت الملكة الى جيلبار ودي شارني قائلة — وماذا العمل الان. فاجاب جيلبار ينبغي اولاً ان نخبر الملك بالحادثة . فان الملك لا يزال محبوباً فاذا قابلهن هنا وخطب فيهن ولاطفهن القين السلاح من ايديهن وعدن على اعقابهن . فقالت الملكة . ولكن الملك الآن في مودون يتصيد وكيف السبيل اليه . فتقدم دي شارني وقال انا اسرع لاخبار جلالته

فقالت الملكة ولكني لا اخال الطريق اميناً الآن فان القادمين او القادمات قد يقطعنها على المارين . فقال دي شارني . ولكنا خلقنا نحن ياسيدتي ليوم مثل هذا اليوم والموت للرجال فمن لم يمت بالسيف مات بغيره

ثم انه من غيران ينتظر جواب الملكة انحنى باحترام وخرج فركب فرسه وسار الى مودون لاخبار الملك

وقبل ان يغيب عن الابصار قصدت اندري النافذة وارسلت اليه منها التحية بيدها فحياها الكونت وهو ينهب الارض نهباً بجواده و يلتفت اليها

اما الملكة فانها نظرت اشارة اندري ولم تنظر اشارة الكونت زوجها

ولما انتشر بين الجنود خبر سفر النساء من باريز الى فرساليا مسلحات اخذوا بالاستعداد والتاهب . ولكنهم كانوا يتاهبون بقلق واستغراب اذ ماذا يصنعون مع النساء وكيف يهاجمون النساء وعلى الخصوص اذا كن ضعيفات خائرات القوى من التعب والجوع

ولنعد الآن الى هولاء النساء

كانت صفوف النساء فريقين فريقاً قادماً من سان كلود وفريقاً من « سفر » وقد افترقن هذا الافتراق في منتصف الطريق . ولكنهن قبل افتراقهن ظفرن في « سفر » بثمانية ارغفة من الخبز وهي كل ما كان من الخبز فيها فاقتسمنها بينهن

اي انهن قسمن ٨ ارغفة زنتها ٣٢ ليبره من الخبز بين ٨ الآف شخص . . .

ولما استانفن السير الى فرساليا اجهدهن التعب والجوع حتى لم يبق في استطاعتهن حمل السلاح في ايديهن فطرح ثلاثة ارباعهن سلاحهن على الطريق تخفيفاً لسيرهن . فبقي الربع الرابع فهذا اقنعه مايار قائد النساء بان يودع اسلحته في الطريق فتركها ايضاً . فاصبح النساء بلا سلاح

وما زلن سائرات وهن يتمايلن مترنحات لان الجوع يفعل فعل الخمر في الرؤوس حتى اشرفن على فرساليا مقر الملك . فخطر لهن خاطر وهو انهن يكرهن ان يقول احد عن سفرهن الى فرساليا انه ضد الملك ولذلك اقترحن ان ينشدن في دخولهن نشيد هنري الرابع دلالة على حسن نيتهن للملكية

وهكذا ما وصلن الى المدينة حتى علت الوف من اصوات النساء بذلك النشيد الملكي فاستغرب جند فرساليا وسكانها ذلك النشيد لانهم سمعوا ان النساء قادمات للوعيد لا للنشيد . وكان منظرهن وهن داخلات مغنيات كاشباح الموتى من الجوع وسوء الحال — منظراً محزناً يسيل الدموع و يفتت القلوب

ولما وصل النساء الى القصر وجدن الحاجز الحديدي المذهب مقفلاً ووراءه الجند متاهبين فرفعن ايديهن ومددنها بعضهن ملتمسات طالبات وبعضهن مهددات

وكان جميع اكابر الضباط ورجال البلاط قد التفوا حول الملكة فالتفتت هذه الى المسيو سن بريست احد الوزراء وبعثه الى النساء ليسألهن ماذا يطلبن . فجاءهن الرجل من وراء الحاجز وسالهن ماذا تطلبن فقلن من فم واحد — نريد خبزاً نريد خبزاً

فاجاب المسيو سن بريست بغضب قائلاً : لما كان لكم رئيس واحد لم تجوعوا قط اما الآن ولكم مئات من الروساء (يعني النواب في المجمع الوطني) فانكم تموتون جوعاً

قال هذا ثم عاد ادراجه بعد ان اوصى بابقاء الحاجز مقفلاً والنساء يصرخن صراخاً هائلاً

وبعد برهة قدم النساء وفدهن وهو مؤلف من ١٢ امرأة تتقدمهن بائعة الزهر كامرٌ بنا . وكان معهن رئيس المجمع الوطني المسيو مودون الذي اقنعه مايار برئاسة هذا الوفد والامتثال به لدى الملك

ولكن ما وصل الوفد الى حاجز القصر حتى ظهر الملك عائداً من الصيد بدعوة الكونت دي شارني . ولما دخل الى قصره سمع ضوضاء شديدة من جهة الجمع وصراخاً عظيماً

ذلك ان الحرس الملكي آلى على نفسه ان لا يترك الوفد النسائي ورئيسه يدخلون الى القصر فحملوا عليهم واطلقوا بنادقهم بينهم فسقط رئيس المجمع الوطني من الصدمة وجرحت امرأتان من الوفد برصاص الحراس

فلما سمع الملك هذا الامر غضب وصاح برجاله ان يفتحوا الحاجز على عجل ويوصلوا ذلك الوفد اليه . فبادر شارني وجيلبار لانفاذ امر الملك ومنع الحرس من مقاومة جمهور الشعب

وهكذا دخل وفد النساء تتقدمه بائعة الازهار . فدنت هذه من الملك خائفة مرتعدة فلم تتمكن من ان تلفظ غير هذه الكلمات . ياجلالة الملك نريد خبزاً . ثم سقطت مغمى عليها من الضعف والتعب والخوف والجوع

فبادر الملك واندري لاعانتها اما الملكة فبقيت كالصنم جامدة في مكانها

فاخذ الملك الابنة بين ذراعيه واخذوا ينشقونها الارواح لتفيق . ثم لما انتبهت ورأت نفسها بين يدي الملك خجلت وهمت بتقبيل يديه . فقال لها الملك اطلأني يا بنية ودعيني اقبلك . ثم قبلها . فقالت الابنة مولاي اذا كنت كريم الخلق الى هذا الحد فلماذا لا تصدر امرك . فقال الملك بماذا يا بنية . قالت بجلب الخبز الى باريز فاننا نموت جوعاً فيها فقال الملك اذا كان الجوع يذهب بامر اصدره فساصدره في هذه الساعة يابنية

ولكن لم يتم الملك كلامه حتى سُمع صوت البارود من جهة ساحة القصر فاجفل الملك وبعث جيلبار ليستخبر له

وكان سبب هذا الطلق ان المسيو سافونيير احد ضباط الحرس رفع يده ليضرب جندياً كان يحمي امراة منه فسدد رجل من الشعب بندقيته الى اليد المرفوعة واطلق النار

عليها فكسرها

فلما ابصر رجال الحرس ما اصاب احد ضباطهم جاوبوا باطلاق بنادقهم على الشعب المجتمع بين نساء ورجال · فسقطت امراتان على الارض واحدة قتيل والثانية جريح

فجاوب الشعب باطلاق النار فسقط من الحرس اثنان عن جواديها قتيلين

ثم ساد الهياج وقامت القيامة فاتى الشعب بمدفع كان معه وصوبه الى القصر ثم ادنى النار من خزانة بارودة · ولكن من حسن الحظ ان المطر كان يهطل في تلك الساعة فلم يشتعل البارود لانه كان مبتلاً

ولما وقف جيلبار على كل هذه التفاصيل علم ان الموقف حرج جدًا فحار في امره واذا برجل يهمس في اذنه قائلاً : ان الجنرال لا فاييت قادم فاركض واستعجله فانه لا يُسكن هذه الحركة احد سواه

فالتفت جيلبار ليرى هذا الناصح فلم يعرفه ولكنه رأى النصيحة في محلها ففتش ليرى جوادًا فوجد الجوادين اللذين قتل فارساها فانفرد باحدها وامتطاه ثم سار به ينهب الارض نهبًا

فهمَّ الجواد الثاني ان يلحق برفيقه ولكن بعضاً من الشعب اوقفوه · فظن جيلبار انهم دروا بسبب سفره فارادوا اللحاق به على ذلك الجواد ليمنعوه منه · فالتفت ليرى ما وراءه فابصرهم يقبضون على ذلك الجواد ويحيطون به من كل جانب

ذلك انهم جياع ويطلبون ذبحه ليأكلوه · فما لبثوا ان ذبحوه وسلخوه وقطعوه

وكان الملك في هذه الساعة يوقع على امرين · الاول للفتاة بائعة الازهار ومفاده جلب الخبز الى باريز والثاني للمسيو مودون رئيس المجمع الوطني ومفاده موافقة الملك على اللائحة التي سماها المجمع «حقوق الانسان»

وبعد توقيع الملك على الامر بجلب الخبز حسب النساء انهن نلن ما كنَّ يطلبنه فاجتمع الف واحدة منهنَّ وعدن مع بائعة الازهار الى باريز ومعهن امر الملك بجلب الخبز وهن يرفعنه في الهواء فوق الرؤوس ويهتفن للملك ابتهاجاً وسرورًا

اما من بقي من النساء والرجال فانهم لبثوا حول القصر يزأرون كما تزأر الاسود في الغابات

واما جيلبار فانه ما زال مغذًا السير حتى ادرك لا فاييت وهو قادم مع جنده الى فرساليا كما مرَّ بنا· فاطلعه الدكتور على التفاصيل التي مرّت واستعجله الى فرساليا لمساعدة

الملك فسار لافاييت مع جنده ركضاً

وكانت الملكة في ذلك الوقت تطلب من الملك ان يركب معها ومع ولديها مركبة و يسافر بهم الى رامبوليه اجتناباً لما عساه ان يحدث في فرساليا ولاسيا بعد وصول الباريزيين اليها لانها كانت قد علمت بسفرهم من باريز

فالتفت الملك الى دي شارني وساله ما رايك في السفر فقال شارني رايي انه موافق وغير موافق . موافق اذا كانت جلالتك تضمن انها تستطيع اجتياز الحدود في وقت قريب . وغيرموافق اذا كان غير ذلك

فقال الملك اذًا فالاحسن البقاء ههنا

قال ذلك لا لرغبته في الاقامة في فرساليا ولكن لعدم اقدامه على السفر منها

وما زال لافاييت سائرًا حتى وصل الى قصر الملك وكان الهياج لا يزال سائدًا . فدخل جيلبار مسرعاً وابلغ الملك خبر وصول لافاييت

وكان الملك لا يحب لا فاييت ولكنه لا يكرهه . اما الملكة فانها كانت تكرهه ولا تطيق رؤيته

ولذلك سكت الملك والملكة حين ابلغهما جيلبار خبر وصول هذا الرجل مع انه كان قادماً لانقاذهما

فاعاد جيلبار قوله ان الجنرال لافاييت قد حضر فهل للملك امر يصدره

فقال الملك حينئذٍ اشكروه من قبلي وقولوا له ان يدخل

و بعد برهة دخل لافاييت وكانت الملكة قد تنحت عن الملك واحاط بها ضباط القصر فلم يبقَ حول الملك الا جيلبار وشارني

فلما دخل لافاييت صاح صائح من حول الملكة

— قد اتى كرمويل

وكرمويل هو زعيم الثورة الانكليزية التي شبت نارها في عهد شارل الاول سنة ١٦٥٢ وهو الذي اعدم هذا الملك

فاجاب لافاييت . « ولكن كرمويل لم ياتِ الملك شارل الاول منفردًا وحده »

واما الملك فانه التفت الى ذلك الضابط الذي قال عن لا فاييت ذلك القول ليرى من هو ذلك الجاهل الذي يسوء في تلك الاوقات الصعبة الى الذين يستطيعون نفع الملك والملكة . ثم التفت الملك الى دي شارني وقال . انني باقٍ هنا

ايها الكونت لان الجنرال لافاييت قد اتى فاصبحنا في امن من كل طارىء فقل للجند ان يرتدوا الى رامبوليه ودع الحرس الوطني يحرس خارج القصر والحرس الملكي يحرس داخله . اما انت ايها الجنرال فاتبعني ثم سار به و بالدكتور جيلبار الى غرفة مجاورة

وكان الشعب في تلك الساعة يضرم حريقة كبيرة ليشوي على نارها لحم الجواد الذي ذبحه ليسد بلحمه رمقه

الفصل العشرون

(الليلة الهائلة)

من ٥ الى ٦ اكتوبر سنة ١٧٨٩

وانقضى النصف الاول من تلك الليلة هادئاً ساكناً . وكان المجمع الوطني مهتماً بحوادث النهار وقد طالت جلسته الى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فارسل ساعتئذٍ من قبله حراساً ليطوفوا حول القصر و يفتقدوا الراحة والامن فعادوا وابلغوا المجلس ان النظام تام وكل شيء في موضعه فتفرق الاعضاء مستريحي الخواطر

ولكن ما علموا انه عند صفو الليالي يحدث الكدر

فان ذلك السكون كان سكوناً غير طبيعي كالسكون الذي يتقدم الزوبعة اذ بعد اعمال المحركين في النهار جاءت نوبة المحركين في الظلام

ذلك ان في كل الحركات الاجتماعية والثورات السياسية يوجد عاملان مستقلان الاول عامل الذين يديرون الحركة ويقصدون بها بلوغ غرض معلوم فتى بلغوه اوقفوها والثاني عامل الذين ينتبهون عند حركة هؤلاء ولكنهم لا يقفون بوقوفهم بل يتقدمون مسرعين و يعملون اعمالاً ترتجف لها الابدان

الاولون يعملون الاعمال السياسية والاخرون يعملون الاعمال البربرية

وهكذا جرى في ذلك اليوم . فانه بعد منتصف الليل وصل الى فرساليا جماهير من العامة مائجة هائجة . كانها حيتان البحار خرجت من الاعماق الى سطح الماء تلتمس الجيف الطافية عليه . لقد حضرت هذه الجماهير سقوط الباستيل ولكن الباستيل حجارة لا تنهب واما قصر الملك في فرساليا فهو ملآن بالنفائس والتحف الثمينة . لذلك اتت هذه الحيتان للنهب والسلب بعد الذين جاءوا مستفتشين مستنصفين

وكان القصر الملكي هادئاً ساكناً لا تسمع فيه الا اصوات اقدام الحراس وقد نام

الملك من اول الليل واما الملكة فكانت مضطربة هائجة . وفيما هي داخلة الى قصرها عائدة من قصر الملك وجدت جورج دي شارني اخا الكونت دي شارني واقفاً يحرس الباب المؤدي الى غرفتها . وكان متأثرًا مضطربًا فسألته الملكة كيف انت ايها البارون قال الشاب بخير ياسيدتي ومستعد لبذل حياتي في سبيلك فقالت واين الكونت اخوك قال هو الآن ساهر امام غرفة الملك لحراسته كما اسهر انا ههنا . قالت وزوجته اندري قال قد دخلت الى غرفة جلالتك وهي في الانتظار داخلاً

فمدت الملكة يدها الى الفتى قائلة شكرًا لكم فان اسرتكم قد غمرتنا بالجميل . فاجاب الشاب ان اليوم الذي اسفك فيه ياسيدتي دمي فدى عنك فذلك يوم يكون سعيدًا عندي

فكأن هذا الشاب كان يقرأ في صفحات الحوادث المستقبلة

ثم دخلت الملكة فوجدت اندري عندها فحيتها ولاطفتها ودخلت الى غرفتها . ثم انطفأت انوار القصر ونام كل من فيه غير الحراس كما ذكرنا

ولكن في الساعة الخامسة ونصف من ذلك الليل والجميع نيام في القصر سُمع في فنائه صوت طلق ناري قوي فدوت جوانب القصر كلها

وكان السبب في ذلك ان اربعمائة او خمسمائة صوت من الحيتان البشرية التي اشرنا اليها قصدت في تلك الساعة حاجز القصر وتسلقته بسرعة غريبة تفوق سرعة القرود وهي ساكتة مختلسة الخطى ورامت الدخول الى القصر اختلاساً فابصرها الحارس الذي كان واقفاً يحرس المكان فصوب بندقيته اليها واطلقها بينها

فدوى المكان لصوت البارود وسقط رجل من تلك الجماهير قتيلاً

فافترق حينئذ اولئك الناس فريقين وسارا ركضاً الواحد الى قصر الملك والثاني الى قصر الملكة

فلنتبع الفريق الاول

وكان امام غرفة الملك حارس واقفاً يحرس وهو يخطر ذهاباً واياباً . واذا به يسمع ضوضاء شديدة واصوات صعود على السلم فتقدم مسرعاً وبندقيته في يده فابصر بعيدًا عنه قوماً راكضين وهم سكوت لا يتكلمون فصاح ملء فمه الصياح النظامي المألوف « من القادم » فلم يجبه احد فصاح بصوت اقوى — من القادم . ثم صوب البندقية الى اولئك الصاعدين

ولكنه رأى ان صوت البارود في منزل الملك يقلق القصر كله فتناول سيفه وهجم قائلاً — ماذا تريدون ايها السادة

فاجاب بعض الصاعدين متهكمين — لاشيء لا شيء دعنا نمرّ فاننا من اصدقاء جلالته.

فصاح الحارس ولكن من انتم

فلم يجبه حينئذٍ احد ولكن ضحك الجميع ضحكة هائلة ارتج لها المكان. فزاد الحارس هجوماً وسيفه في يده

فحدث حينئذٍ حادث مريع . امواج بشرية كانت صاعدة كالجبال على السلم وليس في وجهها غير رجل واحد يمنعها من المرور بضربات حامية

ولكن لم يطل هذا العراك حتى تنبه باقي حراس المكان فركض احدهم صارخاً — انجدوا انجدوا الكونت دي شارني

وكان الحارس الذي وقف في وجه الهاجمين هو الكونت دي شارني

فبادر الحراس الى مساعدته ولكن الملك كان قد استيقظ مرعوباً مدهوشاً فلما بلغه الخبر اصدر امره في الحال بان يدخل الحراس من وجه الهاجمين ويقفلوا الابواب

فاطاعوا وكان دي شارني آخر الداخلين

فاخذ الهاجمون يقرعون الباب ويضربونه بالفؤوس ليكسروه فامر دي شارني ان يوضع وراءه كل ما في المكان من الخزانات والمقاعد والمساند حتى اذا كسروه وجدوا وراءه منها باباً ثانياً

هذا ما جرى في قصر الملك . فلنتبع الآن الذين هاجموا قصر الملكة

فانهم ما وصلوا الى حيث كان الفتى جورج شارني واقفاً حتى صاح بهم الصياح المألوف « مَن القادم » ولما لم يجبه احد منهم فوق اليهم بندقيته واطلقها فسقط احدهم قتيلاً

فارتعد المكان وانتبهت النساء واندري من النوم ففتحت اندري الباب ومدت منه راسها وعليه الاصفرار ولوائح ثبات الجاش فرأت الفتى جورج وحده بين اولئك الذئاب وهو يدافعهم عن نفسه وعن الطريق مدافعة الاسود فصاح بها . مدام . ابلغي الملكة انهم يريدون الفتك بحياتها ثم خذيها واذهبا معاً من حيث تقدران فانني استطيع الثبات في وجوههم ولو قُتلت حتى تتمكنا من النجاة . اسرعا اسرعا

فاغلقت اندري الباب. ودخلت مسرعة فصاح جورج اقفليه جيداً واسرعا لئلا يفوت الوقت



جلالة السلطان الاعظم



الجزء الخامس   السنة الثانية

الاسكندرية اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ — ربيع الثاني سنة ١٣١٨

جلالة السلطان

﴿ عبد الحميد خان الثاني ﴾

يوبيل جلالته الفضي اي الاحتفال بانقضاء ٢٥ عاماً

على ارتقائه عرش السلطنة

لا تنقضي بضعة ايام على صدور هذا الجزء حتى تقوم الاعياد في عاصمة السلطنة العثمانية وملحقاتها احتفالاً بيوبيل جلالة السلطان الفضي لانقضاء ٢٥ سنة على ارتقائه عرش السلطنة . فوجب علينا ان نفتح هذا الجزء بذكر هذا العيد العظيم اشتراكاً مع المعيدين

وقبل ان نرفع الى جلالة مولانا السلطان تهنئتنا الخالصة بيوبيله الكريم نلقي الاذن الجامعة بنقل الترجمة التي وجدناها في الجزء الاول من « دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى» تحت امضاء العالم ل . فير . وهذه ترجمتها بالحرف الواحد

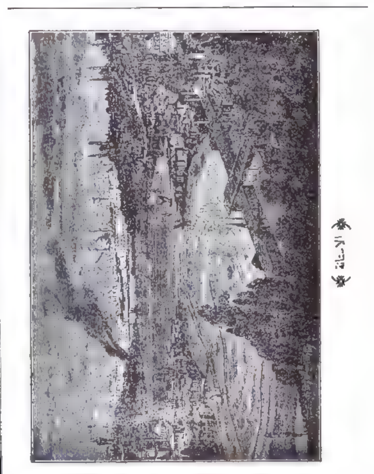
﴿ جلالة السلطان ﴾ هو السلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان ولد من السلطان عبد المجيد خان في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ . وخلف اخاه السلطان مراداً في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦ . ولما ارتقى الى العرش العثماني كانت المسألة الشرقية مفتوحة فان سربيا والجبل الاسود آذنتا الدولة العلية بالحرب في ٣ يوليو ثم ازداد الخلاف لرفض

الباب العالي الرضى باقتراحات الدول فآذنت روسيا تركيا بالحرب ايضاً في ١٢ افريل سنة ١٨٧٧ . فاظهر جنود الدولة في هذه الحرب من البسالة والصبر على المكاره واظهر قوادها نظير عثمان باشا وسليمان باشا من الدراية والمهارة في القيادة ما اوقف سير الجنود الروسية وقتاً طويلاً واصابها بخسائر عظيمة ولا سيما في بلافنا . ولكن هذه الحرب انتهت بمعاهدة سان ستفانو (٣ مارس سنة ١٨٧٨) ثم صُححت هذه المعاهدة في مؤتمر برلين (١٣ يونيو و١٣ يوليو) فحرمت روسيا بعض الفوائد التي كانت لها في معاهدة سان ستفانو ومع ذلك فقد بقيت معاهدة برلين شديدة على الدولة لانها قضت باعطاء النمسا البوسنه والهرسك . ثم اخذت انكلترا قبرص مقابلة وعدها بمدافعة روسيا حين الحاجة وذلك في معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ . فما مرَّ يتضح ان بداية حكم جلالته كانت صعبة جداً ولكن لا خلاف في ان جلالته غير مسئول عما حدث يومئذٍ اذ كان لا بد لذلك ان يحدث لانه نتيجة السياسة السابقة

وبعد هذه الحرب المشومة رأى جلالته ان السكوت والهدوء خير الامور لان حرباً كهذه الحرب قد احدثت تعطيلاً عظيماً في مصالح الدولة الاجتماعية والاقتصادية فصرف همه الى مجاملة الدول في الخارج واظهر في الداخل رغبته في استبدال اسراف سلفائه بالاقتصاد وادخال اصلاحات مهمة الى الدولة . ولما قبض على زمام السلطنة ابقى حزب تركيا الفتاة في مناصبهم وادار هذا الزمام بقوة دلت على مضاء عزمه وقوة ارادته فانقص نفقات البلاط وقضى بان تُنفذ الارادات التي يُصدرها بكل دقة معنىً ومبنى . واخذ يزور بنفسه الثكنات العسكرية ويلاطف الضباط والجنود ويتناول الطعام معهم وذلك مما لم يُرَ في تركيا قبله . ثم شرع في ادخال الاصلاح الى شؤون الدولة الادارية فالف لجنة عامة للاصلاح اعضاؤها ٣٠ من المسلمين و٣٠ من المسيحيين ونودي في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ بمنح الامة الدستور الاساسي

اما هذا الدستور فقتضاه سلامة السلطنة وعدم مسئولية جلالة السلطان ومساواة جميع رعية الدولة لدى القانون وقبول الرعية المسيحيين في مناصب الدولة ووظائفها وحرية التعليم وحفظ الحرية الشخصية وحرمة المنازل واستقلال المحاكم وحسن تنظيم الولايات وتنظيم ميزانية الدولة وموازنتها

وكان من مقتضى هذا الدستور انشاء مجلس نيابي للاعيان يكون بمثابة مجلس الشيوخ في اوربا وانما لا يُنتخب اعضاؤه انتخاباً ولكن جلالة السلطان يعينهم لهذه العضوية طول



﴿ الاستانة ﴾

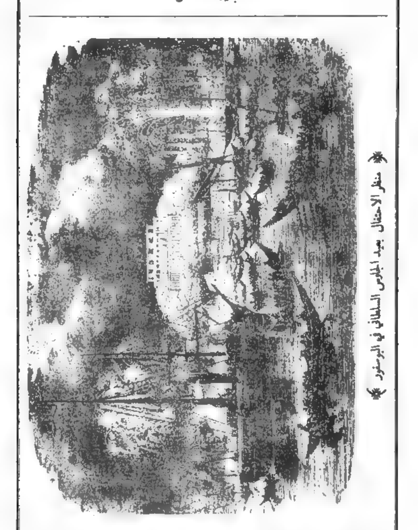
حياتهم وانشاء مجلس نواب (مجلس مبعوثان) ينتخب الاهالي اعضاءه الى مدة ٤ سنوات باعتبار ان كل ٥٠ الف عثماني ينتخبون عضواً · وكان من وظيفة الوزراء ان يقدموا الى هذين المجلسين القوانين والنظامات التي يريدون سنها ليوافقا عليها او يرفضاها وكانوا مسئولين لديهما وتحت مراقبتهما ولجلالة السلطان الحق في اطالة اجل المجلسين او صرفهما

وكان مدحت باشا الصدر الاعظم في ذلك الزمان · فما لبث ان غضب عليه جلالة السلطان بعد انقضاء اقل من شهرين على وزارته فنفي من الاستانة وصُرفت لجنة الاصلاح

في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ ومجلس المبعوثان وقبض جلالة السلطان عبد الحميد على سياسة الدولة كلها . فجاءت هذه السياسة بنتائج حسنة لانه استطاع بها تنفيذ كل معاهدة برلين تقريباً واجتناب الاخطار التي كانت تتهدد الدولة . ثم اخذ في تنظيم مالية الدولة وادارتها وجيشها مستنداً في ذلك الى المانيا. وقد تحررت ولايات الروملي الشرقية دون ان يتداخل جلالته ولكنه لم يتنازل عن حق من حقوقه في كريت وارمينيا . ويُستدل من زيارة الامبراطور غليوم للاستانة في سنة ١٨٨٩ (المرة الاولى) ان تركيا تحفظ مقامها بين الدول العظمى) . انتهى بنصه حرفياً ومنه يستدل القارئ ان هذا الفصل قد كتب منذ زمن بعيد

❊ شهادة سياسي ❊ ويجدر بنا بعد نقلنا هذا الفصل ان ننقل شهادة سياسي وهو المرحوم غبريل شارم الذي ساح في بلاد الدولة العثمانيه سياحة طويلة وزار الاستانة فكتب في احد كتبه يصف جلالة السلطان بما خلاصته (لا يحدث شيء في بلاد الدولة العثمانية ولا تخرج ورقة من ايدي حكامها الا بعد علم جلالة السلطان واطلاعه عليها وفحصها فحصاً دقيقاً مع ان تلك الاوراق تُعد بالالوف وعشرات الالوف . وقد كانت شهوات اسلافه السلاطين مختلفة . اما شهوة جلالة السلطان فانها العمل والشغل الدائم ولا يفكر في ما سوى ذلك. وهو يشتغل في غرفة شغله الى ما بعد منتصف الليل بساعة وساعتين واحياناً بثلاث فيبقى النور موقداً في قصر يلدز في حين ان جميع انوار الاستانة قد اطفئت وتكون عين جلالة السلطان آخر عين تنام في الاستانة . وهو لشغفه بالشغل يلذ له استقبال السفراء وكبار الزوار في قاعة على موائدها الخارطات والاوراق ومواد شغله فيكون لقاعة الاستقبال منظر جميل

❊ شهادة عالم ❊ وتشرف العالم الرحالة فمبيري النمساوي الذي استدعاه في هذا العام جلالة السلطان الى الاستانة للبحث في انشاء كلية علمية فيها بمقابلة جلالته في يوم من الايام ثم كتب مقالة طويلة عن هذه المقابلة فقال فيها انه رأى من لطف جلالة السلطان واتضاعه وعظمته وسعة معارفه ما لم يكن يعلم منه شيئاً . ونقل ان جلالة السلطان قال له ان اوربا تحسب الاصلاح في بلادنا امراً هيناً كما هو في بلادها ولكنها تجهل ان الارض العثمانية ارض قديمة يجب اولاً نزع ما فيها من الحجارة والاشواك ليتسنى لنا بعد ذلك الشروع بحراثتها وزرعها . وان جلالته صارف همه الى ذلك اسعاداً لمملكته ورعيته



منظر الاحتفال بعيد الجلوس السلطاني في البوسفور

الاصلاح على ان هذا الكلام يسوقنا الى موضوع الاصلاح في بلاد الدولة العلية · وقبل ان نقول كلمة في هذا الموضوع لا نجد بدًّا من الاشارة الى ثلاث فئات من الناس يهتمون بالاصلاح · الفئة الاولى تنادي الاصلاح الاصلاح ولا تقصد بذلك الا معاكسة الحكومة العثمانية بدليل انها اذا اتت اصلاحاً مفيداً ازدادت تلك الفئة صياحاً

وصغرت ذلك الاصلاح ان لم تعتبره افساداً . الفئة الثانية ترى كل حسن حسناً وتثني على كل اصلاح تاتيه الحكومة العثمانية وان كان صغيراً لانها تعلم ان الطفرة محال ولا تجهل الصعوبات التي تعترض عادةً كل تغيير . والفئة الثالثة تُكبر كل شيء وتقول انه لا ينقصنا شيء

ونحن من الفئة الثانية اي من الفئة الوسطى التي يقضي عليها العقل والمصلحة العامة بالاعتدال والروية . لذلك لم نالُ جهداً في اظهار سرورنا من كل اصلاح اتته الحكومة في السنوات الاخيرة . وقد كنا منذ يومين في مجلس دار فيه الكلام على اليوبيل الفضي العظيم الذي تستعد له الاستانة والولايات العثمانية فقلنا ان هذا العيد جاء في اجمل اوقاته فان الثقة المالية بالدولة اليوم حسنة وجميع الدول راغبات في مصافاتها والتودد اليها والمشروعات الاصلاحية تتوالى فقد نُظم الجيش سياج الدولة وانشئت معامل تصنع السلاح في الاستانة واعتني باصلاح الاسطول اعتناء يذكر فيشكر وانصرفت العناية الى التعليم وانشاء المدارس بعض الانصراف واخذ في تنشيط الزراعة واحياء الصناعة وشُرع في مد السكك الحديدية في وادي الفرات والحجاز وغيرهما وبالجملة فنحن سائرون الى الامام باذن الله

فقال احد الحاضرين نعم وكل هذه شؤُون اصلاحية سيكون لها نتائج عظيمة اذا ثبتت العزائم فيها ولكن عامة الناس بل كثيرين من خاصتهم لا يدرون بها لانها غير مباشرة لهم كل المباشرة . والمباشر لهم حكامهم في الولايات ومحاكمهم . فاذا بقي هولاء الحكام يُختارون للحكومة وكثيرون منهم غير اكفاء لها وبقيت المحاكم غير جارية على الخطة التي يريدها لها محبو العدل والمساواة اللذين هما اساس كل حكم وكل ملك فقلما يشعر العثمانيون بالاصلاح بل قلما يكون الاصلاح اصلاحاً حقيقياً

فنحن ننقل اليوم هذه الملاحظة لاننا راينا فيها صواباً وسداداً . ونرى ان الحركة الاصلاحية الاخيرة التي دوى صداها في جو الفرات والحجاز وفي نفس كل راغب في صلاح حال الدولة صلاحاً حقيقياً اذا اضيفت اليها العناية بحسن اختيار الحكام ليحسنوا تمثيل جلالة مولانا السلطان لدى رعيته في الولايات فيقربوا النفوس من الدولة بدل ان يبعدوها عنها مع قطع الفساد من المحاكم العثمانية وهو الفساد الذي يفسد كل صلاح واصلاح وينشئ في نفوس المتقاضين والمتعاملين وهم مجموع الامة سخطاً لا يجهله احد — خطونا خطوة عظيمة في سبيل النجاح والفلاح باذن الله . واما اذا بقي هذان الامران — وهما



﴿ جامع اجيا صوفيا في الاستانة ﴾

حسن اختيار الحكام وتطهير المحاكم — على ما كانا عليه فان الاصلاح — اذا كان يوجد اصلاح بدونها — لا يسير الا اعرج على قدم واحدة — هذا اذا استطاع سيراً

ولكن ليس هذا الموقف موقف بحث بل موقف تهنئة وتبريك يوبيل الحضرة السلطانية ، واذا ذكرنا ذلك فيه فانما نذكره لتبيان التبعة العظيمة التي على حكام الولايات العثمانية واظهار انه يكفي قيام كل واحد من اولئك الحكام بواجبات وظيفته قياماً حقيقياً للنهوض بالدولة النهضة المطلوبة

وعلى امل هذا الاختيار المزدوج — اختيار الحكام للحكومة والقضاة للمحاكم — ليدخل الشعب العثماني والامة العثمانية في دور جديد وقياماً بالواجب المفروض على الرعية لراعيها نرفع مقدماً الى عرش جلالة مولانا وسيدنا السلطان الاعظم عواطف الولاء والشكر والتهنئة ببلوغه العيد الفضي مقرونة بالدعاء لجلالته بدوام الهناء وطول العمر لينيل مملكته وامته ما يريده لها من الاصلاح والصلاح بمنه تعالى وكرمه

واجع وصف الاستانة القديمة وجامع آجيـا صوفيا في مقالة لابن بطوطة منشورة في الجزء الثالث عشر من السنة الاولى ، وقد زار هذا الرحالة الاستانة في سنة ١٣٣٤ للميلاد

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

بلغاء كتاب العرب

بديع الزمان الهمذاني * ابو بكر الخوارزمي

الدرس الانسيكلوبيذي · الهمذاني عندنا ونظيره عند الافرنج · صفة همذان وتاريخها · اربعة مدن تُدعى اكبتانا · اربعة مدن لم يدرسها الزمان · ترجمة الهمذاني · تفصيل المناظرة الكبيرة بينه وبين ابي بكر الخوارزمي · شدة وطأة الهمذاني على خصمه · موته الغريب المشتبه · الخلاصة · السام والبرسام

في شباة بعض الاقلام

اذا نظرنا الى بعض اكابر كتاب الفرس والعرب المتقدمين لا يسعنا الا ان نُعجب بمواهبهم ونأسف للطرق التي صرفوها فيها · ونقول حين مطالعة تراجمهم او كتاباتها انهم لو درسوا الدرس « الانسيكلوبيذي » اللازم فلا يبعد انهم كانوا غيروا وجه الشرق بقوة مواهبهم واستعدادهم

ونعني بالدرس « الانسيكلوبيذي » الطريقة التي يتبعها الافرنج اليوم في مدارسهم فانهم يعرضون في المدارس على التلامذة في خلال الدروس الكثيرة التي يتلقونها جميع فروع العلوم واصولها حتى ترى عقول الطلبة أَلعلم الذي هي مستعدة له وموءهلة لاقتباسه فتنصرف اليه · لانه من الثابت الذي قد اصبح في حكم الاولية ان في كل عقل استعداداً خاصاً وميلاً خاصاً اذا صُرفا في غير وجهيهما لم يستفد المتعلم ولم يفد شيئاً مذكوراً

وليس يحتمل ان اولئك النوابغ الذين امتازوا بقوة الحفظ الى حد غريب وبلغوا من سرعة البداهة وجودة الروية ومضاء الذهن مبلغاً يدهش العقول — ليس يحتمل ان تكون مواهبهم قد قُصرت على حفظ مفردات اللغة وقواعدها لتركيب عبارات فصيحة بليغة فقط · وانما قلة وسائل العلم الاجتماعي حينئذٍ اي العلم النافع لصلاح حال الاجتماع وترقية شوءون الامم هي التي دفنت مواهبهم الخارقة في ارض قاحلة لم تثمر الثمر النافع الذي كان يُنتظر منها

هذا بديع الزمان الهمذاني عند العرب والفرس وهذا « ليتره » عند الافرنج خير شاهد على ما نقول . فان ليتره لم يكن امضى من البديع ذهناً ولا اقوى حفظاً ولا اسرع بديهة ولا اشد ذكاء . وانما ما تم لليتره من وسائل التعلم والتعليم لم يتم للبديع فاثر سعي الاول حتى اصبح فيلسوفاً ولغوياً عظيماً وحبط مسعى الثاني فلم يكن الا كاتباً بليغاً . ولو تمت للبديع الوسائل التي تمت لليتره لكان مقامه الآن من اللغة العربية اسمى مما هو الآن كثيراً بل ربما كان عندنا اعظم من ليتره عندهم

ولا نعني بذلك انه لم ينبغ من العرب فلاسفة نظير ليتره فان ليتره ما كان ليذكر بازاء ابن سينا وابن رشد والغزالي وغيرهم من اكابر علماء العرب الذين نبغوا ولم يكن لديهم نصف الوسائل التي كانت لنوابغ الغرب . وانما نعني بذلك ان قلة وسائل العلم واعوجاج طرق التعلم والتعليم قد قتلا مواهب عربية كثيرة واضعفا عقولاً كبيرة من عقول المتعلمين منهم . وقد خصصنا منهم بديع الزمان الهمذاني لان ذلك كان كثير الظهور فيه ولرغبتنا في نقل ترجمته

ولكن قبل الشروع في ترجمة البديع يجدر بنا ان نقول كلمة عن وطنه همذان

﴿ وطنه همذان ﴾ همذان ثالثة مدن الفرس في هذه الايام . وهي من اشهر مدن العالم في التاريخ واسمها الاصلي « اكبتانا » بناها الملك ديجوسيس اول ملوك السلالة المادية ودعاها « هكمتانا » فاصبحت بعد ذلك عاصمة مملكة الفرس . وهي احدى المدن الاربعة القديمة التي لم يدرسها الزمان ولم تذهب باهميتها وعمارتها القرون الطوال ونعني بها ازمير واورشليم ودمشق الشام وهمذان

و يقول المؤرخون بوجود اربع مدن كانت تُدعى « اكبتانا » الاولى همذان التي نحن في صددها الآن . والثانية مدينة في ازربيجان كانت شهيرة في العصور الماضية . والثالثة مدينة في شرقي برسيديا . والرابعة مدينة في سوريا وهي حماه . روى هيرودوتس ان قمبيز في مسيره لفتح مصر اجتنب دخول « اكبتانا » لان بعض العرافين تنبأوا له بانه يموت فيها . فلما جُرح في سوريا عند عودته من مصر ورحل الى حماه سأل عن اسم المدينة التي هو فيها فقالوا له انها تُدعى اكبتانا فتطاير وايقن بدنوا اجله . ولكن يحتمل ان حماة لم تُدع اكبتانا او هكمتانا ولكنهم لما لفظوا اسمها لقمبيز اشبعوا الماء ولفظوا « هماة » فصارت قريبة من « هكمتان » و يحتمل ايضاً ان لا تكون هذه القصة صحيحة

وهمذان او اكبتانا او حمدان التي تعاصرنا اليوم قائمة على مسافة ٣٤٠ كيلومتراً من

طهران وهي تابعة لولاية العراق العجمي وعدد سكانها ٣٥ الف رجل · وفيها نحو الف عائلة من الاسرائيليين وهم يحترمونها كل الاحترام لقولهم ان فيها قبر استير ومردخاي المذكورين في التوراة · وفيها ايضاً نحو مائة عائلة ارمنية تعمل مع الاسرائيليين بالصنائع الفارسية

اما مصنوعات همذان وحاصلاتها فالجلود والسجاد الثمين ولها تجارة واسعة مع الموصل والبصره و بغداد ومركزها الجوغرافي يجعلها في غاية الاهمية لانها قائمة صلة بين بلاد الفرس وما بين النهرين · اما الهواء فيها فغير حار وذلك للثلوج التي تعمم قمة جبل ايلفان الذي يجاورها · وتجري في همذان الترع ومجاري المياه وتزكو فيها الكرمة فيعصر الاسرائيليون والارمن من عنبها خمرًا خفيفة

وفي همذان كثير من الآثار التاريخية الجليلة اهمها كلها قبر فيلسوف العرب الرئيس ابن سيناء وجامع مبني في القرن الرابع عشر للميلاد · وتربتها ممتلئة بالآثار القديمة ولكن المنازل الجديدة اقيمت على انقاض المدينة القديمة فاصبح التنقيب مستحيلاً فيها وذلك مما يوجب الاسف

﴿ ترجمته ﴾ هذه هي المدينة العظيمة التي هي مسقط راس احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الملقب بابي الفضل و بديع الزمان · وكانت ولادته فيها سنه ٩٦٨ للميلاد · فلما شب لزم ابا الحسين بن فارس واخذ العلم عنه فامتاز بطلاقة اللسان وحدة الذهن وشدة الحفظ واشتهر امره فاستدعاه الصاحب وزير مؤيد الدولة فلزمه بديع الزمان حتى اشتدت الواحه واخذ من اللغة كل ماخذ · ومن عجائبه التي رواها له صاحب اليتيمة انه كان يقرأ مرة واحدة القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من ٥٠ بيتاً « فيحفظها كلها و يؤديها من اولها الى آخرها لا يخرم منها حرفاً » ويقرأ مرة واحدة في ٤ او ٥ اوراق من (كتاب لم يعرفه ولم يره ثم يمليها عن ظهر قلبه · وكان يقترح عليه عمل قصيدة او انشاء رسالة في معنى بديع فيفرغ منها في الوقت المعين والجواب عنها فيها· وكان يترجم ما يقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع الاسراع) ووصفه صاحب اليتيمة ايضاً فقال « وكان مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الطرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص المودة حلو الصداقة مر العداوة » ومما قاله في وصفه ايضاً (هو نادرة الفلك و بكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر· من لم يلف نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء

الذهن وقوة النفس ولم يروَ ان احداً بلغ مبلغه من لب الادب وسره)

ولكن (نادرة الفلك وبكر عطارد) لم يترك لنا مع ذكائه وفضله سوى ٤٠٠ مقامة كتبها في نيسابور ورسائله الشهيرة التي كتبها في اثناء حياته . وهو شيء قليل من رجل كابي الفضل مُنح ما مُنح من المواهب الطبيعية وان كان كثيراً على طلاب اللغة والراغبين في اقتباس البلاغة

وقد جلمت له مقاماته ورسائله كما يقول « مقاماً سنياً ووساداً مثنياً » ولكن لم ينشر شيء شهرته بين الناطقين بالضاد في تلك الايام مثل المناظرة التي دارت بينه وبين اديب خراسان الشيخ ابي بكر الخوارزمي صاحب الرسائل المشهورة

﴿ المناظرة ﴾ وكان بديع الزمان قد تعمد هذه المناظرة لانه قصد ابا بكر في نيسابور للقائه وفصل الخطاب بينه وبينه . فكان شانهما في ذلك شان مملكتين تروم كل واحدة منها ان تستاثر بالعظمة والاولية او شجرتين نبتتا في بقعة ضيقة من الارض فكل واحدة منهما تجتذب مواد الغذاء اليها ولو ماتت اختها . واذا كان هذا التشبيه غير صحيح كأن كانت بلاد الفرس والعرب لا تضيق في ذلك الزمان عن شهرة اديبين كهذين الاديبين فيكون ابو الفضل قد قصده طمعاً في سرعة نشر فضله وشهرته . وهذه صورة المناظرة التي دارت بينهما منقولة عن سفر طويل عريض كتبه الهمذاني نفسه وما كان من هذا الكلام بين ضمنين القوسين فهو منه فيجدر بالقارىء مطالعته كله

﴿ المناظرة الكبرى بينهما ﴾

قصد بديع الزمان نيسابور في خراسان للتعرف بافاضل العلماء والفقهاء فلقيه العرب في الطريق فسلبوه ما معه « فمن بزة بزوها . وفضة فضوها . وذهب ذهبوا به . فورد نيسابور براحة انقى من الراحة وكيس اخلى من جوف حمار وزي اوحش من طلعة المعلم » فقصد منزل الخوارزمي فلم يحسن استقباله بل قابله « بطرف نظر بشطره . وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بامره » فصبر بديع الزمان على هذا اللقاء « ورد الامر في ذلك الى زي استغثه ولباس استرثه وكاتبه يستمد وداده . ويستلس قياده . ويستميل فؤاده . بما هذا نسخته »

بسم الرحمن الرحيم

الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه ان وجده يضرب اليه اباط القلة في اطمار الغربة فاعمل في رتبته انواع المصارفة . وفي الاهتزاز له انواع المضايقة من ايماء

بنصف الطرف واشارة بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف لرد السلام . وقد قبلت تربيته صعرًا واحتملته وزرًا واحتضنته نكرًا وتابطته شرًا ولم آله عذرًا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست مع هذه الحال وفي هذه الاسمال اتقزز صفع النعال . فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناساً يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم   واندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بابي بكر ايده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريباً ومحط الرحل رحيباً ووجه المضيف خصيباً وراي الاستاذ ابو بكر ايده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شاء الله)

فاجاب الخوارزمي بما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلت رقعة سيدي ومولاي ورئيسي اطال الله بقاءه الى آخر السكباج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر . ونبا به دهر والحمد لله الذي جعلني موضع انسه . ومظنة مشتكى ما في نفسه . اما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي اياه في القيام فقد وفيته حقه ايده الله سلاماً وقياماً على قدر ما قدرتُ عليه . ووصلت اليه . ولم ارفع عليه الا السيد ابا البركات العلوي ادام الله عزه . وما كنت لارفع احدًا على من جده الرسول . وامه البتول . وشاهداه التوراة والانجيل . وناصراه التاويل والتنزيل . والبشير به جبرائيل وميكائيل . فاما القوم الذين صدر سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال تفصيل وجملةٍ ولقد جاورتهم فاحمدت المراد ونلت المُراد

فان كنت قد فارقت نجدًا واهله   فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للاخوان كافةً ولسيدي من بينهم خاصةً فان اعانني الدهر على ما في نفسي بلغت اليه ما في الفكرة وجاوزت مسافة القدرة . وان قطع عليّ طريق عثرتي بالمعارضة وسوء المواخذة صرفت عناني عن طريق الاختيار . بيد الاضطرار

فما النفس الا نطفةٌ بقرارةٍ   اذا لم تكدر كان صفوًا معينها

وبعدُ فحبذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتباً . واقترفنا ذنباً . فاما ان يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون انفسنا عن احتماله . ولست اسومه ان يقول استغفر لنا ذنوبنا

انا كنا خاطئين ولكني اساله ان يقول — لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)

فبعد هذه المكاتبة استحكم النفار بين الاديبين فصار كل واحد منهما يستجهل صاحبه في غيابه ويعزو اليه القصور ويزعم الفضل عليه . فكبر الامر على الخوارزمي لبعد صيته وعلو قدمه اذ لم يكن قد ظهر البديع كل الظهور بعد فطلب ان يناظر ذلك الشاب ليثبت جهله . فاتفق الفقهاء والعلماء على الجمع بينهما فجمعوهما في منزل السيد ابي الحسين . فلما دخل الخوارزمي » قام له بديع الزمان واليه « فاخذ الخوارزمي » يحرق أرمه و يفرغ جعبة وسواسه « فقال له البديع » لا ترقص لغير طرب ولا تمرّ لغير سبب وانما ذكرناك لتملأ المجلس فوائد وتباحثك فنسعد بما عندك وتسعد بنا فنسر بما عندنا و يقف كل واحد منا موقفه من صاحبه . ولنبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك « فقال الخوارزمي وما هو قال الحفظ ان شئت والنظم ان اردت والنظم ان اخترت والبديهة ان نشطت « فقال الخوارزمي اباد هك ثم مال الى السيد ابي الحسين يساله بيتاً ليجيز فاقترح البديع ان يكفيه ذلك العناء فياخذ ديوان ابي بكر و يقرن كل بيت منه بوفقه دون ان يقطع النفس فقال ابو بكر ما الذي يؤمّننا من ان تكون نظمت من قبل ما تريد انشاده الآن . فقال بديع الزمان اقترح لكل بيت قافية . ثم اقترح عليها وزن وقافية فقال البديع على الفور ابياتاً جاء في ختامها

هذا الشريف على تقدم بيته ... في المكرمات ورفعه في سمكه

قد رام مني ان اقارن مثله ... وانا القرين السوء ان لم انكه

واذا نظمت قصمت ظهر مناظري ... وحطمت جارحة القرين بدكه

اصغوا الى الشعر الذي نظمته ... كالدر رصع في مجرة سلكه

فاني عجزت عن القرين بديهة ... فدمي الحرام له اراقة سفكه

اما ابو بكر » فلم يخرج ابياته من الغلاف و يبرزها من اللحاف«. فقال له البديع » ان البيت لقائله كالولد لناجله فالك تعق ابنك وتضيعه . ابرزها للعيون وخلصها من الظنون« فكره ابو بكر (ان تكون المرة اعقل منه لانها تحدث فتخطي) فمسح جبينه وطلب المبادهة نتفاً اي دون ان يكتب فاقترح عليها الحاضرون ان يقولا على وزن قول المتنبي

ارق على ارق ومثلي يأرق ... وجوى يزيد وعبرة تترقرق

فقال ابو بكر اياتاً اولها

واذا ابتدهت بديهة ياسيدي فاراك عند بديهتي تتقلق

ثم وقف يعتذر ويقول « ان هذا كما يجيء لا كما يجب » فقال البديع « قبل الله عذرك . لكني اراك بين قواف مكروهة وقافات خشنة كل قاف كجبل قاف منها تتقلق وتتشقق وتنفلق فخذ الآن جزاء عن قرضك » ثم انشد اياتاً اولها

مهلاً ابا بكر فزندك اضيق فاخرس فان اخاك حي يرزق

وختامها

يا احمقاً وكفاك ذلك خزية جربت نار معرقي هل تحرق

فقطع ابو بكر عليه وقال يا احمقاً لا يجوز فان احمق لا ينصرف » فقال البديع « ان احمق لا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه » ثم اخذ الهمذاني ينتقد ابيات ابي بكر . فحمي وطيس الجدال وخرجا من المناظرة الى المهاترة . فعيره البديع بقلة عقله فقال ابو بكر مشيراً الى غناه « انا قد كسبت بهذا العقل دية اهل همذان مع قلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته » فاجاب البديع « اما انك شحذت فاخذت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله . واما مالك فعندنا يهودي يمائلك في مذهبه ويزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفني الا بعين الرهبة » ثم حدد البديع سهام مجونه فصاح ابو بكر « والله لاضربنك وان ضربت » فقال البديع (تصفعك الآن وتضر بنا فيما بعد) . فقال ابو بكر « والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفعت » فاجاب البديع « والله لو ان قفاك غدا في درج في خرج في برج لاخذك من النعال ما قدم وما حدث »

فلما بلغ الجدال الى هذا الحد اسكتوهما وصرفوا بقية الليل بالانس والانشراح . فاخذ الناس منذ هذا الحين يترامزون و يتغامزون « فراب ابا بكر غمزاتهم مثل ما راب المريض تغامز العواد » فجعل يحلف للناس انه اخذ قصب السبق . ثم سعى بعض الافاضل بينهما بالصلح « فعرف بديع الزمان لخصمه فضل السن فقصده معتذراً » فدعاه الى الاكل عنده فاجاب البديع واقام لديه سحابة يوم فحسب الناس ان الخلاف قد زال

لكن زاد انتشار الخبر بين الناس بفوز بديع الزمان على ابي بكر فوجد ابو بكر انه اذا سكت اضاع سمعته فارسل بعد بضعة ايام رسولاً الى البديع يسأله ان يناظره في مجلس عظيم من خاصة الناس وعامتهم او ان يعترف له بالسبق والا فانه لا يأمن ان تعتدي تلامذته عليه لان تلامذة ابي بكر كانت قد هاجت خواطرهم على بديع الزمان . فاتفقت

الاراء على ان يُعقد هذا المجلس في دار الشيخ ابي القاسم الوزير « العالم الذي افرغ في عالم » وقد حضره الامام ابو الطيب والسيد ابو الحسين والشيخ ابو عمر البسطامي والقاضي ابو نصر وابو سعيد محمد بن ارمك وابو القاسم بن حبيب والفقيه ابو الهيثم والشيخ ابو نصر بن المرزبان والشيخ ابو سعيد الهمذاني · وكان بديع الزمان اول من حضر

فلما انتظم المجلس وغص بالفقهاء والعلماء حضر ابو بكر « ومشى الى فوق اعناق الناس يريد الصدر» فقال له البديع « يا ابا بكر تزحزح عن الصدر قليلاً الى مقابلة اخيك » فقال « لست برب الدار فتأمر الزوار » فقال البديع « حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر او من التنظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حُسن النظر ان يكون مقعدنا واحدًا حتى يتبين الفاضل من المفضول » فرأت الجماعة راي بديع الزمان فانحط الخوارزمي عن مكانه

وكان المجلس كالدر المنظوم غاصًا باكابر الفقهاء والعلماء والكل متشوقون لاستماع مناظرة هذين الاديبين · فقال البديع في اي علم تريد ان نتناظر فاوماً ابو بكر الى علم النحو فقال البديع اذًا انت تسلم لي ما كنت تدعيه من البداهة والرواية والحفظ والترسل · فقال لا اسلم شيئًا ولا اناظر في غير النحو اولاً · فقال له الاستاذ ابو عمر « ايها الاستاذ انت اديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق » ثم اضطره الى منازلة فيها او نزول عنها فقال ابو بكر سلمت الحفظ وذلك لان البديع كان مشهورًا به كما قدمنا

فقال البديع سلم ايضاً الترسل والبديهة لنفرغ للنحو فاجاب ابو بكر لا اسلم الترسل والبديهة ولا سلمت الحفظ · فقال له البديع « الراجع في شيئه كالراجع في قيئه » فسلم ابو بكر الحفظ ثانياً ثم صارا الى البديهة يتناظران فيها وهي ارتجال الشعر فاقترح احد العلماء الحاضرين ان يقولوا على شعر ابي الشيص

ابقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض

فقال ابو بكر ابياتاً لم يفرغ منها حتى اخذ البديع بانتقادها ثم اندفع يقول شعرًا فحاول ابو بكر مؤاخذته ببعضه فقالت الجماعة « علمنا ايكما اشعر واي البديهتين اسرع » يريدون بديع الزمان فقال ابو بكر فاشهدوا لي بالسبق فسكتوا · ثم مال المتناظران الى الترسل فقال البديع « اكتب كتاباً اذا قرئ من آخره الى اوله كان كتاباً · او اكتب كتاباً ليس فيه حرف منفصل · او كتاباً خالياً من الالف واللام · او كتاباً

خالياً من الحروف العواطل او كتاباً اوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم . او اكتب كتاباً يُقرأ منه جوابه . او كتاباً اذا فُسر على وجه كان مدحاً واذا فُسر على وجه آخر كان قدحاً» فقال ابو بكر « هذه الابواب شحبذة » فقال البديع « وهذا القول طرمذة » ثم مالا الى الرسائل الاعتيادية فكتب ابو بكر ما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرهم والدينار ثمن الدنيا والاخرة بهما يتوصل الى جنات النعيم . ويخلد في نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى : خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم . وقد بلغنا من فساد النقود ما اكبرناه اشد الاكبار . وانكرناه اعظم الانكار . لما نراه من الصلاح العباد . وتنويه من الخير البلاد . وتعرفنا في ذلك ما يُريح الناس في الزرع والضرع . ويعود اليه امر الضر والنفع . الخ

فقال له بديع الزمان « يا ابا بكر ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد نبتت في المهد ولم تزل في اليد » ثم قرأ البديع الرسالة التي كتبها وهي رسالة لا يستقيم معناها الا اذا قُرأت معكوسة اي من آخرها الى اولها وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الله شاء ان الحاضر . صدور بها وتملأ المنابر ظهور لها وتترع الدفاتر وجوه بها وتشق المحابر . بطون لها ترشق اثاراً كانت فيه آمالنا مقتفى على اياديه في تاييده الله ادام الامير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين اهل عن الكل هذا يحط ان في اليه نتضرع ونحن واثقة . والتجارات زائفة . والنقود صيارفة . اجمع الناس صار فقد كريماً نظراً لينظر شيمه . مصاب وانتجعنا كرمه . بارقة وشمنا هممه . على امالنا رقاب وعلقنا احوالنا . وجوه له وكشفنا آمالنا . وفود اليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا ان ونماءه . تاييده وادام بقاءه . الله اطال الجليل الامير رأى ان . وصلى الله على محمد وآله الاخيار

فلما فرغ من قراءتها « انقطع ظهر احد المتخاصمين » . ثم صارا الى اللغة فكان ابو بكر لا يطلب باباً حتى يندفع البديع فيه فيأتي على آخره وعلى الباب الذي يليه فقال له كفى كفى . فقال البديع حينئذٍ لابي بكر « اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام » فسكت ابو بكر . فقال البديع هاتوا العروض وسرد منه خمسة ابحر بالقابها واياتها وعللها وزحافها ثم قال لابي بكر هات الآن فاسرده كما سردته فسكت ابو بكر . فقام الناس معجبين

بديع الزمان اما ابو بكر فغشي عليه من قهره فركضت الجماعة اليه وفي مقدمتها البديع فقبل جبينه ومسح وجهه ثم انشد

يعزُّ عليَّ في الميدان اني قهرت مناسبي جلداً وفهرا

ولكن رمت َّ شيئاً لم يرمه سواك فرحلت بالبثث صبرا

ثم دعوهما الطعام مع اواخر ذلك المقام فعاد البديع الى مخاشنة خصمه فانشد على المائدة

يا قوم اني ارى الاموات قد نُشروا والارض تلفظ موتاكم اذا قُبروا

فاخبرني يا ابا بكر لم ُغشي عليك · فقال ابو بكر « لحي الطبع وحمو التزو » فقال البديع « اين انت عن السجع هلا قلت َ « حمى الطبع وحمى الصنع » فقال ابو بكر « هذه اسجاع كنت َ حفظتها فقل كما قوله يصير في عينك قذى · وفي حلقك اذى · وفي صدرك شجى » فقال البديع « يا ابا بكر على الالف تريد · خذ الآن · بفيك البرا · وعلى هامتك الثرى · ولا اضحك الله · الا كما ترى » فضحك الحاضرون · وقال ابو بكر والله لاتركنك بين الميمات · فقال البديع ما معنى الميمات · فقال « بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم » فقال البديع « واترك بين الميمات ايضاً بين الميام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والمام والسقام · وبين السينات فقد علمتنا طريقة بين منحوس منكوس معكوس متموس محسوس معروس · وبين الخاآت ايضاً فقد فتحت علينا باباً بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ · وبين الباآت بين مغلوب مسلوب مرعوب مصلوب منكوب منهوب مغصوب » · ثم خرج بديع الزمان فلقوه « بالشفاه تقبيلاً وبالافواه تبجيلاً » واحتجر ابو بكر فلم يخرج حتى هبط الليل واسدل الليل ستره « انتهى تفصيل المناظرة كما ذكرها بديع الزمان

وقال صاحب اليتيمة في هذه المناظرة وفي موت صاحب الترجمة

(وناظر ابا بكر الخوارزمي فغلبه مع انه ما كان يظهر ان احداً يجترأ على مجاراته وبذلك طار صيته في الآفاق وادرّ الله تعالى له اخلاف الرزق · وقد صاهر ابا عليّ الحسين بن محمد الخشنامي الفاضل الكريم الاصل فانتظمت احوال ابي الفضل واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة وعاش عيشة راضية · وحين ارتقى سنه على الاربعين توفاه الله تعالى فقيل مات مسموماً وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه وانه افاق في قبره وُسمع صوته بالليل فنبش فوجد انه قد مات وقد قبض على لحيته)

﴿ الخلاصة ﴾ فما مر يتضح ان بديع الزمان كان وحيد زمانه في اللغة وصناعة الترسل وانه فاز فيهما وهو شاب على الخوارزمي الذي قد قطع ايامه في مزاولتهما . على اننا مع ذلك نأسف له ان يكون قد صرف مواهبه في ما مر بك من (المنحوس والمنكوس والمعكوس والجذام والزكام والسام والبرسام) وما اشبهها لانه صرفها في ما لا يفيد فائدة تذكر . ولكننا نعود فنقول انه غير جدير باللوم وانما الجدير به معاصروه الذين كانت عندهم هذه المنات في اسمى منزلة مما كان يحمل الادباء على الاقبال عليها والايغال فيها والاعراض عن العلوم الحقيقية التي فيها صلاح حال البشر وترقية العمران . فعسى ان نتعظ بما فقدناه من المواهب الثمينة السابقة التي قتلناها بالدروس العقيمة ونصلح هذا الخلل في الاجيال الحاضرة والآتية وذلك باصلاح طرق التعليم اصلاحاً حقيقياً ولا سيما اننا لا نزال نرى في اطراف اقلام كثيرين من المعلمين والمتعلمين كثيرًا من هذا (الزكام والسام والبرسام) والله ولي التوفيق في البداية والختام

باب المقالات

احياء الموتى بعملية جراحية

عملية هائلة عُرضت على المجمع العلمي الفرنسوي
في الشهر الماضي

اذا نظر البسطاء غرائب المكتشفات والمخترعات في هذا العصر قالوا من دهشتهم ان العلماء والمخترعين سيصنعون في القرون الآتية كل ما يتصوره الفكر من العجائب والغرائب فلا يبقى لديهم صعباً الا الموت والحياة . و يعنون بذلك ان العلماء مهما بلغوا من العلم فانهم لا يستطيعون احياء الميت وصنع الحياة من غير ذي حياة

غير ان العلماء يشتغلون اليوم بذلك . ولا يشتغلون به الاوهم يؤملون ان يقدروا عليه و يصلوا اليه يوماً من الايام . وقد رأينا بهذا الشان في وقائع المجمع العلمي الفرنسوي في الشهر الماضي امرًا مدهشاً كان له دوي عظيم في جميع الاندية العلمية والطبيـة في العالم

و بيان ذلك ان الجراحين المسيو توفيه والمسيو هاليون الافرنسويين قد عرضا في الشهر الماضي على هذا المجمع بواسطة احد اعضائه المسيو ماراي تفصيل عملية جراحية عملاها في انسان ميت لاعادة الحياة اليه . وها يقولان انها اتت بنتيجة حسنة . وهذان العالمان هما من مشاهير الجراحين في العالم وقد اعتادا صنع العجائب الجراحية قبل اليوم . فانهما يستخرجان المعدة من الجسم و يبقى الجسم حيًّا . ويقطعان المريء و يضعان مكانه حنجرة صناعية وهلم جرًّا . فغير غريب ان يكونا قد اقدما على اعظم تلك العجائب وهي احياء الاموات

وبما اننا نذكر ههنا هذا الامر استنادًا الى وقائع الجمعية العلمية المذكورة والمجلات العلمية الكبرى التي بحثت فيه بروية وامعان فلا مسوغ للارتياب في ذلك . وعليه نقول

ان المبدأ الذي جعله العالمان توفيه وهاليون قاعدة عملهما في هذا الشان هو اعادة الدورة الدموية الى الجسم بعد وقوفها بسكون القلب . وتوصلاً لذلك جعلا طريقتهما الضغط باليد على القلب وتحريكه حركةً تشبه حركته اثناء الحياة فيعود الدم الى دورته ويتوزع على اعضاء الجسم طبقًا لعادته فتعود الحياة الى الانسان بعودة دمه الى الدوران . وقد جربا هذه العملية في بدء الامر في بعض الحيوانات فالظاهر انها نجحت معهما فيها بعض النجاح حتى جرباها بعد ذلك في الانسان . فاخذا جثة شاب عمره ٢٤ سنة كانا يعالجانه في المستشفى وغاب عن الحس حتى ظهرت فيه جميع اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس . ثم تناول كل واحد منهما سكينه وبدأ بالعملية . فشقا البشرة فوق معدته وشقا شقًا واسعًا فيها ثم مد احدهما يده الى داخل جسم الميت واخذ باصابعه طرف القلب الاسفل . و بعد ذلك بدأ يحركه بلطف الحركةَ التي تشبه حركته في الحياة

فما بدأت يد الجراح تحرك القلب هذه الحركة حتى ابصر العالمان منظرًا مدهشًا . ابصرا الجثة التي امامهما قد فتحت عينيها ونظرت اليهما كانها عرفتهما . ثم اغمضت العينان فكانت تلك الحياة التي ظهرت فيهما هنيهة بمثابة البرق اذا خفق خفقة ثم خبا او بمنزلة شمعة آخذة في الانطفاء فهبت عليها نسمة فزادت نورها قليلاً ثم اطفأتها . وبعد ثلاث دقائق مات ذلك الشاب حينئذٍ موتًا حقيقيًا

ولا يجهل احد انه يوجد على هذه المسالة اربعة اعتراضات مهمة . الاعتراض الاول المسالة الدينية ونعني بالمسالة الدينية الاعتقاد بوجود جوهر في الجسم الانساني مستقل عن المادة وهو النفس التي هي سبب الحياة عند اللاهوتيين . فهذه العملية الجراحية تفترض ان

جسم الانسان كجسم الحيوان مادة في مادة وليس فيه شيء مستقل عن لحمه ودمه . نعوذ بالله من هذا الاعتقاد حتى ولو كان صحيحاً لانه يقذف عقول البشر في هاوية مظلمة

والاعتراض الثاني انه يستحيل احياء الميت بعملية كهذه العملية لان الجسم الانساني حين بلوغه درجة الموت اي درجة الانحلال والضعف التام لا يقدر على حمل تاثيرها بل ان الاحياء انفسهم لا يقدرون عليه . ولذلك فان الموتى ليس فقط انهم لا يشفون بهذه العملية بل ان الاحياء المغشي عليهم يموتون بها اذا اجريت فيهم

والاعتراض الثالث ان العلماء اذا اعترفوا بسهولة بوجود الموت الوقتي اي سكون حركات الجسم كلها سكوناً يشبه الموت فانهم لا يعترفون بوجود حياة وقتية . وسبب ذلك ظاهر . لان الموت الوقتي يكون له عادة اكثر اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس وغياب الحس واما الحياة الوقتية فلا يكون لها الا حركة بسيطة كالحركة التي رايناها في عيني هذا الشاب مما لا يستحق ان يسمى حياة ولكن عرضاً من الاعراض

والاعتراض الرابع ان كل حياة يصحبها حس واذا كان هذا الشاب قد عاد الى الحياة بالعملية الجراحية فيجب ان يكون قد عاد الى الحس . ولو عاد الى الحس لصرخ على الاقل وتألم من تلك العملية الهائلة . فسكونه دليل على عدم حياته . ونظره الذي وجهه الى الجراحين الذين كانا يرتكبان ذنب تعذيبه هذا العذاب الهائل لم يكن نظر غضب منهما وتحفظ على قساوتهما

ولكن هذا الاختبار مع ذلك لا يخرج عن كونه في اقصى درجات الاهمية . وقد اهتم به العلماء في كل مكان . نعم انهم لم يستفيدوا منه سوى معرفة ان الدم اذا ارسل الى اطراف جسم الميت بعد موته ببضع دقائق او قبل ذلك ببضع دقائق فانه يعطيها ظاهر الحياة ولكن اذا كانت هذه بداية هذا الاختبار فالله اعلم ماذا تكون نهايته . على ان العالمين توفيه وهاليون يقولان انهما مسروران بهذه النتيجة الابتدائية و يؤملان ان يتقدما في هذه الابحاث تقدماً يذكر

فنحن لا نستطيع ان ندعو لهما بالنجاح للاعتراض الاول الذي ذكرناه

ايطاليا ونشأتها

مقتل بري · تاريخ ايطاليا قبل الوحدة و بعدها · همبرت الاول وصفاته · الملكة مرغريت · الملك الجديد والملكة الجديدة · ملكان في رومه

اذا اردت دليلاً على فساد التمدن الحاضر فحسبك ان تنظر الى هذه الحادثة · ملك يكاد يكون بلا سلطة لانه مقيد بدستور صارم قد ابيضّ شعر راسه في خدمة شعبه وكان رؤوفاً به دائماً حضر احدى حفلات الالعاب الرياضية في احدى مدنه تنشيطاً للآخذين بها وفيما هو يضحك لشعبه و يستعد للعوده الى قصره مُدت اليه يد اثيمه فقتلته · قتلته وهو بريء لا لامر سوى انه ملك اي صاحب السلطة العليا والاهتمام العالي في شؤون دولته · قتلته لان الانسانية في هذا الزمان اصبحت تنزل احياناً الى دركات الوحشية سواء في امها او في افرادها فلا يعود يرويها شيء غير شرب الدماء ولا يردها شيء عن الاعتداء · قتلته لفساد التمدن الحاضر الذي يجعل طبقة من اسافل الناس و بسطائهم اعداء للنظام الحاضر وللذين يديرونه

وانا بمناسبة مقتل هذا الملك الدستوري المحبوب من شعبه ومن سائر الشعوب يجدر بنا ان نبسط الكلام على نشأة ايطاليا مملكته ونلمّ بما يهم من تاريخها وشؤونها

﴿ قبل الوحدة ﴾ لايطاليا تاريخان تاريخ قديم وتاريخ حديث· اما التاريخ القديم فهو تاريخ نشأتها في عهد الرومانيين وليس من غرضنا الكلام على ذلك في هذه المقالة · واما التاريخ الحديث فهو تاريخ وحدتها

ولم تكن ايطاليا منذ نحو نصف قرن مملكة واحدة كما نراها اليوم بل كانت ولايات متقطعة ومدناً مبعثرة· وكان اهم امرائها في القرن الرابع عشر ثلاث عيال · الاولى عائلة الكونت دي سافوى وهي تملك على امارتين البيمونت وسافوى · والثانية عائلة المركيز مونفرات والثالثة عائلة المركيز سالوس· وكان النزاع بين امراء هذه العيال مستمرّاً ومضعفاً شأن اماراتهم

ولكن مصائب ايطاليا لم تكن ناشئة عن نزاع امرائها وحكامها فقط فان الدول القوية التي تجاورها وهي النمسا والمانيا وفرنسا كان همها سياجتها للتسلط عليها · فذاقت من نير

النمساويين والالمانيين المقعد المقيم مع ما هو مشهور عنها من حب الحرية منذ القديم

ولكن الضعيف مهما كان ضعيفاً فانه لا يصبر على الضيم وقتاً طويلاً . فبعد احتمالها نير النمساويين والالمانيين ونير الفرنسويين ايام فتح بونابرت لما اخذت تثور على الاجانب طلباً للحرية غير انها ما لبثت ان ادركت انها قاصرة لضعفها وتفرق كلمتها عن مقاواة خصومها فادى بها هذا الشعور طبعاً الى طلب الوحدة لتقوى بها على مرادها

وكانت السلطات فيها مختلفة والاحكام مختلفة ايضاً . فمن مبادئ استبدادية مختلفة عن سلطة رومه وحكم الاشراف القديم . ومن مبادئ ديموقراطية مختلفة عن الجمهورية التي كانت فرنسا قد اقامتها فيها وعن الثورة الفرنسوية نفسها . اما البابوات الذين كانوا يحكمون رومه ولهم السلطة العليا الاسمية على جميع امراء ايطاليا فكانوا من انصار المبادئ الاولى فلم يبقَ في سنة ١٨٥٠ في ايطاليا كلها بعد حروب ومشاكل كثيرة لا يحصى عددها من بلد فيها حكومة دستورية منتظمة غير امارة البيمونت التي كان يحكمها فيكتور عمانوئيل الثاني من عائلة سافوى

فيومئذٍ بدأت الحركة العظمى التي انتهت بالعمل الجليل الذي جعل ايطاليا دولة واحدة . فان جميع المظلومين والمقهورين وطالبي الحرية جعلوا موعدهم ومجتمعهم في هذه البلاد الدستورية فاخذت البيمونت تتفلت من قيود الشقاق وترقى مراقي التقدم والنجاح ولا سيما حين قبض الكونت دي كافور السياسي العظيم على ازمة وزارتها في ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٢

وقد صرف كافور همه الى تنشيط التجارة والزراعة اولاً تحسيناً لاحوال السكان ثم نظم الجيش واخذ يتودد الى فرنسا حتى اتفق معها لتكون له عوناً على النمسا التي كانت قابضة على الولايات الايطالية المتاخمة لها . ثم صار يشجع جمعية تُدعى « الجمعية الايطالية الوطنية » وهي جمعية سرية كان غرضها جعل ايطاليا للايطاليين وطرد الاجانب منها . واغتنم كافور فرصة حرب القريم واشترك مع الدول في مساعدة الدولة العثمانية رغبة في اظهار شأن العلم الايطالي . وفي شهر مارس من سنة ١٨٥٥ طرح المسألة الايطالية في المؤتمر الذي عقد في باريز فاغاظ ذلك النمسا وزاد الطين بلة ان الامبراطور نابوليون الثالث فاه في احدى مقابلاته بكلام يُستفاد منه ان وحدة الجنسيات امر واجب ففهمت النمسا معنى ذلك واخذت تستعد للحرب

فحاربتها البيمونت بمساعدة فرنسا فكسرتاها في معركتي ماجنتا وسلفرينو شرّ كسرة وبذلك

استولتا على اقليم لومبارديا وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت في قبضة النمسا . فاخذ الايطاليون يصفقون طرباً مسروراً بانهم سيجدون مملكتهم من البحر المتوسط الى البحر الادرياتيكي كما كان يقول نابوليون الثالث . ولكنهم ما لبثوا ان رأوا هذا الامبراطور لاسباب جهلوها يعقد الصلح مع النمسا بناء على ان تكون ايطاليا امارات متحدة تحت رئاسة البابا الاسمية

فاحفظ ذلك الذين حاربوا لتوحيد ايطاليا واصبح النزاع مزدوجاً نزاعاً مع النمسا في الخارج ونزاعاً مع السلطة البابوية في الداخل . ولكن الشعب الايطالي كان قد انتعش وافاق ودبت في نفسه حلاوة الامل فلم يبقَ عائق يعيقه عن توحيد المملكة توحيداً حقيقياً . فصرح كافور في ٢٥ مارس من سنة ١٨٦١ في وسط مجلس النواب الايطالي ان ايطاليا لا يهنأ لها عيش حتى تستولي على رومه عاصمتها الطبيعية

فاحدث هذا الكلام تاثيراً هائلاً ولا سيما في بلاط الفاتيكان ونفوس الكاثوليك خارج ايطاليا . ولكن كافور كان داهية عصره فوضع هذه القاعدة رغبة في طمأنينة الافكار وهي : « يجب حفظ حرية الكنيسة وحرية الدولة معاً فتكون الاولى حرة في الثانية » ومعنى ذلك بقول اصرح يجب فصل السلطة الدينية من السلطة المدنية . ولكن هذا الوزير العظيم الذي يُنسب اليه الفضل في انشاء الوحدة الايطالية كما يُنسب الفضل لبسمارك في انشاء الوحدة الالمانية توفي في ٦ يونيو من ذلك العام قبل ان ينال هذه الامنية

فخلفه الوزير ريكازولي وانصرف الى تحقيقها . ولكن نابوليون الثالث صاحب السلطة المطلقة في اوربا في ذلك الزمان اخذ على نفسه حماية السلطة البابوية من كل اعتداء . فعاد يومئذٍ غاريبالدي الى مرسح السياسة . فالف هذا الزعيم الشهير الذي كان اكبر داعٍ الى الثورة الايطالية واعظم عامل في المعارك النمساوية لشدة سلطته على الشعب الايطالي جيشاً ورام الزحف به على رومه . فاغاظ ذلك نابوليون فسقطت الوزارة الايطالية

ثم حدث النزاع بين بروسيا والنمسا لان بروسيا اخذت تنتبه الى المبداء الذي وضعه نابوليون وهو « وحدة الجنسية » وقامت تطلب بلادها الواقعة في حوزة النمسا . فرات ايطاليا ان تشارك بروسيا في محاربة النمسا طلباً لمقاطعة البندقية التي كانت في قبضتها . فانتقلت الحكومة الى فلورنسه واستاذنت نابوليون بالحرب فاذن لها من سوء سياسته كما اساء السياسة في مبداء وحدة الجنسية اذ جعل بروسيا تنتصر على النمسا وتقوم بعد ذلك الى معاداة فرنسا وتوحيد الجنسية الالمانية . فكسر النمساويون الايطاليين في معركة كوستوزه

البربة ومعركة ليسا البحرية ولكن البروسيين كسروا النمساويين في معركة سادوى فاستفادت ايطاليا من هذا الانكسار ثم تنازلت النمسا الى نابوليون الثالث عن اقليم البندقيــة الذي عليه الخلاف فوهبه نابوليون لايطاليا فجرح ذلك كبرياء غلاة الايطاليين لانهم لم يستطيعوا اخذه بالقوة

ثم ثارت الحرب بين فرنسا و بروسيا في سنة ١٨٧٠ وكان في رومه بعض من الجنود الفرنسوية المرسلة لحفظ السلطة البابوية فلما شبت نار الحرب استدعى نابوليون هذه الجنود لحاجته اليها اعتماداً على وعد ايطاليا ان تحترم سلطة البابا . فبعد خروج الجنود الفرنسوية رات الحكومة الايطالية ان تغتنم هذه الفرصة لنيل اعظم امانيها وهي الاستيلاء على عاصمتها الطبيعية لا سيما وان بعض غلاة الايطاليين اخذوا يحركون راكد الفتنة فيها . فساق فيكتور عمانوئيل جنوده اليها فاستولت عليها الجنود في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ بعد قتال ضعيف بينها و بين حامية المدينة . وكان نابوليون الثالث قد سقط وقامت الجمهورية فارسلت الجمهورية تهنئ حكومة ايطاليا بفوزها و بذلك غيرت مجرى السياسة الفرنسوية في ايطاليا بكلمة واحدة . وفي ٥ دسمبر سنة ١٨٧٠ افتتح الملك فيكتور عمانوئيل البرلمان الايطالي في فلورنسه فقال فيه « اصبحت ايطاليا اليوم مملكة حرة واحدة فعلينا ان نجعلها بعد الآن سعيدة » وكان ذلك بداية توحيد المملكة الايطالية

❊ بعد الوحدة ❊ وفي ٢ يوليو سنة ١٨٧١ دخل الملك فيكتور عمانوئيل الى رومه دخولاً رسمياً . وكانت ايطاليا قد اصبحت عظيمة الشان في الخارج وتقدمت تقدماً بيناً في الداخل . ولكن المسالة المهمة كانت مسالة المالية . فان ميزانيــة الدولة كانت ناقصة فجاء الوزير منكلتي ووازنها بجعله النفقات بقدر الدخل غير ان مجلس النواب ما لبث ان اسقطه

وكانت الاكثرية في البرلمان منذ وزارة كافور من حزب اليمين وهو حزب الملكية فكان هو الذي يدير زمام الحكومة . ولكن حوادث الثورة الايطالية والحروب التي تلتها وحوادث الثورة الفرنسوية التي حدثت على مقربة من الايطاليين واثرت في اخلاقهم انمت في ايطاليا مبادئ الجمهورية والديموقراطية . وكان الملك فيكتور عمانوئيل دستورياً محضاً ولكن الجمهوريين لا يكتفون بذلك . فما لبث ان كثر عديدهم في مجلس النواب فاصبحت اكثريته من حزب الشمال واكثرهم من الجمهوريين فصاروا القابضين على ازمة الامور . فقامت قيامات النزاع في الشؤون الداخلية بين الايطاليين ولا سيما منذ استقرت وحدتهم

ولم يبقَ لديهم شان خارجي يشغلهم عن الشؤون الداخلية

وقد توفي الملك عمانوئيل في ٩ يناير سنة ١٨٧٨ اي في وقت كانت ايطاليا في اشد حاجة اليه لتسكين اولئك الاحزاب المائجة وقيامه نفسه صلة بينها · فخلفه في ذلك اليوم ابنه همبرت الاول الملك الفقيد

﴿ الملك همبرت الاول ﴾ ولد الملك همبرت الاول في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في تورين وتوفيت امه الملكة عدلائيد ابنة الارشيدوق رنيه النمساوي وعمره ١١ عاماً فاسلمه ابوه الى الجنرال كيسب روسي لتربيته · فربي همبرت تربية عسكرية محضة

وبقي البرنس همبرت في معزل عن شؤون البلاد الى سنة ١٨٦١ فارسله ابوه مع اخيه البرنس اميده الى فلورنسه للتعرف برجال اقليم توسكانا الذي كان قد ضُم من جديد الى ايطاليا · ثم ولاه قيادة الفرقة السادسة عشرة في معركة كوستوزه التي مرّ ذكرها فامتاز فيها البرنس همبرت بسكون جأش غريب · فانه كان سائراً بها في ايام الحرب على طريق فيلافرانكا وهو في غفلة عن النمساويين لانه كان يحسبهم بعيدين عنه واذا بفرقة من خيالتهم قد فاجأت الجيش الزاحف وهجمت عليه · وكان هذا الجيش يسير سير مسافر لا سير مقاتل فلو بلغته الخيالة وهو كذلك لفرقته وكسرته شر كسرة · فثبت قائده البرنس وامره بسرعة ولكن بسكون وهدوء دون انزعاج او قلق ان يتالف مربعات في الحال · فسرى هذا الهدوء والاطمئنان الى نفوس الجنود فلم يذعروا لمهاجمة مهاجميهم بل انتظموا على شكل مربع باسرع من لمح البصر فلما ابصر ذلك الخيالة النمساويون عادوا عنهم فنجا هذا الجيش بثبات جأش قائده

وقد علمنا ان الايطاليين انكسروا في معركة كوستوزه ولكن هذه البسالة التي بدت من اميرهم خففت عليهم مرارة الانكسار

وفي سنة ١٨٦٨ اقترن البرنس همبرت بابنة عمه الاميرة مرغريت ابنة دوق جنوى فاتاه منها في العام التالي البرنس دي نابل فسرت به ايطاليا كلها · ولما استولت الجنود الايطالية على رومه ارسل الملك فيكتور عمانوئيل ابنه همبرت ليسبقه اليها · ولما انتقل البلاط الايطالي الى رومه قبضت البرنسس مرغريت زوجته على ادارته فكانت له جمالاً وبهاء

ثم توفي الملك فيكتور عمانوئيل وهو يوصي ابنه بحفظ الدستور دائماً لان سياسة الايطاليين اصبحت صعبة بالدستور فكيف بدونه · فلما جلس همبرت على عرش ابيه نشر



الملك همبرت الفقيد والملكة مرغريت قرينته خارجان من حفلة احد المعارض والملك يُسلم بيده على الشعب الذي يهتف له

المنشور الملكي الاعتيادي وفيه يقول « ايها الايطاليون · لقد مات ملككم الاول غير ان ملككم الثاني سيبرهن لكم ان الدستور لم يمت بموته » ذلك ان الايطاليين كانوا يحبون فيكتور عمانوئيل حباً ما وراءه حب لانه كان حارساً للحرية والدستور تخافوا ان لا يحذو ملكهم الجديد حذوه

ولكن الملك همبرت الاول ازال خوفهم· فانه جعل نفسه فوق الاحزاب كلها واقتصر على انفاذ ارادة وزرائه حسبما يقتضيه النظام ويقرره البرلمان · وكان الانقسام الشديد في الاحزاب وسرعة انقلاب الاكثرية في مجلس النواب مما يجعل الحكومة امرًا صعباً جدًّا· فرأى الوزير كريسبي المشهور مع بعض من الرجال الذين يطلبون اعادة ايطاليا الى عظمتها القديمة ان يوجهوا سياسة البلاد الى الاستعمار رغبة في تكبيرها وزيادة ابواب الرزق فيها وصرفاً للافكار عن الانقسام الداخلي الى الامور الخارجية · فعقد الملك همبرت في سنة ١٨٨٢ محالفة هجوم ودفاع بينه وبين النمسا وهي المعروفة بالمحالفة الثلاثية ثم اخذت ايطاليا في الاستعمار فاحتلت مصوع وارسلت المعلمين والمعلمات الى جميع اقطار الشرق لفتح المدارس فيها للذكور والاناث مزاحمة لفرنسا · فادى ذلك طبعاً الى زيادة

النفقات وظهور عجز في المالية ثم كانت معركة عدوه التي انتصر فيها النجاشي على الايطاليين ذلك الانتصار الباهر فثني الايطاليون اذ ذاك من داء الاستعمار واسقطوا السنيور كريسبي الذي كان يدفع الامة اليه

فاشتد يومئذ تخط الساخطين في ايطاليا وخيف من حدوث ثورة لقلب الملكية واقامة الجمهورية · ثم مرت تلك الزوبعة ولكن ما لبثت ان هبت بعدها زوابع المجاعة لسوء حالة الشعب الاقتصادية فنودي بالاحكام العرفيـة حتى هدأت الافكار بعض الهدوء واخذت الحكومة تقتصد وتقلل النفقات بما في استطاعتها

ولكن كل هذه الفتن والحوادث اولدت في ايطاليا حزباً جديداً غير حزب اليمين وحزب الشمال · حزباً ينمو بنمو الشقاء في العالم ونعني به حزب الاشتراكية

ولا نعني بذلك انه لم يوجد اشتراكيون في مجلس النواب قبل هذه الفتن ولكننا نعني ان شوكتهم كانت ضعيفة · اما في السنوات الاخيرة فانها قويت واخذوا يقاومون الحكومة مقاومة لم يُسمع بمثلها قبلاً ولا سيما في ما ارادته الحكومة من سن نظامات جديدة تغل ايدي الاشتراكيين والعملة والمتعصبين وما اشبه ذلك · فان هولاء المعارضين اختطوا لمقاومة الحكومة خطـة جديدة وهي الصراخ والنداء وضرب موائد مجلس النواب بالايدي ورفسها بالارجل كلما وقف خطيب من حزب الحكومة لاظهار فائدة القوانين التي تطلبهـا الحكومة · فافضى هذا الامر طبعاً الى امتناع البحث والجدال في مجلس النواب · ولما اصر الاشتراكيون على هذه الخطة وانفذوها عند خطابة كل خطيب من خصومهم لم يبقَ الا ان "يحل" المجلس لانتخاب سواه لعل الشعب يقلل عدد الاشتراكيين الذين ينتخبهم فحل الملك المجلس في العام الماضي فجاءت النتيجة معاكسة لذلك لان الاعضاء الاشتراكيين زاد عددهم بدل ان ينقص · ولا نقول ان هذا الحل قد اغاظ الاشتراكيين فازدادوا في جرائدهم المتطرفة تهييجاً للافكار حتى اثاروا الفوضويين على الملك لاغتياله فان الجرائد الاوربية لم تصلنا بعد لنعلم منها الخبر ولكن نقول ان الفتن التي حدثت في ايطاليا في هذه السنوات الاخيرة قد بلغت من الحدة والجنون مبلغاً لم يعد عنده مصرع المأسوف عليه الملك همبرت امرًا مستغرباً · ولكن الشعب الايطالي وا أسفاه غير ملوم وان كان غير معذور · فان الجمعيات السرية الجمهورية تثير ثائره والحكومة قد اثقلت كاهله بكثرة نفقاتها على التسلح وكثرة الرسوم التي وضعتها على شخصه وعلى ملكه وبضائعه · وان جميع محبي خير الامم يسألون له الهداية الى السبيل القويم ليخرج من هذه الازمات التي فيها لئلا

يُقال عنه انه لم يكن بعد وحدته واستقلاله اكثر هناء وسعادة مما كان قبلها

❋صفاته واخلاقه❋ واخلاق الملك همبرت الفقيد من اشد اخلاق الملوك دماثة وله نوادر كثيرة تدل على حبه الدستور ورغبته في خير شعبه · يروى ان عاملين قصداه لامر فجثيا امامه بخوف فانحنى همبرت واخذهما بذراعيهما قائلاً — انهضا فان الايطالي لا يجب ان يتذلل

وقد اعتدي عليه مرتين في حياته قبل المرة الاخيرة · المرة الاولى في سنة ١٨٧٨ في نابولي فان رجلاً مختل الشعور يدعى باسافانت هجم على مركبتـه وفي يده خنجر وطعنه به فمال الملك عن الضربة فلم تصبه ثم جرد سيفه مسرعاً وهو ساكن الجأش وضرب به المعتدي بطحاً على راسه

والمرة الثانية في رومه · فانه كان سائرًا في مركبته الى حفلة سباق خيل فهجم عليه الفوضوي اكسيار يتو لقتله فاوقفوه والقوا القبض عليه · ولما وصل الملك الى حفلة السباق وكان السفراء وجميع الحاضرين قد بلغهم امر الاعتداء خفوا لاستقباله فقال لهم باسماً « هذا من لوازم حرفتي » يعني ان الملك مُعرض دائماً لهذه الاخطار

وكان همبرت ذا علاقات مع اعضاء حزب الشمال كما كان مع حزب اليمين وكفى بذلك دلالة على احترامه اراء شعبه وحبه للدستور · وقد زار غاريبالدي في حياته فاحدثت زيارته هذه تاثيرًا عظيماً في نفوس الايطاليين فازدادوا حباً له

وكان رحمه الله يرقد في الساعة العاشرة مساء وينهض في الساعة السادسة ونصف صباحاً وهو محب لركوب الخيل ومولع بتربيتها · وما كان يحضر التمثيل في الملاعب الا ما كان منه للاحتفالات الرسمية · الا انه كان كثير الحب للالعاب الرياضية يحضرها بنفسه ويحضر المعارض تشجيعاً لها · وقد قتل في مونزه حيث يقضي قسماً من فصل الصيف وهو خارج من احدى حفلات الالعاب الرياضية · ووضعنا رسمه في هذه المقالة مقروناً برسم الملكة زوجته حين خروجهما من احد المعارض والشعب يهتف لهما والملك كما ترى في الرسم يسلم عليه السلام العسكري والملكة تضحك ملء فمها

❋الملكة مرغريت❋ مسكينة هذه التي كانت تضحك ملء فمها فانها الآن اصبحت تبكي ملء عينيها · وهكذا

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ويقولون ان الملكة مرغريت هي سبب عقد التحالف الثلاثي · فانها رغبة في حفظ

العرش لابنها البرنس دي نابل (فيكتور عمانوئيل الثالث اليوم) اقنعت الملك همبرت زوجها بمحالفة المانيا ظناً منها ان فرنسا تطمع ببعض الاملاك الايطالية وخوفاً من ان يزداد سريان المبادىء الجمهورية الى الامة الايطالية من جارتها وشقيقتها الامة الفرنسوية . فعقد الملك هذا التحالف السري دون ان يعرضه على البرلمان لان الدستور يبيح له عقد المحالفات والمعاهدات التجارية دون استشارة البرلمان ولا يجب عليه ان يطلع البرلمان على مضمون تلك المحالفة او المعاهدة الا اذا اوجبت مصلحة الدولة ذلك . اما اذا كان مقتضى المعاهدة او المحالفة التنازل عن شيء من املاك ايطاليا فالعقد فاسد لان ذلك من حقوق البرلمان لا من حقوق الملك

وقد كان للملكة مرغريت تاثير عظيم على الامة الايطالية في اوقات بؤسها . فانه كان يكفي ان تظهر الملكة في المدن الهائجة او بين القوم الساخطين على الملكية ومثل ذلك الابتسام في فيها فينقلب ذلك السخط الى رضى والصراخ هتافاً وابتهاجاً

وهي كاتبة ومؤلفة بارعة تحسن الفرنسوية والالمانية والانكليزية واللاتينية فضلاً عن الايطالية وجيلة مولعة بالفنون الجميلة . ومن ولعها بفن التمثيل تتردد كثيراً على الملاعب وتقرب الممثلين والممثلات اليها

ويروى عنها انها قالت في يوم من الايام للملك الا ترى انه يجب عليّ بعد الآن ان اترك الملابس الملونة المفرحة والبس الملابس اللائقة بسني فانني قد تقدمت في العمر . فاجاب الملك ساجيبك على ذلك . وبعد اسبوع وردتها ثلاثة صناديق مملوءة ملابس ملونة جميلة تكفيها ثلاث سنوات فعرفت الملكة ان هذا جواب الملك فضحكت

﴿ الملك الجديد والملكة الجديدة ﴾ اما ملك ايطاليا الجديد فيكتور عمانوئيل الثالث الذي كان قبل مقتل ابيه يدعى البرنس دي نابل فهو شاب في الواحدة والثلاثين لانه ولد في ١١ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وقد رباه ابوه تربية عسكرية شديدة وولاه قيادة الجند في نابولي ثم قيادتها في فلورنسه . ولما انكسرت الجنود الايطالية في معركة عدوه الشهيرة كان البرنس دي نابل قائداً في هذه المدينة فطار ركضاً الى رومه من غير اذن وزارة الحربية ليلح على ابيه الملك بان يعزل السنيور كريسبي رئيس الوزارة الذي يقود الدولة الى الدمار . فعاقبه ابوه بايقافه ٢٤ ساعة لتركه منصبه من غير اذن الحكومة ولكنه مع ذلك أقال يومئذ الوزير كريسبي كما هو معروف

وفيكتور عمانوئيل الثالث يحسن الفرنسوية والانكليزية والالمانية جيداً وقد اخذ عن

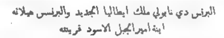
امه الميل الى الادب والفنون . وهو مع ضعف منظره كما ترى شديد النشاط قوي الارادة . وقد اقترن في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٦ بالاميرة اللطيفة الجميلة البرنسس هيلانه كريمة امير الجبل الاسود التي ترى رسمها بازاء رسمه . وقد كان الفرنسويون ينظرون الى البرنس دي نابل بشيء من السخط قبل هذا الزواج لان البرنس حضر استعراضاً عسكرياً المانياً في ساحات متز في سنة ١٨٩٣ وفي ذلك من المجاهرة بعداء فرنسا ما فيه . الا ان كثيرين منهم اصبحوا يقولون انه كما ان الملكة مرغريت امه قد اثرت على ابيه فجعلته يصافي المانيا ويعقد التحالف الثلاثي كذلك ستجعل الملكة هيلانه ابنة امير الجبل الاسود قرينها الملك فيكتور عمانويل الثالث يسالم فرنسا اتم مسالمة . وهكذا ربما قلبت امارة الجبل الاسود الصغيرة ميزان التحالف الثلاثي وبذلك تنقلب هذه الصورة التوازن السياسي في اوربا كلها . ولعل ذلك معنى قول القائل : « لا تستخفوا بضعف المرأة فان الصاعقة لا تصدر الا عن لطيف الغمام »

ولم يولد بعد للملك الجديد ولد ليكون ولي عهده فاصبح ابن عمه الدوق دوست ولياً لعهده وقتياً . والدوق دوست هو ابن البرنس اميده شقيق الملك همبرت الذي جلس مدة من الزمان على عرش اسبانيا . وله ولدان غير الدوق دوست الاول الكونت دي تورين الذي بارز البرنس هنري دورليان والثاني الدوق دي زابروز الذي ذهب لاكتشاف القطب الشمالي في بعثة علمية رويناً خبرها بالتفصيل في الجزء التاسع وانقطعت اخباره بعد ذهابه فارسلوا بعثة اخرى للتفتيش عنه

﴿ ملكان في رومه ﴾ وقد نشر الملك الجديد في اوائل هذا الشهر منشوره الملكي الاعتيادي فقال فيه انه مستعد لحماية الدستور بكل قوته . وقوله هذا عن حماية الدستور موجه الى فريقين الاول الفاتيكان والثاني الحزب الجمهوري والاشتراكي

اما الفاتيكان فقد قلنا ان رومه كانت عاصمة الاملاك البابوية فيرى الكرسي البابوي ان ملك البيمونت قد غصبه ملكه باستيلائه على رومه ولذلك اقام البابا بيوس التاسع الحجة على هذا الصنع والتزم قصره البابوي لا يخرج منه . ولما جلس لاون الثالث عشر على العرش البابوي كرر هذا الاحتجاج . وقد انحاز الى البابا ملك رومه القديم قسم عظيم من اشراف الايطاليين وعامتهم فاصبحوا يتجاهلون وجود ملك في رومه غير البابا واذا التقوا بمركبة ملك ايطاليا في الطريق حادوا عنها او لم يسلموا على من فيها . واكثر الامراء الكاثوليكيين لا يحضرون الى رومه لانهم مضطرون الى زيارة ملك ايطاليا وذلك يُسخط




البرنس دي نابولي ملك ايطاليا الجديد والبرنسس هيلانه
ابنة امير الجبل الاسود قرينته

البابا. وقد جرى ذلك لملك البرتغال شارل الاول الذي هو ابن اخت الملك همبرت فانه امتنع عن زيارة خاله ارضاء للبابا · والامبراطور فرنسوى جوزيف امبراطور النمسا لم يردّ الزيارة للملك همبرت الذي زاره في فينا سنة ١٨٨١ لهذا الغرض ايضاً · ولما زارت البرنسس كلوتيلد اخت الملك همبرت اخاها الذي يحبها حباً شديداً اعتذرت عن النزول في قصره ارضاء للفاتيكان

هذا من جهة الفاتيكان واما من جهة الحكومة الايطالية فانها تبذل قصارى جهدها لجعل الفاتيكان بمعزل عن السياسة الدولية لانكارها سلطته الزمنية · ولذلك ضغطت كل الضغط ايام عقد مؤتمر السلم لتمنع روسيا وهولانده من دعوة قداسة البابا الى الاشتراك في مؤتمر لا هاي

ولكن من حسن الحظ ان البابا اذا كان قد حرم ملك ايطاليا وقطع كل علاقة مع حكومته فهو لم يحرم الا الملك الذي غصب رومه اما ملك البيمونت فانه غير محروم ولذلك تناول الملك فيكتور عمانوئيل القربان المقدس قبل وفاته باذن من البابا وكان الملك همبرت رحمه الله يحضر الصلاة ويتناول القربان ايضاً · وذلك مما يخفف شيئاً من الفتور الذي بين الفريقين

هذا ما وسعه المقام عن ايطاليا وشؤونها. ومنه تتضح المصاعب العديدة التي في طريق ملكها الجديد الشاب فيكتور عمانوئيل الثالث · فنحن ندعو له بالنجاح ليرفع شأن امته وبلاده ونكرر الاسف والحزن على مقتل الشهم همبرت الاول

ثلاث مدارس جديدة

في بيروت

عزمت الكلية الاميركية في بيروت في الشتاء الماضي على فتح فرع تجاري فيها لتعليم الطلبة فن التجارة باصوله بالنظر الى اهمية هذا الفن للشبيبة السورية فكتبنا يومئذٍ في الجزء الصادر في اول مايو الماضي في هذا الموضوع مقالة طويلة جاء فيها ما يأتي

« اما نحن فنرى انه في العام القادم لا تفتح مدرسة تجارية واحدة في بيروت بل تفتح مدرستان تجاريتان واليك البيان

« كانت المناظرة بين مدارس الاباء الفرير ومدارس المرسلين الاميركيين في احدى مدن فلسطين منذ بضع سنوات في غاية الشدة فكانت ادارة الفرير لا تفتح مدرسة في قرية او في حيٍ حتى تفتح ادارة الاميركان مدرسة مثلها بازائها . و بالعكس . فكان مدير الفرير يقول باسماً كلما اراد فتح مدرسة في قرية — سافتح مدرستين لا مدرسة . يعني مدرسة للفرير ومدرسة للاميركان

« وهكذا نقول الآن في مدرسة بيروت التجارية . فان حضرات الاباء اليسوعيين الذين يناظرون حضرات مرسلي الاميركان في تهذيب الشبيبة السورية مناظرة حميدة سيفتحون ولا شك في كليتهم الكبرى مدرسة تجارية يسوعية بازاء المدرسة التجارية الاميركية . واذا كانت تلك المناظرة القديمة قد زالت او خفت — ولا شيءٌ يدل على ذلك — فرغبة في ان لا تُحرم سوريا منافع مدرسة تجارية نذكرهم بان منزلتهم الادبية والعلمية في سوريا تقضي بان لا تكون الكلية الاميركية اكثر فضلاً من كليتهم . و بالنظر لما نعلمه من فضلهم وما يعلمونه من ان لا غرض لنا من هذا الاقتراح الا الخير العام فاننا بتنا نؤمل ان يقدموا على هذا المشروع النافع المفيد في وقت غير بعيد » انتهى

والآن نقول انه يسرُّ محبي الخير للشبيبة السورية ان حضرات الاباء اليسوعيين لم يخيبوا حسن الظن بهم فقد قرروا في الشهر الماضي انشاء مدرسة للتجارة والصناعة في كليتهم وهذا ما ورد بهذا الشان في جريدة الارز الغراء الواردة في الشهر الماضي قالت

« نقلنا في احد اعدادنا السالفة عن مجلة الجامعة مقالة نفيسة في شدة حاجة البلاد السورية الى مدارس للتجارة والصناعة وافتقار الشبيبة فيها الى الوقوف على ما يمهد لها

اسباب المعايش ويوسع عليها نطاق الحياة ادبياً ومادياً

« وراق لدينا كثيراً راي الجامعة في استنهاضها همم اباء الكلية اليسوعية في بيروت الى انشاء مدرسة يتخرج فيها ابناء البلاد صناعياً وتجارياً . فاذا هي كالسيف او امضى وكالسيل او اجرى هبت فجردت عزيمتها القاطعـة واندفعت الى تحقيق اماني البلاد وفي مقدمتها ناشر لواء الفضل ورافع منار العلم حضرة رئيسها الفاضل الاب كاتين . فوفد اليوم بشيرها الصادر في ٢ الشهر الحالي حاملاً للوطن هذا الاعلان

« ان الرغبة في تيسير فرصة جديدة لطلبة المدارس المختلفة في سوريا حتى يبنوا لنفوسهم مركزاً مشرفاً ومفيداً لمواطنيهم ولبلادهم حركت رؤساء كلية القديس يوسف في بيروت على تاسيس مدرسة عالية للتجارة والصناعة تُعطى دروسها ضمن دائرة الكلية المشار اليهـا

« وستكون مدة هذه الدروس سنتين ومدة كل سنة مدرسية تسعة اشهر تبتدئ من ١٥ تشرين الاول وتنتهي في ١٥ تموز وقد تعين دخول الطلبة للمرة الاولى في ١٥ تشرين الاول من سنة ١٩٠٠ الحالية ويكونون جميعاً خارجيين احراراً

« اما شروط القبول في هذه المدرسة فهي ان يكون الطالب بالغاً من السن سبع عشرة سنة في الاقل وان يقدم عند دخوله صكاً مصادقاً بتاريخ ولادته مع شهادة بحسن سلوكه من رئيس المدرسة الاخيرة التي تعلم فيها وحينئذٍ يجري عليه الامتحان في لائحة الدروس الثانوية حتى يتبين هل هو مقتدر على اتباع دروس المدرسة اما موعد الامتحان المذكور فبين العاشر والخامس عشر من تشرين الاول

« وفي ختام السنتين يجري امتحان عام في جميع المواد التي تعلمها الطالب ويُسلم ديلوما عالية او شهادة دروس فقط على حسب ما يظهر من نتيجة امتحانه » انتهى

ويسرنا ايضاً بعد ما تقدم ان نقول ان همم افاضل الطائفة الارثوذكسية في بيروت قد تحركت الى انشاء مدرسة علمية جامعة جديدة وبذلك تصبح المدارس الجديدة المهمة التي تنشأ في بيروت في الشتاء القادم ثلاثاً . وسنذكر ما يتصل بنا من اخبار المدرسة الجامعة الارثوذكسية الجديدة بعد وضع اللجنة تقريرها الذي عُهد اليها وضعه ورفعه الى غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي والامور مرهونة باوقاتهـا

وفي ختام المقال نثني على همم الآخذين بهذه المشروعات المفيدة فان الخير محبوب من اينما جاء . وكل يد تُمدّ لصنعه يد بيضاء

فلسفة الصينيين واديانهم

واخلاقهم

يولد العلم والفلسفة تحت سماء الشرق كما يولدان تحت سماء الغرب . لانه ما دام العقل مشاعاً بين الناس فان العلم الذي هو ثمرته يبقى مشاعاً . فلا نقل اذاً هذا الرجل غير مستعد للعلم لانه شرقي وهذا مستعد له لانه غربي فان الشرق والغرب في نواميس الطبيعة سيان . ويقابل هذا القول قول الشاعر : كل من سار على الدرب وصل

وكفى ان نستشهد على صحة هذا القول بالامة الصينية القديمة التي يذيع الآن ابناؤها ابناء الغرب تعصباً وجهلاً . فانه لما قام فلاسفتها يعلمون الفلسفة والادب كانت باقي الامم في اقصى دركات الجهالة والغباوة . وغرضنا في هذا الفصل ان نذكر شيئاً عن فلسفة الصينيين واديانهم واخلاقهم فنقول

الفلسفة عند الصينيين مقرونة بالدين كما كانت مقرونة به عند جميع الامم القديمة بل هي الدين نفسه . فاذا نظرنا فيها فكانما ننظر في الاديان الصينية

والاديان الصينية ثلاثة . الاول « جوكيو » او دين « جو » وهو الدين الذي وضعه كونفوشيوش اعظم فلاسفة الصين الذي عاش بين سنة ٤٧٩ و٥٥١ قبل الميلاد . الثالث « توكيو » او دين « تو » وهو دين تلامذة لوتسي . الثاني « فوكيو » او دين « فو » وهو الدين البوذي

اما دين كونفوشيوش فهو اعظمها كلها وعليه مدار الكلام هنا . وهو يؤخذ من الكتب التي وضعها هذا الفيلسوف وهذه خلاصة فلسفته

عنده ان اساس كل الفضائل المحبة البنوية والاحترام البنوي . وهو يقسمها الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما يجب للاباء والاجداد والقسم الثاني ما يجب للامبراطور وللوطن باعتبار ان الانسان ابن لوطنه وملكه والقسم الثالث ما يجب على الانسان لنفسه حتى يقتبس الفضائل ويكون اهلاً لان يُدعى ابناً لآبائه ويعود بمجده عليهم

وهو يقول ان المحبة البنوية ليست عاطفة بل واجباً حقيقياً ينبغي ان يشمل الجميع من احقر الناس الى اعظم الملوك

ومن اقواله في الحث على حب الاباء « استفد من كل الفصول وكل العلوم وابذل

الجهد في كل سبل الاجتهاد والاقتصاد لتغذي امك واباك »

ومنها « ان الولد الذي يحب والديه حباً حقيقياً يسمع صوتهما دون ان يحادثاه ويراهما دون ان يكونا حاضرين »

ومن اقواله في ذلك ايضاً « حب والديك واكرمهما في حياتهما واسف عليهما وابكهما بعد موتهما فان هذا هو القيام بالواجب الانساني العظيم »

واما مدة الحزن والحداد فنيها يقول « يجب ان تحزن على موتهما اشد حزن ولكن لا ينبغي ان تحزن حزناً يضعف بصرك وسمعك . فانه اذا كان في راسك جرح فلك ان تغسله واذا حمي جسمك فلك ان تستحم واذا مرضت فلك ان تاكل لحماً وتشرب خمراً ولكن متى زالت هذه الطوارىء ينبغي ان تعود الى الحداد والا فانك تهين الطبيعة وتكفر بنعمة والديك »

ويقول كونفوشيوش في احد كتبه « كلما افتكرت بك يا ابتاه احسست باني انتقلت الى السماء . وانني الآن في مماتك اذكرك فاقتدي بك كما كنت في حياتك اصغي اليك واطيعك »

فهذه التعاليم التي نشرها كونفوشيوش في جملة ما نشره من تعاليمه الادبية الجليلة اصابت هوى شديداً في نفوس ابناء وطنه ولا سيما تلامذته فتمسكوا بها تمسكاً لا مثيل له حتى اصبحت بعده واجباً لا يجوز اغفاله . ثم اكتسبت بمرور الزمان صفة دينية فصارت ديناً خاصاً للقسم الاكبر من الصينيين . بل صارت شقاء لهم وبلاء

ذلك انه اذا كان يجب على الصينيين عبادة ابائهم فهو دليل على ان اولئك الاباء افضل الناس واعظمهم . واذا كانوا افضلهم واعظمهم فيجب التشبه بهم في كل ما كانوا يصنعونه في حياتهم والخروج عن ذلك اهانة لهم وتهور يؤدي الى الشقاء والتعاسة . وهذا هو الامر العظيم الذي اغضبهم على الاجانب فضلاً عن المسالة السياسية التي بسطناها في الجزء الماضي . فان السكك الحديدية التي تمد في بلادهم تمر فوق قبور آبائهم فتدنسها وتقلق بصوت البخار الارواح التي في فضاء البلاد . والدين المسيحي الذين يدعونهم اليه يعلمهم ان اباءهم كانوا قوماً وثنيين جهلاء وفي ذلك ما فيه من الكفر بنعمة الاباء والاجداد . وهكذا اصبحت وا اسفاه فضيلة محبة الوالدين اعظم موانع تمدن الصين

اما القسم الثاني من فلسفة كونفوشيوش فهو البحث في طريقة سياسة الامم . وعنده ان اساس كل حكومة « اخلاق الحاكم وكفاءته » فاذا كان اهلاً لوظيفته صلحت حال

رعيته واذا كان غير اهل فسدت حالهم . ولذلك يقول لتلامذته « يجب ان يكون للادباء نفوس سامية قوية لان الحمل الذي على عواتقهم ثقيل » ويعني بالادباء الذين تُسند اليهم وظائف الحكومة وبالحمل شؤون الحكم . ذلك ان الادباء هم الذين يُديرون ازمة الصين على حين انهم « يدورون » عندنا كما لا يخفى على العارفين

واما الديانة البوذيه فاصلها من الهند وواضعها بوذه الفيلسوف الهندي الذي عاش بين سنة ٦٢٢ و٥٤٢ من الميلاد . واساس تعاليم هذه الديانة فلسفية محضه وهي مبنية على اربع قواعد الاولى وجود الالم والثانية سبب وجود الالم والثالثة ازالة هذا السبب والرابعة الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة الالم . وقد بدأ مرسلو الديانة البوذية بدخول الصين في القرن الثالث قبل الميلاد فلم ينجحوا فيها اولاً ولكن الامبراطور هنغ تي قرر جعل الديانة البوذية في سنة ٦١ قبل الميلاد من ديانات الصين الرسمية مع التاوتية والكونفوشية وارسل من اتى بكاهن من كهانها من الهند في سنة ٧٥ ومعه تعاليم بوذه وكتاب مقدس من كتبه . وقد حارب الصينيون الهنود بعد ذلك غير مرة للحصول على الكتب البوذية . ثم انتشرت الديانة البوذية في الصين كلها ورجحت على ديانة كونفوشيوش نفسها ودخلت من الصين الى كوريا في سنة ٣٧٢ للميلاد والى اليابان في سنة ٥٥٢

غير ان كل دين تقريباً يتوقف صلاحه او فساده على اخلاق الآخذين به . وقد كانت الديانة البوذيه رفيعة الشان في الهند لانها فلسفه لطيفة علم فيها بوذه اللطيف احتقار ملاذ الحياة والعزلة والادب والفضائل العديدة وازالة الحزن والالم من الحياة لانهما ينقصان العيش وينشئان الشقاء في العالم . اما في الصين فما لبث الصينيون ان افسدوا هذا الدين الادبي بما ادخلوه اليه واخرجوه منه من التعاليم فانحط شأنه وشأن الآخذين به واصبح دين الكسل بعد ان كان دين الفضيلة . وليس الغرض من هذا المقال بسط الكلام على الديانة البوذية فانّ ذلك يضيق عنه هذا المقام وربما افردنا له فصلاً خصوصياً نودعه ترجمة واضعه بوذه العظيم بالنظر الى اهميتها . لذلك نكتفي بما ذكرناه عنه وننتقل الى الديانة الثالثة

فنصل هنا الى اسمى ديانات الصين. الى فضائل من اسمى الفضائل التي دوى صداها في جو العالم . فان تعاليم كونفوشيوش تعاليم ادبية ولكنها ارضية بسيطة اما هذه التعاليم فهي فلسفة علوية ترفرف فوق باقي التعاليم كما ترفرف النسور في الفضاء

وهي لطيفة وديعة تكره الاعتداء وتحرمه وتعلم التسامح والاتضاع ولطف المعاملة والرضى والسرور بكل شيء في هذه الحياة . وتُلبس اكثر المواضيع جدًا وخطارة ثوبًا جميلاً من الحكمة والظرف فتسر بها النفس لحكمتها وظرفها معًا

اسمع ماذا تقول هذه الديانة في الخصام والنزاع بين البشر

« افترض ان رجلاً وحشي الاخلاق اساء معاملتي . فاذا كنتُ حكيمًا وجب عليَّ ان افحص ضميري واسأل نفسي هل قصرت بما يجب عليَّ له . فاذا شهد لي ضميري بانني لم اقصر وجب عليَّ ان اسأل نفسي ايضًا هل عملت شرًا في حياتي يستحق هذه الاهانة . فاذا رايت انني لم اسيء معاملته ولم اعمل شرًا قلت ان ذلك الرجل احمق وابتعدت عنه »

ومن اقوالها « اذا سافرتُ مع اثنين فلا بد ان يكون فيهما واحد يقتدي بي وآخر ارى نقائصه فاجتنبها في نفسي »

« ان الرجل الحكيم الفطن مدين للمصائب بحكمته وفطنته لانها هي التي علمته اياها »

« اكبر عيوب الناس انهم يتركون الاشواك في حقولهم و يركضون لنزعها من حقول جيرانهم »

ومن اسمى هذه الاقوال بل من اسمى ما قيل في كل فلسفة ودين ما جاء في هذه التعاليم عن معاملة الناس وهو

« ابذل كل جهدك لتعامل الناس كما تحب ان يعاملوك »

ومن الغريب ان تكون البلاد الصينية التي كانت مهبطًا لهذه الفلسفة مرسحًا للحوادث العظيمة التي حدثت فيها في هذا العام . ولكن يبطل الاستغراب متى علمنا ان الصين تعمل الآن بديانة كونفوشيوش التي تقضي بحرصها كل الحرص على تقاليد الاباء والاجداد لا بهذه الديانة التي تعلمها اللطف والحكمة واحترام حقوق الغير والسلوك مع باقي الامم كما تريد ان يسلك باقي الامم معها . لذلك يصح القول بان ديانة كونفوشيوش اذا كانت ستبيد الصين فان ديانتها الثالثة تنقذها . هذا بصرف النظر عما يخالط جميع تعاليم البشر من الخرافات والاوهام . ولذلك اقترح على الدول كثيرون من الكتاب ان يقتصرن في عملهن بالصين على هدم هياكل الديانة الاولى وزيادة هياكل الثانية وهو قول يُقصد به امتداح هذه الديانة فقط لانه لا يخفى ما في مس اديان البشر من الخطر فضلاً عن وصمة الاعتداء

ومن المعلوم ان اخلاق كل شعب نتيجة تربيته وديانته او فلسفته التي يتلقنها فتكيف

افكاره وتغرس في ذهنه المعرفة او الجهل الخير او الشر · وقد كان يُرجى ان تغرس هذه الفلسفات الثلاث في نفوس الصينيين الطف العادات والاخلاق لما انها في اصلها لطيفة جميلة · ولكن« كل شيء يخرج حسناً من يد الخالق ولا يفسد الا متى لعبت به يد الانسان » كما قال جان جاك روسو في مقدمة كتابه الجليل « اميل » · فان الصينيين اساؤوا فيهم هذه الفلسفات الثلاث فافسدوها وحولوها الى وثنية قبيحة اذ اقاموا لها الاصنام واصبحوا يتقربون منها بالذبائح وبعض باقي الناس واليوم يتقربون منها بقتلهم

ولا نحاول في هذه النبذة الالمام بجميع اخلاق الصينيين وعاداتهم فان ذلك يقتضي بحثاً مفرداً وانما نروي هنا شيئاً من تلك الاخلاق فان البعض يدلّ على الكل ونفتتحها بذكر حال المرأة في الصين فان في ذلك دلالة على حقيقة الهيئة الاجتماعية لان حال المرأة مقياس تمدن كل امة

وحال المرأة الصينية ليست مما يجب ان تحسدها عليه اخواتها الشرقيات · فانه اذا ولد للرجل غلام ساد الفرح في منزله واذا ولد له ابنة قال حزيناً « لقد سقط حجر من سقف بيتي » او آجرة اي احدى القطع الحجرية التي يُسقف البيت بها · ومعنى ذلك مفهوم من هذا المثل الصيني « لما يولد الغلام ينام في سرير ويلبس الملابس الفاخرة ولكن لما تولد الابنة تنام على آجرة من سقف البيت ملفوفة بنسيج بسيط · وهي لا تقدر في كبرها على خير او شر وكل وظيفتها ان تمد الخمر والطعام لزوجها ولا تسوء اهلها بشيء »

ومن امثالهم فيها ايضاً « يجب ان تكون العروس بعد زواجها صدى زوجها وظله فقط » وفي ذلك ما فيه من الدلالة على انحطاط هيئتهم الاجتماعية بانحطاط شأن النساء عندهم

ومن امثالهم في الجنود قولهم « ان تسعة اعشار الجنود الصينية لصوص » وهذا يدل على انحطاط شان الجندية عندهم وكفى به دليلاً على ضعف وطنيتهم وعدم ثقتهم بحكومتهم

ووظائف الحكومة عندهم تُباع بالاموال ولا يوجد بلاد افسد حكماً واكثر رشوة من بلاد الصين وذلك لان الشعب في ادنى دركات الجهل والغباوة لا همّ له غير زراعة الارض اما زمام الحكومة ففي ايدي المتجرين بها · ومما يدل على جهل الشعب وضعفه ان الفرنسو بين

لما تغلبوا على الصينيين واخذوا منهم التونكين في سنة ١٨٨٥ اشاع البلاط الصيني ان الجنود الصينية قد انتصرت على الفرنسويين انتصاراً باهراً ولكن بما ان فرنسا دولة فقيرة ضعيفة فقد تنازل الامبراطور وتعطف عليها بمنحه اياها بلاد التونكين جبراً لخاطرها المكسور. وقد صدق يومئذٍ الشعب هذه الخرافة

ولكن مما هو ادل على ذلك الجهل المطبق الجرائد الصينية. ونكتفي بايراد مثل عنها. فان احد الكتاب الصينيين اذا بعث الى احدى الجرائد مقالة ولم تستطع هذه الجريدة نشرها لضعفها او عدم اهميتها بعث محرر الجريدة الى صاحب المقالة يعتذر اليه بهذا الكلام الذي وجدنا ترجمته في جريدة الرائد المصري الغراء

« يا اخا الشمس والقمر. انظر الى العبد الذي يقف عند موطئ قدميك ويقبل الارض امامك ويلتمس من جلالك العفو والاذن لكي يتكلم ويحيا. قرأنا رسالتك بسرور تام وبعظام اجدادنا نقسم لك اننا لم نقرا في حياتنا مقالة بديعة كمقالتك

« فلو قبلناها وادرجناها لامرنا جلالة الامبراطور ان نتخذها مثالاً لكل الكتابات وان لا ننشر بعدها كتابة دونها في البلاغة والفصاحة. وبما ان كتابة مثلها ضرب من المحال حتى بعد عشرة آلاف عام فاننا بارتعاش نرجع اليك رسالتك ونلتمس منك عشرة آلاف سماح. انظر فان رأسي عند قدميك وانا عبد عبدك » محرر الجريدة

فاذا كان هذا هو مبلغ جهل كتاب الصينيين وقادة عقولهم فما القول بعامتهم. ومنه تعلم مبلغ جهل هذه الامة المسكينة

على ان في هذه الامة مع جهلها اخلاقاً محمودة وصفات لا تكاد توجد في سواها. منها القناعة الى حد غريب وشدة تعلق الصيني بالارض التي يولد فيها واحترام ابائه واجداده وامبراطوره اشد احترام كما مرّ بنا وغير ذلك مما يضيق دونه المقام

هذه هي الامة التي تعاند الآن اميركا واوربا كلها ولو عقلت حكومتها فانتظرت حتى انارت عقول شعبها واصلحت شؤونه شدّاً لازرها به لكان ذلك اعود عليها واجدر بها وبتمدنها القديم من العمل الفظيع الذي عملته او تركته يُعمل على مرأى ومسمع منها

باب تدبير الصحة

الوقاية

﴿ ميكروبات الامراض ﴾

انقسم الناس في مسالة الميكروبات الى قسمين . قسم لا يبالي بوقاية جسمه منها ولا يعبأ بها فيعرض نفسه وذويه لافبح الامراض في الحاضر وفي المستقبل وقسم يبالغ في هذه الوقاية حتى ينغص بها عيشه . فلا يمس شيئاً ولا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يُسلم على شخص ولا ولا ولا الا وهو مفتكر بتلك الحويوينات الصغيرة التي تروعه ونفسه خائفة من انتقالها بواسطة ذلك اليه . وكلا الفئتين مخطئتان لان الافراط مضر كالتفريط في هذه المسالة وخير الامور الوسط فيها وفي جميع مسائل الحياة

وربما توصلوا في المستقبل الى اغناء الانسان عن وقاية نفسه من الميكروبات المنتشرة في كل شيء حوله وذلك باكتشاف المادة التي تقوي كريات الدم على جراثيم المرض من اي نوع كانت وتجديد الدم بهذه الواسطة واطالة الحياة . ولكن الى ان يتحفنا العلماء بهذه النعمة ينبغي ان لا تهمل الوقاية من الميكروبات فان الوقاية خير دواء لها

والوقاية من الميكروبات على نوعين الاول هيجيين العقل والثاني هيجيين الجسم . اما هيجيين العقل فالحرص على ابقائه هادئاً سليماً صحيحاً فان ذلك مما يؤثر احسن تاثير على المجموع العصبي وصحة الجسم باجمالها . ولذلك ينبغي ان لا تغضب من شيء وان لا تفرح كثيراً ولا تحزن كثيراً وان لا تطالع كتابات مضرة تقلب التوازن في عقلك ولا تنظر لمناظر تحرك في نفسك عوامل لا تحرك بدونها فكثيراً ما تكون صحة الانسان وادبه بل حياته كلها متوقفة على هذه الامور التي تحسبها صغيرة وهي في الحقيقة كبيرة جداً

واما هيجيين الجسم فهو العناية بصحته وعافيته من كل الوجوه . وبما اننا لا نبحث ههنا الا في وقايته من الميكروبات فنقتصر على احصاء الوسائل التي يجب عليك اتخاذها لاجتناب مباشرة هذه الجراثيم بقدر الامكان

(١) لا تشرب الماء الا مرشحاً ومبرداً بعد اغلائه على النار ولا تدع الهواء يمسه

(٢) اجتنب الاماكن التي يثور الغبار في هوائها فان الغبار الذي تستنشقه حينئذ

غاص بالجراثيم

(٣) نظف دائماً غرف المنزل ولا تضع فيها اثاثاً يمكن للغبار ان يختبئ فيه ولا تهمل الغبار ابداً

(٤) كثيرون يجتنبون ركوب المركبات العمومية (مركبات الاجرة) لانه من يعلم اذا كان لم يركب ذوو امراض فيها ولذلك يجب ان يُعنى دائماً بتطهيرها سواء كانت للسكك الحديدية او الترامواي او كانت مركبات خيل

(٥) لا تأكل شيئاً دون ان تكون واثقاً كل الثقة بنظافته ولا تأكل من غير غسل يديك والا خيف ان تُدخل الى باطنك ميكروبات الامراض التي علقت بها

(٦) اياك ان تضع في فمك نقوداً او قلم رصاص يكون لسواك او اي شيء آخر ليس لك

(٧) لا تلصق طابع البوسطة (البول) بلسانك ولا تختم به الكتاب ايضاً

(٨) اجتنب المرور بالشوارع القذرة وحوالي الاماكن التي يوجد فيها مرض والمزابل واماكن الاختمار ومخازن الخرق البالية واياك ان تمسك منها شيئاً

(٩) لا تبتع كتباً قديمة ولا امتعة قديمة واحذر الغبار والبقع على ثيابك

(١٠) ابطال البصق في الشوارع والمركبات والاماكن العمومية

(١١) انشاء المجالس البلدية آلات لتطهير المنازل والشوارع واستعمال الاهالي هذه الآلات كثيراً

(١٢) التلقيح بالمصل المقاوم لعمل الميكروب

والخلاصة ان الوقاية من ميكروبات الامراض مسألة من اهم المسائل ولكن ينبغي ان لا يفرط الانسان ولا يفرط فيها

﴿ الزواج والتدرن الرئوي ﴾

قال الدكتور كيرشنر ان الزواج يساعد على استفحال التدرن الرئوي لان كل نقص في قوى الجسم يحدث في الرئة درنة ويكبر الدرنة الموجودة . والزوج الذي يكون سالماً يسري اليه من زوجته هذا الداء وربما كان المرض كامناً في احدهما فيظهر في الحال في الرجل بعد زواجه وفي المرأة عند الولادة او الحمل . اما الاولاد التي تاتي من هذا الزواج فانهم

تسماه محكوم عليهم بارث اسود . ولذلك كله يجب ان يُمنع من الزواج كل شخص يكون مستعداً لقبول هذا الداء . وبعد شفائه منه لا يجب ان يتزوج الا بعد انقضاء سنتين على ذلك . وبما ان حكومات الامم لا تزال مقصرة في مسالة منع الزواج اذا كان احد الزوجين مستعداً لبعض الامراض الوراثية فلا يُرجى منها الآن قطع هذا الشر بل يجب على الكتاب والجرائد والخطباء تنبيه الناس الى سوء عاقبته واظهار ضرره العظيم في شخص المريض المتزوج وفي اولاده من بعده . ولكننا نرى ان الامم قد تنبهت الى الخطر الذي في ترك حرية الزواج للمرضى فقد قام طبيب كبير في المانيا يدعو الحكومة الى سن نظام يمنع كل رجل ان يتزوج ما لم يكن في يده شهادة من الطبيب تشهد له بسلامة البنية من كل داء يعدي و يوجد بلاد صغيرة في اميركا الجنوبية قد قررت ذلك منذ عدة سنوات. ولا يخفى ما في هذا الامر من الوقاية للصحة العمومية وللاجيال الآتية وان كان فيه ما فيه من التضييق على الحرية الشخصية

﴿ التدخين ﴾

اختلف الناس عموماً في هل ان التدخين مضر ام لا . اما نفعه فلم يقل به الا فئة قليلة جداً وقد حصرت هذا النفع في تنبيه الدماغ والمساعدة على الهضم وعلى الاخص قتل الميكروبات التي تكون في الفم بواسطة حرارته ودخانه وهو قول ضعيف وان كان يقول به بعض الاطباء

واما ضرره فان بعض الناس يعزون اليه اضراراً شتى وهذا ما حمل الدكتور ماكس بربتنغ الالماني على اجراء بحث دقيق في المانيا بشان مضار التدخين فثبت لهذا الباحث ان الضرر يكون بالاكثر متوقفاً على صفة التبغ الذي يشربه الانسان وعلى كيته فالكم والكيف هما منشأ الضرر لا التدخين نفسه

وقد وجد ان التبغ الذي يشربه الالمانيون على وجه الاجمال غير مضر بالصحة العمومية لانه خفيف . هذا اذا اقتصر الشارب على سيكارة او اثنتين في النهار . ولكن العشرين او الثلاثين سيكارة تضر شاربها و بالتالي الصحة العمومية ضرراً كبيراً . غير انه لما كانت السيكارة الواحدة توصل عادةً الى العشرين ففي خطر ايضاً . وهنا يحث الدكتور ماكس المجلات والجرائد على اظهار قبح التدخين وقذارته وضرره للجمهور ليتعظ بها و يترك هذا الضرر العام . ثم يطلب وضع قانون يحظر التدخين على الاولاد و يقضي بمعاقبة اصحاب

الحوانيت الذين يبيعونهم تبغًا او سكائر

ثم ذكر تاثير التبغ في صحة الجسم فقال ان هذا التاثير يحل اولاً في القلب و يشتد شيئًا فشيئًا . وان الذين يبلعون الدخان عند التدخين يُصابون بالزكام الشعبي و بعد ذلك تاتي نوبة الحواس فربما ضعف بعضها ضعفًا غير يسير

صفحة الشعر

اجابةً لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفًا شعرية وشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

اي بيت تقوله العرب اشعر — قيل لابي عمرو بن العلاء اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي اذا سمعه سامعه سولت له نفسه ان يقول مثله ولان يخدش انفه بظفر كلب اهون عليه من ان يقول مثله . وقيل للاصمعي اي بيت تقوله العرب اشعر قال الذي يسابق لفظه معناه وقيل للخليل اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي يكون في اوله دليل على قافيته وقيل لعميرة اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء . واحسن من هذا كله قول زهير

وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

قيل للحطيئة من اشعر الناس فاخرج لسانًا رقيقًا كأنه لسان حية وقال هذا اذا طمع . وقيل لكثير عزة لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما اعجب وماتت عزة فما اطرب ومات عبدالعزيز فما ارغب . يريد عبد العزيز بن مروان . وقالوا اشعر الناس النابغة اذا رهب و زهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند لعبيد بن الابرص ولقيه في يوم بؤسه انشدني من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمنع الشعر على قائله ولا يسلس حتى يبعثه خاطر او صوت حمامة . وقال الفرزدق انا اشعر الناس عند الياس وقد ياتي عليَّ الحين وقلع ضرس عندي اهون من قول بيت شعر وقال الراجز

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه
كان غثًا اوسمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

تاثير الشعر عند العرب — كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملاً لا يذكر

حتى طرقه الاعشى في فتية وليس عنده الا ناقة فاتى امه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رايت ان تاذني في نحر الناقة قالت نعم يا بني فنحرها واشترى لهم بيمض لحمها شراباً وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر المحلق حتى اتته القصيدة التي اولها

ارقت وما هذا السهاد المؤرق   وما بي من سقم وما بي تعشق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي ام تقاسما   باسحم داج عوض لا نفرق
ترى الجود يسري سائلاً فوق وجهه   كما زان متن الهندواني رونق

فلما اتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول «وبات على النار الندى والمحلق» وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يفترقوا ابد الدهر

قال المامون لمحمد بن الجهم انشدني بيتاً اوله ذم واخره مدح اولك به كورة فانشده

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم   حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال له زدني فانشده

ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

وقال هارون الرشيد للمفضل الضبي انشدنا بيتاً اوله اعرابي في شملته هب من نومه وآخره مدني رقيق غذي بماء العقيق قال المفضل هولت عليَّ يا امير المؤمنين فليت شعري باي مهر تطلب عروس هذا الخدر قال هو بيت جميل حيث يقول

الا ايها النوام ويحكموا هبوا   اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال له المفضل فاخبرني يا امير المومنين عن بيت اوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالدا والدواء قال له هرون ما هو قال هو بيت الحسن بن هاني حيث يقول

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

سمر الفرزدق والاخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة فبينا هم حوله اذ خفق فقالوا نعس امير المؤمنين وهموا بالقيام فقال لهم سليمان لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعراً فقال الاخطل

رماه الكرى في راسه فكانه   صريع سقى ما بين اصحابه خمرا

فقال له ويحك سكران جعلتني ثم قال جرير بن الخطفى

رماه الكرى في راسه فكانما يرى في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له ويحك اجعلتني اعمى ثم قال الفرزدق بعد هذا

رماه الكرى في راسه فكانما اميم جلاميد تركن به وقرا

قال له ويحك جعلتني مشجوجاً ثم اذن لهم فانقلبوا لخيامهم واعطاهم (العقد الفريد)

شؤون نسائية

ننشر في هذا الباب شذرات وفصول مختصة بموضوع النساء
وتدبير المنزل وما اشبهها

الميكروب في اذيال النساء

اجمع المؤتمر الطبي الذي عُقد اخيرًا في رومه ان الحلل «الفساطين» الطويلة الاذيال مضرة جدًا بالصحة لانها تنقل الميكروبات من الشوارع · وقد فحص احد اطباء هذا المؤتمر ذيل فسطان طويل مشت فيه صاحبته في احد الشوارع فوجد عالقاً فيه ما لا يُحصى عدده من الميكروبات المختلفة فلتحذر السيدات

شراب الصيف

تعددت انواع الاشربة التي يتخذها الناس في الصيف لتخفيف حرارة اجسامهم وقد ذكر احد الاطباء شراباً يصنعه ويشرب منه دائماً وهو — يأخذ ٤ او ٥ (اتار) من الماء فيغليها ثم ينقع فيها الشاي حتى تصبح شاياً خفيفاً فيبردها ومتى بردت تكون درجة حرارتها اقل من حرارة الماء عادة · ثم يضيف اليها سكرًا وبعض قطع من الليمون الحامض فيزداد طعمها طيبة وتصير شراباً مرطباً ولذيذًا

اي شيء في الرجال اكره الى النساء

القت احدى المجلات سؤالاً على قارئاتها وهو : اي شيء في الرجال اكره اليهن من كل الاشياء · فاجبن اجوبة مختلفة ولكن الصفات المذمومة التي اتفق اكثرهن على كراهتها في الرجال هي هذه « السكر · والاثرة · والدناءة · والخداع · والمقامرة · والجبانة

والادعاء · والكسل · والقساوة · وكتمان عيوبهم » وبودنا ان نعلم اي شيء في النساء هو اكره للرجال

دواء ناجع لازالة الناموس (البرغش)

يقاسي الناس احياناً في ليالي الصيف الحارة عناء شديداً من لسع الناموس · وقد ذكروا طريقة ناجعة لاخراجه من غرفة النوم · وهي ان تاخذ قطعة من السكر وتحرقها على جمرة فلا تنتشر رائحتها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة لانه يكره هذه الرائحة فتقفل النافذة حتى لا يعود

او انك تاخذ قطعة من الكافور وتحرقها بتأنٍ على لهيب المصباح فلا ينتشر بخارها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة فراره من الموت ولا يعود الى الغرفة ولو ابقيت نافذتها مفتوحة · ولكن حذار ان تقفل النافذة وتبقي بخار الكافور يملأها وانت نائم

حواس النساء

بحث احد العلماء في حواس النساء وحواس الرجال على سبيل المقابلة بينهما · واهم شيء ثبت له ان حاسة الشم في المرأة هي اعظم منها كثيراً في الرجل · ولا غرابة في ذلك فان المرأة تمرن هذه الحاسة بالروائح العطرة اكثر من الرجال ولكن رغبةً في انصاف بعض الشبان تقول ان حاسة الشم فيهم قد تكون مساوية لها في النساء وذلك لانهم يمرنونها مثلهن

الاستحمام بماء الزنبق

تصنع الجميلات الباريزيات من زهر الزنبق ماء للاستحمام به · ذلك انهن يقطفن في كل صباح من الحديقة قبل شروق الشمس ازهار الزنبق وهي ممتلئة بالندى ثم ينزعن منها الخيوط الصفراء التي فيها ويضعن الزهر مع نداه في اناء رقيق مكشوف ثم يغلين ماء على النار ويضعن هذا الاناء فيه بضع دقائق ويتركنه حتى يبرد · وبعد ذلك يصفين الماء من الزهر بنسيج رقيق فيكون لهن ماء زنبق · ثم يضفن الى هذا الماء ٤ غرامات من البورق ويأخذن اسفنجة ويمسحن بها وجوههن وابدانهن مسحاً للاقتصاد بالماء فيحسن هذا الماء البشرة وينعمها ويعطيها ريحاً طيباً ويزيل البقع التي تكون عليها · واذا اضفن الى هذا الماء شيئاً من الشهد الذائب اثر تاثيراً عظيماً في تحسين الجلد وتنعيمه

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلّموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تربية البنات

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية
فاصلحوا النساء

أبنا في الجزء السابق في هذا الموضع من المجلة اهمية مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية فثبت معنا يومئذ ان « الرجال يكونون كما تريد النساء » وانه يجب ان يكن عظيمات وفاضلات ليكون الرجال عظماء وفضلاء . فبناء عليه تكون تربية النساء اهم من تربية الرجال في الهيئة الاجتماعية

واذا كانت تربية النساء اهم من تربية الرجال فمن دلائل التاخر والانحطاط اهمال تربيتهن واعتبارها امراً ثانوياً ومن دلائل الاستمرار في هذا التاخر الاستمرار في هذا الاهمال

وليس من غرضنا الان تبيان وجوب تربية النساء فان ذلك اصبح امراً مسلماً وانما نود ان نشير الى اصول هذه التربية

ذلك اننا نرى ان كثيرين يحسبون انه يكفي لتربية النساء حق الرجال ان تُنشأ المدارس بصرف النظر عن حالتها . ولذلك تراهم قد نعموا بالاً ورقصوا طرباً كلما فتحوا مدرسة . وهذا الامر فاشٍ في مصر والشام وفي كل البلاد الشرقية . وسببه عدم معرفة الناس المهم من الاهم في مسائل التعليم والتربية . افترضوا اننا نفتح في القاهرة او الاسكندرية او بيروت مائة مدرسة كل يوم اي ان يكون مجموع ما نفتحه في السنة ٣٦٥٠٠ مدرسة ولم يكن في كل هذه المدارس الكثيرة واحدة تعلم تعليماً صحيحاً وتربي تربية صحيحة فما هي الفائدة منها كلها . فالامر المهمُّ اذاً في التعليم والتربية حسن اختيار المعلمين الذين

يعرفون كيف يغرسون المبادئ العظيمة في نفوس الطلبة وحسن تاليف جدول الدروس « البروغرام » الذي هو بمثابة « الدفة » من المركب لانه يوجه عقول الطلبة ونفوسهم الى حيث يريد والمعلم هو الربان الذي يدير هذه الدفة

فعبثاً تحاولون النفع من هذه المدارس كلها ان لم يكن فيها معلمون يفهمون معنى التعليم ومعنى التربية . وهذا الكلام يُطلق على تربية الفتيان والفتيات معاً وقد اشرنا اليه هنا في عرض هذا البحث تمهيداً لما نريد ان نقوله في هذا الموضوع

واول ما نقوله ان تربية النساء عندنا ناقصة ويجب سد هذا النقص عاجلاً . والنقص في امرين الاول عدم وجود مدارس كافية لهن وعدم اقبالهن على التعلم والثاني اصلاح مدارسهن الموجودة

اما الامر الاول فليس من ينكر اهميته عندنا ولذلك اخذ العاملون بفتح هذه المدارس تدريجياً. على ان البحث في الامر الثاني يتناول الامر الاول ولذلك نقول اولاً ما هي وظيفة المرأة

الجواب ان وظيفتها أن تكون زوجة واماً . لهذا خُلقت في هذه الحياة لا لامر سواه. فتربيتها اذاً يجب ان تعلمها واجبات الزوجية والامومة

وواجبات الزوجية نحصرها في امرين . الامر الاول تدبير منزلها . فانه من الواجب عليها ان لا تدع خادمتها في المنزل تعرف من هذا الفن أكثر منها ولا ان تعمل فيه اكثر منها . ومن دلائل شرف المرأة ونشاطها ومعرفتها واجباتها ان لا تانف من الاعمال البيتية بل تسرّ بعملها كما انه من دلائل صغر العقل وانكار الواجبات التنازل عن تلك الاعمال كلها الى الخدم لغير ضرورة لا بدّ منها . ولا يخلو من فائدة ان تعلم المرأة ان عظمتها متوقفة على نظام منزلها وحسن حاله وحال الساكنين فيه . فان هذا المنزل هو مملكتها الصغيرة فماذا يقول العقلاء في ملكة تهمل مملكتها او تتكل على غيرها في ادارتها وتدبيرها

والامر الثاني ارضاء الزوج وهو امر لا يقل عن الاول اهمية لان عليه مدار سعادة العائلة . ونحن الآن هنا تجاه مسألة كبرى وهي مسألة سلطة الزوج وسلطة الزوجة في العائلة . نعم ان النزاع في هذه السلطة قليل في بلادنا خلافاً لما يحدث في الغرب ولكننا نجد من الفائدة ان نشير الى اراء فلاسفة الغرب في هذا الموضوع على سبيل المقابلة . فانهم يقولون ان كل شركة وكل هيئة وكل حكومة يجب ان يكون فيها ادارة تتولى الاهتمام

والتدبير واعضاء يخضعون لها مقابلة اهتمامها وتدبيرها . والزواج شركة فيه الرجل عامل قوي خشن لانه مخلوق للعراك والزحام والمراة لطيفة خفيفة عملها في منزلها . الاول يكسب ويقوم باود العائلة والثانية تسطيه هذه العائلة . فمن الحق الطبيعي والناموس الاجتماعي اذاً ان يكون الرجل هو مدير العائلة . واذا كان الرجل هو المدير تحتمت الطاعة على المراة وصارت سلطته فوق سلطتها . بهذا النظام تقوم المنازل والا تنهدم ويتفرق من فيها ايدي سبا

فاذا كان هذا ما يقوله فلاسفة الغرب والمراة عندهم ارقى من المراة عندنا وجب ان يقال مثله على الاقل في حالة منازلنا . فالرجل اذاً هو صاحب السلطة في الظاهر وان كانت المراة في الحقيقة هي صاحبة السلطة في الباطن كما مرَّ بنا في العدد الماضي . فترتب عليها ارضاؤه ليرضيها هو ايضاً

هذان الواجبان هما اعظم واجبات الزوجة . بقيت واجبات الام . وهي عندنا ثلاثة . الاول تربية اجسام الاولاد . والثاني تربية عقولهم ونفوسهم . والثالث القيام باودهم

اما الامر الاول فهو عمل هيجييني محض ولذلك يجب ان تُعلَّم الفتاة منذ صغرها في المدارس التي تتعلم فيها كيف يجب ان تكون تربية الاولاد نظرياً وعملياً . وما احسن ان يُبنى بازاء كل مدرسة للبنات ملجأ خيري صغير لاطفال الفقراء تتصرف فيه كل تلميذة ساعة او ساعتين من يومها تتعلم فيها عملياً تربية الاطفال وتنمي في نفسها الميل الطبيعي الذي فيها لتلك المخلوقات الصغيرة الجميلة التي سيمنحها الله منها

والامر الثاني عمل ادبي بسيكولوجي يقتضي معارف واسعة وخبرة وملاحظة وهو فن مستقل بنفسه بل هو الفن الاعظم الذي يسمونه فن التربية النفسية

والامر الثالث وهو القيام باود الاولاد يقتضي ان تكون المراة حين الحاجة نصف رجل لتكسب رزق اولادها حين الحاجة

هذه هي واجبات المراة في العائلة على وجه الاجمال . ولكننا نرى هنا بعض السيدات يحملقن ويقلن — ماذا ؟ اهذه اعمالنا فقط ؟ ايبلغ بكم الظلم ان تضعوا على ظهورنا الضعيفة كل هذه الاحمال دون ان تاذنوا لنا بشيء يخففها ؟ كلا ايتها السيدات لا تقلن « ان تاذنوا لنا » فان ذلك من حقكن والحق مباح لا يقتضي اذناً . نعم من حقكن رئاسة المنزل والعائلة في بعض الاوقات رئاسة عليا تكون فيها سلطتكن فوق سلطة الرجل نفسه . بل ان

ذلك من واجباتكن لانه عمل من الاعمال المنزلية المهمة

وتريد بهذا العمل تحبيب المنزل الى زائريه

اي نعم ان استقبال الزائرين واجب من الواجبات البيتية الجميلة وعمل لطيف نحيف مملوء شوكاً كما انه مملوء زهراً . اما الزهر فان السيدة تتصل بالعالم بواسطته وتتعرف بالناس وترئس مجالس الحديث في القاعات وتكون ملكة المنزل الحقيقية . ويا حبذا لو كان في الاستطاعة الآن نقل الفصل الجميل الذي كتبه الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » بخصوص هذه المجالس وهذه القاعات ولكننا نكتفي بالاشارة . فانه قال فيه ان قاعة المرأة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال وبالمرأة من السيدات فيقطعون اوقاتهم — عفواً ايتها السيدة — لا بلعب الورق ولا بالازياء ولا بالكلام عن الناس ولكن بالمسائل المفيدة والمفكهة معاً من ادبية وسياسية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية ومحكاً عظيماً في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقاص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكات جالسات على عرش الادب واللطف والظرف يرئسن الحديث فيها واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها وضخامته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

هذا هو الزهر الذي تجده المرأة في هذه المجالس . وهو يقتضي ان تكون عارفة باساليب الحديث تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك احداً يملّ في قاعتها . وهذا امر لا يجب تعليمه في مدرسة لانه طبيعي في المرأة كما لا يخفى

واما الشوك فانه مؤلم وذو خطر عظيم . ونعني هنا بالشوك تلك التجارب التي تعرض للمرأة في خلال هذه المجالس فان كل الناس ليسوا من سوء الحظ ادباء كرام النفوس بل ان كثيرين منهم يتخذون هذه الزيارات والمجالس حبائل للاقتناص . وأنت تعلم ما هذا الاقتناص . فبازاء هذا الخطر العظيم على راحة العائلة وفضيلة المرأة يجب ان تربى المرأة تربية خصوصية تقيها هذا الخطر وذلك بايقافها على اخلاق الرجال وتدربها بدرع

الفضيلة والدين والادب ومعرفة الواجبات

والآن هل تمت واجبات المراة بعد ما ذكرناه منها او بقي منها شيء؟

اذا كان المراد التفاصيل فقد بقيت اشياء لاننا هنا نشير الى امهات المسائل اشارة فقط . واذا كان المراد هذه الامهات فاننا نرى انه لم يبقَ الا مسالة واحدة . ولكنها من ام المسائل النسائية

وهذه المسالة هي : هل يجب ان تبقى المراة داخل البيت ام يجب ان تخرج منه لتعمل كالرجل

فنجيب على الفور ان المراة قد خُلقت لتكون زوجة واماً . زوجة واماً قبل كل شيء وبعد ذلك يأتي ما بقي . ومقام الزوجة والام هو في المنزل فعلى المراة ان تبقى ملازمة منزلها لزيادة النسل وتربيته وغرس الفضائل البيتية فيه لنشرها منه في العالم

هذه حقيقة يؤيدها جميع انصار النساء الحقيقيين وكل محبي خير الهيئة الاجتماعية . ولكن لدينا مسالة مهمة تتفرع منها . وهي: ان امراة خضعت للناموس الطبيعي والالهي القاضي بان يكون عمل المراة داخل المنزل وعمل الرجل خارجه فتزوجت واقامت تربي اولادها فرزقت ستة منهم . ثم في يوم من الايام وهي مطمئنة الخاطر باسمة الثغر هبت على منزلها احدى زوابع الاقدار المائلة السوداء التي طالما هبت على المنازل فكسرت قلوباً ونغصت عيشاً وسودت حياة وخربت عماراً فمات زوجها ولم يترك من بعدها ولم يخلف لها سوى اولاد صغار على يديها الضعيفتين . فماذا تصنع حينئذ

لا خلاف في انه يجب عليها حينئذ ان تشمر عن ساعد النشاط والهمة و برأس مرفوع عظمة كانها تناطح الاقدار التي تدلت عليها لسحقها تقوم الى العمل بشرف وجد لتكسب خبزها وخبز اولادها بعرق جبينها . فعلى المراة اذاً ان تكون مستعدة للعمل اذا انتدبتها العناية الالهية له متى انهدم سندها . و يجب عليها ان تضع هذا الامر دائماً نصب عينيها . وهي مسالة خطيرة توجب الاهتمام بتعليمها عملاً تعمله يكون منطبقاً على استعدادها النسائي وذوقها ومواهبها . وجميع فلاسفة العالم يجيزون عمل المراة حتى خروجها من البيت لهذا العمل في حادثة كهذه الحادثة

هذه ام واجبات النساء في الهيئة الاجتماعية . فلننظر الآن ماذا تعلم مدارس البنات منها . وسنبحث في ذلك في مقالة تالية

ولكن قبل ذلك لا بد لنا في ختام هذا المقال من الاشارة الى اهمية الامور التي مرّت بنا

والتصاقها بالنساء دون سواهن . فان تدبير المنزل وتلطيف معيشة الزوج فيه وتربية الاولاد التربية البدنية والادبية ورئاسة العائلة في ايام الاستقبالات العائلية تحبيب المنزل الى الزائرين وادارة الحديث ومراقبته لئلا يُقال فيه ما لا يجب ان يُقال في منزل سيدة — كل هذه امور من شان المرأة والرجل لا يستطيع ان يعمل منها شيئاً . فياجهالتنا وتعاستنا اذا اهملنا تعليم المراة اياها . يالشقائنا وشقاء اولادنا من بعدنا اذا تركنا النساء بلا علم ولا ادب ولا فضيلة تقودها بين صخور هذه الحياة الهائلة . اتعرفون ما هي المراة . كلا انكم لا تعرفونها وان كنتم ترونها كل يوم . المراة مخلوق يمرُّ امامكم ضعيفاً نحيفاً باسم الثغر او ميهوتاً ولكن بين جنبيه قلباً لا يعرف عمقه الا الله ونفساً متسعة اوسع من الفضاء لتناقض الاميال التي فيها . وهذه الاميال تتجاذبها وتتقاذفها كما تتقاذف الامواج في البحر زورقاً صغيراً فوقها . افتسلمون الزورق للامواج تذهب به كل مذهب وتطرحه على الصخور فتكسره ام تضعون فيه « دفة » وربانا لايصاله بامن وسلام الى برّ السلام . وهذه الدفة وهذا الربان هما المعرفة والضمير . المعرفة التي تنير الضمير والضمير الذي يدير المعرفة . ونعني هنا بالمعرفة المعرفة الادبية التي تُري المراة انها اذا لم تكن فاضلة فانها تكون تعيسة محتقرة مهما كانت جميلة . المعرفة باصول تربية اولادها وتدبير منزلها . المعرفة باخلاق الرجال لارضاء رجلها واجتناب اشراك سيء الادب من الرجال . المعرفة التي تجلو عن النفس غياهب الجهل وتعلمها كل فضيلة وتدنيها من ابواب السماء . المعرفة عدوة الظلمة وصديقة النور . عدوة التوحش وصديقة التمدن . عدوة الضلال وصديقة الحقيقة . عدوة الرذيلة وصديقة الفضيلة . هذه هي المعرفة التي نعنيها هنا . فوا اسفاه عليكم وعلى هيئتكم الاجتماعية اذا كنتم لا تعطون النساء هذه المعرفة

❊ تمثال للفيلسوف جول سيمون ❊

عزم الفرنسويون على انشاء تمثال لفيلسوفهم الكبير استاذنا العلامة جول سيمون وقد زار رئيس مجلس الشيوخ المسيو فاليير حضرة ارملة الفيلسوف في الشهر الماضي وعرض عليها رسم التمثال . وهو يمثل الفيلسوف واقفاً في منبر كلية السوربون يخطب ويداه مطويتان على صدره وهي أجمل وقفاته في موقف الخطابة . وسينصبون التمثال في ساحة « مادلين » امام المنزل الذي كان يسكنه في حياته وفيه كتب اكثر كتبه الجميلة . وسناتي في حينه على رسم التمثال وما يقال في هذا الشان

باب الاخبار العلمية

(* التقب في اثار اشور *) نقب العلماء اخيرًا في اثار اشور في قرية عثمانية تُدعى سيزرانا فوجدوا فيها مائة وخمسين قبرًا قديمًا فيها عظام بشرية وهياكل خيل وفؤوس وخناجر وزينات من حديد ونحاس وفضة . ووجدوا ايضًا في بعضها قطعًا من النقود الفضية منقوش عليها باللغة العربية سنة ٧٢٣ هجرية

(* البرنيطة تسلم من نفسها *) اخترع احد الاميركيين آلة صغيرة توضع في باطن القبعة التي يلبسها الاوربيون فاذا اراد احدهم التسليم على عشرين صديقًا في طريقه اكتفى بان يحني راسه فتنقلب الموازنة في تلك الآلة فترتفع قبعته للتسليم عليهم من تلقاء نفسها دون ان يمد يده اليها و يتكلف عناء رفعها كل حين

(* نبات غريب *) في زيلانده الجديدة نبات يسمونه باللغة العلمية « كلوزيا » وباللغة العامية « خانق النبات » وذلك لان الطائر اذا اتى يبذر منه لبأ كله على شجرة علقت احد البذور في غصن الشجرة ونبتت فيه ثم اخذ جذرها بالتدلي الى الارض حتى يبلغها و يغوص فيها ولا يزال يكبر و يمتد و ينتشر ممتصًا الغذاء من اصول تلك الشجرة نفسها حتى تقوى جذوره على جذورها فتموت الشجرة الاصلية و يبقى هذا النبات مكانها

(* دواء للافيون والحشيش *) يقول الدكتور اوتومريش من بادن بادن انه اخترع دواء يُكره الافيون الى شاربيه . وهو سائل ياخذ منه الشارب نقطتين او ثلاثًا قبل كل وقعة طعام فيصبح اذا شم رائحة الافيون اشمأزت نفسه منه . نقول والدواء الذي نجع في الافيون لا يبعد ان ينجع في الحشيش لانهما صنوان وفرسا رهان . وفي هذا المقام نقول ايضًا انه بالنظر لشروع الاطباء في التفتيش عن مصل يمنع السكر بالافيون او بالاشربة الروحية كما ترى في هذا الخبر وفي ما تقدمه من الاخبار التي رويناها قبلاً فغير بعيد ان يصير التلقيح بمصل المسكرات بعد قليل امرًا الزاميًا كالتلقيح بمصل الجدري وهي الطريقة الوحيدة لمنع آفات المسكرات منعًا عامًا حقيقيًا . ولكن المهم الآن ان يجد الاطباء ذلك المصل فاذا وجدوه احسنوا الى الانسانية كلها

(* هل كان المتقدمون يدخنون *) قال جورنال الميجيين نقلاً عن « جنتيلمن ماغازين » ان المتقدمين كانوا يدخنون ورق الخس المجفف بالطريقة التي يدخن بها المتاخرون التبغ ومما يؤيد ذلك ان بعض كتابهم اشار بتدخين الخس لانه مخدر ومريح للاعصاب في الليل . وقد وجدوا في آثار بومباي رسوماً تمثل الرومانيين جلوساً وفوقهم سحب من الدخان المنبعث عن القصبات التي في ايديهم يدخنون بها

(* اصل لعبة البلياردو *) نشرت البريتش موزيوم كتاباً مؤرخاً في سنة ١٧٥٠ مفاده ان لعبة البليارددو قد وُضعت في القرن السادس عشر وواضعها رجل يُدعى وليم كو . وسبب تسميتها « بليياردو » ان هذا الرجل في كل مساء بعد انتهاء اعماله كان ياتي بثلاث كرات ويضعها على مائدة امامه ثم يجعل يتقاذفهـا بمقياس في دكانه يُدعى « يرد » ومعلوم ان الكرات تُدعى « بيل » فصاروا يسمونها « بيل يرد » اي كرات اليرد

(* هل ينفع النوم بعد الظهر *) اعتاد كثيرون النوم بعد الظهر وهو ما يسمونه القيلولة ولكن الاطباء اختلفوا في منفعة ذلك . فقال بعضهم ان النوم حينئذٍ يخبل الجسم ويجعله كسولاً وقال بعضهم بل يريح الجسم ويمده بنشاط جديد . والذي اجمع عليه العارفون ان النوم ١٥ او ٢٠ دقيقة بعد الاكل نافع ولكن اذا طال النوم زال النفع

(* اكرام الصينيين للزراعة *) يوجد في الصين عيد يسمونه عيد الزراعة يرئسه الامبراطور نفسه فياخذ محراثاً ويحفر به ثلمين في الارض على سبيل الاكرام للزراعة . واجمل من ذلك انه يوجد في داخل القصر الملكي الصيني قطعة ارض مخصصة بزراعة التوت وفي اوقات معينة تقصد الامبراطورة هذا المكان مع اشهر نساء البلاط فيقففن لها اغصان التوت فتقطف الامبراطورة بيدها الورق وتوزعه على دود الحرير ويقيمون هذا الاحتفال تذكاراً لاكتشاف دودة الحرير في الصين فان احد الامبراطورات اكتشفت هذه الدودة في سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد المسيحي كما يزعمون . وكان من شان هذا الاحتفال الذي تقيمه الامبراطورة في كل عام لاكرام التوت والدود انه نشر زراعة الحرير في الصين كلها فصار الصينيون يلبسون ملابس حرير بدل ملابس الجلود القديمة

(* معالجة المرضى بالهواء السائل *) جُرب في مستشفى نيويورك معالجة الجروح

بالهواء السائل فكان الهواء يميت اللحم المصاب الذي حول الجرح ويقتل ما فيه من الميكروب فيشفي المريض شفاء عاجلاً · ولكن اذا اصاب الهواء اللحم غير المصاب احدث ضرراً

(* لغة جديدة بالصفير *) عاد رحالة الماني من جزائر كناري فروى انه راى فيها الاهالي يستعملون على بعد ١٥٠٠ او ١٨٠٠ متر من بعضهم البعض لغة خصوصية بالصفير فيتفاهمون كما لو كانوا يتخاطبون بالكلام وهم يقولون في هذه اللغة كل ما يريدون قوله

(* تجارة الضفادع *) يقدرون عدد الضفادع التي ترسل في كل اسبوع من بلجيكا الى باريز لاتخاذها طعاماً ٣٠ الف ضفدعة · واما صيدها فتارة يكون بالاشراك وطوراً بالصنارة · ذلك ان يعلقوا بها قطعة صغيرة من نسيج احمر و يلقونها في البحيرة فتحسب الضفدعة القطعة الحمراء قطعة لحم فتنطرح من شراهتها لاكلها فتؤخذ

(* مادبة في قعر البحر *) اقام الكابتن لسيك مخترع الغواصة الاميركية «ارغونوت» مادبة لبعض اصدقائه في قعر البحر ذلك انه ركب بهم غواصته وغاص بها من بريدبورت في جنوبي لون ايسلاند ثم مدت المائدة وجلس معهم يأكلون في جوف البحر حتى قطعوا عدة اميال وهم في اتم سرور · فما اجمل هذا السفر اليوم في هذا الحر

باب التقريظ والانتقاد

❋ تقدمة الشكر ❋ اهدت الينا الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية ميزانيتها السنوية عن سنة ١٨٩٩ فجاء فيها بعد المقدمة المفتتحة بشكر الذين احسنوا اليها والترحم على المرحوم السيد صفرونيوس البطريرك الاسكندري السابق ان ايرادها قد بلغ ٥٣٨٧١ غرشاً ونفقاتها ٥٧٣٣٩ غرشاً هذا عدا ما في صندوق الجمعية من الاوراق المالية وقيمتها ٢٢٠ جنيهاً

وقد سمحت هذه الجمعية في هذا الشهر بانصيبها السنوي التي اعتادت انشاءه في كل عام لفائدتها بعناية جناب رئيسها الهمام جزاه الله مع سائر اعضائها المجتهدين خير جزاء لما يبذلونه من الهمة في سبيل البر والاحسان

✱ الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا ✱ انشأت الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا يانصيباً لفائدة الفقراء ووزعت من اوراقه على الطوائف الارثوذكسية في مصر والشام وقد اقبل المحسنون على ابتياع هذه الاوراق اشتراكاً معها في هذا السبيل الخيري جزاهم الله جميعاً خير الجزاء

✱ الخزانة ✱ صدر الجزء الاول من مجلة الخزانة لصاحبها حضرة الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وهي مجلة شهرية في السياسة والادب توخى منشئها فيها جمع اقوال الكتاب المجيدين في هذين الفنين ولذلك كانت الخزانة معرضاً صغيراً جميلاً لاقلام الكتاب الذين يعرضون بضائعهم فيها . على انها كلها بضاعة مختارة تدل على حسن ذوق ورغبة في افادة القراء وتفكهتهم

وفي ابواب منها في السياسة وتاريخ الاعلام وحديث اليوم ومقتطفات المجلات وفي ذيلها رواية . وهي مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق جيد وقيمة اشتراكها مائة غرش صاغ في السنة

والخزانة مع حداثة عهدها لا ينقصها سوى بعض المباحث العلمية المفيدة التي لا يجدر ان تخلو منها مجلة يُعاني في طبعها وترتيبها واتقانها ما يُعانى في الخزانة . فنحن نتمنى لها كل نجاح وانتشار ونثني على صاحبها البارع الذي اتحف اللغة العربية بمجلة جميلة كالخزانة

✱ المجلة المصرية ✱ المجلة المصرية مجلة نصف شهرية علمية ادبية اقتصادية قضائية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل خليل افندي مطران ويديرها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود ويشترك في تحريرها بعض اكابر الكتاب . وهي تبحث في كل المواضيع المفيدة من التجارة والاقتصاد والتاريخ والزراعة والادب ويحليها جناب شوقي بك شاعر مصر المجيد بشيء من شعره

والمجلة المصرية على حداثة عهدها قد تقدمت تقدماً يشهد لصاحبها ومديرها بطول الباع وحسن السعي واذا استمرَّ التحسن فيها كما نراه في كل جزء منها بالنظر الى سابقه بلغت المجلة المصرية شأواً بعيداً

لكن ما قلناه لرصيفتها الخزانة نقول عكسه لها . فان الجمع بين الفائدة واللذة امر لا بدَّ منه في المجلات والجرائد التي تُلقى بين ايدي الناس لاختلاف عقولهم وتباين اذواقهم والا فاذا ارضت المجلات والجرائد فريقاً اغضبت فريقاً

هذا واننا نتمنى للمجلة المصرية مستقبلاً واسعاً بهمة حضرة صاحبها ونرجو ان ينتفع قراء اللغة العربية بها

❋ الصبا ❋ جريدة اسبوعية ادبية سياسية فكاهية لصاحبها ومحررها جناب الأديب احمد افندي عبدالله حسين . وقد وصلنا مع العدد الاول منها ان صاحبها قد تبرع بالف نسخة من رواية « شرف الامانة وعاقبة الخيانة » اعانة للسكة الحديدية المجازية فنثني على اجتهاده وغيرته

❋ قصة يوسف بك كرم ❋ قصة موضوعة على نسق الروايات العامية لتقريب موضوعها من الافهام وضعها حضرة الكاتب المجيد نعوم افندي مكرزل منشئ جريدة الهدى الغراء في فيلادلفيا من اعمال الولايات المتحدة واودعها خلاصة تاريخ المرحوم يوسف بك كرم وزينها برسوم كثيرة لجملة قصة تحلو مطالعتها وتبث الشجاعة في نفوس قرائها . فهي عندنا من هذا الوجه خير من القصص العامية التي يتداولها العامة ويسمونها بالقصص الهلالية . وقد وعد جناب واضعها الفاضل بانه عازم بعد هذه القصة الفكاهية على وضع كتاب جدي كبير فنثني على اجتهاده وندعو له بالنجاح

باب الاسئلة والاجوبة

❋ المحاسن الثلاث ❋

(ابو نجاح) احمد افندي الصراف ملاحظ بوليس ابو نجاح

جاء في الصفحة ١١٨ من « الدنيا في باريز » لحضرة احمد بك زكي ما نصه في وصف ساعة تحيط بها ثلاثة تماثيل تُعرف عند الافرنج بالمحاسن الثلاث وكل واحدة من المحاسن واقفة بهيئة مخصوصة تسحر العقول » فارجو افادتي ما هي هذه المحاسن

﴿ الجامعة ﴾ يسمون « المحاسن الثلاث » ثلاث الهة معروفة عند قدماء اليونان باسماء « افروسينا وتاليا واكلايي » وكانوا يعبدونها في عدة جهات وبها يرمزون الى الجمال النسائي وانواعه فكل واحدة منها تمثل نوعاً من الجمال . ومن مزاياها عند اليونان انها قادرة على تخفيف تاثير الملاذ في النفوس فاذا كانوا على مائدة وافرطوا في الشرب والاكل صبوا ثلاث كؤوس على الارض اكراماً لهذه الالهة وفي ذلك حكمة ظاهرة وهي تخفيف هذه الكؤوس عن معد الشاربين . وهم يرسمونها ثلاث فتيات في منتهى الظرف وغاية الجمال تارة واقفات وكل واحدة منهن آخذة بيد الاخرى وطوراً منفردات بيد الاولى وردة والثانية نرد والثالثة غصن آس

﴿ امرأة قايين ﴾

(سان كارلوس . برازيل) ابرهيم افندي . ا

لما قتل قايين اخاه طرده الله من امام وجهه وجعل له علامة لكل من رآه ان لا يقتله . ثم انه اخيرًا عرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك فمن اين اتت هذه المرأة

﴿ الجامعة ﴾ لا نعلم . ونشير عليكم بان تصرفوا فكركم الى غير هذه المواضيع التي قلما تفيد الباحث فيها شيئاً فضلاً عن ان البحث فيها تاريخياً امر متعذر لقدم عهدها والتخمين ليس من شان الباحثين

﴿ اسئلة ﴾

(الاسكندرية) احمد افندي علي سعد بقلم التواتير بجمرك اسكندرية

(١) هل مياه المطر ضارة او نافعة

(٢) هل تضر الالعاب الجسدية المتزوج

(٣) ما انفع اصناف الثلج وكيف يجب تناوله

(٤) لماذا يطفئ التراب زيت البترول ولا يطفئه الماء

﴿ الجامعة ﴾ (١) جواب سؤالكم الاول ان مياه المطر تكون نافعة في مدينة كالاسكندرية ليس فيها مياه نقية هذا على شرط ان تكون الصهاريج نظيفة كل النظافة ولا ينبغي الشرب من ماء المطر اول نزوله في اوائل الشتاء لانه ينزل معه شيئاً من

الميكروبات المنتشرة في الهواء

(٢) الالعاب الرياضية نافعة للشبان والاولاد ومضرة للكهول والشيوخ

(٣) انفع اصناف الثلج الصنف الذي يُصنع من ماء نقي ولا ينبغي ان يؤْكل ولا ان يُذاب في الماء بل ان يبرَّد به الماء تبريداً في « الثلاجة » من الخارج

(٤) يطفئ التراب زيت البترول المشتعل لانه يمنع الهواء عنه وكل نار يُمنع عنها الهواء تنطفئ · ولا يطفئه الماء لانه لا يمنع الهواء عنه بل ربما زاده هواء فيزيده اشتعالاً

الاقتصاد السياسي

(الاسكندرية) احد القراء

ما هو افضل كتاب عربي في الاقتصاد السياسي ومن اين نطلبه

الجامعة اذا شئتم مطالعة شيء في هذا الفن فطالعوه في اصله باللغات الاجنبية لاننا لا نعرف كتاباً عربياً يمكنكم الاعتماد عليه في هذا الموضوع · ولعلكم تجدون به بعض المقالات المتفرقة في المجلات العلمية او بعض الكتب

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

في الصين

وكان نزول الرئيس كروجر بحفيده و بالونه على سور الصين و وراءه اليون وفالي

فلما اشرفنا على هذا السور العظيم قالت فالي لاليون ان هذا السور يا اختي يثير في النفوس تذكارات قديمة · يُذكرنا اولاً عاطفة حب البقاء في الامم لان هذا السور قد بني لمنع البرابرة من الوصول الى الصينيين لمحاربتهم · ثم يذكرنا ان الدول تدول فان الصينيين الذين سبقوا امم العالم في حلبة التمدن اصبحوا اليوم فريسة تختبط بين اظفار اوربا في هذا الزمان · و يذكرنا ايضاً ان البشر في هذه الهيئة الاجتماعية خُلقوا للتضامن والتكافل والاجتماع لا للانزواء والانفراد وراء الاسوار بدليل ان الاوربيين لم يمنعهم هذا السور الهائل نفسه من دخول الصين · وكيف تقوى الاسوار مهما كانت عالية وسواء كانت مادية او غير مادية على الوقوف في وجه تيار التقدم ناموس الكون ونظام الوجود الذي يجرف كل ما في طريقه ان لم يجد منه من تلقاء نفسه · فمثل هولاء الصينيين في

تحركها الريح . انظر الى الناس في معاملاتهم ومعيشتهم فان صغيرهم يخشى دائماً شر كبيرهم . انظر الى الامم فان صغيرها لا يرتعد فقط خوفاً لدى كبيرها بل يفنى فيه كما يفنى الجزء في الكل . هذه الترانسفال تقتلها انكلترا الآن وتدوس حربتها . هذه الفيليبين تحاول اميركا اخضاعها . هذه الصين تهاجمها اوربا لارهابها . كل هؤلاء بشر وكلهم يخشون بعضهم بعضاً . فما هنالك اذاً ايها الاخاء البشري . ما هنالك ايتها المحبة . اين انت ايتها العدالة . ياحاملة السيف وغصن الزيتون . علامَ ترينا السيف كل يوم ولا ترينا غصن السلام مرة . بل اريتنا اياه في مؤتمر لاهاي ولكن وا اسفاه يوماً واحداً كما يُرى البرق في الغمام

هكذا كان يقول كروجر في نفسه وهو خارج من قاعة الحيوانات الى القاعة التي كانت تنتظره فيها صديقته « سي تاي هو » امبراطورة المملكة الصينية (ستأتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

❋ الاسطول العثماني ❋ اوصت الحكومة العثمانية معامل المانيا لصنع ٧ طرادات حربية جديدة . واتفقت مع معامل كروب الالمانية دون معامل ارمسترنغ الانكليزية التي كانت تزاحمها على تسليح المدرعات العثمانية الثماني التي اصلحتها في جنوى

❋ الحوادث الخارجية ❋ اطلنا الكلام في هذا الجزء عن ايطاليا وملكها همبرت الاول الفقيد وملكها عمانوئيل الثالث الحالي فلا حاجة بنا الى العودة اليه في تاريخ الاسبوعين ولكن مما نذكره عن هذه الجناية ان بوليس ايطاليا قد تهاون في حراسة همبرت الاول ومراقبة بريسي القاتل . فان احد رجال البوليس في باريز قال انه لما مرّ بريسي في باريز عائداً من اميركا نبه بوليس باريز بوليس ايطاليا اليه لانه فوضوي شهير فلم يراقبه المراقبة اللازمة . ويظهر من مطالعة الجرائد الاخيرة ان مقتل ملك ايطاليا قد خفف شيئاً من تطرف الاحزاب المتطرفة فيها فكان ذلك داعياً الى تحسين الحالة السياسية العامة في ايطاليا هذا اذا لم تعد اليها الزوابع الماضية بعد ذهاب تاثير الحادثة . وقد اظهر الملك الجديد

في المنشور الذي نشره بمناسبة ارتقائه الى عرش الملك انه سيحافظ على الدستور والحرية . ولهجة المنشور معتدلة ولا تحتوي شيئاً مما خيف ان يكون فيهما اولاً من اضطهاد الاحزاب المتطرفة

وقد كادت تحدث ايضاً في الشهر الماضي جناية اخرى من هذا القبيل فان عاملاً فرنسوياً يدعى سالسون ترك عظمة شاه ايران سائراً في مركبته من قصره في باريز الى المعرض فهجم على المركبة وبيده مسدس لقتله . فقبض الصدر الاعظم على يد المعتدي حتى حضر البوليس وساقه الى السجن . اما سبب عدم انطلاق الرصاص من المسدس فهو ان سالسون كان في عشية ذلك اليه قد حدد رأس الآلة التي تضغط على الرصاصة لاطلاقها وذلك رغبة منه في زيادة تأكيد الانطلاق . فمن حسن الحظ ان الآلة حين ضغطه عليها باصبعه لم تصب وسط الخرطوشه ولكن طرفها فلم تنطلق

هذا اهم ما جرى في الشهر الماضي من هذا القبيل . اما حرب الترنسفال فانها لاتزال مناوشات والبوير يزدادون ضعفاً والانكليز تقدماً يوماً فيوماً . واما حرب الصين فان جنود الدول قد زحفت الى بكين لانقاذ السفراء اذ رفض هولاء السفر من بكين الى تيينتسين الا مع جنودهم خوفاً من الجنود الصينية وثوارهم . فدخلت بكين في ١٥ الجاري وانقذت السفارات ففرت الامبراطورة مع اعداء الاجانب من العاصمة . وقد انزلت انكلترا جنوداً الى شنغاي فثار ثائر الدول لهذا الصنيع خوفاً ان تحتلها دونهن . وعين المارشال والدرسي الالماني قائداً عاماً للجيوش الاوربية في ولاية بتشيلي وهي الولاية التي منها بكين . ولعل سبب تعيين هذا القائد المانياً اختلاف روسيا وانكلترا على القيادة . والظاهر ان حكومة الصين قد ندمت على ما صنعت . ولكن لات ساعة مندم

ومن اهم الحوادث الخارجية في هذا الشهر ان ملك سربيا تزوج بمدام ماشين وهي امرأة كانت من نساء شرف امه الملكة ناتالي فسخط ابوه ميلان لانه لم يتزوج باميرة وسافر من سربيا . ولعل الملك قد فعل ذلك اسخاطاً للملك ميلان رغبة في التخلص منه استمالة لروسيا

صدور الجامعة — تأخر صدور هذا العدد الى اواسط اغسطس بسبب سفر مدير المجلة الى سوريا لقضاء قسم من فصل الصيف فيها مع حضرة والدته ٠ وبناء عليه اصبحت الجامعة تصدر في منتصف كل شهر بدل اوله لتعويض الايام التي فاتتها

(وفيات)

(نسيم بشور) نعي الينا من برج صافيتا المأسوف عليه الطبيب الاثر المرحوم نسيم بشور نجل المرحوم تامر بشور الشهير ٠ توفاه الله اثر داء عياه فكان لوفاته دوي شديد في نفوس معارفه لما امتاز به رحمه الله من الصفات التي حببته الى القلوب ٠ وقد بعث الينا احد الاصدقاء بتفصيل الاحتفال العظيم الذي اقيم لتشييع جثته فقال ان الناس تقاطرت من الحصن وصافيتا وعكار والمرقب وسائر الجهات المجاورة للاشتراك مع آل الفقيد الكرام في حزنهم الاليم فنحن نسأل الله تعالى ان يجمل عزاءهم في هذا المصاب ولا سيما نجل الفقيد جناب اسبر افندي بشور ونطلب لفقيدهم واسع الرحمة والرضوان

(الكومندور جوفاني استاني) استاثرت رحمة الله تعالى في ١٣ الجاري بالمأسوف عليه الكومندور جوفاني ستاني عميد النزالة الايطالية في الثغر واحد اكابر تجاره ٠ توفي بعد شيخوخة صالحة قضاها بالاستقامة والجد والنشاط فاحتفل بتشييع جثته احتفالاً نادر المثال رحمه الله رحمة واسعة والهم آله الصبر الجميل على فقده

(زهرا صدقه خلاط) نعيت الينا من طرابلس الشام المرحومة زهرا صدقه خلاط قرينة حضرة الخواجا اسكندر خلاط ٠ توفاها الله ولها من العمر ٤٦ عاماً فدفنت بالاكرام اللائق بها ٠ تغمدها الله برحمته ورضوانه والهم اهلها جميل الصبر

ولما دخلت اندري الى غرفة الملكة وجدتها قد انتبهت من النوم وهي تلبس ملابسها مسرعة وقد علمت بكل شيء . وبعد ان فرغت من لبس ملابسها سارت مع اندري ركضاً وخرجتا من دهليز سري في داخل المكان قاصدتين قصر الملك . وقد اقفلت اندري ابواب الدهليز بعد اجتيازه مخافة ان يلحق بها الثائرون اذا كانوا قد خلصوا من جورج شارني وكسروا ابواب القصر

الفصل الواحد والعشرون

(طلوع الصباح)

وكان الكونت اوليفيه دي شارني ينتظر الملكة عند الحد الفاصل بين القصرين علماً منه بانها لا بد ان تاتي من ذلك المكان السري فلما وصلت اليه ماري انطوانت وابصرت ثيابه المخضبة بالدماء صاحت مذعورة — اين الملك . فقال لا تخافي ياسيدتي فانه سالم بحمد الله . ثم التى نظرة الى ما وراء الملكة فعلمت الملكة انه يفتش عن اندري فتنهدت وقالت بنزق لا تخف فانها قادمة . ثم خفت الى ابنها ولي العهد واخذته بين ذراعيها

وكانت اندري قد تأخرت لانها كانت تقفل الابواب فلما عادت وجدت الكونت واقفاً ينتظرها فابتسم كل واحد منها ابتساماً دلّ على ما في خاطره ودخلا في اثر الملكة

فوجدا الملكة تنادي — الملك الملك ابن الملك . فاجاب شارني — ان جلالته يفتش الآن عنك فانه ذهب اليك من دهليز بينما كنت آتية من دهليز ثانٍ

وفي هذا الوقت اشتد الصياح في الخارج وسمعت الملكة الهاجمين يصرخون — لتسقط النمساوية . لتسقط مدام فتو . يجب ان نخنقها ونشنقها

ثم سُمع صوت طلق ناري . ذلك ان احد الواقفين وراء الباب المصور اطلق رصاصتين على خشب الباب فخرقت الرصاصتان الخشب ومرت احداها على بعد بضع اصابع من راس ولي العهد

فصاحت الملكة وهجمت على ابنها قائلة — يا الهي لقد قُضي علينا بالموت . فاشار حينئذٍ شارني الى الحراس فهجم منهم خمسة واحاطوا بالملكة والولدين وقاية لهم

فدخل الملك في هذه الساعة بخطى ثقيلة والاصفرار في وجهه والدموع في عينيه فطارت الملكة حينئذٍ ركضاً اليه والقت بنفسها بين ذراعيه صائحة — سالم والحمد لله .

فقال الملك . نعم سالم والفضل في ذلك للكونت شارني . وانت سالمة ايضاً . فقالت نعم سالمة والفضل بذلك لاخيه البارون دي شارني

فنظر الملك الى الكونت ثم مد اليه يده مصافحاً وقائلاً لقد غمرتنا اسرتكم بفضلها ايها الكونت حتى اننا اصبحنا عاجزين عن مكافأتها

اما الملكة فان نظرها التقى حينئذٍ بنظر اندري فحولت وجهها خجلاً

ثم ازداد هياج الهائجين خارجاً فاشتد ضربهم الباب بالعصي والحراب والفؤوس وكثر لغطهم

فصاح الكونت دي شارني بالحراس . ايها الحراس شدوا عزائمكم فانه يجب علينا ان نثبت امامهم ساعة على الاقل وبعدذلك لا بد ان ياتينا مدد . ونحن هنا سبعة جنود فلا يستطيعون قتلنا كلنا في اقل من ساعة

ثم بادر الى خزانة كبرى كانت في زاوية المكان فحملها ووضعها ايضاً خلف الباب المحصور . فحذا باقي الحراس حذوه حتى لم يبقَ في الغرفة شيء الا ووضعوه وراء ذلك الباب . ثم كمنوا وراء تلك الاشياء وسددوا بنادقهم الى الباب من فوقها

اما الملك فانه دخل الى غرفة مجاورة ليحرق بعض الاوراق السرية لئلا يستولي الهاجمون عليها اذا استولوا على القصر . واما الملكة فانها اخذت ابنيها بين ذراعيها ووضعت يديها على راسيها واخذت تصلي

فكانت تلك الساعة من اشد الساعات هولاً واكثرها تاثيرًا في النفوس

وكان يخيل للمحصورين ان كل دقيقة تذهب انما تذهب من عمرهم الذي اصبح قصيرًا . وقد اشتدت الضربات على الباب بالفؤوس والمعاول حتى تطايرت منه بعض الشظايا وانفتحت الثغور فيه . فحينئذٍ مدّ الجنود بنادقهم من هذه الثغور واطلقوها على المجتمعين وراء الباب فقتلوا بعضاً منهم . فجاوبهم الثائرون باطلاق الرصاص على الباب فمزق الرصاص الخشب وراح يصدم ارض الغرفة وسقفها وجدرانها

ثم استمر القتال على هذا المنوال والهياج بالغ مبلغه والناس لا يزالون يضربون الباب من الخارج حتى نفد الرصاص من الحراس . وكان الثائرون قد كسروا الباب والخزانة التي وراءه فبانت منها وجوههم الوحشية الهائلة فاخذ الحراس يدافعونهم عنها بالحراب منعاً لهم من الدخول . ولكن شارني ادرك انهم كادوا يخسرون كل شيء فخف الى الملك وقال له — تفضل يامولاي وادخل الى الغرفة المجاورة مع الملكة والولدين واثنين منا فاننا نثبت هنالك

ساعة كما ثبتنا هنا ساعة

فتردد الملك في ذلك اذ خجل ان يفر من مكان الى مكان ويختبئ وراء الابواب والاثاث · ولو لم تكن الملكة معه لما خطا خطوة واحدة · وكذلك الملكة لو لم يكن معها ولداها لما طاوعت الملك على ذلك · ولكن في نفوس جميع البشر ملوكاً كانوا او عبيداً ابواباً تخرج منها الجرأة ويدخل فيها الخوف في بعض الاحوال

فرضي الملك واصدر امراً بالارتداد الى الغرفة الخلفية للتحصن فيها

ولكن لم يكد الملك يصدر هذا الامر حتى هدأت الحركة والجلبة وراء الباب المحصور وانسحبت الحراب والرماح التي كانت ممدودة من الثغور · فعجب الجميع واصغوا فسمعوا صوت اقدام متوازنة يشبه صوت مشي الجنود

فصاح الكونت دي شارني هذه جنود الحرس الوطني · ثم سكنت الغوغاء سكوناً تاماً كأن المجتمعين قد تفرقوا

وبعد هنيهة دنا رجل من الباب وصاح مسيو دي شارني مسيو دي شارني ثم ظهر من احد ثغور الباب وجه بيلو القوي

فصاح الكونت دي شارني بيلو بيلو هذا انت ايها الصديق · فقال نعم ابن الملك والملكة · فقال هنا · قال ماذا حدث لهما · قال لا شيء بل هما في خير وسلامة

فصاح بيلو ملء فمه — نحمد الله على ذلك · ثم نادى — يامسيو جيلبار

فما لفظ بيلو هذا الصوت حتى تحرك في الغرفة قلبان حركة مختلفة · الاول قلب الملكة والثاني قلب الكونتس اندري · فابصر الكونت دي شارني اضطرابها واصفرارها فتنهد وسكت لانه كان لا يدري السبب

فتقدم الملك في تلك الساعة وقال افتحوا الباب ايها الحراس فبادر الحراس الى رفع قطع الاثاث والخشب التي كانت وراءه · ثم سُمع صوت لا فاييت صارخاً يقول

ايها السادة جنود الحرس الوطني · لقد وعدت الملك امس وعدَ حرٍ بان لا اترك احداً يمس كل ما هو ملكه فاذا تركتم احداً من الشعب يقتل احد حراسه فانني اخلف بوعدي فاصبح غير اهل لان اكون رئيساً لكم (يعني انه يستعفي من وظيفته)

ولما فتح الباب دخل لافاييت وجيلبار ووراءهما بيلو الذي كان فرحاً بخلاص الملك لانه هو الذي ذهب وايقظ لافاييت من النوم · فهجمت مدام عدلايد على لافاييت وعانقته قائلة — انت الذي انقذتنا ايها الجنرال · فتقدم لافاييت نحو الملك فعارضه احد

الحراس قائلاً — هل معك ورقة دخول على الملك ياسيدي · فنظر اليه الملك ثم خف الى لافاييت مادّاً اليه يده وقائلاً — اذا لم يكن معه ورقة دخول فها انني اعطيه اياها

فصاح بيلو من وراء لافاييت — ليحيى الملك لتحيى الملكة

فالتفت الملك عند سماعه هذا الصوت وقال هذا صوت قد سمعته قبل الآن

فقال بيلو مسروراً نعم ياذا الجلال فانك سمعته على طريق باريز آه ليتك يامولاي بقيت في باريز

عبست الملكة لهذا الكلام · واما الملك فقال للافاييت مستفهماً · ماذا يجب ان نصنع الآن ايها الجنرال · فقال لا فاييت ارى الآن من النافع ان تظهر جلالتك للشعب من شرفة القصر (البالكون)

فنظر الملك الى جيلبار نظرة يستشيره بها ثم انه لما لم يرَ ممانعة اتجه نحو النافذة ففتحها وخرج الى احدى الشرفات مطلاً على الشعب ·

فخرج حينئذٍ من الوف الشعب التي كانت مجتمعة هنالك صوت عظيم طبق السماء اذ صرخوا كلهم قائلين — ليحيَ الملك ليحيَ الملك

ثم تلاه صياح آخر — الى باريز الى باريز

وتلاها صياح ثالث — الملكة نريد الملكة

ولكن ما صاح الشعب نريد الملكة حتى اقشعرت جلود جميع الواقفين حول الملكة واصفرت وجوههم كلها حتى وجه الملك والملكة نفسها · اذ كيف يمكن ان تخرج الملكة لمقابلة ذلك الشعب الذي كان قبل بضع دقائق يصيح ويصرخ طالباً ان يخنقها و يشنقها · الا يُخشى ان تطير من بين الجموع رصاصة فتقضي عليها

ولكن الشعب كان شديد الاصرار فاخذ يصرخ من جديد صراخاً اقوى ـ الملكة الملكة

فالتفت لافاييت اليها وقال ـ ان الشعب يطلب ان يراكِ يا مولاتي

فصاحت ابنتها ـ لا لا · لا تذهبي يا امي · ثم عانقتها كانها تريد ان تمنعها من الخروج الى الشرفة · فنظرت الملكة الى لا فاييت وهي ساكتة · فقال لافاييت لا تخافي ياسيدتي · فقالت الملكة ولكن كيف اذهب وحدي

فابتسم لا فاييت اذ فهم مرادها · ثم دنا من الولدين فاخذهما منها بلطف واحترام ودفعها امامها الى البالكون · ثم قدم اليها يده قائلاً ـ اتكئي عليَّ ياسيدتي فاتحمل تبعة كل امر · ثم دخل معها وراء الولدين الى الشرفة وهي مستندة الى ذراعه

فكان منظر جميل وعظيم معاً . فان الشعب كان تحت شرفة القصر كالبحر العجاج المتلاطم الامواج . وكانوا كلهم مشرأبي الاعناق ينظرون الى الشرفة وينتظرون الملكة ولما ظهرت لهم هاجت نفوسهم وصاحوا صيحة لم تسمع الاذان مثلها . ولكن لا يعلم احد اذا كانت هذه الصيحة صيحة سرور وفرح او صيحة تهديد ووعيد

فاخذ حينئذ لافاييت امام الشعب يد الملكة وقبلها . فطرب الشعب ساعتئذٍ وهتف هتاف السرور واخذ يصفق ابتهاجاً وحبوراً

فتنفست الملكة الصعداء كأن خاطرها اطمأن بعد قلقه وقالت - يا لهذا الشعب الغريب

ثم التفتت وقالت للافاييت . حرسي . حرسي ايها الجنرال فانهم انقذوني من الموت افلا تستطيع ان تصنع شيئاً من اجلهم . فاجاب لا فاييت نادي احدهم ياسيدتي

فصاحت الملكة . كونت دي شارني . كونت دي شارني

فادرك الكونت غرض الملكة فرجع الى الوراء لانه كان يرى نفسه غير مذنب فلا حاجة به اذاً للصفح والعفو . وكان ذلك راي زوجته الكونتس اندريه ايضاً . فانها حين صاح الملكة مدت يدها نحوه كانها تريد صده عن الذهاب الى الشرفة فالتقت يدها بيده فتضاغطتا . فابصرت الملكة ذلك فثار ثائر غضبها ونادت بغيظ احد الحراس القريبين منها - تعال الى هنا ايها الحارس

فذهب الحارس الى الشرفة . فاخذه لا فاييت على انفراد امام الشعب ثم تناول الشعار الوطني المثلث الالوان من قبعته ووضعه في قبعة الحارس وقبله في وجهه

فصرخ الشعب صراخاً هائلاً - عاش لا فاييت . عاش حرس الملك

فقال لافاييت . قد ذهب الخوف الآن وعادت ايام الصحو ايتها السيدة

ثم خرج مع الملكة والولدين من الشرفة الى القاعة حيث كان الملك . فقال لافاييت ولكن رغبةً في ان لا تعود ايام القلق والاضطراب اطلب من جلالتكم امراً

فقال الملك قل ماذا تطلب ايها الجنرال

فقال لا فاييت اطلب ان تسافروا الى باريز . فقال الملك لك ما تشاء فاعلن الشعب انني مسافر اليها مع الملكة وولديّ بعد ساعة واحدة . ثم التفت الى الملكة وقال — اذهبي الى قصرك ايتها السيدة واستعدي للسفر

وكأن هذا الامر اذكر الكونت دي شارني امراً ثانياً . فما تحركت الملكة للذهاب

الى قصرها حتى سبقها الكونت اليه . فقالت الملكة بغضب لانها كانت ساخطة من رفضه الذي تقدم الى اين انت ذاهب ايها الكونت . فقال عفوًا يامولاتي فان لي حاجة في قصرك ولكنني لا اطيل الاقامة فيه

ثم سار طالباً حاجته والملكة في اثره

ولما فتح جميع الابواب التي كانت اندري قد اغلقتها ووصل الى الباب الذي هجم الثائرون للدخول منه الى الملكة والكونتس اندري جعل يفتش بنظره في ذلك المكان وهو طائش الافكار والملكة وراءه ترى ماذا يطلب . واذا به يعثر بشيء برجليه في ظلمة الدهليز . فانحنى ليرى الشيء الذي عثر به واذا به جثة انسان . فالوى على وجهه ليراه ثم قال بصوت خافت حزين — وجدتُ ياسيدتي ما كنتُ اطلبه

وكانت هذه الجثة جثة اخيه المسكين البارون دي شارني وقد قتل في الدفاع عن الملكة.

الفصل الثاني والعشرون

(امام جثة)

اختلف الرواة في رواية هذه الحادثة التي يحسبها المؤرخون من اعظم الحوادث التي حدثت في اعظم ازمان الثورة الفرنسوية اي الزمن الذي بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٦ وتعددت رواياتهم . ولكن ماذا تنفع الروايات وان كثرت وماذا ينفع التاريخ نفسه . هل استفاد الملوك عبرة منه فاجتنبوا السير على الطريق التي سار عليها الملوك الذين كتب لهم السقوط . هل اثرت دماء اولئك الملوك التي سُفكت ودموعهم التي اذرفت قدر ما تؤثر نقطة من ماء المطر في وجه الارض . بكى الملوك وخافوا وسفكوا دماءهم ولكن كل ذلك لم يجدِ الملوك نفعاً . واخلصت الرعية وسفكت دماءها في سبيل الدفاع عن ملوكها وكل ذلك لم يجدِ نفعاً . بل حملت زوبعة العالم الهائلة تلك الدماء والدموع والذرات والحسرات فمزجتها معاً واسفتها في الفضاء الى حيث لا شيء يؤثر فيها او تؤثر فيه . فيا للتلاشي . يا العدم . يا لضعف القوة البشرية

وبعد انقضاء ساعة على هذه الحادثة كان الملك سائرًا مع الملكة وولديه الى باريز عملاً بارادة الشعب تاركاً فرساليا التي كتب له ان لا يعود اليها فيما بعد . وبينما هو سائر على طريق باريز كان في قصر الملكة في فرساليا منظر يفتت الاكباد

فقد كان الكونت دي شارني . محنياً على جثة اخيه الشاب جورج الممددة في ارض

الدهليز ووراءه رجلان واقفان وقفة الحزن والتأمل

وكان هذان الرجلان الدكتور جيلبار و بيلو

اما الكونت دي شارني فكان جاثياً امام الجثة بنفس ملئها مرارة الموت وهو يتأمل في ذلك الثوب الترابي الذى طارت منه روحه . يتامل الجروح الكثيرة التي في راسه وصدره والتي منها سال جميع دمه . يتامل ملامح الكبرياء والشمم التي رسمها الموت على وجهه . ملامح اليأس في الدفاع . ملامح من يعلم انه مائت . يتامل ذلك الشاب الذي لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد حارب مئات وهو واحد . يتامل تلك القوة التي اوقفت وهي في ابان عزمها . والهمة التي انحلت قبل ان تبلغ اشدها . والروح التي جادت بنفسها فدى ملكها وملكتها . فيخال له ان تلك الجثة الهامدة مكللة باكليل بهي من الشباب والجمال والامانة والاخاء والايثار ومعرفة الواجبات . فياخذها بين يديه ويضمها بحرقة زائدة

ثم يقول بصوت خافت وقلب محترق ــ مات . مات . واحسرتاه عليه

فلم يستطع بيلو صبرًا على هذا المنظر فانزوى في زاوية اخفاء لتاثره ودموعه . واما جيلبار فازداد تاملاً وتفكرًا حتى اصبح بازاء الاخوين صنماً جامدًا لا يتحرك منه شيء غير قلبه . وكان كفيلسوف يروقه ذلك المنظر و يسوءه معاً . يسوءه لان اخاً كان يحترق على اخيه . ويروقه لانه رأى فيه كيف يكون الحب الاخوي وبذل الذات في سبيل القيام بالواجبات

و بعد مرور زمن على اوليفيه وهو جاث فوق جثة جورج نهض الشاب واخذ الجثة بين يديه ثم اوقفها على الجدار واخذ ينظر اليها . ثم وضع يديه على عينيه فسحها ورام الخروج من المكان . تخيل له حين خطا الخطوة الاولى ان اخاه جورج سيتبعه

ثم التفت الى ذلك الاخ الجامد الساكن وتنهد ثم خرج

فتقدم بيلو بعد خروج شارني من الدكتور جيلبار وقال طاوياً يديه على صدره . قلت لك يوماً من الايام ايها الدكتور انني انفت من قتل القتلة الثائرين بعض الاشرار فما قولي الآن وقد اخذوا يقتلون الابرياء . ثم اشار بيده الى جثة جورج

وكان الدكتور جيلبار صنماً لا يتحرك كما ذكرنا . فلما سمع قول بيلو اجاب . وماذا تعني بذلك يا بيلو . فقال اعني بذلك انني سئمت باريز وفظائعها وازددت رغبة في العودة الى مزرعتي

فرفع جيلبار حينئذٍ راسه وقال ـ عافاك الله يا بيلو . فانك بعد ان تكون قد هدمت البناء بيديك تود هجر الخرابة والخروج منها قبل اعادة بنائها

فقال بيلو ماذا اصنع فانني لا استطيع روٴية هذه الفظائع . فقال ـ جيلبار بل انك خشيت ان تقع بعض حجارة البناء على راسك

فقال بيلو وهل من سوء الراي ايها الدكتور ان يهتم الانسان قليلاً بنفسه فانني ذو عائلة واملاك وعائلتي تحتاجني في هذه الاوقات . فاجاب جيلبار بلهجة شديدة ـ ولكن الا تعلم يا بيلو ان الانسان لوطنه قبل عائلته

فقال بيلو نعم ولكني لا اخالك ترضى ان يراك ابنك مكان هذه الجثة او ترى ابنك مكانها . فقال جيلبار . بيلو . بيلو . اعلم انني لو رايت ابني الآن مكانها لنظرت اليه كما انظر الآن اليها . واعلم ايضاً انني اربي ابني تربية تجعله في المستقبل يراني كما اراها متى صرت مكانها

فاحس بيلو بلذع هذا الكلام لانه مع شدة اخلاقه وصلابة نفسه لم يكن قد سمع مثله فقال للدكتور . ولكن قولك هذا بمثابة قولك انك تريد ان تعوده منظر الدماء وان القتل والنهب والسلب كل هذه امور بسيطة يجب ان يشاهدها الانسان دون ان يتاثر لها

فقال جيلبار باقوى صوته ـ كلا ليس هذا المقصود من كلامي يا بيلو . وانما المقصود منه ان مصائب الحياة كثيرة واهوالها عديدة فيجب على الانسان ان يتعلم طرق احتمالها والا ناء بها وسقط تحت حمله . واذا كان القتل والسلب والنهب اموراً فظيعة فاشد فظاعة منها ان نترك القتلة والناهبين والسالبين يعملون هذه الاعمال وننفر من وجوههم بدل مقاومتهم ومنعهم من العودة اليها

فصاح بيلو ولكن ماذا يستطيع رجل واحد ان يصنع وحده . اقدرتُ ان امنع هذا الشاب المسكين ان يُقتل . اقدرتُ على منع اللصوص القتلة الاشرار من تدنيس قصر الملك بهجومهم عليه

فضحك هنا جيلبار وقال يا لنيتك الخالصة واتضاعك ايها الرجل . تقول انك لم تصنع اليوم شيئاً مع انك انت الذي خلصت الملك والملكة وولديهما . انسيت انك انت الذي بادرت في صبيحة هذا اليوم الى فراش الجنرال لا فاييت وهو نائم وايقظته ثم اطلعته على هجوم الرعاع على قصر الملك ثم ركضت معه لارجاعهم عنه . افتحسب كل هذا يا بيلو امراً

لا يستحق الذكر . اما كان الملك والملكة وولداها الآن لولاك جثثاً في هذا القصر كهذه الجثة التي امامنا . فكيف تقول انك لا تستطيع ان تصنع شيئاً للوطن

فسكت بيلو واخذ يفرك جبينه ويفكر . فقال جيلبار فابقَ اذاً معي يابيلو . ابقَ اذا كنت تحب وطنك وتبغي خدمته . اما اذا كنت تفضل خدمة عائلتك على خدمته فاذهب اليها فانك حينئذٍ تكون غير اهل لحبه ولصداقتي

فرفع بيلو حينئذٍ راسه ومد يده الى الدكتور قائلاً — الحق اقول لك ايها الدكتور انني لا اجادلك مرة الا وينتهي الجدال بفوزك . ذلك لانك قوي كريم اصيل الراي ثابت العزم . واني لا ارى احداً كذلك في هذا العالم غيرك . فقل لي ما الذي جعلك هكذا

فقال الدكتور بابتسامة اقرب الى الحزن منها الى السرور — المصائب المصائب يابيلو . فقال بيلو ولكن هذا امر غريب لانني احسب ان المصائب تجعل الناس اشراراً

فقال جيلبار نعم تجعل الناس اشراراً اذا كانوا ضعفاء النفوس . اما الاقوياء فانها تزيدهم قوة . فقال بيلو ولكني اخشى انني اذا بقيت ههنا واصبت بمصيبة اصبحت تعيساً شريراً . فقال جيلبار . لا تخف . فانك قد تكون تعيساً ولكنك لا تكون ابداً شريراً اذ ليس فيك شيء من صفات الاشرار

فقال بيلو . اذاً ابقى معك هنا واذا ظهر مني ضعف فانني استند اليك

فقال جيلبار وانا اقويك حين الحاجة

الفصل الثالث والعشرون

(رجوع بيتو الى حيث يحب)

لقد آن لنا ان نترك باريز وفرساليا ونخلص من انفاس الثورة الجهنمية لنتبع بيتو الذي عاد الى مزرعة بيلو حيث الهدوء والسكينة مصطحباً ابن الدكتور جيلبار الى مدرسة الاب فورتيه بناء على طلب والده كما مرَّ بنا . وكان الدكتور قبل سفره بولده قد اوصاه به عدة وصايا اكثرها صحية ووضع في يده قبضة من الليرات تخفق لها قلب بيتو المسكين طرباً . ثم جاء بيلو واخذه على حدة واوصاه بما يريد ان يوصي به امرأته وابنته كاترين وبعد ذلك سار بيتو بالولد سباستيين وهو مفتخر بان الدكتور جيلبار وثق به وسلمه ولده

وكان بيتو لا يزال يلبس في راسه الخوذة العسكرية التي كان يلبسها يوم فتح الباستيل

ويضع على جنبه السيف الذي كان يحمله في هذا اليوم فكان له منظر عسكري يُضحك معارفه ويوجب له اكرام من لا يعرفه

وفي طريقه من باريز الى فيلله كوتره اخذ يقص على الناس الذين يجدهم في طريقه حوادث باريز وتفاصيل ثورتها فكانوا يحيطون به ويصغون اليه باكرام ويدعونه الى موائدهم ومنازلهم مع رفيقه سيباستيين فارتفع بيلو في عيني نفسه وصار يشمخ بانفه كبرياء واعجاباً

وما زال سائرًا برفيقه حتى قربا من فيلله كوتره فاصبح بيتو متاملاً مفكرًا . وعند وصوله الى مفترق الطرق وقف حائرًا فساله سيباستيين ما بك يا بيتو فقال الفتى مترددًا الا ترى بانه يجدر بنا المرور بهرامونت في مسيرنا الى فيلله كوتره

وكانت هرامونت مسقط راس بيتو كما علمنا وفيها دُفنت امه

فقال سيباستيين نعم قد فهمت قصدك هلم نزور القرية التي ربينا فيها . فسرَّ بيتو وسار بسيباستيين على طريق هارامونت

ولما دخلا هذه القرية عرضت لبيتو جميع تذكارات ايامه الماضية فتنهد من اعماق قلبه ثم اتجه نحو منزل والدته ليزوره . ولكن عمته انجليك كانت قد باعت هذا المنزل والذي ابتاعه هدمه وبنى غيره . فاستاء بيتو لهذا التغيير الذي حدث ولكنه ما لبث ان اخذ بيد سيباستيين قائلاً — تعالَ معي الى المكان الذي لانجد فيه شيئًا متغيرًا . ثم اتجه به صوب مدفن القرية حيث دُفنت امه

وفي الحقيقة ان ذلك المكان مما لا يتغير فيه شيء على مرور الايام بل فيه ثبات الابدية ودوامها . ولكن العشب كان قد نبت كثيرًا على القبر وغصن الصفصاف الذي غرسه بيتو فوق تربة امه قد نبت ونما واصبح شجرة باسقة تتدلى اغصانها فوق القبر

فوقف بيلو هناك برعدة وخشوع ووجهه بين يديه . فصلى اولاً ولما فرغ من الصلاة رفع يديه بقلب محترق وضم بهما الى صدره اغصان الصفصاف المتدلية . فخيل له انه يضم شعر امه . وفي هذه الساعة هبت نسمة على ذلك المكان الابدي فحركت اغصان الصفصاف فوق راس بيتو وتماوجت تماوجاً لطيفاً تخيل لهذا الابن الامين ان حفيف تلك الصفصافة صوت والدته يدعوه ويدعو له

فزاد بكاؤه . وكان سيباستيين واقفاً بازائه وهو جامد كالصنم جمود ابيه في مثل هذا الموقف . وبعد هنيهة مدَّ بيتو يده وكسر قطعة من غصن الصفصافة ليحمله معه تذكارًا

من امه . ولكن خيل له بعد كسر هذه القطعة من الشجرة التي تظلل تربة امه باغصانها وتحتضن في جوف الارض تابوتها بجذورها ان امه قد تألمت من الكسر الذي حدث في شجرتهـا

فيالعواطف الوالدية الكريمة في نفوس الابناء والاباء . اين الذين يقولون انه لا يوجد فضيله ولا حب صادق في هذا العالم

ثم ان بيتو قبل اطراف اغصان الصفصافة مرارًا وخرج مع سيباستين بهدوء وسكون متجهًا نحو فيله كوتره

وحين وصوله اليها قصد مدرسة الاب فورتيه وكان الاب من حسن الحظ غائبًا لانه خرج لينزه تلامذته فسلم بيتو سيباستين الى اخت الاب فورتيه ودفع اليها اجرة المدرسة وكتاب الدكتور الى ذلك الاب ثم عانق سيباستين فبكيا كلاهما ولكنهما تواعدا بالاجتماع في كل فرصة وبعد ذلك خرج بيتو من هذه المدرسة

فرأى حين خروجه منها امرًا ادهشه . فان الاهالي كانوا قد دروا بحضوره فاجتمع منهم كثيرون في الساحة التي تلي المدرسة لمشاهدة خوذته وسيفه . وقد عرفوه لانه لم يكن انقضى على سفره من بلدتهم الى باريز الا ٣ اسابيع فقط اما اهالي هارامونت فلم يعرفوه لانه انقضى على سفره من عندهم اكثر من ٣ سنوات

فلما التقى بيتو بمنتظريه بش لهم وسلم عليهم فاحاطوا به من كل جانب واخذوا يتاملون منظره الغريب . ثم استقصوه تفاصيل باريز فقص عليهم الحوادث وما صنعه بيلو والدكتور وزاد على ذلك انه تعرف بدانتون وبالي ولافاييت فاصبح من اصدقائهم

فاشتدت حماسة الناس وزاد اعجابهم به حين قوله انه من اصدقاء لافاييت ودانتون وبالي واخذوا يدعونه الى منازلهم ويبالغون في اكرامه . اما هو فاعتذر لهم اذ من واجباته مقابلة عمته اولاً ثم ودعهم وسار قاصدًا منزل عمته

فتبعه الجمهور من بعيد اولاً لانهم كرهوا ان يفارقوه وثانيًا لانهم ارادوا رؤية ما يحدث بينه وبين عمته لانهم كانوا يعلمون حوادثها الماضية معه

ولكن لما وصل بيتو المسكين الى بيت عمته وجد الباب مقفلاً لانها كانت غائبة . فجرد بيتو سيفه ودفع طرف القفل براسه فانفتح الباب بالحال

فعجب الواقفون من بعيد للبسالة التي جرد بها بيتو سيفه ولجرأته على فتح باب عمته لانهم كانوا لا يجهلون مبلغ سلطتها عليه

ويضع على جنبه السيف الذي كان يحمله في هذا اليوم فكان له منظر عسكري يُضحك معارفه ويوجب له اكرام من لا يعرفه

وفي طريقه من باريز الى فيلله كوتره اخذ يقص على الناس الذين يجدهم في طريقه حوادث باريز وتفاصيل ثورتها فكانوا يحيطون به ويصغون اليه باكرام ويدعونه الى موائدهم ومنازلهم مع رفيقه سيباستيين فارتفع بيلو في عيني نفسه وصار يشمخ بانفه كبرياءً واعجاباً

وما زال سائرًا برفيقه حتى قربا من فيلله كوتره فاصبح بيتو متاملاً مفكرًا . وعند وصوله الى مفترق الطرق وقف حائرًا فساله سيباستيين ما بك يا بيتو فقال الفتى مترددًا الا ترى بانه يجدر بنا المرور بهرامونت في مسيرنا الى فيلله كوتره

وكانت هرامونت مسقط راس بيتو كما علمنا وفيها دُفنت امه

فقال سيباستيين نعم قد فهمت قصدك هلم نزور القرية التي ربينا فيها . فسرّ بيتو وسار بسيباسيين على طريق هارامونت

ولما دخلا هذه القرية عرضت لبيتو جميع تذكارات ايامه الماضية فتنهد من اعماق قلبه ثم اتجه نحو منزل والدته ليزوره . ولكن عمته انجليك كانت قد باعت هذا المنزل والذي ابتاعه هدمه وبنى غيره . فاستاء بيتو لهذا التغيير الذي حدث ولكنه ما لبث ان اخذ بيد سيباستيين قائلاً — تعالَ معي الى المكان الذي لا نجد فيه شيئاً متغيرًا . ثم اتجه به صوب مدفن القرية حيث دُفنت امه

وفي الحقيقة ان ذلك المكان مما لا يتغير فيه شيء على مرور الايام بل فيه ثبات الابدية ودوامها . ولكن العشب كان قد نبت كثيرًا على القبر وغصن الصفصاف الذي غرسه بيتو فوق تربة امه قد نبت ونما واصبح شجرة باسقة تتدلى اغصانها فوق القبر

فوقف بيلو هناك برعدة وخشوع ووجهه بين يديه . فصلى اولاً ولما فرغ من الصلاة رفع يديه بقلب محترق وضم بهما الى صدره اغصان الصفصاف المتدلية . فخيل له انه يضم شعر امه . وفي هذه الساعة هبت نسمة على ذلك المكان الابدي فتحركت اغصان الصفصاف فوق راس بيتو وتماوجت تماوجاً لطيفاً فخيل لهذا الابن الامين ان حفيف تلك الصفصافة صوت والدته يدعوه ويدعو له

فزاد بكاؤه . وكان سيباستيين واقفاً بازائه وهو جامد كالصنم جمود ابيه في مثل هذا الموقف . وبعد هنيهة مدّ بيتو يده وكسر قطعة من غصن الصفصافة ليحمله معه تذكارًا

من مه . ولكن خيل له بعد كسر هذه القطعة من الشجرة التي تظلل تربة امه باغصانها وتحتضن في جوف الارض تابوتها بجذورها ان امه قد تألمت من الكسر الذي حدث في شجرتهـا

في العواطف الوالدية الكريمة في نفوس الابناء والاباء . اين الذين يقولون انه لا يوجد فضيلة ولا حب صادق في هذا العالم

ثم ان بيتو قبل اطراف اغصان الصفصافة مرارًا وخرج مع سياستين بهدوء وسكون متجهًا نحو فيله كوتره

وحين وصوله اليها قصد مدرسة الاب فورتيه وكان الاب من حسن الحظ غائبًا لانه خرج ليتنزه بتلامذته فسلم بيتو سياستين الى اخت الاب فورتيه ودفع اليها اجرة المدرسة وكتاب الدكتور الى ذلك الاب ثم عانق سياستين فبكيا كلاهما ولكنهما تواعدا بالاجتماع في كل فرصة وبعد ذلك خرج بيتو من هذه المدرسة

فرأى حين خروجه منها امرًا ادهشه . فان الاهالي كانوا قد دروا بحضوره فاجتمع منهم كثيرون في الساحة التي تلي المدرسة لمشاهدة خوذته وسيفه . وقد عرفوه لانه لم يكن انقضى على سفره من بلدتهم الى باريز الا ٣ اسابيع فقط اما اهالي هاراموت فلم يعرفوه لانه انقضى على سفره من عندهم اكثر من ٣ سنوات

فلما التقى بيتو بمنتظريه بش لهم وسلم عليهم فاحاطوا به من كل جانب واخذوا يتاملون منظره الغريب . ثم استقصوه تفاصيل باريز فقص عليهم الحوادث وما صنعه بيلو والدكتور وزاد على ذلك انه تعرف بنا كارو بالي ولافاييت فاصبح من اصدقائهم

فاشتدت حماسة الناس وزاد اعجابهم به حين قوله انه من اصدقاء لافاييت وتا كار وبالي واخذوا يدعونه الى منازلهم ويبالغون في اكرامه. اما هو فاعتذر لهم اذ من واجباته مقابلة عمته اولاً ثم ودعهم وسار قاصدًا منزل عمته

فتبعه الجمهور من بعيد اولاً لانهم كرهوا ان يفارقوه وثانيًا لانهم ارادوا رؤية ما يحدث بينه وبين عمته لانهم كانوا يعلمون حوادثها الماضية معه

ولكن لما وصل بيتو المسكين الى بيت عمته وجد الباب مقفلاً لانها كانت غائبة . فجرد بيتو سيفه ودفع طرف القفل براسه فانفتح الباب بالحال

فعجب الواقفون من بعيد للبسالة التي جرد بها بيتو سيفه ولجرأته على فتح باب عمتـه لانهم كانوا لا يجهلون مبلغ سلطتها عليه

ولكن الثورة الفرنسوية كانت قد غيرت اخلاق هذا الفتى ومن يفتح الباستيل لا يخشى فتح باب العمة انجليك . لذلك دخل بجاش ثابت الى المنزل الذي فتحه . ومن يعرف اخلاق بيتو ويعرف ان السير يستدعي التعب والتعب يستدعي الجوع وان الجوع متى تملك بيتو فهو لا يعود يفتكر الا بارضائه ـ من يعرف ذلك فانه يقول ولا شك ان بيتو يركض الى خزانة الطعام اول دخوله الى منزل عمته . وهكذا كان . ومن حسن حظ بيتو انه وجد في تلك الخزانة صحناً كبيراً ممتلئاً ارزاً مسلوقاً وفوقه ديك مقلي كبير كانه والارز جزيرة في بحر . اما راس الديك المقلي فقد كان يحكي فوق الارز قلة سوتا في مضيق جبل طارق ...

فمد بيتو الى الصحن يديه الطويلتين المعهودتين واخذ يمضغ ريقه استعداداً لمضغ ذلك الطعام الشهي . ثم اوقف الصحن على اطراف اصابعه اليسرى وتناول اكبر الملاعق بيده اليمنى وبعد ذلك اتجه الى كرسي العمة انجليك المشهورة بما في جوفها من الكنوز فجلس عليها بعظمة واغمد ملعقته في الارز ولحم الديك فاشبهت يداه وفمه واضراسه وبلعومه في اكله مقاذف تقذف ومنارة تنقر وطاحوناً تطحن وبالوعاً يبلع

غير انه بينما هو في الذ اوقات مضغه واذا به يرى خيالاً في الباب فالتفت فرأى وجه عمته

عمته التي يعرف قسوتها وبخلها . عمته التي يعرف شراسة اخلاقها ودناءة نفسها . فضحك بيتو حين رؤيتها ثم نهض مسرعاً والملعقة والصحن في يديه هذا في واحدة وتلك في اخرى فعانقها وضمها ضماً شديداً الى صدره . فحسبت العمة ان بيتو ينوي الانتقام منها لشدة ما ضمها الى صدره فكادت تصيح لو لم يتركها بيتو ويعود باسماً الى كرسيه وفي يده الملعقة والصحن لاستئناف الاكل

فدهشت العمة من وقاحة هذا الفتى الذي كان منذ عهد قريب كالنعامة تذعره اقل حركاتها. فلبثت محدقة به وهي مبهوتة مستغربة وهو ياكل ياكل ياكل بسرعة كجواد ينهب الارض نهباً حتى انكشف له قعر الصحن وبان اخضراره من تحت بياض الارز

فزأرت العمة انجليك كما تزئر الاسود اما بيتو فضحك كما تضحك القرود فزاد ضحكه سخطها وغضبها حتى الجأ لسانها عن الكلام فلم تعد تستطيع ان تتكلم

ولكنها ما لبثت ان شددت عزمها وجمعت قواها واخرجت صوتاً نحيفاً قائلة —

لص شقي

فقهقه بيتو ووضع الملعقة في الصحن والصحن على كرسي هناك ثم نهض متنفساً الصعداء تنفس من فرغ من عمله وقال ضاحكاً . لماذا تسميني لصاً ايتها العمة

فزعجرت انجليك وصاحت بصوت عنيف ايضاً — يا ابن اللئام

فقال بيتو . هل تسميني لصاً لانني اكلت من طعامك . اذا كان من اجل ذلك فانني صرت في غنى عنك وهذا ثمن ديكك

ثم مد يده الى جيبه لاخراج النقود فحملقت العمة انجليك ولبثت مبهوتة تنتظر ان يخرج بيتو يده بالنقود . فقال بيتو . احسبي ثمن الطعام لادفعه لك . ثمن الارز ٢٠ باره والخبز ١٠ فالمجموع ٣٠ باره

فصاحت انجليك ولكنك احمق مجنون اتحسب ثمن ما اكلت ٣٠ بارة فقط . وقد قالت ذلك بلهجة اليأس والغيظ الشديد

فقال بيتو اما الديك فانه لا يجب ان يُحسب ياعمتي لانه ولا يخفاك ملكي اكثر مما هو ملكك . اما انا الذي سرقته لك لما كان صغيراً . انسيتِ انك ضربتني لانني لم اسرق معه حبوباً لاطعامه فاعطتني يومئذ مدموازل كاترين بعض الحبوب لتخفيف غضبك . فانا اذاً اكلت ما هو ملكي

فنظرت اليه عمته بعين ملئها الغضب والجنون وصاحت بصوت اجش وهي تشير الى الباب — اخرج من هنا

فقال بيتو ولكن هذا الامر مهين ياعمتي ولم يبقَ في وسعي احتماله كما كنت احتمله في الماضي . ثم خطا نحو الباب فوقف فيه ونظر الى الخارج فابصر جمهور الاهالي لا يزالون ينتظرون خروجه فحدثته نفسه ان يثأر لنفسه من عمته فرفع راسه ووضع يده على قبضة سيفه ثم نظر اليهم في الخارج واليها في الداخل وصاح بصوت جهوري قوي — لماذا تطردينني من بيتك

فبهتت العمة لهذه اللهجة الفجائية اما بيتو فاستانف يقول — انني استشهد هولاء القوم الكرام على ما تصنعينه مع احد اقاربك . انا يتيم مسكين جئت ماشياً من باريز فوصلت معي من الجوع والتعب فقصدت ان استريح عندك فكرهتِ ذلك وطردتني

فاخذ المجتمعون يتململون و يظهرون استياءهم فيما بينهم من عمل العمة انجليك فاردف بيتو بقوله — طردْتني انا الوطني الصادق . انا فاتح الباستيل . انا الذي يشرفني بيلو والدكتور جيلبار بصداقتهما . انا صديق بالي ولافاييت . طردْتني فاستشهدكم كلكم

على ذلك

فاشتد استياء الجمهور واخذوا ينظرون الى العمة شرًّا فخافت المسكينة منهم ومن هذه الجرأة التي اظهرها بيتو . ثم اردف هذا الشق بقوله ـ ولكي لا ابقى مديونًا لك بشيء فاني ادفع لك الآن ثمن الطعام الذي اكلته عندك واحاسبك متى اردت على عملك .

ثم مدَّ يده الى جيبه فاخرج ريالاً والقاه امامها وخرج خروج الساخط وجميع الواقفين يستحسنون عمله ويظهرون استياءهم من عمته . فدت انجليك يدها فتناولت الريال وهي تقول في نفسها انها اخطأت باغضابها بيتو اذا كان يدفع ثمن كل وقعة ريالاً

الفصل الرابع والعشرون

(بيتو وكاترين)

وخرج بيتو من بيت عمته وسار قاصدا مزرعة الاب بيلو اذ بقي عليه القيام بحاجات قلبه بعد قيامه بحاجات معدته

وكان يسير في طريق المزرعة وقلبه يكاد يذوب شوقًا وتذكارا وهو يقول في نفسه ـ غدًا استريح من جميع الاتعاب التي عانيتها فاعيش في المزرعة مسرورا هنيء البال . غدًا لا يكون همي الا ارضاء كاترين الجميلة وخدمتها والمعيشة تحت ادارتها . وكان كلما ذكر كاترين في نفسه وجد لذكرها ارتياحًا لا يوصف وكلما دنا من المزرعة شعر بازدياد ارتياحه وسروره

ولما وصل الى باب المزرعة كان خبره قد انتشر في جميع الناحية لاستغرابهم ذلك الشاب الطويل الذي على رأسه خوذة تزيده طولا والى جنبه حسام . فدخل بيتو وهو يرفع راسه افتخارا بخوذته وحسامه وعيناه تفتشان عن كاترين قبل كل شيء

وكانت مدام بيلو في المطبخ فاستغربت دخول هذا الرجل الغريب وسالته من هو فرفع بيتو الخوذة عن راسه . فقهقهت مدام بيلو ضحكًا وصاحت ـ بيتو قد جاء بيتو انظروا ملابس بيتو

فاجتمع الخدم وبعض العملة لمشاهدة بيتو فسلم الفتى عليهم بهيئة خطيرة ولبث يفتش عن كاترين بنظره فلم يرها فتنهد تنهدا خفيفًا

فاجلسته مدام بيلو على كرسي عندها في المطبخ واخذت تستقصه حوادث باريز وتساله عن بيلو زوجها وقد احاط به الجميع فحك بيتو راسه وقال قصتي طويلة يا مدام بيلو

فاذا قصصتها الآن اضطررت الى اعادتها على مسامع مدموازل كاترين

والحقيقة انه قال ذلك لكي ينادوا كاترين

فصاحت مدام بيلو اصبت يا بيتو اين كاترين نادوها • فذهب خادم ثم عاد وقال انه لم يجدها

وفي اثناء ذلك دنا بيتو من النافذة والقى نظرة الى غرفة كاترين في الطبقة الثانية فنظر منظراً جعله مبهوتاً • نظر كاترين جالسة في النافذة العليا وهي مستغرقة في تيار الافكار وموجهة نظرها باهتمام شديد الى جهات الحرش البعيد كانها تراقب شيئاً

فقال بيتو عند ذلك — هذه كاترين يامدام بيلو • فدنت مدام بيلو من النافذة ونظرت ثم صاحت باعلى صوتها • كاترين • كاترين

فاجفلت الابنة لمنظر امها ولصوتها واسرعت الى اغلاق النافذة اسراع من يرى نفسه انه قد بوغت مباغتة • فصاحت بها حينئذ امها — انزلي يا كاترين فقد جاء بيتو من قبل والدك

فقالت كاترين انها نازلة فاخذ بيتو يتامل و يسأل نفسه ما الذي كانت تنظر اليه كاترين من شباك غرفتها بذلك الاهتمام • الا ان سروره بقرب لقائها وما يعرفه من فرحها بلقائه انسياه ذلك الشغل الوقتي فلبث ينتظر نزولها بقلب يتمشى في صدره تمشياً سريعاً

ثم نزلت كاترين ودخلت الى حيث كان بيتو • فاصبح بيتو وكله عيون تراها • فلم يجد في وجه هذه الفتاة الجميلة ما كان يؤمل ان يراه • نعم ان جمالها بقي كما كان بل زاد ولكن لم يبقَ في وجه كاترين شيء من لوائح اللطف والبشاشة التي كانت قبلاً فضلاً عن ان بياض وجهها الجميل اصبح مشوباً بشيء من الاصفرار وان كان هذا الاصفرار قد زاده بهاء وجمالاً

فاحس بيتو بلذع الم في قلبه • لان كاترين لم تسرع اليه فتلاطفه وتبش في وجهه وتاخذ يده للتسليم عليه بل اكتفت بان نظرت اليه نظرة بادر فيها عدم الاكتراث وسالته كيف والدي يابيتو

فقالت لها امها ضاحكة انظري انظري ياكاترين ما اجمل خوذته وسيفه • فرفع بيتو راسه افتخاراً • اما كاترين فاجابت من غير اكتراث ايضاً وما فائدته من هذه الخوذة والسيف

فاجهزت كاترين بكلامها هذا على امل بيتو المسكين فصار بغص بريقه • ولكنه راى

في كلام كاترين اهانة له فاراد فتح باب الحديث ولو كان عبثاً وملاماً فقال بعظمة وافتخار

— فائدتي من هذه الخوذة وهذا السيف انني احارب بها اعداء الوطن

فنظرت اليه كاترين بهدوء دون ان تضحك او تعبس وسألته — ومن هم اعداء الوطن

فقال بيتو ان اعداء الوطن هم الاشراف الذين نذبحهم الآن في باريز

فارتعدت فرائص كاترين وسالته هل يقتل الشعب الآن الاشراف في باريز . كنت احسب ان الفريقين تصالحا وانقضى الخلاف

فقال بيتو وهو يظهر الحماسة — لا صلح ولا اتفاق فان الشعب يشقى والاشراف ينعمون لديهم الاموال والقصور والمركبات والشعب ليس لديه خبز يأكله بل هم الذين يجوعونه . فمن العدل ان يعاقبهم عقاباً شديداً

وقد قال بيتو هذا القول بصوت قوي فاصفرت كاترين ثم عبست وقالت له — ما كنتَ يابيتو خشناً الى هذا الحد قبل سفرك

فصعق بيتو وحار في ما ذا يقول لهذا التوبيخ الشديد وعلم ان كاترين لا تحب مثل هذه الحماسة فقال معتذراً بصوت ضعيف . لم أكن خشناً من قبل سفري ولا من بعده يامدموازل كاترين

فقالت مدام بيلو قاطعة حديثه قص علينا الآن اخبار بيلو زوجي . فقال بيتو . اما هذا فانه يستوجب ان ننفرد للكلام عنه على حدة لان الاب بيلو عهد اليَّ ان ابلغكما امراً سرياً . فاشارت مدام بيلو الى الحاضرين فتفرقوا ولم يبقَ في المكان الا الثلاثة — مدام بيلو و بيتو وكاترين . وكان بيتو يختلس النظر في كل برهة الى كاترين والذي في قلبه من الارتياح والوجد يزداد بزيادة تشاغل كاترين عنه

الفصل الخامس والعشرون

(الابنة مكان الام)

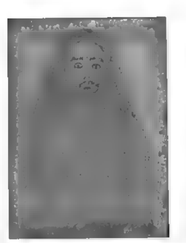
ولما اختلى بيتو بالام وابنتها قص عليهما اعمال بيلو في باريز وكيف كان عازماً على الرجوع الى مزرعته فمنعه الدكتور جيلبار من ذلك ليبقى عونه وساعده . ثم اخبرهما ان بيلو راى ان يريح زوجته لطول غيابه من عناء ادارة المزرعة ويلقي زمامها الى ابنته كاترين لانها لشبابها ونشاطها اقدر على احتمال متاعب الاعمال . فساء ذلك مدام بيلو لاول وهلة ولكنها عادت فتاملت شيخوختها ونشاط ابنتها المقرون بقوتها ومعرفتها فصوبت راي زوجها





الجزء السادس السنة الثانية

الاسكندرية سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — جماد الاولى سنة ١٣١٨



راما ساما

انسان طبيعي

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

راما ساما

الانسان الطبيعي

الانسان الاول · جسم اشعر · راما ساما وصفته الجسدية والعقلية · انطفاء شعلة الادراك · اصل راما ساما واختلاف الاقوال فيه · حلقة داروين المفقودة · جمال الطبيعة عندجبال حملايا · وقفةٌ لراما ساما فيها

قال «كوفيه» ان الانسان المتمدن كما نراه اليوم هو ثمرة تربية واختبار خمسة الآف سنة · ولكن كيف كان الانسان قبل هذه المدة · قبل تمدن المصريين القدماء والهنود والصينيين والاشوريين· قبل ان عُرف الاجتماع ولبس اللباس وبناء المنازل

كان كما تراه في الرسم الذي في الصفحة السابقة

فان هذا الرسم يمثل مخلوقاً غريباً لا هو حيوان اعجمي لان منظره منظر انسان واعضاؤه اعضاء بشرية كاملة من فرقه الى اخمصيه ولا هو انسان لانه لا يحسن النطق والفهم فضلاً عن ان جسمه اشعر مغطى بشعر طويل

واسم هذا المخلوق الغريب راما ساما وقد جيء به في العام الماضي الى اوربا جاء به رجل يعرض الحيوانات لعرضه في جملة حيواناته · ولما وصل به الى بلجيكا استاجره منه الدكتور لاسكوسكي من اساتذة كلية جنيفا واحد اكابر علماء الحيوان وعرضه على تلامذته في قاعة الكلية · فكان من ذلك دهشة للجميع

وهذا المخلوق الغريب يبلغ نحو الخمسين من العمر وهو اشعر الجسم كالدب كما مرَّ بنا ولا سيما القسم العلوي منه فانه كله مغطى بشعر ناعم رمادي طوله ١٢ سنتيمترًا في ظهره وحقويه و٦ سنتيمترات في كتفيه · واما شعر راسه فانه مسترسل على كتفيه وطوله ٤٠ سنتيمترًا وشعر ذراعيه نابت من اعلى الى اسفل وكذلك شعر ساقيه الذي يبلغ الارض· اما اخمصاه

وواحتاه فشعرها غير مطوي ولا مجعود مع ما في وظيفتها من الاضطرار الى طيه وتجعيده

ولما رأس راما ساما فنكشف الجبهة وفيه عينان سمراوان تحتها انف مستقيم فوسهي وفم واسع بشفتين ضخمتين واذناه متساويتا النمو . واماجسمه باجماله فهو حسن التركيب وساقاه قصيرتان وقامته قصيرة

ومما لاحظه العالم لاسكوسكي ان راما ساما اسنانه واضراسه كاملة التركيب كالانسان التام مع انه قد ثبت لدى علماء الحيوان والانسان ان الجسم الذي يكون اشعر اي كثير الشعر الى حد غير اعتيادي يكون على الغالب من غير اسنان بل بلثة فقط او ان يكون صف اسنانه واضراسه مزدوجاً في فمه كما كان لجوليا بسترانا المشهورة بانها شعراء

هذه صورة راما ساما الجسدية . اما صورته العقلية فليس فيها ما يستحق الذكر . فان الرجل — اذا صح ان يسمى رجلاً — اخرس لا يتكلم ولا ينطق بشيء وانما اذا ذُعر صرخ صراخاً مبهماً وفرّ هارباً ليختبئ . اما ادراكه فمقصور على الطعام والشراب لان عقله وقف عن النمو وقوفاً تاماً ولكنه ليس بابله ولا معتوه . وهو مهما تعرض للبرد لا يحسّ به على الاطلاق لان جلده قد الفه كما يألفه جلد الحيوان . وقد راقبه الدكتور لاسكوسكي مراقبة طويلة ليرى منه عملاً صادراً عن تأمل او فكر فلم يرَ شيئاً بل كان يجده امامه مستغرقاً دائماً كما تراه في الرسم في خمول عقل وابهام لا نهاية له

والآن من اين اتى هذا المخلوق الغريب وما هو اصله . اما الرجل الذي يقتنيه منذ ست سنوات فانه يقول انهم وجدوه سارحاً مع الحيوانات في الاحراش التي تحت سفح جبال حملايا فاسروه . فقام القائلون يذهبون في ذلك مذاهب شتى . فمنهم من زعم انه من بقايا الانسان الطبيعي الاول الذي كان يعيش كالحيوانات في القفار وعلى ضفات الانهار . ومنهم من زعم تأييداً لمذهب دروين انه الحلقة المفقودة بين القرد والانسان . ومنهم من رأى ان هذا الرجل تاه في احراش حملايا في صغره حينما كان فتى صغير السن ثم اعتاد المعيشة الطبيعية في تلك الاحراش فشب فيها مع الحيوانات فوقف نمو عقله وفقد النطق لعدم هيئة الاجتماع . ومنهم من رأى راما ساما رجلاً من قبائل المتوحشين . اما العلماء المحققون فانهم لا يقطعون في شيء من ذلك لعدم وجود ادلة صحيحة للنفي او للاثبات ولذلك لا يعلمون ماذا يقولون

وراما ساما لا يأكل الا النبات والاثمار . ويظهر من ضعفه وجبنه انه غير قادر على مصادمة الحيوانات التي كان يعيش معها في القفار بل انه كان يخلص منها بالاختباء او



الانسان الطبيعي الذي كان يعيش قبل الاجتماع سارحاً في الجبال والسهول والاحراش مع زوجته التي الى جانبه · وهذا الرسم شديد الشبه براما ساما ولعل الرسام تصوَّر راما ساما وزوجته سارحين في جبال حملايا كما تصور الكاتب ذلك في آخر هذه المقالة فرسمها كما ترى

القرار وليس ذلك من صفات الانسان الطبيعي الاول فان هذا الانسان كان جريئاً قوياً على كل شيء·

وقد وضعنا الآن رسم راما ساما في باب مشاهير المتقدمين والمتاخرين لانه قد كان في العام الماضي من اشهر الحيوانات الناطقة وغير الناطقة حتى اصبح رسمه في كل يد · وعندنا ان الذين يزعمون بان هذا الرجل لا يفهم ولا يُفهم غير مصيبين· فانهم اذا اطلقوا سراحه واعادوه الى الطبيعة العظيمة امه ووطنه حيث له في احراش حملايا ولا بدّ رفاق قلوا او كثروا فانه يعود غير راضٍ من تمدننا الذي يسبب العذاب له ولكثير من غيره · وحينئذ فربما رأيناه اذا تبعناه من بعيد يجلس مع رفيقته تحت احراش حملايا الواسعة وسط الطبيعة الساكنة الهادئة حيث كل شيء صحيح نقي لم تفسده يد الانسان · حيث الراحة والهناء وفراغ البال· ويخاطبها بلغة تفهمها خطاباً يشرح لها فيه ما قاساه في اسر برابرة العالم الثاني الذين اسروه

فما اصغرك واكبرك ايها الانسان

﴿ الهمذاني والخوارزمي ﴾ عتب كثيرون من الادباء الذين قرأوا ترجمة الهمذاني والخوارزمي في الجزء الماضي على ما كان من شدة وطأة الهمذاني على مناظره مما لا يليق ان يكون بين الادباء · وقد نبهنا بعضهم تخفيفاً لذنب الهمذاني الى كتاب كتبه لصديق بعث اليه يقول : سرّ وافرح فان مناظرك الخوارزمي مريض فاجاب الهمذاني بما نصه

« الحر اطال الله بقاءك لا سيا اذا عرف الدهر معرفتي ووصف احواله صفتي اذا نظر علم ان نعم الدهر ما دامت معدومة فهي اماني فان وجدت فهي عواري· وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تُصب فكأن قد · فكيف يشمتُ بالمحنة من لا يؤمنها في نفسه ولا يعدمها في جنسه· والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت · وما اقبح الشماتة بمن امن الاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة · والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار · فهل يشمت المرء بانياب آكله ام يسرُّ العاقل بسلاح قاتله · وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلاً فقد باطناه ودا جميلاً · والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد· فلا تتصور حالي الا بصورتها من التوجع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقاني سماع السوء فيه بحوله ولطفه

باب المقالات

قاعة باستور في المعرض

في التقاليد اليونانية ان هرقل البطل الخرافي اليوناني عمل في حياته اعمالاً اوجبت له الفضل على الانسانية · ذلك انه قصد اسداً عظيماً كان يفترس الناس في حرش نيميا فدنا منه بالرغم عن اللهيب الذي كان يخرج مع انفاسه وقبض على عنقه فاماته خنقاً وانقذ الناس من شره · وكان في مستنقعات لارنه تنين هائل ذو سبعة رؤوس اذا قُطع واحد منها نبت مكانه راس جديد اشد هولاً من القديم فتناول هرقل « نبوناً » عظيماً وسحقه به بضربة واحدة · ثم قتل بنباله الحادة الطيور المفترسة التي كانت في بحيرة ستنفاليا واهلك ثور كريت · ونهاية اعماله انه نزل الى الجحيم ليخرج منه الفاضلة السست جزاء لها على اخلاصها لرجلها · ولذلك سمي هرقل في التاريخ الخرافي القديم « محسناً الى الانسانية »

وكذلك يجب ان يسمى ذلك الرجل الخالد الذكر الذي يدعى باستور لما صنعه من الاعمال العظيمة المفيدة للانسانية · فانه كم قتل من اسود نارية الانفاس وكم سحق من تنانين وافنى من طيور مفترسة وثيران مهلكة · انما اسوده وتنانينه وثيرانه تُدعى الطاعون وداء الكلب والدفثيريا وما اشبه ذلك وتنانين هرقل تنانين خيالية

والذي اذكرنا الآن هذا الامر وساقنا اليه الاهمية التي كانت لاعمال باستور في معرض باريز · فقد خصصت لجنة المعرض بهذه الاعمال قاعة فسيحة وضعت فيها جميع اكتشافات هذا العالم وما تفرع منها وسمتها « قاعة باستور » فصارت حجاً لجميع العلماء من جميع امم العالم

واذا دخلت الى هذه القاعة وجدت تلك الاسود والتنانين والثيران مقيدة ضمن زجاجات صغيرة من كل جانب · فهنا الطاعون في زجاجة · وهناك الدفثيريا · وهنالك السل · وهنا الهواء الاصفر · ثم الجذام والكلب وذات الرئة والتتانوس والكزن بو : اسماء هائلة كانت ترتعد لها فرائص الانسانية لكثرة ما كانت تفتك فيها واليوم اصبحت بفضل اكتشافات باستور بمثابة الامراض العادية

وانما اصبحت كذلك لان باستور اكتشف سرها فاستطاع اخضاعها . وهذا السرّ لم يعد خافياً على احد في هذا الزمان وهو ان جميع هذه الافات التي مرّ ذكرها وغيرها مما لم يُذكر انما تنشأ عن ميكروبات لا تُرى بالعين المجردة تدخل الجسم الصحيح او تتولد فيه فيصاب بها صاحبها . وبعد وقوفه على هذا السرّ الذي نشر اسمه في الخافقين وضمن له خلود الاثر ما بقي الانسان انسانًا انصرف فكره الى اكتشاف سر ثانٍ اسمى من الاول كثيرًا وهو دواء هذه الميكروبات فوفقه الله من لطفه بالانسانية الى اكتشاف داء الكلب ووضعه اساس مداواة « الداء بالداء » وان كان مجنون ليلى وضعه في عالم النفس قبله

ذلك انه اخذ من السم الذي تفرزه ميكروبات الكلب بعد اكتشافها وحقن بشيء منه بعض الارانب حتى اعتادت عليه . وبسبب اعتيادها عليه ان جسمها صار يُفرز مادة لمقاومة ذلك السم الداخل اليه . وبعد ذلك استخرج دم الارنب المحقون بسم الميكروب المذكور ورشحه مما فيه من الفضول فكانت فيه تلك المادة المقاومة لفعل سم الميكروب. فحقن بها المصاب بداء الكلب فكان فعلها ذريعاً بميكروبه وشفت المصاب من دائه . وهكذا اكتشف باستور مبدأه العظيم

وقد عمم تلامذة باستور هذا المبدا بعده وغير بعيد ان يعم جميع الامراض الهائلة المعروفة . فان الدكتور رو اكتشف المصل الواقي من الدفثيريا فاصبح لا يموت بها من اطفال باريز سوى ٥٠٠ طفل في السنة بعد ان كان يموت منهم الفا طفل. وصنع الدكتور يرسين المصل الواقي من الطاعون وقد افاد هذا المصل فوائد لا تنكر في الطاعون الذي فشا اخيرًا في اوبورتو من اعمال البورتغال . وصنع « كالمت » مصل الترياق اي الدواء الشافي من سم الافعى فانهم يقدرون عدد الملسوعين في الهند وحدها ٢٠ الف نفس في السنة الواحدة وكلهم يشفون بفضل اكتشاف الدكتور كالمت . وصنع ما.مورك المصل الواقي من الستربتوكوك ومتى تمّ نفع هذا الدواء كان امره عظيماً في شفاء تسمم الدم وكثير من الحميات والامراض العامة

وكل هذه النعم العظيمة وغيرها مما سيتلوها نتيجة ذلك المبدا الذي اقره باستور . فكانه بعمله العظيم قد فتح في هذا العالم كوة مشرفة على عالم الاسرار والحقيقة المتجلببة بجلباب الخفاء . فيجدر بجميع الذين يزورون اليوم معرض باريز من اي جنس كانوا ان يزوروا قاعة باستور ويذكروا فيها بتمام الاحترام والخشوع ذلك الرجل العظيم الذي بعثته العناية الالهية الى الارض لتخفيف قليل من الشقاء الذي فيها

اختيار الزوجة

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

الى الذين يُقدمون على الزواج مغمضي العيون
والى الذين يخفون عيوبهم كثيراً فيصرفون الشبيبة يقدمون ثم يُحجمون الى ان يبلغوا الشيخوخة ولا يتزوجون
والى الذين لا يريدون بالزواج غير قرن المال بالمال والنسب بالنسب وعن مقارنة القلوب والاخلاق والافكار لا يسالون
اقدم هذه الرسالة وارغب اليهم ان يجربوا ما فيها وارجح انهم اذا تزوجوا بعدئذ فلا يندمون

١

امامنا في التمدن الحاضر ثلاثة سبل لقضاء لبانة الحب : الشراء . والسرقة . والزواج . ولكن الادب والدين لا يجيزان الا الطريقة الثالثة وهي الزواج اساس العائلة ورباطها الوحيد . اذن ان شئت ان تحب وتلبث شريف النفس ، رتاح البال مستريح الضمير فليس امامك غير الزواج

غير ان الزواج لا يؤدي بنا دائماً الى المناء بل هو مثل غيره من المبادىء الحسنة بذاتها قد يكون خيراً اذا استعمل فيه ما يجب وشراً اذا اسيء التصرف في استعماله . ولهذا نرى المتزوجين منهم من يجد الزواج نعمة ومنهم من يجده نقمة

من جهة ترى بسمارك يقول « ان زوجته هي التي ابلغته ما بلغ » . ولوثر يقول : « الفقر والمسكنة معها خير من جميع كنوز كسرى بدونها » . وولتر سكوت القصصي الانكليزي يعزو معظم نجاحه الى زوجته . ولو جرت العادة عند المشارقة ان ينوهوا بفضل زوجاتهم لامكن ان ننقل عن مشاهيرهم ايضاً مثل هذه الاقوال

ومن جهة اخرى ترى الاميرال دي كاستيل يقول : ان الذي يتخذ له زوجة والذي يمضي الى الحرب سواء في التعرض للخطر . وموليار الفرنسوي يقول بلسان حاله : « ان احببتَ ان تموت غيرة وقهراً فتزوج » وفي بعض الامثال القديمة . « اذا اردت السفر فصلِّ مرة وان اردت ركوب البحر فصل مرتين وان اردت الزواج فصلِّ ثلاث مرات » والسير جون مور الانكليزي يقول « ان الذي يريد ان ينتقي له زوجة من النساء اشبه بمن يمد يده الى جراب مملوء من الحيات بينها سلور (انكليس) واحد فمن مائة رجل يمدون ايديهم الى ذلك الجراب تسعة وتسعون تقع ايديهم على حية وواحد فقط يصيب السلور » وكثيرون

من المتزوجين حولنا يقولون مثل هذه الاقوال او اقبح منها

على انه لو انصف هؤلاء الناقمون على الزواج والزوجات لما لاموا غير انفسهم اذ ان اكثرهم في الغالب هم الذين يفسدون بسوء تصرفهم هذه الشركة اللطيفة المسماة زواجاً وذلك باختيارهم شريكة لا يصلحون لها ولا تصلح لهم

فلهذا ما اخالني مخطئاً ان قلت لكل شاب يريد الحب : تزوج فلا خوف عليك ولا انت تندم · ولكن تعلم قبل الزواج كيف ينبغي ان تختار شريكة حياتك واليك الطريقة التي يحسن بك اتباعها في الفصل التالي

٢

من رأي افلاطون او من تصوراته في الزواج ان الرجال والنساء بمثابة انصاف كرات وكل رجل وامرأة ينفصلان في الاصل عن كرة واحدة فاذا اتفق التقاء تلك الانصاف بانصافها الحقيقية التي تُكملها كان الزواج سعيداً والا فلا · وعلى هذا الحساب يكون لكل رجل امرأة واحدة تصلح له زوجة في هذا العالم ولكل امرأة رجل واحد يصلح لها ليس الا

ولا يُنكر ما في هذا القول من التصور · الا انه لا يسعنا القول مع ذلك بان كل امرأة من فضليات النساء تصلح لكل رجل ولا كل رجل من خيرة الرجال يصلح لكل امرأة · فرب فتاة رائعة الادب حسنة الخصال قد تكون مثال الزوجات الصالحات لا تصلح لزيد وتصلح لعمرو وذلك للتفاوت بينهما

فاذا تبين لك هذا كان عليك عند اختيار شريكة حياتك ان لا ترتضي بما يقوله الكثيرون « هي جميلة · غنية · عاقلة · مهذبة فهي تصلح ان تكون لي زوجة » بل عليك ان تنظر الى الفتاة من حيث نسبتها اليك اكثر مما الى صفاتها الذاتية · والنسب بينكما قد تكون طبيعية · وهي الاميال القلبية والاخلاق والمدارك العقلية والاعمار فضلاً عن الصحة · وقد تكون اكتسابية وهي الثروة والطبقة الاجتماعية · ولما كان الوفاق بين الزوجين متوقف على توافقهما من حيث هذه النسب كان عليك اذاً عند الاختيار ان تسأل

هل بينك وبين الفتاة تبادل في الاميال القلبية وباللغة الفصحى هل تحبها وتحبك

هل بينكما ائتلاف في الاخلاق

هل بينكما نسبة في المدارك العقلية والاعمار

هل بينكما تناسب في الثروة والطبقة الاجتماعية

وسافرد في ما يلي فصلاً لكل من هذه الفروع . الا اني ارى ان انبهك اولاً انك باطلاً تجهد نفسك ان التمست توافقاً كاملاً من حيث جميع هذه النسب فان الكمال ليس من هذا العالم فلا ينبغي اذاً ان يكون شانك شان ذلك الشاب الاميركي الذي نشر في بعض الصحف الاميركية الاعلان الآتي

« شاب من اسرة نبيلة يطلب الاقتران بفتاة سنها بين الثامنة عشرة والثانية والعشرين »
« طولها ه اقدام واربعة انشات بقطع النظر عن ارتفاع حذاءها . دوطتها لا تقل عن ه »
« آلاف جنيه . صحيحة جميع اعضاء الجسم . لا كثيرة السمن ولا مفرطة في النحافة . »
« لا تفرط في التبرج ولا تهمل النظافة . لا كثيرة الكلام ولا ضعيفة الحجة عند الحاجة »
« لا عبوسة ولا كثيرة القهقهة . كتومة للاسرار . مقتصدة في النفقات . تفضل الاهتمام »
« بشؤون بيتها وصحبة رجلها على لعب البوكر وانتياب المراسح والزيارات . فعلى الفتاة »
« الراغبة في الزواج المجتمعة فيها هذه الصفات ان تتكرم بالجواب على العنوان التالي » ثم يليه العنوان

ولست اعلم شيئاً عما ورد لصاحب هذا الاعلان من الجوابات الا ان اعتقادي بذكاء الاميركيات يحملني على الظن ان لا بدّ وان تكون احداهن ارسلت اليه هذا الجواب : « هل انت كامل يا هذا لتطلب هذا الكمال »

وهذا الجواب نفسه يحسن بان يوجه لكل شاب يتردد عن الزواج لانه لا يجد زوجة كاملة

على انه اذا تعذر وجود الكمال اي الاتفاق التام من حيث جميع النسب وجب ان تقدم الاهم منها على المهم فتطلب اولاً التوافق من حيث النسب الطبيعية وهي الاميال والاخلاق والمدارك والاعمار ثم تسأل بعدئذٍ عن مال الفتاة وجاهها وجمالها اذ لا ينبغي ان يذهب عنك ان الهناء والوفاق لا يتوقفان بالاكثر على مال او جاه او جمال بل على تحاب القلوب وائتلاف الاخلاق والافكار . فان كوخاً صغيراً يسود فيه الحب والائتلاف قد يجد فيه ساكنوه من الهناء والوفاق ما لا تجده القلوب المتخالفة والاخلاق المتناقضة وان كانت تسكن اعظم القصور

هذه هي الطريقة الفضلى التي يجدر بكل من يروم الهناء الحقيقي بعد الزواج ان يتبعها . ولكن في زماننا هذا اين الشبان الذين يقصدون في الزواج الهناء الحقيقي الناشيء عن

امتزاج القلوب والاخلاق والافكار · دوطة كبيرة · عائلة وجيهة · جمال فتان · هذا كل ما يسألون عنه · اعطيني مالك وسواء عندي اعطيتني قلبك اولم تعطنيه · الفقير يريد زوجته من الاواسط والوسط يطمع الى الغنيات والغني الى صاحبات الملايين بصرف النظر عن الاخلاق والصفات · فهل تعجبون بعد هذا اذا ندم المتزوجون

الذهب في بنك فرنسا

بحث مالي فكاهي

بلغت قيمة المخزون من الذهب في بنك فرنسا في الشهر الماضي ٢٢٥٥ مليون فرنك اي مليارين و٢٥٥ مليوناً · وهو مبلغ هائل واعظم مخزون من الذهب في العالم كله · واذا اردت جمع مبلغ يساوي هذا المبلغ من اوربا وجب عليك ان تجمع المخزون في بنوك المانيا وانكلترا وتضيف اليه المخزون في بنوك اسبانيا وهولانده وايطاليا ومع ذلك يبقى في مجموع مخزون الذهب في هذه البنوك نقص عن مخزونه في بنك فرنسا وحده ٤ او ٥ ملايين فرنك · واما روسيا فمخزون بنكها الامبراطوري اقرب مخزون الى مخزون البنك الفرنسوي لانه يبلغ الآن نحو ٢٠٧٣ مليون فرنك اي بنقص ١٨٢ مليوناً فقط · وعليه فيكون لدى روسيا وفرنسا وحدها من الذهب اكثر من ٤٣٢٨ مليوناً · وبما انهم يقدرون مخزون الذهب في جميع بنوك اوربا بنحو ٨٣٨٠ مليوناً فيكون لدى روسيا وفرنسا اكثر من نصف هذا المخزون وحدهما

ولا يخلو من فكاهة ان ننظر في قيمة الذهب المخزون في بنك فرنسا من حيث عددها فقد احصى الاحصائيون ان هذا المبلغ لو لم يكن اكثره سبائك وركائز لما وُجد قصر يسعه · فانه لو كان كله ليرات فرنسوية (بنتو) لكان عدده ١١٢٧٥٠٠٠٠ ليرة · فاذا افترض امكان نصبه عمودياً كل ليرة فوق اختها بطحاً بقطع النظر عن الموازنة لبلغ طول هذا العمود الذهبي ١٤٦٥٧٥ متراً اي كان ثلاثين مرة اعلى من الجبل الابيض الذي هو اعلى جبل في اوربا و١٦ مرة اعلى من جبل كوريزانكار الذي هو اعلى جبل من جبال حملايا بل من جميع الجبال في العالم · واذا وضع هذا العمود الذهبي الغريب بجانب برج ايفل كان اعلى من هذا البرج بخمسمائة مرة

ولو اراد امين صندوق البنك المسكين ان يعدّ هذا المبلغ وكان يعدّ في كل ثانية ليرتين و يشتغل عشر ساعات في اليوم لاقتضى عدّ هذا المبلغ ٤ سنوات و٣ اشهر و١٦ يوماً . واما اذا غلط في الحساب فالويل له فانه يصرف كل عمره في مراجعة حسابه

واذا كانت ابنية البنك غير كافية لمد هذا المبلغ واراد امين الصندوق ان ينقله اولاً الى الخلاء لمده احتاج الى قطارات لنقله لان وزنه يساوي وزن شحن ١٢ قطاراً يكون شحن كل منها ثلاثين الف كيلوغرام

وقد يخطر له ان يبسط هذا المبلغ بسطاً على الارض ليتمكن من عده ويضع كل ليرة بازاء اختها في سهل واسع فسيح . فحينئذ يحتاج الى سهل مساحته ٢٢٧٠ كيلو متراً و٧٥٠ متراً لكي يسع المبلغ مبسوطاً بسطاً . واذا اراد افتقاده بعد بسطه وصفه وجب عليه ان يركب مركبة تسير في الساعة ٦٠ كيلو متراً و ينطلق عليها مدة ٣٨ ساعة متوالية حتى يتسنى له اجتيازه فقط من اوله الى اخره . ولا نقل ان هذا الاحصاء امر غريب فانه مقدر على موجب مساحة الليرة الواحدة وثخانتها

ولا يذكر بنك فرنسا ان الذهب فيه قد بلغ هذا المبلغ في سنة من السنين الماضية . فقد كان اكبر مبلغ دخل اليه ٢١٥٠ مليون فرنك وذلك في سنة ١٨٩٥ حتى كانت هذه السنة فزادت عليها . وقد كان في البنك في ١٤ افريل الماضي وهو يوم افتتاح المعرض قيمة ١٩٤٢ مليوناً فقط فتكون الزيادة في هذه الاثناء ٣١٣ مليوناً وهي زيادة مهمة قد يمكن ان يكون المعرض سبباً لها ولكن لا ريب ان الثقة المالية بفرنسا في هذه السنوات واقبال تجار العالم على تفضيل هذا البنك هو السبب الاصلي في هذه الحالة

وفي بنك فرنسا غير ما ذكر من الذهب ١١٣٤ مليون فرنك من الفضة فيكون المجموع ٣٣٨٩ مليوناً تُستعمل حين الحاجة لتغطية اوراق البنك التي يتعامل بها الناس

ولكن اذا نظرتَ الى قيمة هذه الاوراق وجدتها تزيد عن المخزون في البنك زيادة عظيمة . فان قيمتها قد بلغت لغاية ١٦ الجاري ٣٩٤٦ مليوناً فتكون الزيادة فيها ٥٥٧ مليوناً . فما العمل اذا هجم حاملو هذه الاوراق على البنك يطلبون منه دفع قيمتها . ألا يتضايق البنك من ذلك

كلا . وذلك لسببين . السبب الاول ان قبول الاوراق المالية امر الزاميّ في فرنسا والسبب الثاني ان للبنك ديوناً لدى الحكومة قيمتها ١٨٠ مليوناً وقد اقرض عملاءه في باريز في هذا الشهر ٢٢٤ مليوناً واقرض عملاءه في الولايات ٢٦٨ مليوناً فمجموع هذه الديون

التي له ٦٧٢ مليوناً ٠ ولما كان نقص قيمة الاوراق التي عليه عن قيمة المخزون عنده ٥٥٧ مليوناً فقط كما ذكرنا فتكون الزيادة له بعد دفعه جميع ما عليه ١١٥ مليوناً

فما اسهل هذه الملايين في الكلام واصعبها في التحصيل ولا سيما من الطرق الشريفة وفيدها اذا كانت مصروفة في وجهها النافع المفيد:

رواية الخداع والحب

انتقاد

لحضرة الكاتب البارع زاكي افندي مابرو

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

ان استحسنتم وما العهد بكم الا ممن يستحسنون خدمة الادب والادباء افسحوا لي مجالاً في مجلتكم لكلمة اقولها في

رواية « الخداع والحب »

فهي مأساة لشيلر الالماني نقلها الى الفرنسوية اسكندر دوماس ومنها نقلت الى العربية بقلم حضرات البارعين الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي نسيم طراد دون ان يُشيرا الى نقلها عن الفرنسوية ومُثلت في القنصلية الروسية في بيروت ثلاث ليالٍ ٠ وهذه الرواية حدثت حوادثها في احدى الامارات الالمانية يوم كان كل امير مستقلاً في امارته يسوس رعيته كما يشاء ويريد الهوى ٠ وكان امير تلك الامارة مولعاً يحب حليلة له تُدعى لادي ميلفور وكانت السياسة في تلك الاثناء تضطره توطيداً لعرشه وتثبيتاً لاركان دولته الى الاقتران باميرة المانية فوقع الامير من جراء ذلك في حيرة وارتباك ٠ وكان له وزير داهية طماع توصل بطريق الجريمة الى ارفع مقام فلما رأى حالة الامير قال في نفسه ان دبرتُ لهذه المعضلة حلاً ينطبق على اميال الامير ملكت زمامه ودانت لي الامارة ٠ وعلى هذا وطد العزم ونوى ان يزوج ابنه فرنند بخليلة الامير حتى يظهر للملاء ان حبهن قد انفصمت عراه وهكذا يذر الرماد في العيون وينقضي الامر على ما تروم السياسة ويشتهي الغرام ٠ ولكن فرنند لم يكن يشابه اباه بخلاله فابى الانقياد اليه لا سيما وانه كان يحب لويز ابنة الموسيقي ميلار ٠ فعمد الوزير الى الحيلة ودبر مع الكاتب ورم الخبيث شريكه في الجرائم مكيدة شيطانية وذلك انهما القيا القبض على ميلار وسجناه

وقالا للويز ان لا خلاص لابيها الا اذا كتبت رسالة غرامية باسم المارشال وحلفت انها لا تبوح بذلك ففعلت ووقعت الرسالة بيد فرنند فطار صوابه وسار الى لويز عندما متعمداً قتلها ولكنه دس السم في الشراب وشربه امامها فلما علمت بذلك تجرعت البقية و باحت له بالسر فندم ولات ساعة مندم · وحينئذ دخل عليها الوزير ورم والشرطة فاسرع فرنند الى ورم وطعنه بخنجره منتقماً ووقع ميتاً بالقرب من لويز التي كانت قد سبقته الى الابدية · اما ورم فلما رأى نفسه مائتاً اقر بجنايته الماضية التي ارتكبها بالاشتراك مع الوزير الذي اعترف بها ايضاً وسلم نفسه للشرطة

فهي رواية جديرة بالتفات اهل الادب وتعريبها حسن جيد خال من الركاكة والتعقيد وابياتها رقيقة و بالاجمال انها حسناء ولهذا لم تعدم ذاما

كنت قد طالعت هذه الرواية بالفرنسوية فعلقت في ذهني فصولها ومواقفها التي تستأثر بالقلب وترسخ في النفس الى ما شاء الله · فلما اطلعت على الترجمة العربيـة وجدت فيها تصرفاً شوّه محاسنها الاصلية فلم يسعني الاغضاء عن ذلك لئلا (يطلع كتبتنا الذين لم يسعدهم الحظ او الوقت بمطالعة الكتب الافرنجيـة على ما ليس للكاتب الغربي حقيقة فيضعوه في غير مكانه) ولهذا اسأل حضرات المعربين ان يسمحا لي بان اقول كلمة في روايتهما

فلقد رايت انهما ابدلا بعض العبارات بعبارات لها لا تجمع بينها جامعـة على الاطلاق · وحذفا مشاهد ومواقف لا داع الى حذفها

جعلا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ورم هو الذي نصب الفخ وبسبب هذا الابدال ظهر المشهد الثالث مبتوراً وكان خروج الممثل من المرسح بتكلف لا كما جاء في الاصل · وهكذا بُتر المشهد الرابع في الصفحة التاسعة فليراجع

وابدلا كتاب ميلادي الى الامير بكتاب آخر لولا ضيق المقـام اوردتها اظهاراً للفرق بيد انني لا استطيع الا ان اورد هنا ما جاء في الصفحة ٧٢ من الرواية حيث فرنند يقول

« انت ايها الابله · كيف انت · وما هي اغراضك لتحافظ على خزائن سيدك وتكون هدفاً لسهام هزئه ورقاعته · لعمري ليس ذلك بابهج من ان اقتادك معي كحيوان عجيب تستلفت الانظار وسترقص هناك كابرع القرود واحذق السعادين على نغمات عواء

المالكين وتبدي امامهم من الالعاب آيات التفنن والغرابة مما يدهش له جماعة الجحيم ويطيب له قلب المذنبين الى الابد ....» (الى اخر تلك الصفحة مما عن للمعربين تاليفه على هذا النمط)

اما الاصل حسبما جاء في النسخة الترنسوية فهاك تعريبه وهو قول فرتند يخاطب المرشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه :

« بل انا اعلم لماذا انت تتمسك باهداب الحياة . ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة الهينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ... ولعل العناية الالهية بذلك قصداً خفي عنا وراء حجب الاستقبال » وفي ختام هذا الكلام « اجل لا بد لميزان هذا الكون ان تتوازن كفتاه . فلا بد اذاً من وجود الافاعي والمدلسين المنافقين بازاء القوم الكرام اصحاب النفوس الابية . فليحذر الملق المنافق ان يزحف الى حي وليحذر الافعوان ان ينفث سمه على ازهاري والا فاني اسحق الملق والافعوان تحت اقدامي »

فاين هذا القول من ذاك . ولماذا مسخناه بذلك الابدال الغريب . بل الاعرب انهما ابدلا جملة باخرى فتغير موقف الممثل من حال الى حال وهذا مما لا يسمح به المؤلفون الناقلين عنهم . انظر صفحة ٨٤ اذ كان فرتند يتلظى بنار الغيرة وقد اودت خيانة لويز بحبه وآماله كيف جعلاه يقول لما رآها متأثرة صفراء ولا اصفرار الموت (اجل هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله) وكان المؤلف رحمه الله قد انطقه بما معناه : آه يا شقية لم يعد يسعك الانكار بعد الآن

ويوجد على « الابدال » امثلة كثيرة غير هذه اضرب عنها صفحاً خوف التطويل وملل القراء . اما الحذف فكثير ايضاً ولكني لا اشير هنا الا الى الحذف الذي غابت معه مقاصد المؤلف

فقد حذفا مشهداً يظهر فيه خادم الامير وهو يهدي الى ميلادي من قبل سيدها عقداً من الجوهر الغالي فيدور الحديث على ان هذا العقد الفريد قد دُفع ثمنه من مال الايتام والارامل والفقراء ويندد بالحكومة التي تبيع شعبها بيع الاغنام سداً لمطامع الامير فترق ميلادي لهذه الحالة وترسل خادمتها تبيع العقد وتوزع ثمنه على البائسين . وحذفا كل حديث الرئيس ورم في بداية الفصل الثالث مع ان فيه افتضاح سر (توصل الرئيس الى الرئاسة) كما كان وعيد فرتند الى ابيه في ختام الفصل الثاني . ولعل لحضرتيهما عذراً في جعل مقدمة الفصل الرابع خاتمته مع انني لم اجد مسوغاً لهذا القلب . اما الختام ففيه الغلطة الكبرى فانهما استبدا فيه واياً استبداد وتصرفا فيه واياً تصرف سامحهما الله . وانني على

يقين انه لو نُشر شيلر من قبره وعلم بما فعلاه لآخذهما اشد مؤاخذة بذلك فقد جعلا فرتند يلعن اباه ويدعو عليه ويشتمه بما لم يلمح اليه المؤلف اقل تلميح ولا يمكن ان يجيزه الادب مهما كان الابجانياً. فما اللطف الختام في الاصل وما اثقله في التعريب

هذا واني بعد كل ما تقدم من اظهار البون بين الاصل والترجمة اقول انني لم اتجشم عناء هذه التخلية والمقابلة لاثبت وجود الحذف والابدال فان ذلك امر مألوف في الترجمة الى اللغة العربية لان المترجمين يراعون دائماً اذواق الناس الذين يترجمون لهم فضلاً عن المكان والزمان فيختصرون كل ما لا يرون فيه فائدة للقراء ولو انه كان مفيداً في زمانه ومكانه . لكن اذا جاز الحذف او الابدال بناء على هذا الامر فانه يجوز على شرط واحد وهو الحذر الشديد من ان يشوه محاسن الاصل ويخرجه عن غرض المؤلف . لانه من المعلوم ان اكابر الكتاب نظير شيلر وديماس وشكسبير وغيرهم من مؤلفي الروايات لا يقصدون بالرواية التي يؤلفونها سرد الحوادث الفكاهيه وسوق الاخبار فقط وانما الرواية عندهم سلسلة مبادىء وآراء مسبوكة في قالب الاخبار بل هي درس بسيكولوجي لنفوس الاشخاص التي يتكلمون عنها يظهرون فيها نظام احتكاك العواطف والاهواء وسيرها ونتيجة احتكاكها . فكل حركة غضب وكل حركة بغض او حب او نفور او ميل هي حلقة لسلسلة سابقة ولاحقة ونتيجة للمقدمات التي قبلها . فكيف يجوز اذاً حذف هذه الحلقات او استبدالها بحلقات اخرى تختلف عنها . الا يكون في ذلك تشويه محاسن الاصل وعدم عمل المؤلف . بل الا يكون المعرب الذي يتناول قلمه ويشطب على ما شاء من حوادث الرواية حذفاً او ابدالاً من غير روية ولا هداية بمثابة ولد دخل الى حقل مزروع فصار يدوس بقدميه كل ما في طريقه

من هذا الوجه فقط انتقد رواية الفاضلين المعربين واتمنى لو انهما كانا اشد حرصاً وانتباهاً لمسألة الحذف والابدال التي هي عندي اهم المسائل في التعريب . اما الانتقاد من حيث اللغة فهو امر صغير لا يستحق في رأيي اهتماماً كبيراً لاني اعتقد ان اللغة وجدت للتعبير عن الافكار وايصال المعنى من ذهن المتكلم والكاتب الى ذهن المخاطب والقارىء لا للتقعر فيها وقطع الوقت والعمر في ما لا فائدة منه ولذلك فانني لا اقول فيها شيئاً. على انني اشكرهما كيفما كانت الحال على هذه التحفة الادبية واقدر فضلهما حق قدره ولا انكر عليهما مشقة التعريب فانني ممن عاناها وارجو ان يحملا انتقادي على محمل الاخلاص والله اسأل ان يوفقنا جميعاً الى سواء السبيل

الهيئة الاجتماعية في الاستانة

منذ ٩٣١ سنة اي في ايام ملوك الروم

مقالة بقلم حضرة العالم المسيو غوستاف شلومبرجر من اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي واكبر العلماء بتاريخ القرن العاشر للميلاد وقد ضمنها معيشة حسناء يونانية عظيمة في يوم واحد لوصف الهيئة الاجتماعية في الاستانة وصفاً تاريخياً بديعاً تُعرف منه اخلاقها وعاداتها في ذلك الزمان

طلعت الشمس على البوسفور في صباح يوم من ايام صيف سنة ٩٦٩ مسيحية تنثر التبر من اشعتها الذهبية على الحي الجميل الذي كان يدعى « كريزو بوليس » اي المدينة الذهبية والذي نسميه اليوم « اسكي دار » اي الدار القديمة لقدم عهده . وتجاهه بيزانس (الاستانة) الجميلة عاصمة الامبراطورية المسيحية الشرقيـة ترفع قبابها وقصورها الى السماء وتحف بها الجنائن المرصعة بالازهار الفيحاء (١

كان في ذلك اليوم من تلك السنة في احد قصور اسكي دار فتاة مستغرقة في نوم هادىء لطيف وماء الجمال يترقرق على وجهها واسمها ماري وهي ابنة الجنرال العظيم ميخائيل بورتزيس الذي تغلب في تلك السنة على عرب حلب واخذ من ايديهم مدينة انطاكية التي هي حصن الجنوب الكبير (٢ . وقد فرحت الامبراطورية كلها بذلك في هذا العام وكافأ الامبراطور عائلة هذا القائد بالجوائز السنية وعين ابنته ماري المذكورة آنفاً « امرأة ذات نطاق ذهبي » اي من نساء شرف الامبراطورة . ذلك لان ماري كانت قد ذهبت الى الحرب مع ابيها وشهدت المعارك التي انتصر فيها . وهي الآن قادمة من ذلك السفر البعيد الى وطنها وستزور الامبراطور والامبراطورة للاحتفال بجعلها امرأة من نساء شرفها

وكانت الامبراطورة تُدعى تيوفانا وهي ارملة الامبراطور رومانوس الثاني . وبعد وفاة هذا الامبراطور احبت الامبراطورة الجنرال نيسيفوروس فوكاس الذي كانوا يلقبونه « مطرقة العرب» لانه كان شديد البطش وجعلته امبراطوراً (٣ . ولكن هذا الزواج ما لبث

---

١) طلوع الشمس في الاستانة ٢) اخذ الروم انطاكية من العرب

٣) كل ما يرد ذكره في هذه المقالة من الحوادث والاخلاق والعادات والاسماء امور تاريخية حقيقية لا خيالية

ان تمكرت كاسه اذ احبت الامبراطورة من جديد الضابط حنا تزيمسيس احد قواد القصر وابغضت الامبراطور زوجها ولذلك اخذت تفكر في الطرق التي تتخلص بها منه فشاع في كل الاستانة اشاعات غريبة عن عزمها على الفتك به · ومنهم من كان يقول ان حلّ هذه المسألة اصبح قريباً جدّاً (١

وكانت ماري تعبة من سفرها الطويل ولذلك كانت مستغرقة في النوم ولكن خادمتين عندها فينيقيتين ما لبثتا ان نادتاها تنبيهاً لها · فافاقت وفتحت عينيها الذابلتين الممتلئتين جمالاً ورواء · ثم نهضت من الفراش واول عمل عملته انها سارت الى صورة العذراء الكبيرة الموضوعة في غرفتها واخذت تصلي امامها بخضوع وخشوع (٢

ثم عمدت الى ملابسها بعد الاستحمام على عجل لان الوقت قصير وعليها من الاعمال في ذلك اليوم شيء كثير · فلبست فوق قميصها الحريرية الثمينة حلة دقيقة ناعمة تغطي جسمها كله ثم حلة اخرى مثلها ولكن اكامها اقصر من اكام الاولى وصبغت بعد ذلك شعرها باللون الاصهب وشبكته بالشبكة الاعتيادية (٣

ثم جيء لها بابنها وهو وحيدها تحمله مرضعته التي هي من النساء المسترقات فنظرت اليه ماري نظرة لانها كانت مسرعة (٤ ثم سارت في زورقها لدخول المدينة العظمى الى قصرها الكبير فيها حيث تنتظرها صديقاتها · فركبت زورقاً مع زوجها الذي كان قد لحق بها واثنين من الحرس السكنديناف « النروجيين » الذين كل واحد منهم طويل القامة كالنخلة السحوق وفي يد كل منهما فأس ذات حدين · ثم سار الزورق بين شاطئي اوربا واسيا في وسط السفن المديدة التي كانت تتكسر على سطوحها اشعة شمس بيزانس الجميلة (٥

ولما وصلت الى مرمى بيزانس وجدت هناك هودجاً وخيلاً · اما الهودج فلها واما الخيل فللرجال فركبت هودجها يحمله ارقاء من السيثيين يركضون به في الشوارع وسط الشعب المزدحم وامام الهودج حارسان مسلحان بعصا طويلة محددة يفرقون الناس بها بخشونة دون رفق لمرور السيدة · وما زالت سائرة على هذا المنوال حتى وصلت الى قصر زوجها العظيم « ارجير » القائم في احسن شوارع بيزانس قريباً من هيكل الرسل حيث يرقد جميع امبراطرة

---

١) اداب البلاط الامبراطوري ٢) التقوى ٣) الملابس الاعتيادية ٤) يستدل من هذا على اهمال شؤون العائلة في ذلك الزمان
٥) يظهر من هذا ان لماري قصرين واحداً في اسكي دار وواحداً في بيزانس

الشرق تقريباً في توايتهم رقاداً ابدياً . وكان الوقت صباحاً ومع ذلك فقد حضر كثيرون من الناس للتسليم على ماري لان غيابها عن وطنها طال نحو سنة . ولذلك كنت ترى الخدم يهرعون الى تقبيل ركبتيها والرهبان يسعون لطلب صدقتها وكثيرات من صديقاتها ينتظرنها (١ ليرين ماذا جرى لها في سفرها الى تلك البلاد بلاد العرب القاصية البعيدة

وكانت عائلة ماري وهي عائلة « ارجير » من اشراف القسطنطينية ولذلك بادرت اعظم السيدات شأناً لاستقبالها . فكان قصر ارجير في ذلك اليوم ملتقى جميع جميلات القسطنطينية وشريفاتها . فلما لقينها احطن بها من كل جانب احاطة الهالة بالقمر ثم انهن اخذن يجررنها الى مكان بعيد عن الانظار ليسمعن حديثها بينما كان الرجال قد اخذوا بالانصراف . فاخذنها الى بركة ماء جميلة في حديقة القصر محاطة بالازهار من كل جانب وجلسن على مقاعد هناك لتقص عليهن ماري ما راته في البلاد البعيدة

فدار حديث طويل بين هؤلاء النساء على خرير ماء تلك البركة وكان الضحك شديداً بينهن . فقصت عليهن ماري كيف كان يستقبلهم الاساقفة والرهبان في البلاد التي كانوا ينزلون فيها وكيف كانوا يسيرون في الاراضي القفراء سيراً شاقاً متعباً وجلبة الجيش وضجة الخيل ووصول الاسرى على اصوات الطبول المضروبة والانسجة السورية الجميلة التي شاهدتها والآنية النحاسية الدمشقية وانواع الطيب التي ترد من بلاد العرب ونوعاً من النسيج الجميل لا مثيل له يُصنع في معامل بغداد اهداه اليها امير حلب وكفنها الذي اختارته من تلك الانسجة لتنزل فيه في قبرها متى جاء اجلها

ولكن كل ذلك لم يكن شيئاً مذكوراً . فمدت يدها واخرجت عظمة صغيرة وقالت . هذا اثمن ما جئت به . فشخصت الابصار الى هذه العظمة بدهشة واستغراب . فقالت ماري ان اغابيوس حبر انطاكية هو الذي اعطاني هذه العظمة المقدسة وهي من عظام قديس عظيم . فامتدت اليها حينئذٍ جميع الايدي وصارت كل واحدة منها تتناولها وتقبلها باحترام عظيم وهي ترسم الصليب على صدرها مراراً تكراراً وتدعو بحلول بركتها عليها

ولكن ماري ما لبثت ان ضجرت من الكلام واخذت تسال رفيقاتها ما عندهن من الاخبار الجديدة (٢ . ماذا عملت الامبراطورة تيوفانا . (وقد قالت ذلك بصوت منخفض جداً) الا تزال تحب القائد تزيميسس وتظهر السخط والغضب للامبراطور زوجها . هل

---

١) استقبال الذين كانوا غائبين

٢) بماذا كان النساء يتحادثن في مجالسهن الخصوصية

جرت احتفالات جديدة · هل بنيت ديور جديدة · اي قائد فقئوا عينيه خوفاً منه · اي موظف نُفي الى ديور الجزائر · هل دخلت بعض بنات الاشراف الى الدير من جديد · هل وردت بضائع جديدة من البندقية وجنوى · الا يزال الناس يتقاطرون لمشاهدة الناسك الذي يعيش عاري الجسم على عمود أتراب (١

فكانت رفيقاتها تجيبها على كل سوءال فينبئنها باخبار الباعة الذين جاءوا من الغرب حديثاً والرجل الذي جاء من القاهرة ومعه جلود ثعابين اذا نُقعت بالخمر ردت القوة الى كل من كان غير ذي قوة والطبيب الذي اكتشف دواء يحسن الوجه و يرد الجمال ودواء ثانياً يشفي من مرض المعدة

ثم ان ماري بعد هذا الحديث الطويل ودعت رفيقاتها ورفضت مقابلة التجار والباعة الذين عرفوا بعودتها فاجتمعوا امام قصرها وذلك لانها تقصد زيارة القصر الامبراطوري على عجل للاحتفال بجعلها من نساء شرف الامبراطورة

فخلعت اولاً ملابس الصباح ودلكت نساؤها جسمها بالطيوب ثم رتبن شعرها والبسنها فوق ملابسها الخفيفة اللطيفة حلة الاستقبال الرسمية (٢ وهي منسوجة من الحرير والذهب معاً تغطي جسمها من عنقها حتى قدميها وعليها نقوش مختلفة في غاية الجمال والاتقان · ثم جمعت شعرها بتاج حريري وضمته نساؤها على جبهتها وشددن خصرها الرقيق بالمنطقة الذهبية التي تدلُّ على وظيفتها ولذلك سُميت « المراة ذات المنطقة الذهبية » كناية عن كونها من اكبر نساء الامبراطورة كما تقدم · ثم زينت ماري جيدها بعقد نفيس وقصدت هودجها فركبت فيه يحملها الرجال الى « السراي المقدسة »

وكان البلاط الملوكي « المحروس من الله » قد انتقل الى هذه السراي قادماً من قصر « بوكو ليون » الحصين حيث كان الامبراطور يختبئ حرصاً على حياته (٣ وانما انتقل هذا الانتقال ليقابل امراء الاجانب واكابرهم الذين طلبوا مقابلته فضلاً عن استقبال ثلاث نساء رفيعات المقام جُعلن من نساء الملكة · الاولى ماري · والثانية ارملة امير بلغاري قُتل زوجها في حرب الروم واسرت · والثالثة ابنة ملك جيورجيا ارسلت من اقاصي جبال القوقاز بمثابة رهينة في يد الامبراطور

وقبل وصول ماري الى السراي مرَّ هودجها بكنيسة صوفيا الكبرى وكان في ساحتها

---

١) ذكر اخلاق وعادات عديدة ٢) الملابس الرسمية التي يُستقبل بها الملوك ٣) خوف الامبراطور على حياته

كثيرون من الجنود والموظفين والكهنة والشعب فعرفوا جميعهم من الشعار الذي على الموذج انه هودج عائلة « ارجيرو » الشهيرة فسلموا على صاحبة الهودج دون ان يروها . ولما وصلت ماري الى السراي التقت برفيقتيها اللتين ستدخل معها لمقابلة الامبراطور والامبراطورة (١ ولكن ما لبثن هنيهة حتى جاءهن عدة من العبيد يلبسون ثياباً بيضاء وادخلوهن مسرعين لان الامبراطورين يكرهان الانتظار ويحبان الاسراع في المقابلات فدخلن وسط صفوف من الموظفين والحرس السكنديناف الواقفين بجمود وقفة الاصنام حتى وصلن الى الباب الكبير الذي يؤدي الى قاعة « كريزوتريكلينيون » حيث كان الامبراطور والامبراطورة جالسين على عرشين عظيمين تحت تاج عظيم فوق رأسيهما وكلاهما موشحان ببرفير واحد يبهر النظر مرآه . وكانت الامبراطورة تيوفانا جامدة منقبضة ووجنتاها يكسوها نوع من البودرة وعليها الجواهر فكانها معبودة من المعبودات الشرقية القديمة . فلما دخلت النساء الثلاث وماري بينهن جثين عند الباب ولا يخفى ما في ذلك من المشقة لصعوبة انطواء ملابسهن الذهبية . ثم دنا اثنان من العبيد « الذين هم بمثابة التشريفاتجي » من كل واحدة منهن فانهضاها ثم ادنياها بخضوع وخشوع من الامبراطورين . فدنت النساء الثلاث وجثين ثانية امام الملكين ثم اخذن يقبلن اقدامهما وايديهما دون ان يتنازلا وينظرا اليهن ولو نظرة واحدة . ثم انهضهن العبيد ودنا السر تشريفاتي فلمس كل واحدة منهن بعصاه الذهبية وقال عبارة مألوفة تقال في مثل ذلك المقام . ثم ابعدوهن على عجل وبذلك انتهت الحفلة واصبح هؤلاء من نساء الملكة يتمنطقن بالمنطقة الذهبية ويدخلن القصر كلما اردن ذلك ويحضرن مع الامبراطورة الصلاة والملاعب والاستعراضات والحفلات . وهو شرف عظيم

وبعد انتهاء الحفلة عادت ماري الى قصرها فخلعت ملابسها الرسمية واخذت تهتم بشؤونها . فذكرت اولاً اباها الدوق دنتيوش اي دوق انطاكية الذي يقيم فيها فاستدعت سكرتيرها واملت عليه كتاباً اليه ثم طوته وخطت عليه عنواناً وربطته بخيط حريري ثم ختمته بالرصاص باسمها ودفعته الى رسول يحمله الى ابيها في انطاكية (٢

وبعد ذلك ذكرت ام زوجها وهي امرأة شيخة مقيمة في ديريته قرب القصر فقصدتها لزيارتها فضمتها هذه المرأة بين ذراعيها ثم جعلت تسألها اذا كانت قد اتمت جميع واجباتها

١) كيف كانت استقبالات الامبراطور الرسمية وهيئتها ٢) طريقة المكاتبة والمراسلة يومئذٍ

الدينية واحسنت الى الرهبان واوقدت الانوار امام الصور المقدسة · ثم سالتها عن قطعة العظم التي جاءت بها من انطاكية وطلبت ان تراها تبركاً بها في والراهبات اخواتها « رفيقات الملائكة »

ثم عادت ماري الى منزلها فاتاها زوجها وسالها عن ولدها فاجابته انها تركته في « المدينة المذهبة » « اسكي دار » لان الهواء هناك احسن ملاءمة لصحته · فسالها الزوج هل كان كل شيء في موقعه من الترتيب في غيابنا (١ فاجابت ماري ان الاخبار الواردة من مزارعنا في بلاد التراس «الروملي» وكبدوكية جيدة · فان المؤن قد خزنت في المخازن وقد وصلنا اليوم من مزارعنا في اسيا جياد كريمة لمركبتي · اما المستشفى الذي بناه ابوك العظيم لمعالجة البرص وغير ذلك من الامراض الجلدية فقد دخله في غيابنا مرضى آخرون وسازوره بعد ساعتين · ثم اذهب الى القصر اجابة لدعوة الامبراطورة التي تستقبل في هذا المساء بعض الاميرات البلغاريات

وفي الساعة الثالثة ركبت ماري مع احدى صديقاتها مركبتها الفاخرة تجرها الجياد الكريمة التي ذكرتها وامامها رجلان يعدوان فزارت المستشفى وافتقدته · ثم خرجت منه وسارت مركبتها نحو جسر القرن الذهبي تمشي خيلها خبباً · وكان قد اجتمع في تلك الساعة امام وزارة الحرب التي هناك جماهير لا يحصى لها عدد من الضباط وقواد الحرب الاجانب من سكنديناف وارمن وامراء العرب الموالين للروم ومسترزقة اوربا وكلهم يقصدون قبض رواتبهم ورواتب جنودهم من وزير الحرب(٢ فلما مرت بهم مركبة ماري توجهت اليها جميع الابصار وكانت ماري تنظر اليهم من النافذة · فما لبثت ان وقع نظرها على احد اولئك القواد فعلت وجهها حمرة الحياء وصبغ الدم وجه ذلك القائد (٣

وكانت ماري تحب زوجها كل الحب وقد ربتها امها تربية دينية صارمة · الا انها كانت من الاسرات السامية التي كانت تفسد آدابها تلك القدوة السيئة التي كانت تردها من اسرة اسمى منها نعني الاسرة الامبراطورية · فان ماري سمعت كثيرين من الشبان يقولون لها في الحفلات بين الازهار والخمور والطيوب انها جميلة فكانت تحرك نفسها لهذه الكلمة بالرغم عنها · وفي ذات يوم قبل سفرها الى انطاكية ذهبت الى احدى الكنائس التي كانت اكثر الكنائس ازدحاماً بالمصلين من اصحاب الشان الرفيع لتسأل الله ان يسهل

١) سلطة المرأة في العائلة في ذلك الزمان وكونها القابضة على كل شيء فيها

٢) اختلاف عناصر الجند اليوناني يومئذ وطريقة تعبئته ٣) ماري تحب حباً طاهراً

سفرها ويردها سالمة الى وطنها فوقع نظرها فيها على قائد من قواد حرس الملك . ولما خرجت رأته يطيل النظر اليها . ومن غرائب الامور انها عرفت اسمه بعد قليل دون ان تسأل عنه فعلمت انه هرالد بن هرالد ملك نروج البعيدة وهو الآن قائد الفرقة الاولى من حرس الملك السكندناف « النروجيين » فمنذ هذا الحين بدأت تحمر وجنتاها كلما وقع نظرها عليه . وبدأ يحمر وجهه كلما وقع نظره عليها

فلما التقت به الآن بين الجمع امام وزارة الحربية وانقلبت فضتها النقية عسجداً كما تقدم صاحت بها رفيقتها « وحياة العذراء يا ماري انك تحبينه » فقالت ماري وهي تضحك وقد زاد احمرارها « لا تمزحي يا صديقتي في هذه الامور » ثم سكتت الصديقتان . ولم يتجاوز حب ماري هذه المنات الصغيرة لطهارة نفسها (١

وكانت مركبتها قد وصلت الى باطن القرن الذهبي حيث كان قائماً دير سان ماماس وحيث قائم اليوم جامع ايوب تحت الاشجار الضخمة الظليلة (٢ وكان هذا المكان في ذلك الزمان سوقاً لينزل فيه تجار الروس الذين كانوا يأتون من البحر الاسود على سفن مشحونة ببضائعهم ويسطون هنالك هذه البضائع مثل العنبر البطليكي والعسل والشمع والجلود والفراء الثمين وما اشبه (٣ وكان رجال الجمرك يراقبونهم اشد مراقبة وحسان الاستانة يتقاطرن الى هذه السوق ليبتعن منها حوائجهن وينثرن الذهب نثراً على تجارها. وكن يشاهدن فيها ايضاً ماعدا ذلك بعض الهنود الذين كانوا يأتون من الهند عن طريق البحر الاحمر بالقرود الضخمة والتماسيح الهائلة والافيال والدببة من ثيبة ويقصدن العرافات بالبخت اللواتي كن يجلسن على موازاة اسوار القسطنطينية استطلاعاً لحوادث حياتهن المستقبلة (٤

ولم تكن هاتان الابنتان قاسيتي الطبع او سيئتي الخلق ولكن فساد الاخلاق في ذلك العصر كان يجعلهما تريان الكبائر اموراً هينة . ولذلك كانتا تريان الرجلين اللذين يركضان امام مركبتها يضربان الشحاذين الذين في طريقهما دون ان يردعانها عن ذلك . وكانتا تريان شيخاً يجره الجنود وهو يستغيث ٥ وموظفاً متهماً بكونه غير امين يوخذ الى الدير لسمل عينيه بحديد محمي وسجنه فيه دون ان يتحرك لها قلب شفقة وانفة من تلك الفظائع

١) شيء يخنق في النفس الكريمة الطاهرة قبل ولادته ٢) مكان جامع ايوب في الاستانة ٣) سوق الروس في الاستانة يومئذ ٤) اوهام النساء والاستانة ومسراتهن ٥) الظلم في الاستانه يومئذ

وذلك لانها كانت اموراً عادية

وما زالتا تتنزهان في المركبة حتى وصلتا الى كنيسة سنت ماري اجلّ الكنائس في القسطنطينية في ذلك الزمان (١ فدخلتا اليها فابصرتا فيها شعباً كثيفاً يرحم بعضه بعضاً قياماً بفرض الصلاة • فتبدلت حينئذٍ هيئة ماري ورفيقتها وجثتا خاشعتين امام صورة العذراء تصليان • وبعد هنيهة سمعتا خطيباً يخطب فالتفتا فابصرتا راهباً يستعطي الناس لفك اسرى الروم بالاموال التي يجمعها وهو يمد يديه ليلتقط ما يلقى اليه (٢ وكانت ماري قد رأت في انطاكية عذاب الاسرى وعلمت فضيلة فديتهم فمدت يدها في الحال الى جيبها واخرجت منها نقوداً ثم دفعتها الى الراهب فباركها واثنى عليها

وكانت الشمس قد مالت الى الطفل وصديقات ماري ينتظرنها في منزل صديقتها حنه افالاسينه التي دعتها لزيارتها فسارت ماري ورفيقتها اليها • فلما وصلت الى المنزل استقبلها صديقاتها بندائهن « مباركة العذراء التي حرستك في سفرك في البلاد البعيدة » ثم احطن بها وقدمن لها (٣ الاشربة المبردة بالثلج الذي كان يؤتى به من جبال اوليا والموضوعة في اباريق مصنوعة من الطين والمزخرفة بزخرف كثير • وقدمن لها ايضاً شيئاً من العسل والاثمار وجبن الماعز في اللبن • ثم جلسن ودار الحديث بينهن • فاخذن يتحادثن عن الازياء الجديدة الواردة من البندقية « فينيسيا » وروميه وبلاد فرنسي البعيدة وغير ذلك من حوادث الحب وبناء الاديرة وانهدام الكنائس بسبب الزلازل • وكن قلما يتحادثن بشأن اولادهن لان هذا الامر كان عندهن من شؤون الخادمات • وكذلك الازواج فانهم كانوا يفارقونهن في الصباح ولا يجتمعن بهم الا في المساء لكثرة اشغال الرجال ولعدم وجود حياة عائلية صحيحة (٤ وبما ان اهل القسطنطينية كانوا مولعين باتخاذ زوجاتهم من النساء الاجنبيات فكنت تسمع في ذلك الحديث اللغة اليونانية بلهجات مختلفة من افسسية وازميرية وبلغارية وبندقية وقوقازية وارمنية وهلم جرا (٥

ثم غابت الشمس وراء بحر مرمرا فودعت ماري صديقاتها وركبت مركبتها وسارت الى العمود الذي كان يعيش فوقه ناسك عاري الجسم يعيش من احسان المارين ولما وصلت اليه وضعت في سله شيئاً من النقود فعرفها الناسك وصار يدعو لها (٦

١) اجلّ الكنائس في الاستانة ٢) فك الاسرى ٣) الشراب والطعام ٤) حديث النساء ومنزلة الاولاد والازواج ٥) الزواج ٦) النساك

وكان قد امسى المساء فعادت الى قصرها . فوجدت زوجها ينتظرها وهو قلق فسألته عن قلقه فاخبرها ان الامبراطور اشتد به الخوف حتى عزم على السفر من العاصمة حرصاً على حياته (١ ولذلك امر حرسه السكنديناف بالاستعداد للسفر غداً . ولكن ما اتى الزوج على هذه الكلمات حتى علا الاصفرار وجه ماري لانها علمت ان هرالد ابن هرالد الذي تحمر وجناتها كلما رأته يجب ان يكون مسافراً في مقدمة الحرس لانه قائدهم الاول. فتنهدت تنهداً خفيفاً وقالت في نفسها صلاة للعذراء

وكان قد خيم الظلام على القسطنطينية . ظلام اسيوي جميل فوقه سماء صافية مرصعة بنجوم كأنها مصابيح معلقة في الفضاء وتحته ارض مطيبة بعبير النسيم الاسيوي البليل . وكانت (٢ الشوارع مظلمة والخدمة يمرون من حين الى حين وهم يحملون المشاعل لايصال اسيادهم الى منازلهم وكانت ماري مدعوة الى القصر في هذا المساء كما قدمنا فقامت بعد العشاء ولبست حلتها الرسمية ثم ركبت هودجها واصطحبت خداماً مسلحين لايصالها وسارت الى القصر الامبراطوري

ولكنها ما بلغت منتصف الطريق حتى علت ضجة وارتفعت اصوات ثم اضطربت الشوارع وامتلأت بالناس. فخافت ماري . ثم اشتدت الضجة واهتزت المدينة من اقطارها الاربعة فسأل احد خدمة ماري واحداً من الشعب ماذا جرى فصاح به هذا الرجل « قد قُتل الامبراطور » فصعقت ماري واصدرت امراً بالعودة الى قصرها في الحال . ولما وصلت اليه وجدت رجلها ينتظرها بقلق واضطراب فدخلت الى غرفتها وانطرحت على مقعدها حزينة كئيبة لما اصاب امبراطورها . ولكن شيئاً واحداً (٣ سلاها في حزنها هذا وهو: « ان هرالد ابن هرالد لا يسافر بعد الآن »

---

١ عزم الامبراطور على السفر من عاصمته خوفاً ٢ ليالي الاستانة وفقد الامن فيها في ذلك الزمان ٣ لا يسافر

اسكندر الكبير

في سوريا وفلسطين

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والتكاملات وعظيم الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

وبعد تغلب اسكندر الكبير على الفرس في معركة ايسوس الكبرى اراد ان يُذيق جنوده لذة النصر فارسل فريقاً منهم الى دمشق الشام ليأتوا بالاموال والنفائس التي كان داريوس قد وضعها فيها قبل زحفه اليه . وبعث اسكندر في جملة هؤلاء الجنود فرسان تساليا مكافأة لهم على ما اظهروه من البسالة والشجاعة في ساحة القتال حتى قيل عنهم انهم سبب النصر . فاغتنى الجنود الذين ساروا الى دمشق لفرط ما نالوه من النفائس والاموال ودب الطمع في نفوس المكدونيين فاصبحوا يرغبون في طلب الفرس حيثما وجدوهم لتمتع باموالهم ونفائسهم . وبذلك كان اسكندر كانه زاد حمية جنوده ورغبتهم في القتال

غير انه راى وجوب الاستيثاق من الثغور البحرية قبل الايغال في داخلية البلاد . وكانت قوى هذه الثغور في قبضة الفرس وهي مؤلفة من اساطيل المدن الفينيقية صور وصيدا وجبيل وارواد وقبرس فخضعت له هذه البلاد لما راته من باسه وبطشه ولانها كانت تطلب التخلص من نير الفرس ولكن صيدا ابت الخضوع وطلبت ان تكون على الحيادة بين الفريقين المتحاربين . فكبر ذلك على اسكندر لان اسيا وان بلاد اليونان اخذت تتحرك وصارت مبارطه تستعد للقتال فقصد اسكندر صيدا لاخضاعها . الا ان اخضاع صيدا كان يقتضي اسطولاً بحرياً لحصرها من البحر فامده ملوك قبرس باسطول مؤلف من ٢٥٠ مركباً حربياً . ولو لم تمده قبرس بهذه السفن واتحدت عمارات فينيقيا كلها لما كان لاسكندر سبيل اليها ولكن المدن الفينيقية وامارات قبرس كانت يومئذ في تحاسد وشقاق عظيم ولذلك تمكن منها الفاتح باستعمال بعضها في محاربة البعض الآخر . وهذا شان الشقاق في كل زمان ومكان فهو يفرق القوى ويحكم الغريب الاجنبي في رقاب ابناء البلاد

ولما حصل اسكندر على تلك السفن حصر بها مرفأ صيدا واقام في البحر استحكامات كبيرة ثم اخذ يقاتل الصيداويين البواسل قتالاً متتابعاً . فثبتوا امامه ثباتاً عظيماً حتى

كاد يميل صبره . وقد ورد في التقاليد اليونانية ان اسكندر راى في نومه وهو مقيم على هذا الحصار ان هرقل وقف على اسوار صيدا واشار اليه بيديه ان يذهب اليه . ففسر ذلك مفسرو الاحلام بقرب استيلاء الاسكندر على المدينة . وروى الصيداويون ان بعضهم سمع تمثال ابولون اله الشمس الذي كان في المدينة يصيح بهم انه عازم على الفرار من مدينتهم الى الاسكندر وذلك لما صنعوه فيها من الشرور . فكبر هذا الامر على الصيداويين فجاءوا بسلسلة وقيدوا بها التمثال المذكور لئلا يفرّ من عندهم ثم سمروا التمثال بقاعدته ولقبوه « اسكندري » اشارة الى انه من حزب اسكندر

ولما ضجر اسكندر من حصر صيداء اراد الذهاب الى جبل الكرمل لمقاتلة العرب الذين كانوا نازلين فيه فسار مع قسم من جيشه وابقى القسم الثاني في الحصار . وقد صحب في هذه الحملة مؤدبه ليزيماكوس صاحب الجسم الضخم والحركات الثقيلة . فلما وصل اسكندر الى ذلك الجبل اراد ان يصعده راجلاً لا راكباً فقدم جنده امامه وتاخر مع مؤدبه المذكور وشرذمة منهم . ولكن ما لبث ان امسى المساء وادرك بعض العرب اسكندر وشرذمته . فجعل اسكندر يحث مؤدبه على السير السريع للنجاة من العرب ومؤدبه يلهث من التعب لانه لا يستطيع السير لضخم جثته فاوشك يومئذٍ اسكندر ان يقع في شر عظيم . ولما مد الليل اطنابه واضرم العرب النيران راى الاسكندر انه لا ينجيه شيء غير الشجاعة فتناول حسامه وهجم على اقرب النيران اليه فطعن اثنين من العرب فجندلهما ثم تناول من امامها عوداً من الحطب مضطرماً وعاد الى رجاله فاوقد معهم نيراناً عظيمة ولبثوا ليلهم يحرسون فلما راى العرب تلك النيران العظيمة ظنوا ان عدوهم كثير المدد والعدد فارتد اكثرهم تاركين اسكندر وشانه واقدم بعض منهم على جنوده ففرقهم المكدونيون ثم ساروا في اليوم الثاني ولحقوا بسواد الجيش . هكذا ورد في رواية المؤرخ شاريس

ثم عاد اسكندر الى صور وكانت جنوده ترسل الى حاميتها شراذم من الجند لمناوشتها في كل يوم رغبة في ان تتعبها ولا تُترك لها سبيلاً للراحة . ففي ذات يوم وقد طال الحصار لانه قد تجاوز ستة شهور قال العراف اريستاندر لاسكندر وجنوده انني اتنبأ لك بانك ستفتح المدينة في هذا الشهر . فقهقه جميع الحاضرين لانهم كانوا يومئذٍ في اليوم الاخير من الشهر . فراى اسكندر ان يغتنم هذه الفرصة شانه في اغتنام كل فرصة وقال للحاضرين لا تضحكوا فان عرافنا صادق الا انني اطلب اليكم ان لا تحسبوا هذا اليوم اليوم الاخير من الشهر بل احسبوه الثامن والعشرين . ثم نفخ في الابواق وجمع جنده وهجم بهم على المدينة

هجمة شديدة لم يهجم مثلها قبل ذلك اليوم حتى انه كان كأنه جمع قوة جميع جيشه في تلك الهجمة فاستطاع ابلاغ استحكاماته الى الاسوار فاخذت الآلات تعمل فيها ففتحت فيها ثغرة فصدّ الصيداويون اعداءهم عن الدخول الى المدينة في المرة الاولى ولكن ما لبثت قلوبهم ان ضعفت فدخلها المكدونيون عنوة واقتداراً وصدقت نبوّة العراف . وقد قتل من الصيداويين في تلك المعركة ٨ الاف رجل وباع اسكندر منهم ثلاثين الفاً وبذلك قتل هذا الفاتح صيداء الجميلة عروسة البحار يومئذ وهدم تمدنها

وكانت العمارة الفارسية في خلال هذا الحصار قد تفرقت وعادت السفن الى مدنها الا فريقاً منها هاجمه انتيباتر احد قواد الاسكندر وقهره فعفا اثر العمارة الفارسية

وبعد صيدا قامت غزة فرفض حاكمها الخصي باتيس الخضوع للاسكندر فقصده اسكندر على عجل واقام ابراجاً شائقة تحت الاسوار لتوازيها في الارتفاع ثم اقام على حصرها . فطال الحصر وكان شديداً كما كان في صيدا . وفي احد الايام مرّ عصفور فوق راس اسكندر فوقع منه على كتفه قليل من طين الارض ثم ذهب العصفور فوقع بين الحبال المنصوبة للآلات والاستحكامات . فاستدعوا المفسر اريستاندر ففسر ذلك بان اسكندر سيصاب بجرح في كتفه ثم ياخذ المدينة . وبعد ايام والمكدونيون يحصرون اهل غزة خرج المحصورون اليهم وردوهم عن المدينة في معركة دموية جُرح فيها اسكندر في كتفه فاستشاط غيظاً لانه خاف ان ترى باقي امم الشرق هذا الثبات الشديد الذي ثبته صيدا وغزه امامه فتتقوى قلوبها على مقاومته وبذلك يمتنع عليه ما اراده من فتح الشرق فهاجم غزة بعد ذلك هجمات متتالية وفتحها ثم دخلها بجنده مستشيطاً غيظاً للسبب الذي مرّ بنا فامعن في اهلها قتلاً حتى في شوارع المدينة ثم قبض على حاكمها وربطه بفرسه وسار يجره عدواً حول المدينة . وكأن ما رآه اسكندر كان حقيقة فان اليهود كانوا مترددين قبل فتح صيدا وغزة بين ان يكونوا مع الفرس او مع اسكندر ولكنهم ما لبثوا بعد فتح غزة ان خضعوا له . وهم يقولون انه سار الى اورشليم باحتفال عظيم فخرج رئيس احبارهم وبشره بانه يقهر كل خصم له لانه راى آية النصر مكتوبة على جبهتـه . ويقولون ايضاً انه دخل الى هيكلهم وذبح ذبيحة فيه

وبعد الاستيلاء على غزه بعث اسكندر الى امه اوليميا وكليوباتره وبعض اصدقائه كثيراً من التحف والنفائس التي وجدها في هذه المدينة وفي جملتها نحو ٦٠ ليبرة من البخور بعث بها الى مؤدبه القديم ليونيداس . ولذلك قصة لا تخلو من فكاهة . فان

مؤدبه هذا رآه يوماً في صغره يقبض البخور ملء راحته ويحرقه في النار فقال له « يا اسكندر ليس لك ان تبذر هذا البخور الثمين بهذا القدر الا متى فتحت البلاد التي يرد منها » فذكر اسكندر قول مؤدبه حين فتحه غزة وبعث اليه بالبخور كما مرّ بنا مع كتاب قال له فيه « انني مرسل اليك الآن كمية كثيرة من البخور لكي لا تكون شديد التقتير على الآلهة » ذلك لان البخور يحرق لها

ويُروى عنه في حصار غزة حكاية ثانية . وهي انهم جاؤوه بصندوق ذهبي اغلى ثمناً من جميع النفائس التي وجدوها الى ذلك اليوم فاخذه بين يديه وقال لاصحابه والمحيطين به « فليقل كل واحد منكم كلمة في اي شيء احق بان يوضع في هذه الصندوقة . فقال كل واحد كلمة حتى اتت نوبة الاسكندر فقال « اما انا فانني اضع فيها الايلياذه » والايلياذه كما مرّ بنا قصيدة الشاعر هوميروس البليغة التي يصف بها حروب تروادة : قال فلوطرخوس فاذا صحت هذه الرواية التي رواها ثقاة المؤرخين ومنهم هيرا كليدس كان هوميروس قد افاد اسكندر ودربه في حروبه هذه لانه لا بد انه كان يطالع هذه القصيدة

ثم برح اسكندر غزة بعد ان انزل فيها نزالة يونانية تستعمرها وسار الى مصر وسيرد الكلام عن ذلك

المرحوم جواد باشا

الصدر الاعظم سابقاً

توفي في اواخر الشهر الماضي المشير جواد باشا من كبار رجال الدولة فابنته الجرائد العثمانية وغير العثمانية تأبيناً حسناً . وقد عثرنا في جريدة ثمرات الفنون الغراء على خلاصة ترجمته ماخوذة مما كتبه الفقيد نفسه في حياته فرأينا الاستغناء بها عن طلب ترجمته من المصادر التركية او الاوربية

« هو احمد جواد بن مصطفى عاصم بك احد اعضاء الشورى العسكري المعروف بقبا اغاجلي زاده من بلدة قره حصار صاحب . وُلد في دمشق سنة ١٢٦٥ ثم نقله ابوه الى بروسه وتعلم في مكاتبها الرشدية والاعدادية ثم دخل المكتب الحربي في دار السعادة واحرز شهادته . وهو يعرف التركية والفرنسوية وله المام بالعربية والف كتابين احدهما « المعلومات الكافية في الممالك العثمانية » والثاني « التاريخ العسكري العثماني » ثم اصدر مجلة باسم بادكار



﴿المرحوم جواد باشا﴾

« اي التذكار» واخرج منها ٢٤ عدداً واشتغل ايضاً بترجمة بعض الكتب الرياضية وتطبيق الصناعة على فن الكيمياء الى غير ذلك من الرسائل. وكان قبل وفاته ابتدأ بتاليف تاريخ جليل لمعركة « سادوى »

وقد نشأ المترجم في ٢٥ شعبان من سنة ١٢٨٦ من المكتب الحربي برتبة ملازم في الاركان وكان عمره يومئذ ١٩ سنة فرقي بعد سنة الى رتبة يوزباشي وادخل في سلك حجاب الحضرة السلطانية براتب خمسمائة قرش وبعد سنة اخرى رقي الى رتبة القول اغاسي ثم قدم للسدة الملوكية كتابه « المعلومات الكافية » المتقدم ذكره فوجهت اليه رتبة البيكباشي عام ١٢٨٩ وفيها عُين معلماً للرياضيات في المدرسة الهندسية الملكية وبقي فيها نحو سنة ثم عين مأموراً في الفيلق الخامس فانشأ في جبل الدروز ثكنة عسكرية فكوفئ بضم ٢٥٠٠ غرش على راتبه ثم لما نشبت حرب الصرب نقل المترجم من دمشق الى جيش الطونه وعهد اليه برئاسة اركان الحرب في فرقة الفريق عزيز باشا وقد ابرز في واقعة ازروجه في « شمني» من مآثر الشجاعة والبسالة ما استلزم ترقيته الى رتبة القائمقام وعين رئيساً لاركان حرب في فرقة نجيب باشا . ثم ما لبث ان رقي الى رتبة امير الاي اثر وقعة « قروسار » واحسن اليه بالنشان المجيدي الرابع. ومازال الجواد يتقلب في رئاسة الاركان الحربية في تلك الحرب الى ان ابرم الصلح فعين مندوباً ثانياً لتحديد الحدود الصربية براتب ٣٥٠٠ قرش عدا راتبه الاصلي ثم عين مندوباً اول فاتم مهمة التحديد خلال سنتين فمنحه ملك الصرب وسام « طاقوى» الثالث . ثم ذهب صحبة الغازي مختار باشا لتحديد التخوم اليونانية ثم

الروسية من جهة الاناضول الى بايزيد فانعمت عليه الحضرة السلطانية عامئذٍ بالنشان العثماني الثالث ومنحه القيصر وسام « سانت آن » الثالث

وفي تلك السنة عُين عضواً فخرياً في لجنة النافعة التي عقدت عامئذٍ برئاسة السرعسكر نامق باشا ثم عين عضواً في لجنة تحكيم الحدود التي عقدت في يلديز ثم عضواً في لجنة تنسيقات الحدود وفي سنة ١٣٠١ عين لسفارة سنته في الجبل الاسود براتب الف قرش علاوة على راتبه العسكري واحسن اليه بالعثماني الثاني . وفيها وجهت عليه رتبة امير اللواء ومنحه امير الجبل الاسود مدالية الشجاعة الذهبية . ثم اصيب بمرض سيف مدته فاذنته الحضرة السلطانية بالحضور الى الاستانة ليستخدم فيها . وفي اواخر سنة ٣١٥ عين عضواً في لجنة التفتيش العسكري بزيادة ٢٥٠٠ غرش على مرتباته العسكرية . وفي اواخر سنة ٣٠٦ وجهت عليه رتبة الفريقية ونقل الى رئاسة الاركان الحربية في كريد واحسن اليه بالمجيدي الاول ثم عين وكيلاً لواليها يومئذ شاكر باشا ولم تمضِ برهة حتى صدرت الارادة السنية بتعيينه اصيلاً واحسن اليه بمدالية كريد الذهبية وفي ٢٥ ج ١ من سنة ٣٠٨ وجهت اليه رتبة المشيرية وابلغ راتبه الى ٣٢٥٠٠ وبقي في ولاية كريد الى ٢٩ محرم من سنة ١٣٠٩ حيث صدرت الارادة السنية باسناد مسند الصدارة العظمى اليه براتب ٧٥ الف غرش وقد توالت عليه خلالها النعم السلطانية فاحسن اليه بالنشان العثماني المرصع ثم بلقب الياور الاكرم ثم اضيف الى راتبه ٥٠٠٠ قرش ابقاء لمرتبات رتبة المشيرية ثم احسن اليه بالنشان المجيدي المرصع ومدالية الليافة الذهبية ونشان الافتخار المرصع ومدالية الصنائع النفيسة ونشان الامتياز المرصع . وكذلك منحته اكثر الدول الاوربية وساماته الكبرى واهداه كثير من الجميات العلية وساماتها الافتخارية . وبقي في مسند الصدارة الى اواخر سنة ١٣١٢ ففصل عنها وعين له راتب معزولية ٣٠ الف قرش . وفي سنة ٣١٣ عين وكيلاً لوالي كريد وقومندانًا فوق العادة ثم صدر الامر السلطاني بتعيينه ماموراً لاستقبال حضرة الامبراطور غيليوم اثناء زيارته لسوريا وفلسطين فغادر الجزيرة وجاء بيروت . وفي ٨ تشرين الثاني سنة ٣١٤ فوضت اليه مشيرية الفيلق السلطاني الخامس بدمشق وبقي فيها الى ان اشتد عليه المرض فشخص الى الاستانة واقيل منها ولم تمضِ برهة يسيرة حتى اتاه اليقين رحمه الله رحمة واسعة

وقد كان رحمه الله عدا معارفه العسكرية متادباً متفنناً ذا همة عالية وخلال حسنة وقد تعطفت الحضرة السلطانية وانفذت نجلها الكريم برهان الدين افندي الى دار الفقيد لتعزية عائلته الكريمة مما دل على رفيع منزلته لديها »

باب تدبير الصحة

اسهال الاطفال ومعالجته

لحضرة الدكتور البارع عارف افندي نحاس

اسباب الاسهال · تعيين اوقات الرضاعة · البكاء غير دليل على الجوع دائماً · الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية · الخطر العظيم من عدم مراقبة اللبن والرضاعة · مسؤولية الام عن طفلها لدى الهيئة الاجتماعية

لا يخفى ان الطفل الصغير معرض لامراض وآفات كثيرة لما هو عليه من ضعف البنية ولطف المزاج · فهو كالغصن الرطيب يؤثر فيه اقل حادث وطارىء وقد يؤدي به الى الموت العاجل · ولا عجب فقد تبين من الاحصاءآت العديدة ان الموت اشد فتكاً في دور الطفولية منه في باقي ادوار الحياة · فحرام على الامهات اهمال اطفالهن في ذلك الدور وحرام عليهن الجهل بمعرفة الطرق الواقية قبل وقوع الداء لئلا يتعذر الدواء · لان ذلك الطفل الذي عانت امه عناء حمله ٩ اشهر في بطنها والذي يرضع الآن من ثديها لبان الحياة انما هو ابن للهيئة الاجتماعية فيجب عليها تقديمه الى العالم رجلاً قوياً صحيح الجسم والعقل ليستطيع ان يقوم بواجباته فيها

واكثر الامراض فتكاً بالاطفال خصوصاً في فصل الصيف هو الاسهال مصحوباً بمغص والم شديدين مع اختباط قوي في المعدة · فانك بينما ترى الام او المرضع بتمام الصحة والنشاط والطفل يترقرق على محياه ماء القوة والعافية واذا به قد تغيرت حالته فجأة وبدت فيه عوامل الضعف والانحطاط واخذ يذبل رويداً رويداً كما تذبل الزهرة عشية قطفها · وهكذا يتدرج الى حالة تقارب الموت

فماذا جرى ؟ وما اصابه ؟ جرى ان « اللبن » الحليب » اصبح غير صالح لغذائه واصاب الطفل من جراء ذلك اسهال قد يؤدي به الى الموت المفجع

وهذا المرض قد يحدث اما عن عدم انتظام اوقات ارضاعه فيحدث سوء هضم واما لوجود كمية كبيرة من المواد الدهنية في اللبن او من الرضاعة وقت الحيض او من تغذية

الام غذاء فاسداً غير مرتب او شربها المشروبات الروحية كالشاي والقهوة وما اشبهها او تناول الادوية كالعقاقير المهيجة

ولاجل مداواة المرض الذي ينشأ عن عدم انتظام اوقات الرضاعة يجب توقيت ساعات الرضاعة لا ان ترضع الام طفلها كما خطر ذلك في بالها · وقد وضع استاذي الدكتور روفيه ترتيباً لذلك هذا بيانه

في الشهر الاول ترضع الام طفلها في كل ساعتين مرة واحدة بالنهار
في الشهر الاول ترضع الام طفلها في كل ٣ ساعات مرة واحدة بالليل

وتبقى على ذلك حتى يبلغ الطفل اربعة اشهر فتنقص الساعات رويداً رويداً حتى تصبح الرضاعة بعد الشهر السادس مرة كل ٣ ساعات في النهار ومرة كل ٦ ساعات في الليل

ومما هو جدير بانتباه الامهات اليه انتباهاً شديداً لانه في اقصى درجات الاهمية ان الام قد ترى طفلها يبكي ويصرخ فتظن انه جائع فتعطيه في الحال ثديها ليرضع وهذا خطاء فاحش يجب العدول عنه لان البكاء ليس دليلاً على الجوع دائماً بل قد يحدث ان الحر او البرد يسبب للطفل قلقاً وضجراً او قد يكون ذلك من شدة الظماء لان اللبن يسبب العطش · وفي هذه الحالة يجب ان يعطى الطفل شيئاً قليلاً من ماء منقوع كاء فيشي او ماء فلس لترطيب المعدة وارواء الظماء

اما اذا كان لبن الام كثير المواد الدهنية فامامنا احد امرين الاول استدعاء مرضع صحيحة الجسم سليمة اللبن لارضاعه مخافة ان يؤذيه لبن امه الدهني · والثاني الرضاعة الصناعية · وهذه الرضاعة تكون بواسطة الزجاجة المعروفة « بالمصاصة » وافضلها مصاصة الدكتور « بودن » فهي من احسن ما استنبطه الطب حديثاً لرضاعة الاطفال عند الحاجة الى ذلك سواء لقلة حليب الام او عدم صحته او لغير ذلك من الموانع · وقد اشتد الجدال بين الاطباء بشان الرضاعة الصناعية فنهم من قال بفائدتها ومنهم من قال بضررها · ولكنه ثبت بعد البحث الدقيق ان الرضاعة الصناعية امر مفيد اذا روعيت فيها جميع الشروط الهيجينية من حفظ النسبة بين الماء واللبن ومراقبة اللبن اشد مراقبة ليكون صحيحاً نقياً وتنظيف آلة الرضاعة وثديها من كل آثار العفن والفساد والاختمار

على اني مها رفعت صوتي هنا واكثرت من التنبيه والتحذير في هذا الموضوع فانني اكون كمن يقول شيئاً ويترك اشياء فعلى الامهات قبل كل شيء اصلاح اللبن لانه مهما اجتهد الطبيب الماهر في اعطاء الدواء الناجع فهو لا يقطع الداء ما دام السبب موجوداً · فان

فساد اللبن انما هو السم في الدسم وكم من الاطفال يذهبون فريسة الاهمال والجهل بهذه الشؤون . ومن الاقوال المأثورة عن استاذي روفيه قوله لنا : عليكم باصلاح اللبن قبل اعطاء الدواء » وهذا المبدأ الصحيح قد جربت عليه في معالجتي كثيرين من الاطفال في هذا الفصل الذي تكثر فيه هذه العلل

ومن اسباب فساد اللبن في الرضاعة الصناعية اختمار فضلة اللبن على حلمة المصاصة او فم الطفل وذلك يحدث الاسهال والاسهال يحدث حمى في المعى او دوسنطاريا . فيجب غسل المصاصة وفم الطفل بماء البوريك الحار بعد كل رضاعة لئلا يختمر اللبن وتنشأ الميكروبات فيه فيرضعه مع الرضاعة الثانية

وقد يكون اللبن غير صالح بسبب مزجه بمواد غير صالحة لهضمها ولصحة الطفل فعلى الامهات الاعتناء الزائد باللبن الذي يجلبونه من المواشي للرضاعة الصناعية مخافة ان تكون البقرة غير صحيحة الجسم او ان يكون بائع اللبن او الذي يحلبه مصاباً بداء معدٍ فينتقل معه الميكروب الى الطفل ولا يخفى انه يجب اغلاء الحليب اغلاء جيداً لقتل كل الجراثيم المضرة التي تكون فيه

غير انه كثيراً ما يكون اللبن مستوفياً لشروط الصلاحية المذكورة آنفاً ومع ذلك يكون فاسداً كأن يكون قد مزج بماء غير نقي ولا مصفى تصفية كافية بمرشح باستور مثلاً لانه ولا يخفى يجب تخفيف اللبن في الرضاعة الصناعية بماء قليل فاذا لم يكن هناك ماء نقي كالزلال وجب استبداله بماء معدني

كل هذه الامور اذا اعتنيت بها ايتها السيدة نجا طفلك من اخطار لا عداد لها وكان في اكثر اوقاته صحيحاً معافى مسروراً كثير الضحك قليل البكاء وذلك مما ينشر الفرح والسرور في العائلة اما اذا اهملت هذه الامور فان الفرح يتبدل ترحاً وويل حينئذ للعائلة خصوصاً ربتها لا سيما اذا انتهى الامر بالحادث العظيم وهو لبس الحداد على ذلك الطفل المسكين الذي يقتله اهمال امه وكان يحتمل ان يكون لو افسح الله في اجله رجلاً من رجال الهيئة الاجتماعية العاملين النافعين

السل في المؤتمر الطبي الدولي

في هذا العام

يستحيل ان تفتح اليوم كتاباً طبياً ومجلة طبية الا وتجد فيها اهتماماً شديداً بمسألة السل ومعالجته . ذلك ان هذا الداء الوبيل انتشر في العالم انتشاراً هائلاً يُخشى معه ان يكون آفة الانسانية في المستقبل . ولذلك قال عنه المسيو لاندوزي والمسيو موسني في المؤتمر الطبي العظيم الذي عُقد اخيراً في معرض باريز واجتمع اليه اكابر الاطباء من جميع اقطار العالم « انه خطر اجتماعي يشتد يوماً عن يوم فيجب علينا مراقبته وذكر تقدمه ونتائجه والبحث في ايقاف سيره »

وقد كتب الدكتور شوكه فصلاً مسهباً يصف فيه ما جرى بشان هذا الداء في المؤتمر المذكور فنقتصر هنا على ما قاله بشان الطرق التي اقترحها هؤلاء الاطباء لمعالجته في الجلسة التي خُصصت له فانها اهم الطرق التي اكتشفت الى الان . قال الدكتور شوكه ما خلاصته

ثبت من اعمال المؤتمر ان انتقال السل بالعدوى امر مهم جداً وان الوراثة شيء حقيقي ولكنها ليست بالاهمية التي يعزونها اليها . واول ما تنتقل جراثيم السل الى الطفل من مرضعته او امه او الذين يقبلونه فانهم يعطونه بقبلاتهم جراثيم الامراض وهم لا يشعرون ومتى شب الولد قليلاً تغير هذا الخطر فاصبح يخشى عليه من انتقال جراثيم المرض بواسطة الاشياء التي يضعها في فمه واصابعه التي يضعها فيه ايضاً لان الاولاد كما لا يخفى شديدو الولع بوضع كل شيء في افواههم فيجب حملهم على ترك هذه العادة القبيحة . ثم متى كبر الولد تغير الخطر فصار ياتيه عن طريق المباشرة والاختلاط فضلاً عن الطعام . ومن اهم المسائل مسالة العدوى في المدرسة فانه يجب على المدارس ان لا تعين في جملة تلامذتها ومعلميها تلميذاً او معلماً مصاباً بهذا الداء فان ذلك ينشره فيها اقبح نشر . واما المنزل فان كان فيه مسلول وجب اخراجه ووضعه في مكان منفرد اذا كانت العائلة ذات يسار يمكنها من ذلك والا وجب اتخاذ التدابير الصحية الشديدة لمنع العدوى واتقاء المرض

اما طرق المعالجة فقد ذكر منها المسيو دسبين في المؤتمر طريقة لمعالجته بهواء البحر . وقال الدكتور شارل لارو انه وجد هذا العلاج نافعاً على شرط ان تطول مدة اقامة

المريض على شاطىء البحر عدة سنوات . وقد ايد المسيو دسبين رايه باحصاء للمسلولين الذين دخلوا مستشفى جان دولفيس في كان من اعمال فرنسا وذلك بين سنة ١٨٨٩ و١٨٩٩ فقد بلغ مجموع المسلولين الداخلين اليه ٢٨٣ مريضاً فشفي منهم ١٦٢ مريضاً وتحسنت حال ١٤٠ مرضى

ثم قُدم الى المؤتمر مذكرتان . الاولى من الدكتور كينار وفيها يقول انه حقن بعض الخنازير بميكروب السل وكان يضع لها سكرًا في طعامها من ١٠ الى ١٢ غرامات في اليوم فكانت مقاومتها للحقن تتناقص

والمذكرة الثانية من الدكتورين ريشه وهريكورت وفيها يُظهران فائدة مداواة السل باللحم النيء او بالمرق المجتمعة فيه مواد اللحم تجمعاً كثيفاً . فايد رأيهما الدكتور لاندوزي وقال انه وصف لمرضاه كل يوم ١٥٠ غراماً من اللحم فكان ذلك مفيدًا لهم ولكن اشد الفائدة في لحم البقر . اما مرق العضلات الكثيف الذي انتشر اخيرًا استعماله دواء للسل فان مستعمليه كانوا لا يلبثون ان يفقدوا القابلية او ان يصابوا باضطراب في المعدة او المعى فيضطروا الى تركه والعودة الى اللحم النيء

ثم قدم كثيرون من الاطباء طرقاً جديدة لمعالجة السل وايدوها باحصاءات واختبارات اجروها منها المداواة بالكهربائية والمداواة بالراحة التامة ونقاوة الهواء وجودة التغذية وغير ذلك . واما المصل الشافي من السل فلم ينجح نجاحاً اكيدًا بعدُ غير ان الدكتور باراده اظهر فوائد مصل برتين وبيك بعد ما ادخل اليه من التغيير وقال انه شفي به مرضى ما كان يُرجى شفاؤهم

ثم اعلن المسيو ماليبران وابانزيار انه سينشأ قريباً في كوربيو قرب مانتون مستشفى صحي للمسلولين وذلك على علو ٢٤٠ مترًا من سطح البحر . وابرز المسيو لاندوزي وموسني ارقاماً تحصي سير السل في اوربا من سنة ١٨٨٧ الى ١٨٩٧ فظهر منها ان السل اخذ يتناقص في انكلترا وبلجيكا وهولانده وبروسيا وبقي على حاله في النمسا وفرنسا واخذ في الانتشار في ايطاليا والدانمرك وبافاريا وساكس ونروج

ثم اقترح الدكتور مالفوز والدكتور كالمت ان يُقام في الاحياء العامية الكثيرة الازدحام ملاجىء صحية لمراقبة هذا الداء ومنع سريانه وعزل مرضاه فيها مع اعانة اهلهم . وقرر المؤتمر في جلسة ١٤ اغسطس باصوات قدرها ٨٠ صوتاً ضد ٧ اصوات وجوب اعلان الطبيب مرض المريض متى كان سلاً وكثيرون يزيدون على ذلك فيقولون ايضاً بوجوب

اهتمام الحكومات نفسها بعزل المرضى والعناية بهم على نفقتها متى ثبت مرضهم بشهادة الطبيب وذلك وقاية للصحة العمومية

وسيعقد مؤتمر الميجيين والطب اجتماعه القادم في مدينة بروكسل في سنة ١٩٠٢

مداواة الامراض بالالوان

حدث يوماً حادث جدير بالالتفات في معمل المسيو لوميير المصور الشهير في مدينة ليون فان عملة معمله كانوا يعملون في غرفة زجاج نوافذها احمر اللون فكانوا طول وقتهم فرحين ينشدون ويصرخون ويسيئون معاملة النساء اللواتي بينهم · ثم نُقلوا من هذه الغرفة الى غرفة ثانية زجاجها اخضر اللون فانكسرت حدتهم وباتوا صامتين هادئين

فلما درى بذلك الدكتور دونزه قال في نفسه ان للون تاثيرًا في ذلك التغيير · فاخذ يجرب احداث هذا التاثير في المرضى ثم نشر خلاصة تجاربه فقال

اخذت مريضاً حزيناً كئيب النفس يكره السرور و يرفض الطعام ووضعته في غرفة مفروشة ببسط حمر والنور يدخل من نوافذها في خلال الزجاج الاحمر فما لبث فيها ثلاث ساعات الا وقد اصبح مسرورًا وطلب الطعام من تلقاء نفسه

وجئت مريضاً آخر كثير الضيق والخوف يُخشى ان يتسمم من استنشاق الهواء وتناول الطعام ويقضي وقته جالساً في زاوية كئيباً فاخذته ووضعته في تلك الغرفة فنهض في اليوم الثاني مسرورًا وطلب طعاماً ثم شُفي من دائه بعد بضعة ايام

ثم اخذتُ مريضاً ثائرًا لا يسكن الا بالقوة ووضعته في غرفة زجاج نوافذها خضر فسكن واصبح هادئاً في اقل من ساعة · وكذلك اقام مريض في غرفة زجاجها بنفسجي اللون فما بات فيها ليلة حتى شفي وخرج من المستشفى

وقد قالت الجرائد الطبية ان تجارب الدكتور مونزه لا تخلو من الاهمية ثم اشارت الى ان تاثير الالوان على المجموع العصبي وعلى الامراض نفسها امر قال به منذ اكثر من عشرين سنة بعض الاطباء الايطاليين

كلمات زراعية

شذرات وفوائد زراعية لا يخلو الوقوف عليها من لذة وفائدة

موءتمر الزراعة الدولي العام

انعقد في باريز في هذا العام موءتمر الزراعة الدولي العام برئاسة المسيو فيجه يجرى فيه بحث في ما ينتظر من زيادة تقدم مزروعات الازهار في الحدائق والصناديق المخصوصة بها لان الحدائق المذكورة اصبحت زينة المنازل من جهة ومجالاً للدرس النباتي المفيد من جهة اخرى . ثم تباحث علماء النبات والفلاحة المجتمعون فيه في تاريخ ازهار المنازل من بدء وجودها الى اليوم وقدم المسيو كانتين مذكرة اظهر فيها تاثير الكهربائية في نمو الزهر المزروع في الصناديق الشتوية فقال ان الزجاج الذي يحيط بهذا الزهر يفرز كهربائية توءثر في زيادة نموه

ثم جرى الحديث في موضوع السماد وهو الموضوع الذي لا يخلو منه كتاب زراعي ولا موءتمر زراعي واذا خلا خرج عن دائرة وظيفته . ذلك لان السماد اصبح اهم المسائل الزراعية كلها لان اقبال الزراعة او محلها انما هو متوقف عليه . فقال المسيو تروفان بفائدة السماد الصناعي اي الكيماوي وخص منه كربونات البوتاسه وذلك رغبة في اجتناب الاختمار الشديد الذي ينشأ عن كثرة السماد الطبيعي مما يضر بنمو النبات . فعارض ذلك المسيو جيرار استاذ الزراعة في مدرسة ليون وقال ان السماد الصناعي يجعل التربة يابسة جافة فيضر ذلك بالنبات فيجب والحالة هذه ان يضاف الى الارض من حين الى حين تربة جديدة وسماد طبيعي لحفظ النسبة المعتدلة فيها

وقد عرض المسيو ريجوكور في هذه الجلسة سماداً للنباتات ذات الاوراق التي تُزرع في الصناديق مركباً من المواد الآتية — كيلوغرام واحد من نيترات الصوده ومثله من سلفات الامونياك وكيلوغرامان من سيبرفوسات الكلس ونصف كيلوغرام من كلوريد البوتاسيوم وكيلوغرامان من سلفات الكلس ونصف كيلوغرام من سلفات الحديد . وذلك ان تُسقى تلك النباتات الورقية مرة في الاسبوع بماء فيه من المركب المذكور ٣ غرامات في كل لتر . وعرض سماداً آخر للازهار المزروعة في الصناديق وهذا تركيبه — ٢٥٠

غراماً من فوصفات الامونياك و٤٨٠ غراماً من نيترات البوتاسه و٣٠٠ غراماً من نيترات الامونياك · او المركب الآتي وهو — ٨٠٠ غراماً من سيبرفوسات الكلس و٤٣٠ غراماً من نيترات البوتاسه و٥٦٠ غراماً من سلفات الامونياك · وذلك ان يمزج غرام او غرامان من هذا المركب بستمائة غرام من التراب ويضاف الى تربة الازهار المذكورة مرة في كل شهر

فتتضح مما تقدم اهمية زراعة الازهار والنباتات في البلاد المتمدنة فانها في الحقيقة هناك تجارة عظيمة رائجة فعسى ان يزداد الناس اهتماماً بها في مصر والشام · ولكن صدق دياس اذ قال في رواية نهضة الاسد ان الازهار نجوم لا تطلع كثيراً الا في سماء السعه واليسار والخيرات

خصب الارض واستعدادها للزرع

ثبت لمسيو سافيلد احد اساتذة الزراعة من تجاربه العديدة ان الحبوب والبقول لا تجود في ارض واحدة فربما جاد القمح في ارض لا يجود بها الفول مثلاً لان كل نوع من الحبوب والبقول يقتضي تربة مخصوصة يكون فيها ميكروب مخصوص يساعد على النمو · وقد استنتج بعد تجاربه العديدة هذه الامور الثلاثة — اولاً في الارض الخفيفة الرملية ازرع الترمس ثم لا تقطفه بل احصده كله بالتراب وابقيه سماداً فذلك اربح لك من جنيه وبيعه لانه يخصب الارض للزراعة المقبلة ثانياً في الاراضي الجيرية ازرع باقية (كرسنة) · ثالثاً في الاراضي القوية ازرع الحمص والفول والبرسيم

دودة الارض وفوائدها

يظن كثيرون من الزراع ان الدودة التي يجدونها في التراب حين نبشه ونسميها عادة دودة الارض والتي تسمى باللغة العلمية «لومبريكوس ترستري» أو لومبريك هي مضرة بالزرع بناء على انها تاكل من اصول النبات المزروع · ولكن قد ثبت ان هذه الدودة تنفع ولا تضر · فان دروين قد اثبت ان هذه الدودة تضيف الى كل متر مكعب من الارض ٦٤٧ غراماً من السماد وذلك من المفرزات التي تفرزها فضلاً عن جسمها نفسه بعد انحلاله · وهي لا تسعى لا في اشد ايام الحر ولا في اشد ايام الشتاء فاذا افترضنا انها تسعى في الايام المعتدلة فقط نتج انها تفرز في نصف سنة فقط ثلاثة كيلو غرامات و٨٨٢ غراماً

في كل متر مكعب اعني ٣٨ الف كيلوغرام في كل هكتار . فاذا انقضى عليها عشر سنوات على هذا المنوال بلغ سمك القشرة التي تضيفها الى التربة ثلاثة سنتيمترات

وقد بحث الاستاذ هنري استاذ الزراعة والاحراش في مدرسة ننسي في وظيفة هذه الدودة بحثاً دقيقاً فاستنتج من ذلك ما يلي (١) ان تركيب فم الدودة يدل على انها لا تاكل النبات اصلاً ولكنها تتغذى من الحشرات والحيوانات الصغيرة التي تكون في التربة (٢) انها تأكل من هذه الكائنات العضوية وتهضمها ثم تفرزها في الارض بطريقة تجعلها سماداً صالحاً لما لان فناتها المضمية تجيد هضمها حتى تجعلها كذلك. (٣) ان وجود الدودة في الارض يجعل في التربة خلايا وفراغاً يتيح لجذور النبات التوسع وللهواء والماء النزول اليها فانت ترى مما مر بك ان هذه الدودة نافعة غير موءذية . فلا يحاربها الزراع فانها مسالمة

جعل رؤوس البصل كبيرة

اذا اردت ان تجعل رؤوس البصل كبيرة فطريقة ذلك ان تنتقي في الخريف اكبر الرؤوس واصحها ثم تضعها في كيس وتعلقها قرب موقد توقد فيه النار كل يوم تقريباً . ثم متى جاء الربيع خذ هذا البصل وازرعه في ارض جيدة فتجد انه اخذ يورق ايراقاً كثيراً دون ان يرسل منه ساقاً ومتى تم نموه كان المحصول منه ضخماً اذ كل بصلة تزن حينئذٍ ٥٠٠ غرام وزيادة

وقاية الزرع من الارانب

قالت مجلة « الفلاحة الحديثة » ان كثيرين من الزراع جربوا طريقة بسيطة لوقاية الزرع من الارانب . وذلك انهم جاءوا بحبل ومسحوه بزيت الاسماك ثم نصبوه حول الزرع على ارتفاع ١٠ سنتيمترات من الارض فكانت الارانب تقصد الدخول الى الزرع لترعى فيه حسب عادتها فلا تصل الى ذلك الحبل حتى تعود ادراجها فراراً من رائحة الزيت وهي طريقة بسيطة كما ترى

شؤون نسائية

ننشر في هذا الباب شذرات وفصول مختصة موضوع النساء وتدبير المنزل وما اشبهها

جمال وجوه السيدات

نشرت الكونتس دي سورجر في احدى المجلات الصحية فصلاً عن جمال وجوه السيدات وتحسين بشرتهن فقالت فيه ان البودره التي يضعها النساء على وجوههن مضرة من وجهين . الاول مادي والثاني ادبي . اما الادبي فهو جعل النساء متشابهات في المدينة الاديبات وغير الاديبات لان غير الاديبات يُكثرن من وضع البودره وتزيين الوجه فاذا وضعت الاديبات مثل ذلك ظُنت مثلهن قربما اعتدي عليهن . واما الضرر المادي فهو تشويه محاسن الوجه من ازالة رونقه ونعومة البشرة ولمعانها . ومتى اعتادت المرأة على ذلك تعذر عليها ابطال هذه العادة والا ظهر وجهها قبيحاً من تاثير البودره وما اشبهها من المسحوقات التي تضعها . هذا فضلاً عن الوقت الثمين الذي تضيعه المرأة في غرفة زينتها في هذا الشأن في كل صباح وهو الوقت الذي لو انفقت نصفه في كل يوم لتزيين عقلها بلذة المطالعة المفيدة لكان ذلك خيرًا لادبها وصحتها . وكثيرون من الناس يرون وجوه بعض النساء مصبوغة بالاحمر والابيض فيقولون في نفوسهم ان هولاء النساء يجب ان يكن عجائز حتى يرمن اخفاء اعمارهن تحت هذا الطلاء . فتقع الشبهة على اعمارهن ولو كن في شرخ الشباب . واذا اتفق لهن في احدى الجمعيات انهن سمعن ما يضحكهن او يبكيهن فهناك المناظر المضحكة فان الدمع او العرق يصنع في تلك الوجوه المصورة جزائر ورسوماً من الابيض والاحمر فتخجل صاحباتها كل الخجل . وما أكره ان ترى في الصباح تلك الوجوه المزوقة المنمقة وذلك قبل زينتها فانك ترى وجنات صفرًا ولوناً شاحباً وشفاهاً بيضاً واسناناً سودًا وعيوناً مطوقة بطوق اسود وكل ذلك من تاثير البودره والابيض والاحمر . ويقلن ان البودره اذا كانت من مسحوق الارز الصرف لا تضر فنعم ولكن لا ينبغي الافراط فيها اما اذا كانت من غير الارز فهناك الطامة الكبرى . اما الاحمر والابيض فربما تأ لف من مواد سامة تدخل الى الدم من مسام الوجه فتسمم الدم وتوقع صاحبته في امراض هائلة

كل هذه الاضرار والقبائح تحتملها المراة المسكينة ولماذا ؟ لجعل وجهها جميلاً . فما اجهل النساء في هذا الشان . انهن لو عقلن لعلمن ان المراة تزينها لطفها وآدابها اكثر مما تزينها حلاها وثيابها . وان الوجه المزوق المنمق دليل على نفس تلتفت الى العرض لا الى الجوهر وقلب طامع غير راض بما قسم الله له . وفضلاً عن ذلك كله فان المراة تخطئ اذا حسبت ان ذلك الصبغ يجعلها جميلة . فانه اولاً يفقدها معانيها وملامحها الحقيقية اذ يغير وجهها وثانياً يجعلها في المستقبل شنيعة قبيحة لافساده بشرة وجهها فتندم حينئذ ولات ساعة مندم .

اما الذي يجعل الوجه جميلاً ويبقيه كذلك حتى في ادوار الكهولة والشيخوخة فهو الاعتناء التام بنظافته ومداراته وعدم وضع شيء عليه من تلك الاصباغ الكريهة وغسله دائماً بماء لا بارد جداً ولا حار جداً بل بماء اشد حرارة من الماء السخن فيبقى له هذا الماء لمعانه وسحنة وردية يمسحه بها . وقد كان بعض علماء الاخلاق يقول « انني اعرف اخلاق المراة ومبلغها من الادب من احد امرين . الاول من عينيها فان العينين دليل على ما في القلب . والثاني من وجهها اذا كان مصبوغاً او غير مصبوغ فان ذلك دليل على ما في النفس » فلتعتبر السيدات ولا سيما اللواتي ما زلن في شرخ الصبا اي البنات ■

تهوية المنازل من غير ضرر

من اهم المسائل البيتية مسالة تهوية المنازل لتجديد الهواء لان الهواء النقي من اشد حاجات البيت . وقد اعتادوا من اجل ذلك ان يفتحوا النوافذ ليدخل الهواء ولكن الهواء قد يدخل منه مجرى مضر بالجالسين في الغرفة ولا سيما اذا كانت اجسامهم حامية من طول الجلوس او من نار الموقد . ولذلك اكتشفوا وسيلة جديدة لتهوية المنازل من غير ضرر وهي ان يُجعل زجاج النوافذ مزدوجاً لا مفرداً ثم يفتحون القسم الاعلى من الزجاج الداخلي والقسم السفلي من الزجاج الخارجي لان الزجاج مزدوج كما تقدم واحد من الخارج وواحد من الداخل . فيدخل الهواء بهذه الطريقة من قسم الزجاج السفلي الخارجي المفتوح ثم يصعد الى القسم الاعلى الداخلي المفتوح و ينتشر في الغرفة من غير ان يتكون منه مجرى يؤذي الجالسين . وقد جربوا هذه النوفذ المزدوجة في قاعات الدكتور بونين في مستشفى الشفقة في باريز فزالت كل رائحة من هذه القاعات مما دل على حدوث تجدد الهواء بواسطتها دون أن يدخل منه مجرى مضر . وغني عن البيان ان هذه المجاري المضرة قد تكون في ايام الصيف والشتاء من اشد عوامل الاعتلال والاصابة بالامراض المختلفة

قلة النساء وكثرة الرجال

بلغ عدد العزاب في اوستراليا ٣٠٠ الف نفس وعدد البنات فيها ٢٠ او ٣٠ الفاً اكثرهن من اللواتي لا يصلحن للزواج لتشوه بعض اعضائهن . ذلك لان البنات لا يبلغن هناك سن الزواج حتى يتخذهن الرجال زوجات من قلتهن في تلك البلاد . ومن اجل هذا صار الشبان الاوستراليون ينتظرون بصبر فارغ حضور البواخر من اوربا تحمل اليهم بعض الفتيات الانكليزيات والفرنسويات والايطاليات وغيرهن ليبادروا الى التزوج بهن والمزاحمة عليهن . ومنهم من يسافر لاستقبال هذه البواخر مسافة اسبوع في البحر ليختار زوجته قبل حضور المزاحمين له . ولذلك قام بعض الكتاب الاوربيين يحث البنات الاوربيات على المهاجرة لايطاليا ولا سيما اللواتي تقدمن في العمر

ازالة البقع المختلفة عن الثياب

بقعة الشمع — تزال بقعة الشمع بصب نقطتين او ثلاث من روح السبيرتو عليها ثم فركها باليد فركاً شديداً فتزول ولا يبقى لها اثر وهذه الطريقة خير من طريقة ازالتها بالنار او باحماء ملعقة ووضعها عليها من فوق قطعة ورق

بقع السكر والجلاتين والدم والالبومين — تغسل بالماء البارد

بقع الادهان — اذا كان النسيج حريرياً فيجب فركه بالمنازيا او بالطباشير واذا كان غير حريري فيغسل النسيج بالصابون والماء الفاتر (السخن) ثم بالنادول وهو بنزين بلا رائحة وغير قابل الاشتعال

بقع الالوان — تفرك بروح التربنتينا او النادول ثم بالصابون

بقع الخمر او الاثمار — تغسل بالماء الفاتر والصابون ممزوجاً ببعض نقط من الامونياك

بقع الوحل — يمزج مح البيض بالماء الفاتر وتغسل البقع به فتزول

ضمد الجرح بنسيج العنكبوت

اذا جُرح اصبع ولد ركضت امه الى نسيج العنكبوت لتضمد الجرح به ظناً منها انه شافٍ وقد نعجب اذا ذكرنا لها ان الدكتور كولومب قال ان نسيج العنكبوت قد ينقل اقبح الامراض الى الاجسام وذلك ان الذباب الذي يصطاده العنكبوت ينقل اليه الميكروبات التي تكون عالقة به فضلاً عن ان الهواء يسفي عليه هذه الميكروبات ولا سيما اذا كان العنكبوت في اسطبل فيه حيوانات مريضة او منزل فيه مريض . وقد انتقلت ميكروبات

التتانوس بهذه الواسطة الى ولد ضمد جرحه بخيوط عنكبوت اخذها من اسطبل فرس مصاب بالتتانوس وذلك بدخول ميكروبات هذا الداء من جرح الولد الى جسمه · فلتترك اذًا هذه العادة

المرأة والرضاعة والحبل

قالت احدى المجلات الطبية يظن النساء انهن متى شعرن بالحبل وجب عليهن ان يفطمن اطفالهن لان لبنهن (الحليب) يصبح سماً ناقعاً لهم وهو خطأ ظاهر · فعلى المرأة ان تبقى على ارضاع طفلها شهرين او ثلاثة او خمسة او ستة وزيادة اذا كانت قادرة على ذلك ولم يتغير لبنها لمرض او لغير ذلك من الاسباب · وتستطيع معرفة هذا التغيير او عدمه من تحليل اللبن على يد الطبيب

ارق الاولاد ومداواته

ذكر الدكتور نيبو طرقاً لازالة ارق الاولاد وهي (١) الرياضة الجسدية كأن يمشي الولد ساعتين او ثلاثاً في الخلاء خارج المدينة (٢) استعمال الفراش المنضوح بماء حرارته ٣٠ درجة صباحاً ومساء (٣) ترك العمل العقلي والاقتصار على العمل ساعتين في النهار على شرط ان يكون العمل غير شاق (٤) يجب ان ينام الولد باكرًا واذا لم يستطع الرقاد وجب ان يتنزه نصف ساعة في هواء مطلق ثم يعود الى فراشه (٥) ان هواء الجبال افيد للمصابين بالارق من هواء البحر

طبخ البطاطس

كثيرًا ما تصبح البطاطس بعد طبخها رخوة لا تؤكل فالطريقة لاجادة طبخها وجعلها جامدة دائمًا هي ان لا تضعها في قدر الماء الا متى كان الماء في اشد غليانه ثم ترفعها فتكون جامدة القوام حتى ولو كانت من الجنس الردىء

خطر الهرة في المنازل

اثبت مكتب الميجيين في لندره ان الهرة من اشد الوسائل لنشر الدفتيريا لان ميكروبات هذا الداء قد تكون موجودة بكثرة في فمها وسائر جسمها ومعششة على الخصوص بين شعرها · ولذلك يجب ان يحذر الاولاد من امساكها وينبغي تخصيص صحن بطعامها وشرابها

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

المدارس الداخلية

وهل يجب وضع البنات والصبيان فيها ام لا

نوجه انظار الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات الى هذه المقالة المهمة فانها من كتاب المرأة في القرن العشرين لمؤلفه الطائر الصيت جول سيمون الفيلسوف الفرنسوي الكبير وموضوعها البحث في وضع البنات والصبيان في المدارس الداخلية اي المدارس التي يأكل التلامذة وينامون فيها بعيدين عن اهلهم مدة الاوقات المدرسية . وما يجعل لها لذة خصوصية ان الفيلسوف يتكلم عن نفسه كما سترى

لما عرض المسيو كاميل ساي (١) لائحة تعليم البنات قال فيها انه سيكون في مدارس البنات اقسام داخلية للاكل والنوم كما كان في مدارس الذكور . فعارضه يومئذٍ كثيرون . وكان المعارضون فريقين . فريقاً كان في ذلك الوقت اي بين سنة ١٨٧٥ و ١٨٨٠ يصلي مدارس الذكور الداخلية نفسها حرباً عواناً وفريقاً كان يطلب ان لا يتولى احد غير الامهات تربية البنات

اما انا فلا استحسن البتة وضع الاولاد في المدارس الداخلية سواء كانوا بنات او صبيان لاني اعتبر هذه العادة خالية من كل مبادىء الحنو والشفقة وقد ذقت يوماً ما طعمها وان كان مدة وجيزة فابقت في نفسي تذكارات محزنة

فقد كنت خارجياً في مدرسة لوريان حيث اتممت دروسي الابتدائية . وكنا في

(١) كاميل ساي هو منشىء التعليم الثانوي للبنات في فرنسا وقد تقدم ذكره وطريقة انشائه هذا التعليم في الصفحة ١٨٢ من الجزء العاشر للسنة الاولى وقد نشرنا هذه المقالة لتكون تتمة لمقالة التربية والتعليم المنشورة في الجزء الماضي لما بينها من العلاقة

الساعة السابعة من صباح كل يوم حتى في ايام الشتاء نأتيها وفي جيب كل واحد منا قطعة خبز ملفوفة بقطعة من الورق وكان ابناء الاغنياء منا يضيفون اليها شيئاً من الجبن او الزبدة (١) وبعد اجتماعنا كنا نصرف ساعة في قاعة الدرس من غير نار في الموقد لوقايتنا من لذع البرد ثم نُعطي فرصة نصف ساعة وبعد ذلك نعود الى غرف التعليم حيث لا نار للتدفئة ايضاً ثم نعود منها الى قاعة الدرس فنقضي فيها ساعة ونصفاً وبعد ذلك نعود الى منازلنا لنتغدى . وبعد الظهر بساعة نعود الى المدرسة فنقضي ساعة في قاعة الدرس وساعتين في غرف التعليم ثم نُعطى ساعة فرصة وبعد ذلك نصرف ثلاث ساعات في قاعة الدرس الى الساعة الثامنة فنعود الى منازلنا والبرد يقرصنا ويلذعنا . وقد كنا ونحن راجعون نلتفت وننظر نظر الشفقة الى رفقائنا الداخليين الذين كانوا يدخلون الى قاعة الطعام بعد ذهابنا وينمشون بانقباض وسكون تحت مراقبة المسيو جيكيل الناظر الثاني . ثم يخرجون هادئين صامتين ايضاً الى قاعة النوم فيرقدون ومتى طلع الصباح قاموا لاستئناف الاعمال التي مرَّ ذكرها

ثم كنت بعد ذلك في مدرسة داخلية في فانّ فصرفت فيها ستة اشهر . وكان القسم الداخلي اي مكان الاكل والنوم بادارة الاب « دوده » وهو قائم قرب المدرسة وكان يُقال عن الاب دوده انه عازري وانه كان يتولى ادارة هذا القسم على نفقته الخصوصية . وكان بين نظار المدرسة ناظر يُدعى الاب بوبنو وهو يسوعي بلا شك

وكان البون شاسعاً بين مدرسة لوريان ومدرسة فانّ . فان الاولى كان نهجها عسكرياً ولذلك كان نظامها صارماً واوامرها ثقيلة ولم يكن من علائق شخصية بين الاساتذة وتلامذتهم الا قليلاً . وكان بيننا علامات للامتياز والشرف كما كان في العسكرية . ولكن لم يكن يخطر في بال احد منا ان يشي برفيقه او يسعى به ولم يرتكب قط احدنا ذنب الكذب في اي حال من الاحوال . اما في مدرسة فانّ فقد كان الامر على عكس ذلك . فان الطلبة كانوا يرقبون بعضهم بعضاً وكل واحد يقف لرفيقه بالمرصاد . وكان يُعين واحد منهم مراقباً لقاعة النوم وآخر للسلم وثالث لقاعة الدرس . وكان عددنا يومئذ ١٥٠ تلميذاً وكنا ندرس في قاعة واحدة ومع ذلك فالاب بوبنو وحده كان قادراً على مراقبتنا جميعنا ذلك لانه كان يعين في كل « طاولة » مراً تلميذاً وان شئت فقل جاسوساً لمراقبتنا واطلاعه

(١) ان هذه التذكارات تذكارات الصبا التي يتكلم عنها الفيلسوف هنا تثير في نفس كل قارىء تذكارات حلوة لاننا كنا قد مررنا في هذه الطريق الجميلة

على حركاتنا وسكناتنا . وكان الاب بو بنو يأتي قاعة النوم في كل صباح و ينبهنا من النوم صارخاً بصوته الجهوري **Benedicamus Domino** فيجيبه على الفور مائة وخمسون صوتاً صارخين **Deo gratias** ثم ننهض الى ملابسنا وبعد ذلك ننزل الى القاعة فنسمع فيها صلاة طويلة وخطبة وجيزة من الاب دوده او من الاب بو بنو ونذهب بعد ذلك ونحن مصطفون زوجاً زوجاً الى الكنيسة لحضور القداس مع رفاقنا التلامذة الخارجيين

فانت ترى ان معيشتنا هذه كانت ولا شك اقل مللاً من تلك والنظام اكثر تساهلاً انما كان على كل واحدنا ان يحذر رفيقه وان لا يثق باخص اصدقائه لان النظام يقضي على كل واحد ان يُطلع رؤساءه على كل ما يعلمه من دخائلهم واسرارهم . وكان الداخليون فريقين منها فريق ممتاز وهو فريق الاغنياء الذي كان يُعطى على المائدة لوناً من الطعام زيادة على اللون الاعتيادي ولعل ذلك لترويض افكار الفقير من صغره وتعليمه التواضع والقناعة في بدء حياته ..

وخلاصة القول انني خبرت نوعي التربية المدرسية الداخلي والخارجي والآن اصرح باني لا احسب من عمري تلك الايام التي قضيتها مسجوناً في شرخ الصبا وربيع الحياة . وقد كنت في لوريان وفان تعيساً على وجهين . ولما اصبحت رب عائلة اقسمت باني لا لا القي اولادي في ذلك العناء والعذاب . وقد رزقني الله ولدين فوضعتها خارجيين مدة تسع سنوات في مدرسة بونابرت التي تسمونها الآن مدرسة كوندورسه . وكنت في خلال هذه السنوات ازور المدرسة بنفسي مرتين في النهار تارة منفرداً وحدي وطوراً مصطحباً امها وذلك لاخذها اليها في الصباح والعودة بها منها في المساء (١) واني اعترف بانه يتعذر على الاب المنهمك في اشغاله ان يتفرغ لتدريس اولاده فرغبةً في تعويض هذه الخسارة آليت على ان اتولى بنفسي تلقينها الادب (علم ادب النفس) فلم آل جهداً في ذلك . غير انني كنت قلقاً لانني كنت ارى من بعيد قرب السنة الفلسفية الا انني كنت اسكن بالي بقولي ان في المدرسة استاذاً بارعاً اصيل الراي والعقيدة ولكن . يالسوء الحظ فانهم ما لبثوا ان ابدلوا هذا الاستاذ وكنت يومئذ في رومه مع ولدي فلما وردني من الوزير خبر هذا الابدال ساءني جداً . فاضطررت بعد ذلك الى مراقبة دروسها

---

(١) فليقابل قومنا هذا الاهتمام بتربية الاولاد وتعليمهم بما عندنا من التقاعد والاهمال وانما كان الفيلسوف يأخذ ولديه بنفسه حذراً عليها من العشرة الرديئة في الطريق وايناساً لها وزيادة في الاهتمام بها

مراقبة شديدة والسؤال عن كل شيء يحدث في صفوفها . فلو خرجا عن سلطتي اي لو اقاما داخلين في مدرسة داخلية لما وجدتُ سبيلاً الى الراحة والطمأنينة(١)

وليكن معلوماً انه يكون بين اولئك الاولاد الخاضعين لقوانين صارمة والمقيمين بين جدران المدرسة الداخلية كما يقيم المسجونون في سجونهم حيل ورذائل كحيل المسجونين ورذائلهم . فانه اذا كان النظام صارماً وقاسياً اضطرت الاخلاق الى الكذب والرياء تخلصاً من ضغطه لان الضغط يولد الكذب دائماً . والغريب ان كل الاباء يعرفون هذا الامر ومع ذلك فتراهم يقبلون على المدارس الداخلية . وهذا الميل اشد في بلادنا منه في البلاد الاخرى . وسببه اننا كثيرو الاعتماد على السلطة . فاننا نضع ابناءنا في المدارس الداخلية ولو كانت المدارس الخارجية اكثر اتقاناً واصح عملاً . ولماذا ؟ . اهرباً من المسئولية ام فراراً من عناء الاولاد ؟ لا اعلم . ولكني اعلم ان محبي الانسانية قد برهنوا للاباء غير مرة ان اولادهم لا يمكن تربيتهم تربية حسنة الا تحت ملاحظتهم ومراقبتهم ومع ذلك فتراهم ياخذون اولادهم الى المدارس الداخلية يوم افتتاحها ثم يعودون منها وهم مستريحو البال ٩ شهور المدة المدرسية (٢)

ولكن لما نهض المسيو كاميل ساي يطلب من الحكومة انشاء الاقسام الداخلية للبنات قامت عليه قيامة الامهات وقوبل طلبه بالهياج الشديد . وكان الاباء من رأي الامهات فعارضوا وقالوا — وياحسن هذا القول — ان البنات يجب ان يكونوا دائماً تحت ملاحظة الامهات ومراقبتهن . وقد احجمت الحكومة يومئذٍ ايضاً عن تحمل تلك المسئولية لانه اذا حدث حادث في مدارس الذكور الداخلية فلا مشاحة انه شر كبير ولكن اذا حدث مثله في مدارس البنات فهو المصاب الاكبر والبلاء الاعظم الذي لا يوصم به رؤساء اولئك المدارس فقط بل يتعدى عاره الى كل فتاة ربيت في تلك المدرسة . فبعد قال وقيل طويل تقرر ان لا تتداخل الحكومة في هذا الامر بل ان يؤذن للجمعيات الاكايركية ببناء الاقسام الداخلية للبنات بازاء مدارسهم وكلياتهم لا ضمنها وان يكون لها رئيسات

(١) القصد من هذا الاهتمام الذي يجدر بان يكون مثالاً حسناً لكل أبٍ هو مراقبة دروس الاولاد لئلا يُعلَّموا تعاليم غير صحيحة او مضرة بارائهم واراء أهلهم وبمستقبلهم

(٢) لا تعلم اي كاتب قال « كم من أب يفرح ويسر لحسبانه انه قد اتم تعليم ولده لما يدفع عنه ثمن الكتب وراتب المدرسة »

مستقلات تعينهن ادارة المدارس العمومية . ولكن ما لبث ان قام النزاع بين رئيسات الاقسام الداخلية ورئيسات مدارس التعليم فتقرر حصر رئاسة القسمين في رئيسة واحدة. ثم اذن بالتدريج لكل مدارس البنات بان يُنشأ فيها اقسام داخلية (١)

وقد كانت السرعة التي تم بها انشاء الاقسام الداخلية في مدارس البنات دليلاً على شدة الحاجة الى التعليم يومئذٍ . ولكنني اذا سررت بذلك فانني لا اسر بطريقة « الداخلية » لا للبنات ولا للذكور كما تقدم (٢) وانصح للاباء ان لا يضعوا ابناءهم وبناتهم في مدارس داخلية الا متى كانوا مضطرين الى ذلك . اما الامهات فاني اؤكد لهن ان الانفع لهن ولبناتهن ان يفضلن لهن المدارس الخارجية على المدارس الداخلية . لان الاقامة الداخلية في المدرسة انما يكون نفعها مقصوراً على اعداد الفتيان للحياة العمومية وهي الحياة التي يُقابل فيها اللطم باللطم والزحم بالزحم مما قد اصبح نوعاً من تربيتهم اذ يجب عليهم ان يتعلموا منذ الصغر ان يعتمدوا على ذواتهم ويدافعوا عن انفسهم بانفسهم . اما الفتيات فلسن في حاجة الى ذلك لان وظيفتهن في المجتمع الانساني تختلف عن وظيفتهم (٣) فهن لم يُخلقن لمعاناة ذلك العراك الهائل عراك الحياة العمومية ولا مقاساة المعيشة الحرة . واني اصرح بملء فمي (٤) بانه في المدرسة الداخلية تتولد افكار وتجري حوادث وتُقال اقوال يجب عليهن جهلها ولا يجوز لهن البتة المعرفة بها . واعلن ايضاً على رؤوس الاشهاد بان الام العاقلة الحكيمة تستطيع مراقبة ابنتها ادق مراقبة والسهر على حركاتها وسكناتها ادق سهر ولكن يستحيل على معلمة واحدة او على رئيسة واحدة ان تراقب ٣٠ او ٤٠ تلميذة (٥) مراقبة تستدرك بها كل شيء وتمنع حدوث كل شيء . هذا فضلاً عن ان هاتين المدرستين الداخليتين مدرسة الذكور ومدرسة الاناث تُخرجان تلامذة شديدي الشبه بعضهم ببعض وذلك مما يُخيف محبي العائلة والانسانية . فاني كلما كنت انظر الى تمثالي آدم وحواء في

(١) هنا انتقل من الكلام عن مدارس الذكور الى مدارس الاناث

(٢) طريقة المدرسة الداخلية غير مفيدة للاناث ولا للذكور (٣) وجوب اختلاف تربية المراة عن تربية الرجل (٤) كلام شديد ولكنه صحيح

(٥) عجز واحدة عن مراقبة اربعين مراقبة حقيقية فعلية تستاصل الشر وتغرس الخير

متحف بروكسل كنت اعجب بهذين الجمالين المستقلين جمال الرجل وجمال المرأة البادبين في هاتين الصورتين . ولا ريب ان حواء اذا كانت تحتاج حماية رجلها وعنايته فما ذلك لضعفها فقط (١) بل لان هذا الاحتياج من محاسنها الجذابة . فلندع المراة تجهل بعض الاشياء التي يجب ان تجهلها لان هناءها وهناءنا متوقفان على ذلك . ولا انكر ان الآداب واحدة للرجال والنساء لانها لا تقبل التغيير ولكن للنساء آداباً خصوصية غير هذه الآداب وواجبات غير الواجبات العمومية . فانا لا اعتمد في تعليمهن هذه الواجبات وتلك الآداب مطلقاً على الفلاسفة ولا على رجال الدين بل اعتمد في ذلك (٢) على امهاتهن . اني اطلب تسليمهن الى المدرسة لتجعلهن نساء متعلمات مثقفات والى امهاتهن ليجعلنهن نساء فاضلات . فمتى وُضعت الابنة في المدرسة امها الادبية لا ينبغي ان تُنفطم عن امها الطبيعية

لكن ما العمل اذا كانت الاقدار تقضي عليك ايتها السيدة بوضع ابنتك العزيزة في مدرسة داخلية بعيدة عنك ؟ لا باس بذلك اذا لم يكن لك غير هذا السبيل ولكن على شرط واحد (٣) وهو ان لا تتركيها مطلقاً . اهتمي حينئذ بزيارة مدرستها كلما مكنتك الفرصة من ذلك . افتكري بها ليلاً ونهاراً . لا تدعي يوماً يمر من غير مكاتبتها . اطلبي منها في كتبك ان تبسط لك افكارها وعواطفها لتقرأي فيها ما تريدين قراءته وتقفين على حركات نفسها . اعتني ايضاً بمراسلة معلماتها وكوني صديقة لصديقاتها ورفيقة لرفيقاتها قياماً بما يجب عليك لعائلتك ولها

واكرر عليك في الختام قولي : لا باس بابعادها عنك اذا قضت عليك الضرورات بذلك ولكن فاعلمي ان الله والناس لا يسمحون لك بتركها واهمالها : تلك اول وآخر كلمة تُقال في تربية البنات واحسن نصيحة توجه للآباء والامهات »

انتهى ببعض تصرف

---

(١) ضعف المراة انما هو من محاسنها وحاجاتها (٢) وظيفة الام اسمى من وظيفة الفلاسفة (٣) شرط واحد فيما يختص بتربية البنات اذا اهملته الام كان ذنبها عظيماً عند الله والناس

باب الاخبار العلمية

❊ البحث عن الحلقة المفقودة ❊ بعث المستر فندر بلت الغني الاميركي الكبير عالماً اميركياً يدعى الدكتور والترالى جاقا للبحث فيها عن الحلقة المفقودة . ويعنون بالحلقة المفقودة كما مرَّ ذكره المخلوق الذي يجب ان يكون وسطاً بين الحيوان والانسان عند الذين يقولون بارتقاء الانسان عنه وهؤلاء زعيمهم دروين الشهير . وقد سافر الى جاقا ايضاً الاستاذ هاكل الالماني للبحث فيها عن الغرض المذكور اذ بلغه ان الحيوان الذي هو الحلقة المفقودة موجود في جاقا . وكلاهما الآن يتسابقان للوصول الى غرضه

اما العالم الالماني فغرضه معلوم وهو علمي محض . واما العالم الاميركي فلم يرسله فندر بلت الاميركي لغرض علمي بل لامر غريب . ذلك ان اغنياء اميركا العظام مولعون على ما يقال بتزويج بناتهم من اشراف اوربا وهولاء الاشراف مولعون بالتزوج من بناتهم لانهم ياخذون معهن دوطات قدرها ملايين من الريالات . فالظاهر ان للمستر فاندر بلت صهراً يدعى المستر بواريه يعجب كثيراً بشرف آبائه واجداده و يزدري غنى المستر فاندر بلت فقام في نفس هذا الرجل ان يبعث بعثة للتفتيش عن الحلقة المفقودة ليبرهن له ان رسوم اجداده الاشراف الموضوعة على جدران قاعته يجب ان يكون في مقدمتها صورة قرد لان اجداده مرتقون عن القرود مثل باقي الناس فلا يجب ان يفخر احد على احد . وما برحت اميركا بلاد العجائب

❊ البخار والكهربائية في المعرض ❊ من زار معرض باريز ورأى الآلات الميكانيكية الهائلة التي تعمل فيه تساءل في الحال اين البخار الذي يدير تلك الآلات او يولد الكهربائية لادارتها . والجواب عن ذلك انه يوجد تحت معرض باريز معرض آخر في باطن الارض فيه معملان عظيمان المعمل الاول معمل بوردونه وهو يحتوي على ٥٠ مرجلاً تبخر ١٢٠ الف كيلوغرام من البخار في الساعة للعارضين الفرنسويين والمعمل الثاني معمل سوفرين وهو يحتوي على ٤١ مرجلاً تبخر في الساعة بخاراً بذلك القدر للعارضين الاجانب . ومتى تبخر البخار جرى من تحت الارض في انابيب ممدودة الى الآلات الموضوعة في اطراف المعرض كله ولذلك فالزائر الذي يشاهد تلك الآلات يحسبها انها تحرك من تلقاء نفسها وما درى

انه يمر اليها في كل يوم من تحت اقدامه مليون و٥٠٠ الف كيلوغرام من البخار . واما الفحم الحجري الذي يُحرق لهذا التبخير فقدره ٢٠٠ طن في كل يوم تنقلها الى هذين المعملين مائة مركبة على السكة الحديدية الموصلة اليها . والبخار بعد قيامه بوظيفته يخرج من مدخنتين مبنيتين في وسط المعرض وارتفاع كل واحدة منها ٨٠ مترًا وثقلها ٥٧٣٣ طنًا

وجميع الذين زاروا القسم الاميركي في المعرض اعجبوا بما شاهدوه فيه من خفة الآلات الكهربائية الحديثة . فان الآلات البخارية الماضية اذا دارت كان لها ضوضاء وجلبة شديدة تصم لها الاذان على صغرها اما هذه الآلات الاميركية الكهربائية فانها على ضخامتها وجسامتها تدور بسكوت وهدوء دون ان يُسمع له اقل صوت كأن الغرفة التي هي فيها لا شيء فيها . ولذلك قال العلماء بعد اختبارهم هذا الاختبار العجيب انه قد دنا اجل البخار وقرب ملك الكهربائية التي ستقضي عليه في القرن العشرين قضاء نهائيًا

❋ تأثير الطعام في الاخلاق ❋ بحث احد دكاترة الانكليز في تاثير الطعام على الاخلاق ونشر نتيجة ابحاثه فكانت كما يلي

ان من يقتصر شهورًا على اكل لحم البقر يصبح نشيطًا جسورًا شجاعًا . ومن يقتصر على اكل لحم الخنزير يصبح متشائمًا ضجرًا لا يرضيه شيء في هذه الحياة . وكذلك الذين يقتصرون على اكل لحم العجل فانهم يفقدون كل نشاط وعزة نفس ويصبحون ضعفاء . وقد لاحظ ان كل الرجال الذين يحتملون ان تضربهم نساؤهم انما هم من اكلة لحم العجول . واما الذين يقتصرون على اكل البيض واللبن فانهم يزدادون عقلاً ولطفًا ولا سيما النساء . والاكثار من اكل السمن او الزبدة يجعل الانسان قليل التاثر ساكن الحركات ولذلك يكره الرياضة الجسدية . وعلى الذين يجهدون قواهم بالاشغال العقلية ان يكثروا من اكل التفاح ... اما اكل البطاطس فيجعل الانسان ضجرًا كسولاً واكل الخردل يحفظ الذاكرة من الضعف ويجعلها قوية

هذا ما اختبره الدكتور الانكليزي فان لم يسعك تصديقه فما عليك الا التجربة

❋ اصل البيرة مصري ❋ لما تعب الانسان القديم وحي جسمه قطعي . اخذ يبحث عن شراب غير الماء القراح الذي يجري من النبع في الحرش او في الجبل الى جانبه فوجد يومئذٍ لبن الحيوانات وعصير الاثمار والعسل . ثم تدرج من هذا الدور الى دور آخر وهو صنع العصير من الحبوب . وهذا الامر قديم جدًا . فقد روى ديودور دي سيسيل وايد

روايته هيرودوتس ان المصريين القدماء كانوا يعرفون البيرة (الجعة) قبل الفي سنة من التاريخ المسيحي وان الملك اوزريس هو الذي علمهم صناعتها وكانت مدينة بلوزه (بور سعيد اليوم) اشهر المدن المصرية التي تصنع فيها البيرة كما اشتهرت بذلك مونيخ اليوم

❋ كلام الملوك ملوك الكلام ❋ سألت الدوقة داروبل بعض ملوك اوربا هذا السؤال « اي هو الشخص الذي تحسده ايها الملك » وقد قصدت بذلك الوقوف على حالة نفوس الملوك . وقد نشرت مجلة انكليزية بعض الاجوبة . وفيها ان البرنس دي غال اجاب « انني احسد الرجل الذي اذا اكل لا يقال ان سموه قد اكل . واذا سافر لاتنادي كل الجرائد ان سموه قد سافر واذا ابتسم لا تصرخ بالتلغراف ان سموه قد ابتسم وتؤول كل ذلك كما تهواه » واجاب ملك الدانمرك « تسألينني من احسد فانا اجيبك انني احسد الذين يستطيعون ان لا يهتموا الا باشغالهم » واجاب ملك النمسا « انني احسد كل من لم يكن امبراطوراً » واجاب القيصر « انني احسد كل من لا يحمل عبء السلطة ولا تنفطر كبده على مصائب الشعب » . اما الامبراطور غليوم فاجاب « يوجد شخص واحد لا احسده وهو الذي لا يحب وطنه »

❋ الميكروبات في ورق اللعب ❋ بحث احد دكاترة نتت فوجد ان ورق اللعب « الشدة » يحتوي على كثير من ميكروبات الامراض المختلفة ولا سيما السل وذلك من كثرة تناقله بالايدي . وثبت له انه شديد العدوى للاعبين ولا سيما اذا كانوا يضعون اصابعهم في فمهم ليلبها باللعاب كلما ارادوا عد الورق . فورق اللعب اذاً لا يؤدي في الغالب الى الخراب والخبال والانتحار فقط بل قد يؤدي الى اقبح الامراض ايضاً

❋ فائدة جديدة لاشعة رنتجن ❋ في الهند جمعيات لصوص يتمرنون على السرقة باساليب مختلفة ولاسيما سرقة الجواهر . منها جمعية يتمرن اعضاؤها على هذه السرقة بابتلاعهم قطع الماس وذلك انهم بعد طول المزاولة يتعلمون طريقة معروفة عندهم لابتلاع الشيء وحفظه في البلعوم ومتى شاءوا لفظوه . وعلى هذه الكيفية يستطيعون ان يبتلعوا نقوداً بحجم ٨ او ١٠ روبيات ثم يلفظونها متى شاءوا . فتوصلاً لاكتشاف سرقتهم صارت حكام الهند وتجارها يستعملون اشعة رنتجن للتفتيش في بلاعيمهم عن الاشياء المتهمين بسرقتها

❋ الغنى والعمران ❋ قال بعض الكتاب في كلامه عن اغنياء الاميركان ان

الاغنياء قوة في العالم اذا استعملوا غناهم لمنفعته · اما اذا ابقوا ثروتهم لانفسهم فقط فانه يحل بهم ما حلّ بالاشراف في ايام الثورة الفرنسوية · فان الاشراف كانوا مكرمين لما كان فيهم عون وفائدة فلما اصبحوا حملاً على ظهر الامة رمتهم الامة عن ظهرها وداستهم باقدامها · فعلى الاغنياء ان يحذروا الوقوع بما وقع به الاشراف لانه لا باس ان تعيش الهيئة الاجتماعية من غير اشراف اما الاغنياء فلا غنى عنهم لان العمران لا يقوم الا برؤوس الاموال · ثم ذكر هذا الكاتب ان الكليات العلمية الاميركية العظيمة لم تُبنَ الا بسخاء الاغنياء الاميركيين الذين تبرعوا لها بالملايين فالغنى عندهم من اقوى عوامل الارتقاء ولكنه ليس كذلك في اوربا · نقول فكيف عندنا ؟؟؟؟

❋ النور الحي واختراعه الجديد ❋ عرض المسيو ديبوي على المجمع العلمي في باريز اقتراحاً جديداً وهو انارة الغرف بنور حي · ومعنى النور الحي ان النور ينشأ عن ميكروبات حية تتولد وتنير الظلام بكثرتها · وقد وضع منها شيئاً كثيراً في زجاجات خصوصية ثم جعلها في غرفة كبيرة مظلمة فانارتها كما ينيرها القمر في تمامه واستطاع الحاضرون ان يقرأوا في الجرائد على نورها

❋ اختراع جديد لانارة البحر ❋ اخترع احد الاميركيين قنبلة منيرة اذا اطلقت من المدفع سارت على سطح الماء دون ان تغرق فيه ثم جعلت تنير الظلام بما يتولد في ثقوبها من الغاز و بذلك تنير طريقها على مسافة بعيدة جداً

❋ مضار البيانو للضاربين ❋ وجد الجراحون بعد اختبار كثير ان الضرب على البيانو ولا سيما الافراط فيه يُحدث التهاباً في بعض اعصاب اليد الضاربة فضلاً عن ان النساء قد يُصبن من جراء ذلك بضعف خاص وقد بحث مؤتمر عُقد في برلين في وجوب صنع انواع خصوصية من البيانو تكون لينة الملمس على الفتيات · واما الدكتور راير فيطلب ابطال البيانو اصلاً

❋ قتل الفئران بالكهربائية ❋ تكاثرت الفئران في معمل للكهربائية في برمنهام الى حد غريب فمد صاحب المعمل سلكاً كهربائياً في جميع غرف معمله وربط به قطعاً مختلفة من الطعام فكانت الفئران تتهافت على الطعام فلا تمسه الا وتصعق وتموت حتى ملأت جثثها ارض المعمل

باب التقريظ والانتقاد

❊ تاريخ الامة القبطية ❊ اتحف حضرة الفاضل تادرس افندي شنوده المنقبادي مدير جريدة مصر القراء اللغة العربية والتاريخ بتحفة جديدة وهي تاريخ الامة القبطيـة وكنيستها تاليف السيدة ا · ل بتشر وهو كتاب كثير الفوائد جليل الموضوع لما يتضمنه من تاريخ امة قديمة من اجلّ الامم فنحث جميع محبي الفوائد على اقتنائه ونشكر لحضرة ناشر هذا الكتاب هديته الجليلة

❊ نجم المشرق ❊ صدر العدد الاول من جريدة تُدعى « نجم المشرق » وهي جريدة ادبية تهذيبية دينية تصدر مرة في كل ١٥ يوماً لمديرها جناب الفاضل القس توما في ويحررها حضرة البارع متري افندي صليب · وهي مصدرة بعنوان لطيف نُقشت فيه هذه الكلمات « دعوا الاولاد ياتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات » وهذه الكلمة تدل على غرض الجريدة وهو غرض نبيل كما يُستدل من الاسطر الآتية التي وردت في المقدمة « وستكون مباحث الجريدة قاصرة على ما ذُكر مع بعض المباحث العلمية التهذيبية التي تمس الحاجة اليها في مدارسنا اليومية ولا دخل لها في امر الاختلافات الدينية والمباحث المذهبية والاخبار المجمعية والكنائسية » فنحن ندعو لها بالنجاح و باقبال التلامذة عليها لانها مفيدة لهم لاسيما وانها تخاطبهم بلغتهم

❊ الوطن ❊ الوطن جريدة يومية سياسية بالحجم الكبير لمديرها جناب الفاضل جندي افندي ابرهيم و يشترك في تحريرها حضرات الاديبين البارعين مخائيل افندي عبد السيد وتوفيق افندي حبيب · وقد عادت الى الظهور بعد احتجابها زمناً لاسباب دعت الى ذلك واشتراكها في السنة ١٣٠ غرشاً · ومما يسر ان الوطن معتدلة اللهجة نزيهة المشرب تدعو الى الوئام والاتحاد فنهنئها بخطتها ونرجو لها النجاح

❊ مجلة الهلال ❊ اعلنت ادارة مجلة الهلال انها عزمت على تغيير مواعيد صدوره فجعلت سنته ١٠ اشهر يصدر منه في خلالها ٢٠ جزءًا وتمنح مشتركيها في مقابلة الاجزاء الاربعة الباقية لهم كتاباً مفيداً وقد جعلت لهم امتيازات منها خصم ٣٠ في المائة من الكتب التي

يتناولونها من مكتبتها ووعدت بزيادة اتقان الهلال والاهتمام بمواضيعه ليكون منيرًا من كل الوجوه خلافاً لهلال السماء الذي لا ينير الا من وجه واحد فنحن ندعو لها بالنجاح وزيادة الانتشار ونثني على جناب منشئها الفاضل جرجي افندي زيدان لاجتهاده في خدمة الادب وادبائه اما اشتراك الهلال فقد زيد الى ١٥ فرنكاً في القطر و٢٠ فرنكاً في الخارج

※ الصباح ※ اصدر حضرة الاديب عبده افندي بدران صاحب المطبعة المصرية في الثغر جريدة اسبوعية عنوانها «الصباح» تصدر في صباح الاحد من كل اسبوع وتنشر التلغرافات الاخيرة لعدم صدور جرائد الثغر في ذلك اليوم وهي حسنة العبارة طلية المواضيع لا سيما وانها تهتم بالمواضيع المحلية اكثر من المواضيع السياسية فندعو لها بالانتشار

※ الخداع والحب ※ اهدانا حضرات الفاضلين الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي نسيم طراد نسخة من رواية «الحب والخداع» التي نقلاها عن الكاتب شيلر الالماني الى اللغة العربية ومُثلت غير مرة في القنصلية الروسية في بيروت في هذا العام . وقد نشرنا في باب المقالات في هذا الجزء انتقاداً لهذه الرواية وذلك دليل على اهميتها لان انتقاد الشيء دليل على مكانته وقلما انتقد الناس شيئاً غير ذي اهمية فنحن نثني على المعربين الفاضلين اللذين اتحفا اللغة العربية برواية الخداع والحب ونشكر لهما هديتهما

※ القليوبية ※ جريدة ادبية اخبارية فكاهية تصدر في بنها مرة في كل اسبوع لصاحبها الاديب محمد افندي زكي الاتربي وهي معتدلة اللهجة تحث على الاداب والفضائل فندعو لها بالنجاح

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

ملكة السلام

(التيمرة)

ودخل الرئيس كروجر وحفيده الى القاعة التي كانت تنتظره فيها الامبراطورة «مي تاي هو» امبراطورة الصين فرآها جالسة في كرسي فخيم وبازائها شاب اوربي يحادثها وهو ضاحك

فما وقعت عين الرئيس كروجر على هذا الشاب حتى وقف حائرًا مبهوتاً يتأمله فنظر اليه

حفيده ليعلم سبب وقوفه ونظرت اليه الامبراطورة نظرة كأنها تقول له بها « ما لك لا تتقدم» اما الشاب المذكور فانه ابتسم له عن شفتين جميلتين ابتساماً زاد كروجر حيرة فصار يقول في نفسه « خدعتني عيناي . فان هذا الرجل لا يمكن ان يكون صاحبنا » . ولما قال كروجر ذلك خطا نحو الامبراطورة متقدماً

فنهضت له مي تاي هو ونهض الشاب ايضاً وهو يبتسم كما ابتسم اولاً فكان ابتسامه يُجري الدم بارداً في عروق الرئيس كروجر لانه كان يريد ان يعرف له سبباً . وبعد ان هزَّ كروجر يد الامبراطورة مصافحاً على الطريقة الاوربية هزَّ يد الشاب ايضاً فضغط الشاب على يده ضغطاً خصوصياً . فلم يستطع كروجر صبراً فالتفت الى الامبراطورة وسألها متلطفاً هل لجلالتك ان تخولني شرف معرفة هذا الشاب

فاومأ الشاب للامبراطورة بعينيه فاجابت باسمة هو صديق لي لا تعرفه وهو يحبك ويغار على بلادك . فتنهد كروجر عند ما ذكرت الامبراطورة اسم بلاده ثم جلس بازائها واخذوا في الحديث . فالتفت الشاب الى كروجر وقال . خير يا كروجر الى اين انت سائر

فلما وقع صوت الشاب في اذن كروجر وجد له ارتياحاً شديداً فاجاب كنت قادماً لازيد الحركة في هذه البلاد تخليصاً لبلادي . لانني ظننت ان الصين اذا اشتغلت اوربا وانكلترا بثورتها عجزت انكلترا عن اخضاعنا في بلادنا لاشتغالها بهذه البلاد . اما الآن فقد تغير فكري . فاني ارى اوربا تضغط على الصين كما تضغط انكلترا علينا في وقت واحد . فلم يبقَ لنا الا سبيل واحد وهو ان اسافر مع صديقتي الامبراطورة الى بطرسبرج ونسال قيصرها الرفق باخوانه عباد الله

وقد قال كروجر ذلك وحدق كثيراً في وجه ذلك الشاب . فقال الشاب . وماذا تنتظر ان يصنع لك القيصر

فاجاب كروجر محتدماً غيظاً « اذا لم يصنع القيصر لي وللامبراطورة شيئاً فقد مات الحق في هذا العالم ووجب ان لا يُسمى القيصر بعد الآن ملك السلام . اين المبادئ الاخوية . اين استقلال الانسان وحقوقه . اترى اوربا عدلاً ان نموت تحت سنابك الخيل ليحيى غيرنا ويبني سلطنة واسعة في افريقيا . ألم يبق في العالم شيء حقيقي من هذه الكلمات الفارغة التي يُنادى بها في منابر اوربا وكنائسها وجرائدها وهي : العدل الحقيقة الحرية الدين الادب الاخاء المساواة . أسادت على العالم الفوضى الادبية تلك الفوضى التي تحكم القوي في رقبة الضعيف والكبير في عنق الصغير . كلا ثم كلا انني ارفع راسي ما بقي

لي راس وما بقيت اؤمن بانه يوجد اله عادل في السماء . ولذلك لم اياس بعد لان المؤمن لا ييأس من شيء . ولذلك اذهب لاسعى لاستقلال بلادي

ثم استأنف كروجر الكلام قائلاً « اسعى لبلادي واسعى للامبراطورة صديقتي لان في نيتي مشروعاً عظيماً كما تعلم جلالتها . لقد اتحد الغرب على الشرق وزحف على الصين زحفة واحدة لانقاذ عشرة الاف اوربي فيها على حين انه يترك عشرات الوف منا نحن البوير الاوروبيين اصلاً نهلك في جنوبي افريقيا . اليس في ذلك ما يبعث النفس على التبرؤ من الاصل الغربي وطلب الانضمام الى العنصر الشرقي . نعم نحن الآن شرقيون كهولاء الصينيين لان المصائب جمعتنا ورباط المصائب قد يكون رباطاً قوياً . وساسعى جهدي في ان اجعل الشرق كله يداً واحدة وعصبيــة واحدة ضد الغرب من اقاصي الهند الى اقاصي الدولة العثمانية وافريقيا . ويومئذٍ نرى قوة الغرب بازاء هذا التحالف الهائل الجديد . وانت تعلم ان روسيا دولة شرقية ايضاً فهي ستكون معنا في مقدمة هذا التحالف ولذلك فانني ذاهب لمقابلة قيصرها

فسدد الشاب هنا سهام عينيه الحادتين الى وجه الشيخ كروجر وقال له بهيئة جدية : كروجر كروجر ان قيصرها مشتغل الآن بالتوفيق لا بالتفريق فلا تعرض عليه مشروعك لانه يزدريه

فكبر هذا القول على الرئيس كروجر فقال للشاب بهدوء وتهكم : ما هذا التوفيق الذي يسعى القيصر اليه الآن والدماء تجري في كل مكان . وكيف يسمى مشروعي تفريقاً

فاجاب الشاب وقد اتقدت عيناه بنار سماوية « ان مشروعك مشروع تفريق لانه لا يتناول الا جزءا من العائلة الانسانية اما القيصر فانه اذا طلب الاتحاد والتحالف فهو يطلبها بين جميع ام العالم كبيرها وصغيرها شرقيها وغربيها . هو يطلب رفع الحدود من بين جميع الممالك لا وضع حدود جديدة بين الشرق والغرب . هو يطلب سبك السلاح لتصنع منه آلات للزراعة والصناعة لا صنع اسلحة جديدة . ان تحالفك الشرقي تحالف للحرب ولمقاومة القوة بالقوة اما التحالف الذي يطلب القيصر ان يكون بين اجزاء الانسانية كلها فهو تحالف للسلام . لا انكر عليك ان المعيشة في هذا العالم قد اصبحت امرًا قبيحاً فان الدماء تجري في كل مكان . والظلم كثير . والرذيلة شائعة . والشقاء والفقر سائدان . والفساد في كل شيء يكاد يكون عاماً . ولكن ما العمل . كذا قُضي على الانسانية ان تكون في اول امرها . ان الانسانية كالثمرة التي قال فيها احد كتاب العرب (١)

(١) بديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله

تكون مرّة قبل تمامها . ثم تصيرة مزّة كثيرًا من ايامها . ثم تكون بلحة عفصة . ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها . حتى تصبح رطبًا جنيًا . وتؤكل حلوًا هنيًا »
ونحن الان في دور العفوصة فاصبر فاننا سنصل الى الدور الاخير واعلم ان من نواميس هذا الكون القاسية الغريبة ان لا يخطو العالم خطوة الى الامام الا بعدان تشق نفوس وتسفك دماء . فاذا طلبنا الارتقاء فلا نبخل على المستقبل بشيء من العناء والتسليم بل والدماء اذا كان ذلك ضروريًا . وقد قابلت امس رجلاً قادماً من عند القيصر نفسه وهو مطلع على اسراره فابلغني ان القيصر يهتم بك كثيرًا وقد اعدّ لك وظيفة جديدة سامية اسمى من وظيفتك الحاضرة في جنوبي افريقيا ولا بد ان يستدعيك اليها قريبًا . ولهذه الوظيفة علاقة بالموضوع الذي اتكلم عنه . وقد قصدتك هنا لاطلعك عليها . فهل ترضى بها

وكان كروجر مبهوتًا صامتًا فاجاب . وما هي . فقال الشاب هي « السكرتير الاول لملكة السلام » فقال كروجر اني اسألك لاختبر لا لامر آخر ولذلك اقول لك انني لم افهم شيئًا من قولك « ملكة السلام »

فقال الشاب بعظمة اعجب بها الرئيس كروجر وارتاح اليها

« ان العالم فاسد الآن لان اساسه فاسد . واساسه حكوماته فيجب اصلاح هذه الحكومات . واصلاحها لا يتم الا بتوحيدها وخضوعها لقانون واحد يجريها في طرق الخير ويصرف قوى شعوبها في سبيل الارتقاء لا في معدات الهلاك . فيجب قبل كل شيء توحيد ممالك العالم وانشاء تحالف عظيم بين جميع حكوماتها ليأمن بعضها بعضاً فتكون كلها بمثابة جمهوريات متحدة او ولايات متحدة

« وتوصلاً لهذه الغاية لم يجد القيصر الا سبيلاً واحدًا وهو تذليل كبرياء الملوك واقناعهم بوجوب ذلك التحالف العظيم . غير ان الطريق الى اذلال تلك الرؤوس الشامخة ليست سهلة وانت تعلم ذلك من نفسك لانك من تلك الرؤوس وقد سبب عنادك وشدة راسك شقاء شعب باسره . ولكن لما كان الحديد لا يفله الا الحديد فقد راى القيصر ان يستعين بالمرأة لاذلال كبرياء الرجل وصنع الخير الاعظم على يدها اللطيفة . فولى الامبراطورتين امه وقرينته ادارة حركة عظمى يقصد بها تقريب الملوك بعضهم من بعض وسمى امه ملكة السلام . واعلم ان ما اقوله لك الان امام الامبراطورة مي تاي هو سرّ لا يعلمه الا قليلون . فازوجت ملكة السلام ابنة امير الجبل اسود الى ملك ايطاليا

الجديد و بذلك استمالته الى روسيا وفصلته قليلاً عن التحالف الثلاثي . وستزوج كذلك كل ولي عهد من اولياء العهد باميرة يكون لها سلطة عليها او نفوذ لديها ومتى اصبحت هؤلاء الاميرات ملكات اثرن على ازواجهن التاثير المطلوب فيكون ذلك تمهيداً للاتحاد العمومي والاخاء العام . اما سمعت ما قيل من ان المرأة على العرش تحكم بالفعل والرجل يحكم بالاسم وان المرأة اذا هزت السرير بيمينها فانها تستطيع هز الدنيا بشمالها

«ثم ان القيصر راى الحكومة الانكليزية كثيرة النفور من مشروع التحالف الاعظم الا اذا ضمت الترنسفال اليها وانشأت سلطنتها الافريقية فاذن لها في ذلك قائلاً اذا كانت الحدود كلها سترتفع من بين الممالك فما ضرّ ان ترتفع الحدود الآن بين انكلترا والترانسفال . ولكن لم ياذن لها بذلك الا بناء على ان يتزوج امير انكليزي بالفتاة ولهلمين ملكة هولانده . والبويرهم هولانديو الاصل كما تعلم . فمتى اصبح الامير الانكليزي في قبضة ملكة هولانده استطاعت التاثير عليه ليسعى لدى امه الملكة فكتوريا في ان يكون اميراً للترانسفال . وهكذا تصبح ملكة هولانده ملكة الترنسفال ايضاً

«ثم حدثت الحركة العظيمة . فان القيصر رأى وجوب مزج عواطف العالم الاوربي مزجاً شديداً في حركة عنيفة فاشار الى امبراطورة الصين فانشات الحركة الصينية التي اتحدت فيها اميال الدول ومشى فيها العدوّان فرنسا والمانيا والخصمان روسيا وانكلترا تحت راية واحدة وقيادة واحدة . وهو الان متابع السعي لتوحيد العالم وانشاء الاتحاد والسلام فيه على يد ملكة السلام كما تقدم . فهل تريد ان تكون سكرتيراً لها فان يديك تكون حينئذٍ فوق ايدي جميع ملوك العالم حتى فوق تشمبرلن نفسه . ومالك ومنصبك في جنوبي افريقيا فانه اصبح اسماً بلا مسمى فاذا شئت ذلك فهلم وعد الى بلادك لتهيئة شؤونك ثم سافر الى بطرسبرج عن طريق لورنسو مركز

فبهت كروجر قليلاً ثم قال . اريد قبل كل شيء مقابلة القيصر

فاجاب حينئذٍ ذلك الشاب بهدوء قائلاً « انا هو فماذا تريد مني »

فنهض حينئذ الامبراطورة وكروجر مهابةً واحتراماً (ستأتي البقية)

نوجه الانظار الى كلمات على ظهر المجلة

تاريخ الاسبوعين

﴿ الجناب الخديوي ﴾ عاد الجناب الخديوي المعظم في اواخر الماضي من سياحته في اوربا الى بلاده بالعز والاقبال فاستأنس القطر بسموه بعد استيحاشه واقبلت الرعية من كل صوب لتهنئته بالسلامة فندعو معها لجنابه الفخيم بدوام العز وطول البقاء

وقد احتفل في يوم الثلثاء ٢٥ سبتمبر الجاري بعيد مولد سموه وجرى لذلك استقبالات حافلة في قصر راس التين اعاده الله على سموه بتمام العافية والهناء



غبطة السيد فوتيوس بطريرك الكرسي الاسكندري للروم الارثوذكس

﴿ غبطة البطريرك الاسكندري ﴾ وصل غبطة الحبر الجليل السيد فوتيوس بطريرك الكرسي الاسكندري الى الثغر في يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر الجاري مع الباخرة النمساوية للاحتفال باجلاسه على العرش البطريركي وتسليمه صولجان البطريركية . وقد جرى هذا الاحتفال

على غاية الرونق والبهاء فكان في الثغر يوم مشهود فنهنئ غبطته بالسلامة وبارتقائه الى هذا المنصب الرفيع ثم نكرر الرجاء بان يبلغ الكرسي البطريركي في عهده كل نجاح وفلاح باذن الله . وقد نشرنا في الجزء ٢٢ من السنة الاولى ترجمة غبطته

﴿ دولتلو محمود باشا داماد ﴾ حضر في اواسط الجاري الى الثغر دولتلو محمود باشا داماد صهر جلالة السلطان مع نجليه صاحبي النجابة الامير صباح الدين افندي ولطف الله افندي . وقد وصف حضرة الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد دولة الباشا ونجليه في خلال حديث في غاية الاهمية جرى له معهم في فندق ابات فقال ان دولة محمود باشا هو نجل المرحوم خليل باشا داماد صهر المغفور له السلطان محمود ولكنه من ام غير سلطانة . وهو يبلغ من العمر ٤٨ سنة ربعة القامة ممتلئ الجسم قمحي اللون عظيم الهامة تلوح على جبينه وعينيه ملامح الذكاء والفطنة وهو تركي الاصل كاتب منشئ وشاعر مجيد في لغته وعارف باللغتين الفارسية والفرنسوية وله شغل كثير بالعلوم العصرية

اما نجله الامير صباح الدين افندي فهو متوسط القامة قمحي اللون كوالده الا انه نحيف الجسم يعرف التركية والفرنسوية والعربية والفارسية وهو متبحر في الطبيعيات يكاد يقضي اكثر اوقاته في مطالعتها وسنه ٢٣ سنة . واما الامير لطف الله افندي فهو طويل القامة ممتلئ الجسم قليلاً ابيض اللون يعرف من اللغات ما يعرفه الامير اخوه الا انه مولع بالفنون الجميلة لا بالطبيعيات . وقد ترجما معاً الى التركية كتاباً من كتب «لامارتين» الشاعر الفرنسوي المشهور وطبع هذا الكتاب في الاستانة فاشتهر كثيراً . ومع الباشا ونجليه شاب اديب يدعى حسين دانش بك بمثابة سكرتير وكان معلماً للاميرين

ولا نحتاج الآن الى ذكر السبب الذي من اجله حضر دولتلو محمود باشا الى مصر فقد اصبح معلوماً انه خرج من الاستانة مع ولديه الكريمين مستاء فساح في اوربا وكثيرون يؤكدون انه قدم الى القطر تمهيداً لعودته الى وطنه . وقد تقاطر حضرات النظار وكبار الناس لزيارة الامراء واجمل الجناب الخديوي ملاطفتهم واستقبالهم اكراماً للاسرة السلطانية . وتهافت مراسلو الجرائد لمقابلة دولة الباشا ومباحثته فنشروا عنه اقوالاً مختلفة

وقد زارنا جناب السكرتير حسين دانش بك فحادثناه اكثر من ساعة في شؤون مختلفة . فدعانا الى مقابلة الباشا والاميرين الكريمين فاعتذرنا لضيق الوقت وكان في حديثه كثير الادب والرزانة . ومما قاله لنا ان جلالة السلطان موضوع فوق الاحزاب وان

دولة الباشا يحترمه ويجله فاذا قال قولاً في شان الاصلاح فانما يعني به الحكومة لا جلالته فاثبتنا على ادب دانش بك وعقله

ونحن نؤمل ان يصرف الامراء عندنا مدة على الرحب والسعة ثم يعودوا بامن وسلام الى وطنهم حيث تنتظرهم قلوب شفوقة ونفوس يؤلمها فراقهم ٠ وامامنا هذا ينطبق على ما قاله دولة الباشا في ختام حديثه مع حضرة مدير المؤيد اذ قال« انني صرفت افضل العناية بحقي الآن على كل شيء ويكون بعد ذلك ما يريده الله »

الحوادث الخارجية من اهم حوادث هذا الشهر سفر الرئيس كروجر من الترانسفال الى لورنسو ماركز قاصداً اوربا ليسأل حكوماتها التوسط للابقاء على استقلال بلاده تحت سيادة انكلترا ٠ وانما عزم الرئيس كروجر هذا العزم لانه راى صعوبة ثبات جنده القليل امام جند خصمه الكثير ٠ اما الحرب نفسها فانها كما قلنا قبلاً اصبحت حرب مناوشات لكن لا يخشى ان تطول اشهراً على هذا المنوال ٠ وقد صار البوير يلجأون الى الاراضي البرتغالية افواجاً افواجاً فرارا من عدوهم الذي يطاردهم ٠ ومما يجدر ذكره ان الحكومة الانكليزية اعلنت قرب عودة اللورد روبرتس من ساحة القتال ليتولى اصلاح الجيش الانكليزي

وقد بدأت الانتخابات في انكلترا وسيكون العراك شديداً بين المحافظين والاحرار ٠ فالمحافظون يقولون انهم خلصوا المملكة من الخطر لانهم اخضعوا الترانسفال وانقذوا افريقيا فضلاً عن ان حزب الاحرار حزب متفرق الكلمة ومن غير جامعة شاملة فلا يجب تسليمه زمام الحكومة ٠ وحزب الاحرار يقول ان المحافظين اهملوا الاصلاحات الداخلية واهملوا شؤون الجيش حتى اذلوا انكلترا ذلاً لم تصب بمثله منذ حربها مع اميركا ٠ كذا قال اللورد روزبري في المنشور الذي نشره ٠ وذلك يثبت ان العراك سيكون شديداً

واما مسالة الصين فقد اصبحت مسالة بين الدول فان روسيا بعد استيلاء الدول على بكين اقترحت عليهن الجلاء عنها لعودة الحكومة الصينية اليها تمكناً من مخابرة هيئة مسؤولة فعارضت انكلترا في ذلك فسحبت روسيا سفارتها وجندها من بكين ٠ وقد نشرت المانيا مذكرة قالت فيها انه يجب على الصين ان تدفع الذين كانوا سبب الثورة الى الدول لمعاقبتهم فاجابتها الولايات المتحدة ان الدولة لا تستطيع ان تسلم ابناءها الى الغرباء لمعاقبتهم بل ان عقابهم اذا كان منها فهو افعل فيهم ٠ وقد وصل المارشال والدرسي الى شنغاي وسافر نحو تيينتسين وعزمت الجنود الاميركية ان لا تشترك في المعارك التي يجريها هذا

المارشال تحت قيادته على سبيل الهجوم . والخلاصة ان مسالة الصين لا يزال جوها مكفهرًا

وقد حدثت في خلال هذا الشهر حادثة هائلة في تكساس احدى الولايات المتحدة الاميركية . فان اعصارًا شديدًا هب على مدينة كالفستون وجوارها فهدم المنازل واتلف الزروع وكسر الاشجار وقتل الوفاً من الناس وحفر الارض واغرقها بطوفان من الماء . فنشط العبيد هناك الى النهب والاعتداء على النساء وسلبهن فقتلت الجنود بعضاً منهم حفظاً للامن واعلنت الاحكام العرفية لاضطراب الحالة فيها اشد اضطراب . اما مدينة كالفستون نفسها فانها ستهجر لانها اصبحت خرابًا . وقد مرَّ الاعصار في مزارع القطن فاصابها بضرر بعضهم يقدره بمائة الف بالة والبعض بنصف مليون بالة . ثم ان هذا الاعصار بعد تخريب ماخربه في تكساس اندفع نحو الاوقيانوس الاتلانتيكي فكنس كل ما وجده في طريقه على مسافة مئات من الاميال في ظهر البحر

والاعصار زوبعة هائلة تكون في بدء الامر بقعة صغيرة من السحاب ثم تتسع وتنتشر وتزداد اسودادًا ثم تهجم تدفعها ريح شديدة هائلة وملاها في جوفها الكهربائية يخرج منها قصف البرق والرعد ويعقبها مطر تسيل به الارض وقد يتدلى منها اعمدة من السحاب فيسميها العامة في بر الشام تنيناً . وهي تجتاح كل ما تمر به من المنازل والاشجار والبشر والحيوان بل ربما حملتهم وطارت بهم في الهواء الى مسافات بعيدة

فعسى ان يكون هذا المصاب الذي اصيبت به ولاية تكساس لم يمس اخواننا العثمانيين الذين هناك بضرر واذى بنه وكرمه

نهضة الاسد

ما كان يخطر في البال حين شروعنا بكتابة رواية نهضة الاسد انها تلقى الاقبال العظيم الذي لقيته الى الآن فان القراء ومحبي التاريخ يبعثون كل يوم في طلبها من اقاصي البلاد التي تصل الجامعة اليها ليحفظوها على حدة عندهم حتى اخذت النسخ التي حفظناها منها تقل كثيرًا . وقد مضت الآن نوبة التاريخ وجاءت نوبة الحوادث التكاهية الممزوجة بالحوادث التاريخية مزجاً في غاية الطلاوة كما ترى في القسم المنشور منها في هذا الجزء

وهي تطلب الآن من ادارة المجلة وثمنها عشرة غروش صاغ تُرسل سلفاً

ثم انها بعد رضاها اخذت تفكر ملياً وما لبثت ان قالت هذا امر لا يخلو من نظر فانه قد اصبح من واجبات ابنتي كاترين ان تطوف الحقول والغابات وتروح وتجيء وهذا من شؤون الرجال .

فقال بيتو على الفور لا تخافي لا تخافي يا مدام بيلو فانني اكون رفيقاً لها حيثما ذهبت فعبست كاترين . فارتجف قلب بيتو المسكين لذلك وقال خائفاً هل ساءك قولي يامدامو زل كاترين

فاجابت بهدوء نعم لان ما قلته ثرثرة في غير محلها . فاحمر وجه بيتو . وقالت مدام بيلو صدقت كاترين فانها تأنف من وجود حرس يحرسها . فقال بيتو بلهجة من يقول قولاً وهو يظن انه لا مردّ له . وما قولك حين ذهابها في الاحراش والحقول البعيدة الا تحتاج حينئذٍ الى حارس ايضاً . فقالت كاترين اين رايت البنات يامسيو بيتو يسحبن وراءهن شباناً مثلك في كل حركة من حركاتهن . افي باريز رايت ذلك

فكانت هذه الضربة الشديدة كافية لاسكات بيتو المسكين

وبعد ذلك اخرجت مدام بيلو مفاتيح الخزائن والاماكن وجمعت جميع العاملين في المزرعة لتبلغهم ارادة الاب بيلو وتسلم الاعمال الى ابنتها

ولما اخذوا يجتمعون وعلموا بطرف من سبب اجتماعهم اظهروا سرورهم بذلك لانهم كانوا يحبون كاترين ويحترمونها معاً . يحبونها لان هذه الابنة جمعت في نفسها كل الصفات التي تجعل الابنة محبوبة فهي لطيفة كريمة الاخلاق جميلة سخية . ويحترمونها لانها كانت اذا لاطفتهم فانها تصل معهم الى حد معلوم من اللطف لا تتعداه اي انها تبقي دائماً بينها وبينهم حاجزاً

ولم ينفرد العملة في المزرعة بحبها بل ان كل ما في المزرعة من الحيوان كان مولعاً بها. فانها اذا سارت في الحقول اسرعت اليها البقر والحملان لالفتها اياها . واذا سارت في دار المزرعة وقع الحمام عليها فنزل منه على كتفيها وحام الباقي حولها وفوق وجهها وكاترين تبسم لها . واذا دخلت الاسطبل حمحمت الخيل فيها وقس على ذلك . فتكون كاترين هي صاحبة السلطة الادبية الحقيقية في المزرعة فمن حقها اذاً ان تضاف الى هذه السلطة الادبية السلطة الفعلية

ان في ادوار المراة دوراً يجعلها كالمغناطيس تجذب كل شيء . وهذا الدور هو دور الصبا والشباب . فعلى المراة ان تراقب جاذبيتها في هذا الدور لكي لاتدع شيئاً رديئاً ينجذب اليها

ولما تكامل عدد العملة تقدمت منهم مدام بيلو ووراءها كاترين وبيتو وقالت لهم . ان زوجي بقي في باريز الى اجل غير معلوم . وقد علم انني متقدمة في السن لا استطيع القيام بحاجات المزرعة بالنشاط الواجب لها فارسل مع بيتو يعهد بذلك الى ابنتي كاترين النشيطة التي تعرفون حسن ادارتها. فاعتبروها منذ الآن مديرة للمزرعة بدلاً مني وانا اول الطائعين لها

فاظهر العملة سرورهم بتولي كاترين ادارتهم فشكرتهم كاترين على ذلك . فطلبوا منها ان تعين لهم اعمالهم فابقت كل واحد منهم في العمل الذي كان يعمله

وكان بيتو في اثناء ذلك يسمع ويرى وهو ساكت لالم الضربة التي ضربته اياها كاترين آنفاً . فلما انصرف العملة الى اعمالهم وجاءت نوبته تقدم منها وقال خاضعاً . وانا يا مداموزل كاترين . ماذا تريدين ان اعمل في المزرعة

فابتسمت كاترين له وقالت . انت . لا شيء يامسيو بيتو . فلم يفهم بيتو هذا الكلام فقال هل تحبين ان اعود الى حسابات المزرعة . فاجابت كاترين حينئذ وهي غير مبتسمة . انا لا ارى لك عملاً في المزرعة يامسيو بيتو

فقنع بيتو فاه وعينيه وحاول ان يسد اذنيه حتى لا يسمع ماسمع . ثم قال متألماً كيف تقولين لا عمل لي في المزرعة . فاجابت كاترين نعم لا عمل لك لانني لا اريد ان اهينك يامسيو بيتو . فانت الآن اصبحت رجلاً عالماً كبير الجاه لانك من فاتحي الباستيل والعلم وكبر الجاه لا ينطبقان على الخدمة في مزرعة

فعلم حينئذ بيتو ان كاترين تتكلم دون مزاح فقال . اذن انتِ ترين الآن ان علمي يوجب طردي من المزرعة ومنعي من اكتساب خبزي . فقالت كاترين من يطردك يامسيو بيتو ؟ ابقَ عندنا اذا شئت ولكنك تبقى دون عمل

فثارت كبرياء بيتو وحبه . واحد يجذب وواحد يدفع . اما كبرياؤه فانها كانت توجب عليه ترك المزرعة حفظاً لكرامته بعد القول الذي قالته مداموزل كاترين . واما حبه فكان يقول له اسكت وتذلل والتمس يابيتو

فقال للمصالحة بين الاثنين . الا تريدين ناظراً للحقول يا مداموزل كاترين . الا تحتاجين الى مراقب للماشية في المزرعة . الا يلزمك من يقيد حساباتك او يتولى صندوقك . وبالجملة الا يوجد عندك مكان صغير لي اخدمك فيه على الراس والعين

قال ذلك وانتظر جواب كاترين . ولبث ناظراً الى شفتيها الجميلتين ليرى حركتهما فما لبث ان رآهما قد انفتحتا قليلاً وخرجت منهما هذه الكلمة الهائلة — كلا

فازداد الم بيتو وعلم من هذا الرفض ان كاترين مصممة على ان لاتوليه عملاً . فقال لها . اتحبين اذاً ان اترك المزرعة

فابتسمت كاترين . واما بيتو فتنهد لهذه الفتاة التي كانت تلعب بقلبه كانه سيف يدها عصفورة تذبحه وهي تبتسم . ثم قالت له كاترين يعز علينا فراقك يا مسيو بيتو واذا ذهبت فاننا ناسف لذهابك قالت هذا ثم قصدت غرفتها

الفصل السادس والعشرون

(كاترين افلتت من يده)

فبقي بيتو المسكين في اضطراب عظيم كانه ريشة في مهب الريح وفي نفسه مرارة اليأس والم والغم . وقد اصبح يرى ان جميع آماله حبطت وذهبت ادراج الرياح . اين ما كان يملل به نفسه من لطف كاترين وميلها اليه . اين ما كان يرجيه من السعادة في المعيشة في بيت كاترين . بقرب كاترين . وتحت نظر كاترين . كل ذلك ذهب هباء منثوراً . لقد سقطت القصور التي بناها بيتو في الهواء فلم يبق له الا السكوت وانتظار رحمة كاترين

فذهب وهو صاغر النفس مكسور القلب ملوي الرأس الى المقعد الموضوع بازاء غرفة كاترين وجلس يرقبها وينظر اليها كما يرقب المجوسي طلوع الشمس في الصباح

فما لبث بيتو ان رأى خيالاً في الغرفة يروح ويجيء فامعن النظر فراى ان كاترين تتزين وتلبس ملابسها الجميلة امام مرآتها . فغص بريقه ووضع يده على قلبه . ثم لما عاد من سكرته اخذ يسال نفسه . لماذا تتزين الآن كاترين . لماذا تلبس اليوم ملابس العيد

وبعد برهة خرجت كاترين من غرفتها وطلبت جوادها . فحك بيتو راسه وسال نفسه اين تذهب كاترين . فاحضروا لها الجواد فوضعت يدها على لجامه وقالت للخادم انها ذاهبة لافتقاد الحقول في فرته ميلون ثم وثبت وثبة عصفور خفيف فاصبحت في السرج وسارت في طريق فرته ميلون

فبعد ان سارت كاترين قال بيتو في نفسه : ان في استطاعة كاترين ان تقول لي — لا احب ان اراك . ولكنها لا تستطيع ان تقول لي — امنعك من ان تتبعني . قال هذا ونهض يقفو اثار كاترين

ذلك ان الفتى بيتو اصبح غير قادر على المعيشة دون كاترين لانها صارت منتهى امله واقصى امانيه . وكان غرضه من اقتفاء اثارها ان ينظر اليها نظرة حين مرورها . وتوصلاً

الى ذلك لم يسر وراءها بل قطع عليها الطريق وسار توًّا الى الحرش القريب الذي كان يجب ان تمر به في سيرها الى فرنه ميلون

وقد كان يتو في سيره الى هذا الحرش مسرعاً يختبيء من حين الى حين لكي لا تراه كاترين. ولما بلغه اختبأ وراء شجرة على الطريق ليتسنى له ان يتزود من كاترين نظرة حين مرورها

فما اقنع يتو وما اقل خطر الحب اذا كان كله كما كان يجب

ولبث يتو ينتظر كاترين وراء الشجرة بصبر فارغ وكله اعين ترى الطريق وتفتش عن شبح كاترين من بعيد دون ان ترى شيئاً . ومرَّ عليه ربع ساعة ثم نصف وهو واقف هذه الوقفة من غير نتيجة . فشعر يتو انه اخطأ في حسابه بل شعر ان كاترين قد كذبت في ما قالته من قصدها فرنه ميلون لانها لو كانت ذاهبة اليها لوجب ان تكون قد مرَّت من هذه الطريق . فخطر له حينئذٍ ان كاترين قد غيرت طريقها وافلتت من يده فوثب من مكانه وثبة الارنب التي يناجئها الصياد حتى خرج من الحرش ومدَّ بصره الى الطريق

فابصر يتو كاترين على الطريق المقابلة وهي سائرة بجوادها ركضاً نحو بورسون اذ غيرت طريقها واجتازت تلك الناحية. فطار صوابه وحمحم حمحمة الجواد الذي يطلب الركض ثم انه من غير ان يفتكر بشيء او ينظر الى شيء اطلق ساقيه الطويلتين وراء الجواد وراح يعدو من كل قوته

وانت تعرف قوة يتو وسرعته في الركض . فان ساقيه قد خُلقتا من فصيلة الخيل لا من فصيلة البشر ولذلك لم تكونا تقصران عن الخيل في الركض ان لم نقل انها تسبقانها

وبينما كان يتو يركض ورجلاه تسابقان راسه ويداه الطويلتان كانها مجاذيف تتحرك حركة شديدة في الهواء وكل جسمه مضطرب ثائر قال في نفسه ان الاجدر به ان يصنع ما صنعه في المرة الاولى اي قطع الطريق على الجواد وقصد حرش بورسون توًّا ليتسنى له الوصول اليه قبله . فحاد يتو باسرع من لمح البصر عن الطريق وانطلق كالسهم الى الحرش

وكانت كاترين في هذه الاثناء ثابتة بقامتها الهيفاء على متن جوادها والجواد يعدو بها والنسيم يعبث بشعرها ويداعب ملابسها . وكان يتو يركض يركض يركض وعيناه شاخصتان الى جميلته كاترين وهو خائف ان تلتفت وتراه . ولكن فات هذا المسكين ان كاترين كان بالها مشغولاً في تلك الساعة بما امامها لا بما وراءها

وبقي بيتو يركض على ساقيه وكاترين تركض على فرسها حتى اصبح بيتو على موازاة الجواد فكأنه ركض ضعف ركضه حتى استطاع ان يوازيه . ذلك ان بيتو كاد يشق نفسه بهذا الركض السريع ليقف على سبب كذب كاترين واصبح الآن يتبعها ليراقبها لا ليراها . فانها قالت قبل خروجها من المزرعة انها سائرة الى فرته ميلون فلماذا كذبت وقصدت بورسون

ولما وصل بيتو الى الحرش في ركضه السريع اصبح يجد في طريقه الادغال والنباتات تمنعه عن السير فكان يقفز فوق بعضها ويضرب البعض الآخر بسيفه وهو يعدو فيقطعه . وكان كلما ضرب ضربة راى فرس كاترين يرفع راسه في سيره وينصب اذنيه ناظرًا الى المكان الذي صدر عنه صوت الضربة . فازداد بيتو حرصاً على الاختباء وهو يركض

وكان قد اخذ يسبق الجواد بعد موازاته فتمهل في ركضه حتى لا يفوته . وفيما هو سائر وعيناه شاخصتان الى كاترين من بعيد سمع حمحمة جواد قادم تلوها حمحمة جواد كاترين . فقال بيتو في نفسه ربما قد وصلنا . وبعد برهة راى فارساً مسرعاً صوب كاترين لملاقاتها

فابتدأ الالم في نفس بيتو ولكنه كان هذه المرة شديدًا لا يحتمل . فاخذ يتميز لوائح الشاب فلم يقدر على ذلك لانه كان بعيدًا عنه . وكان الشاب قد وصل الى كاترين ووصلت كاترين اليه فعلم من الاحمرار الذي صبغ وجه الفتاة حين مده يده للتسليم عليها ومن الابتسام الذي انار وجهها فوق نور الاحمرار ان كاترين مرتاحة جدًا الى هذا الملتقى . فدنا بيتو قليلاً من الاثنين ووجه كل قوى نفسه الى وجه هذا الشاب فلم يتميزه . ولكنه ادرك من قبعته وجلوسه في سرج جواده ولطف حركاته ورشاقته حين نزوله عنه للاخذ بركاب كاترين ومساعدتها على النزول انه من اعلى طبقات الهيئة الاجتماعية . فهبت في نفس بيتو زوبعة هائلة اذ ذكر ان هذا الشاب قد يكون هو المسيو ايزيدور دي شارني الذي رآه يوماً يرقص مع كاترين في فيلله كوتره رقصاً بديعاً وصاحب القصر البديع في بورسون . فلم يعد بعد هذا الفكر يستطيع الصبر عن الدنو منهما فتقدم مسرعاً وهو يختبئ بين الادغال وجذوع الاشجار حتى اصبح على بعد ٢٠ خطوة منهما

غير انه ما وصل الى هذا المكان حتى راى الشاب قد التفت اليه لصوت حركة الاقدام فاستلقى بيتو باسرع من لمح البصر على بطنه الى الارض ومد جسمه عليها فاصبح كانه داخل فيها . اما الشاب فلما لم يرَ احدًا ترك النظر الى ذلك المكان

واما كاترين فان اذنيها ما كانت تسمع صوتاً لان عينيها كانتا مشتغلين بالشاب الذي امامها

واما بيتو فانه راى وجه الشاب حينما التفت اليه فوجد انه هو المسيو ايزيدور دي شارني نفسه فزأر في نفسه زئيراً يحكي زئير الاسود وعض شفتيه باسنانه ومد يده الضخمة الى قلبه بشدة وقوة كانه يحاول تسكين هياجه العظيم او يريد نزع عقارب الغيرة والحسد الهائل التي اخذت تدب فيه دبيباً هائلاً . ثم ادنى بيتو وهو في هذا الهياج والعذاب يده من عينه ومسح دمعة اخذت تبرز فيها . ثم تنهد من اعماق قلبه وخرج من صدره مع زفرات التنهد هذا الصوت — آه يا كاترين

وكانت كاترين والشاب واقفين في هذه الاثناء الواحد بازاء الآخر ساكتين والارواح تتكلم وكل منهما شاخص الى رفيقه . وكان بيتو وهو يراهما يرى منظراً بديعاً يروق العيون . فانه كان يرى منتهى الجمال الطبيعي الفلاحي مقروناً بمنتهى عظمة النبلاء وجمالهم . يرى زهرتين في منتهى الجمال وشرخ الصبا واقفتين في هدوء المساء تحت اشجار الحرش الغضة وفوقهما العصافير تغرد كانها تردد جهراً ما كانا يقولانه سراً . يرى جسمين جامدين وسط تلك الطبيعة المتحركة التي كانت تستعد لسبات النوم ونسيم المساء يهب على الاغصان فيحركها تحريكاً خفيفاً كانه روح الاثنين ضاقت عنها مادة البدن فخرجت الى الفضاء الواسع الذي اخذت منه قبلاً . يرى السماء تظلل بزرقتها من بعيد هذين الملتقيين وتمدها بشيء من بهاء لونها . يرى الشمس وهي مائلة نحو كهفها البارد ترسل اليهما شيئاً من اشعتها الصفراء الفاترة كانها تسلم تسليم الخضوع والاحترام على اختها كاترين وتغبطها على الهناء الذي تجده في ذلك الملتقى بينما هي في مفارقة حبيبها العالم . — ولكن كل هذه المناظر والتصورات التي كانت تملأ عيني بيتو جمالاً وحلاوة كانت تملأ نفسه غيظاً ويأساً وشقاء فيشعر باشد عذاب تشعر به مهجة انسان . واي عذاب اشد من عذاب محب حباً صحيحاً كبيتو يرى آماله واحلامه تذهب في الهواء في ساعة واحدة

وبينما بيتو يراقب كاترين والشاب ايزيدور وكله اعين ترى سمع صوتاً من جهتهم فاصبح كله اذاناً تسمع . واذا بكاترين تقول

— ابطأت اليوم يامسيو ايزيدور

فقال بيتو في نفسه — ما شاء الله فهو اذاً في الايام الاخرى ما كان يبطىء

فاجاب الشاب . لا تلوميني ياعزيزتي كاترين فقد اخذت اليوم كتاباً من اخي الكونت دي شارني في باريز فكان سبب ابطائي . واعدك انني لا ابطيء بعد الآن

فابتسمت كاترين اما بيتو فان قلبه كان يقطر دماً . ثم قالت كاترين . الظاهر انك قد وردتك اخبار من باريز . قال نعم واني ارى الحال سيئة . قالت وانا ايضاً وردتني اخبار منها . قال مع من قالت مع « بيتو »

فضحك الشاب وقال « بيتو بيتو » ما هذا بيتو . انه في الحقيقة اسم مضحك

فاخذ بيتو يحك راسه عند هذا الكلام

فقالت كاترين ان بيتو هو ذلك الفتى الذي رايته يوماً معي في حفلة الرقص في فيلله كوتريه . فقال الشاب ضاحكاً عرفته عرفته فهو صاحب الركبتين التي كل واحدة منهما كانها راس طفل من كبرها

فضحكت كاترين ضحكاً شديداً اما بيتو فانه في مخباه اصبح يرى نفسه صغيراً صغيراً اصغر من النمل والحشرات التي كانت تزحف تحته في نومه على الارض . ثم نظر الى ركبتيه ليرى هل هما حقيقة كما قال الشاب النبيل . اما كاترين فقالت للشاب وهي تضحك . لا لا . ارجوك ان لا تضحك من بيتو كثيراً . ولو كنت اعلم ان ضحكك منه لا يزداد لكنت اقول لك ماذا اقترحه عليّ هذا الولد قبل حضوري

فلما قالت كاترين « هذا الولد » شعر بيتو ان نفسه ازدادت صغراً

فقال الشاب وماذا اقترحه عليك . قالت وهي تضحك ايضاً اقترح عليّ ان يصحبني الى هنا . فازداد الشاب ضحكاً وقال ولماذا لم تاتِ به فانه كان يسلينا

فهنا اخذت جبهة بيتو المسكين تنضح عرقاً لتاثره وعذابه وقال في نفسه كانني اضحوكة حتى اُسلي هذا البارد

فاجابت كاترين على سؤال الشاب . نعم يسلينا ولكن ما كل مرة . قالت هذا وصبغ الحياء والخجل وجهها . فضحك ايزيدور دي شارني ومد يديه فضم راسها المصبوغ بماء الخجل والحياء ليقبلها

فطارت نفس بيتو شعاعاً فاغمض عينيه وستر وجهه بيديه لكي لا يرى القبلة ثم اخذ بشعره يشده من اليأس . ولكن هذا التعيس قد نسي من سوء حظه ان يسد اذنيه فسمع صوت القبلة وان لم يرها

وكان المساء قد امسى واخذ ينزل على العالم ذلك الستار الرهيب المادي الجليل الذي يُسمى ظلاماً . فلما رفع بيتو راسه بعد اغماضه عينيه راى الشاب والفتاة قد اخذ كل منهما يد رفيقه وسارا وهما يقودان فرسيهما اللذين كانا في اثناء تلك المدة يتلاعبان ويتداعبان

لانهما الفا بعضهما البعض لطول اللقاء والعبد على دين سيده

فرآها يتو يبعدان عنه بعينين ملئهما الغيظ دون الدمع لان نفس يتو بعد تلك القبلة وهذا الملتقى قد تغيرت كما تتغير نفس حرّ يتبو عن الضيم ويأبى الذل فقام واقفاً فسمع كاترين وهي ذاهبة مع رفيقها تقول له — اصبت فلنتنزه في هذا المكان الجميل فما احلى النزهة في هذه العزلة (١)

واما يتو فقال في نفسه اني عائد ولكن لا الى مزرعة بيلو . فان نفسي تكره الاكل من خبز امراة تحب رجلاً سواي وفي الحقيقة انه اجدر بجبهاتي . قال هذا ثم اتجه صوب هرامونت مسقط راسه حيث ينتظره فيها شان عظيم ومقام كريم وكان يتو وهو سائر الى هرامونت يهز راسه ويقول في نفسه — ما يصنع الاب بيلو لو علم بكل هذا . ثم يقول: هذه نتيجة تولية النساء

الفصل السابع والعشرون

(يتو خطيب)

ولما وصل يتو الى مسقط راسه هرامونت استأجر غرفة فيها وكان ذكر خوذته وسيفه لا يزال في اذهان اولئك القرويين فلما دروا باقامته عندهم سروا كل السرور واكرموه كل الاكرام حتى انهم كانوا يجتمعون عليه في الشوارع لمشاهدة سيفه وخوذته كما يجتمعون على امر غريب فانتشر صيته بينهم انتشاراً عظيماً

وزيادة في اكرامه وايجاد علائق معه اوفدوا اليه في ذات يوم وفداً لزيارته والسؤال منه عن راحته وحوائجه فاستقبلهم يتو بلطف واكرام ولما انتهت زيارتهم شيعهم الى باب الغرفة واخذ يشكرهم على التفاتهم وعنايتهم

فاتخذ كلامه معهم اسلوب الخطابة فاصغى اليه اولئك القرويون بارتياح شديد . ومعلوم ان يتو قد تلقى في المدرسة بعض الدروس الادبية فضلاً عن سماعه خطب الخطباء في باريز فكان يعلم الكلم الثاني التي يثير بها قواد الامم افكار الشعوب ويقودونها الى حيثما يشاؤن وهي — الحرية والوطن والاستقلال والعظمة والعائلة وما اشبهها . ولذلك اخذ يؤثر على اولئك القرويين . فاستهل كلامه بمطلع على طريقة لافاييت اذ قال ما نصه

(١) يجدر بعقلاء القراء ان لا يسرعوا في اللوم لوضعنا في المجلة حباً كهذا الحب بل فلينتظروا الى الحوادث المقبلة

— ايها الاخوان . يلذ لي ان اسميكم اخوانًا لان كل الفرنسويين عائلة واحدة . اني وجدت عندكم هنا في مسقط راسي من الاكرام ما جعلني احسب نفسي في عائلتي

وكان بعض النساء في جملة الحاضرين فلما سمعن قول بيتو اني احسب نفسي في عائلتي اثرت فيهن هذه الكلمة اعظم تاثير لمعرفتهن يتم بيتو وموت اهله منذ صباه فاذرفن الدمع وكان ذلك بدء تاثيره وتوفيقه

فحكى بيتو في خطابه قصته منذ سفره الى باريز ثم فصل اعماله واعمال الشعب هناك حتى فتح الباستيل . واستنتج من ذلك ان الشعب كما انه نهض في باريز لمقاومة الظلم وطلب الحرية كذلك يجب ان ينهض في هرامونت لهذا الغرض النبيل

فكان الحاضرون يتحمسون ويصفقون كثيرًا

ثم ختم كلامه باشارة حماسية كهربت نفوس الحاضرين فانه القى سيفه الى الارض ثم تناوله وجرده بعظمة فتحركت في نفوس الناظرين عواطف الحماسة والبسالة وصاروا يهتفون ويستحسنون كلام بيتو . وبذلك كان بيتو لم ينشىء خطابًا ولكنه انشأ ثورة

وفي ليلة ذلك اليوم نام بيتو متاثرًا . فانه سرّ بالفوز الذي اصابه لدى اهالي هرامونت ولكن فوزه اذكره كاترين فبقي في هذه الليلة يتقلب على فراشه حتى الساعة الحادية عشرة لتاثره من ذكرى فوزه وذكرى كاترين . ولكن ما لبثت اعضاؤه ان خدرت واجفانه ان ثقلت فنام ملء عينيه . فابصر في نومه انه يخطب على الوف من الناس وبينهم كاترين تصفق له تصفيقًا شديدًا مع المصفقين . وكانه قال قولاً بليغًا جدًا فدوت قاعة الخطابة من تصفيق الحاضرين وهتافهم دويًا انتبه له بيتو من نومه . وكانت الساعة السادسة صباحًا

فلما فتح بيتو عينيه في فراشه ابصر من نافذته جمهورًا من اهالي هرامونت يبلغ ٣٠ نفسًا ينظرون اليه من النافذة ويشاهدون نومه . فعجب بيتو من تبكيرهم ونهض اليهم باسمًا نهوض القائد المنتصر فسلم عليهم وسألهم ماذا يطلبون . فتقدم احدهم وهو الذي عُهد اليه ان يتكلم بالنيابة عنهم وقال . علمتنا امس يامسيو بيتو انه يجب على شعب هرامونت ان يتسلح كما تسلح شعب باريز ليكون على حذر وقد وقع اقتراحك هذا في نفوسنا اشد وقع فصرفنا ليلنا ونحن نتباحث في الامر ثم جئناك الآن نطلب منك ان ترشدنا عن الطرق التي نطالب بها الحرية

فابتسم بيتو وقال اما الطريق الى الحرية فهي واحدة وهي البنادق والحراب . فتقدم حينئذ الباقون وقال احدهم نعم ولكن من اين لنا السلاح . فقال بيتو كم عدد الرجال في

هذه القرية فقالوا له عددنا ٣٢ شخصاً فقال بيتو فطي اذاً تدبير السلاح لكم

فطار القرويون فرحاً . فاستانف بيتو الكلام قائلاً . نعم انا ادبر لكم سلاحكم فانني اعلم ان في منزل الاب فورتيه صاحب المدرسة كثيراً من البنادق فناخذ منها حاجتنا . فقال قائل من الجمع وان لم يعطنا منها . فقال بيتو نغصبها لان البنادق ملك الحكومة لا ملكه . فقال احد الحاضرين لا باس بذلك فنتسلح خدمة للحرية ولكن يجب ان لا يطول امرنا في ذلك لوجوب عودتنا الى العمل في حقولنا

فقهقه هنا بيتو وقال ماذا تقول . العمل . واي عمل تعني . فقال ذلك الرجل بشيء من الجبن قلت ان نعود الى العمل لعلي اننا اذا لم نعمل لم نكسب شيئاً لنا كل ونسد رمقنا

فضحك بيتو وقال « ان تاكل » وهل ياكل الذين يطلبون خدمة الحرية . هل اكل الذين فتحوا الباستيل في ١٤ توليو . نعم شربوا لان الحر كان شديداً وحر البارود يزيد النفوس ظماء . اما الاكل فالذين يطلبون الحرية لا يسالون عنه (١)

فاعجب القرويون هذا الكلام ولكن جريئاً منهم اعترض بقوله وهل لم ياكل الباريزيون في اليوم التالي . فاجاب بيتو نعم لا بد ان يكونوا قد اكلوا في اليوم التالي . فقال الرجل فاذا كانوا قد اكلوا فذلك دليل على انهم عملوا اذ لا اكل بلا عمل

فقال بيتو بهيئة جدية . انت لا تعرف باريز يامسيو بونيفاك فتقيسها على هرامونت وباقي القرى . ان باريز كما يقول المسيو لافاييت هي دماغ الامم وراس الشعوب لانها تفتكر لجميع الناس فهل سمعت ان الدماغ ياكل

فاكبر هولاء القرويون البسطاء هذا القول وصاحوا احسنت يابيتو . ولكن بونيفاك اعترض بقوله فكيف يعيش اهلها اذاً . فقال بيتو بهيئة خطيرة يعيشون كما يعيش الدماغ . انظر الى دماغك هل ياكل . هل يشرب . ومع ذلك فهو حي . ومع ذلك انت حي تروح وتجيء . ذلك ان باقي الاعضاء تسعى وتعمل وتاكل خدمة للدماغ . وهكذا باريز والمدن والقرى التابعة لها التي هي منها بمنزلة الاعضاء

ثم راى بيتو ان سامعيه مدهوشين من كلامه ومصغين اليه بتمام الارتياح فاغتنم هذه الفرصة لزيادة التاثير عليهم فقال

ومع ذلك فانك تقولون العمل العمل . فماذا تسمون تسلحنا وسهرنا وسعينا اليس هذا

---

(١) اراد المؤلف بذكر هذه الامور شرح حركة الثورة في القرى والمدن الصغيرة بعد شرح تفاصيلها في باريز ولذلك لم نختصر الكلام كثيراً

عملاً . واي عمل اشرف من هذا العمل الذي يقضي بالدفاع عن شرف امة وحياتها وحريتها . تسمون الذي يحرس الارض و يزرعها لاستنبات المحبوب منها عاملاً ولكن ماذا تسمون الذي يفتكر و يعمل بقوة عقله الاعمال العظيمة الا تسمونه عاملاً عظيماً فانا الآن اذاً اكثر عملاً منكم لانكم انتم تعملون باستخراج خيرات الارض اما انا فاعمل لتحريركم ومنحكم الحرية التي هي اعظم خيرات الارض والسماء فدقيقة من دقائق توازي في الاهمية اياماً من ايامكم انتم كالبقر تزحفون على الارض وانا كالنسر ارفرف في الهواء فانا اذا وحدي افضل منكم كلكم . انظروا الى المسيو لافاييت فانه رجل صغير الجسم ذو يدين ضعيفتين وساقين نحيفتين ومع ذلك فقد حمل على ظهره عالمين اميركا وفرنسا و يداه الضعيفة قد كسرت قيودهما افلا تسمون عمله السامي العظيم عملاً ثم اذا كانت يد لافاييت الضعيفة قد عملت ذلك فكيف بهاتين اليدين القويتين

قال هذا وبسط لها يديه الطويلتين الضخمتين وهو واثق بانه قد اثر فيهم تاثيراً شديداً وفي الحقيقة ان الحاضرين كان قد بلغ منهم كلام بيتو مبلغه من التاثير فازدادوا له حباً واحتراماً وهتافاً وهكذا اصبح بيتو في يومين زعيماً محبوباً محترماً

الفصل الثامن والعشرون

(التلميذ تجاه معلمه)

او مبدأ الثورة تجاه مبدأ الملكية

ولكن بيتو لم ينس كاترين في فوزه بل كان كلما سكت لبسمع وخلا الى نفسه يذكرها ويتذكر بعضها معه ولما كانت النقود التي اخذها من الدكتور جيلبار كادت تنفد عاد بيتو الى حرفته القديمة ليكسب منها رزقه وهي صيد الارانب فرأى انه اذا صاد كل يوم ارنباً واحداً استطاع ان يبيعه فيكفيه ثمنه للمعيشة اسبوع فكل ارنب اذاً يكفيه اسبوعاً وما زاد من الصيد في هذا الاسبوع فهو مال مقتصد لحين الشدة

الا انه في نومه تحت اشجار الحرش وهو ينتظر الارانب ان تقع في الحبائل التي يكون قد مدها لها كان يفكر بمرارة بكاترين و يتنهد تنهداً يدوي له جو الحرش وتجاوبه الاشجار بحفيفها وزفراتها كانها هي مفارقة ايضاً واستلقى يوماً تحت الشجر فذكر ماضيه في المزرعة وحاضره في هرامونت ثم اخذ يسال نفسه هل قُضي عليه ان لا يرى كاترين فيما بعد فاجابه ضميره ان ليس من عزة النفس ان يجعل كاترين تراه بعد ما صنعت معه فاجابه هو

في نوبته ولكن اذا كانت عزة النفس تقضي بان لا تراني كاترين فما المانع من ان اراها دون ان تراني ما المانع ان اختبئ وراء الاشجار حين مرورها لانظر اليها نظرة فقط هل في ذلك ما يغض من كرامة النفس وعزتها ثم انه لا يخفى ان الاب يلو قد عهد اليّ مراقبة البيت وما فيه وهو الآن يعتقد انني في بيته مقيم على هذه المراقبة افلا يوجد هنا واجب عليّ للاب يلو وهو مراقبة كاترين على الاقل لانقذها او اساعدها حين الحاجة ان لم يكن من اجلها نفسها فمن اجل الاب يلو ابيها. فراى بذلك انه ليس من حقه فقط ان يرى كاترين بل من واجباته ذلك خدمة ليلو فعزم على ان يراها ويراقبها

ولذلك كان كثيراً ما كان يذهب بحبائله ويعدها للارانب تحت الاشجار المجاورة للمزرعة وهو يجهد بالاختباء حتى يراها حين مرورها دون ان تراه ولكن من سوء حظه ما كان يظفر بها

وفي ذات يوم وهو جالس تحت اشجار هرامونت يفتكر بها وحبائله منصوبة للارانب راى رجلين يتقدمان صوبه بتردد فامعن النظر فيهما فوجد انهما اثنان من سكان القرية الذين عزموا على التجند في سبيل الحرية فجلس بيتو ولبث ينتظر ولما وصلا اليه جلسا بجانبه واخذا يطلعانه على سبب مجيئهما

فقالا ان خواطر سكان القرية قد اضطربت بعد خطابه ووقفت ايديهم عن العمل لاشتغال افكارهم بالدفاع عن الحرية وحقوق الامة ولذلك يطلبون من بيتو ان يعجل في تجنيدهم للشروع في العمل

فدهش بيتو لهذه السرعة واجاب انه آخذ في تدبير ذلك ولكنه يجب عليه الاهتمام بالحصول على السلاح اولاً . فقال احدهما اما قلت ان لدى الاب فورتيه رئيس مدرسة فيلله كوترية كثيراً من السلاح. قال بلى قلت ذلك ولكني افكر الآن بطريقة لطلبها منه دون تعرض لغضبه فقال الرجل الثاني عافاك الله ايها القائد الهمام ومتى اصبح القواد يخشون الرهبان

فراى بيتو انه اذا اصر على رايه اضاع ثقة رجاله فيه وخاف خوفاً شديداً من ان ينسبوا اليه الجبن وهو لم يبتدئ بعد ولكنه من جهة اخرى قال في نفسه ان هؤلاء الجنود يدفعون قائدهم قبل ان يكونوا جنوداً له ويقبض على قيادتهم فماذا يصنعون متى اصبح قائداً لهم

وبعد ان فكر بيتو قليلاً قال لهما اسمع يا كلود وانت يا دزيره انني اكثر شوقاً منكم الى تجنيدكم ولكني اخرت ذلك قليلاً لابصر في ماذا يجب ان اصنع مع الاب فورتيه

لاحصل على البنادق التي عنده لاني اعرف عناده واخلاقه فخسيت تبصري واعتدالي خوفاً فانا تارك ذلك وعازم غداً على زيارة الاب فورتيه لطلب البنادق منه وغير عابئ بكل ما يجري لي معه

قال بيتو ذلك بجراءة ولكنه كان يقول في نفسه ان لقاء الاب فورتيه الصلب الشديد العنيد الذي كان قد خرج من مدرسته مطروداً امر غير هين ولكن اذا لم يكن غير الاسنة مركباً فلا يسع المضطر الا ركوبها

وفي اليوم التالي قصد بيتو فيلله كوتريه لزيارة الاب فورتيه وطلب البنادق التي عنده فلما وصل الى الباب اشتد خفقان قلبه مع ان هذا الفتى احتمل نار الباستيل دون ان يخفق له قلب او ينبض له عرق ذلك ان تذكارات الصبا تبقى في النفس تاثيراً حسناً اذا كان صاحبها قد وجدها حسنة في صباه وتاثيراً سيئاً اذا كان قد وجدها سيئة

ولما قرع بيتو هذا الباب كان يردد في نفسه الكلام الذي استعد لقوله للاب فورتيه ويزينه بزخرف الفصاحة والالتماس رغبة في اقناع ذلك الراهب العنيد

ولكن ما لبث ان فتح الباب وكان فاتحه سياستيين ابن الدكتور جيلبار لانه كان يتنزه في تلك الساعة في الحديقة فسلم عليه بيتو وساله عن ابيه ثم طلب منه ان ياخذه الى الاب فورتيه فالتفت سياستيين فرأى رئيسه نازلاً من السلم بتمهل وفي يده جريدة يقرأها فقال سياستيين لبيتو هذا الاب فورتيه

فتقدم حينئذ بيتو وهو ثابت الجاش حتى اصبح على مقربة من الراهب وهو لا يزال يقرأ لكنه ما وقف امامه حتى اطبق الراهب الجريدة ونظر الى الواقف امامه قائلاً . هذا انت يابيتو؟

وقد قلنا « اطبق » الجريدة ولم نقل « طواها » لان الجرائد الفرنسوية في تلك الايام كانت كلها بشكل المجلات الآن

فلما سأل الراهب بيتو هذا انت يابيتو اجاب الفتى نعم خادمك ياسيدي الراهب

فضحك الاب فورتيه وقال متهكماً وضاحكاً ايضاً هذا انت ايها الثوري . هذا انت ايها المرائي

وكان سياستيين سامعاً هذا الكلام فعلم ان الزوبعة قريبة لا سيما لما كان يسمعه احياناً من الراهب عن اعمال بيتو فاغتنم فرصة هذا السكوت الوقتي ومضى في سبيله

فساء بيتو ذهاب سياستيين لانه كان يراه عضداً له لما بينهما من الاتفاق في المذهب السياسي واصبح وحيداً امام خصمه فكان وهو امام الاب فورتيه يمثل مبدأ الثورة تجاه

مبدأ الملكية والحالة القديمة

وبعد ذهاب سيباستيين تجلد بيتو وقال بادب لماذا تسميني ثوريا ومرائيا يا حضرة الراهب

فقال الراهب بشيء من النزق · لماذا تستحي من لقبك الحقيقي اما انت ثوري تشعل نار الفتنة في البلاد · قال بيتو كلا لا اشعل نارا في البلاد · وهبني ثوريا كما قلت فكل انسان حرٌّ بفكر بما يشاء

فصاح به الاب فورتيه اخرس ايها المرائي واخسأ انت وهذه الحرية التي تزعمها · احريتكم ان تقتلوا ضباط الملك وتمتدوا على سلطته · احريتكم ان تدخلوا ايديكم الى صدور الذين تقتلونهم لتخرجوا قلوبهم منها بايديكم الوحشية · اهذه هي حريتكم ايها المنافقون

فقال بيتو اخفض صوتك ايها الراهب لئلا يسمعك الشعب فانك تهينه اهانة عظمى

فضحك الاب فورتيه ضحكاً خفيفاً وقال دعني منك ومن شعبك وقل لي على عجل ما جاء بك اليَّ · أأنت محتاج الى الطعام

فقطع عليه بيتو الكلام بنزق قائلاً كلا كلا لست احتاجك ولا احتاج احدا لانني اعمل فآكل خبزي بتعبي وعرق جبيني

فبهت الراهب لانه ما كان يعهد ببيتو هذا الكبر وهذه العزة فقال ولكن لماذا جئتني · قل سريعاً والا فرغ صبري

فقال بيتو جئتك ياسيدي الراهب لابلغك ان اهالي قرية هرامونت عزموا على الانخراط في سلك الحرس الوطني فقهقه الراهب وقال تريد ان تجعلهم عصابة كعصابات باريز ايها الشقي وماذا يهمني اذا ارادوا ما ارادوا

فاجاب بيتو وهم يحتاجون الآن الى سلاح فقال الراهب وان كانوا يحتاجون ذلك قال وهذا السلاح موجود عند جنابك في هذا المنزل ياسيدي الراهب فهل تأمر بتسليمي شيئاً من البنادق التي عندك

فما لفظ بيتو هذا الكلام حتى استشاط الراهب غيظاً فوق غيظه فجرد سوطه المشهور ورفعه كما يرفع القائد حسامه في ساحة الحرب وصاح بالفتى — يا لك من ابله مجنون جئت تطلب مني السلاح الذي تقلده جنودنا الابطال في معاركهم الشهيرة ليحمله رجال عصابتك الطغام اتظنني ادنس ذلك السلاح الكريم الى هذا الحد بلغت بك الوقاحة اخرج اخرج اخرج

قال هذا ورفع سوطه فوق راس بيتو · فعلم بيتو انه لم يبقَ له شيء في هذا المكان

فاخذ يرجع القهقرى ووجهه الى الاب فورتية وهو يلاطفه بالكلام ويحاول اخماد غضبه لانه خاف انه اذا ادار ظهره للخروج هوى الاب فورتيه بالسوط على قفاه فادماه وما زال بيتو يرجع القهقرى والاب فورتيه يتقدم منه سيفي رجوعه وهو يجرد سوطه بيده حتى وصل بيتو الى الباب فاغتنم هذه الفرصة واندفع للخروج

ولكن ما ادار ظهره ليخرج حتى صدم سوط الراهب قفاه صدمة ارتعدت لشدتها فرائص بيتو فصاح صياح الالم منها مع انه لم يتالم من قنابل الباستيل فخرج كثيرون من الجيران ليروا سبب هذه الصيحة فابصروا شاباً متقلدا سيفاً ولابساً خوذة يعدو باشد قواه فرارًا والاب فورتيه واقف بالباب وهو يهز سوطه بيده كـانه ملاك الموت يحمل سيف النقمة

الفصل التاسع والعشرون

(بيتو يبلغ امله)

وكان سقوط بيتو عظيمًا فانه بعد ان كان عليّ الشان رفيع المقام يزحمه الناس بالمناكب تسليماً واحتراماً اصبح يُضرب بالسياط ويُهان ويطرد كرعاع الناس فذهب الى مكان منفرد خارج القرية وجلس يفتكر

فراى بعد الافتكار قليلاً انه قد اخطأ في سلوكه مع الاب فورتيه وقال في نفسه لنفترض انني انا المسيو لافايت والاب فورتيه هو الملك واراد المسيو لا فايت طلب سلاح من الملك لجنوده فما كان يقول له اكان يُظهر له فضل الثورة ويفاخر برجالها واعمالهـا كما صنعت انا كلا بل كان يقول للملك ان الملكية الآن في خطر من الرعاع والاسافل فيجب تجنيد جيش عظيم لحمايتها وهذا الجيش يحتاج الى السلاح فمر باعطائنـا سلاحاً للدفاع عن جلالتكم وعن الملكية فلو انني لمت الاب فورتيه ان جند هرامونت يؤلف للدفاع عن حقوق الملك ولاطفته بدل ان اخاشنه لبلغت ولا شك الامل وهذا ما يسمونه السياسة وان كان كذبًا فانا لم اكن هذه المرة سياسياً

على انه ما اخذ يفتكر بلافايت ويدور ذكره في فمه حتى تنبه لامر كان غافلاً عنه واخذ يقول في نفسه ما الذي انساني اياه الى الان انني اعلم ان هرامونت احدى قرى فرنسا وفرنسا الآن تحت قيادة الجنرال لا فايت لانه قائد الحرس الوطني فهرامونت اذًا

تحت قيادته واذا كنت انا وجنودي تحت قيادته فوجب علينا ان نطلب امتحانه لا من سواه

ثم اشرق وجهه لدى هذا الخاطر فقام مهرولاً الى غرفته وفيما هو على الطريق جعل يفتكر في طريقة الكتابة الى باريز بهذا الشان فعزم على ان يكتب بذلك الى الاب بيلو وبيلو يبلغه الى الدكتور جيلبار وجيلبار يبلغه الى لا فاييت

فكتب في صباح اليوم التالي هذا الكتاب الى الاب بيلو

حضرة المسيو بيلو المحترم

ان انصار الثورة يزدادون يوماً عن يوم وانصار الاستبداد القديم يتناقصون وقد ارادت قرية هرامونت ان تنخرط في سلك الحرس الوطني دفاعاً عن الحرية واستعداداً للطوارىء وهي محتاجة الى السلاح وبما انه يوجد لدى بعض الاشخاص اسلحة كثيرة فالمرجو ان تعرض ذلك الى قائدنا المسيو لافاييت لاصدار امره الى الذين يخزنون سلاحاً بتسليمنا اياه لننفع به الوطن ونقاوم محبي الاستبداد مواطنك وخادمك

انج بيتو

ولكنه ما اتى على آخر هذا الكتاب حتى راى انه لا يجدر به نسيان عائلة بيلو والا شغل باله فكتب له في الكتاب هذه الحاشية « العائلة والمزرعة في احسن حال وهم يسلمون عليكم » وبذلك اجتنب الكذب واتقى اقلاق خاطر بيلو

وبعد ذلك ختم هذا الكتاب واخذه الى البريد امام انصاره الذين كانوا يراقبونه وهم خاشعون احتراماً اذ رأوه يرسل كتاباً كبيراً مربعاً الى باريز فعلموا انه ذو شان عظيم

ولم ينقض يومان على ارسال بيتو هذا الكتاب الى باريز حتى وفد على القرية ضابط من ضباط الحرس الوطني على جواد كريم وسال عن المسيو « انج بيتو » فقامت قيامة سكان القرية فرحاً ودلوه على بيتو . فتقدم منه الضابط باسماً وسلم اليه امراً عسكرياً ففتحه بيتو بالحال فاذا هو امر من الجنرال لا فاييت وهذا نصه

« كل الذين في منازلهم من السلاح اكثر من بندقية واحدة يجب ان يسلموه الى قواد الحرس الوطني في القرى . وهذا الامر نافذ في جميع هذه الولاية »

فكاد بيتو يطير فرحاً لانه علم الآن انه اصبح قادراً على ان ياخذ بنادق الاب فورتيه بالرغم عنه . اما رجاله فقد اصبحوا لا ينظرون اليه الا خشعاً لما راوه من نفوذه ولا سيما بعد ان قراوا على غلاف الامر الذي ارسله لا فاييت هذه العبارة « الى المسيو انج بيتو قائد الحرس الوطني في هرامونت » فاخذ بيتو يستعد لطلب البنادق طلباً رسمياً



الجزء السابع — السنة الثانية

الاسكندرية اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠٠ — جمادى الثانية سنة ١٣١٨



الفيلسوف تولستوي الشهير

الذي حرمه المجمع المقدس الرومي في هذا العام

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الكونت لاون تولستوي

الفيلسوف الروسي الشهير

تجارة الكتب في روسيا وعندنا · الروس اعجب البشر · فلسفته وادابه واخلاقه · رأيه في الحرب على الاطلاق وفي البوير والحالف الثنائي · ميله لروسو · كتاب غريب وجواب أغرب · قطعة من كتابه (البعث) الذي اعجب به الفلاسفة والكتاب في العالم كله · صورة حرم المجمع المقدس له · الخلاصة

كان رجال الادب في روسيا منذ خمسين سنة يقولون : ان الذي عندنا من العلم والادب ليس علماً ولا ادباً ولكنه تجارة كتب · يريدون بذلك الدلالة على انحطاط شان الادب عندهم كما هو عندنا الآن

﴿ روسيا وتقدمها ﴾ اما اليوم فقد تبدلت الحال وخطت روسيا الى الامام خطوات واسعة فقد اقيمت فيها المدارس الخصوصية والعمومية واتخذت طرق التعليم الالزامي في بعضها وقامت فيها المصانع والشركات تساعدها الحكومة كما تساعد الام طفلها ونبغ فيها الكتاب والعلماء والفلاسفة نجاروا علماء الغرب بعلمهم وفلسفتهم وفي مقدمتهم الفيلسوف الكونت تولستوي الذي ارتقت فيه النفس الروسية الى درجات الحكمة فدلت على ان ارتقاء الروس امر حقيقي لا سطحي ظاهري كما هو الآن في البلاد الشرقية

ويقولون ان الرواد والسواح قد خاضوا ظلمات افريقيا واسيا واميركا فاكتشفوا مجاهيلها ولم يبقوا فيها شيئاً مجهولاً · نقول بلى بقي شيء عظيم مجهولاً وهو النفس الروسية · فان هذا الشعب العظيم الذي يساوي نجوم السماء عدداً والمنتشر في اراض واسعة لايعرف لها المسافر بداية من نهاية انما هو مجموع قوى عظيمة كامنة في طيات نفسه العظيمة وهي اليوم تبرز شيئاً فشيئاً ولذلك يسمون الرجل الروسي « رجلاً عجيباً » ويقولون « اذا كان الانسان اعجب المخلوقات فالانسان الروسي اعجب بني الانسان »

ونحن نزيد على ذلك « اذا كان الروس اعجب بني الانسان فالفيلسوف تولستوي اعجب الروس بلا مراء »

ولد هذا الفيلسوف في سنة ١٨٢٨ فعمره اليوم ٧٢ سنة وهو من اسرة نبيلة خدمت روسيا بالسيف والقلم فقد كان منها الكونت دي تولستوي السياسي الشهير الذي توفي في سنة ١٧٢٩ والجنرال تولستوي القائد الذي توفي في سنة ١٨٤٤

وقد انصرف تولستوي في شبابه الى ما انصرف اليه اجداده من خدمة امته بالسيف والقلم ولكن عرضت له في حياته امور جعلته يكره الاجتماع و يتنحى عن البشر فاخذ يكتب و يؤلف محاربًا الشر في العالم وداعيًا الى الفضيلة والخير والدين البسيط . فوجدت كتاباته هوى شديدًا في نفوس الشعب الروسي لانه يخاطبهم بروايات يفهمون لغتها فاحبوه حبًا شديدًا الا انه على ما يقول مناظروه قد تطرف في بعض الاقوال الدينية فحرمه المجمع المقدس في هذا العام كما ترى في ما يلي حرمانًا كان له صدى البم في كل نفس حرة تكره الاضطهاد ايًا كان مصدره وبما ان فلسفة هذا الفيلسوف من اسمى الفلسفات البشرية الآن وهو لا يقول كلمة الا ويدوي صداها في العالم باسره فلا يخلو من فائدة ان نطلع القراء على ما وقفنا عليه من مبادئه وآدابه لان تراجم الاعلام ان لم تكن مقرونة بالمبادئ والنتائج الادبية فالاجدر عدم كتابتها اذ لا فائدة للناس منها

***

❊ فلسفته وآدابه واخلاقه ❊ اشتهر الفيلسوف تولستوي ببسط فلسفته في روايات يؤلفها وفلسفته ثلاثة اقسام من حيث الدين . ومن حيث الاجتماع ومن حيث الفنون . اي الفلسفة الدينية والاجتماعية والفنية . على انها كلها فروع لشجرة واحدة لانها مبنية على قاعدتين الاولى « احبوا بعضكم بعضًا وساعدوا بعضكم بعضًا في كل شؤونكم » والثانية « لا تقاوموا الشر بالشر فان الشر لا يقتله الا الخير »

وقد اوصلته فلسفته الدينية الى النتيجة التالية « ان التعاليم المسيحية التي تستحق ان تكون قاعدة الضمير البشري انما هي الاناجيل الاربعة فقط متى ومرقص ولوقا و يوحنا وما سواها فخارج عن الديانة المسيحية الحقيقية . فعلى من اراد ان يكون مسيحيًا حقيقيًا ان لا يتمسك بشيء يناقضها وان يعيش كما عاش المسيحيون الاولون من حيث البساطة والقناعة والاشتراك والحرية »

هذه هي فلسفته الدينية اما فلسفته الاجتماعية فهي هذه « يقولون ان الهيئة الاجتماعية

فاسدة رديئة · نعم ولكن الذنب ذنبنا واللوم علينا لاننا نتكاسل فتسوء حالنـا ونقاوم الشر بالشر فتزيد الفساد فساداً ذاهلين عن قول المسيح من اخذ بالسيف بالسيف يؤخذ · فاذا لم نعوّد انفسنا مقاومة الشر بالخير اي باللطف والمجاملة والاحسان والمحبة فاننا لا نتغلب على الشر في العالم وتزداد الانسانية فساداً على فساد · فاذا كنا نطلب اصلاح الهيئة الاجتماعية فلنعمل اولاً على اصلاح انفسنا بغرس المحبة والمسالمة والاعتدال وحب العمل في قلوبنا فان في ذلك اصلاح الهيئة الاجتماعية ■

واما فلسفته في الفنون فمقتضاها ان كل فن وعلم وصناعة يجب ان تكون غايتها نبيلة وهي ترقية شان البشر والمساعدة على رفع راية السلام والراحة في العالم واذا خرجت العلوم والفنون عن دائرة هذا الغرض فانصرفت الى اختراع آلات الحرب والدمار واسباب التصف واللهو فانها تكون حقيرة وتصبح عبثاً في عبث

هذه خلاصة فلسفته التي اودعها كتبه وهي تنطبق كل الانطباق على ما نرويه هنا عن اخلاقه وارائه

فانه لما شبت نار الحرب بين انكلترا والترانسفال سُئل رايه في هذه الحرب فاجاب ان كل حرب جائرة وانني كلما فتحت الجرائد الاخيرة التي تردني لاقرأ فيها اخبار الحرب تمنيت من صميم قلبي ان ارى فيها انتصار البوير وانكسار شوكة انكلترا العادية المتكبرة · فكان لهذا الكلام دوي شديد

ولكن لما سافر وفد البوير من اوربا الى اميركا ليستنجد بحكومة الولايات المتحدة بعثت احدى الشركات البرقية الى تولستوي لما عرفته من ميله الى البوير تطلب منه ان يبعث على يدها الى وفد البوير يوم وصوله الى اميركا تلغرافاً يتمنى له الفوز فيما قصده · فاجابها تولستوي بهذا الجواب الغريب : لا استطيع ان ادعو للبوير ان يفوز وفدهم في اميركا لان فوزهم متوقف على مداخلة الولايات المتحدة ومداخلتها تجر حرباً بينها وبين انكلترا فاذا دعوت للبوير ان يخلصوا كنت كمن يدعو بازالة حرب بحرب مثلها

ذلك ان الحرب اكره الامور الى تولستوي وهو يعتبرها جناية بشرية ايا كان سببها ولذلك لقبوه في اوروبا كلها رسول السلام وداعي البشر الى الاخاء العام وقد صدر في هذا الشهر كتاب فرنسوي موضوعه اخلاق تولستوي وفيه ان المسيو بول ديروليد الفرنسوي زعيم الحزب الوطني واكبر القائلين بوجوب محاربة المانيا لاسترداد الالزاس واللورين منها ساءه هو وحزبه دعوة تولستوي الى السلام العام على حين انهم يعتبرون ان فرنسا لم

تحالف روسيا الا لتثأر من المانيا وتسترد ولايتيها منها فقصد قديماً فيلسوفنا في مقامه في « كيسنايا بوليانا » ليقنعه بان من حق فرنسا ان تحارب المانيا · فلما التقيا جرت بينهما محادثات طويلة كان يغضب الفيلسوف في اثنائها ويخرج بنزق ساخطاً لشدة تمسك مناظره برأيه وغضب مرة غضباً شديداً فقال له المسيو ديروليد ان اصغر الفلاحين الروس يرى آراء اصح من رأيك في الحرب والتحالف الثنائي · فضحك تولستوي وقال هلم نتنزه لنسمع راي فلاحينا فخرج ملاك السلام وملاك الحرب الى النزهة فما سارا خطوتين حتى وجدا في طريقهما فلاحاً روسياً قادماً فاستوقفاه واخذ ديروليد يشرح له مطالب فرنسا وحقها في محاربة المانيا ووجوب مساعدة روسيا لحليفتها فلما فرغ من كلامه سال تولستوي ما رايك ايها الفلاح فاجاب ذلك البسيط « رايي ان الفرنسويين والروس يشتغلون وبعد الانتهاء من الشغل يذهبون معاً الى القهوة ليتناولوا قدحاً من العرق معاً ولا بأس ان يدعوا الالمانيين الى مجالستهم » فضحك تولستوي لانتصاره وذهب ديروليد ساخطاً وعاد في نفس ذلك المساء الى وطنه

وفي هذا الكتاب اقوال كثيرة عن اخلاق تولستوي وآرائه منها « ان تولستوي يضع في مقدمة المؤلفين الذين يحب مطالعة كتبهم سقراط واربكتيت وبسكال وروسو وفيكتور هيغو وديكنس وقد اثر كتاب « الاعتراف » الذي كتبه روسو في نفسه تاثيراً شديداً حتى قال « ان روسو قد سحرني في صباي وقد كنت اعتبر هذا الفيلسوف الهاً فاحمل رسمه على صدري كما احمل رسماً مقدساً » وقد ألف باكورة تآليفه وهو في السابعة عشرة من عمره · وكانوا ذات يوم في حلقة من العلماء يتحادثون فصار احد الطلبة يعجب بالفيلسوف تاين فاجاب تولستوي ان تاين ذو عقل محدود · فانكر الطالب ذلك فاجاب تولستوي ساخطاً « قلت انه ذو عقل محدود لانه اراد ان يجعل المقام الاول للمادة في هذا العالم · افليس هذا جنوناً محضاً · اليس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقاً جديداً فماذا تصنع المادة من غير العقل الذي يخلق ويحيي ويؤثر حتى في الاجيال المستقبلة »

﴿ كتاب غريب وجوابه ﴾

واذا كانت كل الاقوال التي تقدمت لم تدل القارئ بعد على اخلاق الفيلسوف وارائه الدينية والفلسفية دلالة كافية فالكتابان التاليان يدلان على ذلك احسن دلالة

اما الكتاب الاول فقد كتبه الى تولستوي في السنة الماضية رجل يدعى « اندريا

باسيليفيتش لابسف » ولا حاجة بنا الى وصف هذا الرجل الغريب الاخلاق فان كتابه يدل عليه وهذا نصه

« باكو في ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٦

« الى الحكيم العظيم المحترم لاون نيكولايفيتش تولستوي سلام باحترام كثير من اندريا

« باسيليفيتش لابسف

« اريد ان اعترف لك باختصار . انني بدأت اومن منذ سنة ١٨٦٩ فقد قال المسيح من اراد ان يكون معي فليحمل صليبه وليترك نفسه ويتبعني . فهذا القول يدل على ان كل واحد يمكنه ان يكون كالمسيح . وقال ايضاً ليس العبد افضل من سيده يكفي العبد ان يكون كسيده . يعني ان كل رجل من تلامذة المسيح يجب ان يكون رجلاً كاملاً كما كان السيد

ورغبة في ان اكون انا كاملاً ايضاً قطعت كل علاقة لي في هذا العالم فتركت امي واعتقادي وعيلتي واصبحت مالك امري اقول للناس « لست منكم ولكنني انسان وحيد منفرد انا ملك نفسي »

« فمن اجل هذا قبضوا علي واخذوني الى القاضي ليسالني عن اعتقادي فلما وصلت اليه جلست فقال لي انزع قبعتك . فاجبته امام من؟ قال امام السلطة . فقلت ما هو مصدر السلطة فقال الله فقلت هل انت الله لانزع امامك قبعتي فاجاب كلا فقلت اذا لم تكن الله فلماذا تطلب مني ان انزع قبعتي

« فقال لي انهض واقفاً فسالته امام من ؟ فقال امام القانون . فاجبته انني لا اعرف هذا القانون فسالني ما هي مهنتك فقلت هل اعطيتني مهنة حتى تسالني عنها فقال ما هو اسمك فقلت ليس لي اسم قال بماذا تؤمن . قلت بماذا تريدون ان أؤمن فانني قلت لكم انني لست منكم فلم تصدقوني . فسالني اتومن بالله ؟ فقلت اي اله . فسالني كيف تسال اي اله فانه لا يوجد غير اله واحد . فقلت له اين هو . وهل تعرفه ارني اياه لاصدقك . فاجاب انه في السماء فقلت هل صعدت الى السماء ونظرته . فاجاب كلا . فقلت من ادراك اذاً انه في السماء . فالتفت القاضي الي ساخطاً وقال اترك هذا البحث الان . فقلت له اترك انت هذا السؤال ايضاً

« ثم سألني ما هو وطنك . فقلت ليس لي وطن . فقال ولكنك تعترف بالقيصر . فقلت اي قيصر فقال اسكندر الثاني . قلت القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا

يهمه امري. فقال ولكنك ستدفع ضريبة النفوس (يعني الضريبة الموضوعة على كل نفس) فقلت هل انتم الذين اعطيتموني نفسي لادفع ضريبة عنها . فقال وستدفع الرسوم ايضاً. فقلت انني لا ادفع شيئاً . قال ولكن جميع الناس يدفعونها فقلت اذا كان جميع الناس يدفعون وجب ان لا يدفعوا لانه لا يعود يوجد من يقبض . فقال لي يوجد القيصر . فقلت : القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا يهمه امري

• وبعد سجنهم اياي تسعة شهور حاكموني لدى محكمة فقال لي القاضي:

• انزع قبعتك . فسألت لماذا قال لان المحكمة مجتمعة فقلت المحكمة محكمتكم وانا مالك نفسي . فقال يجب ان تنزعها . فسألته امام من ؟ فقال امام المحكمة . فقلت انني لا اعرف المحكمة ولذلك لا اكشف لها راسي احتراماً . فتقدم مني رجل ونزع القبعة عن راسي بالرغم عني فجلست حينئذٍ على الارض غير مبالٍ بهم

• فقال لي الرئيس . ايها المتهم انهض. قلت انا لست متهماً . فقال تفضل وانهض احتراماً للقانون . فقلت ان القانون لم يوضع من اجلي ولكن من اجل الاشقياء واذا كنتم انتم خاضعين للقانون فانكم لا تستحقون ان تكونوا قضاة لي

• فقال القاضي اتعترف بذنبك؟ فاجبته وانت تعترف بذنبك ؟ قال اي ذنب . فقلت وانا اي ذنب قال ذنبك انك عصيت المحكمة ورفضت نزع قبعتك . فقلت له حينئذ

• اذا كنت لم انزع قبعتي فذلك لانني حريص على صحتي . فانكم هنا تدخنون وتبصقون على الارض. فالبصاق يمتزج بالتراب ثم يجف ويتطاير في هواء الغرفة ويقع على الرؤوس . فاذا كان راسي مكشوفاً وصل الغبار اليه ثم دخل الى الدماغ واحدث فيه اضطراباً . ولذلك ترون عقولكم انتم الجالسون هنا كلها مضطربة . لماذا تعذبونني . انني لم اؤذ قط احداً ولم اضر احداً . لم اسرق ولم اقتل ومع ذلك فانكم اودعتموني السجن مع القتلة واللصوص . اليس هذا دليلاً على ان عقولكم مضطربة

• فقرع الرئيس حينئذ الجرس ودخلوا للمذاكرة . ثم خرجوا واصدروا الحكم ونصه « برئت ساحة المتهم ولكن يجب ان يدخل الى مستشفى قزان لفحص قواه العقلية »

• فلما دخلت الى المستشفى المذكور جاء في طبيبه قائلاً . لقد كتبوا اليَّ انك لا تؤمن بالله فهل ذلك صحيح فقلت له واين الله . فقال في كل مكان. قلت لا اقل في كل مكان. فانه لو كان في كل مكان لكان ساكناً في الذين يقتلون والذين يضطهدون . فسالني اين هو اذن فاجبت انه ساكن في الضمير الصحيح والعقل السليم لان العقل والضمير

لا يشتركان في القتل والآثام · فقال الطبيب اسمع بالابسف انني لا اريد لك الا كل خير ولكنهم كتبوا لي انك فرد مؤذٍ مضر من افراد الهيئة الاجتماعية · فقلت له اذا كنتُ مؤذياً ومضراً فارسلني الى مكاني الحقيقي · فقال اين مكانك الحقيقي · قلت حيث لا يكون لكم ولشرائعكم من اثر · فقال لا اقدر على ذلك لاني لا اعرف في العالم مكاناً خالياً من الشرائع والسلطة · فاجبته « فهل الذنب ذنبي اذا كنتم قد جعلتم انفسكم على مثال الالهة فاستوليتم على الاراضي والشعوب لتتصرفوا فيها تصرفكم باملاككم الخصوصية ان الصانع يستبد بمصنوعاته فيكسرها و يلقيها دون ان يسأله احد عنها لان ذلك من حقه فهل ان الشعوب ملك لكم حتى تصنعوا بها كذلك

· فقال الطبيب لا تنطق بهذا الكلام بالابسف فان الانسان اصبح اليوم حراً وهو سيد نفسه · فقلت نعم هو سيد نفسه ولكن على الورق فقط وفي بطون الكتب اما في الحقيقة فهو ليس سيداً · واذا كان كل واحد سيداً لنفسه فلماذا تعذبونني · هل للسيد ان يعذب السيد · انكم فرقتم بيني و بين رفيقتي التي كنت اعيش معها بلا موجب لذلك انتم تفرقون بين الرجال ونسائهم ثم ترسلونهم الى الجندية للقتل والذبح وبذلك تنشرون فساد الاخلاق بين البشر لان الرجل والمرأة حينئذٍ يرتكبان الخطيئة وانتم السبب في ذلك · لماذا فرقتم بيني و بين امرأتي وجئتم بي هنا تطعمونني وتسقونني كانني خنزير يعلف ليسمن انا لست خنزيراً ولا احب ان آكل خبز غيري في البطالة والكسل لانني قوي الجسم قادر على كسب خبزي دون ان اسفك الدم المسيحي كما تصنعون · ان الرجل الذي يأكل خبز غيره من غير بذل عرق جبينه يكون خبزه مغموساً بالدم فكأنه كان قاتلاً · فانا لا اريد ان اكون قاتلاً · انا لا اريد ان آكل خبزاً دموياً · فلماذا لا تتركونني اعمل لآكل خبزي بعرق جبيني · لماذا تلزمونني بهذه الخطيئة

· فقال الطبيب اترك هذه الخزعبلات بالابسف · قلت ما هذا الكلام بتخرص ولكنه كلامُ ذي عقل سليم · ان الله لا يُكره الانسان على الخير ولا على الشر واما انتم فتكرهونني على كل شر · فقال على اي شيء اكرهناك · قلت « تُكرهونني على ان انزع قبعتي عن راسي واجثو امامكم لاعبدكم ولا يوجد الا ابليس الذي يطلب ان يعبدوه · انا لا اريد ان اجثو امام احد · ولم يطلب احد من خدمة الله ان يجثو الناس امامهم بل قد حرموا ذلك · لان العبادة حرام الا لله ومع ذلك فعبادة الله تكون بالروح لا بالجسد لان الله روح هو · من اجل هذا ارى من التجديف والكفر بنعمة الله ان يجثو مخلوق امام مخلوق · وبما

انني كرهت أن اجثو امام الناس قبضوا عليَّ وسجنوني . فجاء سجني طبقاً لقول يوحنا سياقي زمن يضحك فيه ابليس في السجن ليجربكم فابليس هو الذي اودعني السجن

. ثم اقمت في هذا المستشفى ستة اسابيع وبعد ذلك ارسلوني لاقيم في قرية كوفانتزا التابعة لاقليم ارزاماس من ولاية نيجني نوفوكورود

. فاستدعيت في نيجني للمحاكمة مرة ثانية فلم اجب المحكمة بشيء فابقتني في السجن سنة ثم حكمت عليَّ بالحبس ثلاثة شهور

. وفي سنة ١٨٨١ قُتل القيصر اسكندر الثاني فرفضت ان اقسم يمين الطاعة لخلفه اسكندر الثالث لانني لا اعترف بشرائع البشر ونظامهم فقالوا لي . اتريد اذاً ان تدخل السجن يالابسف . قلت ولماذا قالوا لانك لا تقسم يمين الطاعة للقيصر . فاجبتهم بما اجبتهم به قبلاً : القيصر هو القيصر وانا انا فلا يعنيني امره كما انه لا يعنيه امري

. وبعد ذلك جئت باكو ثم انتقلت منها الى اليزابتبول والقرص فاقمت في القوقاز عشر سنوات . ثم سافرت الى فلاديفوستوك ومنها رجعت في ٢٨ الماضي الى باكو لارى بعض الاصدقاء وافسر لهم آيات سالوني تفسيرها

. هذا ما انقله اليك ايها المحترم لاون نيكولايفيتش وهو يتضمن كل ايماني فاذا كان ينقصني شيء فاخبرني عنه في رسالة منك . قد قرأت كتابك « سيروا في النور ما دام النور موجوداً » فوجدته منطبقاً كل الانطباق على افكاري ولذلك كتبت لك هذا . انا في هذا التاريخ في الحياة والصحة . فارجو مثلها لك

اندريا باسيلينتش لابسف

الذي لا يعرفك وهو في الخمسين من عمره

***

❊ جواب الفيلسوف تولستوي ❊ فاجاب الفيلسوف تولستوي عن هذا الكتاب بالكتاب التالي

. ايها الاخ المحترم اندريا فاسيليفيتش

. تناولت كتابك وسررت بانني عرفتك وعرفت ايمانك

. والآن اخبرك ان نفس الاضطهاد الذي اصابك يدل على انك سائر في طرق المسيح. وكل رجل يسير في هذه الطرق لا بد ان يصدم في طريقه ملك هذا العالم . ان الانسان يجب ان لا يخفي النور تحت المكيال بل ان يضعه في مكان ينير الناس وهذا امر لا

يريده ملك هذا العالم لان النور يُظهر ظلمه واعماله · فلذلك يجب على الراغبين في مساعدة التقدم وانشاء مملكة الله في الارض ان يكشفوا الستار عن اعماله مما اصابهم من الاضطهاد وبناء عليه فاني اسال الله ان يعينك

· انا من رأيك في كل ما ذكرته في كتابك واوافق على اقوالك كل الموافقة غير اني اريد ان اقدم لك نصيحة وهي انك حين كشف الستار عن كذب الناس لاتنسَ المحبة الواجبة لاخيك التائه الذي تكشف ذنبه واعتمد بالاكثر على العقل والمحبة لا على آيات الكتاب · لان الكتاب مكتوب بيد الانسان فليس هو بمعصوم وكل واحد يفسره كما يشاء اما العقل السليم فانه يردنا راساً من الله وهو واحد لا يتغير في التتر كما في الصينيين وفي سائر الشعوب وليس في استطاعتنا انكار شعوره وتكذيب تعليمه اذ لا ينكره ويكذبه الا الذين يرفضون معرفة الحقيقة

· واني اضع لك في كتابي هذا مقالات صغيرة عن الايمان الذي اؤمن به منها مقالتان من قلمي احداها عنوانها « وصايا المسيح » والثانية « كيف يجب ان تقرأ الانجيل » واما المقالات الاخرى فليست من قلمي ولكني موافق على ما فيها اخوك الذي يحبك

لاون تولستوي

انتهى جواب الفيلسوف وهو غريب كالكتاب الذي نقدمه ولكن الاغرب ان تولستوي استعار خلاصة اقوال مكاتبه لابسف في روايته الشهيرة « البعث » او الاحياء فجعله فيها شيخاً يصادفه سائق على ضفة احد الانهار واجراس الكنائس تُقرع للصلاة دون ان يكشف الشيخ رأسه عند سماعها فيدور بينه وبين السائق الحديث التالي

· انت ايها الشيخ لماذا لا تصلي · فنظر الرجل شزرًا الى السائق نكلودوف واجاب · اصلي ? ولمن تريد ان اصلي · فقال السائق ما هذا السؤال لعلك لا تؤمن بالله · فقال الشيخ اتؤمن به انت وهل تعلم اين هو · فصاح السائق يالك من بليد كيف تسأل اين يقيم الله وكل الناس تعلم انه مقيم في السماء · فقال الشيخ بهدوء لعلك صعدت الى السماء ونظرته فيها · فاجاب السائق كلا لم اصعد الى السماء ولكن جميع الناس يقولون بوجوب الصلاة · فاجاب السائق بصوت اجش وهو يقطب حاجبيه ان الله لم يره احد هكذا قال ابنه الوحيد المقيم في احشائه · فقال السائق حينئذ · يظهر من هذا انك لست مسيحياً · فهل انت وثني · فحول الشيخ وجهه عنه وبصق على الارض دلالة على احتقاره

· وكان سائق مركبة نقل واقفاً هناك بازاء خيله يسمع حديثهما فسال الشيخ متلطفاً ·

ما هو دينك اذًا ايها الاب . فالتفت الشيخ اليه ووجه نحوه نظرة غضب ثم قال . انا لا ادين بدين ولا اومن في احد سواي . فاستغرب السائق الاول هذا الجواب وساله . كيف يؤمن الانسان بنفسه وما هو هذا الايمان . فاجاب الشيخ . ان هذه الطريقة لهي الطريقة الوحيدة التي تصون الانسان من الخطاء . فساله السائق هل انت تؤمن هذا الايمان منذ عهد بعيد . فاجاب الشيخ بهدوء نم منذ عهد بعيد لانه قد انقضى عليَّ ٢٣ سنة وهم يضطهدونني . فساله ولماذا يضطهدونك . فاجاب الشيخ :

« يضطهدونني كما اضطهدوا المسيح . فانهم يلقون القبض عليَّ ثم ياخذونني الى القضاة والكهنة والكتبة والفريسيين ويضعونني في اماكن المجانين ولكنهم لا يقدرون عليَّ لانني حر النفس والفكر . يسالونني ما اسمك لانهم يظنون ان لي اسمًا اما انا فليس لي اسم لانني تركت كل شيء في هذا العالم . ليس لي اسم ولا مسكن ولا وطن وليس لي شيء سوى نفسي يسالونني ما اسمك ؟ اسمي « انسان » . وكم هو عمرك ؟ فاجيبهم انني لا احصي السنين التي مرت علي ومع ذلك فليس لي عمر محدود لان الروح الذي يسكن فيَّ كان وسيكون فيَّ دائمًا . ومن هو ابوك ومن هي امك . كلا ثم كلا ليس لي اب ولا ام غير الله والارض . الله هو ابي والارض هي امي »

***

✲ صورة الحرم الكنائسي ✲ فالظاهر ان مبادئ الفيلسوف تولستوي لم ترق المجمع الروسي الاعلى المقدس فكتب سيادة رئيسه يوانيكيوس اسقف كييف الى جميع اساقفة روسيا في ٣١ مارس الماضي كتابًا يبلغهم فيه ان المجمع المقدس قد حرم الفيلسوف تولستوي حقوقه الدينية او بالاحرى الكنائسية وهذه خلاصة صورة الكتاب المذكور الذي هو كتاب الحرمان

« ان تولستوي اظهر انه عدو لدود للكنيسة في كل الكتب التي بسط فيها مبادئه الدينية فانه لا يعترف بوجود اله واحد مثلث الاقانيم وينكر الوهية الاقنوم الثاني ابن الله ويعتبره انسانًا كالبشر وفضلاً عن ذلك فقد جدف على سر التجسد وحرف نصوص الانجيل وانكر الكتب المقدسة اذ اعتبرها من وضع البشر ثم انه انكر السيادة الاكليريكية والاسرار المقدسة والطقوس فبناء عليه وبما ان فرزه فرزًا علنيًا عن الكنيسة الارثوذكية قد يحدث تاثيرًا في الافكار ويجرح عواطف المؤمنين ويثير سخطًا في النفوس فقد اكتفى المجمع المقدس الان بان يقرر عدم اقامة صلاة الجنازة والصلاة عن نفس الكونت لاون

تولستوي بعد موته اذا كان لا يسترد في حياته الاقوال التي قالها وينكرها ولذلك ابلغت سيادتكم هذا القرار .

***

﴿ الخلاصة ﴾ هذا ما رأينا نقله عن الفيلسوف تولستوي . ولا بد ان القارىء ينتظر ان نبدي رأياً في ما تقدم فنقول ان رأينا هو الاسف من قيام النزاع بين الفلسفة واللاهوت لان الفلاسفة ورجال الدين هم قواد النفوس والعقول في العالم فاذا تنازعوا واختلفوا فلا يكون الضرر واقعاً الا على هذه النفوس والعقول التي تتيه لاختلافهم في مهامه الحيرة فلا تدري اي فريق تتبع ثم نرى بعد الاسف ان كل المسائل التي تكون من هذا القبيل انما يكون فيها الذنب للفريقين معاً فتولستوي مخطىء لانه نقض بغلوه قاعدته وهي « لا تقاوم القوة بالقوة » وذكر في كتبه اقوالاً توقع الارتياب والشك في نفوس الشعب فتزعزع في صدورهم اثمن ما لديهم وهو ايمانهم . ان الشعب الذي يعاني الشقاء في اسفل الهيئة الاجتماعية . الشعب الذي يتعذب في تحصيل قوته اليومي . الشعب الذي يحمل اليوم جميع احمال الانسانية واثقالها ليس له من تعزية ولا سلوى في شقائه وعذابه واحماله في هذا الوجود غير الايمان ورجاء حياة ثانية احسن من هذه الحياة المملوءة شوكاً وحسكاً . فليس يحسن والحالة هذه زعزعة هذا الايمان والامل بمبادىء قلما يفهمها ولا يفيده ان تُعرض عليه كل الاراء والافكار صحيحها وفاسدها الا متى استنار وبلغ مبلغ الخاصة من المعرفة والحكمة فاصبح قادرًا على تمييز غثها من سمينها

والذين حرموا تولستوي مخطئون ايضاً لان الاضطهاد لم يزد الفلاسفة والعلماء والكتاب في كل زمان ومكان الا نشاطاً في دعوتهم واصرارًا على مبادئهم . والدليل على ذلك انه ما بلغ تولستوي خبر حرمانه حتى اخذ ينشر على ما يقال كتاباً يصف فيه معيشة الرهبان في روسيا وصفاً ينتقم به لنفسه عن اضطهادهم اياه . وما برح الضغط يولد الضغط دائماً

وفضلاً عن ذلك فان حرية الفكر حق من حقوق الانسان الطبيعية وحق حرية الفكر يتناول حق حرية القول في كل فلسفة صحيحة واذا كانت هاتان الحريتان حقاً طبيعياً للانسان فمن العبث ان يحاول البشر حرمانه منها

فيا ما احلاكِ ايتها الحرية حرية الفكر والقول اذا كنتِ ضمن دائرة القانون اي مقرونة باختيكِ التساهل والاعتدال واختك المعرفة والحكمة وويل للبشر ما اشقاهم في ازمان لا يفهمون فيها معنى هذه الفضائل السامية

باب المقالات

عبادة الانسان النبات

دروين · عبادة النبات في افريقيا · تأثير الاسلام فيها · قول عالم عن بعض بسطاء القاهرة · مقاومة الديانة المسيحية لها كالاسلامية · اسباب عبادة النبات الاولى · عبادة الدبق والسنديان · عبادة التينة الهندية التي يوجد مثالها في حديقة الازبكية في القاهرة · القضبان السحرية · عبادة النبات بسبب عبادة النور والنار · عبادة الاشجار لنفعها · جنات آسيا العذراء الاولى وجنة عدن · الشجرة المدافعة عن نفسها والشجرة التي تخلق الحيوان · شجرة الخلد المصرية المقدسة · اشتقاق الانسان من النبات

كان العالم الطبيعي الشهير داروين يسيح في سنة ١٨٣٣ في افريقيا الجنوبية · ففي ١١ اغسطس من هذه السنة كان قاصداً بونس ايرس فنظر في سهل فسيح هنالك منظراً عجيباً وصفه بما يلي · قال · « بعد انقضاء بضع ساعات على مروري بالبئر الاولى تحت شجرة شهيرة في ذلك السهل الفسيح · وكان الوقت شتاء فدنوت من الشجرة فلم اجد فيها ورقاً ولكني وجدت مكان الورق خيوطاً لا يحصى لها عدد معلقة بها وقد رُبطت بهذه الخيوط هدايا كثيرة من السكائر والخبز واللحم والانسجة وما اشبهها · وهذه الهدايا يقدمها اليها الاغنياء اما الفقراء الذين لا يستطيعون ان يقدموا مثلها فيكتفون بان يسحبوا من ملابسهم خيطاً ويربطوه بها · واما الممتازون في الغنى فانهم يصبون في ثقوبها المشروبات الروحية المصنوعة من الحبوب او من نبات عندهم يُدعى « ماته » ثم يقفون تحت اغصانها ويدخنون مرسلين دخانهم فوق رؤوسهم لاعتقادهم ان تلك الشجرة التي هي المهم ترتاح الى ذلك · وحول هذه الشجرة شيء كثير من عظام الخيل التي كانوا يقدمونها ضحايا لها » ا ·

وقد سأل دروين بعض الهنود هناك عن اسم هذه الشجرة فقالوا له انها المهم « واليشو » ولكن دروين يعلم ان الشعوب مها انحطت اخلاقها الدينية فان الالوهية تبقى لديها في مقام سام · فلذلك ولما كان يعلمه من ان الاله « واليشو » انما يقيم في بطن الارض ويتمثل احياناً في النباتات قال ان الهنود كانوا يعتبرون تلك الشجرة بمثابة هيكل لواليشو لا واليشو نفسه

تولستوي بعد موته اذا كان لا يسترد في حياته الاقوال التي قالها وينكرها ولذلك ابلغت سيادتكم هذا القرار ·

***

❊ الخلاصة ❊ هذا ما رأينا نقله عن الفيلسوف تولستوي · ولا بد ان القارئ ينتظر ان نبدي رأياً في ما تقدم فنقول ان رأينا هو الاسف من قيام النزاع بين الفلسفة واللاهوت لان الفلاسفة ورجال الدين هم قواد النفوس والعقول في العالم فاذا تنازعوا واختلفوا فلا يكون الضرر واقعاً الا على هذه النفوس والعقول التي تتيه لاختلافهم في مهامه الحيرة فلا تدري اي فريق تتبع ثم نرى بعد الاسف ان كل المسائل التي تكون من هذا القبيل انما يكون فيها الذنب للفريقين معاً فتولستوي مخطئ؛ لانه نقض بعلوه قاعدته وهي « لا تقاوم القوة بالقوة » وذكر في كتبه اقوالاً توقع الارتياب والشك في نفوس الشعب فتزعزع في صدورهم اثمن ما لديهم وهو ايمانهم· ان الشعب الذي يعاني الشقاء في اسفل الهيئة الاجتماعية · الشعب الذي يتعذب في تحصيل قوته اليومي · الشعب الذي يحمل اليوم جميع احمال الانسانية واثقالها ليس له من تعزية ولا سلوى في شقائه وعذابه واحماله في هذا الوجود غير الايمان ورجاء حياة ثانية احسن من هذه الحياة المملوءة شوكاً وحسكاً · فليس يحسن والحالة هذه زعزعة هذا الايمان والامل بمبادئ قلما يفهمها ولا يفيده ان تُعرض عليه كل الاراء والافكار صحيحها وفاسدها الا متى استنار وبلغ مبلغ الخاصة من المعرفة والحكمة فاصبح قادرًا على تمييز غثها من سمينها

والذين حرموا تولستوي مخطئون ايضاً لان الاضطهاد لم يزد الفلاسفة والعلماء والكتاب في كل زمان ومكان الا نشاطاً في دعوتهم واصرارًا على مبادئهم · والدليل على ذلك انه ما بلغ تولستوي خبر حرمانه حتى اخذ ينشر على ما يقال كتاباً يصف فيه معيشة الرهبان في روسيا وصفاً ينتقم به لنفسه عن اضطهادهم اياه · وما برح الضغط يولد الضغط دائماً

وفضلاً عن ذلك فان حرية الفكر حق من حقوق الانسان الطبيعية وحق حرية الفكر يتناول حق حرية القول في كل فلسفة صحيحة واذا كانت هاتان الحريتان حقاً طبيعياً للانسان فمن العبث ان يحاول البشر حرمانه منها

فيا ما احلاكِ ايتها الحرية حرية الفكر والقول اذا كنتِ ضمن دائرة القانون اي مقرونة باختيكِ التساهل والاعتدال واختك المعرفة والحكمة وويل للبشر ما اشقاهم في ازمان لا يفهمون فيها معنى هذه الفضائل السامية

باب المقالات

عبادة الانسان النبات

داروين · عبادة النبات في افريقيا · تاثير الاسلام فيها · قول عالم عن بعض بسطاء القاهرة · مقاومة الديانة المسيحية لها كالاسلامية · اسباب عبادة النبات الاولى · عبادة الدبق والسعديان · عبادة التينة الهندية التي يوجد مثالها في حديقة الازبكية في القاهرة · القضبان المحرمة · عبادة النبات بسبب عبادة النور والنار · عبادة الاشجار لنفعها · جنات آسيا العذراء الاولى وجنة عدن · الشجرة المدافعة عن نفسها والشجرة التي تخلق الحيوان · شجرة الخلد المصرية المقدسة · اشتقاق الانسان من النبات

كان العالم الطبيعي الشهير داروين يسيح في سنة ١٨٣٣ في افريقيا الجنوبية · ففي ١١ اغسطس من هذه السنة كان قاصداً بونس ايرس فنظر في سهل فسيح هنالك منظراً عجيباً وصفه بما يلي · قال · « بعد انقضاء بضع ساعات على مروري بالبئر الاولى لمحت شجرة شهيرة في ذلك السهل الفسيح · وكان الوقت شتاء فدنوت من الشجرة فلم اجد فيها ورقاً ولكني وجدت مكان الورق خيوطاً لا يحصى لها عدد معلقة بها وقد رُبطت بهذه الخيوط هدايا كثيرة من السكائر والخبز واللحم والانسجة وما اشبهها · وهذه الهدايا يقدمها اليها الاغنياء اما الفقراء الذين لا يستطيعون ان يقدموا مثلها فيكتفون بان يسحبوا من ملابسهم خيطاً ويربطوه بها · واما الممتازون في الغنى فانهم يصبون في ثقوبها المشروبات الروحية المصنوعة من الحبوب او من نبات عندهم يُدعى « ماته » ثم يقفون تحت اغصانها ويدخنون مرسلين دخانهم فوق رؤوسهم لاعتقادهم ان تلك الشجرة التي هي المهم ترتاح الى ذلك · وحول هذه الشجرة شيء كثير من عظام الخيل التي كانوا يقدمونها ضحايا لها » ا ه

وقد سأل داروين بعض الهنود هنالك عن اسم هذه الشجرة فقالوا له انها المهم « والليشو » ولكن داروين يعلم ان الشعوب معما انحطت اخلاقها الدينية فان الالوهية تبقى لديها في مقام سام · فلذلك ولما كان يعلمه من ان الاله « والليشو » انما يقيم في بطن الارض ويتمثل احياناً في النباتات قال ان الهنود كانوا يعتبرون تلك الشجرة بمثابة هيكل لوالليشو لا والليشو نفسه

غير انه مهما يكن من امر هذا القول فان عبادة هذه الشجرة وسواها من النباتات التي روى المؤرخون ان الشعوب قد عبدوها لا تخرج عن كونها مسالة علمية في غاية الاهمية يجب النظر فيها لمعرفة الاسباب التي دعت اليها · وتوصلاً لذلك يجب النظر في تاريخ بعض النباتات التي عبدها الاقدمون

مقاومة الاسلام لها

على ان هذه العبادة كانت عامة في الدنيا كلها · فان قبائل الاشانتي في جهات النيجر كانت تذبح منذ بضع سنوات الذبائح لاشجار مقدسة عندها تدعى « الميجوزا المقدسة » وهي الشجرة المنخيية ويعلقون الهدايا باغصانها · وكان سكان الداهومي في القرن الماضي يضعون المرضى في ظل اشجار عندهم ليشفوا من امراضهم · وروى مونغو بارك انه وجد في احدى سياحاته شجرة قال له الدليل عنها ان الانسان اذا مرَّ من امامها دون ان يلقي اليها شيئاً فانها تغضب عليه · وقد نقل ريشارسون انه كان يوجد في مملكة البورنو غربي بحيرة تشاد اشجار يُعدم الاهالي تحتها المجرمين وكانوا يعبدونها قبل دخولهم في الديانة الاسلامية · وكان عدد هذه الاشجار خمساً او ستاً · والسلطان ملك البلاد كان يخرج اليها مرة في السنة للاحتفال باكرامها وعبادتها وذبح البقر والغنم ضحايا لها · فلما دخل اهلها في الاسلام بطلت هذه الخرافات كلها

وروى العالم قسطنطين الذي نعتمد عليه في كتابة هذه المقالة انه لا يزال يوجد في القطر المصري اثر لعبادة النبات · قال « منذ بضع سنوات كان الانسان يستطيع ان يشاهد في ضواحي القاهرة شجرة كبيرة يعتبرها اهالي القاهرة (كذا) مقدسة ويسمونها « الحكيم الكبير » لانها تشفي من الامراض وهم يقصدونها افواجاً افواجاً للاستشفاء من الحمى وغيرها من الامراض الالتهابية · وطريقة استشفائهم انهم يجثون لدى جذورها ويتلون الصلوات · وهذه الشجرة قديمة العهد ضخمة الجذع والاغصان وعلى فروعها امتعة كثيرة يلقيها الناس اليها على سبيل الهدية · ومن فرط احترامهم لها يمنعون الناس من تصويرها ولذلك لم يقدر المصور على رسم صورتها التي نشرناها الا بالحيلة »

انتهى قول الراوي وكان يودنا ان لا يتورط المسيو قسطنطين في هذا القول فانه اذا كان بعض البسطاء في بلد يعتقدون بان الزيارة لاحدى الاشجار والصلاة عندها مما يشفي المريض من مرضه فليس يصح ان يُطلق ذلك على جميع اهالي البلد

وكما وجدنا عبادة النبات في افريقيا فاننا نجدها في آسيا · فان السائح برلوارو في سنة

١٤٧١ والسائح بطرس دل فال في سنة ١٦٢٣ قد وجدا في بلاد الفرس اشجاراً كثيرة عليها الاقمشة المختلفة . و يقال ان هذه العادة لا تزال موجودة هناك الى هذه الايام . على ان العرب كانوا يقطعون كثيراً من هذه الاشجار ابطالاً لبدعها و ربما قطعوا معها رؤوس بعض المعارضين في قطعها

مقاومة المسيحية لها

وقد قاومت الديانة المسيحية هذه البدع كما قاومتها الاسلامية . فقد كان في القرن الرابع للميلاد المسيحي قرب اوكسر على مسافة ١٧٥ كيلومتراً من باريز شجرة كانوا يعلقون بها الاسلاب التي يغنمونها من العدو في ساحات القتال والاسلحة المختلفة التي كانوا يزينون منازلهم بها . وكان الشعب يكرمها الى حد اعتبر عنده قطعها فوزاً للدين المسيحي الذي كان يومئذ يضطهد انصاره . وكان اهالي الجهات الجنوبية في فرنسا يعبدون المغائر والاشجار في عهد القديس اماندوس وكان من الفضائل المسيحية يومئذ تخريب هذه المغائر وتقطيع هذه الاشجار وقد قرر مجامع ارل وتورونت قراراً تحرم فيه اكرام الاشجار والينابيع والحجارة وقس على ذلك في الهند و بلاد اليونان والاقطار الاميركية مما يصح ان يقال فيه مع العالم لانج « ان الانسان قد عبد النبات منذ ازمنة المصريين الاولى الى ازمنة المتوحشين في هذا الزمان »

فما أصل هذه العبادات كلها . وهل ان الانسان عبد النبات اتفاقاً ام وُجدت اسباب حملته على هذه العبادة . وما هي هذه الاسباب . ان البحث في هذا الموضوع الطبيعي الجليل في غاية الاهمية لما فيه من الفائدة واللذة

اما الاتفاق فليس له وجود في الطبيعة حقيقةً بل لكل معلول علة ولكل نتيجة مقدمة ولذلك تنظر في الاسباب والمقدمات التي حملت الانسان على عبادة النبات

اصل عبادة الدبق والسنديان

فننظر اولاً في نباتات الدبق واشجار السنديان التي كان يعبدها سكان غاليا في العصور المتقدمة . فقد قال المؤرخ بلين ان كهنة الغاليين كانوا يحتفلون اعظم احتفال بقطف اثمار الدبق و يقدسونها ويعزون اليها مزايا دينية كثيرة . وهم يقطعونها عادة بواسطة سكين من الذهب ومن المحرم عليهم قطعها بآلة حديدية لئلا ينجسها الحديد . وهذا الامر الاخير يدل على ان عبادة نبات الدبق كانت قديمة جداً اي انها سبقت العصر الحديدي حتى حُرم الحديد في قطعها . ولكن ما اصل هذه العبادة

اصلها ان هذا النبات حي يعيش بلا جذور على الاشجار التي يعلق بها . وقد كان

يعلق في بلاد غاليا باشجار السنديان فيرى الانسان الاول فيجد على هذه الشجرة نباتاً مستقلاً عنها وهو يعيش عليها فيتساءل من اين اتى هذا النبات المستقل . ثم انه ياخذ براقبة مصدر هذا النبات فيجد ان عصفوراً ياتي ببذور منه و يلقيها على اغصان بعض الاشجار فتنبت عليها وتنمو . ولا يخفى ان الاقدمين كانوا يعزون الى المشيئة الالهية كل ما يقع تحت حواسهم من الاعمال العجيبة التي يعملها الحيوان والنبات فاخذوا يعتقدون منذ ذلك الحين بان ذلك العصفور الذي ياتي ببزرة الدبق الى تلك الشجرة مرسل من الالهة وتلك الشجرة مختارة منها فهي مقدسة . و بناء عليه عبد الغاليون القدماء شجرة الدبق اولاً ثم السنديانة التي تحملها . وقد جاء في الامثال الرومانية قولهم « ان العصفور ياتي هو نفسه بالدبق الذي يؤخذ به »

هذا اصل عبادة الدبق والسنديان في غاليا اي ان استغراب الانسان الاول النبات الحلمي الذي يقع على السنديانة باختيار طائر غريب مُرسل هو الذي نبه العقل البشري الى تقديس ذلك النبات ثم انتقل التقديس من النبات نفسه الى الشجرة التي ينمو عليها . هذا هو الاصل الاول

اصل عبادة التين الهندي

والاصل الثاني نجده في عبادة شجرة مقدسة شهيرة في الهند معروفة « بشجرة التين الهندي المقدس » او تين الهياكل . وقد كانت عبادة هذه التينة من اهم العبادات الاسيوية . اما صفتها فهي شجرة ضخمة تنتشر اوراقها وفروعها انتشاراً بعيداً حتى انها قد تظلل لسعة انتشارها مئات من الناس . ولكن ليست هذه مزيتها الكبرى . وانما مزيتها الكبرى بروز اغصان من وسطها وتدليها الى الارض على شكل الجذور ثم غوصها في الارض كما تغوص الجذور وقيامها مقام هذه من حيث امتصاص الغذاء . وقد تبلغ هذه الجذور البارزة مئات كما تشاهد ذلك في اشجار من هذه الفصيلة موجودة في حديقة الازبكية في القاهرة

وقد ورد لهذه الشجرة ذكر في الكتب الهندية المقدسة فانهم يسمونها شجرة الحكمة التي جذعها فوق واغصانها تحت تستند اليها الارض ومن عليها . وقد جاء في التقاليد البوذية ان ولادة بوذه كانت بمثابة بروز جذر عظيم في وسط شجرة العالم . وروي ايضاً عن امه مايا انها لما نُقلت من فراشها لتلده نُقلت الى احدى قمم جبال حملايا ووُضعت تحت شجرة منتشرة الاغصان والاوراق فكانت اذا مدت يدها لتقطف ثمر الشجرة تدلت اليها اغصانها

من نفسها . ولا يخفى ما في ذلك من الرمز الى التينة الهندية

فهذه الامور اذا اضفت اليها مزية بروز الجذور من فوق الى تحت وهي المزية التي تميز هذه الشجرة عن سائر العالم النباتي وجدت انها كافية لاكرام الهنود اياها والاهتمام بها. وفضلاً عن ذلك فقد كان لهذه الشجرة مزية اخرى على باقي الاشجار مما جعل الانسان الاول يزداد بها اهتماماً. وهي ان بزر هذه التينة كانت كثيراً ما تنبت بازاء شجرة فتلتف عليها وتستند اليها. ولكنها لا تشب وتقوى حتى تاخذ جذورها الظاهرة التي اشرنا اليها بالتدلي الى الارض فتضخم التينة وتنمو وتزداد التفافاً على تلك الشجرة حتى تخنقها وتقتلها . ولذلك سُميت خانقة الاشجار ايضاً فكانت ذات مزية غريبة

وكما ان الريح القت بزرة التين بازاء شجرة فنبتت وخنقتها بعد بلوغها اشدها كذلك قد يحتمل ان يحمل العصفور تلك البزرة الى هياكل الهنود فتنبت على سطوحها او في جدرانها فيحسب الهنود ان الالهة قد انبتتها هنالك . وقد وُجدت نقوش كثيرة في الهياكل البوذية في الهند تمثل نمو شجرة التين المذكورة في جدران الهياكل وبروزها من نوافذها

هذا هو اصل تقديس الهنود شجرة التين الهندي . وزد على ذلك ان ورق هذه الشجرة كثيف ثخين يقي المستظل بها من هبوب الارياح وانهمار المطر الشديد في تلك البلاد فضلاً عن اعتقادهم بان الصاعقة لا تسقط عليها لان الآلهة تحميها . ولعل سبب ذلك اذا صح وجود كهربائية دافعة فيها

القضبان السحرية

ثم انه ورد في التقاليد الاوروبية ذكر لقضبان سحرية يكشف بها الانسان المخبئات . وطريقة الحصول على هذه القضبان الثمينة مذكورة في اوراق وجدت في القرن السابع عشر ومنها هذه العبارة « متى لقيت على جدار او على صخرة او في جوف شجرة نبتة « السوبريه » نابتة من بزرة تكون قد سقطت من منقار عصفور فاذهب اليها في مساء اليوم الثالث من عيد نوتردام واقطف قضيباً منها فيكون له مزية اكتشاف المخبئات ومعرفة الاراضي التي فيها ينابيع » فانت ترى من ذلك ان هذه الشجرة التي لها مزية الاكتشاف انما هي من النباتات الحلمية او النباتات التي تبرز من جذعها جذور على طريقة التينة الهندية

تولد عبادة الاشجار من عبادة النار

ويمكن الاستدلال على تقديس الاشجار بمسالة النار . فان الاقدمين كانوا يحترمون

النار ويقدسون انواعها. فقد ورد عن الرومانيين انهم كانوا يضعون النور المقدس في الميا كل ويقيمون عليه العذارى حارسات ويسمونهن الفستال . وورد عن اهالي مكسيكا قبل اكتشاف الاسبانيين بلادهم انهم كانوا يقيمون في كل سنة حفلة عظيمة على جبل فيه اشجار كثيرة من « اليوكساستين » فياتي كاهنهم باضخم رجل من اسرى الحرب الذين لديهم ويلقيه تحت الشجرة ثم يضع على صدره شيئاً منقوباً وياتي بغصن شجرة ثم ياخذ يحكه في ذلك الثقب حكاً عنيفاً شديداً متتابعاً حتى تظهر النار ويلتهب العود بشدة الاحتكاك فيشق حينئذٍ صدر الاسير ويستخرج قلبه ليكون هدية للنار المقدسة الجديدة . ويكون الشعب مجتمعاً في سفح الجبل فلما تظهر له النار الجديدة يتعالى هتافه وصراخه لانه يتخذها في كل عام علامة لعدم انطفاء الحياة في هذا العالم

وقد ورد في كتب الفيدا الهندية ان احترام النار امر مقدس وله عند البراهمة حفلة عظيمة ولا سيما النار المقدسة التي يضرمونها باحتكاك غصنين يؤخذان من شجرة معلومة. ويقول الفيدا « ضع رباطاً في احد الغصنين كما يوضع اللجام في رقبة الجواد . هذا هو الذي يعيد الحياة . ثم جيء بسيدة النسل وحك الغصنين لتوليد « اني » وهي النار . ان اني كامن في الغصن كما يكمن الجنين في جوف امه »

وقد عثرنا على تفسير بديع للذبائح التي كان يذبحها الهنود وغيرهم من الاقدمين ويستخرجون احشاءها . فانهم كانوا يرمزون بالحيوانات المذبوحة الى مبدأ الحياة العظيم . فيقولون . ان غيوم السماء هي البقر التي في احشائها النار . ومتى اضطرمت النار وانفجرت في الغيوم بشكل صاعقة اتخذت شكل الماء ثم نزل الماء مطراً الى الارض فتحول الى عصير النبات ثم متى جف العصير ويبس النبات بقيت النار فيه وهي موجودة في كل حي لانها مبدأ الحياة. ومن اغرب الغرائب ان يكون العلم الحديث قد توصل الى شبه هذه النتيجة فانه يقول ان كل جرثومة حية تفرز الحرارة ولا تبرد الا متى عدمت الحياة

فالنتيجة التي تظهر من كل ما تقدم عن تقديس النار بسيطة وهي انه اذا كانت النار مقدسة فالاشياء التي تُتخذ لا ضرامها يجب ان تكون مقدسة . وهكذا قُدست الاشجار . والغريب ان النار المقدسة التي مرَّ ذكرها عند المكسيكيين والهنود انما كانت تُستخرج باغصان من النباتات الحلمية والاشجار التي يبرز من جذعها جذور الى الارض على طريقة التينة الهندية وهذا مما يزيد الاقوال السابقة ثبوتاً

عبادة الاشجار لمنفعتها

وفي استطاعتنا ان نضع في جملة اسباب تقديس الاشجار انتفاع الانسان بها . فان من اثمار بعض الاشجار ما يُعصر منه شراب طيب مسكر كشراب « الصومه » الهندي الذي يقدسه الهنود . ثم ان الانسان الاول كان يقتات من اثمار الشجر فقط فكان يجب عليه بحكم الطبع ان يكرم مادة رزقه . ومعلوم ان من الاشجار ما هو مثمر كثير الاقبال وما هو عاقر لا يثمر او قلما يثمر . فبديهي ان الانسان الاول قد انتبه الى ذلك واكرم المثمرة واهمل العاقرة . وانما يصح هذا القول بالخصوص على اشجار آسيا التي كانت جبالها واوديتها تغص بهما في الزمن القديم وكلها مثمرة تكفي البشر . وقد اثبت الباحثون ان في اذهان البشر في كل البلاد المتوحشة والمتمدنة ذكرى وطن قديم فيه خضرة دائمة وجنات لا يجف لها ماء ولا يفنى لها ثمر فاستنتجوا من ذلك ان الانسان انما يذكر بذلك جنات اسيا التي كان يعيش فيها في بدء امره ومنها هاجر بعد ذلك الى البلاد القاصية . وبعضهم يسمي تلك الجنات عدناً

الشجرة المدافعة والتي تخلق الحيوان

ومن الاشجار المقدسة شجرة تعرف باسم « سكروبيا » كان لها شان عظيم في اميركا الجنوبية . وليس ذلك فقط لان اهالي تلك البلاد كانوا يستخرجون النار منها بحك عود في ثقب يكون في جذعها بل لانها كانت ذات مزية اخرى عظيمة

ذلك ان النمل كما هو معلوم يكون خطراً شديداً على النبات في الاقاليم الحارة لهجومه عليه جيوشاً جيوشاً وقطعه اوراقه مما يوقف نموه وينتهي بايباسه . وهكذا كان شان النمل في اميركا الجنوبية مع اشجارها الا مع الشجرة « سكروبيا » التي تقدم ذكرها . فقد كانت هذه الشجرة وطناً دائماً لنوع من الحشرات يشبه النمل ولكنه عدو لدود له . فاذا صعد النمل الى « السكروبيا » ليؤذيها هاجمته الحشرات الصغيرة التي فيها وحدث بين الفريقين قتال ينتهي دائماً بانقلاب النمل وارتداده . فكأن تلك الحشرات حراس للشجرة

ثم ان الغريب في امر هذه الشجرة سوى ما ذُكر انها تجازي هذه الحشرات عن دفاعها عنها احسن جزاء . فانه يتولد على اطراف غصونها العليا حويينات او هنات نباتية صغيرة تتخذها تلك الحشرات طعاماً لها . فكأن الشجرة تهيئ لها الطعام جزاء عن دفاعها عنها . وقد اعجب علماء النبات بهذا الاتفاق بين الشجرة والحشرات

ومعلوم ان الانسان الطبيعي الاول كان شديد الملاحظة لما حوله اذ لم يكن لديه شيء يشغله عنه كما لديه الآن في الاجتماع فلا بد ان يكون قد انتبه الى هذا الاتفاق . ولا بد انه يكون حين انتباهه اليه قد حكم بان الشجرة تخلق من تلقاء نفسها هذه الحشرات للدفاع عنها . فهي اذاً مباركة اذ لو لم تكن كذلك لما كانت لها هذه المزية العجيبة . وهكذا قدسها وعبدها

ثم انه يوجد امثلة اخرى على الاشجار التي كان يعتقد الاقدمون انها تخلق حيوانات . فان السائح نورنفور شاهد في سياحته في الشرق في القرن الثالث عشر طريقة كان يتخذها اليونان لزيادة نماء ثمار التين عندهم . وذلك انه كان يوجد لديهم نوعان من التين التين الجيد والتين الرديء البري . فكانوا يقطفون التين الرديء في شهري يونيو وليو ثم يربطون ثماره بخيوط ويعلقونها في التينة الجيدة فتعطي ثماراً كثيرة وربما تجاوز حاصل التينة ٢٨٠ ليبره على حين انهم اذا لم يضعوا التين الرديء عليها مربوطاً بالخيط فان التينة لا تأتي بربع هذه الكمية

فما سبب ذلك . سببه ان ثمار التين الرديء تحمل الى التينة الجيدة لقاحاً لتلقيح ثمارها ومن غير هذا اللقاح لا ينضج للتين ثمر . وقد كان هذا التلقيح يتم في العصور الماضية بواسطة الحشرات التي كانت تنتقل من الثمار الرديئة الى الجيدة فتلقحها . فالظاهر ان متوحشي ذلك الزمان قد راقبوا ذلك وشاهدوا ان الحشرات تخرج من جوف الثمرة فاستنتجوا منها انها تخلقها فاكرموا التينة وعبدوها

شجرة الخلد المصرية

ويوجد في تاريخ المصريين مثال مهم على اشتقاق الحيوان من النبات . فانهم قد وجدوا في كتاب الاموات الذي يعتبرونه دليل النفوس التائهة بعد الموت قولاً غريباً يؤيد ذلك . وهذا نصه « ان الميت يحمل عصاه في يده ويذهب في الافاق مفتشاً عن ضالته . ولكنه لا يلبث ان يصل الى طرف الدنيا الحقيقية . فيجد نفسه تجاه جميزة ممتلئة من اثمار تين الجميز وعليها امرأة نابتة من جذعها وفي يدها اناء يتضمن ماء الحياة . فاذا رفض ان يأخذ منها عجز عن اتمام سيره لان هذه الشجرة شجرة الخلد » . وهذه المرأة هي الالهة « نوت » الهة الخلد التي تحمل في يدها كوز ماء الحياة فالذي يشرب منه يحيى والذي لا يشرب يموت (انظر الرسم التالي)



شجرة الخلد المصرية في نهاية الدنيا نابتة منها الاهة الخلد التي بيدها كوز ماء الحياة تصب منه للاموات حين وصولهم اليها فالذي يشرب يحيى بعد الموت والذي لا يشرب يموت . وبازائها شجرة مزينة براس بشري وقد وجد رسمها في الهند مع كثير من الاشجار على هذا المثال .

وقد بحث المسيو ماسبرو في سبب عبادة المصريين القدماء لشجرة الجميز وتقديسهم اياها فقال انهم في بدء الاجتماع كانوا يستغربون انفراد شجرة من اشجار الجميز في سهل فسيح دون ان يكون لها رفيقة في الحياة فيكرمونها ويعتقدون البركة فيها . وكانت السهول الواقعة قرب الجيزة تدعى « مكان الجميز » وكانت مصر نفسها تدعى في ايام الفراعنة « ارض الجميز »

اشتقاق الانسان من النبات

هذا ولاشتقاق الانسان من النبات مثال آخر ادل مما تقدم . وهو ان كثيرين من متوحشي اميركا وآسيا يعتبرون انفسهم انهم اخوان للاشجار والنباتات التي حولهم ويعتقدون ان لها ارواحاً تحسُّ وتشعر بها . وقد وجدت في الهند وغيرها رسوم كثيرة تمثل اشجاراً معلقة بها رؤوس بشرية كما ترى في الرسم . وكانت العادة في اوربا منذ القديم ان يزينوا الاشجار بوجوه صناعية من جلد ملون . وكان سكان جزائر بحرايجه يعبدون البحر ويزعمون انه مصدر كل شيء وان فيه كل ما في الارض . ففي الارض افراس وبشر والثمار كالخيار وما اشبه وكذلك في البحر . وانما قالوا هذا القول لما وجدوه من الشبه بين مخلوقات البر والبحر . وفي تقاليد كثير من الشعوب ان زبد البحر الطافي على وجهه هو مادة الحياة الاولى ومنها خلق كل ذي حياة . وكان الرومانيون والهنود والمصريون ايضاً وغيرهم من المتقدمين يعتقدون كما قال المسيو لنورماند « ان العالم شجرة عظمى الارض جذعها

ومعلوم ان الانسان الطبيعي الاول كان شديد الملاحظة لما حوله اذ لم يكن لديه شيء يشغله عنه كما لديه الآن في الاجتماع فلا بد ان يكون قد انتبه الى هذا الاتفاق . ولا بد انه يكون حين انتباهه اليه قد حكم بان الشجرة تخلق من تلقاء نفسها هذه الحشرات للدفاع عنها . فهي اذاً مباركة اذ لو لم تكن كذلك لما كانت لها هذه المزية العجيبة . وهكذا قدسها وعبدها

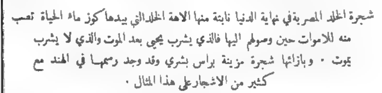
ثم انه يوجد امثلة اخرى على الاشجار التي كان يعتقد الاقدمون انها تخلق حيوانات . فان السائح نورنفور شاهد في سياحته في الشرق في القرن الثالث عشر طريقة كان يتخذها اليونان لزيادة نماء ثمار التين عندهم . وذلك انه كان يوجد لديهم نوعان من التين التين الجيد والتين الرديء البري . فكانوا يقطفون التين الرديء في شهري يونيو ويوليو ثم يربطون ثماره بخيوط ويعلقونها في التينة الجيدة فتعطي ثماراً كثيرة وربما تجاوز حاصل التينة ٢٨٠ ليبره على حين انهم اذا لم يضعوا التين الرديء عليها مربوطاً بالخيط فان التينة لا تأتي بربع هذه الكمية

فما سبب ذلك . سببه ان ثمار التين الرديء تحمل الى التينة الجيدة لقاحاً لتلقيح ثمارها ومن غير هذا اللقاح لا ينتج للتين ثمر . وقد كان هذا التلقيح يتم في العصور الماضية بواسطة الحشرات التي كانت تنتقل من الثمار الرديئة الى الجيدة فتلقحها . فالظاهر ان متوحشي ذلك الزمان قد راقبوا ذلك وشاهدوا ان الحشرات تخرج من جوف الثمرة فاستنتجوا منها انها تخلقها فاكرموا التينة وعبدوها

شجرة الخلد المصرية

ويوجد في تاريخ المصريين مثال مهم على اشتقاق الحيوان من النبات . فانهم قد وجدوا في كتاب الاموات الذي يعتبرونه دليل النفوس التائهة بعد الموت قولاً غريباً يؤيد ذلك . وهذا نصه « ان الميت يحمل عصاه في يده ويذهب في الافق مفتشاً عن ضالته . ولكنه لا يستطيع ان يصل الى ظرف الدنيا الحقيقية . فيجد نفسه تجاه جميزة مثمرة من اثمار تين الجميز وعليها امرأة ناتئة من جذعها وفي يدها اناء يتفجر منه ماء الحياة . فاذا رفض ان يأخذ منها عجز عن تتمة سيره لان هذه الشجرة شجرة الخلد » . وهذه المرأة هي الالهة « نوت » الهة الخلد التي تحمل في يدها كوز ماء الحياة فالذي يشرب منه يحيى والذي لا يشرب يموت (انظر الرسم التالي)





شجرة الخلد المصرية في نهاية الدنيا نابتة منها الاهة الخلد التي بيدها كوز ماء الحياة تصب منه للاموات حين وصولهم اليها فالذي يشرب يحيى بعد الموت والذي لا يشرب يموت · وبازائها شجرة مزينة براس بشري وقد وجد رسمها في الهند مع كثير من الاشجار على هذا المثال ·

وقد بحث المسيو ماسبرو في سبب عبادة المصريين القدماء لشجرة الجميز وتقديسهم اياها فقال انهم في بدء الاجتماع كانوا يستغربون انفراد شجرة من اشجار الجميز في سهل فسيح دون ان يكون لها رفيقة في الحياة فيكرمونها و يعتقدون البركة فيها · وكانت السهول الواقعة قرب الجيزة تدعى « مكان الجميز » وكانت مصر نفسها تدعى في ايام الفراعنة « ارض الجميز »

اشتقاق الانسان من النبات

هذا ولاشتقاق الانسان من النبات مثال آخر اول مما تقدم · وهو ان كثيرين من متوحشي اميركا وآسيا يعتبرون انفسهم انهم اخوان للاشجار والنباتات التي حولهم و يعتقدون ان لها ارواحاً تحسُّ وتشعر بها · وقد وجدت في الهند وغيرها رسوم كثيرة تمثل اشجاراً معلقة بها رؤُوس بشرية كما ترى في الرسم · وكانت العادة في اوربا منذ القديم ان يزينوا الاشجار بوجوه صناعية من جلد ملون · وكان سكان جزائر بحر ايجه يعبدون البحر و يزعمون انه مصدر كل شيء ان فيه كل ما في الارض · ففي الارض افراس و بشر واثمار كالخيار وما اشبه وكذلك في البحر · وانما قالوا هذا القول لما وجدوه من الشبه بين مخلوقات البر والبحر · وفي تقاليد كثير من الشعوب ان زبد البحر الطافي على وجهه هو مادة الحياة الاولى ومنها خلق كل ذي حياة · وكان الرومانيون والهنود والمصريون ايضاً وغيرهم من المتقدمين يعتقدون كما قال المسيو لنورماند « ان العالم شجرة عظمى الارض جذعها

والاسياه اغصانها وثمرتها النار . ولما قام الرجل الاول الذي علم الناس كيف تستخرج النار من الشجرة حسبته الالهة كافرًا لانه « سرق من الشجرة المقدسة ثمرتها الممنوعة » وهو قول يقرب مما جاء في التوراة »



الشجرة الخالقة التي كان يقول الاقدمون في العصور الاولى انها كائنة في البحر ومنها يخرج كل شيء حي حتى الانسان نفسه فانك ترى وجهه آخذًا بالبروز من راس الشجرة فضلاً عن الولد الصغير الذي خُلق منها وهو واقف على احدى اوراقها السفلى .

ولكن اين الشجرة التي اعتقدت شعوب كثيرة بان الانسان مشتق منها . الجواب الذي تجيب به كل تلك الشعوب انها كائنة في قعر البحر . فمن البحر يخرج كل شيء . البحر هو مصدر الحياة وصانع المخلوقات . وقد كان هذا الاعتقاد شائعًا كل الشيوع في الهند والصين واليونان . ووجدت في هيا كل بوذة والبراهمة في الهند والصين رسوم كثيرة كالرسم السابق تمثل الشجرة الخالقة العظمى نابتة من قعر البحر ورافعة فروعها فوق الامواج ومنها مشتق الانسان كما ترى في الرسم . ومما ينطبق على هذا الاعتقاد ما رواه فلوطرخوس نقلاً عن عامة اليونان فقد روى انهم كانوا يعتقدون بان سنديانة زوس نبتت من قعر البحر بعد الطوفان . وقوله « بعد الطوفان » يدل على الزمن الذي تلاشى فيه البشر وقام بشر غيرهم . فكأنه قال ان الانسان الجديد نبت من تلك السنديانة الجديدة

هذا اهم ما عثرنا عليه في موضوع عبادة الانسان النبات · ومنه يستدل القارئ ان البشر الاول لم يعبدوا اشباههم من المخلوقات الا لما كانوا يرونه فيها من المزايا و يشاهدونه فيها من الرموز او المقدرة او المنعة وفوق كل ذي علم عليم

الرتيلاء تنسج الحرير

طريقة غزلها الحرير · حريرها اجود من حرير الشرانق · صناعة جديدة لا خوف على القديمة منها · مكتشف هذا الاكتشاف · ثمرة تمدن الشعوب

اصبحت تجارة الحرير من اهم تجارات العالم ولذلك كان اصحابها يرتاحون الى كل ما يزيدها انتشارًا

ولقد اكتشفوا في مدغسكر منذ عهد قريب حيوانًا صغيرًا يغزل حريرًا اجود من حرير دود الحرير فسر اصحاب هذه الصناعة بهذا الاكتشاف سرورًا يعادل استياء اصحاب بساتين التوت ومربي الدود منه · وحسب الناس ان دولة دودة الحرير قد انقضت وقامت مكانها دولة جديدة

❊ غزل الرتيلاء الحرير ❊ وهذا الحيوان الذي تقدم ذكره هو الرتيلاء (العنكبوت) التي توجد في جزيرة مدغسكر احدى المستعمرات الفرنسوية · فان هذه الرتيلاء تفرز خيوطًا كالحرير · وهي توجد عادةً في البرية في الاحراش التي يكثر فيها وجود الغذاء ويسميها اهالي مدغسكر « هالابه » ولعلها « حلابه » لانها تفرز مادة سيالة كما تفرز ذوات الثدي الحليب · وهم يطاردونها في الحرش فيصطادونها و يضعونها في سلال ثم يعودون بها الى المدينة لبيعها فياخذها المشترون و يستخرجون منها الحرير بالطريقة الآتية

يصنعون لها ثقوبًا في خشبة ويُدخلون رؤوسها من هذه الثقوب حتى لا تستطيع التفلت منها فتصبح اجسامها خارج الخشبة فيؤتى بالاولاد الذين يُعهد اليهم استخراج الحرير فيأخذون بلمس بطن الرتيلاء باصابعهم فتعلق بها المادة السائلة فيبعدون اصابعهم عنها رويدًا رويدًا فيكون فيها خيط دقيق جدًّا لامع وهو الحرير المطلوب · والعادة ان يكون عدد الاولاد ١٢ او ٢٤ ولدًا على حسب المطلوب فاذا كانوا يرومون جعل الخيط المستخرج بثخانة ٢٤ خيطًا كان الاولاد ٢٤ والا كانوا ١٢ ومتى استخرج الولد الخيط علقه بآلة

قريبة وهي تضم الخيوط المستخرجة كلها وتبرمها فتجعلها خيطاً واحداً متيناً . وهذه الطريقة هي نفس طريقة « حل » الحرير المتبعة في الفيالج

ولما يطول هذا العمل وتفرغ الرتيلاء اي تنضب المادة السيالة من جسمها تؤخذ وتُلقى في البستان لتتجدد قواها وتستعيد مادتها وتوضع مكانها رتيلاء جديدة . وهكذا كلما فرغت الرتيلاء وضعت مكانها رتيلاء ملآنة . والفارغة تملأ بعد معيشتها في البستان بضعة ايام فتعاد الى الخشبة لاستخراج المادة التي تكون قد خزنتها من جديد . وهلم جرّاً

﴿ صفة الحرير المستخرج من الرتيلاء ﴾ اما الحرير المستخرج من هذه الرتيلاء فانه يفوق حرير الفيالج من كل الوجوه . فانه اشد ليناً ونعومة وعلى الخصوص اشد لمعاناً لان لمعانه يشبه لمعان الذهب بل يفوقه . وهذا الذي ادهش ناظريه . وهو مع ذلك دقيق الخيوط يسهل صنع الانسجة الدقيقة منه . على انه مع دقته قوي متين لا يُبلي نسيجه ولا تفنيه القرون . ولكنهم يخشون ان يكون ذلك الرونق الجميل الذي يزينه يذهب عند غسله بالماء لانهم لم يجربوا غسله

﴿ استحالة جعله صناعة واسعة ﴾ والآن فلا بد ان يرى القارئ ان خوف زراع التوت ومربي دود الحرير في مكانه لان هذه الرتيلاء قد تغني عنه . فنقول انه لا خوف على دود الحرير من هذه الرتيلاء ولا يمكن ان يُصبح حريرها صناعة واسعة منتشرة قادرة على مزاحمة حرير الدود وذلك للسبب التالي

ان الرتيلاء التي تفرز خيوط الحرير هي الانثى اما الذكر فانه لا يفرز شيئاً . ومن طبيعة هذه الانثى انها اقوى من الذكر فاذا دنا منها على غير رضاها قتلته واكلته في الحال ولذلك لا يدنو منها الا في ايام معلومة تكون فيها راضية عنه . وبناء عليه فان تربيتها وتوليدها على طريقة تربية دود الحرير امر غير ممكن . ولما يأتي نساء مدغسكر بسلال الرتيلاء من الحرش يُسرعن الى اطلاقها منها حين وصولهن الى البيت لانهن اذا ابقينها في السلة وقتاً طويلاً فربما اكلت هذه الحيوانات الشرسة بعضها بعضاً فلم يبقَ في السلة الا الاخيرة منهن . على ان تربيتها اذا كانت متعذرة لهذا السبب فذلك لا يمنع ان يُستخرج منها كميات قليلة من الحرير تُنسج ويباع نسيجها لنساء الاغنياء بأثمان باهظة جداً فلا خوف اذاً على صناعة الحرير منها

﴿ مكتشف هذا الاكتشاف ﴾ اما مكتشف هذا الاكتشاف فهو الاب كمبوي من رجال البعثة الكاثوليكية في مدغسكر . فانه كان يرى في حديقته خيوط

الرتيلاء التي تنسجها على الاشجار كما ينسج العنكبوت خيوطه فجمع منها شيئاً كثيراً ثم نسجه فكان نسيجاً قوياً لا يوجد نسيج بقوته ومتانته ولكنه خشن . فخطر له ان يستخرج الخيوط من الرتيلاء رأساً فامسك بعضها وجرب استخراج تلك المادة منها بلمس بطنها فنجحت الطريقة وتم اكتشافه وكان ذلك منذ عامين

وقد جيء ببعض هذه الرتيلاء في هذا العام الى المعرض وهي الآن معروضة فيه تغزل امام الحاضرين الذين يشاهدونها وتتغذى بالذباب الباريزي الذي قد استطابته على ما يظهر ولذلك صارت نشيطة في غزلها ... وقد ادخل الجنرال غاليبني حاكم مدغسكر هذه الرتيلاء الى مدرسة الصنائع الافرنسوية التي انشأها في تاناناريف عاصمتها وذلك لتربيتها فيها واستخراج حريرها . وهم يزالون ذلك ويجتهدون باتقان هذه الصناعة الجديدة

﴿ شجرة تمدن الشعوب ﴾ وعلى ذكر دود الحرير والتوت لا يسعنا الا الاسف من ان الحكومة المصرية لم تنشط بعد تربية دود الحرير في بلادها التنشيط الواجب . وحسبنا في اظهار اهمية هذه التربية ان نورد كلمة عنها وردت في كتاب « تربية امهات العائلة » للكاتب « ايمه مارتين » . قال ما خلاصته . « منذ نصف قرن كان سكان احدى الجهات الجنوبية في فرنسا قوماً اشبه بالمتوحشين . فقد كانت طباعهم خشنة واخلاقهم شرسة يصرفون ايامهم في الجبال في مقاتلة بعضهم بعضاً ومطاردة الحيوانات الكاسرة اصيدها ولياليهم في قطع الطرق وهم في احط درجات الهيئة الاجتماعية من حيث قذارة الملبس والمسكن ومعاملة النساء . واخلاقهم هذه انما كانت منقولة عن ارضهم . فان بلادهم كانت جبالاً وعرة فيها بعض سهول قاحلة جدباء ليس لها شيء يستانس به الناظر اليها او المسافر فيها . وكان سكانها يقصدون بعض الاحيان كنيسة قائمة في جهة اخرى على مسافة قريبة منهم وهم يحملون بنادقهم ويلبسون « جزماتهم » الضخمة كانهم سائرون لقتال . وبالجملة فقد كانت تلك الجهة لا يذكر اسمها حتى يستعيذ كل الناس من سكانها

« ثم كرت الايام والاعوام فما شعر سكان البلاد المجاورة الا وقد تبدلت حالة اولئك الاهالي الخشنين . فتلطفت عاداتهم وحسنت اخلاقهم وبشت وجوههم ونظفت ملابسهم ومنازلهم وصاروا يحترمون نساءهم ومتى ذهبوا الى الكنيسة كانوا يذهبون اليها باحترام وخشوع . اما ارضهم فقد تغيرت ايضاً كما تغيروا فاصبحت خضراء يروق الابصار منظرها . فما سبب كل هذا الانقلاب العظيم

سببه شجرة واحدة . فان احد الاغنياء ابتاع ارضاً في جوار ارضهم وغرسها توتاً ثم

احد بتربية دود الحرير فيها فربح ارباحاً طائلة فغار اولئك السكان منه فعزقوا جبالهم وسهولهم ومهدوها ثم غرسوا شجرة التوت فيها وربوا دود الحرير فما لبثت السعة ان انتشرت بينهم فنقلتهم من حالة الى حالة . ولذلك لقب الكتاب في ذلك الزمان شجرة التوت« بمدنة الشعوب » فما احرى هذه الشجرة الممدنة بالدخول الى كل ارض شعبها محتاج مسكين

القطب الشمالي

الدوق ابروزي وعودته من القطب فائزاً . ماذا يوجد في القطب الشمالي . نتائج رحلته التي ظهرت الى الآن . تهنئة الجمعية الخديوية الجوغرافية رحلة جديدة

لما شاع في العام الماضي خبر عزم الدوق ابروزي ابن اخي المرحوم الملك همبرت وابن عم الملك عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا على السفر لاكتشاف القطب الشمالي قلنا يومئذ في العدد السابع من السنة الاولى ما نصه

« ان نفوس البشر تختلف ملذاتها باختلاف اميالها ومشاربها فزيد لذته ان يجمع الذهب اكواماً في خزانته ويقفل عليه فلا ينتفع به احد . وعمرو لذته ان يتصدر في قومه فيكون منهم مكان المركز من الدائرة . وبكر ان يصرف نهاره وليله في الحانات بين الاقداح والقداح . وخالد ان يثلب اعراض اصحابه ومعارفه لدى جلاسه دلالة على طلاقة لسانه . وآخر لذته ان يحشو جوفه بالمآكل السمينة فلا تسمعه يتحدث الا باللحوم والخمور . وغيره سبت لبه الحسان والجمعيات الدنيوية فلا يرى في غيرها حياة وهناء . الى آخر ما هنالك .

« ولكن من حسن حظ الانسانية لكمال عمار هذه الارض ان يوجد فيها رجال تعلو نفوسهم عن هذه المطالب التافهة الحقيرة وتتعالى في جو الحياة مسوقة الى الاغراض النبيلة والمطالب الشريفة . افراد من البشر يزهدون في تلك الطيبات المادية ويرغبون في طيبات « نفسية » فيقدمون بها العالم ويرقون الانسانية . انظر الى نيوتن في معمله تائه الافكار في النواميس الطبيعية التي بين يديه ذاهلاً عن كل شيء في العالم حتى عن غذائه الذي فيه قوام حياته . انظر باليسي وراء اتونه يطعم النار اثاث منزله تحت المطر والبرد عازماً على ان يموت ويفني كل ما يملكه او يتم اختراعه . انظر اديسن في معمله يصارع النواميس الطبيعية وباستور



﴿ الدوق ابروزي ﴾
ابن عم ملك ايطاليا الحاضر الذي عاد حديثاً
من رحلته الى القطب الشمالي

في مخبره يربي الجراثيم ويكتشف مبدأ يدفع الانسانية به الى امام دفعاً شديداً . انظر جول سيمون وسبنسر في مكتبيهما ينظران في النواميس الفلسفية والادبية ويحلان عقدها. جوٌ رفيع تتناجى فيه تلك النفوس الكبيرة وتحلق ارواحهم فيه فوق حيوانات نهمة شرهة تدعى بشراً انوفها لاصقة بتراب الارض لتاكل مما فيه من الخشاش والدود وما اشبهها مما تسمى الطيبات المادية

« وقد اراد الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت بسفره الى القطب الشمالي ان ينفض عن نفسه غبار هذه الارض ويحلق في ذلك الجو الرفيع اما تفصيل سفره فاليك بيانه

« يسافر في اواسط يونيو الجاري من لورويك قرب كريستيانا على سفينة متينة ابتاعها وسماها « النجم القطبي » ويكون في صحبته من مهرة البحارة والادلة عشرون نفساً فيهم طبيبان وقائدان للسفينة ويكون حمل هذه السفينة ٣٥٠ طناً من الفحم الحجري و٢٥٠ طناً من المؤن والامتعة موضوعة في ١٥٠٠ صندوق ثقل كل صندوق منها ٢٥ كيلو غراماً وذلك لتسهيل نقلها على ظهور الرجال حين الاقتضاء. وعند وصول السفينة الى اكانجلسك ينضم

الى حاشية الامير ورفاقه ١٢٠ رفيقاً لا يستطيع ان يصل الى القطب من غير مساعدتهم وهم كلاب الاسكيموالجر المزالق التي تسير بهم على الثلج ومعها سواقها » انتهى

نقول . وقد عاد هذا الامير المقدام من هذه السياحة في الشهر الماضي مكللاً باكليل الفوز وان كان فوزه غير تام فجرى له في اسوج وايطاليا استقبال عظيم وقد خف ملك ايطاليا عمانوئيل الثالث نفسه الى نابولي لاستقباله فيها وهتف له الشعب هتافاً عظيماً وتناقلت جميع جرائد العالم ومجلاتها تفاصيل رحلته مثنية عليه بما يستحقه اقدامه واجتهاده من الثناء الجزيل . وهذا ملخص هذه الرحلة

سارت بعثة الدوق بامن وسلامة حتى وصلت الى كاب فلورا التي كانت محطة السفر الحقيقية فعجب رجال البعثة من وجودهم خضرة وطيوراً في تلك الدرجة فبعثوا الى اهلهم بكتب يظهرون فيها استغرابهم ويخبرونهم ان فواتح السفر تدل على انه سيكون سفراً حميد النتيجة . ثم سافروا من كاب فلورا الى ارض فرنسوى جوزيف فاجتازوا في اغسطس المكان الذي شتى فيه نتسن وجوهنسن بين سنة ٩٥ و٩٦ ثم ظلوا متجهين شمالاً شمالاً قاصدين نقطة القطب الشمالي

ولنذكر الآن كلمة عن القطب الشمالي والغرض من اكتشافه .

خذ خريطة الكرة الارضية فتجد للكرة جانبين متقابلين الواحد شمالي وهو في اعلى الكرة على الورقة والثاني جنوبي وهو في اسفلها . فالاول يسمى في اصطلاح الجوغرافيين القطب الشمالي والثاني القطب الجنوبي . واذا تاملت في الخريطة وجدت ان علماء الجوغرافيا لا يرسمون في دائرتي هذين القطبين شيئاً لانهم يجهلون ما فيهما

اما القطب الجنوبي فانهم يجهلونه تماماً واما القطب الشمالي فقد سافر كثيرون لارتياده واشهرهم الرحالة نتسن الذي فاق جميع الرواد الذين قبله بتقدمه من هذا القطب الى درجة لم يبلغها احد قبله

والآراء منقسمة في ما يوجد وراء ذلك . فبعضهم يذهب انه يوجد عند القطب عالم جديد مأهول ببشر قد الفوا البرد الهائل الذي عنده . وغيرهم يزعم ان هنالك ارضاً قفراء غير ماهولة . وآخرون يقولون بل هنالك بحر واسع لا غير . ولما كان من دلائل ضعف الانسان وعجزه ان يبقى قفراً من الارض التي يسكنها مجهولاً منه فلذلك كان العلماء حتى الامراء يهتمون باكتشاف ذلك المجهول هذا فضلاً عما يكون للعلم من الفوائد في درس احوال تلك الاقطار المجهولة والوقوف على طبيعة حيواناتها وعناصرها

ولكن الدوق ابروزي ما اجتاز ارض فرنسوى جوزيف واخذ بالاقتراب من القطب في طريق تقابل الطريق التي اتبعها ننسن حتى وجد نفسه في ٩ اغسطس امام جبال وسهول فسيحة من الثلج قائمة في وسط البحر على شواطىء جزيرة البرنس رودولف عند الدرجة ٨٢ . فاضطر الى الوقوف والعدول عن التقدم ولذلك انشأ على هذا الشاطىء خيمة كبيرة ليشتي فيها مع رجاله . فما صرف فيها ليلاً واحداً حتى رأى في الصباح ان الثلج قد غطاها وكان البرد شديداً الى درجه لا تحتمل . وفي ٨ سبتمبر وهم صابرون على هذه الحالة ينتظرون ان ينقضي الشتاء فتذوب تلك الثلوج وتنفتح طريقهم واذا بقطع الثلج كالجبال اخذت تتكاثر حول السفينة في البحر حتى زحمتها من كل جانب فانكسر احد جوانبها من كثرة الضغط ودخلت المياه اليها فبادر الرجال الى اصلاحها وانقاذ المؤن منها . وهذه هي الساعة الوحيدة التي دخل فيها الجزع الى قلوبهم لانهم خافوا اذا اجهزت الثلوج على السفينة ان يموتوا في تلك الجهات جوعاً وبرداً . وقد بقيت السفينة محصورة بين الثلج ١١ شهراً

ولما راى البرنس انه لا سبيل بعد ذلك للسير الى القطب الا براً على الثلوج عزم على ارسال البعثات نحوه لتنشىء في الطريق محطات على طريقة ننسن ولتصل الى ابعد نقطة تستطيع الوصول اليها . فبعث اربع بعثات . اما الاولى فعادت سريعاً بعد ان اتمت عملها وسارت الثانية ولكنها لم يبن لها بعد ذلك اثر . اما الثالثة فغابت ٢٤ يوماً ثم عادت . واما الرابعة فانها تجاوزت الجميع اذ غابت ١٠٥ ايام وقد انشأت في طريقها محطات وضعت فيها مؤناً للبعثة التي تاهت لعلها تهتدي اليها

واما نتائج الرحلة التي ظهرت الى الآن فاليك بيانها

(١) ان الكابتن كاني الذي كان يقود البعثة الرابعة التي غابت ١٠٥ ايام على ثلوج القطب قد فاق ننسن لانه وصل الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ اي انه تقدم ننسن بنحو ٣٨ كيلو متراً فلم يبق بينه وبين نقطة القطب سوى ٣٧ كيلومتراً

(٢) ان الكابتن المذكور لم يرَ في كل تلك الجهات التي رادها في مدة الـ ١٠٥ ايام سوى جبال من الثلج وسهول ثلجية يغطيها ضباب كثيف لا تنفذه اشعة الشمس وذلك يدل على عدم وجود ارض هناك بل ولا بحر لانه لو كان بحر القطب خالياً من الثلج لرأى ذلك لانه تقدم الى مسافة ٣٧ كيلومتراً منه كما قلنا

(٣) تحت دائرة الثلج التي تحيط بالقطب بحر عظيم ذو مد وجزر وقد تحدث فيه

زوايع ايضاً وقد استدلوا على ذلك بما شاهدوه من الثقوب الهائلة التي تحدث في الثلوج فوقه وربما كانت حرارة الماء تحت الثلج ٥ درجات فوق الصفر على حين انها تكون في الهواء فوق الثلج ٢٠ درجة تحت الصفر . واما عمق هذا البحر فقد يبلغ في اعمق الجهات ٤ الاف متر

(٤) ان اشد برد شعر به الدوق في تلك الاصقاع كانت درجته ٥٢ درجة تحت الصفر ولكن مقياس السائح دي لونغ هبط يوماً هناك الى الدرجة ٥٨ تحت الصفر فكان برده اشد من برد لونغ . وقد هرأ البرد اصبعين من اصابع الدوق ولذلك استشار الاطباء بعد عودته في بترهما فلم يشيروا به

(٥) ان علماء الجوغرافيا يرسمون في الخرائط الى هذه الايام بين ارخبيل فرنسوى جوزيف وكاب فلوفا ارضين يسمونها « باترمان » و « كاب اوسبورن » ولكن الدوق ابروزي استثبت ان هاتين الارضين غير موجودتين ولذلك سيجعل الخريطة التي رسمها ببيان سياحته خالية منها

وقد قاسى الدوق ورجاله في هذه الحملة اهوالاً لا سيما حينما نفد زادهم واخذوا يقتاتون بلحم الدببة التي كانوا يصطادونها او بلحم الكلاب التي معهم ويقال انهم اقاموا مائة يوم لا يأكلون الا من لحم الكلاب . وقد بلغت نفقات الحملة نحو مليون فرنك . وسئل الكابتن كاني ربان السفينة بعد عودة البعثة الى اوربا هل حقيق ما شاع من ان الدوق سيعود الى القطب فاجاب اني لا انكر انه لولا فراغ الزاد مني لقدرت في بعثتي على الوصول الى القطب ولكن مع ذلك فان رحلة كهذه الرحلة لا يرحلها الانسان الا مرة في العمر

على ان كثيرين ممن قابلوا الدوق رأوا منه شفقة شديدة على البعثة الثانية التي تاهت في ثلوج القطب فاستنتجوا انه لا بد ان يعود لاغاثة رجالها اذا كانوا لا يزالون احياء . وغيرهم يرى ان ذلك الامير المقدام الذي جعل همه تارة السفر الى الاسكا لتسلق جبالها وهبوط اوديتها وطوراً الصعود الى جبال الالب الشاهقة وآونة الرحلة الى مجاهيل القطب لا يهنأ له عيش اذا لم يصرف عمره في الاعمال الجليلة واقتحام الاخطار في سبيلها ولذلك يعتقدون انه سيرحل الى القطب مرة ثانية ليدوس كل المصاعب التي في طريقه ويبلغ غرضه . فما اجدر هذا الشاب بان يكون مثالاً حسناً للشبان الذين يتركون قواهم تفنى في الكسل والبطالة

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الجمعية الجوغرافية الخديوية المصرية في العاصمة قد بعثت في هذا الشهر الى الدوق الشاب تلغرافاً تهنئه فيه بكونه تقدم من القطب اكثر من



منظر من مناظر القطب الشمالي· الثلوج كالجبال الراسية في البحر وعليها الدببة ترقص وتتداعب وسفينة السياح ترتاد تلك الجهات وامامها الشمس مائلة الى الغروب

جميع الرواد والسياح الذين رحلوا اليه قبله فاجابها الدوق بتلغراف يشكر لها هذه التهنئة · ويقال ان شركة اميركية قد عزمت على تسيير بعثة جديدة في العام القادم لاكتشاف القطب الشمالي وهي ستنفق عليها خمسة ملايين فرنك فعسى ان نرى في هذه البعثة الاميركية بعض السوريين المقيمين في اميركا ليقال فيهم ما قيل في اجدادهم « في كل وادٍ اثر من الفينيقيين »

آداب الاتراك ولغتهم

لحضرة الكاتب البارع جميل افندي معلوف احد تلامذة المكاتب السلطانية

قلما يعلم قراء العربية شيئاً عن آداب جيرانهم الاتراك وعوائدهم واخلاقهم وسائر احوالهم مع انهم يعرفون اشياء كثيرة عن لغات الافرنج وادابهم وما ذلك الا لان القليلين من ابناء العرب قد درسوا اللغة التركية وتلقوا دروسهم في مدارس الدولة العلية التي اصبحت لا تخلو منها ولاية من ولاياتها

ومن اعتقادي ان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما زالت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة · ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد واداب بعضهم البعض فان ذلك يزيل من بينهم سوء التفاهم وينتج الالفة والمحبة

ولما كنت قد تلقيت بعض دروسي في المكاتب السلطانية وتعمقت في دروس اللغة التركية ووقفت على ادابها وقرأت مؤلفات مشاهير كتابها وشعرائها المتقدمين والمتاخرين احببت اجابة لبعض اصدقائي الادباء ان اتكلم عن اداب الاتراك مع ابداء رايي الشخصي بها ومقابلتها باداب العرب والافرنج والفرس · وقد رايت استيفاء لهذا الموضوع ان اقسم البحث فيه الى ٣ مقالات · ففي المقالة الاولى ابحث عن حقيقة اللغة التركية وادابها وفي المقالة الثانية عن اداب الاتراك في الازمنة القديمة وبعض حكايات عن مشاهير الكتاب والشعراء وفي المقالة الثالثة اكتب عن ادباء اليوم

المقالة الاولى · اللغة التركية قديماً وحديثاً

التركية لغة من لغات الشرق القديمة وانما سميت بهذا الاسم نسبة الى الاتراك الذين

يتصل نسبهم بترك ابن يافث وهي الآن اللغة الرسمية للدولة العثمانية ولكنها تختلف اختلافاً كلياً في الوقت الحاضر عما كانت عليه في الازمنة الغابرة حتى انك اذا اتيت بكتاب تركي قديم العهد واطلعتَ عليه شاباً من شبان الاتراك في هذه الايام لما استطاع ان يفهم منه الا القليل من الكلام ذلك نظرًا للتغير العظيم الذي طرأ على هذه اللغة في ادوارها الاخيرة اذ انها تنقحت وتهذبت ورُبطت بقواعد واصول جعلتها اشبه باللغات الغربية

وشبان الاتراك الذين نشأوا بهذا العصر يسعون الان لقطع كل علاقة بين اللغة التركية القديمة واللغة العصرية الجديدة حتى انهم لا يسمونها اللغة التركية بل (اللغة العثمانية) على ان كثيرين من الاتراك وعلى الاخص القسم الذي يقطن ولايات الاناضول لا تزال لغتهم قريبة من لغة اجدادهم واهالي الاستانة يستهجنون كلامهم كما يستهجن اهالي باريس كلام الفرنسويين الذين في بلاد كندا

ولا يخفى ان اللغة التركية مزيج من ثلاث لغات : لغة الاتراك القدماء ؛ واللغة العربية واللغة الفارسية ؛ والكلام العربي فيها يزيد عن الفارسي وقد يزيد عن الكلام التركي وكثيرًا ما تكون العبارة مؤلفة من كلمات عربية يربطها في النهاية الفعل كقولهم « مشرق بطحا دن شمس اسلامك طلوعي قبائل متفرقة عرب ايچون بر علامة اتحاد ايدي » ومعنى هذه العبارة « ان طلوع شمس الاسلام من مشرق البطحاء كان علامة الاتحاد لقبائل العرب المتفرقة »

فيرى القارىء في هذه الجملة التركية عشر كلمات عربية بينما لا يجد الا ثلاث كلمات تركية فقط وهذا يحسب عندهم من الفصاحة. وهو من مستحدثاتهم في الايام الاخيرة لان الاتراك الاقدمين لم يكونوا يستعملون في كتاباتهم الفاظاً عربية الا نادرًا بل كانت كتاباتهم تركية محضة مع بعض الفاظ فارسية مهجورة

اما في هذه الايام فانهم لا يستعملون من الالفاظ الفارسية الا ما كان لطيفاً على السمع وعلى الاخص في تحريرات الحكومة الرسمية . كذلك الكلمات العربية فانهم يختارون منها ما هو مألوف ويهجرون الكلمات الغريبة الخشنة. وشعراء الاتراك يجدون سهولة كافية في نظم الشعر لان مجال الكلمات واسع عندهم فان لم يوافق الوزن كلمة تركية وضعوا مكانها كلمة عربية او فارسية توافق المعنى والوزن معاً

وتختلف التركية عن سائر لغات العالم بمسألة تركيب الجمل فانهم يضعون الفعل في آخر العبارة دائماً فاذا ارادوا ان يقولوا مثلاً

« حضر الى الاستانة من بيروت احمد افندي احد طلبة المكتب الاعدادي » فيجعلون الجملة مقلوبة هكذا

« احد طلبة المكتب الاعدادي احمد افندي من بيروت الى الاستانة حضر » ويقال ان اللغة الالمانية قريبة من هذا النوع

والعبارة في لغتهم طويلة حتى انك تقرأ اكثر من عشرين سطرًا قبل ان تصل الى الفعل الذي لا يأتي الا في نهاية العبارة كما تقدم

ولكن ادباء الاتراك العصريين يسعون اليوم لاجتناب هذا التطويل الممل لا سيما في الروايات والمقالات الادبية فلا يجعلون العبارة اطول من سطر او سطرين . وتمتاز لغتهم عن اللغة العربية باستعمال العلامات المألوفة في اللغات الغربية كادوات الاستفهام والتعجب والعلامة المسماة (فركل) وغيرها مما لا وجود له في اللغة العربية وقد حذا حذوهم الفرس فادخلوا هذه العلامات في لغتهم ايضاً

وقد تألفت في الاستانة لجنة خاصة لترقية اداب اللغة التركية وتعميم المعارف في السلطنة ودعيت (انجمن معارف) وقد كان المرحوم جودت باشا المؤلف الشهير من اعظم العاملين بها. ولهذا الباشا ابنة تدعى فاطمة عليه خانم تعد الآن من اشهر كاتبات الاتراك وسيأتي الكلام عنها وعن مؤلفاتها في المقالة الاخيرة

وخلاصة ما يقال بهذا الموضوع ان اللغة التركية قد تهذبت وترقت في العشرين سنة الاخيرة ترقياً سريعاً حتى صارت من الطف اللغات على السمع بعد ان كان يضرب المثل بخشونتها . ومن احب الامور ان تسمع ولدًا تركيًا يكلم والده او تراه يوبخ خادمه او يغني الاغاني الاستانبولية فان في نبرات صوته حلاوة شرقية امتازت بها اللغة التركية

المقالة الثانية . ادباء الاتراك في الازمنة القديمة

الترك امة نشأت بالسيف وعظمت بالسيف ولا تزال عائشة بالقوة العسكرية . وهذه الامة لم ترَ في بادىء نشأتها حاجة شديدة الى القلم لان لسان حالها كان يقول « و يفعل السيف ما لا يفعل القلم » لذلك لا نقدر ان نقول انه قد نشأ فيها من الكتاب والعلماء ما نشأ في العرب والفرس الذين استفاد العالم فائدة كبيرة من علومهم وفلسفتهم

على ان الترك مع ذلك لم يقصروا في اجتناء فوائد العلم ولا اهملوا صناعة الشعر وفن الانشاء فنبغ فيهم شعراء وكتاب كان يجب ان يكونوا معروفين في عالم الادب اكثر مما عُرفوا حتى الآن . وعندي ان السبب الحقيقي في انطماس آثارهم عدم اهتمام كتاب الاتراك

الحديثين بتاريخ احوالهم وتدوين اخبارهم ونشرها باللغات الاجنبية لتطلع عليها باقي الامم الشرقية والغربيـة فان في بعض مكاتب الاستانة القديمة كتباً نفيسة من تاليف كـتاب الترك القدماء ولكنك لا تجد منها الا نسخاً بالية مطبوعة طبعاً حجرياً تعسر قراءته وفهمه مع ان اعادة طبعها ونشرها بين الايدي امر واجب لحفظ اثار السلف واحياء النهضة الادبية في صدور الخلف

اما اداب الاتراك فانها تقسم الى ثلاثة ادوار فالدور الاول ينتهي في عهد السلطان سليمان القانوني والدور الثاني في اواسط القرن الثالث عشر للهجرة اي في اواخر عهد السلطان محمود الثاني والدور الثالث يشمل اواخر العصر الاخير وايامنا الحاضرة ولكل دور من هذه الادوار الثلثة نوابغ ينسبون اليه والدور المتوسط هو اغنى تلك الادوار اذ نبغ فيه اكثر كـتاب الاتراك وسياتي الكلام عنهم

اما الدور الاول فقد اشتهر من نوابغــه الكاتب الشهير ملا خسرو وهو رجل مسيحي الاصل اعتنق الديانة الاسلامية واشتهر بعلمه وتقواه فقربه منه السلطان محمد الفاتح وجعله قاضياً على القسطنطينية بعد فتحها. وكان وزراء المملكة ورجالها يبالغون في اكرامه فاذا خرج الى الجامع اصطفت الناس من عن جانبي الطريق التماساً للبركة من لمس اذياله وكان يلقب بابي حنيفة وله في علم الفقه مؤلفات نفيسة منها الغرر والدرر والمرآة وغيرها

وقد اشتهر بالزهد والتواضع فكان مع سعة ثروتة لا يلبس الا لباساً رثاً وكان يكـنس منزله بيده بالرغم عما كان لديه من الجواري والخدم

وكان من معاصريه عالم شهير يدعى احمد بن اسماعيل الكوراني . هذا الرجل نشأ في مصر وكانت اذ ذاك لم تدخل في حكم الدولة العثمانية فحدث ان لكاين الرومي الذي كان مقرباً من السلطان مراد الثاني ذهب لاداء فريضة الحج وفي عودته عرج على مصر وهنالك عرف الكوراني المشار اليه فاعجب بذكائه واصطحبه معه الى مقر السلطنة ولما ذهب لمقابلة السلطان ساله السلطان قائلاً

— ما هي الهدية التي جئتنا بها من سفرك الى الحج فاجاب لكاين الرومي — جئتكم يامولاي بعالم كامل (وهو يعني الكوراني) فقال السلطان

— انها والله لافضل هدية فاخرة جئتني به لاراه

ولما مثل الكوراني في حضرة السلطان اعجب السلطان به و بغزارة علمه وقربه منه ثم جعله استاذاً لابنه محمد فاتح القسطنطينية واليه ينسب الفضل في حسن تربية هذا السلطان

على انه لما تولى السلطان محمد زمام الملك أكثر الكوراني من معارضته في اعماله فرام التخلص منه وابعده الى بروصه فعاد منها الى مصر واكرمه سلطانها قايتباي ولكن السلطان محمداً عاد فاستدعاه اليه وعينه قاضيعسكر وكان يحب مجالسته فيستدعيه اليه ويستدعي نخبة من المشايخ والعلماء ويفتح لهم باب المجادلات الشرعية والمباحث العلمية ليرى الفائز منهم

ولما توفي مشى في جنازته السلطان بايزيد نفسه وكان عليه دين يبلغ ١٨٠٠٠٠ غرش فدفعها لاصحابها من بيت المال

وكان هذا ايضاً تقياً فاضلاً فكان لا ينام كل ليلة قبل ان يتم قراءة القرآن من اوله الى آخره الا انه كان على طرفي نقيض مع ملا خسرو الآنف الذكر . وقد حدث ان الشيخ ابن وفا ابى زيارته مفضلاً الالتصاق برقيبه ملا خسرو فلما ابلغه ذلك الناس قال لهم « لا عجب فان الطيور لا تقع الا على اشكالها » وله مفاوضات مشهورة مع السلطان الفاتح تعرف « بكلام الملوك ملوك الكلام » ونشأ في ذلك العهد شعراء كثيرون من جملتهم لطفي الذي قتل بسبب فتوى اصدرها

فارخ وفاته بعض الشعراء بقوله (قد مت شهيداً) ومجموع هذه الكلمات الابجدية ٨٩٤ وهي سنة وفاته هجرية

واشتهر ايضاً في ذلك العهد بن كمال وابو السعود . وللاول قصة لطيفة تظهر سبب رغبته في العلم ذلك انه وجد في ذات يوم في مجلس ابراهيم باشا احد وزراء السلطان بايزيد وكان هناك كثيرون من الكبراء وعظماء الدولة فدخل عليهم درويش رث اللباس فقير الحال وتصدرهم جميعاً فدهش بن كمال من هذا الامر وحسب عمل ذلك الدرويش وقاحة وتطاولاً وسال عن السبب فقيل له ان الرجل استاذ عالم والرتبة العلمية هي اعلى الرتب

فمنذ ذلك العهد اقبل بن كمال على اكتساب العلم حتى نبغ فيه وبلغ درجة الافتاء وكان يلقبه الاشراف (بمفتي الثقلين) وله تآليف كثيرة في التفسير والفقه والفلسفة والتاريخ والشقائق النعمانية من اشهر آثاره الشائعة بين ايدي العموم

اما ابو السعود فانه اشهر عالم نبغ بين الاتراك في العلوم العربية والشرعية فكان يكتب العربية ببلاغة نادرة عند كتاب العرب انفسهم وروي عنه انه كان يصدر في كل يوم الف فتوى شرعية وكان بيته محجة العلماء

و ينتهي الدور الاول من اداب الاتراك بالشاعر الشهير فضولي وله ديوان في الشعر يعتبر عند الترك بمقام ديوان المتنبي عندنا وقد ترجم كتاب مجنون ليلى الى الشعر التركي ببلاغة فائقة الحد

اما مشاهير كتاب الدور الثاني فانهم كثيرون يضيق دون ذكرهم المقام ولاكثرهم تآليف جيدة باللغة العربية فضلاً عن مؤلفاتهم بالتركية · فمن مشاهير الشعراء نابي وقد اشتهر بالغزل اللطيف ويلقب بملك الشعراء· وباقي الملقب بسلطان الشعراء· ومن آثاره خيريه التي كتبها نصيحة لابنه وتحفة الحرمين وديوانه الشهير وهو شاعر السلطان سليمان ويعتبر عند الاتراك بمقام ابي الدامة عند العرب· واشتهر نفعي بالهجو والفخر ومن آثاره سهام قضا وهي في الحقيقة سهام القضاء لان فيها هجواً شديداً لا تحتمله الاذن كتبه في عدوّ له

كذلك السيد وهبي فانه شاعر جليل ويلقبه الاتراك برئيس الشعراء وراغب باشا الذي اشتهر بالاسفار الحكمية ومن تاليفه بالعربية كتاب سفينة العلوم

وقد اشتهر سروري باشعاره الهزلية ولطائفه الظريفة كما اشتهر نديم بقصائده الغزلية التي تشبه اشعار الفارضي

وقد الف الاتراك كما تقدم كتباً كثيرة بالعربية فان منجم باشي احمد دده الف التاريخ العمومي العربي المسمى صحائف الاخبار وسليمان جلبي الف كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ذكر فيه اسماء المؤلفات الشهيرة مرتبة حسب حروف الهجاء (ولعل نجل المرحوم فانديك قد اخذعنه هذه الطريقة في مؤلفه الذي نشره مؤخراً بهذا الموضوع) وله تاريخ عربي آخر يدعى فذلكة وهناك مؤلفات عربية جمة الفها الاتراك وجلها شرعية يضيق بنا المقام دون ذكرها

وقد ترجم الاتراك الى لغاتهم بعض الكتب العربية المهمة التي منها تاريخ ابن خلدون وترجمة شيخ الاسلام بيري زاده صاحب افندي وللكاتب الشهير ويسي اعتراض شديد على قاموس الفيروزابادي · وقد ترجموا ايضاً الى لغتهم كتاب كليلة ودمنة وهو معروف عندهم باسم « همايونامه »

واكثر مؤلفات الاتراك في التاريخ واشهرها « تاج التواريخ » الذي كتبه الخوجه سعد الدين شيخ الاسلام

وينتهي الدور الثاني بفؤاد باشا الكبير الذي ذهب الى سوريا عام ١٨٦٠ فانه من

اعاظم كتاب الاتراك ومن مشاهير شعرائهم . ومن آثاره الشعرية كتاب يدعى (محنتكشان) يحتوي على حكم وشكوى من الدهر

اما النساء فلم يكن لهن نصيب كبير من العلم فاشتهر منهن مهري خانم وزينب خانم وفطنة خانم بنت احمد افندي شيخ الاسلام وتحسب في الشعر من طبقة راغب باشا ولكنها لم تبلغ درجة الخنساء عندنا

ومما يستحق الذكر هو سرعة خاطر شعراء الاتراك الى درجة لا اظن ان لها مثيلاً عند غيرهم فانهم ينظمون الشعر بسهولة ولهم على النظم جلد وصبر فان الشاعر كلشني باشر نظم التاريخ العثماني كله بالشعر فنظم بمدة قليلة ٢٠٠٠٠ بيتاً منه ثم مات قبل ان يتمه

ويروى عن بعضهم انه كان يهوى معشوقة فاشترطت عليه يوماً ان ينظم ديواناً من الشعر لا تقل صفحاته عن خمسمئة صفحة يصف فيه طبائع وجمال نساء العالم وصفاً مدققاً ولم تعطه مهلة لذلك سوى اسبوع واحد فما كاد ينتهي الاسبوع حتى اتى على اخره وهو من الدواوين المشهورة ولكن فيه بعض المجون والاحماض

هذا اخر ما بقي في ذاكرتي من اخبار شعراء الاتراك في الازمنة القديمة والمتوسطة وسانبحث في الكلام عن شعراء اليوم

***

﴿ الجامعة ﴾ نشرنا هذه المقالة اللطيفة مع الشكر لحضرة كاتبها البارع لاننا نعتقد كما قال في صدرها « بان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما دامت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة . ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد وآداب بعضهم البعض » وقد كنا نستعد للكتابة في هذا الموضوع ولكننا اكتفينا الآن بنشر ما تقدم . على ان ابواب الجامعة مفتوحة لكل الادباء الذين درسوا في المكاتب التركية اذا ارادوا اطلاع قراء اللغة العربية على تمدن اخوانهم الاتراك الذين قال فيهم بسمارك « انهم اكثر الشرقيين ظرفاً ولطفاً » لانه لا يجدر بهم ان يجهلوا شؤون اقرب الناس اليهم

باب التربية والتعليم

متى استملات المدارس فرغت السجون ولا تملأ المدارس الا اذا كان التعليم الزامياً

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدار من اخص وظائف المدرسة

اصلاح تعليم البنات

رأي الفيلسوف

اصلاح الاساس مقدم على اصلاح الجدران · بروغرام الدروس الثانوية للبنات في فرنسا رأي الفيلسوف جول سيمون فيه وحملته عليه · وصف عقول التلميذات ومبلغ فهمهن · التعليم الصحيح هو الذي يربي الذوق وينشىء الاخلاق لا الذي يملأ الذاكرة فقط

نبدأ منذ اليوم بالدخول الى المدرسة للنظر في طرق تعليمها الصحيحة والفاسدة فقد آن لنا ان ندخلها بعد وقوفنا على ابوابها وقفة طويلة نشرنا في اثنائها المبادىء العامة التي يجب ان تكون تمهيداً للدخول اليها

واذا جعلنا بدء دخولنا اليها الكلام عن اصلاح تعليم البنات فانما نتكلم عن موضوع يجب تقديمه على سواه من وجهين · الوجه الاول ان كل اصلاح مختص بشان النساء مقدم على كل اصلاح سواه لان العمل باصلاح النساء يُحسب لدى العقلاء وعلماء الاجتماع عملاً بترميم اساس الهيئة الاجتماعية · اما سواه من ضروب الاصلاح فلا يُحسب في الحقيقة الا عملاً باصلاح الجدران فقط · والعمل باصلاح الاساس مقدم في كل زمان ومكان على العمل باصلاح الجدران

والوجه الثاني الذي يوجب تقديم الكلام بهذا الشان هو ان الكلام عن اصلاح تربية البنات في هذا الجزء يكون خير تتمة للمقالات التي تقدمت في الاجزاء الاخيرة فيما يختص بتربية النساء · ولذلك نجعل المقالة التالية حلقة نضمها الى سلسلة تلك المقالات ونودعها بعد المقالة التي نقلناها في الجزء الماضي عن الفيلسوف جول سيمون بشان مدارس البنات

الداخلية خلاصة آراء هذا الفيلسوف الكبير في مسالة اصلاح تعليم البنات · وتوصلاً الى هذا الغرض نلخص مقالة له انتقد فيها تعليم البنات في فرنسا · قال ما خلاصته

***

«اذا انعمنا النظر في تعليم الذكور وتعليم الاناث رأينا ان الخطة المتبعة فيهما هي واحدة تقريباً ولا يخفى ما في هذا الامر من الاضرار العظيمة · واثباتاً لذلك فلنبحث في (بروغرام) تعليم البنات فندخل اولاً اذا شئتم الصف الاول من السنة الاولى في القسم الاول فان تلميذاته في الثانية عشرة من عمرهن · واليكم البروغرام الذي تتبعه

» قراءة بصوت عالٍ مع شرحها وتفسيرها في الصف (نظماً ونثراً)

» حفظ شذرات مما كتبه المؤلفون الفرنسويون غيباً

» الصرف الفرنسوي · الاصوات · الكلمات · اقسام الكلام

» تمرينات شفاهية وخطية باللغة الفرنسوية واملاء · اعراب صرفي · املاء في مواضيع مختلفة

» تمرينات ابتدائية في مفردات الكلم وتركيبها · اسماء مصوغة من النعوت والافعال · نعوت مصوغة من الاسماء والافعال الخ · افعال مصوغة من الاسماء والنعوت الخ · درس بعض ملحقات الكلم وزوائدها · اظهار مشتقات وتراكيب فعل او اسم بسيط وصيغتها بعبارة صغيرة الخ

» امتحان في مواضيع تُتلى في الصف ويُطلب من التلميذات مراجعة تلاوتها شفاهاً

» ثم يلي ذلك بيان يتضمن اسماء بعض المؤلفين والكتب وفي صدره هذه العبارة شذرات من تاريخ ادب المؤلفين الذين تدرس الطالبات كتبهم »

هذا هو بروغرام السنة الاولى من التعليم الثانوي للبنات · وكنت اود اظهار افكاري بشان هذه الملحقات والزوائد وهذه المشتقات والتراكيب والنعوت المصوغة من فعل او اسم ولكني اعدل عن ذلك مخافة ان لا استفيد منه غير اظهار جهلي · ولو كان الامر اليَّ لجعلت البروغرام مؤلفاً من القراءة والاملاء وحفظ شذرات تُتلى شفاهاً وتكتب كتابة ثم متى حفظت تلميذتي جيداً هذه الشذرات المختارة احسن اختيار فانني اكون راضٍ عنها ومسرور منها · ومع ذلك فلننتقل من هذا البروغرام اللغوي الى البروغرامات الاخرى

فلا نجد في طريقنا بروغراماً لعلم الادب لا في السنة الاولى ولا في السنة الثانية · ولكننا نجد بروغرام التاريخ · وهو يحتوي سبعة وثلاثين فصلاً من زمن الغاليين القدماء

الى افتتاح الاتراك القسطنطينية · فاخبار الغاليين والترنك والعرب واسبانيا والمانيا وايطاليا وشارلمان وفتح انكلترا والصليبيين ومملكة اورشليم وترجمة جان دارك : كل هذه امور يطلبون ادخالها في ادمغة الفتيات الرطبة الصغيرة في سنة واحدة مع زيادة عليها في اللغة والبيان والفنون والعادات وفروع الجوغرافيا مثل مهابّ الارياح والمد والجزر وما في القطبين والانهار والجبال والبحيرات والحيوانات والنباتات الهامة وعلائق الدول بمواقعها والثغور التجارية المهمة · ثم انهم يدرسوننا في هذه السنة ايضاً (اعني يدرسون الابنة التي في الثانية عشرة من العمر) القواعد الاربع من الحساب وينبهوننا انهم لا يدرسوننا من القسمة الا كيفية العمل كأنهم يدرسوننا فلسفة القواعد الثلاث الاخرى · ثم ندرس الكسور وحساب المتر وقليلاً من مبادىء الهندسة والتصوير · ويعلموننا الانكليزية والالمانية ايضاً اما اشغال الابرة فلم اجد لها اثرًا في الجدول ولا ريب عندي انني انا المخطئ لانني لم ارها اذ لا بد ان تكون موجودة

هذه هي الدروس التي تتلقنها تلميذاتكم في السنة الثانية عشرة · فانا انبهكم انكم تملأُون ذاكرتها باشياء كثيرة لا فائدة منها · وهذه الاشياء لا ترسخ في ذهنها بل لا يبقى منها فيه اثر بعد كبرها لان عقلها لا يميل اليها · انكم لم تفهموا الى الآن القاعدتين العظيمتين اللتين تُحسبان اساساً للتعليم والتربية · وهما : تربية الذوق وتعليم القواعد التي تؤدي الى غرض معلوم · انتم تُخرجون من مدارسكم دائماً (وذلك مما يسوؤني ويخيفني) بنات مدعيات لا اديبات عالمات · انتم لا تهتمون بانشاء الاخلاق الجميلة وترقية الصفات الحسنة ولا تفكرون باضرام شعلة الذكاء والنباهة في تلك النفوس الذكية النبيهة من طبعها · بل انكم تحشون تحشون عقولهن ناهجين في ذلك منهج تربية الذكور · رايناكم في تربية الذكور تنادون بوجوب جعلهم قواميس اي تعليمهم كل شيء · وانتم تعتذرون عن ذلك باعذار قد يصح ان تسمى اعذارًا وان كانت اعذارًا فارغة · ولكن اي عذر لكم يا اصحاب في تربية الفتيات هذه التربية ايضاً ؟ انتم بهذه التربية تقتلون عقل الابنة وتمنعون النساء ان يكنّ حقيقة نساء · اني ارى في بروغراماتكم علم البيان هنا وهناك ولكني ارى ايضاً ملحقات الكلم وزوائدها ومشتقاتها وتراكيبها وصوغها الخ · فلامَ هذه الضوضاء الصرفية كلها · تؤكدون ان تلميذاتكم يحفظن قواعد الصرف ولا ينسينها ولكن تأكدوا ايضاً انهن لا يستفدن منها في المستقبل شيئاً لانه لم يُستفد منها قط · اما البيان فلا اقول فيه ما قلته في الصرف · ولكن نجاحهن فيه موكول للاتفاق

وانتم تعلمون انني لم اتكلم هنا بعدُ الا عن التلميذة التي في الثانية عشرة من العمر ولكني اذا تقدمت من التلميذات الاكبر سناً رايت هناك غرائب جديدة . فهناك شروح مسهبة عن الصناعة وتاريخ المعاهدات التجارية وارتقاء الافكار الديموقراطية ودرس شيء من الحقوق والهندسة والمغنطيسية والكهربائية وعلم النور والبصريات والحوامض المتبخرة والحوامض التي لا تتبخر بالنار وعلم التشريح الحيواني والنباتي . وهناك ايضاً الاقتصاد السياسي والبيتي وهذا العلم استحسنه لمن كثيراً . ثم علم حفظ الصحة وهذا استحسنه من كل قلبي . اما الطبخ فانهن لا يتعلمن من اصوله الا نزراً يسيراً على حين ان الفتيات الانكليزيات يتعلمن الطبخ ويمارسنه في كل يوم احد بعد القيام بامثولة الاحد . وكذلك كان في فرنسا في عهد الملكية فان بنات الامراء كن يتعلمن الطبخ عملياً في المطابخ كل واحدة في نوبتها كما ترون ذلك مذكوراً في تاريخ حياة الاميرة دي لينيي

ولكن ما تصنع الطالبات بهذه الاصول والفروع كلها وهل يقدرن على فهمها حق الفهم هنا استشهد بكلام للمسيو مانو بيل المفتش العام للكليات الموكول اليه بناء على وظيفته هذه ان يرئس بعض حفلات الامتحان التي تجري في مدرسة الفنون . فانه شهد بشان عقول الطالبات اللواتي حضر امتحانهن الشهادة التالية قال « ان تلميذاتنا اميل الى المسائل اللغوية والصرفية منهن الى البيان والنقد . وذلك لان تعليمهن القانوني يشبه في اكثر الوجوه التعليم الابتدائي الذي تشغل المبادىء الصرفية فيه مكاناً اوسع من المكان الواجب ولذلك ترى عقولهن تنظر الى قشور الامور لا الى البابها فيشتغلن بالثوب اللغوي الذي يغطي الفكر عن الجسم الحقيقي الذي هو ضمن ذلك الثوب »

وقال في موضع آخر « ان افكارهن تكون على الغالب مطلقة لا شخصية واذا اكدن امراً فانهن يؤكدنه من غير برهان . واما المباحث التي يجب فيها الترتيب والاتساق والسير فيها باتصال دون انقطاع الى غرض معلوم فانهن يخرجن فيها احياناً عن دائرة الموضوع خروجاً يكون شروداً حقيقياً . وهن اذا قلن فانما يقلن عن تاثر لا عن مبدأ راسخ في نفوسهن . ويشعرن بالامور شعوراً جيداً ولكنهن يحكمن فيها حكماً ناقصاً . وانظارهن اكثر اتجاهاً الى تفاصيل الامور منها الى اجمالها فكأن فيهن ضرباً خاصاً من قصر النظر . اما الفلسفة فان اقدامهن تزلُّ فيها لاول خطوة »

***

انتهى كلام المسيو مانو بيل وكلام الفيلسوف جول سيمون . وكأن هذا الخطأ الذي

يشير الفيلسوف الى وجوده في طرق التعليم الفرنسوية موجود في كل مكان . ففي كل مكان تجد المدارس ساعية لتعليم الاناث كتعليم الذكور كانها تقصد جعل النساء رجالاً . وفي كل مكان تجد المعلمين والمعلمات يستفرغون وسعهم في حشي عقول صغيرات الطالبات وكبيراتهن بالصرف والنحو وبدروس لا توسع دائرة العقل ولا تنشئ الاخلاق الجميلة ولا تضع في نفس الطالبات اساس الادب والفضيلة ولا تُعدها لوظيفة الام والزوجة في الهيئة الاجتماعية بل تضعف ذاكرتها وبنيتها وتقتل وقتها وتُكرِه المدرسة اليها وتذهب بجميع اتعابها .ومع ذلك فهذه الابنة التي يُساء تعليمها الى هذا الحد هي ام العائلة وحجر الزاوية وسلم الارتقاء في الهيئة الاجتماعية . هذه الابنة التي يساء تربيتها وتُنهك قواها بلا جدوى ولا فائدة انما هي مربية النسل وفائدة الانسانية فما اسعد الانسانية والهيئة الاجتماعية يوم يُصلح الناس تربية البنات بحسب الطرق التي يشير اليها الفلاسفة والعقلاء وما آلها اعدادهن لوظيفتهن الشريفة الانثوية التي هي فوق وظائف الملوك والامراء والتي جعلتها عذراء منهن منذ نحو الفي سنة تمس درجة الالوهية

كلمات زراعية

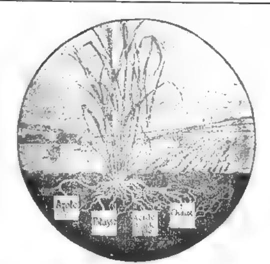
شذرات وفوائد زراعية لا يخلو الوقوف عليها من لذة وفائدة

غذاء النبات

كيف يتغذى . ما هو غذاؤه

اذا مررنا في حقل مزروع اعجبنا بنضارته وخضرته واستغربنا عمل هذه الكيمياوية الشهيرة المسماة ارضاً التي نلقي فيها بزرة صغيرة فتردها لنا نبتة كبيرة او شجرة عظيمة . ولكن لا يوجد بيننا اناس كثيرون يعلمون كيف ينمو النبات في الارض وما هي المواد التي يتخذها غذاء له . ولذلك نلخص مقالة بهذا الشان نشرتها مجلة « المطالعات العامة » الفرنسوية فانها لا تخلو من فوائد للزراع نوجه انظارهم اليها

✻ المواد التي يتالف منها غذاء النبات ✻ اذا اردت جمع المواد التي يتالف



كيفية امتصاص النبات غذاءه من الارض · وغذاؤه اربعة مواد كما ترى في الرسم · الاول الكلس (الجير) والثاني حامض الفوصفوريك والثالث البوتاس والرابع الازوت

منها غذاء النبات في باطن الارض رايتها اربع كما ترى في الرسم وهي : الازوت والحامض الفوصفوريك والبوتاس والجير (الكلس)

اما الازوت فوظيفته تقوية النبات وانماؤه من الخارج وتلوينه بلون جميل فكأنه خمر يتشدد به قلب النبات · واما الحامض الفوصفوريك فهو مركب من الاوكسيجين والفصفور ووظيفته انماء النبات من الداخل وهو منه بمثابة الخبز من الانسان · واما البوتاس فهو مغذٍ شديد كاللحم · واما الجير فان خشب النبات يتالف منه كما ان عظامنا مؤلفة منه ايضاً

هذه هي المواد الاربع التي يتالف منها غذاء كل نبات · ولكن لا يُشترط ان تكون موجودة في الارض بكميات متعادلة · فان البنجر مثلاً يعتمد في غذائه على الازوت بالاكثر فهو لا يهمه اذا كانت المواد الاخرى ناقصة · والكرمة تعتمد على البوتاس فيجب ان يكون بكثرة في تربتها وان نقصت المواد الاخرى وهلمَّ جرّا · فالسر العظيم في خصب النبات ونموه انما هو اذاً اعطاء كل نبتة او شجرة الغذاء التي هي مستعدة له ومفتقرة اليه

❊ فقر الارض وطريقة تعويض خسارتها ❊ ومعلوم ان الارض هذه الام العظيمة قد انقضت عليها القرون الطوال وهي تغذي بحنو ابنها الانسان فلا بد ان تنفد خيراتها منها · فماذا يصنع الانسان حينئذٍ

عليه ان يعوض الارض ما فاتها اي ان يلقي فيها سماداً يعيد اليها المواد التي امتصتها نباتاتها · فالسماد اذاً هو ام حاجات التربة والزراعة

❊ السماد الطبيعي ❊ ولكن السماد على الغالب يكون غالي الثمن فضلاً عن كونه انواعاً لا تحتوي كلها المواد اللازمة للارض · لان السماد المعني هنا وهو الطبيعي يكون غالباً مؤلفاً من الماء وبعض الخرق البالية والمواد التي يمكن تركيبها من الهواء والماء فقط وشيء من المادة المعدنيـة او الحامض الفصفوريك · اما البوتاس والجير والازوت فلا وجود لها فيه ولذلك يكون السماد الطبيعي ناقصاً

وفضلاً عن ذلك فان النباتات لا تطلب غذاء واحداً كما تقدم بل ان كل صنف منها يطلب غذاء مخصوصاً · هذا يطلب بالخصوص الفوسفات وذاك الازوت وهلم جراً · فكيف والحالة هذه يمكن اعطاء الارض ما تطلبه من هذه المواد دون اسراف فيهـا او امساك · ان السماد الطبيعي لا يفيد الفائدة المقصودة كما راينا · فهل قضت الطبيعة اذاً ببقاء الارض فقيرة بعد نفـاد مادة غذاء النبات منها · ام وجد العلم مادة هذا الغذاء

❊ السماد الصناعي ❊ نعم قد وجد العلم المواد اللازمة لغذاء النباتات كل واحدة حسب مطلوبها · وقد عُرضت هذه المواد في هذا العام في قسم خاص في معرض باريز يسمونه « قسم السماد الصناعي » وقد قال علماء الزراعة في كلامهم عن هذا القسم انه مصدر حياة زراعة العالم بل حياة الانسانية والمدنية كلها اذ لولا انواع السماد التي فيه لهرمت الارض واصبحت في وقت قريب عاجزة عن تغذية ابنائها

وانواع هذا السماد اربعة كل واحد منها يقابل مادة من مادة غذاء النبات ويتحول في التربة اليها · الاول الفوسفات · والثاني نيترات الصودا التي تتحول ازوتاً تحت جذور النبات · والثالث الكاينيت الذي يتحول بوتاس · والرابع سلفات الجير او فوسفات الجير او الحامض الفصفوريك يتحول في الارض جيراً نباتياً

اما نيترات الصوده التي يخرج منها الازوت فانها ترد من بيرو في اميركا حيث يوجد

لها مناجم واسعة تكفي العالم كله وقد ملأت الى الآن جيوب اصحابها ذهباً · فشانها في ذلك شان معادن الذهب وقد جرى اكتشافها منذ ٢٥ عاماً

واما الكلس فكان المتقدمون يعرفون فوائده الزراعية فيمزجون التربة بشيء من التراب الكلسي او الجص (الجبسين) · وقد اكتشف المتاخرون اكتشافاً غريب الفوائد والتاثير في تسميد الارض بالجير وهو احراق عظام الحيوانات وذر رمادها على الارض فان تربتها تخصب خصباً ما وراءه خصب

واما الفوسفات فانه يُستخرج من معادن توجد في الارض · ويقال ان لجنة انتدبها قلم المساحة في العاصمة قد وجدت في الواحة الداخلة وما يليها من اطراف مصر وغيرها كثيراً من معادن الفوسفات فارتاح كبار الزراع الى هذا الاكتشاف لانه يتيح لهم شراء هذه المادة بثمن بخس اذا استخرجت من معادنها

﴿ المواد المهيئة والمواد المغذية ﴾ وهذه المواد الغذائية النباتية قسمان قسم يغذي وقسم يهيء الغذاء · والمادة المهيئة هي الجير فانه لا يغذي النبات ولكنه يحل البوتاسه التي في الارض ليقدمها له فكانه طباخ يهيء له غذاءه

على ان السماد الصناعي لا يكفي لتسميد الارض لانه اذا وضع فيها وحده من غير السماد الطبيعي جعلها محجرة وبذلك يخنق جذور النبات ويمنع وصول الهواء والماء من سطح الارض اليها · ولذلك يشير علماء الزراعة بمزجه بشيء من السماد الطبيعي

وهذه الاسمدة موجودة في جميع البلاد الزراعية فجدير بالزراع الذين لا يألون جهداً في خدمة مزروعاتهم ان يهتموا بها لانها تضاعف خيرات ارضهم عشرات من المرات · وقد نشرنا في هذا الفصل رسماً يمثل نبتة من القمح وهي تمتص من الارض غذاءها من المواد الاربع التي تقدم ذكرها الجير والبوتاس والازوت والفوسفات فنها يرى الانسان كيف يتغذى النبات وبماذا يتغذى وما هي المواد التي يتغذى بها

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظاماً وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة . والعائلة قاعدتها
المرأة ففي اصلاح المرأة اصلاح الهيئة كلها

رأي الرجال في النساء

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

ورد في باب الشؤون النسائية في الجزء ٩ و ١٠ من السنة الثانية نبذة تحت عنوان (اي شيء في الرجال اكره الى النساء) . نقلاً عن احدى المجلات الاوربية التي القت على قارئاتها هذا السؤال . فاجبن ان الصفات التي يتفقن على كراهتها في الرجال هي « السكر . والاثرة . والدناءة والخداع . والمقامرة . والجبانة . والادعاء . والكسل . والقساوة . وكتمان عيوبهم » وقلتم بودكم ان تعلموا اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال فنحن نجيب . ان الامور المكروهة بالاكثر في النساء الى الرجال عشرة وهي اولاً عدم الاخلاص او النشوز وقد ورد على ذلك في الكتب المنزلة واقوال الحكماء ما لا يحصى وهي المسالة الهائلة التي يجوز من اجلها القتل ويبرأ القاتل في شرائع الانام . ثانياً البلادة وقلة الفهم التي هي نتيجة قصر الادراك ثالثاً الطيش والحمق والافراط في الضحك الذي هو دليل الخفة والجهل وسبب اسقاط هيبة المرأة وكرامتها رابعاً اهمال البيت والتبذير وعدم النظافة خامساً عدم القناعة سادساً محبة الذات سابعاً خشونة المعاملة ثامناً التصلب بالرأي اي العناد تاسعاً كثرة الكلام والثرثرة الفارغة عاشراً عدم التقوى

﴿ الجامعة ﴾ تمنينا عرضاً في احد الاعداد الماضية ان يذكر لنا الرجال الصفات التي هي اكره الصفات في النساء اليهم وذلك في اثناء كلام مختص بهذا الشان فاجتمعت لدينا اجوبة لم نرَ بدّاً من نشر بعضها ارضاء لاصحابها وافادة للقراء

ولا يجهل حضرات القراء اننا لانتحمل مسئولية ما ننشره من غير قلمنا في ابواب المجلة واذا وجدوا فيه بعض الهزل فالهزل مستحب بعد الجد الكثير

هذه هي الخصال التي ارى انها اكره الى الرجال واني اترك الافاضة في بيان مضارها للجامعة منبع الادب وللذين تلذ لهم الكتابة في هذه المواضيع الادبية من كرام القراء

• القناطر الخيرية نسيم فهمي

معاون المحطة الاميرية

٢

اذا كنتُ متزوجاً فكل نقيصة من امراتي استطيع ان اصلحها . هبها جاهلة حمقاء كثيرة الكلام كذوبة مخادعة مبذرة مهملة : كل ذلك استطيع ان اصلحه اذا كنتُ زوجها على شرط ان لا تكون مدعية اي معتقدة بانها ارق مني واكثر فهماً . فالادعاء اذاً هي الصفة الكبرى التي اكرهها في النساء

يافا احد القراء

٣

لا اذكر ماذا اكره في النساء ولكني اذكر ماذا احب فيهن . فانا احب فيهن كونهن قد خلقن في هذا العالم كزهرة لتزيين هذه الحياة . ولذلك فكل شيء يخلو منهن يكون بارداً مظلماً وكل شيء يضمن ايديهن فيه يصبح منيراً محبوباً . فكأنهن يمثلن على الارض مبدأ الجمال

ثم اني احب في النساء معيشتهن العائلية . فان في العائلة تنمو الفضائل البيتية . من العائلة نشأ اعاظم الرجال الذين مدنوا العالم بما اقتبسوه من انفاس امهاتهم . في العائلة الراحة الوحيدة على هذه الارض . من العائلة فقط يجري للفقراء والضعفاء والمظلومين ينبوع الاحسان ودموع الشفقة والرحمة . والعائلة هي المراة فالمراة اذاً تمثل في هذه الحياة مع مبدا الجمال الذي مرَّ ذكره مبدا الخير والفضيلة والراحة والتضامن البشري لجميع بني الانسان . وهذا الذي احبه في النساء

الاسكندرية محب لا يكره

٤

لا اكره شيئاً في النساء بل كل ما فيهن من الصفات محبوب اليَّ لاني اعرف ان الشيء القبيح لا يصنعنه قصداً وانما لجهلهن بقبحه لانهن معدن كل شيء حسن . فبدلاً من كراهتنا القبيح فيهن يجب علينا ان نسعى لاصلاحه وان نلوم انفسنا لاننا تركناه ينمو

فيهن . فالحق اذاً في كل الامور على الجنس الخشن لا على الجنس اللطيف

القاهرة متى حنا

٥

المرأة كثمرة الجوز الخضراء فيها ما هو مرٌّ مكروه وفيها ما هو حلو محبوب . والواحد يقابل الثاني فلا تذم المكروه ولا تمدح المحبوب

الاسكندرية فنوع

٦

لا احب شيئاً في النساء ولا اكره شيئاً

الاسكندرية جراصْ

﴿ الجامعة ﴾ ونحن ننشر في الجزء التالي تتمة هذه الافكار اذا اجتمع لدينا منها ما يستحق النشر وكانت على هذا الاختصار

جمال وجوه السيدات

من يقرأ ومن يسمع

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

قرأت في مجلتكم الجامعة الغراء في باب « الشؤون النسائية » فصلاً في جمال وجوه السيدات نشرته الكونتس دي سورجر في احدى المجلات العصرية . فجاءت نصيحتها فيه خالصة لا تشوبها غاية غير غاية الاخلاص في منع سريان هذا الداء الوبيل داء الصباغ والدهان والبودره الذي يكاد لسوء الحظ لا يخلو منزل في هذه الايام من جراثيمه المضرة لاسيا بعد ان جرينا شوطاً بعيداً في ميدان هذه الحرية التي ظننا انها اساس التمدن والعمران وشواهد حضرة الكاتبة عن اضرار الصباغ والدهان والبودره على كثرتها نراها كلها صحيحة معقولة ولا نجد من ينقضها او يدحضها الا كل متزلف الى النساء راغب في بياض الوجه . . على اننا لو تركنا كل هذه النصائح واغضينا الطرف عن تاثير اضرار الصباغ في وجوه السيدات وتمسكنا بواحدة من نصائح حضرة الكاتبة حيث قالت عندما تكلمت عن اضرار البودره « اما الوجه الادبي فهو جعل النساء متشابهات في المدينة الادبيات وغير

الادبيات لان غير الاديبات يكثرن من وضع البودره وتزيين الوجه فاذا صنعت الاديبات مثل ذلك ُغلت مثلهن وربما اعتدي عليهن » لكفى به برهاناً قاطعاً على وجوب ترك هذه العادة المستقبحة التي لا يدفع الفتاة اليها الا سوء التربية وترك حبل ارادتها على غاربها

ولست بمبالغ في القول ان بعض السيدات اللواتي قد اصبن بهذه العلة — علة الدهان اذا قرأن هذه النبذة التي تضمنت اجلّ النصائح وافضلها لا يلبثن ان يعترفن ضمناً بكل ما جاء فيها من وجوب التقريع ولوم كل من تتبع هذه العادة التي سرت اضرارها في اغلب بنات اليوم ونسائه . بل ربما حاولت بعضهن ترك هذه العادة الذميمة والفرار من سلطة احكامها الثقيلة لولا ان وجهها وا اسفاه قد الطخته يدها فشوهته بسموم تلك الالوان فاصبحت مُكرهة على متابعة دهانه في كل صباح ومساء لتستر تلك العيوب التي لم يجنها غير الطيش والغرور

على انني اريد من باب التفكهة ان اطرح بعض اسئلة في موضوع الصباغ والدهان والبودره . حتى اذا وجدتُ من بين السيدات والفتيات البارعات في فن التصوير .. من يفحمني بالجواب سلمت بوجوب استعمال هذه الالوان الباهرة للابصار .. وكنت ولو ثقل على طبعي اول من ذهب الى السوق وعاد لامرأته باحمال منها مؤونة سنين لتوالي الدهن والصقل الى ما شاء الله والا فاكون من راي حضرة الكاتبة في مضادة جميع النساء اللواتي يستعملن هذا الدهان وابقى الى آخر نسمة من حياتي كارهاً كل امرأة وبنوع خصوصي كل فتاة تصبغ وجهها لتزينه بتلك المواد السامة

اما اسئلتي فهي

اولاً — لماذا تضع الفتاة الالوان على وجهها اذا كانت بيضاء البشرة

ثانياً — اذا كانت الفتاة ذات لون اسمر طبيعي جميل ما الموجب الى هذا البياض الظاهر الذي تكذب فيه على نفسها وعلى الناس وعلى خالق ذلك اللون

ثالثاً — اذا عذرنا الفتاة على صبغ وجهها لتستعين به على خداع الشبان . فما عذر المتزوجة

ثلاثة سؤالات القيها على مسامع السيدات والفتيات وانا غير هياب من سخطهن ولا غضبهن عليَّ لانني (ولا اقول من كمال حظي وتمام سعدي) متزوج وامرأتي بفضل حرية هذه الايام سائرة على طريق التمدن الذي سيجرنا الى الخراب قريباً ... وتابعة لضروب المودة وفنونها ولها في كل حديث منها حديث أطول من مصيبتي فيها . وهي بفضل عقلها الكبير — قياساً الى عمرها — لا تترك شيئاً من اسباب الزينة والبهرجة يفوتها كل ذلك

لتوهمني انها جميلة وانها بيضاء الوجه ... وقد خفي عنها ان هذا البياض طالما سود وجهي بين الناس ....

ولحضرات السيدات حرية الدفاع والاستعانة ببعض الكتبة الادباء الذين يُظهرون تمام رضاهم عن مشاهدة هذه الوجوه ذوات الالوان .. ولا عجب فانني اعرف كثيرًا من هولاء الادباء هذا يحرض خطيبته وذاك يدفع قرينته او امرأته الى وضع الاحمر والابيض ليبرزنَ في جمالهنَّ الاصطناعي كالاصنام المتحركة وسبحان مفرق العقول

الاسكندرية في ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٠ متزوج قليل البخت

حنا نقاش

باب تدبير الصحة

طريقة لمعرفة رطوبة المنازل

الرطوبة في المنازل من اعظم اسباب الامراض فاجتنب الرطوبة ما امكنك اجتنابها واذا اردت ان تعرف هل غرفتك رطبة ام لا فضع فيها كيلو غراماً من الكلس (الجير) ثم اقفل نوافذها وابوابها جيدًا واتركها مدة اربع وعشرين ساعة مقفلة ثم افتحها وزن الكلس فاذا زاد وزنه اكثر من عشرة غرامات اي اذا زاد اكثر من واحد في المائة مما يكون قد امتصه من الهواء فيكون منزلك رطباً

تغيير ملابس الصيف

حينما يشتد الصيف ويتكاثر عرق الجسم يجدر بالانسان ان ينزع ثيابه كل يوم . واذا نزعها فلا يجب عليه غسلها فان هذا الامر يطول بل يمكنه الاقتصار على تعليقها في الشمس والهواء فيزول ما كان قد علق بها من مفرزات البدن. اما اذا بقيت على البدن فان هذه المفرزات تعود اليه من مسامه فربما جرت كثيرًا من الامراض

غذاء المرضعة

يصف بعضهم للمرضعة ان تشرب الخمر والجعة ليزداد لبنها . ولكن زيادة لبن المرضعة

لا يكون دائماً دليلاً على تحسنه لان العبرة بكيفيته لا بكميته · والاجدر بالمرضعة ان لا تشرب الا لبناً (حليباً) فانه مفيد جداً لدرها اما الخمر فانها تجعل في لبنها طعماً كاوياً يؤذي معدة الطفل لما هي عليه من اللطافة في بدء امرها · ويجب ان تجتنب المرضعة المآكل المالحة الكاوية وان لا تتناول خلاً ولا طماطم ولا ثماراً حامضة · واحسن غذاء لها الثمار الناضجة والمطبوخة واللبن والبيض واللحم وما اشبه

اصلاح الزبدة والسمن بعد فساده

اذا فسدت الزبدة والسمن ففسادها يكون ناشئاً عن تولد حامض البوتيريك فيها · فطريقة اصلاح هذا الفساد غسل الزبدة باللبن الجديد لان ذلك الحامض ينحل في اللبن ويذوب · ثم بعد ذلك تغسل بشيء من الماء البارد وتعصر بتأنٍ فيزول فسادها

تقطيع البصل وازالة رائحته

تتضايق ربات المنازل او الخادمات من تقطيع البصل لانه يتطاير الى عيونهن شيء من عصيره فيكويها وينزل دموعهن · فالطريقة لاجتناب ذلك سهلة جداً وهي ان تقطع البصل تحت الماء في اناء مملوء ماء فهو يمنع العصير ان يتطاير فضلاً عن انه يحفظ اليد من رائحته ايضاً

واما طريقة ازالة رائحة البصل او الثوم من الفم فهي تناول القهوة· واذا لم تنجح تخذ شيئاً من البقدونس وامضغه على ان الطريقة المضمونة هي ان تأكل شيئاً من الفول الاخضر او من البنجر المشوي تحت الرماد

البالونات التي يلعب بها صغار الاولاد

يباع في الاسواق بالونات صغيرة يلعب بها الاولاد · على ان هذه البالونات قد تكون مملوءة بمواد سامة استعملت لنفخها فيجب الحذر من تركها في غرف النوم او ترك الاولاد يدنونها من وجوههم· وقد اخذت الجمعية الطبية في باريز تبحث لمعرفة المواد التي تنتفخ بها

طريقة لمنع التبويل بالليل

تشكو اكثر الامهات من ان اطفالهن يبولون في فراشهم في الليل فالطريقة لمنع ذلك ان ينام الولد وقسمه العلوي اي صدره وبطنه اوطا من قسمه السفلي اي رجليه وبذلك يتعذر مرور البول في القناة البولية ويجب تكرار ذلك عدة ايام حتى تزول هذه العادة

ازالة رائحة الفم

اذا كانت رائحة الفم كريهة فذلك يكون لسببين اما ان يكون الفساد ناشئاً عن الفم نفسه او عن المعدة . فاذا كان عن الفم فيجب تنظيف الاسنان دائماً بمسحوق الفحم ممزوجاً بشيء من روح النعنع واذا كان من فساد في المعدة فتناول مسهلاً او مقيئاً

باب التقريظ والانتقاد

❊ اسرار البلاغة ❊ نشر حضرة صديقنا العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار اعلاناً فحواه انه عزم على طبع كتاب اسرار البلاغة لامام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني » وعليه هامش يشرح ما لا بد من شرحه وذلك تحت نظر اعلم البلغاء وابلغ العلماء صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي يقرأ الكتاب درساً في الجامع الازهر الشريف» وقد جعل قيمة الاشتراك في الكتاب عشر غروش صاغ من الورق الناعم المتوسط و١٥ غرشاً من اجود الورق وهو يطلب من ادارة مجلة المنار فنشكر له هذه الخدمة الجليلة للغة العربية ولا ريب عندنا ان طلاب البلاغة يقبلون اشد اقبال على هذا الكتاب الجليل

❊ المناظر ومجموعتها ❊ المناظر جريدة اديبه تهذيبية وطنية تصدر مرتين في الاسبوع في سان باولو من اعمال البرازيل لحضرات صاحبيها الفاضلين حبيب افندي حنون ونعوم افندي لبكي . وهي رشيقة العبارة معتدلة المشرب اعتدالاً يشهد لمحرريها بالفضل والعقل . وردتنا من ادارتها مجموعة لطيفة الاسلوب مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد وهي تحتوي بعض الفصول والشذرات المهمة التي نُشرت في المناظر في خلال العام وتصدرها الادارة في ٦ ايلول من كل سنة تذكاراً للامتيازات التي مُنحها جبل لبنان » فنحن نحث الادباء على اقتناء هذا الكتاب فان فيه من الفصول الرقيقة والمقالات المفيدة والامثال والحكم ما يشوق الى المطالعة

والمناظر باعتدالها وخوضها المباحث الوطنية المفيدة جديرة باقبال الادباء عليها فنحن نهنئها بخطتها ثم نغتنم هذه الفرصة لشكرها على ما تفضلت به على الجامعة

﴿ النجاة من الضيم ﴾ رواية ادبية لحضرة الاديب الياس افندي عازار الخوري وهي سهلة العبارة حسنة الاساليب تُطلب من محل الخواجا نقولا دياب في الثغر ومن مكتبة الهلال في مصر وثمنها عشرة غروش صاغ فنرجو لها الرواج

﴿ مائة مسالة ومسالة ﴾ صدرت الرسالة الثالثة من كتاب مائة مسالة ومسالة لواضعه حضرة الاديب رشدي افندي كامل في مصلحة السكة الحديدية فنثني على اجتهاده ونشاطه

باب الاخبار العلمية

﴿ اكتشافان جديدان بشان الانجيل ﴾ ابتاع من اسواق القاهرة في الشتاء الماضي العلماء سبيجلبرج وشميد وجاكوبي من اساتذة كلية سترسبورج اوراقاً من البردى المصري فترجح لديهم بعد فحصها ان فيها شذرات من انجيل قبطي كُتب في القرن الثاني للميلاد اي انه سابق للنسخة الموجودة في الفاتيكان . ولم ياذن لهم البرنس هوهنلوه حاكم الالزاس واللورين بان يبتاعوا هذه الاوراق لكلية سترسبورج الا بعد فحصها فحصاً دقيقاً

ومما لا يقل عن ذلك اهمية ان الاستاذ غريغوري من اساتذة كلية ليبزيك اكتشف في العام الماضي اكتشافاً مهماً مختصاً بالاصحاح الثامن من انجيل يوحنا . فانه قد ورد في هذا الاصحاح ان الكتبة والفريسيين جاءوا السيد المسيح بزانية واوقفوها في الوسط ثم سالوه عن عقابها فقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرجمها بحجر ثم انحنى واخذ يكتب باصبعه على الارض . وبعد ذلك انتصب قائماً فلم ينظر احداً سوى المراة . كذا ورد في الانجيل . فماذا كتب يسوع على الارض . هذا امر لم يرد عنه اشارة في كتاب

ولكن الاستاذ غريغوري المذكور يقول انه اكتشف في اوراق قديمة وجدها في جبل اتوس واثينا وديسو ان يسوع اخذ يكتب باصبعه على الارض خطايا كل واحد من الواقفين مع اسمائهم . فكتب « عبداد قتل في القفار صديقه مودار وهوران خدع امراة بونان واخرجها من بيتها ومونان اكره امراة ارفيد على الفجور » فلما راى الواقفون انه سيكشف اسرارهم كلها خرجوا هاربين . وقد روت خبر هذين الاكتشافين مجلة المجلات الفرنسوية

❊ الاسلاك البرقية وداؤها ❊ عرض المسيو رنس من مهندسي مصلحة التلغراف الفرنسوية على المجمع العلمي الفرنسوي مسالة علمية مختصة بفناء الاسلاك التلغرافيـة . فانه ظهر له من ابحاثه الكثيرة ان الاسلاك التي يجري عليها مجرى كهربائي مستمر الجري الى جهة واحدة يصيبها ضعف قد ينتهي بتلفها خلافاً للاسلاك التي يجري عليها المجرى الكهربائي ذهاباً واياباً كأن التجويف الذي يحدثه فيها مجرى الذهاب يزيله مجرى الاياب . ولذلك يجب ان تكون المخابرة على الاسلاك مزدوجة اي ذهاباً واياباً

❊ الحمير المصرية ❊ تكلمت جريدة وزارة الزراعة الفرنسوية عن حمير مصر فقالت ان مصر اهم البلاد التي يصدر منها الحمير والحمار فيها يقوم بخدم جليلة ولا سيما في السكك الضيقة والآكام الموازية للنيل . وهو صنفان الابيض السوداني وهو احسنها والاعتيادي وهو الاسمر . والاول يُتخذ لركوب الاكابر وربما بلغ ثمنه من الف فرنك الى ١٢٠٠ فرنك (كذا) اما الحمير الاعتيادية فثمن الواحد منها منماية الى ١٢٥ فرنكاً ويقدرون عدد الحمير في مصر بمائة واربعين الف حمار وقد صدر منها الى فرنسا فعاشت فيها وتناسلت . ثم وجهت هذه الجريدة انظار الحكومة الى استعمال هذه الحمير في املاكها في الصين ومدغسكر لانها نافعة في البلاد التي هي كثيرة الوعور والجبال

❊ خطر الترامواي ❊ هبت زوبعة في كونكتيكوت من اعمال انكلترا الجديدة فاقتلعت شجرة والقتها على سلك الترامواي الكهربائي . واتفق وجود سلك تلغرافي بجانب سلك الترامواي فما مسته اغصان الشجرة حتى سرت كهربائية سلك الترامواي اليه وانتقلت الى اقرب مكاتب التلغراف فاضرمت النار فيه بسرعة البرق ففرّ المستخدمون ولو لم يزيحوا الشجرة عن السلكين لما قدر احد على اخماد النار

❊ احدى عجائب التنويم المغنطيسي ❊ اتى طبيب اميركي في كلسفكتون في هذا العام بفتاة تُدعى مس مود ماتيوس فنومها نوماً مغنطيسياً وامرها ان لا تفيق من نومها حتى يامرها بذلك . ثم جاء بتابوت ووضعها فيه وهي نائمة واخذ التابوت الى المقبرة فحفر لها حفرة ووضع التابوت فيه ثم طمر الحفرة بالتراب وراح لسبيله . وبعد مدة عاد الى القبر ونبش الحفرة واستخرج التابوت امام الناس فوجد انها ما زالت مستغرقة في النوم فانحنى عليها وقال لها كلمتين في اذنها يامرها بهما ان تنتبه وتنهض ففتحت الفتاة عينيها في الحال ونهضت من تابوتها وسلمت على الذين حولها . قالت المجلة التي روت هذا الخبر ولو صنع هذا الطبيب مثل

ذلك في بلادنا لالقت الحكومة القبض عليه في ساعة واحدة

✻ النحل لحمل الرسائل ✻ كانوا يستعملون الحمام الزاجل في الحروب وغيرها أما الآن فانهم اخذوا يستعملون النحل ايضاً . وذلك انهم يكتبون بخط دقيق جداً على ورقة دقيقة جداً ويلصقونها بالنحلة فتحملها النحلة وتقطع السهول والجبال عائدة الى قفيرها الذي اخذت منه . وهي تفضل الحمام من حيث انها تمرّ دون ان يراها العدو ولذلك فانه لا يتمكن من صيدها

✻ اكتشاف داء للكتاب ✻ اكتشفوا داء جديداً يصيب الكتاب الذين يُطلب منهم ان يكتبوا في وقت محدود شيئاً كثيراً محدوداً فان الاسراع في الكتابة الى ذلك الحد يهيج الفكر ويجهد الدماغ فربما اصيب صاحبه بما لا تحمد عاقبته . وهم يشبهون الكاتب المسرع الى هذا الحد بالصاعد جبلاً ركضاً فانه لا يلبث ان يفقد قواه كلها . وهذا القول يصدق على كتاب الجرائد اليومية الذين يجب ان تكون اقلامهم كالبرق في خفتها وسرعتها وليس له من دواء غير التاني لاراحة اعصاب الدماغ واخماد ثورة الفكر

✻ سبب رحلة الامبراطور غليوم الى فلسطين ✻ ذكرت احدى الجرائد الاميركية ان السبب في رحلة الامبراطور غليوم الى فلسطين هو ان الاطباء اشاروا على الامبراطورة بالسياحة وتبديل الهواء لانها مصابة بالسل . وقد ارسل ولي العهد للخدمة العسكرية خارج برلين لانه مستعد استعدادها لهذا الداء اذ لم يسبق ان ولي عهد خدم في العسكرية خارج برلين . وقد كان لهذه الاشاعة دوي شديد . ومما جعل الناس يصدقونها ما ذكرته احدى الجرائد الالمانية من ان الامبراطورة اصبحت نحيلة الجسم وقد اصفر وجهها بعد جماله ورونقه . فعسى ان لا يكون هذا الخبر صحيحاً لان هذه الامبراطورة الفاضلة من اعقل الامبراطورات . وغير بعيد ان يؤولوا غداً سفر ولي عهد المانيا الى فلسطين كما اولوا سفر ابيه . اما ما روته بعض الجرائد الاوربية من ان الحكومة العثمانية طلبت من امبراطور المانيا ان يؤجل سياحة ابنه لان اهالي سوريا وفلسطين مستاؤون من الالمان فتخشى ان يقوموا بمظاهرة ضده فهو افتراء محض على ادب اهالي سوريا وفلسطين لانهم ارفع ادباً من مخاشنة ضيوفهم حتى ولو كانوا مستائين منهم

نوجه الانظار الى كلمات على ظهر المجلة

عادات واخلاق

ننشر في هذا الباب نتفاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء

ملاحظات صحافية

الدفاع عن النفس واجب على الانسان حتى ان القانون يجيز لك القتل دفاعاً عن نفسك ضد من يطلبها . ومن المبادىء الفلسفية المقررة لدى جميع الفلاسفة « لا تترك حقك يُداس من غير معاقبة دائسه » ومعلوم ان البشر يختلفون عقولاً واخلاقاً . فزيد يردعه عن الاعتداء عليك ان تُذكره باصغر مبادىء الادب وبكر لا يردعه الا ان تقابل اهانته بمثلها . فبناء عليه يجوز ان تحارب بالسلاح الذي يحاربونك به . اما مبدأ « من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر » فاحفظه للمتدينين المنصفين الذين يعتبرون سكوتك عقلاً لا عجزًا فان هؤلاء قلّما يعتدون اعتداء يثير النفس الى حد الغضب . فاذا سكت عنهم كنت رابحاً لا خاسرًا

الفضل الحقيقي لا في تقريظ اعمال غيرك مثل قولك انني أوّلف لا اترجم وإن جريدتي ارخص الجرائد قديمها وحديثها اي ان الستين اقل من الاربعين والعشرة اكثر من العشرين . ولا في امتداح النفس . بل الفضل الحقيقي في ان تترك القراء يحكمون على عملك وعمل غيرك ويقابلون بينهما . والقراء الافاضل يرون ان كتابنا لا بد ان يعتمدوا على اساطين العلم من الافرنج والا زلت اقدامهم وعلموا الناس خطأً يسمونه تاليفاً فاضروا من حيث ارادوا ان ينفعوا . او انهم يعتمدون على الغير ويقولون انهم يؤلفون او انهم يكتبون فلا يفيدون . ومع ذلك فاذا قيل هذه مقالة لخصها فلان الكاتب عن نيوتن او افلاطون مثلاً وهذه مقالة الفها هذا الكاتب بهذا الموضوع فايهما يُطالع العقلاء . لا ريب انهم ينبذون الثانية ويطالعون الاولى لانهم يطالعون علماً بحتاً واثقين انه غير مشوب بخطاء

اذا رايتَ اناساً يغضبون من رجل يذود عن نفسه وعن ذويه ويدافع عن مبادئه ومبادئهم بكل ما في نفسه من قوى الامانة لما فلا تعباً بغضبهم واعلم ان ذلك الرجل يستحق صداقتك واحترامك ولو كان قوله فيك . اذ ما اقلّ الذين يكتبون عن اقتناع لا تشفياً

من اشخاص ولكن دفاعاً عن مبادئ يقررونها في نفوسهم وتكون هذه النفوس مستريحة معها

اعظم ما يتمناه عقلاء الصحافيين المسالة التالية وهي : مهما اختلفت مبادئ الرصفاء مهما تصادمت مصالحهم . مهما احتكت عواطفهم . يجب ان يذكروا انهم بشر تجمعهم جامعة اللغة والجنس والوطن فضلاً عن الرفقة الصحافية والمبادئ الادبية . فاذا ذكروا ذلك في اوقات الغضب خمدت حدتهم وكانوا احسن معاملة لبعضهم البعض . واذا زادوا على ذلك انهم نصبوا انفسهم لتعليم الناس الحقيقة والادب والاعتدال الذي هو اساس كل فضيلة ندموا على كثير من الاقوال التي قالوها

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

ملك السلام

القيصر نقولا الشاب — والرئيس كروجر الشيخ

ولكن لما انقضت سكرة الدهشة والعجب وعلم الرئيس كروجر انه واقف لدى القيصر تحولت جرأته كلها لا الى جبن فان رجلاً مثله عرك الدهر لا يجبن ولكن الى ضعف . فاضطربت احشاؤه وصعدت الدموع دفعة واحدة الى عينيه فبسط اليه يديه وقال باكياً

— هكذا تتركنا وتتخلى عنا

ولا شيء يؤثر في الشبان مثل بكاء الشيوخ . فترقرق الدمع في عيني القيصر فاومأ اليه ان يجلس ثم جلس وجلست الامبراطورة سي تاي هو ايضاً . فقال القيصر بهدوء

« ما كنت تريد ان اعمل ايها الرئيس

فاجاب كروجر . تسالني ما كنت اريد . الامر بسيط جداً . كنت اريد ان تمد يمناك القادرة وتقول للذين هاجمونا لسلب بلادنا : ان السلب غير جائز في القرن التاسع عشر على مرأى من جميع الامم المتمدنة

فابتسم القيصر . وقال . ذلك ما ينطبق على مصلحة الترانسفال وحدها ولكنه من سوء الحظ لا ينطبق على مصلحة الامم المتمدنة بالعموم ولا على مصلحة روسيا بالخصوص . اما الامم المتمدنة فانها تخشى الحرب العمومية من وراء المداخلة والحرب العمومية تخرب العالم وتعيد التمدن قرناً الى وراء . واما مصلحة روسيا فهي الآن السلام . السلام قبل كل

شيء . السلام بقطع النظر عن كل شيء . وقد يقولون عنا اننا لا نحب السلام لذاته بل لان مصلحتنا اليوم فيه اذ علينا تمدين شعبنا واتمام مد سككنا . فليقولوا ما يقولون فان السلام عندنا مقدم على كل شيء مها كانت اسباب التقديم

فقال كروجر مبهوتاً . تقدمون السلام على كل شيء ولو كان سلاماً غير شريف؟

فلمع عند هذا القول برق غريب في عيني نقولا الثاني وقال باسماً . لو يقول احد غيرك هذه الكلمة

فقال كروجر وقد علم انه تهور في قوله ولكن جلالتك تذكر مصلحة اوربا وروسيا دون ان تذكر مبدأ اوربا وروسيا . فهل المصلحة مقدمة على المبداء ايضاً

فقال نقولا كلا ليست المصلحة مقدمة على المبداء في العالم كما ان المبدأ غير مقدم على المصلحة لانهما كليهما متلازمان متفقان فحيث يكون المبدأ تكون المصلحة وبالعكس . ولا يبحث الانسان في تقديم الواحد على الثاني الا متى حدث تناقض بينهما فيقدم حينئذٍ المبدأ على المصلحة بلا جدال لان المبدأ شيء ادبي والمصلحة شيء مادي والادبي مقدم على المادي دائماً . ولكننا هنا لا نتعلم فلسفة يا كروجر ولا نعلم ادباً . فقل لي وابن لي اين التناقض بين مبداءنا ومصلحتنا . اما انتم الذين اعتديتم اولاً وقدمتم ذلك الانذار . ومبدأنا كراهة الاعتداء

ولكن ما اتم القيصر كلامه حتى دخل احد حراس الامبراطورة مهرولاً وقال البرنس شنغ في الباب يامولاتي . فقالت سي تي هو خيران شاءت الآلهة ماذا اتى به . ادخله . فدخل البرنس شنغ وهو محني الراس فدنا من الامبراطورة وسلمها كتاباً ووقف ينتظر

ففضت الامبراطورة الكتاب ولكنها ما قرأت اول سطوره حتى اخذت تبتسم ثم قالت بعد الفراغ منه . اتفاق كبير بين المانيا وانكلترا بشان حفظ استقلال بلادنا . فما اغرب هذا الاتفاق . بل ما اغرب هؤلاء الناس الذين يتفقون على حفظنا ونحن لا خطر علينا الا منهم . ثم ناولت الكتاب الى صديقها نقولا

وكان القيصر قد عبس اما كروجر فسطع في عينيه الضعيفتين برق لانه راى انه وجد حجة جديدة يدعم بها كلامه فلبث منتظراً . واخذ القيصر يقرأ وهو ساكت حتى اتى على آخر مواد الاتفاق الاربع . فطوى الكتاب ثم قام بهدوء الى مائدة هناك وتناول قلماً فكتب رقعة وطواها وختمها ثم ناولها الى الامبراطورة قائلاً . هل تاسر جلالتك بايصال هذه

الرسالة الى السفارة الروسية في بكين على يد البرنس شنغ . فتناولتها الامبراطورة ودفعتها الى البرنس . فرأى كروجر على الرسالة في مرورها امامه هذا العنوان « جناب المسيو ويت وزير المالية الروسية »

وبعد خروج البرنس شنغ انحنى كروجر باحترام امام القيصر وقال . هل لجلالتكم الآن ان تقولوا ايضاً ان تركَكم انكلترا علينا كان منطبقاً على مصلحتكم

وكان القيصر قد اشتغل باله ولكنه كان هادئاً هدوء الحكماء الذين مهما اصابهم الدهر بحوادثه فان حكمتهم تعطيهم قوة تكون فوق كل شيء . فاجاب وما تعني بهذا القول

قال اعني انك بتركك انكلترا تنتصر علينا وتحشد ٣٠٠ الف جندي من جنودها قد عملت عملاً غير منطبق على مصلحة بلادك . واسمح لي يا مولاي ان اخاطبك بهذه اللهجة الابوية فانني شيخ ويجوز للشيوخ ما لا يجوز لغيرهم . ساقرأ غداً تفاصيل الاتفاق الانكليزي الالماني في الجرائد ولكني اعلم الآن معناه من غير وقوف عليه . اما جاء فيه ان انكلترا تتعهد بحماية الصين من كل دولة اخرى . فمن هي هذه الدولة التي تريد انكلترا حماية الصين منها غير دولتكم . اليوم تقول انكلترا هذا القول وغداً تقول اشد منه ويحتمل ان تجترئ عليكم فيما بعد بما لا يحبه محبوكم فيكون ذلك كله ناشئاً عن انها رأت في نفسها القوة في هذه الحرب وفيكم الضعف فازدادت جرأة واقداماً . فهل ينطبق هذا على مصلحتكم

فابتسم القيصر ابتساماً في فمه لم يمسح العبوسة التي كانت بادية في عينيه وجبينه فكأنه ضحك بعين وعبس باخرى . ثم قال اتعرف يا كروجر ما هذه الرسالة التي ارسلتها . فاجاب كروجر كلا . فقال القيصر هي امر بعثته الى وزيري دي ويت ناظر المالية وهذا نصه « امر الى وزير المالية بان يكتب الى حاكم غلاسكو في انكلترا بان روسيا ترضى بالاشتراك في معرضها وهي تؤمل ان يكون هذا الاشتراك خطوة في سبيل الوداد والسلم بين البلادين »

فضحكت الامبراطورة مي تاي هو ومدت يدها الى القيصر وصافحته قائلة . احسنت احسنت وقد فهمت مرادك

اما كروجر فانه لم يفهم فبقي مبهوتاً

كروجر الشيخ الحكيم . كروجر الداهية الذي شهد بسمارك بانه ما دخل في بحث او مسألة معه الا وخرج بسمارك مغلوباً . كروجر الذي ابيض شعره في السياسة والادارة والدهاء . لم يفهم مراد القيصر الشاب الذي لم تمض على ملكه بضعة اعوام

فيا ايتها الشيبة . اذا كانت الشيخوخة تسبقك عادة في ارتقاء مدارج الحكمة والعلم والسياسة

فانك بوثبتين قد تبلغينها وتسبقينها ايضاً .

ولما راى القيصر نقولا ان كروجر لا يزال مبهوتاً نظر اليه نظرة تنفذ الى اعماق القلوب وقال بهيئة امبراطورية « انا ازيل حيرتك . السياسة الانكليزية اظهرت بهذا الاتفاق انها غير واثقة بروسيا . والذي لا يثق بالناس لا يستحق ان يوثق به . ولذلك يميل الناس عنه . والذي يثق بالناس يدل بذلك على انه اهل لثقة الناس ولذلك يميلون اليه . وانا يهمني جداً ان يميل الناس الى روسيا في سياستها وان يكون الراي العام الانساني معها لا عليها

«اذكروا معاركم الكبرى مع الانكليز . او تحسبون انكم كنتم تغلبون بقوتكم فقط . كلا وانما كنتم تغلبون بقوة الراي العام الذي وراءكم يشد ازركم ويقوي سواعدكم . ان هذا الراي العام من اقاصي الشرق الى اقاصي الغرب . من بلاد المتوحشين الى بلاد المتمدنين . كان معكم يدفعكم الى الامام بقوته فهو سبب من اعظم اسباب قوتكم وان كان واأسفاه من اعظم اسباب انسحاقكم ايضاً . فالراي العام اذاً قوة للافراد والشعوب وعلى كل انسان أن يهتم باستمالته اليه

« ولكن انظر ما ابدع نواميس الكون الالهية . ان هذا الراي الذي هو قوة عظيمة لا يُستمال الا بالاعمال الحميدة التي تنشأ عن الاعتدال وحب الخير وكراهة الشرور . ولذلك بنت روسيا سياستها على هذه الامور فصارت اذا رشقتها انكلترا بحجر ردته اليها روسيا وردة . ومن هذا القبيل رسالة دي ويت التي رايتها

وهنا ابرقت عينا القيصر ودبت فيهما حماسة لم تُرَ فيهما من قبل فاردف قائلاً بغضب « فاذاً حدّ غداً الحادث الاكبر . غداً اذا اتى الحادث المنتظر . اذا ارتجت جبال هملايا من وقع حوافر القوزاق ونادى الملاك حامل البوق قد حلت دولة محل دولة فحينئذٍ يذكر البشر اننا كنا المسالمين وغيرنا المعادين . ويعلمون اننا لم نألُ جهداً في اجتناب الحروب والدعوة الى السلام فيكون رايهم معنا لا علينا وكفى بذلك قوة وفخراً لنا »

وما اتم نقولا الثاني هذا الكلام حتى نهض الشيخ كروجر اليه مهرولاً وهو يمدّ يديه ويقول رضيت رضيت الآن ياسيدي بان اكون سكرتيراً لامك ملكة السلام . فساله القيصر وقد خمد غضبه ولماذا . فاجاب كروجر لانني اريد تقبيل تلك اليد الحكيمة التي ربت ملكاً مثلك

فاغرورقت هنا عينا القيصر بالدموع فحول وجهه عن كروجر كي لا يراه . ثم قال

الرسالة الى السفارة الروسية في بكين على يد البرنس شنغ . فتناولتها الامبراطورة ودفعتها الى البرنس . فرأى كروجر على الرسالة في مرورها امامه هذا العنوان « جناب المسيو و يت وزير المالية الروسية »

وبعد خروج البرنس شنغ انحنى كروجر باحترام امام القيصر وقال . هل لجلالتكم الآن ان تقولوا ايضاً ان تركَكم انكلترا علينا كان منطبقاً على مصلحتكم

وكان القيصر قد اشتغل باله ولكنه كان هادئاً هدوء الحكماء الذين مهما اصابهم الدهر بحوادثه فان حكمتهم تعطيهم قوة تكون فوق كل شيء . فاجاب وما تعني بهذا القول

قال اعني انك بتركك انكلترا تنتصر علينا وتحشد ٣٠٠ الف جندي من جنودها قد عملت عملاً غير منطبق على مصلحة بلادك . واسمح لي يا مولاي ان اخاطبك بهذه اللهجة الابوية فانني شيخ ويجوز للشيوخ ما لا يجوز لغيرهم . سأقرأ غداً تفاصيل الاتفاق الانكليزي الالماني في الجرائد ولكني اعلم الآن معناه من غير وقوف عليه . اما جاء فيه ان انكلترا تتعهد بحماية الصين من كل دولة اخرى . فمن هي هذه الدولة التي تريد انكلترا حماية الصين منها غير دولتكم . اليوم تقول انكلترا هذا القول وغداً تقول اشد منه ويحتمل ان تجترئ عليكم فيما بعد بما لا يحبه صبوكم فيكون ذلك كله ناشئاً عن انها رأت في نفسها القوة في هذه الحرب وفيكم الضعف فازدادت جرأة واقداماً . فهل ينطبق هذا على مصلحتكم

فابتسم القيصر ابتساماً في فمه لم يمسح العبوسة التي كانت بادية في عينيه وجبينه فكأنه ضحك بعين وعبس باخرى . ثم قال اتعرف يا كروجر ما هذه الرسالة التي ارسلتها . فاجاب كروجر كلا . فقال القيصر هي امر بعثته الى وزيري دي و يت ناظر المالية وهذا نصه « امر الى وزير المالية بان يكتب الى حاكم غلاسكو في انكلترا بان روسيا ترضى بالاشتراك في معرضها وهي تؤمل ان يكون هذا الاشتراك خطوة في سبيل الوداد والسلم بين البلادين »

فضحكت الامبراطورة مي تاي هو ومدت يدها الى القيصر وصافحته قائلة . احسنت احسنت وقد فهمت مرادك

اما كروجر فانه لم يفهم فبقي مبهوتاً

كروجر الشيخ الحكيم . كروجر الداهية الذي شهد بسمارك بانه ما دخل في بحث او مسألة معه الا وخرج بسمارك مغلوباً . كروجر الذي ابيض شعره في السياسة والادارة والدهاء . لم يفهم مراد القيصر الشاب الذي لم تمض على ملكه بضعة اعوام

فيا ايتها الشبيبة . اذا كانت الشيخوخة تسبقك عادة في ارتقاء مدارج الحكمة والعلم والسياسة

فانك بوثبتين قد تبلغينها وتسبقينها ايضاً

ولما راى القيصر تقولا ان كروجر لا يزال مبهوتاً نظر اليه نظرة تنفذ الى اعماق القلوب وقال بهيئة امبراطورية « انا ازيل حيرتك . السياسة الانكليزية اظهرت بهذا الاتفاق انها غير واثقة بروسيا . والذي لا يثق بالناس لا يستحق ان يوثق به . ولذلك يميل الناس عنه . والذي يثق بالناس يدل بذلك على انه اهل لثقة الناس ولذلك يميلون اليه . وانا يهمني جداً ان يميل الناس الى روسيا في سياستها وان يكون الراي العام الانساني معها لا عليها

«اذكروا معاركم الكبرى مع الانكليز . او تحسبون انكم كنتم تغلبون بقوتكم فقط . كلا وانما كنتم تغلبون بقوة الراي العام الذي وراءكم يشد ازركم ويقوي سواعدكم . ان هذا الراي العام من اقاصي الشرق الى اقاصي الغرب . من بلاد المتوحشين الى بلاد المتمدنين . كان معكم يدفعكم الى الامام بقوته فهو سبب من اعظم اسباب قوتكم وان كان وا اسفاه من اعظم اسباب انسحاقكم ايضاً . فالراي العام اذاً قوة للافراد والشعوب وعلى كل انسان أن يهتم باستمالته اليه

« ولكن انظر ما ابدع نواميس الكون الالهية . ان هذا الراي الذي هو قوة عظيمة لا يُستمال الا بالاعمال الحميدة التي تنشأ عن الاعتدال وحب الخير وكراهة الشرور . ولذلك بنت روسيا سياستها على هذه الامور فصارت اذا رشقتها انكلترا بحجر ردته اليها روسيا وردة . ومن هذا القبيل رسالة دي ويت التي رايتها

وهنا ابرقت عينا القيصر ودبت فيها حماسة لم نُرَ فيها من قبل فاردف قائلاً بغضب « فاذاك حد غداً الحادث الاكبر . غداً اذا اتى الحادث المنتظر . اذا ارتجت جبال حملايا من وقع حوافر القوزاق ونادى الملاك حامل البوق قد حلت دولة محل دولة فحينئذ يذكر البشر اننا كنا المسالمين وغيرنا المعادين . ويعلمون اننا لم نال جهداً في اجتناب الحروب والدعوة الى السلام فيكون رايهم معنا لا علينا وكفى بذلك قوة وفخراً لنا »

وما اتم تقولا الثاني هذا الكلام حتى نهض الشيخ كروجر اليه مهرولاً وهو يمدُّ يديه ويقول رضيت رضيت الآن ياسيدي بان اكون سكرتيراً لامك ملكة السلام . فساله القيصر وقد خمد غضبه ولماذا . فاجاب كروجر لانني اريد تقبيل تلك اليد الحكيمة التي ربت ملكاً مثلك

فاغرورقت هنا عينا القيصر بالدموع فحول وجهه عن كروجر لكي لا يراه . ثم قال

بنفسه « نقبل يد العاملة الكريمة اما يد العامل العظيم فقد ابلاها الدود وافناه

ولكن اذا كان كروجر لم يرَ دموع القيصر فان الامبراطورة مي تاي هو قد رأتها . فقالت في نفسها ان نقولا يذكر الآن اباه لانه لا يبكي الا عند ذكر شعبه وابيه

فباركة انتِ ثلاث مرات ايتها الحكمة اذا سكنتِ نفوس البشر . ومباركة انتِ الف مرة اذا سكنت نفوس الملوك (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ الجناب الخديوي ﴾ برح الجناب الخديوي العالي مصيفه في المنتزه في الثغر عائداً الى عاصمته بالعز والاقبال بعد تمضية اشهر الصيف عندنا فاحتفل بتوديع سموه هنا واستقباله في العاصمة وفي طريقه اليها احتفالاً يدل على ما لجنابه الفخيم من الرفعة والحب في نفوس الامة على اختلاف عناصرها دام محفوظاً من العناية الالهية

﴿ الحوادث الخارجية ﴾ لم تنتهِ مشكلة الصين بعد والمظنون انها لا تنتهي في وقت قريب لان الدول ينظرن الى بعضهن البعض بعين الحذر والاتقاء . وقد ذكرنا في الجزء الماضي اقتراح روسيا ان تعود جنود الدول من بكين وهو اول اقتراح اقترحته الدول . وتلاه اقتراح المانيا ان تطلب الدول من الصين دفع زعماء الفتنة اليها لمعاقبتهم فاجابتها الولايات المتحدة ان ذلك متعذر على الصين اذ يصعب عليها تسليم ابنائها الى الاجانب فضلاً عن ان العقاب بيدها يكون اوقع في نفوس الصينيين . فاقترحت فرنسا بعد المانيا اقتراحين الاول يتضمن الامور التالية : معاقبة الثائرين ودفع غرامة وتعويضات واقامة حراس في السفارات واحتلال بعض المراكز في الطريق بين بكين وتيينتسين وهدم حصون تاكو وغيرها من الاستحكامات . فوافقت جميع الدول على هذا الاقتراح فكان فوزاً ادبياً مهماً للسياسة الفرنسوية . اما الاقتراح الثاني فهو ان تُقدم كل واحدة من الدول الى الصين مطلوبها من حيث التعويض والغرامة . فوافقن عليه ايضاً وصدر الامر الى السفراء في بكين لمخابرة لي هنغ تشنغ والبرنس شنغ المندوبين الصينيين للمفاوضة في عقد الصلح . فاعلن هذان المندوبان السفراء في منشور بالبنود التالية . اولاً ان الصين تاسف لما جرى

وتعد ان هذه الفتن لا تعود · ثانياً انها تعترف بوجوب دفع غرامة · ثالثاً ان الجنود الاوربية تخرج من الصين حينما يتم الاتفاق على هذه الغرامة · رابعاً بما انه قد بدأت المخابرات لعقد الصلح فالصين تطلب ان تكف جنود الدول عن القتال · فاجابه سفير فرنسا بلسان السفراء ان الدول لا تكف عن القتال ما دامت رؤوس زعماء الفتنة فوق اكتافهم

وبينا الدول في هذا القيل والقال واذا بحادث عظيم حدث في لندرا · وهو ان المانيا وانكلترا قد وقعتا فيها على اتفاق مآله (١) ان كل واحدة من انكلترا والمانيا تتعهد بابقاء الموانئ الصينية مفتوحة لتجارة الامم (٢) انهما تتعهدان ايضاً بان لا تغتنما فرصة المشاكل الحاضرة للاستيلاء على اراض جديدة صينية (٣) اذا ارادت احدى الدول ابة كانت ان تستولي على شيء من ذلك فان الدولتين تعقدان اتفاقاً ثانياً لصيانة مصالحهما · (٤) تبلغ الدولتان هذا الاتفاق الى النمسا وفرنسا وايطاليا واليابان والولايات المتحدة وتطلبان موافقتهن عليه · فقامت قيامة الساسة والجرائد لان هذا الاتفاق عُد بمثابة انفصال المانيا وانكلترا عن الاتحاد الاوربي ورغبتهما بمقاومة روسيا · فكأن المسالة الصينية قد تاخر حلها ولم يتقدم خطوة واحدة

اما الترانسفال فقد سافر رئيسها كروجر قاصداً اوربا ولا تزال المناوشات قائمة قاعدة فيها مما يدل على ان هذا القتال لا ينتهي قريباً

ومن اهم الحوادث في هذا الشهر زيارة جلالة الشاه مظفر الدين شاه الفرس لجلالة



جلالة مظفر الدين شاه على عرشه الذهبي
وهو محاط برجال دولته

السلطان الاعظم في الاستانة زيارة كان لها صدى في جميع اقطار العالم وقد عاد الشاه منها الى بلاده عن طريق بودابست و بطرسبرج ويقال انه انفق في سياحته ٢٢ الف فرنك في كل يوم · وقد نشرنا هنا رسم جلالته بلغه الله عاصمة بلاده بالسلامة والهناء

مدام جول سيمون

Mme Jules Simon

نعت اخبار باريز في هذا الشهر المرحومة السيدة الفاضلة مدام جول سيمون استاذنا الفيلسوف الشهير · وقد كانت رحمها الله من فضليات النساء وكفى دليلاً على فضلها انها كانت من اكبر مساعدي قرينها العظيم في سرائه وضرائه على الاعمال العظيمة التي قام بها · فنحن نتقدم الى حضرات نجليها الفاضلين الدكتور جوستاف سيمون والمسيو سيمون رئيس سكرتيرية مجلس الشيوخ وسائر آلها الكرام بفروض التعزية ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه ويلهمهم الصبر الجميل

❋ قرينة نعمة الله كرم ❋ نعيت من اسكلة طرابلس الشام الماسوف عليها المرحومة قرينة حضرة الخواجا نعمة الله كرم استاثرت بها رحمة الله عن عمر صرفته بالصلاح وقد احتفل بتشييع جنازتها احتفالاً كبيرًا فنحن نشارك جميع آلها الكرام في حزنهم ونسال الله ان يرحم فقيدتهم رحمة واسعة و يعطرها سحائب الغفران

❋ والدة اسعد وابرهيم مظهر ❋ نعزي حضرات الفاضلين الخواجات اسعد وابرهيم مظهر في دمنهور بوفاة المرحومة والدتهما في لبنان سائلين لهم ولسائر آلهم الكرام نعمة الصبر والسلوان ولفقيدتهم واسع الرحمة والغفران

❋ عيسى يازجي ❋ نعزي حضرة الشاعر الاديب عبد الله افندي يازجي في مرمريتا الحصن بوفاة نجله عيسى ونسأل له الصبر الجميل على فقده

(تولستوي) ذكرنا في صدر هذا الجزء خلاصة فلسفة تولستوي وحرم المجمع المقدس له · وبعد كتابة ما تقدم راينا في رصيفتنا جريدة الهدى الغراء التي تُطبع في فيلادلفيا ان جريدة النورث اميركان التي تُطبع في تلك المدينة بعثت تسأل تولستوي عن الحرم فاجابها بتلغراف معناه « لم يحرموني ولكنهم منعوا اقامة جناز على جسدي الفاني بعد موتي وانا راضٍ بهذا المنع »

الفصل الثلاثون

(انتصار يتو)

وبعد ان اصبح يتو قائداً رسمياً للحرس الوطني في هرامونت بامر من الجنرال لا فايت دعا جنوده وامرهم ان يختاروا لهم ضابطين يساعدانه في قيادتهم . فوقع اختيارهم على المدعوين تليه ومايكه ثم سألوه ان يبدأ بتجريبهم وتدريبهم على الحركات العسكرية لانهم كانوا في غاية الشوق الى ذلك فاجابهم يتو كيف يكون التمرين من غير بنادق فقال مساعداه فلنسع اذاً للحصول على البنادق على عجل فان الامر الذي لدينا كاف لارغام الاب فورتيه على تسليمنا ما نريده منها

فذهب يتو الى شيخ القرية واطلعه على هذا الامر يسأله ان يرافقه الى مدرسة الاب فورتيه لاخذ السلاح منها لجنوده فاطاع الشيخ وسار الى المدرسة مع يتو ومساعديه وهم اركان حرب جند هرامونت

ولما وصلوا الى المدرسة كان الاب فورتيه يحادث سيباستيين ابن الدكتور جيلبار في الحديقة ويبرهن له ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق الصالحة وانه بما ان الاجتماعات المضرة تعقد في كل المدن والقرى فالاجدر بالعاقل اجتنابها ليبقى اميناً لملكه ووطنه

ولكن واأسفاه ان الاب فورتيه كان يعني بقوله لهذا الولد « اميناً لملكه ووطنه » خلاف ما يعنيه جيلبار ابوه بهاتين الكلمتين لان كل واحد من المعلم والاب كان يفسر الامانة كما يراها فكأنَّ الاب فورتيه بذلك يغرس في نفس سيباستيين ما يناقض مبادئ ابيه

ولما دخل شيخ هرامونت الى المدرسة وابصره الراهب بادر اليه مسلماً وقائلاً . ما وراءك يامسيو لونيره

فاجاب الشيخ اتيتك ياحضرة الراهب بناء على امر من الحكومة . فقال الراهب وما هذا الامر . قال ان الحرس الوطني في هرامونت يطلب سلاحاً وقد جئت مع وفد من قبله لنطلب منك حاجته منه

ولم يأت الشيخ على هذه الكلمات حتى برز يتو

فصعد الدم الى راس الاب فورتيه وصاح بيتو . لئيم . وغد . سافل . جئت مرة ثانية لتسرق مالي . فرفع يتو راسه وقال ما جئت اسرقك ياحضرة الراهب وانما جئت بناء

على امر من الحكومة اسالك اعطاءنا حاجتنا من السلاح الذي عندك

اما شيخ القرية فانه حول وجهه وسكت لانه كان يرغب في مسالمة الفريقين

و بعد جدال طويل واحتدام الاب فورتيه غيظاً وغضباً مرارا دخل بيتو ومساعداه وشيخ القرية الى مخزن السلاح واخذوا منه ثلاثاً وثلاثين بندقية على قدر عدد الجنود ثم اخذ بيتو لنفسه بندقية ضابط وسيفاً مستقيماً كسيف الجنرال لافاييت وعادوا بعد ذلك آمنين الى القرية

اما الراهب فكان عند خروجهم من منزله ملقى على كرسي من يأسه وغيظه وراسه بين يديه وهو يفكر في مصيبته

ولما وصلوا الى القرية وزع بيتو البنادق على جنوده ففرحوا بها فرحاً شديداً وطلبوا منه الشروع في تعليمهم . فوعدهم بيتو بان يعلمهم في اليوم التالي

وهنا مصيبة بيتو الجديدة . مصيبة حرمته الرقاد في تلك الليلة . فان هذا الولد المسكين كان لا يعرف شيئاً من اصول التعليم العسكري وهو يجهل كيف نقل البندقية . فماذا يحدث غداً عند افتضاح امره ومعرفة الناس جهله . الا يسقط من شاغ مجده و يصبح سخرية لكل الناس . فكيف العمل لتلافي سقوطه

وكان بيتو يفكر في ذلك وهو ملقى في ظلام الليل على فراشه يتقلب عليه تقلب الملسوع . فلا قيصر حين وقوعه في ادغال غالية الموحشة ولا انيبال عند تيهه بين الثلج في جبال الالب الشاهقة ولا كولومبوس حين مسيره الى المجهول على سطح الاوقيانوس العظيم — لا احد لم يفكر اكثر مما فكر به بيتو في تلك الليلة

وبينا هو يفتكر ابرق شيء على حين بغتة في فكره فهب من نومه كمن لدغته حية وصاح كما صاح ارخميدس « وجدتها وجدتها »

ثم انه نهض ونادى مساعديه في قيادة جيش هرامونت وابلغهما ان تدريب الفرقة سيكون بعد غد لا غداً . فساله الرجلان عن سبب هذا التاخير فقال لهم بيتو بهيئة جدية تعلموا منذ الآن ان تطيعوا القائد من غير اعتراض حين صدور امره . فسكت الرجلان احتراماً وخرجا لابلاغ الجنود امر القائد

فما غابا عن الابصار حتى خرج بيتو من غرفته فاغلق الباب ثم سار ركضاً في ظلام الليل نحو الجانب الكثيف من الغابة طالباً ما حسبه يفرج كربته . وكانت الساعة الحادية عشرة

الفصل الواحد والثلاثون

(رجل في الطبيعة)

وبقي بينو راكضاً نحو الجانب الكثيف من الحرش حتى قطع مسافة بعيدة · ولو رآه حينئذٍ احد الاهالي سائرًا في هذه الجهة لعلم انه يقصد الاب كلويس

ومن هو الاب كلويس

الاب كلويس رجل في التاسعة والستين من العمر كان جندياً منذ سنوات بعيدة فاصيب برصاصة في فخذه فعجز عن العمل فاذن له الدوق دورليان بان يبتني كوخاً في حرشه و يعيش فيه من صيده · ولكنه لم ياذن له بان يطلق سوى طلق ناري واحد في اليوم اعتمادًا على انه يقتل في كل طلق ارنباً فيبلغ مجموع صيده في السنة ٣٥٦ ارنباً وهو قدر كاف لمعيشته سواء من لحم الارانب او من بيعها · ذلك ان الاب كلويس كان مشهورًا في فرقته بانه لا يطلق رصاصة من بندقيته الا ويقتل بها اثناء القتال انساناً فاذا كانت هذه القاعدة مطردة في الانسان وجب ان تكون كذلك في الحيوان · وهكذا كان

وكان الاب كلويس يعيش في الطبيعة خالياً من هموم الاجتماع واقذار الحضر الا ان كثيرين من الاشراف كانوا يقصدونه ويضعون نقودًا في يديه ليروا كيف ان هذا الرجل يقتل في كل رصاصة ارنباً دون ان يخطئ مرة في حياته · فكان يجرب ذلك على مرأى منهم فيعجبون بمهارته · وكانت هذه التجربة تأتيه بدخل غير قليل

وفضلاً عن ذلك فان قوة الاختراع تقوى في الذين ينفردون للتامل او للمعيشة على حدة ولذلك خطر للاب كلويس امر جديد · فانه كان على مقربة من كوخه بلاطة مخنية ملساء فجعل الاب كلويس يُشيع بين اهالي تلك الجهات ان كل البنات اللواتي يزلقن على البلاطة في يوم القديس لويس اي في ٢٥ اغسطس فانهن يتزوجن في تلك السنة بلا شك فجاءه في بدء الامر ثلاث فتيات وزلقن عليها فتزوج منهن فتاتان في تلك السنة · فازداد الاقبال على صخرة الاب كلويس · وكان الفتيات يدفعن له شيئاً من النقود رسماً مفروضاً على الزالقات فكان يقول لمن ازلقن فتياتٍ وشباناً في آن واحد فالتي تكون حسنة النيـة تتزوج بلا شك في هذا العام والتي لا تكون حسنة النية فاللوم عليها لا على الصخرة · وهكذا كان يتخلص من الملام بهذه الحيلة · ثم انه خطر له لزيادة ايراده من هذا اليوم ان

يوجب على الزائقين والزائقات ان يبتاعوا طعامهم في ذلك اليوم من عنده واحضر لهم اطعمة مختلفة · فكان يربح من ذلك ومن ضيوفه النبلاء الذين مرَّ ذكرهم ومن بيع الارانب ارباحاً يخزنها لانه كان لا ينفق شيئاً

هكذا كانت معيشة الاب كلويس في تلك الغابة وقد انقضت عليه ٢٥ عاماً على هذا المنوال حين سار بيتو اليه · وكان امره مشهوراً في تلك الجهات كلها

الا ان الاب كلويس كان من سوء حظ بيتو قد اصيب في اليوم الذي قصده فيه بمصيبة لم يُصب بمثلها منذ بداية معيشته فانه كان يطلق بندقيته العزيزة على ارنبة فانفجرت البندقية وانجرحت يده ثم — وا اسفاه — نجت الارنبة

فكانت هذه الارنبة هي الارنبة الوحيدة التي اطلق عليها النار منذ ٢٥ عاماً ونجت من بندقيته

اما يد الاب كلويس فانه ضمدها بشيء من الورق الممضوغ ولكن كيف السبيل لجبر كسر البندقية · لذلك كان حزنه على بندقيته العزيزة التي فقدها اشد كثيراً من حزنه على انسحاق اصبعين في يده · ومن اجل هذا كان الاب كلويس راقداً في كوخه تلك الليلة وهو في منتهى الحزن والغضب

فلما وصل بيتو الى الكوخ وكان يعرف مقره احدث حركة شديدة لينتبه الاب كلويس فسمع من داخل الكوخ في وسط هدوء الليل في تلك الاماكن الخاوية الخالية زئيراً يحكي زئير الاسود · فخاف بيتو ونادى · ايها الاب كلويس · فاجابه صوت اجش من الداخل قائلاً بغضب من انت · فقال انا بيتو · قال من هذا بيتو · قال انا انج بيتو من هرامونت فصاح الاب كلويس وماذا يهمني ان تكون بيتو وان تكون من هرامونت · اذهب لشانك ودعني وشاني

فتلطف بيتو معه ووعده بالجائزة اذا سمع له ثم دخل عليه وقص عليه قصته وقال له انه يطلب منه ان يعلمه التمرين والتدريب العسكري وهو يعطيه جزاء ذلك ما يشتهي ويريد

فابرقت هنا اسرة ذلك الشيخ وهب من فراشه صائحاً — تعطيني ما اشتهي واريد اذا علمتك الحركات العسكرية احسن تعليم · فاجاب بيتو نعم مهما اردت · فصاح الرجل وقد ذكر بندقيته المفقودة انني اريد جزاء ذلك بندقية

فاجاب بيتو عندي بندقية ضابط اخذتها اليوم فساحضرها لك غداً

فابتهج ذلك الشيخ ونهض الى بيتو ليعلمه فخرج به من الكوخ الى بقعة متسعة بين الاشجار وهناك في ذلك الهدوء العظيم بين حفيف الاشجار وهبوب النسيم وانعكاس اشعة القمر الفضية عن زمرد الاوراق اخذ الاب كلويس يعلم بيتو الحركات العسكرية من نقل البندقية والتسليم والزحف النظامي . ولو رآهما احد وهما يروحان ويجيئان في ذلك الظلام بين الاشجار الواسعة بحركات تارة عنيفة وطوراً خفيفة لحسبهما شبحين من عفاريت الجن يمرحان في الظلام في تلك الغابة

الفصل الثاني والثلاثون

(كاترين تلجأ الى الدهاء والسياسة)

ولما عاد بيتو في تلك الليلة الى فراشه بعد ما تعلمه من الاب كلويس كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فنام مستريح البال . ولكنه حلم في نومه انه يعلم في ساحة عسكرية جيشاً خضماً فيدير حركاته باوامره احسن ادارة . ولما نهض في اليوم الثاني استدعى مساعديه في قيادة الحرس الوطني واخذ يعلمها بهيئة جديدة ونزق الحركات التي تعلمها في الليل من الاب كلويس . فاعجب المساعدان بمهارته

وما امسى المساء حتى تناول بيتو بندقيته وسار نحو كوخ الاب كلويس ليفي وعده له ويكمل تعليمه ولما عاد هذه المرة من لديه كان عالماً بجميع الحركات العسكرية فتنفس الصعداء واصبح يرى نفسه قوي القلب ساكن الجاش بعد ضعفه واضطرابه

وهذا شأن المعرفة والجهل فان المعرفة تجعل الانسان قوياً دائماً والجهل يجعله ضعيفاً دائماً

وفي صباح اليوم التالي اجتمع جند الحرس الوطني بساحة القرية فاجتمع الاهالي عليه . ثم جاء بيتو الى الساحة شامخ الراس جريء القلب وسيفه الى جانبه فتناول كل واحد من الجند بندقيته واصطفوا في ساحة التعليم

فتقدم منهم بيتو بقلب مطمئن واخذ يعلمهم ما تعلمه وهم خاضعون له مصغون اليه كما يصغي الجنود الى قائد عظيم . واستمر على هذا التعلم شهرين فاتقن حرس هرامونت تلك الحركات احسن اتقان . وكان بيتو يثني على اجتهادهم وذكائهم وهم يزدادون حباً له وتعلقاً له

ولما اتقنوا الحركات العسكرية صار يجب تعليمهم المناورات فسافر بيتو بضعة ايام الى سلسون وحضر هناك مناورات الجيش ثم عاد وقد تعلم المناورة

ان الانسان اذا تامل في الارتقاء العظيم الذي يبلغه بعض الافراد راى ان ذلك الارتقاء قد نشأ اما عن قوة ارادة الانسان وشدة سعيه واما عن عدم اكتراثه بامور الحياة. في ان ارتقاء بيتو ناشيء عن هذين الامرين معاً . فان ارادته كلها انصرفت الى الصعود الى سلم الاجتماع فكان يسعى الى ذلك بكل قواه وهو غير مكترث الا بالشيء الذي صرف فكره اليه

ولكن لما بدأ بيتو بالصعود واصبح مشهوراً ومحبوباً في هرامونت وضواحيها اخذت تعود اليه عاطفة الاهتمام بكاترين فكان كثيراً ما يسير في الحرش على غير هدى لعله يراها او يرى من يراها . وكان كلما وقعت عيناه على املاك شارني وراء الحرش البعيد تنهد من اعماق قلبه وحسد ذلك الرجل الذي كان سعيداً بحب من يحبه على حين ان كل شيء حوله كان يتعذب ويشقى في ذلك الزمان

وكان بيتو لو اراد في استطاعته ان يحب اجمل بنات القرية والضواحي لانهن كن يتزلفن اليه كل حين ولكن قلبه كان عالقاً بكاترين ولا يبغي منها بديلاً . فقال يوماً في نفسه وهو تائه في الحرش على وجهه لا يلوي على شيء لقد جربت استمالتها باللطف وحسن المعاملة فلم اقدر عليها فلماذا لا اجرب العنف

وكان بيتو موقناً ان بيلو لو علم بميل ابنته الى ذلك الشاب الشريف فانه يقتلها لساعته فخطر له ان يتخذ هذا الفكر سلاحاً ضد كاترين . وكان بيتو قد ابتاع كتباً عسكرية صدرت في ذلك الزمان فاخذ منها كتاباً وسار نحو الجهة التي يعلم انها طريق كاترين الى املاك شارني حيث اعتادت ان تلتقي بالمسيو ايزيدور الشاب اللطيف . ولما وصل الى هناك جلس في ظل شجرة واسند ظهره الى جذعها ثم فتح الكتاب واخذ يقرأ

وفي الحقيقة انه لم يكن يقرأ ولكنه كان ينظر في الكتاب نظراً فقط اذ مرّ عليه نصف ساعة دون ان يقلب ورقة منه

ولكن لم يمر عليه اربعون دقيقة حتى ظهر له من بعيد فارس ينهب الارض نهباً على جواده . ولما اقترب الفارس وجد بيتو انه كاترين نفسها قادمة الى موعد المسيو ايزيدور دي شارني

تخفق قلب بيتو وصار وجهه في الكتاب ولكن عينيه في كاترين

فرت كاترين على الجواد كالسهم المارق دون ان تراه وقصدت منزلاً هناك للمسيو دي شارني فربطت فرسها في شجرة توت ثم دخلت

فلما غابت كاترين عن عيني بيتو في المنزل امتلأ قلبه حنقاً ولبث ينظر الى الجهة التي غابت فيها كما ينظر المجوسي الى المشرق في الصباح عند انتظاره غزالة النهار او كما ينظر كلب الصيد الى وكر غابت فيه ارنبة

فطال انتظار بيتو ربع ساعة ثم ثلثاً ثم نصفاً ثم ثلاثة ارباع دون ان تظهر كاترين . وكانت نفس بيتو في هذه الاثناء تحدثه اشكالاً والواناً

ولما انقضت ساعة سمع حفيف ثوب وكان المساء قد امسى فالتفت فابصر كاترين قادمة صوبه من غير الجهة التي غابت فيها . فلبث شاخصاً بها ينتظرها . اما هي فكانت تمشي على غير هدى وهي تلتفت ذات اليمين وذات اليسار لترى هل هنالك احد ينظرها حتى صارت على مقربة من بيتو

وكما يحدث لارنب وُجدت على حين بغتة على بعد مترين من كلب صيد قوي . وكما يحدث لفارة رات نفسها على بعد متر واحد من هرة قوية هكذا حدث للجميلة كاترين . فانها حين وقع بصرها على بيتو امامها وهي لا تعلم بوجوده هناك اصطبغ وجهها بصفرة تحكي صفرة الموت واصطكت ركبتاها فصرخت صرخة خفيفة وعادت ركضاً كالجواد السريع نحو جوادها فوثبت عليه كلمح البصر واطلقت له العنان قاصدة مزرعتها

اما بيتو فانه نظر اليها وهي هاربة وصدره منشرح ومنقبض معاً . منشرح لانه استطاع الانتقام قليلاً من تلك المتكبرة وراى في يده سلاحاً لاخافتها . ومنقبض لانه خاف نتيجة هذا الفخ الذي نصبه لها فاخذ يتساءل هل يبقى لها على الوقوف في هذه الطريق ام يتركها وشانها

وفي يوم الاحد التالي كان احتفال عظيم في قرية هرامونت . فان اكثر القرى المجاورة لها عزمت على ارسال جنود حرسها الوطني لاستعراضها مع جنودها لما بلغ الناس من بسالة جند هرامونت ومهارة قائدهم . فتواعد الناس ان يلتقوا في هذه القرية لمشاهدة الاستعراض

وما اشرقت شمس يوم الاحد حتى اخذ الناس ينسلون الى هرامونت من كل تلك الضواحي . وكانت جنود القرى المجاورة تاتيها على اصوات الابواق والطبول العسكرية فتزيد الناس رغبة في الذهاب الى هرامونت في ذلك اليوم لمشاهدة الاستعراض . ولذلك

حكنت زي خاصة الناس وعامتهم متجهين مشاة اوراكبين الى تلك القرية
وكان بيتو في ذلك اليوم قد استمار حصاناً ابيض كحصان المسيو لافاييت لتكون المشابهة تامة فركبه وهو عزيز النفس شامخ الانف وجمع فرقته ثم اصدر اليهم امرًا بالزحف الى ساحة الاستعراض فسارت على ضرب الطبول سيرًا سريعًا قويًا فكان لها منظر جميل

وما زالت حتى اطلت على ساحة الاستعراض وبيتو على فرسه يهتز طربًا ويشمخ عجبًا. وكان الاهالي من القرى المجاورة لا يزالون يتوافدون الى الساحة بين زراع واشراف واصحاب املاك. فوجه بيتو نظرًا الى اناس كانوا حينئذ قادمين . فابصر كاترين وامها راكبتين كل واحدة فرسًا

فاحمرت وجنات بيتو واصفرت وجنات كاترين

ولما درى بيتو بوجود كاترين ازداد اهتمامه بذلك الاستعراض ليظهر لكاترين مهارته ومقامه

فاخذ كل قائد من قواد الجند يستعرض فرقته على حدة ويجعلها تقوم بحركات عسكرية مختلفة . فراى الحاضرون ان فرقة بيتو ممتازة عن جميع تلك الفرق بضبط حركاتها وخفتها وشدة حماستها فصفقوا لها تصفيقاً كثيرًا وكانوا كلما صفقوا لها ازدادت مع قائدها بيتو حماسة واجادة

ثم اجتمعت تلك الفرق كلها للقيام بعمل واحد وولت قيادتها الى قائد اقدم من بيتو عهدًا ولذلك يجب ان يتقدم عليه فشرع ذلك القائد في اجراء مناورة كبرى

ولكن ما انقضى على ذلك عشرون دقيقة حتى ارتبك هذا القائد واضطرب لانه كان لا يُحسن المناورة فتضعضع هذا الجيش الصغير وتقلقلت صفوفه واصبح فرقًا فرقًا لا يعرف كيف يجتمع ولا كيف يسير . فاستاء الجنود من القائد لانه جعلهم سخرية امام الاهالي واستاء الاهالي ايضاً فصاحوا كلهم من فم واحد « بيتو بيتو »

فتنحى حينئذٍ هذا القائد مفسحًا المجال لبيتو . فوكز بيتو فرسه متقدمًا بجأش ثابت وقلب مطمئن فزعق في تلك الصفوف المضطربة زعقة ارجعتها الى النظام على عجل . ثم اصدر امرًا الى جنوده جنود هرامونت بالوقوف في مقدمة الجيش وصاح بها بالزحف . فكرت كرة رجل واحد بحماسة ونظام صفق لها الحاضرون كثيرًا . ثم شرع بيتو في موقفه يامر وينهى بصوت جهوري عسكري كانت ترتج له تلك الصفوف كانها اشجار تضطرب

امام الريح وتهب معه كيفا هب حتى انتهت المناورة على احسن ما يُرام وهتف الاهالي ليتو والجنود هتافاً طبق السماء

فنزل بيتو حينئذٍ عن جواده وهو مبلل الوجه والجسم بالعرق وكان انتصاره عظيماً فتهافت عليه الناس ليهنئوه ويشكروه واحاطت به الفتيات ليشاهدونه ويحيينه

فكان بيتو عظيماً في موقفه منهم يردّ لكل واحد تحيته بابتسام او باشارة وعيناه تفتشان عن كاترين

فما لبث ان سمع قائلاً يقول له بجانبه

صباح الخير يامسيو بيتو

فالتفت بيتو واجاب سعدت صباحاً يامدموازل كاترين

فقالت كاترين ما لك لا تلتفت الينا يامسيو بيتو ولا تعبأ بنا امكذا يصنع القواد العظام

فسلم بيتو على مدام بيلو التي كانت بازاء كاترين ثم اجاب . كلا يامدموازل انني لست قائداً عظيماً ولكني رجل خامل الذكر ملتهب شوقاً لخدمة وطني

فسمع الحاضرون هذه الكلمة فازدادوا تحمساً لبيتو وهتافاً له

فتقدمت كاترين حينئذ من بيتو وقالت همساً بيتو اريد ان اراك اليوم

فقال بيتو في نفسه عدنا والعود احمد . ثم اجاب . انا خادم مطيع ياسيدتي . فقالت كاترين عد معنا اليوم الى المزرعة . فقال الامر لك

الفصل الثالث والثلاثون

(الخل والخمر)

ولما تفرق الناس تسنى لبيتو وكاترين ان ينفردا للمحادثة على حدة . وهما سائران الى المزرعة فابتدرته كاترين بالسؤال قائلة لماذا عاملتنا هكذا يامسيو بيتو وما الذي دعاك الى ترك المزرعة

فبهت بيتو لهذا السؤال الذي ما كان ينتظره ثم قال تعلمين يامدموازل سبب سفري من المزرعة . فقالت لا اعلم شيئاً بل اقول لك انك عملت عملاً سيئاً

فعض بيتو شفتيه حنقاً لانه كان يعلم ان كاترين لا تجهل كونهـا هي التي طردته من مزرعتها . فقالت كاترين . ثم اجبني ماكنت تعمل في ذلك اليوم في الحرش حينما رأيتني فقال الشاب متردداً . انا . ما كنت اعمل شيئاً . فقالت ولماذا ذهبت الى تلك الجهة مع انها بعيدة من هرامونت . فقال الشاب كنت اقرأ هناك . قال ولماذا لم تقصدني حينما نظرتني بل لماذا لم ارك حينما مررت بك في مجيئي

فامتلأ هنا قلب بيتو حنقاً لانه ادرك ان كاترين تحاول خداعه . والتمويه عليه بهذا الكلام فقال لها . انا لم اركِ في مجيئك ياسيدتي فلعلك لم تاتي من الطريق بل من داخل الحرش

فعضت كاترين شفتها واجابت نعم نعم صدقت جئت من داخل الحرش لاجل النزهة ولكن ذلك لا يمنعك من رؤيتي لو قصدت ذلك . ولكنك لم تقصد من سوء الحظ . اما انا فقد كنت اطوف على قدمي في نواحي الحرش مفتشة عن عشبة لضمد جرح اصبت به ولذلك بقيت سائرة حتى وصلت الى المنزل وانا افتش عن العشبة

فقطب بيتو حاجبيه وقال اي منزل

فقالت المنزل ... منزل اسرة شارني القائم وسط الحرش الا تعرفه

فاجاب نعم اعرفه

فشعرت كاترين بضربة شديدة في قلبها حينما لفظ بيتو هذا الكلام

ثم التفت الشاب الى يدي الفتاة وسالها لا ارى في يديك جرحاً ياسيدتي كما ذكرتِ .

فقالت الجرح في قدمي لا في يدي . اما رايتني اعرج في مشيي

فقال بيتو في نفسه وحق السماء والارض انني رايتك تركضين اكثر مني حينما فررتِ من وجهي

اما كاترين فحسبت بعد ما تقدم ان بيتو لا يعلم شيئاً من امرها فقالت له بهيئة جدية . هذا امر لا ارضاه منك يامسيو بيتو ولا يرضاه ابي ايضاً . فان تركك المزرعة والغضب علينا بلا سبب امران لا يدلان على ودك لنا

وكان بيتو يشعر في اثناء كلام كاترين انها تهزأ به وتسخر منه . اذ كيف تجهل انهـا هي التي طردته من المزرعة واساءت مقابلته . فثارت نفسه لهذه المعاملة الجديدة لانها جرحت من جديد انانيته والانانية افعى لا يجدر بالانسان ان يدوس عليها مخافة ان تهب وتلدغه اللهم الا اذا كان يستطيع سحقها مرة واحدة

ولذلك رفع بيتو راسه امام كاترين وقال بهيئة جدية · مدموازل ارجوك ان لا تسخري مني · فعجبت الفتاة واجابت كيف اسخر منك يامسيو بيتو · فقال الشاب · نعم الا تذكرين انك انت التي قلت لي انه لا يوجد لي عمل في المزرعة · وما معنى ذلك غير طردي منها · ثم انني غبت اياماً وشهوراً دون ان تسالي عني لتعلمي اذا كنت قد متُّ من الجوع او لا ازال حياً · ولما شاهدتني ذلك اليوم عند منزل شارني فررت مني فرارك من الموت

فصاحت كاترين · انا فررتُ · فقال بيتو محتدماً · نعم نعم · فررتِ فررتِ ولا اكذب عيني · وقد قلتِ انك ذهبتِ الى هناك لتفتشي عن عشبة تضمد جرحك فالذي يفتش عن عشبة في ذلك المكان لا يقيم ساعة فيه

فصرخت كاترين وقد هلع قلبها خوفاً · انا مكثت ساعة هناك ? لاتصدق ذلك يا مسيو بيتو

فاجاب الشاب بابتسامة اذا كنت انا لا اصدق ذلك فان الشجرة التي ربطتِ بها جوادك قد صدقته · ذلك ان هذا الجواد قد قشر جذعها كله واكل القشرة· وانت تعلمين ان ذلك لا يتسنى للجواد في اقل من ساعة · فاذهبي واسالي الشجرة

فازدادت كاترين هلعاً وصبغ الاصفرار وجهها فلم تنبث ببنت شفة · وكذلك بيتو فانه شعر بانه قال شيئاً ما كان يجب ان يقوله كله فسكت ايضاً

و بعد سكوت برهة من الزمان وهما سائران على الطريق وراء مدام بيلو التي كانت مشتغلة بالحديث مع بعض الرفيقات قالت كاترين مبهوتة · اصدقني يابيتو الست صديقاً لي

وقد قالت كاترين هذا القول بلهجة سحرية تختلب الالباب · فطاش لب الفتى بيتو وذهبت نفسه شعاعاً وصعد الكلام الى فيه فكاد ينطق بما تكنه نفسه من الشغف بهذه الفتاة التي ما فتأت تعذبه · ولكنه ضغط على نفسه وتساءل ماذا اصنع اذا قلت لها انني احبها ثم قالت لي انها تحبُّ سواي · الا اموت حينئذٍ ياساً وغماً · فالاجدر بي ان اسكت

فالتفت بيتو اليها · وقال وا أسفاه ياسيدتي انت تعلمين انني صديق حميم للاب بيلو وكل اسرته

قال هذا وكانه لم يعد قادرًا على كتمان ما في نفسه فانحنى مسلمًا ثم ذهب مسرعًا دون استئذان كاترين

وكان ذهابه الى الحرش القريب . فكان يمشي وهو يرقص طربًا . ذلك لانه راى كاترين . وحادث كاترين . ومست يده يد كاترين . فاخذ يهيم بين تلك الاحراش مغنيًا مع عصافيرها متمايلاً مع اغصانها طربًا نشوان من خمرة الحب الذي يملأ نفسه . ثم اخذ يبكي كصغار الاولاد . وبعد البكاء اخذ يغني اشبه برجل فقد الصواب . ولما كان نسيم المساء يهب عليه في مسيره فيبرد حرارة جبهته وينعش صدره المتقد بالنار كان يتو يقف ناظرًا من خلال اغصان الاشجار الى صفحة السماء الصافية الزرقاء التي فوقها والفضاء الذي حوله ويقول في نفسه وهو يتألم من ذكر كاترين . هل هذا ما يسمونه حبًا فانه تارة يكون حلوًا وطورًا مرًا

وا اسفاه يا يتو ان الحب خلٌ وخمر وقد اخذ النبيل ايزيدور شارفي كل الخمر ولم يبق لك غير الخل

اما كاترين فانها سارت وراء امها نحو المزرعة مبهوتة وقد اخذت منذ هذا الحين تشعر بالخوف من يتو والرغبة في مداراته واتقائه . واما يتو فبعد بكائه في الحرش تارة والغناء تارة أخرى شعر بجوع شديد فعاد الى هرامونت على عجل . وقد قال الكاتب شاتو بريان « عجب الناس من غزارة الدموع التي وُجدت في مقلة ملك ولكن من يستطيع ان يقيس الفراغ الذي يُحدثه البكاء في معد الفتيان»

الفسل الرابع والثلاثون

(حلٌ غير منتظر)

ولما عاد يتو الى هرامونت وجد جنوده مجتمعين في مادبة مع بعض بنات القرية وهم يا كلون ويتحادثون ويضحكون فجلس يتو معهم واخذ يا كل ويشرب باشتهاء شديد . فسرى عنه ما كان يجده من تضخم القلب وامتلاء الصدر واضطراب الفكر

ثم انه بعد نصف ساعة لما سطا الخمر على عقله وطرد كل ما كان فيه اخذ يتو يفكر في حادثته مع كاترين فوجد نفسه قد اساء معاملتها . فاخذ يقول في نفسه ما الذي اوجب

علي ان اخاشن كاترين تلك المخاشنة . ولماذا لم اجاوبها باللطف والمجاملة على لطفها ومجاملتها

ثم في سكرة حبه وخمره ذكر ان يده لمست يدها وكتفه كتفها وسمع صوتها الرخيم يناديه بكلمات لطيفة ويوبخه توبيخ المحب . وعيناها البراقتان الساحرتان تبث الكهربائية في نفسه وفي كل جسمه فطار صوابه لانه احزنها وتركها على حين فجأة وراح في سبيله دون ان يعبأ بها او يلتفت اليها . ولماذا كل ذلك . الا انها تحب ايزيدوردي شارني ومن يعلم اذا كانت تحبه حباً حقيقياً . ربما انها شغفت بغنى هذا الشاب وشرف مقامه فالت اليه ميلاً بسيطاً فقط . فهل يستوجب الميل البسيط ان يسخط بيتو هذا السخط على كاترين . ومن يعلم اذا كان شارني لا يسافر في مدة قريبة الى باريز حيث يتزوج بفتاة من العيال الشريفة فتنساه كاترين وينساها

فاستنتج بيتو من كل ذلك انه سلك مع كاترين مسلكاً في غير موضعه وانه يجب عليه ان يعوض ما فاته

ولو كان بيتو شاباً فاسد الاخلاق لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتُظهر الحب لي خوفاً مني فانا اجاريها في حبها واضحك منها كما تضحك مني

ولو كان شاباً قاسياً جامد القلب لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتُظهر الحب لي خوفاً مني فانا لا بد لي ان انتقم منها . ولذلك فاني اخيفها واكشف امرها واجعل لها طريق الحرش التي تسير فيها الى حبيبها مملوءة شوكاً وحسكاً

ولكن بيتو كان ذا طبيعة كريمة وقلب طاهر فكان لا يظن السوء باحد ولا يريد الشر لاحد . ولذلك رأى من واجباته بعد كل ما جرى ان يسترضي كاترين ويحسن مجاملتها بدل مخاشنتها والاساءة اليها

وتوصلاً لذلك ينبغي اولاً الوصول الى كاترين

وكان قد انقضى على كاترين اكثر من ثلاث ساعات منذ فارقها بيتو . على ان بيتو كان نشوان من حبه وخمره كما تقدم فلم يفطن لذلك . بل نهض في الحال عن كرسيه وخرج مسرعاً قاصداً الحرش ثم اطلق ساقيه للريح شاخصاً الى مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها في ظلمة ذلك الليل ويطرد بها الحيوانات عنه

فلندعه سائراً بخطاه الواسعة التي نعرفها نحو كاترين ولنعد الى هذه الابنة

فان كاترين سارت وراء امها بعد مفارقة بيتو وهي تضرب اخماساً لاسداس وفي

يدها عنان جوادها وكانت تعيد في نفسها الحديث الذي دار بينها وبين بيتو لترى اذا كان يفهم منه شيء مما تريد فهمه

وما زالت الام وابنتها سائرتين نحو المزرعة حتى وصلتا الى مستنقع قريب منها. وكانت الام متقدمة والابنة متاخرة فمرت الام اولاً ولما اتت نوبة كاترين في المرور سمعت في الظلام حركة خفيفة بازائها فالتفتت فسمعت صفيرًا خفيفًا جدًا فوقفت اما الام فبقيت سائرة اذ لم تسمع شيئًا

وما وقفت كاترين حتى تقدم منها رجل مسرعًا فوقفت له كاترين غير هيابة كانها اعتادت ان تراه . اما الرجل فدنا من جوادها وهمس قائلاً مولاتي ان مولاي ايزيدور يرجوك ان تنتظريه في هذا المكان

فعرفت كاترين ان الرجل خادم ايزيدور دي شارني ولكنها عجبت من طلبه مقابلتها في تلك الساعة. وتساءلت في نفسها ما سبب هذه المقابلة. هل ذلك للاجتماع بها ومحادثتها كلا . لانه كان يطلب منها ذلك على الاقل بصورة الطف من هذه الصورة . فماذا جرى له اذًا . وما هذا الشان الجديد

كذا كانت تفتكر كاترين حين ابلاغ الرسول هذه الرسالة اليها. ثم انها اجابته بانها تعود هذه الليلة الى ذلك المكان ثم سارت في طريقها

ولما وصلت مع امها الى المزرعة تعشتا بعد الاستراحة مدة وجيزة ثم دخلت الام الى غرفتها لتنام . فدخلت الابنة الى غرفتها ايضًا

نخلعت الام ملابسها واما كاترين فاستلقت على فراشها من غير ان تخلع ملابسها وبقيت تنتظر

وبعد هنيهة دقت الساعة العاشرة . فتقلبت كاترين في فراشها وبقيت تنتظر ايضًا . ثم دقت الساعة العاشرة ونصف ثم الحادية عشرة فنهضت كاترين بتأن ونزلت الى غرفة الطعام

وكانت غرفة الطعام مشرفة على الشارع وفيها نافذة تؤدي اليه ففتحت كاترين هذه النافذة وخرجت منها الى الشارع ثم ابقتها مفتوحة لتتمكن من الرجوع منها

ولما اصبحت في الشارع سارت ركضًا الى المكان الذي وعدت بانها تكون فيها . وكان قلبها يخفق خفقانًا شديدًا والنار تتاجج في دماغها لخروجها من بيتها في مثل تلك الساعة وعلى هذا الوجه . وما وصلت الى المكان المذكور حتى كان الاضطراب قد اخذ منها كل ماخذ

فوقفت تحت شجرة هناك تنتظر مرتجفة ويداها واحدة على راسها والاخرى على قلبها

ولكنها لم تنتظر وقتاً طويلاً . فانها ما لبثت بعد بضع دقائق ان سمعت وقع حوافر خيل قادمة . وبعد دقيقة ابصرت ايزيدور دي شارفي واقفاً قريباً منها

فمد لها الفتى ذراعيه من غير ان ينزل عن جواده واخذ راسها بين يديه قائلاً . كاترين ان اخي يستدعيني الى فرساليا

ولكن كاترين ما سمعت هذا الكلام حتى شهقت وخنقت صوتاً كاد يخرج من صدرها ثم قالت بل ابقَ ابقَ ابقَ لا تسافر

فقال الفتى . كاترين لقد قتلوا اخي جورج ولذلك طلب مني اخي الذي هو اكبر سناً مني ان اسافر لناخذ له بالثار . فقالت كاترين وراسها بين يديه مستند الى راسه . بل ابقَ ابقَ رحماك لا تسافر فتقتلني . فقال وما العمل بالشرف يا كاترين فانه يجب ان ننتقم . فصاحت كاترين بهذه الكلمة . يا لتعاستي . ثم سقطت بين ذراعيه . فانحنى ايزيدور عليها فشعرت كاترين بدمعة سقطت على وجهها . فالتفتت اليه وقالت . شكراً لك يا ايزيدور فانني علمت الآن من بكائك انك تحبني . فقال الشاب . القبلة الاخيرة يا كاترين . ثم انحنى على وجنتيها فقبلها بشفتين ملتهبتين وقلب محترق . فلما رات الفتاة انه لا مناص من هذا السفر خانتها قواها كلها فاغمي عليها وسقطت على الارض من بين ذراعيه

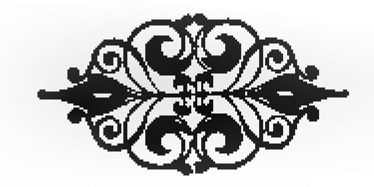
وكان ايزيدور يخشى ان لا يقدر على السفر بسبب كاترين مع ان واجباته توجبه عليه ولذلك فانه حين انفصل عنها وانفصلت عنه تزود نظرة منها واعمل المهاز في شاكلة الجواد فسار به الجواد بسرعة البرق الخاطف ووراءه خادمه فبقيت كاترين المسكينة ملقاة على الارض بلا حراك

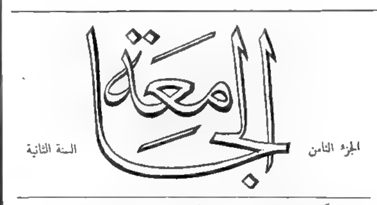
ولكن لم يغب هذان الفارسان وراء حجب الظلام حتى ظهر رجل ماشٍ يخطى واسعة وهو يقصد مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها . وكان هذا الرجل يثير نفسه يمشي وهو مطمئن البال . غير انه ماوصل الى مكان الملتقى حتى عثر بشيء كان في وسط الطريق فسقط ممدداً على الارض . وفي سقوطه شعر بوجود جثة انسان وهي التي عثر بها فدنا من وجه الجثة وحينئذٍ اقشعر جلده وارتعدت فرائصه فصاح ملء فمه — كاترين هل ماتت كاترين

ثم صرخ صرخة سمعتها كلاب المزرعة وجاوبتها بالعواء واخذ يدور حول الجثة ويقول كاترين ميتة يالله من قتل كاترين

قال هذا ثم اخذ تلك الجثة الباردة الجامدة بين ذراعيه وجلس بها على حجر هناك وهو دامع العين مصفر الوجه يندب ويقول . آه يا كاترين

تمت رواية « نهضة الاسد » وتليها رواية « وثبة الاسد » وهي تابعة لها





الجزء الثامن السنة الثانية

الاسكندرية نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٠ — رجب سنة ١٣١٨



بوذه الحكيم

وهو جالس تحت الشجرة يتأمل ويتفكر ليكتسب الروح وقد آلى على نفسه ان لا ينهض قبل ان يكتسبها ولو يبست جثته ٠ وهذا الرسم وجد على هذا الشكل في آثار الهند - الشجرة فوق بوذه وتحته البساط الاخضر

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الحكيم بوذه الهندي الشهير

صاحب الشريعة البوذية

قال الفيلسوف تولستوي · « البس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقاً جديداً » · وقال العلامة مكس مولر « لو لم يكن بوذه انساناً لقلنا انه اله » · وقال المؤرخ رنان « انني اذا بحثت في شوونك يا بوذه دنوت منك باحترام ورهبة كالاحترام والرهبة الواجبين للآلهة »

لم نلق احداً من قراء الجامعة بعد صدور الجزء الماضي الا وذكر لنا مقالة تولستوي التي نشرناها في صدر ذلك الجزء واطنب في الثناء عليها · وفي الحقيقة ان تلك المقالة قد شغلت حيزاً ما كنا نتوقعه لها والفضل في ذلك للموضوع نفسه لانه موضوع جديد بالاضافة الى عصرنا

وقد خطر لنا بعد هذه المقالة ان نردفها باربع مقالات ذات علاقة بها من حيث الفلسفة الدينية وذلك لما رايناه من ميل العقول الى هذه المباحث الخطيرة التي تهم كل انسان وتشغل فكر كل ناطق · وسنودع المقالة الاولى تاريخ بوذه الفيلسوف الهندي الكبير صاحب الشريعة البوذية والثانية تاريخ صاحب الشريعة الموسوية والثالثة تاريخ حياة المسيح كما يكتبها اللاهوتيون وكما يكتبها العلماء والرابعة تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية ونحن نكتب من هذه المقالات المقالة الاولى عن بوذه الحكيم ونعهد بالمقالات الاخرى الى ثلاثة من افاضل الكتاب الذين نعهد فيهم العلم والمقدرة وخصوصاً النزاهة والاعتدال فضلاً عن التضلع من الموضوع الذي نطلب منهم الكتابة فيه · ولا ريب عندنا ان القراء سيقرأون هذه المقالات الاربع الفريدة في هذا الموضوع الفريد بارتياح عظيم

ونبدأ الآن بكتابة ترجمة بوذه · ولكن يجدر قبل الشروع في ذلك ان ننبه القراء اننا نسرد تاريخ بوذه كما يقصه البوذيون انفسهم اي بما فيه من الخوارق والمعجزات · ولا نجرده منها

حرصاً على رونقه واطلاعاً على تقاليد البوذيين . فنقول

***

❋ ولادة بوذه وصباه ❋ ولد بوذه على الارجح بين سنة ٦٢٣ و٥٤٣ قبل الميلاد المسيحي في حديقة « لومبنت » قرب « كابيلافستو » عاصمة مملكة سكيا الصغيرة في شمالي الهند على سفح جبال حملايا . اما ابوه فهو سودودانا ملك تلك البلاد واما امه فهي مايا دفي وقد ماتت بعد ولادته بسبعة ايام . واما طريقة ولادته فهي خروجه من خاصرتها اليمنى دون ان تجرح او تصاب بالم وكان قد دخل في بطنها من هذه الخاصرة منذ عشرة اشهر قبل الولادة بهيئة فيل ابيض صغير . وقد حضر ولادته الاله برهما واينادرا . ولما نزل من بطن امه خطا بضع خطوات في الجهات الاربع معلناً بذلك انه جاء لهذا العالم ليفني المرض والشيخوخة والموت . وقد ولد ساعة ولادته اربعة من ابناء الملوك . وسماه ابوه من فرحه به « سرفارتاسيد دا » اي (بلوغ كل الامال)

وقد ربته عمته « براجاباتي » اخت امه التي كانت زوجة لابيه ايضاً فوجدت في جسمه العلامات التي تدل على انه سيكون رجلاً عظيماً يمتلك ناصية الحكمة ويتسلط تسلطاً عاماً وهذه العلامات هي ٣٢ علامة اصلية و٨٠ علامة فرعية

وقد اظهر بوذه منذ صغره نباهة وذكاء غريبين في كل الرياضات العقلية والجسدية حتى انه كان يعلم مقدماً كل ما يريدون تعليمه اياه . ويروون من ذلك ان معلم المدرسة اراد يوماً ان يعلم بوذه طريقة الكتابة فسبقه بوذه وشرح له اصول ٦٤ نوعاً من انواع الكتابة الهندية وغير الهندية مما لم يسمع ذلك المعلم به قبلاً فلبث لدى ذلك الفتى مبهوتاً مدهوشاً . وكان مع سنه يعمد الى رياضات عقلية وجسدية تدل على ان في جسمه نفس رجل فوق البشر . ويروي الهنود انه لما كان بوذه يروض عقله تحت الشجرة بالتامل الشديد كان ظلها لا يفارقه وقاية له . وكان شائعاً لدى الهنود ان التامل تحت الاشجار يكسب الحكمة

***

❋ نفس لا تعبأ بشؤون هذا العالم ❋ وقد اشتهر بوذه منذ صباه بشؤون عظيمة وذلك مما كان يساعده على بلوغ اعلى مراتب المجد لو اراد ولكنه كان يشعر منذ صغره بانقباض شديد في نفسه لا يعرف له سبباً وبحزن دائم مستمر لا يذهب به شيء . فكان اهله يباغتونه في الحديقة تحت الاشجار مبهوتاً غائصاً في الافكار والتاملات غير شاعر بشيء من العناصر التي حوله . فيسألونه ما بك يا غوتاما لان اسمه الحقيقي هو غوتاما لا بوذه

كما سيرد معنا . فلا يجيبهم بكلمة بل يكون جوابه احياناً دمعة تنحدر من عينيه وتنهد يخرج من صدره . فيتساءل اهله ما سبب هذا الانقباض . وما الطريقة لازالته

ولما اشتدت عليه هذه الحالة ارادوا ان يشغلوا عقله بالزواج خوفاً على حياته فازوجوه بالفتاة « كوبه » ابنة « سكياوندباني » ظناً منهم ان فكره ينصرف عن التامل . ومنهم من يقول انه لم يتزوج بواحدة بل باربعة . ومنهم من يرى ان عدد نسائه بلغ ٨٠ الف امرأة . ولكن المحققين على انه لم يتزوج الا امراة واحدة

وبقي بوذه بعد الزواج كما كان قبله منقبضاً حزيناً يحلو له التامل والافتكار في معزل عن جميع الناس اكثر من كل شيء . ومما زاد الطين بلة ان امراته لم تلد له ولداً ليشتغل به الا بعد انقضاء عشر سنوات على زواجها فانها وضعت حينئذٍ غلاماً فحزن بوذه لذلك حزناً شديداً لانه كان يفكر في ذلك الوقت في قطع ما له من العلائق والصلات بالهيئة الاجتماعية وهذا الولد يزيد ويقوي صلاته بها . ومنهم من يقول ان امراة بوذه لم تلد الغلام الا بعد انقضاء ست سنوات على هجر بوذه لها فذهب بعضهم الى ان الولد احدى كرامات بوذه بقي في جوف امه وخرج حينما اراد . وغيره عيّرها بانه من غير بوذه فاستشاطت غيظاً وتناولت حجراً وربطت الغلام به ثم اجلسته عليه والقته مع الحجر في النهر قائلة ان الولد اذا كان ابن بوذه فانه يطفو هو والحجر على وجه الماء واذا لم يكن بابنه فانه يغرق . فطفا الولد والحجر على الماء دلالة على انه من بوذه . ولكن الامر الذي لا خلاف فيه ان بوذه كان غير راض كل الرضى عن سيرة زوجته وكان يشك فيها

***

﴿ المشاهدات الاربع التي جعلته يترك العالم ﴾ على ان ارتياب بوذه في امراته وعدم راحته في معيشته العائلية لم يكونا السبب في قطعه علائقه مع الهيئة الاجتماعية بل ان التقاليد البوذية تجعل السبب في ذلك المشاهدات الاربع التي رآها . وبيان ذلك ان اهله رغبة في ازالة انقباضه وحزنه اللذين مرّ ذكرهما قد اتخذوا كل الوسائل لمنعه من رؤية ما يثير الانقباض في نفسه كالمناظر المحزنة والحوادث المكدرة . ففي ذات يوم خرج بوذه من قصر ابيه للتنزه في مركبة . فمن سوء حظه او من حسن حظه وجد في طريقه شيخاً احنت الايام ظهره . والبوذيون يقولون ان الآلهة هي التي جعلت ذلك الشيخ في طريقه ليؤثر فيه . فلما رأى بوذه عذاب الشيخ الوى عنان الجواد وعاد الى القصر من حيث اتى واخذ يندب حظ البشر ويرثي الشيوخ لما يعانونه من العذاب . هذا هو المشهد الاول .

وفي المرة الثانية خرج فجعلت الآلهة في طريقه مريضاً . فعاد في الحال منقبضاً واخذ يندب المرضى ويرثي لحالهم . وفي المرة الثالثة خرج فصادف جنازة فثارت نفسه كلها فعاد وفيها مرارة الموت . وبعد ايام خرج فجعلت الآلهة في طريقه ناسكاً فلما شاهده بوذه رأى في وجهه هدوء الراحة ونعيم البال وسكون الضمير خلافاً للمشاهد الثلاثة الاولى فعزم منذ هذه الساعة ان يترك العالم و يطلب هذه الراحة التي شام برقها في وجه ذلك الناسك

فقصد اباه وطلب منه ان يأذن له باعتزال البشر والتنسك في البرية فرفض ابوه ذلك رفضاً قطعياً فعزم بوذه حينئذٍ على الفرار من القصر لبلوغ امنيته

***

﴿ بداية اعتزاله العالم ﴾ وكان اذ ذاك في التاسعة والعشرين من العمر . ففي احدى الليالي شد جواده « كنتا » الى مركبته ثم ركبها وخرج سراً من القصر . وقد ساعدته الآلهة فانامت الحراس وفتحت له الابواب بايديها فخرج بوذه فلقي في طريقه صياداً فاعطاه ملابسه الملوكية واخذ ملابس الصياد وهي من نسيج ثخين ذي لون احمر يشوبه اصفرار . فلبسها ثم تناول سيفه فقص به شعره وراح طريداً على وجهه ينشد الحقيقة التي ما كان يجدها

فمنذ هذا الحين اصبح يُدعى سكياموني « اي ناسك سكيا » وهو اللقب الذي كان يُعرف به . وما زال سائراً وحيداً شريداً حتى بلغ مدينة « فايسالي » التي كان يعلم فيها العالم الهندي آراتا كالاما فتتلمذ بوذه له مدة وجيزة ولكنه ما لبث ان ادرك نقص فلسفته ففارقه وقصد « رادجا كريها » عاصمة « مكادا » فدرى به ملكها « بمبيساره » احد الملوك الاربعة الذين ولدوا يوم ولادته فعرض عليه ان يشاركه في ملكه فرفض بوذه ذلك واعتزل الناس في الجبال المجاورة وما كان ينزل منها الا لحضور الدروس التي كان يلقيها العالم « رودرا كا » ابن « راما » . ولكنه بعد قليل راى نقص فلسفة هذا الرجل كما راى نقص فلسفة « اراتا كالاما » فهجره وسار الى جهات فقراء في جبل كايا واقام فيها

***

﴿ بدء قهره النفس واكتسابه الروح ﴾ وهنا يبدأ تنسكه الصحيح . فانه لزم هذا المكان ست سنوات مروضاً نفسه فيها على كل اسباب القهر والامتناع توصلاً الى الحقيقة . وقد اخذ يمتنع عن الاكل بالتدريج حتى صار لا ياكل الا قبضة صغيرة من الارز في النهار . والبوذيون يقولون انه صار لا ياكل الاحبة ارز واحدة كأن حبة الارز يمكنها ان

تشغل في المعدة حيزًا · وكان يعوّد نفسه على قطع النفس وغير ذلك من المشاق وما زال على هذه المعيشة الهائلة حتى اصبح نحيفاً ضعيفاً لا همة له ولا عزيمة كأنه هيكل عظام او خيال في رمة · فعلم بوذه انه تاه عن طريق الحقيقة وان قهر النفس لا يوصل اليها فعزم على العدول عن هذه المعيشة

وكان سكان تلك النواحي ينظرون اليه من بعيد فيضحكون منه و يستهزئون به بمثل قولهم ان ناسك كايا اليوم اسود الوجه · ان ناسك كايا اليوم يشبه سمك مادكورا · وهلمَّ جرّا · وكان معه في منسكه في الجبل خمسة رفاق فطلب منهم ذات يوم ان ينزلوا معه من الجبل الى القرى فصحبوه فلما وصلوا الى قرية هناك قدمت بنت قروي الى بوذه طعاماً من اللبن والعسل فأكله بوذه بارتياح ولذة بعد ذلك الامتناع الطويل عن الطيبات · فلما راى رفاقه ذلك منه غضبوا وهجروه قائلين انه شره نهم يحب بطنه · اما بوذه فعادت اليه قواه بعد هذا الطعام فاستحم في النهر فاصبح قويّاً كما كان قبل اقدامه على قهره نفسه ذلك القهر الذي هو افظع من طرق القتل

ومنذ هذا الحين اخذ يعيش عيشاً وسطاً بين معيشته الملوكية الاولى التي تحط النفس برخائها ومعيشته القهرية الثانية التي تضعف النفس وتقتلها · فاختار مكاناً صالحاً للتامل والافتكار وذلك تحت شجرة من التين المندي لان الانسان لا يبلغ الكمال الا تحت ظل شجرة كهذه الشجرة · وهناك كان يقيم الليل والنهار متاملاً في امور هذه المعيشة باحثاً عن الحقيقة التي هي روح بوذه وروح بوذه التي هي الحقيقة · وكان لا يلبس يومئذ من لباس غير كفن من اكفان الاموات التقطه من احدى المقابر · وقد جعل تحته في ظل هذه الشجرة بساطاً من الخضرة وجلس عليه بعد ان اقسم انه لا يبرح مكانه الا متى اكتسب الروح ولو يبست جثته وجمد دمه (انظر الرسم في صدر الجزء)

فبدا هنا العراك بينه وبين العناصر الشريرة · فانه كما ان الالهة كانت تمهد له كل سبيل لبلوغ الحقيقة وتعليمها للناس كانت العناصر الشريرة تكره ذلك وتسعى في منعه من بلوغها · فجاءه « مارا » الشرير الاعظم وحاول تشتيت فكره وافقاده صبره باثارة العناصر ضده فبعث اليه المطر والزوابع والانواء فبقي بوذه مع ذلك جامداً كالصنم تحت تلك الشجرة فوق بساطه السندسي · فلما راى الشرير ان الشدة لم تجدِ نفعاً عمد الى الطرق الجميلة اللينة فارسل الى بوذه بناته الثلاث الجميلات ليستهوينه اليس بحركاتهن الفتانة وجمالهن الساحر وكلامهن المسكر · فجئنه في الليل ولم يدخرن وسعاً في استمالته فبقي بوذه مع ذلك جامداً

معرضاً عنهن غير عابىء بهن . فلما انقضت هذه التجربة الهائلة وخرج بوذه منها فائزاً انفتحت امامه مغاليق الحقيقة وحينئذ بلغ الروح الذي كان يطلبه واصبح « بوذه » فصار عالماً بالامور التالية (١) معرفة الحوادث والمخلوقات الماضية (٢) مقدرته على ازالة كل فكر رديء يجول في نفسه (٣) المعرفة التامة بكل شؤون الالوهية (٤) معرفة الاسباب الاثني عشر وارتباطها بعضها ببعض (٥) العلم الكامل واقسامه الثلاثة . اي انه اوحي اليه بهذه الامور بعد طول تفتيشه عنها وتفكيره فيها واجتياز الطريق الوعرة الشاقة الموصلة اليها

ويقول انصار بوذه في الهند ان المكان الذي اكتسب فيه بوذه « الروح العلوية » لا يزال معروفاً والشجرة التي اخذ الروح تحتها لا تزال موجودة غير انها محاطة مع ذلك المكان بحاجز حفظاً لها . و يوجد تحتها احجار فيها كتابات منقوشة تدل على ان هذا المكان كان مزاراً عظيماً وكان الهنود يقصدونه من كل جانب

***

﴿ بدء تعليمه ﴾ ولما اصبح سكيموني « بوذه » اقام سبعة اسابيع في ذلك المكان وعلى ضفات الانهار والبحيرات متردداً . وكان عمره اذ ذاك ٣٥ سنة . وقد اصبح لا يأكل ولا يشرب لان الالهة كانت تدخل الطعام الى جوفه بطرق سرية غير ان تردده وحذره لم يطولا فان الاله برهما نزل من السماء بنفسه وشدد عزيمته وقوى قلبه على اتمام عمله فتشدد وتقوى وعزم على الدعوة وتعليم الحقيقة التي اكتشفها

فسأل اولاً عن العالمين اللذين سمع دروسهما فقيل له انهما ماتا . فسأل عن الرفاق الخمسة الذين كانوا معه في بدء معيشته الزهدية فقالوا له انهم سافروا الى بيناريس فلحق بوذه بهم ليبدأ بتعليمهم وتلمذتهم . فلما علموا بمجيئه تواطئوا على ان يستقبلوه باحتقار و يعيروه بانه نهم شره . على انه ما دنا منهم حتى قاموا له اجلالاً لهيبته بالرغم عنهم فخطب بوذه فيهم خطبته الاولى التي يسمونها « الخطبة الاساسية » او الاصلية لانها اساس فلسفته . وهي مبنية على الامور التالية

***

﴿ فلسفته ﴾ وهذه الامور اربعة وهي قاعدة فلسفته كلها وهي . (١) وجود الالم (٢) سبب وجود الالم (٣) ازالة هذا السبب (٤) الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة سبب الالم . وهم يسمون هذه القواعد الاربع « القواعد التي بها يُدار دولاب العالم » وغيرهم قال بل يسمونها « القواعد التي بها تُنشأ مملكة العدل » وهذه التسمية ابلغ واجمل

وتوصلاً لفهم هذه الفلسفة يجب ان تعرف فروعها قبلاً • واليك بيان هذه الفروع

يرى بوذه وانصاره ان العالم كان من قبل لا شيء تخلقه الاله « كارما » لا « برهما » كما يظن بعضهم • وكارما هذا هو اله الجهالة • « فالجهالة » اذاً هي التي خلقت العالم وقد خلقت « الجهالة » العالم وجعلت للناس مقدرة على الوصول الى المعرفة • ولكنها جعلت الطريق اليها صعبة فان الانسان يتكرر وجوده في مخلوقات عديدة من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل وهو ما يعرف بالتقمص • فاليوم يكون انساناً وغداً فيلاً وبعد غد كلباً ثم نمراً ففاراً وعلم جراً • وقد يعود انساناً

ولكن لماذا هذا التقمص • الجواب انه عقاب على ما يفعله الانسان في حياته من الشرور • ولا يجوز له ان يستريح الا متى صار « بوذه » اي اكتسب الروح العلوية البوذية بحكمته وقوة ارادته • وكيف تكون راحته • راحته ان يعود الى العدم الذي خرج منه فلا يتقمص ولا يعود موجوداً

ولكن ما هو هذا العدم • هل هو التلاشي • كلا لان الكائن الصالح لا يتلاشى • هل هو الوجود • كلا لان الوجود يجب ان يكون محدوداً محصوراً • فما هو اذاً • لا يعلم ذلك احد • وهذا سبب من اسباب النزاع والخلاف بين انصار البوذية

فيؤخذ من ذلك ان الوجود الم والراحة هي في السكون وعدم التقمص اي في عدم الوجود في العالم • فمداواة ذلك الالم اذاً عبارة عن طلب الراحة اي ترك الوجود والدخول في العدم

وهنا نلتقي بالقواعد الاربعة التي هي اساس فلسفة بوذه وقاعدتها ازالة اسباب الالم بتعلم الحكمة وممارسة انواع الفضائل

***

﴿ آدابه ﴾ وهذه الفضائل عنده نوعان سلبية وايجابية • وكل نوع منها عدده عشرة لانه كان لديهم على ما يظهر لعدد العشرة معنى خاص

اما الفضائل السلبية العشر او الوصايا العشر فهي : (في دائرة العمل) اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزن (في دائرة القول) رابعاً لا تكذب خامساً لا تنم سادساً لا تهن احداً سابعاً لا تنطق بكلام لغو فارغ (في دائرة الفكر) ثامناً لا تبغض تاسعاً لا تشته مال الغير عاشراً لا تخطئ في العقيدة

وبعضهم يرى لهذه الفضائل عدداً آخر وهو اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزن رابعاً لا تكذب خامساً لا تشرب شراباً مسكراً سادساً لا تاكل طعاماً محرماً سابعاً لا ترقص

ولا تنشد ولا تحضر موسيقى ولا ملاهي ثامناً لا تستعمل اكاليل الازهار والطيوب تاسعاً لا تنم على فراش عالية وعريضة عاشراً لا تقبل ذهباً ولا فضة

واما الفضائل الايجابية فهذا نصها

اولاً تصدق ثانياً كن حسن الادب ثالثاً كن صبوراً رابعاً كن نشيطاً خامساً كن عاملاً سادساً كن حكيماً سابعاً اختطّ لك خطة تجري عليها ثامناً انذر النذور تاسعاً كن قوياً عاشراً كن عالماً

فهذه الفضائل السلبية والايجابية اذا عمل بها الانسان ازال الم وجوده وكفى نفسه عناء التقمص فاصبح « بوذه » اي دخل الى مملكة الراحة مملكة العدم و بقي فيها الى الابد

***

﴿ انتشار دعوته ﴾ وبعد انضمام الرفاق الخمسة في بيناريس الى بوذه وتلمذهم له سافر بوذه من بيناريس الى « اوروفيلفا » قرب جبل (كايا) ليتلمذ ثلاثة من النساك هناك ولهم الف تلميذ . فلقيهم في الجبل وخطب فيهم خطبة يسمونها (نار الشهوات) وهي ابلغ ما قاله حتى سماها العلماء (خطبته على الجبل) و بعد ظفره بهم سافر الى (راجا كريها) فدخل اليها باحتفال عظيم ونزل الاله (اندره) ومشى في ذلك الموكب امامه . فوهبه ملك (راجا كريها) حرشاً ليتخذه مقاماً له ولتلامذته . وفي راجا كريها هذه تلمذ بوذه له اخص تلامذته وهما . ساريبوتره . التلميذ الذي يجلس عن يمينه وهو مشهور الحكمة . وموجالبانا . التلميذ الذي يجلس عن يساره وهو مشهور بالمهارة وصنع الغرائب

وكانت سمعته قد انتشرت في الهند كلها وطار صيته في كل ناحية منها . فبعث اليه ابوه الملك يسأله ان يزوره والح في هذا الطلب فعزم بوذه على ذلك مشترطاً ان لا ينزل في قصر الملك ابيه لانه لا يدخل القصور . فجرى له يومئذٍ في . كابيلفستو . مسقط راسه استقبال عظيم بلغ مبلغ الجنون . وقام جميع السكان في مملكة ابيه يطلبون ترك العالم ليتبعوه وكان في مقدمتهم الملك ابو بوذه فانه تنازل في الحال عن ملكه لما رآه من ان مجد ابنه الطبيعي البسيط قد كسف مجده . وحينئذٍ ارتفع صراخ النساء الهنديات من كل جانب لان ازواجهن واولادهن واخوتهن كانوا يهجرونهن افواجاً افواجاً و يتبعون بوذه الحكيم . فاضطر بوذه الى المداخلة وقرر عدداً معلوماً لكل عائلة لا يتجاوزه الذين يريدون ان يتبعوه منها . وقد غارت النساء من الرجال فجاءته عمته . كوتامي . وطلبت منه ان ينشئ جمعية مثل جمعيته للنساء فرفض اولاً ثم رضي بناء على الحاحها والحاح النساء

والَّف لهنَّ جمعية كجمعيته وجعل ادارتها لعمته مع ابقاء الرئاسة العليا له

***

✱ اخلاقه وطريقة معيشته وسبب انتشار دعوته ✱ وكان لانتشار دعوته هذا الانتشار العظيم في وقت قريب عدة اسباب ٠ اولها ان نفوس الهنود كانت مستعدة لتلك التعاليم الجديدة التي جاء بها ٠ فان الشعب الهندي كان تعيساً فقيرًا مثقلاً باعباء الحياة وكان مذهب بوذه بمثابة ازال حمل الشعب عن ظهره ٠ لانه الى اي شيء كان يدعوهم ؟ كان يدعوهم الى ترك كل شيء والمعيشة في الجبال والاحراش من غير اقتناء ذهب ولا فضة ولا الاعتداء على احد وتلك معيشة طيبة ولا سيما للنفوس الضعيفة الشديدة التاثر ٠ وفضلاً عن ذلك فان اخلاق بوذه كانت تسحر تلامذته سحرًا مبيناً ٠ فان البشر لم يروا الى ذلك العهد رجلاً صبورًا لطيفاً حكيماً كارهاً للشر محباً للخير مثل ذلك الرجل ٠ وكان يعلمهم اذا ضربكم احد فلا تلتفتوا اليه ٠ اذا وجدتم غريقاً في نهر فالقوا انفسكم وانقذوه وان غرقتم ٠ اذا اهانوكم فانفضوا ملابسكم تذهب الاهانة عنكم ولا تعبئوا بكلام الناس ٠ وغير ذلك من المبادىء التي فعل بوذه بقوتها — لا بقوته — ما فعل من فتح العالم ونشر مذهبه فيه وحمل الناس على عبادته

وكانت معيشته اليومية كما ياتي ٠ ينهض في صباح كل يوم باكرًا فيرتدي برداءه البسيط ويتناول وعاء الشحاذة ثم يذهب في المدينة من باب الى باب طالباً قوته ورافضاً كل ما يُعطاه من الذهب والفضة ٠ وكذلك كان يفعل تلامذته ٠ ولما يعود الى مكانه في الحرش او الجبل يتناول في الظهر طعامه وهو الطعام الوحيد الذي ياكله في اليوم ثم يجلس للتامل والافتكار او للتعليم والوعظ

فهذه المعيشة البسيطة مع ما ذكرناه من اخلاق بوذه وحكمته استمالت الوف الشعب اليه وغلبت مذهبه على كل المذاهب التي كانت شائعة في الهند في ذلك الزمان

***

✱ عدد البوذيين في العالم ✱ وبقي بوذه يعظ الناس ويعلمهم ٤٥ سنة فعلا اسمه على كل اسم وصار الرجل الاعظم في هذا الوجود ٠ وبعد موته انتشر مذهبه الى ما وراء الهند فتغلب على اديان الصين ومنشوريا وثيبة ومنغوليا واليابان وكوريا وسيلان وانام وغيرها من البلاد الواسعة حتى بلغ عدد المتدينين به نحوًا من ٥٠٠ مليون نفس ٠ وهي موزعة الآن كما يلي في سيلان ١٥٢٠٥٧٥ بوذياً وبرمانيا ٥٤٤٧٨٣١ وسيام ١٠ ملايين وانام ١٢ مليوناً

والهند الاصلية (دجاينس) ٤٨٥ الفاً وهولانده ٥٠ الفاً والهند الانكليزية ٥٠٠ الف وآسيا روسيا ٦٠٠ الف وجزائر ليوكيو مليون وكوريا ٨ ملايين وبوتانيا وسيكيميا مليون وكشمير ٢٠٠ الف وثيبة ٦ ملايين ومونغوليا مليونان ومنشوريا ٣ملايين واليابان ٣٢٧٩٤٨٩٧ ونابال ٥٠٠ الف والصين ٤١٤٦٨٦٩٩٤ فالمجموع في كل الجهات ٤٩٩ مليوناً و٧٨٥ الفاً و٢٩٧ بوذياً

وغني عن البيان ان المذهب البوذي لم يعد كما وضعه بوذه في الاصل بل قد تغير في كل مكان دخل اليه تبعاً لاخلاق سكانه وعاداتهم · واي دين بقي كما شرعه شارعه· مثال ذلك اهل الصين · فان هؤلاء البشر قد افسدوا الدين البوذي لانهم جعلوه دين فساد بعدان كان دين صلاح كما رايت· واذا قلنا دين صلاح فانما نقول ذلك بصرف النظر عن الاجتماع لان الاجتماع ودين بوذه نقيضان لا يجتمعان· وقد اتخذ اعداء بوذه هذا الامر حجة عليه فكانوا يقاومونه بقولهم ان مذهبك يخرب العالم فكأنه كان يجيبهم « وهل نحن عقدنا ميثاقاً مع العالم على ان نبقيه عامراً وما هذا العار اذا كان الشقاء العظيم من نتائجه »

***

﴿ وفاته ﴾ وقد بلغ بوذه الثمانين من العمر فزاد طول عمره هيبته وكرامته لدى انصاره · وقد صرف من هذه السنين الطويلة ٢٩ سنة في قصر ابيه و٦ سنوات في قهر النفس في البرية والرياضة والتامل و٤٥ سنة في الوعظ والتعليم· ولكنه ابتلي في سنواته الاخيرة بالحزن والاضطهاد الشديد · فان تلميذيه الكبيرين توفيا قبله اي دخلا في « نيرفانا » التي هي مملكة العدم والراحة· ثم تولى مملكة فاكودا ملك لا يميل اليه فاضطهده وطارد انصاره حتى انه قد قتل احدى نساء ابيه لانها اوقدت مصباحاً اكراماً لبوذه · وبعد ذلك كله هاجم ملك كوزالا مملكة سكيا وطن بوذه وخربها ونهبها فكان ذلك حزناً جديداً للحكيم العظيم

وقد توفي بوذه بعد هذا العمر الطويل الذي يعتبره البوذيون احدى العجائب الكثيرة التي صنعها وذلك في مدينة « كوسانا كارا » من اعمال مالاس بين اربعة اشجار فيها · فاعتنى به في فراش موته تلميذه اندا وحده وهكذا طارت في فضاء الهند نسمات تلك الروح العظيمة التي اخذت منها

اما سبب وفاته فهو التخمة لانه اكل لحم خنزير · ولماذا اكل لحم خنزير · الجواب انه اخطأ في يوم من الايام خطأ ما فجعلت الالهة هذا الامر عقابه · ومن الغريب ان

يا كل بوذه في شيخوخته لحم خنزير هو الذي كان يقتصر على قليل من الارز في معيشته ٠ ولكن متى وقع القدر عمي البصر

وقد احتفل باحراق جثة بوذه على طريقة الهنود احتفالاً لم يسبق له مثيل في الهند كلها وحزنت الناس والآلهة والطبيعة في ذلك اليوم حزناً شديداً فابرقت السماء وارعدت واظلم الفضاء وكادت تزلزل الارض ٠ وبعد احراق جثته قسم رمادها ثمانية اقسام وجعلت في ثمانية قبور للتبرك بها ٠ وبعد مائتي سنة نبش ملك ازوكا هذه القبور وانشأ ٨٤ الف قبر مثلها ووضع فيها كلها من رماد بوذه وآثاره المحفوظة

والامر الغريب في الهند الآن ان الديانة البوذية قد تلاشت منها تقريباً مع انها مهدها الاول ٠ واما سبب ملاشاتها فهو على الارجح اضطهاد البراهمة لها كما انها نشأت اولاً لمقاومة البراهمة

والاغرب من ذلك ان كثيرين من الباحثين ينكرون ان يكون قد وجد بوذه في العالم ويذهبون الى ان هذا الحكيم خيالي ولكن الصحيح انه وجد اذ اي رجل هندي غيره يقوم و يضع آداباً وفلسفة كالاداب والفلسفة البوذية ولا يرد ذكره في تاريخ الهند

ومما ينسب الى الغرابة ايضاً قولهم ان بوذه كان مسيحياً حتى استطاع ان يعلم تلك الاداب ٠ على ان قولهم هذا بمثابة قول القائلين ان المسيح زار الهند قبل شروعه بالتعليم وكان بوذياً

***

☀ الخاتمة ☀ والخلاصة ان عظمة بوذه في ثلاثة امور (١) هجره القصور وتركه زخارف المعيشة الملكية ليعيش ببساطة في البرية ويعلم الحقيقة فيها ٠ وهذا الامر مستصغر من رجل من السوقة ولكنه من ابن الملك امر عظيم ٠ (٢) ان بوذه بادابه السامية ومعيشته الصارمة البسيطة احيى نفوس ملايين من البشر واعظام ان لم يكن الروح البوذي الالهي فالروح الادبي الذي مقتضاه طلب الخير البحت المجرد واجتناب الشر من اي نوع كان ولولاه لبقيت تلك النفوس في ظلمات الخشونة والغباوة ٠ فبالروح الادبي ساد بوذه واحيى نصف العالم تقريباً (٣) اننا لا نرى الآن اداب بوذه وفلسفته شيئاً عظيماً لقيام المسيحية والاسلامية بعدها ولكن اذا ذكرنا ان بوذه ابتكر تلك الاداب السامية والفضائل الرائقة لما كان العالم في اقصى درجات الهمجية استحق ان يكون لدينا هذا الحكيم العظيم في اعلى مقام وان كان لم يصل الى التوحيد ووجب ان لا نذكر اسم هذا العامل الذي خدم نصف الانسانية خدمة جليلة الا بالثناء والاحترام فلنطاطئ الرؤوس امام بوذه

باب المقالات

الهيئة الاجتماعية في رومه

في بداية القرن الاول للميلاد (١)

كيفية زينة نساء رومة ووخز الدبابيس · تيوفين الجميلة الفاضلة · اتخاذ العبادة وسيلة للتنزه · افعى تشهد بفضيلة العذارى · الالاهة ديانا وهيكلها وعبادها وذبيحتها واختيار كاهنها بالقتل · ملاهي الرومانيين · الشبان المتزلفون للنساء · المرأة في الهيئة الرومانية · مكانة الاولاد واين كانت عواطف الام · فبخلة النساء والطلاق · هل كانت هيئتهم اكثر فساداً ممن اتى قبلهم او بعدهم · كلمة لسنيكا الحكيم

نقلنا في الجزء السادس عن العالم شلومبرجر وصف الهيئة الاجتماعية في الاستانة في القرن العاشر للميلاد اي منذ ٩٣١ سنة · وقد كان لهذه المقالة وقع حسن لدى القراء فاجبينا ان نردفها بمقالة اخرى في وصف الهيئة الاجتماعية في رومه القديمة في ايام القيصر اغسطس اول امبراطرة الرومان الذي ولد في سنة ٦٣ قبل المسيح وتوفي في سنة ١٤ بعده· وكانت رومه في ايام ملكه الاخيرة قد الفت حكم رجل واحد فسكنت وتركت الفتن والاضطراب والعالم استراح من الحروب الهائلة التي خضبت اصقاعه بالدماء وكل شيء فيه ساكت ساكن كأنه علم بذلك النور الذي انبثق في اورشليم فشغله النظر اليه عن كل شغل او انه كان قد ملَّ قديمه من الجهد فسكن ولبث ينتظر الجديد

واليك المعيشة الاجتماعية في رومه في ذلك الزمان نعتمد في وصفها على مقالة للعالم المسيو بواسيه السكرتير الدائم للاكاديمية الفرنسوية وعلى مقالة اخرى للعالم المسيو كانيات

معيشة الرجال

ينهض المراة عادة من النوم باكرًا عند انبثاق الفجر وينتظرون في منازلهم الاصحاب الذين يفدون لزيارتهم والتسليم عليهم · ثم يذهبون معهم الى الساحة العمومية التي تكون

(١) اي في عهد امبراطرة الرومان الاولين منذ نحو ١٨٩٠ سنة

اغاصة بالناس وفيها القضاة والخطباء . هذا هو اجمال معيشة الرجال

زينة نسائهم ونسائنا

اما نساؤهم فانهن ينهضن في ذلك الوقت ايضاً ويبدأن بالتزين والتحلي وهو عمل شاق وطويل . فان لكل سيدة رومانية اماء يتولين الباسها ملابسها وتزيين وجهها . فواحدة لتنظيف جواهرها او ملابسها وواحدة لاعداد دهانها وروائحها . وثالثة لصنع دواء يحفظ نعومة البشرة وبياضها . ورابعة لترتيب شعرها وذلك برفعه طبقاً للزي الذي كان قد ابتدأ في ذلك الزمان . واخرى لمزج شعرها بشعر مستعار اشقر جميل لما يكون شعرها قصيراً غير كاف . وكانت لهذه الشعور تجارة مخصوصة اذ كان يؤتى بها من جرمانيا وتباع في سوق مخصوصة قرب هيكل هرقل في رومه . وكانت السيدة تتبع حركات نسائها وهي امام المرآة تنظر اعمالهن فاذا اخطأت احداهن زجرتها ووبختها واحياناً تناولت دبوساً ووخزتها به في يدها عقاباً على اهمالها او جهلها . وقد روي ان سيدة كبيرة في عهد الامبراطور « ادريين » ضربت احدى نسائها وهي تزينها ضرباً مبرحاً لانها اخطأت فنفاها الامبراطور من رومه ست سنوات جزاء اعتدائها . اما السيدة « تيوفين » التي ننقل هنا خبرها ونصف معيشتها فانها اكثر ادباً ولذلك فانها كانت تكتفي بتوبيخ نسائها عند الاهمال توبيخاً لطيفاً . فانت ترى فيما مرّ ان نساء رومه في ذلك الزمان لم يكنّ اكثر عقلاً ولا اشد اعتدالاً فيما يختص بالزينة من نسائنا . وكيف تريد ان يكن كذلك . فهل العالم يمشي الى امام ام الى وراء . اليس يجب ان يكون نساؤنا اكثر عقلاً واشد اعتدالاً منهن حتى يقال اننا نتقدم لا نتأخر

المتنزهات وهياكل العبادة

غير ان « تيوفين » مع ادبها واعتدالها كانت في صباح هذا اليوم مستاءة متحيرة ذلك لانه قد حان وقت النزهة ولم تفرغ نساؤها من تزيينها بعد . وقد تعجب من قولنا ان نزهة النساء الرومانيات كانت في الصباح عند اشراق الشمس ولكن يزول عجبك متى علمت ان للنهار الروماني حدّاً وهو غياب الشمس . فمتى غابت الشمس سكنت حركات المدينة العظيمة ومن اجل هذا فالتي لا تخرج للنزهة في الصباح فانها قد لا تجد في باقي ساعات النهار ساعة للتنزه والانبساط

ولكن نساء تيوفين ما لبثن ان رفعن ايديهن عنها متنهدات تنهد الفراغ من عملهن ومبتسمات لها ابتسام الاعجاب بجمالها الفتان . فقامت تيوفين مسرعة الى هودجها . وكانت

لها قامة مستقيمة كأنها الرمح في اعتداله وارتفاعه ووجه روماني صبوح من تلك الوجوه العظيمة التي جمعت بين قوة الرجال ورقة النساء . فركبت تيوفين هودجها وحولها نساؤها يحادثنها ويثنين على جمالها فحمل هذا الهودج ستة او ثمانية من الارقاء الاقوياء وساروا بسيداتهم الى حيث تجتمع كرائم سيدات رومه

ولم يكن في رومه حدائق عمومية للنزهة كما في عواصم العالم اليوم ولكنه كان فيها شوارع واسعة محفوفة على جوانبها بالاشجار الظليلة الجميلة المصفوفة امام ممرات ومماش منقوشة مخفقة وقائمة في ساحة « مارس » على اعمدة رخامية جميلة وفيها كثير من التماثيل البديعة التي اخذتها رومه عن اليونان . ففي هذا المكان كان يجتمع المتنزهون والمتنزهات

وكان للمتنزهين والمتنزهات متنزه ثان وهو هياكل الآلهة . فان النساء كن يذهبن اليها للعبادة والتنزه معاً لان هذه الهياكل كانت ملتقى عاماً . ولكن الهياكل التي كانوا يقصدونها بالاخص هي هياكل الآلهة التي اخذها الرومان عن اليونان لان الحفلات في الهياكل الرومانية كانت خالية من الرونق الذي كان لحفلات الالهة اليونانية . وكانوا يفضلون هيكل ايزيس التي هي ممثلة الشمس فيحتفلون فيه كل يوم حفلتين واحدة في الصباح حين شروق الشمس للتسليم عليها وواحدة في المساء حين غروب الشمس لتوديعها وطلب حمايتها

ومن جملة الامور التي كانت تجعل النساء يفضلن هذا الهيكل على سواه ان كثيرات من النساء كن يقصدنه منبوشات الشعور مكشوفات الصدور ليطلبن بالحاح من « ايزيس امهن المقدسة » ان تحنن عليهن وتنظر اليهن . وغيرهن يحسبن انهن اخطأن اليها فيأتين ليستغفرنها وهناك يقفن امام تمثالها ويعترفن جهراً بصوت قوي بكل ما صنعنه من الخطايا والذنوب . فلا بدع ان يكون هذا المكان مقصوداً .

وكانوا يتخذون العبادة وسيلة للتنزه ايضاً خارج المدينة في « لانوفيوم » و « نيميا » حيث يوجد هيكلان واحد « لجونون » (امراة جوبيتير) والثاني « لديانا » الاهة الاحراش . ومما كان يزيد نساء السراة رغبة في الذهاب الى هذين الهيكلين انهن كنّ يستطعن النزهة على طريقهما بالمركبات لان النظام المعروف بنظام « جوليا » قد قضى بمنع المركبات من الجري في اسواق رومه منذ بزوغ الشمس ذلك لان ازقة رومه وشوارعها ضيقة فالمركبات تعيق السير فيها في النهار . وكان الزائرات يقصدن هيكل لانوفيوم للتفرج بمشاهدة افعى مقدسة تشهد للعذارى بالطهر والبكورية اذا كنّ ابكاراً طاهرات

ويقصدن نيميا لان النزهة عند تلك البحيرة في مركبة تجرها جياد الخيل مما ترتاح النفوس اليه فضلاً عن ان كل واحدة من المتنزهات بازاء الحرش هناك كانت تنتظر في تنزهها ان ترى امرًا غريبًا لم تسمع بمثله الاذان

طريقة عبادة ديانا وذبيحتها

وهذا الامر الغريب نصفه في ما يلي

ان الهيكل الذي كان مخصصًا بديانا الاهة الاحراش كان قائمًا قرب راس بحيرة نيميا الشمالي . وهو مبني على سطح صخري منحوت من صخر عظيم وطوله ٣٠ مترًا . وكان محاطًا بالحرش من كل الجهات وفي هذا الحرش يقيم كاهن الهيكل العظيم . اما الامر الغريب فهو انتخاب هذا الكاهن . وطريقة هذا الانتخاب الحرب والقتال . فان كل رجل بل كل شقي او لص كان يجوز له الدخول الى هذا الحرش بسلاحه ومتى دخل اليه وجب على الكاهن ان يتناول سيفه وينازله فاذا قتله الكاهن امن شره واذا قتل الرجل الداخل الكاهن كان ذلك دليلاً على ان الاهة ديانا غاضبة على كاهنها ولذلك اختارت رجلاً آخر مكانه وجعلته بعد تمكينه منه كاهنًا مكانه . ومن اجل هذا كانت الزائرات المتنزهات على طريق بحيرة نيميا يطيب لهن النظر الى الحرش ليرين اذا كان قد دخل احد اليه لينازع كاهن ديانا الرئاسة

والآن فلنصف ذبيحة من ذبائح ديانا . فندخل اولاً في الليل الى الحرش فنجد فيه الكاهن العظيم جالسًا لا يعرف النوم جفنيه خوفًا من رجل يفاجئه وكان مصغيًا الى كل حركة وكل صوت في الحرش وهو ينتفض رهبة وذعرًا لاقل الاصوات . وبازائه سيفه الذي كان لا يفارقه لا في الليل ولا في النهار . اما هيكل ديانا فقد كان يسود فيه في ذلك الوقت سكون عميق

ولكن النهار اخذ يرسل رسل الفجر والقمر الذي هو صورة ديانا الجميلة ينثر امواجه الفضية على الحرش وعلى طريق رومه التي تسير عليها الزائرات في مثل تلك الساعة قاصدات عبادة الالاهة . ولما وصلت هؤلاء الزائرات الى الهيكل في سكون الليل تفرقن حوله لاعبات متداعبات واخذ بعضهن يستحم في ساقية من الماء جارية ليتطهرن قبل دخول الهيكل وبعضهن انتشر في حوانيت موجودة هناك لشراء التقدمات التي يجب ان يقدمنها الى الالاهة . وكان يوجد انواع كثيرة من هذه التقدمات فمن اكاليل زهر لتزيين المذبح والهيكل ومن تماثيل على صور الالهة مصنوعة من برونز وشمع وفخار . وما عدا ذلك فقد كان

يوجد رسوم على صور الاعضاء البشرية من رأس ويد وقدم وساق وبطن وما اشبه فالذي يشكو من الم راسه يبتاع راساً ويقدمه لديانا فتشفيه والذي يشكو من داء في يده يبتاع يداً يقدمها لها مستشفياً وهلم جرّا

وظل النساء منفردات حتى برز جبين الغزالة فلما كللت اشعتها الاولى قمة الهيكل حتى دنا رفيقان من اعلى السلم المؤدية اليه واخذا يبوقان ببوقين . فانفتحت عند ذلك ابواب الهيكل وخرج منها الموكب الكهنوتي يتقدمه صبيان يلبسون ملابس بيضاء وكانوا يسمونهم « كاميل » وهم يحملون بايديهم الخبز والملح وآلات الذبيحة . اما الرجال الذين كانوا وراءهم فهم الكاهن العظيم وحوله حاشيته وكلهم مرتدون بالملابس الدينية وفي مقدمتهم اربعة رجال اكبرسناً منهم يحملون على اكتافهم محملاً صغيرًا عليه تمثال ديانا المقدس وهو من الخشب ويقال انه قديم وقد صُنع في زمن بناء ذلك الهيكل . وكان هذا التمثال عظيم الجاه لدى الشعب ولذلك كان الكهان يحفظونه مخبوءا ولا يبرزونه له الا مرة في السنة . وكانت ديانا في هذا التمثال تلبس الى ركبتيها لباساً فاخرًا جيلاً وعلى راسها قبعة صغيرة وفي يدها قوس فضية موتره تكاد تنطلق نبلتها وهي لمسير الكهان ترتجف في يد ديانا ارتجافاً يجعل لها تاثيرًا شديدًا

فلما وقعت ابصار الشعب المجتمع على هذا التمثال حتى ضج وارتفعت طلباته من كل صوب هاتفاً

« ياديانا القانصة . ياحارسة الجبال والاحراش . يا صاحبة القوس الفضية والنبال التي تقتل الآيال السريعة والفهود الضارية . احرسينا »

فدنا عند ذلك الكاهن العظيم متشحاً بالالبسة الفاخرة المذهبة من المذبح وكانت عليه نار تتقد فاخذ شيئاً من البخور والقاه فيها ثم رفع كاساً مملوءة من الخمر وصب منها بضع نقط على هذه النار . ثم التفت صوب الهيكل ورفع يديه الى السماء مقدماً العبادة . ثم طلب كتاباً يحتوي التقاليد الدينية المكتوبة بلغة لا يفهمها احد من الشعب واخذ يقرأها جهرًا . وكان بازائه اثنان من الموسيقيين ينفخان بالشبابة انغاماً تنطبق على ترنم الكاهن وتخفي اصوات الشعب اذا خطر لاحد ان يتكلم مخافة ان يُساء الى العبادة . وكان الشعب في ختام كل عبارة يردد منشدًا مقاطعها الاخيرة بعد الكاهن والموسيقيين

وبعد ذلك جاؤا بالحيوان المعين للذبيحة وهو بقرة في جبهتها علامة بيضاء تقرب من الهلال . وكانوا لا يذبحون للالاهات الا الحيوانات الانثى كما انهم لا يذبحون للالهة

الذكور الا حيوانات من الذكور · وكانت البقرة مزينة يقودها رجل في يده فأس وسكين لذبحها بها · وكانت تتبعه معلمة فيقولون ان الالاهة ديانا تخفضها وتلين مراسها

فدنا الكاهن عند ذلك منها واخذ سكيناً ليجز من شعرها و يلقيه في النار قبل ذبحها حسب العادة فجز الجزة الاولى والقاها في النار ولكن ما مس الشعر النار حتى خمدت النار في الحال · فتراجع الكاهن الى الوراء وضج الشعب مدهوشاً واخذ يقول ان ديانا ساخطة على كاهنها ولذلك لم تقبل تقدمته

تهديد الكاهن بالقتل

وما كاد الكاهن يتراجع الى الوراء حتى علت في الحرش صيحة عظيمة · فدب الرعب في صدور الحاضرين ورفع الكاهن راسه وتناول سيفه في الحال لانه علم ان رجلاً يطلب منازعته الرئاسة قد دخل الى الحرش · فهرع رجاله الى نزع ملابسه الذهبية · ولما فرغوا من ذلك وثب الكاهن من الهيكل قياماً بالفرض المحتوم وفي يده سيفه واندفع يطلب خصمه

فحدث حينئذ بين الشعب سكوت عميق · سكوت كانت فيه الانفاس مقطوعة اصغاء لما سيحدث في الحرش · وكان يصل الى الاذان من حين الى حين صوت تقارع السيفين وصراخ الخصمين فتمرد القشعريرة النفوس ويزداد الشعب رغبة في معرفة النتيجة

وكانت كل المصليات في الهيكل مضطربات تشرئب اعناقهن لمعرفة ما يحدث في الحرش حتى السيدة تيوفين نفسها · وكانت سحنهن منقبضة وايديهن ممدودة الى السماء وافواههن ضارعة · ولم يكن في الهيكل من ساكن هادىء غير تمثال ديانا التي كانت كانها مرتاحة الى ذلك المنظر الغريب

ولكن ما انقضت على ذلك مدة من الزمن حتى علت صيحة هائلة من جهة الحرش في ذلك السكون فهلعت لها قلوب النساء واغمي على تيوفين لرقة قلبها وخوفها على الكاهن المسكين ثم بعد انقضاء برهة وجيزة ظهرت فوق المذبح جثة انسان ممددة وملفوفة بغطاء قاتم يحملها رجلان فوضعاها امام تمثال ديانا وتلاها رجل عظيم الهامة يحمل بيده سيفاً مخضباً بالدم فوقف امام الجمع وقال « ان كاهن ديانا قد راح وقد اختارتني ديانا لاكون كاهناً مكانه » وكان هذا الرجل هو قاتل الكاهن التعيس

فضج الجمع حينئذ بالترنيم الديني الذي يقال في هذا المقام وهذا نصه « ياديانا الهائلة ·

انت التي تحبين الذبائح الدموية . يا أرتميس ملكة توريد . ارحمينا . احفظينا »

الملاهي الاخرى

تلك كانت احدى ملاهي الرومانيات . ومن هذه الملاهي ايضاً التمثيل والمصارعات البشرية والحيوانية وسباق الخيل والمركبات . وقد كثرت هذه الملاهي في عهد اغسطس اولاً لان هذا الامبراطور كان يلهي الشعب بها عن حريته المفقودة وثانياً لان الشعب قلّ اهتمامه بالمسائل السياسية لقبض رجل واحد عليها فاصبح اكثر اشتغالاً بالملاهي عنها . وقد كانت النساء قبل اغسطس يحضرن تمثيل الروايات في صحن القاعة مع الرجال فلما جاء اغسطس اراد ان يصلح كل شيء حتى الملاعب فجعل لهن « الواجا » خصوصية في اعلى الملعب يرين منها دون ان يراهن احد . ولم ياذن لهن في الجلوس مع الرجال الا في مراسح المصارعة اذ ليس في الامكان منع الواج لهن فيها . وكانت النساء شديدات الولع بحضور المصارعة البشرية والحيوانية الى حد اصبحن عنده لا يطقن الانقطاع عنها حتى انه لما سافرت احداهن الى مصر لتلحق برجل احبته لم يعجب نساء رومة من انها تركت زوجها واولادها لتلحق بعشيقها ولكنهن عجبن من انها استطاعت ترك لعب المصارعة . فتأمل

الشبان المفتون

وفوق هذه الملاهي فقد كان للرومانيات ملاه عائلية ونريد بها الاجتماعات التي كانت تنعقد في المنازل . فانه كان يوجد بين الرومانيين شبان دابهم التخنث والخلاعة وصقل الشعور وتطييب الملابس وحمل الازهار وزيارة المنازل لمحادثة النساء. وكانوا يسمون هولاء الشبان « المعلين الصغار » . سلهم تجدهم عالمين بكل الامور . فانهم يعرفون من يحب فلانة ومن تحب فلاناً ويحفظون كل حوادث الخطبة والزواج والطلاق ويعرفون اسراراً كثيرة يهمسون بها في آذان النساء . ولذلك كانت النساء شديدات الميل اليهم واذا خلا مجلسهن من واحد منهم فانه يكون مجلساً بارداً (١)

المراة والاولاد في الهيئة الرومانية

وكانت المراة في ذلك الزمان سيدة العائلة وهذا يقضي بالعجب العجاب . فهي حضرت اصبح الرجال ولا همّ لهم غير خدمتها وارضائها فكانت مقدمة عليهم جميعاً . وكان بعضهن بالغاً من الادب مبلغاً يمكنهن من المقارنة بين هوميروس شاعر اليونان وفرجيل شاعر الرومان كما روى جوفنال . وكان العشاء اخص مجالسهم وهو يبدأ منذ الساعة الرابعة بعد

(١) كأن الكلام هنا مسوق الى الهيئة الاجتماعية في هذا الزمان

الظهر ساعة يكون دولاب الاشغال قد وقف والجميع عادوا من الحمامات التي كانوا يستحمون فيها و يلعبون الالعاب الرياضية المختلفة . وكانوا ينهضون عن المشاء عادة عند هبوط الظلام ولا يوغلون في الليل لان الطرق كانت غير امينة فكم قد ذهبت فيها في الظلام الدامس دماء هدرًا . غير ان اغسطس كان قد عين حراسًا للمدينة في الليل ليقبضوا على اللصوص ويخمدوا النار حين اضطرامها في المنازل والحوانيت فبات الناس في امن من كل شر

وكانوا اولاً ينقشون على قبر المراة الرومانية هذه الكلمات « كانت تقيم في بيتها على غزل الصوف » كناية عن حشمة النساء واجتهادهن . ولكن ما اتى اغسطس حتى صار الرومانيات يهملن هذه الشؤون . فخطر لاغسطس ان يعلن انه لا يلبس الا من الصوف الذي تغزله امراته وكان غرضه من ذلك تحبيب العمل البيتي اليهن وتنفيرهن من الاعمال العمومية التي اخذن يهتممن بها . ولكن سعي اغسطس ذهب عبثًا

اما الاولاد في رومة فكان يربيهم الخدمة والخادمات . ومتى ولد الطفل قدم لابيه فاذا عرف انه منه وضعه على الارض وابقاه في منزله وان لم يعرف انه منه او لم يرد ان يعرف ذلك لكثرة الاولاد في منزله وعجزه عن القيام باودهم كلهم او اذا راى فيه عضوًا مشوهًا فانه ياخذه و يلقيه على باب منزله و يقفل الباب . فاما ان هذا الطفل المسكين يموت بردًا وجوعًا واما ان يلتقطه احد المارة ليسترقه . وكان الطفل السعيد ذاك الذي لا يقع بين يدي القساة الذين كانوا يلتقطون الاولاد و يشوهون بعض اعضائهم ليربوهم و يجعلوهم يحترفون الشحاذة في كبرهم انتفاعًا بما يتصدق به الناس عليهم

فماذا كانت تقول النساء امهاتهم ؟ ما كن يقلن شيئًا . فاين الحنان الوالدي ؟ اين الشفقة الوالدية ؟ لا نعلم . وانما نعلم ان الامهات كن ينظرن الآباء يصنعون هذا الصنع البربري دون ان يقلن شيئًا . ولذلك استنتج بعض العلماء من هذا الامر ان شفقة الام والاب ليست طبيعية ولكنها اكتسابية تتغير بتغير احوال الزمان والمكان

فضيلة نساء رومه

واما طهارة نساء رومة فقد اختلفت الاقوال فيها . وقد قال احد المؤلفين الرومان بهذا الشان ما نصه « ليس بين الرومانيات امراة طاهرة الا التي لا يلتفت الناس اليها » فما افظع هذه الشهادة . ومما يجدر الانتباه اليه انه لا يوجد لدى الرومانيين كلمة بمعنى « الحب » الحقيقي المتعارف بين الحكماء نعني الحب الصادق الذي مقتضاه امتزاج روحين امتزاجًا

مجرداً عن تاثير المادة او سلطتها · فهم اذا قالوا في رواياتهم « يحب » فانما يعنون بذلك الفساد والفجور · وهذا الامر ينطبق على الشهادة السابقة · ومع ذلك فالتعميم ظلم للهيئة الرومانية القديمة لان كل هيئة اجتماعية تحتوي على نصيبها من الفساد والطهارة تبعاً لاختلاف الاهواء فيها بين الشدة والاعتدال فضلاً عن اختلاف التربية والعادات

الطلاق

وقد كان الطلاق شديد الانتشار في رومه حتى انه لم يكن يصدر عدد من « جرنال رومه » الا وفيه ذكر لنساء مطلقات مع ان هذا الجرنال لم يكن يذكر سوى اسماء نساء الطبقة العليا · ومما زاد الطلاق ان المراة الرومانية كانت حرة التصرف باملاكها فكانت تتخذ لها ثقاة للمناظرة عليها فكان الخصام يشتد بين زوج المراة وثقاتها الذين يديرون املاكها فيؤدي ذلك الى النزاع مع المراة ثم الى تطليقها · وفضلاً عن ذلك فان الطلاق نفسه كان يزيد الطلاق وهذا شانه في كل مكان وزمان · وسبب ذلك ان الزوجين متى وجدا انه لا سبيل لهما الا الافتراق كانا اكثر تسامحاً الواحد مع الآخر ولكنهما اذا وجدا ان الطلاق مباح فانهما لا يعمدان الى تساهل او تسامح بل يتخذان اقل خلاف او نزاع وسيلة الى الطلاق

هل هيئتهم اكثر فساداً ام اقل

ولا بد ان يسأل القارئ بعد ما تقدم هل كانت الهيئة الرومانية اكثر فساداً من الهيئات التي عاصرتها او التي تلتها · فنجيب مع المسيو بواسيه على سبيل الاستشهاد بكلمة لسنيكا الحكيم الروماني وان كانت هذه الكلمة تخالف رأينا « شكا الناس قديماً وهم يشكون الآن وسيشكون الى الابد · وفي كل عصر ينادون بان كل شيء متضعضع متهدم · ان الرذيلة تنتصر والفضيلة تخذل · ان الانسانية راجعة القهقرى الى الوراء · والحقيقة ان كل شيء باقٍ على حاله تقريباً واذا حدث تغيير فالتغيير يكون ضعيفاً جداً كان العالم اوقيانوس ياتي الجزر فيبعده بضع خطوات عن الشاطئ ثم ياتي المد فيعيده كما كان »

عود الى جبلة المقالة

اما تيوفين صديقتنا فلم تكن كالنساء التي مرَّ ذكرهن · فانها ربت اولادها بنفسها ولم تعرض واحداً منهم على ابواب منزلها · وعاشت عيشة طاهرة بسيطة مع زوجها واولادها فلم يدرج اسمها في « جرنال رومه » ولما ماتت — رحمها الله وعزى القارئ عن وفاتها —

كتب زوجها على قبرها هذه العبارة « كانت تقيم في منزلها على غزل الصوف ولم تسئ الي يوماً بغير موتها »

فليت جميع النساء في هذا العصر يقتدين بها



﴾ تمثال ديانا ﴿

وهو من الهدايا والتقدمات التي كان يقدمها عابدو ديانا استرضاء لها · وعلى الغالب يكون بازائها رسوم حيوانات كالكلاب والخرفان وما اشبه كما ترى في الرسم · وقد وجد هذا الرسم في الاثار الرومانية

هراة نظماً ونثرًا

وصفنا افغانستان في الجزء الثاني من السنة الثانية وصفاً كافياً ولكننا لم نسهب في وصف هراة التي هي من اهم مدنها ان لم نقل اهمها . والذي يجعل لهراة هذه الاهمية الخصوصية امران . الاول كونها الطريق التجارية الوحيدة للقوافل التجارية بين الهند وآسيا ولذلك كان همّ الفرس الاستيلاء عليها في سالف الزمان . والثاني كونها ايضاً طريق جميع الفاتحين الذين قصدوا الهند من الاسكندر المكدوني فما فوق وما دون ولذلك فان اول ما تهمه روسيا اذا ارادت الاقدام على الهند هو احتلال هراة ومن اجل هذا اخذ الامير عبد الرحمن الذي لا يألو جهداً في خدمة بلاده بتحصينها وحشد الجند فيها

﴿ صفة هراة ﴾ وهراة هذه قاعدة اقليم هراة الافغاني وهي قائمة في واد جميل يدعى وادي هرى روند على الضفة اليمنى لنهر بهذا الاسم . وهي مبنية على شكل مسطح مستطيل طولها كيلو متر ونصف وعرضها كيلو متر واحد وفيها اقنية عديدة تاتيها بالمياه من النهر المذكور آنفاً . وقد كانت هذه المدينة محاطة بسور شاهق حوله خندق عريض مملوء ماء اما الآن فقد زاد الامير تحصينها بمساعدة الضباط الانكليز حتى صارت حصناً حقيقياً . وفيها شارع كبير واسع يشقها من الشمال الشرقي الى الجنوب ولكن الشوارع الاخرى ضيقة قذرة

﴿ سكانها ومعايشهم ﴾ اما سكانها فعددهم ٥٠ الف نفس وهم بين افغان وفرس وتتر وهنود و يهود وارمن . واهم صناعاتهم السيوف الخراسانية والسجاد والحرير والجلد . وفي المدينة جامع كبير هدمه الفاتح جنكيزخان فاعيد بناؤه في القرن الثالث عشر للميلاد وهو اليوم متضعضع . وفي شمالها الغربي قلعة كبيرة يسمونها قلعة شكلرباغ او قلعة هراة

وقد افتتح العرب هراة في حوالى سنة ٦٥٠ للميلاد فبلغت في عهد الاسلام من الاهمية والحضارة مبلغاً عظيماً كما ترى في القصيدة التالية التي نظمها الامام بهاء الدين العاملي المشهور

وهذا نصها باختصار

مقدمة

يقول راجي العفو يوم الدين المذنب الجاني بهاء الدين
تجاوز الرحمن عن ذنوبه واسبل الستر على عيوبه
بليتُ في قزوين وقتاً برمد مقرحٍ للقلب من فرط الكمد
يمنع من صرف النهار فيما يرضيَ اللبيب الحاذق الفهيما
من بحثٍ او تلاوة او ذكر او درس او عبادة او فكر
حتى سئمت من لزوم منزلي والنفس عن اشغالها بمعزل
ولم يكن من عادتي البطالة لانها من شيم الجهالة
فرمتُ شيئاً مشغلاً لبالي عما اقاسيه من البلبال
فلم اجد ابهى من الاشعار وليس نظم الشعر من شعاري
وكنت في فكر بايّ واد القي جياد الفكر في الطراد
فبينما الامر كذا اذ سألا مني بعض الاصدقاء العقلا
ان اصف الهراة في ابيات جامعة للنشر والشتات
فقلت والجفن بادمعي سخي على الخبير قد سقطت يا اخي
ثم نظمت هذه الارجوزة بديعة رائقة وجيزة
سميتها اذ كملت بالزاهرة فيها كما مائة بيت فاخرة

في وصفها على الاجمال

ان الهراة بلدة لطيفة بديعة شائقة شريفة
خندقها متصل بالماء وسورها سامٍ الى السماء
ذات فضاء يشرحُ الصدورا ويورث النشاط والسرورا
حوت من المحاسن الجليلة والصور البديعة الجميلة
ما ليس في بقية الامصار ولم يكن في سالف الاعصار
لست ترى في اهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها في الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء
كذلك الباغات والمدارس فما لها فيهنّ من مجانس

في وصف هوائها

هواؤها من الوباء جنة كانه من نفحات الجنة
فيبسط الروح و ينفي الكربا ويشرح الصدر و يشفي القلبا

لا عاصف منه تمل الحرة   ولا بطيء السير فرد مره
بل وسط يهب باعتدال   كغادة ترفل في اذيال
فمن رماه الدهر بالافلاس   حتى عن المسكن واللباس
فلا يصاحب بلدة سواها   لانه يكفيه في هواها
جبية واحدة في القر   وشربة باردة في الحر

في وصف مائها

لو قيل ان الماء في الهراة   يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيد   فكم على ذلك من شهيد
تراه في الانهار جار صاف   كانه لآلئ الاصداف
لا يحجب الناظر عن قراره   بل يطلعنه على اسراره
تظن غور عمقه شبرين   من الصفا وهو على رمحين
خفيف وزن رائق الاوصاف   ما مثله ماء بلا خلاف
يهضم ما صادف من طعام   كانما اكلته من عام

في وصف نسائها

نساؤها مثل الظباء النافره   ذوات الحاظ مراض ساحره
من كل خود عذبة الالفاظ   تقتل من تشاء بالالحاظ
اضيق من عيش اللبيب ثغرها   اضعف من حال الاديب خصرها
فاتكة قد شهدت خداها   بما بنا تفعله عيناها
والجسم في رقته كالماء   والقلب مثل صخرة صماء

في وصف ثمارها

ثمارها في غاية اللطافة   لا ضرر فيها ولا مخافة
عديمة القشور عند الجس   تكاد ان تذوب حال اللمس
تخال في اغصانها الدواني   اشربة الحسن بلا اواني
مع انها بهذه الكيفية   رخيصة عندهم زرية
يطرحها البقال فوق الحصر   حتى اذا ما جاء وقت العصر
وقد بقي شيء من الثمار   يطرحه في معلف الحمار

في وصف عنبها

ولست محصياً لوصف العنب ... فانه قد نال اعلى الرتب
ادق من فكر اللبيب بزره ... ارق من قلب الغريب قشره
ايضه في لطفه والطول ... يحكي بنان غادة عطبول
اصنافه كثيرة في العد ... ليس لها في حسنها من حد
فنه فخري وطائفي ... وكشمشي ثم صاحبي
وغيرها من سائر الاقسام ... فوق الثمانين بلا كلام
مع هذه الاوصاف والمعاني ... في ارخص الاسعار والاثمان
ترى الذي ما مثله في الفقر ... يبتاع منه الوقر بعد الوقر
وربما يعلفه الحميرا ... ان لم يصادف عنده شعيرا

في وصف بطيخها

بطيخها من حسنه يحير ... في وصفه ذو الفطنة الخبير
جميعه حلو بغير حد ... احلى من اللقاء بعد الصد
مهما يقول الواصفون فيه ... نزر فانه بلا تمويه
يباع بالبخس القليل النزر ... لانه واف بغير حصر
ياتي به المرء من الصحاري ... فلا يفي باجرة المكاري

في مدرسة المرزاء

وما بني فيها من المدارس ... ليس لها في الحسن من مجانس
اشهرها مدرسة المرزاء ... مدرسة رفيعة البناء
رشيقة رائقة مكينة ... كانها في سعة مدينة
في غاية الزينة والسداد ... عديمة النظير في البلاد
بالذهب الاحمر قد تزخرفت ... كانها جنة عدن ازلفت
في صحنها نهر لطيف جاري ... مرصف جنباه بالاحجار
في وسطه بيت لطيف مبني ... كانه بعض بيوت عدن
من الرخام كله مبني ... كانما صانعه جني
وكل ما يقوله النبيل ... في وصفها فانه قليل

في ساحة كازركاه

وبقعة تدعى بكازركاه ... ليس لها في حسنها مباهي

هواؤها يحيي النفوس اذ بدا　　وماؤها يجلو عن القلب الصدا
والسرو في رياضها المطبوعة　　كخود اذيالها مرفوعة
فيها البساتين بغير حصر　　يقصدها الناس بعيدَ العصر
من كل صنف ذكر وانثى　　وحرة وامة وخنثى
لا همَّ عندهم ولا نكادُ　　كانهم قد حوسبوا وعادوا
تراهم كالخيل في الطراد　　وكل شخص منهم ينادي

خاتمة الحسر من فراقها وبعد وفاتها

يا حبذا ايامنا اللواتي　　مضت لنا ونحن في المراة
نسترق اللذات والافراحا　　ولا نملُّ المزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد　　والدهر مسعف بما نريد
واهاً على العود اليها واها　　فما يطيب العيش في سواها
فانتِ يا سوالف الايام　　عليكِ مني اطيب السلام

النساء الهستيريات

بحث طبي شرعي

لحضرة الدكتور البارع عارف افندي نحاس

دقت الساعة العاشرة ليلاً . الجماهير مزدحمة في الملاعب والملاهي . المنازل مكتظة بالزائرين والزائرات وهم في حديث ومسامرة او بين لعب بوكر وبكره : هذه هي حالتنا الاجتماعية في كل ليلة وقد تصرَّم الشفق وخيم الغسق وبرزت البلدة بانوارها البهية الاصطناعية

على اني لست اقصد هنا البحث في الاجتماع والعمران لاني لست من فرسان هذا الميدان بل قد جعلت ذلك توطئة لكلام اريد سرده عن كثيرات من النساء اللواتي نصادفهن في اجتماعاتنا هذه فيدهشنا ما نراه منهنَّ من الحركات والسكنات ونسمعه منهن من اللهجة والحديث والتنقل من موضوع الى آخر من غير رابطة ولا داع فنسيء الظن باخلاقهن وهنَّ براء من كل سوء ونسلقهن بالسنة حداد ظلماً وعدواناً

ذلك ان هؤلاء النساء هستيريات . فانهن كن عصبيات المزاج شديدات التأثر ثم دخلن في طور الهستيريا وهذه علة في الجهاز العصبي تصيب اكثر النساء ولا فرق بينهن

كبيرات او صغيرات · فالمصابة بهذا الداء قد تظهر في اعين الجمهور كأن بين جوانحها روح الخلاعة والنزق وهي ليست من ذلك في شيء · وكم كنت اودُّ وصف هذه العلة وصفاً طبيعياً محضاً لولا ان ذلك لا يهم سوى الاطباء ولذلك اقتصر على الكلام فيما يختص بالاخلاق مما يكون جامعاً بين اللذة والفائدة

ونقسم المستيريا الى قسمين اصليين · المستيريا الصغرى والمستيريا الكبرى او الحقيقية · وللصغرى درجات متفاوتة طبقاً لحالة المزاج · فالمصابة قليلاً يصعب تمييزها عن السليمة الصحيحة ولا يُشعر بامرها الا نادراً · وهي تكون عادة خفيفة الحركة شديدة التصور والتخيل طلقة اللسان لا تخلو من ظرف في احاديثها يهيج الخاطر ويسر السامع · وقد يحدث عندها من جراء سرعة خاطرها تهوُّر في كلامها بيدَ ان حلاوة عقلها تجعل هذا التهور في نفس السامع اثرًا بعد عين · وهي تميل الى البهرجة والتزين وتقتبل بثغر باسم عبارات التجلة والتكريم وبالاخص اذا كانت صادرة عن الرجال · ومع حريتها في القول والعمل تراها لا تترك العنان لنفسها فتقف حيث يدعوها الواجب والادب ولا ينقصها الا شيء من الرزانة والرصانة

ومن كانت اشدَّ علة فاخلاقها كالسابقة وانما اشدّ اقداماً واكثر تهورًا فهي ذكية الفؤاد طيبة المعشر وان كانت تُلقي الريب والظنون بما تجريه من غير تروٍ ولا تبصر فيما يصدر عنها من الحركات والسكنات فتصبح مضغة في افواه الناس · وانما يكون قلبها في الحقيقة طاهرًا ابيض كالثلج او كالثوب الذي تلبسه اذا كانت من السيدات المولعات بلبس البياض

اما المستيريا الكبرى او الحقيقية فهي اشد مما تقدم بكثير · بل انها خطر على صاحبتها فيجب عليها ان تتلافاها وتساعد الاطباء بما في طاقتها على مداواتها

واذ قد علمت ذلك فتعالَ الآن وادخل معي الى بيت فيه رجل وامرأة هستيرية · فانك ترى المرأة نزقة خفيفة كثيرة الكلام سريعة الضجر · تصيح باولادها وبزوجها بسبب ومن غير سبب · وربما تطلب من زوجها شيئاً تحسبه خروجاً عن محبتها ودليلاً على عدم اكتراثه بها فتقيم حينئذٍ قيامة البيت على راسه وتتهمه بانه لا يحبها وبانه وبانه وبانه وحينئذٍ فعلى ايام الصفاء في تلك العائلة الف سلام

هذا مثال امرأة في دور المستيريا فان سبباً طفيفاً يؤثر في عواطفها تاثيرًا سيئاً فيضرم نار النزاع والخلاف في العائلة ويؤدي بها الى سوء المصير وقد يتجاوز هذا الضرر الى

ما وراء العائلة وذلك متى كانت المستيريا بالغة مبلغها من الشدة والقوة والحادثة التالية خير دليل على ذلك وهي من الاهمية بمكان عظيم

حكى الدكتور برواردل الشهير انه حدث في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٣٢ ان ابنة الجنرال رئيس المدرسة الحربية في سامور بفرنسا كانت ذات ليلة في بيت ابيها مستغرقة في نومها واذا بها سمعت ضوضاء في غرفتها فقامت مذعورة فرأت على ضوء القمر يداً مدّت وحطمت زجاج نافذتها ثم رفعت اليد الحواجز ودخل رجل اليها فهبت مسرعة كالبرق الخاطف فنزلت من عن سريرها واخذت كرسياً وجعلته حاجزاً بينها و بينه دفاعاً عن نفسها ثم تاملت بالرجل فاذا هو متوسط القامة متزي بزي ضابط من تلامذة مدرسة ابيها . فدنا منها وهو يتميز غيظاً وغضباً قائلاً لها : هذه ساعة الانتقام منك. ثم دفع بقدمه الكرسي الذي جعلته حاجزاً وهجم كالذئب الضاري فامسكها من ذراعيها ودفعها الى الارض بعنف ثم مزق قميصها وشد وثاقها بحبل واخذ في ضربها ضرباً مبرحاً وصار يعضها باسنانه و يرفسها برجله وهو يردد كالمجنون : اني انتقم منك . من يوم عرفتك شعرت من نفسي بميل الى ايذائك : ثم تناول مدية وطعنها ثلاث طعنات في ساقها فصرخت باعلى صوتها من شدة الالم ففر الضابط وتركها على الثرى كجثة بلا روح وهي تأنّ من الالم والرعب . وكانت معلمتها راقدة في الغرفة المجاورة لغرفتها فانتبهت على صوت ابنتها فاسرعت اليها فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت بها وهي تشير الى النافذة المفتوحة : من هنا قد خرج . انظري هناك . ها هو واقف على الجسر الذي امامنا . انظري كيف يحملق فينا

وكانت المعلمة تجهد نفسها لترى الرجل فلا ترى شيئاً ولكن ذلك لم يمنع من اجراء تحقيق صارم في اليوم الثاني فوقعت التهمة على ضابط في المدرسة يشبه الضابط المعتدي لا سيما وانه كان في تلك الليلة غائباً عن المدرسة وقد اضطرب حينما سالوه اين صرفت ليلتك . فحوكم لدى مجلس حربي وبالرغم عن بلاغة محاميه حكم المجلس عليه بالسجن عشر سنوات

ولكن هل تعلمون الحقيقة في هذه المسألة ؟ الحقيقة ان هذا الضابط بريء وابنة الجنرال كانت مصابة بالمستيريا الشديدة وكل ما رأته من الاعتداء عليها كان وهماً في وهم لا اثر له في الحقيقة . وقد قالت انها طعنت بسكين في ساقها ثلاث طعنات . ولكن ذلك لم يمنعها من حضور مرقص بعد ثلاثة ايام وقد رقصت فيه الى الصباح

وشكت هذه الفتاة نفسها مرة اخرى من رجل هجم عليها وهي مارة في مركبتها على

قارعة الطريق في مكان سمته فسئل الجوذي عن ذلك فانكر انه راى شيئاً

وكانوا يومئذٍ يخلطون في المحاكم الى هذا الحد لان الطب الشرعي كان مهملاً اما اليوم فان هذا الطب اصبح فرعاً عظيماً من فروع القضاء ومتى كانت القضية بين نساء او بين رجل وامراة انصرف القضاة قبل كل شيء الى البحث عن اخلاق المراة لان المستيريا قد تكون سبباً في كثير من البلايا والتهم

من ذلك ما حدث في باريز في العام الماضي · فان الكاتبة الشهيرة الكونتس مارسل التي يلقبونها « مدام جيب » قصدت في ذات يوم ادارة الشرطة مضطربة منبوشة الشعر مجروحة اليد وقصت عليهم ما ياتي : كنت سائرة في مركبتي فدعاني اثنان الى مقابلة صديق فتبعتهما فهجم عليَّ احدهما وغطى راسي بسرعة وقذفني الثاني في مركبة واقفة ثم سارا بي سيراً حثيثاً الى قصر في ضاحية باريز فوضعاني في الغرفة واقفلاها واعدين بان يعودا قريباً · ففتحت النافذة فوجدت الارض قريبة مني فاخذت اغطية الفراش ووصلتها بعضها ببعض ثم تدليت عليها فلم تصل الاغطية الى الارض فالقيت بنفسي فانجرحت يدي ولكني لم اعبأ بالجرح بسبب الخوف ثم اخذت اركض حتى وصلت الى هنا

فقامت قيامة الباريزيين لهذا الاختطاف ولكن البوليس اعياه الجهد لمعرفة ذلك القصر الذي وصفته الكونتس مارسل فلم يستطع ذلك لانه لا يوجد في الجهة التي ذكرتها قصر بتلك الصفة فاستنتجوا ان الكونتس هستيرية وان ما راته كان اضغاث احلام واوهاماً في اوهام

والنساء المستيريات منهن من يُصبن بنوبات ومنهن من لا يصبن بنوبات · وهنا اكثر في الغرب منهن في الشرق لان الملاهي والمدنية الغربية تثير نفوس النساء اكثر مما تثيرها ملاهينا ومدنيتنا · ومع ذلك فان المستيريات كثيرات في بلادنا ولا سيما اللواتي يتبعن في المعيشة الغربية ويكثرن من السهر واللعب بالورق وانتياب الملاهي والسهرات في كل ليلة · واللواتي يستسلمن الى الخفة والنزق غير شاكات نفوسهن بشكيمة الادب والحشمة والاعتدال في كل شيء · فهولاء يجب مداواتهن خدمة للعائلة الشرقية

ومداواتهن تكون بتسكين الافكار الثائرة وعدم التعرض لمهيجات حزناً كانت او فرحاً والامتناع من السهر والتعب واستنشاق الهواء النقي والرياضة والمشي في كل يوم والاعتدال في الماكل والمشرب وكبح جماح النفس كلما خطر لها النزق والطيش والخفة · وفضلاً عن ذلك فانه يجب حسن معاملة المريضة وتسكين افكارها وعدم ازعاجها في شيء وصرف خاطرها

عن حالتها بامور تنغصها . فان المستيريا مرض من اشد الامراض انتياباً للنساء ومتى اصيبت المرأة بها فربما فقدت راحتهـا و بذلك تفقد العائلة راحتها والزوج هناءه والاولاد ملاكهم اللطيف ذو الخلق اللطيف . فالعمل اذاً لمقاومة المستيريا وتعليم النساء طرق اجتنابها والشفاء منها عمل لصحة النسـل وهناء العائلة وادب الهيئة الاجتماعية وراحة النساء اللواتي حسبهن ما لديهن من العناء

دفاع بلافنا

من كتاب صدر حديثاً بقلم حضرة الفاضل عظم زاده حقي

رأينا ان ننقل للقراء فصلاً من اهم فصول هذا الكتاب الذي صدر اخيراً وقرظناه في باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء . وقد اخترنا لهم الفصل الاخير الذي فيه تسليم الغازي عثمان باشا لانه اهم فصوله . وقبل ذلك نأتي على توطئة ماخوذة من الكتاب لتكون تمهيداً للفصل الذي سننقله

كانت اسباب الحرب طلب روسيا واوربا تحرير بلغاريا طبقاً لبروتوكول لندرا واباء الدولة العلية ذلك . وقد جرى اعلانها في يوم ٢٤ افريل سنة ١٨٧٧ واحتل الجيش الروسي زيشتوفا باجتيازه نهر الدانوب (الطونه) في ٢٧ يونيو

وكانت مجموع القوى العثمانية ستة فيالق مؤلفة من مائتين وعشر اورطة بيادة واربعة وخمسين بلوكاً سوارياً وخمسة وثلاثين بطارية مدافع وعدد نفوس كل اورطة من البيادة بين الستمائة والثمانمائة رجل وعدد جنود بلوك السواري بين السبعين والمائة فارساً . وكان لكل بطارية ستة مدافع وثلاث عربات . والقيادة العامة بيد السردار عبد الكريم باشا واحمد ايوب باشا . وكان عثمان باشا الذي هو بطل هذه الواقعة قائداً لفيلق فيدين المؤلف من ٤٤ اورطة بيادة وستة بلوكات سواري وعشر بطاريات مدافع سهلية . وهو واقف على المراكز الواقعة بين مصب نهر (ايسكير) وتخوم الصرب للمحافظة عليها .

واما الجنود الروسية فكانت مؤلفة من اربعة فيالق عددها ٣٥٠ الف محارب ومعها الف مدفع . وهي بقيادة الغراندوق نقولا اخي القيصر اسكندر الثاني

ولما عبر الروس نهر الطونا و زحفوا قاصدين عاصمة البلغار سيروا طلائعهم الى كل الجهات فدخلت واحدة منها الى « بلفنا » في ٨ يوليو من ذلك العام فانسحبت الحامية العثمانية

منها . فلما درى بذلك عثمان باشا غضب وارسل في الحال فرقة عاطف باشا لاحتلالها من جديد . وكانت قد وردته الاوامر بقصد الروس ومقاتلتهم لمنعهم من التقدم

وقد اختار الروس طريق بلفنا لزحف الجيش لعدة اسباب منها خصب هذه الطريق وسهولة الحصول على لوازم الجيش فيها فضلاً عن سهولة مسلكها الى صوفيا

ثم ان الغازي بعد ارساله فرقة عاطف باشا الى بلفنا سار اليها في اثره . وهنا بدأت الصفحات المجيدة التي ضمها هذا القائد المغوار الى تاريخ جندية الدولة العثمانيـة مما يحق للدولة الافتخار به في كل آن

فان الروس وعددهم اضعاف عدد جنوده هاجموه مراراً فلم ينالوا منه منالاً ولا سيما في المعركة الثانية التي ردهم فيها على اعقابهم بعد ايقانهم بانهم فازوا فيها عليه . وكان انتصاره عليهم في هذه المعركة انتصاراً دوى صداه في اوربا كلها . فبعث جلالة السلطان يهنئه بانتصاره في كتاب افتتحه جلالته بقوله « لقد اعليت شان العثمانيين بجهادك الجديد » وكفى بهذه الشهادة شهادة . وقد انعم على الغازي في هذا الكتاب بالنشان العثماني الاول

❊ الخروج ❊

ولكن كان قد كتب لبلفنا السقوط لانها لم تكن محصنة قبل الحرب فضلاً عن نفود المؤن والذخائر . فبعد المعركة الاولى والثانية ومناوشات كثيرة طالت مدة اسابيع وقد ابلى فيها كل من الجيش العثماني والروسي بلاء حسناً رأى الغازي صعوبة بقائه في بلفنا لنفاد زاده فعقد النية على الخروج واختراق صفوف الروس . وهو عزم لا يقدم عليه الا من كان بشجاعة الغازي وعلو نفسه . فرتب جنوده وقسمهم قسمين زحف باحدهما وانشأ (كوبريا) من العربات على نهر فيد قرب الكوبري القديم ثم سار بسكون تام والجنود يمشون مشياً سريعاً وحرابهم في بنادقهم . وكان الغازي في مقدمتهم شاهراً سيفه وممتطياً جواده ومدافع الروس تنطلق عليهم من وراء الاستحكامات كالمطر المنهمر

وما زالوا سائرين هكذا تحت النيران حتى وصلوا امام المتاريس فوثبوا عليها وثبة الاسود فاحتلوا نقطة الاي سيبيريا وحينئذ التحم القتال بالسلاح الابيض وجهاً لوجه فاستولت الجنود العثمانية على ستة مدافع من المدافع المنصوبة بين الخط الاول والخط الثاني من الحصار

ففرح الجند العثماني لدى معرفته بانه اخترق الصف الاولـــ من الحصار ووثبوا على الخط الثاني للاستيلاء عليه ايضاً . فقامت قيامة الروس حينئذ وطلبوا المدد فوردهم المدد

سريعاً وكان عظيماً فلم يقوَ الغازي ان يثبت لان جنود الروس كان عددها اضعاف عدد جنوده . وقد قال نابوليون الاول

« ان نسبة جيشين متحاربين بينهما مسافة هجوم فقط كنسبة كأس طافحة اذا زيد عليها نقطة فاضت وكذلك الجيش الذي يزاد عليه مدد فان النصر يفيض له »

واما سبب عدم ورود المدد للغازي فهو انه كان قد امر القسم الثاني من الجيش ان لا يلحق به الا بعد ساعتين ذلك لانه رأى انه لا يستطيع اختراق صفوف الروس باقل من ساعتين . وما كان يعلم انه سيخرقها بثلثي ساعة . هذا هو السبب في ابطاء المدد عليه

وبينما كان الجيشان يتراميان بالرصاص عن مسافة بعد الجند العثماني عن الروس اصيب الغازي برصاصة في فخذه اليسرى وقتل حصانه برصاصة اخرى فسقط الحصان والغازي فذعر الجيش لانه حسب ان قائده قد قتل فتقهقر بدون نظام نحو استحكاماته الاولى . والذي زاد الهرج والمرج وجود اكثر من ٣ الاف مركبة وراء جيش الغازي تقل الاولاد والنساء والعجزة الذين ارادوا الخروج من بلفنا للذهاب الى صوفيا فراراً من الروس

فلو ورد القسم الثاني مدداً للغازي قبل انجراحه فربما كانت تغيرت نتيجة المعركة

ولم تأتِ الساعة السابعة الا وكان الجيش قد خسر مواقعه الحصينة في الشرق والشمال واصبح محصوراً في قطعة ارض على ساحل نهر فيد لا يقدر على التحرك فيها ونيران الروس تنصب عليه من كل جانب

التسليم

وهنا نترك تتمة الكلام لمؤلف الكتاب . قال

« وبينما كانت المدافع تدوي والبنادق تفرقع اذ روئي على الجانب الآخر من النهر المحتشدة عليه بقية جيش عثمان باشا علم ابيض فحالاً انقطعت النيران من الطرفين وبعد برهة ظهر على الكوبري ضابط عثماني ممتطياً حصانه وبيده علم ابيض . ولعدم معرفة هذا الرسول اللغة الفرنسوية اعادوه وارسلوا معه بطاقة باسم القائد العثماني مكتوب عليها هذه الكلمات :

(ياصاحب الدولة . ان الجنرال جانه تسكي يرجو دولتك ان ترسل له للمداولة من يقوم مقامك لاننا نعلم انك جريح)

فامر الجنرال جانه تسكي الجنرال ستروكوف ان يذهب مع الرسول العثماني الى

الكوبري وينتظر هناك الجواب . وكان احد شاطئي النهر مغطى بالجنود العثمانية والاخر بالجنود الروسية . وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف الى الكوبري ومعه اركان حربه

وبعد قليل ورد من جهة الجيش العثماني توفيق باشا رئيس اركان الحرب وعلى وجهه علامات اليأس والكدر بادية وبعد ان عرف كل من الجنرال ستروكوف وتوفيق باشا وظيفة الاخر ورتبته خاطب القائد العثماني الجنرال المذكور باللغة الفرنسوية قائلاً ان عثمان باشا وجيشه يرومان التسليم ولكنه مجروح فلا يتمكن من الحضور الى هنا فيود ان يحضر الجنرال جانه تسكي لعنده ليتفاوضا في امر التسليم

فبعث الجنرال ستروكوف بهذا الخبر الى الجنرال جانه تسكي وبعد قليل من الزمن حضر هذا القائد وامر الجنرال ستروكوف بالذهاب لعند الغازي عثمان باشا فاجتاز الجنرال ستروكوف الكوبري ومر بين الجنود العثمانية الى ان وصل الى منزل صغير امامه كثيرون من الياوران والضباط واطباء الجيش العثماني وعلى سواعدهم علامة جمعية الهلال الاحمر . وهناك نزل عن حصانه ودخل ذلك المنزل فوجد ثلاثة ابواب الواحد منها مفتوح شطره وبداخله كثير من الضباط ما بين قائم على قدميه وقاعد على بعض المراتب والكراسي يتكلمون بصوت خفي جداً فسالهم باللغة الفرنسوية عن غرفة الغازي فاشار له احد الضباط بيده الى الغرفة المقابلة لغرفتهم

فدخل الجنرال الغرفة فرأى الغازي عثمان باشا جالساً على منصة مستنداً الى الحائط ماداً رجله المجروحة على صندوق خرطوش وامامه طبيبه الخاص حسيب بك يعالج جرحه والى جانبه جميع الآلات الجراحية . وكان الغازي مصفر الوجه مع سكون تام لابساً ثوباً بسيطاً من القماش الاسود متقلداً بسيف نفيس وكثيرون من القواد وقوف على اقدامهم حوله منهم الفريق عادل باشا وتوفيق باشا وعاطف باشا وحسين باشا وصادق باشا وادهم باشا وغيرهم . وامارات الكدر بادية على وجوه الكل

وبدخول الجنرال ستروكوف اخذ الغازي بالقيام من محله بعناء شديد وصافح الجنرال الموما اليه فقال له بتلطف وسرعة « ارجوك يادولة الباشا ان لا تقوم لانك جريح » وساعده على القعود فدعاه عثمان باشا للجلوس فابى هذا القائد الروسي الا ان يقف على قدميه مؤدياً بذلك الاحترام العسكري للقائد العثماني العام حسب القواعد الحربية الآمرة بتعظيم رؤساء القواد . فخاطب ستروكوف عثمان باشا باللغة الفرنسوية قائلاً ارسلني قائدي الجنرال

جانه تسكي الى هنا لاهنيء دولتكم باعمالكم الجليلة اثناء الدفاع وهجومكم الاخير وان ابلغكم بان الجنرال لا يقبل منكم الا التسليم بدون شروط

فبعد ما انتهى كلام الجنرال الروسي اطرق الغازي عثمان باشا برهة غائصاً في بحر التفكر واخذت علامات التاثر والكدر والحزن تظهر في وجهه ثم رفع راسه اخيرًا مخاطباً للدكتور حسيب بك بقوله « هذه اعمال الدنيا يوم لنا و يوم علينا »

و بعدها وجه الخطاب للجنرال ستروكوف بصوت خافت وقال انني مستعد لقبول تكليف قائدكم العام فاجابه الجنرال « ياباشا ان كل شيء مرتبط بارادة الله تعالى » وخرج من الغرفة ليبلغ قائده الروسي العام ذلك . فلما وصل الخبر الى الجنرال جانه تسكي حضر حالاً الى المعسكر العثماني ودخل غرفة عثمان باشا و رفع خوذته عن راسه تعظيماً له وصافحه بكل بشاشة ومودة قائلاً له « اهنئك ايها المارشال لان هجومك كان عملاً حربياً عظيماً . ارجو الآن ان تامر بجمع السلاح من الجنود »

و بعد ذلك قعد بجانب عثمان باشا واخذ كل من القائدين ينظر احدهم في وجه الاخر

و بعد مضي برهة وجيزة نزع عثمان باشا سيفه من وسطه وسلمه الى الجنرال جانه تسكي وامر الفريق عادل باشا بجمع كافة السلاح من الجنود التي لم ترض بتسليم سلاحها الا بعد مشقة زائدة ومداخلة ضباطهم مع نصائح عادل باشا و وعظ ائمة الاوردو . وكان كل جندي عند ما يضع بندقيته للتسليم يرمقها بنظر التحسر و يلوي معرضاً والدموع ملء عينيه والحزن ملء فؤاده

وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف ودخل غرفة عثمان باشا وسلم عليه قائلاً « انني بصفتي عسكرياً احسدك ايها الباشا على هذه الخدمة الجليلة التي قمت بها وخدمت وطنك بصدنا مدة ٥ اشهر في ربوع بلفنا » فاجابه الغازي « انك ايها الجنرال مع حداثة سنك قد كسبت من الشهرة والسمعة ما يحسدك عليه الشيوخ . وصحيبك اولادي وانت متقلد رتبة فلد مارشال السامية ان لم يسمح لي الدهر بذلك »

﴿ مقابلة عثمان باشا للقيصر والغراندوق نيقولا ﴾

وفي الساعة العاشرة مساء اتكأ الغازي عثمان باشا على اكتاف ضباطه وركب مركبة يجرها اثنان من جياد الخيل قاصداً السير الى بلفنا ماراً بين جموع الجنود الروسية التي كانت ترمقه باحترام تام . وسارت امام مركبته و وراءها كوكبتان من فرسان الروس

كالحرس . وكان الجنرال ستروكوف ممتطياً جواده بجانب المركبة المحاطة بضباط اركان الحرب العثماني

وقد صادف الغازي الغراندوق نيقولا في منتصف الطريق بين كوبري نهر « فيد » ومدينة بلفنا فوقفت المركبة ومد الغراندوق يده وهو راكب على حصانه وصافح القائد الجريح مراراً ببشاشة تامة قائلاً له « اهنئك من صميم فؤادي على دفاع بلفنا فانك اتيت بعمل عظيم سيخلد لك ذكر الفخر في صفحات التاريخ الى الابد »

فاجابه عثمان باشا ببعض كلمات الشكر وهتفت ضباط الروس مع كافة الجنود هتاف التعظيم مراراً لبطل بلفنا العثماني وحيته رافعة خوذها عن راسها

وبعد ذلك سارت المركبة ثانياً بين صفوف الروس التي كانت ترمقه بنظر الاحترام وتؤدي له التحية العسكرية ايضاً وعند وصوله الى المدينة نزل في منزل احد سكان بلفنا البلغار بين وفي اليوم الثاني صباحاً دعي لتناول الغذاء مع القيصر اسكندر الثاني فذهب وهو متكئ على كتف طبيبه الى غرفة الطعام فاستقبله القيصر من وسط الغرفة وبعد المصافحة والتحية قال له

— ارجوك ان تقول لي ما كنت تقصد من هجومك لخرق صفوف الحصار ؟

فاجابه :

— يامولاي بصفتي عسكرياً لا اقدر على عمل سوى الهجوم على الصفوف حتى اتمكن من خرقها وبكل اسف خابت حملتي هذه ولكن الامر الذي يقلل احزاني هو تشرفي بين ايدي جلالتكم

فقال القيصر :

— انني أعترف بشجاعتك وبسالتك الفائقة الحد وان تكن هذه البسالة هي موجهة ضد جيشي

فاجابه الغازي :

— يامولاي انني لم اعمل الا العمل الواجب على كل جندي مدافع عن وطنه

وبعد تناول الطعام قال له القيصر « اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحمله في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة »

فخرج عثمان باشا من عند القيصر شاكراً له هذا الجميل وسلمه القائد « ستبن » سيفه

فتقلده حالاً كما ان الميرالاي كليوتساروف قدم له غصناً من الريحان يشير به الى ان جيش بلفنا العثماني وقائده العظيم غير موجودين من الآن وصاعداً بين العثمانيين المحاربين لم « اي صاروا احباباً لم بقطع النظر عن العثمانيين المحاربين لم في الجهات الاخرى»

وبعد اقامة ستة ايام في بلفنا سافر الى « خاركوف » احدى المدن الروسية على قطار خصوصي وبقي الى ان انعقد الصلح بين الدولتين

هذا ما انتهى اليه حال هذا القائد العظيم وجيشه الباسل بعد دفاع خمسة شهور ولم يكفه ما اظهره من الشجاعة الفائقة الحد في غضون هذه الحرب بل اضاف اليها من علائم الشهامة ما لم يصدر عن جيش مثله وهو انه لما راى ان لا بد من الخروج من بلفنا وخشي خطراً يحيق به من قبل العدو دفن سائر اعلامه العظيمة في قلعة بلفنا اباء من سقوطها في ايدي العدو وتفضيلاً للموت في معترك الصدام على تسليم هاته الاعلام التي لم يعلم احد بدفنها الا من بضع سنين حيث ظهرت بطريق الصدفة اثناء عمليات الحفر

وبعد انعقاد الصلح رجع الغازي عثمان باشا الى الاستانة العلية فاستقبله اهلها استقبالاً لا يوصف وكانت الالوف من الاهالي ينتظرون وصوله

فلما وصل ارسل له جلالة مولانا السلطان الاعظم بعضاً من حاشيته ليحضر الى المابين الهمايوني فركب حالاً العربة وسار قاصداً السراي العامرة وكان اغلب الناس يسيرون بجانبه ليحظوا بتقبيل يده الكريمة والدموع ملء عيونهم قائلين « انت والدنا انت الذي اعليت شاننا » وعثمان باشا يجيبهم ببشاشة « لماذا كل هذا المدح والتعظيم فانني لم اعمل الا الواجب عليّ »

ولما وصل الى المابين الهمايوني تشرف بمقابلة مولانا السلطان الاعظم فعانقه جلالته معانقة الاباء للاولاد وسلمه سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة مكتوباً عليه « هدية الى الغازي عثمان باشا » وابلغه انه انعم عليه بلقب غازي ايضاً » انتهى بحروفه

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تملأ المدارس الا اذا كان التعليم الزامياً	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

وجوب تعلم المرأة عملاً

نصائح فيلسوف لابنة غربية يجدر باختها الشرقية ان تتامل فيها

لم يعطِ الله الكتاب هذه السلطة العظيمة على النفوس والعقول حتى احطام المقدرة على اقادتهما وتنبيه اشرف العواطف فيها · ومتى اردت الحكم على كاتب فحسبك ان تقرأ مقاله ثم تسأل نفسك ماذا ابقى هذا المقال فيها من الاثر · فان كان قد تركك بعد قراءته بارداً من غير تاثر ولا فائدة كما كنت قبله فاضرب بهذه الكتابة عرض الحائط وان كان قد بث الحرارة في نفسك وحرك اعماقها غارساً فيها افكاراً جديدة في منتهى السمو والفائدة كما سيفعل كاتب هذه المقالة الفيلسوف جول سيمون فبارك الكاتب والوقت الذي صرفته في مطالعة اقواله · ولا نوجه الى هذه المقالة المفيدة انظار البنات والنساء فقط بل انظار كل انسان

خذي لك زوجاً يا بنية ففي الزواج السعادة لانه السبيل الى الامومة (١) اما الحب فما هو الا نشوة ذاهبة · انتِ بحاجة الى مدافع يحميك ويذود عنك · انظري الى الرجال فان الضعيف منهم قادر على سحقك بقبضته · كذلك انت بحاجة الى رئيس مدرّب يُحسن تدريبك في هذه الحياة لان عقلك مهما كان سامياً فانه يكون دائماً بحاجة الى امر لا بد منه · وهذا الامر هو قوة الطبع · ولذلك فانه يحطم كلما استفرغت وسعك في امر ويضعف بعد العناء · فيكون بحاجة لان يجد في غيره القوة التي ليست له

انتِ كثيرة التخيل والتصور · لذلك تعتقدين بخلود الحب · ان خلود الحنو والوداد امر ممكن اما خلود الحب فوهم لا يوجد الا في مخيلة الشعراء والقصاصين · لان الحب يذهب

---

(١) ما اجمل هذا القول وهو ان الزواج لا يجب ان يُقصد به الا جعل المرأة اماً لتكثير النسل المبارك في الارض وتعمير الكون

بذهاب سببه وهو الجمال · حتى انتِ نفسك لا ترضي بان تكوني محبوبة لجمالك فقط فان هذا الاساس ضعيف واهٍ ولا يخلو من خطر على سعادة مستقبلك · بل يجب ان تعتمدي في الزواج على امتزاج الارواح واتحاد النفوس · فان محاسن النفس اسمى واشرف من محاسن الجسد دائماً · ومما يزيد شرفها ان الوقت لا يزيدها الا نموّاً وازدياداً · وانك تربن الجسد في كل الامور آلة تخدم النفس فيكفي ان لا يكون الجسد كريهاً وان يخضع للنفس وهي مع الوقت تزينه وتحسنه وتختمه بختمها الجميل · فلا تفكري يابنية الا بها ولا تنظري الا اليها

واحذري يابنية الشبان وما يُبدون من الظواهر الكاذبة (١) واحترسي لئلا تصادفين من يقول عنكِ في سره « هذه عشيقتي » بينما تقولين عنه انت في سرك « هذا خطيبي وزوجي »

واحذري يابنية ان تكثرثي بالخطيب اكثر مما يجب فانه ربما يكون شاباً رديء الاخلاق يبغي التلاعب باقدس ما في هذا الوجود وهو شرف العذراء

وكوني ايضاً على حذر من كل من يظهر لك الحب فانه قد يكون مخادعاً لا يقصد غير قطع الوقت والضحك منك غير عابىء بشرفك وبصيتك

وبينما انت عذراء في زهرة العمر منهمكة باعداد نفسك لواجبات الحياة لا تنسي ان الزواج — متى تزوجتِ — يخفف مصاعب الحياة دون ان يمنع حدوثها · ثم اذكري ان عليك بعد الزواج واجبين عظيمين : الاول ارضاء زوجك · والثاني تربية اولادك احسن تربية

هذه واجباتك الخصوصية · ولكن عليك ايضاً واجبات اخرى قد تصبح من اهم الواجبات التي يجب عليك القيام بها · اني اخاطبك بلهجة الاب الحنون فعي قولي واصغي لنصائحي · يجب ان تبصري في عواقب الامور وتعملي لاستدراك مصاعب الحياة (٢) واذا كنت لا تعدّين نفسك الا للتصدر في حفلات اللهو والزهو فانك تلحقين بنفسك ضرراً كبيراً · وحينئذٍ فانني اشفق عليك كثيراً · انك لم تخلقي لتكوني صنماً يُنصب في القاعات

---

(١) عبث الشبان بسذاجة البنات وفضيلتهن

(٢) لم تخلق المرأة لتكون صنماً يُنصب في القاعات ولا زهرة تشتم رائحتها ولا عصفوراً يُسمع تغريده ولكن عاملاً ممدناً مهذباً مربياً في الهيئة الاجتماعية

فضلاً عن ان في وظيفة الصنم امرًا عملاً شائنًا وهو الضجر وعدم الفائدة . واعلمي انك ربة العائلة في الحقيقة وان كان زوجك يُدعى صاحبها . ذلك لان اعمالك فيها اكثر من اعماله واشد صعوبة منها . واذا صح هذا القول فانت اسمى منه قدرًا وارفع شأنًا لان الفضل في العائلة كما في الدولة انما يقاس بمقدار الواجبات واهميتها

واول شيء من واجباتك العظيمة التي لا يليق بك نسيانها هو الموت(١) نعم الموت الهائل الذي قد يضعضع اساس العائلة في بعض الاحيان. فانه قد يختطفك من بين ذويك قبل ان تتمي ما يجب عليك لاولادك من غرس اصول الادب والشرف والفضيلة في اعماق نفوسهم. وهو فكر هائل يجعلك لا تهملين تربية ابنائك دقيقة واحدة اذ تخشين في كل عام ان تؤخذي منهم دون ان يكون لهم من يقوم مقامك بينهم

وقد يكون الموت اقسى قلبًا فيختطف من بين يديك زوجك الكاتب او العامل او البحار . فما انت صانعة بعد هذا الخطب العظيم . قد قيل ان المرأة تلقى من الصعوبة في القيام بشؤونها الخصوصية فوق ما يلقاه الرجل في القيام بشؤون عائلة . وهو امر حقيقي. فماذا تصنعين يوم تصبحين ارملة ويصبح على يديك الضعيفتين اولاد يُطلب منك القيام باودهم ؟

وقد تصبحين ارملة بطرق مختلفة . الاولى بموت زوجك . ثم بمرض عقلي او داء عقام يعتريه . وحينئذٍ فانك لا تخسرين عمله واسعافه فقط بل يصبح هو نفسه حملاً ثقيلاً على كاهلك الضعيف . ثم قد يمكن ان يهجرك بلا خوف من الله والناس ويتوارى عن الابصار . بل قد يمكن ان يهجرك دون ان يتوارى متسلحًا بقانون الطلاق . فماذا تصنعين حينئذٍ ؟

انك لا تفتكرين بذلك يا بنية حينما يُعمي الحب بصرك او يغلب عليك حب الانتقال من طبقتك الى طبقة اعلى منها او بالاحرى الى ما تتوهمين انه اعلى منهـا . فان الحاضر يحجب حينئذ المستقبل عن عينيك فيظهر لك كل شيء خالدًا حسنًا . ألا فاعلمي ان كل شيء في هذه الحياة متقلب غير ثابت . بل ان الحياة نفسها غير ثابتة كما تعلمين . وانما الثابت هو الواجب . فافتكري حين زواجك بامرين : الاول موتك والثاني موت زوجك

واعلمي ان الحياة انما هي في الحقيقة واحدة لجميع المخلوقات البشرية وان كانت مختلفة في الظاهر . وكل الناس سواء لدى الاحتياجات المادية والعقلية والادبية لانهم كلهم يفتقرون

---

(١) كلام يُهدى الى العائلة التي لا تفتكر بمستقبلها

اليها ويصلونها بوسائط واحدة وهي النشاط وعلو الهمة (١) وقد يلقي ما بين البشر من الاصطلاح والاتفاق ستارًا على تلك الحقيقة الباطنية الازلية يجهلها وينكرها . ولكن فاعلمي انه حينما يُفتح كتاب الادب يبطل ذلك التباين او ينقص نقصاً عظيماً . فالملكة كالفقيرة مسئولة عن اجسام اولادها وعن نفوسهم وعقولهم . وكلتاهما تكونان بالاعمال التي تعملانها عظيمتين او حقيرتين . والمسيحية تعلمك ان هاتين المرأتين متساويتان لانهما كلتاهما فُديتا بدم اله واحد . اما الزينونيون (٢) فانهم يقولون قولاً اقل مجازًا وهو « ان العالم مرسح فسيح وكل واحد من الناس يمثل فيه الدور الذي خُص به . فالامر المهم الطريقة التي يمثل بها الدور لا الدور نفسه »

فانت يا ابنتي مع كونك ابنة عامل اعلمي انك امام الله — وان جاز ان يُلفظ بعد اسمه اسمٌ آخر فامام الحكماء — مساوية لملكة ذات عرش وسلطان . بل انك افضل من الملكة وارفع شانًا اذا اظهرت في واجباتك من الشجاعة والفضيلة ما يفوق شجاعتها وفضيلتها . وبعد الموت لما تفرغان من واجباتكما في هذا الوجود وتُثابان كلاكما بتمثيل الدور الذي خُص بكل واحدة منكما فانكما لا تُعاملان في العالم الثاني والحياة الثانية الا بحسب اعمالكما الذاتية من خير وشر . على ان ذلك لا يمنع من ان تخضعي لما في هذه الحياة وتقومي بما اوجبته عليك لما المواثقات والاصطلاحات البشرية

ولست ايتها العزيزة بذاهبة كالزينونيين الى ان اختيار الدور امر ليس بذي شان بل اقول ان اهميته بدون ريب اقل من اهمية الواجب . لان الواجب ازلي تتوقف عليه المصالح الازلية اما الدور فانه حادث وقتي وسحابة تمر . اما الزينونيون فانهم يزعمون بان الالم الذي ينالك من تمثيل ذلك الدور هو الم بالاسم فقط وانه لا شيء في الحقيقة . وبذلك يفسرون احدى مبالغاتهم بمبالغة مثلها . كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء . اما انا فانني اقول ان ذلك الالم شديد الوطأة وانه يحق لك الشكوى منه وان كان حادثًا وقتيًا . ولكن الشكوى لا تُزيل البلوى . بل الاجدر بك ان تبذلي قصارى الجهد وتتحملي بهدوء

---

(١) جميع البشر متساوون لدى الحقيقة وان كانت احوالهم مختلفة في الظاهر . وما اجهل الذين يرون للبشر مميزات غير الفضيلة

(٢) الزينونيون هم انصار الفيلسوف زينون الذي مقتضى فلسفته ان السعادة الحقيقية في الفضيلة دون سواها وان الانسان لا يجب ان يعبأ بشيء في هذا العالم

وسكوت لاصلاح شؤونك و بلوغك احسن حالة تستطيعين بلوغها · واذا كنت عاجزة او سقيمة اي اذا كنت عاجزة عن تحصيل خبزك وخبز اولادك فذلك لا يمنع من ان تكوني اختاً ومساوية لي · ولكنك اذ ذاك تكونين اختاً شديدة التعاسة · ولا اعرف لك والحالة هذه من دواء عدا الاحسان الذي انا مديون لك به سوى وضعك تحت حماية الله وكرمه · فالله وحده يعلم اسرارك وهو وحده قادر على تخفيف حملك وتقليل مصاعب حياتك

ولكنك اذا كنت عاملة وكنت متمتعة بصحتك ومقترنة برجل اديب نشيط فلا تحسبي نفسك يابنية انك تعيسة ساقطة · فانا ازعم بكون الحاجة الى العمل امرًا دنيئاً زعم فاسد باطل · نعم يجوز لك الشكوى من عملك اذا كان شاقاً وطويلاً جدًا ولكن العمل بحد ذاته · العمل المناسب لقوى العاملة وذوقها واستعدادها انما هو نعمة و بركة من الله(١) افتكري يابنية بالذي كان يصيبك لو حُكم عليك هذا الحكم الهائل وهو : عدم المقدرة على العمل · وليس هذا الحكم قاسياً وهائلاً لانه يمنعك من الربح فقط بل لانه يمنعك من العمل نفسه · فان كوننا ذوي قوة وعجزنا عن انفاذ هذه القوة مصاب لا يُحتمل · وانما تكون حينئذٍ تلك النفس المرتبطة بذلك الجسم العاجز القاصر كحيٍّ مرتبط بميت · والعياذ بالله

ان العمل هو التحصيل · هو انفاذ القوة والتمتع بها · واذا قلنا « قوة » فانما نعني بذلك استعدادًا طبيعياً · أفيجوز لك ان تعتبري جري الاستعداد الطبيعي في مجراه الطبيعي امرًا دنيئاً متعباً · ان البطالة في رأيي اكثر اتعاباً واشق حملاً · ولو سُئل العقلاء ايّاً تفضلون الافراط في العمل ام البطالة الدائمة · لفضلوا الامر الاول على الامر الثاني حفظاً لصحة اجسامهم وعقولهم وآدابهم · ولكنا لسنا الآن في مقام الغلو ولسنا نطبق الافراط في اسمى امر من الامور · بل اني ارى ان كل انسان يُضام من عمل فوق وسعه وطاقته يحق له ان يسعى لكشف الضيم عن نفسه وعلى الناس ان يساعدوه على ذلك · وانما اتكلم هنا عن العمل المناسب لقوى العامل ومواهبه الطبيعية · فاقول ان هذا العمل منحة ونعمة من الله يجب علينا قبولها برضى وسرور ومن يفرّ منها فانه يفر من واجباته نفسها

وكثيرًا ما يكون الانسان المتولي عملاً ما غير قادر على القيام به ولكنه قادر كل المقدرة على القيام بعمل آخر غيره · فيجب والحالة هذه فصله عن عمله الاول وتقليده العمل الثاني المنطبق على ذوقه وقواه · وكل الحكماء والفلاسفة يشتغلون الآن بحل هذه المسألة

(١) يُهدى هذا الكلام وما يليه الى كل من كان بلا عمل اي بلا فائدة · وجدير بكثيرين ان يقرأوه مرارًا

اعني مسألة اعطاء كل انسان الدور الذي يقدر عليه · وقد ابان فوريه هذه المسألة ببراعة فلم يتصدَّ احد لمعارضتها · ولكن من يتولى وظيفة رئاسة الممثلين ؟ ومن يستطيع القيام باعبائها كلها ؟ وكيف يُجبرون الناس على الرضى بالادوار الصغيرة ؟ تلك هي المصاعب الثلاث التي لا تزال تعترضهم حتى الآن والتي يسكت عنها اكثر الاشتراكيين غير ان سكوتهم عنها لا يُعدُّ حلاً لها (١)

اما انصار العدالة — الذين هم ايضاً انصار الحرية ولكنهم يمتازون عن الاشتراكيين بهذا الخلق الاخير اي نصرة الحرية — فانهم يشتغلون بتعميم التعليم بين الجميع على السواء وبتسهيل وسائل العمل لافراد الامة · وبهذه الواسطة تنشط القوى من عقالها وتنهض الى المقام الحقيقي الذي خُلقت له · وهو عمل صحيح وسعي مفيد · ولكن هنا نقطة سوداء وما جئت بابتية الا لتوجيه نظرك اليها · وهذه النقطة هي الاعتقاد بكون بعض المهن والاعمال افضل من البعض الآخر وذلك بمجرد طبيعتها لا بنسبتها الى اميال صاحبها واستعداده الطبيعي · ومن اجل هذا الاعتقاد الفاسد اصبح تجميع الوسائل التي نتخذها لتسهيل سبل الارتقاء لذوي الاستعداد والمواهب آيلة لاكثار « الساقطين والساقطات » الذين هم الضربة الحقيقية واصل كل الضربات التي تئن من وقرها الهيئة الاجتماعية (٢)

---

(١) هذه هي اهم الاعتراضات على مذهب الاشتراكيين · ومعنى ذلك ان الناس اذا اقيمت المساواة التامة بينهم بقيت مع ذلك هذه المساواة ناقصة اذ لا بد من السلطة والاعمال الصغيرة · فمن يكون رئيساً للجميع · ومن هو قادر على النهوض باعباء الرئاسة العامة · ومن يرضى بان يعمل الاعمال الصغيرة بازاء الاعمال الكبيرة التي يعملها جيرانه · فالامتياز اذاً لا بد منه بين الناس تبعاً للقوى والمواهب · وانما الدواء الوحيد لازالة الضرر والفساد الحادثين في المدنية الحاضرة هو تعميم التعليم كما قال الفيلسوف بعد ذلك بسطرين ليتسنى للنفوس الكبيرة المستعدة ان تنهض بدلاً من اختناقها في الجهالة والاهمال · ومما مرَّ يتضح ان هذه المقالة الادبية المحضة تحتوي على نقط من اجل النقط الفلسفية والعمرانية

(٢) يريد بالساقطات والساقطين الطبقة الاجتماعية الصغيرة التي تود التشبه بالطبقة الكبرى دون ان تستطيع ذلك فتسقط من طبقتها ولا تقدر على بلوغ الطبقة التي فوقها · وسيرد الكلام عليها مطولاً في بعض الاعداد التالية

وصفاء العيش · — اواه لو عرفت ذلك لوقيت نفسي وداريت صحتي · — ولكنك كنت تعرفه يا احمق جد المعرفة فلا تمحل لنفسك عذرًا · انك بحثت عن حتفك بظلفك وسعيت الى شقائك على قدمك

وما قيل عن الصحة يقال عن الثروة فان اقل الاشياء يبددها تبديدًا · وقد يوجد بعض مراكز وبيوتات مالية يقولون عنها انها راسخة لا تتزعزع حال كوننا نرى في كل يوم على عدم ثباتها ادلة جديدة · على ان هذا الرسوخ الذي يعتني مؤسسو الحكومات الدستورية بدعمه وتأييده والذي يعتبرونه حاجزًا ضد هجمات الديموقراطية آخذ بالتضعضع شيئًا فشيئًا · حتى ان رئيس البلاد نفسه ليس بمأمن من السقوط حين يحتدم غضب الشعب ويثور ثائره · وقد يسقط البعض من علٍ فيهوون حتى الى دركات الحضيض فيمنعهم حينئذٍ ذكر حياتهم الماضية من ان ينتهجوا في معيشتهم منهجًا جديدًا او ان ياتوا عملاً ما · فافتكري بذلك يا بنية وتذكري انه يجب عليك هنا واجبان عظيمان يُطلب منك القيام بهما بكل شرف وشجاعة · الاول قبل السقوط ومقتضاه النصيحة والارشاد والثاني بعد السقوط ومقتضاه المعونة والاسعاف · وكثيرات من السيدات يقلن ويعتقدن ان قولهن فضيلة : « انا لا اتداخل في السياسة » ومن وراء ذلك يُشرن على ازواجهن بفعل الدنايا · ويقلن الى الى ازواجهن : « انت اسير عائلتك » كلا ثم كلا انه بصفة كونه ابن البلاد اسير بلاده ثم بصفة كونه رجلاً اسير الشرف اما العائلة فلا تاتي نوبتها الا بعد · فتاهبي يا بنية لمعاركة الدهر ومحاربة الايام واعدّي نفسك لاسعاف زوجك بنصائحك وآرائك في حالتي السراء والضراء · واعلمي انه ربما اتاك يوم ترين نفسك فيه مضطرة الى ان تقولي له (١) « انك مديون لي بامرين : الخبز اليومي وشرف اسم مشترك بيننا · فان كان لا بدّ من ضياع احدهما فانا افضل خسارة الاول وهو الحياة والتمسك بالشرف : فافعل انت فعلي » فاذا كنتِ ترين نفسك لا تستطيعين النطق بمثل هذا الكلام الشريف وكنتِ توجسين من نفسك ضعفًا فانصحك ان تجتنبي بقدر الامكان الاقتران برجل يتعاطى الاعمال العمومية · وفي هذه الحال قابلي يا بنية ضعفك بمقدار طمعك

وربما تقولين ان ثروتي مؤسسة على صخرة الازلية لا تصل اليها الاغراض والمطامع البشرية · ثابتة وراسخة كمبادىء الملكية التي هي حصن الهيئة الاجتماعية · وليس من الضروري ان تُعدّ بالملايين لان الرجل الغني هو الذي يتاتى له القيام بحاجاته قبل نفاد

(١) النساء واشغال الرجال

ايراده. فانت هذا الرجل او بالاحرى امرأة هذا الرجل . وثروتك مضمونة تكفلها كل قوات النظام الاجتماعي . فاذا فقدت زوجك بقيت لك وتبقى لاولادك اذا فقدوك . فمركزك اذًا مضمون احسن ضمانة يمكن وجودها في هذا العالم . وقد يمكن ان تفقدي الراحة والهناء لانهما غير منوطين بالمال ولكنك لن تفقدي قط ذلك المركز الراسخ لانه بحرز عن مطامع البشر واهوائهم

ولكن باللوم والضلال ؟ فان الملكية العقارية نفسها ليست بمامن من التغييرات والتقلبات . اما باقي انواع الملكية فلا اسهل من زوالها . فالرجل يقود المرأة والعائلة الى هاوية الخراب والدمار ثم يعمد الى الانتحار فرارًا من العار . ولا يستلزم خرابه وافلاسه ان يصاب بمصيبة او تلم به نكبة(١) فان اساليب المعاطاة والاشغال المالية في هذا الزمان صارت تصعد في يوم واحد بفقير الى قمم الثروة والغنى وتهبط في ساعة واحدة بصاحب الملايين الى حضيض الفقر والحاجة . فان زوجك قد يفتح رسالة فيجد فيها فجأة نبأ افلاسه وخرابه . فينتحر ويقضي بين امواج الابهة والعظمة . فياتي بعد موته رجال الحكومة فيفتشون منزله بكل دقة وهكذا تنهمر الديون انهمار السيل فتصابين في لحظة واحدة بالفقر المدقع بعد الغنى الواسع وبالضيق بعد السعة وبالشقاء بعد الرخاء . وتجدين نفسك في موقف حرج لانك ربة عائلة وام اطفال صغار يجب منك تحصيل خبزهم والقيام باودهم . فاين قوتك ؟ واي امل يبقى لك ؟

ان المتسوّلات فئتان . فئة تطرق المنازل والبيوت فتنتقل من باب الى آخر وتتحمل الطرد والشتائم والخشونة بصبر وهذه لا يبعد ان يُقضى عليها في الشوارع والاسواق جوعًا وبردًا . وفئة تقصد الاستدانة او تطلب الاستخدام براتب قليل في المعامل او في احدى المراكز الصغيرة وهذه لا يعلم احد كل العلم مقدار تعاستها ودناءتها لانها محجوبة عن الابصار . فالى اية الفئتين تقصدين حينئذٍ الانضمام يا بنية

واني لا اقدر يا بنية ان اغير الهيئة الاجتماعية كما اني لا اقدر على تغيير الانسانية . فانبهك منذ الآن لتكوني مستعدة للقيام بواجبات الحياة والشغل والعمل اذا اقتضت الحال«٢» فاتخذي لك منذ الآن مهنة وتعلمي عملاً بالرغم عن كونك في سعة وغنى وعودي نفسك

(١) كلام يُهدى مع ما تقدمه من المقال الى البورصة ومضاربها في هذا الزمان

(٢) وجوب استعداد المرأة للعمل اذا احتاجت اليه للاسباب المذكورة في هذه المقالة

على الشمل وعلى خدمة نفسك وخدمة غيرك ايضاً ٠ وتعلمي جيداً دورك لتحسني غداً تمثيله لفائدتك وفائدة الذين يلوذون بك ٠ واجتهدي على الاخص مهما كان مركزك باكتساب الصفات التي هي ضرورية لك والتي تدوم وتبقى لك اذا اعترى مركزك التغيير واعتوره الانقلاب ٠ ولا تخلطي بابنية بين الواجبات وضروب التنعج فان لكلّ شيء وقتاً ٠ اذكري دائماً بالله والتي اتكالك عليه لانك بدون مساعدته ترزحين تحت اثقال الحياة ٠ لا تصغي الى اصحاب العقول الكبيرة الذين يظنون انهم يصنعون خيراً باقتلاعهم الايمان من الصدور خصوصاً من صدور النساء الذين ليس لهم غير ايمانهم ٠ علمي اولادك اصول الايمان والديانة ٠ امنحيهم هذا السلاح القوي ضد مصائب الحياة وضد شهواتهم ٠ انظري دائماً الى نفوسهم وتفرّغي لتربيتها وتقويتها وترقيتها ٠ اوقفي حياتك لخدمتهم ٠ تفاني في اتمام واجباتك نحو الله ونحوهم ٠ تغذّي وغذّيهم مع اللبن بالحب وانكار الذات اذ ليس من امر قوي مثل الحب ولا امر عظيم مثل انكار الذات

صفحة الشعر

اجابة لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية وشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

بعث الينا حضرة الشاعر البليغ الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي بقصيدة اودعها غزلاً ووصفاً ومديحاً في غاية الرقة والبلاغة فنشرناها مع الشكر له لان هذا الباب مفتوح لنفثات جميع الشعراء المجيدين ٠ اما المديح فهو في حضرة الاستاذ الافضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اهداه الشاعر الى فضيلته بمناسبة اختياره رئيساً للجمعية الخيرية الاسلامية في العاصمة التي جاءته رئاستها منقادة اليه تجرر اذيالها ٠ وقد اجاد الشاعر في موضعين في القصيدة اجادة لا يوجد الآن في جميع شعرائنا المعاصرين في مصر والشام من يعلو عليه فيها ٠ الموضع الاول وصفه سيره في الليل نحو الخيام على مطيته والثاني اجتماعه في الخيام بمن سعى اليها في الخيال ٠ وهذا نص القصيدة

قال في الغزل

جرى الدمع حتى ليس في الجفن مدمع　　وقاسيت حتى ليس في الصبر مطمع
وما انا من يبكي ولكنه الهوى　　يريد من الاسد الخضوع فتخضع

فلله قلبي ما اجلَّ اصطباره واثبته والسيف بالسيف يقرع
ولله قلبي ما اقل احتماله اذا ما نأى عنه الحبيب المودع
اذا لاح لي سيف من الخطب رعته وان لاح لي سيف من اللحظ اجزع
واقتاد ليث الغاب والليث مخدر ويقتادني الظبي الغرير فاتبع
وليل أضل الفجر فيه طريقه فلم يدر لما ضل من اين يطلع
سهرت به ارعى الكواكب والكرى عصي على الاجفان والدمع طيع
اود لو ان الطيف منَّ بزورة وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
لقد عشت دهرًا ناعم البال خاليًا من الهم لا اشكو ولا اتوجع
اروح ولي في معهد اللهو مربع واغدو ولي في مسرح اللهو مرتع
فما زلت ابغي الحب حتى وجدته فلما اردت القرب كان التمنع
فلم يبقَ لي عن ذلك الحب مهرب ولم يبق لي في ذلك القرب مطمع
كأني في جو الصبابة ريشة بايدي السوافي ما لها الدهر موقع
كأني في بحر الهيام سفينة احاط بها موج الردى المتدفع
كأني في بيداء دهماء مجهل تضل رجاة في دجاها وزعزع
فلا انا فيها واجد من يدلني ولا نجمها يبدو ولا البرق يلمع
فمهلاً رويدًا ايها اللائم الذي يجرعني في لومه ما يجرع
نصحتَ فلم اسمع وقلتَ فلم اطع فما نصح حب لا يطيع ويسمع
فيا حبَّ هذا القول لو كان مجديًا ويا نعم ذاك النصح لو كان ينفع
قضى الله ان لا راي في الحب لامرىء وذاك قضاء نافذ ليس يُدفع
مررتُ على الدار التي خفَّ اهلها وطال بلاها فهي بيداء بلقع
معاهد كانت آهلات وكان لي مصيف تقضى في رباها ومربع
فياليت شعري هل يعودنَّ عيشنا بمعهدها والشمل بالشمل يُجمع
فتقضى لبانات وتطفى لواعج وتبرد اكباد وتنضب ادمع

وقال في سيره نحو الخيام في الليل

فما انس ما الاشياء لا انس ليلة تجشمت فيها الهول والهول مفزع
ولا مؤنس الا ظلام ووحدة ولا مسعد الا فؤاد مروع
ولا صاحب الا المطية حولها ذئاب تباري في الفلاة واضبع

ولا عين الا النجم ينظر باهتاً ويعجب لي ماذا بنفسي اصنع
اذا ما تشككت من كلال مطيتي وقد كلّتها السن السوط تسرع
اسير بها سير السحاب كأنني باذرعها عرض الفدافد ذرع
الى ان تنورت الخيام ولاح لي ضياء بدا من جانب الحيّ يسطع

وقال في وصوله الى الخيام

فاقدمت نحو الحي والحي هاجع وخفت سواد القوم والقوم صرّع
وما كنت ادري قبل ذلك خدرها ولكن هداني نشرها المتضوع
فبت وباتت يعلم الله لم يكن سوى اذن تصغي وعين تمتع
تخال دوي الريح في الجو واشياً بنا وضياء البرق عيناً فنفزع
وما عين الا خوفنا وارتياعنا ولا ناظر يرنو ولا اذن تسمع
واعذب ورد راق ما كان نيله عزيزاً واحلى القرب قرب ممنع
فكانت برغم الدهر احسن ليلة رايت بعمري بل هي العمر اجمع
وما راعنا الا هدير حمامة على فنن عند الصباح ترجع
فقمت ولم تعلق بذيلي ريبة ولا كان الا ما يشاء الترفع
وودعتها والحزن يغلب صبرنا واحشاؤنا من حسرة تتقطع
فقالت اهذا آخر العهد بيننا وهل لتلاقينا معاد ومرجع
فقلت ثقي بالله يافوز انها سحابة صيف عن قليل تقشع
وسرت وقلبي في الخيام مخلف ولي نحو قلبي والخيام تطلع

وقال في الاستسلام الى الصبر وفيه التخلص

حنانيك رفقاً ايها الدهر واتئد فحسبي ما القى وما اتجرع
ورحماك بي فالسيل قد بلغ الربى ولم يبق في قوس التصبر منزع
على انني اصبحت لا متخوفاً ملماً ولا ان نالني الرزء اجزع
فقد اعتصمت بالصبر نفسي وفوضت الى الله ما يعطي الزمان ويمنع
وامسيت لا اخشى الخطوب ووقعها ولو انها سم الاساود منقع
فقد بت جاراً للامام وانه اعز بني الدنيا جواراً وامنع

وقال في المديح

سمعت به دهراً فلما اتيته (رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع)

وشاهدت وضاح الاسارير اروعاً على وجهه نور من الله يسطع
تزاحم اقدام العفاة ببابه فلا هو محجوب ولا الفضل يمنع

ومنه

اذا سرت فالابصار نحوك حوّم وان قلت فالاعناق حولك خضع
واضحى بك الافتاء يختال عزة فما انت الا التاج منه مرصع
امولاي هذا الدهر والى صروفه عليّ فانجد او فاشر كيف اصنع
فما انا الا غرس نعمتك الذي يفاديه غيث من نداك فيمرع
فان شئت فالفضل الذي انت اهله والا فاني في الانام مضيع

باب تدبير الصحة

الصحة والجو والهواء

كثيرًا ما يسمع الانسان بعض الاشخاص يقولون وهم ينظرون الى السماء « نشعر الآن بانقباض شديد لهذا الطقس المنحوس » او « ما احسن هذا الطقس فاننا نشعر معه بارتياح شديد » فتحسب انهم واهمون والحقيقة انهم مصيبون . لان الجو والهواء يحملان من الكهربائية كمية تؤثر في نفس الانسان من حيث الانقباض والارتياح . واذا سمعت بعضهم يقول ان جسمي كالبارومتر تؤثر فيه تقلبات الجو فيكون صافيًا متى صفى ومضطربًا متى اضطرب فصدقه للسبب المذكور آنفًا . وقد تكلم احد الاطباء في باريز عن هذه المجاري الهوائية وتاثيرها في الاخلاق فقال . نحن في باريز اذا هبت علينا الريح من الشمال فانها تاتينا باردة قارصة لمرورها على شواطئ نروج وثلوج سبيزبرج واذا هبت علينا من الشمال الغربي كانت جافة لمرورها على قفار روسيا وسيبيريا ولكنها تكون غير نقية لما يمكن ان تحمل في مرورها . وقد تكون في بعض الاحيان جافة الى درجة لا تحتمل . واذا اتتنا من الشرق فانها لا تجيء بمطر ولا بثلج ولكنها تكنس الينا جميع الميكروبات المتجمعة

على آكام تركستان وفارس . واذا هبت من الجنوب الشرقي جاءتنا حارة كالجمر لمرورها على سهول بلاد العرب لو لم يلطفها البحر المتوسط وتبردها جبال الالب قليلاً وتجعلها في بعض الاحيان ثلجاً يتراكم عليها . واذا هبت من الجنوب فانها تجيء من افريقيا مارة في البحر المتوسط كمن يخرج من موقد ويستحم هنيهة بالماء . واذا هبت من الجنوب الغربي فانها تجيء من اميركا الجنوبية حارة كاوية . واما اذا هبت من الغرب فانهموا «الشمسيات» لانها تكون قادمة من عرض الاوقيانوس تحمل البخار المائي الذي ينزل المطر كافواه القرب . ولكنها تكون نقية من كل شائبة . فهل يستغرب ان تؤثر هذه التقلبات العديدة في صحة الناس واخلاقهم

وقد ذكر الدكتور ريشمان في احدى المجلات الالمانية ان النزلة الوافدة لا تشتد وطأتها في الغالب الا في اشهر الشتاء وما ذلك لان البرد يسهل لها الفتك بل لان ميكروباتها تكون في مأمن من حرارة الشمس التي تقتلها . لانه من المعلوم ان حرارة الشمس تقتل كثيراً من الميكروبات . غير انها لا تقتلها كلها بدليل ان بعض الينابيع الموجودة في الخلاء قد تعيش الميكروبات فيها في الصيف وفي الشتاء

على ان علماء الطب لم يكتفوا بالبحث عن تاثير حرارة الشمس في قتل الميكروبات بل هم يرون ان ما في الجو من الكهربائية قد يؤثر فيها ايضاً . وهم يرون للكهربائية تاثيرين في اخلاق الناس . الاول تاثيرها لما تكون ايجابية ومآله تهييج الاعصاب واثارة الهم والثاني تاثيرها لما تكون سلبية وهي على الغالب تكون كذلك في اوقات الشتاء لما تكون السماء ملتفة بالغيوم . ومآل تاثيرها هذا هو الضغط على الاجسام والتضييق عليها . ولا يزالون يواصلون البحث لمعرفة جميع الصلات التي بين الاخلاق والجو وهاتين الكهربائيتين . فلا يسوغ والحالة هذه ان يقال ان ما يشعر به الانسان احياناً من الارتياح او من الانقباض في نهار واحد منشأه الوهم فان منشأه الجو والهواء وما يحملانه من الكهرباء

المسكرات ونتيجتها ورسم جديد لها

اهتموا في فرنسا في هذه الاثناء بوضع رسوم جديدة على المسكرات فعارض بعض السياسيين بقولهم ان لجارك الحكومة من المسكرات ايراداً كثيراً فاذا زيدت الرسوم على هذه البضاعة ولا سيما زيادة طائلة قل المستهلك منها فخسرت الدولة . فاجابهم علماء الطب والمهيجيين في الحال بقولهم ان المسكرات شر الآفات واذا كانت تعطيكم بعض الرسوم من جهة فانها

تأخذ منكم اضعافها من جهة اخرى · ذلك ان شربها يفضي بهم شربها في الغالب الى السل والجنون والتشوه والمرض فتضطر الدولة الى انشاء الملاجيء والمستشفيات الكثيرة قياماً عليهم واعتناء بهم · فتخسر من هذه الجهة اضعاف ما تربحه من رسوم المسكرات · وما عدا ذلك فدعوا الناس يشربون من المسكرات ما يشاؤون ولكن بما انهم سيحملون الدولة في كبرهم خسائر العناية بتمريضهم سواء من الجنون او السل او غير ذلك من الآفات فيجب عليهم ان يدفعوا لذلك منذ الآن رسوماً · فضعوا هذه الرسوم على المسكرات وسموها « رسوم السل والجنون على الكحول » فانكم تصيبون بذلك غرضين · الاول انكم تجمعون من هذه الرسوم الجديدة اكثر من ٤٠ مليون فرنك في السنة فتنفقونها لمداواة العجزة والمسلولين · والثاني انكم تنبهون في نفوس السكيرين ان السكر يفضي الى السل فربما اثر فيهم هذا التنبيه اكثر من الوعظ والارشاد · فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

وقد ورد في هذا الاسبوع ان مجلس النواب الفرنسوي قد جعل رسم الهكتوليتر الواحد من الكحول ٢٢٠ فرنكاً بعد ان كان ١٥٦ فرنكاً والهكتوليتر مائة ليتر · اما رسم الهكتوليتر في اميركا فهو ٢٤٥ فرنكاً وفي هولانده ٣٥٢ فرنكاً وفي انكلترا ٤٧٧ فرنكاً والغرض من زيادة رسوم المسكرات جعلها غالية الثمن حتى لا يفرط الشعب ولا سيما الفقراء في تناولها · فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

الطاعون والبق والفار والدواء

من الثابت ان الطاعون والبق من اخص الوسائل التي ينتشر الطاعون بها · لان البق يعلق بالمريض فيأخذ الميكروب منه ثم يعلق بالفار فينقله من بيت الى بيت واحياناً ينقله من مملكة الى مملكة وذلك بانتقال الفار في السفن او في اكياس البضاعة · ولكن المسيو ابيري الكيماوي كتب في المجلة الطبية والصيدلية في الاستانة فصلاً يظهر فيه التجارب التي اجراها لقتل الفار والبق فثبت منها ان الفار يموت بالحامض الكربونيك في مدة ٦ او ٨ دقائق وان الانيدريد كربونيك يقتل البق اختناقاً في بضع ثوان فاذا استعمل الناس هذين الدوائين استراحوا من هاتين الآفتين

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة . والعائلة قاعدتها
المراة ففي اصلاح المراة اصلاح الهيئة كلها

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

انا اكره في النساء الخشونة وبنوع خصوصي اكره المراة المتكبرة والتي تشتغل بلعب البوكر اكثر من شغلها بتربية اولادها وترتيب بيتها

وفي المراة صفات كثيرة مكروهة من الرجال فهي مكروهة اذا كانت كثيرة الحركة كثيرة الكلام كثيرة الزيارات كثيرة السؤالات

واحترم المراة العاقلة والتي لا تنخدع بظواهر المودة والتي تكون ارفع من ان تخضع لاحكامها الثقيلة . واحب المراة الرزينة المتواضعة التي تمد رجلها على قدر بساطها وتلبس لكل حالة لبوسها والتي تفضل القيام بواجباتها العائلية على كل زينة وبهرجة

ويجب على المراة في رايي ان تكون لطيفة ولكن لطفاً من غير خفة وذلك لانها منسوبة الى الجنس اللطيف

الاسكندرية — حنا نقاش

٢

اكره شيء فيهن التصنع . مداخلتهن بما لا يعنيهن في اشغال ازواجهن الخصوصية . الادعاء . زعمهن ان لهن التقدم والتسلط على الرجال . كبرياؤهن بمجرد تلقيبهن بالجنس اللطيف . ضحكهن الكثير في محادثتهن مع بعضهن وتصويتهن اذا اجتمعن في مكان قلَّ فيه الرجال كأنهن يحسبن ان من يجلس بينهن يطرب به صوت الضفادع ...

اللاذقية — حر الضمير

٣

ما ابرد الذي يكره فيهن شيئاً

محسن

٤

قرأت في جريدة المدى الغراء التي تطبع في اميركا ان احد الآلهة عند الهنود خلق الرجل ثم اراد ان يخلق المراة فوجد ان جميع المواد قد نفدت لديه فاستعار الامور التالية. اخذ تلوي الحية وعوج العشب ولين البان ونعومة الزهور ورائحتها وخفة الريش ولفتات الظبي واستدارة القمر وبهاء اشعة الشمس ودموع الغمام وتقلب الاهواء وعجب الطاووس وصلابة الماس وحلاوة الشهد وقسوة النمر وحرارة النار وبرد الثلج وطيش الماعز وتغريد الحمام وكل طير مغرد . ثم مزجها بعضها ببعض وصاغ منها المراة وقدمها للرجل

فانا احب كل ما كان محبوباً من هذه الصفات واكره كل ما كان مكروهاً منها

هندي

•

الكمال معدوم من سوء حظ الانسان ولكل انسان عيوب فمن شاء انتقاد عيوب المراة وكراهة نقائصها وجب عليه ان يكون بلا عيوب ولا نقائص

....

باب الاخبار العلمية

جزيرة جافا والحلقة المفقودة

جزيرة جافا مستعمرة هولاندية في ارخبيل سوند عدد سكانها اكثر من ٢٠ مليون نفس وعاصمتها باتافيا

وقد ذكرنا في بعض الاجزاء السابقة ان عالمين واحداً اميركياً وواحداً المانياً يتسابقان الآن اليها للتفتيش فيها عن الانسان القرد او الحلقة المفقودة التي يزعم انصار النشوء والارتقاء انها حلقة تربط الانسان بالحيوان . وقد رأينا في وصف هذه الجزيرة انها اكثر بلاد الدنيا الآن حيواناً ونباتاً وغياضاً ورياضاً . ومن مزاياها انه يوجد فيها الآن كثير من الحيوانات المنقرضة وجميع الحيوانات التي عاشت منذ الخليقة الى اليوم

موجودة فيها اما لحمًا ودمًا في الاحراش والغابات واما هيا كل عظام في تربتها

والذي اثار العالمين الاميركي والالماني انه شاع في مدجون احدى مدن الجزيرة انهم اكتشفوا فيها على جماجم اذا قيست بجماجم الانسان كانت ادنى منها رتبة ولكنهـا ارقى من جماجم ارقى الحيوان الآن · وهذا ما يسمونه الحلقة المفقودة · ومع ذلك فالامر غير مقصور على جماجم الاموات بل يوجد في الجزيرة كثير من القرود المتسلسلة من الحلقـة المفقودة ··· وهي اليفة لا تنفر من الانسان بل تدنو منه وتلاعبه · وسبب الفتها هذه ان الاهالي يكرمونها اكرامًا يقرب من العبادة ويهدونها الهدايا كأن مُنباه سريًا طبيعيًا يدلهم على انها اجدادهم وانهم ابناؤهـا · ويوجد في كل جهات الجزيرة غابات محترمة مقدسة لدى الاهالي لا يسكنها غير افواج من هؤلاء القرود وخصوصًا في حرش قرب بستان النبات في بويتزورج حيث توجد خميلة خاصة بالقرود والاهالي يقدمون لها في كل يوم هدايا من الارز والاثمار · ومما يروونه عن هذه القرود ان لها ملكًا عليها · فاذا قدموا لها هذه الهدايا وهي جالسة في ظلّ الاشجار لم تمدّ الى الهدايا يدًا بل انتظرت حتى ياتي ملكها ويتناول شيئًا من كل هدية ثم ياذن لها بالاكل فتاكل طائعة خاضعة

وقد ساح الدوق بانتيفر في سنة ١٨٨٨ في جاوا وكتب تفاصيل سياحته فقال اني نظرت في المكان المذكور آنفًا منظرًا غريبًا · فان القرود فيهـا لطاف الاخلاق هادئون تمدّ اليهم يدك فيصافحونك بهز اليد مسرورين مرتاحين الى ذلك · وهم يمشون على ارجلهم منتصبي القامة كالانسان تمامًا · وفي احدى الليالي كنا نتسامر في الحديقة واذا بنا نرى ان احد القرود الكبرى قد نزل من الاشجار الينا · فاستقبلناه وما شيناه فمشى بيننا منتصبًا مثلنا دون ان يضع قط يديه على الارض · وكان قد تعود ان يرانا نأخذ باذرع بعضنا بعض رجالاً ونساء وغشي قد ذراعه كالمرأة واعطاني اياها فادخلت ذراعي بذراعه ومشيت معه والكل يضحكون وهو مسرور مرتاح · وبقي يداعبنا ونداعبه ساعة ونصفًا واذا بمطر من البلح قد تساقط علينا فعلم حينئذٍ ان رفاقه في اعالي الاشجار ينادونه بهذه الطريقة فتركنا وتسلق النخيل مسرعًا اليها

وليست القرود بالعجيبة الوحيدة الموجودة في جاوا · فان فيها من عجائب الحيوان شيئًا كثيرًا · من ذلك انك تكون مارًا في الطريق فتجد ورقة خضراء كبيرة كورق الاشجار فتنحني وتمد يدك لتتناولها فلا تشعر الا وهذه الورقة قد انقلبت حيوانًا كلمح البصر

ثم اخذت تعدو مبتعدة عنك • ذلك ان حيوانًا يسمونه « فيليا » يضغط نفسه على الارض حتى يصبح بشكل الورقة تمامًا وهم يسمونه في الجزيرة « الحيوان الورقة »

فيتضح مما تقدم ان العالمين الاميركي والالماني قد يجدان في جافا الحيوان الذي سارا للتفتيش عنه لان الجزيرة غاصة بالحيوانات العجيبة الغريبة التي لا يوجد لها الآن من اثر في باقي اقطار العالم • واذا صدقنا جريدة الطان المحكمة كان العلماء قد وجدوا هذا الحيوان منذ خمس سنوات • فان عالمًا من الفرنسو يين كتب اليها يوم روايتها خبر سفر الاميركي والالماني الى جافا للتفتيش عن الحلقة المفقودة كتابًا يقول فيه ان الدكتور ديبوى الهولاندي قد اكتشف منذ خمس سنوات في جافا جمجمة الحيوان المذكور والف كتابًا اثبت فيه ان هذا الحيوان هو الحلقة المفقودة • فالفضل اذًا له لا لاميركي ولا لالماني • فنشرت جريدة الطان هذا الخبر بسرور واستنتجت منه نتيجة جميلة يسرنا ان ننقلها هنا • وهي قولها « ماذا ؟ اذًا وجدوا الحلقة المفقودة ونحن غافلون ؟ على اننا لا نستاء من ذلك بل نسرّ به لانه يثبت ان ثبوت مذهب درو ين في هذا الشان لا يهدم دينًا من الاديان ولا مبدأً من المبادىء اذ قد وجدت الحلقة المفقودة دون ان يؤثر ذلك في المذاهب الدينية والفلسفية »

﴿ معرفة الطقس من النظر الى القمر ﴾ لما يكون القمر في تمامه صافيًا منيرًا من غير ان يكون حوله هالات حمراء فاعلم ان الطقس جيد • ولكن اذا رايت كلفه شديدة السواد وحوله هالتان او ثلاث كثيفة مظلمة فاعلم ان الجو رطب وان الطقس سيكون رديئًا جدًا • واذا كان القمر في التام والسماء صافية من كل جانب فذلك علامة الطقس الجيد والجفاف • واذا كان القمر احمر اللون حين اشراقه فذلك يدل في الشتاء على قرب هبوب رياح شديدة وفي الصيف على حر شديد • واما اذا كان صافيًا في اشراقه فذلك يدل في الصيف على طقس جيد وفي الشتاء على برد شديد

باب التقريظ والانتقاد

❊ دفاع بلفنا ❊ هو كتاب جديد لمؤلفه الفاضل عظم زاده حقي وصف فيه حصار بلفنا وثبات الجيش العثماني فيها اشهراً طويلة. وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذا التاريخ على «كتاب دفاع بلفنا» التركي لمؤلفه احمد بك جمال وكتاب «حرب الشرق بين الدولة العثمانية والروس» الفرنسوي وكتاب «دفاع بلفنا» تاليف الفريق مظفر باشا وهو باللغة الفرنسوية ايضاً. وقد تصفحنا هذه النسخة العربية فسرنا ان نرى باللغة العربية تاريخاً لتلك المعركة التي كللت الجيش العثماني باكليل الفخر. غير اننا كنا نود لو كان المؤلف اكثر عناية بلغة هذا الكتاب الثمين ونوعده في ذلك الطبعة الثانية ان شاء الله

وقد نقلنا في باب المقالات بعض صفحات الكتاب لتكون مثالاً له. وهو يطلب من المكاتب وثمنه ستة غروش صاغ فنشكر لحضرة المؤلف هديته ونرجو ان يقتدي به كثيرون من الادباء في نشر المفاخر الوطنية

❊ المكتبة الخديوية ❊ لا يوجد احد من الادباء في الثغر الا و يعرف المكتبة الخديوية لصاحبها حضرة الاديب جرجي افندي غرزوزي مدير جريدة الرقيب والمطبعة التجارية وقد اهدتنا هذه المكتبة ست روايات من رواياتها التي نُشرت في جريدة الرقيب معربة عن اسكندر دياس الشهير بقلم صديقنا الكاتب الفاضل نجيب افندي ابرهيم طراد منشىء الرقيب الذي اوحش الاسكندرية في هذا الشهر وسافر الى الاقطار الاميركية من غير ان يودع اصدقاءه . اما هذه الروايات فهي المتحولة الحسناء وخليلة هنري دي نافار ووقائع رني ووقائع الملكة كاترين وحصار باريز وكلها سلسلة واحدة من التاريخ والفكاهة. ثم رواية ملكة النور. وهي تباع مع غيرها من الروايات الطلية في المكتبة الخديوية باسعار زهيدة فنحث الادباء على مطالعتها

❋ شقاء الامهات ❋ تنشر وصيفتنا الفاضلة السيدة الكسندره افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس الغراء في ذيل مجلتها الحسناء رواية بليغة العبارة طلية الاسلوب عنوانها « شقاء الامهات » وقد اتمت نشرها فجمعتها على حدة واهدتنا منها نسخة مطبوعة في مطبعة البصير الغراء طبعاً حسناً وعلى ورق جيد فنشكر لها هديتها ونرجو رواج روايتها

❋ محمد علي الكبير ❋ اهدى الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة رواية طبعها على نفقته بقلم المرحوم زين زين وعنوانها محمد علي الكبير وهي مزينة برسوم الامراء الذين تولوا مصر ومطبوعة طبعاً حسناً وتطلب من ناشرها بستة غروش صاغ

❋ السمير الصغير ❋ اعلنت ادارة مجلة السمير الصغير انها قررت منذ بداية سنة المجلة الرابعة ان تغير حجمها وتزيد في تحسينها وقد وصلنا العدد الاول منها ناطقاً بتقدمها فنرجو لها النجاح وزيادة الانتشار في حلتها الجديدة

❋ الجغرافيه الحديثة ❋ هو كتاب في مبادىء الجوغرافيه تاليف حضرة البارع محمد افندي صالح سليمان ناظر مدرسة تلا . ومن مزاياه انه يحتوي على رسوم تشرح الموضوع الذي يساق الكلام عليه زيادة في تفهيم الطالب الدروس التي يراها فيه . وهو مؤلف بناء على مقرر السنة الاولى حسب بروجرام نظارة المعارف فنرجو له الرواج في المدارس

❋ مجلة اللواء ❋ وردنا العدد الاول من مجلة اللواء وهي مجلة شهرية لصاحبها عزتلو مصطفى بك كامل صاحب جريدة اللواء يجمع فيها في كل شهر اهم المقالات والفصول التي تنشر في جريدته من قلمه او من اقلام بعض الكتاب المجيدين . وهي تحتوي فضلاً عن ذلك على اهم حوادث الشهر واخباره السياسية وترسل مجاناً لمشتركي اللواء فنرحب بهذه الوصيفة الجديدة

تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف ماكس مولر

المستشرق الانكليزي الشهير

كان الفيلسوف ماكس مولر الذي توفي في هذا الشهر من اعاظم رجال العلم في اللغات الشرقية في هذا القرن فخسر العلم بوفاته مرجعاً عظيماً يعول عليه ويُرجع اليه · وكان رايه راجحاً في مسائل اللغات الشرقية فلا يبديه في مسالة من هذه المسائل حتى تحنى امامه الهام ويتلقاه العلماء الاعلام بكل احترام · فخسارته خسارة كبرى للعلم في هذا القرن



الفيلسوف ماكس مولر

والفيلسوف ماكس مولر انكليزي ولكنه من اصل الماني · وقد كان صلة من اشد الصلات بين المانيا وانكلترا · وهو من اعاظم رجال العلم والسياسة الاجانب الذي تكلنزوا — اذا صح هذا التعبير — ورفعوا شان انكلترا بعلمهم وفضلهم · وكثير ما هم

ولد في ديسو من اعمال المانيا في سنة ١٨٢٣ وابوه وليم مولر الشاعر الالماني · وقد تلقى العلم في كلية ليبزيك ثم قدم برلين وسافر منها الى باريز فتتلمذ للاستاذ الكبير بورنوف

الذي افاده في حياته فوائد جمة

وكان مولر منصرفاً منذ شبابه الى درس اللغة السنكريتية وهي لغة الهنود المقدسة وقد عزم على الاقامة في باريز والتجنس بالجنسية الفرنسوية · غير ان معلمه الاستاذ بورنوف زين له السفر الى لندرا لفحص نسخة من كتاب الفيدا الهندي الذي هو عبارة عن انجيل او قرآن عند الهنود كان موجوداً في مكتبتها الملكية · فسافر اليها وهو يؤمل العودة الى باريز · ولكن سفير المانيا في لندرا اقنعه بالاقامة في لندرا فهجر باريز واقام فيها وتجنس بالجنسية الانكليزية فخسره الفرنسويون وربحه الانكليز فخسر الاولون بخسارته خسارة عظيمة وربح الآخرون بربحه ربحاً يوازي ضمهم مستعمرة كبرى الى بلادهم لان هذا الرجل اصبح رجلاً عظيماً مسموع الكلمة ومحبوباً في اوربا كلها وهذه الشهرة كانت عائدة الى انكلترا وحدها

وفي حوالى سنة ١٨٤٩ تمكن ماكس مولر بمساعدة الانكليز له واقبالهم على تعضيده من نشر كتاب الفيدا بعد تنقيحه وتحقيقه جيداً · فقامت قيامة براهمة الهنود حين وقوفهم على النسخة المنشورة وحسبوا ان احد اكابر علمائهم قد خانهم وترجم كتابهم الى الانكليزية ولم يصدقوا قط ان رجلاً اوربياً استطاع التضلع من لغتهم الى ذلك الحد· وذهلوا عن ان البلاد البوذية كاليابان نفسها كانت ترسل الى ماكس مولر كهنتها ليحسن تعليمهم اللغة السنسكريتية

وكان ماكس مولر مولعاً اشد ولع ببوذه الذي لخصنا حياته في صدر هذا الجزء ولذلك كان يقول « لو لم يكن بوذه انساناً لقلت انه اله »

اما صلاته بفرنسا التي كان قد عزم على ان يتخذها اماً له قبل سفره الى انكلترا فانها بقيت قوية حسنة · وكان له بين الفرنسويين كثيرون من الاصدقاء والمحبين به والآسفين لتركه بلادهم · لكن مولر ساء الفرنسويين كثيراً بحضوره افتتاح الكلية العلمية في ستراسبورج من اعمال الالزاس واللورين وكان في ابان الحرب بين المانيا وفرنسا شديد الانتصار الى الاولى ضد الثانية غير ان الفرنسويين من فرط حبهم له وشدة تجاملته لم بعد ذلك تناسوا هذين الامرين في المدة التالية

وقد نال هذا الفيلسوف كثيراً من مراتب الشرف وكان عضواً في مجامع علمية كثيرة وله مؤلفات جمة في غاية الاهمية · وكان له مناظرون كثيرون انما كان له في المناظرة اسلوب غريب لفرط قوته · فانه كان يهاجم مناظره من حيث يدري ولا يدري ويصدمه

بغتة صدمة تضعفه و يبرز بعد ذلك فائزًا غالبًا

وقد زاره قبيل وفاته بعض تلامذته وهو على فراش الموت فحادثهم الفيلسوف حديثًا مقتضبًا ثم نصح لهم ان لا يضيعوا الوقت بل فليتمتعوا بهذه الحياة دون ان يعبثوا بمصاعبها واحزانها . فذهل كثيرون من هذه النصيحة الاخيرة لاسيما وانها تشبه النصيحة التي نصحها الفيلسوف ارنست رنان على فراش موته . على ان رنان نصح هذه النصيحة للشبان لانه يرى الحياة في التمتع واغتنام اللذات والمسرات اذ هو لا يعتقد بحياة ثانية . فهل ان مولر اوصله علمه وهو على ابواب الازلية الى هذه النتيجة السوداء الممقوتة . لا نعلم ولكننا نعلم ان نصيحته الاخيرة الى تلامذته قد اثارت كثيرًا من الارتياب والشك في نفوس كثيرين من الذين يقدرون كلامه قدره وذلك لانه لم يسبق له انه نصحهم بمثلها

وقد رأينا من الواجب ان نلخص ترجمة هذا الفيلسوف في السطور التي تقدمت وننشر بينها رسمه لان وفاته من اعظم الحوادث التي حدثت في هذا العام

الرئيس كروجر في اوربا

ومسألة الترانسفال

اهم حوادث هذا الشهر وصول الرئيس كروجر الى اوربا . وقد سافر اليها مع رجال حكومته على الباخرة جلدرلند الهولاندية التي بعثت بها اليه الملكة ولهلمين ملكة هولاندا لتنقله الى مرسيليا فمر عليها الرئيس في قناة السويس دون ان يعرج على السويس او بور سعيد مع ان جميع مكاتبي الجرائد المصرية كانوا في انتظاره . فذهب تعبهم سدى

ولما وصل الرئيس الى مرسيليا هاج الشعب فيها وماج واستقبله كما يستقبل الملوك العظام فلم ترَ مرسيليا يومًا مثل ذلك اليوم . وقد القى الرئيس عند الاستقبال خطبة قال فيها انه قدم الى اوربا لطلب التحكيم في مسالة الترانسفال لانه لا ينهي الحرب امر غير التحكيم وانه معتمد في ذلك على جميع الشعوب اخصها الشعب الفرنسوي . واذا قيل ان البوير قد خضعوا فذلك دليل على انهم قد فنوا عن بكرة ابيهم لانهم يفنون ولا يخضعون . ثم قال انه حارب المتوحشين في زمانه ولكن حرب الانكليز اشد هولاً من حروبهم . وهو قول قد اخطأ فيه الرئيس كروجر لان المنتظر من عقله وسعة صدره ان يكون اكثر اعتدالاً وهدوءًا بالرغم عن باسه فان الانسان لا يعرف عقله الا في شدائده



الرئيس كروجر وقرينته

ولما وصل الى باريز قامت قيامة الباريزيين فدخلها باحتفال يحاكي الاحتفال الذي سيدخل اليها به الجنرال الذي يرد الى فرنسا الالزاس واللورين كما قالت الجرائد الفرنسوية. وقد زار المسيو لوبه رئيس الجمهورية زيارة رسمية فرد له الرئيس الزيارة وزاره ايضاً المسيو دبلكاسه ناظر الخارجية مع جميع اكابر فرنسا من رجال العلم والسياسة. وقرر مجلس النواب ومجلس الشيوخ قرارين اظهرا فيهما ميلهما ووداد هما الى الرئيس كروجر بمناسبة نزوله في باريز. وقبل سفره منها نشرت الجريدة الرسمية الفرنسوية نسخة من المعاهدات التي عقدت بين الدول في مؤتمر لاهاي لنزع الغلاة ان فرنسا تقصد بذلك التمهيد الى المداخلة بين انكلترا والترانسفال لان من اهم قرارات المؤتمر اقامة التحكيم الالزامي بين الدول

والخلاصة ان استقبال الرئيس كروجر في فرنسا كان عظيماً جداً. ولكن الرئيس ما وصل الى كولونيا من اعمال المانيا في سفره الى برلين لمقابلة الامبراطور غليوم حتى ابلغه الامبراطور انه لا يستطيع مقابلته لبعض الشؤون الخصوصية. ثم نشرت الحكومة الالمانية مذكرة قالت فيها انها تحسب من الجناية ان تبقي للبوير املاً او شبه امل بمساعدتهم لانها بذلك تطيل المناوشات الدموية في جنوبي افريقيا. فهاجت الجرائد الفرنسوية لهذا القول ونددت بالامبراطور غليوم قائلة انه كان اول من شجع البوير على مقاومة الانكليز بتلغرافه المشهور ايام غارة جمسون فكيف يقول الآن ان تشجيعهم جناية

وفي راي هذه الجرائد ان فرنسا قد قامت بما يجب عليها للانسانية والحرية. فانها صنعت كل ما كان في امكانها لمساعدة البوير واذا لم تتداخل اوربا فالذنب يكون ذنب

الامبراطور غليوم لا ذنبها. وغداً في القرون القادمة اذا قال المؤرخون بشان الترانسفال ما يقوله مؤرخو هذا الزمان بشان بولونيا « من ان رؤساء الحكومات الذين حضروا تقسيم هذه المملكة بشرقساة بلا ذمة ولا شرف ولا رافة لانهم اذنوا بتقسيم مملكة حية وقتل حريتها » فيومئذٍ لا توجه كلمة من هذا الكلام الى الحكومة الفرنسوية . وبناء عليه فان المبدأ الادبي الذي دافعت فرنسا عنه اسمى من المبداء الذي دافعت عنه المانيا . فان الاولى نظرت الى الحق والمستقبل . والثانية نظرت الى المصلحة والحاضر

ولا ريب ان الرئيس كروجر الآن في منتهى اليأس بعد بلاغ المانيا لانه يقطع له كل امل تقريباً ولذلك رفقنا به ولم نجعله يمثل دوره الاعتيادي في مقالة « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » اذ هو الآن مشغول عنها بما هو اهم منها

بقي ان نسال ماذا يصنع البوير بعد الآن . اما نحن فترجح مع كثيرين ان هولاء الفلاحين الذين يبنون عن كل ضيم سيرحلون بعد ضجرهم من المناوشات العجيبة التي يقومون الآن بها الى ما وراء بلادهم من البلاد شمالاً شمالاً في القفار والجبال كما رحلوا قبل ذلك من الكاب والناتال الى حيث الترانسفال الآن وهنالك يبنون ترانسفالاً ثانية و يعيشون فيها بامن وحرية . لان قوماً يثبتون هذا الثبات في وجوه الخصم يستحيل عليهم ان يعيشوا معه بعد الآن فان الدماء قد اريقت انهاراً والجرح بليغ والقلوب مثل الزجاج اذا تنافر ودها وانكسرت فكسرها لا يجبر والسلام

❊ صندوق التوفير والاقتصاد ❊ قررت الحكومة المصرية انشاء صندوق توفير واقتصاد سمته « صندوق توفير البوسطة » لانها عهدت الى مصلحة البوسطة ادارته . وقد ضمنت الحكومة للاهالي المال الذي يودعونه فيه وهو يعطيهم عنه ٢ ونصف بالماية فائدة . ويجوز لهم ان يودعوا فيه المبالغ الصغيرة على سبيل الاقتصاد على شرط ان لا يتجاوز المبلغ المقتصد في العام ٥٠ جنيهاً وان لا يتجاوز المبلغ كله في كل الاعوام ٢٠٠ جنيه واذا انقضت ١٠ سنة على المبلغ دون ان يطلبه صاحبه اصبح ملكاً للصندوق فنحن يسرنا ان نسطر مشروعات اقتصادية مفيدة كهذا المشروع ونتمنى ان تكثر امثاله عندنا

❊ اسعد منصور ❊ نعي الينا من طرابلس الشام الماسوف عليه المرحوم اسعد منصور توفاه الله فيها وعمره ٥٧ سنة وكان قد ذهب اليها من الثغر لتبديل الهواء رحمه الله رحمة واسعة والهم آله جميل الصبر على فقده

الفصل الاول

حداد الملك　　(١)

تركنا الملك في الجزء الماضي عائداً مع الملكة والبلاط من فرساليا الى باريز بعد هجوم الشعب على قصر فرساليا وقتله بعض حراسه . فلنعد الآن الى باريز لنشهد دخوله اليها

وكان المجمع الوطني في فرساليا لما علم بعزم الملك على السفر الى باريز اعلن ان المجمع تابع للملك فحيث يكون الملك يجب ان يكون المجمع ولذلك ركب اعضاؤه المائتان مركبات وراء مركبات البلاط وعادوا معه الى باريز

اما شعب باريز فلما بلغه هذا الخبر ارتاح اليه كل الارتياح لانه كان بمثابة فوز عظيم له فضلاً عن كونه صار يؤمل ان تنقضي المجاعة الهائلة التي كانت في باريز اذ حسب ان وجود الملك بينه كافٍ لازالة المجاعة

فما اشد الشعوب سذاجة واكثرها تعلقاً بالاوهام

ولذلك اخذ الشعب يتجمهر تجمهراً هائلاً لمشاهدة دخول الملك الى عاصمته . وكان الوقت صباحاً واليوم ٦ اكتوبر من سنة ١٧٨٩

---

(١) حداد الملك — كان الملك لويس السادس عشر الذي نحكي هنا قصته مولعاً بالحدادة والتجارة . فاذا قلنا حداد الملك اردنا بذلك الحداد الذي كان يعلمه الحدادة فيجدر بالقارىء ان يطالع الفصل التالي بامعان ليرى فيه شهادة المعلم « كامين » لتلميذه لويس السادس عشر . ولا ريب ان روسو الذي كان غير ميال الى الملوك ولكن شديد الرغبة في ان يتعلم كل انسان حرفة يدوية لو علم بان الملك لويس السادس عشر كان اكثر ميلاً الى الحدادة منه الى الملك لاصبح اكثر ميلاً الى هذا الملك بالرغم عن رخاوته وضعفه . ومما يجعل لوقائع الملك وحداده اهمية خصوصية ان شهادة هذا الحداد كانت من

وكان في جملة القادمين الى حانة على الطريق التي سير الملك فيها تدعى حانة « بون سفر » رجل يمشي بخطى واسعة وهو مفكر ومطرق الى الارض و بيده بندقية . ولكن هذه البندقية كانت من اجود انواعها وعليها مكتوب اسم « لكلير » الذي كان يصنع سلاح النبلاء في ذلك الزمان لشهرته بصنع السلاح . وكان الرجل يقبض عليها بيد قوية ضخمة ملطخة بسواد مما يدل على انها اعتادت عرك الحديد والعمل به ولذلك كان البون واضحاً بين تلك البندقية اللطيفة الثمينة واليد الضخمة التي تقبض عليها

ولكن في ايام الثورات الهائلة لا تكون البندقيات اللطيفة الثمينة في الايدي اللطيفة البيضاء دائماً . بل انها اكثر ما تكون في الايدي الضخمة القوية

ولما وصل هذا الرجل الى الحانة المذكورة دخل اليها فوجدها خالية خاوية فجلس على مائدة هناك واخذ ينظر الى الباب كانه يتوقع قدوم قادم عليه . ولكنه لم ينتظر طويلاً . فانه ما لبث ان دخل عليه رجل يقارنه في العمر اي انه في نحو الاربعين غير ان منظره وهيئة وجهه يدلان على ما في نفسه من الخشونة والجهل والفساد . فجلس هذا القادم الجديد على مقعد في الحانة بازاء الرجل الاول

ولكنه لم يستقر به المكان حتى التفت اليه الرجل صاحب البندقية وقال ضاحكاً — البرد قارس ايها الرفيق والملك لا يصل الا بعد مدة فهل لك ان نشرب معاً كأساً من الخمر

فحسب الرجل الثاني ان ذلك الرجل يخاطب انساناً غيره ولكنه رآه ناظراً اليه فسأله اتخاطبني انا . فاجاب نعم اخاطبك انت لانني قد ضجرت من الوحدة في هذه القهوة ومن طبعي الضجر دائماً فهل تشاركني في زجاجة من الخمر

فاجاب الرجل كيف لا ولك الفضل ايضاً . ثم قام وانحرف نحوه وجلس معه

الاسباب التي حملت المحكمة العليا على الحكم على الملك . ذلك ان هذا الحداد قد شهد ان رجال الملك دعوه الى قصره ليعمل له خزانة حديدية سرية كما ترى في هذا الفصل ثم انهم بعد اتمام عمله سقوه سماً لكي لا يبقى احد عارفاً بوجود هذه الخزانة . وسيرد الكلام عن ذلك بالتفصيل . وقد نشرت مجلة المقتطف في احد اجزائها الاخيرة على ما نذكر مقالة لاحد الكتاب الادباء عنوانها « صفحة من تاريخ فرنسا » وموضوعها هذه الحادثة التي حدثت بين الملك وحداده فالذين قرأوا تلك المقالة يجدون لذة خاصة في الفصل التالي والفصول التي تتلوه بهذا الموضوع

فاحضر صاحب الحانة زجاجة من الخمر وصب كاسين للرجلين فتناول كل واحد كاسه فقال الرجل الاول « نشرب نخب الامة » فنظر اليه الرجل الثاني وقال باسماً · احسنت نعم نشرب نخب الامة

ذلك ان اسم الامة قد شغل في ذلك الزمان كل شيء حتى الحانات فصاروا لا يشربون الا نخب الامة بعد ان كانوا يشربون نخب الملك · والسبب في ذلك ان السلطة والسيادة كانتا قد انتقلتا من الملك الى الامة

وبعد شرب الكاسين التفت الرجل الاول الى الثاني وساله · وهل انت مشتاق كثيرًا الى رؤية الملك حتى تبكر الى مشاهدته

فهزّ الرجل الثاني كتفيه وقال له انا لا اشتاق الى رؤية الملك · فقال الرجل الاول ضاحكاً ولماذا · قال لانني قادر على رؤيته كلما اردت · فاظهر الرجل الاستغراب ثم قال عجباً وكيف ذلك فان اعظم الناس لا يستطيعون مشاهدة الملك كلما ارادوا· فقال ذلك الرجل ضاحكاً نعم لان اولئك العظماء الذين تعنيهم ليسوا معلمين للملك · فازداد الرجل اظهارًا لدهشته وقال · وماذا تعني بهذا القول هل انت معلم الملك · فاجاب نعم انا معلمه فقال وماذا تعلمه · قال لا اعلمه الآن ولكنني علمته منذ بضعة اعوام قال وماذا علمته · قال علمته صناعة الحدادة

فما لفظ الرجل الثاني هذه الكلمة حتى نهض الرجل الاول قائماً وانحنى باحترام قائلاً هل انا متشرف الآن بمخاطبة المعلم « كامين » — فضحك الرجل ولكنه سرّ بهذا الاكرام واجاب نعم انا « كامين » الحداد اكبر الحدادين ومعلم المعلمين

فجلس الرجل الاول وهو يقول انك تعذرني اذا كنت لم اعرفك لاول وهلة يامسيو كامين على انني مسرور بهذا الاتفاق الذي اتاح لي شرف معرفتك · فحدثني الآن كيف كنت تعلم الملك لا ريب ان تعليمه صعب ومضجر لانك في كل كلمة يجب ان تقول له جلالتك وجلالتك · ثم صب كاسين من الزجاجة ايضاً · فضحك كامين وقال · لا لا · عندي في المعمل لا يوجد جلالتك ولا عظمتك فانني كنت اعامله كما اعامل رجلاً مثلي يريد ان يتعلم صناعتي · وهو رجل بسيط القلب لين العريكة فكان يرضى مني بكل شيء · كنت اقول له اصنعوا هذا · لا تصنعوا هذا · اضربوا هنا لا تضربوا هناك · امسكوا كذا لا تمسكوا هكذا · نعم انني كنت اخاطبه بالجمع وهو يخاطبني بالمفرد ولكنني ما كنت اقول له لا جلالتك ولا عظمتك لانه في معملي رجل مثلي ولو لم يكن ملكاً لكان دوني لان التلميذ

دون معلم

فقال الرجل الاول نعم ولكنك في وقت الغذاء كنت ولا بد تذهب الى مائدة الخدامين فتاكل عليها والملك يذهب الى مائدته

فاجاب الرجل بنزق لا لا فانه كان يلذ له ان ياكل معي من الصحن الذي آكل منه لان ذلك يكفيه كما كان يقول عناء غسل يديه في غدائه مع الملكة ولذلك كان يفضل مائدتي في المعمل على مائدتها . وكانت الملكة تاتيه احيانا فترى يديه الملطختين باثار الحديد فتقول له باشمئزاز « يداك قذرتان ياذا الجلال » وقد نسيت ان الذي يشتغل بالحدادة لا يمكن ان يكون نظيف اليدين

فقال الرجل الاول اترك هذا فانه يستدر الدموع وقل لي هل كان الملك لا يضجر من صناعة الحدادة . فاجاب المعلم كامين . كلا كلا وقد عهدته انه لا يكون مسرورًا كل السرور الا في معمل الحدادة وفي غرفة الجوغرافيا لما يبحث في خرائطه واوراقها وفي غرفة المكتبة لما يحادث امينها . ولكن المسيو ناكار كان لا يترك له وقتاً طويلاً لذلك بل ياتيه باكداس من الورق تضيع وقته وتسبب له الانقباض والحزن . فياليته خصص كل وقته بصناعة الحدادة فانه كان قد برع فيها براعة تفوق براعة المعلمين فيها لانه مستعد لهذه الصناعة كل الاستعداد خلافاً لصناعة الملك فانه بسيط القلب شريف النفس والاخلاق ولذلك لم يبرع فيها

فقال الرجل الاول لا بد انك صرت غنياً لان الذي يعاشر الملوك يغتني من خيراتهم . فاجاب المعلم « كامين » لا ازال كما كنت فقيرًا وقد اصبح لويس السادس عشر مثلي لانه كان يعطي نصف ماله للفقراء والنصف الثاني للاغنياء ولذلك افتقر ولم يبق لامثالي شيئاً . وقد كانت تحدثه نفسه ان يخفف نفقات بلاطه فانقص يوماً من الايام راتب المسيو كوانيي فجاء هذا الرجل وانتظره امام باب المعمل فما خرج الملك حتى عاد مسرعاً وهو اصفر اللون كالاموات فسالته ما به فاجاب ان المسيو كوانيي كاد يضربه لانه انقص راتبه فسالته ماذا صنعت فاجاب انه ابقى له راتبه كما كان خوفاً من غضبه . فتامل وقاحة هولاء النبلاء الذين يطلبون اخذ الرواتب والاموال بالقوة والغصب . ثم ان الملك في ذات يوم ابدى ملاحظة للملكة بشان ٣٠٠ الف فرنك تقبضها مدام بوليناك صديقتها . فاجابته الملكة ان هذا المبلغ يسير وجعلته بالرغم عنه عقاباً له ٥٠٠ الف فرنك . هكذا كان يعطي الملك النبلاء ابناء كوانيي وفودريل وبوليناك حتى انهم رحلوا الآن عن فرنسا وصناديقهم

طائفة بالملايين بعد ان كانوا لا يملكون شيئاً . كل ذلك دون ان يعطيني مبلغاً اكتفي به الفقر انا صديقه ورفيقه ومعلمه الذي علمه كيف يمسك المبرد والمطرقة في يده

فقال الرجل الاول ولكن لا بد انك تربح ربحاً وافراً من العمل معه بالحدادة فقال كامين ومن قال لك انني اعمل معه الآن فانني اصبحت اجتنبه لان معاشرته صارت خطراً في هذا الزمان ولا سيا بعد سقوط الباستيل . على انني لقيته مرة او مرتين منذ امد بعيد . المرة الاولى في الشوارع وكانت غاصة بالناس فاكتفى بانه سلم عليّ من بعيد . والمرة الثانية في طريق سانوري فانه اوقف مركبته لما رآني وقال « صباح الخير يا كامين المسكين » وقد قالها متنهداً فاجبته يظهر من تنهدك انك غير مستريح البال فلا باس بذلك فانه عتاب لك على تركك الحدادة . فقال كيف امرأتك واولادك فاجبته بصحة جيدة وقابلية تفني كل شيء فقال لي الملك اصبر وخذ لم مني هذه المدية ثم مدّ يديه الى جميع جيوبه وفتشها كلها فلم يجد فيها غير تسع ليرات (بنتو) فتناولها واعطانيها قائلاً « يسوءني ان اقدم لك هدية حقيرة كهذه » فتامل هذا الملك الذي لا يوجد في جيبه سوى تسع ليرات

فقال الرجل الم تره منذ ذلك الحين . فاجاب كلا فقال وكيف لم تره في ليل امس حين سفره من فرساليا عائداً الى هنا فقال الحداد لانني سافرت في الساعة الثالثة بعد نصف الليل اي قبل سفره . فاظهر الرجل استغرابه وقال كيف تسافر في الساعة الثالثة فقال هذا امر حيرني انا نفسي ولا باس ان اذكره لك . فان صاحب منزل كبير في باريز دعاني مساء امس الى ان اجيء باريز واصنع له شيئاً في منزله . ولكنه اشترط عليّ ان يستر عينيّ حين دخولي الى المكان وخروجي منه لئلا اعرفه . اما الشيء الذي يطلب ان اصنعه فهو خزانة كبيرة حديدية سرية توضع في جدار وتغطى بقطعة من الخشب مدهونة بلون الجدار حتى اذا اقفلت الخزانة لم يبن لها في الجدار اثر . فرضيت بذلك لانهم عرضوا عليّ اجرة وافرة وانا محتاج الى المال من اجل عائلتي فجئت معهم امس في الساعة الثالثة . فلما وصلت الى احد الشوارع صادفني رجل وسالني أانت المعلم كامين قلت له نعم فتناول منديلاً وربط به عيني ثم سار بي الى المنزل المذكور وادخلني الى الغرفة التي يريد وضع الخزانة في جدارها فرفع الرباط عن عيني واراني العمل الذي يجب ان اعمله فما زلت اعمل حتى الصباح ففرغت منه فانقدوني مبلغاً وافراً من الذهب ثم اخرجوني مربوط العينين كما ادخلوني

وكان الرجل الاول يسمع هذا الحديث وهو مهتم به في نفسه اشد اهتمام وان كان لم

يظهر على وجهه شيء من علائم الاهتمام به . فلما سكت كامين ساله افلم تسترق نظرة من وراء الرباط وتنظر الى طريق المنزل الذي دخلته . فاجاب كامين ضاحكاً لا اكتمك انني استرقت نظراً فانني وانا عائد من المنزل عثرت بدرجة فكدت اسقط فاغتنمت هذه الفرصة وزحزحت الرباط . فقال الرجل باهتمام . فماذا ابصرت . قال ابصرت صفوفاً واسعة طويلة من الاشجار . فقال الرجل ان هذا يدل على ان المنزل قائم في شارع كبير فاجاب الحداد ذلك محتمل

ولكن ما اتى كامين على هذا الكلام حتى دخل ثلاثة اشخاص الى الحانة وجلسوا امام المائدة الذي كان كامين وصاحبه جالسين اليها . فسكتا وحانت منها التفاتة فسال كامين من هم هذان الرجلان والمرأة . فقال . الرجل الاول هو جان بول مارات(١) فسال كامين والاحدب الثاني . فاجاب هو بروسبير فريه . فقال كامين والمراة الجالسة بينهما . فضحك الرجل الاول وقال اذا سميتها لك لم تصدقني فقال كامين ومن هي . فاجاب الرجل هي « الدوق دكوبلون في زي امراة »

ولكن ما لفظ الرجل هذه الكلمة حتى ارتعدت فرائص المراة والتفتت الى الرجل الذي سماها والتفت الرجلان الى تلك الجهة معها . فوقعت ابصارهم على الرجل الذي يجالس كامين فدهشوا واستعدوا للقيام على الاقدام قيام اكرام واحترام من مرؤوس الى رئيسه . فوضع الرجل الاول اصبعه على فمه مشيراً لهم بالسكوت والجلوس ثم نهض مع كامين وخرج من الحانة كانه وقف منه على ما كان يجب الوقوف عليه

وفي خروجه من الحانة ابصر الشعب مضطرباً يركض وراء رجل يدعى المزين ليونار واثنان من الرجال يحملان راسين بشربين من رؤوس الحرس الذين قتلوا في فرساليا وغرضهم ان يجعلوا ليونار يمشط شعر الراسين ويزينهما كما يزين رؤوس الاحياء . وكان هذا الجمهور الذي يحمل الراسين طليعة الشعب العظيم القادم بالملك من فرساليا

---

(١) مارات — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ٥٢

الفصل الثاني

﴿ كاليوسترو الرجل المائل ﴾

ولم تنقض مدة يسيرة حتى وصل موكب الملك الى باريز ووراءه مركبات اعضاء المجمع الوطني . وكان الملك هادئاً جامداً في مركبته والملكة شامخة الراس في مركبتها تحمل بين يديها ولي عهدها و بازائها الدكتور جيلبار يمشي على قدميه بازاء باب المركبة . اما بيلوفانه بقي مع الكونت دي شارني في فرساليا لدفن جثة جورج . واما اندري امراة الكونت دي شارني فانها كانت جالسة في مركبتها وراء الملكة وهي مبهوتة جامدة غير ملتفتة الى الحركات الهائلة التي كانت تجري حولها كانها تمثال من رخام ناصع البياض يزيده اسوداد الشعب من حوله جمالاً و بياضاً . الا ان عينيها كانت تبرقان وترعدان كلما وقعتا على سبيل الاتفاق على عيني الدكتور جيلبار الذي كان سائراً بازاء مركبة الملكة

وكان الشعب يهتف ملء رئتيه « فليحيَ لا فاييت فليحيَ ميرابو » كأنَّ الملك غير موجود في ذلك الموكب او كأن لافاييت وميرابو هما الملكان الحقيقيان

اما لافاييت فانه كان سائراً على جواده امام مركبة الملك وسيفه مصلت في يمينه وهو يحيي الشعب به و يرفع قبعته . واما ميرابو فانه كان جالساً في احدى المركبات التي كانت تقل اعضاء المجلس الوطني وقد جعل مجلسه السادس في المركبة ليكون قرب النافذة طلباً للهواء اللازم لرئتيه الواسعتين . وكان يُخرج راسه من نافذة المركبة ليشاهد الشعب كلما صرخ الشعب « فليحيَ ميرابو »

وكان الشعب ينشد مع ذلك الصراخ اناشيد مختلفة ويتحادث بامور كثيرة . فكأن الملكة قد ثقل عليها صراخه ولا سيما هتافه لميرابو ولافاييت دون الملك فالتفتت الى جيلبار السائر امام مركبتها وسالته متهكمة . ماذا يقول شعبك ايها الدكتور

فعض الدكتور جيلبار شفتيه لهذا السؤال وقال في نفسه « لا تغير هذه المراة عادتها » ثم اجابها . وا اسفاه يامولاتي ان هذا الشعب الذي تسمينه شعبي هو في الحقيقة شعبك وقد كان يهتف لك منذ سنوات اضعاف الهتاف الذي تسمعينه الآن

فقالت الملكة مستاءة من هذا الجواب . انا لا اسالك عن هذا وانما اسالك بماذا

يهتف وماذا ينشد وما هو موضوع حديثه حتى اننا نسمع له هذه الضوضاء الشديدة
فاجاب الدكتور جيلبار انه يهتف «ليحيَ ميرابو ولافاييت» (١) فقالت الملكة متهكمة
ولماذا يطلب الشعب ان يحيَ ميرابو ولافاييت . فقال الدكتور جيلبار يطلب الشعب ذلك
وانا اطلبه معه لاننا لا ننقذ الملكية الا ببقاء هذين الرجلين واتحادهما
فقالت الملكة وقد ارادت تغيير هذا الكلام لانه كان لا يرضيها وماذا ينشد الشعب
فسكت الدكتور جيلبار . فقالت لا تسكت يادكتور وصرح لي بكل شيء لانه لا يسوءني
شيء . فقال الدكتور ان الشعب ينشد يامولاتي انشودة الفها وهي

ان للخبازة مالاً لا يكلفها عناء

فعبست الملكة وقالت . انا عالمة انه يلقبني الخبازة ولكني لا اعلم معنى هذين
البيتين . فقال جيلبار ومعناها ياسيدتي انك صاحبة السلطة وقادرة على الحصول على المال
دون ان تتعبي فيه اي ان خزانة الدولة تحت امرك واموالها في قبضتك
فقالت الملكة وقد حولت وجهها تضجرًا وما هو حديث الشعب الآن . فقال جيلبار ان
الشعب يقول الآن « انه قد حصل على الخباز والخبازة وخادمها ولذلك فانه يؤمل ان
يزول الجوع الذي يعانيه»
وكانوا يعنون بالخباز الملك والخبازة الملكة وبخادمها ولي العهد
فقالت الملكة وما هذا الكلام البارد . فقال الدكتور جيلبار . ليس هذا الكلام
باردًا ياسيدتي وانما هو نكتة لا تخلو من حكمة . فان الشعب يعتقد بانه يوجد في فرساليا
تجارة عظيمة بالدقيق . وهذه التجارة هي التي تحول الدقيق في اعتقاده عن باريز الى فرساليا
لمنفعة الملك واتباعه . فاذا سكن الملك باريز تحولت اليها تجارة الدقيق فزالت المجاعة الهائلة
التي يقاسيها الباريزيون الآن . واي شيء احسن من ان يعتقد الشعب ان الملك لا يحل
بين ظهرانيه حتى تحل البركة معه فياتيه خبزه عفوًا . وفي الحقيقة اليس الملوك نوابًا عن
الله الذي يوزع الخبز على البشر . واذا كان الملوك نوابًا عن الله في توزيع الخبز فاية
غرابة في ان ينتظر شعب خبزه من الملك و يطلب ان يكون ساكنًا بين ظهرانيه ليكون
قريبًا منه فيتمكن من توزيع الخبز عليه
فحولت الملكة حينئذ نظرها عن جيلبار والغضب باد في عينيها لعدم رضاها عن

(١) ميرابو ولافاييت — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ١٠٣ والثاني صفحة ١٧

هذا الكلام واذا باصوات ارتفعت وحركة عظيمة حدثت في الشعب المجتمع حول مركبتها فالتفت جيلبار ليرى سبب ذلك فابصر الشعب يندفع فرارًا من وجه جمهور قادم نحو الملكة وهو يحمل الرأسين اللذين مر ذكرهما ليريها اياهما . فصاح عند ذلك الدكتور جيلبار بالملكة مولاتي استحلفك بالله ان لا تنظري الى يمينك

ولكن الملكة كانت ممن لا يرهبهم شيء ولا يطيعون امرًا فما سمعت كلام الدكتور حتى التفتت الى اليمين فابصرت الرأسين المحمولين على رمحين فصرخت صراخًا هائلاً

غير انها ما صرخت هذا الصوت حتى انصرف نظرها عن هذا المنظر الهائل الى منظر اشد هولاً

ذلك انها وجدت في الجهة التي التفتت اليها رجلاً واقفًا ينظر اليها وهو باسم . فعرفت هذا الرجل ولذلك اصفرّ وجهها حتى صار كوجوه الاموات وخفق قلبها وشخصت عيناها اليه كأنها اصبحت عاجزة عن صرفها عنه

وكان هذا الرجل الذي احدث في الملكة هذا التأثير المخيف هو الرجل الذي حادث في الحانة الحداد «كامين» وشرب الخمر معه

اما جيلبار فقد راعه اصفرار الملكة وخوفها ولا سيما انه رآها تنظر الى جهة غير جهة الرأسين . فحقق المكان الذي كانت تنظر اليه مبهوتة خائفة ونظر اليه ايضًا

ولكنه ما وجه نظره اليه ووقع نظره على ذلك الرجل حتى اجفل جيلبار واي اجفال وحينئذ خرج من فمه ومن فم الملكة معًا هذه الكلمة

— كاليوسترو . يالله (١)

فضحك ذلك الرجل ومد يده مشيرًا باصبعه الى جيلبار اشارة معناها: تعالَ مسرعًا .

(١) كاليوسترو — هو الكونت كاليوسترو الذي كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه كان يزعم انه ولد في مالطه او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل واسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها . وكان يزعم معرفة الغيب و يدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان لغناه ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسيح فيها . وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء . اما النساء فكن يحسدنه المًا لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن . وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها . وقد كان صديقًا

واتفق ان الشعب كان يزحم مركبة الملكة في تلك الساعة فدت الملكة يدها ودفعت جيلبار لحفظه من الزحام فحسب جيلبار ان الملكة تامره بالذهاب الى ذلك الرجل . فسار نحوه . اما الرجل فلما راى جيلبار قد قصده ترك مكانه وسار في طريقه متلفتاً من حين الى حين ليرى اذا كان الدكتور لا يزال يتبعه . واما الملكة فقد استمرت سائرة في موكب الملك وهي غائصة في بحر الافكار والتاملات

الفصل الثالث

ملكي وجمهوري

وما زال الرجل سائرًا والدكتور جيلبار يتبعه حتى وصلا الى قصر شاهق فقصد الرجل المجهول باباً صغيرًا وفتحه بمفتاح معه ثم ابقى الباب مفتوحاً لدخول ضيفه . فدخل الدكتور وراءه

فراى الدكتور نفسه في فناء واسع فصعد منه الى القصر ودخل الى قاعة مفتوحة وهي مفروشة باثمن الاثاث وافخر الفراش ولبث ينتظر فيها لان الرجل غاب عنه في القصر بعد دخوله

ولكنه ما غاب بضع دقائق حتى عاد اليه وكان قد غير ملابسه ولبس ثياباً من افخر الثياب . فلما رآه الدكتور قادماً اليه وهو باسم الثغر هرع اليه والقى نفسه بين ذراعيه قائلاً — يامعلي . فقال الرجل وهو يضحك . لا ياجيلبار لم اعد معلمك لانك اصبحت رجلاً كبيرًا وقد عملتَ من الاعمال الكبيرة ما صيرني تلميذك وصيرك معلماً لي

حمياً للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسالة « عقد الملكة » وهي المسالة التي اتهم بها الكردينال . ولذلك حكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا . وكانت الملكة ماري انطوانت تخشى شره وتريد بُعده ولذلك ارتاعت هنا لما رأته عاد من منفاه واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم . اما دوماس فانه يجعله رجلاً قوياً كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه . وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه . ولما كان يقول عن الملوك « اننا نسقطهم » فقد كان يعني بقوله نفسه والماسونيين رفاقه . وقد انشأ في

ثم جلسا فقال جيلبار شكرًا لك على هذا الثناء ولكن من ادراك بما صنعت حتى تقول هذا القول

فنظر اليه الرجل ضاحكاً وقال · الا تزال تسالني هذا السوال كانك نسيت انني اقرأ ما في القلوب واعرف ما في الكلى · فضحك جيلبار وقال ولكني رجل مادي كما تعلم · فقال انت مادي اي انك لا تصدق الا بالبرهان فاليك البرهان · اتريد ان اقص عليك ما صنعته من يوم افتراقنا الى الآن حادثة حادثة فقال جيلبار نعم اريد ذلك · فاخذ الرجل يقص عليه كلما صنعه من صغيرة وكبيرة حادثة حادثة حتى دهش الدكتور وظهرت دلائل الاستغراب على وجهه بالرغم عنه · فساله الرجل ما قولك الآن · الا تزال تسالني من يدريني بالامور فقال الدكتور اشكرك على هذه الاقوال التي قلتها لانها تدل على شديد اهتمامك بي وسوالك عني

ثم قال الدكتور جيلبار تكلمت الآن عني فهل لك ان تتكلم عن نفسك · فقال ماذا تريد ان اقول · قال اريد ان تخبرني ماذا فعلت في السنوات الثماني الماضية التي افترقنا في اثنائها فاجاب كاليوسترو

صنعتُ ما صنعته انت اي انني كنت ادنو من الملوك والامبراطرة · ولكن الفرق بيني وبينك انك تدنو منهم لتثبتهم وتعينهم وانا ادنو منهم لاسقطهم عن عروشهم فقال جيلبار وبماذا تسقطهم فقال ذلك الرجل

اسقطهم بانني اجعلهم فلاسفة وعلماء · ولا اكتمك ان فولتير وديدرو وقد مهدا لي

باريز في حوالى سنة ١٧٨٤ لوجاً ماسونياً سماه « اللوج المصري » وجعل فيه لقب « القبطي العظيم » مكان لقب « المحترم » ثم انشأ لوجاً آخر سماه لوج « ايزيس » كان خاصاً بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة بريين ومدام شرلوت دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن · وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج

ولاسكندر دياس رواية تدعى جوزف بالسومو سابقة لهذه الرواية وموضوعها كاليوسترو نفسه لان « جوزف بالسومو » من القابه · ولميرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتباً في هذا الموضوع · ولا ريب ان القارئ بعد ما علمه عن هذا الرجل قد اصبح كثير الاستطلاع لمعرفة ما يعمله ويراه كاليوسترو في الحوادث المستقبلة

هذا السبيل احسن تمهيد فضلاً عن صديقي الملك فردريك(١) الذي كان قدوة حسنة لجميع الملوك · ولكنني مع ذلك عانيتُ في هذا السبيل ما عانيتُ · على ان كل عناء في هذا السبيل لا يُعد امراً مذكوراً بازاء النجاح · والنجاح مضمون ما دام كثيرون من الملوك يساعدوننا بجهلهم وغلوهم على قلبهم واسقاطهم كما ساعد بعض البابوات على اسقاط المذابح والهياكل · واحص معي الملوك الذين نجحنا الى الآن معهم · اولهم الامبراطور جوزيف الثاني (٢) شقيق ملكتنا الذي اخذ يضطهد الاكليروس ويلغي الديور ويطرد الرهبان حتى النساك من مناسكهم ويرسل الى شقيقته المضحكة رسوماً تمثل رجال الدين شر تمثيل · وثانيهم ملك الدانمرك الذي كان يقول (١) وهو في السابعة عشرة من عمره « ان المسيو فولتير هو الذي جعلني رجلاً افكر واعي ما في هذا الوجود » وثالثهم الامبراطورة كاترين قيصرة روسيا التي نالت من الفلسفة اوفر نصيب (٣) والتي كتب اليها فولتير مع انها كانت تعذب بولونيا وتجزئها « انني مع ديدرو ودالمبر اقيم لك هيا كل الاكرام والاحترام » ورابعهم ملكة اسوج ثم يليها امراء المانيا · هؤلاء هم الملوك الذين ربحناهم الى الآن بقوة الفلسفة · فهل رأيت اعظم من الفلسفة واشد قوة منها في هذا العالم

فاجاب جيلبار ولكن بقي لديكم البابا فهل تستطيعون استمالته

فقال كاليوسترو اما البابا فان استمالته امر في غاية الصعوبة ولكن كما ان الملكية قد

---

(١) الملك فردريك — هو فردريك الثاني ملك بروسيا الملقب بفردريك العظيم وانما لقب كذلك لشهرته في ساحة الحرب ولانشائه الجيش البروسي وحبه للعلوم والآداب والفنون · وقد كان من انصار الفلسفة الحديثة ولذلك استدعى اليه فولتير لما اضطهده مقاوموه وكان شديد الميل اليه والاعجاب به وكان يكتب له « صديقي العزيز » · ولد في سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٨٦ · وكان قدوة حسنة لملوك اوربا كلها في نصرة الآداب وحب خير البلاد · ولذلك قال عنه كاليوسترو في هذا الفصل ما قال

(٢) جوزف الثاني — هو الامبراطور جوزف الثاني ملك المانيا من سنة ١٧٦٥ الى ١٧٩٠

(٣) كاترين الثانية — هي قيصرة روسيا الملقبة بكاترين العظيمة وزوجة بطرس الثالث · حكمت روسيا وحدها منذ سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٩٦ · وكانت محبة للعلم والفلسفة ولذلك شهد لها فولتير الشهادة التي تراها فوق

ترعرعت ولقيت يوماً فكذلك ستلقي البابوية يوماً ايضاً . وقد كنت منذ مدة في قصر سنت انج (١) لما كنت انت منذ مدة في الباستيل

فقال الدكتور اكنت ضيفاً ام اسيراً . فقال كنت سجيناً فيه ولكني استطعت الفرار منه فاشاعوا انني انتحرت ودفنوا احد الحراس بدلاً مني ولو اتيتهم الآن وقلت لهم انني كاليوسترو لما صدقوني

فقال وكيف عدت الى باريز ألا تخشى ان يلقوا القبض عليك لسوابقك الماضية فقال ضاحكاً كلا لا اخشى الآن احداً لانني قادر ان اثير فتنة بكلمة واحدة لما لي من العلاقة مع الشعب . هذا فضلاً عن انني صديق للافاييت وميرابو ولك انت ايضاً فمن يستطيع ان يمسني بسوء . ومع ذلك فانني عدت الى باريز متنكراً باسم « البارون زانون » وانا ادعي انني صاحب بنك من جنوى اصرف الاوراق المالية مها كانت قيمتها . وعلى ذكر الاوراق المالية اقول لك كلمة ياجيلبار فاخبرني الست في حاجة الى المال

فقال جيلبار ضاحكاً كلا فانني املك ٢٠ الف ليره دخلاً سنوياً . فقال كاليوسترو ضاحكاً نعم انني اعلم بذلك واعلم ايضاً انك شريك لبيلو المزارع القوي الذي تبقيه في باريز لمساعدتك بالرغم عنه مع ان عائلته الآن محتاجة اليه في بلاده . ولكني اذا عرضت عليك المال الآن فانما افعل ذلك للمستقبل اذ ربما احتجت الى مال كثير وكنت غير قادر على الوصول الى شيء منه فحينئذ ليس عليك الا ان تقصد هذا القصر فتدخل من الباب الذي دخلته الآن بضغطك على زر ساعتك الآن كيف تضغط عليه ثم تصعد الى هذه الغرفة فتجد هذه الصندوقة في هذه النافذة فتمد يدك اليها وتضغط على هذا الزر فتنفتح لك فتجد فيها دائماً لا اقل من مليون فرنك

قال الرجل ذلك ثم ضغط على الزر فانفتحت الصندوقة وبان للدكتور ضمنها كومة من الذهب واوراق مالية كثيرة . فاجابه الدكتور شكراً لك يا معلمي ولكن اخبرني ماذا قدمت تصنع في باريز . فاجاب كاليوسترو قدمت لاصنع ما صنعت انت في الولايات المتحدة : اي ان اؤلف جمهورية

---

(١) سنت انج — هو حصن من حصون رومه اتخذته السلطة البابوية تارة سجناً للذين تريد سجنهم وطوراً ملجأ لها . وقد سجن فيه كاليوسترو هو وامرأته في ٢٣ دسمبر سنة ١٧٨٩ بامر من ديوان التفتيش وذلك لانه ماسوني وقد حُكم عليه بالاعدام ثم ابدل الاعدام بالسجن المؤبد

فهز جيلبار راسه وقال وهل تظن ان في فرنسا روحاً جمهورياً . فقال سنبث فيها هذا الروح . قال ولكن الملك يقاومكم . قال ذلك من المحتمل . قال والاشراف يحملون السلاح لاحباط مساعيكم . قال ذلك من المحتمل . قال فماذا تصنعون حينئذٍ . قال اذا لم نستطع ان نصنع جمهورية فاننا نصنع ثورة

فلوى جيلبار راسه على صدره ولبث مفكراً . ثم قال . امر هائل يا يوسف اذا وصلتم الى هذا الحد . فقال نعم يكون هائلاً اذا وجدنا في طريقنا كثيرين بقوتك ومقدرتك . فقال جيلبار انا لست قوياً ولكني امين لمبادئي . فقال كاليوسترو وهذا اشد علينا من القوة (١) ولكن ما رايك في عملنا . فقال جيلبار رايي اننا قادرون عليكم . قال على ماذا انتم قادرون . اعلى منعنا من ان نعمل . قال كلا ولكن على ايقافكم في الطريق قبل الوصول الى غرضكم . فقال كاليوسترو

لا شك انك مجنون ياجيلبار لانك تجهل مهمة فرنسا والوظيفة التي خُلقت لها في العالم وليس في استطاعة احد ان يمنعها منها . ان فرنسا هي دماغ العالم فيجب ان يكون هذا الدماغ حرّاً يفتكر بما يشاء ليعمل العالم بفكره ويكون حرّاً مثله . اتعلم ما الذي هدم الباستيل ياجيلبار

قال الشعب هدمه . قال كلا فان قولك هذا من قبيل اعتبار المعلول علة . ليس الشعب الذي هدم الباستيل . فان ملوك فرنسا صرفوا خمسمائة سنة وهم يسجنون فيه الامراء والنبلاء والاشراف ومع ذلك فقد بقي الباستيل قائماً . ففي ذات يوم خطر للملك جاهل ان يسجن فيه الفكر . الفكر الذي يحتاج الى الفضاء الذي لا نهاية له ليرفرف فيه . الفكر الذي لا يُحصر في مكان الا ويفجر ذلك المكان . ففجر الفكر الباستيل بقوته ونسفه نسفاً . فالفكر هو الذي هدم الباستيل لا الشعب ياجيلبار

فقال جيلبار لقد صدقت . فقال كاليوسترو اتذكر ما كان يقول فولتير قبل موته . انه كتب الى المسيو شوفلين في ٢ مارس سنة ١٧٦٤ اعني منذ ٣٦ سنة ما نصه

«كل ما اراه يدل على انه يوضع الآن في هذه البلاد بذار ثورة لا بد ان تنفجر يوماً من الايام . ويسوؤني انني لا اكون من شهود هذه الثورة . ولكن يسرني ان الفرنسويين سيصلون اليها وان كانوا متاخرين . فان النور آخذ بالانتشار يوماً عن يوم

(١) ما اجل هذا الكلام

حتى انه سياتي يوم يكفي فيه اقل الامور لينفجر انفجاراً . وحينئذٍ تحدث ضوضاء جميلة فما اسعد الفتيان لانهم سيرون اموراً شائقة »

هذا ما كتبه فولتير منذ ٢٦ عاماً وانت ترى انه كان نبياً اذ هل رايت اجمل من هذه الضوضاء التي يقوم بها شعب باريز في هذا الزمان . ومع ذلك فما زلنا يا جيلبار في بداية الضوضاء

فقال جيلبار نبوءتك نبوءة شؤم . فقال كلا وانما ارى الدلائل تدل على ذلك . اسمع لاقص عليك هذا الخبر . من منذ بضعة ايام زرت صديقاً لي يدعى الدكتور كليوتين(١) فهل تعلم باي شيء وجدته مشغولاً وجدته يصنع آلة هائلة تعدم ٦٠ او ٧٠ او ٨٠ شخصاً في اقل من ساعة . فهل ليس ذلك دليلاً على ان هذا الزمان قد اصبح محتاجاً الى هذه الآلة حتى قام رجل يفكر باختراعها . اولا تذكر ما يقولون من ان الحاجة ام الاختراع واذا كانت هيئتنا الآن محتاجة الى هذه الآلة فذلك دليل على ان رؤوساً كثيرة ستسقط عن اكتافها بضيق اوقات الجلادين عنها . ومن اجل ذلك قلت لك اننا الآن لا نزال في بداية هذه الضوضاء

فضجر جيلبار من هذا الكلام وقال . انك تخيفني بهذا القول يا يوسف فلماذا لا تكون هنا معزياً ومطمئناً للافكار كما كنت معي في اميركا

فقال كاليوسترو بهدوء . لان البون بين هنا وهناك عظيم . فقد كنا هناك في وسط هيئة آخذة بالنهوض ونحن الآن في وسط هيئة آخذة بالسقوط

فقال جيلبار . انني اترك لك النبلاء يا كونت فليسقطوا . ولكني اريد انقاذ الملكية لانها حصن الامة

فضحك كاليوسترو ثم قال . الا تزال الكلمات الكبيرة تفتن عقلك ليس . من حصن للامة غير الامة نفسها ومع ذلك فالملكية لا يمكن انقاذها بملك كهذا الملك

فقال جيلبار ولكنه من نسل عظيم . فاجاب كاليوسترو نعم انه من نسل نسر ولكنه انقلب الآن وا اسفاه حماماً . وهل ترى في لحمه الرخو وشفتيه البارزتين المتدليتين وعينيه الضعيفتين وخطوته الواهنة ما يدل على نشاط وقوة ارادة يستطيع بها الخروج من الهاوية التي سقط فيها . قابل بينه وبين سان لويس وفرنسوى الاول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر وفيليب اغسطس اولئك الرجال الذين كانوا ممثلين قوة ونشاطاً وانظر الا ترى فيهم ما يدل على انهم قوم ينهضون وفيه ما يدل على انه رجل آخذ في السقوط . وسبب ذلك

(١) هو طبيب فرنسوي صانع « الكليوتين » الآلة القاتلة ولد سنة ١٧٣٨ وتوفي سنة ١٨١٤

٢٠٥٤٠

« الزواج بين الاقرباء » . فان اجداد لويس السادس عشر كانوا يتزوجون باقرب البنات اليهم وهكذا يتكرر دم العائلة فيهم فيضعف شيئاً فشيئاً لعدم دخول عنصر قوي جديد اليه من دم غريب . انظر آخر الرجال من الاسر المالكة التي سقطت انظر هنري الثالث آخر اسرة فالوى وغاستون آخر اسرة مدسيس والكردينال ديورك آخر اسرة ستوارت وشارل السادس آخر اسرة هبسبورج فانهم كلهم كانوا ضعاف العزائم صغار النفوس وذلك لان دماء اسرتهم تكررت فيهم بزواج اجدادهم باقرب قريباتهم . اترك الانسان وخذ الحيوان خذ كلباً او فرساً جواداً وكرر النسل فيه مراراً من غير ان تدخل الى نسله دماً غريباً عن نسله فانك عند الفرس الرابع من هذا النسل تجد هذا الفرس احط كثيراً من الفرس الاول . فاذا كان نسل الحيوان يضعف بتكرار دمه فكيف الانسان . ماذا ترى في هذا ايها الدكتور

فنهض حينئذ جيلبار واتجه صوب الباب قائلاً ان قولك هذا يزيد خوفي ورغبتي في البقاء قرب الملك . فقال كاليوسترو ولكنني احبك ياجيلبار . احبك ولذلك اشير عليك بان تنصح للملك ان يهرب من باريز ويترك فرنسا كلها . فالتفت اليه جيلبار وقال وكيف تستجيز ان تشير على الجندي ان يفر من مكانه . فاجاب كاليوسترو بهدوء . نم اذا كان العدو قد احاط بهذا الجندي من كل جانب واقفل دونه كل باب للامل فانني اشير على الجندي بالانسحاب والتماس مفر

فقال جيلبار بشيء من الحدة . انت تعلم يا كونت انني رجل لا يعبأ بتصاريف الزمن . فليكن ما يكون فانني انصح له بالبقاء في مركزه . استودعك الله يا كونت . ستراني واراك في اثناء النضال وربما نمت واياك النوم الابدي في ساحة القتال الواحد بجانب الآخر . فقال كاليوسترو سترى ان نبوّتي كانت صادقة . فالتفت اليه جيلبار وهو سائر وقال ضاحكاً اما زلت تقصد اقناعي بانك نبي

وهنا قُرع الباب . فقال جيلبار . اسمع يا كونت ان الباب يُقرع وانت تدعي النبوّة فهل لك ان تخبرني الآن قبل ان ترى القادم من هو وماذا يحدث له

فقال كاليوسترو بهدوء ان القادم هو المركيز فنراس وهو من عملائي الذين يستقرضون المال مني . فقال وماذا يحدث له في حياته

فقال انتظر لاقول لك ذلك ان يدخل . ثم اتجه نحو الباب وفتحه فدخل رجل تدل هيئته على انه من اكابر النبلاء . فسلم على كاليوسترو فعرفه كاليوسترو



الجزء التاسع — السنة الثانية

الاسكندرية دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠٠ — شعبان سنة ١٣١٨


٣


٦


٢



١


٤

٥

(١) اسكندر المكدوني صاحب الترجمة · (٢) الفيلسوف ارسطو معلمه
(٣) الملك فيليبوس ابوه · (٤) الخطيب ذيموستينوس مقاوم فيليبوس اباه
(٥) المؤرخ فلوطرخوس · (٦) تمثال جوبيتر الذي كانوا يزعمونه ابا الاسكندر

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اسكندر الكبير في مصر

وبناؤه الاسكندرية

فرح المصريين بانتصاره على الفرس . قطعه الصحراء لزيارة هيكل عمون . ردّ قولهم عن غرق الناس في رمال الصحراء . تلقيب الكهنة المصريين اسكندر «ابن جوبيتير» والخلاف في ذلك . توزيعه السلطة في مصر . روايتان فكاهيتان عن بناء الاسكندرية واحدة لفلوطرخوس والثانية للمسعودي

وصلنا في الاجزاء السابقة الى استيلاء اسكندر المكدوني على سوريا وفلسطين في شنه الغارة على مملكة الفرس وقصده داريوس ووعدنا بالكلام على قدومه الى مصر وانجازاً للوعد نقول —

لما خرجت سوريا وفلسطين من ايدي الفرس فرح المصريون بذلك لان الفرس كانوا قد اساؤوا اليهم باضطهادهم وسوء معاملتهم . وبعد استيلاء الاسكندر على سوريا وفلسطين قصد مصراً فاجمل المصريون استقباله لانه تغلب على عدوهم فدخل اسكندر بلادهم في شهر دسمبر من سنة ٣٣٢ للميلاد المسيحي واغتنم فرصة رضائهم فتحبب ما استطاع اليهم

قال فلوطرخوس : وقد رام اسكندر السفر الى هيكل الاله عمون ليذبح له . ولكن الطريق كانت طويلة شاقة فضلاً عن ان فيها صعوبتين . الاولى قلة الماء في الصحراء وشدة ظمإ المسافرين فيها والثانية هبوب ريح شديدة من جهة الجنوب تثير الرمال وتسفيها على القوافل فربما دفنتها تحتها كما حدث لجيش قمبيز الذي دفنت منه ٥٠ الف رجل . تقول وتعرف هذه الريح اليوم بريح الخماسين . على انها ليست بذات خطر الى الحد الذي رواه فلوطرخوس . فقد قال مؤلف كتاب «بحث في منتقدي تاريخ اسكندر» ان المصريين كانوا يشيعون هذه الاشاعات في ذلك الزمان رغبة في اثناء الفاتحين عن التوغل في بلادهم . وقد اقام هذا المؤلف البرهان على فساد هذه الاشاعات بقوله انه كان لليونان طريق يسلكونها حين قصدهم هيكل عمون لزيارته

الا ان اسكندر كان ممن لا يثنيهم شيء عن عزمهم متى عزموا على امر فشد رحاله وسافر في الصحراء بقصد هيكل الاله . قال بعض المؤرخين اليونان : فاعانه الاله جو يتر بان ارسل مطرًا غزيرًا برد معه الهواء واعتدل الجو ورصت الارض فاصبح رملها لا يثار بسهولة . وفضلاً عن ذلك فانه لما كانت الحواجز القائمة في الصحراء لهداية المسافرين قد تضعضعت وتهدمت وصارت جنود اسكندر تروح وتجيء على غير هدى فقد بعث اليها الاله المذكور بسرب من الغربان لتهديها سواء السبيل فاذا سارت الجنود طارت الغربان وسارت في مقدمتها واذا وقفت الجنود انحطت الطيور الى الارض . اما في الظلام فان هذه الطيور كانت تنعق نعيقاً شديداً كلما ضلت الجنود الطريق . . . . . وقد روى هذه الفكاهة المؤرخ كاليستين

ولما وصل اسكندر الى هيكل الاله عمون دعاه نبي الهيكل بابنه فسال اسكندر الاله هل انه قد انتقم من جميع قتلة ابيه . فاجابه نبي الاله « ماذا تقول ؟ الا تعلم ان اباك لا يموت » ولا يخفى ان في هذا القول اشارة الى ما ذكرناه قبلاً من اعتقاد اليونانيين بان اسكندر هو ابن الاله جو يتير لا فيليبوس المكدوني . اما اسكندر فلما سمع جواب الاله (وكل ذلك بحسب رواة التقاليد المصرية واليونانية) استدرك وقال على الفور « هل انتقمتُ من جميع قتلة فيليبوس ثم سأل هل تُسلطه الآلهة على جميع الناس فيحكم البشر كلهم » فاجابه كاهن الاله عمون انه قد انتقم من جميع قتلة فيليبوس وان الالهة ستحكمه في رقاب البشر . فاهدى حينئذ اسكندر الى الاله والى كهنة الهيكل هدايا نفيسة زادت في ميلهم اليه

هذا ما رواه مؤرخو اليونان والرومان عن هذه الحادثة التي اختلفت الاقوال فيها لاهميتها . اما اسكندر نفسه فانه قال في كتاب كتبه الى امه ان كاهن الاله المصري اجابه اجوبة سرية لا يستطيع ان يقولها لاحد غير امه ثم وعدها بان يطلعها عليها حين عودته . وروى غيره ان كاهن الاله قد اخطأ في كلامه مع اسكندر فحسب اسكندر انه لقبه « ابنه » . ذلك ان الكاهن خاطبه باليونانية تحببًا اليه فقال له O paidion ومعناها « يا بني » ولكنه وضع S في آخر الكلمة بدلاً من N فصارت O pai dios ومعناها « ابن جو يتير » لان الكاهن المصري كان لا يحسن اليونانية . فعاد اسكندر من هذه الزيارة مبهوتًا مفكرًا . وروى غيره رواية اخرى فقال بل ان اسكندر نفسه كان لا يكره ان يوصل الناس نسبه الى الآلهة على سبيل الاعتزاز والافتخار ليزداد رفعة في

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اسكندر الكبير في مصر

وبناؤه الاسكندرية

فرح المصريين بانتصاره على الفرس . قطعه الصحراء لزيارة هيكل عمون . ردّ قولهم عن غرق الناس في رمال الصحراء . تلقيب الكهنة المصريين اسكندر «ابن جوبيتير» والخلاف في ذلك . توزيعه السلطة في مصر . روايتان فكاهيتان عن بناء الاسكندرية واحدة لفلوطرخوس والثانية للمسعودي

وصلنا في الاجزاء السابقة الى استيلاء اسكندر المكدوني على سوريا وفلسطين في شنه الغارة على مملكة الفرس وقصده داريوس ووعدنا بالكلام على قدومه الى مصر وانجازاً للوعد نقول

لما خرجت سوريا وفلسطين من ايدي الفرس فرح المصريون بذلك لان الفرس كانوا قد اساءوا اليهم باضطهادهم وسوء معاملتهم : وبعد استيلاء الاسكندر على سوريا وفلسطين قصد مصرًا فاجمل المصريون استقباله لانه تغلب على عدوهم فدخل اسكندر بلادهم في شهر دسمبر من سنة ٣٣٢ للميلاد المسيحي واغتنم فرصة رضائهم فتحبب ما استطاع اليهم

قال فلوطرخوس : وقد رام اسكندر السفر الى هيكل الاله عمون ليذبح له . ولكن الطريق كانت طويلة شاقة فضلاً عن ان فيها صعوبتين . الاولى قلة الماء في الصحراء وشدة ظمأ المسافرين فيها والثانية هبوب ريح شديدة من جهة الجنوب تثير الرمال وتسفيها على القوافل فربما دفنتها تحتها كما حدث لجيش قمبيز الذي دفنت منه ٥٠ الف رجل . نقول وتعرف هذه الريح اليوم بريح الخماسين . على انها ليست بذات خطر الى الحد الذي رواه فلوطرخوس . فقد قال مؤلف كتاب « بحث في منتقدي تاريخ اسكندر » ان المصريين كانوا يشيعون هذه الاشاعات في ذلك الزمان رغبة في اثناء الفاتحين عن التوغل في بلادهم . وقد اقام هذا المؤلف البرهان على فساد هذه الاشاعات بقوله انه كان لليونان طريق يسلكونها حين قصدهم هيكل عمون لزيارته

الا ان اسكندر كان ممن لا يثنيهم شيءٌ عن عزمهم متى عزموا على امر فشد رحاله وسافر في الصحراء يقصد هيكل الاله . قال بعض المؤرخين اليونان : فاعانه الاله جو يتر بان ارسل مطرًا غزيرًا برد معه الهواء واعتدل الجو ورصت الارض فاصبح رملها لا يثار بسهولة . وفضلاً عن ذلك فانه لما كانت الحواجز القائمة في الصحراء لهداية المسافرين قد تضعضعت وتهدمت وصارت جنود اسكندر تروح وتجيء على غير هدى فقد بعث اليها الاله المذكور بسرب من الغربان لتهديها سواء السبيل فاذا سارت الجنود طارت الغربان وسارت في مقدمتها واذا وقفت الجنود انحطت الطيور الى الارض . اما في الظلام فان هذه الطيور كانت تنعق نعيقًا شديدًا كلما ضلت الجنود الطريق ..... وقد روى هذه الفكاهة المؤرخ كاليستين

ولما وصل اسكندر الى هيكل الاله عمون دعاه نبي الهيكل بابنه فسال اسكندر الاله هل انه قد انتقم من جميع قتلة ابيه . فاجابه نبيُّ الاله « ماذا تقول ؟ الا تعلم ان اباك لا يموت » ولا يخفى ان في هذا القول اشارة الى ما ذكرناه قبلاً من اعتقاد اليونانيين بان اسكندر هو ابن الاله جو بيتير لا فيليبوس المكدوني . اما اسكندر فلما سمع جواب الاله (وكل ذلك بحسب رواة التقاليد المصرية واليونانية) استدرك وقال على الفور « هل انتقمتُ من جميع قتلة فيليبوس ثم سأل هل تُسلطه الآلهة على جميع الناس فيحكم البشر كلهم » فاجابه كاهن الاله عمون انه قد انتقم من جميع قتلة فيليبوس وان الالهة ستحكمه في رقاب البشر . فاهدى حينئذ اسكندر الى الاله والى كهنة الهيكل هدايا نفيسة زادت في ميلهم اليه

هذا ما رواه مؤرخو اليونان والرومان عن هذه الحادثة التي اختلفت الاقوال فيها لاهميتها . اما اسكندر نفسه فانه قال في كتاب كتبه الى امه ان كاهن الاله المصري اجابه اجوبة سرية لا يستطيع ان يقولها لاحد غير امه ثم وعدها بان يطلعها عليها حين عودته . وروى غيره ان كاهن الاله قد اخطأ في كلامه مع اسكندر فحسب اسكندر انه لقبه « ابنه » . ذلك ان الكاهن خاطبه باليونانية تحيًا اليه فقال له O paidion ومعناها « يابني » ولكنه وضع S في آخر الكلمة بدلاً من N فصارت O pai dios ومعناها « ابن جو بيتير » لان الكاهن المصري كان لا يحسن اليونانية . فعاد اسكندر من هذه الزيارة مبهوتًا مفكرًا . وروى غيره رواية اخرى فقال بل ان اسكندر نفسه كان لا يكره ان يوصل الناس نسبه الى الآلهة على سبيل الاعتزاز والافتخار ليزداد رفعة في

عيونهم ولذلك لم يكذب ما تناقلوه عن الوهيته بل ترك رجاله يشيعون عنه بهذا الشان اشاعات مبهمة غامضة كان يؤولها الشعب و يفسرها على هواه · وقال غيرهم بل انه هو نفسه كان مرتاباً في اصله · وهذه الحقيقة لم تتقرر الى الآن

ولكن قد تقرر ان اسكندر استحسن جداً في حديث جرى له مع الفيلسوف بسامون المصري هذا المبدأ « ان الله ملك على جميع البشر لانه حاكم عليهم · وكل حاكم هو ذو سلطة الهية مقدسة » · على اننا نعرف لاسكندر فلسفة في هذا الموضوع ارق من هذه الفلسفة وهي « ان الله ابٌ لجميع البشر ولكنه يفضل ابناءه الفضلاء على غير الفضلاء »

اما سبب زيارته لهيكل عمون فقد اختلفت الاقوال فيها ايضاً · فمن قائل انه زار هذه الزيارة استرضاء للاهالي واستمالةً لهم · ومن قائل ان اسكندر كان يعتقد بالتوحيد الرباني وكان التوحيد معروفاً عند الكهنة المصريين وان كانوا يكتمونه فذهب الى هيكلهم الاعظم لمباحثتهم والوقوف على آرائهم

وقد نال اسكندر بعد هذه الزيارة الدينية حظوى في عيني الشعب فاحبوه وزادحبهم له انه كان في نظرهم فوق البشر لانه من نسل الآلهة · اما عمله في مصر فانه كان مقصوراً على توزيع السلطة فيها لئلا يستأثر بها رجل واحد فتقوى عصبيته و يشتد ساعده عليه · هذا فضلاً عن بنائه مدينة « الاسكندرية » الذي يعدّ في الحقيقة اعظم عمل عمله فيها

﴿ بناء الاسكندرية ﴾

روايتا فلوطرخوس والمسعودي

وكانت مصر في ذلك الزمان ممتزة بتمدنها الشرقي وكان يحق لها ان تعتزبه لانها كانت صلة بين الشرق والغرب · فبنى فيها الاسكندر المدينة التي سماها باسمه وهي « الاسكندرية » كأنه علم بانها ستزيد مصر عزاً وفخراً وترث مدينة صور التي كانت سيدة البحار في تلك الايام

وقد قص كلٌ من فلوطرخوس والمسعودي تفصيل بناء اسكندر مدينته فنحن نروي هاتين الروايتين من قبيل التفكهة والتسلية لا من قبيل التاريخ · اما رواية فلوطرخوس فهي

لما كان اسكندر في غزة قبل قدومه الى مصر سمع في الحلم شيخاً ينشد امامه بيتين من قصيدة « الاوديسه » جاء فيها ما ترجمته

« في وسط البحار الواسعة التي تبلل شواطئ مصر
« توجد جزيرة » فاروس « المشهورة منذ الدهر

فانتبه اسكندر من نومه وعزم حينئذٍ على قصد مصر ومشاهدة جزيرة فاروس المذكورة في البيتين . وهذه الجزيرة هي الآن جزيرة الفنار امام الاسكندرية

فلما وصل اسكندر اليها وشاهدها استحسن ان يبني عندها مدينة ويسميها باسمه فاستدعى المهندسين والبنائين وامرهم ان يرسموا المدينة . ولم يكن لدى هؤلاء طباشير ليرسموا حدود المدينة بها فتناولوا شيئاً من الدقيق واخذوا يذرونه على الارض حتى رسموا به للمدينة رسماً بشكل هلال متسع جداً . فاعجب اسكندر بهذا الرسم ولكنه ما لبث ان رأى اسراباً من الطيور الكبرى قد هبطت الى ذلك الدقيق وصارت تأكله . فتطاير اسكندر من ذلك فسكن العرافون خاطره بقولهم ان ذلك رمز الى ان المدينة التي يبنيها ستكون متسعة تغذي كثيرين من السكان على اختلاف اجناس الاسكندريين كما هي الحقيقة الآن

واما رواية الامام ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب فهذا نصها وعسى ان لا يمل القارئ من مطالعتها . قال

« ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المكدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار ارضاً صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها اثر بنيان وعمداً كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند فنزل الاسكندر ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالاً وحشد اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاشجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقيه واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اوقيانوس وحمل اليه من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي اول بلاد الافرنجية وهذه الجزيرة في وقتنا هذا (وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) دار صناعة الروم وبها تُنشأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي

«وامر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالاً منوطة بعضها ببعض واوصل جميع ذلك بعمود من الرخام كان امام مضربه وعلق على العمود جرساً

عظيماً مصوتاً وامر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر اقطارها واحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد· فخفق الاسكندر براسه واخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود الماخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية وحيل حكمية· فلما راى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال اردت امرًا واراد الله غيره و يأبى الله الا ما يريد· اردت طول بقائها واراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها

«وان الاسكندر لما احكم بنيانها واثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فاتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان· فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر ما الذي يصنع واي حيلة يوقع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد احاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرًا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال· ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان معه من كتابه ممن لم علم باتقان التصوير ومبالغة فيه وامر ان تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من الاطلية وامر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلاً اذ كان من شانه لما فيه من الهواء ان يطفو فوق الماء ولا يرسب في سفله· وجعل التابوت الى المركبين وطوّل حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤوسهم على مثال رؤوس السباع وفي ايدي بعضهم الفؤوس وفي ايدي بعض المناشير والمقاطع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في

ايديهم من آلات البناء ....

« فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور واحكموها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم واشكالهم ثم حرك الحبال فلما احس بذلك من في المركب جذبوا الحبال واخرجوا التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية امر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك :

« ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت امر الاسكندر ان يكتب على ابوابها « هذه الاسكندرية اردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والارض ومفني الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها واتاني الله من كل شيء علماً وحكماً وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر عليَّ في العالم شيء مما اردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفاً من الله اعز وجل وصنعا بي وصلاحاً لي ولعباده من اهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شيء »

« ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء . وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب اهلها شيء من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام ابصار الناس لشدة بياضه . فلما احكم بناؤها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير . ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على اعمدة هناك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على

هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً واشكالاً وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم · وعند اصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين انه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفضت اخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تاتي في هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من اصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى ولهم في ذلك سر من اسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له · ولغيرهم ممن ذهب الى ان ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس · وما ذكرنا من درج الفلك فموجود في كتب من تاخر من علماء المنجمين والفلكيين كابي معشر البلخي والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني وماشاء الله وحسن اليزيدي ومحمد بن جابر البتاني في زيجه الكبير وثابت بن قره وغير هولاء ممن تكلم في علوم هيئات الفلك والنجوم

انتهت هذه الرواية · وانه من الغرابة بمكان عظيم ان يصدق المسعودي خرافات كهذه الخرافات ولكننا نبهنا منذ البداية الى اننا لا ننقل هذه الرواية الا على سبيل الفكاهة

اما اسكندر فانه بعد اقامته مدة في مصر عاد الى سوريا ليزحف منها الى داريوس وسنأتي على تتمة الكلام

من الجنون ان يعتقد الانسان بانه يعرف كل شيء ومن العقل ان يدرس دائماً لزيادة معارفه (نيوتن)

في بعض الناس من يكون ثناؤهم عليك مهيناً شائناً كذم الذامين اياك · وفي طعن بعضهم ما يكون في الحقيقة مدحاً وثناء (غريم)

في كل سنة تفقد البلاد مائة الف طفل بسبب استئجار الامهات مراضع لهم وعدم ارضاعهم بانفسهن (الدكتور دوجاردين بومتز)

اهون على الانسان ان يقتبس مائة فضيلة من ان يصلح في نفسه نقيصة واحدة (لا بروبير)

ان اعظم مدح توجهه الى امرأة تريد مدحها هو ان تذم امامها المرأة التي تكرهها (مدام دي جراردين)

باب المقالات

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

او

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مؤلفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفة بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها . وتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رئيسهم واخلاق الهنود ووصف شؤونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة يجدر بجمهور العقلاء ان يطالعوها بامعان كثير

١

منذ زمن بعيد انعقد في لندن مجمع مؤلف من بعض علمائها للبحث عن الحقائق العلمية والتفتيش في جميع اقطار العالم عن كل ما من شأنه انارة عقول البشر وترقية شؤونهم وزيادة راحتهم . وقد انضم الى هذا المجمع كثيرون من نبلاء الانكليز واساقفتهم وتجارهم وبعض امراء الاسرة الانكليزية المالكة وبضعة من امراء شمالي اوروبا

وكان عدد العلماء في هذا المجمع عشرين عالماً . فالقى المجمع الى كل واحد منهم سفراً فيه بيان المسائل العلمية التي عزم على ارسالهم الى اقطار الارض ليبحث عن حل لها وعددها ثلاثة آلاف وخمسمائة مسألة . وكانت كلها مع اختلاف موضوعها ملائمة لطبيعة الاقاليم التي قرر البحث فيها ومرتبطة بعضها ببعض اشد ارتباط حتى اذا انحلت احداها انحل معها ما يتقدمها وما يليها كأن رئيس المجمع الذي انشأها بمساعدة رفاقه الاعضاء قد شعر بان القضية قد يتوقف حلها على حل قضية اخرى مرتبطة بها وهلم جراً

وكان الرئيس يرى ان هذا العمل الذي عزم المجمع على عمله سيكون اعظم الاعمال

العملية التي اقدم الانسان عليها لانه يكشف الغطاء عن مجهولات الكون ويجمع شتات الحقائق المتفرقة على ظهر الكرة الارضية . قال . واذا نجح هذا العمل العظيم كان اعظم دليل على ضرورة الهيئات الاكاذيمية (المجامع العلمية) لجمع الحقائق العلمية من اطراف العالم

وقد عهد المجمع الى اولئك العلماء فوق ما تقدم من البحث في المسائل التي اشرنا اليها ان يبتاعوا في طريقهم كل ما يجدونه من نسخ التوراة القديمة والكتابات والآثار القديمة . واذا لم يتمكنوا من ابتياعها فلينسخوها او يستنسخوها . ثم ان زملاءهم اللوردات والامراء تمهيداً لهذا السبيل اعطوهم رسائل توصية الى سفراء انكلترا في الجهات التي يقصدونها فضلاً عن الحوالات المالية اللازمة التي هي انفع من رسائل التوصية

٢

وكان اشهر هؤلاء العلماء عالم كبير يعرف اللغة العبرانية والعربية والهندية فارسل الى الهند مهد الفلسفة والفنون ليبحث فيها . فمرَّ اولاً بهولانده فزار المجمع العبراني في امستردام ومجمع دوردريخت ثم عرَّج على فرنسا فزار كلية السوربون واكاذيميتها . ومنها قصد ايطاليا فزار كثيراً من الجمعيات والمكاتب والمتاحف منها متحف فلورنسه ومكتبة سان مارك في البندقية (فينيسيا) ومكتبة الفاتيكان في رومه . واذ كان في رومه خطر له الشخوص منها الى اسبانيا لزيارة كلية سالمانك الجامعة ولكن خوفه من ديوان التفتيش اثناه عن عزمه وجعله يؤثر السفر راساً الى تركيا فوصل الى الاستانة ووقف على الكتب الثمينة التي في جامع آجيا صوفيا

ومن هنالك قصد مصراً وباحث اقباطها ثم اتى لبنان وباحث علماء المارونيين ورهبان جبل الكرمل . وشخص من لبنان الى صانا في بلاد العرب ومنها الى اصفهان فزار قندهار ودلهي واكرا

وهكذا صرف في سياحته ٣ سنوات وهو ينتقل من مكان الى مكان ويناظر العلماء في كل بلاد نزل فيها حتى انتهى الى ضفاف نهر الكانج الى بيناريس التي هي من الهنود بمنزلة آثينا من اليونان اما ما جمعه في اثناء هذه السياحة من الكتب والنسخ القديمة والكتابات والاثار في كل فن وعلم فحدث عنه ولا حرج . فانه جمع مجموعة لم يجمعها احد قبله وليس لاحد ان يجمعها بعده . وكفى في وصفها ان يقال انها كانت مطوية في تسعين « رزمة » زنتها الفان وثلاثمائة وست وثمانون اقة . وكان الدكتور مسروراً بها لانها جاءت من وراء آمال المجمع الذي بعثه لجمها

الا انه جلس في ذات يوم يفكر في سياحته ويقلب « رزم » مجموعته فخطر له خاطر ملأ نفسه حزناً وانقباضاً . ذلك ان الدكتور سأل نفسه اي امر عظيم صنعت بعد كل ما جمعت من الكتب المختلفة والآثار المتباينة . انني باحثت علماء اليهودية والبروتستانتية والكاثوليكية والارثوذكسية والاسلامية والارمنية والفارسية والهندية . وذاكرت اكاذيميات باريز وكريسكا واركاد و٢٤ اكاذيمية اخرى . ولكن ماذا عملت بعد كل هذا . هل استطعت حل مسالة واحدة من الـ ٣٥٠٠ مسالة التي ارسلت للسؤال عنها والبحث فيها

وكانت هذه المسائل مقسومة اقساماً . منها ٢٠٠ مسالة في الديانة العبرانية و٥٨٠ في الكنيسة اليونانية والرومانية وفروعها و٣١٢ في ديانة البراهمة القديمة و٥٠٨ في اللغة السنسكريتية اي لغة الهنود المقدسة و٣ مسائل في حالة الهنود الاجتماعية الحاضرة و٢١١ مسالة في التجارة الانكليزية في الهند و٧٢٧ في الاثار القديمة التي في جزائر اليفانتا وسالسيته وبومباي و٥ في تاريخ العالم وقدمه و٦٧٣ في مصدر الند السنجابي وحجر البازوارد وانواعه العديدة و١ في السبب الذي يدفع الاوقيانوس الهندي ٦ اشهر الى الشرق و٦ الى الغرب وهو الامر الذي لا يزال مجهولاً و٣٧٨ في مصادر نهر الكانج وفيضانه . وقد عهد الى هذا العالم بهذه المناسبة ان يبحث بحثاً مدققاً في مصادر نهر النيل واسباب فيضانه وذلك مما شغل عقول العلماء قروناً عديدة . ولكنه لم يكن يلتفت كثيراً الى هذه المسالة لانها خارجة عن دائرة ابحاثه الاصلية فضلاً عن ان جمعية العلماء كانت قد فرغت في المناظرة فيها

وقد قال هذا العالم في نفسه بعد ما عدّد المسائل التي مرّ ذكرها . ماذا استفدت من كل الاثار التي جمعتها . ان الكتب والاسفار والملاحظات المذكورة تجيب كلها على المسائل المطلوب حلها اجوبة متناقضة متباينة . فاذا افترضنا انها تجيب على كل مسالة منها بخمس اجوبة متباينة فقط كان مجموع اجوبة الـ ٣٥٠٠ مسالة ١٧٥٠٠ جواب . واذا افترضنا ان كل واحد من زملائي التسعة عشر الذين ارسلوا للبحث مثلي قد جاءوا بهذا العدد من الاجوبة ترتب على المجمع الملكي المذكور آنفاً ان يحلّ ثلاثمائة وخمسين الف مسالة قبل ان يتمكن من تقرير حقيقة ووضع مبداء على اساس وطيد

اذن فالمجموعة التي جمعها هو ورصفاؤه كانت نتيجتها ابعاد المسائل المطلوب حلها الواحدة عن الاخرى بدلاً من جمعها وتوجيهها كلها الى مركز واحد ونقطة واحدة . اذن فهذه المجموعة تزيد ظلام العقول ظلاماً وتزيد البعد عن الحقيقة بعداً . وهذا هو الامر

الذي ساءه وملأ نفسه حزناً وانقباضاً. فجعل يقول في نفسه « ماذا صنعت اذا كنت بعد كل ما عانيت من المشاق والاضطهاد لا احمل لابناء وطني في هذه الرزم الكثيرة سوى وسائل جديدة للشك والارتياب ومواضيع جديدة للمناظرة والخصام »

وقد كان يفكر في ذلك وهو على اهبة السفر للعودة الى انكلترا وفي نفسه مرارة القهر واليأس واذ بلغه من براهمة بينار يس ان رأس البراهمة المقيم في هيكل « جاكرينا » قادر وحده على حل جميع المسائل التي كان يسال عنها . وكان هذا الهيكل قائماً على شاطىء اوريكسا بجانب البحر قريباً من احد مصاب نهر الكانج

وكان هذا البرهمي اعظم البراهمة في ذلك الزمان واوسعهم علماً واكثرهم شهرة وقد طبق صيته الخافقين فكان الهنود وغير الهنود يفدون عليه من كل اقاليم الهند وممالك آسيا لاستشارته واستفتائه

فسافر الدكتور في الحال الى كلكيتا وقابل مدير الشركة الانكليزية الهندية واطلعه على عزمه . فاجلالاً للعلم والوطن الذي ينتمي الدكتور اليه قدر المدير هذا الامر قدره واعدّ للدكتور معدات السفر . فخرج الدكتور من كلكيتا بحاشية غريبة الازياء . فانه ركب هودجاً هندياً يحمله ٨ من اقوياء الهنود على اكتافهم وصحبه رجال واحد منهم لحمل الماعون وثانٍ لحمل الابريق وثالث لحمل النرجيلة ورابع لحمل مظلة تقي الدكتور حر النهار وخامس لحمل النور في الظلام وسادس لجمع الحطب وشقه وطباخان لاصلاح الطعام وجملين بقائديهما لنقل المؤونة والاثقال وساعيان لاعلان حضوره واربعة فرسان على جياد فارسية لحراسته . ورجل لحمل العلم الانكليزي في المقدمة . وكان مدير الشركة عالماً بعادات الهنود . فلم يكن يجهل انه لا يجب المثول لدى كبرائهم بايدٍ فارغة ولذلك اعد للدكتور هدية ليرفعها الى رئيس البراهمة . وكانت هذه الهدية تلسكوباً بديعاً وبساطاً فارسياً جميلاً يليق بان يُبسط تحت قدمي عظيم البراهمة فضلاً عن انسجة جميلة لامرأته و٣ قطع من التفتا الصينية الحمراء والبيضاء والصفراء ليجعل منها وشائح لتلامذته . وكان الدكتور قد حمل هذه الهدايا في هودجه وسار محمولاً على اكتاف الرجال قاصداً هيكل جاكرينا

٣

وفيما هو سائر على اكتاف رجاله اخذ يقلب سفر المجمع الملكي ويبحث فيه عن المسائل التي يجب ان يستهل بها كلامه مع رئيس البراهمة . فجعل يسأل نفسه قائلاً :

أ أستبله باحدى المسائل المتعلقة بنهر الكانج . ام بالمسالة المختصة بالبحر الهندي

وتعاقب امتداده الى الشرق والغرب فاننا اذا وقفنا على اسباب هذا الامتداد تمكنا من الاستدلال على مصادر الاوقيانوس وحركاته في كل اقطار العالم . ولكن الدكتور ما لبث ان عدل عن هذه المسألة لانها على اهميتها كانت لا تزال في حيز الاهمال . فرأى ان يسأله اولاً هذا السؤال : « هل كان الطوفان عاماً على الارض » فان هذا الامر قد اضرم نار الجدال والخصام مرات عديدة . ثم عدل عن هذا و بدا له ان يسأله عما جاء في تقاليد المصريين حسب رواية هيرودوتس من ان الشمس غيرت مجراها مراراً فكانت تشرق من المغرب وتغرب في المشرق . ولكنه رأى ان يعدل عن هذا السؤال ايضاً و يختار الاستفهام منه عن قدمية العالم وتاريخ الخليقة الذي يجعله الهنود منذ عدة ملايين من السنين . ثم جال في خاطره ان يسأله عن حقوق الانسان و واجباته واحسن الحكومات وافضلها لسياسة الشعوب . الا ان هذه المسائل لم تكن وا اسفاه من ضمن مسائل المجمع

وبينما هو يُجيل هذه المسائل كلها في خاطره استوى بغتة جالساً في الهودج والقى الكتاب من يده وقال في نفسه : لا هذه ولا تلك . بل استهل كلامي مع رئيس البراهمة بسؤاله عن الحقيقة واين نجدها وما هي الطريق اليها فان حلّ هذه المسألة بمنزلة حل جميع المسائل التي لدي . فاذا قيل اننا نجدها في الكتب قلت ان جميع الكتب متناقضة متباينة . وان قيل ان العقل يوصلنا اليها و يعرفنا بها اجبت ان العقل يختلف في البشر باختلاف اذواقهم وتربيتهم واخلاقهم ومصالحهم . فاذا اجابني رئيس البراهمة وحلّ مسائلي اصبحت قابضاً على مفتاح الحقائق الادبية والعلمية كلها فافتح بها حينئذ اقفال المسائل التي معي واعيش بواسطتها مع الناس براحة وسلامة

هذا ما عزم الدكتور عليه وهو سائر على اكتاف الرجال . و بعد مسير عشرة ايام بلغ الى خليج بنكال فكان يلقى في طريقه افواجاً افواجاً من الناس عائدين من هيكل جاكرينا وكلهم السنة ناطقة بفضل راس البراهمة الذي تشرفوا بمقابلته لاستفتائه واستشارته فادهشهم بسمو مداركه وسعة معارفه

ولما طلع صباح اليوم الحادي عشر ظهر للدكتور هيكل جاكرينا القائم على شاطئ البحر وبدت له جدرانه الحمراء الفخمة وا روقته وقبابه وابراجه الصغيرة المصنوعة من الرخام الابيض . وكان هذا الهيكل قائماً في ملتقى تسعة طرق كبرى على جوانبها صفوف الاشجار الظليلة الدائمة الخضرة . وكان كل واحد من هذه الطرق يؤدي الى واحدة من الممالك التالية : سيلان وغولكند و بلاد العرب والفرس وثيبة والصين وآفا وسيام وجزائر البحر الهندي .

وكل واحد منها مغروس بنوع من الشجر فاحدها مغروس بالنخيل الهندي والثاني بالنارجيل والثالث بالعنباء والرابع بالكافور والخامس بالخيزران والسادس بالموز والسابع بالصندل والثامن بشجر التيك والتاسع بشجر اللاتانيه

اما الدكتور فوصل الى الهيكل من الطريق المغروسة بالخيزران وهي التي تجاور الكانج والجزائر الجيلة التي هي عند مصبه . ولما بلغ الهيكل وتامله عن قرب عرته الدهشة لما شاهده في بنيانه من الضخامة والفخامة . فقد كانت ابوابه البرونزية تتالق تحت اشعة الشمس تالق البلور والنسور حائمة حول قبابه الشاهقة التي كانت تناطح السحاب وتتوارى في العنان . وكان محاطاً باحواض كبرى من الرخام الابيض تنعكس الى مائها الصافي صورة قبابه واروقته وابوابه . حول ذلك كله فناء متسع وحدائق فسيحة فيها كثير من الابنية يسكنها البراهمة القائمون على خدمة الهيكل

ولما دنا الدكتور من ابواب الهيكل تقدمه سماته ركضاً لاعلان قدومه . فما دخل هؤلاء حتى خرجت من احدى الحدائق جمهور من العذارى الهنديات ممن وظيفتهن الرقص والغناء امام الهياكل واستقبال الزائرين فاسرعن لملاقاة الدكتور بالغناء والرقص وفي اعناقهن عقود من الازهار الجيلة وفي خصورهن اكاليل من زهر طيب الرائحة . فسار الدكتور مع رجاله بينهن وهن راقصات منشدات تنبعث منهن الروائح العطرة ثم دخل الى فناء الهيكل

ولما اصبح الدكتور عند الباب الداخلي التي تنظره الى داخل الهيكل فراى في صدر المكان على نور القناديل الفضية والذهبية الموقدة فيه تمثال « جاكرينا » بشكل هرم ولا يد له ولا رجل لانه فقدها يوم اراد حمل العالم ليخلصه . اما جاكرينا هذا فانه المخلوق الذي تجسد فيه برهما للمرة السابعة . وكان على قدمي التمثال كثيرون من الهنود جاثين امامه برهبة وخشوع ووجوههم لاصقة بالارض وكلهم يستغفرون جاكرينا و يسالونه ان يرضى عنهم . وكان بعضهم ينذر له ان يعلق نفسه من كتفيه وراء مركبته في يوم الاحتفال الذي يُحتفل بعيده و بعضهم ان يلقي بنفسه تحت عجلاتها ترضياً له

فقام في نفس الدكتور انفة واشمئزاز من تلك النذور والمناظر فصرف وجهه عنها وهمّ بالدخول الى الهيكل . فاعترضه برهمي شيخ كان يحرس الباب وساله عن الامر الذي جاء من اجله فابلغه الدكتور ذلك فقال له البرهمي انه لا يجوز له المثول بين يدي « جاكرينا » او كاهنه الاعظم ما لم يُغسل ثلاثاً في احد مغاسل الهيكل ويُنزع عنه كل

ما كان عليه من اثر الحيوان وخصوصاً البقر والخنزير لان البراهمة يعبدون الاول ويكرهون الثاني

فاجابه الدكتور « وما الحيلة اذاً بالمدية التي جئت بها الى راس البراهمة فان فيها بساطاً فارسياً مصنوعاً من شعر ماعز انكورا ونسيجاً مصنوعاً من الحرير » فاجابه البرهمي بقوله « ان كل ما يقدم الى هيكل جاكرينا او الى كاهنه الاعظم يطهر من نفسه اذا كان نجساً »

فاضطر الدكتور الى خلع ملابسه وحذائه لان الملابس مصنوعة من الصوف والحذاء من جلد الماعز . ثم خلع قبعته لانها مصنوعة من جلد كلب الماء و بعد ذلك اخذوه الى احد مغاسل الهيكل فغسلوه فيه ثلاث مرات ثم جاءه البرهمي بغطاء قطني كبير فالتف به الدكتور وسار في اثر البرهمي الى باب القاعة الكبرى التي هي مقام راس البراهمة

ولكنه لما وصل الى الباب رآه البرهمي يتأبط كتاباً وهو السفر الذي يحتوي مسائل المجمع الملكي فساله عن المادة التي صُنع منها غلاف هذا الكتاب فاجاب الدكتور انه من جلد العجل . فاستشاط البرهمي غيظاً وصاح بالدكتور « اما اخبرتك ان البقر من معبودات البراهمة فكيف تُقدم على مقابلة احدهم وفي يدك كتاب مغلف بجلد معبوده . يجب عليك الآن ان تُغسل ثلاثاً ايضاً فانك اصبحت نجساً بمسك هذا الجلد »

ولكن الدكتور كان من حسن الحظ حكيماً وممن يحسنون التخلص . فذهب الى ملابسه ثم عاد ووضع في يد البرهمي قطعاً من النقود فلزم البرهمي الصمت كأن المال ماء الكانج يطهر من كل رجس . ثم انه القى ذلك الكتاب في محله وقال في نفسه : لست بحاجة الى هذا الكتاب اذ حسبي ان اسال عظيم البراهمة هذه المسائل الثلاث

ما هو الطريق الى الحقيقة

اين نجد الحقيقة

هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً

قال ذلك ثم دخل في اثر البرهمي الى قاعة رئيس البراهمة وهو مكشوف الراس عاري القدمين لا يستر جسده الا الغطاء القطني الذي ذكرناه آنفاً ستاتي البقية

زراعة التوت وتربية دود الحرير

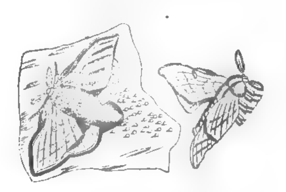
ادخال اللبنانيين هذه التربية الى البرازيل

مما نسطره بمداد السرور ان السوريين واللبنانيين المهاجرين الى الاقطار الاميركية قد اهتدوا بعد طول عهدهم بالمهاجرة الى الطرق الحقيقية التي تؤدي بهم الى النجاح الحقيقي وتجعلهم في المستقبل رجالاً وتصير امتهم امة قوية محبوبة ومحترمة . فقد اخذوا يهتمون في تلك الاقطار بالزراعة والتجارة والصناعة اهتماماً مخصوصاً . من ذلك انهم ادخلوا الى البرازيل صناعة استخراج الحرير من (دود القز) فقامت الجرائد البرازيلية تحرض امتها على تنشيط هذه الصناعة واقترحت الجمعية الزراعية البرازيلية الكبرى على الحكومة ان تاخذ بناصر اللبنانيين الذين يربون دود الحرير وتساعدهم . وقد اقترح بعض البرازيليين على جريدة الاصمعي الغراء ان تكتب فصلاً في تاريخ دود الحرير وصفته وطريقة تربيته ليترجموا هذا الفصل وينشروه في بعض جرائدهم فانشأ الاصمعي الفصل التالي . وقد نشرنا هذا الفصل لغرضين . الاول رغبتنا في نشر شيء عن هذا الموضوع الذي طلب منا في الاسبوع الماضي بعض القراء في جبل لبنان ان نكتب فيه . والثاني نشر هذه المأثرة للبنانيين النشيطين الذين سيذكرها لهم التاريخ البرازيلي بالشكر والحمد لادخالهم الى تلك البلاد صناعة ستصبح من اهم الصنائع البرازيلية . اما الفصل المذكور انفاً فهذه خلاصته

في تاريخ دود القز وخروجه من الصين

اول ما يدهش المؤرخ عند البحث في تاريخ هذه الدودة هو بقاؤها قروناً عديدة مجهولة من الانسان . اذ ابعد وقت عُرف انها اكتشفت فيه كان في سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ولكن اذا اغفل المؤرخ للانسان عذر توحشه في القدم وعدّ ذلك عذرًا مقبولاً له فانه لا يلبث اذا علم ان تلك الدودة قد امكن حصر اكتشافها في بلاد الصين مدة ثلاثة قرون ونيف قبلما درى بها اهل المغرب والمشرق الادنين ان يزيد به الاندهال لا سيما وان امة الصين تبلغ ثلث العالمين

على اننا اذا نظرنا الى هذه الامة وما هي عليه من العادات والتقاليد وكيف ان سوادها الاعظم كان ولا يزال يعيش ويفنى وهو لا يُسمح له بتعلم القراءة مثلاً او النظر الى وجوه ملوكه بطل منا ذلك العجب وعددنا حصر ذاك الاكتشاف امرًا بسيطاً في



دود القز ــ ذكر وانثى تبذر بزر الحرير

جنب ما ذكر · وليس الخفاء مع ذلك مدة طويلة بالعجيب فقد ظل العالم الجديد دهورًا طوالاً مجهولاً لا يدري به اهل العالم القديم ولم يكن يسمع احد بوجوده قبل ان عثر عليه الرحالة كولومبوس منذ ٤٠٠ سنة

ومما هو باعث على الاستغراب ايضاً عدم وجود الدودة المذكورة او بالحري عدم تولدها في غير بلاد الصين في حين ان شجر التوت كان معروفاً في غيرها · والذي يدعونا الى هذا القول هو ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان التوت انما قد خلق لتلك الدودة · والذي دعاهم الى هذا الزعم استحالة معيشة هذه بسواه

وذهب بعض المؤرخين الى ان التوت لم يكن موجودًا في غير الصين وانه هو والدودة قد نقلا منها معاً بوقت واحد · ولنا على هذا الزعم اعتراضات تنقضه · اولاً انه لا يمكن ان يؤتى ببيظ الدودة وبزر التوت فتنتظر الدودة بعد فقسها بزر التوت الى ان يُبذر فيقلع فيغرس ويصير شجرًا صالحاً لتغذيتها · لان الدودة لا تعيش بدون غذاء بعد فقسها في حين ان التوت لا يورق ويصبح كافياً لاطعامها الا بعد مرور ثلاث سنين · ولكننا اذا فرضنا ان التوت قد نُقل من الصين اولاً او جيء به شتلاً ثم تبعته الدودة بطل هذا الاعتراض وامكن ان يقال بنقل الاثنين معاً على هذه الكيفية · واذا صعب نقل الشتل دون ان تدري بها الحكومة كالبزر فيحتمل ذلك بانه ربما نقل جهرًا · ولا يخفى ان الصين انما كانت تهتم بحصر بيظ الدود اكثر من بزر التوت اذ لم يكن يهمها خروج هذا النبت وحده من بلادها · ولعله ايضاً قد انتقل منها بواسطة بعض فراخ الطير التي لا تهضم معدها

البزور او التي تقع من افواهها الحبوب في حال زقها صغارها ٠ ثانيًا ان التاريخ يدلنا على ان التوت كان معروفًا من القديم في غير جهات الصين كاوربا ومصر وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين لا سيما وان وقت ورود ذكر هذ الشجر هو اقدم بكثير من الوقت الذي ظهرت فيه دودة الحرير في المالك الدانية

ورب معترض يقول فاذا كان ثمت معروفًا وموجودًا فلماذا لم تكن معه دودته في هذه الارضين ٠ نقول ان زعم البعض بكون التوت قد خلق لهذه الدودة او هي خلقت له ليس ثابتًا ٠ اذ قد يصح ان يكون التوت موجودًا في كل الارض ولا تكون دودته موجودة الا في الصين نظرًا لاختلاف طبيعة كل ارض عن الاخرى ٠ ففي البرازيل مثلاً من النبات والحيوان ما لا يوجد في سواها. وفي البرازيل لا يوجد حمرٌ وجمال ٠ وبعض السمك في شواطئها يختلف عن اسماك بقية شواطىء غيرها والبحر واحد ٠ وربما نما الجنس الواحد في بلدٍ نموًا لا يبلغ معشاره اذا ربي في بلد ثانية ٠ ففي بعض البلدان تجد من الخفاش ما هو بقدر الصقر والبازي وتجد من نمل غيرها او بعوضها ما يصير الى حجم الزرزور وكل ذلك راجع الى طبائع الاقاليم من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة على اختلاف المقادير

ولنضرب شاهدًا آخر فنقول انه كثيرًا ما يصيب بعض المزروعات آفة في جهة لا تصاب بها في غيرها فالقطن مثلاً قطن في اميركا وفي مصر والبرازيل وغيرها ولكنه قد تعرض له في مصر دويبة لا يرى لها اثر في اميركا. ودودة القز هي بالحقيقة آفة لشجر التوت ربما كان الانسان يسعى بابادتها لو لم يرَ منها نفعًا جاءه باعظم من نفع التوت له ٠ وافتراض انها آفة طرأت على توت الصين يعلل لنا ايضًا سبب عدم اكتشافها في كل تلك القرون الغابرة ٠ اذ لا يبعد ان التوت كان من قبل سليمًا منها في الصين وفي كل الدنيا

واذا فرضنا ان الدودة تولدت وتتولد مع شجر التوت اينما كان وان التوت الذي كان في ايطاليا ومصر وغيرها كان ذا دودة ايضًا ولكنهم لم ينتبهوا لطريقة تربيتها وحلّ قزها كما توفقت الى ذلك احدى ملكات الصين لاول الامر الا لما انتقل اليهم بتفصيل ما تعمله فيها الصين لجاز هذا الفرض ٠ ولكنه ربما وهن جوازه من حيث ان فرنسا مثلاً التي كان فيها التوت بناء على قول المؤرخين انه كان موجودًا في اكثر بلدان او ربما كانت عمدت لما سمعت بظهور الدودة في اليونان وايطاليا الى البحث في اصول وفروع شجر التوت الذي عندها فالتفتها فيها اذا كانت من ثم موجودة وما انتظرت ان تجلبها من تينك المملكتين ٠ او بالحري لكنا اذا فتشنا نحن الآن في شجر التوت اينما وجد لالفيناه مدودًا وليس هو

كذلك بالواقع اذ لسنا نرى للدودة اثرًا عليه

ثم مما تقدم ان التوت كان معروفًا من القديم في بلاد الدناة سيان خُلق هو والدودة اولاً في الصين ونقل قبلها بازمان او كان نابتًا من طبعه عند الادنين ولكنه بغير دودة عندهم و بدودة في الصين . كما نجم ان الدودة المذكورة اصلها من الصين وحدها وقد نقلت منها عمدًا على تقدير انتقال بعض الجراثيم الوبائية من بلد الى اخرى اتفاقًا فقدر المفتتنون بها نظرًا لتيسر وجود التوت ومعاضدة تربيتها بالحرارة و بالبرودة على انمائها وابقائها حية فيها الى الآن . هذا اذا قدرنا ان طبيعة اقاليم هذه البلاد القريبة لا توافقها . و ربما لو تركوها وشانها ولم يعتنوا بها لعجل ذلك في دثورها فيها كما كاد يتم عليها الهلاك عند ما اصابتها بعض الامراض في السنين الاخيرة وكما تدثر احيانًا اكثر الميكروبات بعد طول مكوثها في البلد الواحد اذ لا شك ان ما كان يسبب فناء هذه احيانًا ان هو الا امراض من قبيل الامراض التي اعترت جراثيم القز اذا لم تكن مثلها تمامًا

اما تاريخ اكتشاف طريقة حل القز وتربية تلك الدودة فتبدأ منذ سنة ٢٦٥٠ ق م كما سبق حيث توفقت اليه ملكة صينية اسمها سلنغتشي . ولما عرف الصينيون مقدار الثروة التي تنتج لهم من هذا الاكتشاف حصروه في بلادهم و رفعوا مقام تلك الملكة الى مقام الآلهة وسموها سي آنتشان . قال المسيو ستنسلاس جليان الفرنسوي ان معنى هذا الاسم هو المربية الاولى لدودة الحرير . وما زال كثيرون من الصينيين يعبدون سي آنتشان حتى الآن ويقربون لها في عيدها القربان . وبعض النساء الشريفات يجدن بركة في الاقتداء بها فيربين الدودة و يغزلن حريرها . وهذا الامر دعا احدى الاميرات الى تهريب بيظها مخبأً في شعر راسها الى بلاد خوطان عند ما اقترن بها ملكها ورات انها لا يمكنها ترك عبادة آنتشان . ولكنه حُظر عليه فيها ايضًا حتى سنة ٥٥٢ ب م حيث نقله راهبان ضمن عكازيهما المجوفين على نحو ما يفعله مهربو الحشيش الآن وقدماه هدية الى احد ملوك اليونان فاجازهما بجائزة سنية . وانتشرت دودة القز في اقليم البلبنيسا من بلاد اليونان ولذلك سمي بالموره اي التوت وهو لفظ يوناني . وفي سنة ١٣٠٠ انتقلت الى ايطاليا بعد تغلب ملك صقلية على اليونان ومن ثم الى فرنسا حوالي القرن الخامس عشر . وكانت الملوك والحكومات تبذل جميع المساعدات المادية لترويج هذه الزراعة . ومن اولئك الملوك شارل الحادي عشر وهنري السادس وغيرهما من الوزراء العظام

في حياة دودة القز

اما حياة هذه الدودة وكيفية طبائعها فاكثره قد اصبح معروفاً لدى اهل بلادنا وقد ذكر الابشيهي ملخصاً عن احد علماء الحيوان من العرب حياة دودة القز فقال . « ومن عجيب امرها انها تكون اولاً مثل بزر التين ثم تصير دوداً وذلك في اوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصروراً في حق وربما تاخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض . قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوماً . قال ثم ياخذ في النسيج بما يخرجه من فيه الى ان ينفد ما في جوفه ثم يخرج شيئاً كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان عن الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان . قال ويكون قد فرش لها خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا اريد منها البزر وان اريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغها من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه يخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس الرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك » اه

قلنا والسبب في قوله وان اريد الحرير تُركا في الشمس بعد فراغها من النسج فيموت . هو ان الدودة يتولد في فمها وهي في البيضة المنسوجة مادة سائلة متى لامسها النسج تحلل وفسد ولم يعد صالحاً للحل . وانما تتولد منها تلك المادة لتسهل لها الخروج من حبسها عند ما تنتهي من عملها

والدودة تسلخ جلدها اربع مرات وقد تسلخه ثلاثاً فقط نظراً لسرعة نموها فتبدل جلدها بغيره كلما ضاق عليها الاول وتصوم عند السلخ وهذه حكمة فيها لانها تكون بهذه الحالة مريضة والحمية افضل الادوية لمن كان مريضاً . ويكون كل سلخ اشرق بياضاً من الآخر وهذا تعليل قوله . و ينتقل من البياض الى السواد . وهي تزداد شراهة بعد السلخ الرابع فتأكل ليلاً ونهاراً مدة ثمانية ايام وفي اليوم العاشر تصعد الى غصن وتغزل نسجها . وفي جوفها اجربة مستطيلة ينصب اليها سائل لزج يخرج من انبوبتين دقيقتين قريبتين من فمها بهيئة خيطين يمتدان قليلاً و يلتصقان فيكونان خيطاً واحداً تنسج منها البيضة « الفيلجة » . وتبدأ ذلك من الخارج الى الداخل على غشاء تجعله كاساس لبنيانها وهي

لا تكل من العمل . فاذا تمت البيضة احتجبت ضمنها . وقد تمها بيومين او ثلثة فاذا اريد حريرها سبب [redacted] ذلك هلاكها وفي هذا المعنى قال البستي

الم ترَ ان المرء طول حياته معنى بامرٍ لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفني الحريص بجمع المال مدته وللحوادث ما يبقي وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

ويقولون ان معدل ما تنسجه الدودة الواحدة يبلغ خيطاً طوله ١٥٠٠ متر . ويتغير جثمان الدودة بعد تحولها الى فراشة تغيرًا كبيرًا يتناول داخلها ايضاً فلا يبقى من اعضائها شيء على اصله من معدة ومعي وجهاز وعضل

ويستعيض اهل الزمن الحاضر عن وضع البزر تحت ثدي النساء بحرارة صناعية يرفعونها له حسب اللزوم . وبدلاً من وضع الدودة في حرارة الشمس عند التماس حريرها جعلوا الآن يخنقونها بالبخار

واجناس دود القز كثيرة والوانها مختلفة وكذلك اشكال بيوضها الحريرية ولكل منها بعض طبائع تختلف عن الاخرى قليلاً الا انها لا تحسب شيئاً يذكر فاضربنا عن بيانها اقتصارًا على ذكر الجنس الاعم منها وهو الذي تدخل تحته باقي الاجناس

في امراض الدود

ولقد كان فشا في الدود من زمن وباءان اكتشف احدهما العلامة باستور فكادا بسبب كونهما معديين يمحقانها عن وجه الارض لو لم يتداركها العلامة المشار اليه بعد عناء كبير بطريقة تربيتها المشهورة التي اذا جرى عليها المشتغلون بالدودة امكنهم ان يحفظوا حياتها بها . وللدود امراض اخرى ولكنها غير خطرة

سكان الارض وسكان السماء

المريخ والارض

ورود « تلغراف » في هذا الشهر من اهالي المريخ الى الارض · صعود امرأة الى المريخ ووصفها
معيشة سكانه وحفلاتهم واناشيدهم ولغتهم · حادث غريب

كلمة سابقة

« المريخ سيار من السيارات التي تدور حول الشمس· معدل بعده عنها ١٣٩ مليون ميل والثقل النوعي فيه اخف ٣ مرات من الثقل في ارضنا فالثلاثة الارطال عندنا رطل واحد فيه · اما سنته فهي ٦٦٨ يوماً ويومه ٢٤ ساعة و٣٩ دقيقة و٣٥ ثانية وتظهر منه الشمس اصغر قليلاً مما تظهر لنا · اما الارض فتظهر منه انها نجم من النجوم الصغيرة

« وقد ثبت انه يوجد في المريخ ابحار وانهار وجزائر · وفي قطبيه بقعة بيضاء تضيق في الصيف وتتسع في الشتاء فاستنتج العلماء من ذلك انها ثلج وهو الارجح · ومن مزايا المريخ ان العين المجردة تراه احمر اللون · وله قمران تابعان له كما يتبع قمرنا ارضنا اكتشفها الدكتور آصف هال في سنة ١٨٧٧ وسماها نوبوس وذيموس

« وقد ذهبت تصورات البشر في وصف سكان السيارات مذاهب شتى منها انهم قالوا انه لما كان ثقل الجسم في المريخ اخف من ثقله في الارض ثلاث مرات كما قدمنا ففي استطاعة سكان المريخ اذا خفتهم ان يثبوا في الهواء الى علو شاهق كما تثب الطيور

وقال غيرهم ان الشقوق المستقيمة التي نظرت في هذا السيار هي خلجان وترع مصنوعة صنعاً يدل على مهارة صناعها في علم الهندسة · ولذلك فكر بعضهم في ان يغرس في مساحة شاسعة في صحراء افريقيا اشجاراً من النخيل على اشكال هندسية ويضرم ناراً كبيرة حيناً بعد حين على موازاة خطوطها ليراها سكان المريخ فيعلموا من شكلها الهندسي ان هذه الارض ماهولة فيخاطبونا بمثل هذه العلامات »

رسالة واردة من المريخ

هذا بعض ما كتبناه عن المريخ في الجزء الثاني من هذه السنة في مقالة موضوعها السيارات وسكانها · وكأنه قد جرى شيء من توارد الخواطر بيننا وبين « اخواننا » سكان المريخ فانهم بعثوا الى الارض في الشهر الماضي برسالة على الطريقة التي مرّ ذكرها واليك

البيان جدًا من غير هزل ولا مزاح

في ٨ دسمبر الماضي كان الفلكي الاميركي « دوكلاس » يرصد المريخ في مرصد فلكستوف من اعمال الولايات المتحدة فرأى بغتة في المكان الذي اجمع العلماء على انه بحار واسعة في المريخ نيرانًا شديدة متقدة على مسافة بضع مئات من الكيلومترات وذلك على خط مستقيم. وقد دام اتقاد هذه النيران ساعة وعشر دقائق ثم خمدت بسرعة كما اتقدت بسرعة

فاسرع الفلكي « دوكلاس » وابلغ هذا الامر الى مرصد هروارد فاوصله مرصد هروارد الى مرصد كيل ومنه انتشر وذاع في جميع المراصد الاوربية وقد قيده مرصد باريز الكبير في اللوح العمومي الذي اعتاد تقييد الانباء الكبرى فيه توجيهًا للانظار اليه فتلقته الجرائد الباريزية من هذا اللوح وافرغت في الكلام عليه جعبة تهكمها ومزاحها

اما الذين صدقوا هذا الامر فانهم اعتبروه رسالة يرسلها الينا اهالي المريخ ليروا جوابنا. وحجتهم على ذلك ان النور من نواميسه انه لا يتقد على شكل هندسي بل انه اذا اتقد ينتشر انتشارًا الى كل الجهات. فلو لم تكن توجد قوة مختارة في المريخ توقده بشكل هندسي لما كان هندسيًا وقد قال هؤلاء المصدقون ايضًا انه لدى الاوربيين الآن فرصة شهرين لارسال الجواب الى اخوانهم سكان المريخ اذ ان وجه المريخ الذي حدثت الاشارة فيه لا يتحول عن الارض الا بعد انقضاء شهرين

على ان الاعتقاد بان في الاجرام السماوية اجرامًا ماهولة مثل ارضنا اعتقاد شديد الانتشار بين العلماء وحسبنا دليلاً على ذلك ان المجمع العلمي الكبير في باريز قد عين منذ بضع سنوات جائزة قدرها مائة الف فرنك لكل عالم يكتشف طريقة لمخابرة سكان الاجرام السماوية. بل لدينا برهان احسن من هذا البرهان وهو ما ذكرناه في ختام مقالة « السيارات وسكانها » التي ذكرناها آنفًا والتي بحثنا فيها في هذا الموضوع وهو قولنا « من البديهي ان يتصور الكتاب والعلماء وجود سكان في الاجرام السماوية. اذ من العبث والتجديف ان يقال ان العناية الالهية لم تضع الحياة الا في هذه القبضة الترابية التي اتخذناها مسكنًا لنا وابقت ملايين ومليارات الاجرام السابحة مثلنا في الفضاء بلا حياة تؤنس وحشتها وتعمر خرابها »

بقي الآن ان ننظر ماذا يكون جواب الفلكيين على هذا « التلغراف » الوارد الينا من المريخ. وقد قالت احدى الجرائد الاوربية متهكمة « ما ادرانا ان المريخيين (اهالي المريخ) لا يدهشوننا يومًا من الايام بهبوطهم علينا من على بيالونات متقنة افواجًا افواجًا

ضاحكين مسرورين للقائنا وغير عابئين بالبرد الماري· الذي يفصل بينهم و بيننا »

نقول واننا نسألهم اذا هبطوا هذا الهبوط الغريب ان يفتشوا لنا عن البيون وفالي واو ربا عرائس « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » فقد غبن عنا في الفضاء الواسع منذ مدة ولذلك لم نكتب عنهن في الجزء السابق شيئاً ...

صعود امرأة الى المريخ

وقد تكلمنا فيما تقدم عن ورود « تلغراف » من المريخ الينا فلنتكلم الآن عن امراة تقول انها صعدت الى المريخ

يذكر القراء اننا اشرنا الى هذه المراة في الجزء الاول من السنة الثانية فكان لكلامنا دهشة شديدة لدى بعض الذين لم يتمعوا النظر فيه · فاننا لم نقل ولا يمكن ان يقول عاقل ان بشرًا صعد الى المريخ وانما قلنا ان امراة تنام نوماً مغنيطيسياً او تغيب عن حسها وتقول انها صعدت الى المريخ وتتكلم لغة تقول انها لغة سكانها وتصف بلادهم وملابسهم وهيئتهم · وقد عثرنا الآن على تفصيل ذلك الاجمال مقتطفاً من الكتاب الذي نشره المسيو فلورنوى العالم البلجيكي الذي اختبر احوال المراة المذكورة آنفاً اختبارًا دقيقاً وسمعها مرارًا تقص قصة سياحتها · وهذا ما رأينا تلخيصه من ذلك الكتاب الذي سماه « سياحة من الهند الى المريخ »

تُدعى المراة المذكورة « هيلانه سميث » وهي في الثلاثين من عمرها جميلة نبيهة قوية البنية نقية السمعة والصيت مستخدمة في عمل تجاري في بلجيكا ولصاحب المحل ثقة كبرى بادبها وعقلها وحسن ادارتها

وقد كان هذا الوصف لازماً لنظهر فيه ان هذه المراة ليست بمشعوذة ولا كاذبة

الا ان « هيلانه سميث » مع قوة بنيتها وجودة صحتها تصاب احياناً بنوبات شديدة في نومها فتنتقل بها من حالتها الاعتيادية الى الحالة الخصوصية التي سنصفها

فانها تجلس حول مائدة مع الناس الذين يطلبون مشاهدة حالتها · فيسكت الجميع كأن على رؤوسهم الطير انتظارًا للحادث الكبير · وبعد برهة تنام هيلانه سميث في جلوسها فيلبث الحاضرون صامتين ساكتين منتظرين

ولكنهم لا ينتظرون طويلاً · فانهم على حين بغتة لا يشعرون الا وقد انطرحت هيلانه سميث على كرسيها وفتحت عينيها باضطراب وهياج تنظر بهما فضاء الغرفة التي هي فيها والاشخاص والاشياء التي حولها · فاذا امعن الانسان نظره فيها حينئذٍ علم انها غائبة

عن الحس وانها مع فتحها عينيها لا ترى شيئاً من الاشياء الواقعة تحت حواسها

وتبقى هيلانه في هذا الهياج والذهول ساعة او ساعتين وتكون متصلة بالحاضرين بواسطة واحد منهم تعي كلامه وتجيبه على سؤالاته . وهي تقول في هذا النوم الذي تنفتح فيه العين بدلاً من انطباقها اقوالاً مختلفة عن امور تراها او تشعر بها وهي في تلك الحالة مما سيرد تفصيله . ومتى انتهت نوبتها عادت فاطبقت جفنيها واستغرقت في نوم طبيعي عميق . ومتى انتبهت من هذا النوم الطبيعي لم تذكر شيئاً من كل ما راته او قالته في النوم الاول الغريب

ولنفصل الآن ما تقوله في نومها . فانها تتكلم فيه عن خمسة امور. الاول انها تعتقد بوجود « روح » يُدعى « ليوبولد » وهي تعتبره مرشدها وحاميها فتتكلم عنه ما شاءت

والثاني انها تحسب ان « كاليوسترو » الطبيب والمشعوذ الشهير الذي ذكرنا خلاصة ترجمته في الصفحة التاسعة من رواية نهضة الاسد الجزء الثاني يتجسد فيها فتاخذ تقلد حركاته وسكناته واقواله تقليداً ينطبق كل الانطباق على ما هو مشهور عن ذلك الرجل . ولا تجيب الا اذا لُقبت كاليوسترو لانها تعتقد حينئذ بانها اياه . ويكون كلامها حينئذ برزانة وهيئة خطيرة وتتخذ لهجتها لهجة الرجال

والثالث انها تحسب نفسها الملكة ماري انطوانت زوجة لويس السادس عشر فتقلدها

والرابع انها تحسب نفسها الاميرة الهندية « سيانديني » التي كانت ابنة شيخ عربي وتزوج بها الامير « سيفروكا » الهندي الذي كان حاكماً على كناره وبنى في سنة ١٤٠١ حصن تشندر كوبري

وهي في هذه الحالة تعمل اعمالاً غريبة . فانها تتكلم العربية واللغة السنسكريتية لغة الهنود المقدسة وترقص رقصاً هندياً وتجلس على ركبتيها على الارض كما يجلس العرب والهنود وتلاعب قرداً تتصورانه معها ملاعبة في غاية الخفة والرشاقة وتنشد اناشيد رخيمة غريبة

والعجيب في ذلك كله ان هذه المرأة حين انتباهها من هذا الذهول لا تعرف كلمة من اللغة العربية والسنسكريتية ولا تدري شيئاً من جلوس العرب والهنود واناشيدهم واصطلاحاتهم التي تكون قد اتتها في نومها . وزد على ذلك انها تجهل القراءة والكتابة حتى في لغتها

ماذا رات في المريخ

ولكن الاغرب من ذلك كله ما تقصه في نومها من سياحتها في المريخ وهذه خلاصته صعدت هيلانه سميث الى المريخ في المرة الاولى التي نامت فيها نومها الغريب . فانها



تصور المسيو رولف الفلكي الالماني ان طول الواحد من سكان المشتري ٥ امتار وطول سكان نبتون ٥٧ مترًا ٠٠٠ وفي هذاالرسم صورة ثلاثة اشخاص من سكان المشتري و بجانبهم رجل من جنسنا نحن البشر الاقزام وهم يضحكون منه لقصر قامته ولغرابة هيئتـه عندهم

رأت لاول وهلة نورًا ساطعًا امامها ثم اخذت تشعر بانها طائرة وان جسمها يتمايل و راسها فارغ وانها تصعد بلا جسم الى اعالي الفضاء · وبعد مدة يسيرة رات ثلاثة اجرام كبرى بينها جرم اشد لمعانًا من الآخرين · فسألت هيلانه سميث « على اي شيء امشي الآن » فسمعت من يجيبها بقوله « انك تمشين على ارض المريخ »

فابتدأت هيلانه حينئذٍ تصف ما تراه في تلك الارض

فاسهبت في وصف مركبات تسير فيها بلا خيل ولا عجلات ولكنهـا تزحف زحفًا والشرر يتطاير من تحتها · وذكرت آلات للطيران يطير بها اهالي المريخ ومنازلاً في سطوحها نوافير من الماء واولادًا يرقدون في اسرة حديدية عليهـا تماثيل حديدية مجنحة واناسًا يتكلمون لغة غريبة لا تعرفها

ولكنها ما لبثت ان تعلمت هذه اللغة التي هي اللغة المريخية وصارت تقرأها وتكتبها فتناولت قلمًا وخطت على القرطاس كلمات غير مفهومة بلغة مجهولة · وقد زارت هيلانه في بعض المرات التي نامت فيها حاكم المريخ واسمه « استانه » ٠٠٠٠ فذهب بها الى عيد عظيم احتفل به المريخيون فابصرت في طريقها حيوانات غريبة الشكل بعضها يشبه النقمة · اما الاشجار في المريخ فان منظرها احمر اللون للاثمار التي عليها واما اوراقهـا فسوداء · ولما



كتب الكاتب فونتنل في سنة ١٧٥٠ كتاباً عنوانه «سياحة في السيار عطارد» قال فيه ان جميع سكان هذا السيار مجانين من شدة فعل حرارة الشمس فيهم لقربهم منها . وهم مخلوقات باجنحة يطيرون بها في الفضاء كالطيور وفي وجوههم لوائح الجنون وعدم الاكتراث كما في هذا الشكل

وصلت هيلانه بحيث الى الحفلة رات اهالي المريخ رجالاً ونساء بنات وشباناً في انس وابتهاج . وكانت البنات مرتبات شعورهن على شكل اجنحة فراشة بلون وردي او ازرق او اخضر . وما وصل استانه حاكم المريخ الى الحفلة حتى اشار اشارة فبادر الجميع الى الجلوس حول مائدة مزينة بالازهار وعليها خادمان واحد يلبس لباساً وردياً والثاني يلبس لباساً ابيض لخدمة الجالسين . ولما جلس المدعون تقدم الخادمان ووزعا عليهم صحافاً مربعة وسكاكين بلا مقابض . ثم جاءا بطعام غريب وهو قضبان بعضها وردي اللون وبعضها ابيض وفي رؤوسها ازهار لذيذة الطعم . فاكل المريخيون بلذة واشتهاء ثم انتهت الحفلة باناشيد حفظت منها هيلانه النشيد التالي باللغة المريخية وهذه ترجمته

« كوني سعيدة باسيكيه . فقد جاء العصفور الاسود الصغير . وقرع امس نافذتي . « فسرت نفسي وانبسطت . وقد سمعته يغني . اما انت فستسمعينه غداً »

« يا ماتان . يازهرة تحبب اليّ الحياة . يا شمس احلامي . تعالَ هذا المساء . تطلّ « وامكث طويلاً عندي . وكن سعيداً »

هذا بعض ما قصته هيلانه في نومها عن المريخ وسكانه . وكلما نامت تقص مثله

بزيادة او نقصان ولكنها لا تنقض حرفًا واحدًا منه ولا تقول في نومها كلمة تعاكس ما قالته في نومها قبلاً . وقد حاول بعضهم مغالطتها بهذا الشان فاصرت على قولها الاول ولم تغلط

افي ذلك غرابة

والآن بعد ما علمناه عن هذه المراة لا يسعنا الا ان نتساءل ونقول : هل في هذا الامر غرابة

وجوابنا على ذلك . نعم . في هذا الامر غرابة . ولا . ليس فيه من غرابة

اما الامر الثاني فهو ان جميع ما ابصرته هيلانه في المريخ ينطبق على معيشة البشر في الارض ففي الارض حكام وفيها اعراس ومآدب ورقص ونشيد وفيها حيوانات كالفقمه واشجار خضراء وحمراء . فما الذي يدل في كلام هيلانه على انها صعدت الى المريخ وانها لم تكن تهذي هذيانًا في كل ما وصفته قياسًا على ما شاهدته في الارض . اما اللغة المريخية فقد حللها العالم البلجيكي المذكور فاذا بها تحتوي على احرف بعدد احرف اللغة الفرنسوية التي تتكلمها هيلانه سميث . وهي قريبة منها

وفضلاً عن ذلك فان هيلانه ولدت من ام كانت تصاب بنوبات هستيرية وهي نفسها مع ذلك هستيرية منذ صغرها اي انها اصيبت منذ اول عمرها بنوبات شديدة

واما قولنا ان في هذا الامر غرابة فلانه يدلُّ دلالة كبرى على وجود شخصين مستقلين في جسم الانسان . الاول شخصه الاعتيادي الذي يروح ويجيء ويعمل ويشتغل في اوقات صحوه والثاني شخص مستقل عن الشخص الاول لانه يفتكر ويتصور ويتكلم ويعي خارجًا عنه ومن غير واسطته . وهو ما يسمونه الانسان المزدوج . وهذا الازدواج دليل من ادلة الروحيين على الماديين الذين ينكرون النفس والخلود

على ان كل ذلك من سوء الحظ لا يثبت وجود سكان في المريخ ولا ينفيه . فنحن معه ومع تلغراف سكان المريخ كما كنا بدونها

وقد اجبنا في باب الاسئلة والاجوبة في هذا الجزء على سؤال ذي علاقة بهذا الموضوع فنرد القارىء اليه ونختتم الآن هذا الفصل فقد طال اكثر مما اردنا

رواية الحب والخداع

رد على انتقاد

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

جاء في العدد ١١ و١٢ من الجامعة كلمة لحضرة الاديب ذاكي افندي مابرو انتقد فيها رواية الخداع والحب انتقاداً شدد فيه النكير على معربيها . ولما كان في انتقاده مآخذ للاعتراض جئنا بهذه الاسطر نرجوكم درجها ليعلم حضرته اننا ممن يحافظون على كرامة المؤلفين ويحرصون ما امكن على حفظ الاصل في تعريب كتاباتهم . واننا حيث نقل هذه الرواية عن شيلر لم نشوه محاسنها الاصلية ولم نهدم عمل المؤلف او نستبد فيه الى غير هذا من التهم التي رمانا بها حضرته سامحه الله كما نسأله ان يسامحنا

اول ما آخذنا به حضرته جعلنا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ويرم الكاتب هو الذي نصب الفخ الخ .. ولا نعلم كيف اتصل الى هذه النتيجة لانه لو قرأ المشهد الاول من الفصل الثالث لرأى فيه ان ويرم هو الذي دبر الحيلة وليس المارشال فليراجع صفحة ٤٠ حيث يقول ويرم في حديثه مع الرئيس : « الآن ننصب للماجور حبائل المكر ونسلك مع الفتاة سبل التحكم والامر وبنفوذك نرغمها على كتابة رسالة حبية الى شخص ثالث وهذه الرسالة نحتال على ايقاعها في يد الماجور الخ ... » وفي هذا الكلام من الجلاء والوضوح ما لا يحتمل اللبس . والظاهر ان حضرته لم يطالع الرواية بل قرأ نتفاً منها فرأى شيئاً وفاته اشياء . ثم انه اورد قطعة كاملة من ترجمتنا (صفحة ٧٢) زاعماً انها تاليف لا تعريب واردفها بقطعة اخرى من ترجمته مدعياً انها هي الترجمة الصحيحة وهكذا فعل في انكاره علينا ايضاً ما ترجمناه صفحة ٨٤ ونحن في كلا الموضعين لم نستكتب شيلر شيئاً من عندياتنا كما ظن ولكن يظهر ان النسخة التي بيده وهي ترجمة دياس مقتضبة بخلاف النسخة التي اخذنا عنها وهي رنييه .

ولزيادة الايضاح نورد هنا الترجمتين . قال حضرته وهو قول فرنند يخاطب المارشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه : " بل انا اعلم لماذا تتمسك باهداب الحياة . ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة المهينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ...

بزيادة او نقصان ولكنها لا تنقض حرفاً واحداً منه ولا تقول في نومها كلمة تعاكس ما قالته في نومها قبلاً . وقد حاول بعضهم مغالطتها بهذا الشان فاصرت على قولها الاول ولم تغلط

افي ذلك غرابة

والآن بعد ما علمناه عن هذه المراة لا يسعنا الا ان نتساءل ونقول : هل في هذا الامر غرابة

وجوابنا على ذلك . نعم . في هذا الامر غرابة . ولا . ليس فيه من غرابة

اما الامر الثاني فهو ان جميع ما ابصرته هيلانه في المريخ ينطبق على معيشة البشر في الارض ففي الارض حكام وفيها اعراس ومآدب ورقص ونشيد وفيها حيوانات كالنقمه واشجار خضراء وحمراء . فما الذي يدل في كلام هيلانه على انها صعدت الى المريخ وانها لم تكن تهذي هذياناً في كل ما وصفته قياساً على ما شاهدته في الارض . اما اللغة المريخية فقد حللها العالم البلجيكي المذكور فاذا بها تحتوي على احرف بعدد احرف اللغة الفرنسوية التي تتكلمها هيلانه بحيث . وهي قريبة منها

وفضلاً عن ذلك فان هيلانه ولدت من ام كانت تصاب بنوبات هستيرية وهي نفسها مع ذلك هستيرية منذ صغرها اي انها اصيبت منذ اول عمرها بنوبات شديدة

واما قولنا ان في هذا الامر غرابة فلانه يدلُّ دلالة كبرى على وجود شخصين مستقلين في جسم الانسان . الاول شخصه الاعتيادي الذي يروح ويجيء ويعمل ويشتغل في اوقات صحوه والثاني شخص مستقل عن الشخص الاول لانه يفتكر ويتصور ويتكلم ويبي خارجاً عنه ومن غير واسطته . وهو ما يسمونه الانسان المزدوج . وهذا الازدواج دليل من ادلة الروحيين على الماديين الذين ينكرون النفس والخلود

على ان كل ذلك من سوء الحظ لا يثبت وجود سكان في المريخ ولا ينفيه . فنحن معه ومع تلغراف سكان المريخ كما كنا بدونهما

وقد اجبنا في باب الاسئلة والاجوبة في هذا الجزء على سؤال ذي علاقة بهذا الموضوع فنرد القارىء اليه ونختم الآن هذا الفصل فقد طال اكثر مما اردنا

رواية الحب والخداع

رد على انتقاد

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

جاء في العدد ١١ و١٢ من الجامعة كلمة لحضرة الاديب ذاكي افندي مايرو انتقد فيها رواية الخداع والحب انتقاداً شدد فيه النكير على معربيها · ولما كان في انتقاده مآخذ للاعتراض جئنا بهذه الاسطر نرجوكم درجها ليعلم حضرته اننا ممن يحافظون على كرامة المؤلفين ويحرصون ما امكن على حفظ الاصل في تعريب كتاباتهم · واننا في نقل هذه الرواية عن شيلار لم نشوه محاسنها الاصلية ولم نهدم عمل المؤلف او نستبد فيه الى غير هذا من التهم التي رمانا بها حضرته سامحه الله كما سأله ان يسامحنا

اول ما آخذنا به حضرته جعلنا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ويرم الكاتب هو الذي نصب الفخ الخ ·· ولا نعلم كيف اتصل الى هذه النتيجة لانه لو قرأ المشهد الاول من الفصل الثالث لرأى فيه ان ويرم هو الذي دبر الحيلة وليس المارشال فليراجع صفحة ٤٠ حيث يقول ويرم في حديثه مع الرئيس : « الآن نتصب للماجور حبائل المكر ونسلك مع الفتاة سبل التحكم والامر وبنفوذك نرغمها على كتابة رسالة حبية الى شخص ثالث وهذه الرسالة نحتال على ايقاعها في يد الماجور الخ ··· » وفي هذا الكلام من الجلاء والوضوح ما لا يحتمل اللبس · والظاهر ان حضرته لم يطالع الرواية بل قرأ تتفكمنها فرأى شيئاً وفاتته اشياء · ثم انه اورد قطعة كاملة من ترجمتنا (صفحة ٧٢) زاعماً انها تاليف لا تعريب واردفها بقطعة اخرى من ترجمته مدعياً انها هي الترجمة الصحيحة وهكذا فعل في انكاره علينا ايضاً ما ترجمناه صفحة ٨٤ ونحن في كلا الموضعين لم نستكتب شيلار شيئاً من عندياتنا كما ظن ولكن يظهر ان النسخة التي بيده وهي ترجمة دياس مقتضبة بخلاف النسخة التي اخذنا عنها وهي رنييه ·

ولزيادة الايضاح نورد هنا الترجمتين · قال حضرته وهو قول فرننند يخاطب المارشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه : « بل انا اعلم لماذا تتمسك باهداب الحياة · ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة اللعينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ···

ولعل للعناية الالهية بذلك قصداً خفي عنا وراء حجب الاستقبال » وفي ختام هذا الكلام:
اجل لا بد لميزان هذا الكون ان تتوازن كفتاه : فلا بد اذن من وجود الافاعي والمدلسين المنافقين بازاء القوم الكرام اصحاب النفوس الابية . فليحذر المملق المنافق ان يزحف الى حبي وليحذر الافعوان ان ينفث سمه على ازهاري والا فاني اسحق المملق والافعوان تحت اقدامي »

وهاك ما عربناه عن النسخة التي بيدنا في الموقف نفسه :

« انت ايها الابله ولماذا .. » الى آخر القطعة التي اوردها في الجامعة وزعم انها مما عنّ لنا تاليفه . ثم : « اجل هذا هو الانسان ابن الاوجاع وكما وجد لليوم السادس من خلقته .. كأن يداً بشرية اقدمت على تقليد جبلة الخالق .. يالها من خسارة . يعز عليّ ان ارى هذه الكمية من الدماغ الموضوعة في هذه الجمجمة تذهب ضياعاً وهي لو وجدت في راس ادنى الحيوانات لرفعته الى مصاف البشر . ومع ذلك لم تانف من ان تملكه فؤادها »

ثم يقول : » فليبقَ على حاله . فالرفق بالدودة الصغيرة لا بد ان ينفعها . يقابلونها بهزّ الاكتاف هزّاً وربما اعجبوا بحكمة الخالق في تدبيره واقتصاده اذ خلق ايضاً من الناس من يأكل بقية الطعام ويشرب ثمالة الكاس .. من يدري ربما اخذهم العجب بتلك الحكمة اذ اوجد الخلاق ايضاً عقارب وافاعي تنفث سموم الشر في العالم العقلي ولكن حذار ايتها الحشرات ان تزحفي فوق ازهاري والا سحقتك هكذا (يهز كتف المارشال) ومزقتك شذر مذر »

فلو صبر حضرته وقرأ هذا الخطاب لادرك ان النسخة التي بيده مقتضبة لان كل ما ذكره موجود في ترجمتنا بالتطويل وهذا ما يحملنا على الظن ان النسخة التي بيدنا اقرب الى الاصل من النسخة التي اخذ عنها

ثم انتقد علينا ابدال كلام فرتند عند مرأى لويز متأثرة « صفراء ولا اصفرار الموت بقولنا : « هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله .» وان ما انطقه به المؤلف هو : « اه يا شقية لم يعد يسعك الانكار بعد الآن »

فتعجبنا شديداً لتباين معنى الجملتين ونفور الثانية عن مقامها وعدم مطابقتها مقتضى الحديث كما يتبين من قراءة ما قبل الجملة وما يليها . وللبيان نورد هنا القطعة بكاملها

فرناند ... صفراء ولا اصفرار الموت .. هكذا احب ان ارى ابنتك يا رجل . فما

ظهرت لي ابداً بمثل هذا الجمال . تلك البنت التقية الفاضلة . اه يخال لي ان اليوم الاخير الذي تمزق لحمانه براقع الرياء قد محا عن وجهها ذلك الخضاب الذي خدعت به هذه الساحرة حتى ملائكة النور . اه ما اجمل هذا الوجه الآن اجل هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله

فيقول ابوها :« مكانك ابتعد عنها . لم اقدر ان احميها من مغازلاتك ولكني اقدر ان ادفع عنها اهاناتك »

فمن اين اتى بتلك الجملة . واي دخل لها هنا . ام كيف يصح ان ينطبق ما اورده على فكر المؤلف و يفسره هذا التفسير

اما بقية « الامثلة الكثيرة على الابدال التي ضرب عنها صفحاً خوف التطويل » فلا نظنها الا نتيجة اختلاف الترجمتين اذ نحن على ثقة اننا لم نغير شيئاً من افكار المؤلف ولا من معانيه الا ما كان منها بعيداً عن روح اللغة التي ترجمنا اليها غريباً عن المالوف فيها

ولا نعلم بما نجيب حضرته على ما عابه علينا من حذف مشهد العقد . فكأنه نسي رعاه الله ما يجب على الكاتب مراعاته في البلاد التي مثلنا فيها روايتنا وفاته ان سوريا ليست مصر وان ما يكتب في الاسكندرية لا يكتب في بيروت ? سامحه الله ايضاً هذه المرة لانه لا يعلم ماذا يقول

وقد زعم اننا حذفنا حديث الرئيس وورم في الفصل الثالث الذي فيه افتضاح سر توصل الرئيس الى الرئاسة مع اننا ذكرناه صفحة ٣٩٥ فليراجع

اما السبب في ابدال مقدمة الفصل الرابع بخاتمته فلا نظنه خافياً على حضرته . وقد اضطررنا الى هذا الابدال اولاً مراعاة للذوق العمومي عندنا وثانياً اختلال الترتيب في وضع المشهدين لان من المالوف في الروايات استبقاء المشاهد الشديدة للختام رغبة في تشويق السامع ومحافظة على التاثير . فضلاً عن ان نقل المقدمة الى الخاتمة في روايتنا يطابق كل المطابقة سير الواقعة في مجراها الطبيعي اذ لا يخفى ما في ذلك من التحام هذا المشهد مع ما يليه في الفصل الخامس . افبعد هذا لا يجد حضرته مسوغاً لهذا القلب ?

واشد لوم كان هو لابدالنا ختام الرواية وجعلنا فرننند يلعن اباه و يدعو عليه مع اننا في هذا المشهد خصوصاً لم نتصرف ادنى تصرف بل عربناه حرفاً حرفاً واذا كان حضرته في ريب فما له الا ان يقابل بين ترجمتنا والنسخة التي اخذنا عنها فيتحقق اننا لم نرتكب ما ينكره علينا شيلر ولا الادب

وعلى كلٍّ فاننا نشكر حضرته لغيرته على الاداب ونعذره اذا لم يكن مصيباً في انتقاده لان النسخة التي بيده خلاف النسخة التي نقلنا عنها فلا لوم عليه من هذا القبيل وانما نلومه على تسرعه في الحكم واتهامه ايانا بحذف جمل ومشاهد هي في الواقع موجودة لم تفته لو كانت مطالعته مرتبة وعلى ما يظهر ان حضرته لم يقرأ من الرواية الا بعض صفحات متفرقة وهذا ما لا يغتفر للمنتقد المدقق اذ يكون انتقاده والحالة هذه على غير روية ولا هداية بمثابة ولد دخل حديقة وذاق من ثمر اول شجرة صادفها فوجده غير ناضج فاعرض عن البقية وحكم على كل اثمارها بانها غير ناضجة . وهو لو قطف من غيرها لوجد عكس ما يظن

بيروت عن المحررين

نجيب نسيم طراد

القرن العشرون

وماذا عمل القرن التاسع عشر

احتفل الالمانيون منذ بداية العام الماضي بانتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فودعنا معهم يومئذٍ القرن التاسع عشر وداعاً يجدر ان نعيده الآن توديعاً مع المودعين

***

يصدر هذا الجزء من الجامعة بعد انتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فوداعاً ايها القرن الراحل وسلاماً ايها القرن القادم . لقد نزل الاول في مهاوي التاريخ وطلعت غرة الثاني طلوع مولود جديد على الوجود . فمباركٌ هذا المولود

وقد جرت عادة قدماء المصريين انهم عند موت ملوكهم يجتمعون فيتبادلون آراءهم في الساحات العمومية بشأن الملك الراحل عنهم منتقدين حكمه واعماله ذامين منها ما يوجب الذم ومثنين على ما يوجب الثناء . والقرن التاسع عشر هو الآن منا بمثابة ميت فليس يخلو من فائدة ان ننظر في اعماله وما تم في عهده من خير وشر

ولسنا نصرف الفكر الى الامور المادية فقط فنجعل الكلام مقصوراً على تاريخ الاختراعات العظيمة التي اخترعت في هذا القرن والاكتشافات العجيبة التي اكتشفت . كلا فان هذه

الامور المادية ليست الاثمرة حياة هذا القرن الادبية . لذلك ننظر في اعماق هذه الحياة الادبية ليكون كلامنا شاملاً جميع انفاس القرن التاسع عشر . وتوصلاً لذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام : كلام على عالم السياسة . كلام على عالم العلم . كلام على عالم الادب . فنقول —

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر السياسية ﴾ وُلد هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسوية ومدافع نابوليون يدوي صداها في الجهات الاربع . وقد كان من تاثير هذه الثورة انها وضعت اساس الحرية في العالم على اسس ثابتة لا تتزعزع وفتحت عيون الامم في الشرق والغرب فكأن تلك الشعلة التي احرقت فرنسا حيناً من الزمان قد انارت الدنيا باسرها

فخفت بعد ذلك وطأة الاستبداد وخاف الملوك سوء المنقلب فاصبحوا يعتبرون الرعية ابناء لهم لا خداماً وعبيداً يسومونهم ما تسام الانعام من الذل والحيف . وسقطت الحواجز العظيمة التي كانت بين الطبقات فاصبح الشريف شريفاً بادبه لا بنسبه وتساوى الناس لدى القانون ومذ تساووا عرفوا انهم اخوان بعضهم لبعض لا خصوم واعداء . ثم اتسعت حلقة هذا الاتحاد بحكم الناموس الطبيعي وبواسطة مبدأ الحرية والمساواة الذي تقرر في العالم . فقال الشارعون اذا كان من حقوق الفرد ان يكون حراً مساوياً لغيره في الحقوق والواجبات وجب ان يكون الشعب كذلك فنشأ عن هذا القياس الصحيح حق كل امة في الاستقلال والمساواة . فاسقطت عن اعناق الامم نير العبودية السياسية كما اسقط عن اعناق الافراد نير العبودية الاجتماعية . فكان ذلك منشأ ثورات شديدة زعزعت لها اسس الارض وانكسرت فيها قيود امم كثيرة فاصبحت حرة مستقلة تحت قبة السماء

ولا ريب ان عمل القرن التاسع عشر من هذا القبيل ناقص نقصاً عظيماً . ولكنَّ هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله . واذا لم يكن له من فضل غير المناداة بالحرية والمساواة للافراد والشعوب لكفى بذلك فضلاً على القرون الخالية . ولكنه لم ينادِ بذلك فقط بل اعطى الافراد والشعوب قوة توصلهم الى اغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية واتبعوها بلا افراط ولا تفريط

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر العلمية ﴾ وقد كان لاعماله السياسية تاثير عظيم على اعماله العلمية . ولا نقول ان العلم كان غير موجود قبله فان اهم اسس العلوم الطبيعية لم

توضع في القرن التاسع عشر بل قبله· ولكن امتاز القرن التاسع عشر بكونه اطلق العقول من القيود وهدم الحواجز القوية التي كانت تحول دون نموها وتقدمها· وقد روى الفيلسوف جول سيمون ان التعليم في فرنسا كان في القرن الثامن عشر وما قبله محصورًا في طبقات الاشراف والوسط في حين ان جمهور الشعب كان في ظلام من الجهل والغباوة · وقال هذا الفيلسوف مستشهدًا على فضل هذا القرن « انني الآن اشغل مقامًا من اسمى مقامات بلادي (عضوية مجلس الشيوخ) ولكنني لولا الثورة الفرنسوية التي اطلقت قيد العقول لكنت الآن اما صاحب صناعة يدوية في قريتي او عضوًا في احدى الجمعيات الاكليريكية »

ومن نتائج هذا الاطلاق الذي اشار اليه الفيلسوف عناية الحكومات بابناء عامة الشعب كما تعنى بابناء خاصته· وهذا منشأ التعليم الالزامي المجاني الذي اتبعته الامم الغربية مع انه لم يقم احد بعد الى الدعوة اليه في البلاد الشرقية

وقد وضعنا التعليم الالزامي في مقدمة اعمال هذا القرن العلمية لانه في نظرنا اهمها كلها· نعم لا ينكر احد تقدم العلوم الطبيعية الى حد غريب· فقد قاست هذه العلوم مساحة الفضاء · وعرفت مادة الكواكب· واخترعت المركبات البخارية في البر والبحر · واوجدت التلغراف فقصرت به و بالسفن المذكورة آنفًا شاسع المسافات واختصرت الابعاد ومزجت العالم بعضه ببعض مزجًا مفيدًا · لقد اكتشفت المكروبات فدفعت عالم الجراحة والطب الى الامام دفعًا شديدًا · لقد اتت من الاكتشافات و لاختراعات ما لو قام اجدادنا اليوم من قبورهم ورأوه لحسبوا انفسهم انتقلوا الى عالم الف ليلة وليلة او ظنوا ما يرونه سحرًا مبينًا — كل ذلك نعرفه ونعجب به · ولكن يعجبنا اكثر منه كله ذلك المبدأ السامي الذي اجمعت عليه في هذا القرن اكثر الامم الغربية · ونريد به : التعليم المجاني الالزامي لخاصة الامة وعامتها

فبارك الله فيك ايها القرن الراحل على هذا العمل العظيم الذي عملته وذلك المبدأ السامي الذي اقررته · فانه اذا لم يكن لك في عالم العلم الا هذا الفضل لكفى ان يعلي بين القرون شانك ويخلد اسمك

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر الادبية ﴾ واهم اعمال القرن التاسع عشر الادبية عتق الرقيق · فقد كان الانسان الظالم يشتري في القديم ويبيع اخاه في الانسانية

والحكومات ساكتة والفلاسفة وعلماء الاداب لا يحرمون هذه التجارة المنكرة . وقد شهد ارسطو وافلاطون في زمانهما عذاب الرقيق ولم تتحرك احشاؤهما حنوًّا عليه بل ان ارسطو نفسه كان له عبيد وارقاء . وقد لبث العالم في هذه الخشونة والهمجية حتى جاء القرن التاسع عشر فحرم ان يتاجر الانسان باخيه الانسان . وهي احدى بركات القرن وخيراته

ومن هذه البركات ايضاً ارتقاء الادب السياسي . فانه قد مضى الزمان الذي كانت فيه المدن والمقاطعات تباع وتشرى بين الحكومات كانها انعام سائمة . وانقضى ايضاً ذلك الجنون السياسي الذي كان في العصور الخالية وهو جنون الفتوح وحب الاستيلاء فقلت الحروب وارتقت اسبابها واصبح كلٌّ من المتحاربين يدعي انه مضطر اليها ومُدافع لا مهاجم فيها . فظاهرٌ من ذلك انه قد مضى في السياسة دور الهجوم والافتخار بالحرب وجاء دور الدفاع والافتخار بالسلام

وماذا نقول عن ذلك النور السماوي الذي خفق هنيهة في العالم على يد القيصر العظيم نقولا الثاني امبراطور روسيا . لا ريب ان اقتراح القيصر عقد مؤتمر السلام في لاهاي قد كان بمثابة تتويج ادبي لهذا القرن . واذا كان هذا المؤتمر لم يات بثمار عاجلة فانه سيأتي بثمار آجلة . وسيبقى هذا الاجتماع الذي عقدته الامم في لاهاي وتصافحت فيه عناصر الانسانية كلها تحت انظار ويلهلمين الفتاة ملكة هولاندا — سيبقى هذا الاحتفال اكبر عمل ادبي عملته الانسانيه في القرن التاسع عشر وفي القرون الماضية

ومن اعمال هذا القرن الادبية ايضاً صرف الحكومات شيئاً من عنايتهـا الى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة وحرية الدفاع والميل الى منع الاعدام اي التحريم على الانسان قتل الانسان . وكذلك تخفيف مصائب المجرمين باعتبارهم مرضى في عقولهم يجب مداواتهم بتحسين احوالهم وتعويدهم وهم في السجون العمل السهل المفيد لابدانهم وعقولهم . وتخفيف ويلات الحروب وفظائعها بقوانين دولية مرعية وانشاء المستشفيات العمومية والملاجئ الخيرية للشيوخ والاولاد وتاليف لجان وجمعيات لتربية الايتام واللقطاء الذين لا ذنب لهم غير ولادتهم

ولا نعلم في اي قسم نضع تلك الحركة الاقتصادية الغريبة التي امتاز بها الربع الاخير من القرن التاسع عشر . افي جملة الاعمال السياسية ام العلمية ام الادبية . ولكن نرجح وضعها في قسم رابع نفرده لها ونسميه « اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية »

فان الحركة الكبرى التي تغلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة

الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء وتباريها في حلبة التجارة والصناعة والزراعة حتى ان الدول اصبحت ولا همّ لها الا المسائل الاقتصادية واذا خيف من شبوب نار حرب بينها فانما يكون سببها المسائل الاقتصادية لان دور تنازع السلطة ينهب قد مضى وجاء دور التنازع على الامور الاستعمارية التي بها تتعلق المسائل الاقتصادية والتجارية

ومن اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال امر الاشتراكيين استفحالاً تقع المبادىء الديموقراطية وافاد ضعفاء الامم افادة تذكر لهم بالشكر من هذا الوجه بصرف النظر عن الاوجه الاخرى وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفي بهذا البيان

***

هذا اهم ما رأينا بسطه عن اعمال القرن التاسع عشر . وكله حسن نافع مفيد يستحق عليه القرن ثناء ابنائه وثناء الاجيال الآتية

ولكن بازاء هذه الجوانب اللامعة البراقة التي اظهرناها للقراء الا يوجد جوانب اخرى سوداء مظلمة ؟ الا يوجد للقرن التاسع عشر سيئات بازاء هذه الحسنات ؟

لقد اقدم هذا القرن على حل مسائل لا قبل له على حلها كلها دفعة واحدة . فقد اطلع شمس الحق على الناس فانفقأت لاشعتها الباهرة عيون الكبير والصغير فكانت للكبير بمثابة النور من الخفاش وكانت للصغير بمثابة النار من الفراش . وهكذا بالرغم عن اشراق هذه الشمس بقي الكبير مهر بداً شامخ الانف والصغير مدوساً مسحوقاً اليس هذا الذي نقوله الآن مدلفع الانكليز والبوير في افريقيه الجنوبية

لقد ارتقت في هذا القرن الاداب السياسية ولكن انحطت الاداب الشخصية . فان الشر ينمو بنمو التمدن والرذائل على انواعها تتكاثر بتكاثر الثروة وتزداد بازدياد اسباب المدنية . فالكذب والرياء والخداع والاضرار بالناس والاحتيال لسلبهم وغشهم — كل ذلك اصبح في القرن التاسع عشر امراً شائعاً مقبولاً وربما لُقب صاحبه بالمهارة والدهاء وحسن السياسة . الفجور — وافظيعتاه — قد اصبح مباحاً ويكاد يكون شرعياً . المسكرات تقتل في بعض البلاد ٧٥ في المئة من سكانها . الجرائم والجنايات تملأ السجون بالاشقياء . المبادىء الدينية تضعف وتقل شيئاً فشيئاً . الفضيلة تخفض جناحيها بازاء الرذيلة . الشعوب لا تزال تخبط في ظلام الجهل وليس لها خبز تتغذى به ابدانها وتعليم تتغذى به عقولها . الحياة اصبحت فوضى لان هذا القرن اعطى الانسانية قوة الدفع ولم يعطها قوة الجذب . اعطاها

الحرية ولم يعطها الاخاء والمحبة . فتنافرت القلوب واختلفت الاهواء وقام الناس بعضهم على بعض باسم الحرية والدين والحرية الحقيقية والدين الصحيح براء منهم ومما يفترون . وفي وسط هذه الحياة الزوبعية الهائلة التي نشأت في هذا القرن انقلب ميزان الانسانية وفقدت الهيئة الاجتماعية قيادة قوادها لان كل فرد منها اصبح قائداً مستقلاً بنفسه . اصبحوا كالنمل كلهم رؤوس كما قال الفيلسوف جول سيمون . فتامل هذه الحياة الجديدة وسرعة انقلابها وشدة خطرها بازاء الحياة القديمة الهادئة وبساطة المعيشة فيها وقناعة اهلها وتسليمهم ورضاهم باحوالهم

ولكن القرن التاسع عشر لا يستحق اللوم الشديد اذا كان لم يحلّ جميع المسائل التي اقدم عليها فانه لكثرة هذه المسائل ناء بها ورزح تحتها بعد ان حل ما حله منها . فاملنا الآن موضوع فيك يا ايها القرن العشرون . كن للانسانية خيراً من اخيك القرن التاسع عشر . لا تسمح ان يحدث فيك ما حدث في اخيك من السيئات وكل كل تلك الحسنات .

امحق بفأس العقل والادب والدين جراثيم الشر والفساد والرذيلة التي ظهرت في القرن الماضي اخيك ومهد للانسانية طريق السعادة التي تنشدها فانها قد تعبت في طلبها دون ان تدركها . حتى اذا اكملت عملك واغمضت اجلك وقف ابناؤنا في ختام ايامك الآتية وقالوا مؤرخين اعمالك : مباركٌ القرن التاسع عشر على ما عمل . ومبارك القرن العشرون على ما اكمل

فسر بامان وسلام يا ايها القرن العشرون

باب التربية والتعليم

متى اصبحت المدارس فرغت السجون ولا تغلق المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

فلسفة الحكيم تولستوي ومبادئه

واحتجاجه على الهيئة الاجتماعية

كتاب في مقالة نهديها الى جمهور المعلمين والمتعلمين وكل ذي عقل سليم

فاتحة الكتاب . قصة فتاة تسقط ثم تنهض . لمع من فلسفة تولستوي : انتباه النفس الادبية . كلمة «الله» في افواه الاشقياء . سوء الظن بجميع البشر . الفساد في الهيئة الاجتماعية . الارض لله لا للبشر . عدم فهم الناس هذه المبادىء . الجرائد والعامن والمحاكم . الرذيلة في الطبقات العليا تحت الاثواب اللامعة . رايه في المحاكم والبراز والعقاب . اقوال متفرقة . خاتمة الكتاب

اشهر واحسن الكتب التي الفها الفيلسوف الشهير الكونت لاون تولستوي الروسي الذي حرمه المجمع الروسي المقدس في اواخر العام الماضي ولخصنا ترجمة حياته في الجزء السابع هو كتاب « البعث » او القيامة الذي كان له في اوربا واميركا دوي عظيم . وقد لخصنا هذا الكتاب الاجتماعي الفلسفي البديع في المقالة التالية لاطلاع القراء على حقيقة مبادىء عظيم الروس في هذا الزمان . ونحن نتمنى ان يكتب الينا كل واحد من القراء بما يشعر به ويخطر له حين قراءة هذه المقالة التي اذا علم اننا طالعنا من اجلها في اقل من اسبوع كتاباً عدد صفحاته ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير مع ما لدينا من الشواغل الكثيرة علم مقدار التعب الذي بذلناه فيها خدمة للقراء وطلباً للفائدة . ونحن نفتخر بان نكون اول من شرع في اخراج فلسفة الحكيم تولستوي الى اللغة العربية ونعاهد القراء بان لانضن عليهم بنقل كل ما نعثر عليه من اقوال هذا الرجل العظيم . اما الآن فلنشرع في تلخيص هذا الكتاب

فاتحة الكتاب

افتتح تولستوي كتابه بهذه المقدمة

« عبثاً يحاول بضع مئات من البشر المتراكمين بعضهم على بعض في مكان ضيق تشويه الارض التي يعيشون عليها. عبثاً يسحقون تربتها بالحجارة حتى لا ينبت فيها نبات. عبثاً يغبرون الهواء برائحة البترول والفحم الحجري . عبثاً يقطعون الاشجار. عبثاً يطاردون الحيوانات والطيور . عبثاً يصنعون كل ذلك فالربيع في المدن لا يزال ربيعاً : الشمس فيه تزداد اشراقاً . والنبات تدب فيه روح الحياة لا في جوانب الشوارع الكبرى فقط بل بين بلاط الطرق ايضاً. وكذلك الاشجار والازهار والطيور وسائر المخلوقات التي تسر وتبتهج باشمة الشمس المحيية . كلها تكون مسرورة مبتهجة في الربيع الا الانسان . الا الانسان الذي يستنكر جمال تلك الامور الطبيعية المقدسة ولا يرى جميلاً غير ما يضعه ويتصوره من الامور التي يغش بها بعضه بعضاً ويعذب بعضه بعضاً

وهكذا كان في سجن الحكومة في ٢٨ افريل الجاري فان رجال السجن لم يروا صبيحة ذلك اليوم الربيعي امراً جميلاً مع روائه ورونقه ولكنهم رأوا ان الجميل الجدير باهتمامهم والتفاتهم هو ورقة وردتهم عشية هذا اليوم مزينة بختم ونمرة وبعض عنوانات . وفي هذه الورقة امر من ادارة السجن بارسال امرأتين ورجلاً من المسجونين فيه لاجل المحاكمة»

خلاصة القصة التي في الكتاب

ومن هنا ابتدأ تولستوي قصته . فاخذ رجال السجن المرأتين والرجل الى المحكمة . وكان اسم احدى المرأتين « ماسلوفا » وعليها مدار الكتاب كله . ولما عزمت هذه المرأة على الخروج من السجن اوصاها بعض رفاقها بان تنكر كل شيء وتتنصل من كل شيء فاجابته « سيان لديَّ الامران فانهم اذا حكموا عليَّ فلا اعيش عيشاً اسوأ من عيشي الآن »

ولما دخلت الماسلوفا الى قاعة المحكمة كان القضاة ينتظرونها وفي جملتهم امير يُدعى نكليودوف . وكانت ماسلوفا متهمة مع رفيقتها ورفيقها بانهم قتلوا تاجراً من سيبيريا وسرقوا ماله . وبيان ذلك بالاجمال ان ماسلوفا كانت من « بنات الهوى » وكانت مستخدمة لذلك الغرض القبيح في بيت تديره امرأة المانية لهذه الغاية. فاحبها التاجر الروسي المذكور وانفرد بها في الغرفة التي كان نازلاً بها فارادت التخلص منه فاغراها بالهدايا لتبقى عنده . فنافلته ووضعت له في كاس كونياك شيئاً من مسحوق اعطيته وهي تحسب ان فيه افيوناً

لتنويمه وكان الخنجور يحتوي سمًا ناقعًا فمات الرجل لساعته . فحضر البوليس والقى القبض على الماسلوفا والمراة والرجل اللذين شاركاها في العمل بتهمة القتل والسرقة وزجهم في السجن للمحاكمة

اما نكلودوف الذي كان بين المحلفين الذين عُينوا للحكم في قضية الماسلوفا ورفيقيها فانه ما وقع نظره على المراة حتى ارتعدت فرائصه . ذلك انه عرفها

ومن اين عرفها ? عرفها لانها كانت في صباها خادمة لدى عمته . وكانت في غاية البهاء والجمال وكان هو في غاية الطهارة وصفاء القلب والضمير . فاحبها ولكن حبًا طاهرًا كحب العذراء للعذراء . ولكن ما بلغ امه حب ابنها للخادمة كاتوشا (وكانت تدعى كاتوشا) حتى ذعرت وارسلت تستدعيه ففارق الامير الصغير كاتوشا وفي نفسه غصة منها . فقضى في قصر امه وابيه بضع سنوات تغيرت فيها اخلاقه من الطهارة الى الدعارة لان « امه كانت تسر كل السرور اذا سمعت بان ابنها تغلب على احد رفاقه اذ استمال حبيبته اليه وتستاء اذا سمعته يقول انه سيبقى طاهر الذيل الى حين زواجه » ولما تغيرت اخلاق الامير نكلودوف اصبح اكثر تذكرًا لكاتوشا . فحين شبوب نار الحرب بين روسيا والدولة العثمانية عزم على السفر الى ساحة القتال فعرج في طريقه على قصر عمته وشاهد كاتوشا

فرآها قد زادت رونقًا وجمالاً فازداد ولوعًا بها . ولكنه ولع بها هذه المرة ولوعًا ماديًا حيوانيًا . وكانت كاتوشا عذراء نقية القلب نجيب قميصها ولكنها كانت تحبه كما يحبها . فجار عليها نيكلدوف اذ دخل في احدى الليالي الى غرفتها . وهناك سرق شرف العذراء بيده الاثيمة الجانية

ثم سار الى الحرب . فبعد انقضاء بضعة اشهر احست عمته بان كاتوشا صارت حاملاً فطردتها . فلم تجد هذه الشقية بابًا امامها غير باب الفجور فدخلته واستخدمت عند المراة الالمانية التي تقدم ذكرها . وبذلك نزلت الى اسفل دركات الهيئة الاجتماعية بل اصبحت خارجة عن حدود الهيئة الاجتماعية بعد طهارتها وبساطتها الماضية

ولما جيء بها الآن للمحاكمة ووقع عليها نظر نكلودوف ذكر ماضيه معها فعلم انه هو الذي جرها الى هذا الشقاء وهذه التعاسة . فانتظر ليرى حكم المحكمة . اما المحكمة فانها اثبتت التهمة على ماسلوفا وحكمت عليها بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة في سيبيريا وذلك لتهمة القتل والسرقة

فثارت هنا نفس نكلودوف لا سيما وانه تحقق من سير القضية ان ماسلوفا بريئة من

الذنب الذي حُكم به عليها. فحمل محاميها على استئناف الحكم فرفض السناتو هذا الاستئناف لانه لم يكن مستوفياً للشروط القانونية . فاصبح بعد ذلك هذا الحكم نافذاً على كاتوشا

وكان نكلودوف قد شبع الى هنا من ملاذ الدنيا وانتبهت في داخله النفس الادبية التي تجعل الانسان انساناً فاصبح يرى نفسه تعيساً جانياً اكثر من كاتوشا بل اكثر من اشد الناس جناية . ولذلك عزم على اصلاح الفساد الذي صنعه واعادة البناء الذي هدمه . فقصد كاتوشا في سجنها وطلب منها في مشهد مؤثر ان تعفو عنه لانه كان اصل بلائها ثم اقترح عليها ان يتزوج بها تكفيراً عن جنايته . فرفضت كاتوشا

فزاد رفض كاتوشا نكلودوف تعلقاً بها . فابلغها انها اذا سافرت الى منفاها في سيبريا فانه يلحق بها اصلاحاً لخطاه معها

وهكذا كان . الا ان نكلودوف قبل سفره مع كاتوشا الى سيبريا طلب العفو لها من الحكومة لانه كان نافذ الكلمة فوعدوه بفحص المسالة . ثم استدعى نكلودوف اهالي القرى التي له فيها املاك واطيان ووهبهم حق استغلالها والانتفاع بها دائماً بلا اجرة ولا عوض لانه كان قد بلغ قمة الحقيقة ووصل الى حد من الفلسفة والاداب اصبح عنده يرى من الواجبات البشرية (لا من الاحسان) مساعدة الاغنياء لغير الاغنياء وهبة حق استغلال الاراضي للزراع بدل تاجيرهم اياها

وقد سافرت كاتوشا الى سيبريا في قطار المنفيين ناستاذن لها نكلودوف فنقلوها من مركبات الجناة الى مركبات المجرمين السياسيين. وكانت قد تحسنت نفسها وانتعشت قليلاً من كبوتها الادبية. فاحبها رجل من المجرمين السياسيين. فاعظمت كاتوشا ذلك لانها كانت ترى نفسها حقيرة غير اهل للحب وكان هذا الرجل يحبها لذاتها خلافاً لنكلودوف الذي كان يظهر لها الحب من اجله لا من اجلها اي اراحة لضميره واصلاحاً لخطاه معها. ولذلك دب في كاتوشا شعور جديد واصبحت كثيرة الرغبة في تحسين احوالها . ففازت بذلك وهكذا عادت الى ادبها القديم فكانها بُعثت من قبرها . وهذا سبب تسمية الكتاب « البعث » او القيامة

اما نكلودوف فانه لحق بها في قطار الركاب التالي . وهنا يسهب الفيلسوف الكاتب في وصف المنفيين الى سيبريا ومعيشتهم ومقاومتهم للحكومة الروسية ومقاومة الحكومة الروسية لهم وصفاً بديعاً ساقي على بعضه اذا اتسع المجال. وبعد دخوله الى سيبريا ورده كتاب من بطرسبرج بصدور العفو عن كاتوشا . فقصدته حينئذٍ كاتوشا لتبلغه انها

عزمت على الاقتران بالرجل الذي احبها ثم تقول له انه وفى دينه وتذهب وهو متاسف على فراقها . ولكنه يظهر له من مقابلتها اياه انها لا تزالي تحبه كما كانت وانما ترفض الاقتران به حرصاً على حياته وشرفه بين الناس وهذا مما يزيد اسفه اسفاً لانه على ما يظهر اصبح يحبها

لمع من مبادىء الفيلسوف

هذا هو اجمال القصة . ولكنه اجمال بعيد عن الاصل بعد الارض عن السماء . فان الفيلسوف تولستوي لم يكتبها في ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير ليحكي فيها فقط حكاية ابنة سقطت سقطة هائلة ثم نهضت ولكن ليظهر ما ينشأ في هذا العالم من المظالم والشرور والاحزان وما يجب صنعه لمداواتها كلها . وفي اثناء ذلك يصف عادات الروس واخلاقهم و يورد مبادىء واراء فلسفية في غاية السمو والغرابة . وقد اخترنا نشر شذرات منها لتكمل الفائدة لاننا لم نقدم الكلام على قصة الكتاب الا تمهيداً لما رأينا تلخيصه منها

❊ انتباه النفس الادبية ❊ ونبدأ في تلخيص بعض المبادىء الادبية والفلسفية التي ضمنها الفيلسوف تولستوي كتابه المذكور آنفاً بوصف انتباه نفس نكلودوف بعد معرفتها الشر الذي صنعته بكاتوشا . فان نكلودوف اخذ يقول بنفسه بعد صدور الحكم عليها : اليس من مظالم الهيئة الاجتماعية ان يُحكم على هذه المراة بذنب لم تجترمه . اليس من الهول ان تُسجن وابقى انا شريكها في الاثم بل مغريها عليه مطلق السراح مكرماً . بل اليس من دوس الحق والعدالة في هذا العالم ان اكون انا من قضاتها ... وقال في مكان آخر : صار يعروني اشمئزاز من نفسي وخجل من وجودي ... فيجب ان اخرج من هذه الدائرة دائرة الكذب والرياء التي دخلت فيها ... يجب ان اعود الى طريق الحق والعدالة واطلب العفو من كاتوشا بل يجب ان اقترح عليها الاقتران بها

وحينئذٍ انحدرت الدموع من عينيه . « دموع حسنة وقبيحة . حسنة لانها دليل على انتباه الروح الادبي الذي انقضت عليه اعوام وهو نائم في باطن نفسه . وقبيحة لانها دليل على كبريائه واعجابه بنفسه لما عزم عليه من العمل العظيم » . فدنا نكلودوف من نافذة غرفته المشرفة على الحديقة . وكان الليل هادئاً والقمر يرسل اشعته اللطيفة على اشجار الصفصاف التي كانت تستنشق نسيم الليل البليل . فقال نكلودوف متنفساً الصعداء : ما اجمل هذه المناظر ما اجملها . ولم يكن الجمال حينئذٍ الا في نفسه التي انقضت بعد

طول انطلاقها

و بعد ذلك ذهب وعرض امره على كاتوشا

﴿ كلمة « الله » في فم الاشقياء ﴾ بين نكلودوف وكاتوشا في سجنها. فقال نكلودوف لها : جئت اسألك العفو . فقالت له . بغضب دع عنك هذا . فقال وجئت ايضاً لاصلح ما افسدتُ لا بالقول بل بالفعل فقد عزمت على الاقتران بك . فاتخذ وجه كاتوشا حينئذ شكلاً هائلاً ثم نظرت اليه قائلة بهدوء ما كان ينقصك غير هذا . فقال نكلودوف انني اشعر بانني مديون لك بذلك امام الله . فاستشاطت كاتوشا غيظاً وصاحت ملءُ فيها : هو يجسر ايضاً على لفظ اسم الله بفمه . الله ? واي اله نعني . ولماذا لم تذكر الله في ذلك اليوم الذي صنعتَ به ما صنعت .. انا ابنة ساقطة محكوم عليَّ بالاشغال الشاقة وانت سيد كبير وامير . فاذهب عني الى اميراتك .. اذهب فانني اكرهك واشمئز من كل شيء فيك . اذهب .. اخرج من هنا » ثم انحدرت الدموع من عينيها فاثرت دموعها فيه تاثيراً هائلاً فقال لها ان رفضك لا يمنعني من خدمتك طوعاً او كرهاً فقالت له هذا الشان شانك ولا يهمني . فخرج نكلودوف . وحينئذٍ جلست كاتوشا في سجنها مبهوتة مطرقة الى الارض لانها ذكرت حينئذٍ الطبقة الاجتماعية العليا التي عاشت فيها في صباها ثم خرجت منها وهي تكرهها وتبغضها »

﴿ سوء الظن بجميع البشر ﴾ الصفحة ١٧٥ السطر ١٠ — « ولما علمت كاتوشا بالحكم عليها اخذت تفكر في مستقبلها . فقالت في نفسها انها لا تتزوج ابداً باحد من المجرمين في منفاها ولكنها ستتزوج بحارس او مفتش او كاتب . وكانت تقول انه من السهل استمالة كل اولئك الناس على شرط ان لا ينحل جسمها . اما اذا نحل وضعف فانها تفقد كل شيء . وحينئذٍ اخذت تذكر النظرات التي كان يوجهها اليها المحامون ورئيس المحكمة والقضاة انفسهم وكيف كان الناس في الطريق عند سيرها الى السجن يرمقونها بعيون طافحة بالرغبة »

﴿ الفساد في الهيئة الاجتماعية ودواؤه ﴾ وقال تولستوي في الصفحة ١٦٤ من كتابه مقيماً الحجة على الهيئة الاجتماعية بما خلاصته

« وحوكم في الجلسة التالية للجلسة التي ُحكم بها على كاتوشا فتى عمره ٢٠ سنة متهم بسرقة حزمة مكانس من احد الحوانيت . وبيان ذلك ان ابا هذا الولد ادخله الى معمل للخدمة فيه فاقام خمس سنوات في خدمته ولكن صاحب الحانوت طرده سيف ذات يوم مع جميع عماله لنزاع قام بينه وبينهم فلجأ هذا الشاب الى الازقة والحانات . فتعرف فيها بشاب سيء السيرة فعلمه السكر وانتياب اماكن الفساد ففسدت اخلاقه وساءت سيرته . ولم يسأل ابوه عنه لانه كان عاجزًا عن القيام باوده . فسكر الشاب ورفيقه في ذات يوم وكسروا في سكرهما باب حانوت واخذا منـه رزمة من المكانس فقبض البوليس عليهما وسجنهما فمات احدهما في السجن و بقي الثاني في اسوإ حال . وقد اعترف الشاب بذنبه امام القضاة اثناء المحاكمة . فطلبت النيابة اعتبار ذنبه جناية والحكم عليه . فقال نكلودوف احد القضاة المحلفين في نفسه

« لا ريب ان عمل هذا الشاب خطر على الهيئة الاجتماعية . ولكن ما قولنا عن جميع قضاته . ما قولي عن نفسي مثلاً انا الفاسد السريرة المرائي الكاذب الفاسق الذي ُجعلت قاضيًا للحكم عليه . واذا افترضنا ان هذا الشاب هو بين الموجودين في هذه القاعة قاعة المحاكمة الرجل الوحيد الذي في وجوده خطر على الهيئة الاجتماعية فماذا يجب ان نصنع به وماذا يصنعون به . انهم يأخذونه ويضعونه بين المساكين الاشقياء الذين يحرمونهم من حريتهم في السجون و يعلمونهم فيها البطالة والرذيلة وفساد الاخلاق . فيزيدون بذلك فساده فسادًا . وقد كان يجب استئصال الشر من اصله وذلك لا يتم الا بمنع الهيئة الاجتماعية من ان توجد اناسًا كهؤلاء . فهل تسعى الهيئة في ذلك . معاذ الله بل انها تسعى في زيادة الشر وذلك بادخال الناس في المعامل والمصانع والحانات واماكن الفساد . واذا وضعت يدها اتفاقًا على شخص واحد من الاشقياء سجنته وهي تظن انها انقذت نفسها من الخطر غير عالمة انها تترك الوفًا والوف الوف غيره يعيثون في الارض و يمرحون

« وماذا جرى لو ان هذا الشاب حين خروجه من معمل سيده جاءه رجل وقال له : لا تذهب يا فانيا الى هناك فانه مكان قبيح وتعالَ اليَّ وعش شريفًا بعملك وعرق جبينك عندي . لا بد انه كان قد اجتنب الحفرة التي وقع فيها . ولكن لم يأتِ احد اليه ليقول له ذلك القول . فسقط ذلك السقوط . بل لم يقل له احد في زمانه مثل هذا القول وانما سمعهم يقولون في المعمل ان راس الحكمة للشاب مخادعة الناس والسكر لمسرة النفس والمزاح والملاكمة واصطياد البنات . فعمل بهذه الحكمة التي تعلمها . ولما اتقنها جيء به بهيئة رسمية

الى جلسة رسمية جمعونا فيها نحن الاغنياء وطلبوا منا الحكم على هذا الرجل التعيس الذي هو اخونا والذي لم يسقط الا من قصورنا واهمالنا »

نقول وان هذا الكلام البليغ خير ما يقال في وجوب التعليم الالزامي والتربية الادبية الحقيقية

﴿ الارض لله لا للبشر وفلسفة تولستوي في ذلك ﴾ ولما انقشع حجاب العالم عن عيني نكلودوف بان له ان الثروة التي جمعها له ابوه ليست ملكاً حلالاً له لانها ماخوذة من الجمهور فضلاً عن انها لم تجمع كلها بطرق شريفة . ثم انه كان قد سمع بعذاب الفلاحين وشقائهم والصعوبة التي يجدونها في تحصيل قوتهم فعزم ان يؤجر بعضهم بعض اطيانه (اراضيه) باجرة قليلة جداً مساعدة لم فرضوا بذلك بعد ترددهم بسبب عدم تعودهم اياه فاجرهم نكلودوف اراضيه باجرة قليلة ولكنه بقي مع ذلك قلقاً منقبض النفس دون ان يدري لذلك سبباً . فعزم على زيارتهم في المزارع والقرى والحقول للوقوف على احوالهم فراى عندهم من الفقر والحاجة والشقاء ما يفتت القلوب وقد تجمهر الفلاحون عليه لمشاهدة هذا السيد الكبير الذي جاءهم لفحص معيشتهم والسؤال عن اكلهم وشربهم . فعاد نكلودوف من عندهم وهو يقول في نفسه « ان هؤلاء التعساء يموتون جوعاً وشقاء لانهم محرومون من الارض التي خُلقوا لها وخُلقت لهم . فانهم يحرثونها و يزرعونها وغيرهم يصدر محصولاتها الى الخارج و يأكل الخبز الذي اخرجوه بعرق جبينهم . الخيول ترعى في الحقول وتشبع واما هم فانهم لا يشبعون . وهم آخذون شيئاً فشيئاً في تعود الشقاء الذين هم فيه كما اننا اخذنا نحن نتعود التحكم فيهم واعتبار شقائهم ضرباً لازباً . وفي خلال ذلك ترى السياسيين والجرائد يتباحثون في اسباب شقاء الفلاحين ضاربين صفحاً عن السبب الحقيقي الذي هو حرمانهم من الارض التي يحتاجون اليها

« فثبت حينئذ لنكلدوف وجوب اعطاء الفلاح ارضاً ليعيش منها . وكم قد سمع ان فلاناً الفلاح مات طفله لعدم وجود لبن يرضعه منه . ولم يكن لديه لبن لانه لا يملك حقلاً ترعى فيه بقرته لتدر له لبناً

وحينئذ ذكر مبادئ « هنري جورج الاميركي » التي قاعدتها « لا يجب ان تكون الارض ملكاً لاحد من الافراد ولذلك لا يجوز بيعها وشراؤها كما انه لا يجوز بيع الهواء والماء ونور الشمس بل ان لجميع البشر حقاً فيها وفي الخيرات التي تخرج منها » فذكر عند

ذلك نكلودوف الانقباض الذي اصابه بعد تاجيره بعض اراضيه وعلم ان سببه هو استياؤه بالطبع اي من غير روية ولا تفكير من بيعه الفلاحين خيرات ارضه بثمن وعزم على هبتهم الارض هبة · فاستدعاهم وابلغهم الامر فلم يفهموا كلامه لغرابته واجابوه انهم يكتفون بان يقدم التقاوي لهم اذ جرت العادة في روسيا ان تكون التقاوي من الزارع نفسه · فقال لهم نكلودوف بل انني اهبكم اراضيَّ هبة · اسمعوا · اليست الارض كلها لله · فقالوا بلى قال فاذا كانت لله وجب ان لا تباع ولا تشرى · لانه اذا جاز بيعها استطاع الاغنياء احتكارها وحرموا غير الاغنياء منها · فقال الفلاحون اصبت اصبت ايها السيد · فقال نكلودوف ومع ذلك فان البشر حين بيعها او تاجيرها يطلبون مبلغاً وافرًا لا يقوم به ايراد الارض فعلامَ اذًا شراؤها لزراعتها · ومن اجل هذا عزمت على ان اهبكم جميع اراضيَّ. ولكن يجب قبل كل امر ان نتفق على طريقة الهبة · فقال احدهم الطريقة سهلة وهي ان نقسمها بيننا كلنا · فقال نكلودوف ولكن فيكم اناساً لا يزرعون او انهم يزرعون على نفقة اسيادهم فاذا وهبناهم اقساماً من الارض ذهبوا و باعوها للاغنياء فتعود الارض وتنحصر في ايدي هؤلاء · وفضلاً عن ذلك فان للزراع عيالاً فاذا ماتوا توزعت الارض على اولادهم بالارث وبذلك تنقسم فيضعف شانهم وتقوى ايدي الاغنياء على ايديهم · فقال بعض الحاضرين اصبت واحسنت · الا ان احدهم اعترض بقوله ولكننا نحرم على الفلاحين ان يبيعوا اراضيهم · فاجاب نكلودوف فمن يخبرنا انهم لا يبيعونها في السر و يبقونها في ايديهم لزراعتها لاسيادهم · هذا فضلاً عن ان قسمة الارض بين الناس بالسواء امر صعب جدًا · فقالوا لماذا · قال لان في الارض ارضاً جيدة وارضاً غير جيدة فاذا حدث التقسيم فمن ياخذ الجيدة ومن ياخذ غير الجيدة · لا بد ان ذلك يفضي الى النزاع والخلاف · فقال بعض الحاضرين نعم نعم ولا اقرب من الخلاف منا في هذه الامور · فقال نكلودوف فما مرَّ يتضح ان المسالة ليست سهلة الى الحد الذي كنتم تظنونه · ولسنا نحن وحدنا نفكر في هذه المسائل الهامة · فقد قام رجل اميركي يدعى جورج ورأى في هذا الشان رايًا استحسنه واوافق عليه وهو : ان الارض ملك للجمهور لا للفرد الواحد · وهي جنسان جنس جيد وجنس غير جيد · فكيف السبيل لقسمتها بالسواء بين جميع البشر · السبيل الى ذلك انه يجب على الذي يستغل الارض الجيدة ان يقسم الزيادة التي تحدث في حاصلاتها بينه و بين الزارع الذي يستغل الارض غير الجيدة · ولذلك طريقة اسهل من دفع المال · وهي ان يقرر ان كل رجل يستغل ارضاً يدفع الى الهيئة التي يعيش فيها رسماً

معلوماً · وهذا الرسم يكون كثيرًا للاراضي الجيدة وقليلاً للاراضي غير الجيدة · وبذلك تتم المساواة بين الجميع · اما اذا كان الرجل لا يستغل ارضاً فانه لا يدفع شيئاً

فابتهج الفلاحون بهذا الحل وكان احد اتباع نكلودوف حاضرًا فسأله واذا طلبت انا قسماً من الارض العمومية فاجابه انك تُعطى ما تطلبه لان لكل انسان حق الاشتراك في استغلال الارض واستخراج خيراتها

وهكذا صنع نكلودوف · فانه وهب اطيانه الواسعة للفلاحين كلها فسر الفلاحون بذلك اعظم سرور وكذلك سرّ نكلودوف وارتاح بعد ذلك الانقباض ارتياح مسافر اكتشف في سياحته بلادًا جديدة

وفي الحقيقة انه كان قد اكتشف امرًا جديدًا

✱ عدم فهم الناس هذه المبادئ ✱ وذهب نكلودوف لزيارة عمته الاميرة ليسألها متى يصدر العفو عن كاتوشا وعن امراة اخرى محكوم عليها · فاجابته عمته دع هؤلاء النهيليست وشانهم فقال نكلودوف ماذا تقولين ياعمتي اما انت مسيحية · الا تؤمنين بالانجيل · فكيف لا تشفقين على المراة التي اعنيها · فقالت عمته اي دخل للانجيل هنا ولماذا يتداخل هؤلاء البشر في ما لا يعنيهم · فقال نكلودوف انهم يسعون لمساعدة الشعب · فقالت عمته اننا لا نحتمل ان تتصدر فينا ابنة من الشعب لتعلمنا واجباتنا · فقال نكلودوف صدقيني ياعمتي ان الشعب محتاج الى المساعدة والاغاثة فانه يتعذب ويشقى · هو يعمل ويتعب ونحن الاغنياء نأكل في البطالة والترف الخبز الذي تصنعه يمينه · فصاحت عمته ماذا تطلب ماذا تطلب ·· اتريد ان اذهب انا الى النهر فاغسل فيه امتعتي بيدي ولا آكل الا من البطاطس ··· لا ريب انك قد اصبحت ابله ولا شك عندي انه سيسوء مصيرك ■

✱ الجرائد والطعن والمحاكم ✱ وفي ذات يوم شهد نكلودوف محاكمة مدير جريدة وسبب محاكمته ان جريدته نشرت مقالة تكشف فيها الغطاء عن اختلاس مدير احدى الشركات المالية العمومية · فسمع نكلودوف في اثناء المحاكمة امورًا غريبة · فانه في شرع العدل الصحيح كان يجب ان تبحث المحكمة هل ان هذا المدير مختلس ام لا · ولكنها ضربت صفحاً عن ذلك واخذت تبحث هل ان في تلك المقالة طعن وقذف في حق المدير

ام لا · ومقتضى ذلك ان مدير الجريدة قد يُحكم عليه وان كان مدير الشركة مختلساً · فاين الحقيقة هنا واين العدالة

﴿ الرذيلة وثوبها اللامع في الطبقات العليا ﴾ وبينما كان نكلودوف يسعى لاطلاق سراح كاتوشا لقي امرأة يعرفها تُدعى « ماريت » وهي من اسمى النساء مقاماً لانها متزوجة باحد الوزراء وكانت في غاية الجمال والبهاء فاخذت تحادثه وتُظهر الميل له · فثارت في نفس نكلودوف عوامل الحب · وكانت تنظر اليه في خلال الحديث نظرات خصوصية فكأن عينيها تقولان له « هل تستطيع ان تحبني » فتجيبها عينا نكلودوف في خلال الحديث ايضاً « نعم استطيع ذلك » الا ان نكلودوف ندم في اليوم التالي على افتكاره بالسوء · وكانت ماريت قد طلبت اليه ان يزورها لتطلعه على امر هام فذهب اليها فرآها في اجمل حلة وابهى زينة وهي مكشوفة الصدر والذراعين تحادثه طول الوقت دون ان تطلعه على الامر فعلم نكلودوف انها ما طلبته الا لتوقعه في شراكها فثارت في نفسه عوامل استحسانها واستقباحها معاً · استحسنها لجمالها الفتان ومنظرها البديع واستقبحها لما رآه تحت هذا الثوب اللامع من الفساد والرغبة في الرذيلة · فاغتنم فرصة وفرَّ من الغرفة التي كانت ماريت فيها · وفي خروجه ابصر امرأة جميلة واقفة تنظر اليه باسمة بعينين ملئها الرغبة تخرج من المنزل وهو يقول في نفسه ·

« بسمة هذه كبسمة تلك كلتاهما تفيدان معنى واحداً وتنطقان بلغة واحدة · ولافرق بينهما سوى ان هذه تتكلم بحرية وصراحة وتلك تراوغ بكلام منمق مزوق · الاولى تفصح عما في نفسها والثانية تكذب وتكتم ما في نفسها

« ما افظع الهوى الحيواني في الانسان واشده هولاً ولكنه يكون ضعيفاً لما يكون مكشوفاً فانه اذا كان مكشوفاً بقيتَ بعده كما كنتَ قبله سواء ثبت في وجهه وعصيته او جاريته واطعته اما اذا كان غير مكشوف بل مستتراً تحت ظواهر لامعه اذا كان يطلب منك ان تحترمه وتكرمه لاقامته في نفس نزع العلو والعظمة بدل ظهوره بمظهره الحقيقي من الحيوانية والوحشية فحينئذ تتغلب الحيوانية على الانسانية في نفسك وتصبح عاجزاً عن تمييز الخير من الشر والصلاح من الفساد قال نكلودوف ذلك ثم افتكر بالهيئة التي كان عائشاً فيها فعلم ان تحت ظواهرها البراقة واثوابها اللامعة رذائل وفظائع من اشد الرذائل والفظائع الحيوانية »

﴿ الاعتراض على المحاكم والقضاة ورأيه في العقاب ﴾ وذهب نكلودوف لزيارة شقيقته ناتالي زوجة البرنس اياس نيسفوروفيتش ليطلعها على ما عزم عليه من السفر الى سيبيريا والتزوج بكاتوشا وهبته اراضيه للفلاحين فجرى بينه وبين صهره اياس الحديث التالي . قال البرنس اياس الذي هو من رجال القضاة : لا تقل ان المحاكم تسجنها وهي بريئة حسب العادة فان المحاكم لا تسجن في العادة الا المجرمين . فقال نكلودوف اما انا فاري عكس ما تقول واني مقتنع بان نصف البشر الذين تحكم المحاكم عليهم هم ابرياء . فقال اياس ان العصمة لله وحده وقد يقع الخطأ في بعض الاحيان . فقال نكلودوف بل ان اكثر المحكوم عليهم اناس ابرياء . غير ان منهم من هم ابرياء من كل ذنب براءة حقيقية ومنهم من هم ابرياء لان الوسط الذي عاشوا فيه جعلهم يظنون ان الذنوب التي صنعوها ليست في الحقيقة ذنوباً . فقال البرنس اياس بغضب . لا تقل ذلك فان كل لص يعلم ان السرقة حرام ومع ذلك فانه يسرق . فاجاب نكلودوف وقد اخذ التاثر يظهر فيه . كلا ان اللص لا يعرف ان السرقة حرام ذلك لانه يرى سيده يسرق عمله ويتمتع بتعب جبينه ومستخدمي الحكومة ينهبون من كل جانب امواله . فماذا يفيد ان تقول له ان السرقة حرام والكل يسرقونه . فالتفت البرنس اياس الى نكلودوف وقال له بهدوء ورزانة . الا تعلم ان ما تقوله الآن يُدعى « فوضوية » . فاجاب نكلودوف لا يهمني اسم الامر الذي اقوله لانني لا اقول الا الواقع . فان ذلك الرجل يعلم ان المستخدمين يسرقونه واننا نحن الاغنياء نسرقه ايضاً اذ نستغل لمنفعتنا دون سوانا هذه الارض التي كان يجب ان تكون ملكاً شائعاً للجميع . ثم انه اذا خطر لذلك المسكين ان ياخذ من غير علمنا قضباناً من الاشجار التي تحتها ليضرم النار بها ويصطلي عليها قبضنا عليه وزججناه بالسجن . فقال البرنس وهل تنكر مبدأ الملكية الا ترى انه يجب ان يكون للارض مالك حر التصرف بها . وافترض انك قسمتها بالسواء على الجميع ألا تعلم انها تعود وتجتمع اقسامها في ايدي الذين هم اكثر نشاطاً واجتهاداً . فقال نكلودوف ومن قال لك انه يجب ان تُقسم . ان الارض لا يجوز بيعها ولا شراؤها . فقال البرنس ولكن البشر بلا مبداء الملكية يعودون الى الحالة الوحشية . فقال نكلودوف لا صحة لهذا القول بل بالعكس فان الناس ينتفعون حينئذٍ من الارض بدل بقاء خيراتها في بطنها بلا فائدة

فغضب صهر نكلودوف لهذا الكلام وغضب نكلودوف ايضاً فرأت شقيقته ان تغير الحديث فسالته عن امر البراز الذي حل فيه الفتى كامانسكي . وكانت هذه الحادثة

أكبر حوادث بطرسبرج في تلك الايام . فاسف انياس لانهم لا يعاملون الرجل الذي قتله في البراز معاملة القتلة . فساله نكلودوف وما الفائدة من ذلك فاجاب ان ذلك عدل فضحك نكلودوف وقال تقول ذلك كما لو كان العدل هو الغرض من الشرائع الموجودة الآن . فساله انياس مدهوشاً وماذا تزعم غرضها . فاجاب : غرضها ابقاء الحالة الحاضرة كما هي لمنفعة فريق قوي من البشر . فقال انياس بغضب لا يمكنني ان اسمع هذا الكلام لانني اعلم ان المحاكم انشأت لغرضين الاول لتقويم اعوجاج المجرمين . فضحك نكلودوف وقال ما شاء الله على هذا التقويم الذي يزيد المحجرنين في السجون اعوجاجاً . فاردف انياس بقوله اما الثاني فهو عزل المجرمين لمنعهم من الاضرار بالهيئة الاجتماعية لانهم خطر دائم عليها . فقال نكلودوف ساخطاً اما انا فارى ان المحاكم لا تؤدي الى هذا الغرض ولا الى ذاك . ولا يوجد في العالم سوى عقابين ناجعين . الاول السوط والثاني الاعدام . فقال البرنس انياس لم اكن انتظران اسمع منك كلاماً كهذا الكلام . فقال نكلودوف . اقول ذلك لانني اعتقد ان جلدك المذنب تجعله يشعر بالم ذنبه واعدامك المجرم تريح الهيئة الاجتماعية منه امران معقولان مقبولان . واما السجون ووضع البشر فيها ليعيشوا بين جدرانها في البطالة والفساد والقدوة السيئة فاية فائدة منها . لقد مرت قرون والمجرمون يُسجنون فهل قل عددهم . كلا بل كثر وزاد . وان قلتَ ان السجون اتقنت واحكم بناؤها وفرشها كانت اصلح حالاً واكثر تاثيرًا اجبتك ان الاموال الطائلة التي تُنفق عليها تذهب سدى . ولا شيء اكره اليّ من تلك السجون النظيفة المرتبة المنارة بالكهربائية والتي يُجلد فيها المجرمون بالكهربائية ويُعدمون بالكهربائية

❊ من هم كبار الناس ؟ ❊ واذ خبر نكلودوف شقاء الشعب ورأى تلك الالوف والملايين الذين يعيشون جياعاً عراة عطاشاً معذبين من الطبيعة ومن البشر جعل يقول في نفسه وهو بينهم : هؤلاء هم كبار الناس الحقيقيون . هذه هي الانسانية العظيمة الحقيقية . لا تلك الطبقات التي يسمونها عالية وما هي الا واطئة دنيئة تضحي كل شيء من اجل مصالحها وشهواتها

❊ الاضطراب السياسي في روسيا ❊ ولما كنا نطالع الكتاب كنا نطلب فيه بشوق لا مزيد عليه رأي الفيلسوف في الاضطراب السياسي في روسيا ومذهبه في المنفيين

السياسيين الى سيبيريا · وهذه خلاصته على لسان نكلودوف ايضاً

كان نكلودوف في بدء حركة الثورة في روسيا يجتنب القائمين بها و يستاء من اعمالهم · ولكنه لما خبر بعضهم ورأى المعاملة الهائلة التي يعاملون بها اصبح يميل اليهم · فانهم كانوا يصطادون جماعات جماعات كما يصطاد السمك بالشبكة ثم يطرحون في السجون سواء ماتوا او عاشوا · ولم يكونوا كلهم اشقياء كما انهم لم يكونوا كلهم ابطالاً وشهداء كما يقول بعضهم · بل انهم ثلاث فئات · فئة تكره الشر ولذلك تقاومه بكل قوتها · وهؤلاء هم الصالحون وفئة تنضم الى المقاومين لاذى اصابها او طلباً للشهرة او رغبة في الاذى · وهؤلاء هم اصحاب العقول المتوسطة والاشقياء · وفئة تنهض رغبة في العمل والمخاطرة بالنفس وتغيير المعيشة التي هي على وتيرة واحدة · وهؤلاء هم الشبان المقدمون الذين يكرهون السكون · وقد شعر نكلودوف منذ كان في ساحة الحرب انه من الفئة الثالثة

ولا نسهب في هذا الموضوع لان ذلك يقتضي مقالة على حدة

❊ عود الى لابسف واعتراف تولستوي بالقيصر ❊ وقد نقلنا في الجزء السابع الكتاب الغريب الذي كتبه لابسف الى تولستوي وذكرنا كيف ان تولستوي لخص هذا الكتاب ببعض تصرف في كتابه « البعث » الذي نحن في صدده · ونحن الآن نزيد على ما تقدم ذكره في ذلك العدد الكلام الآتي ماخوذاً من الكتاب المذكور

فلما قال الشيخ لسائق نكلودوف (لا لسائق نكلودوف كما ورد خطأ) الله هو ابي والارض هي امي اردف بقوله : و يسألونني عن القيصر الا تعترف به ؟ فاجيبهم لماذا لا اعترف به · فهو يملك من جهة وانا املك من جهة اخرى (يعني ان الانسان ملك في حد ذاته اذ ليس لاحد سلطان على نفسه) فسأله نكلودوف واين انت ذاهب الآن · فاجاب الشيخ الى حيث يرسلني الله · فانني اذهب لاعمل واذا لم اجد عملاً فانني اشحذ · فمد نكلودوف يده الى جيبه واخرج منها قطعة من النقود الفضية واومأ بها الى الشيخ فقال الشيخ · لا لا · انا لا آخذ من هذا · ولا اقبل غير الخبز · فقال نكلودوف · صفحاً اذا كنت قد اهنتك بتقدمتي · فقال الشيخ كلا لم تهني بل لا يقدر احد ان يهينني · ثم حمل الشيخ كيسه الذي كان على الارض وسار في طريقه

وبعد ايام زار نكلودوف السجن فوجد هذا الشيخ فيه وقد سجنوه بحجة انه من المشردين · فلما رآه الشيخ شخص في وجهه وصاح به · وانت ايضاً من عالم المسيح

الدجال الذين وضعوني في السجن . فاجاب نكلودوف كلا فانني زائر فقط . فقال الشيخ . اذن انت جئت لترى كيف يعذب المسيح الدجال البشر . فانظر كيف يصنع ذلك . انه يلقيهم في اماكن مقفلة الوفاً الوفاً و يطعمهم و يسقيهم بلا عمل كانهم خنازير وفي الحقيقة انه يجعلهم بذلك خنازير . فطلب انكليزي كان حاضراً ان يُسال ذلك الشيخ ماذا يجب اذن صنعه بمن يخالف الشريعة . فضحك الشيخ كثيراً ثم قال . الشريعة لا تقل شيئاً عن الشريعة . فان الانسان استولى على الارض قبل كل امر وسلب الجمهور خيراتهم وافنى كل مقدرة لهم على مقاومته ثم كتب الشريعة وقال فيها لا تقتل لا تسرق ولكن لماذا لم يكتب ذلك قبل ان يصنع بالارض ما صنع . فضحك الانكليزي لهذا الجواب وطلب ان يُسال الشيخ : اذن ماذا يصنعون باللصوص والقتلة . فاجاب الشيخ . قل له ان الهيئة الاجتماعية يجب ان تمحو عن جبينها ختم المسيح الدجال اولاً ومتى صنعت ذلك وجدت امامها من الاعمال ما يشغلها عن اللصوص والقتلة . فخرج الانكليزي ضاحكا وبقي الشيخ في السجن معربداً

﴿ خاتمة الكتاب وفيه نتيجته ﴾ وقد آن لنا الآن ان نبلغ خاتمة الكتاب فنقول لما صدر العفو عن كاتوشا وجاءته لتبلغه انه اصبح في حل من ذنبه لانه كفرَّ عنه وانها عزمت على الاقتران بالسجين الذي احبها كما تقدم الكلام هاج خاطر نكلودوف لانه صار يحبها . وفي ذلك اليوم نفسه مات لنكلودوف صديق اصطفاه من المسجونين في سيبيريا وكان يدعى « كريتزلوف » وهو شاب حميد الصفات كريم الاخلاق توفي بداء الصدر لسوء المعيشة في السجن . فلما تحقق نكلودوف هاتين المصيبتين ذهب الى غرفته حزيناً كئيباً

وهناك اخذ يتامل في امور الحياة وما حدث له في ايامه الاخيرة . فراى ان امره مع كاتوشا قد تم وانه لم يبقَ بها حاجة اليه فاستراح ضميره من هذا الوجه . ولكنه بقي متعباً من وجه آخر

ذلك انه ذكر ما شاهده في طريقه من الشقاء والجرائم والاحزان بين البشر فراى من واجباته ان يسعى لهدمها كلها وبذلك يكون قد مضى دور من عمره وجاء دور آخر وفيما هو يتامل في ذلك كان يسال نفسه « هل انا في الحقيقة مجنون حتى انني ارى الناس كما اراهم ام هم في الحقيقة مجانين فاراهم كذلك »

قال ذلك ثم القى بنفسه على مقعد وتناول « انجيلاً » كان قد اهداه اليه الانكليزي الذي تقدم ذكره وهو يقول : « يوجد اناس يزعمون ان الانسان يجد في هذا الكتاب جواباً لكل المسائل التي يطلبها . فلنجرب ذلك » ثم فتح الانجيل اتفاقاً فوجد امامه الاصحاح الثامن عشر من انجيل متى . فقرأ ما يلي :

١ في تلك الساعة تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين : فمن هو اعظم في ملكوت السموات

٢ فدعا يسوع اليه ولداً واقامه في وسطهم

٣ وقال . الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات

٤ فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات

فقال نكلودوف في نفسه وقد قطع القراءة « نعم . نعم . هذا امر حقيقي » ان الانسان لا يعرف لذة السلام وهناء الحياة الا اذا جعل نفسه صغيراً متواضعاً كالولد الصغير . ثم استانف المطالعة فقرأ ما يلي

٥ ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني

٦ ومن اعثر احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر

فترك نكلودوف القراءة هنا متاملاً وقال : ما معنى هذه الكلمة « من يقبل هؤلاء الاولاد » فانني لم افهمها . واي دخل لحجر الرحى والعنق وقعر البحر في هذا الموضوع . هذا لم يكتب لي . هذا بلا معنى لي . ثم قرا بعض آيات اخرى وجعل يقول في نفسه « يا لها من خسارة ان يكون ذلك غامضاً وغير مكتوب بوضوح تام . فانني اشعر بوجود شيء عظيم فيه ولكنني لا افهمه . ثم قرأ ما يلي

١١ لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك

١٢ ماذا تظنون . ان كان لانسان مئة خروف وضلّ واحد منها افلا يترك التسعة والتسعين على الجبال و يذهب يطلب الضالّ

١٣ وان اتفق ان يجده فالحق اقول لكم انه يفرح به اكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل

١٤ هكذا ليست مشيئة امام ابيكم الذي في السموات ان يهلك احد
هؤلاء الصغار .

ولما بلغ الى هذه الآية قال « لا شك ان الآب لا يريد ان يهلكوا ولكن ذلك لا يمنعهم ان يهلكوا مئات والوفاً . افما من سبيل الى انقاذهم

ثم استأنف القراءة

٢١ حينئذ تقدم اليه بطرس وقال . يارب كم مرة يخطىء اليَّ اخي وانا اغفر له
هل الى سبع مرات

٢٢ قال له يسوع لا اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات

٢٣ لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً اراد ان يحاسب عبيده

٢٤ فلما ابتدأ في المحاسبة قُدم اليه واحد مديون بعشرة الاف وزنة

٢٥ واذا لم يكن له ما يوفي امر سيده ان يباع هو وامراته واولاده وكل ماله
ويوفى دينه

٢٦ فخرَّ العبد وسجد له قائلاً . ياسيدي تمهل عليَّ فاوفيك الجميع

٢٧ فتحنن سيد ذلك العبد واطلقه وترك له الدين

٢٨ ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمئة
دينار . فامسكه واخذ بعنقه قائلاً اوفني ما عليك

٢٩ فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلاً تمهل عليَّ فاوفيك الجميع

٣٠ فلم يرد بل مضى والقاه في سجن حتى يوفي الدين

٣١ فلما راى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً واتوا وقصوا على سيدهم كل ماجرى

٣٢ فدعاه حينئذ سيده وقال له ايها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك
لانك طلبت اليَّ

٣٣ افما كان ينبغي انك انت ايضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك انا

ولكن نكلودوف ما وصل الى هنا حتى توقف بغتة واخذ يتامل و يقول في نفسه « هل هذا هو الجواب الذي اطلبه »

وحينئذٍ سمع صوتاً باطنياً يقول له « نعم هذا هو الجواب الذي تطلبه »

فحدث في داخله اذ ذاك ما يحدث عادةً في باطن كل انسان يرى بعض الامور غريبة

عجيبة ثمَّ يثبت له الاختبار صحتها فيستنير عقله بغتة و يعترف بصحتها . وهكذا جرى لنكلودوف فانه ادرك عند قراءة ذلك الكلام ان الدواء الوحيد الذي يمكن وجوده لمعالجة الشر الآن في العالم انما هو وجوب ان يعتبر كل واحد من البشر انه مديون لله بكل شيء ولذلك فليس له حق في ان يدين غيره و يعاقبه . لقد ادرك حينئذٍ ان كل الشر الذي رآه في السجون وفي الاماكن الاخرى مصدره واحد وهو ان البشر اصحاب الاخلاق الفاسدة يطلبون اصلاح اخلاق بعضهم البعض . فكيف يُرجى الصلاح من الفساد . الفساد لا يُنشئ الا الفساد . والناس الفاسدي الاخلاق يجعلون الناس فاسدي الاخلاق بالطبع بدلاً من ان يصلحوهم . ولا دواء لذلك غير جواب المسيح لبطرس وهو : اذا اخطأ اليك اخوك فاغفر له سبعين مرة سبع مرات

ثم اخذ نكلودوف يتامل و يقول اصحيح ان هذا الامر بسيط الى هذا الحد . وكان مقتنعاً كل الاقتناع بان السجون لا تؤثر في اصلاح شان البشر لانها تزيدهم فساداً فازداد اقتناعه الآن شدة فجعل يقول في نفسه « ان الهيئة الاجتماعية اذا كانت قائمة الآن فليس ذلك بقوة القضاة والحاكم بل لان البشر لا يزالون يحبون بعضهم بعضاً و يرفقون بعضهم ببعض »

ثم فتح الانجيل مرة ثانية لانه اخذ يشعر من نفسه بانجذاب جديد اليه فطلب خطبة المسيح على الجبل من اولها واخذ يقرأها . وكان يعتبر من قبل ان هذه الخطبة السامية التي هي اسمى قول خُطَّ على قرطاس انما هي مجموعة قواعد سامية سهلة لدى القول مستحيلة لدى العمل . اما الآن فانه رآها قواعد في غاية البساطة والجلاء ووجد انه لا اسهل من العمل بها . ووجد ايضاً ان البشر لو عملوا بها لنشأت هيئة اجتماعية جديدة خالية من كل ظلم وشقاء وشدة واتى على الارض ملكوت الله

وهذه القواعد تنحصر في المبادىء الخمسة التالية

(١) المبدأ الاول ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يقتل اخاه الانسان بل يجب ايضاً ان لا يغضب منه ولا يشكوه ولا يحتقره واذا خاصم انساناً فيجب عليه ان يصالحه قبل ان يقدم قرباناً لله اي قبل ان يتحد مع الله بالصلاة القلبية

(٢) المبدأ الثاني ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يستسلم الى شهواته وان لا يدنس جمال المرأة بجعلها آلة للذته الخشنة بل يجب عليه ايضاً اذا تزوج بامرأة ان لا ينفصل عنها مدة حياته

(٣) المبدأ الثالث انه يجب على الانسان ان لا يحلف بانه يصنع كذا او يهب كذا فانه لا يملك نفسه ولا اي شيء في هذا الوجود

(٤) المبدا الرابع ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يطلب عقاب العين بالعين والسن بالسن بل يجب عليه اذا ضربوه على خدّ ان يدير لهم الخدّ الثاني وان يصفح عن مهينيه ويحتمل الاهانة بصبر جميل وان لا يرفض شيئاً مما يطلبه منه البشر اخوته

(٥) المبدا الخامس ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يبغض اعداءه ولا يقاومهم بل يجب عليه ايضاً ان يحبهم و يساعدهم و يخدمهم

هذه هي المبادىء الخمسة . وكان نكلودوف يفكر فيها وهو ملقى على المقعد يتامل و بقي ساهراً طول ذلك الليل وهو يطالع الانجيل فقراه كله من اوله الى آخره . وكان يشعر بارتياح عظيم وهو يقراه لانه كان يفهمه حق فهمه . وقد قال في نفسه « كنت اشعر في نفسي بهذه المبادىء فاحسبها خطا اما الآن فانني اؤمن بها وارى انها الحقيقة بعينها » ذلك ان الاختبار الذي اختبره في مصائب الناس رفع الغطاء عن بصره

وقد راى نكلودوف في الانجيل مثلاً منطبقاً اشد انطباق على ما نحن في صدده . وهو مثل الكرامين . فان الكرامين حسبوا ان الارض التي اعطوها ليحرثوها و يزرعوها هي ملكهم لا ملك سيدهم ولذلك صاروا يقتلون كل من يجيء ليذكرهم بواجباتهم نحو سيدهم . قال نكلودوف : وهكذا يصنع البشر الآن على الارض . فاننا نحسب ان حياتنا لنا واننا ما اعطينا اياها الا لنتلذذ بها . وهذا قول فاسد وعقيدة حمقاء . ان الانسان لم يات باختياره ومن تلقاء نفسه الى هذا العالم بل ان هنالك قوة ارسلته اليه لغرض ما . اما نحن فاننا نسينا هذه الاولية واخذنا نتصور اننا لم نعط الحياة الا لنتمتع بها . فهل من الغرابة بعد ذلك اذا اصبحنا تعساء اشقياء . اليس ذلك لاننا اعتبرنا الحقل ملكنا وخالفنا ارادة سيدنا

اما ارادة سيدنا فهي في هذا الكتاب . هذا الكتاب الذي يقول اطلبوا ملكوت الله وما بقي فيعطى لكم حالة كوننا لا نطلب اولاً الا « ما بقي » فهل من الغرابة ان لا نحصل عليه

كذلك كانت حياتي . ولكن هذه الحياة قد انتهت وابتدات الآن حياة جديدة

ختام المقالة

وهنا اوقف تولستوي قلمه ووعد القراء بتفصيل الحياة الجديدة التي قضاها نكلودوف

بعد ذلك. حياة مملوءة بصنع الخير وانكار الذات وخدمة الانسان من اي جنس واي دين كان . ولا يزال قراء تولستوي الذين يعدون بالملايين لان فيهم الروس وغير الروس في العالم كله ينتظرون بصبر فارغ صدور تتمة هذا الكتاب الجليل

هذا ولا يسعنا قبل الختام الا ان نذكر ثلاث ملاحظات لتكون تتمة للكلام الاولى ان تولستوي في كل ما قاله وانتقده لم يخصص الهيئة الاجتماعية الروسية لانه لا يجهل ان في جميع بلاد العالم ما في روسيا من المظالم والشرور والآثام وانما هو يحارب الشر على الاطلاق ويحتج على المجتمع البشري كله . والملاحظة الثانية انه لا يصح نسبة كل ما جاء في هذا الكتاب الى تولستوي واعتباره رأياً له راسخاً في نفسه يجوز الرد عليه اذا كان احد يتطاول لان يواجه هذا الفيلسوف العظيم برد ظاهراً او مضمراً. لان اكثر ما في الكتاب وارد على السنة الاشخاص الذين تخيلهم فلا يجب ان يعزى اليه الا ما جاء عن لسانه . والملاحظة الثالثة انه لا يفهم فلسفة تولستوي الا كل من منحه الله فكراً سليماً وقلباً نقياً وعقلاً نيراً منزهاً عن الخرافات والاوهام . ولكن فهمها لا يوجب الاشتراك فيها كلها

وفي ختام هذا المقال يجب علينا شكر موحيه الفيلسوف تولستوي لثلاثة اسباب . الاول لان كتابه جعلنا نكتب في الجامعة هذه المقالة التي هي مع طول ذيلها احسن مقالة قرأها قراؤها الى الآن . والثاني لانه جعلنا مدة اعدادها وكتابتها نعيش معه بالفكر بضعة ايام في جوه السامي الرفيع فوق رذائل الهيئة الاجتماعية الحاضرة ورياء البشر ومظالمهم ودناءتهم وخزعبلاتهم . والثالث لانه جعلنا نتعلم طريقة مفيدة للجامعة وقرائها وهي تلخيص اطايب الكتب والمؤلفات الجليلة في مقالات على نحو هذه المقالة . ولا ريب ان ذلك يتعب كاتبها تعباً لا يجده في كتابة عشر مقالات من غير نوعها غير انه يسرّ قارئها كثيراً وحسبنا رضى القراء وسرورهم مكافأة على اتعابنا . ولذلك نعاهدهم على ان ننحو هذا النحو في كثير من الكتب المفيدة . فيطالعون الكتاب الواحد في مقالة واحدة . وعلى الله الاتكال

رجل يحيي بلا معدة استخرج الدكتور جول بيكل في ستراسبورج المعدة من جسم رجل عمره ٣٨ سنة لمرض فيها فبقي الرجل حياً يأكل ويشرب ويروح ويجيء الى الآن فارسل الدكتور يطلع المجمع الطبي في باريز على هذه الغريبة

باب تدبير الصحة

مضار النقاب (القوال) ومنافعه

للنقاب (القوال) الذي تضعه النساء والفتيات على وجوههن فوائد · منها انه يزيدهن جمالاً لانه اذا كان ازرق اللون جعل وجه المرأة كقمر تجلله سحابة زرقاء · ومنها انه يمنع وصول ميكروبات الطرق الى وجهها لان الغبار اذا كان لا يصل الى قمر السماء فهو قد يصل الى اقمار الارض · على ان للنقاب ضرراً بازاء النفع · وهو انه يضعف العينين ويصيبهما باذى اذا كان النقاب سميكاً او اذا كانت خيوطه شديدة الالتحام بعضها ببعض لا تبقي فراغاً للنظر والهواء · ولذلك قال بعض اطباء العيون يسرني ان تضع النساء نقاباً لانه يضعف عيونهن

ولكن لا يفرحنّ طبيب العيون فان النساء اصبحن في مصر والشام يجتنبن النقاب السميك ولا يقل انهن يجتنبنه ليرين و يُرين فان النتيجة واحدة ··

رائحة الفم ونظافة الاسنان واهميتها

اغسل فمك كلما اكلت لان البخر (الرائحة الكريهة في الفم) قد يكون من قذارة الاسنان اذا لم يكن من سبب في المعدة · ولا تخرج الفضول التي تعلق بين اسنانك واضراسك بدبوس او بآلة معدنية فان ذلك يضر اللثة وانما اتخذ لذلك مسواكاً من الريش او قشة · ولكن لا تضع قشة غير نظيفة بفمك · وحسناً تصنع اذا كنت تجعل آخر لقمة تاكلها على الطعام قطعة من الخبز تسحقها جيداً باضراسك واسنانك ليعلق بها ما هنالك من الفضول · ولا تفرك اسنانك فركاً بمنديل لانك بذلك تزيل الاقذار من سطح الاسنان وتدخلها الى الشقوق التي بين بعضها البعض · وكل بتأنٍّ على المائدة وامضغ جيداً وافتكر دائماً انه اذا كانت المعدة عماد الصحة فالاسنان عماد المعدة

اصلاح الديباج او المخمل المجعد

لا تكوي الديباج او المخمل المجعد بمكواة رغبة في جعل خيوطه تستقيم بعد نومها وتجعدها ولا تغسليها بالماء فان ذلك يزيدها نوماً وتجعداً · وانما احمي قطعة حديد ثم رطبي

قطعة المخمل من قفاها لا من وجهها وضعيها فوق قطعة الحديد المحمية دون ان تمسها . فيخرج حينئذٍ بالحرارة الماء وتخرجه من وجه المخمل . فالبخار بخروجه يفصل الخيوط النائمة بعضها عن بعض ويجعلها مستقيمة

حفظ رائحة البنفسج

لحفظ رائحة ازهار البنفسج طريقة بسيطة . وهي ان تقطعي سوق الازهار بتانٍ وتضعي بعضاً منها بعد قطعها في زجاجة ثم تاخذين شيئاً من الملح الناعم فتضعينه طبقة في الزجاجة فوق الازهار ثم تضعين فوق طبقة الملح طبقة من الازهار . وهكذا حتى تمتلئ الزجاجة . ثم تسدينها سدًّا محكماً وتضعينها في مكان لا رطب ولا حار . وكلما اردت نشر رائحة البنفسج في غرفتك افتحي قليلاً هذه الزجاجة يتعطر الهواء من ريحها كأن البنفسج مقطوف لساعته

تحسين زيت البترول للانارة

تستطيع تحسين زيت البترول (زيت الكاز) بالقائك ملعقة ملح في البترول الذي في المصباح او بالقاء قبضة ملح في وعاء البترول الكبير (التنكة او الصفيحة) فيصبح البترول اكثر قابلية للاشتعال واشد نورًا واقل قابليته للانفجار في الوعاء

دواء لحرق الاصابع

اذا احترق اصبع لك فاحضر في الحال شيئاً من زيت الزيتون واغمسه به ثم رش فوق الزيت شيئاً من دقيق القمح (الطحين) واربط الجرح بعد ذلك ربطاً خفيفاً يقف الالم ويزول اثر الحرق

باب التقريظ والانتقاد

❊ الواسطة بين الخلق والحق ❊ اهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد كتاب « الواسطة بين الحق والخلق ويليه رفع الملام عن الائمة الاعلام » وكلاهما لشيخ الاسلام تقي الدين الامام ابي العباس احمد بن تيميه المتوفي في سنة ٧٢٨ هجرية وهو يطلب من ادارة المؤيد فنشكر لحضرة الاستاذ هديته

﴿ ايثار الحق على الخلق ﴾ استنسخت « شركة طبع الكتب العربية » هذا الكتاب من مكتبة الجامع الاموي بدمشق الشام واعتنت بتصحيحه كل الاعتناء ثم طبعته طبعاً حسناً على ورق جيد بحسب العادة التي جرت عليها في اصدار الكتب المفيدة التي تشتغل بنشرها . اما موضوع الكتاب فهو رد الخلافات الى المذهب الحق في اصول التوحيد وهو تاليف « ابي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني من مجتهدي القرن الثامن الهجري وقد اهدتنا الشركة نسخة منه فنشكر لها هديتها ونثني على ثباتها في نشر الكتب الجليلة

﴿ رواية وردة ﴾ ما كل الروايات التي يعربها المعربون وتقرظها الجرائد كهذه الرواية التاريخية الادبية التي عربها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد عن مؤلفها الدكتور جورج ابيروس الالماني . فانها تتضمن في سياق قصة لطيفة الاسلوب رشيقة العبارة وصف اخلاق المصريين القدماء وعاداتهم وهيئة حكومتهم واديانهم وسلطة كهنتهم عليهم مما تلذ مطالعته وتفيد . فنشكر لحضرة المعرب هذه التحفة التي اتحف بها قراء اللغة العربية والمأمول ان يشفعها بكتب اخرى من بابها فان الكتب الجدية المفيدة فائدة حقيقية في هذا الزمان لا يُرجى اخراجها الا من اقلام كتاب بفضله وطول باعه . وحسبنا ثناء على هذه الرواية اننا وضعناها على حدة لمطالعتها في اوقات الفرص بالامعان الذي هي جديرة به . وهي تطلب من ادارة جريدة المؤيد بسبعة غروش صاغ

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ شجرة تطرب للغناء ﴾

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

اطلعت في العدد الثامن من السنة الاولى على كلام لجناب الاديب نقولا افندي حداد في مقالة عنوانها الموسيقى وملخصه انه سمع بانه يوجد في جبال حمص (سوريا) نبات صغير شبيه بنبات الحناء ذي زهر اصفر يعلو عن الثرى نصف ذراع الى ذراعين واحياناً اكثر من ذلك وان من خواصه انه يتاثر تاثراً عجيباً من الاصوات الموسيقية فاذا

انشد منشد تحته بلحن الاصفهان تناثرت اوراقه طرباً الخ . والحقيقة ان ذلك النبات يوجد في جميع جهات فلسطين وسوريا وقد شاهدته مراراً عديدة واعرف عنه تقريباً كما اعرف عن الورد العادي ولكن من الغرابة ان يقال عنه انه يتاثر من لحن الاصفهان ولو انشد ذلك امامه كل الموسيقيين في العالم فان هذا امر عار عن الصحة

نعم ان لهذا النبات امراً يحق الالتفات . وهو انك اذا دنوت منه في ابان الزهر وهززته هزاً شديداً فانك لا ترى زهرة تسقط منه لاول مرة الا ما كان يابساً غير انك بعد دقيقة او دقيقتين ترى اكثر الزهر قد اخذ يتناثر على الثرى وذلك فقط من سبب الهز نفسه . وهو اذا انشدت بلحن الاصفهان عند الهز او لم تنشد فلا بد من تناثر الزهر . ولكنك اذا لم تنشد بلحن الاصفهان فقط بل بالحان داود ابي سليمان ولم تهز ذلك النبات فلا تسقط زهرة واحدة منه . وبما انكم قد طلبتم في ذلك العدد من قرائكم في هذه الجهات ايضاح الحقيقة فقد جئت بهذا البيان

حلب حبيب صبيحة

﴿ الجامعة ﴾ نشكركم على هذا البيان . اما سؤالكم عن مدرسة صيدلية في مصر لتعليم هذا الفن مجاناً فلا وجود لها في هذا القطر بل ان التعليم فيها باجرة كما في المدارس التي من نوعها . ومن كانت مدارس بيروت قريبة منه فلا يجب ان يفتكر بمدارس مصر

﴿ التنويم المغنطيسي ﴾

وروايتنا (نهضة الاسد ووثبة الاسد)

(اسيوط) السيد علي افندي مصطفى

استغربنا كل الاستغراب ما ورد في الصفحة ٩٠ من رواية نهضة الاسد في ترجمة فردريك انطوان مسمر المشهور بمبداه المغنطيسي وقد اقلق خواطرنا ما ذكرتموه فيها عن عجائب التنويم المغنطيسي فما هو تعليلها وما هي حقيقتها

﴿ الجامعة ﴾ لستم انتم وحدكم تعجبون من نتائج التنويم المغنطيسي بل جميع الناس يعجبون منها معكم ونحن في جملتهم . والتنويم ليس حقيقة ادبية او علمية حتى نبحث في مقدماتها ونتائجها وعللها ولكنه امر واقع لا تزال اسبابه مجهولة والواقع لا جدال فيه .

وقد روينا ما رويناه عن مسمر نقلاً عن ترجمة له من اوثق المصادر وقلنا في ختامها السطر ٢٤ ما ياتي « وبعض الناس يعزو الشعوذة الى مسمر بالرغم عن ثبوت فعل التنويم وذلك لعجزهم عن تعليله ولكن ليس ذلك من الحكمة في شيء اذ كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس يصح ان ينكرها لانه يجهلها » وكفى بذلك جواباً عن سؤالكم

على اننا مع ذلك نوجه انظاركم الى نقطة في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء مختصة بهذا الشان . فان ميباستيين ابن الدكتور جيلبار ربي دون ان يعرف امه او يراها ولكنه كان يتصورها وينظرها في احلامه واوقات ذهوله حتى انه ما وقع نظره عليها في المشهد المؤثر الموصوف هناك حتى عرفته وعرفها للحال وركض اليها مع ان اباه الدكتور جيلبار اختطفه منها ليلة ولادته . والمقصود من هذا القول الذي قاله مؤلف الرواية اثبات ان القلب البشري قد يصله وحيٌ عن طريق الدم بان هذا الشخص امك وذاك ابنك دون ان يسبق له معرفة به وهذا من قبيل غرائب النفس كالتنويم المغنطيسي . ولا ريب ان ديماس لما كتب ذلك كتبه كبيداء بسيكولوجي يوجه اليه الانظار ويذهب الى امكانه لان الروايات في الغرب دروس بسيكولوجية وادبية وسياسية ممزوجة بالفكاهة خلافاً لما عندنا من سوء حظنا

والخلاصة ان التنويم المغنطيسي امر مدهش وعجيب . ولكنه امر واقع لا نستطيع الآن انكاره كما اننا لا نستطيع تعليله بشهادة العلماء الذين هم شهود عدول لانهم رأوا باعينهم وسمعوا باذانهم ولم يقم احد لتكذيبهم

باب الاخبار العلمية

المريخ وآراء العلماء

ما شاع خبر الفلكي دوكلاس الذي ذكرناه في مقالة « سكان الارض والسماء » في هذا الجزء وفحواه ان اهالي المريخ بعثوا باشارة الى الارض حتى قام العالم تقولا تسلا الشهير يقول انه متحقق انه سيصنع آلة قوية قادرة على ارسال رسالة كهربائية الى المريخ ولكنه حائر في اللغة التي يرسل هذه الرسالة بها لانه يجهل لغة المريخيين . وهو لا يشك مطلقاً في ان المريخ مأهول . اما مناظره المستر اديسون الاميركي الشهير فانه قال جواباً على

سؤال بهذا الشان « ان عمله لا يتجاوز جبال حملايا » اي انه يبحث في الارض لا في السماء · وقد روت الجرائد الاوربية عن تقولا تسلا انه كان في هذا الشهر يجرب ارسال مجرى كهربائي الى المريخ على احدى قمم الجبال العالية واذا باشارات ترتسم على مرآته فقال انها واردة من المريخ · غيران هذا الخبر لم تثبته المجلات العلمية المهمة

واما الفلكي السير وليم بيل الانكليزي فانه خطب في هذا الموضوع بعد ظهور خبر الفلكي دوكلاس في لندن فقال انه يستحيل على سكان الارض ان يرسلوا رسالة الى المريخ ويستحيل على سكان المريخ ان يرسلوا رسالة الى الارض لان اكبر الاشياء في المريخ وفي الارض لا تظهر بعضها لبعض في اكبر المكبرات الا نقطة سوداء صغيرة لما بينهما من البعد الشاسع (انظر الصفحة ٥١٨) · فعاد المستر تسلا واكد بعد هذه الخطبة انه سيخاطب في السنة القادمة سكان المريخ

وقد القى الفلكي الفرنسوي كاميل فلامريون الشهير خطبة بهذا الموضوع في احدى جلسات المجمع العلمي الفرنسوي في باريز بعد ورود خبر دوكلاس فغصت القاعة بالحاضرين لسماع اقواله في هذا الشان حتى اضطروا الى اقفال الباب دون القادمين · وهذه هي المرة الاولى التي جرى مثل ذلك في قاعة المجمع · فاكد المسيو فلامريون في خطبته ان المريخ ماهول · وان تمدن سكانه ارقى من تمدننا · اولاً لان كل هيئته الخارجية تدل على ذلك وثانياً لان المريخ سابق ارضنا في الانفصال عن الشمس وكتلتها حين التكوين الاول · وبما انه سبقنا في الانفصال فالحياة وجدت فيه قبل وجود الحياة في ارضنا لان قشرته بردت قبل قشرة ارضنا · وبناء عليه يكون قد انقضى على عمرانه وقت اطول من الوقت الذي انقضى علينا فعمرانه بالتالي ارقى من عمراننا

ولكنه قال انه لا يبعد ان يكون النور الذي رآه دوكلاس نور منعكس عن غيوم في جو المريخ لان المريخ اذا احتجب عنا فانه لا يحتجب ابداً بالغيوم التي في جوه وانما بالغيوم التي في جونا · وفي اثناء ذلك ارى فلامريون سامعيه بالنور الكبربائي على جدران القاعة مناظر من المناظر التي يذهبون الى وجودها في المريخ ومنها الاقنية الهندسية البديعة التي يرونها بالمكبرات والتي يقولون ان اهالي المريخ حفروها لصرف مياه الثلج الذائب اليها ولري مزروعاتهم ريًا في غاية الاتقان منها

هذا مجمل ما وقفنا عليه من آراء العلماء في هذا الموضوع بعد كتابة ما تقدم في الصفحة ٥١٨ من هذا الجزء

تاريخ الاسبوعين

✻عيد الجلوس الخديوي ومظاهرة وطنية كبرى✻ احتفلت الامة المصرية في هذا العام بعيد الجلوس الخديوي احتفالاً لم يسبق له مثيل في مصر

واكبر مظاهرة كانت في الحفلات البهيجة التي حدثت في حديقة الازبكية والاوبره الخديوية مظاهرة اهداء وسام ذهبي الى سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم ولي العهد · فقد تألف وفد من سكان مصر على اختلاف اجناسهم وفيهم الوطنيون والسوريون والاجانب والارمن تتقدمهم لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي ورفعوا الى الجناب العالي الوسام الذهبي الذي ضربوه ليكون الوسام الاول الذي يضعه شعب مصر على صدر ولي عهده · فقبل الجناب الخديوي هذا الوسام برسم نجله الكريم

وبالجملة فان الحفلات التي اقيمت في هذا العيد دليل ناصع على تعلق القلوب بحب الجناب الخديوي اعزه الله وازدياد الامة ميلاً الى سموه على ممر السنين والاعوام ·

الحوادث الخارجية — كأن حرب الترنسفال عادت من اولها · فان البوير دخلوا الى مستعمرة الكاب واستثاروا بعض الهولانديين فيها فاعلنت حكومة الكاب الاحكام العرفية في كل الاقاليم وبعث اللورد كتشنر الذي خلف اللورد روبرتس في القيادة العامة يطلب مدداً جديداً ولا سيما من الفرسان فكثر الخوف في انكلترا من مصير هذه الحرب ولعل ذلك هو الامر الذي احزن جلالة الملكة فيكتوريا فاعتلت صحتها على اثره حتى توفاها الله الى رحمته كما سنفصل ذلك في الجزء القادم

✻وفيات✻ اتصل بنا والجامعة تحت الطبع خبر وفاة المغفور له السيد غفرئيل مطران بيروت ولبنان للروم الارثوذكس ووفاة شاب من اعزاء الجامعة ومحبيها في اسكلة طرابلس الشام وهو المأسوف عليه الشاب الاديب ميشل حكيم · فضاق نطاق المجلة عن بيان حزننا واسفنا لهاتين الفاجعتين

✻تنبيه✻ نوجه الانظار الى اعلان في ظهر المجلة عن يانصيب المشتركين في الجامعة

ثم طلب من المركيز ان ينتظره في القاعة فذهب المركيز في سبيله فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال له سألتني ماذا يحدث لهذا الرجل فهل تعرف ساحة «الاعتصاب» في المدينة . قال اعرفها . قال فاذهب اليها في ذلك اليوم الذي يشنقونه فيها

فدهش الدكتور لهذا الكلام . اما كاليوسترو فمدّ اليه يده مصافحاً ثم اراه كيف يضغط على الزر ليفتح الباب متى اراد الدخول الى القصر وبعد ذلك عاد الى حيث كان ينتظره ضيفه فخرج جيلبار غير مصدق ما سمعه ولكنه مبهوت وغائص في بحار الافكار

الفصل الرابع

﴿الملك في باريز﴾

وكان الملك في اثناء هذه الحوادث سائرًا في موكبه مع الملكة الى باريز والشعب حوله يحمل على رؤوس الحراب قطعاً من الخبز عاد بها من فرساليا وذلك لقلة الخبز في باريز بسبب المجاعة

فاتفق ان ولي العهد الذي تحمله الملكة امه في المركبة قد جاع فطلب من امه كسرة خبز . فنظرت الملكة يميناً وشمالاً مفتشة عن الدكتور جيلبار لتطلب منه ان يأتيها بكسرة خبز لولدها . ولكن جيلبار كان في قصر كاليوسترو . فلما لم تجده الملكة سكتت ولم تطلب خبزًا من احد الرجال الذين كانوا امامها . اما الولد فلم يسكت بل اعاد طلبه الخبز من امه . فقالت له الملكة لا يوجد لدينا الآن خبز يابني فاشار الغلام الى الخبز الذي كان على رؤوس الحراب . فقالت له الام هذا الخبز لحامليه لا لنا وقد جاؤوا به من فرساليا اذ ليس لديهم خبز في باريز . فانتبه الولد وقال فهل كانوا يبيتون بلا أكل قبل ذهابهم الى فرساليا فاجابت الملكة ذلك ليس يبعيد لان الخبز قليل في باريز . فالوى ولي العهد راسه وتنهد شفقة عليهم ثم سكت عن طلب الخبز واغمض عينيه طلباً للنوم

فما احسن هذه العواطف من هذا الولد الصغير وما اتعس هذا الشهيد الذي مات بعد ذلك وهو يطلب خبزًا ليسدّ به رمقه

ثم استمر الموكب سائرًا حتى وصلوا الى مدخل المدينة فوقفوا عند الحواجز للاحتفال بدخول الملك فرقصوا وانشدوا واطلقوا بنادقهم في الفضاء مرة واحدة اطلاقاً ارعب ولي العهد واخته الصغيرة فبكيا ونسيا من الخوف الخبز والجوع

وفي اثناء ذلك وقع نظر الملكة على خادمها و يبر النمساوي الذي جاء معها من النمسا فامرته ان يسبقها الى قصر التويلري و يعد لهم طعاماً ومكاناً للمبيت

وقد قالت له هذا القول باللغة الالمانية . وكان الملك يفهم الالمانية ولكنه لا يحسن النطق بها فاجابها باللغة الانكليزية . احسنت بهذا الامر ايتها السيدة

اما الشعب فانه سمع كلام الملك والملكة ولكنه لم يفهم شيئاً من اللغة الاجنبية فسخط واخذ يغضب على الملك والملكة

ثم ظلوا سائرين حتى وصلوا الى قصر المجلس البلدي فاستقبلهم بالي محافظ المدينة ورحب بالملك فاجابه الملك بقوله « انني كلما قدمت الى باريز قدمت اليها بسرور واثقاً بسكانها » غير ان الملك قال هذا القول بصوت ضعيف من التعب والكلل فاخذ بالي يعيده للشعب حتى يسمعه فاعاده ولكنه اهمل قول الملك « واثقاً بسكانها » ولم يقله للشعب فالتفتت الملكة اليه وقالت . نسيت كلمة يا حضرة المحافظ فان الملك لم يقل انه ياتي الى باريز بسرور فقط بل قال انه ياتي واثقاً بها و بسكانها ايضاً

فنظر اليها المحافظ ذلك الفلكي الذي كان يحسن القراءة في كواكب السماء ولا يعرف شيئاً من اصول القراءة في وجوه الناس ثم سكت . اما الملكة فانها صعدت الى العرش الذي نصبوه للملك في قصر المجلس البلدي وجلست عليه بجانب زوجها

وكان هذا العرش مكسوّاً بالمخمل والحرير ولكنه متقلقل متضعضع لوهن اجزائه وضعف تركيبه فكأنه عرش لويس السادس عشر الحقيقي

وفي الساعة العاشرة مساء اتم الملك زيارته القصر المجلس البلدي وقصد قصر التويلري للنزول فيه . فدخله هو والملكة وانجالهما ومدام اليزابت والكونتس اندري

فوجد الملك كل شيء معدّاً في القصر ولاسيما طعامه فابتهج واثنى على و يبر لانه كان محباً للطعام كما تقدم ثم جلس الى المائدة واخذ ياكل متلذذاً

اما الملكة فانها علمت من نظرها الى المائدة انهم لم يضعوا صحفة للكونتس اندري اذ لا يجوز ان ياكل احد على مائدة الملك من غير اذنه فالتفتت الى الملك وسالته . الا تامر جلالتك بان يوضع على المائدة صحفة للكونتس اندري . فالتفت الملك مدهوشاً وقال . كيف لم يضعوا لها صحفة . نحن الآن ناكل كعائلة واحدة وهي من العائلة . ثم قال . ضعوا صحفة للكونتس

فالتفتت الكونتس الى الملك وقالت هل تامر في جلالتكم بالاكل امراً . فقال الملك

كلا لا آمرك امراً فقالت اندري فانا اذن غير قادرة على الاكل يا ذا الجلال

ففتح الملك عينيه مدهوشاً من ان شخصاً يتعب طول النهار ثم يقول انه غير قابل للاكل وقال لها . كيف لا تاكلين ايتها الكونتس مع ما عانيته من التعب والسفر . فقالت الملكة وانا ايضاً لست جائعة . فقالت مدام اليزابت ولا انا ايضاً . فزادت دهشة الملك من اناس يتعبون طول النهار ولا ياكلون ثم قال اذا كانت الكونتس غير جائعة فلا ريب انها تعبة فاعدوا لها غرفتها . فقالت الكونتس يعدون لي غرفة . كلا فانني اعرف ان المكان ضيق وكرسي واحد يكفيني للنوم . فقال و يبر انهم لم يجدوا سوى غرفة واحدة خالية فاعدوها للكونتس دي شارني

غير ان و يبر لم يقل هذا القول حتى اهتزت له الملكة . ذلك لانها علمت انهم اذا كانوا لم يجدوا سوى غرفة فارغة للكونتس فان هذه الغرفة ستكون لها وللكونت زوجها . اما اندري فانها لم يفتها اهتزاز الملكة بل لم يكن يفت كلاً من هاتين المرأتين شيء من حركات وسكنات رفيقتها

و بعد هنيهة انحنت اندري باحترام امام الملك والملكة ومدام اليزابت ثم سارت الى غرفتها . ولما شبع ولي العهد واخته نهضت الملكة وسارت بهما لتنيمهما . اما مدام اليزابت فبقيت في خدمة الملك

وكانت الغرفة التي جعلوها لاندري محاذية لغرفة الملكة وغرفة ولديها فدخلت الملكة الى غرفتها وما استقربها المقام حتى غمضت عينا ولي العهد ونام فدخلت به امه الى فراشه والقته عليه بتأن وهدوء ثم نزعت ملابس ابنتها وانامتها

ولكن الابنة قبل ان تنام جثت بازاء سريرها واخذت تصلي بسكون وسكوت . ثم نهضت فسالتها الملكة ما لك ابطأت في صلاتك يا تريزه هذه المرة . فقالت الفتاة . رايت ان اخي نام من غير ان يصلي فقلت صلاتي ثم اردفتها بصلاته لكي لا ينقص شيء من المطالب التي نطلبها كل يوم من الله للملك ابي

الفصل الخامس

﴿ الشمعات الاربع ورمز مخيف ﴾

وبعد ان نامت الفتاة وضعت امها على جبينها قبلة خفيفة وغطت جسمها لئلا تؤثر فيه رطوبة هواء الليل ثم خرجت بهدوء من غرفة الولدين الى غرفتها

وكان يوجد في وسط هذه الغرفة مائدة عليها شمعدان فيه اربع شمعات موقدة ٠ وهذا الشمعدان موضوع على بساط احمر شديد الاحمرار فجلست الملكة على كرسي بازاء هذه المائدة واخذت تفكر باحوالها

فاستعادت في ذهنها حوادثها الماضية فرات انها ولدت في ٢ نوفمبر سنة ١٧٥٥ وهو اليوم الذي زلزلت فيه الارض في ليشبونه زلزالاً هائلاً قتل فيه اكثر من ٥٠ الف شخص وانهدمت فيه مائتا كنيسة

ثم ذكرت ان اول مكان نزلت فيه في فرنسا حين زيارتها ستوسبورج كان مكاناً مفروشاً ببساط عليه رسوم هائلة تمثل « مذابح الابرياء » وقد اكثرت في تلك الليلة من التامل في هذه الرسوم حتى خيل لها على النور الضئيل ان ما كانت تراه هو حقيقة لا رسم وان تلك الصور اشخاص تُقتل وتُسفك دماؤها هدرًا فصاحت مذعورة واستغاثت ثم سافرت من تلك الغرفة قبل طلوع الصباح

وذكرت ايضاً انها وهي قادمة من هذه المدينة الى باريز لقيت في قصر تافرناي كاليوسترو الرجل المخيف فاثر عليها تاثيرًا هائلاً اذ اراها في زجاجة ماء آلة مخيفة تنثر الرؤوس البشرية بسهولة عظيمة ٠ فبقي في قلبها خوف هذا الرجل

ثم ذكرت انها لما وصلت الى فرساليا ووضعت قدمها على بلاط القصر الملوكي لمع الرعد في الفضاء عن يسارها لمعة هائلة اخافت الواقفين حولها وفي جملتهم المرشال دي ريشليه ثم انقضت صاعقة عظيمة فهز المرشال راسه وقال « ليست هذه العلامة علامة خير »

ذكرت الملكة كل ذلك وهي تنظر الى الديباجة الحمراء التي كانت تغطي المائدة التي عليها الشمعدان فاشتعلت تصوراتها وحسبت انها تنظر الى بركة من الدماء ٠ واذا بها ترى على حين بغتة ان احدى الشمعات الاربع الموقدة في الشمعدان قد انطفأت من نفسها ولم يكن يوجد في الغرفة مجرى هواء فعجبت الملكة من هذا الانطفاء ولكنها لم تبال به

فبقيت غائصة في تاملاتها وافكارها في هدوء ذلك الليل وسكونه

وكانت عيناها شاخصتين الى الغطاء الاحمر الذي كانت تراه كبركة من الدماء · وبعد هنيهة رأت نور احدى الشمعات الثلاث قد اخذ يضطرب فرفعت اليه راسها · فرأت الشمعة الثانية قد تراوح نورها وامتد ثم انطفأ ايضاً

فاقشعر جلد الملكة ولبثت شاخصة بالدخان الذي كان ينبعث منها · واخذت تتساءل ما الذي يطفىء هذه الشمعات · فتصورت ان هذه الشمعات الاربع تمثل الملك والملكة وولديها · وكان هذا التصور قريباً من ذهنها في ذلك الزمان والشعب ثائر من كل جهة فجرى الدم بارداً في عروقها عند تصورها ذلك وانتفضت كما ينتفض عصفور بلله القطر · ولكنها ارادت ان تسكن بالها وتريح خاطرها فقالت في نفسها ان ما حدث قد حدث بالصدفة واي امر غريب في ان تنطفىء شمعتان بين اربع شمعات

على انها ما اتمت هذا التامل حتى دب المرض بالشمعة الثالثة وضعف نورها فذعرت الملكة هذه المرة وتراجعت وهي شاخصة الى الشمعة الضعيفة · فرأت ان نورها قد اخذ يستطيل ويندلع لسانه ثم يضعف ثم يستطيل ثم يضعف · وبعد ذلك تلاشى من نفسه وانطفأ

فنهضت الملكة حينئذٍ والخوف آخذ منها كل ماخذ وكادت تستغيث من الذعر والخوف · ولكن الشمعة الرابعة كانت لا تزال موقدة والنور مؤنس للوحشة فعادت وجلست وهي خافقة القلب مرتعدة الفرائص

وما كادت تستقر في كرسيها الا ونور الشمعة الرابعة قد انطفأ من نفسه على حين بغتة كأن جناح غراب الموت مسه فجأة فاطفأه وصار ظلام في الغرفة

فصرخت عند ذلك الملكة من اعماق صدرها ثم حاولت النهوض فسقطت على الارض مغمى عليها

وما كاد يخرج صوت الملكة من صدرها حتى انفتح باب غرفة الكونتس اندري ودخلت منه الكونتس بثوب النوم فرات على النور المنبعث من باب غرفتها جثة الملكة مطروحة على ارض الغرفة فبادرت اليها فحملتها باحترام وتانٍ والقتها على سريرها · ثم تناولت من جيبها زجاجة فيها ارواح منعشة ووضعتها على انف الملكة · ثم كررت هذا العمل فافاقت الملكة بعد بضع دقائق وقالت وهي تجهل ما تقول — رحماك انقذيني

فاجابت الكونتس اندري · جلالتك في امن وسلامة ياسيدتي فلا تخشي شرًا

فكأن صوت اندري قد نبه الملكة الى نفسها فرفعت راسها ولما ابصرت الكونتس قالت لها بهدوء شكرًا لك ايتها الكونتس . لا تتعبي بالعناية بي . اذهبي الى غرفتك ونامي براحة

فعلمت اندري ان الملكة تامرها بالذهاب قطعياً فنهضت وقالت انا ذاهبة ياسيدتي ولكنني لا انام بل ابقى ساهرة على راحة جلالتك

ثم خرجت تمشي بخطى ثقيلة هادئة كانها خطى التماثيل لو كانت التماثيل تمشي

الفصل السادس

﴿ سيباستيين جيلبار ﴾

وفي مساء اليوم الذي جرت فيه هذه الحادثة جرت حادثة اخرى في فيلله كوتريه اقلقت الخواطر في مدرسة الاب فورتيه . ذلك ان التلميذ سيباستيين ابن الدكتور جيلبار قد فقد من المدرسة

وقد فتشوا عنه في كل الضواحي وبحثوا في كل الاحراش فلم يجدوه فاستاء الاب فورتيه من هذا الامر لانه كان يعلم المسئولية التي عليه

اما سيباستيين ففراره سبب لا بدّ من ذكره . وهو انه سمع الاب فورتيه في ذات يوم يحادث كاهن القرية بشان ثورة العامة وهجومهم على قصر فرساليا فابلغ الاب فورتيه الكاهن انه قد تالف حزب جديد من انصار الملكية لمقاومة الثورة وسيبرز هذا الحزب قريباً ثم ابلغه تفاصيل حادثة فرساليا وذكر له عدد الجرحى والقتلى

فلما سمع سيباستيين ذلك وكان يسمعه اتفاقاً في زاوية والراهبان في شاغل عنه ثارت نفسه كلها واضطرب خوفاً من ان يكون ابوه قد قتل في جملة من قتلوا لانه كان لا يجهل مقامه في قصر الملك . فانتظر حتى جن الظلام فخرج سرًا من المدرسة وسار ركضاً الى قرية هرامونت

واذا ذكرنا هرامونت علمت انه سار لمشاهدة صاحبنا انج بيتو

الا ان الولد لم يجد بيتو في غرفته من سوء حظه فانتظره طويلاً فلم يأتِ . فجلس حينئذٍ على مائدة هناك واخذ قلماً ثم كتب الى بيتو كتاباً مطولاً اظهر له فيه مخاوفه وسبب عزمه على السفر الى باريز وبعد ذلك طوى الكتاب وتركه على المائدة ثم خرج من

الزرفة في نحو الساعة التاسعة مساء وانطلق مسرعاً على طريق باريز

ولم يدخل الخوف قلب هذا الولد من سفره منفرداً وحده في ظلام الليل البهيم لان الذي يكون ابن جيلبار واندري يكون رجلاً وهو في سن الصبي

وانما كان سيباستيين مستوحشاً لانه كان يجهل الطريق المؤدية الى باريز . ومما زاد وحشته انه ما صرف ساعة في السير السريع حتى وصل الى ملتقى طريقين مختلفتين كل واحدة منهما تؤدي الى بلد . فحار في امره لانه كان يجهل ايهما طريق باريز ولم يكن احد في الطريق ليسأله فجلس حزيناً كئيباً على حجر هناك

ولم يستقر به الجلوس حتى سمع سيباستيين اصوات حوافر خيل على الطريق فنهض الولد بثبات جاش ناظراً الى جهة الصوت فما لبث ان بان له فارسان واحد متقدم والثاني متاخر فلما وصلا اليه برز لهما سيباستيين الى وسط الطريق فمد الفارس الاول في الحال يده الى مسدسه فبادره سيباستيين بهذا الكلام

— عفواً ياسيدي فانني لست لصاً وانما انا ولد قاصد باريز وقد تهت عن الطريق فهل لك ان تدلني اليها

وقد قال سيباستيين هذا القول برصانة وقوة اثرتا في نفس الرجل المخاطب . فادنى منه فرسه واجابه ما الذي اضلك يابني نحن قاصدون باريز مثلك فاسلك الطريق التي نسلكها

فاجاب سيباستيين شكراً لك ياسيدي وذهب في السبيل الذي دله الرجل عليه

ولكن لم يخطُ سيباستيين خطوتين حتى قال الفارس الثاني للاول — اما عرفت هذا الولد ياسيدي ايزيدور فانه سيباستيين ابن الدكتور جيلبار الذي كنا نشاهده احياناً مع كاترين . فاجاب الفارس الاول اصبتَ اصبتَ وقد عرفته الآن ثم نادى . سيباستيين سيباستيين . فوقف الولد وعاد راجعاً وقال . نعم عرفتك ياسيو ايزيدور وانني اعيد لك شكري . فدنا ايزيدور منه وقال له وماذا انت ذاهب تصنع في باريز يابني . فاجاب الولد علمت ياسيدي ان الشعب هجم على قصر فرساليا وقتل بعض من فيه وقد خشيت على ابي فقصدت السفر الى باريز للتثبت من ذلك

فتنهد الفتى ايزيدور لما سمعه من ارتياب سيباستيين بقتل والده لانه هو كان يعلم ان اخاه قد قتل ولم يبقَ مجال للارتياب في مقتله . ثم قال لسيباستيين . ولكن الطريق طويلة يا ولدي والوقت ظلام فهل لك ان تركب وراء خادمي على جواده

فاجاب سيباستيين جواب من جُرح في عزة نفسه شكرًا لك ياسيدي

فشعر ايزيدور بانه جرح كبرياء الولد فقال بل لدي خاطر آخر اقرب من الاول وهو انني احب رفقتك وعادتك على الطريق فاركب ورائي على فرسي ومتى وصلنا الى المحطة الاولى اخذنا مركبة وسرنا في طريقنا

فرضي سيباستيين بهذا الامر فاردفه ايزيدور وراءه ثم سار الجوادان بالثلاثة يخبان خباً على طريق باريز

الفصل السابع

الخيال العجيب حقيقة متجسمة

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي وصل ايزيدور وسيباستيين الى قصر التويلري في المركبة التي استاجراها من دامارتين

فعمدا الى القصر ليسألا الواحد عن اخيه الكونت دي شارني والثاني عن ابيه الدكتور جيلبار

وكان لا فاييت يشدد حراسة الملك ولذلك كان النفوذ الى القصر امرًا صعباً جدًا ولكنه كان سهلاً لايزيدور دي شارني اذ يكفي للاذن له بالدخول ان يذكر اسم عائلته

ولما صعد ايزيدور وسيباستيين الى القصر ادخلهما احد الحراس الى غرفة للانتظار فيها فجلس سيباستيين على مقعد هناك واخذ ايزيدور يخطر في الغرفة ذهاباً واياباً

وبعد هنيهة قدم احد الحراس وابلغهما ان الكونت دي شارني في غرفة الملكة وان الملك مختلٍ باحد اطبائه فربما كان هذا الطبيب الدكتور جيلبار

فتنفس سيباستيين الصعداء لانه علم انه سيشاهد اباه سالماً بعد حين

وبعد بضع دقائق دخل حارس ثانٍ وقال . اين الفيكونت دي شارني فاجاب ايزيدور ها انذا . فقال الحارس ان جلالة الملكة قد امرت بان تذهب لمقابلة اخيك في غرفتها

فالتفت ايزيدور الى سيباستيين وساله ان ينتظره لانه سيعود بعد هنيهة ثم دخل وراء الحارس قاصدًا غرفة الملكة

فبقي سيباستيين وحده

والعادة انه اذا بقي سيباستين وحده تتراوح في دماغه جميع التصورات التي تصورها في

حياته وتعود اليه الخيالات التي علمنا امرها فيبقى ساعة او ساعتين مبهوتاً متاملاً غائصاً في بحار الافكار والخيالات . فحضرته هذه المرة الخيالات ايضاً فاستسلم اليها

فذكر رياض فيلله كوتربه واحراشها حيث كان يرى الرؤى التي يرتاح اليها . ذكر تطوافه في ذلك الخلاء العظيم تحت ظل الاشجار الباسقة ينشد الخيال البخاري الذي ينقلب بعد ذلك جسماً بشرياً . ذكر تلك المراة التي ما فتئ يراها في احلامه ورؤياه ويركض وراءها في الاحراش ويدعوها امه

فارتاحت نفس سيباستيين الى هذه الذكرى فلبث مبهوتاً غائصاً في افكاره كالعادة وهو يقول مردداً بين شفتيه . اماه . اماه

ولكن لم يحضر في ذهنه خيال تلك المراة التي كان يراها في الاحراش تركض امامه وهو يركض وراءها وما ردد قوله اماه اماه مرتين بين شفتيه حتى انفتح باب تجاهه وظهرت فيه تلك المراة نفسها

الا ان هذه المراة كانت هذه المرة حقيقة لا خيالاً

اي انها كانت من لحم ودم لا من بخار دماغي او وهم تصوري

وكان سيباستيين حين انفتاح هذا الباب ينظر اليه من غير قصد ولذلك فان المراة لما ظهرت في الباب اول ما وقع نظره وقع عليها

فاجفل سيباستيين ونهض مذعوراً وقد دبت في عروقه روح جديدة فجعل ينظر الى تلك المراة وقلبه يخفق خفقاناً شديداً

اما هذه المراة فانها خرجت من الباب بعظمة تحاكي عظمة الملكات ثم سارت مسرعة بقامة هيفاء مستقيمة كالرمح او كالالف وبهيئة تجعل في النفوس تاثيراً لا يزيله شيء

وقد اجتازت القاعة دون ان تنظر الى سيباستيين او تعلم بوجوده

فازداد سيباستيين التهاباً وحرقة . ولما خرجت من الباب الخارجي ثارت نفسه كلها وخشي ان تفلت من يده مع انه قد قضى سنوات طوالاً وهو يبحث عنها ويتلهب للوصول اليها

ولذلك وثب من الغرفة مقتفياً آثارها

اما المراة فكانت منقبضة النفس حزينة . فلما سمعت صوت اقدام وراءها اسرعت في المسير فراراً منها

فلما اسرعت هال سيباستيين اسراعها خوف ذهابها منه فصاح بها . مدام . مدام

فلما وقع هذا الصوت في اذني المراة ارتعدت فرائصها وظهر التاثر على جسمها فازدادت اسراعاً

فوثب سيباستيين من سلم غير السلم التي كانت تنزلها وصار يركض وراءها . غير ان المراة ما لبثت هنيهة ان وصلت الى مركبة هناك ففتحت بابها والقت نفسها فيها

ولكن سيباستيين لم يدعها تستقر في المركبة حتى وصل اليها قبل ان تقفل بابها فدنا منها وهو يلهث من التعب وعيناه تقدحان شرر الذكاء في وجهه ثم اخذ ذيل ثوبها وجعل يقبله ويقول . آه ياسيدتي . آه ياسيدتي

فالقت المراة عند ذلك نظرها الى وجه هذا الفتى الجميل الذي اخافها صوته وجعلها تفر من وجهه ثم قالت له بصوت يبدو فيه التاثر

ماذا تريد مني ايها الفتى ولماذا تركض ورائي

فاجاب سيباستيين اريد مشاهدتك وتقبيلك . ثم قال بصوت ضعيف كمن يهمس همساً . اريد ان ادعوك « امي »

فارتعدت هنا فرائص المراة لهذه الكلمة فصاحت صيحة خفيفة ثم مدت يديها اليه كأن وحياً نزل عليها فتناولته وعانقته والصقت شفتيها المرتجفتين المضطربتين على جبهته الملتهبة

ثم انها ضمته الى صدرها بقوة كانها خافت ان ياتي احد و ياخذه منها وجذبته الى المركبة بحركة عنيفة وصاحت بالسائق

— الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

فراحت المركبة في الشوارع كالبرق الخاطف

اما المراة فانها التفتت الى فتاها وسالته وماء الحنو الوالدي يترقرق في عينيها . ما اسمك . فاجاب اسمي سيباستيين . فعانقته وقالت تعالَ تعالَ ياسيباستيين الى قلبي

ثم انها استلقت على المركبة استلقاء من يكاد يغمى عليها وضمت سيباستيين الى صدرها وجعلت تقول وراسها بازاء راسه : ما هذا الذي اشعر به الآن يارباه . اهذا ما يسمونه السعادة

وكانت هذه المراة هي الكونتس اندري زوجة الكونت دي شارني

الفصل الثامن

﴿ منزل اندري ﴾

راينا ان اندري سارت بسياستين الى منزلها في شارع كوك هيرون ولذلك سبب لا بد من ذكره . فانه جرت العادة ان تقيم نساء الملكة في القصر الملكي لا في منازل خاصة فكيف انتقلت اندري الى منزل خاص

سبب ذلك ان اندري كانت تشعر بان مقامها في قصر الملك بجانب الملكة اصبح ثقيلاً عليها لما بينها وبين الملكة من العواطف المختلفة بشان زوجها الكونت دي شارني الذي تقدم لنا القول انه زوجها بالاسم والاكليل فقط ولكنه في الحقيقة ليس زوجاً لها . فلما اغمي على الملكة في ليلة الشمعات الاربع وابعدتها الملكة عنها على الوجه الذي مر ذكره زاد هذا الامر مقامها بجانب الملكة صعوبة على صعوبة فعزمت في تلك الليلة ان تترك قصر الملكة وتسكن وحدها

فلما طلع الصباح ارسلت احدى نسائها الى المنزل الذي ورثته من ابيها في شارع كوك هيرون وامرتها ان تعدّه لتقيم فيه . ولما اتمت الخادمة ذلك دخلت اندري على الملكة وابلغتها رغبتها في المعيشة وحدها للاهتمام بصحتها فلم تلح الملكة ببقائها عندها الا الحاح من تريد ان لا يقال انها قصرت في استبقائها فودعت اندري الملكة وخرجت ثائرة النفس من لدنها . وفي خروجها لقيت سياستيين في القاعة وجرى لها معه ما تقدم لنا تفصيله

فكأن سياستيين قد جاءها في حينه لانها لولا انفصالها عن الملكة واعدادها منزلها لما كان لها ان تبقيه عندها

ولما وصلت مركبة اندري الى هذا المنزل كانت اندري قد شبعت من سياستيين ضماً وتقبيلاً فوثبت الى الارض كالغزال النافر دون ان تنتظر السائق ليفتح لها باب المركبة ثم اخذت سياستيين بيده ودخلت به المنزل مسرعة

وكانت تقول في نفسها وهي داخلة . لقد عاد ولدي اليَّ . لقد سُرق في ليلة مظلمة من هذا المنزل نفسه والآن يعود اليه نفسه . وهو يعود اليه باعجوبة سماوية دون ان يدلني احد عليه او يدله احد عليَّ

ولما اغلقت اندري باب منزلها استسلمت حينئذٍ الى عواطفها الوالدية فالتفتت الى سيباستيين وقلبها يقطر حنوًا وعيناها تترقرقان بالدمع وقالت له بصوت من لا يصدق ان ما يراه حقيقة لا خيال

اذًا هذا انت يا ولدي

ولم يكن سيباستيين باقل ارتياحًا الى مشاهدة هذه المراة التي يدعوها امه وتدعوه ولدها فاجابها باسمًا منشرحًا نعم يا اماه

ففعلت كلمة « اماه » التي لم تسمعها هذه المراة قط قبل الآن في نفسها فعل الكهربائية في الاجسام فاكبت على ولدها تضمه وتقبله وهي لا تصدق انه هو

ولما عاد اليها رشدها التفتت الى الغرفة التي كانت فيها وقالت وهي تهز راسها . هنا . هنا

فسالها سيباستيين ماذا تريدين يا اماه بقولك هنا . فاجابت اندري

اريد بقولي هنا انك كنت ههنا لما سرقوك مني منذ ١٥ سنة . لقد ولدتك في هذه الغرفة وسرقوك من هذه الغرفة والآن تعود الى هذه الغرفة باعجوبة سماوية

فقال سيباستيين . نعم باعجوبة سماوية يا اماه وبوحي سماوي . لانني لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي لم اسافر من المدرسة ولم اقصد باريز ولم اصل الى مفترق الطريق في الظلام فابقى حائرًا عنده . ولو لم اصل الى هذه الطريق في الظلام لما وجدت المسيو ايزيدور دي شارني ولو لم اجده لما كان اردفني وراءه وجاء بي الى التويلري ولو لم اجيء الى التويلري لما رأيتك ولما رأيتني ابدًا

وكانت اندري تصغي اليه بارتياح شديد . ولكنه لما قال « لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي » انقبضت نفس اندري وظهر على وجهها شعور غريب فاغمضت عينيها لتخفي انقباضها

ثم انبسطت نفسها لما قاله في آخر كلامه . وسالته علمت الآن كيف لقيتك ياسيباستيين فقل لي كيف عرفتني

فضحك سيباستيين واجاب هذا امر غريب يا امي لانني لا اعرف كيف حدث .

فقالت اندري ولكن من قال لك حينما رأيتني انني امك . فاجاب قال لي ذلك قلبي .

ففتحت اندري ذراعيها وضمته الى صدرها ضمًا شديدًا قائلة — تعالَ الى قلبي

ثم سالته . ولكن الم ترني قبل الآن ابدًا

فاستجمع سيباستيين قواه لدى هذا السؤال وقال اسمعي يا امي لاقص عليك امرًا

غريباً . فانني اعرفك منذ عشر سنوات

فدهشت اندري . وقالت كيف تعرفني منذ عشر سنوات ولم تأتِ اليّ او لم تبلغني خبر وجودك . فقال سيباستيين . اسمعي لاخبرك كيف كنت اعرفك . انني ارى في بعض الاحيان اموراً عجيبة اسميها احلاماً اما ابي فيسميها مرضاً دماغياً

فلما لفظ سيباستيين كلمة « ابي » شعرت اندري كأن سهماً رزّ في قلبها

فاستانف سيباستيين الكلام قائلاً . وذلك انني كلما اصبحت منفرداً وحيداً في حرش او في مكان هادىء صرت اتامل تاملات غريبة وارى رؤًى عجيبة فيتمثل لي في اول الامر شيء من البخار امام عيني ثم يكبر هذا البخار ويتجسم فيصبح امراة شبيهة بك في ملامحك . في قامتك ووجهك ويديك وكل ما لك . فحينئذٍ انهض مسرعاً من مكاني واركض وراء هذا الخيال الذي يكون امامي وهو يركض مني . وقد اقطع مسافات بعيدة راكضاً وانا اناديه يا امي يا امي وهو يركض مني ملتفتاً من حين الى حين اليّ ولا ازال كذلك حتى اسقط على الارض من التعب والجهد فتزول حينئذٍ هذه الرؤيا . هذا سبب قولي لك انني اعرفك من عشر سنوات ذلك انني ارى هذه الرؤيا من عشر سنوات . ولما رايتك الآن في قصر التويلري حين خروجك من الباب الذي كان امامي عرفت انك انت هو الخيال الذي كنت اراه في احلامي واسميه امي . فلم يبقَ عندي ريب انك امي . ولكن كيف عرفتني انتِ

فقالت اندري انا كنت اقل سعادة منك يابني لانني ما كنت اراك لا في الحقيقة ولا في الخيال . ولكنني لما اجتزت القاعة التي كنت جالساً فيها شعرت دون ان اراك بقشعريرة عرتني . ولما سمعت وقع اقدامك ورائي احسست بانفعال عظيم في نفسي ولما ناديتني « ياسيدتي » كدت اقف لك وحينما دعوتني « يا امي » كاد يغمى عليّ . ولما لمستك عرفت انك ولدي

فمد سيباستيين يديه وعانق امه وقبلها ثم قال لها . قد اجتمعنا الآن فلا نفترق فيما بعد

وكانت اندري قد نست المستقبل فلم تنظر الاالى الماضي والحاضر فلما تكلم سيباستيين عن المستقبل عرتها قشعريرة واصبحت متاملة مبهوتة . ثم قالت متنهدة . انني اباركك يابني اذا كنت قادراً على ابقاء شملنا مجموعاً

فقال الولد نعم انا كفيل بذلك ولكن دعيني اصنع ما اريد . قالت ماذا تريد ان

تصنع قال مصالحتك مع ابي على شرط ان تقولي لي سبب افتراقكما

ولكن الولد ما لفظ هذا الكلام حتى اصبحت اندري صفراء كالاموات . ولما رأى سيباستيين انها بقيت ساكتة قال . على ان السبب مهما كان عظيماً فاني ازيله لان ابي يحبني ودموعي كفيلة بارضائه مهما كان غاضباً وساخطاً

فازداد اصفرار اندري وانقباض نفسها ؛ فقالت كلا ثم كلا

فقال الولد اسمعي يا امي انني قادر على كل شيء فانا آخذك بيدي واذهب باكياً الى ابي الذي يعبدني كما قلت لك واقول له يا ابي هذه امي انظر ما اجملها والطفهـا فانا اريد ان تصالحها

فما لفظ سيباستيين هذا الكلام حتى وثبت اندري مذعورة ودفعت سيباستيين عنها . فنظر اليها الولد نظرة دهشة واستغراب فقالت اندري . كلا . ثم كلا . لا تحادثني عن هذا الامر

فذكر الولد حينئذٍ ما قاله له ابوه بنزق يوماً من الايام « ياسيباستيين لا تكلمني بعد الآن عن امك » فلبث الولد مبهوتاً لا يعرف لهذا اللغز حلاً . ولكنه سال امه بشيء من الرصانة وثبات الجاش لماذا لا تريدين ذلك

وكانت اندري حينئذ في اقصى درجات الغضب والهياج فاجابته تسالني لماذا لا اريد ذلك . لا لا . دع هذا لانك لا تعرف شيئاً

فاجاب الولد مصراً بل اريد ان اعرف لماذا لا تريدين

وكان الغضب قد طفح في صدر اندري فلم تعد قادرة علي كظم ما في نفسها فصاحت ملء فيها . تريد ان تعرف السبب فانا اقوله لك . انني لا اريد ان ارى اباك لانه رجل شقي تعيس لئيم

فوثب سيباستيين عن الكرسي وثبة السبع فاصبح تجاه امه وجهاً لوجه ثم صاح بهـا . اتقولين هذا القول عن ابي ايتها السيدة . عن ابي الدكتور جيلبار تقولين كذلك . عن ابي الذي رباني واعطاني كل شيء وجعلني اكون كما انا الآن . تقولين هذا القول . اذن انا مخطئ لانك لست امي

ثم هم الولد بالوثوب الى الباب للخروج منه . فاوقفته اندري متعلقـة به وقالت له . اسمع اسمع ياسيباستيين . ان هذا امر لا تستطيع ان تفهمه . ولا تقدر على الحكم فيه

فانتفض الولد للتخلص من يديها وقال . دعيني دعيني فانني ما عدت احبك

فصاحت حينئذٍ اندريه عند هذا الكلام . ولكنها خنقت صياحها في فمها لصوت مركبة وقفت على باب منزلها

فاصغت اندري ناظرة الى جهة الباب واذا بالبواب قد دخل بعد هنيهة وقبعته في يده وقال لها ان حضرة الكونت دي شارني يطلب مقابلة الكونتس

فصعقت اندري لهذه الزيارة الفجائية فجذبت سباستيين بعنف من يده الى غرفة نومها وقالت بسرعة ادخل ادخل ياولدي ولا تدع احد يراك او يعلم بوجودك . ادخل فسأقص عليك كل شيء . لا لا . لا اقص عليك شيئاً لانك لا تفهم شيئاً من ذلك ولكني اقبلك واضمك الى صدري فتعلم انك ولدي

ثم تركته في الغرفة واقفلت الباب عليه وخرجت . وبعد ذلك جلست في كرسيها واهية القوى خائرة العزم من شدة التأثر والانفعال وامرت البواب بصوت اظهرت فيه الثبات الجاش ان يُدخل الكونت دي شارني زوجها

الفصل التاسع



الرجل وامرأته

وبعد دقيقة دخل الكونت دي شارني . وكان مرتدياً بالسواد حداداً على اخيه . ولكن الحداد لم يكن في ثيابه بل كان في وجهه ايضاً لما كان عليه من آثار الاصفرار والدموع

ولا شيء يزيد في جمال الوجه الجميل مثل الدموع والتاثير الذي تجعله فيه ولذلك كان وجه دي شارني في هذا اليوم في غاية الجمال

فنظرت اليه اندري من بعيد برصانة وثبات جاش . اما دي شارني فدنا منها كما كان يدنو الرومان واليونان من تمثال ديانا الجميلة . فلما وقع نظره عليها اغمضت عينيها هنيهة ثم فتحتها فابصرت زوجها واقفاً لديها

وحينئذٍ دخل البواب وسأل هل يذهب السائق ام يبقى في انتظار حضرة الكونت

فنظر دي شارني الى اندري ليعلم من نظره اليها ماذا يجيب السائق . فرأى نظر اندري مبهماً غامضاً فتنهد وقال للبواب . بل فلينتظر

فخرج البواب واغلق الباب فكانت هذه هي المرة الاولى التي وجد فيها هذان الرجلان منفردين وجهاً لوجه

فافتتح دي شارني الكلام بقوله . عفواً ياسيدتي اذا كدرت صفوك بزيارتي الآن فانني مامور بها من لدن جلالة الملك

فاجابت الكونتس بل يسرني ان اراك ايها الكونت وما كنت اتوقع زيارتك الآن لانني علمت انك عند الملكة

وقد لفظت الكونتس اسم الملكة ووجهت نظرها الى عينيه لتقرأ فيها ماذا تحدثه هذه الكلمة في نفسه . ففهم دي شارني مرادها واجاب . يسرني ياسيدتي كل السرور ان تكوني افتكرت بهوسات عني . اما زيارتي للملكة فلم تكن مرضية

فانتبهت اندري هنا كل الانتباه وفتحت عينيها ثم سالته كيف لم تكن زيارتك مرضية . قال لان الملكة أمرتني بالابتعاد عن باريز وقد عصوت هذا الامر

فزادت دهشة اندري وقالت كنت انتظر ان تامرك الملكة بالاقامة بجانبها لا ان تامرك بالابتعاد عنها . وكيف استطعت ايها الكونت ان تعصي امر الملكة

ففهم دي شارني مراد زوجته بقولها « كيف استطعت » فتنهد واجاب ان الملكة ارادت ارسالي في مهمة الى تورين لمقابلة الكونت دارتوى والدوق دي بوربون اللذين برحا فرنسا فرفضت ذلك لانني اشد نفعاً في فرنسا مني في خارجها وقد اقترحت عليها ان ترسل مكاني اخي ايزيدور دي شارني الذي قدم اخيراً الى باريز فرفضت فحكمت الملك في هذا الامر فحكم لي

ولما كان الملك مجتمعاً بالملكة سالها عنك فاجابته انك خرجت من القصر فدهش الملك وسالها اين نزلت فاجابت انها لا تعلم فزادت دهشته وعلم انه حدث بين الملكة وبينك امر فامرني ان آتي اليك واطلب منك ان تذهبي لمقابلته . وقد قال لي انه لا بدّ ان تذهبي اليه ولو اقتضى ذلك ان يحضر هو نفسه و يعود بك

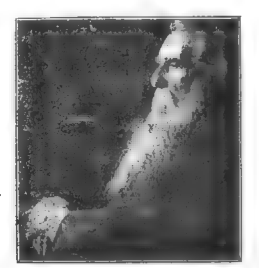
فاطرقت اندري ثم اجابت شكراً للملك على تعطفه والتفاته فلا ريب انه ذو خلق كريم

فقال دي شارني نعم انه ذو خلق كريم . وقد ابكاني كرم نفسه في هذا الصباح فانه بعد ان امرني بالمجيء الى هنا لمقابلتك والعودة بك استوقفني حينما هممت بالذهاب ومدّ اليّ يده قائلاً . نسيت ان احادثك بالامر الذي كان يجب ان اجعله مقدمة الحديث وهو مصابك الذي البسك الحداد . ولكنه من سوء الحظ مصاب لا يجدي فيه كلام الناس وان كانوا ملوكاً . فانا لا سبيل لي الى تعزيتك عن وفاة اخيك الذي قام بواجباته



الجزء العاشر السنة الثانية

الاسكندرية (يناير ونصف فبراير) سنة ١٩٠١ — شعبان سنة ١٣١٨



جون روسكين الشهير

يتأمل في جمال الطبيعة وشؤون الحياة

انسان لا يجب ان يجهله انسان

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

جون روسكين الشهير

داعي الناس الى حب الطبيعة والجمال

اقتراح على رئيسات مدارس الاناث في الشرق

الخروج من جو المدينة المسموم · وصف ابي تمام الطائي للربيع · عادة الاحتفال بعودة الربيع · شم النسيم واستقبال الراهب · روسو ومدام دي ستايل و بكاؤهما من منظر الطبيعة · ترجمة اشد الناس ولعاً بالطبيعة · اصلاح الفنون باصلاح الهيئة الاجتماعية · اصلاح الهيئة الاجتماعية بالغاء استعمال الآلات البخارية · ملكات مايو وفوائد هذه العادة · تلميذات يبشرن بانجيل جديد · وظيفة المرأة في مذهب روسكين · موته بين الازهار · اقتراح على مدارس البنات بجدر الاهتمام به · ملائكة السماء تطل على ملائكة الارض

نشيد استقبال للربيع

مالك لا تخرج من جو مدينتك الذي افسده الدخان والغبار و روائح الاقذار · اما رأيت الحلة الجميلة التي اكتستها الضواحي بحقولها وحدائقها · اما سمعت عصافيرها تناديك وشمسها تنثر في طريقك تبرها الذهبي · فما هذا الكسل والخمول · اخرج وشاهد عظمة الطبيعة امك وانفض عنك ولو مرة في اليوم غبار الحضر واقذار المدن · ولا تكن ممن يغمضون عيونهم عن جمال الطبيعة لانهم لا يفهمون شيئاً من اسرار الحياة · انظر اليها فقد اكتست ارضها بساطاً سندسياً · والحقول والجنائن حلة زهرية · والعصافير اشتدت زقزقتها وخفت حركتها · والاشجار الصلعاء الجرداء دبت فيها الحياة فاخرجت براعمها · والشمس زاد نورها · والسماء صفا اديمها · وروح حرارة وحياة جديدة انبث في جميع مخلوقاتها من نبات وحيوان وانسان

ولكن ما الذي غير وجه الطبيعة هذا التغيير بعد ما كانت فيه من اكفهرار الشتاء وهياج العناصر · هل ان يداً سرية مدت اليها عصاً سحرية فبدلت حالها وغيرتها · ام ان

الارض تاخذ من حياة الاعزاء الذين تطويهم ما تنقله الى اعزائهم زهرًا ونباتًا ونشرًا · كرسالة ممن في باطنها الى من على ظهرها

كلا لا هذا ولا ذاك وانما الطبيعة قد وجدت حبيبها الربيع بعد طول بكائها في زمن الشتاء عليه فلبست له اجمل حللها وحلاها · فاخرجوا يا محبي جمال الطبيعة ومستكشفي اسرارها لمشاركتها في سرورها· اخرجوا ولا تحملوا اليها هدية غير الثناء عليها فانها حسناء ولا يرضي الحسان شيء مثل الثناء · ومتى بلغتموها فانشدوها القول البديع الذي قاله ابو تمام فيها

نزلت مقدمة المصيف حميدة ... ويد الشتاء جديدة لا تكفرُ
لولا الذي غرس الشتاء بكفه ... قاسى المصيف هشائمًا لا تثمرُ
مطر يذوب الصحو منه وبعده ... مطر يكاد من النضارة يقطرُ
غيثان فالانواء غيث ظاهر ... لك وجهه والصحو غيث مضمرُ
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى ... خلت السحاب اتاه وهو معذرُ
ما كانت الايام تسلب بهجة ... لو ان حسن الروض كان يعمرُ
اولا ترى الاشياء ان هي غيرت ... سمجت وحسن الارض حين تغيرُ
يا صاحبيَّ تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصورُ
تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربى فكانما هو مقمرُ
دنيا معاش للورى حتى اذا ... حلَّ الربيع فانما هي منظرُ
اضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نورًا تكاد له القلوب تنورُ
من كل زاهرة ترقرق بالندى ... فكانها عين اليك تحدرُ
تبدو ويحجبها الجميم كانها ... عذراء تبدو تارة وتخفرُ
مصفرة محمرة فكانها ... عصب تيمن في الوغى وتمضرُ
من فاقع غض النبات كانه ... درر تشقق قبل ثم تزعفرُ
او ساطع في حمرة فكانما ... يدنو اليه من الهواء معصفرُ
صنع الذي لولا بدائع لطفه ... ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضرُ

عادة الاحتفال بالربيع

وبعدُ فان خروج الناس في كل سنة مرة الى البرية لمشاهدة الطبيعة ومحاسنها والاحتفال بعودة الربيع اليها امر كان معروفًا لدى الاقدمين · وقد اختاروا اول شهر مايو (ايار) لاقامة هذا الاحتفال فيه سواء كان الربيع متقدمًا او متأخرًا · فكان

الرومانيون في كل عام يخرجون من رومه في منتصف ليل هذا اليوم قاصدين الحقول والاحراش وامامهم الموسيقى تصدح والابواق تنفخ فيقطعون بعض اغصان الاشجار ويجمعون الازهار ويصنعون منها اكاليل وطاقات ثم يعودون بها ويعلقونها على ابواب منازلهم كانهم بذلك يمهدون للربيع طريق الدخول اليها . ثم يصرفون باقي نهارهم بالرقص والغناء حول اشجار زاهرة يغرسونها في الارض ويسمونها « شجرة مايو »

ثم انتقلت هذه العادة الى انكلترا فان ملكها هنري الثامن والملكة كاترين زوجته وجميع رجال البلاط الانكليزي في جملتهم الكردينال الرجل الجدي الاخلاق كانوا كلما عاد اول مايو يخرجون من المدينة الى الحقول للتفتيش عن الازهار الاولى التي هي اول ما ينبتها الربيع . وكان الشعب الانكليزي يحتفل بعودة الربيع في عدة اماكن بطرق مختلفة اهمها انهم كانوا يأتون بشجرة يسمونها « شجرة مايو » ويغرسونها في اول مايو امام منزل اجمل فتاة من بنات القرية ثم يقيمون على الرقص والغناء حولها مدة النهار ويدعون الجميلة التي غرسوا الشجرة امام منزلها « ملكة مايو » . وكثيراً ما كانوا لا يكتفون بانتخاب ملكة للربيع بل ينتخبون له ملكاً ايضاً ويسمونه « لورد مايو »

وقد كان المصريون في الزمن القديم يحتفلون بعودة الربيع ولا يزال هذا الاحتفال معروفاً عندنا الى هذه الايام باسم « يوم شم النسيم » اي شم نسيم الربيع وهو يوم تصفر فيه مدن القطر المصري لخروج الناس من كل الطبقات والملل الى الخلاء لمشاهدة الطبيعة الجميلة والاكل والشرب تحت سقف السماء فوق البساط السندسي الذي فرشته اليد الازلية

وهذا الاحتفال معروف ايضاً في الشام ولكنهم يسمونه هناك « استقبال الراهب »

قذارة المدن وطهارة الطبيعة

وليس غرضنا الآن ذكر تاريخ هذه العادة في كل البلاد فان هذا امر ثانوي وانما غرضنا الاشارة الى امر اكثر اهمية وخطارة . فانه من المعلوم ان التمدن الحديث يجعل هذه المدن الكبرى التي تتألف وتتضخم تحت لوائه بمثابة مغناطيس يجتذب اليه جميع الناس الذين يعيشون في القرى والخلاء والضواحي ولذلك صار سكان القرى يتناقصون وسكان المدن يزيدون . وظاهرٌ ايضاً ان كل ما في المدن من آثار المدنية والعمران يُنسي الانسان الطبيعة ومناظرها الجميلة . فهذه الاسوار والجدران قائمة سدّاً دونه . وهذه المنازل تحصره في بقعة ضيقة وتجعله كسجين في سجنه مانعة عنه نسيم الصبح ونور السماء . وهذا

الدخان المنبعث من معاملها والغبار المتصاعد على اثر مرور المركبات في شوارعهـا يحجبان عنه وجه السماء ويخفي ما وراء المدينة . وزد على ذلك ان زيادة الزحام في المدن يزيد المزاحمة على اسباب الرزق فيها فتشتد المناظرة بين الناس تنازعاً لهـا حتى قد تنسي هذه المناظرة الانسان كل شيء خارج مدينته بل قد تُنسيه انه انسان لا حيوان . من اجل ذلك كله وجب ان يقوم من بني الانسان الحين بعد الحين اناس يرفعون اصواتهم القوية لتذكير البشر بالطبيعة امهم الاولى وحثهم على الرجوع اليها ولو مرة في كل عام

وقد قام في آخر القرن الثامن عشر رجل في فرنسا يُدعى جان جاك روسو دعا الناس الى المعيشة في الطبيعة وترك اقذار المدن ورذائلها وجرائمها فكان فولتير يقول عنه متهكماً « ان هذا الرجل يحبب اليَّ المعيشة على القوائم الاربع » يعني كما تعيش الحيوانات ذات القوائم الاربع في البرية . وكان روسو اذا نظر الى الحقول والرياض وهو خارج المدينة يبكي سروراً بها وانقباضاً لما كانت تجده نفسه من الضغط المبهم عليها امام منظر عظيم سري كهذا المنظر . وكذلك كانت مدام دي ستايل فانها كم وقفت امام الحقول تنظر اليها وتبكي من غير علة ولا سبب غير اختباط مبهم سري يحدث في داخلها . ولكن الذي فاقها وفاق روسو في حب الطبيعة وشدة الولوع بها هو الكاتب برناردين دي سان بيير الذي اخذنا ننقل عنه سفره الجليل « الكوخ الهندي » وحسبنا دليلاً على مبلغ حب برناردين الفاضل للطبيعة ان نرد القارئ الى هذا السفر الذي تجب قراءته بامعان كثير

ولكن كل هؤلاء لم يؤثروا في تحبيب الطبيعة الى الناس وتذكيرهم بمحاسنها القدسية ازاء محاسن الحضارة الصناعية بقدر ما اثر في ذلك رجل انكليزي توفي في العام الماضي . وغرضنا من هذه المقالة ان نعرّف قراء اللغة العربية بهذا الرجل الذي لا يجب ان يجهله انسان

ترجمة جون روسكين

يُدعى هذا الرجل « جون روسكين » وقد ولد في ٦ فبراير من عام ١٨١٩ وكان ابوه تاجراً مولعاً بفن الرسم وخصوصاً رسم المناظر الطبيعية اما امه فكانت بروتستانتية شديدة التمسك بالدين فكانت تاخذه في كل يوم وتقرأ عليه فصلاً من التوراة وكان منزل روسكين في ضاحية لندرا بعيداً عن ضوضاء المدينة وهو محاط بحديقة فكان يقضي روسكين الصغير كل اوقاته في مشاهدة الازهار والنباتات فيها . وكان ابوه يقرأ عليه في صباه كثيراً من اقوال شعراء الانكليز ويصطحبه احياناً اذا سار للتنزه ورسم المناظر الطبيعية فشب جون

روسكين على حب الطبيعة والشغف بها

ثم ساح روسكين في فرنسا وسويسرا وايطاليا فشاهد مناظرها الطبيعية وما فيها من تحف الرسم والبناء وسائر الفنون الجميلة . ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نشر كتاباً سماه « الرسامون الحديثون » وصف فيه الطبيعة اجمل وصف وانتقد الرسامين الذين يشوهون الامور الطبيعية في ما يرسمونه . ومنذ هذا الحين بدأت شهرته فكتب عدة كتب في الموضوع نفسه فاقام الرسامين واقعدهم بشدة انتقاده وطول باعه و بث في نفوس الناس ميلاً جديداً الى الفنون بعد ان كان هذا الميل قريباً من الخمود

وفي سنة ١٨٦٠ حدث تغيير في افكار روسكين فاعتقد بان اصلاح شان الفنون متوقف على اصلاح الهيئة الاجتماعية فانصرف الى هذا الشان الاجتماعي بهمة عالية واخذ يكتب فيه الكتب الضافية التي كان لكل واحد منها تاثير شديد

وقد عين في سنة ١٨٦٩ استاذاً لكلية اوكسفورد فاقام يدرس فيها حتى سنة ١٨٨٢ ثم راى ان التدريس في اوكسفورد غير كاف لنشر آرائه والقيام بالاصلاح الذي كان يطلبه فانشأ في سنة ١٨٧٣ متحفاً للطلبة في هذه الكلية رغبة في تحسين اذواقهم وانشأ في سنة ١٨٧٦ متحفاً آخر في شيفيلد لترقية شان عملة الحديد هناك ورفع نفوسهم. وكان يملك ثروة طائلة قيمتها ٥ ملايين فرنك فانفقها كلها في اعمال خيرية رفع بها شان الذين كان يساعدهم . فانه كان يختار النابغين في الفنون و يساعدهم على الدرس والارتقاء فيجعلهم بذلك رجالاً من اشد الناس نفعاً لوطنهم وينشئ للعملة والضعفاء المتاحف والملاجئ والمنازل الصحية الصالحة للسكنى . ولما نفدت ثروته في هذا السبيل لم يبق له مورد غير دخل مؤلفاته الذي كان يبلغ مائة الف فرنك في كل عام فصار روسكين ينفقه في سبيل الخير ايضاً . فاعجب بهذا السخاء وهذه الشهامة

ثم انه من فرط اهتمامه بالاصلاح الاجتماعي لم يكتف بالمتاحف والتدريس والتاليف والكتابة بل اراد ان ينفرد بعمل عظيم ينفذ فيه الاصلاح الذي كان يدعو اليه . وهذا البحث يسوقنا الى الكلام على مبادئه وآرائه

مبادئه وآراؤه

يتضح مما تقدم ان روسكين اهتم بامرين عظيمين (الاول) اصلاح الفنون الجميلة وتحبيبها الى الناس ومنع العاملين بها من افساد صور الطبيعة حين تقليدهم اياها (والثاني) اصلاح الهيئة الاجتماعية

اما الامر الاول فن مبادىء روسكين فيه قوله « كل فن عظيم ضرب من ضروب العبادة لان الانسان لا يبلغ هذا الفن الا بعد ان يفهم الطبيعة ويحبها . والطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله » ومن اقواله ايضاً « ان كل جمال مصدره حب الطبيعة العذراء كما صنعها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتاتها وازهارها لا الطبيعة التي شوهها الانسان بصنائعه واختراعاته » وقد انتقد روسكين رسوم ميشل انج الشهير ورمبوان و بليني و برنين لانهم كلهم مع شهرتهم التي طبقت الخافقين خرجوا عن الطبيعة في رسومهم . ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع خوفاً من ملل القارىء

اما الامر الثاني وهو الاصلاح الاجتماعي فقد بحث روسكين فيه فوجد ان لفساد الاخلاق في العالم والشقاء السائد في كل مكان منشأ واحداً وهو : استبداد ارباب الاموال بالشعب وتمكنهم بواسطة المعامل والآلات الميكانيكية من حفظ هذا الاستبداد . ولذلك نهض لمقاومة هذا الاستبداد نهضة الاسد من عرينه . وقد قال في وصف الهيئة الاجتماعية هذه الكلمة التي تغني عن كتاب « ان هيئتنا الآن عبارة عن سلطة موضوعة في يد الذين يربحون الاموال ليزدادوا بها ربحاً من الذين لا يملكون شيئاً » قال . وهذا سبب فقر العملة وشقائهم وغنى الاغنياء وثروتهم . وفضلاً عن ذلك فان الثروة الطائلة لا تنشىء الشقاء في نفوس الفقراء فقط بل انها تنشئه في نفوس الاغنياء انفسهم لانها تطفىء فيهم مصباح حب الجمال الطبيعي وتجعل نفوسهم قاسية جاهلة مظلمة معذبة لا تهتم الا بالشهوات والملاذ

ورغبة في اطلاق العملة من اسر ارباب الاموال عزم روسكين على ان يؤلف من ابناء الشعب شركات تعمل بلا آلات بخارية لكي لاتحتاج الى الاغنياء فانشأ لهذا الغرض « شركة سنت جورج كيلد » وجعل العملة في وستمورلند ولنغدل وكسو يك يعودون الى عادة الغزل والنسج بالايدي دون آله بخارية . ولكن روسكين لم يلبث ان راى تعذر النجاح اذا لم تساعد الحكومة الشركات التي انشأها فطلب من الحكومة ان تساعدها وقد قال في طلبه ان حرية الصناعة والتجارة لا تصح ان تكون دواء للفساد الحاضر وانما الدواء الوحيد هو خضوع الجميع للحكومة : الاغنياء والفقراء . ومن واجبات الحكومة ان تدبر اعمالاً لجميع الذين يطلبون العمل وذلك يتم بمنعها « حرية صنع الشر » اي منعها احتكار الاغنياء ثروات طائلة لاستعباد العملة بها وتوليها تشغيل العملة بنفسها

غير ان الحكومة سدت اذنيها ولم تسمع لروسكين واتفق حزبا الاحرار والمحافظين

روسكين على حب الطبيعة والشغف بها

ثم ساح روسكين في فرنسا وسويسرا وايطاليا فشاهد مناظرها الطبيعية وما فيها من تحف الرسم والبناء وسائر الفنون الجميلة . ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نشر كتاباً سماه « الرسامون الحديثون » وصف فيه الطبيعة اجمل وصف وانتقد الرسامين الذين يشوهون الامور الطبيعية في ما يرسمونه . ومنذ هذا الحين بدأت شهرته فكتب عدة كتب في الموضوع نفسه فاقام الرسامين واقعدهم بشدة انتقاده وطول باعه و بث في نفوس الناس ميلاً جديداً الى الفنون بعد ان كان هذا الميل قريباً من الخمود

وفي سنة ١٨٦٠ حدث تغيير في افكار روسكين فاعتقد بان اصلاح شان الفنون متوقف على اصلاح الهيئة الاجتماعية فانصرف الى هذا الشان الاجتماعي بهمة عالية واخذ يكتب فيه الكتب الضافية التي كان لكل واحد منها تاثير شديد

وقد عين في سنة ١٨٦٩ استاذاً لكلية اوكسفورد فاقام يدرس فيها حتى سنة ١٨٨٢ ثم راى ان التدريس في اوكسفورد غير كاف لنشر آرائه والقيام بالاصلاح الذي كان يطلبه فانشأ في سنة ١٨٧٢ متحفاً للطلبة في هذه الكلية رغبة في تحسين اذواقهم وانشأ في سنة ١٨٧٦ متحفاً آخر في شيفيلد لترقية شان عملة الحديد هناك ورفع نفوسهم . وكان يملك ثروة طائلة قيمتها ٥ ملايين فرنك فانفقها كلها في اعمال خيرية رفع بها شان الذين كان يساعدهم . فانه كان يختار النابغين في الفنون و يساعدهم على الدرس والارتقاء فيصلهم بذلك رجالاً من اشد الناس نفعاً لوطنهم و ينشئ للعملة والضعفاء المتاحف والملاجئ والمنازل الصحية الصالحة للسكنى . ولما نفدت ثروته في هذا السبيل لم يبقَ له مورد غير دخل مؤلفاته الذي كان يبلغ مائة الف فرنك في كل عام فصار روسكين ينفقه في سبيل الخير ايضاً . فاعجب بهذا السخاء وهذه الشهامة

ثم انه من فرط اهتمامه بالاصلاح الاجتماعي لم يكتفِ بالمتاحف والتدريس والتاليف والكتابة بل اراد ان ينفرد بعمل عظيم ينفذ فيه الاصلاح الذي كان يدعو اليه . وهذا البحث يسوقنا الى الكلام على مبادئه وآرائه

مبادئه وآراؤه

يتضح مما تقدم ان روسكين اهتم بامرين عظيمين (الاول) اصلاح الفنون الجميلة وتحبيبها الى الناس ومنع العاملين بها من افساد صور الطبيعة حين تقليدهم اياها (والثاني) اصلاح الهيئة الاجتماعية

اما الامر الاول فمن مبادىء روسكين فيه قوله « كل فن عظيم ضرب من ضروب العبادة لان الانسان لا يبلغ هذا الفن الا بعد ان يفهم الطبيعة ويحبها . والطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله » ومن اقواله ايضاً « ان كل جمال مصدره حب الطبيعة العذراء كما صنعها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتاتها وازهارها لا الطبيعة التي شوهها الانسان بصنائعه واختراعاته » وقد انتقد روسكين رسوم ميشل انج الشهير ورمبوان و بليني و يرنين لانهم كلهم مع شهرتهم التي طبقت الخافقين خرجوا عن الطبيعة في رسومهم . ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع خوفاً من ملل القارىء

اما الامر الثاني وهو الاصلاح الاجتماعي فقد بحث روسكين فيه فوجد ان لفساد الاخلاق في العالم والشقاء السائد في كل مكان منشأً واحداً وهو : استبداد ارباب الاموال بالشعب وتمكنهم بواسطة المعامل والآلات الميكانيكية من حفظ هذا الاستبداد . ولذلك نهض لمقاومة هذا الاستبداد نهضة الاسد من عرينه . وقد قال في وصف الهيئة الاجتماعية هذه الكلمة التي تُغني عن كتاب « ان هيئتنا الآن عبارة عن سلطة موضوعة في يد الذين يربحون الاموال ليزدادوا بها ربحاً من الذين لا يملكون شيئاً » قال . وهذا سبب فقر العملة وشقائهم وغنى الاغنياء وثروتهم . وفضلاً عن ذلك فان الثروة الطائلة لا تنشىء الشقاء في نفوس الفقراء فقط بل انها تنشئه في نفوس الاغنياء انفسهم لانها تطفىء فيهم مصباح حب الجمال الطبيعي وتجعل نفوسهم قاسية جاهلة مظلمة معذبة لا تهتم الا بالشهوات والملاذ

ورغبة في اطلاق العملة من اسر ارباب الاموال عزم روسكين على ان يؤلف من ابناء الشعب شركات تعمل بلا آلات بخارية لكي لا تحتاج الى الاغنياء فانشأ لهذا الغرض « شركة سنت جورج كيلد » وجعل العملة في وستمورلند ولنغدل وكسويك يعودون الى عادة الغزل والنسج بالايدي دون آلة بخارية . ولكن روسكين لم يلبث ان راى تعذر النجاح اذا لم تساعد الحكومة الشركات التي انشأها فطلب من الحكومة ان تساعدها وقد قال في طلبه ان حرية الصناعة والتجارة لا تصح ان تكون دواء للفساد الحاضر وانما الدواء الوحيد هو خضوع الجميع للحكومة : الاغنياء والفقراء . ومن واجبات الحكومة ان تدبر اعمالاً لجميع الذين يطلبون العمل وذلك يتم بمنعها « حرية صنع الشر » اي منعها احتكار الاغنياء ثروات طائلة لاستعباد العملة بها وتوليها تشغيل العملة بنفسها

غير ان الحكومة سدت اذنيها ولم تسمع لروسكين واتفق حزبا الاحرار والمحافظين

عليه لان كلا الحزبين يؤيدان حرية الملك والمال · فاثار هذا الاهمال خاطر روسكين فازداد حدة وانتقاداً لارباب الاموال ولاعاظم حتى عراه من شدة هياجه مرض دماغي في سنة ١٨٨٩ فقضى عليه طبيبه بترك كل اهتمام وكل عمل عقلي فامتثل روسكين وسار نقضى باقي حياته في منزل له على شاطىء بحيرة كونيستون تجاه جبال ايكوسه في وسط الطبيعة العذراء التي احبها في شبابه وجعلها ملجاءه الاخير في شيخوخته

ومما يؤثر عنه انه من فرط كراهته لارباب الاموال خشي ان يضغط هؤلاء على ناشري كتبه قبل مماته او بعده فانشأ مكتبة خصوصية في بلدة سونيسيد لنشر كتبه لتكون خارجة عن دائرة نفوذهم · وقد بعثنا نطلب بعض هذه الكتب وربما لخصنا بعضها للقراء كما لخصنا كتاب الفيلسوف تولستوي في الجزء السابق

ملكات مايو

والتبشير بالجيل جديد

ولكن روسكين لم يكتف بالمتاحف والخطب والكتب والشركات الصناعية البدوية المستقلة لاصلاح الهيئة الاجتماعية وبث حب الفنون والجمال في النفوس بل ارتقى في آخر ايامه الى مصدر كل اصلاح نعني المراة واخذ يعمل على بث روح جديدة فيها · فانشأ الحفلات المعروفة بالحفلات الروسكينية وهي عبارة عن اعادة الاحتفال في اول شهر مايو من كل عام بعودة الربيع

وقد علم في سنة ١٨٨٠ تلميذات مدرسة ويتلندس القائمة في مدينة شيلزه طريقة لهذا الاحتفال اعاد بها العادة الرومانية القديمة فاقبل التلميذات عليها اقبالاً شديداً لشدة تاثيرها في نفوسهن واليك بيان هذه الطريقة

تضم مدرسة ويتلندس المذكورة آنفاً ١٦٠ تلميذة وجميعهن يتلقين الدروس فيها ليصرن معلمات في المستقبل · فاذا مررت في اول مايو من كل عام امام باب هذه المدرسة وجدت فناءها ودهاليزها وارض غرفها مفروشة كلها بالازهار والاغصان لان التلميذات يعيدن في هذا اليوم عيد عودة الربيع · ولذلك ترسل تلميذات المدرسة اللواتي انهين دروسهن فيها من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية اكاليل زهر في ذلك اليوم اشتراكاً مع رفيقاتهن المعيدات · واذا دنوت من قاعات المدرسة سمعت ترنيم البنات فيها من كل جانب بنشيد هذا مطلعه «كل شيء حولنا لامع وبهيج» وفي الحقيقة ان كل شيء في ذلك اليوم يدل على العيد في هذه المدرسة



﴿ ملكة مايو ﴾

وحولها حاشيتها من الفتيات المختارات بنات شرف لها

وفي صباح اول مايو تجتمع التلميذات بهدوء وسرور لانتخاب ملكتهن السنوية · ذلك ان طريقة روكسين تقضي عليهن بانتخاب ملكة من الطالبات تسمى ملكة مايو وهي تنتخب من البنات الاكثر جمالاً والاوفر عقلاً وادباً · ويكون الانتخاب سرياً · فمتى تم تذهب جميع التلميذات الى الكنيسة وفي مقدمتهن الابنة التي انتخبت «ملكة مايو» في العام الماضي وهي تحمل بيدها صولجان السلطة وهو من الزهر وتكون محاطة في سيرها ببنات انتخبن ليكن بنات شرف لها كما ان للملكات نساء شرف · وحين وصولهن الى الكنيسة تقام صلاة مخصوصة بهذا العيد ولا يأتي القس على آخر الصلاة وتسكت اصوات الترنيم حتى تخفق قلوب جميع الطالبات تشوقاً لمعرفة الابنة التي اصابها الانتخاب · فتقف الابنة التي كانت ملكة في العام الماضي وتتلو خطاباً صغيراً تشكر فيه (رعيتها) على خضوعهن وحسن سلوكهن فتتقدم حينئذ احدى بنات الشرف وترفع عن راسها اكليل الملك الذي يكون زهره زاوياً ذابلاً لانه صنع لها في العام الماضي · ثم تضع فتاة اخرى في يدها ازهاراً من الزهرة التي تسمى (لا تنسني) رمزاً الى وجوب ذكرها سنتها الماضية · وبعد ذلك تعلن نتيجة الانتخاب السري وينادى باسم الملكة الجديدة للسنة القادمة · فحدث ولا حرج حينئذ عن تاثر تلك الفتاة التي يصيبها الانتخاب وعلى ابتهاج رفيقاتها بها

ومتى نودي بالملكة الجديدة يدفع اليها صولجان السلطة وهو قضيب من الزهر فتقف على دكة عالية وتمرُّ حينئذ امامها جميع رفيقاتها اللواتي اصبحن (رعية) لها لتوزع عليهن جوائز سنية . وهذه الجوائز يهديها روسكين الى المدرسة في كل عام وهي نسخ كثيرة من كتبه الادبية تفرقها الملكة على رعاياها . وهي توزعها بلا قيد ولا شرط لانها ملكة تعطي منها ما تشاء لمن تشاء . فتعطي ماري جائزة لانها مخلصة في صداقتها وليا اخرى لانها تضحك كثيرًا ولا تضجر واولغا لانها تحب الموسيقى وكارولين لان الملكة تحبها كثيرًا . فتصور جمال هذا المنظر وبهجته

والحكمة في ذلك لا تخفى على القارئ . فان في هذه العادة الجيدة فائدتين عظيمتين الاولى التزام كل طالبة من الطالبات جادة الاجتهاد والادب وحسن السلوك ورضى المعلمات لتشتهر بهذه الفضائل وترشح نفسها بها لوظيفة الملكة . ولا ريب ان هذا الامل يفعل في النفوس ما لا يفعله وعظ ولا زجر . وبناء عليه تكون هذه العادة من خير وسائل التهذيب والتثقيف . هذا بصرف النظر عما تبثه في نفوس الطالبات من حب الجمال والاشيا الطبيعية

اما الفائدة الثانية فهي موجودة في الكتب التي تعطيها الملكة الى رعيتها . فان روسكين قد كتب هذه الكتب للطالبات دون سواهن وهذه بعض اسمائها : (السمسم والزنبقة) (اكليل الزيتون البري) وما اشبه . واليك المبادئ الادبية السامية التي فيها

« اذا اردت صنع حلة لك (فسطان) على يد خياطة ماهرة فاصنعيه على يد خياطة فقيرة فان ذلك خير من صنعه في احسن معامل لندرا »

« عودي نفسك على ان تشتغلي كل يوم بالابرة في وقت معين واصنعي في هذا الوقت بعض ملابس للفقراء المساكين الذين ليس لهم لباس او لا يحسنون صنع لباس على شكل جميل »

« لا تتحدي المسرات واسباب التسلية وانما اذا عرضت لك فلا تعرضي عنها . واياك ان تجعلي التسلي غرضك في هذه الحياة فانك اذا فعلت ذلك صار من الصعب عليك ان تجدي في العالم شيئًا يسرك سرورًا طاهرًا »

« البسي الثياب التي يريد اهلك الباسك اياها . ولا تقيمي بلا عمل البتة فاذا لم يكن لديك عمل فاغسلي آنيتك ونظفي الاشياء التي تستخدمينها في المنزل »

« ساعدي رفيقاتك واخدمي الفقراء ولكن اياك ان تعظيهم فانه ربما كان فيهم من هو اكثر فضلاً وتديناً منك . وصادقي بعضاً منهم وشاركيهم في عواطفهم واذا كان بعضهم يخجل من رؤيتك فلا تمري في طريقه . واما الاحسان اليهم فهو من شان الذين هم اكبر سناً منك واكثر معرفة »

هذا فيما يختص بالفتيات واما النساء فان روسكين يطلب منهن في هذه الكتب ان «لا يخرجن من منازلهن كما ان الملكات لا تخرج من ممالكهن . بل ان يصرفن عمرهن في المنزل في العمل والعناية . فيكن في الصباح نشيطات عاملات وفي المساء متعبات مستريحات . وتكون حياتهن محصورة في هذه الكلمات الثلاث : العمل المحبة التحسين

وهو يطلب منهن ان يكن في منازلهن خادمات في الظاهر ولكن ملكات في الباطن وان لا ينتظرن حكم الناس على ما يدعنه ولكن حكم الذين يعيشون معهن في المنزل . ويجب ان يكن قادرات في المنزل كارد لا يصعب عليه شيء . صامتات كالمصباح الذي يتقد وهو ساكت . وان يصلحن الطعام ويتعلمن الخياطة والتمريض ومسك الحسابات . ويعتنين بزينتهن ولكن قليلاً . ولا يدخلن في المناقشات التي تحدث على مسمع منهن

هذه بعض المبادئ التي تطالعها قارئات كتب روسكين المنشورة في اميركا وانكلترا الوفاً ومئات الوف . ويكفي للدلالة على شدة تاثيرها ان نقول ان الناس في البلاد الانكليزية والاميركية قد الفوا جمعيات لمطالعة هذه الكتب وقد انشأ الاميركيون مدينة جديدة سموها (روسكين) اعجاباً بمؤلفها واكراماً له . اما طالبات مدرسة ويتلندس التي يحتفل فيها كل عام بعيد ملكة مايو فانهن يخرجن من هذه المدرسة بعد انهاء دروسهن فيها ويذهبن للتعليم في المستعمرات الانكليزية فينشرن فيها عادة روسكين وكتبه وبذلك ينشرن بين الناس حب الطبيعة والخير والجمال. فكانهن رسل تبشر في اقطار العالم بانجيل جديد



وفاته

وادخال عادته الى الشرق

وقد توفي روسكين في ٢٠ يناير من عام ١٩٠٠ في منزله في برنتوود وهو في السنة الثانية والثمانين من العمر . فما ذاع خبر وفاته حتى غص منزله بالازهار المرسلة اليه

من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية من السوقة والامراء والكاثوليك والبروتستانت والفلاسفة والعلماء حتى من الملكة فكتوريا نفسها · ذلك لانهم كلهم ارادوا اكرام هذا الرجل الذي كان يسعى لاصلاح العالم بواسطة ما سماه الكتاب « ديانة الجمال » وقد اجمعوا هذا الاجماع على اكرامه مع اختلاف مبادئهم لاخلاصه في دعوته وشرف العيش الذي عاشه في حياته · فمات روسكين بين الازهار كما عاش بينها وخلف له في هذا العالم صيتاً طيباً مثلها

وقد عمل في حياته اعمالاً جليلة كما تقدم ومن اهم هذه الاعمال احياء عادة « ملكة مايو » والاحتفال بالربيع · فماذا يضرُّ مدارس البنات الشرقية ان تقتبس هذه العادة الجيدة التي تقدم تفصيلها وذكر فوائدها · فانه ليس كثيراً على الشرقيين ان يقتبسوا بعض عادات الغربيين الجيدة بازاء العادات القبيحة الكثيرة التي اخذوها عنهم · فنوجه من كل قوانا انظار رئيسات مدارس الاناث الى هذا الامر المفيد

راح الشتاء وجاء الربيع · فتح الورد الاحمر · وامتد العشب الاخضر · صنع الخالق البديع

راح الشتاء وغداً يجيء شهر مايو · فلتلبس بنات المدارس في اوله حللهن البيضاء ولتجتمعن كاسراب الحمام فوق بساط الطبيعة الخضراء لينتخبن للمرة الاولى تحت سماء الشرق افضلهن واجملهن و يناديَن بها (ملكة مايو) على اصوات النشيد البهيج الذي مطلعه (كل شيء حولنا جميل بهيج) فحينئذٍ تطلُّ الملائكة من السماء لتشاهد هذا الاحتفال وتزداد الطبيعة ابتساماً لهؤلاء العذارى اللواتي يحتفلن برجوع الربيع خطيبها · ولا تكتفي بالابتسام لهن بل تدعو لهن ايضاً بخطَّاب (على خواطرهن) ليكمل سرورهن كما كمل سرورها · · ·

باب المقالات

فشودة وروايتها

نظماً ونثراً

نُشر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب بشان فشوده والبعثة الفرنسوية العسكرية التي سارت من الحبشة لملاقاة مرشان فيها · وقد قال مؤلف هذا الكتاب الذي هو احد رجال البعثة المشار اليها ان سبب فشل فرنسا يومئذٍ هو عجز هذه البعثة عن الوصول الى فشوده · وسبب عجز البعثة هو وكيل فرنسا السياسي في الحبشة · فاعاد هذا الكلام ذكر رواية فشوده

وجميع القراء يعرفون تفاصيل هذه الرواية فلا حاجة للعودة اليها · وانما نورد بايجاز رأي مؤلف هذا الكتاب · فقد قال انه قبل خروجه بالبعثة من الحبشة قاصداً فشوده لملاقاة مرشان اشار عليهم امبراطور الحبشة ان يجتنبوا مستنقعاً في اعالي صوبات يستحيل عبوره من غير زوارق · ولكنهم ما اوشكوا ان يخرجوا من اديس ابابا حتى ورده امر من وكيل فرنسا في الحبشة بالمسير في ذات الجهة التي نصحهم الامبراطور بان لا يسيروا فيها فاضطروا الى الامتثال وساروا حتى بلغوا النيل وصاروا على مسافة ٤٠ ميلاً من فشوده من جهة بلاد الحبشة · ولكنهم وقفوا هناك للمستنقع الواسع الذي اعترضهم · فارادوا التحول عنه فوجدوا في اطرافه ادغالاً هائلة يغيب فيها جيش اذا نزل اليها فتناولوا ما لديهم من السلاح والمعاول واخذوا يقطعون تلك الادغال لينتحوا لهم طريقاً فيها فكانوا يتقدمون بهذه الطريقة بضعة اذرع في اليوم على الكثير · ثم ما لبث ان انتشرت الحميات بينهم لضعف اجسامهم من شدة التعب وحر النهار فتوفي بعضهم فاضطر الباقون للعودة خائبين · وكان ذلك قبل فتح ام درمان بستة شهور ولم يكن باقياً بينهم وبين فشوده سوى اقل من اربعين ميلاً

قال مؤلف هذا الكتاب · فلو تمكنا من اجتياز تلك الصعاب لوصلنا الى فشوده قبل وصول السردار الى ام درمان بستة اشهر وذلك كافٍ في رايه لتغيير وجه المسالة · فان

قواد الجنود المصرية والانكليزية الزاحفة الى السودان لم يكونوا حينئذ على ثقة من مستقبل الحملة بدليل الفرح العظيم الذي احدثه في لندرا انتصارهم على الدراويش فلو احتلت فرنسا فشوده قبل هذا الانتصار ببضعة شهور لما قابلتها انكلترا بالحدة التي قابلتها بها بل لما جاز لها ان تقابلها بها لان فشوده كانت تابعة للدراويش لا لمصر

هذه خلاصة الكتاب . ولكن هذا القول مردود من جملة وجوه . اهمها ان انكلترا كانت تعتبر كل الاراضي التي في اعالي النيل تابعة لمصر وان كانت في قبضة الدراويش وذلك لاعتبارها ان الدراويش انفسهم تابعون لمصر وانما تخلت عنهم مصر الى اجل مسمى . واما الاسباب الحقيقية التي اضطرت فرنسا الى الخروج من فشوده محنية الراس مع كبريائها وعزتها فهذه اهمها

(١) ضعف الراي العام في مصر وعدم مداخلته لابلاغ الفريقين ان مصر ليست ملكاً لهؤلاء ولا فشوده ملكاً لاولئك بل هما ملك للامة

(٢) عدم اغتنام الدولة العلية العثمانية صاحبة السيادة تلك الفرصة لفتح المسألة المصرية

(٣) عدم استعداد العمارة الفرنسوية لان اكثر سفنها كانت يومئذ مجردة من اسلحتها في الموانىء والعملة يعملون في تنظيفها واصلاحها

(٤) ضعف فرنسا في البحر وقوة انكلترا فيه فالحرب بينهما لا تخلو من خطر عظيم على فرنسا وليس من الحكمة ان تعرض فرنسا لهذا الخطر من اجل غيرها وطلباً لامر صغير كامر فشوده

(٥) اذخار قوتها لاسترداد الالزاس واللورين

هذه اهم الاسباب التي دعت الى فشل فرنسا في الرواية الفشودية لاما ذكره صاحب الكتاب . وقد نظم « شاعر النيل » هذه الرواية ملتزماً فيها جانب الهزل والجد فراينا نشرها على سبيل الفكاهة . ولم نسمِّ الناظم لان لقب (شاعر النيل) ينمُّ عليه . وهذه هي الرواية الشعرية

تمهيد

فشودة روايه للبصريـن آيـه ... بل شهد التمثيلا ثم انثنى بخيلا

قد مُثلت في العصر ليهتدي في مصر ... مولي الاكتاف في ساعة الاصعاف

فما اهتدى ولا عقل ولا درى كنه الحيل ... فلا تلم فرنسا وفضلها لا تنسا

وقل لمن رام السبب شقاه مصر قد غلب

الفصل الاول

مرشان في فشوده

مرشان بالنيل النقي من بعد ما عز اللقا
تقابلا في سلم على الصفا الاتم
حيث المياه تجري نهرًا يجنب نهر
والارض بكر لم تزل كدحاها في الازل
تخرج اصناف الثمر تنبت اجناس الزهر
تفيض بالمأكول من عدس وفول
ترابها التبر السني وكم بها من معدن
وغرسها ابن يومه « لمرشن » وقومه
فهي كما الجنات ما غير خذ وهات
مرشان فيها قد ثبت كأنه عود نبت
يلين للعواصف فما له من قاصف
اخرجه دلكاسي العوبة للناس
العوبة وتنقضي قدخاب فيهامن رضي
وكيف كان العاقبه فان مصر الغائبه
اذ لم يكن لبطرس من طاقة بدلكسي
ولا له من بوري يسمع ساالسبوري
ولا له من امّه تنجده في الغمة
ولا له من دوله تمده بالصوله

الفصل الثاني

مرشان والنيل

النيل كان نائما رأى « المجبور » قائما
يضربه في راسه يحسبه في رمسه
خاطبه يانيل يا ايها القتيل
يا تارك البلاد لأفسد الاولاد
ياضائع الميراث والصبية الاحداث
ذبحت بالسكين من ظالم مهين
وكان املاك المدى والحبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت في زير او وقعت في البير
فلا تلمني بعد ذا اذا تعمدت الاذى
اني انا المحامي عنك لدى الانام
لا بد لي من حصه قبل ضياع الفرصه
اذ قد غدا في التيه ان تحفظ القضيه
فهبّ داعي النيل من نومه الطويل
يقول يا مرشان يا ايها الشيطان
يا اسد القفار يا حية البراري
يا سمكًا عوامًا يا طائرًا حوّامًا
يا لبكة العجين يا بلة في طين
يا ضجة الطبول على طريق الفول
يا خارجًا من علبه يا حادثًا من لعبه
يا مشكلا لما نزل ومشكلين ان رحل
وان اردت جدي فانت خير عندي
من كل ذي قلب بطل لجنة الارض وصل
ما كانت الشهور يحكي لها طابور
ولا الحمام الازرق يعصم منه زورق
ولا الاسود السود يصدها بارود
ولا مجاهل الثرى تطوى كما تطوي القرى
سلكتها ياغازي اية المجاز
حتى ملكت مجرى بحر الغزال طرا
تبيعه وتشتري براية وعسكري
لكن تعال قل لي ولا تكن مضلي
من ذا اباحك الحمى من ذا حباك المغنما

من ذا لهذ جرّا من ذا عليه جرّا
بحر الغزال مني كيف يزول عني
وهذه فشوده ربيبتي المعهوده
كيف اساء فيها وكيف نقتنيها
فاندفع الماجور بسحره يدور
وقال قولاً مقنعا اثبت فيه ما ادعى
ياسيد الانهار وملك الديار
ماذا يهمك السقط من بعد ما الراس سقط

الفصل الثالث

سالسبوري ومصر

وجاء سالسبوري لمصر في سرور
يقول وهي تستمع بقنعها فتقتنع
يامصر يافتاتي يازينة البنات
يامشتهى انكلترا يابنت اخت لندره
يامنية التاميز والوطن العزيز
بل يا اتان المضحكة يا الف الف ضحكه
ياناقة السردار وجيشه الجرار
ياأصل ماقد اكتسب من ثروة ومن نعب
يابلداً ما فيه ذو ناظر يبكيه
يا امة ولا وطن يامنزلاً لمن سكن
ياموطيء الاقدام يافتنة الاقوام

اني ارى النشالا يختلس الخلخالا
هيا نصيح السارقا ونشهد الخلائقا
وبطرس والوزارا يحررون القمطرا
ويثبتون فيه تهمة سارقيه
وبعد عرض الشكوى نقيم نحن الدعوى
ونظهر النصوصا ونطرد اللصوصا
اولا فقد خاب الامل ولا سبيل للعمل
فما اتمّ قوله ان ضحكت مصر له
واقبلت تقول يا ايها المأمول
الوزرا عبيدكا والكل من جنودكا
فاقض بما تشاه لا ينقض القضاه

رقصة الختام

الحكم عن بطرس (١) نادرة في المجلس
اذ قالت النظار يا من له الفخار
نرى المجال صعبا ذئب يعض ذئبا
فهات حدث عنه كيف خرجت منه
فقام فيهم ناصحا يقول قولاً راجحا
فشودة تعيشوا مثل اسمها فشوش
ما الخلف والتجافي الا على الضعاف
دفنته للورد وبتّ تحت جلدي

---

(١) ان حضرات النظار الكرام لا يستحقون هذا التهكم والمزاح لانهم في حادثة فشودة عملوا ما تعمله كل وزارة مصرية مسئولة . ولو كان في امكانهم ان يعملوا احسن منه لما قعدوا عنه ولكن عذر الشاعر انه يجوز له ما لا يجوز لسواه

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مؤلفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفة بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها . ويتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رتبهم واخلاق الهنود ووصف شؤونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة

(تابع لما قبله)

٤

ولما دخل الدكتور الانكليزي الى قاعة البراهمة مكشوف الراس عاري القدمين والجسم لا يستره الا غطاء قطني اخذ يتامل في المكان فوجد انه قاعة متسعة سماؤُها قائمة على اعمدة ضخمة من خشب الصندل وارضها مفروشة ببسط دقيقة طول الواحد منها سبعة اقدام في سبعة عرضاً . وكان في صدر القاعة دكة عالية محاطة بدرابزون من خشب الابنوس وفوق الدكة راس البراهمة الجليل بلحية بيضاء وثلاثة خيوط قطنية حسب عادة البراهمة . وكان جالساً على بساط اصفر اللون وهو جامد كالصنم لا يتحرك منه عضو حتى عينيه وحوله تلامذته بعضهم يطرد الذباب عنه بمذبات مصنوعة من اذناب الطاووس وبعضهم يحرق عود الند في مجامر من الفضة والياقوت والبعض يضربون على السنطير انغاماً شجية . وكان حول دكة الرئيس صفوف من الزهاد والعلماء والدراويش في جملتهم بعض تلامذته وكلهم باذرع مطوية على صدورهم مطرقون الى الارض هيبةً واجلالاً

فهمَّ الدكتور بان يتقدم الى دكة راس البراهمة قياماً بواجب التحية والسلام فمنعه البرهمي من ذلك واوقفه عند البساط التاسع اذ لا يجوز لاكابر الهنود ان يتجاوزوا هذا الحد . اما الحكام فانهم يصلون الى البساط السادس والامراء ابناء الملك الى البساط الثالث . وليس لاحد شرف الوصول الى راس البراهمة لتقبيل قدميه تبركاً بذلك غير ملك الهند وحده

فما احمق الانسان واجهله . من يصدق ان البشر الذين خُلقوا على صورة الله ومثاله يصل بعضهم الى هذا الترفع والتجبر وبعضهم الى هذا الخوف والدناءة

وكان الدكتور قد امر رجاله بان يضعوا عند مدخل القاعة الهدايا التي جاء بها الى رئيس البراهمة فاخذها البراهمة الى رئيسهم فالقى عليها الرئيس نظرة لا تدل على استحسان ولا استهجان ثم نقلوها الى داخل القصر

اما الدكتور فانه لما وقف عند البساط التاسع اراد ان يستهل كلامه بخطبة انيقة باللغة الهندية لانه كان يعرفها فاشار اليه البرهمي بالصمت حتى يخاطبه راس البراهمة فصمت وجلس متضجرًا من كل هذه الترتيبات المتعبة . ولكنه قال في نفسه « يهون عليَّ كل تعب في سبيل الحقيقة والبحث عنها »

ولما جلس الدكتور سكتت اصوات الموسيقى وساد في القاعة سكوت تام فسأل حينئذٍ راس البراهمة الدكتور هذا السؤال « ما جاء بك الى الهند » . غير ان الرئيس لم يخاطب الدكتور مباشرة بل القى هذا السؤال الى درويش وهذا الدرويش القاه الى درويش ثانٍ فالقاه هذا الثاني الى درويش ثالث اوصله الى الدكتور

فاجاب الدكتور باللغة الهندية الفصحى « انما جئت هيكل جاكرينا لمقابلة كاهنه الاعظم الذي اشتهر بعلمه وحكمته وذلك لاساله حل بعض المسائل العلمية والفلسفية التي اعيانا حلها »

وكانت جميع الابصار حينئذٍ شاخصة الى الدكتور فلما اتمَّ كلامه انتقلت الى راس البراهمة

وبعد برهة سال راس البراهمة الدكتور بالطريقة الاولى « قل ما هي المسائل التي ترغب في حلها »

فاجاب الدكتور على الفور . المسالة الاولى هي: « ما الطريقة التي يتوصل بها الانسان الى معرفة الحقيقة »

فتامل الكاهن الاعظم برهة ثم اجاب « ان الحقيقة لا تُعرف الا بواسطة البراهمة »

فانحنى كل من في المجلس اعجابًا بحكمة رئيسهم العظيم . اما الدكتور فساءه هذا الجواب لانه كان يتوقع جوابًا احسن منه ولكنه كظم ما في نفسه وسال السؤال الثاني وهو : « اين نجد الحقيقة في هذا العالم »

فشخصت جميع الابصار الى فم الرئيس تنتظر جوابه الحكيم

فلم يلبث راس البراهمة ان اجاب « ان الخالق وضع الحقائق كلها في الكتب الاربعة الهندية المقدسة وقد كُتبت هذه الكتب باللغة السنسكريتية منذ ١٢٠ الف سنة . ولا يقف احد على هذه الكتب ولا يفهم اسرارها الا البراهمة »

فدوت هنا القاعة من تصفيق الجالسين واخذتهم هزة الطرب اعجاباً بهذا الجواب السديد

اما الدكتور فلا تسل عن حنقه وغيظه . ولكنه تجلد ليرى النهاية ثم اجاب بشيء من النزق والحدة « ان كان الخالق قد وضع الحقائق في كتب خصوصية لا يقف عليها الا البراهمة ولا يفهمها احد غيرهم فذلك يدل على ان الخالق يخفي الحقيقة عن الذين ليسوا ببراهمة ولم يسمعوا بهم قط فهو بالتالي يمنعهم من معرفتها وهذا ظلم محض »

فاجاب الرئيس « هكذا اراد برهما وليس للبشر الاعتراض على ارادته »

فازداد الحاضرون تحمساً وتصفيقاً

فساله الدكتور عند ذلك سؤاله الثالث وهو : « هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً »

فاجاب الرئيس « من الصواب احياناً ان نخفي الحقيقة عن جميع الناس . ولكن لا يجوز البتة اخفاؤها عن البراهمة »

فلم يتمالك الدكتور ان استشاط عند ذلك غضباً فصاح : « لماذا نُكره الناس على ان يقولوا الحقيقة للبراهمة اذا كان البراهمة لا يقولونها لاحد ولا ينفعون بها احداً . الا يكون ذلك ظلماً من البراهمة »

ولكن ما لفظ الدكتور هذا الكلام حتى علت ضوضاء الحاضرين . فانهم سمعوا الدكتور يعزو الظلم الى الله سبحانه وتعالى فسكتوا عنه ولكنهم لم يسكتوا عند نسبته الظلم اليهم . فقام الزهاد والعلماء والدراويش والبراهمة والتلامذة قومة واحدة لمناظرة الدكتور ومقاومته . فنهض حينئذ الرئيس وصفق بيديه قائلاً بصوت سمعه الجميع « ان البراهمة لا يناظرون علماء الافرنج » ثم نزل من مكانه وخرج من القاعة

فازداد القوم صراخاً وهياجاً بعد خروجه وكادوا يؤذون الدكتور لولا معرفتهم بقوة الانكليز ونفوذهم في الهند . فخرج الدكتور من القاعة غاضباً متضجراً فقال له البرهمي الذي ادخله الى القاعة لو لم تُغضب الكاهن الاعظم لقدم لك الشراب والطيب حسب العادة فلماذا اغضبته . فاجاب الدكتور بماذا اغضبته . فقال البرهمي اغضبته باعتراضك على كلامه

الا تعلم بانه حكيم الهندو عظيمها وان كل كلمة من كلماته حكمة باهرة لا تفهمها العقول البشرية ·
فهزّ الدكتور راسه وخرج الى ثيابه وهو يقول : قد عرفت ذلك الآن . فياضيعة التعب الذي عانيته في الوصول الى هنا

ثم اسرع الى ملابسه فنزع الغطاء القطني ولبسها وخرج يطلب رجاله

وكانت الغيوم حينئذٍ متلبدة في السماء والجو ينذر بالمطر والليل يرخي سدائله · فاستاذن الدكتور في المبيت في احدى غرف الهيكل فلم يؤذن له لانه كان « افرنجياً » اي نجساً فطلب ماء ليروي به ظمأ ناله من التحمس والهياج فجاؤه بابريق فيه ماء فشرب الدكتور منه ثم ناوله للبرهمي فالقاه البرهمي على الارض وكسره لانه صار نجساً من فم « الافرنجي » فاستشاط الدكتور حينئذٍ غضباً فامر رجاله بالمسير في الحال فعادوا به من حيث اتوا قرب هبوط الظلام

فجلس الدكتور في هودجه فوق اكتافهم وجعل يتامل في المشاق التي عاناها للوصول الى هذا المكان وما كان من خيبة امله · واخذ يقول في نفسه : لقد صدق المثل الهندي القائل « ان كل اوروبي يقصد الهند يتعلم الصبر ان كان غير صبور و يفقد صبره ان كان صبوراً » فقد عيل صبري · لقد تعبت في التفتيش عن الحقيقة سدى وها انذا اعود خائباً . فما هذا الشقاء البشري · أُقضي على الحقيقة ان تظل مجهولة من الناس وعلى الناس ان يبقوا تائهين في وهاد الجهل والغباوة

وبينما هو سائر على اكتاف الرجال يتامل في هذا الموضوع والليل قد ارخى سدائله هبّ بغتة اعصار شديد يسميه الهنود « طوفاناً » فكانت الريح تهب من صوب البحر على مياه نهر الكانج فتقذفها على الجزائر التي عند مصبه ثم تثير من شواطئها الرمل والتراب وترفع من غاباتها اوراق الاشجار الى عنان السماء · وكانت الزوبعة تصدم الاشجار الضخمة المغروسة في جانبي الطريق فتعبث بها كما تعبث الريح الخفيفة الاعتيادية بالاعشاب وتحطم اغصانها وتلقيها في وسط الطريق · وفضلاً عن ذلك فان نهر الكانج اخذ بالفيضان بعد هبوب الزوبعة وصار المطر يهطل غزيراً · فخاف الدكتور ان تؤذيهم تلك الاشجار بالتوائها وانقصاف اغصانها وان يغرقهم الكانج بفيضانه فامر رجاله بالخروج من الطريق والسير في الحقول نحو الربى والآكام المجاورة احتياطاً لفيضان الكانج · فسار رجال الدكتور به في الجهة التي اشار اليها ثلاث ساعات على غير هدى تحت جنح الظلام · واذا بوميض برق شقّ كبد السماء وانار الافق فراوا الى يمينهم على نوره هيكل جاكرنا

وجزائر الكانج يتلوها بحر عجاج متلاطم بالامواج وامامهم واديًا صغيرًا بين اكمتين وفيه حرش صغير قريب منهم . فاسرعوا الى هذا الحرش ليدخلوه فوجدوا نباتات وشجيرات تسد الطريق لالتفافها على اشجار الحرش فتناول الفرسان سيوفهم وفتحوا بها طريقًا فدخل الجميع تحت الاشجار الضخمة وهم يحسبون انهم اصبحوا في مأمن من الفيضان والمطر والزوبعة . ولكنهم لم يتنفسوا الصعداء برهة حتى دهمتهم السيول من كل جانب تنصب في ذلك الوادي لان المطر كان غزيرًا . فساودهم القلق والخوف

وفيما هم في هذه الحالة يضربون اخماسًا لاسداس حانت من احدهم التفاتة فابصر من خلال الاشجار بصيص نور بعيد فاسرع حامل المصباح الى مكان النور ليشعل مصباحه غير انه لم يغب بضع دقائق حتى عاد ركضًا وهو يلهث و يصيح بكل قواه « ابعدوا ابعدوا في هذا المكان خارجي »

فاسرع الدكتور وتناول مسدسه وهو يظن ان هنالك وحشًا ضاريًا ثم سأل الرجل : « ما هذا الخارجي »

فاجاب الرجل وهو يلهث تعبًا وخوفًا - « هو رجل بلا ذمة ولا دين » فقال رئيس الفرسان للدكتور « الخارجي هو هندي من ادنى الطوائف وشريعتنا تحلل لنا قتله اذا لمسنا . واذا جالسناه حُرمنا نعمة الدخول الى هيكل من هياكل الاقمار القديمة ووجب علينا ان نطهر انفسنا بالاستحمام تسع مرات في نهر الكنج وان يدهننا البراهمة ببول البقر تسع مرات من الفرق الى القدم »

فصرخ جميع رجال الدكتور وكلهم من الهنود كما تقدم « لا نجالس خارجيًا ولا ندخل مكان خارجي »

فقال الدكتور لحامل النور « ومن اين علمت ان الرجل خارجي بلا ذمة ولا دين كما زعمت » فاجاب الرجل « علمت ذلك من انني لما فتحت باب كوخه رأيته جالسًا بجانب كلبه وهو يقدم الماء لامرأته في قرن البقر . ولا يخفى عليك ان الكلب دنس والبقر من معبوداتنا »

فصاح الجميع مرة ثانية « سحقًا له فنحن نكره رؤيته »

فنظر اليهم الدكتور باسمًا ثم قال « اقيموا انتم هنا ان اردتم . اما انا فلا يعنيني شيء من اتقاء خطر الزوابع والسيول فعندي جميع طوائف الهند سواء »

قال ذلك ثم تأبط كتابه وكيسًا وضع فيه امتعته ومسدسه وغليونه ثم تركهم وسار

نحو مكان الخارجي مستهدياً بصيص النور المنبعث منه

٥

وما زال الدكتور سائرًا في الظلام نحو النور حتى انتهى الى كوخ قائم تحت شجرة عظيمة فدنا من الباب وقرعه قرعاً لطيفاً . ففتح له الباب رجل لطيف الهيئة ولما نظر هذا الرجل الدكتور تنحى عن الباب وقال بادب « عفوًا ياسيدي فانا خارجي لا استحق ان تشرف بيتي . اما اذا كنت تطلب الاحتماء من الزوبعة فاهلاً بك وسهلاً »

فدهش الدكتور من هذه اللهجة واجابه باللغة الهندية التي كان يعرفها كما تقدم « شكرًا لك يا اخي وانا اقبل دعوتك بابتهاج وسرور »

ثم دخل الدكتور الى الكوخ مستأنساً بالنور بعد الظلام وبالاجتماع بعد الوحدة فرأى كل ما في داخل الكوخ بسيطاً نظيفاً مرتباً وابصر في احدى زواياه امراة خاشعة الطرف تهز بلطف سرير ولدها

اما الخارجي فانه ما دخل الدكتور الى بيته حتى خرج فاحتمل حطباً كثيرًا وتناول سلة مملوّة من ثمار الموز والنارجيل ثم خرج يفتش عن رجال الدكتور . ولما اهتدى اليهم وضع الحطب والسلة بعيدًا منهم وخاطبهم بلطف عن بعد قائلاً « بما انكم لا تتنازلون لدخول كوخي فاذنوا لي بان اقدم لكم ما تسدون به حاجتكم فلا بد انكم في جوع ولا بد ان يكون المطر قد بلل ثيابكم فخذوا هذه ثمار مغلقة لم تمسها يدي فاخرجوها وكلوا منها وهذا حطب اضرموه تجفيفاً لملابسكم وابعادًا للغورة عنكم . وليكن الله حارساً لكم »

ثم عاد الخارجي الى الكوخ مسرعاً فمد بساطاً ووضع عليه شيئاً من الغباء والبطاطس المشوية والموز المشوي وقدرًا من الارز المطبوخ بالسكر وحليب النارجيل . ثم دعا الدكتور الى هذا الطعام الطبيعي البسيط بقوله : « لا بد انك علمت ياسيدي انني خارجي لا استحق ان ادنو من احد او ان يدنو مني احد غيراني ارى في ملابسك ما يدلني على انك لست هندياً فان رايت ان تتنازل الى تناول ما اعده لك خادمك الحقير اوليتني نعمة وجميلاً »

فاثرت هذه اللهجة في نفس الدكتور احسن تاثير فنهض الى بساط الطعام مسرورًا . اما الخارجي فتنحى مع امرأته وولده في احدى زوايا الكوخ فساء ذلك الدكتور والتفت اليه قائلاً : « لماذا لم تجلس معي على الطعام . انت افضل مني ايها الرجل لاني رايتك تحسن الى من يسوء اليك (يعني بذلك تقديمه الطعام والحطب لرجاله) فاذا لم تجالسني على هذه

الطعام حسبت انك تظنني شريرًا مثل اولئك الرجال وحينئذ اترك الكوخ عائدًا من حيث اتيت ولو اغرقني السيل واكلتني الوحوش »

فنهض الخارجي وجلس بجانب الدكتور واخذ يأكل معه . فاكل الدكتور مسرورًا لانه وجد ملجأ من الزوبعة والمطر . وكان الكوخ مبنيًا في اضيق مكان في الوادي تحت دوحة من التين المندي وهي شجرة ضخمة ذات ورق كثيف عريض لا ينفذه ماء المطر مهما هطل . وكانت الزوبعة في الخارج تزئر زئيرًا شديدًا تمازجه صعقات رعد هائلة والريح تهب هبوبًا شديدًا يكاد يقتلع الاشجار من اصولها ومع ذلك فقد كان كل ما في داخل الكوخ هادئًا ساكنًا حتى نور السراج ودخانه . فراق الدكتور هذا السكون السائد حول المندي وامراته وسط هياج الطبيعة وعناصرها . وكانت المراة جالسة قريبًا من سرير ولدها تهز سريره بقدمها وتصنع له بيديها طوقًا من الزهر لتزينه به . وكان الرجل ينظر اليها والى ولده الحين بعد الحين بعين طافحة حبًا وحنوًا وعلى وجهه لوائح الدعة والبساطة وفراغ البال وراحة الضمير . فكان كل ما في ذلك الكوخ المنفرد في البرية وسط الطبيعة الثائرة الهائجة كان مستريحًا هادئًا حتى كلب الكوخ وهرته اللذين كانا نائمين بجانب موقد النار الواحد بقرب الآخر . وكان الكلب يفتح من حين الى حين عينيه و يتنهد كلما وقع نظره على سيده

ولما فرغ الدكتور من تناول الطعام اتاه المندي بنار لاشعال غليونه ثم اشعل هو غليونه واشار الى امراته فجاءت بسلتين من النارجيل واناء مملوء شرابًا مصنوعًا من ماء العرق وعصير الليمون الحامض وماء قصب السكر فتناول الدكتور شيئًا من ذلك ثم جلسا للحديث فقال الدكتور

لقد اعجبني ايها الاخ عيشك البسيط في هذه الارض القفراء وسط هذه الغابة الكثيفة وكأني اقرأ على جبينك ما انت فيه من خلو البال وراحة الضمير غير اني اسألك الا تخاف الزوابع والصواعق في هذا المكان المنفرد فان كوخك لا يقيه منها غير هذه الشجرة والاشجار تجتذب الصواعق كما تعلم

فاجاب المندي : ان الصاعقة لا تقع البتة على شجرة التين المندي

فقال الدكتور مستغربًا : هذا امر كنت اجهله واني اشكرك على هذا الاكتشاف ولكن ما السبب في ذلك هل ان لشجرة التين المندي كهربائية سلبية كشجرة الغار

فقال المندي لا افهم معنى كلامك ياسيدي . وانما امرأتي تقول ان سبب ذلك ان

برهما تفيأ ظلها يوماً من الايام تخصها بهذه المزية . واما انا فاني ارى ان الخالق الذي خصها بورق كبير غليظ لا ينفذه المطر وقاية للبشر الذين يلجئون تحتها في هذه الاقطار الشديدة الامطار رأى ان يتمّ نعمته عليهم بخصها بمزية الوقاية من الصواعق كما خصها بمزية الوقاية من المطر

فقال الدكتور معجباً بقول الهندي : ما اسمى كلامك واعظم ثقتك بالعناية الالهية . وكأني علمت من جوابك امراً كنت اجهله وهو ان ثقتك بالله هي التي جعلتك مستريح الخاطر ناعم البال في هذه الوحدة . فقل لي ما هو مذهبك فقد راجعت في كتاب معي اسماء جميع طوائف الهنود فلم اجد فيه ذكراً لطائفة « الخارجيين » فمن اية طائفة انت . واين وطنك . وفي اي اقليم معبدك

فاجاب الهندي بشيء من الرزانة :

« وطني هذا العالم الفسيح . ومعبدي هذه الطبيعة الواسعة . فاني كلما اشرقت الشمس وقفت امامها في وسط الطبيعة اسبح خالقها . وكلما غربت شيعتها بنظري وحمدت الله عداد النعم التي منحني اياها . ولا همّ لي في معيشتي هذه غير خدمة امرأتي وولدي والعناية بكل ما هو لي حق كلبي وهري . وانا كما تراني مسرور بعيشتي في وسط الطبيعة سرور الولد في حضن امه او العصفور في عشه . ومتى حان اجلي غداً استقبلت الموت باسماً لاني لا احسبه شراً ولا ألماً وانما انتظره الآن كما انتظر نوماً لطيفاً في آخر النهار

فاخذ العجب من الدكتور كل ماخذ لهذا الجواب البديع . فقال للهندي : واي كتاب ارشدك الى هذه المبادىء الجميلة . فاجاب الهندي كتاب الطبيعة ياسيدي . فقال الدكتور لا ريب انه كتاب عظيم ولكن من علمك القراءة في هذا الكتاب . فاجاب الهندي

« المصائب ياسيدي . فاني ولدت في طائفة يسميها الهنود « خارجية » لانهم يعتبرونها خارجة عن طوائفهم المعروفة ولذلك يقولون انها نجسة رجسة فلا يقربونها . فلما شببت وجدت نفسي عاجزاً عن ان اكون هندياً ديناً ووطناً فعزمت على ان اكون انساناً . فلجأت الى الطبيعة لاعيش فيها حراً مستقلاً بعيداً عن ظلم اخواني بني الانسان

فقال الدكتور وما هي الكتب التي تستعين بها على صرف وقتك في هذه الوحدة . فاجاب الهندي باسماً اني لا اعرف القراءة ولا الكتابة ياسيدي . فهزّ حينئذ الدكتور راسه وقال له انك كفيت نفسك شكوكاً كثيرة . اما انا فاني مرسل من انكلترا لجمع

الكتب والاوراق بحثاً عن الحقائق وسعياً وراء ما يرفع شان البشر و يزيد راحتهم . وقد عانيت في هذا السبيل كثيراً من المشاق والاتعاب وفي اعتقادي ان تعبي قد ذهب سدى لانني صرت ارى السعي وراء الحقيقة عبثاً ولغواً بل حماقة وجنوناً اذ هب انا وجدنا الحقيقة التي نفتش عنها فمن يقبلها و يسمعها دون ان ينقلب بالسخط علينا

فاجاب الهندي . اني وان كنتُ على ما تعلم من الجهل يا سيدي الا انني استأذنك في ابداء رايي . اني اعتقد ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر اذ على الحقيقة يتوقف هناء الانسان وسعادته و بدونها لا يكون الانسان الا وحشاً طماعاً جاهلاً فاسد الاخلاق متعلقاً بالاوهام والترهات تبعاً لاغراض الذين يتولون تربيته . فالبحث عن الحقيقة من واجبات الانسان ومعرفتها حق له

٦

وكان الدكتور لا يزال يفكر في المسائل الثلاث التي القاها على رئيس البراهمة فلما راى اجوبة الهندي السديدة واقواله الصائبة خطر له ان يلقيها عليه ايضاً ليرى رايه فيها فقال له : قلتَ ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر وانه يكون بدونها وحشاً لا انساناً فهل لك ان تدلني على الطريق الموصلة الى الحقيقة . ولا تقل الحواس فان الحواس تكذب وتخدع . ولا تقل العقل فاني لا ارى العقل الا صورة للمصالح الشخصية ولذلك ترى هذا الخلاف العظيم بين البشر . انظر الى العالم هل ترى فيه امتين بل قبيلتين بل طائفتين بل عيلتين بل رجلين بافكار واحدة . فان لم يكن العقل هو الطريق الى الحقيقة فما هي الطريق اذاً

فاجاب الهندي ان العقل يخدعنا دائماً كما ذكرتَ ولذلك لا يصح ان يكون الطريق الى الحقيقة وانما الطريق الى الحقيقة والمرشد الامين اليها هو القلب الساذج السليم

فاجاب الدكتور . قد تكون مصيباً في قولك ايها الاخ وكانني فهمت الآن سبب اختلاف افكار الناس وتباين آرائهم . فهم يتفقون شعوراً ولكنهم يختلفون حكماً . فان مبادىء الحقيقة تدخل الى نفوسهم فيشعرون بها جميعاً ولكن كل واحد منهم يستنتج ويحكم طبقاً لمصلحته وهواه . فالمضلّ هنا هو العقل لا القلب . فاذا كان القلب نقياً سليماً كما ذكرتَ شعر بالحقيقة وحكم بما تمليه عليه دون ان يؤثر فيه مؤثر سواها

فقال الهندي . لقد شرحتَ فكري شرحاً لا اقدر عليه . ولكني اشبه تشبيهاً يعرب عما في ضميري . ان الحقيقة كندى السماء . ولا يبقى الندى نقياً الا اذا وضع

في اناء نقي

فصاح الدكتور مدهوشاً : احسنت احسنت · ان الحقيقة كندى السماء وهي لا تبقى نقية الا اذا حفظت في قلب نقي · ولكن قل لي اين نجد الحقيقة · افي مكاتب العلم ام في صدور الناس؟ لقد طفت في سياحتي بلاداً كثيرة ونقبت في كثير من المكاتب وناظرت كثيرين من العلماء فلم اجد ايان سرت وحيثما حللت سوى آراء متناقضة ومذاهب مختلفة وشكوك واوهام · فاذا كانت الحقيقة لا توجد في مكاتب العلم وصدور الناس فاين نجدها اذاً

فاجاب المندي · لو كنا لا نتوصل الى الحقيقة الا بواسطة البشر لارتبنا فيها واسأنا الظن بها · فدع الناس وشانهم اذا اردت البحث عن الحقيقة ولا تفتش عنها في اقوالهم واعمالهم فان اقوالهم واعمالهم تزيدك تيهاً وضلالاً · وانما فتش عن الحقيقة في الطبيعة وكل من يبحث عنها خارج الطبيعة يضلُّ سبيلاً · فان الطبيعة مصدر كل ما في الكون كما ان الله مصدر كل ما في الطبيعة · ولغة الطبيعة لطيفة بسيطة تفهمها ابسط العقول فضلاً عن كونها ثابتة ابدية لا يطرأ عليها تغيير او تبديل · واما لغة البشر فانت ادرى بما فيها من الابهام والغموض وما يطرأ عليها من الانقلاب

فقال الدكتور يؤخذ من قولك ان الطبيعة مصدر الحقائق كلها · وهو قول يصح في الحقائق الطبيعية ولكنه لا يصحُّ في الحقائق التاريخية · كيف الوصول الى معرفة ما جرى منذ الف او الفي سنة دون الاستعانة بالكتب · فان قلت بالنقل والتواتر اجبتك ان الانسان انسان في كل زمان ومكان فمن يركن الى قوله و ينزله منزلة الحقيقة الثابتة التي لا تُنقض فقد ركن الى الجهل والضعف والتشيع والتحريف والنسيان · فلا غنى لنا اذاً عن الكتب اثباتاً للحقائق التاريخية

فضحك المندي وقال · ولكن من كتب هذه الكتب · أليس الانسان · ومع ذلك فاية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه · واي تاثير للتاريخ في سعادتنا على هذه الارض · بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت · ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون

فاجاب الدكتور متعجباً · لقد سلمت بهذا الراي · يجب ان نبحث عن الحقيقة في الطبيعة وان لا نعبأ بما هو خارج عنها اذ لا علاقة له بسعادتنا · ولكن ما الواسطة التي ندرك بها هذه الحقيقة اعني دليلنا الذي نتوصل به اليها · انا نرى الحيوانات في الطبيعة

في حرب مستمرة فهي تقتتل وتاكل بعضها بعضا . فهل يجب ان يصنع الانسان بالانسان ما يصنعه الحيوان بالحيوان

فاجاب المندي . كلا ثم كلا . لان في قلب الانسان اساساً طبيعياً لحقوقه وواجباته وقد وضع الخالق هذا الاساس في داخل النوع البشري كما توضع المنائر على شواطئ البحار لهداية السفن . وهذا الاساس هو هذه القاعدة البسيطة «اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك» هذا هو دليل الانسان وقاعدة واجباته

فازداد الدكتور دهشة لاصالة راي المندي ثم ذكر اجوبة رئيس البراهمة وقابلها باجوبة المندي فعرف من هذه المقابلة كيف تحط الاوهام العقول وكيف يرفعها الانطلاق من اسر الاوهام . وبعد ذلك قال الدكتور

اني اسلم بصحة ارائك فيما يختص بالحقائق الادبية ولكن ما قولك في الحقائق الدينيه والطريق اليها . ان العالم مملوء بالاديان المختلفة والمذاهب المتباينة التي تفرق الشعوب وتقسم الامم فكيف الوصول الى الحقيقة في وسط تلك المذاهب والاديان المختلفة

فاجاب المندي . قلت لك ان تفتش عن الحقيقة في الطبيعة دون سواها فاذا رمت الحقيقة الدينية فلا تخرج عن هذه القاعدة . انظر الى الطبيعة بقلب بسيط نقي تجد روح الله مرفرفاً على وجهها وتقرأ آيات قدرته وحكمته في صفحاتها . اما الخلاف في المذاهب والاديان فاضرب عنه صفحاً فان لدى البشر من المصائب والجهل والشقاء ما يجب ان يشغلهم بحب الله تعالى وعبادته عن البحث فيه والمناظرة في شؤونه

فلم يتمالك الدكتور ان صاح ملء فمه : احسنت احسنت ولا سد فوك . وليت المشتغلين بتقسيم البشر وتفريقهم يسمعون هذا الكلام . بقي لي الآن سؤال واحد وهو هل اذا وجد الانسان الحقيقة يجب عليه ان يُطلع الناس عليها فاننا كثيراً ما رأينا البشر يضطهدون من يقول لهم الحق . فما رايك في هذا

فاجاب المندي . لا ارى من الواجب ان نقول الحقيقة للاشرار والاردياء الذين يكرهونها ولكنه واجب محتوم ان نقولها للصالحين والعقلاء الذين يحبونها . ومثل الشرير والحقيقة مثل تمساح ولؤلؤة . فانك اذا القيت لؤلؤة الى التمساح انقض عليها لسحقها باسنانه لا ليتزين بها اذ هي لا اذن له . ولما يعجز عن كسرها يلقيها وينقض عليك ملتهباً حقداً وغضباً

فراق الدكتور هذا التشبيه فقال معجباً . ولكن لي عليك اعتراض . وهو انه يؤخذ من كلامك ان الناس الاشرار يضطهدون كل من يحب الحق و يقوله لهم . فمن يجترىء والحالة هذه على التصريح بالحقيقة وتعليمهم اياها اذا كان نصيبه الاضطهاد والعدوان

فاجاب المندي . للبشر مدرسة عليا تعلّمهم الحقيقة وتسمعهم صوتها اذا سكتت اصوات الناس عن النداء بها . وهذه المدرسة هي : مصائب الحياة

فقال الدكتور معترضاً : اما في هذا فلست من رأيك ايها الرجل الفاضل لاني اعتقد ان المصائب تحط قوى النفس و تزيد شقاء الانسان . وكلما ازداد الانسان شقاء ازداد تلوثاً بحمأة الضعة والدناءة . فما تقول في هذا .

فاجاب المندي : ان قولك هذا يصدق على الانسان اذا لم يبلغ اقصى درجات المصائب في هذه الحياة . اما الذين يصلون الى قمة المصائب فان غشاء كثيفاً يسقط عن عيونهم فيرون الحقيقة مجردة من كل شيء . ومثل المصائب مثل الجبل الشامخ الوعر . فانك تتعب في صعوده ولا تجد في وجهك الا حجارة وشوكاً ولكنك متى بلغت قمة هذا الجبل ابصرت منظراً طبيعياً جميلاً : السماء فوق راسك والارض بمناظرها الطبيعية الرائقة منبسطة تحت قدميك

فصاح الدكتور مدهوشاً

ما اجمل هذا التشبيه واصح هذا الكلام . اجل ان المصائب كالجبل الذي ذكرته وكل واحد منا امامه جبل يجب عليه ان يصعده . اما جبلك انت ايها الرجل الفاضل فيلوح لي انه كان شاهقاً جداً لاني اراك ارقى من جميع البشر الذين عرفتهم ولعل ذلك لانك كنت اتعسهم . فقص عليّ تاريخ حياتك واخبرني لماذا صارت طائفتكم مضطهدة محقوتة الى هذا الحد

(ستاتي البقية في المقالة التالية وفيها الخاتمة)

الواحات المصرية

واحتياجها الى عناية الحكومة

في داخل القطر المصري بلاد واسعة مجهولة تدعى « الواحات » قلما يعرف عنها الناس شيئًا . وقد هبت فيها في ٢٤ يناير زوابع شديدة هدمت كثيرًا من المنازل واماتت كثيرين من السكان وهطلت فيها امطار متواصلة استمرت ٤٠ ساعة متوالية فاتلفت بعض الحاصلات والمواشي فاصدرت الحكومة المصرية امرًا الى سعادة مدير اسيوط بالسفر في الحال الى مكان الحادثة لمساعدة المنكوبين واغاثتهم

وقد نشرت جريدة (مصر) الغراء كلامًا مسهبًا عن هذه الواحات وموقعها وزراعتها واهلها واخلاقهم فراينا من الفائدة وحسن الخدمة اعادة نشره توجيهًا للانظار الى قوم ضعاف يحتاجون الى عناية الحكومة وارشادها اشد احتياج و بيانًا للبون الشاسع الذي بين حالة الانحطاط الشديد في الواحات وحالة التقدم الزاهر في امهات مدن القطر مع ان الفريقين جزء من بلاد واحدة وتابعان لحكومة واحدة

موقع الوحات — الواحات التابعة للحكومة المصرية جميعها واقعة في الصحراء الغربية المعروفة بصحراء ليبيه الفاصلة بين مصر وطرابلس الغرب وهي على اربعة اقسام اولها من الجهة القبلية الواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط واقعة غربي الاقليم الممتد من اسنا الى اسيوط وهي عبارة عن اربعة بلدان كبرى تتبعها بعض كفور صغيرة وسكانها كلهم لا يزيدون عن سبعة الآف نسمة وعاصمتها بلدة الخارجة واسمها القديم (مدينة ابيوت) وفيها اثار نفيسة للمصريين الاقدمين تشهد بما كان لها من الارتقاء العظيم في غابر السنين وهي الان عبارة عن قرية بسيطة بها مقر معاون الادارة المتولي الحكم عليها من قبل مديرية اسيوط وشرذمة من البوليس بقيادة احد الضباط .

والى شمال الخارجة على مسير ثلاثة ايام تجد الواحات الداخلة وهي ايضًا تابعة لمديرية اسيوط وواقعة الى الشمال الغربي منها وسكانها نحو ١٧ الف نسمة يقطنون ١٢ بلدة عاصمتها بلدة موط وبها يقيم مامور الادارة وشرذمة من البوليس وقاضي الواحات الشرعي وطبيب تنتدبه مصلحة الصحة مرة في كل سنة وفي هذا القسم حدثت نكبة السيل المتقدم الكلام عليها

والقسم الثالث من الواحات يعرف بالواحات البحرية وهو واقع غربي اقليم المنيا وتابع

لمديريتها وممتد الى جنوب اقليم الفيوم وعدد سكانه نحو سبعة الاف نفس يقطنون في اربعة بلدان وبعض الكفور وعاصمته بلدة البواطي وبها يقيم مندوب الحكومة وكان هذا القسم قبلاً تابعاً لمديرية الفيوم فاحيل من عهد قريب على مديرية المنيا لقربه اليها

اما القسم الرابع فهو واحة سيوى التابعة لمديرية البحيرة وهذه الواحة واقعة شمالي غربي القطر المصري بين مريوط وطرابلس الغرب وهي اصغر الواحات وسكانها لا يزيدون عن ٥ الاف نفس واغلبهم من عرب الغرب الكثيري التردد عليها

وكل هذه الواحات كائنة في وادٍ منخفض مستطيل يشبه وادي الصعيد في عرضه وتعريجه ممتد من فوق اصوان جنوباً الى شطوط البحر المتوسط شمالاً يعرف بوادي دمو وهو واقع خلف سلسلة جبال الوجه القبلي الى الجهة الغربية بمسافة يختلف عرضها بين ٦٠ و١٠٠ كيلو متر واكثر اراضي هذا الوادي صالحة للزراعة والجانب الاكبر منها مركب من الطين الاسود المعروف بالابليز الذي يخلفه طمي النيل بعينه وهذا مما يؤيد راي القائلين بان النيل كان يجري قديماً في هذا الوادي الفسيح كما يجري الآن في مصر ونحن من اصحاب هذا الراي بدليل ما رايناه فيه من الاثار الكثيرة واطلال المدن الكبيرة الباقية الى الآن في وسط قفاره الموحشة وهي ما وجدت في هذا الاقليم المظلم الا حينما كان آهلاً بالسكان ومحفوفاً بالخصب والعمران . ومن البديهي ان العمران لا يوجده في مثل ذلك المكان غير النيل وفيضانه العميم وكل الاراضي المشغولة الآن بالزراعة في الواحات لا تُعد شيئاً مذكوراً في جانب باقي اراضي وادي دمو المقفرة لحرمانها من الماء بل هي عبارة عن قطرة من بحر ولا بد ان تاتي ايام فيها تقوى يد الانسان على ايصال العمران اليها مرة ثانية قياساً على حركة التقدم السائر عليها الكون في هذا الزمان

اما الآن فلا سبيل الى ايجاد الماء في ارض الواحات لري الزراعة واستقاء الناس الا بواسطة الابار الارتوازية . وحفر هذه الابار هناك معروف من قدم وهو محصور بعمال الحكومة الى الآن ولكن لا يعلم بالضبط من الذي اوجده بها وقد تحققنا ان المغفور له محمد علي باشا استدعى اليه في سنة ١٨٣٦ احد العلماء الجيولوجيين من فرنسا وهو المرحوم ايمو بك وكلفه تحسين حالة الآبار التي وجدها من قبل ايامه وكلفه كذلك حفر ابار اخرى من نوعها فصدع بامره واستحضر من اوربا الالات الكافية لذلك وكلها باقية الى الآن في عهدة عمال خصوصيين من قبل الحكومة مختصين بهذا العمل نظير اجرة يتقاضونها من الاهالي

ومياه الابار الارتوازيه في الواحات تفيض من نفسها على سطح الاراضي على ارتفاع يختلف بين ٢٠ و٥٠ سنتيمترًا على الاكثر والبئر الواحدة تكفي لزراعة نحو مائتي فدان في في السنة ومياهها لا تصلح للشرب الا بعد الترشيح لاختلاطها بكثير من المواد الكبريتية والمعدنية

الاراضي والزراعة — كل اراضي الواحات حرة مباحة لمن يريد الزراعة فيها وهي بلا ثمن ولكن الماء اللازم لريها واغاثها ذو قيمة ثمينة لا ياتي الا من الابار الارتوازية التي اشرنا اليها وهي تكلف الذين يقومون بحفرها انفاق نفقات طائلة حتى ان البئر الواحدة لا يقوى على حفرها هناك غير جماعة كبيرة من الناس وثروة الافراد في الواحات تقدر بحسب الحصص التي يمثلها كل واحد منهم في تلك الآبار

واكثر الاراضي هناك طفلية تكثر فيها الاملاح والزراعة تجود فيها كثيرًا ولكن ضعف الاهالي وتقاعدهم عن ايجاد المصارف اللازمة لها يؤديان الى التلف حتى انك تجد المزارعين يسرعون بتحويل الماء من موضع الى موضع في كل سنة او اكثر من الزمان بلا تأمل لما تقتضيه حالة الزراعة من خدمة الارض و لاعتناء بها فنتج عن ذلك تلف اكثر الاراضي وتحولت الى مستنقعات ولا سيما بما ينساب اليها من المياه المختلفة من زراعة الارز الذي هو اكثر انواع الزراعة عندهم وهذا هو سبب تفشي الحميات بين سكان الواحات وصيرورتها من امراضها الموضعية المستديمة . ولسكان الواحات اعتناء كلي بزراعة النخيل واكثر الاراضي مشغولة به وهو مصدر ثروتهم وقوام معيشتهم ومحصوله تنقله القوافل كل سنة الى داخل القطر و بعضه يصدر الى تركيا و بلاد اليونان ولا سيما النوع المعروف بالعجوة وتزرع هناك انواع الحبوب والفاكهة وشجر الزيتون واكثر محصوله يعصره الاهالي زيتًا و ينقلونه الى الارياف و يبيعونه . اما الارز وهو اكثر مزروعات الواحات كما مر فيطحنه الاهالي شعيرًا و يعملونه خبزًا بدل القمح والقليل منه يعتنون بتبييضه

و يوجد بالواحات كل انواع المواشي ويكثر فيها البقر بنوع اخص ولكنه صغير الحجم ضعيف القوة . والجمال لا تعيش بها طويلاً مع انها الواسطة الوحيدة في نقل الناس والامتعة منها واليها . وتاكل المواشي هناك نوعًا من نبات الجلبان ينمو كثيرًا في اراضيها ويدوم اكثر ايام السنة

الاهالي واحوالهم — ولاهالي الواحات شهرة خاصة بالخمول والكسل يضرب بها المثل حتى انه لم يشتهر بينهم فرد واحد بمأثرة واحدة يستحق الذكر عليها ومن اكبر الادلة على

ان الكسل سبب الضعف والسقم هو انك تجد غالب سكان الواحات من رجال ونساء شبان وكهول في حال من ضعف البنية وفقر الدم قل ان توجد بصفة عامة في غيرهم وهم لا يشتغلون الا بقدر ما تضطرهم حالة معيشتهم الى العمل واكثرهم اختار الزبالة حرفة له حتى انك لا تجد زبالاً في اية مدينة كانت من مدن القطر الا وهو من اهل الواحات وتراهم يصرفون اكثر ايام السنة في هذه الديار وحينما ياتي موسم البلح عندهم يعودون الى بلادهم بما جمعوه من المال فيدفعونه في ضرائب النخيل ويبيعون ثمره و ينفقونه على انفسهم ثم يعودون الى مزاولة عملهم الاول وهم لا يفكرون في الاشتغال بامور اخرى تساعدهم على تحسين معيشتهم وترقية حالتهم

ولو كان هؤلاء القوم على شيء من النشاط الذي كان عليه اسلافهم لاهتموا بحرث اراضيهم الواسعة وحولوا مستنقعاتها المضرة بصحتهم وابدانهم والمسببة لهم هذا الخمول الفاضح الى جنات يانعة تزيد ثروتهم وتنتشلهم من الخمول والسقام . ومرجونا ان يترتب على زيارة سعادة حشمت باشا لبلادهم الان ارشادهم الى ما فيه نفعهم وخصوصاً لانه لم يزرهم حاكم كبير من زمن طويل

رأي فيلسوف الجامعة في المرأة

وراي قاسم بك امين

بعد مطالعتنا كتاب « تحرير المرأة » لمؤلفه حضرة المصلح الفاضل عزتلو قاسم بك امين المستشار في المحكمة الاستئنافية الاهلية في العاصمة بالامعان الذي هو جدير به وتلخيصه في باب « التربية والتعليم » في هذا الجزء رأينا من الفائدة ان ننقل الى قراء الجامعة والى الذين اهتموا بهذا الموضوع اهتماماً عظيماً في مصر والشام راي فيلسوف الجامعة الذي لا يختلف اثنان في صحة حكمه ودقة نظره ونريد به الفيلسوف جول سيمون . وقد اذكرتنا شهادة هذا الفيلسوف كلمةً قالها عزتلو قاسم بك امين في كتابه وهي ان اسباب ضعف الامم الاسلامية تنحصر اما في الاقليم واما في الدين واما في العائلة ثم نقض سببي الاقليم والدين ونسب السبب الكلي الى العائلة . وهنا نورد شهادة جول سيمون التي تنطبق على هذه الشهادة انطباقاً غريباً كانها كتبت لها . قال الفيلسوف في ختام احد فصول كتابه « المراة في القرن العشرين » ما خلاصته

الحجاب والعائلة والمرسلون

« ان النساء الشرقيات يمشين منفردات في دائرة لا يدخلها الرجال (١ وما هن بمسجونات ولكنهن لا يخرجن من منازلهن الا محجبات ولا يختلطن بالرجال في سفر ولا في نزهة ولا يزرن الا النساء . اما الزوج فانه لا يرى الا نساءه ولا يطلب منهن سوى المسرة وليس بينه وبينهن امتزاج في العواطف والافكار . ولا ريب في ان هذه الحالة مخالفة لنواميس الطبيعة وسنن العدالة وليس في استطاعتي الاعتقاد بان الطبيعة البشرية تبقى صابرة على ذلك بل في رأيي انها ستنهض للنجاة من هذا الاسر المخيف

ثم انتقل الى ارسال المرسلين من الغرب الى الشرق فقال ما محصله « نعم ان ارباب الدين يبعثون بالمرسلين الى الشرق ولكن هؤلاء المرسلين لا يدخلون بين الرجال الا بصعوبة فضلاً عن كونهم لا يستطيعون مخالطة النساء والنفوذ اليهن . اما الراهبات فانهن ينفذن الى النساء ولكنهن لا يخالطن الا النساء المهجورات او المتألمات . على ان كلاً من الفريقين يحمل الى الشرقيين عقائد وتعاليم لا تفهمها عقولهم ولم نسلم نحن بها الا لاننا رضعناها مع اللبن وناخذها قبل حصولنا على قوة الفكر . فنحن انما نظهر للشرق جانب ما وراء العقل والطبيعة من دياناتنا . فلو ان العائلة كانت لا تزال موجودة عندنا واستخدمناها في تمدين الشرق لكنا اسرع سيرًا واكثر تاثيرًا

« ولكنها من سوء الحظ قد ماتت عندنا وموتها يُحسب اكبر مصاب في عصرنا . واذا نظرنا الى النساء الشرقيات وجدنا ان رغبتهن في اقتباس التمدن الاوروبي تبدأ بمطالعتهن رواياتنا . فهن يرين فيها نشوز المرأة من جهة وشرود الزوج من جهة اخرى . ولكن الاجدر بنا ان نريهن العائلة . فاصلاح العائلة اذًا بمثابة اصلاح الشعب بل اصلاح كل الشعوب » (٢

ولكن لماذا قال الفيلسوف ان العائلة في فرنسا قد ماتت او كادت تموت . السبب ان الشارع ادخل مبدأ الطلاق الى الزواج . فالطلاق والعائلة الحقيقية نقيضان لا يجتمعان . وهذا ما قاله الفيلسوف بهذا الشان

١) ورد في السطر الاول من هذه المقالة « بعد مطالعتنا كتاب تحرير المرأة » وصوابه « بعد مطالعتنا كتاب المراة الجديدة »

٢) تمدين العالم بواسطة العائلة

الزواج والطلاق

« اصبح تعريف الزواج بعد ادخال الطلاق فيه كما ياتي : « الزواج رباط قابل للانحلال بواسطة الطلاق » واني آسف لذلك كل الاسف لان الدوام وعدم قابلية الانحلال في ما يختص بالزواج صفتان دينيتان . وليست الصفة الثانية (عدم قابلية الانحلال) امرًا شاقًا ثقيلاً بل هي قوة تملأ الصدور قوة وتتخذ الوقت لها معينًا . هي تبث السلام والتسامح في نفوس لو لجأت الى المحاكم لتنازعها الشقاء والعناء . هي لا تقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفف احمال الابناء وتلقي تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم . افترون ان الهيئة الاجتماعية قوية الى هذا الحد حتى تجترئوا على ادخال هذا الضعف الى اساس النظام الاجتماعي . ان الطلاق اللاصق بالزواج كبداء الموت لاصق ببداء الحياة . وقد اصبح نص الزواج نفسه كاذبًا . فان الرجل يصرح للمراة بقوله « سابقى ثابتًا على ولائك » والشريعة تسمح له ان يضمر هذا القول « ما دمتُ راضيًا عنك » ولذلك صار الزواج بدون سلاح تجاه ثورة العواطف وفقد الفجور طبيعته لان بعض اتفاقات وعادات اصبحت كافية لان تجعله شرعيًا وتصيره زواجًا شريفًا (٣

٣) لا عائلة حيث يكون طلاق ولذلك تنبه عقلاء المسلمين وفي مقدمتهم فضيلة مفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ محمد عبده وحضرة قاسم بك امين الى وجوب تخويل المراة المسلمة حق طلاق الرجل تخفيفًا لسلطته عليها ولكن اعطاء المراة حق الطلاق يجلب ضررًا عظيمًا اذا بقي تعدد الزوجات امرًا مباحًا وهذا الضرر هو زيادة الزواج ضعفًا والعائلة انحلالاً . اما النساء المسيحيات الشرقيات فانهن مستريحات من آفة الطلاق واما النساء الغربيات فهن فئتان فئة تتزوج زواجًا كنائسيًا بعد الزواج المدني وهؤلاء لا طلاق عندهن الا في الحالة التي نص عليها الانجيل . وفئة تتزوج زواجًا مدنيًا من غير الزواج الكنائسي وهولاء يطلقن بحكم من المحاكم المدنية وما اجمل ما قاله جول سيمون في تحريم الطلاق وهو : « ان تحريم الطلاق » اي عدم قابلية الانحلال في الزواج « لا يقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفيف احمال الابناء والقاء تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم » اي على الاباء الذين اذنبوا ذنوبًا توجب الطلاق لا على الاولاد الابرياء من تلك الذنوب هذه الحكمة في تحريم الطلاق والسر في وحدة العائلة

« واني احسب الطلاق اكبر ضربة تتهدد رباط العائلة بل ربما جاز لنا ان نقول انه الضربة الوحيدة التي يخشى منها »

فيؤخذ من هذا القول ان لا عائلة حيث يكون طلاق لان اقل اشارة من الرجل كافية في ثورة الغضب لتنزعقد العائلة

مساواة النساء بالرجال

ولكن ما راي الفيلسوف في وظيفة النساء ومساواتهن بالرجال . وكيف يريد ان تكون النساء . اسمعوا رايه ملخصاً بما يمكن من الايجاز (٤

« ان بعض النساء يحمسهن بعض من طالبي الشهرة من الرجال فمن ينادين بالمساواة بين الجنسين . ولكن ما المراد بكلمة « مساواة » فاذا اريد بها استواء الجنسين قيمةً وقدرًا فذلك بحث خارج عن موضوعنا . واما اذا اريد بها استواء الجنسين مشرباً وقوة فانه يجوز لنا ان نسمي هذا القول كفرًا لان الجنسين مختلفان عقلاً وجسدًا . والطبيعة وحدها سبب هذا الخلاف وليس للتربية والعادة من دخل فيه الا قليلاً . وحسبنا برهاناً على ذلك ان نربي فتاة تربية الفتيان ونربي فتى تربية الفتيات فلا يكون لنا منهما في ختام الامر الا مخلوقان قاصران لا يحسنان عملاً في هذا العالم

من مثل هذا فليحذر الذين يحسبون انهم يحتجون على العادات والشرائع بطلبهم للنساء حقوق الرجال مع انهم يجدفون على الطبيعة نفسها . وقد يذكر لنا المعترضون اسماء بعض النساء اللواتي ادرن البيوت التجارية وسسن الممالك احسن سياسة . ولكن هؤلاء النساء فضلاً عن قلة عددهن لم يقمن البرهان على انهن حكمن بانفسهن دون الاستناد الى ذراع الرجل واقتفاء اثره . وهن يعتقدن ان الرجال لا يفهمون شيئاً كثيرًا من امور السياسة

٤) ان رأي الفيلسوف في هذا مناقض لرأي قاسم بك امين ولكن لعلّ قاسم بك قد تطرف في رايه عمدًا كما قال « المنار » المصري وذلك « لان الداعي الى شيء ينبغي له لاجل ارجاع من يدعوهم الى الاعتدال الذي هو الحق ان يقف على الطرف المقابل لما هم فيه لينتهي التجاذب بينهم وبينه الى الوسط ولو وقف في الوسط وجذبهم وجذبوه يخرج كل منهما عنه او يبقى في محله ولا فائدة في ذلك ومن هنا يقول الناس لا بدّ من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق » نقول وهكذا قالوا في الذين دعوا الى الاصلاح الديني في اوربا منذ قرنين واما منا الآن تاريخ ادبي لاعالم بقلم العالم المسيو « ديموجو » قال فيه « اننا لولا تطرفهم لما وصلنا الى هذا الاعتدال »

الا انهن من حسن الحظ يعتقدن انهن من لا يفهمن منها شيئاً . واني لا اعرف في العالم شريعة تمنعهن من البحث في اصول السياسة والكتابة فيها ومع ذلك لم ترَ في العالم اجمع امراة غير مدام دي ستايل يصح ان تُعد بين كتبة السياسة . هذا مع ان كتابتها اقرب الى الفلسفة منها الى السياسة

اما الفلسفة فلي فيها راي قد يستغربه معاصري وهو ان النساء يحببن الفلسفة ويفهمن فيها اي يفهمن بحفظها اكثر من استيعابها . ولكن جميع اللواتي نبغن فيهما كن مقلدات محتذيات . وما قلته في الفلسفة اقوله في الموسيقى فان المبتكرات المؤلفات في هذا الفن قليلات جداً فضلاً عن كونهن لا يُحسبن الا من الطبقة الثانية والثالثة . وكذلك فن التمثيل . فانه ينبغ فيه الممثلات ويندر قيام المؤلفات . اما في الكتابة والانشاء (٭ فانهن الجياد التي لا تُبارى . واثباتاً لذلك لا اذكر مدام دي سيفينيه وغيرها من الكاتبات البارعات انما ارد المعترض الى رسائل السيدات . ولا بدع فان تلك البنان العناية التي تسيل حلاوة وذلك الراس الجميل الذي يقطر شهداً وعسلاً جديران بان يجري منهما ما تهتز له القلوب . والخلاصة انني اقول كلمة اجمالية تفصل المسألة فصلاً باتاً وتدل على استعداد كل واحد من الجنسين . وهي « لم ينبغ منهن مؤرخة قط ونبغ منهن راويات جارين الرجال وكدن يسبقنهم »

نقول والذي يؤخذ من هذا الحكم ان المراة اقوى في قلبها منها في عقلها خلافاً للرجل وهذا سبب مزدوج لضعفها وعذوبتها معاً

وظيفة المراة في الداخل

فاذا كانت هذه حالة المراة بالنظر الى الرجل فماذا تكون وظيفتها

وظيفة المراة ان تكون اماً قبل كل شيء فان ذلك مقدم في راي الفيلسوف على كل امر . يجب ان تحسن تربية اولادها اكثر من المراضع وتكون عالمة بشؤون المطبخ والمنزل اكثر من الطباخات والخادمات . وان يكون لها قاعة لاستقبال الزائرين

ولكن ما هي هذه القاعة . هذا مجال واسع اطلق الفيلسوف لقلمه العنان فيه فبسط في ثلاثة فصول متتابعة مراده بطلبه ان يكون للمراة قاعة لاستقبال الزائرين

قال « القاعة واسطة عمل النساء . فهن فيها ومنها يحكمن قلوب البشر . اما الازواج

٭) الصناعة الوحيده التي يفوق فيها النساء الرجال

قام فيها الا بمثابة مساعدين ومستشارين » (٦

وفي مكان آخر « تقول ان القاعة ليست بمجتمع تُدار فيه كؤوس الشاي . ولا بمنتدى موسيقى للغناء . ولا بمكان يلعب الناس فيه ويتسلون . اذًا ما هي القاعة ؟ تسالني ما هي القاعة ؟ القاعة هي : « المحاوثة »

« واني اعتقد انها مفقودة عندنا كليًا . ففي كل مكان تقريبًا نرى النساء جالسات في جانب والرجال قيامًا في جانب آخر اذا لم يكونوا في غرفة التدخين . هناك الكلام على اشياء باطلة كالذم والنميمة وهنا الكلام على الخيل او مجلس النواب . واذا حدث بين الفريقين مبادلة في الحديث كان ذلك لابداء راي في (الاقمشة) الجديدة التي على الطراز الجديد

ان قاعة المراة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال و بالمراة من السيدات فيقطعون اوقاتهم بالمسائل المفيدة والمفكهة معًا من ادبية وسياسية وفكاهية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية وحَكَمًا عظيمًا في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذٍ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقلص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكاتٌ جالسات على عرش الادب يرئسن الحديث بلطف وظرف واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها ونعومته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

« على ان هذا الوجل وجل القوة تجاه الضعف احدى مفاخر التمدن ومآثره . لان المراة الضعيفة التي انتصرت على ذلك الرجل الضخم القوي هذا الانتصار انما كان انتصارها على الرذيلة نفسها . وهو انتصار لا نرى بدًّا من استعارة كلمة لملبرانش لاظهار فضله . وربما كنتم لا تعرفون من هو ملبرانش . ان ملبرانش هذا هو لاهوتي شهير اعتاد خصومنا ان يقولوا عنه انه الفيلسوف الوحيد الذي نبغ عندنا غير ذاكرين انهم يخاطبون مواطني « ديكارت » العظيم . وقد اراد هذا اللاهوتي شرح تاثير العقل على الجسد فتخيل اسلوبًا

٦) قاعة المراة مصدر للمدنية راجع فوق ما يقوله الفيلسوف عنها

بنفي ذلك التاثير . فقال ان الجسم متسلط وحده على الجسم وان النفس اذا ارادت امراً فلا تؤثر ارادتها في الجسم قطعياً . فاذا تحركت رجلاي للمشي لم يحركها عقلي ولكن الله هو الذي امرها بالحركة لان الله مصدر كل قوة وحركة . وما نحن الا آلات تديرها قوته الوحيدة . ثم استطرد ملبرانش الى قوله « وبما اننا نستخدم قوة الخالق العظيم فلنحذر اذاً من اضاعة تلك القوة الشريفة او استخدامها لامور لا تستحق ان ينظر الخالق اليها »

« وهكذا اقول انا للنساء « بما انكن تستطعن ان تكنَّ ملكات الذوق والمتسلطات على الاخلاق التي يمكن بها تلطيف خشونة الرجال فالحذر الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكن او استخدامها لما ليس فيه نفع لكن وللهيئة الاجتماعية . استخدمن هذه القوة العظيمة لحماية الضعفاء وتاييد العدالة ونصرة الاستقامة . أسمعن صوت الشرف على الاقل الى اولئك الذين لا يسمعون صوت الفضيلة . حاربن الرذيلة بكل قوى الطهارة والفضيلة . ولا تجعلن الفضيلة نافرة شديدة الوطأة فانها زهرة لطيفة محبوبة . وانصحكن ان تكنَّ صارمات غير متساهلات في شيء مما يختص بالادب لان كل تساهل يقع منكن يفضي الى خفض منزلتكن »

ولكن ما معنى قول الفيلسوف « الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكنَّ » معناه ان النساء يجب ان يبقين نساء ولا يطمحن الى اعمال الرجال . فانهن اذا اردن مجاراة الرجال في اعمالهم ولا سيما الاعمال السياسية صار الرجال يعاملونهن معاملة الاقران والاكفاء لا معاملة السيدات فيزول احترامهم وخضوعهم لهن . وبذلك تفقد النساء قوة لا تعوض (٧ وهيهات ان يلحقن شأو الرجال في ما اقدمن عليه من الاعمال

وهنا استشهد الفيلسوف على صحة كلامه بقصة بسطها في فصل عنوانه « المراة المحامية » وخلاصته ان اميل احب اميلي حباً شديداً فاقترن بها (٨ وكان اميل محامياً بارعاً واميلي فتاة بسيطة عاقلة . فعاش العروسان عيشاً هنيئاً ورزقهما الله غلاماً وابنة . فلما شب الولدان اراد الاب ان يدرسهما المبادىء الاولية ولكن وقته كان ضيقاً فعهد ذلك الى امرأته فاخذت تدرسهما وتدرس معهما حتى ارتقى ذوقها وكثرت معارفها واصبحت ذا ميل شديد للمطالعة فتوسعت في القراءة والدرس حتى ارتقى فكرها واصبحت محامية كزوجها ومن هذا

---

٧) العجب من النساء كيف يطلبن المساواة بالرجال مع ان لهنَّ السيادة عليهم

٨) دليل على تعاسة المراة والعائلة اذا اعطي النساء الحقوق السياسية

الخلف بدأ النفار بينهما ، فانها كانت من قبل بسيطة تسلم بكل راي يراه زوجها ولا يهمها شيء غير منزلها . واما الان فانها اصبحت عالمة تجادل زوجها في كل الامور ولا تسلم الا بما يقتنع به عقلها . ومما زاد الطين بلة انها ارادت تعليم ابنتها فن المحاماة فعارضها اميل في ذلك فاتسع الخرق بينهما . وكان من رايه ان المراة لا يجب ان تتداخل في الامور السياسية اما اميلي فكانت ترى عكس هذا الراي ولذلك انحازت عن اميل الى خصومه السياسيين فعيره بعضهم بذلك فغضب اميل وطلب مبارزته فبارزه وجُرح اميل في هذا البراز جرحاً جعل حياته في خطر

فلزمت اميلي فراشه وقد انتبهت في نفسها محبتها الاولى له . ولكن عنايتها به لم تجدِ نفعاً فتوفي اميل بين ذراعيها مخلفاً لها حسرة عظيمة لانه مات في سبيل الدفاع عن شرفها . وقد ندمت اميلي على ما صنعته فلزمت السكينة بعد موت زوجها وعاشت مع ولديها عيشاً بيتياً هادئاً . وكانت تقول كلما سمعت النساء يتباحثن في حقوق المراة « ما احمقهن يجب ان نبقى نساء » ولما توفيت اوصت ابنتها هذه الوصية « يا ابنتي المحبوبة اذا رمتِ ان تكوني سعيدة فاحبي كل الذين حولك واجعليهم سعداء »

والمراد بهذا المثل اظهار ان المعيشة العائلية ونيل النساء الحقوق السياسية نقيضان لا يجتمعان فيجب على النساء ان يبقين نساء اي امهات وزوجات

وظيفة المراة في الخارج

ولكن هل هذه هي كل وظيفة المراة في راي الفيلسوف

اذا كانت المراة تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها وارضاء زوجها واستقبال زائريها هل تكون بذلك قد قامت بكل الواجبات التي عليها

كلا فان هذه واجباتها الداخلية فقط بقيت عليها الواجبات الخارجية . وهي اولاً ان تتعلم عملاً تكسب به رزقها ورزق صغارها اذا مات زوجها او هجرها او اصيب بمرض . يجب عليها ان تتعلم عملاً وان كانت غنية عنه بثروتها فان زوابع الزمان اذا هبت جعلت الاغنياء فقراء والفقراء اغنياء . فماذا يكون مصير المراة التي يموت زوجها و يترك لها اولاداً صغاراً على يديها اذا كانت فقيرة او اذا نفدت ثروتها ؟ اتلجأ الى الشحاذة

وتاييداً لهذا القول كتب الفيلسوف في كتابه فصلاً عنوانه « الوحشة في باريز » قص فيه قصة امراة عرفها فراينا من الفائدة ان نختصرها هنا . قال

« كان لي في باريز صديق مصور نال في بضع سنوات شهرة عظيمة حتى اصبح ذكره

في كل لسان وصار يربح من صناعته ارباحاً طائلة (٩ فلما رسخت شهرته اقترن بفتاة جميلة مثله فرزق منها ثلاثة اولاد وكان يعيش معها عيشاً فاخراً ينفقان فيه كل ما كان يكسبه من صناعته · ففي ذات يوم توفي الزوج فجأة من غير مرض ولا علة ظاهرة فقامت قيامة العالم الباريزي لان هذا المصور كان محبوباً فيه ومشهوراً فتقاطر المعزون على منزله من كل صوب لمشاركة زوجته في مصابها العظيم · وفي الحقيقة ان مصابها كان عظيماً لان زوجها كان لا يملك شيئاً · فباعت اثاث منزلها وحملت اولادها وذهبت بهم الى منزل صغير في احد الاحياء المجهولة لتسكن فيه بعيدة عن انظار رفيقاتها القديمات · ولكن المال الذي كان لديها ما لبث ان نفد فباعت حللها وملابسها حتى آخر حلة لها وانفقت ثمنها على اطعام اولادها · ثم خلت يدها فسألت نفسها ماذا تعمل · وكانت لا تحسن عملاً فخطر لها ان تجعل نفسها معلمة للبيانو ولكنها لم تجد تلميذات لها · خطر لها ان تكتب الى رفيقاتها تطلب مساعدتهن ولكن لم يجاوبها احد منهن على كتابها لانهن نسينها · فذهبت خائفة مضطربة وعرضت نفسها للعمل في المعامل والاستخدام في البيوت التجارية فكانوا يردونها بخشونة لاساءتهم الظن بها بسبب خوفها ولعدم وجود شهادات معها · فاصبح اولادها في اثناء هذه المدة يتضورون جوعاً · فقهرت هذه المسكينة نفسها وذهبت في احد الايام الى بيت الاحسان تطلب صدقة لاولادها فلم يعبئوا بها في هذا البيت وانما تصدقوا عليها بعشرة فرنكات · فاخذتها وذهبت لتشتري بها خبزاً لاولادها فدرت بها صاحبة المنزل فاخذت العشرة الفرنكات منها بالرغم عنها لانها كانت مديونة لها باجرة الغرفة · وكان اولادها في اثناء ذلك ينادونها في خروجها ودخولها « اماه نريد خبزاً » فتضمهم اليها وتعللهم حتى يتعبوا من النداء وينامو · وفي اليوم التالي عادت الى بيت الاحسان فردوها فضاقت الدنيا بها فسقطت على حاجز في الطريق فاقدة القوى واخذت تبكي · ثم اتفق مرور راهب من هناك فركضت اليه صارخة وهي تمد يدها « خبزاً خبزاً لاولادي » فوضع الراهب في يدها نصف فرنك فعادت وابتاعت به خبزاً لاولادها فنام الاولاد في هذه الليلة دون ان يبكوا · ثم انها وجدت منزلاً يحتاج الى خادمة باجرة قدرها ٣٠ فرنكاً في الشهر فدخلت فيه · قال جول سيمون · وفي ذات يوم وانا خارج من هذا المنزل نظرتني فعرفتني اما انا فلم اعرفها الا من فرارها من وجهي · فبادرت في الحال الى اخراجها من هذا المنزل لانقاذها

٩) برهان على وجوب تعلم المراة عملاً تعمله في آن الضيق والا عرضت نفسها واولادها للموت جوعاً

من عار الخدمة ثم وضعت اولادها في المدرسة »

فهذه المراة قد عاينت مع اولادها الموت عن كثب اولاً لاختلال نظام الاحسان وثانياً لانها لم تتعود الجرأة ولم تتعلم عملاً تعمله ٠ وانظروا البون الذي بين هذه المراة و بين امراة اخرى ذكر الفيلسوف قصتها في فصل عنوانه « العاملة » قال ما خلاصته(١٠

كان رجل نشيط حداد يعمل في معمله و يكسب بعرقه خبز عائلته وكان له امراة نشيطة نبيهة واولاد صغار ٠ في ذات يوم توفي الرجل فجأة فصارت المراة ارملة والاولاد ايتاماً

الا ان المراة كانت ارملة تعرف ما عليها من الواجبات وتحسن القيام بها فلم تضع دقيقة واحدة سدى بل جعلت نفسها في الحال خياطة لانها كانت قد تعلمت الخياطة احتياطاً لمصائب الدهر واخذت مع ابنتها تخيط الملابس التي يؤتى بها اليها فنجحت في ذلك لبراعتها وطيب صيتها ٠ و بناء عليه استطاعت تربية اولادها والقيام بنفقاتهم حتى كبروا وصاروا رجالاً يشتغلون مثلها ونمت عائلتهم نموّا مباركاً كان سببه تلك الام النشيطه المباركة

فينتج من كل ما تقدم انه يجب على المراة ان تستعد لتعمل ٠ وهذه حجة من اقوى الحجج التي ذكرها قاسم بك على وجوب تربيه المراة تربية تمكنها من العمل عند الحاجة

هذا هو الواجب الاول من واجبات المراة في الخارج ٠ بقي عليها واجبان آخران في راي الفيلسوف (١١ الاول« الاعمال الخيرية» فانه يجب على كل سيدة ان تصرف كل يوم ساعة او ساعتين من وقتها في عيادة المرضى وتعزية المصابين وانتقاد الفقراء والاحسان اليهم ٠ والواجب الثاني وجوب السهر على آداب الملاعب والحكم على الروايات ٠ وهذا الامر يفهمه اهل الغرب اكثر من اهل الشرق ٠ ومراد الفيلسوف به ان الروايات التمثيلية كثيرة في الغرب فعلى النساء ان لا يجعلن رواية تنجح وتنال شهرة بعيدة الا اذا كانت من الروايات الادبية المهذبة التي تستحق هذه الشهرة ٠ ذلك ان شهرة الروايات لا تتوقف في الحقيقة على حكم الكتّاب فيها ولا على انتقاد منتقديها ولا على استحسان الجمهور اياها ولكن على شهادة النساء لها ٠ فمتى انتصرت النساء لرواية وشهدن لها نالت هذه الرواية فوزاً مبيناً وشهرة بعيدة ٠ ومتى اردن اسقاط رواية اسقطنها لا محالة ٠ فمن واجباتهن اذاً مقاومة

---

١٠) برهان آخر ايجابي مثبت لذلك

١١) واجبان خارجيان آخران على النساء واحد يفهمه الشرقيون و واحد لا يفهمونه

الروايات المضرة ومساعدة الروايات الادبية لما يترتب على ذلك من حفظ الاداب العمومية

الخاتمة

هذا ما راينا تلخيصه من كتاب « المراة في القرن العشرين » بيانًا لوظيفة المراة في العالم كما قررها الفيلسوف جول سيمون وقد لخصنا في ما تقدم مقالات عديدة من هذا الكتاب وربما عدنا اليه في فرصة اخرى واذا قيل ان ما قاله فيلسوف الجامعة ينطبق على نساء الغرب لا على نساء الشرق لان الفرق بين حالة الشتين عظيم قلنا ان الفرق بين حالتها عظيم في الجزئيات لا في الكليات فان النساء نساء في الشرق والغرب اي مربيات وممدنات وممزيات

الصواعق ونوادرها

نقلاً عن الفلكي الفرنسوي الشهير كاميل فلامريون

في الطبيعة اسرار كثيرة استجلى الانسان شيئًا منها وفاتته منها اشياء . ومن جملة المسائل الطبيعية التي لم يقف الانسان على كنهها بعدُ مسألة الصواعق ووقوعها بل مسألة تكون الصاعقة نفسها . فانك اذا سالت العلماء ما هي الصاعقة اجابوك ان الصاعقة تنشأ عن التقاء مجرى كهربائي سلبي بمجرى كهربائي ايجابي . ولكن سلهم ما هي الكهربائية نفسها وما هو تركيبها . تجد العقلاء منهم يسكتون و يقولون ما قاله ابن الاثير في مقدمة تاريخه الكامل « ولا اقول أن الخطأ سهو جرى به القلم بل اقول ان ما اجهل اكثر مما اعلم »

وهكذا قال العالم كاميل فلامريون الفلكي الفرنسوي الشهير في صدر مقالة عن الصواعق ونوادرها . ولو كان الفصل الآن فصل الشتاء لضربنا صفحًا عن هذه المقالة مخافة ان تؤثر في نفوس البسطاء والجبناء الذين كلما سمعوا لعلعة الرعد فوق منازلهم في بعض الليالي حُرموا لذة النوم خوفًا وفرقًا . اما الآن وقد ذهب فصل الشتاء وزالت البروق والرعود فلا نرى مانعًا من ذكر النوادر التي ذكرها فلامريون عن وقوع الصواعق فانها بمكان عظيم من الفكاهة والاهمية وهي تدل على ان العلماء لم يقفوا على ماهية الصاعقة وطبيعتها الى الآن

قال فلامريون . مضى علي ثلث قرن والحكومة الفرنسوية تاتي اليَّ في كل عام احصاء الحوادث التي تحدثها الصواعق في فرنسا . وفي كل عام اجد في هذه الحوادث امورًا

مدهشة غريبة

واول شيء اقوله ان وقوع الصواعق غير منتظم في كل الاقاليم على نسبة واحدة . فان الصاعقة اشد ما يكون وقوعها في اقاليم بوي دي دوم وموت لوار وسون ولوار والاقليم الشمالي . واقل ما يكون وقوعها في اقاليم المانش واورن وكالف دوس وموربيهان واردين اما باريز فقلما تقع الصواعق فيها ولو كان الاقدمون يعاصروننا الآن لاستنتجوا من ذلك ان جوبيتير راض عن باريز ولذلك لا يرشقها بناره

(ذلك ان اليونان والرومان المتقدمين كانوا يحسبون الصواعق من نار جوبيتير يرمي بها المكان الذي يحنط عليه في الارض . وكانوا يعتقدون ان الاله فولكان هو الذي يصنع الصواعق لابيه جوبيتير . وكان فولكان في تقاليدهم حداداً)

ومن جملة النوادر الكثيرة التي للصاعقة ان جندياً في اقليم اود كان يسير في طريقه في ١٧ اغسطس الماضي فوقعت الصاعقة عليه فحملته والقته مسافة ٥٠ متراً فلما بلغني هذا الخبر كتبت اليه اساله التفصيل فاجابني انه كان سائراً في مدينة بروس بعد هبوب زوبعة شديدة فما شعر الا وقد حُمل عن الارض والقي مسافة بعيدة دون ان يرى برقاً او يسمع رعداً او يشعر بريح . وبعد سقوطه نهض فوجد نفسه سليماً معافى فسار في طريقه

فيؤخذ من هذه الحادثة ان الصاعقة لا تقتل دائماً . ولدينا امثلة كثيرة على ذلك . منها ان رجلاً كان سائراً على طريق فالروى في ١١ اغسطس من عام ١٨٥٥ فنزلت عليه الصاعقة فعرّته من ملابسه وغادرته بلا حس ولا حركة . غير انه عاد الى صوابه بعد مدة فوجد نفسه عارياً والبرد يقرصه دون ان يذكر شيئاً مما جرى

ومنها ان زارعين كانا يأكلان في ٢٦ اغسطس الماضي في كوخ في سوليس بونت لجأا اليه فراراً من المطر والزوبعة . وكان امامها بساط الطعام ممدوداً فجاءت الصاعقة فاختطفت ما عليه من الخبز والجبن والاثمار وزجاجة الخمر وقذفت الفلاحين بقش كثير فبادر الفلاحان الى الفرار دون ان يصيبهما سوء

ولكن ما كل مرة تسلم الجرة . فانه من المعلوم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الذين يلجئون الى الاشجار ويقفون او يجلسون تحتها اتقاء المطر او الريح . ولذلك يجب اجتناب الاشجار في الزوابع حين اشتداد البرق والرعد . ومن الامثلة التي تؤيد ذلك ان حصاداً كان جالساً هو وكلبه تحت شجرة قد قطعة خبز الى كلبه فبقيا جالسين كما كانا يد الحصاد ممدودة بقطعة الخبز وعنق الكلب ممدودة لاكلها ولا حياة في الاثنين

ومرَّ بضعة رجال في ذات يوم مكفهر برجل جالس تحت شجرة وهو ملتهب الجسم فصاحوا به · مالك واقف اخمد النار من جسمك الا تراها · فلم يجبهم الرجل فدنوا منه وهزوه فوجدوه رماداً

وفي ٥ يوليو من عام ١٨٨٣ كانت امرأة تتنزه في مرج في بوفون بازاء بقرتين · فجاءت الصاعقة فصهرت القرط الذي كان في اذنها وقتلت البقرتين · اما المرأة فلم يصبها اذى · ومن المعلوم ان الذهب لا يُصهر الا بحرارة درجتها ١٠٣٠ والفضة ٥٩٤ والنحاس ٩٤٠

ونزلت الصاعقة في ذات يوم في مدرسة للبنات في بوردو فقطعت عقداً ذهبياً كان في عنق احدى المعلمات فاغمي على المعلمة ولكنها انتبهت بعد ٦ ساعات دون ضرر ولا اذى

وفي يونيو من عام ١٨٦٧ نزلت الصاعقة على كنيسة في دنسه فدخلت المذبح واختطفت الجسد المقدس من الكاس المقدسة · وعلى ذكر الامور المقدسة نقول ان نوادر الصاعقة بهذا الشان غير قليلة · وقد بحث الدكتور جودين في حوادث الصاعقة فقال فيها قولاً يُستفاد منه انه يعتقد بان للصاعقة روحاً تدبر سيرها ووقوعها كالروح التي قال بعضهم بوجودها في النبات بناء على ما رآه من ميل بعض انواع النبات الى امور مخصوصة كميل نبات شاهده فلامريون بعينه لطلب التربة الجيدة دون سواها وارسال جذوره الى مكان فيه ماء بئر · ولم يقل فلامريون بان للصاعقة روحاً ولكنه قال ان بعض نوادرها وخصوصاً فيما يختص بالامور المقدسة تجعل امرها مستغرباً جداً · من ذلك ان مدام شوفين من سكان مرسيليا سالت زوجها في فبراير من عام ١٨٩٧ ان يوقد الشمعة امام الايقونة لان الزوابع كانت شديدة في الخارج فنهض الزوج لانفاذ امر امرأته ولكنه ما كاد يشعل الشمعة حتى جاءت الصاعقة وصعقت مدام شوفين فامانتها وتركتها تحترق

وكان فلاح وامرأته في اقليم اورولوار يشتغلان بجمع المزروعات في الحقل وبجانبهما ابنتهما الوحيدة وعمرها ٩ سنوات واذ هبت بغتة زوبعة شديدة فخافت الابنة وطلبت من ابويها ان يعودا بها الى البيت فانتظراها قليلاً حتى يتما عملهما فاجابت الابنة : اسرعا اذاً وانا اصلي الى الله ان يبعد الصاعقة عنا · ثم جثت على الارض وضمت يديها واخذت تصلي وبعد برهة شعر الاب بان هشيم الزرع يتحرك حركة شديدة تحت قدميه فالتفت فابصر الابنة ملقاة بلا حراك فهزها فاذا بها ميتة وقميصها الداخلية محترقة كأن الصاعقة

دخلت منهــا

وفي ٢٢ يوليو من عام ١٨٦٨ كانت امرأة في جيين حاملة بيدها زجاجة من الماء المقدس وهي تقصد رش المنزل به لابعاد الصاعقة عنه واذا بالصاعقة قد نزلت على حين فجأة فكسرت الزجاجة وتركت المرأة سالمة

ومن نوادرها ايضاً ان ابنة في دمبيير كانت تخيط حلة لها بازاء آلة الخياطة وبيدها مقص فنزلت الصاعقة واختطفت المقص من يدها دون ان تؤذيها

وفي ذات يوم عصفت في بونيون زوبعة شديدة فظهرت في قمة شجرة من الصفصاف كرة نارية بقدر التفاحة ثم اخذت تهبط من غصن الى غصن حتى بلغت الارض فسارت حينئذ متدحرجة فبلغت مزرعة قريبة من هناك . وكان امام باب المزرعة ولدان يلعبان فدنا منها احدهما ورفسها بقدمه فانفجرت حينئذ انفجاراً هائلاً القى الولدين على الارض دون ان يؤذيهما ولكن قُتل ١١ راس من الماشية كانت في زريبة قريبة

فليفسر العلماء هذا الامر الغريب . فان الولد مس الصاعقة دون ان تؤذيه والماشية ماتت بها دون ان تمسها

وقد ذكر الدكتور سستيه في كتابه « الصاعقة » ان امرأة تنكرت في ملابس رجل فباغتتها الصاعقة على الطريق فعرتها من جميع ملابسها حتى اضطر الناس الى احضار غطاء ولفها به لسترجسمها واخذها الى بيتها

وللصاعقة نوادر كثيرة من هذا القبيل كأنه يطيب لها ان تعري الناس من ملابسهم لتهزأ بهم . من ذلك ان فلاحاً كان يشعل سيكارته قرب شالون سيرسون في شهر يوليو من عام ١٨٩٦ فجاءت الصاعقة وقتلته في الحال وعرته من ملابسه كلها

وكان اربعة من الجنود في اعلى سواري السفينة دودناي فجاءت الصاعقة وقتلت منهم اثنين وعرتها من ملابسها

وقد روى اراغو ان عاملاً كان يعمل في منزله فقتلته الصاعقة والصقت قبعته في سقف المنزل . وروى بيوت ان رجلاً طارت قبعته عن راسه دون ان يشعر باقل نسمة هواء . وروى شبسال ان راعياً كان يخرج بمنديله الفضول من انفه فاختطف المنديل من يده ولم يقف له على اثر وكان الهواء ساكناً

وروى كثيرون عن الحصادين انهم بينما هم يحصدون الزروع تُختطف المناجل بقوة من ايديهم وتُلقى بعيداً

وروى غيرهم ان امرأتين كانتا تخيطان واذا بالصاعقة قد جاءت فاختطفت الابرتين اللتين في يديهما

ونزلت الصاعقة في ذات يوم على سفينة فقتلت رجلاً وبينما هم يفتشون ملابسه وجدوا ان ساعته وسلسلتها قد اصبحتا كتلة واحدة

وروي ايضاً ان الصاعقة اصابت بعض البنادق المحشوة رصاصاً فاذابت الرصاص الذي فيها ولم تلهب البارود . وفي ذلك منتهى العجب

وقد تنزل الصاعقة على قاعة منارة بشموع كثيرة فتطفئها دفعة واحدة كما انها تنزل على قاعة مطفأة الشموع فتوقدها كلها دفعة واحدة

وقد ذكرنا فيما تقدم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الاشجار لان الاشجار تجتذبها . الا ان كثيرين من العلماء يزعمون ان بعض الاشجار تدفع الصاعقة عنها لوجود كهربائية سلبية فيها كشجرة الغار مثلاً على ما ورد في الكوخ الهندي الصفحة ٥٨٣ من هذا الجزء

ولكن الصاعقة مع قوتها وجهل الانسان لطبيعتها قد صارت بقوة العلم تحت سيادة الانسان وسلطته . وذلك ان العلم اخترع لها قضيباً يقي المدن والمنازل من شرها وهو القضيب المعروف « بقضيب الصاعقة » لانه يصرف شرها عما حوله . فما اعظم الانسان مع جهله

القطن الاميركي والمصري

مصدر زراعة واسعة وصناعة عظيمة

شجرة اخرى تُمدن الشعوب . القطن الاميركي وطريقة زراعته وجنيه وكبسه . وطن القطن تاريخه
القطن المصري واهمية زراعة القطن في العالم . في السودان المصري . وفي الاملاك العثمانية

قال علماء الاجتماع : انك متى رايت الفلاح في القرى قد اخذ يهتم بغرس الازهار ووضعها في نافذة بيته او كوخه فاعلم ان انقلاباً عظيماً حدث في نفسه . ذلك لان نفسه تكون قد اخذت تتجه نحو حب الجمال . وحب الجمال من اول اسباب التمدن والعمران

وما قيل في الزهرة يقال في الشجرة ايضاً . فانك متى رأيت الفلاح يهتم باشجار ارضه او بنباتها اهتمامه باولاده الذين يربيهم ويغذوهم فاعلم انه قد عُقد بينه وبين الارض

ميثاق شديد ليس في الوجود شيء قادر على فكه . وهذه هي الخطوة الاولى التي تخطوها الشعوب في سبيل المدنية . فانها تدل على انتباه نفس الفلاح الى حاجاتها وعلى شروعه في فهم اللغة الطبيعية البسيطة التي تخاطبه الارض بها . لغة تدعوه بها الى سقيها لتسقيه والى اطعامها لتطعمه والى تزيينها لتزين نفسه ومنزله ووطنه وتدر اخلاف الثروة عليه

وقد ذكرنا في احد الاجزاء السابقة شجرة من هذه الاشجار التي لها ذلك التاثير المعظم في العالم وهي شجرة التوت وسميناها هناك « ممدنة الشعوب » والآن جئنا نتكلم عن شجرة اخرى تساويها في عظمتها الزراعية والصناعية والعمرانية ونريد بها « شجرة القطن »

فان هذه الشجرة عنصر من اشد عناصر التمدن الحاضر وسبب من اكبر اسباب السعة والرزق في العالم . فان ملايين من الزراع يعيشون من زراعتها وملايين من التجار يعيشون من التجارة بقطنها وملايين عديدة من الصناع يعيشون من غزل هذا القطن ونسجه وملايين من المتجرين يعيشون من بيع انسجته في جميع اقطار العالم . والبلاد المصرية بعد اميركا في مقدمة البلاد التي تزرع القطن . بل هي مقدمة على اميركا نفسها من حيث ان القطن هو زراعتها الوحيدة وموردها الاكبر خلافاً لاميركا التي تزرع كثيراً من الانواع الاخرى

❋ القطن الاميركي ❋ والقطن انواع اهمها المصري والاميركي والهندي . والاميركي انواع ايضاً ولكن اهمها واعمها النوع الذي يسمونه في الصين « القطن الذي يسد مسد الكتان والحرير » وهو شجيرة حولية اي تنمو وتموت في الحول الواحد علوها ٦٠ سنتيمتراً وساقها قوية مائلة الى الاصفرار او الاحمرار وفيها نقط سود كثيرة واغصانها قصيرة . اما اوراقها فهي ذات خمسة اقسام قصيرة واسعة مستديرة وفيها راس صغير وزهرها مائل الى الاصفرار . ومتى انقضى دور الزهر تحول الازهار الى جوزات خضراء ضمن الواحدة منها من ٣ الى ٧ بذور وهي بذرة القطن . ولما تنضج هذه الجوزات تتمدد الياف ناعمة بيضاء في داخلها فتنفجر الجوزة وتظهر الالياف وهي القطن . فيكون نظار الحقل حاضرين لالتقاط هذا القطن حين انفجار الجوزة وهم يقيمون على مراقبة الحقول اشد مراقبة قياماً بهذا العمل في حينه لانه اذا فات الوقت تنفصل البذور التي في الجوزة عن اصول الالياف القطنية فتسقط البذرة على الارض وتحمل الريح الالياف ذاهبة بتعب الزارع

ومتى جني القطن ببذرته ارسل الى آلة الحلاجة لفصل البذرة عن الالياف وبعد ذلك يجمعونه في بالات ويحكمون ضغط هذه البالات (كبسها) ثم يرسلونها الى اسواق الغرب لتباع فيها الى الغزالين والنساجين

وطريقة زراعة القطن عندهم ان تقسم الارض اقساماً مساحة كل قسم منها نحو ١٠ فدادين ثم يغرسونه فيها صفوفاً ويجعلونه بعيداً بعضه عن بعض مسافة عشرة امتار وينقون الاعشاب من تحت الشجيرات مرتين قبل الازهار . وبعد جني القطن منها ينقون العشب عنها للمرة الاخيرة ثم يقطعون الشجرة على طول قدم واحد عن الارض فربما عاشت بهذه الطريقة من ٥ الى ٦ سنوات

ويقدرون حاصل الولايات المتحدة من القطن في كل عام من ٨ الى ١١ ملايين بالة واليك بيان حاصل احدى السنوات الماضية في جميع الولايات الاميركية :

ولايه تكساس	٢١٠٠٠٠٠	بالة
ولاية لويزيانا	٦٠٠٠٠٠	بالة
ولاية مسيسبي	١٢٥٠٠٠٠	بالة
ولاية الاباما	١٠٧٥٠٠٠	بالة
ولاية جيورجيا	١٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية فلوريده	٧٧٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الجنوبية	٦٧٥٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الشمالية	٤٧٥٠٠٠	بالة
ولاية اركانساس	٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية تنيسه	٤٥٠٠٠٠	بالة
المجموع	٨٦٥٢٠٠٠	

اما في هذا العام فانهم يقدرون المحصول الاميركي من ٩ ملايين الى عشره ملايين بالة والاختباط شديد جداً بين المضاربين في هذا الشان مما لا محل للكلام عنه في هذا المقام

﴿ وطن القطن وتاريخه ﴾ اما البلاد التي كان القطن اول ما نبت فيها فهي الهند واواسط افريقيا واميركا . فان الاسبانيين حين دخولهم الى كوبا ايام اكتشاف اميركا وجدوا الاهالي فيها وفي المكسيك وبيرو يلبسون ثياباً مصنوعة من القطن وقد فهموا منهم ان شجرة القطن تنمو في بلادهم من قرون عديدة لا يعرفون اولها

اما في افريقيا وآسيا فان المصريين والاشوريين وغيرهم من الشعوب التي تليهم لم يكونوا يعرفون زراعة القطن في ايام المؤرخ هيرودوتس اي في القرن الخامس قبل التاريخ

المسيحي . ولم تدخل تجارة البضائع القطنية الى غربي آسيا ومصر الا في القرن الثاني قبل الميلاد . وقد ادخلها اليها تجار العرب الذين كانت هذه التجارة في ايديهم وكانوا يستوردونها من باريكانزا في شمالي بومباي (الهند) و يأتون بها الى ميناء ادوله على البحر الاحمر . ومن هذه الميناء كانت تتوزع في بلاد اليونان وايطاليا . ولكن هذه التجارة كانت ضعيفة لعدم ذكر المؤرخين لها

ولم يأت القرن الثامن بعد الميلاد حتى شرع العرب في انشاء المعامل لنسج القطن في شمالي افريقيا والولايات الاسبانية الجنوبية . فكانوا اول من ادخل هذه الصناعة اليها . وقد انشأوا المعامل الاسبانية الاولى في سيفيل وكوردو وغرناطه وقد نمت معامل غرناطه نموًّا عظيمًا حتى وصلت منسوجاتها في القرن الرابع عشر الى اقاصي آسيا فكان الاسيويون يفضلونها على المنسوجات الواردة من المعامل الشرقية كالهند وغيرها

وفي هذا القرن (الرابع عشر) انتشرت تجارة القطن في الصين ومكدونيا والبانيا وايطاليا وكان مستودعها الاكبر في البندقية وميلان ومنها دخلت الى انكلترا على يد البندقيين والجنويين الذين كانوا من ملوك البحار في ذلك الزمان

ولما دخل القطن الى انكلترا حار الانكليز في استعماله فاقتصروا في بدء الامر على اتخاذه للفتائل فقط . ولكن النساجين في شستر ولنكستر خطر لهم في عام ١٤٣٠ ان يستعملوه للنسيج فافلحوا بذلك وانشأوا منه صناعة عظيمة ولم يأت القرن السابع عشر حتى انتشرت صناعة نسجه في كل مدينة وكل قرية من المدن والقرى الانكليزية تشغيلاً للفقراء والذين لا عمل لهم

وكانت المعامل الانكليزية مقتصرة في ذلك العهد على النسج من القطن الشرقي لانه لم يكن قد وردها بعد شيء من القطن الاميركي . ففي عام ١٧٧٤ وردت من جزائر الانتيل البالات الاولى الاميركية وكانت تعد بالعشرات فقط فكاد الجمرك الانكليزي يضبطها لاعتبارها بضائع مهربة . ذلك ان انكلترا كانت تخاف على القطن الهندي من مزاحمة القطن الاميركي وكان خوفها في محله كما اثبتته الحوادث التالية

ثم امتدت زراعة القطن في اميركا امتدادًا سريعًا فتكاثرت هذه المادة عن حاجة المعامل لان النسج كان يومئذٍ باليد . ولكن من النواميس الطبيعية انه متى مست الحاجة الى اختراع ظهر هذا الاختراع عاجلاً او آجلاً على يد عمرو او على يد بكر لان الارتقاء لا يوقفه شيء . فيومئذٍ اخترعت آلات النسج الميكانيكية فطفرت زراعة القطن في

العالم طفرة عظيمة واصبحت صناعة نسج القطن اعظم صناعات النسيج على الاطلاق

ومع ذلك لم تكن آلات النسج الميكانيكية كافية وحدها لابلاغ هذه الزراعة والصناعة المبلغ الذي بلغته في هذا الزمان لان حلج القطن اي فصل بزرته عن الياقه كان يتم بالايد في بدء الامر فكان العامل المتدي لا يستطيع في نهاره ان يحلج بيده اكثر من ليبرة واحدة من القطن فمست الحاجة الى اختراع آلة ميكانيكية للحلج فاخترعت هذه الآلة وبها بلغت صناعة القطن وزراعته هذا المبلغ العظيم من الارتقاء

﴿ القطن المصري ﴾ قلنا ان القطن لم يكن معروفاً في ايام هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد ولكن المصريين جاؤوا به بعد ذلك من اواسط افريقيا وزرعوه ولكن ما كان احد يصنع ثياباً منه غير ملوكهم وابنائهم ولذلك سموه « النبات الملوكي » ولما هبت عواصف الحروب على مصر جفت موارد الثروة فيها فانقرضت زراعة القطن حتى كان عام ١٨٢٠ فاعاد هذه الزراعة الى القطر رجل فرنسوي يدعى المسيو جومل فكان محصولها منه في عام ١٨٢١ — ٤٧ طناً فقط

وكان سيرها بطيئاً في بدء الامر لان الفلاح المصري لم يكن قد ذاق بعدُ لذة الثروة من الزراعة فلما حدثت الحرب الاهلية في اميركا تعطلت زراعة القطن فيها فانهارت المعامل على القطن المصري من كل صوب فطفرت هذه الزراعة في مصر طفرة عظمى وقد بلغ ثمن القنطار الواحد من القطن المصري في ابان الحروب الاميركية الاهلية ستمائة فرنك مع ان ثمن القنطار اليوم من ١١ الى ١٣ ريالاً مصرياً ففاض يومئذٍ الذهب على فلاح مصر فيضاناً ومنذ ذلك الحين نشطت زراعة القطن في مصر وهذا بيان محصولها من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٩٥ بحساب الطن :

في سنة ١٨٢١ — ٤٧ طناً وفي سنة ١٨٢٥ — ١٠٦١٦ طناً وفي سنة ١٨٥٠ — ١٨٣٤٠ طناً وفي سنة ١٨٦٠ — ٢٥٠٧٠ طناً وفي سنة ١٨٦٥ — ١٠٠٥٨٤ طناً وفي سنة ١٨٧٠ — ٦٧٥٩٠ طناً وفي سنة ١٨٨٠ — ١٥٦١٧٠ طناً وفي ١٨٩٠ — ١٧٠ الف طن وفي سنة ١٨٩٥ — ٢٦٠ الف طن . وقد بلغ محصول عام ١٨٩٨ — ٦ ملايين و٥٤٣ الف قنطار تساوي ٢٩١ مليون و١٦٩ الف كيلو غرام . وبلغ في عام ١٨٩٩ — ٥ ملايين و٥٨٩ الف قنطار

اما محصول العام الماضي فيقدرونه بخمسة ملايين قنطار لان فيضان النيل كان ناقصاً فلم يروَ القطن حتى الشبع حسب العادة

والقطن المصري افضل انواع القطن في العالم لان اليافه اطول الياف القطن وفيه مادة حريرية تجعله مطلوباً جداً خصوصاً لقلة محصوله بازاء المحصول الاميركي . وقد انتبه الاميركيون الى ذلك فاخذوا يبحثون في زراعة بزرته في اراضيهم لتاتي بقطن طويل الالياف وحريري مثله . وقد حضهم على ذلك حضرة وكيل الحكومة الاميركية في القاهرة بقوله في احد تقاريره عن الزراعة المصرية « ان القطن الطويل الالياف هو القطن الذي سيسود في المستقبل على جميع انواع القطن فاذا كثرت زراعة القطن المصري في مصر والسودان وشمالي افريقيا كان ذلك ضربة شديدة على القطن الاميركي لان معامل الغزل والنسج تفضل الاول على الثاني فعلى الزراع الاميركيين ان ياخذوا من تقاوى القطن المصري ويزرعوها في اطيانهم » نقول ولكنهم اذا اخذوا التقاوي المصرية فانهم لا يستطيعون اخذ التربة المصرية لان جودة القطن المصري سببها تربته المباركة وبزرته لا بزرته فقط

والقطن المصري ستة انواع كما يقسمه المصريون ولكنه ستون نوعاً كما تقسمه المعامل الانكليزية وهو اجود انواع القطن الا القطن الاميركي المسمى « سي اسلاند » وهو قطن نادر . اما البلاد التي تستهلكه فهي اوربا كلها وفي مقدمتها انكلترا التي تستورد منه في كل عام اربعمائة الف بالة زنة البالة سبعة قناطير مصرية اي انها تستورد وحدها نصف القطن المصري تقريباً . وصادراته اليها والى اميركا آخذة بالازدياد خلافاً لاوربا

﴿ زراعة القطن في العالم ﴾ وقد شعر العالم في السنتين الاخيرتين بحاجته القصوى الى القطن وبقلة هذا المحصول بالنظر الى شدة هذه الحاجة فقامت الامم تتسابق الى زراعته في املاكها ومستعمراتها . فاخذ الروس ينشطون زراعته في تركستان وقد وضعوا على القطن الوارد الى بلادهم رسوماً جديدة حماية للقطن الوطني . وارسلت مدارس المانيا الزراعية بعض الزراع الى المستعمرات الالمانية في افريقيا ليعلموا اهلها زراعته . واهتمت حكومة السودان الفرنسوي في افريقيا بزراعته في اراضيها ايضاً . وقام تجار القطن الانكليز يحرضون زراعهم على زراعته في اوستراليا وكندا استغناء عن الاميركيين . وقد اخذ كثيرون من الزراع الاجانب والوطنيين يبحثون في زراعته في السودان المصري . ومن المعلوم ان هذه الزراعة ميسورة في السودان اذا امكن ري الاراضي السودانية من مياه النيل . ولعل هذا الامر هو احد الاسباب التي دعت جناب السير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية الى السفر الى بحيرة فكتوريا نيانزه فوق اعالي النيل للبحث في انشاء

خزان عظيم هناك يخزن المياه للزراعة المصرية والسودانية معاً فيمكن حينئذٍ استعمال مياه النيل لزراعة السودان دون ان يضر ذلك بالزراعة المصرية . ويومئذ يستطيع الزراع في مصر ان يزيدوا مساحة الاطيان التي يزرعونها قطناً ما شاؤوا الزيادة (١)

❋ زراعته في اراضي الدولة العثمانية ❋ على ان الالمانيين لم يقتصروا على رغبتهم في زراعة القطن في مستعمراتهم بل اخذوا يبحثون منذ الآن في انشاء المزارع الكبرى في ما بين النهرين لزراعة القطن هناك . ومن الراجح ان حكومتهم ستبذل قصارى جهدها لتنشيطهم في ذلك استغناء عن اميركا التي لا تامن مجافاتها في الازمنة القادمة ورغبة في استعمار الاناضول والاراضي البكر المذراء المنبسطة ما بين النهرين لان هذا الاستعمار يدر اخلاف الثروة عليها وعلى ابنائها . وقد انتشر بعض الالمانيين في قطعة الاناضول وجربوا زراعة القطن فيه فبشرتهم زراعته بخير مستقبل . منهم بضعة اقاموا منذ سنوات حوالي مرسين واَطنه يزرعون القطن و ينشئون مزارع في غاية الترتيب ما عدا المزارع الجميلة التي اقاموها في فلسطين وحيفا . فاعجب لهؤلاء النشيطين الذين يهاجرون اوطانهم للزراعة عندنا ونحن نائمون غافلون لا يلذ لابنائنا الا الاستخدام الممقوت الذي يحصر قوة لقوة قد تكون احط منها والذي يقتل في النفس البشرية كل اقدام واستقلال ونشاط

فالزراعة الزراعة يا سكان البلاد التي ارضها بلا زراعة قبل ان ياتي الغريب ويقبض على خيرات ارضكم فتصبحوا لا تاكلون الا ما تُخرجه يده من الارض كما انكم لا تلبسون الآن ولا تستعملون الا ما تصنعه معامله

---

(١) خطب جناب المستر ويلكوكس المهندس المشهور في جمعية المهندسين الملوكية في لندن فقال بهذا الشان ما نصه

« قلت ان مصر تحتاج لاصلاح اراضيها ٦٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء وقد ظهر لكم ان خزان اصوان لا يحتمل الا ١٠٠٠ مليون متر . فمن اين ياتي الباقي وهو شيء كثير ؟ ياتي من البحيرات الكبرى التي ينبع النيل منها فانه يمكن ان تحول بحيرة فيكتوريا نيانزا وبحيرة البرت نيانزا عند منبع النيل الابيض الى خزانات تقدم لنا سنوياً ١٨٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء يمكن ايصال ١٢٠٠٠ مليون متر مكعب منها الى القطر المصري وهو اكثر مما نحتاج اليه ويمكن انجاز هذا العمل بمبلغ لا يزيد عن مليون جنيه واني اعتقد انه لا بد من انجاز هذه الفكرة بعد اتمام سكة حديد اوغنده فانظروا مقدار الفائدة العظيمة التي تعود على القطر المصري من هذه الاعمال »

مقاومة الموت واطالة الحياة

بحث جديد مفيد

اول شيء يجب النظر فيه عند البحث في « مقاومة الموت واطالة الحياة» هو هذا : هل ان في هذه المقاومة والاطالة هناء حقيقياً وراحة حقيقية للبشر · فمن الناس من يقول مع ابي العلاء فيلسوف الشعراء

تعب كلها الحياة وما اعجب   الا من راغب في ازدياد

فكيف يطلب الانسان اطالة مسافة تعبه وعنائه في هذه الحياة· اليس الافضل له ان يُختصر هذه المسافة ليدخل في عالم الهدوء والراحة · وفضلاً عن ذلك فان اطالة حياة الانسان على الارض تُفضي الى اقبح الامور · فان الزحام الآن على اسباب الرزق في منتهى الشدة مع ان البشر لا يعيشون كثيرًا واطول مدة يحفظ فيها الانسان مركزه في العالم ٥٠ عاماً · فكيف تكون حالة المزاحمة على رزق الدنيا ومراكزها اذا تضاعفت هذه المدة · وماذا يحلّ بالعالم اذا اكتشفوا اكسير الحياة الذي ينشده الناس منذ القرون القديمة وهو الدواء الواقي من الموت· الا تصير الارض حينئذٍ ساحة حرب عمومية بين الافراد وتصبح الحياة فيها حينئذ اشد على الانسان من الموت الآن

ومن قائل ان الحياة وان كانت تعباً فهي واجب من الواجبات · والانسان لم يأتِ هذا العالم كما قال تولستوي باختياره ومن تلقاء نفسه بل هنالك قوة خفية ارسلته اليه ليقوم بعمل فيه · فاختصار مسافة هذا العمل تقصير في الواجب واطالة الوقت اللازم لانهاء هذا العمل بمثابة زيادة في القيام بالواجب · وفضلاً عن ذلك فان معدل السن الذي يموت البشر فيه الآن هو ٣٠ الى ٤٠ سنة واقصى ما يبلغه شيوخهم الاقوياء ٧٠ سنة ولا يبلغ حدود المائة الا نفر قليل ممن خصتهم الطبيعة بمزايا عظيمة · ولكن كل شيء في الانسان يدل على ان السبعين سنة ليست حدًا لعمره · ومن احسن الادلة على ذلك قول الفيلسوف تيوفراستوس اليوناني الذي عاش بين عام ٣٧٤ و٢٨٧ قبل الميلاد · فان هذا الرجل عمرَّ ٨٧ عاماً وقد قال قبل وفاته انني آسف لموتي لانني بدأت الآن افهم الحياة واستلذ اسرارها فهلا امهلتني الطبيعة لاصل الى الغاية

فاذا كان تيوفراستوس لم ينفتح له كتاب الحكمة ولا فهم اسرار الحياة الا بعد قطعه الثمانين فكيف يصح ان يقال ان الخالق العادل قد جعل السبعين حدًّا للحياة

فينتج من هذا ان من واجبات الانسان ان يعتبر الحياة واجباً عليه لا لذة له وان يطيل اجلها لا ليتمكن من التمتع بها فان هذا شان العجاوات لا الانسان الذي خُلق على صورة الله ومثاله ولكن ليبلغ الحد الذي تنضج فيه نفسه وتخمد اهواؤه فيصبح انساناً حقيقياً مجردًا عن كل حيوانية . وقد اختلف العلماء في الطرق التي ذكروها لاطالة الحياة ولكنهم اتفقوا على امر واحد وهو ان العيش الطبيعي خير الطرق كلها . ويريدون بالعيش الطبيعي ان يترك الانسان عقله وجسمه ينموان نموها الطبيعي اي دون وضع الحوائل والموانع في وجهها وتعذيبها بشؤون المدنية . على ان ذلك يقتضي بحثاً خاصاً وليس هذا محله الآن

وانما غرضنا في هذا الفصل ان نذكر الطرق الحديثة التي يسعى العلماء الآن لاطالة الحياة بواسطتها ونعتمد في الكلام عنها على احدث ما نُشر بشانها

﴿ طريقة تجديد الشباب حقناً بالملح ﴾ وفي مقدمة هذه الطرق طريقة كان لها في الشهرين الماضيين دوي عظيم في اوربا واميركا . فان عالمين من علماء شيكاغو في اميركا يُدعى احدهما الدكتور لب والثاني الدكتور لينكل ابلغا زملاءهما العلماء في كل الارض انهما اكتشفا اكسير الحياة الذي قطع الاقدمون اعمارهم وهم يبحثون عنه . وهذا الدواء مركب من الغليسرين والملح فقط ويسمونه الغليسروفوصفات دي صوديوم

وقد جرب هذان الدكتوران دواءهما في رجلين . فانهما اخذا شيخين ضعيفين يدعى الاول برمان وعمره ٨٣ سنة والثاني راناي وعمره ٦٨ سنة وحقناهما بالمصل المذكور تحت الجلد . فطار نبأ هذه التجربة الى العالم اجمع . ثم بعد يوم او يومين انتشر الخبر ان شيخي شيكاغو يستعيدان قوتهما شيئاً فشيئاً ويتجدد شبابهما رويدًا رويدًا فاتجهت انظار البشر يومئذٍ الى شيكاغو ولبثوا ينتظرون الخبر النهائي لان مسالة اطالة الحياة تهمّ كل انسان

ولكن مرّ الآن الشهر والشهران دون ان يرد نبأ جديد فعلم الناس ان الدكتورين الاميركيين قد تسرعا في النداء بانتصارهما على الموت كما تسرع الدكتور كوخ حينما نادى منذ بضع سنوات بانتصاره على باشلس السل

غير ان العامة وكثيرين من الخاصة استنتجوا من هذا الاكتشاف امرًا جديدًا وهو فائدة الملح فاقبلوا على اكل الملح من كل جانب حتى حمد الله اصحاب الفنادق في انكلترا

واميركا على ان ثمن الملح بخس قليل ولولا ذلك لاصبح يومئذٍ نادرًا ٠٠ وفي الحقيقة ان الملح مفيد وهو من المواد التي يتخذها الاطباء في المعالجة ٠ فانهم بعد عملهم عملية جراحية ينزف بها شيء كثير من دم المريض يحقنونه بمحلول الملح بعد تصفيته اذا ارادوا انتظام دورته الدموية كما كانت قبل العملية وذلك على نسبة ٧ غرامات في كل ٥ التار من الماء ٠ وقد لاحظوا ان الدورة الدموية تنشط بعد هذا الحقن وتكثر في الدم الكريات الحمراء التي تقويه ٠ وفضلاً عن ذلك فان جسم الانسان يحتوي شيئًا من الملح فان كل جسم ثقله ٧٥ كيلو غرامًا يكون فيه ٥٠٠ غرام ملحًا ويجب ان يأكل سبعة كيلو غرامات من الملح في كل عام ٠ وكلما ضعف جسم الانسان قل الملح الذي فيه ٠ واذا اكل الانسان طعامه من غير ملح مدة طويلة صار هضمه صعبًا على المعدة ٠ وقد ثبت ان البحارة الذين يعيشون فوق المياه الملحة والسكان الذين يعيشون على شواطئ البحر اطول عمرًا من الذين يعيشون في المدينة

فالملح اذًا كثير الفوائد ٠ ولعل الذين تقدمونا قد عرفوا ذلك فقالوا عنه في امثالهم «كل من يطرح ملحًا على الارض يجب عليه في يوم القيامة ان يلتقطه بجفنيه »

اذًا لم يكتشف العالمان الاميركيان امرًا جديدًا

﴿ طريقة قتل الكريات القارضة في الجسم ﴾ ولكن الدكتور متشنيكوف سعى الى اكتشاف طريقة لاطالة الحياة وتخليد البشر اهم من الطريقة البسيطة التي تقدمت ٠ وتمهيدًا لبيان اكتشافه نقول

من المعلوم ان مدار الحياة في الجسم الانساني وفي كل ذي حياة جراثيم دمه وهي كريات صغيرة سابحة في الدم : فبموت هذه الكريات يموت الجسم وبحياتها يحيى ٠ وهذه الكريات تتولد وتنمو نموًّا عظيمًا وطريقة نموها ان ينفصل من كل جرثومة منها جرثومتان وهلم جرًّا ٠ وهذه الجراثيم قسمان قسمٌ يأكل الجراثيم والميكروبات المضرة التي تدخل الى الدم انقاذًا للجسم منها ونسميها الجراثيم النافعة وقسم يأكل من انسجة الجسم نفسه ونسميه الجراثيم المضرة ٠ وهذان القسمان متعاديان يأكلان بعضهما بعضًا فاذا قويت الجراثيم النافعة على المضرة كان الجسم قويًا ناميًا واذا قويت المضرة على النافعة ضعف الجسم واخذ بالانحطاط ٠ ففي دور الشباب تكون الجراثيم النافعة اقوى من المضرة وفي دور الشيخوخة تضعف الجراثيم النافعة وتقوى المضرة فتاخذ تقرض انسجة الجسم فيزداد الجسم ضعفًا

فعمل دواء الدكتور متشنيكوف مقصور على ما يلي : يدخل هذا الدواء الى الدم

بطريق الحقن ليقتل فيه الجراثيم المضرة التي تتغذى من انسجة الجسم وبهذه الطريقة تنمو الجراثيم الاخرى النافعة و يبطل ضعف الجسم لقتل الجراثيم التي تدفعه

ولما جرب الدكتور متشنيكوف اكتشافه وجد انه قد قتل الجراثيم المضرة ولكنه قتل معها الجراثيم النافعة فاخذ يهتم باصلاحه · ولا ريب في ان هذا العالم اذا وفق الى قتل الجراثيم المضرة دون النافعة فاز فوزًا عظيماً

﴿ طريقة تقوية الاعضاء الرئيسة ﴾ وبينا يجرب بعض العلماء اطالة العمر عن طريق الدم اخذ غيرهم يجربون اطالته بواسطة تقوية الاعضاء الرئيسة التي عليها المعول في الحياة كالقلب والدماغ والرئتين والمعدة والكبد · فقاموا يهتمون بصنع مصل خاص لتقوية كل عضو من هذه الاعضاء · ولعلهم ينجحون

﴿ طريقة تجديد الحياة بقطع الجوانب المصابة في الاعضاء ﴾ ولكن الاغرب من ذلك طريقة للدكتور بول كارنوت جربها في الحيوان فنجحت ولكنه لم يجربها بعد في الانسان · وبيانها انه اخذ حيوانًا مصاباً بالكبد او الكلية فقطع من كبده او كليته النصف او اكثر منه ثم اخذ يعالجها معالجة يقصد بها انماء العضو الذي بتره فكان العضو ينمو الا اذا كان قد قُطع كله · و بعد نموه يتجدد نشاط الحيوان وتقوى صحته · قال الدكتور كارنوت فما الذي يمنعنا ان نصنع بالانسان ما صنعناه بالحيوان

﴿ طريقة الوهم ﴾ والطريقة الرابعة للعالم الا سيو فينو ونسميها طريقة الوهم · فقد نشر هذا العالم في اواخر العام الماضي كتاباً عنوانه « فلسفة طول العمر » قال فيه ما خلاصته « ان الخوف من الموت يتسلط على الانسان منذ شبابه فاذا قام ذكر الموت واذا قعد ذكره فيتاثر مجموعه العصبي من ذلك تاثرًا مضرًا فعلى كل انسان ان يقتنع بان السبعين عاماً ليست حدًا للعمر بل ان في استطاعة كل انسان ان يعيش مائة وخمسين عاماً وحينئذٍ يزول ذلك الوهم الذي يتسلط علينا و يقرب اجلنا · ولا انكر اننا عاجزون عن ابعاد الموت عنا اذ ليس في استطاعة احد ان يؤخر حلاً نهائياً لا بدَّ منه ولكنَّ في استطاعتنا ابعاد حدود العمر وطرد الضعف الذي يصيبنا قبل اوانه فيحط من كرامتنا وعظمتنا »

اخلاق الملكة فيكتوريا

اذا كانت الملكة فيكتوريا قد ابلغت مملكتها الى اوج المجد والعلى . اذا كانت قد ضاعفت سكانها ومساحة املاكها وثروتها وعززت صناعتها وتجارتها تعززاً لم يسبق له نظير في العالم . اذا كانت قد انقذت عرش الملكية الذي ضعضعته اعمال بعض من الذين سبقوها عليه كما شهد بذلك رجال السياسة الذين ابنوها في البرلمان . اذا كانت قد صنعت كل ذلك بقوة مراقبتها وبواسطة الوزراء العظام الذين نبغوا في ايام ملكها فانها لم ترفع بذلك شان مملكتها فقط بل رفعت شان جميع النساء ايضاً

ذلك لانها ارت العالم في ايام ملكها مبلغ ما تستطيعه امرأة فاضلة تقبض على ازمة مملكة . فانها اسكتت اصوات الفتنة والاستياء في الداخل وجعلت الايرلنديين انفسهم يحترمونها ويخضعون لها واوقفت طبقة النبلاء عند حدها وجعلت دول العالم لا تتقدم من دولتها الا باحترام واكرام وصيرت ملوكه خاضعين لها كما يخضع الابناء للامهات او الرجال للنساء — وكل ذلك لانها امرأة . وقد كان اللورد ملبورن معلمها يقول « اهون عليَّ ان تكون معاملتي مع عشرة ملوك من ان تكون مع ملكة » وانما قال ذلك لان فيكتوريا كانت شديدة التمسك بحقوقها وامتيازاتها فلا تتنازل لاحد عن شيء منها . وكان الناس يتقبلون منها ذلك لانها امرأة ولو كانت رجلاً لسخطوا عليها كما سخطوا على اسلافها

وهذا الكلام يسوقنا الى ذكر شيء من اخلاق الملكة فيكتوريا تفكهة للقراء وبياناً لاخلاق هذه الملكة العظيمة التي هي اعظم ملكات القرن التاسع عشر وكادت تكون اعظم ملوكه لولا نابوليون الاول . واما تاريخ حياتها الذي هو تاريخ مملكتها في اكثر من نصف قرن فقد افاضت فيه الجرائد اليومية والمجلات مما لا حاجة للعودة اليه بل نكتفي بالكلام على صفاتها واخلاقها

ولدت الملكة فيكتوريا في عام ١٨١٩ وقد جلست على عرش الملك خلفاً لعمها الملك غليوم الرابع وهي في الثامنة عشرة من عمرها . واول عمل عملته بعد ملكها فدل على سلطتها وقوة ارادتها هو تعيين اسمها . فانهم سموها في الاوراق الرسمية التي اعلنوا فيها ارتقاءها الى عرش المملكة « الكسندرينه فيكتوريا » وكان هذا هو اسمها الحقيقي لان عرابها الامبراطور اسكندر الروسي سماها الكسندرينه وامها سمتها فيكتوريا . اما الملكة فانها حذفت من

جميع الاوراق التي قُدمت لها اسم « الكسندرينه » وابقت « فيكتوريا » وكانت توقع بهذا الاسم فقط

وكانت نفس الملكة مركبة من عنصرين · عنصر العظمة والسيادة الذي ورثته عن امها وعنصر الحكمة والتروي والصبر الذي اقتبسته من خالها ليوبولد ملك بلجيكا · ولذلك قالوا انه كان للملك ليوبولد تاثير عظيم على مستقبل انكلترا · ولا عجب فان هذا الملك الدستوري البسيط معروف بانه « حكيم ملوك العالم »

واول وزير استوزرته الصغيرة فيكتوريا كان اللورد ملبورن معلمها وهو من حزب الاحرار فجاءها في ذات يوم وفي يده اوراق يقول انها مهمة لا بد منها فيجب التوقيع عليها فاجابته الملكة في الحال « لقد علموني منذ صغري انه يوجد امور حسنة يجب صنعها وامور رديئة يجب اجتنابها ولكنهم لم يعلموني انه يوجد امور مهمة لا بدّ منها » تعني انها تنظر الى الامور من حيث حسنها او رداءتها لا من حيث ضرورتها فاذا مست الحاجة الى امر رديء نبذته وان كان ضرورياً

ولما استقال اللورد ملبورن خلفه السير روبرت بيل من حزب المحافظين فاراد هذا الوزير أن يحمل الملكة على ابعاد بعض نسائها عنها مخافة تاثيرهن عليها فقاومته بكل عظمة وقد كتبت بهذا الشان الى اللورد ملبورن مربيها ما نصه « لا تظن انني خرجت في كلامي معهم عن دائرة الهدوء وثبات الجأش · فانهم كانوا يريدون معاملتي كما تعامل البنات الصغيرات فاريتهم انني ملكة انكلترا لا ابنة صغيرة · وما ادراني انهم اذا اخذوا الآن نسائي لا يطلبون غداً خادماتي ايضاً »

واعظم من هذا المشكل الذي قام بينها وبين وزرائها مشكلة قامت بينها وبين اللورد بالمرستون في عام ١٨٥٠ فان هذا الوزير عرض على الملكة في ذات يوم رسائل مهمة ثم خطر له بعد ذلك ادخال بعض التغيير فيها · فلما درت الملكة بذلك استدعته ولامته بلهجة الآمر على انه غير الرسائل ثم خيرته بين ان يستقيل من الوزارة او يبقي الرسائل كما تراها الملكة · فاختار البقاء وزيراً · وهذا اهم خلاف قام بينها وبين وزرائها

واحبت الملكة بعد جلوسها على العرش ابن عمها البرنس البرت دي ساكس كوبورغ فعزمت على الاقتران به · فبعثت في عام ١٨٣٩ تستدعيه اليها · وقد كتب البرنس البرت الى جدته الدوقة دي كوتا بهذا الشان ما نصه « واستدعتني الملكة في ذلك اليوم اليها وكانت جالسة وحدها فذكرت لي ميلها اليّ ثم قالت لي انها ستكون سعيدة جداً اذا كنتُ

ارضى بمشاركتها في حياتها » وكان البرنس يحبها كما تحبه فاقترن بها · ولكن الملكة لم تطلع وزراءها على عزمها على الزواج الا بعد ان اتمت عزيمتها

وجاءها رئيس اساقفة كنتربري قبل الزواج يسألها اذا كانت تريد تغيير صيغة اليمين التي تقسمها المرأة للرجل عند عقد الاكليل فاجابته « انني سأقسم هذه اليمين كامرأة لا كملكة »

ولما عُرض على مجلس العموم طلب راتب سنوي لزوجها قدره ٥٠ الف جنيه قام احد الاعضاء واسمه المستر جوزيف هوم وقال قولاً اضحك جميع الاعضاء وهو « من الخطر على الشاب ان يضع في كل عام مبلغاً كهذا المبلغ في جيبه ويمشي في اسواق لندن » فجعلوا الخمسين الفاً ثلاثين الفاً · فاغاظ هذا الامر الملكة

وبعد الزواج قامت مشكلة جديدة وهي : كيف يكون مقام البرنس من الملكة اذا ولد ولي عهد هل يتقدم ولي العهد على البرنس او البرنس على ولي العهد · وقد اهاج هذا الامر الخواطر في البلاط · فاصدرت الملكة امراً قاطعاً قضى بجعل مقام البرنس ثاني مقام الملكة

وقد ذاقت الملكة فيكتوريا بعد زواجها بالبرنس البرت لذة المعيشة العائلية فعاشت معه عيشاً رغيداً مملوءاً بالمسرة والحبور · واول ولد ولدته كان ابنة وهي الامبراطورة فردريكه والدة امبراطور المانيا · فسألت الملكة البرنس ساعة الولادة « هل انت مسرور يا البرت » فاجاب البرنس اذا كنتُ مسروراً بنجاتك فان الشعب الانكليزي غير مسرور · يريد بذلك ان الامة الانكليزية كانت تنتظر ان تلد الملكة غلاماً يكون ولي عهد لها · فاجابته الملكة « ثق ان المولود الثاني سيكون غلاماً »

وفي الحقيقة انه لم ينقضِ احد عشر شهراً على هذه الحادثة حتى علت اصوات المدافع في سنت جمس تعلن مولد البرنس دي غال (الملك ادوار السابع الحالي)

وكما ذاقت الملكة اعظم الملاذ العيلية في زواجها ذاقت اعظم الاحزان العيلية بعد وفاة البرنس زوجها · فانها ابطلت حفلات البلاط وعاشت خمس سنوات لا تظهر لاحد من رعيتها ولا تقابل احداً حداداً على زوجها وحبيبها · فشكا يومئذ صناع لندن وتجارها من هذه الحالة لان حداد البلاط افضى الى كساد البضائع والسلع التي تروج في الحفلات فاقترح بعض اعضاء مجلس العموم حينئذٍ انقاص راتب الملكة لان حدادها لا يقتضي نفقات كثيرة · ولكن الملكة بعد مرض شديد اصاب البرنس دي غال عادت الى الظهور

وخففت شيئاً من حدادها . وكانت تبكي بعد وفاة البرنس وتقول « آه لم يعد الآن يوجد من يناديني " يافيكتوريا »

وكانت الملكة كثيرة المطالعة للكتب والجرائد الانكليزية والفرنسوية والالمانية لتقف فيها على حركة السياسة في العالم . وانما كانت لا تقرأ من الجرائد الانكليزية الا المقالات والفصول التي تضع لها نساؤها علامات عليها . وقد جرت العادة ان لا يضع هؤلاء النساء علامة على فصل لا يروق الملكة . ولذلك فان الملكة كانت تجهل اشياء كثيرة من عواطف شعبها . فانها جهلت استياءهم يومئذٍ من ميلها الى المانيا وازواج ابنتها الى امير الماني وجهلت استياءهم من تركها حفلات البلاط وعدم اذنها لولي عهدها بان يقوم مقامها في الاستقبالات الرسمية التي كانت لا تحضرها . ولا يخفى ان جهل الملك عواطف شعبه قد يضر اشد ضرر بالملك نفسه اذا كان غير محبوب وغير محترم احتراماً كلياً . اما فيكتوريا فانها نجت من ذلك لانها كانت محبوبة ومحترمة

وكانت محبوبة ومحترمة الى حد كان عنده جميع الذين هم حولها يرتعدون خوفاً منها حتى البرنس دي غال نفسه . يروى انه بلغها في ذات يوم ان البرنس دي غال حضر في باريز سباق الخيل في ساحة لونشان في يوم احد فغضبت عليه ووبخته على ذلك حين عودته الى لندن توبيخاً شديداً . ذلك ان الملكة كانت شديدة الحفظ لاصول الدين وفروعه وقد قالت مرة مشيرة الى التوراة « هذا هو سر عظمة انكلترا »

وكانت الملكة ترعى حرمة وزرائها وتكرمهم ولكنها كانت لا تطيق مجالسة غلادستون الوزير العظيم . يروى انه كان يوماً في حضرتها يطلعها على بعض الشؤون ثم خرج من لدنها فتنفست الملكة الصعداء قائلة « اف من هذا الرجل » ولكنها كانت تحترمه ولما كان حزب الاحرار يُسقط حزب المحافظين كانت الملكة تنظر الى مصلحة المملكة دون سواها فتعهد الى غلادستون زعيم الاحرار ان يؤلف الوزارة الجديدة . اي انها كانت تقول في نفسها « لا دخل لمسائلي الشخصية في المسائل العمومية »

وكان السبب في نفورها عن المستر غلادستون انه كان مع معاملته لها بكل احترام واكرام غير صبور على شرح كل ما يجب شرحه لها وكثيراً ما كانت تبدو في وجهه الدهشة من جهل الملكة بعض امور صغيرة كان يعرضها عليها . اما باقي الوزراء وخصوصاً دزرائيلي فانهم كانوا يصبرون على الملكة ما شاءت ويكرمونها ويلاطفونها كملكة وامرأة معاً . ولذلك كانت تحب دزرائيلي حباً شديداً

ولعل غلادستون كان يقول في نفسه وهو واقف بازاء فيكتوريا « ما الذي يضطرنا يا رباه الى وضع السلطة العليا في قبضة شخص واحد قد يفهم كل شؤونها احياناً واحياناً لا يفهمها كلها بدلاً من وضعها في قبضة اكابر الامة الذين يفهمونها كلها »

وكانت وفاة الملكة فيكتوريا في منتصف الساعة السابعة من يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يناير الماضي في قصرها في اوسبورن بين اولادها واحفادها فدوى نعيها في اقطار العالم دوياً شديداً . ويقال انها رحمها الله قد لفظت روحها وهي تقول «متى تنتهي هذه الحرب متى تنتهي » وتريد بها حرب الترانسفال لانها كانت شديدة الكراهة لها

فعسى ان جلالة الملك ادوارد السابع الذي وعد في خطبة جلوسه ان يقتفي آثار امه الجليلة يحقق آمالها وآمال العالم المتمدن كله بوضع حد للحرب الافريقية . وبذلك يفتتح ملكه افتتاحاً مجيداً

حماية الحيوانات في افريقيا

مؤتمر دولي

يتبادر الى ذهن القارىء اول قراءته هذا العنوان « حماية الحيوانات في افريقيا » ان الانسان في هذا الزمان احق بالحماية من الحيوان . وكثيراً ما تناقلت الالسنة والاقلام هذا القول كلما دار الحديث على جمعية حماية الحيوان او الرفق بالحيوان . ولكن لو علم هؤلاء المعترضون ان الانسان لا يقصد بحماية الحيوانات التي نتكلم عنها هنا الرفق بها رفقاً مجرداً بل انه يقصد حفظها للانتفاع بها مباشرة او مآلاً لتحققوا ان الانسان لم يخرج عن الدائرة القبيحة الضيقة التي رسمها لنفسه في هذه الحياة وهي « ان لا يعمل عملاً الا وهو يؤمل منفعة منه او جزاء عليه »

وكيف تريد ان يخرج من هذه الدائرة اذا كان يتعلم الاقامة ضمنها منذ اول حياته الى آخرها . في البيت وفي المدرسة وفي السوق حتى في اماكن العبادة

وقد اخذ هذا الميل المادي يزداد في نفوس الناس حتى انه لا يبعد ان يجيء يوم يحسبون من اعظم الفضائل ان يبتسم الانسان لصاحب او رفيق لا يرجو منه نفعاً . وان من اراد سؤال رجل « اين الطريق » وجب عليه ان يضع له في جيبه غرشاً قبل السؤال والا بقي سؤاله بلا جواب

ويومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرهما من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . ولهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

ويومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . ولهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفار والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر .

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا للحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفيران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جنود جبلية والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

و يومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تألف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . وبهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكانور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوقاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

و يومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

وقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك. فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة. وبهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر.

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

... يحسبون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في
... وقسوة وخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد ملكتها على
... تعلق خضرة وكثر التزاحم في هذه الحياة
... على طريقة خضرة اذن تبعد الانسان عن الانسانية وتنفو به الى

... بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك
... عن مؤتمر دولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في
... حيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا
... على ذلك من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها)
... فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها
... في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن
... وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل
... عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من
... السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة
... وضعت ... جديدة للصيد

... عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار
... تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة من السنة
... تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من
... ذلك ... في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش
... من حيوانات جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من
... قطعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة
... تجوبها وتتكاثر ... آمنة مطمئنة . وبهذه المناسبة نذكر ان حكومة ناتال بدأت
... وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من
... من نوع لاينكتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران
... بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولولا ان حكومة الولايات المتحدة
... وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبق اليوم

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

ويومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لمن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . ولهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر .

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين. الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال ويأخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفيران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والغزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تغلق المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اصلاح عظيم في الشرق

(المرأة الجديدة)

كتاب في مقالة مكتوبة لعقلاء الشرقيين

في اوائل القرن السابع عشر كان اكبر برهان يقيمه اللاهوتي او الفيلسوف استشهاده برأي المعلم الاكبر الذي وضع ذلك الدين او تلك الفلسفة . فكان يكفي لاثبات قضية لاهوتية ان يقال « هكذا ورد في كتاب كذا » ويكفي لتقرير قضية فلسفية ان يقال « هذا راي ارسطو » فكان اللاهوتيون والفلاسفة في راحة وصفو في ذلك الزمان لضعف معارضيهم ومقاوميهم ولكن الاوهام والاغلاط كانت تتراكم في اقوالهم وكتبهم والفلسفة واللاهوت يضعفان تحت نير التسليم الاعمى

وبينما كان العالم في ذلك الخمول الفلسفي ظهر حوالى عام ١٦١٩ كراس صغير ذو مائة صفحة كتبه ضابط فرنسوي في الثالثة والعشرين من عمره وعنوانه « الطريق » اي الطريق الى الحقيقة . فهذا الكراس كان وحده كافياً لتغيير وجه العالم وانشاء مستقبل جديد لشعوب الارض وملوكها

اما اسم هذا الضابط فهو « ديكارت » (١) واضع اساس الفلسفة الحديثة وموضوع

---

(١) هو رنه ديكارت الرياضي والطبيعي والفيلسوف الشهير واضع اساس الفلسفة الحديثة . ولد في لاهاي من اعمال فرنسا في عام ١٥٩٦ وتوفي في اسوج في عام ١٦٥٠ ومن مؤلفاته كتاب « الطريق » وكتاب « تاملات فيما وراء الطبيعة » وغيرهما

كرامه هو هذا : « لا تعتقد بشيء ما لم تقتنع بصحته » وقوله « اذا رمت معرفة الحقيقة فيجب ان تخلو بنفسك مرة في حياتك وتتجرد من كل الاراء والمذاهب التي تلقنتها منذ صباك ثم تبني لك بواسطة آرائك ومعارفك مذهباً خصوصياً » فقامت يومئذ قيامة عالم اللاهوت وعالم الفلسفة على ديكارت لانه اسقط بهاتين القاعدتين اقوى سلاح كان للاهوت والفلسفة . فاضطهدوه وكفروه وسبوه ولكن ذلك لم يمنعه ان يفوز عليهم فوزاً مبيناً ويغير وجه العالم بكتابه حتى سماه الفلاسفة « ابا الفلسفة الحديثة » كما يسمون اريسطو « ابا الفلسفة القديمة »

وامامنا الآن كراس باللغة العربية ذو ٢٢٩ صفحة عنوانه « المرأة الجديدة » ومؤلفه حضرة الفاضل قاسم بك امين وموضوعه ابحاث مختلفة في حقوق المرأة المسلمة وواجباتها ووجوب تربيتها وهدم السور الذي يحول بين العالم الخارجي وبينها وفي المدنية الاسلامية . وكل هذه المباحث مبنية على هذه القاعدة « من اهم ما يجب علينا هو ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليه ولكن لا لننسخ منه صورة ونحتذي مثال ما كان فيه سواء بسواء بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناء ننتفع به اليوم وفيما يستقبل من الزمان »

هذا ما قاله حضرة قاسم بك في الصفحة ١٧١ من كتابه . افلا يخيل لك حين قراءة هذه السطور انك تسمع « ديكارت » ناطقاً بلسانه . لذلك نعتقد اعتقاداً « لا يزعزعه ادنى شك » بان هذا « الكراس الصغير » سيكون من اكبر الحوادث في تاريخ مصر واذا قام بعد مائة سنة مؤرخ لكتابة تاريخ حركة الافكار في مصر فانه سيخص لكتابي « المرأة الجديدة » « وتحرير المرأة » اللذين كتبهما قاسم بك صفحات كثيرة من تاريخه مع انه لا يذكر كثيراً مما ينشر اليوم من الكتب والجرائد والمجلات الا في بضعة اسطر او بضع كلمات

على ان تاثير هذا الكتاب غير مقصور على تخليد اسم كاتبه في تاريخ مصر وتاريخ الشرق قاطبة لسبقه الى معرفة الداء ووصف الدواء بشجاعة ادبية نادرة المثال في هذا الزمان . بل نعتقد ايضاً ان كتاب « المرأة الجديدة » ورفيقه « تحرير المرأة » سيحدثان انقلاباً عظيماً في الشرق . بل هما بدء الانقلاب العظيم الذي ينتظره عقلاء الشرق منذ عهد بعيد . وبناء عليه يكون كتاب قاسم بك نتيجة لا مقدمة . اي انه مبدأ نضج في الشرق فظهر

على قلم قاسم بك ولو لم يظهر على قلمه لظهر على قلم شرقي عاقل غيره لان ناموس الارتقاء لا يوقفه شيء وسواء قاومه المقاومون او لم يقاوموه فانه سينتصر ويخرج من مضمار المقاومة اشد ابراقاً واشراقاً

وانما ولد هذا المبدأ في مصر قبل سواها من الممالك الشرقية الاسلامية لان مصر ارقاها والتمدن اشد عضداً فيها منه في سواها . ونذكر اننا قرأنا منذ نحو ٣ سنوات تلغرافاً في جريدة الطان الباريزية وارداً عليها من القاهرة وهذه خلاصته « لقد اقامت مساء امس الاميرة فلانة (وقد غاب عنا اسمها) حفلة حافلة في منزلها دعت اليها بعض وجوه الوطنيين والاجانب رجالاً ونساء واستقبلتهم كلهم بنفسها » فذيلت جريدة الطان هذا الخبر بقولها لقد قُضي الامر وظهر ان مصر ستكون اول بلد ينشق الحجاب فيه . وذلك لان التمدن يخطو فيها خطوات واسعة

ولكن لماذا يُتخذ شق الحجاب دليلاً على التقدم والارتقاء . السبب بسيط جداً ولكننا نترك الى قاسم بك شرحه بقوة بيانه لذلك نشرع في تلخيص كتاب « المراة الجديدة » بما يمكن من الايجاز

﴿ المقدمة ﴾

قال المؤلف في المقدمة ما خلاصته

« المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات »

« وكان الاوربيون يرون رأينا اليوم في النساء فيقولون ان « ذات الشعر الطويل والفكر القصير » لم تخلق الا لخدمة الرجل فلما انكشفت عنهم غشاوة الجهل اكتشفوا انهم هم انفسهم منشأ انحطاطها وسبب فسادها » فدخلت المراة الغربية منذ ذلك الحين في طور جديد . « فاختفت حينئذ من عالم الوجود تلك الانثى — تلك الذات البهيمية التي كانت مغمورة بالزينة متسربلة بالازياء منغمسة في اللهو وظهر مكانها امراة جديدة هي المراة شقيقة الرجل وشريكة الزوج ومربية الاولاد ومهذبة النوع »

. وهذا التحويل كل ما نقصد

(واذا تمَّ ذلك فنحن على يقين لا يزعزعه ادنى شك من ان هذه الحركة الصغيرة تكون اكبر حادثة في تاريخ مصر)

(ونحن لا نكتب طمعاً في ان تنال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين اذا سمعوا

كلام الله وهو الفصيح لفظه الجلي معناه لا يفهمونه الا اذا جاء محرفاً عن وضعه وانما نكتب لاهل العلم وعلى الخصوص الناشئة الحديثة التي هي مستودع امانينا في المستقبل)

ثم اختتم المقدمة باستشهاده بقول لحضرة صديقنا منشيء مجلة المنار المصرية عن مسالة الحجاب من الوجه الديني وباثباته ان الشريعة الاسلامية خولت المراة المسلمة حقوق (تدبير ثروتها والتصرف فيها وحثت على تعليمها وتهذيبها ولم تحجر عليها الاحتراف باية صناعة وبالغت في المساواة بينها وبين الرجل الى حد ان اباحت لها ان تكون وصية على الرجل وان تتولى وظيفة الافتاء والقضاء اي وظيفة الحكم بين الناس بالعدل . وقد ولى عمر رضي الله عنه على اسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة وغيرهم مع ان القوانين الفرنسوية لم تمنح النساء حق الاحتراف بصناعة المحاماة الا في العام الماضي . فاذا كانت شريعتنا تمنح المراة هذه الدرجة من الحرية فهل يجدر بنا في هذا العصر ان نهمل الوسائل التي تؤهل المراة الى استعمال هذه الحقوق)

(لا اظن ان ذلك يليق بنا وارجو ان كثيرين من القراء يرون راينا)

هذه خلاصة المقدمة

الفصل الاول

المراة في حكم التاريخ

« يلزم ان نعرف من اي نقطة ابتدأنا حتى نعلم الى اي نقطة نصل »

« فقد ذكر المؤرخ هيرودوتس ان علاقات الرجل مع المراة كانت في العصور الاولى متروكة الى الصدفة وكان مشاعاً اذا ولدت المراة ولداً ان يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ وينسبوه الى اشبه الناس به » وكذلك كان عند القبائل الجرمانية وعند العرب في الجاهلية فكانت المراة يومئذ تعيش مستقلة بنفسها وربما كانت تشارك الرجل في الدفاع عن قبيلتها ويدل على ذلك ذكر وقائع الفارسات (الامازون) في التواريخ القديمة » ومن هذا القبيل ان ملك سيام له عدد من النساء عهد اليهن حراسته وكان للملك الداهومي بهانزين الذي استولى الفرنسويون على بلاده من بضع سنين خمسمائة جندي من الرجال وخمسمائة من النساء »

ولكن (لما ودع الانسان بداوته) تالفت العائلة فترتب على دخول المراة فيها حرمانها من استقلالها وخضوعها لرجلها الذي اصبح مالكاً لها (كما يملك الرق) (وهذا امر يعلمه كل مطلع على القانون الروماني) ثم لما انتظمت احوال الهيئة الاجتماعية (خفت صولة

الرجل على المراة نوعاً بتاثير الحكومة التي ردت اليها حق الملك كله او بعضه وحق الارث تاماً او ناقصاً (ولكن بقيت المراة في نظر الناس احط من الرجل قدراً . فانها كانت (مجردة عن شخصيتها في الهند) وكانت المراة اليونانية (مكلفة بان تعيش في الحجاب التام) اما المراة الرومانية فانها كانت (في حكم القاصر) وفي مبداء تاريخ اوربا بحث مجمع ماكون الذي انعقد في سنة ٥٨٦ بعد الميلاد في هل ان المراة انسان فقرر (بعد بحث طويل ومناقشة شديدة انها انسان ولكنها خُلقت لخدمة الرجل) . وقد دام هذا الاستبداد العائلي مدة دوام الاستبداد السياسي في اوربا فلما اضمحل الاستبداد السياسي في اوربا سقط نير الاستعباد عن عنق المراة الاوربية . اما الشرق فبقي الاستبداد العائلي (سائداً فيه عامةً حيث نرى سكان الصين والهند وبلاد العرب والترك والعجم خاضعين الى سلطة حكومة لم تتغير عما كانت عليه منذ الاف من السنين)

(وفي كل مكان حط الرجل فيه من منزلة المراة وعاملها معاملة الرق حط بنفسه وافقدها وجدان الحرية وبالعكس) وهكذا تجد في البلاد الشرقية (ان المراة في رق الرجل والرجل في رق الحاكم فهو (اي الرجل) ظالم في بيته مظلوم اذا خرج منه)

وهذا مقياس لكل حكومة في العالم فحيثما تكون المراة اكثر تمتعاً بحريتها تكون الشرائع اكثر رفقاً وحرية . فالمراة في اوربا محترمة حرة لان شرائعها حرة ولكنها في اميركا اكثر حريةً لان شرائعها اكثر حرية ايضاً . وقد بلغ من حرية النساء في اميركا انهن اعطين حق الانتخابات السياسية في ولاية يومنج في عام ١٨٦٩ وقد حذت ولايات آوته وكولورادو وايداهو حذو تلك الولاية

. فمجمل تاريخ المراة انها عاشت حرة في العصور الاولى ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما بلغت الانسانية مبلغها نالت المراة حريتها .

فلماذا لا نعطي المراة المصرية حريتها « ان الاستبداد السياسي في مصر اصبح الآن في حالة النزع واشرف على الفوات بحيث لا تُرجى له عودة . ومع ذلك فالرجال عندنا لا يزالون يستبدون في نسائهم . فما سبب ذلك »

« سببه ان قوانيننا قد ارتقت قبل ان نرتقي فهي قد وُضعت لامة حرة واخلاقنا لا تزال اخلاق امة مسترقة وانما نحن نتصور الحرية ولا نشعر في الحقيقة بحبها ونعرف حق الغير ولا نجد من انفسنا احتراماً له . اما الغربيون فانهم فهموا طبيعة الانسان واحترموا شخصيته فمنحوا المراة ما منحوا انفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة » قال

قاسم بك فيجب ان نحذو حذوهم . وندرك هذه الحقيقة الظاهرة وهي ان المراة انسان مثل الرجل .

النصل الثاني

﴿ حرية المراة ﴾

« ان المقصود من الحرية هنا هو استقلال الانسان في فكره وارادته وعمله متى كان واقفاً عند حدود الشرائع محافظاً على الاداب »

« ولا نقول ان المراة اليوم تُباع وتُشرى في الاسواق ولكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يُباح الاتجار به فقط بل الوجدان السليم يقضي بان كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً تاماً فهو رقيق »

« ولا اظن احداً ينكر عليّ قولي ان المراة في نظر المسلمين على الجملة ليست انساناً تاماً فليس من الادب في كثير من العائلات ان لا تقبل المراة يد الرجل عند السلام عليه ولا من الادب ان يجلس النساء مع الرجال ولا من الادب ان يا كان معهم وقد رايت مراراً بعيني ان الرجل يجلس على مائدة الطعام وامراته قائمة تطرد الذباب عنه وابنته تحمل ابريق الماء

« ومن مفاخرهم ان لا تخرج المراة من خدرها الا محمولة الى قبرها

« انظر الى صبي لا يزيد عمره عن ١٥ سنة وقارن بينه وبين والدته تجد انها احط منه في العقل والمعلومات والتجارب وانه اكبر منها شاناً حتى في شؤون منزلها . كيف لا وهو الذي يامر وينهى فيه

« انظر الى امراة تمشي في الطريق ومعها خادم تجد ان الخادم يشعر من نفسه انه هو صاحب الارادة والراي والقوة يمشي امامها وهي وراءه وكأن لسان حاله يقول اني اؤتمنت على هذه الذات الجاهلة الضعيفة وعلى ملاحظتها وحراستها وحمايتها »

واذا سارت المراة وحدها في الطريق تحرش بها اهل الخلاعة اذا كانت محجبة مبرقعة . اما المراة السافرة فلا يتعرضون لها وذلك لما » وقر في نفوس الرجال عندنا من ان البرقع والخبرة هما عنوان الجهل والضعف وآية الانخداع »

« فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم واثر من آثار تلك الاخلاق التي عاشت بها الانسانية اجيالاً قبل ان تهتدي الى ادراك ان الذات البشرية لا يجوز ان تكون محلاً للملك لمجرد كونها انثى كما اهتدت الى ان تفهم ان سواد البشرة ليس سبباً لان يكون الرجل

الاسود عبداً للابيض ·

« فاول عمل يُعد خطوة في سبيل حرية المراة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره »

وما الداعي الى الحجاب · الداعي اليه تهمة المراة بنقصان العقل و بفساد الاخلاق

اما الامر الاول فقد استشهد عليه المؤلف باقوال العلماء الذين يذهبون الى ان المراة تدرك ما يدركه الرجل وان عقلها كعقله · واما الامر الثاني فقد قال فيه هذه الكلمة الجليلة

« لو جاز لدفع ضرر محتمل الوقوع تجريد الانسان عن حريته لوجب وضع تسعين في المائة من الرجال تحت قانون الحجاب منعاً لهم من الفساد »

تسعون في المائة · لا حول ولا قوة الا بالله · الظاهر ان قاسم بك شديد الوطأة على الرجال كما انه شديد الرافة بالنساء

على ان القول بان حرية النساء « تعرضهن للخروج عن حدود العفة كله كلام لا اصل له تبطله التجارب و ينبذه العقل · بل ان التجارب تدل على ان حرية النساء تزيد ملكاتهن الادبية وتبعث فيهن احساس الاحترام لانفسهن وتحمل الرجال على احترامهن

« ها هم اخواننا وابناء وطننا المسيحيون واليهود الذين تركوا عادة الحجاب من عهد قريب وربوا نساءهم على كشف وجوههم ومعاملة الرجال فاين هم من الابتذال

« ان النساء المسجونات يُحسبن قبل كل شيء نساء مريضات ولهذا فهن اشد تعرضاً لمطاوعة شهواتهن من النساء اللواتي يتمتعن بحريتهن

« واذا اقترن الحجاب بالبطالة ولا يمكن انفكاك الحجاب عنها تبعهما قتل كل فضيلة في نفس المراة »

وفضلاً عن ذلك فان من اقوى واجبات المراة تربية الاطفال ولكن كيف تحسن المراة تربية اولادها اذا كانت جاهلة

« يمكنني ان اجاهر هنا بلا تردد ان صبياً من اولادنا ذكراً كان او انثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد يحشد الى ذهنه من الفاظ وصور الفساد ما لا يبلغه شاب او شابة في سن الخامسة عشرة او الثامنة عشرة من ابناء البلاد الاوربية »

فيجب جعل العائلة وَسطاً صالحاً لنمو الفضائل · والطريق الى ذلك تعليم المراة واطلاق الحرية لها « وليس من الممكن ان تصل المراة الى هذه المنزلة الادبية ما دامت في الحجاب ولكن من السهل جداً ان تصل اليها بالحرية

وقد ختم قاسم بك هذا الفصل بهذا القول البديع

« واول جيل تظهر فيه حرية المراة تكثر الشكوى منها و يظن الناس ان بلاء عظيمًا قد حلّ بهم لان المراة تكون في دور التمرن على الحرية ثم مع مرور الزمن تتعود المراة على استعمال حريتها وتشعر بواجباتها شيئًا فشيئًا وترتقي ملكاتها العقلية والادبية · وكلما ظهر عيب في اخلاقها يداوى بالتربية حتى تصير انسانًا شاعرًا بنفسه

« تلك سنة الفطرة فلا يجوز لنا ان نتخيل ان في امكاننا الخلاص منها · فان اردنا ان نصل الى الغاية التي وجهنا اليها آمالنا فما علينا الا ان نستسلم الى حكم السنة الالهية · والا كان مثلنا كمثل اب مجنون خاف على ولده اذا مشى ان يسقط على الارض فمنعه المشي حتى كبر فعاش مقعدًا مشلول الرجلين

الفصل الثالث

﴿ الواجب على المراة لنفسها ﴾

« قال الشاعر العربي

كتب الحرب والقتال علينا   وعلى الغانيات جرّ الذيول

« ولكن هذه الصورة التي شخص بها الشاعر صورة المراة ليست صورة المراة الحقيقية لانها ليست صورة انسان بل ولا حيوان اذ ليس في الوجود حيٌّ الا وله وظيفة يؤديها وعمل يشتغل به

« نحن نفهم ان رجلاً يعيش في عالم الخيال يكتب في مكتبته على ورقة ان ليس على النساء الا ان يقعدن في بيوتهن خاليات البال تحت كفالة وحماية الرجال · نفهم ذلك لان الورق يحتمل كل شيء

« ولكن هذا الكاتب ان كتب او تكلم لا يكتب ولا يتكلم عن امراة حية ذات لحم ودم واحساس ووجدان وانما يكتب و يتكلم عن المراة التي في ذهنه

« ولا نرى في تمثيل المراة في اذهاننا بهذا المثال ــــ (الذي وصفه) الا توارثنا آراء العرب فيها

« ذلك ان حياة العرب كانت حياة حرب وقتال وارزاقهم كانت من الغنائم · والامة التي معاشها متوقف على القتال لا يمكن ان يكون فيها للمراة شان كبير ولذلك نزلت درجتها عندهم ولم يكن لها عمل في العائلة لان التربية عندهم كانت قاصرة على تغذية جسم الطفل بالرضاعة والاكل حتى ينشأ رجلاً مقاتلاً لا عالمًا فاضلاً · هذا منشأ صورة انحطاط المراة في عقول المسلمين · وهي صورة حقيقية اذا نُظر الى الماضي ولكنها مزورة اذا نُظر الى الحال

والمستقبل لأن المرأة المصرية اليوم لا تشابه المرأة العربية التي كانت تعيش من الوف سنين لا في الظاهر ولا في الباطن . وقد اصبحنا في عصر أمن الناس بعضهم بعضاً واستقر النظام فيهم فلم تبقَ الحرب شغلاً شاغلاً لم واصبح الناس غير محتاجين الى الغزو في كسب ارزاقهم ولم يبقَ للقتال حاجة الا في احوال مخصوصة يتولاه فيها اناس معروفون . وقد تغيرت المعيشة الاجتماعية والاقتصادية في العالم فتغيرت معها وظيفة المرأة واصبحت في بعض الاحوال . مضطرة رغماً عنها ان تدخل في ما دخل الرجال فيه وان تعمل لتكسب وتعيش . حين الحاجة . ومتى تمس هذه الحاجة ؟ انها تمس حين تطليق المرأة التي لا رزق لها او موت رجلها او سجنه سجناً طويلاً او فقره او مرضه او فراره ومل جرًّا . وفضلاً عن ذلك . فانه يؤخذ من احصاء الاهالي الذي حصل في سنة ١٨٩٨ وهو آخر احصاء جرى في القطر المصري ان جملة النساء المصريات المشتغلات بصناعة او حرفة ٦٣٧٣١ امرأة اي انه يوجد الآن في مجموع المصريات اثنتان في كل مائة امرأة تشتغلان بصناعة . ولم يدخل في هذا الاحصاء نساء الارياف اللواتي يشتغلن بالزراعة ولا النساء الاجنبيات

وذلك يدل على احتياج اولئك النساء للعمل . افلا يجب والحالة هذه ان يتهيأن للنجاح قبل الدخول في الحياة بالوسائل التي يستمدّ بها الرجال انفسهم وكيف يتم ذلك من غير منحهن الحرية .

وان قيل ان عدد النساء المشتغلات في بلادنا قليل فضلاً عن انهن من غير الغنيات فالجواب . اننا مساقون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع احد مقاومتها . ويظهر لي ان الزواج عندنا قد بدأ في التناقص فاني اعرف كثيرين من الذكور والاناث تجاوزوا السن الذي يحصل فيه الزواج عادةً فنظام الوجود يقضي بان كثيرات من النساء يعشن في الوحدة والانفراد و يسمين ويعملن لكسب قوتهن فينبغي ان نعدّ المرأة للغلبة على ما تلاقيه امامها من الصعاب ومرارة الحياة .

ثم اقترح المؤلف تعليم النساء احدى الصناعتين اما صناعة تربية الاطفال وتعليمهم واما صناعة الطب . واما جول سيمون الذي نقلنا رايه في المرأة في فصل تقدم فانه يزيد على هاتين الصناعتين صناعة الصيدلية « الاجزاجي » لانها قريبة من صناعة الطبخ الخاصة بالنساء فضلاً عما فيها من الهدوء الذي يمكن المرأة من القيام بواجباتها البيتية والوالدية اذا كانت متزوجة

وقد اختتم المؤلف هذا الفصل بقوله . يجب ان تربى المرأة على ان تكون لنفسها اولاً .

لا لان تكون متاعاً لرجل وربما لا يتفق لها ان تقترن به مُدة حياتها

وليس معنى ذلك الزام كل امرأة بالاشتغال باعمال الرجال وانما معناه انه يجب ان تهيأ كل امرأة لعمل لتكون مستعدة له عند مساس الحاجة اليه ·

الفصل الرابع

﴿ الواجب على المراة لعائلتها ﴾

« اذا اردت ان تعرف مقدار جهل الامهات عندنا بابسط مبادىء التربية فابل وفيات اطفال القاهرة بوفيات اطفال لندن · فقد بلغت وفيات اطفال القاهرة بحسب الاحصاء الذي نشرته مصلحة الصحة في هذا العام ١٤٠ طفلاً في الالف يقابل ذلك في لندن ٦٨ في الالف · فيجب علينا ان نعلم المراة كيف تربي جسد طفلها وعقله

ثم اثبت المؤلف ان على المراة في الهيئة الاجتماعية هو تكوين اخلاق الامة واستشهد على تاثيرها في ذلك بالعبارة التي صدرت الجامعة بها احد ابوابها نقلاً عن روسو وهي

« يكون الرجال كما تريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء »
« فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة ·

وباقوال اخرى تشبهها

وبعد كلام طويل عن فضل النساء اللواتي نبغن في العالم بحث في اسباب انحطاط الامم الاسلامية فقال ان اسباب الانحطاط تنحصر عادة في الاقليم او في الدين او في العائلة · ثم نقض سببي الاقليم والدين وعزا السبب الكلي الى العائلة واستشهد على ذلك بمقال لحضرة عزتلو ابرهيم بك الهلباوي كتبه الى جريدة المؤيد الغراء في سفره الى الاستانة في العام الماضي لما مرَّ على جزيرة كريت فقال · ذكرت ما نال مسلمي هذه الجزيرة من الذل والظلم فلم تجد نفسي في جسمي دماً يتاثر ولا بقلبي محلاً للاسف او الرحمة · فلماذا ذلك · هل لان المصائب قد تكاثرت علينا فصرنا لشدتها لا نشعر بها · قال هلباوي بك وقد بدا لنفسي جواب آخر على عدم الاكتراث بما اصاب مسلمي كريت · ذلك اني قبل المجيء الى الاسماعيلية كان آخر منزل على خط السويس من جهة القاهرة محطة الزقازيق ثم اتجه القطار بنا نحو الاسماعيلية وهي المرة الاولى في حياتي التي مررت بها على التل الكبير والقصاصين المحسمة ونفيشة هذه المواقع التي اتخذت خطوطاً للدفاع ضد الجيش الانكليزي في سنة ١٨٨٢ · والشان ان المرور على مثل هذه البقاع للمرة الاولى يحرك لوعة الاسف

وذكرى ضياع مجد البلاد واستقلالها . ومع ذلك لم اجد ألماً او اضطراباً .

قال قاسم بك . واذا اردنا ان نصدق في القول مثله يجب علينا ان نعترف اننا اذا مررنا نحن ايضاً على هذه البقاع وشاهدناها فلا تتحرك نفوسنا اكثر مما تحركت نفسه .

. والسبب الحقيقي لفقد الشعور عندنا الى هذا الحد هو انحطاط شأن العائلة واهمال تربية العواطف في زمن الطفولية .

فيجب تربية المراة وتعليمها لتحسن هذه التربية

الفصل الخامس

﴿ التربية والحجاب ﴾

وهنا اهم بحث بحثه المؤلف وهو : هل يمكن تربية المراة مع الحجاب وهل يجب في هذه التربية ان يُعمل على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة

فافاض اولاً في وجوب تربية المراة تربية ادبية . ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضينه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الامة المصرية . ثم اشار بتعليمهن الاصول المصرية مثل الموسيقى والرسم واستطرد الى قول معارضيه انه يريد جعل المراة المصرية تقلد المراة الاوربية مع ان المدنية الاسلامية هي المجد الصحيح الذي يجب ان تُشد له رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوماً ما انه هو نفس الكمال الذي ينشده الانسان ويلتمسه الوجدان .

قال المؤلف . ان هذا القول يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق باثار الاباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للفظ تاثيراً فينا الى حد يذهلنا عن الحق وعلينا ان ناخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا فيجب اذن ان نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونستخلص منه قاعدة نقيم عليها بناء جديداً

ثم قال ما خلاصته . ظهر الدين الاسلامي في جزيرة العرب بين قوم يعيشون في حال البداوة فوحد كلمتهم واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعاً نسخ ما كان عندهم من العادات ثم امرهم بالجهاد فاستولوا على من يليهم من الامم لا بامتيازهم عليهم في العلوم والصنائع ولكن بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال . فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم

كثيرًا من العلوم والصنائع فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان يأتوا بترقيتها ما شاؤوا فظهرت عند ذلك تلك النهضة العلمية العربية

« فالمدنية الاسلامية قد شيدت على هذين الاساسين : الاساس الديني الذي وحد قبائل العرب والاساس العلمي الذي رقى عقول الامة وادابها .

ولكن كان العلم ضعيف الساعد في ذلك الزمان . فتغلب الفقهاء على رجاله ورموهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه معتقدين ان العلوم جميعها باطلة الا العلوم الدينية ثم غلوا في ذلك فقرروا ان ما وضعه بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفه وكانهم راوا من قواعد الدين ان تسد ابواب فضل الله على اهله اجمعين .

ثم اثبت المؤلف ان هذا النزاع بين اهل الدين واهل العلم « ولا اقول بين الدين والعلم » قام ايضًا بين الامم الاوربية في القرون الماضية ولكن اهل العلم تغلبوا على اهل الدين بقوة ما اكتشفوه من النواميس والاكتشافات والاختراعات فصار للعلم سلطة عظمى . وهنا عدّ بعض هذه النواميس والاكتشافات والاختراعات واردفها بقوله :

« فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناه فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان « نموذج الكمال البشري » . يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شانهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية .

« نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تألم القراء من سماعها .

« ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ اليونان والرومان اي انهم لم يؤلفوا مجالس نيابية تشترك في ادارة المملكة . وقد قيل ان سلطة الخليفة كانت مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الا بعض دقائق هي سلطة لفظية . واغرب من هذا انهم لم يضعوا قانونًا للعقوبات بل تركوا حق التعذير للحاكم . اما العائلة فلم يرد كلمة واحدة عنها في مقدمة ابن خلدون مع انها وضعت للبحث في المسائل الاجتماعية . وكان الرجل يطلق زوجته بلا سبب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب « فاذا كانت حالتهم السياسية والعائلية هي كما ترى فما الذي يطلب منا ان نستعيره منها »

« اما من جهة اصول الادب فالمعلوم ان المسلمين لم يأتوا العالم باصول جديدة فقد سبق

المسلمين ام كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي ·

« فمتى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المرأة من اصولها او لم يكن · ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطائها في كثير من الامور الاخرى ·

« والذي اراه ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانه ميل يجرنا الى التدني والتقهقر و يدل على ضعفنا وعجزنا عن انشاء حالة خاصة بنا · بل هو صورة من صور الاتكال على الغير كان" كلاً منا يناجي نفسه قائلاً لها : اتركي الكر والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تاتي بابدع مما كان

ثم قال المؤلف ان الشرقيين يعترفون للغربيين بانهم ارقى منهم في العلوم والفنون والصنائع لان هذه مسائل محسوسة ولكن « كاننا نريد محو العار الذي يلحقنا من هذا الاعتراف وناخذ بثارنا فلا نجد وسيلة لذلك الاّ ان ندعي اننا ارقى منهم في الآداب ·

« ولهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال ·

ثم شرح ذلك شرحاً ضافياً واختتم هذا الفصل بهذا الفكر البديع

اذا كان الحجاب يصون فضيلة المرأة ويجعلها كاملة فاضلة فلماذا لا يقتبس الاوربيون هذه العادة و يحجبون نساءهم · هل هم اقل" غيرة منا على الاعراض · كلا · اذن فما هو السبب ·· السبب هو ان مسألة حقوق المرأة وحريتها ليست في الحقيقة مجرد عادة · بل هي مسألة اجتماعية فهي بذلك مسألة علمية ·

وهذا من ابلغ ما قيل في هذا الموضوع

الخاتمة

﴿ حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء ﴾

« يجب على المصريين ان يعتقدوا بان لا رجاء في ان يكونوا امة حية ذات شان

بين الامم الراقية ومقام في عالم التمدن الانساني قبل ان تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطاً صالحاً لاعداد الرجال »ولا تصير البيوت ذلك الوسط الصالح الا اذا رُبيت النساء وشاركن الرجال في افكارهم وآمالهم وآلامهم »

« وهذه الحقيقة مع بساطتها و بداهتها اعتبرها الناس يوم جاهرنا بها في العام الماضي (في كتابه تحرير المراة) ضرباً من الهذيان وحكم بعض الفقهاء بانها خرق في الاسلام وقال غيرهم ان الاوربيين يرغبون في تحرير المراة الشرقية للاضرار بنا . فنحن لا نرد عليهم الا بكلمة واحدة « وهي ان الاوربيين اذا كانوا يقصدون الاضرار بنا فما عليهم الا ان يتركونا لانفسنا فانهم لا يجدون وسيلة اوفى بغرضهم فينا من حالتنا الحاضرة »

ثم اثبت المؤلف ان افكار الناس في مصر قد اتجهت الى تربية البنات وتخفيف الحجاب واعطاء المراة حق تطليق الرجل « اذا كان يصلها منه ضرر . والضرر هو ما لا يجوز شرعاً كالهجر بغير سبب شرعي وعدم الانفاق عليها والضرب والسب بدون سبب شرعي » وهذه الكلمات ماخوذة من مشروع ذي ١١ مادة بهذا الشان عرضه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على نظارة الحقانية ووافق عليه فضيلة الاستاذ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر في ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٨ . قال قاسم بك « وهاتان المسالتان مسالة تعدد الزوجات ومسالة تخويل المراة حق الطلاق هما من اهم المسائل التي استلفتنا اليها الانظار في كتاب تحرير المراة و يسرنا ان عالماً عظيماً وفقيهاً حكيماً مثل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رأى انهما جديرتان بهمته فايد بصوته المسموع ما اقترحنا فيهما .

ثم اختتم قاسم بك كتابه بقوله ملخصاً

لقد اظلنا الوقت الذي يجب فيه ان نعرف ما ذا نريد

. فان كان مقصدنا من الحياة ان يعيش كلٌ منا بضع سنين يقضيها في اي حال كانت واستوى لدينا العز والذل والغنى والفقر والحرية والرق والعلم والجهل والفضيلة والرذيلة فاني ارى ان ما مُنح الى الآن للمراة المصرية من الحرية والتربية لا داعي له . ولا اجد مانعاً من ان يتمتع الرجل بمدة نساء و يتزوج كل يوم امراة ثم يطلقها في اليوم التالي و يسجن زوجاته و بناته واخواته وامه وجدته اذا شاء

« اما اذا كان المقصد هو ما نقرأه ونسمعه كل يوم من ان المصريين يريدون ان

المسلمين ام كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها وتزلت على بعضها في وحي سماوي .

« فمتى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المراة من اصولها او لم يكن . ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطات في فهم طبيعة المراة وتقدير شانها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطائها في كثير من الامور الاخرى .

« والذي اراه ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانه ميل يجرنا الى التدني والتقهقر و يدل على ضعفنا وعجزنا عن انشاء حالة خاصة بنا . بل هو صورة من صور الاتكال على الغير كان كلاً منا يناجي نفسه قائلاً لها : اتركي الكد والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تاتي بابدع مما كان

ثم قال المؤلف ان الشرقيين يعترفون للغربيين بانهم ارقى منهم في العلوم والفنون والصنائع لان هذه مسائل محسوسة ولكن « كاننا نريد محو العار الذي يلحقنا من هذا الاعتراف وناخذ بثارنا فلا نجد وسيلة لذلك الا ان ندعي اننا ارقى منهم في الآداب .

« ولهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال .

ثم شرح ذلك شرحاً ضافياً واختتم هذا الفصل بهذا الفكر البديع

اذا كان الحجاب يصون فضيلة المراة ويجعلها كاملة فاضلة فلماذا لا يقتبس الاوربيون هذه العادة و يحجبون نساءهم . هل هم اقل غيرة منا على الاعراض . كلا . اذن فما هو السبب .. السبب هو ان مسالة حقوق المراة وحريتها ليست في الحقيقة مجرد عادة . بل هي مسالة اجتماعية فهي بذلك مسالة علمية .

وهذا من ابلغ ما قيل في هذا الموضوع

الخاتمة

❋ حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء ❋

« يجب على المصريين ان يعتقدوا بان لا رجاء في ان يكونوا امة حية ذات شان

بين الامم الراقية ومقام في عالم التمدن الانساني قبل ان تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطاً صالحاً لاعداد الرجال »ولا تصير البيوت ذلك الوسط الصالح الا اذا رُبيت النساء وشاركن الرجال في افكارهم وآمالهم وآلامهم »

« وهذه الحقيقة مع بساطتها و بداهتها اعتبرها الناس يوم جاهرنا بها في العام الماضي (في كتابه تحرير المراة) ضرباً من المذيان وحكم بعض الفقهاء بانها خرق في الاسلام وقال غيرهم ان الاوربيين يرغبون في تحرير المراة الشرقية للاضرار بنا · فنحن لا نرد عليهم الا بكلمة واحدة « وهي ان الاوربيين اذا كانوا يقصدون الاضرار بنا فما عليهما الا ان يتركونا لانفسنا فانهم لا يجدون وسيلة اوفى بغرضهم فينا من حالتنا الحاضرة »

ثم اثبت المؤلف ان افكار الناس في مصر قد اتجهت الى تربية البنات وتخفيف الحجاب واعطاء المراة حق تطليق الرجل « اذا كان يصلها منه ضرر · والضرر هو ما لا يجوز شرعاً كالهجر بغير سبب شرعي وعدم الانفاق عليها والضرب والسب بدون سبب شرعي» وهذه الكلمات ماخوذة من مشروع ذي ١١ مادة بهذا الشان عرضه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على نظارة الحقانية ووافق عليه فضيلة الاستاذ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر في ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٨ · قال قاسم بك « وهاتان المسالتان مسالة تعدد الزوجات ومسالة تخويل المراة حق الطلاق هما من اهم المسائل التي استلفتنا اليها الانظار في كتاب تحرير المراة وبسرنا ان عالماً عقلياً وفقيهاً حكيماً مثل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رأى انها جديرتان بهمته فايد بصوته المسموع ما اقترحنا ·فيها ·

ثم اختتم قاسم بك كتابه بقوله ملخصاً

لقد اظلنا الوقت الذي يجب فيه ان نعرف ما ذا نريد

· فان كان مقصدنا من الحياة ان يعيش كلٌّ منا بضع سنين يقضيها في اي حال كانت واستوى لدينا العز والذل والغنى والفقر والحرية والرق والعلم والجهل والفضيلة والرذيلة فاني ارى ان ما مُنح الى الآن للمراة المصرية من الحرية والتربية لا داعي له · ولا اجد مانعاً من ان يتمتع الرجال بعدة نساء ويتزوج كل يوم امراة ثم يطلقها في اليوم التالي ويسجن زوجاته وبناته واخواته وامه وجدته اذا شاء

« اما اذا كان المقصد هو ما نقرأه ونسمعه كل يوم من ان المصريين يريدون ان

يكونوا امة حية راقية متمدنة فلنا ان نقول لهم : يوجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشكون منها وتصعد بكم الى اعلى مراتب التمدن كما تشتهون وفوق ما تشتهون الا وهي تحرير نسائكم من قيود الجهل والحجاب .

هذه خلاصة كتاب قاسم بك . وقد نشرت مجلة المنار المصري ابياتاً لحضرة الشاعر البليغ محمد افندي حافظ الضابط في الجيش المصري يخاطب بها المؤلف منها قوله

اقاسم ان القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السفر ما انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب نسائهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت في مصر حواء امنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى ونخاطبه
وخلفها موسى وعيسى واحمد وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع الحجاب محلل لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

ولم يعضد قاسم بك كثيرون من الفضلاء والشعراء والكتاب فقط بل جاءه عضد من اكبر وزراء مصر عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس مجلس النظار . فان عطوفته كتب الى قاسم بك كتاباً بعد مطالعته كتابه « المراة الجديدة » سبقتنا مجلة المقتطف الى نشره وفحواه الثناء على المؤلف لمجاهدته في سبيل مبادئه وثباته في نشرها وتاييدها . فكان لعطوفة الوزير فضل الاشتراك في العمل الادبي الاجتماعي العظيم الذي اقدم عليه قاسم بك . بل كان له فضل اتخاذ هذه المبادىء تحت حمايته واعطائها صبغة شبيهة بالرسمية تسكت كثيرين عنها

وكفى بذلك دليلاً على الاصلاح الاجتماعي العظيم الذي بدأ في الشرق والذي نرجو استمراره لينتج الثمر الصالح الذي يسر كل محبي ارتقاء الشرق وذاكري مجده القديم . وما على الله امر عسير

﴿ ربع قرن في الصحافة . المقتطف والاهرام ﴾ وردتنا رسالة من احد الكتاب بهذا العنوان فاخرناها الى الجزء القادم لضيق المقام . وقد اضطرنا ضيق المجال الى تاخير مقالة اخرى لحضرة الدكتور الفاضل عارف افندي نحاس عنوانها « الطب في مائة عام » فوعدنا بها العدد القادم ايضاً . اما المقالات التي تردنا فالمرجو من اصحابها ان يعذرونا اذا لم ننشرها بعد شهر من ورودها وذلك لعدم استيفائها شروط المجلة

باب تدبير الصحة

الملاريا والدكتور كوخ

نشر الدكتور كوخ المشهور مقالة في احدى المجلات الالمانية ضمنها بعض النتائج التي بدت له من ابحاثه في ايطاليا بشان الملاريا . فقال انه وجد ميكروب الملاريا في دماء المصابين بهذه الحمى ولكنه لم يجده قط في دماء الحيوان ما عدا البعوض (الناموس او البرغش) . ثم قال ان البعوض تنقل هذه العلة الى الجسم الصحيح بلذعها اياه ومتى شفي منها فقد ينتكس بدخول الميكروب مرة ثانية الى دمه بواسطة لذع البعوض فيجب الحذر منها . ولكنه وجد في كثير من المنازل بعوضاً في دمائها ميكروب الملاريا دون ان يكون في المنازل مريض بها ووجد مرضى بالملاريا دون ان يجد في دماء بعوض المنازل ميكروب هذا الداء

منافع الغليسرين البيتية

يُستعمل الغليسرين في الطب لشفاء التشقق والشقوق التي تحدث في اليد ويعطى شيء قليل منه لمداواة رطوبة الاجسام . على ان له منافع اخرى جديرة بالذكر منها استعماله لغسل الامتعة والملابس البيضاء وذلك باضافة ملعقة صغيرة منه الى سطل ماء . ودهن الاحذية والجزمات به في المساء اذا كانت قد ابتلت بماء او جفت في الوحل وفي الصباح يُزال عنها فتعود الى اصلها . ويستعمل في العجين او الحلواء اذا اريد ان لا تكون لينة كثيراً ولا ان تجف سريعاً . واذا اضيف الغليسرين الى المربيات حفظها من سرعة الجفاف والتبلور وهو الامر الذي تشتاقه ربات المنازل كل الاشتياه

ادوية العرب والافرنج

كان ابن سيناء يصف السكر للمصابين بامراض الصدر واليوم يصف الاطباء في المانيا السكر للمصابين بالامراض الرئوية . وكان من ادوية العرب تجفيف رئة الثعلب واطعامها للمريض بالرئة واليوم يصف كثيرون من اطباء الافرنج لمرضاهم ان يتناولوا لمداواة الاعضاء المصابة فيهم اعضاء مثلها من اعضاء الحيوان . فلا جديد تحت الشمس كما قال المتقدمون

اجادة طبخ الارز

يجود طعم الارز اذا غُسل بالماء الحار بدلاً من الماء البارد قبل طبخه . ويراد بالغسل هنا ما تسميه الطباخات في لغتهن العامية (التصويل)

صباغ للشعر لا يضر جلد الراس

امزج ٥ غرامات من اسيتات الرصاص و٢٠ غراماً من هيبوسولفيت الصوده وغرامين من الغليسرين و٢٠٠ غرام من ماء الورد يكن لك الصباغ المطلوب

الانة جلد الاحذية وغيره

لالانة جلد الاحذية ومنعها من التصويت حين السير طريقة وهي مسح الجلد بزيت البترول مراراً فيصير في منتهى اللين

جعل الجوز اليابس اخضر

اذب ملحاً في الماء وانقع ثمار الجوز اليابس فيه فلا يفسد الماء لان الملح يحفظه بل يدخل من القشرة الى اللب ويلينه وينفشه فيكون له لين الجوز الاخضر وطعمه

زكام الدماغ

وصف بعض الاطباء لزكام الدماغ ان يستنشق الانسان قليلاً من مسحوق الملح الناعم فيزول الزكام باسرع ما يمكن . وقال ان تجربة ذلك خير من الجلوس في الكرسي وقضاء الوقت في عصر الانف بالمنديل

دواء الدجاج

قد تصاب الدجاج بمرض فاحسن دواء لشفائها منه ان يمزج طعامها بدقيق ناعم من الكلس الجاف فتشفى ويكثر بيضها ايضاً

الاستحمام بماء عذب خواصه كماء البحر

اذا كنت بعيداً عن شاطىء البحر واردت الاستحمام بماء له خواص مائه فاذب ثمانية كيلو غرامات من ملح البحر و٥٠٠ غرام من سولفات الصوده و٧٠٠ غرام من ملح الكالسيوم وكيلوغرامين و٩٥٠ غراماً من ملح المانزيا و٣٠٠ ليتر من الماء فيكون لك ماء ذو خواص كخواص ماء البحر

باب الاخبار العلمية

الطرق الرومانية في فلسطين

واكتشاف روماني فيها

كان الرومانيون مشهورين بانشاء السكك الحربية والزراعيه وقد وضع بوتنجر خريطة رسم فيها الطرق التي انشئوها في سلطنتهم الواسعة ولكن خريطته لاتزال ناقصة . ويقدرون طول الطرق التي انشاها الرومانيون في غاليا (فرنسا اليوم) بثلاثين الف كيلومتر ولا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وقد كانت فلسطين جزءا من السلطنة الرومانية فانشأ فيها الرومانيون سكة طويلة من اورشليم « القدس » الى دمشق الشام وهي اقوى سكة انشئوها لانها لا تزال موجودة الى هذه الايام وقد تثبت في وجه الدهر قروناً طوالاً ايضاً

الا انه من الاسف انهم اخذوا يعبثون بهذه الطريق التاريخية الجميلة فانه لما زار جلالة الامبراطور غيليوم القدس انشاوا له طريقاً الى جبل زيتون . فهذه الطريق انشئ قسم منها على آثار الطريق الرومانية القديمة التي كان يجب حفظها اثراً خالداً لاهتمام السياح بها اهتمامهم بباقي الآثار التاريخية . فحبذا لو اهتمت الحكومة بهذا الامر ومنعت منشئي الطرق الجديدة من تخريب تلك الطريق القديمة

وقد اتصل بنا ان احد منشئي هذه الطرق عثر في الطريق الجديدة التي ينشئونها الآن بين القدس ونابلس المعروفة في التاريخ القديم باسم سيشم من اعمال السامرة — حجراً كان مدفوناً في الارض وهو عبارة عن علامة او منار كان ينصبه الرومانيون على الطريق لتقسيم المسافة ويضعون حجراً مسافة كل ميل روماني « والميل الروماني قريب من الميل الانكليزي في هذا الزمان » وينقشون عليه النقوش التي تدل على عدده . اما الحجر الذي نحن في صدده فانه وجد على مسافة ثلاثة كيلومترات ونصف من القدس وعلى احدوجهيه هذه الكتابة

IMPNERV ...
AVGPONTI..M ...
TRIBVN ...

وما سوى ذلك من الحروف التي كانت تلي الحروف التي تقدمت فان الزمان قد طمسها
اما صفحة الحجر الثانية فكان عليها ما يلي

..PCÆSAR
.... NVSAVG

ثم يلي هذين السطرين سطر ثالث حروفه اكثر من حروف كل واحد منها ويرجحون انهم قرأوا فيها اسم فسباسيين الامبراطور الروماني الذي اكتسح فلسطين قبل ارتقائه الى العرش في عام ٦٩ بعد المسيح . وان هذا الحجر نُصب تذكاراً لجلوسه

واما الكتابة الاولى فالمظنون انها منقوشة في ايام الامبراطور نرفا الذي حكم في عام ٩٦ بعد المسيح لان اسمه ورد في السطر الاول وهو « الامبراطور نرف ... » من غير الفاء لامحاها بكرور الايام

ومما هو جدير بالذكر انه يوجد الآن في الكابيتول في رومه حجر يشبه الحجر الذي نحن في صدده من كل الوجوه حتى في الكتابة التي عليه . وقد كان هذا الحجر علامة موضوعة في بداية سكة عسكرية كبرى تمتد من رومه الى ما حولها من المدن . ولذلك حار العلماء في تشابه هذين الحجرين مع بُعد مكانيهما

صدور الجامعة

وسبب تاخيره في السنة الثانية

(السنة الثالثة)

اصدرنا هذا الجزء في مائة واربع وعشرين صفحة اي جزءا ونصفاً من الاجزاء الاعتيادية فيبقى من الجامعة لتمام سنتها الثانية جزء ونصف ايضاً

اما سبب هذا التأخير في صدور الجامعة فاذا كنا قد سكتنا عنه في الماضي فقد صار لا يحسن السكوت عنه الآن ولا سيما لما وردنا من الاسئلة بهذا الشان ولذلك نرى من واجباتنا الآن ان نقول الحقيقة ونبسط لحضرات القراء السبب الحقيقي الذي جرّ هذا التاخير ليكون عذرنا مقبولاً لديهم فالعذر عند كرام الناس مقبول

فكل واحد من حضرات القراء يعلم ان الجامعة كانت تصدر في كل شهر مرتين في سنتها الاولى . وقد بقيت على هذا الترتيب حتى اصبنا بفقد العزيز الذي اثرت فينا

وفاته التاثير الذي عرفه القراء والاصدقاء فطراء علينا بعد ذلك ضعف استشرنا الاطباء فيه فحكموا علينا بالانقطاع عن العمل او بتخفيفه على الاقل اذا اردنا ان لا تسوء العاقبة . ففي ذلك الحين كانت الجامعة في خطر حقيقي لم يدر به احد من قرائها واصدقائها حتى اخص اخصائها . ولكن لم نجهل ان الجامعة ليست لنا ولكنها لقرائها ومبادئها وللجمهور الذي نصبت نفسها لخدمته ولذلك لم نتردد في مخالفة قول الاطباء ومداومة العمل متكلين على الله ومستمدين معونته

وكانت العناية الالهية تريد بالجامعة خيرًا فردت الينا شيئًا من القوة بعد ذلك الضعف الشديد . فلما اخذنا نسترد القوة والامل اقترح علينا سعادة المفضال تقلا باشا مدير جريدة الاهرام ان نتولى رئاسة تحرير جريدة « صدى الاهرام » اليومية التي كانت تطبع في الاسكندرية فرضينا بذلك مع ضعفنا وذلك للسبب التالي

لقد علمنا يومئذٍ ان سعادته لاشتغاله في العاصمة بادارة جريدتيه الاهرام العربية والفرنسوية ومطبعته الكبرى لا يكره التخلص من ادارة صدى الاهرام . ولما كنا نرى ان الخدمة الصحافية اليومية اشد تاثيرًا على نفوس القراء من الصحافة الشهرية او النصف شهرية لان تاثير الصحافة اليومية يومي متتالٍ لا يدع الوقت سبيلاً للذهاب به وكانت الجامعة قد اصبحت بما وصلت اليه من النمو والانتشار السريع محتاجة الى ادارة كبرى تنجز طبعها ونشرها واتقانها بالسرعة اللازمة عزمنا حين رضانا باستلام رئاسة تحرير « صدى الاهرام » على ان نسهل لسعادة صاحبها سبيل بيعها مع ادارتها للجامعة بالشروط التي يريدها والثمن الذي يطلبه . ولما اقترحنا على سعادته هذا الاقتراح رضي به قبل سفره الى اوربا في الصيف الماضي وانما كان الخلاف في تغيير اسم « صدى الاهرام » باسم آخر . فعلمنا اننا اصبحنا قريبين من غرضنا وهذا سبب بقائنا في تحرير صدى الاهرام مع ان ذلك زاد تاثيرًا على صحتنا وجعلنا نصدر الجامعة في كل شهر مرة بدلاً من المرتين واخر مواعيد صدورها لاستنزاف الصدى اليومي قوانا وافنائه احسن اوقاتنا ومع ذلك فاننا كنا محتملين ذلك لاننا كنا نحسب انفسنا اننا انما نشتغل عن الجامعة بما اي بتدبير مطبعة وادارة كبرى لها

ولكن لما عاد سعادة مدير الاهرام من اوربا في اوائل الشتاء وجد ان بيع (صدى الاهرام) لا يوافق مصلحة الاهرام التي في العاصمة وهذا امر حقٌّ لا خلاف فيه ولا يُجوز ان يُشكى منه فاختار اقفال (صدى الاهرام) على بيعها فاسفنا على قطع تلك الزهرة التي

قضيناها سنة كاملة من عرق القربة ولكن لم نأسف على خيبة املنا وما اضعناه في الصدى من القوة والوقت اللذين كانت الجامعة احق بهما لاننا ربحنا في مقابلة هذه الخسارة صداقة وصحبة رجل فاضل كسعادة مدير الاهرام وقد قال شعراء اليونان الاقدمون (ان صداقة الكرام نعمة من الآلهة)

هذه هي الاسباب التي دعت الى تاخير صدور الجامعة عن مواعيدها في الاشهر الماضية . ونحن على يقين من ان حضرات القراء يعذروننا فيها لاننا كنا نشتغل عنهم بهم كما قدمنا

ولنا رجاء آخر نوجهه الى جمهور من الاصدقاء والقراء في مسالة نسميها مسالة الرسائل فان كثيرين من الاصدقاء والمعارف كتبوا الينا مرارًا من جميع الجهات القريبة والبعيدة التي تصل الجامعة اليها حتى اقاصي الهند وايران والقوقاز واميركا يثنون على الجامعة ثناء يدل على لطفهم ورغبتهم في مساعدة العلم والادب والمشتغلين بهما فكانت كل الرسائل الخاصة بغير الامور الادارية للجامعة تبقى بلا جواب للانحراف الصحي الذي طرأ علينا ووصفناه في مقدمة الكلام . وقد علمنا ان كثيرين من الاصدقاء والقراء قد عتبوا علينا لاننا لم نجاوبهم وبعضهم اوصل الينا هذا العتب بطريقة مؤلمة فنحن نؤمل ان يعذرونا عن الماضي بعد اطلاعهم على هذه الاسباب لا سيما اذا علموا ان الرسائل التي نشير اليها تبلغ المئات . اما فيما يختص بالمستقبل فاننا نعدهم باننا نقوم بما يجب علينا لهم لانه ليس شيء اكثر مسرة من مخاطبة كرام القراء والادباء الذين مع كونك لا تعرفهم وكونهم بعيدين عنك تجمعك واياهم رابطة الافكار الصحيحة والمبادىء القويمة

اما فيما يختص بمستقبل الجامعة فاننا سنعلن بعد صدور العدد القادم عن التحسين الجديد والترتيب الجديد الذي سنشرع فيه منذ بداية السنة الثالثة والذي لا ريب لدينا في انه سيقع لديهم احسن وقع وينسيهم كل ما راوه في الجامعة من حسن الى الآن . وبعد صدور العدد القادم ودخول السنة الثالثة سينتظم سير الجامعة كما يجب فلا يبقى فيه ادنى تاخير البتة لاننا نكون اعددنا لها ايضاً جميع المواد والآلات اللازمة لسرعة انجازها . وربما عدنا الى اصدارها مرتين في الشهر كما كانت في السنة الاولى اذا كان يطلب ذلك اكثر من نصف القراء

فالرجاء من قراء الجامعة ومشتركيها سبل ذيل المعذرة على هذا التاخير الذي اوجبته الاسباب الصحية والصحافية التي تقدمت وابقاء ثقتهم وعنايتهم لمجلة لا غرض لها الاخدمتهم

ولا ربح نرجوه الان من هذه الخدمة غير القيام بالواجب من سد فراغ في الصحافة الشرقية العربية وآخر رجاء لنا ان يعذرونا لاضاعة وقتهم بهذه الشؤون الخصوصية التي لم نذكرها لا لاطلاعهم على حقيقة الحال لنحقق معذرتهم والله المستعان وهو حسبنا وعليه الاتكال

باب التقريظ والانتقاد

❊ تاريخ دولة آل سلجوق ❊ ضاق الجزء السابق وهذا الجزء عن ذكر جميع ما اهدي الينا من الكتب والمطبوعات الجديدة . ومن هذه الكتب كتاب تاريخ دولة آل سلجوق تأليف الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية على نفقتها « لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها للان مؤلف خاص بها » وهو يطلب من الشركة في مصر او من ادارة جريدة المؤيد فنكرر لشركة طبع الكتب ثناءنا على سعيها الحثيث في خدمة الادب

❊ المرأة الجديدة ❊ هذه هي المرة الثالثة التي نكتب فيها عن كتاب قاسم بك امين في هذا الجزء . وليس الغرض من الكلام الآن تقريظ هذا الكتاب او انتقاده فقد كفانا مؤونة التقريظ والانتقاد تلخيصه في باب التربية والتعليم وانما نقول هنا آخر كلمة عن كتاب قاسم بك وهي ان الاوروبيين يعيرون ابناء الشرق الذين يدرسون في مدارسهم في اوروبا بالانقلاب عليهم حين عودتهم الى اوطانهم كمن يشرب من بئر ثم يلقي فيها حجراً . فقاسم بك بتغليبه العقل على الهوى في ما قاله عن التمدن الاووربي كفَّر عن اعمال جميع الشرقيين الذين يصح فيهم ذلك التعبير واری عقلاء الغربيين ان في الشرق من يفهم التمدن الصحيح و يعترف بالحق ولو كان في جانب الخصوم

ومن جهة اخرى فان النساء كن وما زلن في الشرق مهضومات الجانب مستعبدات رقيقات كما قال قاسم بك . ولكن كتاب المرأة الجديدة ينتقم لهن من مستعبديهن انتقاماً شديداً . فهنيئاً لمن يكون قاسم بك محامياً له

ولا نجهل ان ابحاث هذا الكتاب لا تعنينا وان لا شأن لنا في الدخول فيها ولكنا

نعتبر اهداء الكتاب الينا بمثابة طلب راينا فيه ولذلك لم نبدِ رايًا في كتاب تحرير المراة حين صدوره لان المؤلف بخل به يومئذٍ علينا

﴿ تاريخ الانشقاق ﴾ تمَّ تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية لحضرة مؤلفه العالم العامل الارشيمندريتي جراسيموس مسرة رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسيه في الثغر فصدر الجزء الثالث منه وهو الاخير · ويبتدىء هذا الجزء من استرجاع القسطنطينية الى قبضة الروم في عهد القيصر ميخائيل باليولوغوس بعد استيلاء اللاتين عليها حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح · وقد اهدانا حضرة المؤلف نسخة منه فنشكر له هديته

تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف تولستوي

الفتنة في روسيا · اسباب استياء الطلبة · صورة الحرمان الجديد · كتاب زوجة تولستوي الى المجمع · ردّ افتراءهم عليه بنسبة الحض على الفتنة اليه · ترجمة كتابها الى اللغة العربية

(اسباب الفتنة)

ثار تلامذة بطرسبرج وكييف وموسكو في الاسبوع الثالث من مارس على حكومة روسيا فصدر امر جلالة القيصر باقفال جميع الكليات فيها · اما اسباب استياء التلامذة فهي (اولاً) شكواهم من شدة مراقبة عمال الحكومة للتلامذة الذين تنزع نفوسهم الى الى الدروس العالية الحرة التي لا يُقصد بها اقتباس صناعة (ثانياً) تداخل البوليس بالقوة في الخلاف الذي يقوم بين التلامذة ومعلميهم (ثالثاً) طلبهم ان يقام قداس عن نفس اسكندر الثاني محرر الفلاحين ورفض الاكليروس ذلك لعدم صدور امر من الحكومة به · (رابعاً) اصدار المجمع المقدس الروسي العالي قرارًا بحرمان الفيلسوف لاون تولستوي من الكنيسة حرمانًا قطعيًا بعد القرار الذي اصدره في ٣١ مارس من


الفيلسوف تولستوي (١)

العام الماضي بتحريم الصلاة على جثة تولستوي بعد وفاته . وهذه صورة صك الحرمان الجديد نقلاً عن جريدة المؤيد الغراء

(صورة الحرمان الجديد)

« ان الكونت تولستوي بكتاباته وخطاباته قد حاد عن نهج الصواب وزاغ عن محجة الكنيسة الارثوذكسية وفي هذا ما يلقي الاسف الشديد والحزن العظيم في قلوب الامة الارثوذكسية وبالية جمع في غواياته سرًّا وبدون ان يطلع احدًا على نفسه بل هو جاهر بالضلال بعمد وسبق اصرار

وحيث ان كل المساعي التي بذلت لارشاده الى طريق الحق قد ذهبت ادراج الرياح فقد اعتبرته الكنيسة محروماً منها وغير تابع لها ما دام على ضلاله وسوء فعاله . ومع اعترافنا بانه انكر الكنيسة وعدل عنها نطلب له من الاله الانابة الى الصواب والحق ونبتهل اليك ايها الاله الرحيم الذي لا تريد ان يموت الخاطئون في خطيئتهم ان ترشده الى طريق كنيستك المقدسة آمين » ثم تلي اسماء اعضاء المجمع

(هياج الطلبة)

فلما صدر هذا الامر بلغ الهياج من التلامذة كل مبلغ لحبهم تولستوي وافتخارهم به على فلاسفة اوربا فتقدم مئات منهم عرائض الى المجمع يطلبون ان يُحرموا هم ايضاً وذهب بضع مئات منهم الى الكنيسة الكاتدرائية فصنعوا فيها اعمالاً خشنة مثل الصراخ والضحك والتدخين وشق الايقونات بالحجارة فهاجمهم البوليس والقوزاق فحدث قتال شديد بينهم انجلى عن كثيرين من الجرحى وبعض القتلى في رواية جريدة التمس . ثم اطلق موظف روسي من موظفي الاقاليم اربع رصاصات على نائب المجمع المقدس فاخطأه من حسن الحظ . وقد بلغ عدد الذين القي القبض عليهم من التلامذة اكثر من سبعمائة نصفهم من الطالبات

(١) انظر ترجمة ووصف اخلاقه وفلسفته ومبادئه في العدد السابع والثامن من هذه السنة

(احتجاج زوجة تولستوي)

ولما نشرت الجرائد الروسية صورة حرمان تولستوي كتبت حضرة الكونتس صوفيا تولستوي زوجته الى المجمع المقدس ونائبه الكتاب التالي

موسكو في ٢٦ فبراير الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠١

« قرأت في جميع الجرائد صورة الحكم الصادر بحرمان زوجي الكونت لاون نيكولايفيتش تولستوي من الكنيسة فاثر فيَّ ذلك تاثيرًا عظيمًا

« وليس ذلك لاني اعتقد ان نفس زوجي تهلك لهذا الحرمان لان مسالة خلاص الانفس مسالة مختصة بالله وحده . ولا تزال حياة النفس سرًا من الاسرار العميقة ومن حسن الحظ انه لا سلطة للبشر عليها

« ولكني لما ارى الكنيسة التي انا تابعة لها والتي لا ازال اتبعها تحرم وتضطهد . تلك الكنيسة التي انشأها المسيح باسم الله لتبارك حوادث الانسان الكبرى من الولادة والزواج والموت . والتي وظيفتها المناداة بناموس الرحمة والصفح والدعوة الى محبة اعدائنا والذين يبغضوننا . والتي يجب عليها ان تصلي من اجل الجميع — لما ارى ذلك لا اعود افهم شيئًا مما جرى

« اما اذا كان القصد من حرمان لاون نيكولايفيتش تنفير الناس منه واستمالتهم عنه فهو خطأ لان جميع الناس زادوا تعلقًا به وميلاً اليه وسخطوا من هذا الحرمان ولا تزال تردنا الشواهد على ذلك من جميع اقطار العالم

« ثم اني اقول لكم ايضًا كلمة بشان ما قررتموه قبلاً من عدم الصلاة على جثة زوجي بعد مماته والامتناع من دفنه بموجب طقوس الكنيسة . فمن قصدتم بهذا القرار ؟ هل تقصدون به الموت او جثة الانسان الجامدة . او اقرباءه الذين يؤمنون ؟ واذا كان هذا القرار تهديدًا فالى من يوجهون هذا التهديد ؟ وماذا يقصدون ؟

« وهل يظنون حقيقةً انني لا اجد للصلاة على جثة زوجي كاهنًا صالحًا مستقلاً عن الناس لاحترامه يرضى الله الحقيقي اله المحبة والغفران لا يرضى الناس . او كاهنًا فاسدًا انال منه مرادي بواسطة المال

ولكني لا احتاج الى هذا الامر مطلقًا لانني اعتبر الكنيسة بناء روحيًا لا ماديًا ولا اعرف لها رؤساء الا الذين يفهمون حقيقتها و يعملون طبق وصاياها . ولو كنت اعتبر ان الكنيسة هي عبارة عن مجمع بشري لا يتردد احيانًا لرداءة البشر عن مخالفة اعظم وصايا

المسيح التي هي وصية المحبة لكنا خرجنا منها منذ زمان طويل بل نحن ابناءها الذين نحفظ وصاياها

« فليس المراطقة والجاحدون اذاً هم اولئك الذين يضلون وهم يفتشون عن الحقيقة ولكنهم هم اولئك الذين لما جعلتهم كبرياؤهم رؤساء الكنيسة نزلوا انفسهم منزلة القتلة الروحيين وخالفوا شريعة الكنيسة التي هي شريعة المحبة والتواضع والصفح والرحمة . وان الله ليغفر للذين عاشوا عيشة المحبة والتواضع وانكار الذات وترك ملاذ العالم ولو ماتوا خارج الكنيسة . اما الذين يعيشون في داخلها معيشة الفخفخة ويملأون صدورهم بالنياشين ويطردون — كالرعاة الاردياء — الناس من الحظيرة التي هم رعاتها فلا ريب انه يجب ان يكونوا اقل املاً منهم في الغفران

« واذا حاول الرياء تاويل كلامي هذا عبثاً يحاول لان العقل السليم لا ينخدع بل يفهم مقصودي منه »

« الكونتس صوفيا تولستوي »

انتهى كتاب زوجة تولستوي . اما تولستوي فانه لم يبالِ بامرٍ بل بقي مستمرًا في طريقه يشتغل بالكتاب الذي هو الآن بين يديه وموضوعه معيشة الرهبان والاكليروس في روسيا . وقد نسبوا اليه انه راضٍ عن هذه الفتنة محرض عليها وهذا خطأ يكفي لرده الاستشهاد بما قالته جريدة الرقيب وهذا نصه

(هل يحرض تولستوي على الفتنة)

« لقد قالت شركة رتران الفيلسوف تولستوي كان من اكبر المحرضين على هذه الثورة وهذا القول خطاء محض لان الذين طالعوا مؤلفات هذا الرجل الكبير لا يرتابون في انه من اعداء كل فتنة واضطراب لاعتقاده انهما لا تجديان نفعاً وان من اخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ . وما عدا ذلك فقد قال في بعض كتبه ان الذين يحاولون قلب هيئة الحكومة في هذه الايام بواسطة الثورات يخيبون سعياً . ذلك ان لكل حكومة جيشاً عظيماً تكبح به جماح الثائرين ولديها السكك الحديدية والتلغراف والتلفون وكلها عوامل شديدة التاثير في كبح الثورات . فلا يحاول الناس امرًا مستحيلاً في هذه الايام فان الثورة تنقلب على مثيريها لقوة الهيئة الحاكمة

«فهذا الكلام صريح يدل على بغض تولستوي للثوره خلافاً لما يتهمه به خصومه نقول وقد قرانا هذا القول في كراس لتولستوي عنوانه « اين المخرج » ربما لخصناه في

احد الاجزاء القادمة · اما الان فاننا نوجه الانظار الى اعلان على ظهر المجلة عن كتاب تولستوي الذي عزمنا على نقله الى اللغة العربية بناء على الحاح كثيرين من الاصدقاء والقراء

وقد قلنا في العدد السابع ان المجمع المقدس الرومي الكريم قد اخطأ بحرمانه تولستوي « لان الضغط يسبب الضغط دائماً » فيحكم العقلاء بعد الفتنة الروسية اذا كان ما قلناه يومئذٍ خطاء او صواباً

❊ ميشل حكيم ❊ نعينا الى قراء الجامعة في الجزء السابق شاباً من مريديها الادباء وهو المرحوم ميشل جرجس حكيم من اسكلة طرابلس الشام · توفاه الله بالحمى التيفوئيدية وهو ممتلي الجسم صحة والصدر ادباً وكان رحمه الله من الشبان الذين يرجى الخير منهم لاهلهم ولوطنهم فقصفته المنية في زهرة شبابه وتركت آله يندبونه بعد ان كانوا ينيطون به الآمال · وقد عرفنا الفقيد رحمه الله مدة ثلاث سنوات فنحن نبكي فيه تلميذاً عرفنا فيه الذكاء والنشاط مدة ثلاث سنوات قبل دخوله الكلية الاميركية في بيروت ولا تزال رسائله لدينا تدل على رغبته في الادب واخلاصه وحسن اخلاقه · واحسن رثاء نوفيه به حقه هو اقتطاف بعض أبيات من قصيدة نظمها شقيقه حضرة الاديب نعمان افندي حكيم اظهاراً لعظم الخطب فيه · قال في المطلع

اسمعت ام لم تسمع بثّي وتوجعي وتصعد الزفرات من قلب بنار مولع
باخي لقد حكم المنو ن وحكمه لم يدفع واغتاله الدهر الخؤو ن وسعينا لم ينفع
لم يقتبل عنه فدى وبغيره لم يقنع نسج التراب لوجهه الـ باهي سواد البرقع
ياليت يومك يا اخي قد كان فيه مصرعي عجباً انادي يا اخي لم لا تجيب ولا تعي
اصرمت حبل اخائنا وقطعت ما لم تقطع ياشمس مات اخي حبيبي بعده لا تطلعي
يابدر غب فقد غاب بدري في خراب بلقع ابكي الشباب وعوده الغض الاحاب الاينع
ابكي وكل الناس حـ ق الصخر يبكيه معي فلابكينك يا اخي ما دام دمعي طيعي

فنشارك آل الفقيد في مصابهم ونسال الله ان يلهمهم الصبر الجميل ويتغمد العزيز ميشل بالرحمة والرضوان

نعزي حضرة الوجيه الفاضل انطون افندي الخوري من كبار تجار يافا عن وفاة المرحومة المبرورة قرينته عفيفه الخوري ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه ويلهمه مع سائر آلها جميل العزاء والسلوان

ولكني اطلب منك اذا كان لاخيك الفقيد امراة واولاد ان تاتيني بهم على عجل فان الملكة تتولى شان المراة وانا اتولى شان الاولاد

ولم يأتِ الكونت دي شارني على هذا الكلام الذي قاله له الملك حتى رات زوجته الكونتس اندري الدموع تجول في عينيه من ذكرى اخيه فابتلت عيناها بالدموع ايضاً وقالت له . لا ريب ان الملكة قد سبقت فقالت لك ايضاً مثل هذا القول

ولما لفظت اندري اسم الملكة حدقت في وجه زوجها . فقال شارني

الملكة لم تذكر لي كلمة بهذا الشان . الملكة لم تحدثني عنه كانها تجهل ان اخي جورج قد قُتل في سبيل الدفاع عنها . ولذلك اجد في نفسي ارتياحاً كلما ذكرت كلام الملك وعلى الخصوص قوله الاخير الذي اختتم به كلامه

فانه لما رآني قد اغرقت في البكاء حين طلبه راجع نفسه وقال قد اخطأت في انني خاطبتك بهذه اللهجة فانني اعرف مبلغ حزنك ومصابك . فاذهب الآن يا كونت . اذهب الى عزيزتك اندري لتعزيك عن مصابك فان المصائب في الاحياء لا يعزي عنها غير الاحياء وقد جئت ابتها السيدة بناء على امر الملك فارجو منك المعذرة

وكانت اندري قد تاثرت اشد تاثر من كلام الكونت فنهضت ومدت يديها الى الكونت قائلة هل ترتاب في سروري بلقياك ياسيدي

ولكن اندري لم تمد الى الكونت يديها حتى قبض الكونت عليها وطبع عليها قبلتين بفمه الملتهب فصاحت اندري صياحاً ضعيفاً وسحبت يديها من يديه كأن النار احرقتها ثم انطرحت على المقعد ثانية

غير ان يديها في انسحابها سحبتا معها يدي الكونت زوجها فلم تشعر الكونتس الا والكونت جالس على المقعد بجانبها من غير ارادتها ولا ارادته

وفي هذه الدقيقة سمعت اندري حركة في الغرفة التي خبأت فيها سباستيين فاجفلت عند ذكرها ابنها ونهضت مذعورة من جانب الكونت . فحسب شارني هذا الاجفال فراراً منه فغضب ونهض قائماً بنزق فصار بازائها وجهاً لوجه

الفصل العاشر

﴿ غرفة نوم اندري ﴾

وكانت اندري حينئذٍ بين امرين . حب ابنها وحب زوجها

ذلك ان هذه الامراة التي تزوجت الكونت دي شارني بناء على ان تكون زوجته بالاسم فقط عملاً بارادة الملكة التي كانت تحب الكونت قد اصبحت الآن بعد انقضاء سنوات على هذا الزواج الاسمي تحب زوجها حباً شديداً . وقد سعت فتخلصت من قصر الملكة لتتمكن من مقابلة زوجها على انفراد فتم لها ذلك ولكنها ما كادت تدرك غرضها من حب زوجها حتى وجدت ولدها الذي كان قد سرق منها . فكان ذلك مصاباً جديداً لها لان حب ابنها كان يقضي عليها بابعاد زوجها وحب زوجها يقضي عليها بابعاد ابنها

ولما نهض الكونت شارني وصار بازائها وجه اليها الحديث بلهجة جدية فقال . والآن ماذا اقول للملك ايتها السيدة الا تعودين الى القصر كما طلب

فقالت اندري متنهدة كلا ياسيدي وارجوك ان تبلغ شكري الى الملك

فتنهد الكونت وقال ولكنك ستكونين وحيدة فريدة في هذا المنزل ياسيدتي

فابتسمت اندري ابتساماً ذا معنى خاص وقالت لقد تعودت معيشة الوحدة ياسيدي . الما عشت هكذا طفلة وفتاة و . . .

ثم توقفت عن الكلام فقال الكونت اتمي العبارة ياسيدتي

فقالت . نعم كان في خاطري ان اقول انني عشت هكذا طفلة وفتاة وزوجة

فقال الكونت هل تقصدين ياسيدتي توبيخي بهذا القول . فقالت اندري كلا ياسيدي وكيف يسوغ لي ان الومك على امر لم نتعاهد عليه . فان الازواج يتعاهدون حين عقد الزواج على الحب والطاعة والعناية . اما نحن فلم نتعاهد حين الزواج الا على الانفصال وعدم الاكتراث . فكيف يسوغ لي ان الومك

وكانت اندري تقول هذا القول وعيناها تبرقان برقاً غريباً يدل على النار التي يقدحها زناد الحب في احشائها . وكذلك كان الكونت زوجها . ولكن كل واحد من هذين الزوجين كان يجهل ما في نفس الآخر

وبعد برهة استانف شارني الكلام فقال . وعلى افتراض انك تعودت الوحدة ياسيدتي فانني لا ارى هذا المنزل لائقاً بمقامك . فقالت اندري انت تذكر ايها الكونت انني ولدت

فيه وهو تذكار من ابي فضلاً عن انني لا احب البذخ كثيراً . فقال الكونت اعرف ذلك ولكني لا اظنك تستريحين فيه لحقارة شانه . فقد شاهدت في دخولي بعض غرفه وها انذا اشاهد ما بقي منها لابرهن لك على انها غير لائقة بك

قال الكونت دي شار في هذا القول ثم اتجه صوب الغرفة التي كانت امامه ليفتحها وكانت هذه الغرفة هي الغرفة المخبوء بها سيباستيين

فلما رأت اندري الكونت يخطو نحوها اقشعر جلدها وارتعدت فرائصها فاسرعت كالبرق الخاطف الى الكونت ووقفت في وجهه بينه وبين الباب وصاحت باضطراب وذعر . ارجو منك ياسيدي ان لا تدخلها

فلما راى الكونت ذلك اخذ الحزن والغضب كل ماخذ منه لانه حسب ان اندريه تمنعه من دخول الغرفة لانها غرفة نومها . فقال بنزق والدموع في عينيه . كنت اعلم ايتها السيدة انك لا تحبينني ولكنني ما علمت قط انك تبغضينني الى هذا الحد

قال ذلك ثم استجمع قواه وانخطف من امام اندري بغضب وخرج من المنزل ليركب مركبته

اما اندري فانها بقيت تنظر اليه في خروجه حتى توارى عن عينيها ثم اصغت لتسمع حركة مركبته وبقيت مصغية اليها حتى تلاشى صوتها فتنهدت تنهداً خفيفاً ثم فتحت باب غرفة نومها ودخلت مسرعة وهي تنادي : سيباستيين سيباستيين

ولكن لم يجاوبها احد في الغرفة . فنظرت في جهاتها الاربع بنظر حائر وقلب مضطرب فلم تجد احداً . فنادت ثانية سيباستيين سيباستيين فلم يجاوبها احد ايضاً . فعظم اضطرابها واشتد قلقها على ولدها . وحينئذٍ احست بنسيم داخل فالتفتت الى الجهة التي هب النسيم منها فرأت نافذة مفتوحة فعلمت في الحال ان سيباستيين قد فرّ منها

فاغرقت اندري حينئذٍ في الندب والبكاء لانها فقدت كل شيء حين حسبت انها وجدت كل شيء . فقدت زوجها الذي راح ساخطاً منها وفقدت ابنها الذي فرّ من تلك النافذة . فانطرحت حينئذٍ على سرير هناك واطلقت العنان لحزنها و ياسها فبقيت عليه تبكي وتلتهب مدة ساعة وقد بلغت نفسها حد الياس والتعاسة الذي يتمنى التعساء عنده ان يفنى هذا الكون ويتلاشى ليفنوا معه ويستريحوا من شقائهم

وبينما هي على هذه الحالة واذا بها تشعر شعوراً غريباً . فان جسمها اصبح مضغوطاً واعضاءها مضطربة ونفسها مثقلة كما تثقل في العادة قبل ان تصاب بالنوبات العصبية . ثم

احست ايضاً بان قوة غير منظورة تُنهضها بالرغم عنها · فجلست طوعاً لها ولكنها مدّت بصرها الى جهات الغرفة وهي مذعورة من هذا التاثير الغريب فرات من خلال الدموع التي في عينيها منظرًا جرى له الدم باردًا في عروقها · رات جسماً بشريًا آخذًا بالدخول من النافذة التي فرّ منها ابنها · ولكنها ما وقع بصرها على هذا الجسم حتى جفت الدموع في مآقيها واستنارت عيناها فابصرت رجلاً واقفاً امامها · فاشتد خوفها · فارادت الصراخ فلم تقدر عليه · ارادت مد يدها الى سلك الجرس تنبيهاً للبواب فلم تقدر ايضاً · ومما زاد ذعرها وخوفها انها عرفت ان الرجل الذي كان واقفاً امامها هو الدكتور جيلبار ابو سياستيين

ولكن كيف وصل الدكتور جيلبار الى منزل اندري · هذا امر نذكره في الفصل التالي

الفصل الحادي عشر

﴿ طريق مالوفة ﴾

لما خرج الدكتور جيلبار من بين يدي الملك صادف اتفاقاً في دهليز هناك المسيو ايزيدر دي شارني الذي اردف سياستيين على جواده وجاء به الى باريز فابلغه ايزيدور ان ابنه قد قدم من فيلله كوتريه وانه ينتظره في القاعة الخضراء فطار صواب الدكتور لهذا القدوم الفجائي فاسرع الى القاعة الخضراء ليلتقي ولده ولكنه لم يلتقِ فيها احدًا

فزاد قلقه وسأل احد حراس المكان عن ولد كان هناك فابلغه احدهم ان هذا الولد رأى امرأة خارجة من غرفة هناك فركض وراءها الى اسفل السلم

فامتقع وجه الدكتور واضطرب مع انه اعتاد خوض المنايا · ثم طلب من الحارس ان يذكر له صفة المراة فوصفها الحارس له · فعلم الدكتور انها الكونتس دي شارني · فعض شفتيه حينئذ من الغيظ وقال في نفسه متاملاً : اتراه عرفها ؟

ثم نزل من القاعة الخضراء وسأل البوابة التي كانت واقفة بازاء السلم امام الباب عن ولد وامراة فقالت البوابة انها ابصرت الولد يركض الى المراة وهي تهرب منه ولكنه لما بلغ الى مركبتها ادخلته معها اليها وسارت بهما المركبة تنهب الارض نهباً

فسأل الدكتور وهل لم تسمعي اسم المكان الذي سارت المركبة اليه · فقالت البوابة ·

ثم سمعت المرأة تقول للسائق — الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

فارتعدت فرائص جيلبار لهذا العنوان لانه عنوان المنزل الذي سرق ولده منه منذ ١٥ سنة فقال — يا له من اتفاق مشوم

ولم يقل « بالعناية الالهية » التي ردت المسروق الى المكان الذي سُرق منه لانه كان من غلاة الفلسفة

فلما عرف الدكتور جيلبار المكان الذي اخذ ولده اليه ترك كل شيء وسار يطلب ولده . وقد عزم على الدخول الى ذلك المنزل من غير الباب لانه كان يريد مقابلة اندري على انفراد

وبينما هو سائر الى المنزل ابصر في طريقه بركة ماء فثارت في نفسه تذكارات قديمة . فانه منذ ١٦ سنة كان يأتي هذه البركة ليبلّ بها الخبز الذي كان يتفضل به عليه جان جاك روسو وخليلته تريزه ليسد به رمقه . فتنهد جيلبار لهذه الذكرى واغرق في التامل والتفكير

فقال في نفسه . لقد مات روسو . وماتت تريزه خليلته . ولكنني انا لا ازال حياً. وقد صرت رجلاً مشهوراً بعد ان كنت خاملاً فقيراً . ولكن هل انا اليوم اكثر راحة مني بالامس . وهل انا اكثر ثقة بمستقبلي مني بالامس ثم استانف السير وهو يتامل في ماضيه

وكان الدكتور جيلبار يعرف طريقاً للدخول الى منزل اندري من غير الباب وهي الطريق التي دخل منها يوم سرقته الولد في الليلة التي ولدته اندري . ومما ساعده انه لما صار تحت بيت اندري ابصر النافذة التي هي الطريق المشار اليها مفتوحة . وكان الوقت ظلاماً فصعد الجدار على سلم احضرها لهذا الغرض من مكان قريب كان يعرفه ثم اطل من تلك النافذة

فراى اندري المسكينة مستلقاة على سريرها تبكي بكاء مرّاً . فعرفها ولكنه عجب من بكائها . ثم انه صعد الى النافذة ودخل منها كما تقدم في الفصل السابق . فاصبح هذان العدوان وجهاً لوجه مرة ثانية

الفصل الثاني عشر

ماذا حدث لسباستين

ولما وقعت عين اندري على الدكتور جيلبار قام في نفسها امران الاول خوف شديد منه والثاني بغض شديد له . اما الدكتور جيلبار فقد قام في نفسه امر واحد وهو رغبته في تخفيف مصائب هذه المراة التي كان سبباً في شقائها . وكان يود ان يخدمها خدمة او ينفعها بامر ولو اقتضى ذلك المخاطرة بحياته تكفيراً عن الشر الذي صنعه بها . ولذلك لم يباغتها اول دخوله بالقوة المغنطيسية مباغتة بل ارسل اليها قليلاً منها في بدء الامر ولما صار قريباً منها صرفها عنها فاستراحت اندري حينئذ وصارت قادرة على الكلام فصاحت بالدكتور . ماذا تريد مني ؟ ومن اين اتيت ؟ ولماذا اتيت ؟ فانحنى الدكتور جيلبار واجاب بهدوء اتيت ياسيدتي من طريق لا يعرفها احد سواي فلا تخشي ان يكون قد رآني احد في دخولي. اما سبب مجيئي فهو طلب ولدي الذي جئت به في مركبتك الى هنا ابن سيباستيين

فصاحت اندري بغضب ويأس . لا اعلم لا اعلم . فقد فرّ مني لانك ما فتئت تعلمه بغض امه

فقال الدكتور أأنت محققة ياسيدتي انك امه

فبلغ الغضب من اندري مبلغه فصاحت: يرى حزني ويأسي . ويسمع بكائي . ثم يسالني اذا كنت امه

فقال جيلبار فاين هو . قالت اندري لا اعلم لا اعلم . فانني ادخلته الى هذه الغرفة وبعد مدة طلبته منها فلم اجده ولكن وجدت النافذة مفتوحة

فهال جيلبار هذا الكلام فقال باضطراب . اين ذهب فان الوقت ليل وهو لا يعرف طرق باريز . فاشتد خوف اندري فخطت خطوة نحو جيلبار وقالت متالمة هل تظن انه يصاب بشر

فاجاب جيلبار ستقولين ذلك من فمك ايتها السيدة . ثم مدّ يده اليها لينومها تنويماً مغنطيسياً

فتراجعت اندري الى الوراء وهي تصيح لا لا بعيشك دعني منه . فقال جيلبار لاتخشي شرّاً ياسيدتي فان شخصك مقدس لديّ وانما اريد ان اسألك في نومك عن ولدك

فتنهدت اندري والقت بنفسها على كرسي هناك وهي تردد اسم سيباستيين بين شفتيها فدنا منها جيلبار ومدّ يده فوق راسها ثم قال . نامي ايتهـا السيدة وانظري بقلبك وانت نائمة . فاجابت اندري وهي تضطرب نمت نمت فقال جيلبار هل استعمل كل قوتي لتجيبي على اسئلتي ام اخففها فتجيبين من تلقاء نفسك . فقالت وهي نائمة اجاوبك ولكن هل تعدني بان تقول لولدي بعد الآن انني امه . قال سارى في ذلك . ولكن هل تحبينه . فقالت (وهي نائمـة) آه يسألني اذا كنت احب ولدي . نعم احبه احبه بكل قوتي . فاجاب جيلبار متنهدًا فانت اذن امه ايتها السيدة كما انني ابوه لانك تحبينه كما احبه

فتنفست اندري الصعداء كأن نفسها ارتاحت لهذ االقول

فقال جيلبار فجاوبي اذًا طوعًا واختيارًا من غير اكراه . فقالت اندري نعم اجاوب طوعًا واختيارًا ولكن هل تعدني بان اراه بعد الآن . فقال جيلبار اما قلت لك انك امه والام يجب ان ترى ولدها . فقالت اندري بفرح عظيم شكرًا لك سلني الآن فاني مستعدة للمجاوبة . . ولكن . فقال جيلبار لكن ماذا . قالت يجب ان اتبعه من اول مجيئه من القصر لاكون على ثقة من ان لا يفوتني اثره . فقال جيلبار لا باس بذلك فاستعدسي للجواب . ثم اخذ جيلبار يسالها وهي نائمة عما حدث لسيباستيين وهي تجيبه كانها حاضرة معه . فسـالها اولاً . اين نظرته لاول مرة قالت في القاعة الخضراءقال الى اين لحق بك قالت الى المركبة قال الى ايّ مكان اخذته في المركبة قالت الى هذا المنزل قال ولماذا ادخلته الى هذه الغرفة قالت لانني سمعت صوت مركبة وقفت امام الباب قال فمن كان في هذه المركبة قالت الكونت دي شارني قال وماذا قال لك الولد حين دخوله الى هذه الغرفة قال لي انني لست بامه . فسالها جيلبار في الحال ولماذا قال لك ذلك فسكتت اندري ولم تجاوب فقالـ جيلبار سالتك فاجيبي ايتها السيدة هكذا اريد فتململت اندري واضطربت لان جيلبار قوّى المجرى المغنطيسي عند لفظه هذه الكلمة « هكذا اريد » واجابت . قالـ لي ذلك لانني قلت له . ثم سكتت . فقال جيلبار ماذا قلت له تكلمي . فاستجمعت اندري قواها وصاحت لانني قلت له انك شقي لئيم

فقال جيلبار انظري الآن ايتها السيدة الى اعماق نفس ابنك لتعلمي مبلغ العذاب الذي عاناه حين قولك هذا القول عن ابيه . فبهتت اندري هنيهة كانها تنظر في نفس ابنهـا ثم صاحت بغتة و يلاه كم تعذب الولد لكلامي عفوًا يا بني وصفحًا

فسالها جيلبار هل علم الكونت دي شارني بوجود الولد هنا قالت كلا قال فلماذا لم

يبت هنا هذه الليلة قالت لان المسيو دي شارني لا يبيت عندي قال فلماذا جاء اذًا فسكتت اندري هنيهة كانها تنظر عن بعد في ضمير المسيو دي شارني لتعلم السبب الذي جاء به اليها في هذه الليلة ثم صاحت بغتة ويلاه ما اشد تعاسي فقال جيلبار ماذا . قالت كان الكونت دي شارني قادماً اليَّ .. كان يطلب الاقامة عندي فلم افهم ذلك . بل تركته يذهب ساخطاً . هو يحبني هو يحبني

فابتدأ جيلبار يقف منذ الآن على غوامض مسالة لم يكن احد قد وقف على شيء منها قبله . فسالها وانت هل تحبينه . فسكتت اندري فاعاد جيلبار سؤاله قولي هل تحبينه فسالته اندري لماذا تسالني هذا السؤال . قال انظري في ضميري لتعلمي سبب ذلك فبهتت اندري كانها تقرأ في ضميره ثم قالت علمت علمت . ان قصدك حسن . فانك تود خدمتي وصنع الخير معي تكفيرًا عن الشر الذي صنعته ولكنني انا ارفض كل خير وسعادة تاتيني على يدك لاني اكرهك واود البقاء على كراهتك

فقال جيلبار حينئذٍ في نفسه : مسكينة انت ايتها الانسانية . هل لديك كثير من طرق الراحة والسعادة حتى يجوز لك ان تختاري ما تريدينه منها . ثم سالها . اذًا انت تحبينه قالت نعم احبه . قال مذ متى ابتدأ حبك له قالت منذ رايته للمرة الاولى . منذ سار من باريز الى فرساليا في مركبة الملكة . فقال جيلبار متنهدًا . اذًا عرفت الحب يا اندري قالت نعم عرفت الحب وهو لم يعطَ للانسان لكي يتمتع به و يسر ولكن ليعلم من مقداره مقدار ما يقابله من الحزن والالم في هذه الحياة . فاحتدم عند ذلك جيلبار وقال لقد عرفت الحب يا ذات القلب الصخري عرفت عذابه وشقاءه فانا مسرور بذلك. فلنعد الآن الى الولد فقالت نعم لنعد الى الولد ولكن لا تذكر لي المسيو دي شارني ولا تدعني اذكره فان ذلك يقلقني وربما تركت حينئذ ولدي واقتفيت اثار الكونت . فقال جيلبار اذكرى ولدك ايتها الام ولا تذكري زوجك . فانبسطت حينئذٍ اسرة اندري وتلاشت لوائح العناء التي كانت على وجهها من ذكر حب الكونت زوجها . فسالها جيلبار اين كان الولد حين محادثتك مع الكونت فاجابت اندري كان هنا . هنا على الباب ينصت الى كلامنا قال ماذا سمع منه قالت قد سمع كل القسم الاول قال فمتى عزم على الفرار من الغرفة . فالت عزم على ذلك حينما ... وسكتت

فسالها الدكتور بشدة ومن غير شفقة حينما ماذا . فاجابت حينما اخذ المسيو دي شارني يدي وقبلها فصحت صيحة خفيفة فقال جيلبار وماذا حدث لسيباستيين عند ذلك قالت هوذا

اراه مقطب الحاجبين مشمر الشفتين غضباً وحنقاً واحدى قبضتيه مطبقة بتشنج على صدره كأنه يتهدد بها

فقال جيلبار اتبعيه الآن واجعلي كل همك مقصوراً على اقتفاء اثره واياك ان تتركيه. هل ترينه قالت اراه اراه . قال ماذا صنع بعد ما ذكرت قالت اخذ يفتش عن باب مشرف على الحديقة للخروج منه ولما لم يجد باباً ذهب الى النافذة بنزق ففتحها ثم نظر النظرة الاخيرة الى القاعة حيث كنت مقيمة وخرج من النافذة . فقال جيلبار اتبعيه في الظلام فقالت لا اقدر فدنا منها جيلبار وامرّ يده على عينيها وقال انظري حتى في الظلام ايتها السيدة . فتنفست اندري الصعداء وقالت هوذا قد وجدته .. لقد سار نحو شارع بلاتريير .. ها هوذا يخاطب امرأة

فقال جيلبار اصغي جيداً ماذا قال لها قالت لقد سالها عن شارع سان اونوره . فتنهد جيلبار وقال هناك منزلي فلابدّ ان يكون قد وصل اليه لينتظرني فيه . فسكتت اندري هنيهة ثم قالت بهيئة تدل على القلق . لا لم يصل اليه .. كلا هو لا ينتظر الآن فسالها فاين هو اذاً قالت دعني اقتفي آثاره والا تهت عنه

وقد قالت اندري هذا القول بلهجة الخوف كمن يتوقع حدوث مصاب. فخاف جيلبار لخوفها وقال اتبعيه اتبعيه واياك ان تغفلي عنه . فتنهدت اندري وقالت آه . ها هوذا اراه فقال جيلبار ماذا يعمل قالت انه سائر في طريقه . لقد وصل الى شارع باله رويال .. هوذا يسال ثانية عن شارع سان اونوره .. لقد اسرع في طريقه .. وصل الى شارع ريشليه .. الى شارع فروندور .. الى شارع نوفسان روش . آه قف ايها الولد التعيس قف واجتنب هذه الحادثة .. اما ترى المركبة القادمة من طريق سوردبير .. انا اراها واخشى عليك منها . آه . آه

ثم صرخت اندري صراخاً هائلاً . صراخ ام ترى ولدها يتمزق تحت عجلات المركبة فتحلب الدمع من عينيها من شدة الخوف وتحلب العرق من جبينها من شدة المغنطيسية فامتزج ماؤها

فجزع جيلبار وخاف اشد خوف ثم قال لها بغضب — اذكري ايتها السيدة ان الولد اذا اصابه شر فالشر يقع على رأسك لانك كنت السبب

اما اندري فانها عادت وتنفست الصعداء بانبساط وارتياح دون ان تسمع ما قاله جيلبار ثم قالت مبارك اسم الله . قد نجا . قد نجا . فان صدر الجواد صدمه وازاحه قبل

ان يسقط من طريق المركبة . ولكنه سقط على الارض مغمى عليه .. آه بدون حراك ولكنه غير ميت . نادوا من يغيثه . المعونة المعونة . اغيثوا ولدي . اغيثوا ولدي

ثم صاحت اندري صيحة هائلة وسقطت مغمى عليها

فخاف جيلبار ان ينقطع شريان في دماغ المراة او في قلبها من شدة ضغط المغنطيسية عليها ولذلك لم ينبهها بالرغم عنها . ولكنها لم تلبث ان انتبهت من تلقاء نفسها تطلب ولدها فسالها جيلبار انظري ماذا جرى له . فقالت اصبر عليّ قليلاً فانني اكاد اهلك من التعب والجزع . هاءنذا ارى ازدحاماً شديداً حوله . ابعدوا ابعدوا . افسحوا لي طريقاً ياناس . انا امه . انا ام سيباستيين المطروح على الطريق . قولوا لي اليس فيكم رجل جراح

فما سمع الدكتور جيلبار هذا الكلام حتى صاح بها هاءنذا ذاهب اليه . فقالت اندري وقد امسكت به من ذراعه لا لاتذهب . بل اسمع الآن . هوذا الجمع قد تفرق عنه . فلا بد ان يكون قد حضر رجل استدعوه لمعالجته . تعالَ تعالَ ايها الرجل . هو لم يمت ولكن قل لي ايمكن انقاذه

ثم صاحت صيحة عظيمة واخرجت تنهداً هائلاً من اعماق صدرها

فاجفل الدكتور جيلبار واضطرب ثم سالها ماذا حدث ماذا حدث فصاحت اندري بغضب . حدث انني لا اريد ان يمدّ هذا الرجل يده الى ولدي . لا اريد ان يعالجه . قزم شنيع كالافعى يالله كم امقته

فقال لها جيلبار دعيه دعيه ايتها السيدة ولا تتركي سيباستيين بعيشك . فقالت اندري لا تخف لا تخف وكيف اترك ولدي . فقال جيلبار ماذا صنع به هذا الرجل قالت لقد حمله بين ذراعيه ثم سار في شارع سورديير . دخل الى اليسار في طريق سان ياسنت ودنا من باب واطيء كان مفتوحاً قليلاً . دفع الباب . انحنى . نزل في السلم . وضع الولد فوق مائدة عليها اقلام واوراق بعضها خطيــة وبعضها مطبوعة . لقد اخذ يجرد ذراع سيباستيين . شدّها بلفائف جاءته بها امراة قذرة شنيعة مثله . لقد فتح علبة اخذ منهـا آلة جراحية آه . لقد عزم على فصد الولد . آه انني لا اطيق رؤية دماء ولدي

فقال لها جيلبار اخرجي الآن من ذلك المكان وعدي درج السلم التي نزلها الرجل فسكتت اندري هنيهة كانها صنعت ما قاله لها الدكتور ثم قالت عددتها فاذا هي ١١ درجة فقال صفي لي الآن خارج المكان لاعرفه قالت ان الباب يؤدي الى قبو تحت الارض وفوق الباب نافذة صغيرة فيها قطعتان من الحديد بشكل صليب قالــ جيلبار مستعداً

للسير كي فانني صرت قادراً على معرفة المكان فاستعدي لانبهك ولكن قولي لي اولاً هل تريدين ان تنتبهي غداً صباحاً دون ان تذكري شيئاً مما جرى ام تريدين الانتباه الآن مع ذكر كل شيء. قالت بل افضل الانتباه الآن وذكر كل شيء

فدنا منها جيلبار حينئذ واخذ ابهاميه فامرّها على حاجبي اندري بعكس نقوسها ثم نفخ في جبهتها ولفظ هذه الكلمات فقط

— انتبهي ايتها السيدة

فدبّت الحياة حينئذ في عيني اندري وعاد لها نظرها الاعتيادي فنظرت الى جيلبار من غير خوف ثم ذكرت ولدها وما اصابه فصاحت بالدكتور قائلة: اسرع اسرع اليه وانقذه من يدي ذلك الرجل الذي يخيفني

فخرج جيلبار مسرعاً يطلب ولده من المكان الذي دلته عليه اندري في نومها المغنطيسي

الفصل الثالث عشر

❊ الرجل القذر الشنيع ❊

وفي خروج جيلبار من منزل اندري اخذ يعيد في فكره الشوارع التي ذكرتها اندري في نومها فذكرها كلها وسار في وجهتها

وما زال سائراً مسرعاً حتى وصل الى الشارع الذي ذكرت ان فيه قبو الرجل القذر الشنيع فنظر جيلبار الى الغرف السفلية التي هناك فابصر باب غرفة على الشارع وفوقها العلامة التي ذكرتها اندري فلم يبقَ عنده ريب في ان هذا المنزل هو المنزل الذي يقصده فدنا منه وقرع الباب فلم يجاوبه احد فقرعه مرة ثانية فسمع حينئذ صوت اقدام تختلس في المكان فقرع مرة ثالثة فسمع امراة تقول من الداخل من يقرع الباب فقال جيلبار انا لا تخافي وافتحي لي فانني ابو الولد الذي عندكم

فقال حينئذ رجل من الداخل افتحي افتحي يا البرتين فهذا الدكتور جيلبار. فنادى حينئذ صوت ثالث بقوله يا ابي يا ابي. وكان هذا الصوت صوت سيباستيين

فتنفس جيلبار الصعداء حينما سمع صوت ابنه

وحينئذ انفتح الباب فاسرع الدكتور في نزول السلم فوجد في فناء المكان مائدة عليها ولده وهو يمد ذراعيه اليه فبادر اليه جيلبار وقبله ولاطفه

فقال الرجل الذي كان في المكان الى المراة اشكري يا البرتين الصدفة التي جعلتني

انقم احد «اخوتي»

وقد عنى بقوله اخوتي اعضاء الجمعيات الماسونية التي كان لها في فرنسا في ذلك الزمان شأن عظيم حتى ان كثيرين يعزون اليها اقامة الجمهورية كما سيرد ذلك مع تفصيل حفلاتها وعاداتها وذكر خطبها

ولما قال الرجل هذا القول التفت جيلبار ليرى الرجل الذي انقذ ابنه . فوقع نظره على رجل قزم ذي وجه اصفر اللون اخضره بعينين رماديتين كانهما تخرجان من راسه كما يقول العامة . وقد كان كريه المنظر شنيع الصورة كانه انسان اخذت الطبيعة تمسخه قرداً فلا هو انسان تام ولا قرد تام

فاقشعر جلد جيلبار لهذا المنظر بالرغم عنه لا سيما وانه ذكر انه يعرف هذا الرجل لانه نظره في يوم دموي من ايام الفتنة ولكنه لم يذكر ذلك اليوم

غير انه بالرغم عن كراهته لمنظر ذلك الرجل قهر نفسه ودنا منه ليقوم بواجب شكره على انقاذه ابنه . ولما صار قريباً منه قال له اشكرك ياسيدي على انقاذك ولدي وهذا الشكر يقدمه لك اب من اعماق قلبه

فاجاب الرجل انني لم اصنع سوى ما يجب عليّ ياسيدي فانني انسان والانسان كما قال تراني يجب عليه ان يساعد الانسان في كل شؤونه وفضلاً عن ذلك فانني رقيق القلب لا استطيع رؤية حشرة تتالم فكيف الانسان. فقال جيلبار هل تتفضل عليّ ياسيدي بمعرفة اسمك فقال الرجل ضاحكاً ضحكاً مخيفاً كيف لا تعرفني ايها الرصيف فانني انا اعرفك. انت الدكتور جيلبار صديق واشنطون ولافاييت ولما ذكر الرجل اسم لافاييت شدّ عليه قصداً ثم قال — نعم انت صديق لافاييت رجل فرنسا واميركا صاحب الاحلام والاوهام انت الذي كتبت للملك تقريراً عن الحالة السياسية في فرنسا فجزاك الملك بسجنك في الباستيل مكافأة على جميلك

ثم ضحك الرجل ضحكاً شنيعاً ترتعد له الفرائص اما جيلبار فقال اذا كنت تعرفني ياسيدي فقد زدتني رغبة في معرفة اسمك

فقال الرجل عرفتني وعرفتك منذ زمن بعيد ياسيدي فانك جئتني منذ عشرين سنة في ليلة هائلة هي ليلة ٣٠ مايو من سنة ١٧٧٠ جريحاً كما جاء في ابنك وكنت يومئذ بعمر مساو لعمره اما الذي جاء بك الي فهو معلمي ومعلمك جان جاك روسو فقصدتك على مائدة مخاطة بجثث الموتى والاعضاء المبتورة وقد عالجت كثيرين غيرك في تلك الليلة

فقال جيلبار حينئذ . اذن عرفتك فانت جان بول مارات (١)

قال جيلبار ذلك ثم رجع الى الوراء مجفلاً

اما الرجل الذي سماه جيلبار مارات وقد تقدم ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول فقد اخذ يضحك ضحكاً شنيعاً ثم قال للزاة . اراأيت يا البرتين كيف يؤثر اسمي في نفوس الناس ثم ازداد ضحكاً فقال له جيلبار كنت اعهدك طبيباً للكونت دارتوى فقال مارات يطربا لخيله لا طبيباً وقد هجر الامير فرنسا في جملة الذين هجروها فتركت خدمته . وهبه موجوداً فانني لا اخدمه لانني اكره الظالمين

ولما قال مارات هذا القول انتصبت قامته القصيرة بعظمة وكبرياء اظهاراً لانفته

فقال له جيلبار ولماذا تقيم في هذا القبو فاجاب مارات تسالني لماذا اقيم في هذا القبو ايها الفيلسوف ذلك لانني رجل محب لوطنه لانني اكشف الغطاء عن طمع الطامعين لان بالي يخافني وناكار يخيفني ولافايت يقتني اثري آه من لافايت الطامع المستبد الراغب في اغتصاب السلطة لقد خصص جائزة بمن ياتيه براسي ولكنني لا اخشاه بل اشكوه اشكوه في كل يوم من اعماق هذا القبو . قال وكيف تشكوه قال اشكوه في جريدتي في الجريدة التي انشأتها وسميتها « صديق الشعب » وقد اصدرت منها الى الآن ٢٠ عدداً وقد بعت كل اثاث منزلي للقيام بنفقات الاعداد الاولى منها انظر الفراش التي حولك

فنظر جيلبار فوجد ان الفراش بلا اغطية لان مارات باعها وكان سيباستيين ينام على فرشة بلا غطاء ايضاً

فالتفت جيلبار الى مارات وسأله واين مساعدوك في جريدتك

فضحك مارات واجابه تسالني عن مساعدي في عملي ولكن اتجهل ان الزراز يرمي التي تطلب الاجتماع والرفقة وانه لا يطير وحده غير النسر . تسالني عن مساعدي فاليك مساعدي

قال ذلك ثم اشار الى راسه ويديه

وبعد هنيهة قال

هذه المائدة التي تراها امامك هي معمل الاله فولكان المعمل الذي تصنع فيه الصواعق



(١) جان بول مارات — اشد رجال الثورة تاثيراً على العامة وقد ورد ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة وفي هذا الفصل احسن وصف لاخلاقه

فانني في كل ليلة اكتب عليها ثماني صفحات كبرى لتباع في الصباح . وقد تكون الثماني الصفحات غير كافية فاضيف اليها ثماني اخرى وكثيرًا ما اتم باحرف صغيرة المقالات التي ابدأها باحرف كبيرة. كل الصحافيين يساعدون بعضهم بعضاً و يشتركون بعضهم مع بعض اما انا فلا اريد ان يساعدني احد ولذلك اعتبر ان جريدتي ليست بجريدة ولكنها انسان. هي انا لانها ثمرتي وحدي

فساله جيلبار مدهوشاً وكيف تستطيع ان تقوم وحدك بكل هذا العمل

فاجاب مارات هذا سر من اسراري هذا اتفاق معقود بيني وبين الموت فاننا تعاهدنا على ان اعطيه عشر سنوات من عمري ليجعلني قادرًا على القيام بالعمل الذي اعمله الآن ولذلك اعطاني نهارًا لا استريح فيه وليالي لا انام فيها فاصبحت معيشتي محصورة في هذه الكلمة : الكتابة الكتابة الكتابة ليلاً ونهارًا ومما ساعدني على ذلك ان بوليس لافاييت يفتش عني فصرت مضطرًا الى الاختباء منه وعدم الخروج من مخباءي وقد وجدت هذه المعيشة في بدء الامر ثقيلة ولكنني ما لبثت ان تعودتها فانه صار يلذ لي ان الح من ثقب الباب في ظلمات هذا القبو الهيئة الاجتماعية التعيسة الشقية التي هي في الخارج ومن اعماق هذه الظلمات التي انا اعيش فيها احكم على عالم الاحياء في تلك الهيئة. وحكمي يشمل عالمين عالم العلم وعالم السياسة ومتى حكمت كان لا مرد لحكمي اي لا استئناف ولا نقض او ابرام . بيدي اهدم اعمال نيوتن وفرنكلين ولبلاس ومونج ولفوازيه و بالاخرى ازعزع بالبي وناكار ولافاييت وساهدم هذا كله ساهدمه كما هدم شمشون الجبار الهيكل واذا دفنت تحت جدرانه الساقطة دفنت المملكة معي

فارتعدت فرائص جيلبار بالرغم عنه لان هذا الرجل كان يكلمه في قبوه الحقير كما كلمه كاليوسترو في قصره الكبير . فراعه ان تكون هذه الافكار مشتركة بين الكبار والصغار وساله لماذا لا تدخل المجمع الوطني لتقول فيه ما تريد ان تقوله فقال مارات لانه لا يوجد لدي بضعة الوف من الرجال يشدون ازري و ينتخبونني للدخول اليه . هذا مع كل شهرتي وحب الشعب لي. ولكنني غير عابىء بالمجمع بل انني اشتغل كما ذكرت لك كالنسر وحدي واكون في هذه الحالة اشد تاثيرًا على الشعب الذي يتبعني وانا الآن ذو تاثير عظيم عليه وقد قلت في العدد الاول من جريدتي « صديق الشعب » انه يوجد في فرنسا ٦٠٠ رجل يجب شنقهم لنخلص من جرائمهم وخياناتهم فتحسن الحال و يزول كل خلل ولكنني ما لبثت ان عرفت خطاءي بعد ليلتي ٥ و٦ اكتوبر فانه يجب شنق عشرة الاف رجل من

الاشراف بل عشرين الف رجل لا ستمائة رجل ليتم السكون و يعود النظام

فاجاب جيلبار ضاحكاً ولكن احذر يامارات فانك اذا اردت شنق كل هؤلاء الناس لم تجد في فرنسا حبالاً كافية لذلك

فضحك مارات ضحكاً هائلاً وقال ما احسن هذه الكلمة التي قلتها فانها تنقلنا من حديث الى حديث كنت على عزم الانتقال اليه . اعلمت ايها الدكتور ماذا نصنع الآن لنقدر على اعدام المجرمين معاً كثر عددهم بسهولة وفي وقت قصير فاجاب الدكتور كلا قال ان صديقي الدكتور كليوتين يصنع آلة ما اسهل الموت فيها وقد جئت في حينك فانه لا يلبث ان يحضر الى هنا لتجربة هذه الآلة وقد وصفها لي الدكتور كليوتين فقال ان الانسان يموت بها بكل راحة وسهولة فان سكينها تقطع العنق كلمح البصر فلا يشعر الانسان الا بقليل من البرودة في عنقه الا تريد مشاهدة هذه الآلة معي

فاقشعر جلد جيلبار هنا ايضاً لانه ذكر ما قاله له كاليوسترو عن آلة الدكتور كليوتين (التي هي الكليوتين آلة الاعدام في الثورة) ولكن لم يذهب اضطراب جيلبار حتى قرع باب القبو فقال مارات ضاحكاً ها قد جاء صديقي الدكتور كليوتين صاحب الاختراع العظيم افتحي له يا البرتين

فذهبت المرأة وفتحت له فدخل كليوتين فاذا هو رجل في الخامسة والاربعين من العمر هادىء الهيئة لطيف المنظر خلافاً لمارات وكان يحمل في يده علبة كالعلب التي تتضمن لعب الاولاد

فسلم الدكتور على مارات وعلى جيلبار الذي كان متشاغلاً بابنه فساله مارات ما بيدك ياد كتور فقال كليوتين هذا مثال الآلة جئت لاريك اياه

وكان يُسمع من داخل العلبة حركة فساله مارات ما هذه الحركة التي تُسمع من داخل العلبة فضحك كليوتين وقال هؤلاء هم المجرمون الذين سنعدمهم امامك فان الآلة الكبيرة تعدم البشر والآلة الصغيرة تعدم الفئران

فاشار جيلبار حينئذٍ الى ابنه بالنهوض ليحمله و يذهب به فساله مارات مالك ياد كتور الا تحضر التجربة فقال جيلبار لا اقدر ياسيدي بل يجب ان اذهب لاعتني بولدي فقال مارات ولكن هل تعدنا بانك تحضر تجربتها الكبرى حين الاحتفال بها فقال جيلبار اعدك بذلك فقال مارات ولي اليك وصية اخرى قال ماذا قال ان تكتم اسم منزلي فانك تعلم ان بوليس لافاييت يقفو اثري فقال جيلبار كن مستريح البال من هذا الوجه

ثم حمل جيلبار ابنه وخرج من منزل مارات بعد ان ودعه وودع الدكتور كليوتين زائره

ولما خرج جيلبار الى الشارع اخذ يتامل ويقول في نفسه «ما ادراني انه لا يوجد الآن في باريز خمسمائة قبو كهذا القبو يشتغل فيها اصحابها بمثل ما يشتغل به هذا الرجل؟ وماذا يحدث في المدينة يوم تبرز اعمال هولاء الناس المستترين الى حيز الوجود»

الفصل الرابع عشر

عود الى بيتو وكاترين

ولما وصل جيلبار الى منزله وهو يحمل ابنه بين ذراعيه طرق الباب فنادى صوت من الداخل من الطارق فدهش جيلبار لهذا الصوت لانه علم انه صوت صاحبنا انج بيتو فاجابه الدكتور انا افتح ففتح بيتو الباب ولما ابصر سيباستيين بين ذراعي ابيه تنفس بيتو الصعداء وقال وجده والحمد لله

اما السبب في عودة بيتو الى باريز فاليك بيانه

تركنا بيتو في ختام الجزء الثاني من نهضة الاسد واقفاً بازاء جثة كاترين التي وجدها بلا حراك في قارعة الطريق وفي اليوم التالي لهذه الحادثة رأى بيتو ان آماله ذاهبة ضياعاً فازداد حزناً ولكنه عزم على اطلاع بيلو والد كاترين على هذا الامر وقد ساعده على ذلك اختفاء سيباستيين

فان بيتو حضر في ذات ليلة الى غرفته وبعد ان اوقد شمعة راى على نورها الضعيف كتاباً موضوعاً على المائدة وعنوانه باسمه ففتحه فراى انه هو الكتاب الذي كتبه اليه سيباستيين يطلعه فيه على امر سفره الى باريز للسوءال عن ابيه

فقال بيتو هذا الامر لانه خاف من ان يضل الولد السبيل وعجب من اقدام هذا الولد على السير في الليل ولكنه لم يتردد دقيقة واحدة في العزم الذي عزم عليه بعد مطالعة هذا الكتاب فانه نهض في الحال واقفل باب الغرفة ثم اطلق ساقيه للريح على طريق باريز لعله يلتقي بسيباستيين

وكان يسير وهو يفتش عنه في نظره في كل جانب ولكن سيباستيين كان قد ركب على جواد المسيو ايزيدور دي شارني كما تقدم ولذلك لم يستطع بيتو ان يلحق به

وما زال بيتو سائرًا حتى وصل الى باريز فقصد منزل الدكتور جيلبار على عجل وسال عن سيباستيين فقيل له انه لم يات اليه فاشتد خوف بيتو على اخيه في الرضاع ولبث يتقلب في البيت على مثل الجمر وهو ينتظر عودة الدكتور جيلبار

ومن حسن الحظ ان الدكتور عاد وبين يديه سيباستيين فتنفس بيتو الصعداء حين مشاهدته واستراح باله . اما الدكتور جيلبار فلما علم بقصة بيتو تحركت له احشاؤه حنوًا عليه وارتياحًا من عمله فمد يده اليه وصافحه شكرًا على غيرته وامانته

ولما هدأت خواطر الجميع اشار جيلبار لبيتو ان يذهب و يستريح في فراشه فان الركض كان قد اتعبه فقام بيتو شاكرًا ولكنه في قيامه طلب من بيلو ان يلحق به ليقول له كلمة في غاية الاهمية

فقام بيلو وتبع بيتو الى غرفة هناك واختليا فيها

وكان بيتو لشدة قلقه على سيباستيين قبل وجوده قد نسي امر كاترين والمزرعة فلم يقل عنها لبيلو شيئًا ولكنه سكن خاطره بكلام مبهم ووعده بان يزيده بيانًا متى هدأت الخواطر

فلما انفرد بيتو به ساله بيلو عن المزرعة والعيلة فحدثه بيتو ربع ساعة ثم افترقا

اما الدكتور جيلبار فلما استقر به المكان كتب لاندري هذه الكلمات « لقد وجدت الولد سالمًا معافى » ثم بعث بها الى صندوق البريد مع خادمه لتصل اليها في الصباح

وفي اليوم التالي نهض جيلبار ليذهب الى قصر الملك اذ جاءت نوبته فوجد بيلو ينتظره ولوائح الانقباض على وجهه . فسأله الدكتور ما بك يا بيلو . فاجاب بيلو انني اقيم في باريز على حين ان الحالة سيئة جدًا في مزرعتي

ولا يحسبنَّ القارىء ان بيتو اطلع بيلو على كل ما يعلمه عن كاترين لانه لو فعل ذلك لاضاع صواب ذلك الزارع الشريف الاخلاق . ولكنه اكتفى بان يقول له ان المواشي مهملة والحقول خربة والحاصلات تناقصت وانه وجد في مساء يوم كاترين مغمى عليها في قارعة الطريق

وكان بيلو نبيهًا فعلم ان ابنة قوية رابطة الجأش مثل كاترين لا يغمى عليها في قارعة الطريق الا لاسباب خصوصية

وحينئذ عزم على السفر في الحال الى مزرعته ليصلح الخلل الذي حدث فيها مدة غيابه

وكان جيلبارقد ذاق في ليل امس طعم العذاب الذي يعانيه الآباء بشان اولادهم فاصبح اكثر رأفة بقلب بيلو ولذلك اذن له بالسفر على شرط ان يحضر اليه اول ما يدعوه اذا اضطر الى استدعائه · فاجاب بيلو متى اردتني فقل كلمة واحدة اكن عندك في يوم واحد

ثم ان بيلو قبل سيباستيين وودع الدكتور فودعه الدكتور وشكره على اخلاصه ووداده ثم ودع جيلبار بيتو ووضع في يده ٢٥ ذهباً هدية له لينفقها في شراء ملابس واسلحة لحرس هرامونت الذي كان هو قائده · ثم سار بيلو وبيتو عائدين الى المزرعة اما سيباستيين فانه بقي عند ابيه

الفصل الخامس عشر

مدنة وقتية

ولنعد الآن بالقارىء الى قصر التويلري حيث اقام الملك والملكة بعد عودتهما من فرساليا

فيا ما اشدك هولاً يا ايها التويلري · يا قصراً سكنته الملكة التي امرت بمذابح سنت برتلماي · ياقصراً يجتذب الملوك اليه ليفترسهم او لينبذهم منه نبذ النواة · فبعضهم يخرجون منه بلا رؤوس والبعض يخرجون بلا صولجان ليشردوا في بلاد الله

ياقصراً هائلاً من يجترىء ان يدخل اليك بعد ارسالك لويس السادس عشر ونابوليون وشارل العاشر ولويس فيليب بعضهم الى النفي وبعضهم الى الاعدام

كل هؤلاء قد دخلوا اليك والشعب يهتف لهم و يفرح بدخولهم · كل هولاء لما دخلوا اليك كانوا في اقصى درجات المجد والسعادة · فلماذا لم تجعلهم يحتفظون مراكزهم · ذلك لانهم اخذوا يعملون لانفسهم لا للشعب فقام الشعب وطردهم منك كما يُطارد من مزرعة زارع ولي شانها ليصلحها فافسدها

وفي اليوم التالي لوصول الملك الى التويلري اشرقت الشمس على باريز ساطعة لامعة فتزاحم الشعب حول التويلري فرحين مسرورين بان ملكهم عاد اليهم واخذوا يرقبون الملك و يفتشون عنه فكان كلما لاح لبعضهم يشيرون اليه بالاصابع مبتهجين مسرورين

ولما انتصف النهار طلب الشعب الملك فظهر له الملك من احدى شرف القصر فصفقت

له الالوف التي كانت هناك تصفيقاً عاماً بياناً لاستحسانها وسرورها

وفي المساء اضطر الى النزول للحديقة اكراماً للشعب فلم يكتف الشعب حينئذٍ بالاستحسان والهتاف بل بكى من فرحه وسروره

فقالت مدام اليزابت التي كانت بازاء الملك · يظهر لي انه ليس من الصعب الحكم على هذا الشعب اللين المراس

وهكذا ظهر لكثيرين ان النار التي كانت متقدة قد خمدت وان الثورة آخذة بالخمود وما علموا انها هدنة وقتية ليتعارف في اثنائها الحزبان ثم يعودان الى النزاع والاهوال باشد مما كان

ومع ذلك فان خواطر العقلاء واصحاب النفوس الابية كانت قد بدأت تستنكر عمل الشعب بعد هجومه على فرساليا · وقد خاف المجمع الوطني من ذلك اشد خوف لانه كان يرى ان وجوده متوقف على وجود الملك وسلطته متوقفة على سلطته فاذا سقط الملك سقط المجمع · ولذلك اراد ميرابو خطيب المجمع الاكبر وضع حد للهياج واللجاج

اما لا فاييت فانه ازداد بعد الهجوم على فرساليا تمسكاً بالملك والملكة · ولكنه كان لا يثق بميرابو · فلما جاءه ميرابو يقول له « فلنتحد ولننقذ الملك » لم يفهم لافاييت هذا الكلام ولم يعبأ به · بل ذهب لساعته الى الدوق دورليان الذي كانوا يقولون انه عدو الملكة وتعرض الشعب عليها وقد قصد بزيارته هذه ان يبعده من باريز لعل ذلك يسكن الخواطر ويبطل التحريض

فقابل لافاييت الدوق وطلب اليه ان يرحل من فرنسا فاجابه لا استطيع ذلك لانني املُّ الحياة خارجاً · فقال لافاييت ولكننا يامولاي محتاجون الى سفرك · فقال الدوق ولكن الى كم من الزمن · قال الى اجل غير مسمى اي الى ان استدعيك يامولاي فقال وان عدت ياجنرال دون ان تستدعيني · فاجاب لافاييت ان عدت دون ان استدعيك يامولاي فانني اسألك حينئذٍ ان تتناول سيفك وتبارزني

فسافر الدوق دورليان ولم يعد حتى استدعاه لافاييت

الا ان الملكة كانت وسط فرح الشعب وسروره ممتلئة النفس حزناً والماً · اولاً لانها فقدت حب حبيبها شارني وثانياً لانها رأت ان يد الشعب اصبحت فوق يدها · ولذلك لم تفرح لفرح الشعب ولم تقدر ان تحبه · ولو كان شارني بجانبها يعزيها ويخرج عقرب الحب التي كانت تعذبها في نفسها فربما كانت قدرت على ان تحب الشعب وتفرح لفرحه

وفي ذات يوم اجتمع فاتحو الباستيل وسألوا الملكة ان تقابلهم فرفضت ذلك . فكان لرفضها اسوأ تأثير

ثم اجتمعت كثيرات من النساء وطلبن مقابلتها فاذنت لهن بذلك ولكنها لم تقرب منهن عند المقابلة بل ابقت بينها وبينهن سلالاً كثيرة موضوعة في القاعة . فتجاوز النساء السلال وان لم يكن ذلك من حقهن واقتربن من الملكة

وكانت العادة ان تخطب واحدة من النساء فانبرت احداهن وقالت انني ارجو من جلالة الملكة ان تسمع لي نصيحة . فقالت الملكة وما هي . فقالت المرأة ان تبعد جلالتك من حولك جماعة المتزلفين الذين يكرهون الشعب اليك وان تحبي الباريزيين يا سيدتي فانهم لم يروك منذ عشرين سنة قضيتها في فرنسا سوى اربع مرات

فاجابت ماري انطوانت بهيئة خطيرة . تقولين هذا القول ايتها السيدة لانك لا تعرفين قلبي . فانا احببت الباريزيين في فرساليا كما احبهم الآن

فاجابت امرأة ثانية على الفور . هل من الحب ان تامري الجنود بمحاصرة الباريزيين في ١٤ يوليو وباطلاق المدافع عليها . هل من الحب ان تهتمي في ١٦ اكتوبر بالهرب الى الحدود بحجة انك ذاهبة الى تريانون

فقالت الملكة هل صدقتم هذه الاشاعات الكاذبة التي يذيعونها

وفي المساء جلس الملك والملكة ومدام اليزابت يتحادثان ويذكران حوادث النهار وكان ولي العهد واقفاً بازائهم فاخذت الملكة تذكر للملك كلمة قالها ولي العهد حين دخول النساء عليها . فانه قال «ما هذا يا اماه هل يحدث اليوم ما حدث امس » يعني هجوم الشعب على قصر الملك في فرساليا

فلما سمع ولي العهد انهم يتكلمون عنه صار يعجب بنفسه ككل ولد يجد ان اهله او الناس يهتمون به فتقدم من الملك ابيه واخذ يتأمل في وجهه ويتفكر فقال له الملك . ما لك يا لويس . فقال الولد اود يا ابت ان اسالك سؤالاً جدياً . فاخذ الملك الولد اليه وقال له سل ماذا تريد . فقال الولد اريد ان اعرف لماذا غضب شعبك منك مع انه يحبك وماذا عملت حتى اغضبته

فالتفتت الملكة الى الولد وقالت له بلهجة التوبيخ لويس ما هذا

فقال لها الملك دعيه فانني ساجاوبه جواباً يستطيع فهمه ثم قال للولد

« انني اردت يا بني ان انفع الشعب واجعله اكثر سعادة وهناء فاحتجت لذلك الى

المال لان مال الخزانة نفد بسبب نفقات الحروب فطلبت من شعبي ان يعطيني المال اللازم مقتديًا في ذلك باسلافي فعارض اعضاء البرلمان في ذلك وقالوا ان للشعب وحده الحق في تقرير دفع المال الذي اطلبه · فجمعت في فرساليا من كل مدينة رؤوسها في الشرف والمال والعقل · فلما اجتمعوا طلبوا مني مطاليب لا استطيع اجابتهم اليها لا من اجلي ولا من اجلك انت الذي ستكون خلفًا لي · فقام يومئذ اناس اشقياء اثاروا الشعب عليّ وعليه كما رايت في الحوادث الاخيرة ومع ذلك يابني فيجب الصفح للشعب ونسيان كل ما يعمله

وكانت الملكة هادئة ساكتة ولكنها لما سمعت الملك يوصي ابنه بالصفح عن الشعب ونسيان اعماله ثار الغضب في نفسها لانها كانت تود ان تعلمه ان لا يصفح ولا ينسى بل ان ينتقم حينما يجلس على كرسي المملكة

كأن هذه المسكينة كانت ضامنة ان ابنها سيجلس على كرسي المملكة

وفي اليوم التالي بعث المجلس البلدي والحرس الوطني يسالون الملكة والملك ان يظهروا في حفلة عمومية ليعلم الشعب انهما مسروران باقامتهما في باريز وانهما يقيمان فيها طوعًا لا كرهًا

فاجابت الملكة انها لم تنسَ بعد حوادث فرساليا وان نسيانها يقتضي وقتًا طويلاً ولذلك فانها لا تستطيع ان تجيبهم الى دعوتهم

فعجب الناس من هذا الجواب لانهم كانوا قد نسوا كل شيء واستغربوا ان تكون الملكة حاقدة عليهم ولم تنسَ نسيانهم

الفصل السادس عشر

﴿ رسم شارل الاول ﴾

ولم يستقر الملك في التويلري حتى ذكر الدكتور جيلبار وصدق خدمته فامر الحراس بادخاله عليه عند وصوله الى القصر حين تجيء نوبته

فلما جاءت نوبة الدكتور جيلبار في الاقامة في قصر الملك طبيبًا له ادخلوه الى غرفة الملك في ذات يوم فرأى جيلبار الملك يخطر في الغرفة مفكرًا وهو يقف الحين بعد الحين

امام رسم كان معلقاً بالحائط • وكان الملك مشتغل الفكر بهذا الرسم الى حد انه لم يعلم بقدوم الدكتور مع دخوله الى الغرفة

ولكن جيلبار لم يلبث ان تعمد الحركة في الغرفة لينبه الملك اليه لانه لا يجوز له ان يخاطبه اولاً فالتفت الملك للحركة ولما ابصر الدكتور قال له • هذا انت ايها الدكتور تعالَ فقد جئت في حينك • ثم اخذه من يده واوقفه امام الرسم وسأله هل تعرف هذا الرسم يا دكتور فقال الدكتور نعم انه رسم شارل الاول ملك انكلترا الذي مات قتلاً ولكن من وضعه هنا (١)

فقال الملك هذا امرٌ حير في فانني اعرف ان هذا الرسم موجود في فرساليا فمن جاء به الى هنا • لا اعلم

اما الرسم المذكور فهو نفسه الآن في متحف اللوفر في باريز وهو يمثل الملك شارل الاول في فراره الى ايكوسا واقفاً امام جواده وخادمه قابض على عنان الجواد ووراءهما البحر • اما راسم هذا الرسم فهو المصور فنديك المشهور الذي صوره باتقان لا مزيد عليه حتى ان واحداً من رجال الانكليز اقترح على الفرنسويين ان يبيعوه اياه فيعطيهم ثمنه مقداراً من الذهب كافياً لتغطية الرسم كله مع كبره واتساعه

فقال الملك لجيلبار بعد سكوت هنيهة • انني اعهدك يا دكتور ممن يقولون الحقيقة ولا يخشون فيها لومة لائم فقل لي بماذا تفتكر وانت تنظر الى هذا الرسم

فانحنى جيلبار وقال اتطلب جلالتكم مني ان اقول كل الحقيقة • فقال الملك نعم اطلب ذلك • فقال الدكتور اذن اسأل جلالتكم انا ايضاً بماذا شعرتم حينما نظرتم الى هذا الرسم قبل دخولي فاني رايت جلالتكم حين دخولي كثيرة الاهتمام به • فقال الملك انني حين مشاهدة الرسم قلت في نفسي : ان الملك شارل الاول لم يُقتل الا لانه حارب شعبه • والملك جاك الثاني لم يفقد عرشه الا لانه اتعب شعبه

فقال جيلبار ان هذا الكلام كلام بليغ يامولاي • فقال الملك وبعدُ • قال جيلبار ولكنه يقتضي جواباً فاذا اجبتم عنه في نفسكم • اسددتم اذنكم عن هذا الصوت الذي

(١) شارل الاول — هو ملك من ملوك اسرة ستوارت ولد سنة ١٦٠٠ وجلس على تخت انكلترا في سنة ١٦٢٥ وقد ثار الشعب عليه لشدة ظلمه فلجأ الى ايكوسه فراراً منه فسلمه الايكوسيون الى حزب كرومويل فاعدموه في هويت هل في سنة ١٦٤٩

نطق الرسم به ام سمعتموه · فقال الملك كن مطمئناً يا جيلبار فانني لم اعزم على امر بعد

فقال جيلبار ولكن الشعب يامولاي يخاف من ان تعزموا على محاربته ومقاومته

فهز الملك راسه وقال · كلا كلا · فليكن الشعب مطمئناً لانني لا احاربه ابداً · ومع ذلك فكيف احارب الشعب بغير مساعدة الاجانب واسمع حكمي في الاجانب لانك قد اصبحت منا فلا اخفي عنك شيئاً · ان ملك بروسيا اقترح علي ان يمجدني بمائة الف جندي لكبح جماح الشعب واعادة النظام ولكنني احذر كل الحذر طمع هذه المملكة البروسية الصغيرة التي تتطاول لان تكون كبيرة ولذلك فانها تثير عوامل الشدة في كل الجهات لتصطاد في المياه العكرة · وقد اقترحت عليَّ النمسا ان تُنجدني بمائة الف جندي ايضاً ولكني لا احب ملكها ليوبولد لانه ذو وجهين ولسانين · اما شقيقي الكونت دارتوى فانه اقترح ان تساعدني اسبانيا وسردينيا وانا احذر الجيش الذي يقوده الكونت دارتوى ولا اثق به · بقيت كاترين العظيمة امبراطورة روسيا ولكن هذه اكتفت بالنصائح لانها الآن مشغولة بقتال بولونيا وافتراسها · واما نصيحتها فهي هذه « يجب ان لا يعبأ الملوك بصراخ الشعب وهياجه بل يجب ان يسيروا في طريقهم دون التفات اليه كما ان القمر يسير في طريقه دون ان يلتفت الى عواء الكلاب » ولكنه يظهر ان الكلاب في روسيا تكتفي بالعواء فقط اما كلابنا نحن فانها كلبة تعض · سلوا عن ذلك ديشوت وفاريكور

فقال جيلبار واذا كان الشعب يامولاي لا يخشى من ان تحاربوه فهو يخشى من ان تفروا من وجهه وتبرحوا فرنسا الى الحدود الاجنبية

فتردد الملك في الجواب · فقال جيلبار اذا كنت قد قلت ما لا يجب ان يقال فانني استغفر جلالتكم والتمس المعذرة منها فقد جرأني اذنكم لي في ان اقول الحقيقة بتمامها

فقال الملك نعم نعم اريد ان تقول الحقيقة بتمامها لان جميع الذين يحومون حولي ويقيمون معي يخفونها احياناً كثيرة عني حتى الملكة نفسها · لا اكتمك يا جيلبار انه خطر لنا فكر الهرب من فرنسا ولكنا عدنا فغيرنا عزمنا من وجه ما · فان الملكة في ليلة ٦ اكتوبر وهي الليلة التي جرى لنا فيها في فرساليا ما جرى الحت علي بان اقسم امامها انني اذا فررت لا افر وحدي بل آخذها والولدين معي فاقسمت لها بذلك · وهذا الاجمال اصبح مانعاً لفرارنا

فقال جيلبار انني اعجب يامولاي بدقة نظركم واتمنى ان يسمع الشعب كلامكم كما

سمعته الآن فان ذلك يقلل بغض كثيرين و يدفع اخطارًا جمة

فنظر الملك في وجه جيلبار وقال . وهل تُظنهم يبغضونني الى هذا الحد . اما الاخطار التي ذكرتهـا فانني اعتقد انها قد مرَّت كما تمرُّ سحابة الصيف واعتقادي هذا مبني على شهادات رجال بوليسي

فهزَّ جيلبار راسه وسكت . فقال الملك ما لك لا تتكلم . فقال جيلبار . انا ليس لي بوليس ياذا الجلال لاعلم ما يعلمون ومع ذلك فانني اعلم ان الاخطار التي حدثت انما هي مقدمة صغيرة وان الاخطار الكبرى . الاخطار المائلة . الاخطار التي تتزعزع لها اسس الارض . قادمة على الابواب

فاصفر وجه الملك لهذا القول . اما جيلبار فقد اراد زيادة التاثير على الملك اقناعاً له فقال . وانني اضرب لحالتنا مثلاً ينطبق على الحقيقة كل الانطباق . نحن الآن كجماعة قائمين على بركان مضطرم . وقد زلزلت بنا الارض لاول مرة من حركة البركان فسلمنا من هذا الزلزال ولكن بقي امامنا انفجار البركان علينا وخروج حممه وناره ودخانه الينا . فيجب ان نستعد لمحاربة هذه المواد المهلكة

فقال الملك مفكرًا تقول انه يجب محاربتها ولكن لو قلت ان نفرَّ منها لكنت اشد قربًا من الصواب

فقال جيلبار كيف الفرار يامولاي

فقال الملك لقد اسمعتك الآن رايي في مسالة المحاربة والفرار . فانني لا احارب شعبي قط على يد اجنبي . اما الفرار فانني لا اعتمد عليه الا اذا رايت حياة الملكة وولدي في خطر اما حياتي انا فلا اسأل عنها ولا اعبأ بها

فابرقت هنا عينا الدكتور جيلبار وقال . دعني يامولاي اجثو على قدميك واشكر لك عن جميع الوطنيين هذه الافكار السامية . ولكن ما الذي يحوجنا الى الاجانب لمحاربة اعدائنا في الداخل اذا كنا نستطيع ذلك بانفسنا . اجبني يامولاي انك تخشى من الثورة ورجالها اليس كذلك . فقال الملك نعم اخشى ذلك . فقال جيلبار ولكن لديَّ طريقتين لانقاذ الملك وفرنسا معًا من هذا الامر . فقال الملك اذكر لي هاتين الطريقتين ايها الدكتور تستحق شكري وشكرها معًا . فقال جيلبار اما الطريقة الاولى فهي ان تضع نفسك يامولاي في مقدمة رجال الثورة وتمشي امامهم في طريق الاصلاح . فقال الملك ولكنهم يدفعونني امامهم الى حيث لا يمكنني الوصول ويحملونني اصنع ما اكره صنعه

فقال جيلبار كلا كلا يامولاي لانك تستعين عليهم حينئذٍ بالطريقة الثانية التي هي وضع الشكيمة لهم . فقال الملك مستغرباً وما هذه الشكيمة

فقال جيلبار هي شكيمة الشهرة والعقل

فقال الملك وما هي

فقال جيلبار هي : ميرابو

فلما لفظ جيلبار هذه الكلمة نظر اليه الملك نظرة من لم يصدق بانه قال ما قال

الفصل السابع عشر

❊ ميرابو ❊

خطيب الثورة الفرنسوية واشدّ عواملها

فعلم جيلبار من نظارة الملك انه يجب ان يجمع قواه كلها لمباحثة الملك بحثاً شديداً فقال وهو ينظر الى الملك . نعم ميرابو يا ذا الجلال . يجب استمالة ميرابو

فالتفت الملك باسماً الى رسم شارل الاول الذي كان هناك وقال — ما كنت تقول يا شارل الاول لو انهم اشاروا عليك والارض تزلزل تحت قدميك ان تعتمد على كرومويل

فاجاب جيلبار لا ريب ان شارل كان يرفض ذلك كل الرفض ويكون مصيباً في رفضه ولكن شتان بين كرومويل وميرابو

فقال الملك ان كنت تعتقد بذلك فانا لا اعتقد به اذ ليس للخيانة درجات لدي بل هي درجة واحدة فالخائن يكون خائناً في اعتقادي سواء كانت خيانته صغيرة او كبيرة

فاجاب جيلبار باحترام نعم ولكن كرومويل وميرابو يامولاي ليسا بخائنين فرفع الملك راسه وقال كيف ذلك . فقال جيلبار وانما احدهما رجل متمرد والثاني نبيل ساخط . فسال الملك ولماذا سخط ميرابو . فاجاب جيلبار . انه ساخط من كل شيء . من ابيه الذي سجنه في قصر ايف وفنسان . من المحاكم التي حكمت عليه مرة بالاعدام . من الملك الذي لا يعبأ بعقله ومواهبه

فقال الملك بحدة ولكن مواهب الانسان انما هي استقامته

فقال جيلبار ما احسن هذا الجواب . ولكن الخبرة من سوء الحظ لا تؤيده . افكان مستقيماً اغسطس يوم اقتسم العالم مع ليبيد وانطوان ثم فتك بالاثنين لينفرد بالسلطة على

العالم . اكان مستقيماً شارلمان الذي سجن اخاه كارلومان في احد الديور ثم رغبةً في التخلص من خصمه و بتيكند الذي كان رجلاً عظيماً مثله امر بقتل جميع اولاد السكسونيين الذين يتجاوز طولهم طول سيفه . اكان مستقيماً لويس الحادي عشر الذي تمرّد على ابيه الحامه والذي وان كان قد خاب مسعاه جعل شارل السابع يموت من الجوع اذ كان يخشى ان يأكل طعاماً مسماً . فكان كمن فرّ من الموت الى الموت . اكان مستقيماً ريشليو الذي كان يحدث في السر مؤامرات ليكشف امرها في العلانية برهاناً على مقدرته و رغبة في الزلفى . وهلم جرّا . فهل كل هؤلاء الرجال العظام كانوا مستقيمين يا مولاي

فقال الملك متنهداً . ولكنك تعلم ياموسيو جيلبار ان ميرابو من رجال الدوق دورليان فكيف اقدر على استمالته . فقال جيلبار ولكن الدوق دورليان قد سافر من باريز فاصبح ميرابو حرّاً . فقال الملك ولكن كيف تطلب مني ان اثق برجل يبيع نفسه . فقال جيلبار . لذلك طريقة وهي ان تشتريه فانك يا مولاي قادر على دفع اعلى ثمن يطلبه فقال الملك ولكنه طماع لا يشبع من المال وربما طلب مليون فرنك . فقال جيلبار اذا كان يرضى بمليون فهو امر هين جدّاً وثق يا مولاي انه يكون اشد نفعاً من اسرة بولينياك التي تاخذ ملايين

فقال الملك بلهجة العتاب : جيلبار فقال جيلبار مراجعاً نفسه عفواً يا مولاي اذا كنت قد اخطأت واذا كان الملك يامرني بالسكوت فانني اسكت . فقال الملك بل تكلم فقال جيلبار قد تكلمت يا مولاي . فقال الملك فلنبحث في كلامك قال جيلبار وهذا احب الامور اليّ لاني اعرف من شؤون ميرابو بقدر ما اعرف من شؤوني . فسأله الملك هل هو صديقك . فقال ليس لي هذا الشرف يا مولاي ومع ذلك فليس لميرابو الا صديق واحد وهو الكونت دي لا مارك من اصدقاء جلالة الملكة . فقال الملك اعرف ذلك وقد عيرناه بصداقته غير مرة . فقال جيلبار بل يجب يا مولاي ان تحكموا عليه بالاعدام اذا كان يترك هذه الصداقة الثمينة . فقال الملك ولكن ما الفائدة لنا من رجل وضيع النسب كالمسيو ريكيتي ميرابو

فقال جيلبار ان ميرابو ليس بوضيع النسب يا مولاي لان اسرته تنتهي الى القرن الحادي عشر ومن قواعد الشرف لدى الملوك اسلاف جلالتكم ان يعتبروا الشريف شريفاً اذا كانت عائلته لا تنتهي الا الى القرن الرابع عشر فقط

اما فائدتنا منه فهي انه قادر على ايقاف تيار الشعب بسحر كلامه وقوة بيانه .

فقال الملك ولكنهم ابلغوني انه ليس بذي نفوذ الى هذا الحد فقال جيلبار ومن ابلغك ذلك يامولاي . فقال الملك رجالي الذين حولي فهز جيلبار راسه وقال ان لهؤلاء غرضاً يامولاي . فقال الملك مدهوشاً وما غرضهم من الوشاية بميرابو اليَّ فقال جيلبار

غرضهم غرض اصحاب العقول الصغيرة الذين يكرهون اصحاب العقول الكبيرة فان رجلاً كميرابو اذا اصبح قريباً من عرش الملك لم يبقَ احدٌ من اولئك الرجال يجترئ على ان يقرب العرش . ذلك لان ميرابو من اعاظم البشر الذين اذا دخلوا المياكل طردوا الباعة منها . اذا اصبح ميرابو من رجالك يا مولاي فقل قد قُضي على رجالك . قُضي على المتملقين المتزلفين الذين يعيشون بالكذب من فتات خبزك . واشرق يومئذٍ للملكية فجر جديد . فماذا يهمك يا مولاي ما يقال عن ميرابو واسرافه وشهواته . خذه اليك . ادفع ما عليه من الديون التي قدرها نصف مليون فرنك . امنحه فوقها مليوناً بل اثنين بل ثلاثة بل عشرة اذ اراد . واجعله بعد ذلك مستشارك بل وزيرك واسمع ما يقوله لك صوته القوي ثم انقل قوله الى فرنسا واوربا والعالم اجمع . ولا تؤخر ذلك يامولاي . لا تؤجله الى وقت آخر فانه ربما ملَّ ميرابو الانتظار وغضب من اهمالك اياه فينصرف عنك الى اعدائك

فقال الملك ولكن الم ينصرف عني اليهم الى الآن . فقال جيلبار كلا يامولاي فانه منصرف عنك في الظاهر ولكنه يعتقد في الباطن بانك مطالبه وتقربه منك . واعتقاده حق لان ملوك العقول يجب ان يكونوا اعواناً لملوك الامم . اتعلم يامولاي ماذا سمعوه يقول في ذلك اليوم في اثناء كلامه على الحالة السياسية الحاضرة . ان هذا الرجل يقرأ في صفحات المستقبل بدقة عجيبة

فاجاب الملك كلا لم اسمع شيئاً . فقال جيلبار لقد سمعوا ميرابو يقول في جلسة ٢١ يونيو وهو يفرك يديه اسفاً « ان هذه الطريق تؤدي الى اعدام الملك » وقال بعد ذلك بثلاثة ايام « ان هؤلاء الاعضاء لا يعلمون انهم يحفرون لغماً هائلاً تحت اقدام الملكية فانهم اذا استمروا في هذه الطريق فان الملك والملكة يقتلان والشعب يصفق طرباً فوق جثتيهما »

فاصفر وجه الملك وارتعدت فرائصه لهذه النبوءة ثم انصرف وجهه بالرغم عنه الى رسم شارل الاول . وبعد ان تردد هنيهة التفت الى جيلبار وقال . ساحادث الملكة في هذا الشان يامسيو جيلبار لعلها ترضى باستدعاء ميرابو وتحادثه اما انا فانني لا احادثه ولا اضع

بدي في يده ولو فقدت عرشي وحياتي

وحينئذٍ دخل حارس وقال للملك ان الشخص الذي ينتظره جلالة الملك قد حضر . فعلم جيلبار انه يجب عليه الخروج من حضرته فانحنى باحترام وقال وهو يتأهب للخروج . أأعتبر نفسي مغلوباً يامولاي ام يبقى لي شيء من الامل . فقال الملك قد قلت لك يامسيو جيلبار انني سافتكر بذلك واحادث الملكة بهذا الشان . فقال جيلبار الامر لجلالتكم ولكنني اسالكم ان لا تخرجوا رسم شارل الاول من هذه الغرفة فانه خطيب بليغ . ثم خرج من لدن جلالته

وفي خروجه ابصر رجلاً داخلاً فتامله فاذا هو المركيز دي فيراس الذي تنبأ كاليوسترو عنه انه سيشنق في ساحة الاعتصاب في باريز

الفصل الثامن عشر

مشروع الفرار

وكان المركيز دي فيراس من نبلاء ذلك الزمان . من اولئك النبلاء الذين يرعون قواعد النسل والشرف مع الملوك ومع رؤسائهم و يدفعون عنهم دفاعهم عن انفسهم

فلما مثل المركيز في حضرة الملك لاطفه جلالته وحادثه فابلغه المركيز انه مرسل الى جلالته من قبل سمو شقيقه الكونت دي بروفنس ليكون في خدمته . فشكره الملك ولما طال الحديث بينهما قال له الملك ساذكرك ايها المركيز حين سنوح الفرصة . وكان هذا القول بمثابة امر له بالخروج

فدهش المركيز لانه كان يتوقع ان يحادثه الملك في امر هام فقال الملك . اهذا كل ما تطلبه مني جلالتكم

فاجاب الملك نعم هذا كل ما اطلبه

ولكن الملك لم يفه بهذه الكلمة حتى تحرك الستار الموضوع على باب داخلي حركة عنيفة وقال منه قائل بصوت قوي . بل بقي لجلالتكم شيء آخر . فالتفت الملك فابصر الملكة

وحينئذٍ دار بين الملك والملكة حديث طويل بشان الهرب من باريز الى الحدود الاجنبية فراراً من الموت او الاسر . فعارض جلالته في هذا المشروع فغضبت الملكة وصاحت به . الا تذكر يامولاي ان الباريزيين قادرون في كل ساعة على الهجوم علينا

وقتنا وامرنا

فنظر اليها الملك نظرة شديدة دلت على انها خرجت عن حدود الواجب في كلامها فراجعت الملكة نفسها امام المركيز دي ففراس وقالت ومع ذلك فلماذا الح عليك ياذا الجلال فانك الآمر المطاع فينا فلك الامر في هذا المشروع

فاجابها الملك اننا نفتكر في هذا الامر ايتها السيدة اما الآن فلم يات وقته بعد ·

وبناء عليه خرج الماركيز دي ففراس من لدن الملك وكانت الملكة قد بعثت تطلبه ليضع خطة لفرار الملك الى مونمادي او الى بروكسل فاخفق سعيه كما تقدم

ولكن لم يخرج المركيز دي ففراس حتى عاد الغيظ والحنق الى الملكة فالتفتت الى لويس السادس عشر وقالت بنزق · آه ياسيدي انني لما علقت رسم شارل الاول في غرفتك حسبت ان منظره كاف لان يعظك ويجعلك تعتبر

ثم انها القت نظرها الى ما حولها فرات آثار زائر فقالت للملك · اظن ان جلالتكم قد قابلت في هذا الصباح رجلاً آخر غير المركيز ففراس

فاجاب الملك نعم قابلت الدكتور جيلبار فهزت الملكة راسها وقالت وما رايه في مشروع الهرب · فقال رايه كرايي · فقالت الملكة غضبى · ولكن اذا كان هذا الرجل يشير عليكم بالعدول عن مشروع الهرب فلا بد انه يكون قد نصح لكم بامر يقوم مقامه

فقال الملك نعم قد نصحني بان نشتري ميرابو · فسالته الملكة ولكن ما الثمن · فاجاب الثمن ٦ او ١٠ ملايين ·· وبسمة منك

فظهرت حينئذ على وجه الملكة لوائح الافتكار والتامل الشديد · ثم قالت · ربما كانت هذه الطريقة طريقة نافعة · فقال وهل ترضين بها · فقالت لا اجيبك لا سلباً ولا ايجاباً حتى افتكر · فدعني افتكر فيها

ثم خرجت وهي تفتكر فيها

الفصل التاسع عشر

الملك والكونت دي شارني

مشروع الفرار

وما خرجت الملكة من لدن الملك حتى نادى الملك احد الحراس وامره باستدعاء

الكونت دي شارني . فذهب الحارس الى الكونت فلما رآه دي شارني ساله أأنت قادم من قبل الملكة فاجاب الحارس كلا ولكن من قبل الملك فقام الكونت مسرعاً لمقابلة مولاه

وكان الملك قد جلس الى مائدة ياكل فلما حضر الكونت امره ان يجلس حتى يفرغ من الطعام لانه معاهد نفسه على ان لا يهتم بشان من الشؤون المهمة وهو ياكل فجلس الكونت على مقعد بازاء الملك فصار الملك يحادثه بشؤون عائلية

فساله عن الكونتس اندري فاجابه انها تعتذر الى جلالتكم عن عدم مقدرتها على الرجوع الى القصر . فحملق لويس السادس عشر في وجه الكونت وقال له هل آلت على ان تعيش خارج القصر فقال الكونت نعم . قال كيف ذلك وهل تفارقنا انت واياها

فاجاب الكونت كلا يامولاي . فانها هي تقيم في قصرها في شارع كوك هيرون وانا اقيم ههنا في خدمة جلالتكم

فزادت حيرة الملك ودهشته فقال له وكيف تعيشان منفصلين هذا الانفصال

فشعر الكونت دي شارني بدمعة تجول في عينيه عند سؤال الملك هذا السؤال ثم انه تنهد وقال هذه ارادة الكونتس يامولاي

ثم فرغ لويس السادس عشر من طعامه فنهض عن المائدة نهوض من اعطى نفسه المادية كل حاجاتها ثم قال لشارني اتبعني الى غرفة اخرى لاحادثك بالشؤون الهامة التي استدعيتك من اجلها

ثم ذهبا الى غرفة شغل الملك ولما دخلا اليها جلس الملك والكونت ثم ان الملك مد يده الى درج سري في مائدة الكتابة واخرج منه كتابا صغيرًا مطويًا فوضعه على المائدة ووضع يده عليه ثم التفت الى الكونت وهو يتامل تامل من عزم على اطلاع جليسه على امر خطير جدًا وقال له . اني اسالك ايها الكونت سؤالاً وهو . ماذا تحكم على حالتي الآن

فدهش شارني لهذا السؤال الذي لم يكن يتوقع ان يلقيه جلالته عليه وبقي مبهوتًا ساكتًا فاعاد عليه السؤال قائلاً ماذا تحكم على حالتي ايها الكونت وما كنت تصنع لو كنت مكاني . اجبني بلا تردد وصرح لي بالحقيقة بتمامها دون ان تخفي شيئًا عني

فاجاب الكونت حينئذٍ باحترام انني لا اجسر على الجواب يامولاي لانني خادم من خدمة جلالتكم اجهل كل المسائل التي يتوقف عليها الحكم

فقال الملك . اسمع يا كونت . اني رايت في ليلتي ٥ و ٦ اكتوبر انك تركت الملكة في اثناء حادثة فرساليا وجئت الي تخفر بابي وجعلت اخاك امام باب الملكة

فقال الكونت نعم يامولاي لانني راس عائلتي وراس العائلة يجب عليه ان يحمي راس المملكة

فقال الملك فمنذ تلك الليلة عرفت مبلغ اخلاصك وغيرتك ولذلك اردت الآن ان اخصك بمهمة سرية في غاية الاهمية . ومن اجل هذا سالتك هذا السؤال وهو : ما حكمك على الحالة الحاضرة يا كونت هل انا الآن مولى باريز او اسيرها . ولو كنت مكاني فماذا كنت تصنع

فقال الكونت مع احترامي لجلالتكم يامولاي اقول اني لو كنت مكانكم وكنت قد سمعت ما سمعتموه من هتاف الشعب للافاييت وميرابو حين قدومكم من فرساليا الى باريز لمددت يميني الى لافاييت و يساري الى ميرابو استميلهما الي

فبهت الملك وعجب من انطباق هذا الجواب على ما اشار عليه به جيلبار فيما تقدم ثم قال للكونت كيف تقول يا كونت هذا القول مع كراهتك للاثنين

فاجاب شارني ان الكراهة شيء يامولاي والسياسة شيء آخر . ومن مصلحة جلالتكم الآن ان تفعلوا ذلك حفظاً لعرش المملكة

فقال الملك وهل ان الشعب الآن غاضب مني ومن عرشي . فقال الكونت كلا يامولاي ان الشعب الحقيقي راض عنكم محب لكم . اما رايتموه امس واليوم يهتف لكم وللملكة اشد هتاف . اما الجماهير التي دخلت الى قصر فرساليا فما هي بالشعب الحقيقي وانما هي عصابات يثيرها دعاة الفتنة والاضطراب . فاذا رغبتم في تسكينها وكبح جماحها فاستميلوا الى الشعب الحقيقي الذي يحبكم واتخذوا لافاييت وميرابو عوناً لكم

فقال الملك هذا ما اشار عليَّ به الدكتور جيلبار في هذا الصباح ايضاً . فقال شارني يسرني جداً ان تكون نصيحتي لمولاي منطبقة على نصيحة رجل عظيم الشان واسع العلم كالدكتور جيلبار

فقال لويس السادس عشر فلنفترض الآن امراً آخر وهو . اننا اردنا ان نؤلف وزارة ندخل فيها لافاييت وميرابو فاخفق سعينا فماذا يبقى علي

فبهت الكونت قليلاً ثم قال يبقى على جلالتكم بعد ان تكونوا قد صنعتم كل ما يجب صنعه ان تسعوا في انقاذ جلالة الملكة وولديكم

الكونت دي شارني . فذهب الحارس الى الكونت فلما رآه دي شارني ساله أأنت قادم من قبل الملكة فاجاب الحارس كلا ولكن من قبل الملك فقام الكونت مسرعاً لمقابلة مولاه

وكان الملك قد جلس الى مائدة ياكل فلما حضر الكونت امره ان يجلس حتى يفرغ من الطعام لانه معاهد نفسه على ان لا يهتم بشان من الشؤون المهمة وهو ياكل فجلس الكونت على مقعد بازاء الملك فصار الملك يحادثه بشؤون عائلية

فساله عن الكونتس اندري فاجابه انها تعتذر الى جلالتكم عن عدم مقدرتها على الرجوع الى القصر . فحملق لويس السادس عشر في وجه الكونت وقال له هل آلت على ان تعيش خارج القصر فقال الكونت نعم . قال كيف ذلك وهل تفارقنا انت واياها

فاجاب الكونت كلا يامولاي . فانها هي تقيم في قصرها في شارع كوك هيرون وانا اقيم ههنا في خدمة جلالتكم

فزادت حيرة الملك ودهشته فقال له وكيف تعيشان منفصلين هذا الانفصال

فشعر الكونت دي شارني بدمعة تجول في عينيه عند سؤال الملك هذا السؤال ثم انه تنهد وقال هذه ارادة الكونتس يامولاي

ثم فرغ لويس السادس عشر من طعامه فنهض عن المائدة نهوض من اعطى نفسه المادية كل حاجاتها ثم قال لشارني اتبعني الى غرفة اخرى لاحادثك بالشؤون الهامة التي استدعيتك من اجلها

ثم ذهبا الى غرفة شغل الملك ولما دخلا اليها جلس الملك والكونت ثم ان الملك مد يده الى درج سري في مائدة الكتابة واخرج منه كتابا صغيراً مطوياً فوضعه على المائدة ووضع يده عليه ثم التفت الى الكونت وهو يتامل تامل من عزم على اطلاع جليسه على امر خطير جداً وقال له . اني اسالك ايها الكونت سؤالاً وهو . ماذا تحكم على حالتي الآن

فدهش شارني لهذا السؤال الذي لم يكن يتوقع ان يلقيه جلالته عليه وبقي مبهوتاً ساكتاً فاعاد عليه السؤال قائلاً ماذا تحكم على حالتي ايها الكونت وما كنت تصنع لو كنت مكاني . اجبني بلا تردد وصرح لي بالحقيقة بتمامها دون ان تخفي شيئاً عني

فاجاب الكونت حينئذٍ باحترام انني لا اجسر على الجواب يامولاي لانني خادم من خدمة جلالتكم اجهل كل المسائل التي يتوقف عليها الحكم

فقال الملك · اسمع يا كونت · انني رايت في ليلتي ٥ و ٦ اكتوبر انك تركت الملكة في اثناء حادثة فرساليا وجئت اليّ تخفر بابي وجعلت اخاك امام باب الملكة

فقال الكونت نعم يامولاي لانني راس عائلتي وراس العائلة يجب عليه ان يحمي راس المملكة

فقال الملك فمنذ تلك الليلة عرفت مبلغ اخلاصك وغيرتك ولذلك اردت الآن ان اخصك بمهمة سرية في غاية الاهمية · ومن اجل هذا سالتك هذا السؤال وهو : ما حكمك على الحالة الحاضرة يا كونت هل انا الآن مولى باريز او اسيرها · ولو كنت مكاني فماذا كنت تصنع

فقال الكونت مع احترامي لجلالتكم يامولاي اقول اني لو كنت مكانكم وكنت قد سمعت ما سمعتموه من هتاف الشعب للافاييت وميرابو حين قدومكم من فرساليا الى باريز لمددت يميني الى لافاييت ويساري الى ميرابو استقبلهما اليّ

فبهت الملك وعجب من انطباق هذا الجواب على ما اشار عليه به جيلبار فيما تقدم ثم قال للكونت كيف تقول يا كونت هذا القول مع كراهتك للاثنين

فاجاب شارني ان الكراهة شيء يامولاي والسياسة شيء آخر · ومن مصلحة جلالتكم الآن ان تفعلوا ذلك حفظاً لعرش المملكة

فقال الملك وهل ان الشعب الآن غاضب مني ومن عرشي · فقال الكونت كلا يامولاي ان الشعب الحقيقي راضٍ عنكم محب لكم · اما رايتموه امس واليوم يهتف لكم وللملكة اشد هتاف · اما الجماهير التي دخلت الى قصر فرساليا فما هي بالشعب الحقيقي وانما هي عصابات يثيرها دعاة الفتنة والاضطراب · فاذا رغبتم في تسكينها وكبح جماحها فاستسلموا الى الشعب الحقيقي الذي يحبكم واتخذوا لافاييت وميرابو عوناً لكم

فقال الملك هذا ما اشار عليّ به الدكتور جيلبار في هذا الصباح ايضاً · فقال شارني يسرني جدًا ان تكون نصيحتي لمولاي منطبقة على نصيحة رجل عظيم الشان واسع العلم كالدكتور جيلبار

فقال لويس السادس عشر فلنفترض الآن امرًا آخر وهو · اننا اردنا ان نؤلف وزارة ندخل فيها لافاييت وميرابو فاخفق سعينا فماذا يبقى عليّ

فبهت الكونت قليلاً ثم قال يبقى على جلالتكم بعد ان تكونوا قد صنعتم كل ما يجب صنعه ان تسعوا في انقاذ جلالة الملكة وولديكم

فقال لويس السادس عشر تعني ان نفرّ من باريز

فقال الكونت اعني ان تلجئوا الى قلعة حصينة على الحدود مثل متزاو نانسي او ستراسبورج لتكونوا في مامن من ثورة الثائرين

فاشرق وجه الملك عند هذا الكلام . ثم سأل شارني . وهب انني رضيت بذلك فاي قائد من قوادي تراه احق بان يدبر هذا الامر ويتولى حراستي . فأجاب شارني لا استطيع الجواب يامولاي لان جميع قوادنا ابطال امناء . قال ولكن لاتخف ان يؤثر قولك على عزمي . انظر هذا الكتاب فانني قد كتبته باسم القائد الذي ساعهد ذلك اليه . ومن ذلك تعلم انني قد عينته فلماذا تخاف من ذكر اسم القائد الذي تراه جديرًا بهذه المهمة

فقال شارني اني ارى الجنرال دي بوليه حاكم متس رجلاً امينًا وقائدًا عظيمًا يامولاي . فضحك لويس السادس عشر ثم تناول الكتاب الذي كان تحت يده وقال لشارني لقد حذرت ايها الكونت الشخص الذي وضعت ثقتي فيه . ثم اراه عنوان الكتاب

فابتلت عينا شارني بالدمع اعتزازًا وابتهاجًا

ثم قال لويس السادس عشر لشارني . اسمع يا كونت انني لا اخفي عنك شيئًا لانني عرفت مبلغ اخلاصك . لقد عرضوا عليّ جملة مشروعات للفرار من باريز . منها مشروع الفرار ليلة ٦ اكتوبر . فقال شارني قد علمت بهذا المشروع فقال لويس السادس عشر ومنها مشروع المسيو برتويل . فسكت دي شارني . فقال لويس السادس عشر ما لك لا تتكلم . فقال شارني ان المسيو برتويل رجل النمسا وساعدها فاخشى يامولاي ان اسؤكم بالكلام عنه

فانحنى لويس السادس عشر صوب شارني وقال . لا تخف شيئًا يا كونت فانني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت

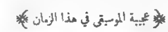
فارتعدت فرائص دي شارني لهذا الكلام . واما لويس السادس عشر فقال . كونت كونت انني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت بل انني اقول بصراحة انني اكره ماري تريزه التي دست السم لابي والتي ارادت التسلط على فرنسا بواسطة الارشيدوقة ماري انطوانت

ولا يخفى ان الارشيدوقة ماري انطوانت هي الملكة



الجزء ٢٢ و٢٣ و٢٤ السنة الثانية

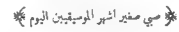
الاسكندرية في (ابريل) سنة ١٩٠١ — محرم سنة ١٣١٩



﴿ عجيبة الموسيقى في هذا الزمان ﴾



(بينو رودريكز اربولا)



﴿ صبي صغير اشهر الموسيقيين اليوم ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

نابغة في فنّ الموسيقى

(بيبيتو رودريكيز اريولا)

سبقه موزارت · تاريخه وكيف ظهرت مواهبه · صفاته واخلاقه · قوته في الموسيقى · بيبيتو والسلام الحميدي · عرضه في معرض باريز وراي البوذيين فيه · اشراق شمسه حين افلت شمس فردي · نتيجة ادبية

ان الامر الذي نقصه على القارىء في هذا الفصل امر مفرد لا شبيه له في تاريخ فن الموسيقى منذ انشاء العالم · فانه لم يُسمع حتى الآن ان ولداً في العام الثاني من عمره يوقع على آلات الموسيقى انغاماً قديمة ويبتكر انغاماً جديدة من غير ان يتعلم فن الموسيقى · نعم ان (موزارت) استاذ الموسيقيين بدأ بالتوقيع وهو في العام الرابع ونصف من عمره وغيره من مشاهير الموسيقيين بدأوا يوقعون الانغام في الخامسة والسادسة ولكنهم كلهم كانوا قد تعلموا التوقيع او حضروا تعليم اخوتهم · اما الولد الذي نحن الآن في صدده فانه لم يتعلم قط على يد استاذ فضلاً عن انه بدأ يوقع الالحان وعمره عامان ونصف · ولذلك تنبأ العارفون بانه اذا استمرّ نمو هذا الولد بحسب الطبيعة والفطرة فانه لا يبلغ سن الرجال حتى يصبح اكبر موسيقيّ في العالم

***

❋ ترجمته وكيف ظهرت مواهبه ❋ واسم هذا الصبي (بيبيتو رودريكز اريولا) وقد ولد في ١٤ دسمبر من عام ١٨٩٦ في بلدة (كورونا) في اسبانيا وهو وحيد لامه · وقد توفي ابوه في عام ولادته وكان رجلاً مشهوراً بقوة الذاكرة ولكنه لم يكن ذا ميل للموسيقى · اما امه فانها كانت تضرب على البيانو وهي في سن الخامسة · وجدته لامه كانت مشهورة بالبراعة في التوقيع على القيثار · هذه حالته من حيث الوراثة

واما الطريقة التي ظهرت بها مواهب هذا الصبي العجيب فقد ذكرتها امه حين عرضته على علماء البسيكولوجيا في معرض باريز في العام الماضي واليك كلامها بنصه · قالت

« اتاني في ذات يوم من احد اصحابي الموسيقيين رقعة موسيقية جديدة (نوطة) فجعلت اوقعها على البيانو واكرر توقيعها . ومن المحتمل ان يكون الصبي قد انتبه الى اللحن ابان توقيعه واصغى اليه اما انا فلم ادر بانتباهه واصغائه . وكان له يومئذٍ من العمر عامان ونصف

« ففي صباح احد الايام كنت في غرفة مجاورة للقاعة التي فيها البيانو فسمعت في هذه الغرفة بدءاً توقع اللحن المذكور وكان التوقيع في غاية المهارة فهرعت لارى الشخص الذي دخل بيتي واخذ يوقع على البيانو من غير استئذاني . فلما اطللت من باب القاعة وجدت ابني في القاعة وحده وهو جالس على مقعد البيانو ويداه عليه (كما ترى في الرسم) فلما رآني صار يضحك ضحكاً شديداً ثم قال « كوكو . ماما » اما انا فاعتقدت لاول وهلة بحدوث عجيبة سماوية حقيقية »

ومنذ هذا الوقت صار الولد يصغي الى الالحان التي توقعها امه و يوقعها بعدها بنفسه . والامر الغريب انه لم يكن يكتفي باعادة توقيع ما يسمعه بل كان يبتكر من عنده انغاماً جديدة في غاية الصحة كأن نفسه مع صغرها ينبوع موسيقي يخرج منه ما شاء اخراجه منها. وقد اشتهر امر هذا الولد في وطنه فقصده في ٤ دسمبر من عام ١٨٩٩ فريق كبير من الموسيقيين ورجال النقد فوقع الصبي امامهم على البيانو توقيعاً اعجبوا به ودهشوا له بالنظر الى سن صاحبه . وكان عمره اذ ذاك ثلاث سنوات فقط . وفي ٢٦ منه طلبت ملكة اسبانيا والملك ابنها ان يجيء بيبيتو الى القصر ليسمعوه فجاءت به امه الى مدريد فوقع امام الملك والملكة والبلاط توقيعاً مدهشاً . فعانقته الملكة وقبلته مراراً و بالغت في توصية امه به . وكان عمره يومئذ ٣ سنوات و١٢ يوماً

***

﴿ صفاته واخلاقه ﴾ اما اخلاق حبيبنا بيبيتو فهي في غاية اللين والسهولة . فانه كما تراه في الرسم صبي لطيف جميل في غاية النباهة كثير الضحك والبشاشة . وهو ذو عينين سوداوين نافذتين تقدحان شرر الذكاء وتدلان على ما وراءهما من كنوز المواهب السامية . وكل حركاته سريعة خفيفة وهو يتأنق فيها تأنقاً ظريفاً

ومن صفاته انه شديد الميل للمزاح والمحادثة والعاب الاولاد . وهو مطيع لامه قلما يعصي لها امراً ولعل ذلك لانها لا تمنع شيئاً يكرهه . وانما يعصيها في حالتين الاولى اذا كان يوقع على البيانو وطلبت امه ان يترك التوقيع وكان لا يروم تركه والثانية اذا كان لا

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

نابغة في فن الموسيقى

(بيبيتو رودريكيز اربولا)

سنه موزارت · تاريخه وكيف ظهرت مواهبه · صفاته واخلاقه · قوته في الموسيقى ·
بيبتو والسلام الحميدي · عرضه في معرض باريز وراي البوذيين فيه ·
اشراق شمسه حين افلت شمس فردي · نتيجة ادبية

ان الامر الذي نقصه على القارئ في هذا الفصل امر مفرد لا شبيه له في تاريخ فن الموسيقى منذ انشاء العالم · فانه لم يُسمع حتى الآن ان ولداً في العام الثاني من عمره يوقع على آلات الموسيقى انغاماً قديمة ويبتكر انغاماً جديدة من غير ان يتعلم فن الموسيقى · نعم ان (موزارت) استاذ الموسيقيين بدأ بالتوقيع وهو في العام الرابع ونصف من عمره وغيره من مشاهير الموسيقيين بدأوا يوقعون الانغام في الخامسة والسادسة ولكنهم كلهم كانوا قد تعلموا التوقيع او حضروا تعليم اخوتهم · اما الولد الذي نحن الآن في صدده فانه لم يتعلم قط على يد استاذ فضلاً عن انه بدأ يوقع الالحان وعمره عامان ونصف· ولذلك تنبأ العارفون بانه اذا استمرَّ نمو هذا الولد بحسب الطبيعة والفطرة فانه لا يبلغ سن الرجال حتى يصبح اكبر موسيقيّ في العالم

***

❊ ترجمته وكيف ظهرت مواهبه ❊ واسم هذا الصبي (بيبيتو رودريكز اربولا) وقد ولد في ١٤ دسمبر من عام ١٨٩٦ في بلدة (كورونا) في اسبانيا وهو وحيد لامه · وقد توفي ابوه في عام ولادته وكان رجلاً مشهوراً بقوة الذاكرة ولكنه لم يكن ذا ميل للموسيقى · اما امه فانها كانت تضرب على البيانو وهي في سن الخامسة· وجدته لامه كانت مشهورة بالبراعة في التوقيع على القيثار · هذه حالته من حيث الوراثة

واما الطريقة التي ظهرت بها مواهب هذا الصبي العجيب فقد ذكرتها امه حين عرضته على علماء البسيكولوجيا في معرض باريز في العام الماضي واليك كلامها بنصه · قالت

« اتاني في ذات يوم من احد اصحابي الموسيقيين رقعة موسيقية جديدة (نوطة) فجعلت اوقعها على البيانو واكرر توقيعها . ومن المحتمل ان يكون الصبي قد انتبه الى اللحن ابان توقيعه واصغى اليه اما انا فلم ادر بانتباهه واصغائه . وكان له يومئذٍ من العمر عامان ونصف

« ففي صباح احد الايام كنت في غرفة مجاورة للقاعة التي فيها البيانو فسمعت في هذه الغرفة بدءا توقيع اللحن المذكور وكان التوقيع في غاية المهارة فبرحت لارى الشخص الذي دخل بيتي واخذ يوقع على البيانو من غير استئذاني . فلما اطللت من باب القاعة وجدت ابني في القاعة وحده وهو جالس على مقعد البيانو ويداه عليه (كما ترى في الرسم) فلما رآني صار يضحك ضحكاً شديداً ثم قال « كوكو . ماما » اما انا فاعتقدت لاول وهلة بحدوث عجيبة سماوية حقيقية »

ومنذ هذا الوقت صار الولد يصغي الى الالحان التي توقعها امه ويوقعها بعدها بنفسه . والامر الغريب انه لم يكن يكتفي باعادة توقيع ما يسمعه بل كان يبتكر من عنده انغاماً جديدة في غاية الصحة كأن نفسه مع صغرها ينبوع موسيقي يخرج منه ما شاء اختراجه منها . وقد اشتهر امر هذا الولد في مدريد فقصده في ٤ دسمبر من عام ١٨٩٩ فريق كبير من الموسيقيين ورجال النقد فوقع الصبي امامهم على البيانو توقيعاً اعجبوا به ودهشوا له بالنظر الى سن صاحبه . وكان عمره اذ ذاك ثلاث سنوات فقط . وفي ٢٦ منه طلبت ملكة اسبانيا والملك ابنها ان يجيء بيبيتو الى القصر ليسمعوه فجاءت به امه الى مدريد فوقع امام الملك والملكة والبلاط توقيعاً مدهشاً . فعانقته الملكة وبناته مراراً وبالغت في توصية امه به . وكان عمره يومئذ ٣ سنوات و١٢ يوماً

***

❀ صفاته واخلاقه ❀ اما اخلاق حبيبنا بيبيتو فهي في غاية اللين والسهولة . فانه كما تراه في الرسم صبي لطيف جميل في غاية النباهة كثير الضحك والبشاشة . وهو ذو عينين سوداوين نافذتين تقدحان شرر الذكاء وتدلان على ما وراءهما من كنوز المواهب السامية . وكل حركاته سريعة خفيفة وهو يتأنق فيها تأنقاً غريباً

ومن صفاته انه شديد الميل للمزاح والمحادثة والعاب الاولاد . وهو مطيع لامه فلما يعصي لها امراً ولعل ذلك لانها لا تصنع شيئاً يكرهه . وانما يعصيها في حالتين الاولى اذا كان يوقع على البيانو وطلبت امه ان يترك التوقيع وكان لا يروم تركه والثانية اذا كان لا

يروم التوقيع وطلبت امه ان يجلس الى البيانو اكراماً لبعض الزائرين او السائلين . ففي هذه الحالتين تتخذ الام معه كل الحيل وكل وسائل الاقناع تحمله على ما تريد . وذلك يصح ان يكون برهاناً على انه لم يتعلم ما يعلمه بطريقة التدريس المنتظمة

اما بنيته فانها قوية لم يُصب بها قط وثقله متوسط ولا اثر لتشويه او ضعف في كل بدنه . واما ذاكرته فانها حسنة ولكنها ليست خارقة للعادة

ولم يتعلم بيبيتو القراءة بعدُ وليس له ميل للرسم ولكنه يلذ له كتابة الانغام الموسيقية التي يوقعها . وله فيها طريقة مضحكة لا يفهمها احد غيره وذلك سيف منتهى الغرابة . فانه يتناول ورقة وقلماً ثم يرسم بالقلم في صدر الورقة بعض خطوط يقول انها اسم اللحن الجديد الذي اخذ يبتكره . ثم يرسم تحت هذا الاسم خطوطاً اخرى كثيرة ويقول انها اجزاء اللحن المذكور . وحين الفراغ من الرسم يجيل فيه نظاره اللطيف مسروراً بعمله ثم يضعه امامه على البيانو ويقول « اسمعوا لاوقعه لكم » يقول هذا ثم يمد انامله الصغيرة الى البيانو فيوقع عليه لحناً مبتكراً جديداً يدهش السامعين . على انه اذا انطفأ المصباح وهو يوقع وغاب عنه الرسم الذي رسمه فانه يتعثر في ايقاعه . وذلك مما يدل على انه يعتمد في الايقاع على الصور التي في نفسه لا على الخطوط التي رسمها على الورقة امامه

***

قوته في مسائل الموسيقى الثلاث ومعلوم ان امهات المسائل في الموسيقى ثلاث : الايقاع او التوقيع . والحفظ . والابتكار . فالايقاع انما هو تعيين الالحان الموجودة بحسب العلامات الموضوعة لها (النوطات) . والحفظ بقاء صور الالحان حاضرة في الذهن حين الايقاع والا وقفت الانامل او شردت فانتقلت الى لحن آخر . والابتكار بمثابة التصنيف والتاليف في الكتابة وهما عبارة عن ايجاد مادة جديدة

الايقاع — اما قوته في الايقاع فانها محصورة في بيانو امه . اي انه لا يستطيع التوقيع على آلة اخرى غيره . واذا وقع على آلة اخرى غلط غلطات كثيرة وذلك لانه أُلف تلك الآلة . وهو يوقع على آلته انغاماً في غاية الصعوبة كنشيد « هابانيره » الفاليسي وقد اتقن « السلام الحيدي » الذي وضعه موزارت الشهير اشد اتقان وبرع في بعض اجزائه براعة عجيبة . ومتى وقعه وقعٌ بيديه معاً واحياناً تتقاطع يداه على مقاطع البيانو فيكون لها منظر جميل جداً . ولكن الاجمل منها منظره حينما يرفع انامله عن البيانو بخفة غريبة في ابان التوقيع ثم يعيدها اليه بهيئة جديدة من غير خلل في التوقيع كما يصنع كبار الموسيقيين .

ولكن من اين تعلم هذه الحركة وكيف اهتدى اليها فان امه لم تحسنها قط ولا تقدر عليها .

وربما شرد عن اللحن في ابان توقيعه فيتوقف هنيهة يجس بها المقاطع ثم يستأنف الايقاع الصحيح كما كان

غير ان ايقاعه لا يزال ناقصاً بالنسبة الى حقيقة الفن وان كان كثيرًا عليه بالنسبة الى صغرسنه . وقد سمعه الموسيقيون وسمعوا امه لانها موسيقية كما تقدم فظهر انها ابرع منه فيما يختص بدقة الايقاع وضبط اللحن ضبطاً محكماً ولكنه ظهر منه ان ايقاعه اشجى واوقع في النفس . فانه اذا وقع لحناً محزناً او مفرحاً او عسكريًا او حماسيًا وضع في توقيعه نكهة غريبة ولهجة عجيبة لا توجدان في توقيع امه . وكل من نظر اندفاعه وتحمسه ابان التوقيع علم ان يديه الصغيرتين اضعف من ان تطاوعاه على اخراج كل ما في نفسه من الصور الموسيقية العظيمة

الحفظ — اما ذاكرته في الموسيقى فهي قوية مع صغرسنه . فان هذا الصبي الذي لا يتجاوز السنة الثالثة ونصفاً من عمره يحفظ ٢٠ لحناً في ذهنه . وقد حفظها بالسمع فقط من غير تدريب معلم . وطريقة ذلك ان تجلس امه الى البيانو وتوقع امامه لحناً يجهله اربع او خمس مرات ثم تنهض عن البيانو فيجلس الصغير حينئذ مكانها ويوقع ذلك اللحن مثلها او احسن منها . فتامل

ومتى وقع الصغير اللحن مرة رسخ في ذهنه فلم ينسه طول عمره . وهو لا يطيق ان تصلح امه توقيعه ولا ان تعلمه شيئاً على الطريقة التي تعلمها بل يحب ان يبقى حرًّا في التوقيع كما يشاء . ولا ريب ان الحق في جانبه فان امه تريد تعليمه بحسب الطرق الصناعية التي تعلمتها اما هو فانه يعتمد في فنه على الطبيعة امه الثانية . بل امه الاولى

الابتكار — اما قوته في الابتكار فقد أشرنا اليها فيما تقدم . فانه اذا جلس الى البيانو واخذ يوقع الالحان عليه تعذر التمييز بين القسم المبتكر الذي هو ابن ساعته في هذه الالحان وبين القسم غير المبتكر منها . ومتى شرع في الابتكار لا يُملى عليه ابدًا بل يجد دائماً لحناً جديدًا . والالحان التي يبتكرها ذات ثلاثة اقسام : التمهيد والوسط والخاتمة كأنه درس طريقة الابتكار على ابرع المعلمين . ويتخلل هذه الاقسام الثلاثة صور شجية واصوات مطربة يشعر السامعون انها جديدة على آذانهم . غير انه لا يُستفاد من هذا القول ان الالحان التي يبتكرها بيبيتو كاملة لا نقص فيها ولكننا ننظر الآن الى ما يحسنه لا الى ما لا يحسنه لاننا نتكلم عن صبي صغير لم يتقن النطق بعد . ومع ذلك فاننا رغبة في

الدلالة على حقيقة قوة پيپيتو في فنه تقول : لو اخذنا ١٨٠٠ فتى عمر كل واحد منهم ١٨ سنة وجعلناهم يصرفون ستة اشهر في تعلم التوقيع على البيانو دون ان يشتغلوا بامر غير هذا الامر لما قدر واحد منهم بعد الاشهر الستة على بلوغ شأو پيپيتو في الايقاع والابتكار مع ان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات ونصفاً

***

❊ پيپيتو في معرض باريز ورأي البوذيين فيه ❊ وكان عمر پيپيتو ٣ سنوات و٧ اشهر و٧ ايام لما عرضته امه في معرض باريز . وقد عرضته على علماء البسيكولوجيا (علم النفس والاخلاق) في المؤتمر الذي عقده في المعرض في ٢١ اغسطس من عام ١٩٠٠ . وكان هذا المؤتمر مؤلفاً من علماء جميع الامم وكلهم من رجال الجد والرزانة والرصانة . فلما دخل عليهم پيپيتو وراء امـه اشرقت وجوههم سروراً بالصبي الموسيقي وابتسموا لذلك الجسم الصغير الضئيل الذي كان امامهم يضم نفساً كبيرة في اول ظهورها

وكان في جملة هؤلاء العلماء عالم بوذي من الهند . ومن المعلوم ان البوذيين يعتقدون بالتناسخ او التقمص وهو ان الانسان يتكرر وجوده في المخلوقات من قرن الى قرن . فلما سمع هذا العالم البوذي الحان پيپيتو دهش مع جميع الحاضرين وقال ان هذا الصبي دليل على صحة مذهب البوذيين في التناسخ فان نفس احد اكابر الموسيقيين متقمصة فيه ولذلك يجيد التوقيع هذه الاجادة

هذا ما قاله عالم الشرق . اما علماء الغرب فانهم عجزوا عن تعليل مسالة پيپيتو لان علم البسيكولوجيا لا يزال علماً حديثاً واصحابه يجهلون اكثر مما يعلمون . غير انهم نصحوا للام ان لا تضغط على عقل صبيها بل تتركه ينمو نمواً طبيعياً ليبلغ اشده واشاروا عليها بان لا تعلمه التوقيع بحسب الطرق المألوفة بل ان تطلق الحرية لمواهبه لتتحرك في دائرة خاصتها

***

❊ نتيجة ادبية ❊ وخلاصة الكلام ان پيپيتو من جملة العجائب في هذا الزمان . ومن حسن الحظ ان مواهبه آخذة بالنمو وذلك مما جعل الموسيقيين يؤملون ان يروه زعيماً لهم في القرن العشرين . وكانوا قد خافوا ان تقف مواهبه عند حد فلا يتم نموها كما يحدث احياناً لكثيرين من الاولاد الذين يكونون في صغرهم آية النباهة والذكاء فاذا شبوا وقويت الواحهم كانوا اناساً من عامة الناس . وكل واحد منـا عرف كثيرين من هؤلاء الاولاد

ولا نريد بذلك اننا رأينا تحت سماء الشرق اولاداً نوابغ كالولد العجيب الذي نحن في صدده وانما نريد به انّ اولادنا لا ينقصهم الذكاء الطبيعي والاستعداد الفطري فيجب علينا الاهتمام الشديد بمساعدة مواهبهم في نموها وان لا نتركهم يشبون مثلاً كالانعام السائمة متخلقين باخلاق الوسط الخشن الذي يعيشون فيه فيقتل ما فيه من اشواك الجهل والفقر ما في نفوسهم من ازهار النباهة والذكاء اذا لم يقتلهم انفسهم بالاهمال وجهل طرق التربية. وما اجدر بنا كلما دخلنا المقابر التي تبتلع في الشرق من الاولاد اضعاف ما تبتلعه في الغرب منهم مع حفظ النسبة بين سكان القسمين ان نقف فوق قبور اولئك الصغار المساكين وقفة ذلك الشاعر اللاتيني القديم الذي كان كلما دخل مقبرة في بلاده قصد قبور الاولاد ووقف عليها ينشد نشيداً بليغاً هذه خلاصته

« في هذه الاجداث الصغيرة اجسام صغيرة لولا الاهمال والفقر لكانت الآن كمصابيح ساطعة في العلم

« تحت هذا التراب اولاد فقراء لو وجدوا وسائل للارتقاء لبلغوا اقصى درجات العلياء

« في هذه الحفرة ايدٍ كانت جديرة بحمل الصولجان . وفي تلك رأسٌ كان خليقاً بحمل اكليل الرئاسة . وفي هاتيك فتى ضاق العالم عن نفسه ولم تسعه غير هذه الحفرة الباردة »

فعسى أن لا يقف على تربة الصبي « بيبيتو » شاعر اسباني ليقول هذا القول الاليم. بل ان يعمر بيبيتو عمراً طويلاً يخدم فيه العالم بمواهبه ثم يموت كما مات «فردي» الايطالي في هذا العام مشهوراً مكرماً . وقد مات (فردي) الشهير في نفس العام الذي ذاعت فيه مواهب بيبيتو فكأنه مات ولسان حاله يقول عنه « انا ذاهبٌ لانه آتٍ » — وهي الكلمة التي قالها لامارتين لما جاء فيكتور هيغو

باب المقالات

سوريا وفلسطين

(بين فرنسا وروسيا والدولة العلية)

السلطان محمد الفاتح و بطريرك اليونان في الاستانة · تخويله السلطة العليا · استقلال روسيا و بلغاريا عنه · الانتخاب الانطاكي · المزاحمة والملاكمة بين اليونان واللاتين في اورشليم · مساعي الجمعية الفلسطينية · فرنسا لا تريد الانصراف من وجه روسيا

عثرنا في احدى المجلات الباريزية الكبرى على فصل لاحد اكابر الكتاب الفرنسويين موضوعه تنازع فرنسا وروسيا النفوذ في سوريا وفلسطين فرأينا من الفائدة تلخيصه للقراء لاطلاعهم على ما يقال عن الدولة العلية العثمانية في البلاد الاوربية · ونحن نلخص هذا الفصل على عهدة كاتبه ونترك للقراء الحكم في صحة الكلام او فساده ويسوءنا اننا لا نقدر لضيق المجال ان ننقله بحروفه

قال الكاتب تحت عنوان « مسالة بين فرنسا وروسيا في الشرق » ما خلاصته

***

ان الشرق خزانة للامور الماضية · فكل حادثة تحدث فيه يجب الرجوع الى اصلها في الماضي لتتمكن من فهمها او حلها · اذًا فلا يستغربنَّ القارىء ان نعود به الى زمن استيلاء الاتراك على الاستانة او الى ازمنة المسيحية الاولى في كلامنا عن المسائل الهامة التي سيرد الكلام عليها فنقول

السلطان محمد الفاتح وبطريرك اليونان

بعد استيلاء محمد الثاني على الاستانة في عام ١٤٥٣ احس بضعف فرسانه عن حماية السلطنة العظمى التي اقدم على تاسيسها من كل الجهات فرأى موادعة الروم (اليونان) ليأمن جانبهم و ينصرف الى الاحتفاظ بملكه الجديد من البلغاريين الذين كانوا يتهددونه في جهة الشمال ومن الفرس الذين كانوا يترصدونه في جهة الجنوب · وكان بطريرك الروم

قد قتل في كنيسة آجيا صوفيا فأمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب خلف له في الحال فانتخب الروم راهباً يدعى جورج سخولاريوس وسموه البطريرك جناديوس الثاني فاحتفل به السلطان محمد الفاتح احتفالاً لم يسبق له مثيل (١) ومنحه امتيازات تجعله حاكماً مطلقاً في شؤون رعيته اليونان دينياً ومدنياً الا في مسالة الحكم بالاعدام. فسرّ البطريرك بهذا المقام العظيم وكان يزداد سروره كلما اوغل السلطان الفاتح في فتوحه لان الفتح كان يزيد سلطة البطريرك على البلاد المفتوحة اذ يضم رعيتها اليونان الى رعيته . فاصبح بطريرك الروم في الاستانة في ذلك العهد رئيساً لامة وكانوا يسمونه « روم باشي » اي رأس الروم وصار حيّ الفنار في الاستانة مركزاً سياسياً يلتف حوله اليونان في الروملي وآسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وجزائر الارخبيل وملدافيا (رومانيا اليوم) والفلاخ وبلغاريا وسربيا والبانيا ومصر وسوريا وفلسطين ؛ وما زالت سلطة البطريرك عظيمة بهذا المقدار حتى ثورة اليونان واستقلالهم عن الدولة العثمانية فانشأوا يومئذ لانفسهم في اثينا كنيسة خاصة بهم

ومنذ هذا الحين بدأ الضعف في سلطة البطريرك المسكوني وزاد الضعف ضعفاً ظهور مناظر عظيم له وهو « العصبية السلافية » اي روسيا

---

(١) ✻ الجامعة ✻ وقد رأينا تفصيل ذلك في الجزء الثالث من « تاريخ الانشقاق » الذي نشره اخيراً سيادة العالم الفاضل الارشيمندريت جراسيموس مسره رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية فآثرنا نقله لفائدته في هذا المقام وهذا نصه

« من بعد ان اتم السلطان محمد الثاني فتح القسطنطينية سمح للمسيحيين بحرية اقامة شعائرهم الدينية تحت حمايته متمتعين بالامان التام واذ علم ان الكرسي القسطنطيني بلا بطريرك سألهم عن الشخص الذي يريدونه بطريركاً وسر سروراً عظيماً حين اجابوه انهم يريدون الراهب جناديوس سخولاريوس فاصدر امره بحضوره. ومن بعد البحث والتنقيب وجد اسيراً عند احد الاتراك في جهات ادرنه . فلما حضر دعاه الى حضرته وخاطبه في جملة مواضيع واثنى على علمه وواسع اطلاعه ومن ثم امر بانتخابه على الاصول المرعية في ايام ملوك الروم . وقد كان ذلك في اواخر سنة ١٤٥٣ او اوائل سنة ١٤٥٤ . فجرى الانتخاب في كنيسة الرسل القديسين وهناك شرطن ودعي جناديوس الثاني . وبعد الشرطونية دعاه السلطان الى غداء على مائدته . فلما مثل بين يديه استقبله بكل ترحاب ومنحه امتيازات كثيرة وسلمه عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة السلطة كما كان يفعل قياصرة الروم . ثم رافقه الى دار البلاط رغماً عن استرحام البطريرك ان يختصر السلطان هذا التنازل

استقلال روسيا

وكانت كنيسة روسيا قد بقيت الى القرن الحادي عشر خاضعة لبطريركية الاستانة · في هذا القرن قام رجار وسلاو الاول امير موسكوفيا (الروس) وخول نفسه حق تعيين اسقف لكييف · فقام النزاع الشديد بينه وبين البطريرك وقد طال زمناً طويلاً · ثم حين فتح الاتراك الاستانة كان ايفانوس الثالث اميرًا على موسكوفيا وكان مقترنًا بحفيدة من الاسرة الامبراطورية اليونانية فلما سقطت هذه الاسرة في الاستانة اعلن ايفانوس الثالث انه وارث عهدها فنادى بنفسه امبراطورًا وزين قصره بالنسر ذي الراسين الذي كان شعارًا لاباطرة الروم وجمع مجامع مقدسة تبحث في المسائل الكنائسية كما كان يصنع الاباطرة · وفي القرن التالي لهذه الحوادث اي في عام ١٥٨٨ انشأ الروس بطريركية في موسكو مستقلة عن بطريركية الاستانة كل الاستقلال · ولكنه لما جاء القيصر بطرس الاكبر الغى البطريركية وابلغ هذا الالغاء الى بطريرك الاستانة بعبارات في غاية المجاملة والاحترام · وقد لقب بطرس الاكبر هذا البطريرك في رسالة « ابانا الروحي الكلي القداسة واكبر رعاة الكنيسة » فكان ذلك اعترافًا منه بسلطته ورئاسته · ولكن بطرس الاكبر انشاء مكان البطريركية الموسكوفية التي الغاها مجمعاً مقدساً (السينودوس الحالي) وجعل نفسه رئيساً له وللكنيسة الروسية · وهو عمل يناقض بعضه بعضاً · فانه اذا كان خاضعاً لبطريركية الاستانة فكيف يخول نفسه حق رئاسة الكنيسة الروسية والاستقلال بها ·

المعظم · وفي الدار كان راس من الجياد السلطانية المطهمة عليه عدة ملوكية مزينة بافخر زينة فاركبه اياه وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوه بشكل نظام بعض امامه وبعض وراءه الى كنيسة الرسل واعطاه حرساً خاصاً من انكشارية جنوده وبالاختصار لم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الا اجراها بل زاد عليها · ولكي يؤيد الامتيازات التي منحه اياها اعطاه البراءة السلطانية ومن مقتضاها ان البطريرك له السلطة العليا على ادارة كل الكنائس والاديرة · وانه له الحق ان يعزل المطارنة والاساقفة · وان الباب العالي بناء على تقريراته يصدر الفرامانات المقتضية · وانه هو الحاكم الاعلى في قضايا الاكليروس وحكمه عليهم نافذ وانها اذا صدرت دعوى على اسقف امام الباب العالي لا يحق له ان يضبطه ويحاكمه بلا رضى البطريرك · وان الكنيسة المسيحية مسموح لها بكل الاملاك والمعابد المبنية منذ القديم لاقامة الشعائر الدينية ولكن لا يسمح ببناء غيرها · وانه لا يغصب احد من المسيحيين على التدين بدين الاسلام الا اذا اراد الشخص بحريته · ثم انه منحه

والصحيح ان بطرس الاكبر كان يريد بذلك القبض على زمام كنيسته وحفظ مكان له في مسائل المسيحية في الشرق ليتداخل فيها كلما اراد المداخلة (١)

انفصال بلغاريا

وكانت المداخلة الاولى بشان بطريركية الاستانة في عام ١٨٦٠ يوم طلبت بلغاريا انشاء كنيسة بلغارية مستقلة. وقد ساعدت روسيا بلغاريا في هذا الطلب لان الاكليروس اليوناني كان كثير الصلف والاستبداد بالشؤون البلغارية . فاذن السلطان عبد العزيز للبلغار في عام ١٨٧٠ بان ينشئوا لهم اسقفية مستقلة فجمع البطريرك في عام ١٨٧٢ مجمعاً عاماً وعرض عليه هذه المسالة فقرر المجمع حرمان الكنيسة البلغارية وقطعها من الكنيسة. فلم يعباء البلغار بذلك لانهم علموا ان الحرمان لا يستنزل صواعق السماء وهكذا انشأوا

ايضاً حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية المختصة بالاروام بكل انواعها اذا عرضت عليه منهم . ومنحه حقاً مطلقاً ان يحكم في الزيجات وما يتعلق فيها وان يضرب ضرائب على الاكليروس والعوام من ابناء امته للقيام باحتياجات الكنيسة وان يكون عنده قواسة وعضرون . ومنح الكنيسة الحق ان تتصرف باملاكها واوقافها تصرفاً حراً . وان يكون البطريرك وائمة الدين معفيين من الاموال الاميرية عن هذه الاملاك . وان يكون كل مسيحي مكلفاً أن يوقف في وصيته ثلث ثروته للكنيسة لتستولي عليها بعد مماته . وكل هذه المواد امر بتنفيذها بالقوة عند الحاجة . وبالاجمال جعل البطريرك رئيس ملة الروم لا دينياً فقط بل مدنياً ايضاً . ومثل هذه الحقوق تقريباً منح المطارنة والاساقفة في كل جهات المملكة وامر بانه لا يجوز تقديم شكوى على احد منهم الا امام الديوان في العاصمة برضى البطريرك كما ذكرنا (تاريخ الانشقاق الجزء ٣ صفحة ٣٤٥)

(١) ✲ الجامعة ✲ يقول المؤرخون انه اذا كان السلطان محمد الفاتح قد اصاب في موادعة الروم بعد فتح الاستانة ليأمن جانبهم وينصرف الى ترصد البلغاريين والفرس الذين كانوا يتهددون ملكه الجديد كما تقدم فانه قد اخطاء في منحه الروم في الاستانة نظاماً مدنياً شبيهاً بالاستقلال التام كما ترى في الفقرة المنقولة عن كتاب الانشقاق في هامش هذا الفصل لان هذا النظام الشبيه بالاستقلال جعل اليونان يلتفون حول رئيس واحد دون ان تتفرق لهم كلمة وبالتالي نبه فيهم روح الاستقلال التام ومكنهم من النهوض اليه والحصول عليه

لهم كنيسة مستقلة لا تدعو للبطريرك اليوناني

البلغار والسرب واليونان في البلقان

ولا يزال هذا البطريرك عاملاً على مقاومة الكنيسة البلغارية لان اليونان يخافون البلغار خوفًا شديدًا لقوة هؤلاء وثبات جاشهم وقناعتهم فضلاً عن مساعدة روسيا لهم . وهم يسمونهم « النسل المتهدد » لان البلغاريين يقولون انهم سيكونون العنصر السائد في شبه جزيرة البلقان كلها . واعظم سعي يسعاه الآن البطريرك اليوناني هو عدم زيادة الاساقفة البلغاريين في ابرشياته لانه يخشى ان يزداد عددهم فيتمكنوا من التغلب على العنصر اليوناني وانتخاب واحد منهم للبطريركية المسكونية وهناك المصيبة الكبرى على اليونان لاسيما وانهم يعلمون ان روسيا تطلب ذلك . ومن اجل هذا يكرهونها تلك الكراهة الشديدة . على ان الاساقفة البلغاريين آخذون في الزيادة فان لهم ٨ ابرشيات في البلاد العثمانية وهم يطلبون اربع عشرة ابرشية في مكدونيا وولاية ادرنه . واما سربيا فانها تسعى ايضاً سعياً حثيثاً في الحصول على ابرشيات سربية جديدة في مكدونيا وسربيا القديمة . وهي تطلب من الباب العالي تارة اعادة انشاء بطريركية سربية في ايبك وهي البطريركية السربية القديمة التي انشاها السرب في العصور الوسطى لما كان لهم الحول والطول والتي حرمها بطريرك الاستانة يومئذ وقطعها من الكنيسة . وتارة تطلب منه ان يعترف بجنسيتها في بلاده كما يعترف بسائر الامم . اما روسيا فانها تساعدها في هذين المطلبين كما تساعد بلغاريا في مطالبها . والدولة العثمانية تعطي هذه ما تاخذه من تلك ولذلك لا تنفك احداها راضية والثانية غاضبة . واما بطريرك الاستانة فانه يقاوم السرب مقاومته للبلغار وقد اضطر البطريرك انثيموس السابع ان يستقيل في عام ١٨٩٧ امام غضب السينودوس في الاستانة لانه تساهل مع السرب في مسالة اسقفية

كرسي انطاكية

وكما حدثت مقاومة من جانب الروس والبلغار والسرب كذلك حدثت مقاومة شديدة من جانب بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية . فان هؤلاء البطاركة كانوا لا يالون جهدًا في دفع مطامع البطريرك المسكوني . وقد ساعدتهم على ذلك الخطوط السلطانية التي نالوها والتي تنقض الامتيازات التي نالها البطريرك اليوناني من السلطان محمد الفاتح كما تقدم . ولذلك صارت الدولة تعتبرهم مستقلين في شؤونهم . واما البطريرك المسكوني فهو يعتبرهم مستقلين في داخليتهم ولكنه لا يعتبرهم منفصلين عن سلطته . وبناء على ذلك كان يتداخل في انتخاب البطريرك حين خلو الكرسي البطريركي ويرشح اسماء من قبله

ولكن حدث اخيرًا في كنيسة انطاكية حادث قضى على ما بقي فيها من سلطة البطريرك المسكونية

ثم قص الكاتب هنا قصة الانتخاب البطريركي الذي حدث في انطاكية في المدة الاخيرة · وغني عن البيان انه يعزو الى روسيا هذه الحركة الوطنية كما عزى اليها الحركة البلغارية · وبعد ان اتى على تفاصيل ذلك الانتخاب بدقة قال

الزحام والنزاع في اورشليم

ولكن سعي روسيا لا يقف عند سوريا بل هو آخذ بالامتداد نحو اورشليم (بيت المقدس) وما هذه الحركة التي ظهرت في سوريا الا تمهيد للحركة الكبرى التي ستحدث في اورشليم · ولا يخفى ان لفرنسا في تلك الجهات وغيرها مصالح كبرى عليها صيانتها · فان النزاع مستمر بين الاكليروس اللاتيني والاكليروس اليوناني في البلاد المقدسة · فقد كان القبر المقدس في عام ١٦٠٤ في ايدي اللاتين وقد استطاعت فرنسا في ذلك العهد ان تعيد الى الكثلكة اكثر الابنية المقدسة التي يرجع اصلها الى عصر المسيحيين الاولين · ولكنه ما مر على ذلك ١٥ عامًا حتى اعاد اليونان الكرة على اللاتين فاستصدروا فرامانات موافقة لهم · ثم صارت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كانت سنة ١٨٠٨ فاحترقت يومئذ كنيسة القبر المقدس ونُهبت مدافن امراء اللاتين فاذن الباب العالي يومئذ لليونان ان يعيدوا بناء الكنيسة فبنوها وابقوها في ايديهم واخذوا فوقها خمسة مذابح كانت للاتين · ولا يزال الفريقان الى الآن يتنازعان الاماكن المقدسة مع انه قد ورد في المادة ٦٢ من معاهدة برلين وجوب ابقاء الحالة الحاضرة كما هي وصدرت في سنة ١٨٥٣ فرمانات بوجوب ان يحفظ كل واحد ما في يده دون ان يطمع الى ما في يد غيره

اما اليونان فانهم اكثر من اللاتين اعتداء لانهم يقولون ان في يدهم صكًا من الخليفة عمر بن الخطاب (رضه) يخولهم الامتيازات دون سواهم مع ان (١) هذا الصك مزور (كذا) ويقولون انهم هم وحدهم ورثاء القديسة هيلانة التي بنت كنيستي القبر وبيت لحم لانها يونانية

---

(١) ✻ الجامعة ✻ لم يختلف مؤرخو العرب في مسالة هذا الصك ولكن بعضهم سكت عنها فلم يذكرها وبعضهم ذكرها · ومن الذين سكتوا عنها المؤرخ ابو الفداء حيث قال في تاريخه عند الكلام على فتح بيت المقدس « واما بيت المقدس فطال حصاره وطلب

وكل واحد من الفريقين يتخذ للاستيلاء على ما في يد الآخر طرقاً لا تليق بالمجاورين للاماكن المقدسة . فتارة القوة وطوراً الخديعة وآونة المباغتة . فان بعضهم قد يكنس دهليزاً بجانب كنيسته ويقيم على كناسته سنة فسنة ثم اذا جاءه خصمه لكناسته نازعه ودافعه عنه وبعد سنتين يدعي ملكية الدهليز ويضمه الى املاكه . ومنهم من يأتي في جنح الليل ويسد بالحجر والطين باباً لكنيسة خصمه استئثاراً بها . نعني ان كل ما يقع في قبضة واحد منهما يصير ملكه وتسفك الدماء في سبيله . ومن هذا القبيل مسألة المرور في كنيسة بيت لحم وهي المسألة التي يكون لها في كل عام شأن عظيم . وتفصيلها باختصار ان لمغارة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح طريقين الاولى من جهة الجنوب وهي لليونان والثانية من جهة الشمال وهي للاتين . ففي ليلة عيد الميلاد عند اليونان من عام ١٨٩٥ اراد الرهبان اليونان في ابان الاحتفال ان يمروا في الطريق الشمالية التي هي للاتين . فوقف الرهبان الفرنسيسكان في وجوههم ومنعوهم من المرور لئلا يدعوا بعد ذلك ان لهم حق المرور من هناك وهو تمهيد الامتلاك . فتضارب الفريقان وتلاحيا ولم يفترقا حتى تداخل البوليس العثماني بينهما . وفي عام ١٨٩٧ تكررت هذه الحادثة وهي تتكرر في كل عام فينقل التلغراف خبرها الى اوروبا لاهميتها ويخوف الناس حتى السفراء انفسهم من ان تفضي الى اسوإ العواقب كما حدث في مسألة سرقة النجمة الفضية في بيت لحم في عام ١٨٤٧ فان هذه المسألة لم تنحل الا تحت اسوار سيباستوبول . وكم من الرهبان اليونان والفرنسيسكان قد قُتلوا في وسط الكنائس اثناء تنازعهم على ملكية الاماكن المقدسة ولو لم يكن للاتين خصم غير اليونان لقدروا عليهم ولم يعبئوا بهم ولكن روسيا واقفة

اهله من ابي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل الشام بشرط ان يكون عمر بن الخطاب متولي امر الصلح فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر رضي الله عنه الى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه» هذا كل ما قاله ابو الفداء عن فتح بيت المقدس وصلحه . واما الواقدي فقد كتب صفحات جميلة بهذا الشان جاء فيها « فلما سمعت الروم (في بيت المقدس) كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخرّ ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم » وقال الواقدي في موضع آخر هذا الكلام الصريح « وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتاباً اي عهداً واقرهم في بلدهم على الجزية »

بالمرصاد وراءهم تشد ازرهم وتساعدهم استناداً الى المادة السابعة من المعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة في عام ١٧٧٤ وفحواها « اعطاء سفراء روسيا حق مباحثة الباب العالي في شوؤن المسيحيين في الشرق » . وفضلاً عن ذلك فان الروس مدفوعون بحكم طبعهم الى اورشليم لانهم قوم صادقون في تدينهم خلافاً لليونان الذين ليسوا في شيء من التدين الصادق . ولذلك اخذوا يسعون اليها سعياً حثيثاً

جمعية فلسطين

فبعد حرب القريم عينت وزارة الخارجية لجنة سمتها لجنة فلسطين وعهدت اليها تدبير امور الحجاج الروس . فانشأت هذه اللجنة الابنية الروسية الاولى في اورشليم وجعلت لروسيا قنصلاً فيها . ولكن هذه اللجنة كانت تسير سيراً بطيئاً لا يوافق رغائب الامة فقام بعض من اكابر الروس في عام ١٨٨٢ وانشئوا تحت رعاية الغرندوق سرجيوس « جمعية فلسطين »

وقد ورد في نظام هذه الجمعية انها جمعية دينية لا دخل للسياسة فيها . اما اعضاؤها فهم من اكابر الروس والاكليروس ويغلب فيها العنصر الروسي القديم ولكن كثيرين من الرجال العصريين يهتمون بها ويخدمونها . ومن الصعب ان يعرف الانسان هل ان الجمعية متسلطة على الحكومة الروسية فتجعلها تصنع ما تريد او ان الحكومة متسلطة على الجمعية وواضعة لها خطة تجري عليها . اما غنى الجمعية فلا حد له . لان الروس يتبرعون لها خاصتهم وعامتهم . وقد انفقت لغاية سنة ١٨٩٠ من ١٥٠ الى ٢٠٠ الف روبل في العام الواحد . اما بعد عام ١٨٩٠ فقد زادت نفقاتها لان اعمالها قد تضاعفت ولو شاءت وطلبت المال من الامة الروسية بالحاح لجاءتها الريالات ملايين ملايين

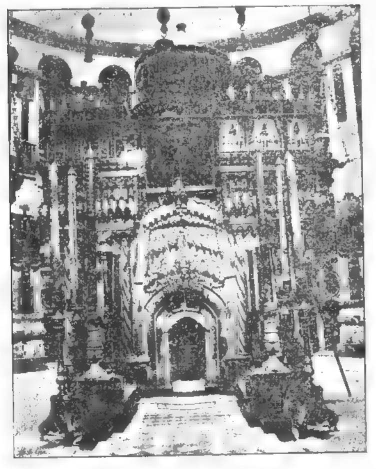
اما غرض هذه الجمعية فهو حماية الحجاج الروس في اورشليم وحض الروس في روسيا على الحج الى اورشليم . وقد اخذت تهتم بتعليم اولاد الارثوذكس في فلسطين وسوريا وهي تعلمهم تعليماً روسياً باللغة الروسية وتبعث بعثات علمية الى جميع الاماكن التي فيها آثار مسيحية لاكتشافها وتؤلف الكتب والكراريس في مواضيع مختلفة وتنشرها بلا عد ولا حساب . وقد اكرهت شركات السكك الحديدية والبواخر على انقاص اجورها فصار الحاج الروسي قادراً على الحج من اقصى بلاد الروس الى اورشليم بمبلغ لا يتجاوز المائة فرنك ذهاباً واياباً . ويفد الى اورشليم من هؤلاء الحجاج في كل عام عشرة الاف روسي مع انه لا يفد من اللاتين اكثر من ٨٠٠ حاج

اصعد الى سفينة من السفن الروسية التي تقل الحجاج من بلادهم تجدهم جالسين افواجاً افواجاً او وقوفاً يصلون امام ايقونة معلقة في سارية السفينة . وهم يصلون منذ الصباح الى المساء. تقدم منهم وسلم من اي ولاية جئتم واية قرية قريتكم تَرَهم يترددون في الجواب لانهم يودون نسيان كل شيء وهم على طريق الحج . وقد سألهم مرة احد المسافرين هل نظرتم في طريقكم المناظر الجميلة في البحر الاسود والبوسفور وشواطئ اليونان ومصر فاجابوه « لم ننظر شيئاً لاننا مشتغلون بالصلاة طول النهار »

فهذا يدل على ان روسيا هي الآن في دور ديني يشبه الدور الديني الذي كان فيه الاوروبيون ايام الحروب الصليبية . فلا بدع ان تكون مندفعة نحو اورشليم هذا الاندفاع. واول ما يطل المسافر على المدينة المقدسة يعرف قوة روسيا فيها من مجرد النظر اليها . فان قباب الكنائس الروسية في المدينة وفي جبل الزيتون تناغي السماء في علوها . والدار الروسية الكبرى المبنية قرب المدينة تسع اكثر من الفي شخص . وهي اذا بنت بنت شيئاً كبيراً قوياً وعلى الخصوص عظيماً يستلفت الانظار ويدل على مبلغ قوتها. وقد اخذت في بناء الديور والملاجئ في كل مكان هناك فانشأت كثيراً منها في الجمانية والناصرة وكل نواحي الجليل . ومع ذلك فانه ليس للروس كنيسة ضمن كنيسة القبر المقدس الكبرى التي تسمى كنيسة القيامة ولم يصل كهنتهم في هذه الكنيسة الا منذ سنتين وذلك في كنيسة الجلجلة . انما يقال ان الاحباش سيبيعونهم الكنيسة التي لهم في داخل كنيسة القبر فاذا تم هذا البيع سرّ الروس به ولكن سروراً خفيفاً لانهم يطلبون اكثر من ذلك بكثير

هذا ما يسعون اليه في جهات فلسطين. واما في جهات سوريا فانه لا يوجد كنائس مقدسة للاستيلاء عليها وانما يوجد شعب يجب استمالته اليها . ولذلك تتساهل الجمعية الفلسطينية مع اساقفته وتجعلهم يربحون ارباحاً تقضي عليهم بالتعلق بها . واعظم اعمال الجمعية في سوريا انشاء المدارس فانها فتحت فيها وفي فلسطين اكثر من مائتي مدرسة الى الآن اما المدارس التي تدفع لها اعانة فيتعذر احصاؤها

واما التعليم في هذه المدارس فهو باللغة الروسية . وهذا هو الامر الذي ادهش الاهالي وجعلهم ينفرون منه . فانهم اعتادوا ان يعلّموا اولادهم اللغة الفرنسوية او الانكليزية لما يؤملونه لهم من وراء هاتين اللغتين من المنافع في التجارة او الاستخدام ولكن اللغة الروسية ماذا يصنعون بها واية فائدة منها. فرغبةً في استمالة الاهالي وازالة نفورهم جعلوا يقولون لهم



﴿ مدخل قبر المسيح في بيت المقدس ﴾
وهو داخل كنيسة القيامة الكبرى وعليه الخلاف
بين الامم المسيحية

« لماذا هذا العناد الا تعلمون ان البلاد ستنتقل من يدٍ الى يدٍ بعد عشرين سنة فيصير الناس لا يحكون فيها الا اللغة الروسية »

وللجمعية الفلسطينية مدرستان لاعداد المعلمين والمعلمات واحدة في بيت جمل قرب اورشليم وهي لتعليم البنات وواحدة في الناصرة وهي لتعليم الفتيان ومتى اتم التلامذة دروسهم فيها ارسلوا انبههم الى اوروسيا ليدخلوا المدارس الكبرى واتخذوا الباقين معلمين ومعلمات في المدارس الصغيرة

وقد يكون مفتشو هذه الجمعية من اكابر رجال الروس علماً ومقاماً وربما كان وكلاء الوزارات انفسهم مفتشين لها يطوفون البلاد لانتقاد مدارسها . ويقولون ان جناب قنصل روسيا الجنرال في دمشق الشام كان من مفتشيها

ولو كانت الجمهورية الفرنسوية قد تخلت عن حماية الكاثوليك في الشرق وعدلت عنها لما جاز لها ان تشكو من وقوف روسيا في وجهها في سوريا وفلسطين ولكن فرنسا لم تعدل عن هذه الحماية ولذلك كثيراً ما حدث ان تناصل روسيا وفرنسا — وهما الدولتان المتصادقتان المتحالفتان يقاومون بعضهم بعضاً في هذه المسائل بشدة وحدة

ومن الغريب ان يعتقد الروس في بطرسبرج اننا قد رضخنا لحكم التقادير وعزمنا على الانصراف من وجههم في سوريا وفلسطين حرصاً على محالفتهم وصداقتهم فاننا لا نرضخ لهذا الحكم واذا كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تنوي الرضوخ له فلتصرح بذلك ليرى كل واحد شأنه اما اذا كانت لا تنوي الرضوخ فيجب عليها السعي في نصرة حزبها والاهتمام به . وليس عظيماً ان ينشأ بين دولتين متحالفتين مسالة كهذه المسالة فان في الامكان عقد اتفاق بشأنها وهذا الاتفاق يرضي الفريقين » انتهى

✽ الجامعة ✽ لخصنا هذه المقالة باختصار كثير بسبب ضيق المقام ومراعاةً للمكان والزمان ولسنا بحاجة الى القول اننا لا نرى راي الكاتب في كثير من الاقوال التي قالها وانما نقلناها على امل ان تكون نافعة ومنبهة للذين نقلناها لهم و بالله التوفيق

―――――

لغة مشتركة بين الانسان والحيوان

يهتم العلماء منذ القديم بوضع لغة عامة يفهمها جميع الناس في اي بلاد كانوا وقد امتاز منهم في هذا الأمر باكون و باسكال وديكارت وليبنيز ولوك و كونديلاك وديدرو وفولتاي وامبير . والظاهر ان التجار ورجال العلم والصناعة في هذا العصر قد عادوا الى هذه المسألة لما رأوه من الحاجة اليها رغبة في سهولة المعاملة بين جميع الامم في العلم والتجارة والفنون فعزموا على تاليف لجنة دولية كبرى للبحث في شؤون اللغة العامة التي يطلبونها وقدم كثيرون من علماء الرياضيات والطبيعة والفسيولوجيا والتاريخ عريضة الى المجمع العلمي في باريز يسالونه فيها الاهتمام بهذه المسالة . وذلك مما يدل على ان اصحاب العريضة معتقدون بامكان الامر الذي يطلبونه

ولكن اذا كان البشر لم يصطلحوا بعد على لغة يتفاهمون بها عامة فقد وُضعت لغة عامة للحيوانات . وضعها الدكتور « ديكروى » الفرنسوي الذي توفي في الشهر الماضي

وقد كان هذا الدكتور رئيساً « لجمعية مقاومة التدخين » في فرنسا فاستطاع تكريه التبغ والتدخين الى اكثر الطبقات الارستوقراتية العليا فيها . ثم جُعل رئيساً للقسم الاول من جمعية تربية الحيوانات فبدت منه في هذه الجمعية على الحيوانات شفقة جعلت الناس يلقبونه « صديقها ورفيقها » . ومن آثار هذه الشفقة وضعه لغة واصطلاحات اذا تعلمها سائقو المركبات والخيل والحمير والبغال وما اشبهها وعلّموا حيواناتهم اياها استراحوا واراحوها من القسوة والضرب والتعذيب التي كثيراً ما يصيبونها بها لعدم فهمها او لسوء فهمها

اما هذه اللغة فهي مؤلفة من اربع كلمات فقط وهي — حي . يحه . حا . حو (١)

(السير) حي

حا (اليمين) (اليسار) يحه

(الوقوف) حو

(١) في الاصل : حي ده ها هو فابدلنا الهاء حاء متابعة للسافة في مصر الشام

فاذا شاء السائق ان يقول للحيوان تقدم صرخ به (حي) وان رام ان يقف صرخ (حو) وان رام ان يسير الى اليمين صرخ (حا) وان رام اليسار صرخ (حه) . وبذلك يكفى السائق والحيوان عناء وعذاباً

ذلك ان كل نزاع يقوم بيننا وبين رفاقنا الحيوانات ينحصر في وقوفها وعنادها حين رغبتنا في ان تسير او سيرها حين رغبتنا في ان تقف فلغتنا معها اذاً مقصورة على الامور التي تقدمت : السير . الوقوف . السير نحو اليمين . السير نحو الشمال

وقد ذكرنا في الرسم الاول اصل هذه اللغة فنرسم الان فرعها

حي حي . سر ركضاً
حي . سر خطوة خطوة

حا : سر في جهة اليمين | حه : سر في جهة الشمال
حاحا : انحرف لليمين من غير سير | حه حه : انحرف للشمال من غير سير

حو . قف
حو حو . ارجع الى وراء

فاذا رام السائق او الراكب اركاض الحيوان صاح به (حي حي) مكرراً هذه الكلمة وان رام ان يسير الهوينا اكتفى (بحي) واحدة . واذا كان يطلب انتقال الحيوان الى الشمال والسير في هذه الجهة صاح (حه) او الى اليمين مع السير صاح (حا) واذا رام الانتقال الى الشمال دون سير كرر (حه حه) او اليمين دون سير ايضاً كرر (حا حا) واذا اراد ايقافه صاح (حو) — خلافاً للاصباح المالوف بين الساقة في مصر والشام وهو « هوش هوش » — واذا رام منه ان يعود الى وراء صاح به « حو حو »

ولكن الصعوبة ليست في وضع هذه الاصطلاحات او في تعليم البشر اياها ولكن في جعل الحيوانات تفهمها . فكيف يعلمون الحيوانات اياها

لذلك طريقة ليست صعبة بقدر ما يظن القارىء وهي

خذ اولاً الكلمة « حي » وهي كلمة الامر من فعل السير وجيء بفرس من افراس عربات النقل وقف وراءه . ثم مره بلهجة لطيفة « حي » فيبقى واقفاً حيث هو دون ان يفهم للكلمة معنى . فارفع صوتك حينئذ قليلاً وناد « حي » فيبقى الفرس ايضاً جامداً في مكانه . فاصرخ بـه حينئذ باعلى صوتك « حي » واردف الصوت بضربة قضيب او سوط على كفله فيثب الفرس بالطبع متقدماً . فدعه يسير مسافة قريبة ثم ناده بفعل الامر « حو » وهـو الامر بالوقوف فيستمر سائراً فارفع صوتك واصرخ به « حو » بلهجة اشد فيبقى سائراً ايضاً فاصرخ للمرة الثالثة باعلى صوتك « حو » واردف ذلك بشد العنان فيقف

فاغتنم حينئذ فرصة وقوفه وامرّ يدك على جبهته ورقبته اشارة الى رضاك عنه لطاعته امرك

ثم كرر هذا التعليم مراراً على الطريقة التي تقدمت حتى يتعلم الفرس ويدرك ان كلمة « حي » القوية يتلوها السوط وكلمة « حو » يتلوها اللجام فيتعلم ان يسير بعد سماعه الاولى ويقف بعد سماعه الثانية . ومتى تعلم هاتين الكلمتين جيداً فاشرع في تعليمه كلمتين اخريين ولكن حذار ان تعلمه اكثر من كلمتين في كل « درس » فانك تضيع عناءك سدى

وقد كتب الدكتور ديكروى عدة مقالات ورسائل بهذا الموضوع يستفزُّ بها الناس الى الرفق بالحيوان ومعاملته باللين لانه رفيقنا وخادمنا الامين في هذه الحياة . وقد اعلن انه يمنح مكافاة لكل سائق يأتيه بفرس مدرب على الطريقة التي تقدمت فجاءه كثيرون من الساقة الذين علموا خيولهم طريقته فنالوا جوائزه . ومن جملة هذه الجوائز مدالية خصوصية جميلة انشاها الدكتور ديكروى لهذا الغرض خاصة وتعرف بمدالية لغة الحيوانات . وقد قال هذا الدكتور ان غرضي من هذا المشروع اسمى مما يظنه بعضهم . فانهم يقولون انني اريد به الرفق بالحيوان فقط مع انني اريد به الرفق بالحيوان والانسان معاً . فان الانسان متى تعلم ان يكون متادباً حتى مع حيواناته فذلك دليل على حدوث ارتقاء حسي في نفسه . واللغة التي اقترح تعميمها بين الساقة في جميع اقطار العالم تكفيهم خشونة القسوة على حيواناتهم وتعلمهم ان يكونوا اكثر تادباً معها

سياحة في غربي اوربا

﴿ كتاب في مقالة ﴾

بقلم حضرة الوجيه الفاضل عزتلو نسيم افندي خلاط الطرابلسي

اعتادت الجامعة ان تزف الى قرائها في كل جزء منها مقالة متضمنة زبدة كتاب من اطايب الكتب فيقرأ فيها القارىء في لحظة ما تعب هي في مطالعته وترتيبه وتلخيصه اياماً طوالاً . فيكون مثلها والقارىء في ذلك مثل من ياخذ خروفاً ويعالجه فيستخرج جميع مواده المغذية ويحصرها في كأس واحدة فيصبح من يتناول هذه الكأس كانه يتناول الخروف كله ...

ولقد راينا القراء راضين كل الرضى عن هذا الاسلوب فعقدنا النية على مواصلة ذلك في كل جزء من اجزاء الجامعة . ووجدنا من الفائدة ان لا نجعل التلخيص مقصوراً على اطايب الكتب الافرنجية او الكتب القديمة بل ان نجعله شاملاً لكل الكتب التي يجب توجيه الانظار اليها وتُرجى الفائدة منها

اما موضوعنا في هذه المقالة فهو كتاب صدر حديثاً ولا يزال تحت التجليد وهو بقلم جناب عزتلو نسيم افندي خلاط احد اعيان طرابلس الشام وعنوانه « سياحة في غربي اوربا » . ومما يسر في هذا الكتاب بنوع خاص انه مكتوب بقلم تاجر غني مشهور بالميل الى العلم والادب لا بقلم كاتب صناعته الكتابة . ولذلك يجب على الكتاب ان ينظروا اليه « بالعين الكليلة » فضلاً عن الاحترام الواجب للمال متى اهتمَّ بالعلم واشتغل به

ونحن كلما راينا المال في الشرق معتنياً بالعلم استبشرنا واتخذنا ذلك دليلاً محسوساً على التقدم . ثم تساءلنا : ايهما يشرف صاحبه . المال الذي يطلب العلم ام العلم الذي يجتذب المال اليه بنفحاته القدسية

ولقد ابتدأت هذه السياحة في الثامن من شهر ابريل (نيسان) من عام ١٩٠٠ فسار المؤلف من طرابلس الى بيروت فبورسعيد فالاسكندرية ومنها سار الى باريز عن طريق مرسيليا فوصلها في ١٢ مايو فزار المعرض وكثيراً مما في باريز وفرساليا من الآثار النفيسة . ثم سار الى لندن فوصلها في التاسع والعشرين منه فزار كثيراً من متاحفها واماكنها العمومية . ثم قصد ليفربول ومنشستر وعاد منها الى فرنسا فسافر الى سويسره وايطاليا ووقف في اطلال رومه وزار مبانيها . ومن هناك كر راجعاً في ١٢ يوليو الى وطنه سوريا عن

طريق الاستانة بعد الوقوف على آثارها

وانما اشرنا الى هذه الاماكن في الاسطر التي تقدمت تمهيداً للكلام الذي سيجيء عنها . لانه لو لم يكن في هذا الكتاب من شيء سوى ذكر الذهاب والاياب ووصف المدن والجدران والابنية والمعروضات والسلع التي شاهدها السائح لما كلفنا القارىء عناء النظر فيها ولكننا رأينا الكتاب يتخلله آراء ادبية وملاحظات جديرة بالاعتبار وامور يلذ للقارىء الاطلاع عليها وافكار وتصورات واقعة احسن موقع في مكانها فرأينا من الفائدة ان نورد اهمها

استقبال جبال ايطاليا

قال حين استقباله جبال ايطاليا

« في صباح السابع من ايار اي بعد مضي ثلاثة ايام ونصف من مبارحتنا الاسكندرية اطلت علينا جبال ايطاليا وكان الهواء ساكناً والبحر هادئاً فذكرني منظرها جبال لبنان حتى خلتهن لعظم المشابهة اخوانا اشقاء شقهن البحر حسداً واوقفهن على جانبيه يتغامزن عليه الى يوم تغيض البحار وتندك الجبال . ثم قابلنا جزيرة سيسيليا فرأينا على قمم جبالها مآزر من الثلج وعلى سهولها وشاحاً مطرزاً بياقوت ترابها وزبرجد نباتها واغراسها الى ان وصلنا الى مضيق ينفرج احياناً ويضيق اخرى رأينا على احدى عطفاته موقع مدينة مسينا فاشرفت عليها عن كثيب فاذا هي بلدة صغيرة كان لها شان في منتصف القرن الحالي غصبته منها اسكلة برنديزي واضاعته عليها ثم نخرت الباخرة في جون راينا على يمينه الفلكان اتنا رابضاً فوق الماء بشكل هرمي تام المخروطية لكننا لم نرَ على راسه اثراً لنار او لدخان كأن القدم والهرم ابلياه بالخمود او اناماه ليستريح من شواغل اضرار الجوار بثورته فتذكرت ما قيل

تبارك من توفاكم بليل ... ويعلم ما جرحتم في النهار »

المقامرة واسطة التعارف

وقال في المقامرة كلمة لطيفة

« وكان البحر بين درجة ٣٦ و٣٩ عرضاً هادئاً والجو صافياً ازالا عني وعن سائر الركاب وعكة الدوار فاستطعت اذ ذاك ان الاحظ اننا كلما اقتربنا من مدينة مرسيليا تزداد السفينة نظافة ويحسن طعامها كان الربان يخشى الملام او عقبى الشكوى اذا اتصلت بمقام ادارة الشركة . وقد كانت الايام التي مرت بين السادس والتاسع من الشهر ايام سرور وحبور

صرفنا معظمها مسامرة واقلها لعباً وقد ثبت وليته لم يثبت لديَّ ان اللعب لمن اشد دواعي التعارف والائتلاف لاني شاهدت اللاعبين المختلفين جنساً ولغة كانهم اخدان واخوان منذ الولادة حال كونهم لم يروا بعضهم يوماً قبل ذلك الحين وما ذلك الاَّ لان الميسر اصبح كجواز سفر يُدخل كل غريب الى الجمعيات على اختلاف اقوامها ومشاربها ولغاتها باسرع من لمح البصر لا يحتاج الى اكثر من وضع يده على جيبهِ . حقاً ان ابليس اللعين لم يفتح عليه بخدعة مضلةٍ لبني الناس اشد مكرًا وضررًا منها »

حمالو مرسيليا وساقتها

وقال في حمالي مرسيليا وساقتها

« رايت حماليهم عند نزولنا من الباخرة الى الرصيف حيث كان الزحام شديدًا وامتعة الركاب ركاماً يتمهلون او يقفون عند نقلها على المساحب المجرورة اذا صادفوا في طريقهم شخصاً واقفاً او يقولون له بلغتهم تفضل ولاي وحدٍ قليلاً ان شئت . ورايت لسائقي المركبات خلة لم اعرفها في بلادي وذلك اني ما اشرت مرةً بطلب سائق وجاء في آخر ولا وقفت امامهم وانا في هيئة مريد الركوب وتسابقوا اليَّ كما يفعلون في طرابلس و بيروت حيث يحيطون بالراكب و يتخاطفونه كحبة قوت القيت في حوض سمك »

مقتل هابيل

ونظر في متحف في مدينة ليون رسماً لمقتل هابيل فقال فيه

« وقد استوقفتني صورة لمقتل هابيل رايته فيها طريحاً معفرًا على الثرى تغشى وجهه الضاحي كدة الموت وصفرته وحواء حوله تتراوح بين ملامح الياس والرجاء والدهشة والحزن وآدم واقفاً مكفهر السحنة غضوباً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال وقايين يعدو مدبرًا يرمق المشهد بلحظٍ خفي — صورة جمعت اقصى ما يستطاع للمخيلة تصوره لذاك الحادث الاثيم غير المسبوق وقوعه في اول عائلة انسانية »

كنيسة المادلين في باريز

« ولما كان دخولي اليها ابان القداس حضرته مرتاحاً لوقوفي على حالة لم اعهدها في الشرق وذلك من حيث السكينة والهدوء الشاملين الكنيسة والمصلين فيها على اتساعها ومن سماعي صلاة الكاهن والبعد بيني وبينه لا يقل عن خمسين مترًا . حالة ولا بد تأتت عن السكينة وعن احكام هندسة البناء حتى ليكاد يسمع فيها همس المصلي ولو كنت في

اقصاها. ثم انصرفت منها مفكرًا بهندسة كنيسة طرابلس الجديدة التي لا تُسمع فيها الصلاة الا لغطاً لسوء الهندسة »

متحف كرافين

« ورحت الى متحف كرافين حيث التماثيل الشمعية فادهشني ما رايت من دقة التشبيه واتقان التمثيل حتى كدت لا اميز بينها و بين الاحياء الوقوف والمتفرجين في ذلك الايوان ولقد اضحكتني سيدة كانت جالسة على مقعد بقرب احدى التماثيل لما حدقت نظري فيها لاتبينها ان كانت تمثالاً او بشرًا حياً بحملقتها بوجهي وتبسمها لان الكلام بحسب الاداب الاوربية ممنوع مع من لا يعرفونه ولو في هذا الظرف المفضل فيه ادباً الكلام على الحلقة كما لا يخفى »

وقد رأى في هذا المتحف « كتشنر باشا في سفينة راسية امام فشوده جالساً والى جانبه القائد مرشان ونجت باشا ينظرون في خريطة منشورة على طبلة وهو ينص على مرشان ورفقائه شروط خروجهم من الخطة المجاورة النيل التي افتحموها باغي عزائمهم »

المولين روج

« وقد حضرت غير مرة في ملعب « مولين روج » حيث يتناهى فيه الممثلون باشارات التهتك وعبارات اقبح المجون والرقص المائل المرتج فسالت سيدة انكليزية كانت وزوجها فيه على قرب مني عما تراه في هذه المشاهد فاجابت انها رات في سياحتها مع زوجها في مصر رقصاً اكثر عيباً واشد بلاء على الشبيبة ونظرت في اواسط افريقيا وفي جهات من جنوبي اميركا من مشاهد الخلاعة والقصف حتى بين الامم المتحفزة الى التمدن ما يحسب هذا بالنسبة اليه ادبياً محتشماً ثم اردفت كلامها بقولها ان الحشمة في الناس نسبية لن يتم لها الكمال اصلاً وان اطالة البحث فيها تاريخياً ربما يفضي الى الظن بانها قهرية لا اختيارية . انتهى .

وقد رايت في هذه المراقص وفي غيرها من غرائب حركات الراقصات ما يستوقف النظر ويحير الفكر ويوجب الاندهاش واشدها غرابة ان الراقصة تنهض باحدى رجليها الى ام راسها ثم تلفت القدم على قذالها حتى تمس اخمصها على الخد الايمن اذا كانت المرفوعة يسرى وتظل راقصةً على رجل واحدة على وفاق توقيع انغام الموسيقى »

المعرض المصري

« ورايت المعرض المصري غير حاوٍ الا ما يصنعه الاجانب من حلي ومصاغ وما كل

وحلوى لا ما يصنع ويطبخ في قطرها السعيد غير اني رايت على باب معرضها جوقاً من الضار بين على الدربكة والنافخين على المزمار والعازفين على العود وشممت عند الدخول اليه رائحة الند وشربت فيه القهوة على توركا لكن بثمن غال ورايت على جدرانه في الخارج رسوم تماثيل واصنام مصر بقلم الاجانب عنها ولعل المعرض العثماني لا يختلف عن هذه الهيئة كثيراً او انه يرجح على ما مرّ لاختصار ملتزم مرسحه زمرة من القيان الحسان من اطراف الشام واواسط لبنان لابسات ملابس مهجورة استلفاتاً للنظر واستجلاباً للمتفرجين . يسق في احدى زواياه الضيقة القهوة على توركا والاركيلة بالفحم الحجري فاظنه واثمان سابقيه غير قالحين »

ابرع ممثل باريز

«وبعد تناول العشاء ذهبتُ الى تياترمارتن المختص بالمشخص الشهير المسيو كوكلين فدخلته في الساعة الثامنة بعد الظهر فوجدته غاصاً بالحضور ولولا مساعدة صديق لامتنع عليّ الحصول على تذكرة الدخول وفي الساعة الثامنة ونصف ارتفع ستار المرسح وبعد هنيهة برز كوكلين فدوى المكان وارتج تصفيقاً له وهكذا كان كلما اضحك بتشخيصه او ابكى يقوم له الحضور تكريماً وتهليلاً حتى اذا انتهت فصول الرواية رجعت الى فراشي متفكراً كيف يكافأ من يبرع في حرفته في هذه البلاد وكيف يُعرض عمن نجب في بلادنا في امر من الامور »

التقدم والدماء

وقد وصف قبر نابوليون الاول في سراي الانفليد وصفاً جميلاً اردفه بقوله « ان الفرنسو يين قوم يعشقون بل يعبدون العظمة الوطنية مهما اختلفت آراؤهم وصبغاتهم ويجلّون من يوصلهم اليها باي الطرق سواء كان بالانتصار الملوث بالدم او بالاكتشافات النافعة او بالمشروعات التجارية الجسيمة . ويحبون الكسب ويطلبونه بكل الوسائل لكنهم يناقشون عظماءهم الحساب عن اقل غلط ولا يخجلون فيما لو ذموهم بعد المدح » ثم قال عند كلامه على « البانثيون » الذي هو مدافن الرجال العظام ان الحكومة اخذت تقرب القبور بعضها من بعض لتفسح مجالاً لرجالها القادمين اليه لانها انتبهت الى كثرة عددهم . واردف ذلك بهذا الفكر البديع « انقص الله عدد من يصل اليه على ظهور الناس واعناقهم ملوثاً بدمائهم وزاد في عدد من يبلغه حاملاً علم الفضل والرفق والانسانية » ولعل هذه العبارة ابلغ ما في الكتاب

اما حكم المؤلف على الفرنسويين واخلاقهم وتاريخهم الحديث منذ الثورة فقد دل على انه ممن لا يحبونهم وكثيرًا ما كان في كلامه تحامل عليهم . وقد ظلم معرضهم باستصغاره ونسبة الفشل والخسارة اليه

نكتة

« والاعجب من كل ذلك ان من النساء من يتخذن مراحيض في معاطف الطرق وفي بهوات نفس المعرض العام ويدعون اصحاب الحاجة اليها ببدل معلوم قدره عشرون سنتًا فاذا نهض الطالب دون قضاء الحاجة لامساك عارض وهمّ بالخروج من باب الكنيف ثم احس وجلس ثانيةً على المقعد تقاضته اجرة مرتين فان ابان العذر علت وجهها صفرة السماجة لا حمرة الخجل وزودته باشنع الالفاظ — حكاية كنت لا اثبتها لولا النكتة فيها » اما نحن فقد اثبتناها لنقول بانه كان الاولى بحضرة المؤلف ان لا يثبتها

كتاب عربي

ولما زار مكتبة باريز الكبرى عثر على كتاب عربي مفتوح على المحفظة بين الكتب المجموعة في القرن الرابع عشر فقرأ في صفحته اليمنى هذه العبارة « انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله لم يبق صافٍ ولا مصافٍ ولا معين ولا مُعين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا يمين » وفي الصفحة اليسرى « مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعدّيها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت رقعة من الرقاع فقال تعسًا لك يا لكاع » وفي هذا الكتاب رسوم ملونة تمثل رجالاً وفرسانًا من الاسلام . ومن الاسف ان المؤلف لم يخبر عن اسم الكتاب

المعرض الروسي

« وظننت قبل الدخول اليه انني لا اجد فيه شيئًا يستحسن لما نقرأه في صحف القوم وعلى الخصوص صحف الانكليز من تاخرها في الصنائع وفي كل شيء حسن فاذا به من مصنوعات البلور والاجواخ والفرو واطعمة الخيل ما تفضل بها على الاكثر مصنوعات الممالك الا فرنسا وفيه رايت الخريطة التي اهداها قيصرها الى بلدية باريس وهي بقدر الزراع مربعًا حوت رسم مملكة فرنسا وكل اقليم بجوهر كريم غير ما ترصع به الاقليم الآخر من ياقوت والماس وزبرجد وعقيق الخ وتلبس ما حولها وما فيها من البحور باللازورد الازرق مكتوبًا عليها اسم كل اقليم بحروف من ذهب . هدية سنية كلفت خزانة القيصر مليونًا ونصف مليون من الفرنكات »

مصر في فرساليا

« ورايت على جدران احدى المخادع في قصور فرساليا صور ستة رجال من علماء مصر وكبرائها منها واحدة لعالم من عائلة السادات الوفائية واخرى للمعلم جرجس الجوهري واخرى للشيخ الشرقاوي

راي الفرنسويين في حكومتهم

« واعجب من هذا اني وجدت في من حادثته من ساقة المركبات المامًا بسياسة البلاد فمنهم من اجابني على سوءالي عما يراه في حالة الحكومة بقوله « اني لا احب هذه الحكومة لانه يتولاها رجال لاهمَّ لهم غير الشهرة » وسالت آخر فقال « ان رئيس الجمهورية محالف اليهود » وثالثًا قال « ان الراي لاصلاح الحكومة انما قاله مسيو درولد المنفي الآن في اسبانيا » فقلت له وما رايه قال « اذا لم يكن الرئيس منتخبًا بالصوت العام فلا شرع في الامة » ورابعًا قال « انا كنا قبل سنة ١٨٧٠ تحت حكم يلوح عليه صبغة الاستبداد فاصبحنا منذ ذلك التاريخ تحت حكم اللصوص » وخامسًا قال « لقد بعد عنا عهد الحكم الملكي المطلق حتى امسينا لا نعرف شيئًا كثيرًا عنه غير ما نقرأه في المؤلفات المتضاربة بحسب اهواء كتبتها . لكن الحكومة الامبراطورية لقرب عهدها منا ما برحنا نذكرها بالخير ونظنها احسن حكومة تناسب بلادنا »

نقول ولكن الاعجب منه ان لا يكون بين هؤلاء الخمسة واحد راضيًا عن الحكومة الحاضرة

خيول باريز

« اني لم ارَ فرسًا مركوبًا او جارًا مركبة الا وقد بُتر ذنبه كانه عضوٌ اخطأت الطبيعة في وضعه في اقفية الخيل او ان راكبه يقوم مقام الذنب في دفع اذى الذباب عنه حتى خشيت مع الاستمرار على البتر ان تاتي مواليده بحسب ناموس الوراثة المكتسبة مبتورة الذنب ويصبح الذنب للفرس كما اصبح على رأي داروين للانسان عضوًا اثريًا . غير اني مدحت من اصحاب الخيول اعتناءهم بهما لاني لم ارَ حيوانًا مركوبًا او يجر مركبة الا وهو قوي ممتلئ الجسم لا كالحيوانات الحاوية البطون المزيلة المشدودة من الصباح الى المساء بين طرابلس واسكلتها »

عملية خياط

« ولما اصبح السادس والعشرون من الشهر ذهبت الى حانوت خياط كنت بالامس فصلت

عنده ثياباً فلما البسنيها للتجربة تباعد عني قليلاً ثم دار حولي ثم تقرب مني ببطء واخذ يرفع يداً وينزل اخرى وينهض رامي ثم يطاطئه ويشكل دبوساً وينزع آخر حتى كدت ازهق كما ازهق روحي عند التفصيل فانه وضع زاوية تحت ابطي وجيباً هندسياً فوق صلبي ثم اخذ بالقياس وصار يمر القياس والادوات المذكورة على العضو الواحد طولاً وعرضاً فقد قاس بين الرسغ والكعب وبين الركبة والفخذ وبين الكتف والذراع لا اقل من عشر مرات وانا واقف صابر حتى اذا انتهى من عملية التشريح على الوجه المشروح سالته وما الداعي الى كل هذا العمل الشاق فاجابني فوراً ان لم يكن كذلك فباي شيء تفضل باريس غيرها»

المسلة المصرية

« ومررت بساحة الكونكورد وكنت قبل اليوم طرقتها مراراً دون ان تناجيني المسلة المصرية الواقفة في منتصفها وهي المنقولة من مصر اليها سنة ١٨٣٦ كما ناجتني الان بلسان حالها تسالني وكانها علمت بمجيئي من ارض ابآئها عن حال اخواتها الباقيات في تلك الديار وتقول هل علمن اني احضرت ذليلة الى هذا الموقف واني ما برحت باكية على اغترابي شاكية من ظلم التمدن الحالي كيف اباح اختطافي واستئساري وقد تظاهر بمنع الاختطاف والاسر . او ليس في استعباد الاثر والمتاع ما في استعباد النفس من المغبة والظلم الخ. فاطرقت ولسان حالي يقول . ما دام لك عمر يطاول الاجيال لا بد من يوم تاتيك صروفه بما يفرج عنك وينسيك الغربة. اما انا فلست بالباقي الى حين الصيحة الكبرى وتبدل الاحوال »

سواد لندن

« وقد شاهدت اثناء جولاني في شوارع لندن ان كل ظواهر بناياتها وجدرانها مدهونة بلون اسود قاتم فسألت وما السبب لاختيارهم هذا اللون على غيره من الالوان الزاهية اجبت انه لم يكن عن قصد بل جاءهم عفواً وكرماً من الدخان المتصاعد ليلاً ونهاراً من مداخن المعامل ومطابخ بلد حوت من السكان ما ناهز الستة ملايين نفساً ثم انتبهت الى يديَّ وعنقي واكمام قميصي فوجدتها قد صبغت بالدهان الفاحم كما صبغ بصاقي وما حواه المعطس »

احترام النساء في اوربا

« ان الشيء الوحيد الذي تعاب به هذه البلاد انما هو تغالي اهلها في تسويد النساء على الرجال ليس من جهة وجوب احترامهن وتقديم السجدة لهن في البيوت والمحافل والشوارع والمركبات وسكك الحديد والسفن والسلالم (كنت اكشف راسي من اول السلم خيفة

ان تفاجئني سيدة فيها وأكون غافلاً عن كشفه لعدم اعتيادي كشف الراس) وتقديمهن على الرجال في كل محفل وطرد واهانة من يتجاسر على التدخين بحضرتهن بل فيما اعطينه من السيادة العلياء والسطوة الشماء على الحكام والحكومة وقد سمعت باذني من اولي الوقوف والادراك ان المرأة في باريز اذا وقفت او وقف ظلها في طريق حق ضاع ذلك الحق على صاحبه واذا لطمت رجلاً على قارعة الطريق او داست عنقه وابدى ادنى شكوى او تأفف من فعلها رجمه القوم برجوم من السباب والتعيير كأن المرأة معبود لا يُسأل عما يفعل ولهذا تراهن آمنات في عروشهن حاميات ذمار بعولهن واقاربهن متكئات على وسائدهن كأنهن عند انفاذ اغراضهن لم يحركن خنصرًا او ماشيات في الشوارع مشية الطاؤوس بخترة وريشًا وبرقشة فويل لمن لا يوسع لهن طريقاً عند الاصطكاك او يدوس لاذيالهن ذَنَبًا في الجامع المزدحمة والمراقص الحافلة. هذا ومن عزلهن من سلاح حق اعطاء الراي في الانتخابات العمومية فكيف بهن اذا اعطينه »

نيل مصر في الفاتيكان

« ورايت في غير حجرة في متحف الفاتيكان تمثالاً لنهر النيل جسيماً ماهياً عليه من علامات الشيخوخة الغضون ومن الشبيبة غضاضة العضل ضخيماً مسنود الراس على وسادة وعلى جسمه ستة عشر طفلاً عراة مثله منهم من هو واقف على مساواة سطح فراشه ومنهم من يتسلق فخذه ومنهم من صعد الى صدره ومنهم الى عنقه وآخرون الى لحيته وآخرهم الى قمة راسه مادًّا يده اشارة الى معنى كفى . فهذا التمثال واطفاله الستة عشر كناية عن النيل وعن زيادته تدريجاً والواقف على هامه رمز عن وصول زيادته لحد الطغيان »

زيارة البطريرك المسكوني . والانتخاب الانطاكي

وفي اليوم الرابع من يوليو وصل الى الاستانة فزار فيها عمود قيصر واضرحة السلاطين والمسلة المصرية والحية النحاسية ومعرض التماثيل الشمعية الذي تمثل فيه ازياء الجنود العثمانية واسلحتهم وجامع السلطان احمد وجامع آجيا صوفيا الكبير وقد اسهب في وصفها . وفي صباح اليوم السادس منه قصد حي الفنار لزيارة البطريرك المسكوني صاحب الغبطة قسطنطين الرابع الذي استقال حديثاً « فرايته ربع القوام صبيح الوجه وضاحه حنطي اللون خالطه الشيب كانه في آخر درجات الكهولة . وهو انيس المحاضرة يحسن التكلم بالافرنسية » وقد دار بينهما حديث طويل عن الانتخاب الانطاكي فاعترض غبطته على صحة الانتخاب وقال له ان ارثوذكس سوريا الذين يطلبون لانفسهم بطريركاً عربياً « ليسوا باعراب من

البلاد العربية بل هم من ارومة يونانية تعلموا العربية عقيب الفتح الاسلامي لا كما يدعي الآن بعض مجازيهم » فقال الزائر كما ورد في كتابه « ان الاولى بنزاهتكم وغيرتكم على الملة في اي يد كانت ازمتها ان تتفضلوا بمعاودة الصلة الروحية مع بطاريركنا الجديد كيلا يقال ان البعض لبولس والآخر لا بلوس » فاجاب « ان من احب الاشياء عندي ان اسمع عن تمتع جميع الكنائس بالراحة والهناء وارتباط اعضائها برباط الحب الصادق والوئام لكن قد يسوءني ما يبلغني من حين الى حين من اخبار الهرج والتقاطع والتباغض والتخاصم الواقع بين اعضاء ابرشيتكم الطرابلسية دون اكثر ابرشيات الكرسي الانطاكي نفسه فلو صرف مطرانكم الموصوف بالفضل والتقوى جهدًا في ملافاة هذا الخلل المعيب يساوي نصف ما صرفه في المسالة البطريركية كما بلغني لكان قام بخدمة لرب الكنيسة ولرعيته يُثاب عليها يوم يُسأل كل راعٍ عن رعيته ولكان قدّم بخورًا ذكي الرائحة امام العرش الالهي . وليته علم او يعلم ان التاريخ والناس اجمع لا يثبتون الفضل والحكمة لمن يتصدى للقيام بمشروع كبير او يتجشم ادارة مملكة ويكون مهملاً ومتراخيًا عن ادارة بيته . فالتمستُ اذ ذاك عن نيافة راعينا اعذارًا بكثرة مهامه واشغاله وافتتان رعيته وتعاقب غيابه عن كرسيه . قال اجلْ ما لمحتُ فيك من الاخلاص والتنكب عن المداهنة ان تلتمس عذرًا لقصوره في اهم ما يجب عليه بمثل كثرة اشغاله وافتتان رعيته وتعاقب اسفاره لان الرئيس الفاضل يقدّم الاهم على المهم ولا يُعد فاضلاً ما لم يمهد جبالاً من العثرات ويغلب ابليس في قومه . ثم انصرفنا نثني على لطفه ودعته وبلاغة عبارته »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب . على انه يحتوي هنا وهناك كثيرًا من الملاحظات والافكار التي يجدر الالتفات اليها . منها قوله عن وضع تمثال للوزير ديزرئيلي بازاء كنيسة وستمنستر « فاجللت امةً تضع تمثالاً في كنائسها وبين آثار ملوكها وتماثيل عظمائها لرجل نبغ فيها من ارومة يهودية وقد مات مشكوكاً بنصرانيته » وقوله في لندن « لم ارَ في الامكنة التي زرتها اثرًا للبعوض والبق والبراغيث والذباب حتى كدت احكم ان هذه الاحياء ليست من فاطني تلك الاصقاع وطوبتُ بلادًا بلغت فيها النظافة ان تنفي احياء خُلقت منذ الازل لتكون عقابًا للانسان على الاقذار والوساخة » وقوله عن الايطاليين « فوجدت اهل مراتب الدنيا منهم اقل احتلابًا لجيوب الاغراب واكثر حياء في استدرار الايدي من جيرانهم الفرنسويين » وفي الصفحة ١٣١ كلام عن التنازع بين

العمل والمال والمذاهب السياسية والاشتراكية يدل على ان كاتبه من حزب اصحاب الاموال الراضين عن الحالة الحاضرة كل الرضى . وقوله عن اخلاق الاتراك « هم قوم يأبنون لكل كلام لطيف ولو كانوا في اشد حالات الغيظ ويكرمون النزيل والجار ولا يأنفون من تحية الغريب ويغضون الطرف عن هفوات لا يغض عنها غيرهم من الامم الا اذا كان لها مساس في الشان الوطني » وقوله عن توقيت مواعيد الطعام في انكلترا « وخرجت باكرًا من حجرتي كي اتناول طعام الصباح كأن المعدة في انكلترا غيرها فيما سواها تراقب مواقيت الطعام مراقبة المشوق المستهام » وغير ذلك كثير

هذا ولا يؤخذ على المؤلف بعض هفوات او اصطلاحات في كتابه مثل كتابته (نوترضام) مكان (نوتردام) و(مضام) مكان (مدام) و(غائر) بدل مغير و(الملي) بدل (الوطني) — لان الملة شيء والوطن شيء آخر وهذا امر نعرفه جيدًا في الشرق — وكقوله التغالي بدلاً من المغالاة . وغير ذلك . فان الكتّاب انفسهم كثيرًا ما يسقطون في مثل هذه الهنات . ولم يكن يطلب من سائح دقيق النظر ليست صناعته الكتابة الالتفات اليها ولكن الى ما وراءها من الفوائد والافكار الحسنة وعوائد القوم . وقد جاءنا بكثير من هذه الافكار والعوائد والفوائد وان كان بعضها لا يسلم من التحيز والاعتلال . فنثني على همته وفضله خير ثناء ونرجو ان يكثر الله امثاله بيننا من الاغنياء

وقد نظم حضرة العلامة المفضال صاحب الفضيلة الشيخ حسين الجسر من اكابر علماء طرابلس الشام بيتين شائقين قرظ بهما رحلة صديقه النسيم وهذا نصها

قالوا نسيم اللطف حرر رحلةً ... اهدى بها للشرق عرف المغرب
لا تعجبوا ان النسيم اذا سرى ... اهدى سراه كل عرف طيب

المسلمون في بلاد الصين

﴿ وارسال وفد دبني اليهم ﴾

الاسلام في الصين· ثورة اسلامية كادت تثل عرش الصين منذ ٣٠ سنة · ترجمة زعيمها وهو امام مسلم في الصين عالي الهمة يجهله المسلمون · لولا اختلاف المسلمين لكانت الصين الآن سلطنة اسلامية · قصة للمسعودي عن الصين

للمسلمين في الصين تاريخ كبير راينا ان نقصه على القراء بمناسبة ارسال الخلافة الاسلامية وفداً دينياً اليهم· وقد وصفناه « بكبير » لان حوادثه بلغت من الكبر والاهمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما كاد يقضي على الصين ويملك المسلمين ناصيتها · ولو تم هذا الامر لتجدد شباب تلك الدولة القديمة الضخمة ولما كانت حيث هي من اوروبا اليوم · ولبيان ذلك نقول

﴿ الاسلام في الصين ﴾ ان الاسلام دخل الى الصين مع تجار العرب والفرس الذين كانوا يترددون على الثغور الصينية منذ صدر الاسلام · وما برحت التجارة قبل ذلك العهد وبعده سبيلاً لنشر تمدن البشر واديانهم وعاداتهم· وكان العرب يسمون ملك الصين « فغفور » وهي كلمة مشتقة من كلمة « بغبور » الفارسية ومعناها « ابن الله » اي ابن السماء كما يسمون امبراطور الصين اليوم· وقال المسعودي في تاريخه مروج الذهب ان العامة كانت تسميه « يعبور » وتفسير ذلك ابن ماء السماء · والاول هو الاصح · وقد كتب عن الصين المسعودي وابو الفداء وابن بطوطة الرحالة الشهير الذي يقول انه ساح فيها في ذلك العهد وغيرهم من كتاب العرب اموراً بعضها صحيح وبعضها غير صحيح وربما اشرنا الى شيء منها في ختام هذا الفصل

الا ان سير الاسلام في الصين كان بطيئاً لاول عهده واستمر كذلك حتى وفاة «جنكيزخان» الفاتح التتري فحل الاسلام محل البوذية في جهات دجاجاتي ثم قامت على تخت فارس دولة اسلامية في اواسط القرن السابع عشر فبدأ النزاع يومئذ بين الاسلام والوثنية فحارب ملك الفرس واحفاده ملوك الصين من عام ١٧٥٥ الى عام ١٨٢٨ فانتشر الاسلام في اثناء هذه المدة في اطراف الصين انتشاراً عظيماً

﴿ الثورة الكبرى ﴾ ولما انتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون منتشرين في جميع الاقطار الصينية غير انه كان لهم اقليمان خاصان بهم لكثرة عددهم فيهما وهما اقليم يونان

واقليم تيينشان · ففي عام ١٨٥٥ كان مسلمو يونان والصينيون مواطنوهم مكبين على استخراج الرصاص والكبريت من معادن في اراض واقعة على مسافة خمسة ايام من « تاليفو » وكانوا جميعاً في احسن حال من السعة والغنى · غير انه لما كان الصينيون اقل نشاطاً وتدبيراً من المسلمين فقد افضى الامر الى غنى هؤلاء واضاعة اولئك كل مكاسبهم فاصبح المسلمون في نعمة وخير بسبب اجتهادهم واقتصادهم وكادت تتم لهم ملكية جميع تلك المعادن فحسدهم الصينيون وهم مشهورون بالحسد والطمع فجاؤهم افواجاً افواجاً وطلبوا منهم أن يشغلوهم في معادنهم فرفض المسلمون ذلك فهجم عليهم الصينيون فتضارب الفريقان تضارباً افضى الى قتل بعض من الجانبين ولكن المسلمين تمكنوا من ردّ الصينيين عنهم وهزيمتهم · وكان هنالك حاكم صيني تخاف على نفسه من هذه الفتنة ففر الى مدينة يونان فو عاصمة يونان وكتب تقريراً القى فيه تبعة الحادثة على المسلمين دون سواهم فاخذ المسلمون يحصنون في معادنهم واماكنهم وقد احسنوا في ذلك لان الصينيين لم يلبثوا ان اعادوا الكرة عليهم بعدد عظيم من رجالهم وهاجموهم حتى الى قراهم ومزارعهم وذبحوا كل من وصلت اليه ايديهم من النساء والرجال والاولاد المسلمين · فتداخل حكام الجهات بعد هذه المذبحة واخمدوا ثائر الفتنة وسكنوا خواطر المسلمين وما درى المسلمون ان هذا التسكين خديعة ارادوا بها ذر الرماد في عيونهم ليغمضوها عما كانوا يعدونه لهم

وبيان ذلك انه كان في وزارة الحربية رجل يدعى هنغ تشنغ وهو وكيل الوزير وكان هذا الرجل شديد البغض للمسلمين فسعى في السر ودبر مؤامرة عليهم اي احداث مذبحة عامة فيهم افناء لقوتهم واضعافاً لعصبيتهم · وكان موعد المذبحة السري يوم ١٩ مايو من عام ١٨٥٦ · فلما حان هذا الميعاد هاجم الصينيون المسلمين في مدن (يونان) وقراها ولكن المسلمين كانوا قد دروا بالمؤامرة من حسن الحظ فلم يُقتل منهم غير نفر قليل · فقاموا بعد هذه الحادثة الى القتال وتحصين مراكزهم بزعامة امام لهم يُدعى (ما تحسين) وكان شيخاً في الخامسة والستين من العمر

﴿ ترجمة امامهم ما تحسين ﴾ واذا ذكرنا امامهم (ما تحسين) فنحن نذكر رجلاً عالي الهمة كان معروفاً في الاستانة ومصر لانه زارها منذ سنين · وقد ولد هذا الرجل قريباً من بلدة تالي في الصين وكان ابوه تاجراً فادخله الى مدرسة صينية لتعليمه اللغة الصينية وشيئاً من آدابها ثم نقله منها الى احد جوامع البلاد لتعليمه اللغة العربية وآداب الدين الاسلامي · فلما اخذ شيئاً من ذلك سار في قافلة من القوافل العديدة

التي تتراوح بين برمانيا و يونان فوصل الى رنجون وهو ثغر من ثغور برمانيا قرب مصب نهر (ايرودي) فنزل في احدى السفن التي تقل الحجاج الى الحجاز قاصداً الحج الى مكة المكرمة · وكان ذلك في عام ١٨٣٩

فلما وصل الى مكة اقام فيها طويلاً فاتم درس اللغة العربية ثم قدم الى مصر فاقام في الاسكندرية والعاصمة مدة وطاف كثيراً من بلدان القطر ثم سافر الى الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فاقام فيها سنتين · وقد احسنوا استقباله في الاستانة واكرموا وفادته · ولكن المال الذي كان معه لم يلبث ان نفد منه في هذه السياحة الطويلة فرأى نفسه مضطراً العودة الى بلاده فسافر من الاستانة الى الاسكندرية فاقام فيها مدة ثم سافر منها الى سنغابور ومكث هنالك سنة تامة ليتحقق امراً ذكره له « احد الفلكيين » في الاستانة وهو ان الايام في سنغابور متساوية على مدى السنة

وبعد هذه الغيبة الطويلة عاد الى وطنه عن طريق نهر كنتون وذلك في عام ١٨٤٦ فكانت مدة سياحته سبع سنوات

وكان ما تحسين نبيهاً محبوباً منذ صغره فلما اتمّ دروسه في مدارس الصين صار المسلمون فيها يجلونه و يكرمونه · ولكنه لما برح الصين قاصداً بلاد الحجاز ثم عاد اليهم واسع الصدر بما وعاه في اثناء سياحته ممتلئ اليدين بما عاد به من آثار المدنية الحديثة ومصنوعاتها فضلاً عن بركة الحج التي تكون للحجاج العائدين الى بلادهم لا سيما اذا كانت هذه البلاد بعيدة وقلما يحج سكانها — بالغوا في اكرامه واجلاله وجعلوه اكبر ائمتهم · فاقام ما تحسين يحسن اليهم و يدبر شؤونهم حتى فاجأته تلك الفتنة

فبعد المكيدة التي تقدم ان الصينيين كادوها له ولقومه جمع رجاله وكان عددهم عشرين الفاً فقدم عليهم رجلين شديدي البأس عالمين بفنون القتال · الاول يدعى (تورنسيو) وهو اديب من ادباء المسلمين الصينيين الحائزين الشهادة العلمية وذو مكانة لديهم · والثاني يدعى (ما حسين) وهو رجل كبير الهمة وقد قتل اخوه في الفتنة الاولى التي حدثت في المعادن · ثم ان المسلمين قسموا جيشهم واغاروا على الصينيين فما جاءت سنة ١٨٦٠ الا وكانوا متغلبين عليهم في كل الجهات التي هاجموهم فيها · وقد استولوا على يونان فو عاصمة اقليم يونان منذ الهجمة الاولى

فلما رأى حكام الصين ذلك ذعروا وسالموا الصلح بناءً على ان يعين (ما تحسين) حاكماً عاماً لاقليم يونان ويُمنح القائد (ما حسين) لقب جنرال و يولى قيادة فيلق صيني · فانقسم

هنا جيش المسلمين انقساماً اليماً . فان الامام والقائد ما حسين رضيا بالصلح ولكن القائد (توونسيو) رفض المصالحة واصرّ على القتال فتركه القائدان الاولان وشانه وصالحوا الصينيين واستمر (توونسيو) يقاتلهم وحده

وقد اجمع مؤرخو هذه الحركة على انه لو اقام الامام ما تحسين و القائدان ما حسين وتوونسيو على مقاتلة الصينيين واستمروا على مطاردتهم لقلبوا العرش الصيني واقاموا مكانه عرشاً اسلامياً. و يقول بعضهم ان الامام ماتحسين والقائد ماحسين طمعا يومئذ في الرئاسة فاختارا الصلح ولو اضرّ الصلح في اخوانهم الذين لم يصالحوا بتجزئة قوتهم واضعاف عضدهم . ولكن يلوح لنا ان الامام ما تحسين لم يرضَ بالصلح لهذا السبب فقط . فانه كان رجلاً عاقلاً عليماً بما وراء الصين الضخمة من القوة الهائلة اذ لم تكن اليابان قد فضحت الصين بعدُ وأرت العالم بحربها الاخيرة مبلغ ضعفها مع ضخامة جثتها ولذلك أعظم الامام ماتحسين الاقدام على فتح الصين كلها بعشرين الف من الرجال ورضي بصلح شريف نافع

اما القائد (توونسيو) فانه استمر مع جيشه على مقاتلة الصينيين فسمى نفسه « سلطاناً » واتخذ مدينة تاي عاصمة لملكه . وكان القائد ماحسين قد غير اسمه ودُعي (ماجولونغ) وولي قيادة فيلق صيني لمحاربة (توونسيو) وهزمه . ومن الاسف ان يحارب الاخ اخاه . ثم كرّ توونسيو على جيوش الصين فهزم بعضها وحده وحصر يونان فو عاصمة اقليم يونان

وكان في هذه العاصمة الامام ما تحسين والقائد ما حسين وقد جُرح هذا في اثناء المعركة التي انهزم فيها فبذل توونسيو قصارى جهده ليستميلها اليه فذهب سعيه عبثاً . فسألها بما بينها من صلة الدين ان يساعداه على الاقل على فتح المدينة وذلك بتسليمها اليه لانها كانت في ايديها فرفضا ذلك من امانتها للسلطة الصينية . فاقام توونسيو على حصرها وقتاً طويلاً وبما اطال مدة الحصار اشتغال الجنود الصينية بخوارج من قبائل المياوتسو والميانتسو كانت قد خرجت على الصين

ولما طال الحصار كثيراً تعب الجيش الحاصر وبدا اضطرابه واستياؤه فاضطر قائده توونسيو ان يعود به الى تالي عاصمته فطارده الصينيون اليها وحصروها ففتحوها في ١٥ يناير من عام ١٨٧٣ وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً . اما القائد توونسيو فانه تجرع السم قبل دخولهم اليها . و بذلك انتهت الفتنة وعادت البلاد الى الصينيين

﴿ الثورة الصغرى ﴾ هذه هي تفاصيل الثورة الكبرى باختصار . واما الثورة الصغرى فهذا تفصيلها

كان في تشكند على حدود الروس في آسيا الصغرى رجل يُدعى « يعقوب بك » وقد ولد هذا الرجل في تلك الجهات وتعلم فنون القتال في وقائعه مع الروس لانه كان ذا يدٍ في كل الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في اواسط آسيا . ولما اتصل هذا الرجل بالامير بورزوق خان زين له ان يستولي على ولاية كشغار في حدود الصين مما يلي افغانستان لانها كانت في فوضى واضطراب فهاجمها الامير في عام ١٨٦٣ واستولى عليها . ولكن بورزوق خان كان رجلاً ضعيف العزم والراي خلافاً ليعقوب بك الذي كان كبير الاماني والآمال فقام عليه يعقوب بك ونفاه وقبض على ازمة الامارة مكانه . وكانت امارته واسعة الاطراف فحسده الصينيون وادعوا ملكية اراضي كشغار البعيدة عنهم مع انهم لا يدعون بسوى السيادة على اراضي كوريا وانام القريبة منهم والتي هي جزء من بلادهم . ومما زاد حقدهم عليه انهم رأوه قد اغتنم فرصة الفتنة الاسلامية وانشأ لنفسه تلك الامارة الواسعة فانتظروا حتى فرغوا من ثورة يونان على ما تقدم وساقوا عليه جيشاً عظماً

وكان يعقوب بك الذي تلقب بعد الامارة « يعقوب خان » مهدداً من جانبين : من جانب الصين ومن جانب الروس . فاخذ يطلب حلفاء تشد ازره . فكتب الى الاستانة يبايع الخليفة ويستعينه وكانت الدولة يومئذ في مشاكل وقلاقل فلم تسمع له . ومن المؤرخين من زعم ان الاستانة وعدته خيرًا واذنت له بان يسمي نفسه « امير المؤمنين » وهو خطأ يعرفه كل مسلم اذا جهله بعض مؤرخي الافرنج . ولما لم يجد له عوناً في الاستانة اتجه الى انكلترا واستعداها على الصين وعلى روسيا . وكان من مصلحة انكلترا ان تحالفه ليكون لها ردءًا وعوناً على روسيا اذا هاجمت الهند ولكنه كان بين كشغار والهند جبال كثيرة تحول دون وصول جيش كشغار اليها ولذلك لم تعبأ انكلترا كثيرًا بمصادقته . فاصبح يعقوب خان ولا معين له غير جيشه القوي الذي نظمه على الطريقة الاوربية . ولكن هذا الجيش مع قوته لم يثبت طويلاً امام جيش الصين فاستولى الصينيون على كشغار في عام ١٨٧٧ وتوفي يعقوب خان قبيل ذلك من همه وحزنه

هذه هي خلاصة الحركة الاسلامية في الصين . ويقدر كتاب الافرنج المسلمين في بلاد الصين بعشرين مليوناً وغيرهم يجعلهم ٣٠ او ٥٠ مليوناً . فاذا ارتبطوا بالخلافة الاسلامية ارتباطاً وثيقاً صار لحكومة الاستانة شان كبير في الصين وكان لها تاثير في حل المسالة الصينية يوم حلها

❊ قصة للمسعودي عن الصين ❊ وقد وعدنا في مقدمة هذا الفصل ان نذكر شيئاً

مما كتبه كتاب العرب عن الصين وانجازاً للوعد ننشر قصة للمسعودي عن سائح عربي وصل الى تلك الاقطار . ولا ننشرها لاننا نعتقد صحتها بل لتكون مثالاً لكتاباتهم في الجوغرافيا والتاريخ . قال المسعودي

«من ظرائف اخبار ملوك الصين ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من اهل بيت نبوّة العرب فكتب ملك الصين الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه وعما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له في الوصول اليه فلما وصل اليه قال له الملك فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالي بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعدُّ الملوك خمسة فاوسعهم ملكاً الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكاً وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك اسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا اطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس . ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس . ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة ايضاً لان اصلها منهم . ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض اتمُّ خلقاً من رجاله ولا احسن وجوهاً منهم. فهولاء اعيان الملوك والباقون دونهم. ثم قال للترجمان قل له اتعرف صاحبك ان رايته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم ارد هذا وانما اردت صورته فقلت اجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجاً وقال للترجمان اره صاحبه فرايت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسالني فقلت اصلي على الانبياء فقال ومن اين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم . هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه. فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما اخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى ارضنا ان كان خبركم صحيحاً فمن هذه القطعة . ونحن معاشر اهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم . وما ذكرت من

ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تنزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له · قال القرشي فبهت الرد عليه واقامة الحجة تعلي بدفعه ذلك· ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهراً شيئاً يسيراً· قال ثم رايت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به في ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت· فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجل الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيئاً انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه· ثم سالني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها· ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول اكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكاً كثيراً ووزيره ايضاً وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذللت وقلت بلى هو قال ذلك فرايت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل · ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو اقرب اليك داراً ومنسباً قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك ايها الملك فسره ذلك وامر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وامر بحملي على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين » انتهت قصة المسعودي باختصار

مصر القديمة وآثارها

(المسلات المصرية)

مهاجرة ابناء مصر ومهاجرة آثارها · كيف كان المصريون يصنعون المسلات · طريقة نقل مسلة سيزوستريس من الاقصر الى باريز · نقل مسلة كليوبترة من الاسكندرية الى لندن · المسلات والتمدن القديم والحديث

لو كانت مصر يهاجرها ابناؤها كما تهاجرها آثارها لاستفاد المصريون فوائد كثيرة · فانك لا تدخل متحفاً في بلد من بلاد العالم المتمدن الا وتجد فيه شيئاً من آثار التمدن المصري القديم · وكل متحف خلا منها كان متحفاً ناقصاً · اما المصريون فقلما تجد منهم احداً في الاقطار البعيدة · فهم في ذلك مع آثارهم على طرفي نقيض · فليتهم يعكسون هذا الامر وذلك ان يبقوا آثارهم في بلادهم حرصاً عليها ويهاجروا هم الى اقطار العالم بدلاً منها فان ذلك يعود عليهم نفعاً مزدوجاً

ومن الآثار المصرية ما يهاجر مصر بسهولة فيحمله الاوروبيون في الصناديق والحقائب والجيوب ويعودون به فرحين مسرورين بالغنيمة · ومنها ما يعانون في نقله من المتاعب والمشاق والاهوال ما يدلنا على مبلغ اهميته لديهم · ومن هذا القبيل المشاق العظيمة التي عاناها الفرنسويون والانكليز في نقل المسلة المصرية ومسلة كليوبتره الى باريز ولندن كما سنقصه فيما يلي

﴿ كيف كان المصريون يصنعون المسلات ﴾ وقبل ذلك فلننظر كيف كان المصريون يصنعون المسلات قطعة واحدة من راسها الى قدمها وما هو الغرض من صنعها · فنقول

نقل مؤرخو اليونان والمصريين ان فراعنة مصر كانوا اذا ارادوا انشاء مسلة يرسلون عمالهم الى مقالع حجر الغرانيت في سيان (اصوان اليوم) فيخط هؤلاء العمال على قطعة واحدة من الصخر رسم المسلة ويأخذون بقطعها مربعة اي ذات اربعة سطوح · ولما تنكشف سطوحها الثلاثة ولا تعود متصلة بالصخرة امها الا بواسطة السطح الرابع ينقبون تحت هذا السطح ويأتون بقطع من الخشب والحطب ويزجونها في الثقوب التي ينقبونها تحته ثم يصبون ماء على الحطب والخشب فيتمدد الخشب والحطب عند تشربهما الماء فينفلق الصخر تحت المسلة بالتدريج من غير عنف ولا قوة فان العنف والقوة يضران بالمسلة · وهكذا حتى

ينفصل السطح الرابع عن الصخرة · فيجيء العمال حينئذ باغصان كثيرة و يسطونها على الارض ثم يدحرجون المسلة عليها و يشدونها الى سرب من البقر و جماهير من البشر — لان البشر كانوا بمنزلة البقر في ذلك الزمان — ثم يسوقونها الى حيث يأمرهم الملك بنصبها ·



﴿ مسلتا ميزومتريس في خرائب الاقصر ﴾

(المسلة المنقولة الى باريز)　　(المسلة الباقية في الاقصر)

ولكنهم قبل نصبها يختونها ويصلحونها وينقشون عليها بالقلم الهيروغليفي (اللغة المصرية القديمة) الكتابات التي يريد الملك تخليدها . وهذه الكتابات ظاهرة على المسلتين في الرسم الموضوع في هذا الفصل

❋المسلة المصرية في باريز❋ اما المسلة المصرية المنصوبة الآن في ساحة « الكونكورد » في باريز فانها كانت منصوبة في الاقصر وقد نصبها هنالك سيزوستريس العظيم امام باب قصره تزيينًا له (١) وهي متناهية في الضخامة . فان طولها يبلغ ٢٢ مترًا ومحيط دائرة قاعدتها ٩ امتار و٧٠ سنتيمترًا وثقلها ٢٢٠ الفًا و٥٢٨ كيلوغرامًا ومساحة حجمها ٨٠ مترًا مكعبًا من حجر الغرانيت

وقد ابتدأ امر نقلها في ايام الملك شارل العاشر . فان العالم الشهير المسيو شامبوليون الذي حلّ اسرار اللغة الهيروغليفية سأل هذا الملك ان يزين باريز بمسلة من المسلات المصرية فبعث الملك شارل في الحال يستوهب محمد علي باشا امير مصر مسلة من مسلاته فوهبه الامير مسلة الاقصر التي تقدم ذكرها

❋الاقصر❋ ان الاقصر كلمة عربية وهي جمع قصر « اقصر » وقد سميت كذلك لكثرة الهياكل والآثار والقصور القديمة القائمة هناك . وهذه الآثار بقية من مدينة « ثيبة » الشهيرة التي كان يسميها القدماء « ثيبة ذات المائة باب » لكثرة غناها واتساعها وهي غير ثيبة اليونانية . واشهر ما في الاقصر هيكلها العظيم الذي يقصده السياح من كل اقطار العالم (انظر الرسم) وقد بناه الملك امنوفيس الثالث منذ اكثر من ٣٠ قرنًا اكرامًا للاله عمون . وجدرانه مغطاة كما ترى بالصور والكتابات الهيروغليفية المصرية في جملتها اسم الاسكندر المكدوني الذي زار هذا الهيكل عند افتتاحه مصر وقدم فيه ذبيحة للاله عمون « راجع ذلك في العدد التاسع الصفحة ٤٩٨ »

❋كيف نُقلت المسلة الى باريز❋ ولما صدر امر محمد علي باشا باعطاء فرنسا مسلة سيزوستريس عهدت الحكومة الفرنسوية الى المهندس ليباس امر نقلها الى باريز فبنى هذا المهندس سفينة خصوصية سماها « الاقصر » وجعلها طويلة ضيقة ثم قدم بها الى مصر

(١) انظر رسم سيزوستريس في الصفحة ٥٠٢ السنة الاولى وقد نصب هذا الملك مسلتين امام باب قصره منذ اكثر من ٣٠ قرنًا واحدة نقلت الى باريز والثانية باقية في مكانها في الاقصر



﴿هيكل الاقصر المشهور﴾

فالاقصر ومعه مامور من قبل محمد علي · وكانت الآثار المصرية مهملة في ذلك الزمان فكان الاهالي يبنون «عششهم» واكواخهم بينها اوقريباً منها · فاضطر المهندس ليباس ان يهدم بعض العشش التي كانت قائمة بازاء المسلة ويُرضي اصحابها بشيء قليل من المال · ثم

بدأ العمل فاستاجر اربعمائة نفس من الرجال والنساء والاولاد لبناء السطح المائل الذي يجب انزال المسلة عليه الى النهر · وفيما هم يعملون في هذا البناء فشت الكوليرا بينهم واماتت منهم ١٥ رجلاً في يوم واحد · فاستمر المهندس مع ذلك في العمل حتى اتمه في ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٣٢

وعند بزوغ صباح هذا اليوم اناموا المسلة بحبال شدوها اليها فاجتمع لهذا العمل خلق كثير ثم حدفوها على السطح المائل الى شاطىء النيل ووضعوها على طوف من الخشب فحملها الطوف الى السفينة والسفينة اصعدتها اليها بقوة آلاتها الرافعة فوضعت فيها على طولها في المكان المخصص بها · ولكن مياه النيل كانت يومئذ منخفضة فانتظروا مياه النيل حتى ارتفعت في شهر يونيو فسافرت السفينة من الاقصر في ٢٨ منه متوسطة مجرى النيل والاهالي على جوانبه يغنون و يرقصون فدخلت البحر المتوسط في اول يناير من عام ١٨٣٣ ووصلت الى طولون في ١٠ مايو والى باريز في ٢٣ دسمبر فالقت مرساتها في نهر السين بازاء مجلس النواب · فتقرر نصب المسلة في ساحة « الكونكورد » في ٢٥ اكتوبر من عام ١٨٣٦

وكان الفرنسويون قد ثاروا في عام ١٨٣٠ على الملك شارل العاشر فخلعوه و بايعوا الملك لويس فيليب مكانه · فلما ازف ميعاد نصب المسلة قدم الملك والملكة الى ساحة الكونكورد وكان عدد المجتمعين فيها يومئذ اكثر من مائتي الف نفس · وكان المهندسون قد بنوا قاعدة للمسلة ونصبوا لها سواري وحبالاً واتوا بعشر آلات رافعة يعمل فيها اربعمائة جندي من جنود المدافع · وكانت الحبال المشدودة الى المسلة والآلات الرافعة تبلغ استدارتها ٩ سنتيمترات · فلما تم الاجتماع اشار المهندس ليباس اشارة فدوت اصوات الآلات الرافعة كالرعد ورنت المسلة رأسها رويداً رويداً · ثم ارتفعت قاعدتها ووضعت على قاعدة البناء واستمر الرأس يرتفع حتى استوى منتصباً على القاعدة كالالف او كقامة الهيفاء

فخرج حينئذ من افواه الالوف المجتمعة هناك هتاف عظيم طبق السماء · وتقدم الملك من المهندس ليباس فاثنى على مهارته ومنحه وسام اللوجيون دونور من درجة الشفاليه وعينه مديراً لمتحف الشؤون البحرية بعد ان وزع ثلاثة آلاف فرنك على مساعديه · وقد بلغت نفقات نقل المسلة الى باريز مليوني فرنك ونصف واستغرق نقلها من يوم الشروع فيه الى ساعة اتمامه نحو ست سنوات

❋ نقل مسلة كليوبتره الى لندن ❋ وقد نقل الانكليز الى لندن مسلة كليوبتره

التي كانت منصوبة في الاسكندرية ويسميها الافرنج « ابرة كليوبتره » ولكن الاقدار عاكستهم في نقلها . فلن مهندسهم صنع لها من الحديد والخشب صندوقاً كبيراً على شكل سفينة سماه « كليوبتره » وجاء به الى الاسكندرية فوضع المسلة في داخله وجره الى البحر وكان ذلك في عام ١٨٧٧ . وعند نزول مسلة كليوبتره في البحر ضمن هذه السفينة الغريبة التي لم يسبق لها مثيل انشأوا فيها غرفة للبحارة وركبوا فيها سارية ثم نزل فيها ٥ من البحارة المالطيين وضابط انكليزي للسفر عليها . وفي ٢١ سبتمبر من عام ١٨٧٧ خرج هذا الصندوق من ثغر الاسكندرية تقطره باخرة انكليزية كبرى تُدعى « اولغا » فسارت به عشرين يوماً سيراً بطيئاً منتظماً دون ان تحدث حادثة له او لها . ولكنهما ما وصلتا الى خليج بيسكاي (اسبانيا) حتى هبت زوبعة هائلة فقلبت سفينة كليوبتره وتعاظمت الامواج حتى اضطر ربان الباخرة اولغا ان يقطع السلك الذي كان يربط المسلة بسفينته فانفصلت المسلة وذهبت على متن الامواج هي والبحارة التي فيها

ثم سكنت الزوبعة قليلاً فانزل ربان الباخرة الثاني زورقاً وركبه مع ٥ من البحارة لاغاثة رفاقهم الذين في سفينة المسلة . فما كادوا ينزلون الى الزورق حتى داهمتهم موجة كالجبل الشامخ فابتلعهم البحر ولم يبن لهم اثر بعد ذلك فذهبوا ضحية شجاعتهم وشهامتهم

ولما ركدت الريح طلبت الباخرة اولغا سفينة المسلة لانقاذ رجالها فصعد هؤلاء اليها فسافرت الباخرة اولغا بهم وقد تركت المسلة وشأنها في عرض البحار راضية من الغنيمة بالاياب . الا انه لم ينقض بضعة ايام على وصولها الى انكلترا حتى نشرت الجرائد تلغرافاً من فيكو في اسبانيا وفحواه ان الباخرة « فيتزموريس » اسرت سفينة كليوباتره في شمالي فرول وهي ترجو من الحكومة الانكليزية ان تسرع في تسلم هذا الصندوق الذي لا محل له بين بضائع الشركة ... فارسلت الحكومة الانكليزية سفينة انكليزية لجر صندوق المسلة الى لندن فعادت به السفينة في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨ وفي ذلك الشهر نصب الانكليز هذه المسلة على احد جسور نهر التيمس

﴿ المسلات المصرية والتمدن القديم والحديث ﴾ وقد يظن القارئ لاول وهلة ان المتاخرين قد تفردوا بغصب مصر آثارها والحقيقة ان المتقدمين قد سبقوهم الى ذلك . فقد روى العالم سميث ان اشور بانيبال ملك اشور نقل مسلتين كبيرتين من مسلات الاقصر الى نينوى لما فتح مصر . ويقدرون عدد المسلات التي نقلها امبراطرة الرومان الى رومه ١٢ مسلة ولا يزال بعضها قائماً في رومة الى الآن . وقد كان في الاستانة ثلاث مسلات نُقلت

احداها الى البندقية في عام ١٥٤٦ ووجدت مسلة في ارل من اعمال فرنسا وهي بلدة مشهورة بالآثار القديمة ووجدت مسلة اخرى في فلورنسا وغيرها

ولا يسعنا في ختام هذا الفصل الا ان ننظر نظرة في تقلبات هذا الزمان . فان المصريين القدماء لما بنوا هذه الهياكل والمسلات العظيمة التي تدل على قدرتهم ومبلغ تمدنهم كانوا ينظرون الى اهالي البلاد التي يسمونها اليوم « اوروبا » بعين الاحتقار والازدراء وكانوا يسمونها « تمحو » وهي عندهم من كلمات الاستصغار والاستضعاف ولم يكونوا يعتبرونهم ارقى من الزنوج بكثير . اما اليوم فقد تبدلت الاحوال فصار السيد مسوداً والكبير صغيراً . وتلك الايام نداولها بين الناس

ربع قرن في الصحافة

(المقتطف)

بقلم احد الادباء

اتمت مجلة المقتطف وجريدة الاهرام منذ اشهر سنتها الخامسة والعشرين ودخلتا في السادسة والعشرين اي انه قد انقضى ربع قرن عليهما وهما في ميدان الصحافة . ولعل المقتطف قد سبق جريدة الاهرام في الوجود لانه قد ورد في الصفحة ١٢٠ من الجزء الخامس لسنة المقتطف الاولى الفقرة الآتية

« جريدة الاهرام . ان ما ظهر من همة منشئها سليم افندي تقلا في نشرها واتقانها يستحق مزيد الثناء ويستدعي اقبال ابناء اللغة العربية عليها فلا جرم ان مشروعه هذا يأول لنشر المعارف وترقية الوطن فنسأله تعالى ان يوفق احواله ويبلغه آماله في ما ظهر وما سيظهر من اعماله المفيدة »

ولو كان الشرقيون قد تعودوا ان يوفوا كل عامل حقه لما سكتت جرائدهم عن تقريظ هاتين الجريدتين عند اتمامها السنة الخامسة والعشرين ولما قعد ادباؤهم عن الاحتفال بما يسمونه العيد الفضي لكل واحدة منهما بقطع النظر عن المبادئ والاراء . بل الانكى من ذلك ان بعضهم رأى من حسن الذوق ان يضع الذم في هذه المناسبة موضع التقريظ فيما يختص بالمقتطف صاحب الايادي البيضاء على المعارف في الشرق فبعث رسالة الى وكيله وقريبه في الاسكندرية لينشرها باسمه في احدى جرائد اميركا العربية وكلها مدح لمجلته وذم للمقتطف

بحجة انه جافٌ ناشف يسأم منه قارئه وسامعه فضلاً عن ذم باقي المجلات العربية . كأن صناعة الادب و باللاسف تجارة توجب على الضعيف فيها ان يذم بضاعة صاحبه ترويجاً لبضاعته

فلما قرأت ذلك الفصل وشممتُ منه الرائحة الملالية قلت في نفسي « لا تعدم الحسناء ذاماً » ثم اخذت القلم لاكتب فصلاً لجامعة اعيّد فيه ارصيفها المقتطف عيداً فضياً اعترافاً بفضله على المعارف ومكافأةً له بالثناء لا بالذم على خدمته العلم في الشرق ربع قرن وزيادة

وقد رأيتُ خيرَ الامور في هذا الشان ان اسوح سياحة في المجلد الاول من المقتطف اظهاراً لما كان المقتطف عليه منذ ٢٥ عاماً وما صار اليوم اليه وتذكاراً لصدوره فاقول مبتدئاً بالجزء الاول

قال المقتطف منذ ٢٥ عاماً في السطر الاول من مقدمته وكانت النهضة العلمية في اولها يومئذٍ « لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسره المشروع الذي باشرناه خدمة للوطن واجابة لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد » « ولما راينا مناسبة الاحوال لنا و وجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرته على ما بنا من القصور مستعينين به تعالى ونلنا الرخصة السامية فيه من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري » « ولنا الامل الوطيد ان هذه « الجريدة » تقع عند الجمهور موقع القبول » « وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليه لضيق المقام » « واذا تيسر نفوذ هذه الجريدة اقتنا لها مكاتبين مخصوصين وكبرنا حجمها وقصرنا مدة صدورها » وفي ختام المقدمة « وانا مقرون بعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المعذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرد بالكمال »

وكان المقتطف يصدر يومئذ في ٢٤ صفحة في كل شهر وقيمة اشتراكه عشرة فرنكات في العام

وقد صدّر الجزء الاول بفصل في عمل الزجاج واردفه بفصول في وصف القمر والميكرسكوب وعلماء الهيئة عند العرب واللغة الحميرية والقلم المسند والصباغ الاحمر والمطر وبعض اخبار . وفي ذيل العدد هذان السطران « انا مديونون لجناب الدكتور فان ديك بالشكلين المدرجين في القمر وللمطبعة الاميركانية باشكال الميكرسكوب ومن الآن فصاعداً نكتب تحت الشكل المستعار اسم المستعار منه »

هذه خلاصة الجزء الاول . وهو مطبوع على ورق وسط طبعاً وسطاً . اما الجزء الثاني فانه مصدر بهذين السطرين « نرجو من حضرة وكلائنا ان يستلوا قيمة الاشتراك من المشتركين حالما يسلمونهم هذا الجزء و يرسلوها الينا في الفرصة الاولى » وفي هذا الجزء مقدمة ثانية جاء فيها « ليس في المقتطف من المباحث السياسية التي أشغلت افكار الناس في هذه الايام ما يجعل له اهمية عند كثيرين فلذلك انذرنا البعض بعدم رواجه ولكن جاء الامر بخلاف ما كانوا ينذرونه وما ذلك الا لعظم اهميته لبلاد قد ذاقت يسيراً من العلم فاصبحت تطلب منه الزيادة . والصناعة والزراعة فيها كالعدم وهي تلتمس من يأتيها بهما . فنهنيء انفسنا بعد أن نهنيء وطننا العزيز بما صادفه مقتطفنا من الحظوة . وقد طلب الينا كثيرون ان نصدره غير مقصوص لان القص يعيق التجليد اذا شاؤوا ان يضموه الى كتاب ففعلنا » ثم تلي المقدمة مقالة في اطباء اليونان والشرق للاسوف عليه العلامة الدكتور فان ديك الذي كان اول منشط ومساعد لهذه المجلة ثم فصول في شجر التوت والنظام الشمسي والحرارة وصقل الحرير والهواء وزجاج الصفائح والاعتناء بصحة الاطفال و بيان من المرصد السوري الفلكي . ثم بعض مسائل واخبار

وفي الصفحة الاخيرة من الجزء الثالث هذا الاعلان « انتهى طبع كتاب الظواهر الجوية ترجمة المعلم فارس نمر ب . ع من اللغة الانكليزية وهو كتاب صغير جداً للدكتور الياس لومس استاذ في مدرسة ييل »

اما الجزء الرابع ففي الصفحة ٩٤ منه هذان السطران « سالنا كثيرون عن معنى الحرفين ب . ع فنجيب انهما مقتطفان من بكلوريوس علوم رتبة من رتب المدرسة الكلية ومعنى بكلوريوس اصلاً حب الغار » وفي صفحته الاخيرة بيان لخسوف كان مقبلاً وتقريظ للجزء الاول من دائرة المعارف الذي اصدره يومئذ « جناب الفاضل المعلم بطرس البستاني»

وفي الجزء الخامس هذه الشذرة « عدد الذين يموتون على الارض سنوياً ٣٣٣٣٣٣٣٣» ورسالة من مرج عيون عن الخسوف الجزئي الذي حدث في ٣ سبتمبر من ذلك العام قبل نصف الليل بقليل ومما جاء فيها ان المراسل استناداً الى ما قرأه في المقتطف اخبر رفاقه في احدى السهرات عن خسوف القمر في ٣ سبتمبر فلم يصدقوا وأفضى الامر بينهم الى المراهنة . قال المراسل « وفي الليلة المعينة بينما نحن نتعاطى الكلام راينا نور القمر يزيد اكداداً فالتفتنا فاذا « الحوت قد ابتلع بعضه » فضجت القرية باجمعها واستيقظ من كان نائماً واطلق البعض بنادقهم . وما كنا نسمع بينهم الا من يقول « صحيح صدقوا . كيف ما نصدقهم بعد»

اما الجزء السادس ففيه رسالة من الاستانة بقلم جناب الياس افندي مطر احد طلبة المكتب السلطاني ومما جاء فيها « ان المقتطف استدعى سرور صاحب الدولة وزير المعارف العمومية الذي لا يفترعن المكافأة عند انفكاك الغوائل الحاضرة » ثم اسهب المراسل في بيان اختراع كان حديثاً في ذلك الزمان وهو « التلغراف بلا شريط » كما كانوا يقولون يومئذٍ « وبلا سلك » كما يقولون اليوم . اما اسم المخترع الاول فهو الاستاذ بوديوز الفرنسوي على ما جاء في هذه الرسالة

وفي هذا الجزء ابتدأت المناظرة بين المقتطف وبعض رجال الدين بشأن « دوران الارض » وقد جاء فيه في الصفحة ١٤١ « واما الذين طلبوا منا الرد على الاماني الفلكية التي صدرت في الجزء العشرين من الجنان لهذه السنة فنرجوهم ان يعفونا من ذلك وهل يُردُّ في علم على من يجهله كل الجهل »

وفي الجزء الثامن رسالة في ان الارض ثابتة مؤسسة لا تدور وهي ردٌّ على المقتطف استند فيه كاتبه الى آيات من الكتاب المقدس مثل قول ارميا النبي « انه تعالى مؤسس المسكونة بحكمته » وايقاف يشوع بن نون الشمس وقول اشعيا النبي « الله باسط السموات ومؤسس الارض » وقول ايوب انه تعالى « يمد الشمال على الخلا ويعلق الارض على لاشيء »

فامسك المقتطف عند هذه العبارة في جزء تالٍ وقال « الا يظهر من قول ايوب عليه السلام ان الارض غير مؤسسة ولا اعمدة تحتها » فاذا لم تكن تحتها اعمدة فهي سابحة في الفضاء وهو راي علماء الهيئة

وفي الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ان « الدكتور شبلي افندي شميل والدكتور داود افندي مشاقه نالا الرخصة التي تؤذن لهما بممارسة الطب في الممالك المحروسة »

واما الجزء العاشر ففي صدره مقاله « في العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » هذه مقدمتها « لما اطلع صاحب السعادة والاقبال حضرة رياض باشا الافخم وزير المعارف في بلاد مصر على الرسالة المدرجة في الجزء الثامن في ثبوت الارض قال لوكيلنا كليانتس افندي فيليبيدس ان هذا الرأي مغلوط وفاسد ديناً وعلماً ثم تكرم برسالة من قلم وكيل سعادته في نظارة المعارف العالم الشهير والامير الخطير سعادة عبد الله فكري بك في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية ولما اجلنا الطرف في رياضها الحسان راينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها »

وفي الصفحة ٢٣١ من هذا الجزء رسالة في الانتروبولوجيا مترجمة عن العالم هدج الاميركي

ومنتبحة بهذا السطر « الى جناب الاديبين منشئي جريدة المقتطف المحترمين » وفي آخر هـذا الجزء الكلام التالي « لقد سررنا بنجاح الخواجه يعقوب حلاج في عمل الشحيط فان شحيطه جيد الصفة رخيص الثمن فضلاً عن كونه عمل واحد من ابناء الوطن »

وجاء في مقدمة الجزء الحادي عشر « لما كان كل ابتداء عسرًا وكان التمام لا يبلغ في الامور الا تدريجاً فسنجتهد في اقتطاف كل ما يفيد الوطن وتعيين من يزيد ادارة المقتطف ضبطاً » وورد في الصفحة ٢٦٣ منه « يقال انه ظهر في هذه الاثناء نجم صغير ذو ذنب ولم يبدُ للعيان فالحمد لله انه لم يظهر ولو ظهر لكان له بين السذج هرج ومرج ولنسبوا اليه كل مصيبة تصيب البشر كما نسبوا الى الخسوف الماضي اخبارًا اختلقوها »

واما الجزء الثاني عشر وهو الاخير من السنة الاولى فانه مصدر بالاعلان التالي « قد سلمنا ادارة المقتطف لجناب الاديب شاهين افندي مكاريوس فنرجو من حضرات الوكلاء والمشتركين ان يسلموه قيمة الاشتراك ويبعثوا جميع الرسالات المختصة بالمقتطف باسمه الى المطبعة الاميركية في بيروت ولا يخفى انه بذلك تضبط الادارة غاية الضبط فنتفرغ لجمع المواد واجابة المسائل » وورد في باب الاخبار والاكتشافات والاختراعات عن تاريخ سوريا ما يلي « قد طالعنا غير مرة اعلان تاريخ سوريا لجناب الاديب جرجي افندي يني وقد بلغنا الآن ان جنابه عزم على طبع التاريخ المذكور ونشره فعسى ان لا تحول موانع الاوقات دون ذلك المشروع المفيد » ثم يلي ذلك في الصفحة الاخيرة خاتمة السنة وفهرستها

هكذا كان المقتطف في دوره الاول . ثم انتقل الى مصر وارتقى مع كرور السنين الارتقاء الذي يعرفه قراؤه . وقد بقي محافظاً على مقامه العلمي فلم يلجأ الى التزويق والتمويه استمالة لبسطاء القراء شان الذين يعرفون مقام العلم والادب وينزهونهما عن ان يكونا سلعة للاتجار . فنحن نهنئه بهذه الخطة وباجتيازه ربع قرن وهو في خدمة الشرق ولا نقول ما يبدو لنا من الملاحظات بشانه اولاً لان ذلك خارج عن موضوعنا اذ نحن الآن في مقام تقريظ لا في مقام انتقاد وثانياً لاني اخشى ان تسوءه ملاحظاتي . انما اكتفي بواحدة وهي هذه : ان حضرات اصحاب المقطم كثيرا منذ سنوات الى بعض اصدقائهم في اثناء مناظراتهم لبعض زملائهم من اصحاب الجرائد فقالوا يثنون على المقطم : انا بالمقطم قد اخرسنا "المؤيد" واغرقنا « النيل » وهدمنا « الاهرام » الخ وبادروا انهم بالمقطم يضربوا الا المقتطف . فليت المقطم لم يكن اولكن بغير الاسلوب الذي كان به ليكون المقتطف في مقامه الحقيقي

العودة من القطب الجنوبي

﴿ اكتشاف قارة جديدة ﴾

نشرنا في الجزء السابع مقالة عنوانها « العودة من القطب الشمالي » ذكرنا فيها تفاصيل سفر الدوق ابروزي ابن عم ملك ايطاليا الى هذا القطب وعودته منه فائزًا ببعض الفوز · وقد رأينا ان نردف هذه الرحلة الشمالية بذكر طرف من الرحلة الجنوبية التي اتمها في العام الماضي الرحالة بورشكرينك النروجي في القطب الجنوبي اتماماً للفائدة فنقول باختصار

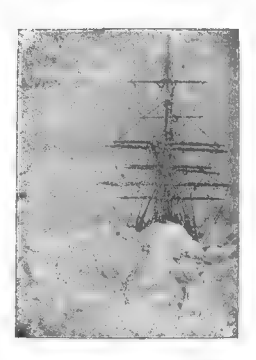
اتفقت المجلة الانكليزية « سترند مغازين » التي تُطبع في لندن مَع هذا الرحالة على رحلة يرحلها على نفقتها لاكتشاف القطب الجنوبي فابتاع سفينة سماها « سوثرن كروس » واخذ معه عالمين لمراقبة حالة الجو في القطب الجنوبي وعالمين من علماء الحيوان للبحث في الحيوانات التي يصادفونها وطبيباً وطباخاً وثلاثة عمال فالمجموع تسعة رجال ما عدا زعيمهم وسرب من الكلاب لجر المزالق على الثلوج · وفي اواخر عام ١٨٩٨ خرجت بهم السفينة من (هوبارتون) عاصمة تسمانيا في جنوبي اوستراليا قاصدة جزءًا من الجهات القطبية الجنوبية يُدعى « ارض فيكتوريا » ·

وكانت طريقهم الى هذه الارض محفوفة برؤوس نائتة من الجبال عليها الثلوج وارتفاع كل راس منها اكثر من مائة متر وهو قائم فوق مضائق البحر يتهدد السفن بالسقوط عليها اما المسافة بين تسمانيا وارض فيكتوريا فكانت ٤٦٢٥ كيلو مترًا

فبعد انقضاء ١٢ يوماً على سفر السفينة تقل رجال البعثة لقيتها الثلوج الاولى فاقامت السفينة تعاركها وتعالجها ستة اسابيع حتى كاد ركابها يقطعون الامل من النجاة · ولكنهم في ذات يوم وهم في اشد حالات الضيق رأوا الثلوج تتفرق من تلقاء نفسها وتذهب مع التيار فاغتنموا هذه الفرصة وساروا بالسفينة مخترقين قطع الثلج فبلغوا ارض فيكتوريا في ١٧ فبراير من عام ١٨٩٩

فنزل بورشكرينك الى هذا البر الذي هو جزء من الاقطار القطبية الجنوبية وانشأ فيه له ولرجاله منزلاً يقضون فيه مدة سنة كاملة للوقوف في اثنائها على حالات الجو في اقطار القطب ودرس نباته وحيوانه والسعي للوصول اليه

واول عمل عمله قبل انشاء المنزل نصبه سارية في ارض فيكتوريا بين الثلوج التي



سوترن كروس بين الثلوج

وهي السفينة التي حملت بعثة مجلة «السترند مغازين» الى القطب الجنوبي

تنطي الارض واحتفاله برفع الراية الانكليزية للمرة الاولى فيها . وعند اتمامه بناء المنزل عادت السفينة الى تسمانيا تاركة الرحالة ورجاله في اقطار القطب لتعود وتاخذهم منها بعد انقضاء سنة

فمنذ هذا الحين اخذ هؤلاء الشجعان يقاسون الاهوال القطبية . وكانوا يومئذٍ في شهر مارس وهو يقابل في برده هناك شهر اكتوبر في اوربا . ثم اخذ البرد يشتد يوماً فيوماً والرياح تعصف بقوة هائلة فتزعزع منزلهم وتلعب بقطع الثلج الكبيرة لعبها بهشيم الارض فتتطاير شظاياها الى الوجوه والعيون فتدميها وتعميها . وقد بلغ من قوة الزوابع هناك ان زوبعة حملت قارباً من البحر وقذفته بعيداً من الشاطئ، كما يقذف الولد ليمونة . واصبح

رجال الحملة لا يستطيعون السير الا متمسكين بحبال ممدودة على الطريق · وكان احد العلماء الذين يرافقون الحملة سائرًا في ذات يوم نحو المكان الذي جعلوه مرصدًا لهم وهو ممسك بالحبل فما شعر الا وقد حملته الريح كريشةٍ والقته في هوة بعيدة فبقي فيها داميًا مغشيًا عليه حتى وجده رفاقه بعد تفتيش كثير

على ان ذلك لم يكن شيئًا مذكورًا بازاء الاهوال التي كانت قادمة عليهم وهي اهوال ليل القطب الطويل · فانه من المعلوم ان الشمس تغرب في جهات القطب عدة شهور وتظلم الدنيا في شهر مايو كله فتكون كانها في ظلام دائم · فقاست الحملة في اثناء هذا الليل الطويل الذي لا يذكر بازائه ليل الملسوع اهوالاً لا تُحتمل · فان الحرارة هبطت فيه الى ٤٣ درجة تحت الصفر وكانوا يضلون سبيلهم اذا خرجوا من المنزل قيد شبرين · وضلَّ يومًا كلب من كلابهم فبقي شهرين تائهًا على الثلوج وهو يتغذى من طيور بحرية كان يصطادها في طريقه

ثم ان بورشكرينك اخذ يهتم بالسياحة في ارض فيكتوريا مستكشفًا ارجاءها فسار فيها اشواطًا كثيرة بعضها طويل وبعضها قصير فما كان يجد سوى ثلوج كالجبال تملأُ البر والبحر · وكان في المسير على هذه الثلوج خطر شديد · وقد سقط احد رجاله في اثناء السير في هاوية انفتحت بين الثلج تحت قدميه دون ان يدري به رفاقه فلم ينجُ من الهاوية الثلجية الا بسكين صغيرة كانت في جيبه حفر بها درجات في جدران الهاوية وتسلقها ولولا السكين لمات مكانه · ولم يكتشف الرحالة في اثناء جولانه هذا سوى جزيرة صغيرة سماها « جزيرة الدوق دي يورك » وقد ثبت لديه ان ارض فيكتوريا ليست سوى سهول وحزون تغطيها الثلوج على مسافة ٤ الاف متر

ثم هون الله الامر وانقشعت ظلمات ذلك الشتاء الطويل وبدت طلائع الربيع · وانما يُعرف زمن الربيع هناك من وفود اسراب من الطيور البحرية المالوفة على ارض فيكتوريا · فاستأنس رجال الحملة بالنور وبلحم هذه الطيور فصادوا منها وكانوا متلذذين باللحم الطريء وان كان لحمها لا يؤْكل · ومن الغريب ان هذه الطيور لا تفر من الانسان حين دنوه منها فهو يستطيع القبض عليها بيده وذلك لانها لم تذق من ظلم الانسان قبل هذه المرة ما ينفرها منه ويحملها على الابتعاد عنه

ولما اقبل عيد الميلاد احتفل به رجال البعثة احتفالاً عظيمًا وذلك لانهم كانوا مستريحين من البرد الشديد لان عيد الميلاد يقع في قلب الصيف هناك مع انه يقع في قلب

الشتاء عندنا

وفي ٢٨ يناير من ذلك العام عادت اليهم سفينتهم « سوثرن كروس » فركبوها فرحين وساروا بها متقدمين من القطب في الجهات المجهولة اتماماً لهذه الرحلة . فروا بجبل ملبورن وجبل تيرور وشاهدوا في طريقهم بركاناً يقذف دخاناً اسود وسط تلك الثلوج البيضاء . فوقفت السفينة هناك ونزل منهـا رجال الحملة لفحص الارض فوجدوها كارض فيكتوريا قاحلة جدباء بيضاء من تراكم الثلج عليها . غير انهم وجدوا في بقعة صغيرة بقعة من الرمل فيها بعض النباتات فبادر العلماء الى قطفها لفحصها . وبينما هم مشتغلون بذلك واذا بصوت كصوت الرعد القاصف قد صم آذانهم فنظروا فابصروا الثلوج تتفرقع وتتدحرج من حولهم وتسقط في البحر كصخور حطها السيل من علٍ فطما البحر عليهم كطوفان عظيم وكاد يغرقهم كلهم لو لم يتسلقوا بالصخور . ولعل ذلك قد نشأ عن زلزال خفيف او عن انهيار الثلج انهياراً شديداً

ثم عاد بورشكرينك الى السفينة واستمر في طريقه . ولكنه ما سار مسافة حتى اعترض سفينته جدار عظيم من الثلج ليس له اول ولا آخر . فنزل على الثلج واخذ يبحث عن شق او مدخل ليدخل منه الى ذلك البر ولما وجد شقاً اخذ معه رفيقاً واحداً وسار في ارض مجهولة لم يطأها احد قبله . وما زال حتى بلغ الدرجة ٧٨ والدقيقة ٥٠ اي انه صار قريباً من نقطة القطب الجنوبي مسافة ١٢٣٩ كيلومتراً وهي درجة لم يبلغها احد قبله من السياح في هذا القطب

وقد قلنا ان رحلة الدوق ابروزي قد دلت على ان نقطة القطب الشمالي واقعة في بحر واسع مغطى بالثلج الدائم . اما رحلة بورشكرينك فقد دلت على ان نقطة القطب الجنوبي واقعة في اراضٍ واسعة لا حد لها . فهنالك اذاً قارة جديدة مجهولة لا يعرف الانسان حيوانها ونباتها واحوالها الجوية . ولكن الزمان وابناءه سيكتشفونها كلها

وقد عاد هذا الرحالة سالماً الى بلاده ولم يفقد من رجاله في هذه الرحلة سوى العالم هنسن احد العالمين في الحيوان اللذين صحباه . وكانت وفاته من التعب والضعف عن احتمال هواء تلك الجهات

المرحوم عبده الحمولي

﴿ اكبر موسيقي عربي في الشرق ﴾

صدقت جريدة المؤيد الغراء في قولها انه « اذا كان المرحوم عبده افندي الحمولي اشهر مغنٍ عربي في هذا العصر واعلم الموسيقيين في الشرق بفنه فمن حق التاريخ على كتاب زمانه ان يدونوا سيرة حياته »

ولقد توفي في هذا العام الموسيقي (فردي) اشهر موسيقيي ايطاليا فقامت له جرائد اوربا وقعدت ولبست عليه الجرائد الاجنبية التي تطبع في القطر المصري حلة السواد وخاضت جرائدنا ومجلاتنا في ترجمة الرجل وذكر مواهبه ونوادر اعماله · ولكن لما مات عبده الحمولي لم يكن شيء من ذلك فكأنه لم يمت اكبر موسيقيي العرب في هذا الزمان او كأننا لا نعتبر المواهب مواهب الا اذا كانت « افرنجية »

واجتناباً للوقوع في هذا الخطاء نقتطف مما كتبوا ترجمة الفقيد شيئاً منها سائلين الله له عظيم الغفران ولاهله جميل العزاء

ولد الفقيد حوالى سنة ١٨٤٤ في مدينة طنطا وكان ابوه من تجار البن وكان له اخ اكبر منه فوقع الشقاق بين ابيه والاخ الكبير فاخذه اخوه وسار هائماً في تلك الانحاء فالتقيا وهما على آخر رمق من التعب والجوع برجل من طنطا يدعى المعلم شعبان وهو من ضاربي « القانون » وكان يعرف رخامة صوت الفقيد فعاد به وباخيه الى طنطا ثم جاء به الى مصر فاخذ الفقيد يشتغل معه بالغناء في قهوة كانت قائمة في غابة مكان حديقة الازبكية اليوم · فاقبل الناس على سماع صوت الفتى عبده فاتسع به رزق المعلم شعبان فازوجه ابنته ليربطه به · ولما ارتبط به عبده انقلب شعبان عليه فصار يسوء معاملته

وكان في مصر في ذلك الزمان مغنٍ طائر الصيت يدعى « المقدم » فلما سمع الحان الفقيد اعجب بها فجعله يطلق امرأته وجذبه اليه فصار عبده يشتغل معه

وكان الغناء العربي في مصر في ذلك العصر مقصوراً على بعض التواشيح والقدود التي نقلها الى مصر منذ اكثر من قرنين رجل حلبي يدعى شاكر افندي وقد ورث اهالي حلب هذه التواشيح والقدود عن اهل الدولة العربية في بغداد فكان المغنون في مصر قبل الفقيد يقتصرون على ان يلوكوا هذه التواشيح والقدود بافواههم دون تصرف فيها · فلما جاء عبده

عافت نفسه ذلك التقليد الاعمى لمواهبه الموسيقية الفطرية فاخذ يتصرف فيهـا تصرف الموسيقي المبتكر

وما زال حتى اشتهر في مصر فالحقه المرحوم اسماعيل باشا بمعيته واصطحبه مرارًا الى الاستانة فسمع فيها الفقيد الالحان التركية ووعاها . ثم جلب اسماعيل باشا كثيرين من موسيقيي الافرنج فسمع عبده الموسيقى الافرنجية مرارًا ووعاها ايضاً . ثم نظر الى مصطلحات الانشاد في ذلك الزمان كانشاد الفقهاء « والعوالم » والضاربين بالدفوف ووعى ما كان فيها حسنًا ايضاً . وبعد ذلك هضم عبده جميع تلك الالحان المختلفة في دماغه المستعد استعدادًا فطريًا للابتكار الموسيقي واستخرج منها طريقة جديدة وهي طريقة الغناء كما هو اليوم . وقد اقتبس شيئًا كثيرًا من الالحان التركية اخصها الحان النهاوند والحجازكار والعجم التي كانت يومئذ مجهولة في الغناء العربي وهي الآن اطرب الالحان العربية

ولا حاجة الى ذكر ما لقيته طريقة عبده من مقاومة المغنين في بدء الامر فان المقاومة والتعنيف نصيب كل امر جديد يحدث في جميع الفنون

ولما ارتقى شان عبده بطريقته الجديدة واثرى من غنائه وملازمته اسماعيل باشا ترك الغناء وعمد الى التجارة ففتح محلاً لبيع الانسجة بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضت سنتان الا وذهب هذا المال دينًا عند الناس فعاد الى صناعة الغناء مكرهًا لانه كان يكره الغناء بالاجرة ويتمنى دائمًا ان يغنيه الله عن ذلك . فاجاب الله سؤله واغناه بسعيه وبقوة مواهبه فانقطع عن الغناء بين الناس وعاش بينهم كريمًا محبوبًا

وكان السهر الطويل الذي كان يسهره الفقيد في حياته وما وراء ذلك من الطرب ولوازمه قد نقض بناء صحته وافضى به الى داء الصدر فذهب الى الصعيد مستشفيًا فعاد منه بشيء من الصحة ولكن بلغه في عودته وفاة احد اصدقائه فحزن عليه وسار الى المنيا لحضور جنازته فقصر هذا السفر في اجله

وللفقيد نوادر كثيرة لا تحصى وكلها تدل على سخاء يده وكرم اخلاقه . وقـد جاء وقت — وهو وقت اسماعيل — كانت فيه مصر كلها واقفة على شفتي عبده لما جدده فيها من الميل للموسيقى والولع بها

ومن نوادره ان اسماعيل باشا امر في ذات يوم ان يؤتى بالمغنية « المز » المشهورة لتغني في حضرته . وكان عبده قد اقترن بها ومنعها من الغناء فجاء رسول اسماعيل يطلبها فرده عبده خائبًا فغضب اسماعيل وامر ان يؤتى بها بالقوة . وكان اسماعيل يومئذ في ابان

صوته وسطوته فثبت النقيد في موقفه امامه مع انه لم يكن احد يجسر على الوقوف في ذلك الموقف . ثم ذهب وسال صديقه المرحوم الشيخ علي الليثي ان يتوسط له لدى اسماعيل بالعدول عن طلب « المز » لان عبده يستنكر ان تغني زوجته بين الناس فتوسط له صديقه فعدل اسماعيل عن عزمه

وقد زار النقيد الاستانة في سنة ٩٦ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان وغنى على مسمع من جلالته فاعجب جلالة السلطان بغنائه ووصله وابلغه حسن رضائه ثم امره ان يلقي ما غناه في حضرته الى ضباط الموسيقى ليقيدوه بالعلامات الموسيقية (النوطة) فاطاع النقيد ولكنه لم يتمكن من اتمام ذلك فلما عاد الى مصر اتمه وارسل العلامات المطلوبة الى الاستانة

وله في السخاء والمروءة والشهامة نوادر تضرب بها الامثال . منها ان رجلاً قصده لحاجة فنحه في الحال ٥٠٠ جنيه . وجاءه رجل يقول انه فقير ولا مال له ليحتفل بزفاف ابنته فسار معه النقيد مع تخته ولبث يغني حتى الصباح والجوع مزدحمة حوله . واتفق معه صاحب محل على الغناء ليلة في محله بمبلغ ٥٠ او ٦٠ جنيهاً على ما نظن ولما انقضت الليلة وانصرف السامعون جاءه صاحب المحل يشكو انه خسر في هذه الليلة فضحك النقيد وتنازل له عن نصف المبلغ الذي تم عليه الاتفاق . وغير ذلك كثير

ولعل كل ما تقدم لا يدل دلالة تامة على حقيقة مقام النقيد في فن الموسيقى في مصر ولذلك نردفه بالقصيدة التالية التي قالها في رثائه حضرة احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ففيها احسن مدح وابلغ وصف للنقيد

ساجع الشرق طار عن اوكاره … وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض … لا تفر النسور من اظفاره
يطرق الفرخ في الغصون ويغشى … (لبدًا) في الطويل من اعماره
سلب الفن احلن الطير فيه … والمثين المكين من اوتاره
كان مزماره فاصبح داو … دكثيباً يبكي على مزماره
(عبده) ييد ان كل مغنٍّ … عبده في افتنانه وابتكاره
معبد الدولتين في مصر اضحى … في (السميين) رب مصر وجاره
في بساط الرشيد يوماً ويوماً … في حمى جعفر وضافي ستاره
صفو ملكيهما به في ازدياد … ومن الصفو ان يلوذ بداره
يخرج المالكين من حشمة الملك ويغشى الوقور ذكر وقاره

رب ليل اغار فيـه القارى   واثار الحسان من اقماره
بصبا يذكر الرياض صباه   وحجاز ارق من اسحاره
وغناء يدار لحنا فلحنا   كحديث النديم او كعقاره
وانين لو انه من مشوق   عرف السامعون موضع ناره
يتمنى اخو الهوى منه آها   حين يلحي تكون من اعذاره
زفرات كأنما بث قيس   في معاني الهوى وفي اخباره
لا يجاريه في تفننه العو   د ولا يشتكي اذا لم يجاره
يسمع الليل منه في الفجر يا ليل فيصغي مستمهلاً في فراره
فجع الناس يوم مات الحمولي   بدواء الهموم في عطاره
بابي الفن وابنه واخيه   والقوي المكين في اسراره
والابيّ العفيف في حالتيه   والجواد الكريم في ايثاره
يحبس اللحن عن غنيّ مدل   ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثا بصوته في الرزايا   ومعينا بماله في المكاره
وعل الفقير بين ذويه   ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر   وشفاء المحزون من اقداره
لست بالراحل القليل فتنسى   واحد الفن امة في دياره
غاية الدهر ان اتى او تولى   ما لقيت الغداة من ادباره
نزل الجد في الثرى وتساوى   ما مضى من قيامه وعثاره
وانقضى الداء باليقين من الحا   لين فالموت منتهى اقصاره
لهف قومي على مخايل عز   زال عنا بروضه وهزاره
وعلى ذاهب من العيش وليت   فولى الاخير من اوطاره
وزمان انت الرضى من بقايا   ه وانت العزاء من آثاره
كان للناس ليله حين تشدو   لحق اليوم ليله بنهاره

وقد وردتنا قصيدة ثانية في رثاء الفقيد من نظم حضرة الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف اليونانية في الثغر فاقتطفنا منها ابياتاً شائقة وهي :

ان تغنى خلت الملائك صاحت   من اعالي القباب تتلو زبوراً

طالما ظن سامعوه اتفاقاً أنهم ثم يسمعون صفيرا
من شحارير في الرياض تغنت او من الاسد في القفار زئيرا
او من البان في الجنان حفيفاً او من الماء في السواقي خريرا
كم برفع من بعد خفض وهمس بعد جهر تلا علينا سحورا
فأنسنا بسلم من رقاه بات قبلاً يعقوب منها قريرا
وصلت بالارض السما اذ اقلت من جنود الملاء رهطا وقورا
فارتقينا تلك المراقي معهم بنفوس حامت عليها طيورا
خافقات باجنح سابحات في بحار الخيال تفري غمورا
واصبنا بعد الجهاد قراراً اذ راينا من عالم الكشف نورا
وطربنا لما رأينا عذارى ضاربات حول الترنم سورا
ساطعات كأنهن شموس مشرقات تخالهن بدورا
من رياض النعيم جئن بداراً في هوى صوته هجرن الخدورا
ويحسن الايقاع همن انشغافاً وارتشفن من اللحون خمورا
ورقصن على اناشيد عبد بين ارباب الفن اضحى شهيرا
ان في مصر «للمقاول» فضلاً اذ وعت من غناه جزءاً يسيرا (١)
غير ان الآذان اسعد منها حفظت من ذاك السماع الكثيرا
ولئن بان ذلك الصوت عنها فصداه اقسام معها سميرا
مثل قرطاس ناله الحرق لكن ما برحنا نرى عليه السطورا
مات حقاً «عبده الحمولي» ولكن ذكره للاعقاب يبقى الدهورا

ومن ظريف الرثاء الذي قيل فيه الموال الآتي لناظمه محمد افندي احمد المصري

فن الطرب انطرب لجلك عراق وحجاز ومصر ناحت وابكاك اليمن وحجاز
والترك والهند لو حزنم وناحوا جاز عليك يا مطرب الاصحاب في صيام
لكن المي دعا عبده وغنوه جاز

هذا ونختتم هذا الفصل بكلمة للمجلة المصرية الغراء وهي «لقد كان في مصر قبل انقضاء

---

(١) اشارة الى ان الفقيد شرع قبيل وفاته في تقييد الحانه في اسطوانات الفونوغراف طلباً للعيش لان هذا الذي كان يربح الجنيهات بالمئات ويهبها بالمئات قد توفي ولا مال له

هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما عبده وعثمان . فاليوم نحن ولا مبهج في الفرح ولا معزٍ في الشجن الا ما كان من قبيل حكاية الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف » تقول ولقد كان هذا القول صحيحاً لو لم يبقَ بلبل المواسم الشيخ سلامه حجازي

آفات التمدن الحالي

الغنى والمضاربة في اميركا

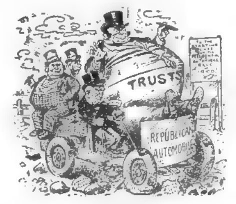
دوس القانون ضمن دائرة القانون . طريقة ذلك . الجنون في بورصة نيويورك ولندن والبراز بين كبار الاغنياء . خراب الوف من البيوت لهذا السبب . سياسة المستر ماكنلي ومصروره . حكم الفلسفة في المضاربة ينطبق على حكم المحكمة الاستئنافية المختلطة بالاسكندرية

للتمدن الحالي آفات كما له حسنات . ومن هذه الآفات تمكن بعض البشر من دوس القانون استناداً الى القانون وقتل حقوق الانسان استناداً الى مبداء حقوق الانسان

ومن هذا القبيل حالات الغنى الطائل في اميركا . فان انصار حرية الغنى يقولون ان مداخلة الحكومة في شؤون ارباب الاموال لتحديد غنام ومراقبة اعمالهم امر يخالف مبدأ الملكية المقدس ويفضي الى الفوضى فضلاً عن خنقه بذور النشاط والجد في العالم وهو قول لا يخلو من صواب ولكن النتائج التي تبدو الآن في اميركا فيما يختص بالغنى الطائل توشك ان تكون للهيئة الاجتماعية خطراً اشد من خطر القيام على مبداء الملكية

وهذا الخطر هو خطر الاحتكار . فانه قد نشأت في تلك البلاد صناعة جديدة مدارها على تأليف شركات لاحتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة . فشركة تحتكر الفولاذ وواحدة تحتكر السكر واخرى تحتكر البن ورابعة الملح وخامسة الثلج وهلم جرّاً . وهذا الاحتكار لا يستوجب اذناً من الحكومة ولا رضى من ارباب الصناعة ولا موافقة من الاهالي بل يتم بالرغم عنهم جميعاً على الطريقة الآتية

يخطر لاحد الاغنياء الاميركيين ان يحتكر البيره (الجعه) مثلاً فيخصص لذلك من ماله ثلاثمائة مليون فرنك او خمسمائة مليون وينشيء معامل للبيره واسعة ويمد منها خطوطاً حديدية الى البلاد التي سيصدر بضاعته اليها ثم يحمل البيره اليها ويأخذ يبيعها باثمان بخسة جدّاً . فلا ينقضي على ذلك بضعة شهور حتى تفلس المعامل التي تناظره وتقفل ابوابها



❋ شركات الاحتكار في اميركا ❋

المستر ماكنلي ورجال حكومته جالسون في مركبة الجمهورية يقودها الرئيس وبجانبه تمثال الاحتكار ببطن واسع لكثرة ما يأكل · وقد عنت جريدة «الجورنال» الاميركية بهذا الرسم ان الرئيس ماكنلي يحمي شركات الاحتكار

فحينئذ يرفع اسعار البيره لانه يصبح مالك السوق وحده وربما ضاعف الثمن فعوض في سنة ما خسره في سنوات · فمن خسر في هذه المسالة ومن ربح ؟ خسر اصحاب معامل البيره الذين خربت بيوتهم وعملتهم الذين جاعت نساؤهم واولادهم والاهالي الذين كانوا يبتاعون البيره بثمن بخس فصاروا يبتاعونها بثمن غال · ولم يربح سوى شخص مفرد كان في غنى عن ربحه · هذه هي الان نتيجة حرية التجارة والغنى في البلاد الاميركية اي ان الغني صاحب الملايين صار قادرًا على دوس القانون ضمن دائرة القانون فيحتكر بماله الطائل مع ان الاحتكار محرم في قانون بلاده ويقتل مزاحميه في تجارته كما يقتل اللصوص أبناء الطريق

وقد تألفت الآن شركات عظيمة للاحتكار في اميركا على هذا الوجه واكبرها كلها شركة احتكار الفولاذ التي انشأها الغني الشهير المستر اندريو كارنيجي الذي بلغت ثروته مليار فرنك ونصفاً وهو يوزع الآن ذرات منها على المكاتب العمومية في اميركا والمدارس الكبرى في اسكوتلنده مسقط راسه · وهذه الشركة رأس مالها سبعة مليارات فرنك وهي منقسمة الى ٣٣ شركة تحتكر الفولاذ في الولايات المتحدة كلها وعدد عملتها مليونا عامل يرئسهم المستر شارلس شويب الذي يقبض راتباً قدره ٥ ملايين فرنك في العام · واما ربح هذه الشركة في السنة فهو ٥٠٠ مليون فرنك

❋ الجنون في بورصة نيويورك ولندن ❋ ورغبة في اطلاع القارىء على حقيقة الضرر الذي يصيب الناس الان بسبب هذه الشركات نكتفي بذكر الحادث الكبير الذي احدثته في ٩ مايو في بورصتي نيويورك ولندن لا سيما وانه لم يذكره احد بالتفصيل بعد وهذا بيانه ٠

لكبار اغنياء الاميركان عادة وهي احتكار اسهم السكك الحديدية للتمكن من الضغط على اداراتها والتأثير عليها بما ينطبق على مصلحتهم في نقل بضائع شركات الاحتكار التي تكون لهم ٠ ففي ذات يوم كانت اكثر اسهم شركة « اونيون باسيفيك » في قبضة المستر كولد الغني الشهير فجاءه المستر فندربلت صنوه في الثروة والغنى وتمكن من اخراج تلك الاسهم من قبضته ٠ فغضب لذلك كولد ونوى ان يثأر لنفسه

وكانت اكثر اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » في قبضة المستر فندربلت ورفيقه المستر مورغان الشهير مثله ٠ فجاء المستر كولد الى بورصة نيويورك في ٩ مايو مع رفيقه الغني ركفلر وفي نيتهما الاخذ بالثار واحتكار اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » مهما كلفهما هذا الاحتكار

فعلم المستر فندربلت والمستر مورغان بعزمهما هذا فعقدا النية ايضاً على احتكار كل تلك الاسهم مهما كلفهما هذا الاحتكار اغاظة لهما

فلما درى بذلك رجال البورصة بادروا من كل صوب الى شراء اسهم « باسيفيك نور » وهم يمللون النفس بالسعادة لانهم اعتادوا هذا البراز بين الاغنياء ٠ فابتاعوا السهم الواحد منها عند افتتاح البورصة بمائة وسبعين ريالاً ٠ ولما كثر المشترون صعدت قيمته وما زالت تصعد بسرعة البرق الخاطف حتى بيع من الاسهم اكثر مما هو موجود ٠ فطلب المشترون التسليم فبلغ حينئذ ثمن السهم الواحد الف ومائة دولار اي انه صعد ٩٣٠ دولاراً في ساعة واحدة ٠

فحدث حينئذ امر هائل لم يسبق له مثيل في بورصات العالم ٠ فتقدم الاضطراب والصراخ وانقطع البيع والشراء الا نقداً اذ اعلنت ادارة لجنة البورصة انها لا تراقب العقود لكثرتها وسرعتها ٠ وصار من يملك ثلاثة اسهم من هذه الاسهم يبيعها فيصبح غنياً في لحظة واحدة ٠ وطيروا القطارات التجارية خصوصاً الى المدن القريبة من نيويورك والى شيكاغو لتأتي بما تعثر به فيها من هذه الاسهم ٠ وبحّت اصوات السماسرة من كثرة الصراخ فعجزوا عن النطق وصاروا يشيرون الى الثمن اشارة بالاصابع

وماذا اجرى بعد ذلك

جرى ان فريق كولد وفريق فندربلت بدا لها ان يعدلا عن هذا الاحتكار لانهما وجداه صعباً فابطلا الشراء من هذه الاسهم. فحدث حينئذ ما لا تتصوره العقول ولا تقوى الاقلام على وصفه. فان السهم الواحد هبط كصخر حط من علٍ من ١١٠٠ ريال الى ٨٠٠ ريال ثم الى ٣٢٥ ريالاً. فساد الجنون في البورصة فهجمت النساء يبكين وينتفن شعورهن لانهن خسرن اموالهن وراح الرجال يدوس بعضهم بعضاً وكثيرون منهم يصرخون انهم عزموا على الانتحار. وسقطت في الحال ثلاثة بيوت مالية كبرى. وحدث ضرب ودوس وخصام بين الجماهير المجتمعة فاستدعي البوليس لتفريقهم. ولم تغرب شمس ذلك اليوم الاوقد بات الوف من رجال نيو يورك فقراء لا يكون شروى نقير مع انهم كانوا بالامس من لهم الخيل والمركبات. وقد سرى شيء من هذا الاضطراب الى بورصة لندن فان بعض رجالها عاموا على جراب رجال البورصة في نيو يورك فغرقوا معهم واصبحوا فقراء بعد الغنى. منهم شاب في الرابعة والعشرين جنَّ في اثناء البورصة فاخذ يقذف من نافذتها ما معه من الاسهم والاوراق المالية. وراح شاب ثانٍ يعدو بين الجماهير وهو يزأر زئير الاسود ويعرض للبيع بقيمة عشرين فرنكاً الورقة التي قيمتها ١٠٠ فرنك. فلا ريب انه قد جنَّ ايضاً

وفي اثناء ذلك كله اين ذهب اصحابنا الذين كانوا اصل هذا البلاء: كولد وفندربلت ومورغان وركفلر؟ وما كانوا يصنعون؟ — كانوا جالسين على مقعد في بورصة نيو يورك يضحكون من ذلك الاضطراب والجنون ويدخنون ويتحدثون بانه اذا عُرض عليهم سهم «الباسيفيك نور» بقيمة ١٥٠ ريالاً فانهم يبتاعونه ....

واين ذهبت تلك الملايين الطائلة التي خربت خسارتها بيوت الوف من الرجال والنساء؟ — ذهب اكثرها الى جيب فندربلت ومورغان الذين ربحا اكثر من مائتي مليون فرنك في ساعة واحدة

وكثيرون من السماسرة ربح الواحد منهم في ذلك اليوم خمسين الف فرنك اجرة له عن البيع والشراء

اما عدد ما بيع من اسهم «الباسفيك نور» في ذلك اليوم المشهود فقد بلغ [redacted] ملايين و٢٦٣ الف سهم. وقد كان جناب المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ في كاليفورنيا فبعث يسأل اذا كانت هذه الحوادث لا تؤثر على صناعة البلاد وحالتها

الاقتصادية فاجاب المستر مورغان وغيره ان صناعة الولايات المتحدة قائمة على اسس لا تتزعزع ولكن هب ان هذه الحوادث تخرب البلاد كلها فان المستر ماكنلي عاجز عن مقاومة اصحاب الملايين لانه لم يُنتخب الا بسعيهم ونفوذهم ولانهم صاروا دولة في الدولة . ولذلك تصوره جرائد اميركا جالساً مع رجال حكومته في مركبة الجمهورية يقودها بنفسه وهو حامل عليها تمثال الاحتكار الذي صار ملازماً له ولسياسته لانها مبنية على قاعدة وضع الرسوم الجمركية والاستعمار (انظر الرسم في هذا الفصل)

هذه احدى آفات التمدن الحالي في هذا الزمان . ونحن لا نذمها لان صوتنا ضعيف لا يؤثر فيها ولكننا ننقل هنا منذي صوت قوي وهو صوت الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه « الواجبات » قولاً ينطبق عليها وعلى الحكم الذي اصدرته محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بشان المضاربة وهو

« ان ما يربحه الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبنيّ اكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الوسائط الشريفة الحلالة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الا ان يكون هناك راسمال عظيم يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . ومن الغريب انه ما من احد يجهل ما انطوت عليه هذه العلق المائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم . هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون . ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من يطاوعه قلبه على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستخفون نعني معاملة اللصوص والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيه الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما كان ومن اينما خرج . فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن فلتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تخفضتهم وتركها معاقبتهم اهانة للفضيلة والعمل والاجتهاد »

فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة للشرقيين الذين يُقبلون على المضاربة وهم مغمضو العيون فان المضاربة قد تفاقم خطبها عندنا في هذه السنين

وماذا اجرى بعد ذلك

جرى ان فريق كولد وفريق فندربلت بدا لها ان يعدلا عن هذا الاحتكار لانهما وجداه صعباً فابطلا الشراء من هذه الاسهم. فحدث حينئذ ما لا تصوره العقول ولا تقوى الاقلام على وصفه. فان السهم الواحد هبط كصخر حط من علٍ من ١١٠٠ ريال الى ٨٠٠ ريال ثم الى ٣٢٥ ريالاً. فساد الجنون في البورصة فهجمت النساء يبكين و ينثرن شعورهن لانهن خسرن اموالهن وراح الرجال يدوس بعضهم بعضاً وكثيرون منهم يصرخون انهم عزموا على الانتحار. وسقطت في الحال ثلاثة بيوت مالية كبرى. وحدث ضرب ودوس وخصام بين الجماهير المجتمعة فاستدعي البوليس لتفريقهم. ولم تغرب شمس ذلك اليوم الا وقد بات الوف من رجال نيو يورك فقراء لا يكون شروى نقير مع انهم كانوا بالامس بمن لهم الخيل والمركبات. وقد سرى شيء من هذا الاضطراب الى بورصة لندن فان بعض رجالها عاموا على جراب رجال البورصة في نيو يورك فغرقوا معهم واصبحوا فقراء بعد الغنى. منهم شاب في الرابعة والعشرين جنَّ في اثناء البورصة فاخذ يقذف من نافذتها ما معه من الاسهم والاوراق المالية. وراح شاب ثان يعدو بين الجماهير وهو يزأر زئير الاسود و يعرض للبيع بقيمة عشرين فرنكاً الورقة التي قيمتها ١٠٠ فرنك. فلا ريب انه قد جنَّ ايضاً

وفي اثناء ذلك كله اين ذهب اصحابنا الذين كانوا اصل هذا البلاء: كولد وفندربلت ومورغان وركفلر؟ وما كانوا يصنعون؟ — كانوا جالسين على مقعد في بورصة نيو يورك يضحكون من ذلك الاضطراب والجنون و يدخنون و يتحدثون بانه اذا عُرض عليهم سهم « الباسيفيك نور» بقيمة ١٥٠ ريالاً فانهم يبتاعونه ....

واين ذهبت تلك الملايين الطائلة التي خربت خسارتها بيوت الوف من الرجال والنساء؟ — ذهب اكثرها الى جيب فندربلت ومورغان الذين ربحا اكثر من مائتي مليون فرنك في ساعة واحدة

وكثيرون من السماسرة ربح الواحد منهم في ذلك اليوم خمسين الف فرنك اجرة له عن البيع والشراء

اما عدد ما بيع من اسهم « الباسفيك نور» في ذلك اليوم المشهود فقد بلغ ٣ ملايين و٢٦٣ الف سهم. وقد كان جناب المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ في كاليفورنيا فبعث يسأل اذا كانت هذه الحوادث لا تؤثر على صناعة البلاد وحالتها

الاقتصادية فاجاب المستر مورغان وغيره ان صناعة الولايات المتحدة قائمة على اسس لا تتزعزع ولكن هب ان هذه الحوادث تخرب البلاد كلها فان المستر ماكنلي عاجز عن مقاومة اصحاب الملايين لانه لم ينتخب الا بسعيهم ونفوذهم ولانهم صاروا دولة في الدولة . ولذلك تصوره جرائد اميركا جالساً مع رجال حكومته في مركبة الجمهورية يقودها بنفسه وهو حامل عليها تمثال الاحتكار الذي صار ملازماً له ولسياسته لانها مبنية على قاعدة وضع الرسوم الجمركية والاستعمار (انظر الرسم في هذا الفصل)

هذه احدى آفات التمدن الحالي في هذا الزمان . ونحن لا ندمها لان صوتنا ضعيف لا يؤثر فيها ولكننا ننقل هنا عندي صوت قوي وهو صوت الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه « الواجبات » قولاً ينطبق عليها وعلى الحكم الذي اصدرته محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بشان المضاربة وهو

« ان ما يربحه الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبني اكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الوسائط الشريفة المحللة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الا ان يكون معك رأسمال عظيم يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . ومن الغريب انه ما من احد يجهل ما انطوت عليه هذه العلق المائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم . هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون . ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من يطاوعه قلبه على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيه الشاعر اللاتيني جوفنال « طيب الرائحة حيثما كان ومن اينما خرج » . فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن فلتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تفخيمهم وتركها معاقبتهم اهانة للفضيلة والعمل والاجتهاد »

فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة للشرقيين الذين يُقبلون على المضاربة وهم مغمضو العيون فان المضاربة قد تفاقم خطبها عندنا في هذه السنين

روايات الجامعة

﴿ نهضة الاسد ووثبة الاسد ﴾

لما ذكرنا منذ شهور على ظهر الجامعة في احدى الاجزاء الماضية انه قد خطر لنا اختصار روايات نهضة الاسد ووثبة الاسد وردتنا رسائل عديدة من القراء يلحون علينا ان لا نختصر منها شيئاً لانهم يقرأونها قبل مواد المجلة نفسها. وقد تمنى كثيرون منهم ان ننشر منها في كل جزء ملزمتين لا ملزمة واحدة . وبعض القراء في الاسكندرية يسألنا باستغراب كيف لم نستخرج قبل الآن هذه الروايات الى اللغة العربية فانه لم يرَ كتاباً جامعاً مثلها للتاريخ والادب والسياسة والحب والفكاهة والحوادث الغريبة في سياق واحد. وكان بعض المشتركين في الثغر ولا يزال باقي الادارة ويطلب ملزمة الروايات عند طبعها لعدم صبره عليها



﴿ الكردينال دي روهان ﴾
محب الملكة

فكل هذه الامور اقنعتنا بان لا نختصر هذه الرواية الجليلة مع طولها . وقد سرنا ذلك لاننا نجد من اللذة في كتابتها بقدر ما يجده



﴿ عقد الملكة ﴾

ثمنه مليون و٦٠٠ الف فرنك وقد اراد الكردينال ابتياعه للملكة استرضاء لها
راجع تفصيل ذلك في الصفحة ٩١ في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء

القراء من اللذة في مطالعتها . وما من فرق بينهما سوى ان لذتنا مشوبة بتعب ولذتهم خالصة من كل شائبة

وبناء عليه فاننا قد عدلنا عن اختصار هذه الرواية . وهي ثلاثة اقسام القسم الاول سميناه « نهضة الاسد » وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم . والقسم الثاني « وثبة الاسد » وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يُجدِ اللين والمسالمة نفعاً . والقسم الثالث « فريسة الاسد » وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانت قرينته وجميع النبلاء والرجال الذين حضروها



❊ الملكة ماري انطوانت ❊

فهذه الرواية اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها . ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوآت كاليوسترو الخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولا سيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية . وهذا كله



❊ مدموازل ديسيني ❊

التي كانت تشبه الملكة والتي حسبها الكردينال اياها

ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارئ تاريخ الثورة الفرنسوية كلها وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

وبما ان هذا التاريخ لم يوضع باللغة العربية بعدُ فقد اقبل القراء على مطالعة نهضة الاسد ووثبة الاسد من كل صوب . وقد قال لنا بعضهم انه قرأ هذه الرواية مرتين وقدشرع في قراءتها للمرة الثالثة فلم نعجب من ذلك لاننا نحن حينما عثرنا على اجزائها الفرنسوية منذ بضعة اعوام تركنا كل مطالعة حتى اتممناها كلها وكثيرًا ما سهرنا فيها الى ما بعد الساعة الثالثة من منتصف الليل مع كراهتنا لمطالعة روايات غيرها

وقد أصدرنا منها الى الآن الجزء الاول والثاني من « نهضة الاسد » والجزء الاول من « وثبة الاسد » بقي الجزء الثاني من وثبة الاسد وجزء « فريسة الاسد » وهو الاخير وسيظهر هذان الجزءان في مجلد السنة القادمة . اما الاجزاء الثلاثة الصادرة الى الآن فانها تُطلب من الجامعة او من وكلائها في الجهات

✱ قضية اكبر من قضية دريفوس نشأت الثورة الفرنسوية منها ✱ ومن الصور والرسوم العديدة التي زينا بها هذه الرواية الرسوم التي وضعناها في هذا الفصل . وهي رسوم اصحاب القضية المعروفة « بقضية عقد الملكة » التي كانت من اعظم اسباب الثورة الفرنسوية . اطلب بيانها بالتفصيل في هذا الجزء الصفحة ٩١ من الرواية والصفحة ١١١ فان هذه الحادثة التاريخية من اعظم حوادث فرنسا وقد اشتغل بها العالم في ذلك الزمان اكثر مما اشتغل بحادثة دريفوس في الاعوام الاخيرة

ويحسن بهذه المناسبة أن نوجه انظار القراء ايضًا الى ما ورد عن الخطيب ميرابو في الصفحة ٨٣ و٩٢ من الرواية في هذا الجزء وما ورد عن روبسبير وبونابرت من الصفحة ٩٦ فصاعدًا فان ذلك يدل احسن دلالة على نسق هذه الرواية

السيد فضل باشا — ولد سنة ١٢٤٠ هـ في مالابار بالهند واشتهر بالعلم في الهند وبلاد العرب وهاجر الى مكة مسقط راس جده وفي سنة ١٢٦٩ جاء الى دار السعادة ثم عاد الى مكة وفي سنة ١٢٨٧ زار دار الخلافة مرة ثانية في عهد السلطان عبد العزيز ثم عاد الى مكة ومنها الى ظفار التي صار اميرًا عليها ثم جاء دار السعادة مرة ثالثة في عهد جلالة السلطان الحالي ولبث الى ان توفي في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٨ وله مؤلفات كثيرة نافعة

(تقويم المؤيد)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

خوف الغرب من الشرق

﴿ المدارس حاجتنا الكبرى ﴾

(تنبيه" يجهل الصم" يسمعون والعمي يبصرون)

كان الشرق يخاف الغرب فاصبح اليوم الغرب يخاف الشرق ايضاً

كان الشرق يخاف الغرب كما يخاف الاخ الضعيف اخاً مستبداً قوياً • واصبح الغرب يخاف الشرق كما يخاف الاخ المستبد القوي اخاً مقعداً كان قوياً ويخشى ان يسترد قوته

وخوف الغرب من الشرق انواع • فتارة يخشى الغرب الخطر العسكري وهو ان يقوم من اواسط آسيا تيمورلنك ثانٍ او جنكيزخان ثانٍ فيكتسح اوربا بملايين جرارة من الجنود الاسيويه • وهذا ما يسمونه « الخطر الاسيوي » وطوراً يخشى ان يقوم من قلب سلطنة الروس قيصر فاتح فيجند ملايينه ويصرع بها اوربا كما صرعها نابوليون الاول في بدء القرن التاسع عشر • وهذا ما يسمونه « الخطر الروسي » وآونة يخشون ان تهب ملايين الصينيين الى الاخذ بالثأر من الاوربيين فيهاجمون اوربا ويقتلونها كما قتل برابرة الشمال رومه وقضوا على سلطتهـا • وهذا ما يسمونه « الخطر الاصفر او الخطر الصيني » • وتارة يخشى ما يسميه « العصبية الاسلامية » وهي ان يتحد مسلمو العالم باسره على مقاومة اوربا ويستميلوا اليهم ملايين البشر الذين يعبدون برهما وبوذه في الهند والصين • وهو ما يسمونه « الخطر الثلاثي »

هذه هي الاخطار التي كان يخشاها الغرب الى هذا الاوان • وقد زيد عليها في هذين العامين خطر جديد يقول عنه بعض ساسة الغرب انه اقرب واعظم من الاخطار الخياليـة

التي تقدمت الاشارة اليها

فقد صدر في الشهر الماضي كتاب جديد عنوانه « الخطر الاصفر » لمؤلفه المسيو « ادمون تاري » مدير مجلة « الاوربي الاقتصادي » وفي صدره مقدمة بقلم السياسي البارون دستورنل الذي كان من مندوبي فرنسا في مؤتمر السلم الذي اجتمع في لاهاي . وموضوع هذا الكتاب ينحصر في الاسطر التالية

« ان اوربا بحملتها على الصين تبحث عن حتفها بظلفها . فان الصين بعد هذه الحرب ستفتح عيناها وتنهض لاقتباس التمدن الاوربي متخذة شعارها « الصين للصينيين » . ومتى بلغت من هذا التمدن مبلغه قلبت ظهر المجن للاوربيين اساتذتها وطردتهم من بلادها اي استغنت عنهم في كل شؤونها وقبضت بنفسها على زمامها . ثم توجه انظارها الى اليابان وتحالفها اتقاء لشر اوربا . فيرضى اليابانيون بمحالفتها و يرسلون اليها اساتذة يابانيين لتعليمها الصناعة وانشاء المعامل فيها . فيكون اليابانيون هم المعلمين والصينيون التلامذة . ومتى حدث ذلك صارت الصين قوة هائلة لا تقف في وجهها قوة . لانها تنشئ حينئذ معامل للسلاح والصناعة . فبالسلاح تجند ملايين من رجالها و بالصناعة تخرب صناعات العالم كلها . ذلك ان الايدي العاملة في الصين تُعد بالملايين . واجرة العامل الصيني في اليوم لا تبلغ ربع او خمس اجرة العامل الاوربي . فبهذه الوسيلة يستطيع الصينيون واليابانيون ان يجعلوا بضائعهم اقل ثمناً من البضائع الاوربية بعشر مرات و يرسلوها الى اوربا فيفسدوا صناعتها وتجارتها . ومتى فسدت صناعة اوربا وتجارتها اضطر اصحاب المعامل الى انقاص اجرة العمل فيأبى العملة ذلك ويعتصبوا اعتصابات متتابعة تفضي الى ثورات وفتن واهوال . فكأن الاوربيين الذين يبذلون جهدهم الآن لفتح الصين يسعون لخراب اوربا اقتصادياً وسياسياً . فليتركوا الصين مقفلة واذا قدروا على ابقائها في دائرة الجهل والخشونة فلا يمتنعوا عن ذلك حفظاً لمستقبل اوربا »

هذه خلاصة هذا الكتاب . وقد كان لهذا الكتاب دوي شديد في اكثر الاندية الاقتصادية في اوربا لانه نذير للاوربيين بالخراب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . فصدقه بعضهم وكذبه آخرون . اما الذين صدقوه فانهم قاموا يطلبون مع المؤلف ترك الصين وشأنها تمدنت او لم تتمدن وسحب الاموال والجنود والتجار والمهندسين منها . واما الذين كذبوه فقد بنوا كلامهم على حجج يجدر بنا ايرادها لان فيها عظة وعبرة لجميع الامم الشرقية

فقد قالوا ان الحرب الاوربية في الصين دلت اوربا على انه لا يكفي ان توضع اسلحة متقنة في ايدي الوف من الناس ليحوزوا اكليل النصر فان النصر في الحرب لا ينال فقط بالسلاح ولكن بالايدي التي تدير السلاح يضون قوة قلوب الجنود وحسن القيادة . نعم ان الصين اذا لجأت الى الخدمة العسكرية الاجبارية تستطيع ان تجرد من شعبها ٣٠ مليون رجل ولكن اين المال الكافي لحشد هؤلاء الرجال ومن اين للصينيين البراعة في القيادة التي هي اهم شروط الانتصار فان هذا امر لا يناله الصينيون الا اذا اقتبسوا تمدننا بتمامه ولا شيء يدل على انهم يقدرون على ذلك بل انهم برهنوا بما صنعوه في العام الماضي على عكسه اي برهنوا على قلة ذكائهم وانحطاط عقولهم بظنهم انهم اذا اثاروا الوفاً من الصينيين على الاوربيين وذبحوا سفراءهم قدروا على التخلص منهم . فالخطر الصيني العسكري اذاً قد زال وحلّ محله الخطر الاقتصادي

ولكن اذا نظرنا الى هذا الخطر بامعان وتامل لم نجد له اثرًا ايضاً . ويكفي لاثبات ذلك ان نشبه الصين بالهند . فقد اثبت الاحصاء الاخير ان عدد سكان الهند ٣٠٠ مليون نسمة ومعلوم ان اجرة العمل فيها اقل منها في الصين وقد مات من سكانها في العامين الماضيين عدة ملايين جوعاً وهذا يثبت انهم كانوا يعملون باية اجرة كانت لو دُعوا الى العمل للحصول على قبضة الارز التي تبقي لهم الحياة . ولا يخفى ان الهند في يد انكلترا وانكلترا هي اعظم قوة صناعية الآن . فلماذا لم يتخذ الانكليز قلة الاجرة في الهند وكثرة الايدي العاملة فيها ذريعة لافساد صنائع العالم بمزاحمة عظيمة كالمزاحمة التي يخشاها من الصين القائلون بالخطر الاصفر

السبب في ذلك ان المسألة الكبرى في صنع المصنوعات وانشاء المعامل ليست قلة الاجرة وكثرة العملة ولكن « المقدرة على العمل » « والرغبة فيه »

فانك اذا اخذت ثمانية عملة لا مقدرة لهم على العمل اي لا براعة ولا مهارة في يدهم لصنع ما تطلبه منهم وكانت اجرة كل واحد نصف فرنك ثم اخذت عاملاً واحداً قادراً على العمل الذي تريده واجرته ٥ فرنكات هل تظن ان الثمانية يقدرون ان يعملوا عمل الواحد . كلا . وكذلك الصينيون والهنود بازاء اوربا . وان قيل انهم يتعلمون العمل اجبنا ان مهارة الاوربي في عمله انما هي ثمرة تمدنه قروناً طوالاً . وهذه اليابان قد تمدنت ومع ذلك فانها لم تقدر الى الآن على مناظرة اوربا الا في المصنوعات التي لا تستلزم مهارة يدوية في العمل بل يكون اكثر العمل فيها ميكانيكياً اي بواسطة الآلات البخارية

فالصينيون اذًا لا يقدرون ان يعملوا عمل الاوربيين ليناظروهم . بقي الامر الثاني وهو هل يرغبون في هذا العمل

اما الرغبة في العمل فانها تقتضي دائماً اي سبباً . وما السبب الذي يدفع الصينيين الى صنع المصنوعات الكثيرة وتغريق اوربا بطوفانها . لا نرى الآن سبباً لذلك على افتراض مقدرتهم عليه . وانما يوجد السبب اذا تمدنت الصين وكثرت حاجاتها فترسل حينئذ بضائعها الى الخارج لتقايض عليها ببضائع اوربية . وحينئذٍ تعيد ما عملته اليابان . فان هذه الدولة كانت اجرة العمل فيها قليلة فلما انشأت اسطولها ونظمت جيشها واقامت المنافع العمومية في بلادها كثرت حاجات شعبها فارتفعت الاجور بحكم الطبع . وكلما ازدادت رسوخاً في التمدن ازدادت اجور عمالها ارتفاعاً . وقد تضاعفت اجور النساء في معامل الغزل اليابانية في عشر سنوات فقط . ومع ذلك فلم تبلغ قيمة صادرات اليابان الى اوربا سوى ٢٢ مليون فرنك في العام وهي تستورد منها ما قيمته ٣٨ مليوناً . فاذا نسجت الصين على هذا المنوال او ضاعفت هذا المقدار مائة مرة على هذه النسبة فاي خطر فيه لاوربا . بل قد يكون لطوفان البضائع الصينية فضل عظيم على اوربا وهو انقاص اثمان حاجيات الحياة وجعل المعيشة في العالم قليلة النفقات . فيومئذٍ لا يشكو العملة في اوربا من انقاص اجورهم لان المعيشة تصير هينة سهلة عليهم

ولكننا في الحقيقة نرى ان الصين عاجزة عن صنع العجيبة التي صنعتها اليابان . فان لغتها ستكون عثرة في سبيل ارتقائها لما فيها من الاضطراب واليبوسة وتعدد الحروف . وجنس الصينيين يختلف عن جنس اليابانيين ودينهم يختلف عن دينهم ايضاً فلا سبيل لتشبيه اولئك بهولاء . فكل ما يرجى ان يُصنع في الصين بعد الحركة الحاضرة هو مد السكك الحديدية في جميع اقطارها الشاسعة لتمهيد سبل التجارة للاوربيين واستخراج معادنها الواسعة وهذا العمل سيكون اوربياً ولا ينتفع احد به اكثر من الاوربيين . وهكذا تبقى الصين كما هي اليوم خزانة ثروة وغنى للاوربيين يغترفون منها ما شاؤوا دون ان يكون لهم منها خوف او اذى

هذا ما يقوله السياسيون والكتاب الافرنج في هذا الموضوع . وهو قول غامض هل من يفسره

نعم وكأننا نرى تفسير ذلك في هذا الكلام الواضح الجلي : — « ان الصين سلطنة يسكنها اكثر من ٤٠٠ مليون شخص وفي ارضها معادن كثيرة فالاوربيون يسوقون

الصينيين الى المعادن التي في بلادهم ليستخرجوها لهم بالاجرة · وتلك الملايين العديدة تعمل ليلاً ونهاراً في المعادن والزراعة والوظائف والخدمة ليكسب الشخص الواحد منها ٢٠٠ او ٣٠٠ فرنك في عامه ومتى كسبها اتى بها الى التجار الاوربيين وابتاع بها منهم انسجة ليلبسها هو واولاده واثاثاً لمنزله وآلات ليشتغل بها وكماليات اخرى لا عدد لها · فكأن ملايين النفوس في الصين تشق نفسها في العمل من اجل تجار الاوربيين وصناعهم وتسخر تسخيراً لاستهلاك بضائعهم وردها اليهم ذهباً وعاجاً · فمثلهم في ذلك مثل الخادم الاجير حتى في نفس بلادهم · وكل حياتهم تنحصر في هذه الكلمة الثقيلة : انهم يتعبون و يشتغلون و يعيشون لغيرهم · واذا اظهروا شيئاً من علامات الرجولية واهتموا بانفسهم نادوا عليهم في اوربا « بالخطر الاصفر » يوهمون انهم يريدون به « خطر الجنس الاصفر » والحقيقة انهم يخشون « خطر فرار الذهب الاصفر » من ايدي تجارهم وصناعهم ...

. . . .

هذا ما اردنا الاشارة اليه في هذا الموضوع وقد اطلنا الكلام لنوصل القراء الى هذه النتيجة وهذا السؤال : هل تحسبون ان هذه الحالة هي حالة الصين فقط ام هي حالة جميع الامم الشرقية

انظروا الى المصريين والعثمانيين الذين هم بعد اليابان ارقى الشرقيين الا تروتهم يشبهون الصينيين كل الشبه من هذا القبيل

لقد زرنا الغربيين في بلادهم فاقتبسنا اخلاقهم ولا نندم على ذلك لان الحسن منها اكثر من القبيح لمن يحسنون الاقتباس · وقرأنا رواياتهم فبثت في هيئتنا الاجتماعية الميل الى الخلاعة والاسراف · ووضعنا اولادنا في مدارسهم فعودوهم عاداتهم وعلومهم يوم لم يكن عندنا مدارس وان كان تعليماً ناقصاً وغير منطبق على حاجاتهم · واتوا بلادنا بخيلهم وخولهم وحريرهم ودياجهم فراقنا ذلك وتشبهنا بهم

ولكن كل ذلك يستلزم مادة للاستهلاك اي بضاعة تسد الحاجة التي انشأتها تلك العادات · فجاؤنا ببضائعهم كما جاءونا بعاداتهم · من الطربوش وزره الى الحذاء ومسماره · فابتعناها ولبسناها وليس لنا منها غير الجسم الذي وضعناها عليه · وبقينا نشتغل ونعيش لنحصل مالاً ندفعه ثمناً لبضائعهم

وفي اثناء ذلك ماذا تصنع مدارسنا · — انها تخرج طلبة بارعين في استهلاك تلك البضائع قليلي المعرفة بطرق تحصيل اثمانها · وما هي علومها — هي الصرف والنحو والشعر واللغة

والادب وما جرى مجراها . فاذا كان يلذ لنا ان نبقى هكذا اجراء الى الابد نشتغل لغيرنا ونتعب لتغني الناس في اوربا فلنبقَ كانحن ولا نهتم بالمدارس الصناعية والزراعية . هذا تنبيه جدير بان يجعل الصمّ يسمعون والعميَ يبصرون

باب تدبير الصحة

ما يعلق بذيول السيدات في ساعة واحدة

(تنبيه للسيدات)

اجتمع في الشهر الماضي مؤتمر علمي في لندن وبحث بحثاً جدياً في مسالة طول ذيول السيدات . فاستدعى الدكتور كزا كراندي بضع سيدات في اثناء الجلسة والبسهن (فساطين) جديدة ذات ذيول طويلة ثم طلب منهن ان يسرن بها ساعة واحدة في شوارع لندن و يعدن اليه فتنزهت السيدات ساعة في شوارع لندن ثم عدن الى المؤتمر حيث كان ينتظرهن العلماء فتناول هؤلاء تلك (الفساطين) وفحصوا ذيولها بالميكرسكوب فوجدوها ممتلئة بالوسخ وملايين من ميكروبات الانفلونزا والسل والحمى التيفوئيدية وغيرها . فقرر المؤتمر في الحال وجوب ان تمتنع النساء عن جعل ذيولهن طويلة . وقد قال الدكتور كازا كراندي ان المرأة التي تكنس ميكروبات الشوارع بذيلها الطويل ثم تعود الى بيتها وتنظف (فسطانها) وتنفضه في غرفة نومها او بازاء سرير طفلها فانها تكون كمن ينقل السل والحمى وما اشبهها الى بيتها واولادها . فلتحذر السيدات فان هذه المسالة باعظم مكان من الاهمية

ضرر لحم الحيوانات الخائفة والمتعبة

كثيراً ما يأكل الانسان من لحم ثم يحس بمغص او اعراض كاعراض التسمم فعلى الغالب يكون ذلك ناشئاً عن اللحم نفسه وذلك ان الحيوان اذا خاف قبل الذبح او اذا كان تعباً جداً من مطاردة الصياد له فان جسمه يفرز مادة كيماوية يكون لها خواص السم احياناً وقد استشهد ليبيك على ذلك بشاة وحشية وقعت في الاشراك وبقيت حنيهة تتخبط فيها وعليها

لوائح الذعر الشديد فلما اكل صيادوها من لحمها ظهرت اعراض التسمم فيهم جميعاً ٠ فالواجب اذن ان تكون الحيوانات مستريحة قبل ذبحها وان لا يحملها الجزار تخاف ساعة الذبح اي انه يجب الرفق بها عند ذبحها ما دام لا يمكن ابطال هذا الذبح الفظيع

طرد الفار والجرذ

اكتشف احد الزراع الانكليز ان الفئران والجرذ تفرّ من رائحة النعنع فقد نثر حول خزائنه بعض اوراق من هذا النبات فما انقضت بضع اسابيع حتى لم يبق فأر في منزله وقد يُستغنى عن النعنع الاخضر بروح النعنع وهو يطلب من الصيدليات

فائدة للصغار قبل النوم

قبل ان ينام الاولاد الصغار يحسن ان تناولهم منديلاً وتجعليهم ينفضون به كل ما في انوفهم من الفضول فان ذلك يُخرج من انوفهم ما يتصل بها من الميكروبات مع الغبار والهباء فلا تنزل الى رئاتهم في اثناء النوم ٠ وفضلاً عن ذلك فان تنظيف الانف يسهل التنفس للولد اثناء نومه ومتى كان التنفس سهلاً لم يفتح الولد فاه اثناء النوم ليتنفس منه فاذا بقي في انفه شيء من الجراثيم تعذر عليها حينئذ النزول الى صدره لان الباب يكون مقفلاً

ضرر جديد للتدخين وفائدة للسعوط

قال الدكتور غومرول ان للتدخين ضرراً غير ضرر النيكوتين (المادة المخدرة السامة التي في التبغ) ٠ وهذا الضرر الجديد هو استنشاق المدخن ما في دخان التبغ من اوكسيد الكربون و بلوغ هذا الاوكسيد حين استنشاقه الدخان جميع اعماق صدر الانسان ٠ ولا يخفى ان هذا الاوكسيد هو من اشد اسباب مرض الانيميا (فقر الدم) وامراض الدماغ العصبية

و يقول هذا الطبيب ايضاً ان المتقدمين كانوا يستنشقون مسحوق التبغ اكثر مما يدخنونه فكان لهم في ذلك فائدة كبرى وهي ان مسحوق التبغ يقتل الميكروبات الكثيرة التي تعشش في تجاويف الانف فتمنعها من الوصول الى الصدر واحداث الضرر فيه ٠ ولذلك فهو يحلل السعوط و يحرم التدخين

لاجل جعل الاظفار وردية اللون

اذا كانت اظافرك غير جميلة فامزجي ١٠ غرامات من الاسيد سولفر يكوه غرامات من صبغة المير و١٢٥ غراماً من الماء المقطر . ثم ادهني اظافرك في كل صباح ومساء بشيء من هذا المزيج وادلكيها عند الظهر دلكاً بقطعة نسيج ناعم فلا يمر اسبوعان حتى تنم و يصير لونها وردياً

باب الاخبار العلمية

✻ مضار التلفون ومنافعه ✻ اذا كان للتلفون منافع فله مضار ايضاً ولا سيما في القهاوي والاماكن العمومية حيث يكثر المتكلمون به فتنتقل منهم الى الاسطوانة التي تقبل الصوت والآلة التي يقبضها المتكلم ليضعها على اذنه جراثيم امراض مختلفة . ولذلك يضعون في اوربا بازاء التلفون قطعة من النسيج مبلولة بمواد تقتل الجراثيم لمسح الآلتين المذكورتين بها بعد كلام كل متكلم . على انه متى عم استعمال التلفون الناطق جهراً اي المتكلم كلاماً يُسمع من غير وضع الاذن عليه فان هذا الضرر يزول لا محالة

وقد ساعد التلفون اعظم مساعدة في تقريب المسافات وتسهيل الاشغال ولكنه مع ذلك لا يزال غالي الثمن والمرجح ان هذا التسهيل لا يبلغ حد التمام والكمال الا على يد التلغراف بلا سلك . وقد تفنن المخترعون بالتلفون فجعلوا منه آلة تجهر بصوت كصراخ الصارخ مع ان المتكلم على مسافة بعيدة . واخترع الكابتن شارولوى تلفوناً عسكرياً ينتقل في الجبال والاودية ولا مركز له الا ظهر جندي . وقد تصرف مربو المواشي في اوستراليا بالاسلاك الحديدية الممتدة حول الحقول والاراضي لصيانتها فاقاموا بجانبها آلات صغيرة لتوليد الكهربائية واتخذوا تلك الخطوط موصلاً بينها فاصبحوا يستطيعون مخاطبة الرعاة بهذه الطريقة على ابعاد مختلفة . وقد اخترع بعضهم الاهانة او السرقة بالتلفون وبعضهم ابتكر الزواج بواسطته . ولكن احسن من ذلك اتخاذ التلفون منبهاً . وذلك بان يتفق صاحب البيت مع ادارة الشركة ان تنبهه في الساعة السادسة او السابعة من صباح كل يوم فلا يجيء ميعاد التنبيه حتى يأخذ جرس التلفون بالقرع ولا يقف الا متى اجاب صاحب البيت انه قد انتبه

﴿بلاد مريم المجدلية﴾ سافرت مدام متيلد سيراو الكاتبة الايطالية الى فلسطين لزيارة مجدلة بلاد مريم المجدلية وهي الخاطئة التي ورد ذكرها في الانجيل فوجدت ان ذكرها ما زال منتشراً في بلادها وقد دلها بعض السكان على بقايا قصر يقولون انها كانت تقيم فيه . اما مجدلة نفسها فلم تعد سوى قرية صغيرة يسكنها صيادو السمك وليس فيها من دليل على ما كان فيها من الخصب الماضي سوى ارض صغيرة مغروسة نخيلاً . وبجانب مجدلة بحيرة طبرية وقد كان حول هذه البحيرة في الزمن القديم خمس مدن كبيرة وهي كفر ناحوم وبيت صيدا ودلمانوثا وكور زين ومجدله . وكلها الآن خراب يباب لا تكاد آثارها تدل عليها . وقد ورد عنها في الانجيل منذ القديم ما نصه :

« حينئذٍ ابتدأ (يسوع) يوبخ المدن التي صنعت فيها اكثر قواته لانها لم تتب . ويل لك يا كورزين وويل لكِ يا بيت صيدا . لانه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيداء تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما . وانتِ يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية . لانه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت الى اليوم ولكن اقول لكم ان ارض سدوم تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكِ »

﴿فتاة يخرج من جسمها ابر﴾ من غرائب الامور وجود فتاة في سان جرمان انلاي في فرنسا تخرج الابر من جسمها . وذلك انها تشعر بحكة في مكان في جسمها فتنظر اليه فتجد ابرة خارجة منه فتذهب الى الصيدلي فيخرجها منها . وهي لا تشعر بالم لا حين الحك ولا حين اخراج الابرة . وقد اخرج لها الصيدلي الى الآن نحو ٨٠ ابرة ٣٠ من ظاهر كفها و١٢ من عنقها و٤٠ من ذراعها اليسرى و٦ من عينها وواحدة من ظهرها و٣ من بطنها و٣ اخريين من صدرها في الجانب الايسر . وكلها تظهر من الجانب المخروم الا التي ظهرت في اليد فانها ظهرت افقية . وتدعى هذه الفتاة جولين لاندر بو وهي في السادسة عشرة من عمرها . واما سبب خروج هذه الابر من جسمها فهو انها راهنت منذ خمس سنوات احدى رفيقاتها على انها تبتلع ورقة ابر ثم ابتلعتها فدخلت هذه الابر الى دمها وانتشرت مع الدم في جسمها . ولا خطر عليها في ذلك الا اذا اعترضت احدى الابر الشرايين افقياً او ان تتجه واحدة منها الى عضو رئيس كالقلب او الرئة او ان تخترق المعى فهناك المصيبة الكبرى

﴿كبار العقول والتأثر﴾ لما اكتشف باستور دواء الكَلَب وهو اكتشافه العظيم حق

وصل الى حالة من التأثر اشد من حالات النزق . وهذه الحالة تصيب كثيرين من الرجال العظام الذين يكتشفون الامور العظام ويصرفون عقولهم اليها دون سواها . ولذلك قال الاستاذ لومبروزو الايطالي الشهير ان في كبار العقول شيئاً من الجنون . وقد خالفه بعضهم ونفى هذه التهمة عن اصحاب العقول

﴿مجموع المستخرج من الفحم الحجري في العالم﴾ بلغ المستخرج في سنة ١٨٩٩ من الفحم الحجري في العالم ٢١٢ مليون طن في انكلترا و ١٠١ ملايين طن في المانيا و٨٢ مليون طن في باقي اوربا و٢٣٨ مليون طن في الولايات المتحدة و٤ ملايين في كندا و٤ ملايين وربعاً في الهند و٦ ملايين وربعاً في اوستراليا و٦ ملايين في اليابان ومليوناً ونصفاً في الترانسفال واورانج فالمجموع نحو ٦٤٤ مليون طن . وستسود الولايات المتحدة سائر البلاد في تصدير الفحم الحجري لان البلاد الانكليزية قد اصبحت مناجمها بعيدة الغور لكثرة ما استخرج منها ولذلك تزداد الاجرة فيها . ويقال ان الفحم الاميركي اصلب مادة واكثر توليداً للحرارة من الفحم الانكليزي

﴿ابتلاع الارض قرية﴾ روت جريدة الطبيعة الفرنسوية ان الارض تزحزحت في ٢١ مارس الماضي في جبال الابنين الايطالية قرب قرية تدعى « فيكليو » فما شعر سكانها الا وقريتهم اخذت تسير من سفح الجبل نحو الوادي فبادروا الى نسائهم واولادهم واموالهم فنقلوها منها وبعد يومين غابت القرية عن النظر في جوف الارض ولم يبقَ مكانها سوى مياه اجتمعت هناك من فيضان نهر قريب

﴿الغذاء في المستقبل﴾ يقول المسيو ليلنلد ان غذاء الانسان في المستقبل سيكون علبة صغيرة كيماوية فيها شيء قليل من مركب كيماوي مؤلف من خواص مواد الغذاء ويكون ثمن هذه العلبة مساوياً لثمن علبة الشيكولاته (غرشين) ويكفي غذاؤها الرجل الواحد يوماً كاملاً (٢٤ ساعة) ...

وقد قال المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير ان المسالة الاجتماعية الحاضرة اي مسالة الاشتراكيين والعملة انما هي مسالة كيماوية فمتى حلت الكيمياء مسالة الغذاء على هذا الوجه صارت المعيشة رخيصة جداً وبالتالي صار الانسان سعيداً اذ يخف او يزول زحام البشر ونزاعهم وتبطل اكثر المظالم والشرور والجرائم الموجودة الآن . حقق الله احلامهم

باب التقريظ والانتقاد

❊ قاسم بك امين في اميركا ❊ اهتمت الجرائد العربية التي تطبع في اميركا « بكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة » كما اهتمت بهما جرائد مصر والهند والشام· وقد قالت رصيفتنا جريدة الخاطر الغراء في احد اعدادها الاخيرة بعد نقلها راي المقتطف الذي شبه جناب قاسم بك أمين بلوثيرس وراي الجامعة التي شبهته بديكارت ما نصه

« ذانهما الرجلان العظيمان اللذان صار قاسم بك امين في مصفهما لانه لفظ كلمة لم يلفظها قبله احد · والجرأة في الجهر بالحقائق من نتائج العلم الصحيح · فليسلم محرر المرأة وليسلم العلم الصحيح الذي كبر قلبه وساعد الارتقاء في الشرق على هذه الخطوة الكبيرة »

وقالت في مكان آخر بعد اشارتها الى كتاب صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار وابيات حضرة محمد بك حافظ التي نشرناها في الجزء الماضي هذه الكلمات التي تقوم مقام مقالة

« حقيق ان اكثر اخواننا المسلمين اكثروا ويكثرون من معارضة قاسم بك امين ولكن اذا كان في الجهة الناصرة مثل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي ومثل صاحب المنار ومثل صاحب الابيات فلا يطول ان تصير الاكثرية في هذه الجهة حقق الله آمال المصلحين »

وقد بلغنا ايضاً ان بعض الجرائد الاميركية قد نقلت راي صاحب الكتابين واستحسنته جداً

❊ تقويم المؤيد ❊ من الكتب التي لا يجب ان تخلو منها مكتبة كتاب تقويم المؤيد الذي يصدره في كل عام حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد وقد قلنا « يصدره » وكان يجب ان نقول « يؤلفه » لان هذا الكتاب من اجزل الكتب التي تؤلف الآن نفعاً ففيه فصول في علم الفلك وتاريخ مصر قديمه وحديثه واقسام الممالك وجوغرافيتها وتراجم ملوك اوربا ورسومهم ونوادرهم وتراجم الوفيات من الملوك والعلماء ورجال السياسة في اثناء العام وجداول مواعيد السكة الحديدية المصرية وتعريفتها واخبار عن البوسطة والتلغراف وتعريفة المركبات والمكاييل والموازين في جميع الامم والاكتشافات والاختراعات والطبيعيات والفكاهات واداب المعاشرة والسلوك عند الشرقيين والغربيين

وفوائد في تدبير المنزل واختيار الخدم وفوائد طبية وتاريخ حرب الصين وحرب الترانسفال وبيان عن احوال مصر في العام الماضي وغيرها من الفوائد والمعارف التي يجب تعميمها بين افراد الشعب بطريقة بسيطة قريبة المناولة كهذه الطريقة والتي صار بها هذا التقويم بمثابة انسيكلوبيذية صغيرة توضع في الجيب · فنثني على همة مؤلفه ونحث جميع القراء على اقتنائه وهو يطلب من ادارة جريدة المؤيد في القاهرة

❋ رجال السيف ❋ اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغراء نسخة من رواية عنوانها « رجال السيف » معربة بقلم جناب الذكي البارع زاكي افندي مايرو وهي من تاليف الكاتب الفرنسوي بونسون دي ترايل · وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات في غاية الطلاوة والفكاهة وهي معربة باسلوب رقيق فنحث محبي الروايات على مطالعتها · وهي تطلب من المكتبة الخديوية في الثغر وثمنها ستة غروش صاغ

❋ ثمرة الغواية ❋ هي رواية تمثيلية ذات خمسة فصول لمؤلفها جناب احمد افندي صادق وهي تطلب من حضرة المؤلف في الثغر وثمنها ١٠ غروش صاغ

❋ مجلة المجلات العربية ❋ انشأ حضرة الفاضل محمود افندي حسيب مجلة علمية ادبية سياسية عنوانها « مجلة المجلات العربية » وهي تصدر مرة في الشهر وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ غرشاً في القطر و٢٥ فرنكاً في الخارج فنرحب برصيفتنا الجديدة وندعو لها بما هي اهل له من النجاح

❋ المنتحل ❋ اعلن حضرة الفاضل الشيخ احمد ابو علي امين المكتبة البلدية في الاسكندرية انه شرع في طبع كتاب « المنتحل » تاليف الامام ابي منصور الثعالبي الذي عاش بين سنة ٣٥٠ و٤٢٩ هجرية وموضوع هذا الكتاب ابحاث في الكتابة والبلاغة ومكارم الاخلاق والمديح والاستعطاف والهجاء وشكوى الزمان والامثال والاداب والسلطانيات وما يليق بها والعيادة وما جرى مجراها · وقد جعل قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة ١٥ غرشاً صاغاً وهي قيمة زهيدة جداً بازاء حجم الكتاب الذي سيكون ٥٠٠ صفحة على الاقل · وفي شهرة مؤلف الكتاب ما يغني عن الحث على اقتنائه فنشكر حضرة ناشره لهذه الخدمة الادبية

❊ بشائر السلام ❊ هي مجلة دينية تبشيرية لصاحبها جناب نقولا افندي روفائيل وقيمة الاشتراك فيها ١٠ غرشاً في مصر و٢٠ في الخارج

❊ الثريا ❊ عادت مجلة الثريا الغراء الى الظهور بعد احتجابها الوقتي وهي تصدر مرتين في الشهر بادارة حضرة موسى افندي رودينتي فنثني على همة منشئها البارع ادوار افندي جدي ونرجو له النجاح

❊ شجرة الدر ❊ مجلة نسائية ادبية فكاهية لمنشئتها حضرة الفاضلة السيدة سعدية سعد الدين وهي تصدر مرة في الشهر باللغتين التركية والعربية وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ غرشاً في القطر و٢٠ فرنكاً في الخارج فندعو لصيفتنا الجديدة بالنجاح والانتشار

❊ المرأة في الاسلام ❊ اصدر حضرة الاديب الفاضل ابرهيم بك رمزي مجلة علمية تهذيبية عنوانها « المرأة في الاسلام » وغرضها ظاهر من عنوانها وهو البحث في كل ما من شأنه ترقية المرأة المسلمة فنتمنى له التوفيق في خدمته لانها من انفع الخدم في الشرق وندعو لمجلته بالانتشار

❊ مجلة التاريخ ❊ اتمت مجلة التاريخ سنتها الرابعة ودخلت في الخامسة وقد صدر العدد الاول من سنتها هذه وفيه ابواب لحوادث العالم اليومية والاخبار المحلية . ومطبعة مجلة التاريخ مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من الاوراق التجارية والمطبوعات باسعار زهيدة وهي واقعة وراء صيدلية حضرات الخواجات خليل خوري واخوانه في الثغر . وقد صدر فيها في هذه الاثناء كتيب لطيف عنوانه « الرفيق المضحك » وهو يحتوي فكاهات ادبية وثمنه غرش صاغ واحد

❊ الروايات الشهرية ❊ صدرت الرواية الثالثة من الروايات الشهرية لصاحبها جناب الاديب يعقوب افندي جمال وعنوانها « فرنكلاند » وقيمة كل رواية من الروايات الشهرية نصف فرنك اي ان المشترك فيها يدفع ستة فرنكات في العام فتصله ١٢ رواية منها وهو تسهيل حسن لمحبي الروايات فلا بدع اذا اقبلوا عليها

وقد كان يحرر هذه الروايات قبل الاخيرة منهـا حضرة الكاتب المجيد خليل افندي جاويش ولكن اعتلال صحته اضطره الى مبارحة مصر تبديلاً للهواء فنحن ندعو لخليل بالسلامة شفاه الله وعافاه

﴿ الجمعيات الخيرية ﴾ يسرنا ان يقع نظرنا على كراس حاوٍ اعمال جمعية من الجمعيات الخيرية اكثر مما يسرنا وقوعه على كتاب صدر حديثاً لان كثرة الجمعيات الخيرية دليل من احسن الادلة على شعور الشرقيين بوجوب التعاون والاتحاد . وامامنا الآن خمسة كراريس من هذا القبيل

جمعية دفن الموتى باسكلة طرابلس — احدها كراس من جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس شام وهو يتضمن ميزانيتها للسنة الماضية وقد بلغ مجموع دخل الجمعية في هذه الميزانية ٢٠٧٩٥ غرشاً ومجموع النفقات على دفن الموتى الفقراء ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء ١٢٣٧٤ غرشاً . وهي نتيجة حسنة جداً يستحق عليها حضرات اعضاء هذه الجمعية كل شكر وثناء

الاخوية الارثوذكسية في طرابلس — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية هذه الجمعية المتألفة من نخبة من ادباء الفيحاء وافاضلها وكلها شهادة ناطقة بفضل الذين سعوا وفضل الذين احسنوا . وقد بلغ دخلها في سنتيها الاوليين ٥٣٧١٦ غرشاً ونفقاتها على الكنيسة ٢٥٠٧٧ غرشاً والباقي محفوظ في صندوقها . وقد كتبت الينا ادارة الاخوية ان حضرات الوجهاء الاماثل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر قد تبرعوا لها بمبلغ ثلاثة آلاف غرش جرياً على عادتهم الحميدة في السخاء والايادي البيضاء

الجمعية الارثوذكسية في يافا — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا مصدرة بهذه الكلمات البليغة « بهذا قد عرفنا المحبة واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً واغلق احشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه » وقد بلغ دخل هذه الجمعية ٦٠٣٤٤ غرشاً ونفقاتها ٢٢٥٤٦ غرشاً

جمعية مار منصور بالمنيا — ووردتنا ميزانية هذه الجمعية المتألفة في المنيا (مصر) برئاسة سيادة الانبا مكسيموس صدفاوي اسقف كرسي المنيا المحترم وقد بلغ دخلها في العام الماضي ٩٠٢٧ غرشاً ونفقاتها ٦٧٥٥ غرشاً

جمعية الاتحاد الادبية باسيوط — واهدتنا جمعية الاتحاد الادبية نسخة من قانونها ولائحة النادي الجديد الذي انشأته في اسيوط خدمة للادباء .

فما مر بك يتضح ان المحسنين في الشرق كثيرون وانه لا ينقصهم غير الايدي العاملة التي تستدر فضلهم على الضعفاء وتنفق المال في وجهه النافع

التساهل الديني

❊ خطبة في اميركا ❊ اهدانا حضرة الفاضل امين افندي ريحاني نسخة من الخطبة التي تلاها في جمعية الشبان المارونيين في نيو يورك في ليل ٩ فبراير الماضي وعليها هذه الكلمات « هدية الى مجلة الجامعة من اجل الانتقاد » . وعنوان هذه الخطبة « التساهل الديني » وقد علم قراء العربية موضوعها من كثرة تقريظ الجرائد لها وانتقادهم اياها

اما نحن فلا نكون في جانب المقرظين ولا في جانب المنتقدين بل نكون في الجانبين في وقت واحد . فاننا نستحسن كل الاستحسان ما ورد في الخطبة من الكلام البليغ والبيان الفصيح عن فضيلة التساهل وكونها المبدأ الوحيد الذي يمكن الاقوام المختلفي المذاهب من المعيشة بسلام وحب فوق ارض واحدة . ولكن الاختلاف العظيم انما هو في تعريف هذا التساهل . فاذا كان المقصود به ان يحترم الناس جميع الاديان التي ليس فيها مسٌّ لكرامة الانسان ولا نقض للنواميس الطبيعية كاليهودية والاسلامية والمسيحية والبوذية كما شرعها شارعوها لا كما هي الآن فان هذا المبدأ صحيحٌ غضب الناس عليه او رضوا عنه . واما اذا كان المقصود به ما يسمونه عدم الاكتراث بالدين لا التساهل — اذ بين الامرين ما بين الارض والسماء وقد قال الفلاسفة ان الكفر اخف ضررًا من عدم الاكتراث — فاننا نردُّ هذا المبدأ ولا نستحسنه لانه يقطع الانسان عن مصدره الاعلى والذات الاعظم الذي اخذ منه ويهدم اساس الفضيلة في هذه الحياة

وليس من التساهل ان يقول حضرة الخطيب ما قاله في الاسطر الاولى من الصفحة ٢٩ فان مبدأ التساهل اعظم من ذلك بكثير . وليس من التساهل ايضاً ان يقول في السطر الثاني من الصفحة ٣١ كلاماً كنا نودُّ ان لا يصدر عن قلم او فم عاقل مثله لاسيما وانه يعلم ان الذين عناهم قد احسنوا الى الانسانية بالشرائع التي وضعوها واخرجوها من ظلمات الهمجية وانهم ابرياء من كل ما حدث باسمهم من الضرر والشر اذ التبعة في ذلك على الذين اتوا بعدهم وغيروا تعاليمهم . وهذا يدلنا على ان تساهل جناب امين افندي ريحاني لا يزال فيه شيءٌ من التعصب . فنحن نرجو ان يخرج في خطبة ثانية هذه الفضول من نفسه و يرق بها الى التساهل الحقيقي

وان قيل ما هو التساهل الحقيقي اجبنا : هو ان تعمل بهذه القاعدة القديمة : اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك لانك لست افضل من سواك . فمتى عمل الانسان

بها وادرك معناها الحقيقي احترم اديان الناس واعتقادهم ليحترموا دينه واعتقاده وبلغ من معرفة الحقيقة مبلغاً صار يعتقد عنده ان كل طمن في دين الغير طمن في نفس دينه لان الاديان واحدة في الوجهة وهي عبادة الله وان كانت مختلفة الطرق والفروع · ومتى صار الانسان يعتقد هذا الاعتقاد وينظر الى آراء الناس ومعتقداتهم حتى اغلاطهم واوهامهم وخزعبلاتهم نظرة الرفق والشفقة والاعتدال ولو كانت مضرة به ومخالفة لمبادئه — جاز له حينئذٍ ان يسمي نفسه حكيماً متساهلاً

اما قولهم انه لا بد للشرقيين من هذا الانقسام الديني لخلو ايديهم من شيء يجتمعون حوله كالوطن والامة فهو خطأ محض · اولاً لان كل فريق من الشرقيين امة مستقلة بنفسها وان امتزجت بسواها ولكل واحدة منها امانٍ وآمال · وما الحكم عليها بوجوب بقائها منقسمة انقساماً دينياً واشتغالها بهذا الشيء عن كل شيء الا بمثابة الحكم عليها بالتزام الجهل والتاخر والموت الادبي الى الابد · وثانياً لان الفرنسويين منقسمون في الدين بين كاثوليك وانجيليين واحرار واسرائيليين انقساماً يشبه انقسام الشرقيين تماماً والنزاع بين هذه الاقسام هو على اشده لا سيما في هذه الايام ومع ذلك فلهم وطن معروف وهم امة معروفة · ولاخواننا المسلمين في الشرق وطن ايضاً وذلك لم يمنعهم من الانقسام وتقديم الدين على الوطن ·

فالتعصب الديني في الشرق اذاً اسباب غير فراغ ايدي الشرقيين من شيء يجتمعون عليه · وهذه الاسباب لا نبحث فيها الآن

تاريخ الاسبوعين

❋ مآثر الجناب الخديوي ❋ فتحت جمعية « العروة الوثقى » في الثغر اكتتاباً لانشاء « مدرسة للصناعة » في الترسانة تذكاراً للمغفور له محمد علي باشا محيي مصر ومنشئ الاسرة الخديوية الكريمة فيها فافتتح الجناب الخديوي المعظم هذا الاكتتاب باربعمائة جنيه تبرع بها سموه حفظه الله اعانة لهذا العمل المفيد الذي تحتاج البلاد اليه · وقد تبرعت ايضاً صاحبة العصمة والدولة الحرم المصون بمائة جنيه وتبرع سمو الانجال الفخام بمائة اخرى ايضاً فلو اقتدى اغنياء البلاد بسموه وهم مشهورون بالسخاء والفضل منذ القديم فانهم لا يلبثون ان يعمروا عشر مدارس صناعية كبرى في كل مركز كبير من مراكز القطر واحدة

وقد افتتح في مريوط الجامع الجديد الذي انشأه فيها سموه على نفقته الخاصة فحضر صلاة الافتتاح فضيلة شيخ الجامع الازهر وغيره من العلماء . وقد تلا حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد الابيات التالية بين يدي سموه على المائدة بعد الصلاة وهي

صفا الزمان وحسن الحظ اسعده · وانجز الدهر بالاقبال موعده
لله مريوط ما احلى مشاربها · واعذب اليوم صافيها ومورده
سقى رباها خديوي مصر غيث ندى · فاصبحت روضة واستقطرت يده
بنى بها مسجداً لله اخلصه · فحق مريوط ان تثني وتحمده
وحق مصر بان تزهو مؤرخة · أنشى الخديو بعون الله مسجده

فسر سموه بها وامر بنقشها على بلاطة في صدر الجامع

والمأثرة الثالثة ان محافظ المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وجها انظار سموه الى جر المياه من العين الزرقاء الى التكية التابعة لديوان الاوقاف في المدينة المنورة وجرها ايضاً من سيدنا زكي الى سيدنا حمزه على طريق امكة المكرمة فاصدر سموه الامر الى ديوان الاوقاف بفحص هذا المشروع الجديد وتقدر نفقاته بستة عشر الف جنيه . ولا يخفى ان فوائده غير محصورة في الحجاج المصريين بل تشمل جميع الحجاج . اطال الله بقاء سموه وحفظه ملجاء للرعية

الفيلسوف تولستوي لو اردنا ان نلخص كل ما نشرته جرائد اوروبا عن الفيلسوف تولستوي منذ قطعه عن الكنيسة الروسية لاستغرق ذلك صفحات هذا الجزء بتمامها . وامامنا الآن ثلاثة فصول هامة في هذا الموضوع . الاول الكتاب الذي كتبه تولستوي الى جلالة القيصر ورجال دولته يحضهم فيه على الاصلاح بكلام كالسهام . والثاني الكتاب الطويل العريض الذي كتبه الفيلسوف الى المجمع المقدس يردُّ فيه على الحكم بحرمانه . ولم تجسر واحدة من الجرائد العربيه بعدُ على ترجمة هذا الكتاب بتمامه لانه يحتوي طعناً شديداً على تعاليم الكنيسة الروسية وانما نشر بعضها خاتمته وفيها يقول انه مسيحي حقيقي . والثالث جواب المجمع المقدس عن كتاب الكونتس تولستوي الذي نشرناه في الجزء الماضي . وقد نشرت هذا الجواب رصيفتنا المنار البيروتية . والظاهر ان وزير المعارف الروسية الجديد قد سكن افكار الطلبة الروس بسياسته الحكيمة المعتدلة فهمدوا وقد اصدر جلالة القيصر المشهور بالرأفة والحلم امراً بوجوب اصلاح التعليم في الكليات فكان ذلك فوزاً للطلبة

خاتمة السنة الثانية

نختتم في هذا الجزء السنة الثانية للجامعة بحمد الله تعالى على ما اسبغ من نعمه و بالشكر لحضرات الوكلاء والمشتركين والقراء الكرام الذين بلغت الجامعة بهمتهم ومساعدتهم في عامين ما لم يبلغه غيرها في اعوام . والحق يقال اننا لما اقدمنا على انشائها لم نتوقع لها ما تم لها لعلمنا بعجزنا وقلة بضاعتنا ولكن فضل الاصدقاء والمعارف والادباء وافاضل الشرقيين الذين عرفوا ان الجامعة تسد فراغاً في الصحافة الشرقية العربية اكمل ذلك النقص . وقد مرَّ الآن دور الطفولية على الجامعة وستظهر في سنتها الثالثة بمظهر الشباب ان شاء الله فتكون في عامها الآتي اكثر اتقاناً وضبطاً كما يدل على ذلك هذا الجزء

غير انه بالنظر الى تاخر صدور الاجزاء في آخر هذا العام للاسباب التي ذكرناها في حينه ولانتقال الجامعة من ادارتها في الميناء جعلنا اول سنة الجامعة اول شهر اغسطس القادم (آب) استرداداً لما فات من الوقت . وبناء عليه فالجامعة تصدر منذ الآن فصاعداً في اول كل شهر بالضبط التام ابتداء من شهر اغسطس الآتي وستدخل فيها في السنة القادمة تحسينات مهمة جداً

. . . .

هذا . ويسوءنا الآن ان نطلع القراء على امر خصوصي . وهو اننا لما اقدمنا على انشاء هذه المجلة رغب الينا جناب ابن شقيقتنا الشاب الاديب مخائيل افندي كرم في ان يساعدنا فيها كرماً منه ومن حضرة والده فتولى ادارتها في هذين العامين . ولكن حضرته اضطر الآن من سوء الحظ الى ترك ادارة الجامعة والانسحاب منها للاهتمام باشغاله التجارية والسفر مع حضرة والده الى لبنان تبديلاً للهواء فودعناه شاكرين له سعيه وهمته وان آلمنا فراقه كما آلمه فراقنا . ولا ريب عندنا ان الجامعة وقراءها لا ينسون ما له من الفضل عليها

وبناء على ذلك فاننا نرجو من جميع المراسلين والوكلاء ان يبعثوا منذ الآن فصاعداً جميع رسائلهم رأساً باسم « منشىء الجامعة » ولهم الفضل

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

فقيد الشرق العظيم

﴿ بشاره باشا تقلا ﴾

صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

مات تقلا باشا . مات الرجل الذي علّم الناس كيف يجب ان تكون الرجال . مات المقدام الذي وُلد صغيرًا في قرية صغيرة ثم بلغ باقدامه وذكاؤه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشهرة طائرة طبقت الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول ووساماتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الام في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتابه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبوح باش كما تراه في رسمه يجذب القلوب اليه ولو كانت متألمة منه . وامرأة فاضلة قلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فماذا كان ينقص رجلاً تمت له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيدًا ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه . حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينقصه ان يكون البشر اقل رداءة وخبثًا مما هم عليه وان يكون هو اقل تأثرًا لاعتدائهم وحسدهم . ولكن قُدّر ذلك الامر فكان . ومات تقلا باشا في اطراف الكهولة قبل استيفاء ايامه كلها فمات بموته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيد العظيم على الجامعة وعلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملة من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التفصيل الى حين تجتمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

﴿ ترجمته ﴾ ولد الفقيد رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كفرشيما من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك تقلا فانشئا فيها جريدة الاهرام . وكان عمر الفقيد يومئذٍ ٢٤ عاماً . ولا نسهب في ذكر المصاعب التي قامت في سبيلها لاول مرة والهمة التي قاوماها بها انما نكتفي بذكر كلمة للفقيد قالها قبل وفاته بخمسة اشهر في ادارة جريدته صدى الاهرام في الثغر . فان بعض اخصائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطلب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكذا ! ولو كنت بحدتك وسرعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يُتخذ كتاريخ لكل حياة الفقيد من اولها الى آخرها . فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحدة او الاهمال او حوادث الزمان سبيلاً للتاثير فيها . اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلى ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجدٍ وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصاعب والعواطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

﴿ اخلاقه وصفاته ﴾ وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفصل ترجمة الفقيد في هذا الفصل وانما نلم بها الماماً فقط ولذلك ننتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات الفقيد واخلاقه لما لها من العلاقة بها . و يسوءنا ان نقول ان خصوم الفقيد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجبلة الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته . وسبب ذلك مختلف فيه . فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم ذي المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريبين منها او بعيدين عنها . وبعضهم يقول بل لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية . وبعضهم يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حدٍ سواء

غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك . فقد ذكرنا ان الفقيد تسلق بجده وكده قمة المركز الذي بلغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً اعانه يوم نكبة الاهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ الفقيد هذا الجميل الى آخر حياته . وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد عاشر الناس واختبر اخلاقهم ورأى معاكساتهم ومشاكساتهم



﴿ المرحوم بشاره باشا تقلا ﴾

وما هم فيه من الدناءة حيناً والعدوان وحب الشر احياناً . فترك هذا الاختبار في نفسه اثرًا شديدًا حتى اذا ارتقى عن الناس واستغنى عنهم جالس بضحك منهم ويلاطفهم متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للمجاملة . فهذه الحالة انشأت في نفسه ثلاثة مبادىء (اولها) استغناؤه عن الناس واعتبارهم آلات في يده (وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القلب في مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتعب العامل ويشقى كما تعب وشقي هو ليستحق اجرته وليس من العدل ان يُعطى فوق تعبه ولا نقول ان هذه المبادئ مبادىء يحبها الناس ولكننا نقول انها مبادىء عملية مادية

وبها تُبنى المراكز العليا في هذه الحياة . وهي مبنية على قاعدة الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبذ الضعف والمحاباة من طريق المصلحة ودوس كل صعوبة من اجلها . وكأنَّ الفقيد قد شعر رحمه الله ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم بدليل « سياسة المصلحة » التي افتتحتها المانيا وانكلترا في السنوات الخمس الاخيرة — فجعلها محورًا لادارته . و بناء عليه فانه يجوز ان يُعدَّ الفقيد متقدماً في هذا الامر ابناء العصر الآتي

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح لميل بعض الناس عن الفقيد واذا سموا هذا الامر اثرةً واستقلالاً مضرًا فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي خرج منها والناس الذين خبرهم قبل ارتقائه فجعلوه يتاثر تاثرًا سيئًا منهم بمماكسته ومقاومته بدلاً من مساعدته . وفضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملنر والمستر سسل رودس حتى اللورد سالسبوري نفسه كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » و يسوِّغنا ان نقول ان هذه السياسة ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعاً هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد روزبري

﴿ منزلته ﴾ اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب بحيث يعلم القراء . فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني غير مرة فاجمل جلالته ملاطفته . وقد اجترأ الفقيد في احدى مقابلاته لجلالته فقال له وكانت المسألة المصرية يومئذٍ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا ستصبح ميدانًا واسعاً للاستعمار ولجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين المطيعين لجلالة خليفتهم فهلا صرفتم شيئًا من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل اقتسام اوربا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا اوربا » وقد اخذنا هذا الحديث من فم سعادته . وذكره سعادته يوماً ما في احدى مقالاته وزاد عليه انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة السيد ابو الهدى افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجناب الخديوي العالي وقلَّما يمر عام ولا يتشرف بتناول الطعام على مائدة سموه بضع مرات بدعوة خصوصية

وكانت جريدة الديلي ميل والتمس تستغربان بعد وفاة المرحوم الخديوي توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءلان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكلترا ام وزير مصر . ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيد عليها تنديده في الاهرام بالخديوي اسماعيل باشا يوم مدَّ يده الى الخزانة المصرية . فكان

ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة . فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادته رفعة في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم . ومنذ ذلك الحين لجأ الفقيد الى الحماية الفرنسوية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمركز من الدائرة . وله صلات ومعرفة في اكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثيرون من رجال حكومتها واعاظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات . وقد ذكر لنا مرة انه ورده من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكانة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نُشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » . . . وذكر لنا الملاحظة . فسألنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق . وبعد شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان تقلا باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه

❊ وساماته ❊ اما وسامات الفقيد ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكلربكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء . ومن وساماتها وسام المجيدي الاول وهو اسمى الوسامات دون المرصعات . ونال ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسوي) ووسام الافتخار التونسي من عظمة باي تونس ووسام سان ستنسلاس من روسيا . ونال ايضاً وسامات غيرها من دول كثيرة

❊ جرائده ومحرروها ❊ وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم يسبق له مثيل في الشرق . الاولى جريدة الاهرام وهي يومية . والثانية جريدة صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت يومية ايضاً . والثالثة جريدة البيراميد الفرنسوية وهي يومية ايضاً وقد فاقت جرائد القطر الافرنجية كلها في عام واحد . والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية ادبية فرنسوية اسمها « العائلة المصرية » توزع مجاناً على المشتركين في البيراميد . هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها العديدة عن العمل ليلاً ونهاراً . واكبر آلاتها تُدار بالبخار

اما المحررون الذين اشتركوا في تحرير الاهرام في المدة الماضية فهذه اسماؤهم واذا كنا

قد نسينا احداً منهم فترجو المعذرة وهم

عزتلو رشيد بك شميل صاحب البصير اليوم وكان مديراً لادارة الاهرام . واخوه المرحوم سبع شميل وخليل افندي مطران صاحب المجلة المصرية اليوم وخليل افندي زينيه وخليل افندي الجاويش واخوه نجيب افندي الجاويش وخليل افندي زيدان ونجيب افندي طراد والمرحوم نجيب افندي الحداد صاحب جريدة لسان العرب واخوه امين افندي الحداد وداود افندي بركات ويوسف افندي بستاني وطانيوس افندي عبده والمرحوم قيصر افندي زينيه ومحمد افندي توفيق فرغلي ونقولا افندي رزق الله

هؤلاء هم المحررون الذين بنيت الاهرام على اكتافهم واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعمال فانهم جيش كثيف يستغرق عدهم صفحات عديدة . وانما يجب علينا ان نخص منهم الذين امتازوا بخدمة هذه الجريدة وهم امين افندي بدران مدير طبعها ومطبعتها وسليم افندي الحداد وكيلها في العاصمة وقسطاكي افندي تونونجي وكيلها في الاسكندرية وفيليب افندي زينيه وكيل ادارتها ورئيس حساباتها سابقاً وابرهيم بك زكا وكيلها في الولايات العثمانية ورشيد افندي سعاده وكيلها في الغربية . وفضلاً عن ذلك فان رسائل حضرة الفاضل ابرهيم افندي مظهر مراسلها الدمنهوري المتبرع بمراسلتها لما بينه وبين الفقيد من الصداقة كانت خدمة جليلة لها

﴿ وفاته وجنازته ﴾ ولكن كل هؤلاء الاصدقاء . كل تلك المنزلة السامية . كل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور . ولم ترد المقدور . ولم تمحُ ما هو مسطور . فقد اصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اختلف الاطباء فيه فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه احتقان في الدماغ . وقد رجع بعضهم هذا الاخير وزادوا عليه الشلل . وفي يوم الجمعة ١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب عن حالته فقال له الطبيب قولاً مسكناً ولكن الفقيد كان كأنه شعر بدنو اجله فاستدعى اهله وولده الوحيد فودعهم واوصى ابنه بطلب العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد . وما فرغ من ذلك حتى اصيب بنوبة شديدة افقدته النطق فجعل ينظر الى من كان حوله ويودعهم بعينيه الى ان انتصف الليل فدخل في الاحتضار . وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه

ولما انتشر نعيه قامت له مصر وقعدت وبعث الجناب الخديوي المعظم رسالة يعزي بها اسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي ان يسير في جنازة الفقيد من قبل

سموه وتقاطرت رسائل المعزين ومركباتهم من كل فج وصوب على المنزل الجليل الذي شاده الفقيد منذ عامين في العاصمة. وفي مساء ١٠ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرروها وقدمت اكاليل الزهر الى نعش الفقيد عشرات عشرات. وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك على جثته الهامدة — تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك الجبال نقلت الى مدافن مصر العتيقة فابن الفقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو بول منس رئيس تحرير جريدة البيراميد وعزتلو نقولا بك توما المحامي المشهور فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس. ثم غيب النعش في ظلمة القبر فغابت معه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج

❊ مصير البيراميد والاهرام ❊ والآن قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية. فهل يدوم هذا الفراغ او يمن الله بسده رفقاً باسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة ؟

انه لما توفي المرحوم سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام استعظم الناس المصاب ولكنهم عادوا فاستصغروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم بشاره باشا كما كانت قبله. والآن سيكون ذلك كذلك ان شاء الله. فانه كما ان تيبرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدها. وان عمر وحيدها «جبرييل بك» الذي لا يدور ذكره في الفم حتى يجول الدمع في العين يبلغ الآن ١٢ عاماً فليحدها الله بمعونته لتحفظ له هذا المركز الكبير ولتجعل الناس يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حينئذ «ان هذا الشبل من ذاك الاسد»

وليس يعلم احد كم كان ذلك الاسد يحب هذا الشبل غير الذين شهدوه يقرأ كتاباً منه. ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها ناراً تتقد في عيني الاب الحنون على ولده. وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز حيث بقي «جبرييل» هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا الى ادارته في الاسكندرية. وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقرأ. فتعرف منه نباهة «جبرييل» وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح

ظاهراً . فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرأنا اسلوبه الرقيق الصحيح الفصيح لان عمر جبريل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورأينا ان قلم الاصلاح لم يجرِ فيه الا في اربعة او ٥ مواضع

هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده و يحتل ان شاء الله محله . وقد كان كتّاب الادارة حين زيارته لم يناودونه « نوتر ديركتور نوتر ديركتور » اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك ممازحته . اما الآن فقد صار هذا الامر وا اسفاه جدّاً لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الآن وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد القلوب وواهب السلوان ان يعزي حضرة والدة الفقيد وقرينته الكريمتين وشقيقيه الفاضلين عزتلو حبيب بك وابرهيم بك وجميع اقربائه واصدقائه ورصفاءنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرزء العظيم ونرجو ان يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره حزناً عمومياً . وان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر ما احسن في حياته انه السميع المجيب

المرحوم سبع شميل

كل يوم يختطف داء الصدر اديباً من الادباء . وقد فجعنا هذه المرة بالشاب المتوقد ذكاء الكاتب الفاضل المرحوم سبع شميل مدير جريدة البصير قبلاً وشقيق صاحبها جناب عزتلو رشيد بك شميل وابن اخي الدكتور شبلي افندي شميل . وقد توفاه الله في قرية كفرشيما حيث ذهب في طلب الشفاء من داء مستعصٍ فلا ينجع به دواء . فانطفأ هنالك بعيداً عن مركز عمله بالتدريج انطفاء سراج نفد زيته وحان اجله

وقد كان الفقيد رحمه الله من خيرة شبان الشرق همةً وذكاء . فانه رحل قبل قدومه الى مصر نحو بلاد الانكليز وتعاطى التجارة فيها فاثرى ثراء دلّ على عظيم همته وشدة براعته في عمله . ولكن دولاب الدهر لم يلبث ان دار فاضاع هناك في البورصة الوف الجنيهات التي كان قد ربحها منها . فعاد الى مصر يطلب الرزق من شق هذه القصبة . وكان ابرع محرري زمانه في تحرير الشؤون التجارية فاستدعته جريدة الاهرام لانشاء هذا القسم فيها . ثم انشأ جناب شقيقه جريدة البصير فعهد اليه ادارتها وتحريرها فاكب الفقيد على ذلك حتى جاءه الداء متدرجاً فاخمد همته وكسر قلمه . فقصد العاصمة مستشفياً ثم قدم منها وسافر الى كفرشيما طالباً للعافية فكانت القاضية . فنحن في هذا المقام نبعث بالتحية الى صديقنا سبع حيثما كان ونسال الله الرحمة لنفسه والعزاء لآله الكرام

فازداد شارني دهشة وقال للملك انك يامولاي تقول لي الآن اموراً خطيرة واخشى ان تندم جلالتك على انك قلتها. فاجاب الملك كلا لا اندم على ذلك وبرهاني عليه اني ازيدك منه . انت تعلم ما لمدموازل برتين خياطة الملكة والمسيو ليونار رئيس مزينيها من التاثير عليها . وهذان الشخصان يبذلان قصارى الجهد بناء على تحريض رجال النمسا لجعل الملكة تسعى في عقد محالفة بين النمسا وفرنسا . ولكن النمسا كانت مشؤومة لفرنسا دائماً . وسياتي يوم تصبح فيه مشؤومة لنفسها ايضاً . فان هذه المملكة التي كانت كاثوليكية محضة قد اخذت تتمسك باهداب الفلسفة في حكم جوزيف الثاني . وقد نبذت التروي والحكمة فصارت تقذف المجر سيفاً لها وهذا السيف سينقلب عليها (١) وقد صرفت وجهها الى محاربة الاتراك حلفائنا تاركة اوربا وشانها وجاعلة الغنيمة من تلك الحروب لروسيا وحدها . وفضلاً عن هذا وهذا فانها تركت الرهبان البلجيكيين يغصبونها احسن قسم من بلادها وهو بلجيكا . نعم نعم يامسيو دي شارني اني اكره النمسا ولا اطيقها

ثم سكت الملك قليلاً وبعد هنيهة اردف بقوله . لقد علمت الآن اني اكره الاستسلام الى النمسا وبين او الفرار على يدها فاسمع الآن امراً آخر . اتعرف المركيز دي ففراس ايها الكونت . فاجاب شارني نعم يامولاي. فقال الملك ان المركيز دي فقراس جاءني من قبل اخي « مونسيو » (٢) يقترح عليَّ الفرار . فما رأيك في هذا الرجل

فاجاب شارني رأيي ان الرجل شريف قد يبذل نفسه في سبيل الملك ولكني لا اظنه قادراً على ان يكون رئيساً لمشروع خطير كهذا المشروع

فقال الملك نعم وقد عرفت ذلك انا ايضاً لأني عرفت ان رئيس هذا المشروع هو اخي مونسيو لا فقراس وما فقراس الا اليد المنفذة

ففتح شارني عينيه فقال الملك وهل تستغرب ان يكون اخي ساعياً في اخراجي من باريز . لا تستغرب ذلك فانه يتمنى سفري من العاصمة حتى اذا ملَّ الشعب طول غياب

---

(١) لقد صحت نبوءة دياس في هذا الشان كما يعرفه القراء فان النمسا والمجر منقسمتان اليوم اشد انقسام والسياسيون يخشون من انفصالها بعد وفاة الامبراطور فرنسوى جوزيف الحالي

(٢) مونسيو اومسيو لقب كان يلقب به منذ بداية القرن السادس عشر اكبر اخوة الملك

الملك واحتاجوا الى من يقوم مقامه كان هو قريباً

فقال شارني مولاي انك تقول لي اموراً هائلة · فقال الملك كلا انني لا اقول لك الا ما كتبه لي اخوك من تورين فانه كتب اليَّ يقول ان الامراء اجتمعوا في تورين اخيرًا وبحثوا في خلعي وتنصيب من يقوم مقامي · وفي هذه الجلسة نفسها اقترح ابن عمي المسيو دي كونده ان يزحف الجيش النمساوي على مدينة ليون معها اصاب الملك · ومن اجل ذلك كله لا ارضى النجاة على يد النمسويين ولا على يد فرنسا بل اختار ما ذكرته لك من النجاة على يد المسيو بوليه · فخذ الآن هذا الكتاب اليه وسافر على عجل واياك ان تطلع احدًا على سبب سفرك حتى الملكة نفسها

ثم ان الملك اطلع شارني على الطريقة التي يخابر بها المسيو بوليه فخرج شارني من لديه مسرورًا بان الملك اعتمد عليه · ولو ان الملك انعم عليه اسمى انعام لما استطاع استمالته اليه بقدر ما استماله بوضع ثقته فيه

الفصل العشرون

غضب الملكة وحبها

وخرج شارني من لدن الملك مفتخرًا معجبًا بنفسه لان الملك كان كمن وضع يده على كتفه واستند اليه · واول ما صنعه انه ذهب الى غرفته ليكتب الى الملكة كتابًا يبلغها فيه انه مسافر من باريز · وذلك لانه كره مقابلتها بعد تلك المقابلة التي اظهر له الملك فيها كل ثقة ووداد

ولكنه لما وصل الى غرفته وجد ويبر خادم الملكة ينتظره ليذهب به الى الملكة على عجل بناءً على امر منها فذهب الكونت معه مضطرًا لا مختارًا

وكانت الملكة قد عرفت انها اخطأت الى شارني بكثرة ما عذبته بسوء ظنها به وسوء معاملتها اياه مع حبها له فارادت في هذه المرة ان تغسل ما مضى ولذلك استعدت لتقابله احسن مقابلة · واما شارني فقد كان قادمًا لهذه المقابلة وهو منقبض الصدر لرغبته عنها كما تقدم ولذلك لم يدنُ من الملكة حين دخوله عليها بل بقي واقفًا في عتبة الباب وقفة الاحترام والاحتشام

فالتفتت اليه الملكة وقالت بلطف · تقدم تقدم ياسيو شارني فنحن وحدنا

فدنا منها شارني باحترام ثم قال بلهجة رسمية هاءنذا يامولاتي طوع امرك

فالتفتت اليه الملكة مرة ثانية وقالت له . اما سمعت ايها الكونت انني اقول لك اننا هنا وحدنا

فاجاب الكونت نعم سمعت ذلك يامولاتي ولكني اعلم أن الانسان يخاطب ملكته بلهجة واحدة سواء كانت منفردة وحدها او على مرأى ومسمع من الناس

فاحست الملكة بما في هذا الكلام من المعنى المقصود فقالت ولكني لما استدعيتك ياكونت كنت اؤمل ان تخاطبني مخاطبة الصديق لصديقته لا مخاطبة رجل لملكته

فظهر هنا على شفتي الكونت شارني ابتسام لطيف

وكأن الملكة فهمت معنى هذا الابتسام فاردفت بقولها . انك تبتسم ياكونت ولعلي اعرف سبب ابتسامك واقرأ الآن ما تقوله في نفسك . انك تقول انني ظلمتك فيما مضى وعذبتك ولكن فلننس الماضي ياكونت واعلم انني كملكة لا استغني عن نصائحك وكامرأة لا استغني عن صداقتك

ثم مدت اليه يدها الجميلة فتناولها شارني وقبلها . ولما اراد تركها امسكت الملكة يده ثم اردفت بقولها

نعم قد ظلمتك ياكونت فانني رايت اخاك الذي تحبه يموت موت الابطال في سبيلي ولم اقل لك كلمة تعزية فيه . ولكن لا تلم المراة فانها ضعيفة وقد اوقف الدمع في عيني في تلك الايام ما كنا فيه من الخوف والغضب والهول . اما اليوم وقد اصبحت وحدي في هذا القصر فقد وفيتك دينك بالبكاء. ذلك اني بكيت في هذه الايام العشرة التي مرت علي دون ان اراك وان كنت لا تصدقني فانظر الآن الى عيني

قالت ذلك ثم رفعت راسها لتريه عينيها . فنظر شارني فيهما دمعتين منحدرتين على خدها انحدار لؤلؤتين على قطعة من الرخام . وقد كان انحدارهما في مسيل مفتوح انشأته كثرة الدموع التي انحدرت منها

فلما نظر شارني دموعها كاد ينطرح على قدميها ولكنه ذكر في الحال وداد الملك وثقته فتمالك نفسه وقال مضطربا . اشكرك ياسيدتي شكرًا جزيلاً على ذكرك اياي وحزنك على اخي . ويحزنني جدًا ان ليس لي وقت كاف لشكر جلالتك

فرفعت الملكة راسها وقالت متعجبة . كيف تقول انه ليس لك وقت كاف . فقال شارني ذلك لاني مسافر ياسيدتي . فقالت الملكة باستغراب زائد . انت مسافر؟ ولماذا؟ فقال اني مسافر ياسيدتي في مهمة لمولاي الملك . فسالته وكم يومًا تغيب عن باريز فاجاب

لا اعلم ياسيدتي · قالت والى اين تسافر

فتردد شارني في الجواب ثم قال — هذا سر مولاي الملك فاذا سالته ياسيدتي اطلعك عليه

فبهتت الملكة ثم قالت باستياء ولكنه اذا كان سر الملك فهو سر الملكة ايضاً افلا تطلعني عليه · فقال شارني اذا سمعته يامولاتي من فم الملك نفسه كان ذلك اكثر دلالة على امانتي لجلالتك ولجلالة الملك

ثم ان شارني انحنى انحناء من يستاذن الملكة بالذهاب · فبلغ الحنق من الملكة عند هذه الحركة مبلغه فاومأت اليه بيدها بنزق وقالت · فاذهب اذاً

الا انها كادت تختنق بالدمع عند ذكرها ان شارني مسافر الى مكان لا تعرفه ولا تعرف الاخطار التي تتهدده فيه

فخطا شارني نحو الباب بعد التسليم باحترام ثم فتحه ورام الخروج منه

واذا بصوت الملكة يناديه بحدة : شارني شارني

فالتفت الكونت الى الملكة · فقالت له ماري انطوانت تقدم تقدم · فتقدم منها · فقالت له تقدم ايضاً · فدنا حتى اصبح بينها وبينه مسافة ذراع فقط · فنظرت الملكة حينئذ في وجهه والدموع تجول في عينيها ثم سالته بلهجة ممزوجة باللين واللطف والكبرياء — الم تعد تحبني ياشارني

فلما سمع شارني هذا الكلام طار صوابه وكاد يغمى عليه ويسقط جاثياً تحت اقدام الملكة · وكانت هذه هي المرة الاولى التي لانت فيها الملكة وخفضت راس كبريائها امام الرجل الذي تحبه

ولكن الكونت لم يلبث ان ثاب اليه رشده فانحنى امام الملكة باحترام لا مزيد عليه وقال : اكون دنيئاً ياسيدتي اذا كنت اظهر لك الآن شيئاً غير اخلاصي واحترامي بعدما اظهره لي الملك منذ ساعة من الثقة والوداد

فصرفت حينئذ الملكة وجهها عنه بكبرياء وقالت : انت حر ايها الكونت فاذهب واصنع ما تريد

فخرج شارني باضطراب شديد وبقيت الملكة في القاعة وهي في اشد حالات الهياج

وبعد خروجه بمدة قصيرة سمعت الملكة صوت مركبة فاندفعت الى النافذة فعرفت انها مركبة الكونت تسير نحو شارع كاروسل · فنادت خادمها ويبر في الحال وسالته اي

طريق توصل الى شارع كوك هيرون لمن يريد الذهاب اليه · فاجاب الخادم طريق كاروسل · فعضت الملكة شفتها وقالت في نفسها : انه سائر ليودع اندري زوجته · ثم جالت في الغرفة ذهاباً واياباً وقالت بحنق : يجب ان اعرف لهذه الامور نهاية · ثم نادت خادمها ثانية وقالت له · اذهب الآن الى منزل الكونتس شارني في شارع كوك هيرون وابلغها ان تاتي غداً لمقابلتي · فاجاب الخادم قد عينت جلالتك يوم غد موعداً لمقابلة الدكتور جيلبار · فاجابت الملكة دع مقابلة الدكتور جيلبار الى بعد غد· فانصرف ويبر الى منزل الكونتس دي شارني

ولما وصل ويبر الى منزل اندري كانت اندري تقرأ كتاباً وردها من شارني فلما دخل عليها ويبر خادم الملكة ضمت الكتاب الى صدرها كأن ويبر جاء لاخذه منها ولما ابلغها ويبر امر الملكة اجابت انها ستقابل جلالتها غداً · فعاد ويبر من حيث اتى اما اندري فانها فتحت الكتاب بعد ذهاب ويبر واتمت قراءته ثم رفعته الى شفتيها وقبلته وقالت : فليحرسك الله ياحبيبي · نعم انني اجهل المكان الذي انت مسافر اليه ولكن الله يعرفه وصلاتي تعرف اين الله

وفي المساء جاء مونسيو شقيق الملك وقابل الملكة ليباحثها في مسالة فرار الملك على يد المركيز دي فقراس فصرفت الملكة خاطرها الى هذا الامر · اما الملك فان فكره كان مصروفاً الى الجنرال بوليه الذي بعث اليه الكونت دي شارني · وهكذا مضت تلك الليلة: الملكة تفكر في مسالة فقراس والملك يفكر في مسالة بوليه· الا ان الملكة كانت تفكر ايضاً في امر غير مسالة فقراس وهو حبها للكونت دي شارني

وفي مساء هذا اليوم ابلغوا الملك ان المجمع الوطني قرر تغيير لقب الملك · فانه كان يلقب « ملك فرنسا ونافاريا » فجعل المجمع لقبه هكذا « ملك الفرنسويين »

الفصل الواحد والعشرون

❋ امراة بلا زوج — وعشيقة بلا عشيق ❋

وفي صباح اليوم التالي بكرت اندري الى قصر الملكة

وكانت الملكة مستعدة لمقابلتها ومع ذلك فانها لم تتمالك ان ترتعد فرائصها حين نداء ويبر معلناً : الكونتس دي شارني ·

اما اندري فانها دخلت على الملكة ثابتة الجاش هادئة ناصعة البياض كالماس ولكنها مثله قاطعة قوية

فبادرتها الملكة بقولها : اهلاً وسهلاً بالكونتس اندري . وقد قالت الملكة ذلك بلهجة في غاية اللطف والمجاملة

فاجابتها اندري غير متفائلة لهذا اللطف الذي كانت لا تتوقعه . لو كانت جلالتك تخاطبني دائماً بهذا اللطف لما بعثت تطلبني من خارج قصرها . وقد عنت اندري بذلك ان الملكة لو كانت لطيفة معها دائماً لما تركت هي قصرها . فكأنَّ اندري دخلت بكلمة واحدة في اساس الموضوع الذي ارادت الملكة مباحثتها فيه . فاجابت الملكة بشيء من الاسف

ان في كلامك يا اندري شيئاً من العتب والملام وربما كنت استحق ذلك في الزمن الماضي لان حوادثه الهائلة قد شغلتني عن اقرب الناس اليَّ . وهذا القول كافٍ ليدلك على ان ما حسبته اهمالاً وانكاراً للجميل انما هو في الحقيقة ضعف وعجز

فقالت اندري ان هذا القول يصح ياسيدتي اذا كنت قد سالتك شيئاً يوماً من الايام ولم تجيبيني اليه

فصاحت الملكة : وهذا هو الامر الذي يدهشني ايتها العزيزة ويجوز لي ان اشكو منه . فانني لا اراك تسالين شيئاً كانه لا يهمك امر من امور هذه الحياة بل كانك بشر فوق الطبيعة نفسها او مخلوق غريب حملته الزوابع من احد عوالم الفضاء وقذفته بيننا فسقط عندنا كما تسقط تلك الاجسام التي تاتينا من مكان مجهول والتي تطهرها النار في سقوطها . وحقاً يا اندري ان كل انسان يشعر بضعف لدى وقوفه امامك انت التي لم يعرفك الضعف قط . يشعر بضعف ولو كان ذا راس متوَّج . ولكنه بعد شعوره بالضعف يشعر بالاطمئنان ايضاً لان من كان مثلك بالغاً اقصى درجات الكمال البشري فانه يكون بالغاً درجات الحلم والصفح لانهما من جملة صفات الكمال . ولذلك فهو استناداً الى هذا الحلم والصفح يبعث في طلبك ليسالك تعزية لنفسه

وكانت الملكة تتكلم واندري جامدة كانها صنم . فلما اتت الملكة على كلامها قالت اندري بثبات جاشها المعروف : اني اخشى ياسيدتي ان لا تجد جلالتك في الامر الذي بعثت تطلبني من اجله . فان التي لا تطلب تعزية من احد لا يمكنها ان تكون قادرة على تعزية احد وخصوصاً اذا كانت مثلي لا تطلب تعزية حتى من الله نفسه لانها تعلم ان في بعض

الآلام ما لا تظن احداً قادراً على شفائه

فنظرت الملكة الى اندري واطالت النظر في وجهها ثم قالت بهيئة جدية : ما هذه الآلام التي لا يشفيها شيء . هل بقيت بك آلام لم تطلعيني عليها

فسكتت اندريه

واما الملكة فاردفت قائلة بشيء من النزق . فلتكلم الآن بحرية لانني بعثت اطلبك لهذا الغرض . قولي لي هل تحبين المسيو دي شارني

فاصفرت اندري حتى حاكت صفرتها صفرة الاموات ولكنها بقيت مثلهم جامدة هامدة

فاعادت الملكة سؤالها بنزق اشد : قولي مالك لا تتكلمين . هل تحبين المسيو دي شارني

فاجابت اندري بهذه الكلمة المفردة : نعم

كلمة هائلة ما سمعتها الملكة حتى صرخت صرخة اللبوة الغضبى

ثم كظمت غضبها وقالت لها : اما انا فما كنت اتوقع ذلك . ولكن متى ابتدأ حبك فاجابت اندري : منذ رايته . فقالت الملكة وقد كتمت امرك كل هذا الوقت فقالت اندري انت ادرى بذلك ياسيدتي . فقالت الملكة ولماذا هذا الكتمان . فقالت اندري لانني عرفت انك تحبينه . فقالت الملكة وهل تعنين بذلك انك كنت تحبينه اكثر مما احبه لانك رايت ما لم ار فاجابت اندري بشيء من الالم . كلا ولكنك انت لم ترى ما رايت لانه كان يحبك . فقالت الملكة تقولين «كان» فهل تعنين بذلك انه لم يعد يحبني

فسكتت اندريه

فاستشاطت الملكة غيظاً من هذا السكوت وصاحت بها . مالك تسكتين . اقتليني بقولك انه لم يعد يحبني فذلك خير من هذا السكوت . قولي الم يعد يحبني

فقالت اندري ان حب المسيو دي شارني وعدم حبه امران تختصان به وهما من اسراره

فازدادت الملكة حنقاً فقالت ولكنها من اسرارك ايضاً لانه لابد ان يكون قد اطلعك على اسراره . فقالت اندري ان المسيو دي شارني لم يطلعني قط على حبه او عدم حبه لك . فسالتها الملكة ولم يطلعك على ذلك ايضاً في هذا الصباح . فاجابت اندري انني لم

اشاهد المسيو دي شارني في هذا الصباح

فنظرت الملكة الى الكونتس نظرة دلت على ارتيابها في هذا الكلام ثم قالت هل تريدين بذلك انك تجهلين سفر الكونت . فقالت اندري كلا لا اجهل انه سافر . فصاحت الملكة فمن اين عرفت انه سافر اذا كنت لم تريه . فاجابت اندري عرفت ذلك من كتاب كتبه الي

وكما ان ريشار الثالث صاح في ساعة من ساعات يأسه « اعطي تاجي لمن يعطيني فرساً » كذلك صاحت ماري انطوانت في نفسها « اعطي تاجي لمن يعطيني هذا الكتاب » وقد فهمت اندري ما كان يختلج في صدر الملكة فرامت ان تترك ضرتها هنيهة في ذلك العذاب.

وبعد هنيهة التفتت الملكة وقالت لاندري الفلك تركت هذا الكتاب في منزلك . فمدت اندري يدها الى جيبها وقالت بل هو معي ياسيدتي . ثم اخرجت يدها وفيها كتاب تفوح منه رائحة طيبة . فمدت الملكة يدها وتناولته وهي ترتعش ثم اخذت تقرأه

وكان هذا الكتاب يحتوي على خبر سفر الكونت دي شارني وقد ذكر فيه الكونت انه رفض المهمة الاولى لرغبته في البقاء في باريز قريباً من الكونتس ظناً منه انها توده وتعطف عليه اما وقد تحقق انها لا تعبأ به فقد طلب السفر ترويحاً لنفسه من حزنها

فعلمت الملكة من هذا الكتاب ان الكونت لا يزال يجهل حب اندري له ولكنها علمت منه انه قد بدأ يميل اليها

اما اندري فانها قالت للملكة بعد ان اتمت قراءة الكتاب : هل تحققت انني ما خنتك قط . فاجابت الملكة وقد سكن جاشها بعض السكون . عفواً يا اندري ولا تلوميني فانني قد تعذبت كثيراً . . .

فصاحت اندري حينئذ وقد ظهر عليها الغضب لاول مرة . تقولين انك تعذبت ايتها السيدة . . . فاذا كنت تقولين ذلك فماذا اقول انا . . . انا لا اقول انني قد تعذبت لانني لا اريد استعمال كلمة قالتها امرأة اخرى لتعبر بها عن شيء كالذي في خاطري . وانما اريد كلمة جديدة . كلمة هائلة تدل على حقيقة العذابات والاهوال التي قاسيتها . تقولين انك تعذبت فهل احببت رجلاً كان لا يعبأ بحبك . هل رايت اخاك يبارز هذا الرجل ويجرحه جرحاً ظُنَّ مميتاً . هل سمعت هذا الرجل الذي تحبينه وهو في بحران الحمى وذهولها لا ينطق الا باسم ضرتك التي لا يحب غيرها . هل بشّر في صباك من ذلك الحب

الشديد الذي يكوي و يشوي فدخلت ديرًا لتبردي في الوحدة والانفراد حرارته . ثم وانتِ في هذه الوحدة هل رايت ضرتك قد جاءت اليك تطلب منك باسم وداد قديم ان تكوني زوجة لذلك الرجل . زوجة بالاسم فقط وقطعاً لالسنة الناس لانها تحبه كما انه يحبها . هل رايت نفسك انك اصبحت زوجة لذلك الرجل وهو لا يعبأ بك ولا يلتفت اليك وانما كل التفاته الى ضرتك التي كانت تعيش قريبة منك . هل حدث لك شيء من كل ذلك ايتها السيدة ليجوز لك القول بانك تعذبتِ . اما انا فقد حدث لي كل ذلك كما تعلمين والسنوات الثلاث الماضية كانت سنوات عذاب طويل عندي

وكانت الملكة تسمع هذا الكلام وهي خائرة القوى ولما اتت اندري على كلامها وسكتت لتتنفس الصعداء مدت الملكة يدها لتاخذ يد اندري فجذبت اندري يدها واردفت بقولها : ومع ذلك فانني لم اعدك بشيء ايتها السيدة وفعلت ما فعلت . اما انت فانك وعدتني امرين

وكانت اندري قد دخلت بهذا الكلام في دور الشكوى من الملكة . وكان كلامها بلهجة شديدة تدل على النار التي كانت تتقد في احشائها . فنظرت اليها الملكة نظرة عتاب قائلة — اندري . فاردفت اندري بقولها من غير ان تبالي بعتاب الملكة . — انك وعدتني امرين ايتها السيدة دون ان اطلب منك هذا الوعد . الاول انك ما عدتِ ترين دي شارني

فعاتبتها الملكة مرة ثانية بقولها اندري . ولكن ذلك ما كان ليمنع اندري من اتمام الحديث الذي وطنت نفسها على الدخول فيه فقالت بجاش ثابت . واما الوعد الثاني فهو وعد بالكتابة فانك وعدتني بان تعامليني معاملة اخت لك

فقالت الملكة مرة ثالثة بصورة عتاب أيضاً اندري اندري . فاجابت اندري دون ان تصغي الى شيء

وهل تريدين ان اذكر لك العبارات التي وعدتني بها هذا الوعد . انك بعد عقد الزواج الذي كنت تطلبينه عرفتِ قدر العمل الذي عملته اخلاصاً لك فكتبتِ اليَّ ورقة هذا نصها

« لقد انقذتني يا اندري واعدتِ اليَّ شرفي وحياتي فباسم هذا الشرف وهذه الحياة اقسم لك انك اذا دعوتني اختاً لك فانني اسرُّ بذلك ولا اخجل منه . وقد كتبت لك هذا الكتاب ووضعته في يدك كذوطة لك . واني اعرف انك كريمة بين الكرام ولذلك

لا اشك في كونك تقدرين قدر هذه المدية »

فما اتت اندري على آخر هذه الكلمات حتى تنهدت الملكة تنهداً دل على انسحاق نفسها تجاه هذه المراة القوية · اما اندري فانها اردفت بقولها · ولا اجهل انك كنت تحسبين انني نسيت هذه الورقة لانني مزقتها ولكن فاعلمي انني لم انس منها حرفاً واحداً بل هي منقوشة على صفحات صدري

فصاحت الملكة عفواً يا اندري فانني اذا كنت اسأت معاملتك فذلك لانني كنت ظننت انه يحبك

فصاحت اندري · وهل تحسبين ايتها السيدة ان من نواميس القلب انه اذا اصبح القلب اقل حباً لشخص فذلك دليل على انه صار يحب شخصاً آخر

ثم تتالك الملكة ان صاحت هنا ملء فيها · وانت ايضاً تحتجين انه صار اقل حباً لي عما كان قبلاً

فسكتت اندري ولكنها لما رات الملكة بذلك العذاب لم تتالك ان ابتسمت ابتساماً خفيفاً لرؤيتها ان التي عذبتها وقتاً طويلاً قد صارت تتعذب ايضاً · اما الملكة فصاحت مرة ثانية

ما العمل يا رباه · كيف السبيل لحفظ ذلك الحب فانه اذا ذهب ذهبت حياتي معه اتعلمين لذلك طريقة يا اندري · يا اختي · ياعزيزتي

ثم ان ماري انطوانت مدت ذراعيها الى اندري لتضمها اليها فخطت اندري خطوة الى الوراء واجابت · كيف اعرف ذلك مع ان الكونت لم يحبني قط · فاجابت الملكة ولكن سياتي يوم يحبك الكونت فيه و يسألك العفو عما مضى · فانقبضت اندري وقالت ان ذلك اليوم يوم شؤم عندي · فدهشت الملكة واما اندري فاردفت بقولها · نعم هو يوم شؤم لانك لا تجهلين ايتها السيدة ان السر الذي لديَّ يقتل حب المسيو دي شارني متى اطلعته عليه

فسالتها الملكة بدهشة · وهل تقولين للمسيو دي شارني ان جيلبار اعتدى عليك في صباك ؟ وان لك منه ولداً ؟

فصاحت اندري ومن تحسبيني ايتها السيدة حتى ترتابي في ذلك

فتنفست الملكة الصعداء كمن استراح بعض الاستراحة · اما اندري فقد ظهرت عليها لوائح الانقباض الشديد لان هذا الكلام وضع نصب عينيها استحالة بلوغها

المناه في هذه الحياة . فشعرت ماري انطوانت بذلك فزادت في ملاطفتها ومجاملتها لاسيما وانها عرفت ما كانت تريد معرفته من امرها واما اندرى فانها كانت تستثقل تلك المجاملة فسلمت بفتور وخرجت وفي نفسها مرارة اليأس

وبعد خروجها قالت الملكة في نفسها كمن يتهدد ويتوعد : يا ذات القلب القاسي والنفس النارية لا اكره احداً في العالم كما اكرهك . آه .. ولكنه لا بد ان يحبك يوماً من الايام

ثم انها نادت خادمها ويبر واستفهمت منه متى ياتي الدكتور جيلبار ودخلت الى غرفة النوم بعد ان اوصت نساءها ان لا ينبهنها اذا استغرقت في النوم . لانها كانت قد توقعت لنفسها في تلك الليلة ارقاً شديداً

الفصل الثاني والعشرون

الخباز فرنسوى

حادث هائل

وفي الحقيقة ان الملكة ارقت في تلك الليلة ارقاً شديداً وقد صرفت قسماً طويلاً من الوقت في البكاء . ولذلك لم تنتبه من النوم الا في الساعة التاسعة

غير انها عند انتباهها من النوم سمعت في القصر حركة اقدام كثيرة فنادت احدى نسائها وسالتها الخبر فاخبرتها ان الشعب في فتنة وهياج في باريز فلبست ملابسها وحدها ثم استدعت خادمها ويبر وسالته عن سبب الفتنة فاجابها ان التقارير متناقضة ولذلك لم يعرف احد سببها بعدُ فامرته الملكة ان يذهب بنفسه ويطلع على اسباب الفتنة وان يوصي نساء القصر بادخال الدكتور جيلبار اليها حال حضوره لانه لا بدَّ ان يكون مطلعاً على هذه الحادثة

فخرج ويبر من القصر يقصد مكان الفتنة فكان في طريقه يجد الشعب راكضاً الى ذلك المكان افواجاً افواجاً وهم يصرخون ويصخبون

وما زال ويبر سائراً حتى بلغ ساحة كنيسة نوتردام فابصر هناك شعباً هائلاً متجمهراً وهو يصرخ صراخاً طبق العنان فكان يُسمع من الوف من الافواه هذا النداء : هذا تجوّع الشعب .. اقتلوه اقتلوه .. شنقاً بالمصباح

قد ويبر بصره فابصر الوفاً من الناس مجتمعة وهي تتقاذف رجلاً وتتلاعب به تلاعب الاولاد بالاكر . ولا معين لهذا الرجل التعيس الا رجل آخر ممسك به يتبعه حيثما سار وهو يخاطب الناس ويحضهم على السكون . وكان الرجل الثاني هو الدكتور جيلبار

فاندس ويبر بين الناس حتى وصل الى الدكتور والرجل الذي تجمهر الشعب حوله هذا التجمهر الهائل فسمع ويبر الدكتور جيلبار يصيح بمن حوله : ايها الاخوة . ان هذا الرجل فرنسوي مثلكم فمن الواجب ان تحاكموه قبل الفتك به تخذوه الى مركز البوليس وحاكموه هناك ثم افعلوا فعلكم فيه

فلما سمع ويبر ذلك تقدم من الدكتور جيلبار فعرفه الدكتور فسلم عليه باختصار فقال له ويبر دافع دفاعاً حسناً ايها الدكتور فانا ذاهب لاخبار رجال البوليس في المركز القريب قال ذلك ثم اندس ثانية بين الجمهور قاصداً مركز البوليس

وكأن شهامة الدكتور جيلبار ووقوفه وحده وقفة المدافع عن ذلك الرجل المسكين قد استفزا بعضاً من اصحاب النفوس الابية فانضموا اليه يطلبون ما طلبه ولكن الشعب ما كان يسمع لهم . وبعد برهة يسيرة علت ضوضاء جديدة وسمع بعضهم يقولون جاء الضباط جاء الضباط . ثم بعد هنيهة ظهر الضباط فتفرقت الجماهير عن الرجل لا خوفاً ولكن لان دعاة الفتنة لم يكونوا بعد قد اصدروا الامر بارتكاب الجناية

فساق الضباط ذلك الرجل الى المجلس البلدي ووراءه الوف مؤلفة من جماهير الشعب فدخلت تلك الجماهير كلها الى ساحة المجلس وانضم اليها من جميع الاحياء الوف اخرى من المتشردين والجياع والذين لا عمل لهم فازدادت الضوضاء والغوغاء واشتد صراخ المتجمهرين طالبين قتل ذلك الرجل الذي يجوع الشعب

واما قصة هذا الرجل فهي من الغرابة بمكان ولا باس ان نوردها هنا ببعض التفصيل لانها حادثة تاريخية من اشهر حوادث الثورة . فنقول

يُدعى هذا الرجل « دنيس فرنسوى » وكان خبازاً ينشئ مخبزاً في مكان على مسافة مائتي متر من دار رئاسة الاساقفة في باريز . وكان المجمع الوطني يعقد جلساته في هذه الدار بعد عودة الملك الى باريز فكان اعضاؤه اذا جاعوا في اثناء الجلسات الطويلة التي يعقدونها يمشون الى الخباز فرنسوى فيجدون عنده ارغفة صغيرة يصنعها لهم خاصة من الخبز الابيض الجيد فياكلون مسرورين بسد جوعهم مع ان الوفاً من اهالي باريز كانوا جياعاً في تلك الايام لندرة الخبز وقلة الدقيق

وبسبب قلة الخبز كانت الحكومة قد عينت اربعة رجال من رجال البوليس لكل فرن من افران باريز خوفاً من هجوم الشعب على الافران كما حدث غير مرة . وكانت الافران لا تتم خبز الخبز حتى تخاطفته الايدي

ففي هذا اليوم وهو يوم ٢١ اكتوبر قصدت امرأة طاعنة في السن مخبز فرنسوى وطلبت منه خبزاً . وكان فرنسوى قد اتم بيع الخبزة السادسة وهو يعمل في خبز الخبزة السابعة فاجابها انتظري قليلاً لتنضج الخبزة السابعة فتاخذي خبزاً طرياً . فصاحت العجوز كلا بل اريد خبزاً الآن وهذا ثمنه . فاقسم لها الخباز انه قد باع جميع الخبز الذي لديه فقالت له دعني اذاً ادخل وافتش حانوتك فادخلها فرنسوى فجعلت تفتش جميع الخزائن فعثرت في تفتيشها على ثلاثة ارغفة كان عمال المخبز قد خبئوها ليقتاتوا بها اذا لم يفضل من الخبز شيء فلما ابصرت العجوز هذه الارغفة تناولت احدها وخرجت من دون ان تدفع ثمنه . واذ طلب الخباز ثمنه منها اخذت تصيح في السوق — يا مجوع الشعب . يامخفي الخبز . فركض الناس على صراخها فقصت عليهم ان ذلك الرجل يخفي الخبز في مخبزه ولا يبيعه للشعب الذي يموت جوعاً ثم اعادت ذلك الصياح . فخرج على صراخها من حانة قريبة من هناك ضابط من قدماء الضباط واخذ يصيح صياحها : امسكوا مجوع الشعب فهرول الناس من كل جانب وتجمهروا عشرات ومئات

وكانوا في ذلك الوقت وقت الضيق والمجاعة اذا لقبوا احداً مجوع الشعب ونادوا عليه ذلك النداء فذلك بمثابة طلبهم الفتك به لانهم كانوا قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل خباز يخفي الخبز ويجوع الشعب

فلما اجتمع الناس امام مخبز الخباز فرنسوى طلبوا ان يدخلوا ويفتشوا حانوته ليعرفوا صحة تلك الدعوى او كذبها فادخلهم الرجل الى حانوته ففتشوه فوجدوا في خزائنه الرغيفين اللذين اخذت العجوز ثالثهما وعشرات من الارغفة الصغيرة التي كان يصنعها لاعضاء المجلس الوطني

فلما عثروا على هذه الارغفة هاجوا وماجوا واخذ كثيرون يصيحون — اقتلوا المجوع اقتلوا المجوع

وفي الحال هجم بعضهم عليه وزحموه من كل جانب وصاروا يلطمونه ويخاطفونه ويتقاذفونه صارخين « اشنقوه اشنقوه » وفي هذه الساعة اتفق مرور الدكتور جيلبار قاصداً قصر الملك فهجم على الشعب واستخبر الخبر ثم شق الجمهور حتى وصل الى الخباز وصار يدافع

عنه كما تقدم الى ان ساقوه الى دار المجلس البلدي

وكان الوقت صباحاً فلم يكن باليي ولافاييت قد قدما بعد الى المجلس · وكان ذلك في علم مثيري هذه الفتنة وذلك مما كان يزيدهم جرأة ووقاحة · فبعثوا دعاتهم من جديد بين الجماهير ليضرموا نار الغضب والحقد في نفوسها · فكانوا يقولون لهم من كل جانب « ان هذا الجوع صنع ما صنع بأمر البلاط ولذلك يسعون لانقاذه » فكان الشعب يزداد صراخاً « اشنقوه اشنقوه »

فالفوا في الحال محكمة وقتية في دار المجلس البلدي لمحاكمة الرجل لان الشعب فرغ صبره فظهر من شهادات جيران هذا الخباز انه من اشد الخبازين نشاطاً واحسنهم اخلاقاً فانه كان من بداية الثورة يخبز عشر خبزات في النهار بسرعة غريبة و يبيعها لكل من يطلب منه ذلك · ولما كان بعض زملائه الخبازين ينفد منهم الدقيق (الطحين) كان يعطيهم من دقيقه ورغبة في الاسراع في العمل قياماً بحاجات الشعب لم يكتفِ بفرنه بل استاجر فرناً آخر ليجفف فيه الحطب تسهيلاً للعمل

فلما سمعت المحكمة كل هذه الشهادات تحققت ان هذا الرجل بريء وانه يستحق مكافاة على حسن عمله لا عقاباً

اما الجماهير التي كانت مجموعة هناك فانها لم ترد ان تفهم شيئاً من ذلك ولما طال عليها الانتظار ولم يسلموها فريستها هجمت مئات والوفاً كالبحر الزاخر الى قاعة المحكمة فدفعت الحراس والحاضرين واخذت الخباز المسكين وخرجت به تجره جرّاً على درج السلم وارض المجلس فتهشم وجهه تهشماً مخيفاً وصار في حال يرثى لها من الالم والخوف فبعد ان كان يصرخ طالباً الحياة صار الآن يصرخ طالباً الموت للاستراحة من هذا العذاب

وكان ملاك الموت قريباً في ذلك الزمان فما كان يناديه احد الا ويسمع نداءه ويُسرع اليه · ولذلك لم يصرخ فرنسوى بقوله « اقتلوني ولا تعذبوني » حتى مُدّت الايدي اليه من كل جانب فما هي الا لحظة حتى فُصل راسه عن جسده ووُضع على راس رمح حمله احد الحاضرين

فلما ابصر الدكتور جيلبار ذلك خرج من المجلس صارخاً : يلو يلو ما اسعدك لانك سافرت من باريز

ثم سار في طريقه منقبض النفس وهو يتامل في الحادث الفظيع الذي حدث · ولكنه لم يصل الى جسر بالاتيه حتى شعر بان شخصاً يمس ذراعه · فالتفت ليرى هذا الشخص

فـا وقع بصره عليه حتى اجفل جيلبـار واراد الوقوف والكلام معه لانه عرفه . اما الرجل المجهول فانه وضع اصبعه على فمه يسأله بهذه الاشارة ان يسكت ثم تناولـه ورقة ووضعها في يد الدكتور وسار في طريقه قاصداً دار رئاسة الاساقفة

وكانت امرأة واقفة هناك فلما وقع نظرها عليه صاحت برفيقاتها : هو ذا « ميرابو» نصير الشعب

فصاحت رفيقاتها حينئذ « ليحي ميرابو» فانتبه حينئذٍ الشعب الحاضر للرجل المجهول واخذوا يصيحون عشرات ومئات « ليحي نصير الشعب . ليحي الوطني العظيم»

ولما سمعت مؤخرة الجماهير التي كانت تحمل راس لطباز فرنسوى هذا الصراخ ركضت الى حيث كان ميرابو فاحاطت به احاطت السوار بالمعصم واخذت تصيح « ليحي ميرابو » وما زالت به حتى اوصلته الى دار رئاسة الاساقفة حيث كان يقصد حضور جلسة المجمع الوطني

الفصل الثالث والعشرون

❋ الفوائد التي تحصل من راس مقطوع ❋

ولما غاب ميرابو عن نظر الدكتور جيلبار فتح الدكتور الورقة التي كان قد دفعها اليه ميرابو وقرأها مسرعاً ثم اعاد قراءتها بامعان . وبعد ذلك سار نحو التويلري بخطى واسعة فوجد ان لافاييت قد زاد عدد حراس القصر حين حدوث الفتنة زيادة في حراسة الملك فابلغ الحراس اسمه فاذنوا له في الدخول . ولما صار داخل القصر سار تواً الى غرفة الملكة بناء على امرها

ولكنه ما دخل عليها ووقع نظرها عليه حتى صاحت صيحة من صميم قلبها

ذلك انها ابصرت نقطاً من الدماء على قيمص الدكتور جيلبـار ورات سترته ممزقة من احد جوانبها

اما الدكتور فانه انحنى امامها باحترام وقال . عفواً يامولاتي اذا كنت اقابلك بهذه الهيئة فانني كرهت الذهاب لتغيير ملابسي خوفاً من اطالة انتظارك لي

فقالت الملكة وماذا حدث لذلك الرجل المعيس ياموسيو جيلبـار فقال انهم قتلوه ياسيدتي وقطعوه ارباً اربا . فقالت باضطراب وهل كان مجرماً قال بل كان بريئاً فصاحت

الملكة : هذه هي ثمرة ثورتكم يامسيو جيلبار . انهم كانوا في البداية يقتلون الاشراف والموظفين والحراس اما الآن فانهم صاروا يقتتلون فيما بينهم . اما من سبيل لمعاقبة اولئك الجناة والاشقياء

فقال جيلبار سنبذل الجهد في ذلك ياسيدتي ولكني انا افضل تدارك الامور قبل وقوعها على المعاقبة عليها بعد وقوعها . قالت وما السبيل الى ذلك فانه لا شيء احب من ذلك اليّ والى الملك . قال السبيل الى ذلك ياسيدتي ان نولي زمام الاحكام الى رجال يثق الشعب بهم فان هذا الهياج لا منشأ له غير سخط الشعب على القابضين على ازمة الاحكام وعدم ثقته بهم

فقالت الملكة عدتَ الى مسالة تولية لافاييت وميرابو . فقال كنت اظن ياسيدتي انك دعوتني لتبلغيني انك استطعت اقناع الملك بان يرضى بتاليف الوزارة التي عرضتها على جلالته . قالت انك بقولك هذا ياسيو جيلبار تقع في خطاء وقع فيه جميع الناس وهو ظنهم انني ذات سلطان على الملك احمله على ما اشاء . والحقيقة ان التي لها عليه سلطان انما هي مدام اليزابت . فقال جيلبار ومع ذلك فانني مقتنع بان الملكة لو قاومت انفتها لاستطاعت اقناع الملك بهذا الامر . قالت وهل لا تحسب انفتي في محلها ايها الدكتور فاجاب جيلبار

في السياسة لا انفة ولا كراهة ياسيدتي وانما فيها مصالح او مبادىء فمتى جمعت المصلحة قوماً من الساسة انشات بينهم تضامناً ولو كانوا لا يحبون بعضهم بعضاً . وكذلك المبادىء . غير انني اصرح بشيء فيه عار لرجال السياسة في اكثر الاحيان والازمان وهو ان رباط المصالح قد يكون اشد واقوى من رباط المبادىء

فقالت الملكة وقد نظرت الى الدكتور بهيئة جدية . كيف تشير عليَّ ايها الدكتور بان اثق بالرجل الذي اثار الشعب عليَّ في ٥ و٦ اكتوبر وان احالف الخطيب الذي اهانني من منبر الخطابة

فاجاب جيلبار : صدقيني ياسيدتي ان ميرابو لم يثر الشعب في ٥ و٦ اكتوبر وانما الذي اثار الشعب في ذينك اليومين قوة هائلة . يد سرية صنعت ما صنعت تحت جنح الظلام . وقد آلت هذه اليد السرية على نفسها ان تهدم كل عرش في العالم لاعرش فرنسا فقط . وربما استطعت بعد حين مقاومتها وجهاً لوجه متى قبضت عليها . اما ميرابو فانه لم يعرف باخبار ٥ و٦ اكتوبر الا من المجمع الوطني نفسه

قالت وهل تنكر ايضاً انه اهانني وهو يخطب في منبر المجمع

فقال جيلبار اسمحي لي ياسيدتي ان اعرفك بميرابو لانك لا تعرفين اخلاقه . فان هذا الرجل هو من الرجال الذين يقدرون نفوسهم قدرها ويعرفون مبلغ قوتهم وكثرة الفوائد التي يجنيها الملوك من استخدامهم . ولذلك فهم يحنطون كل السخط كلما رأوا الملوك لا يعبثون بهم مع عظم الفوائد التي تنتج عنهم . وهذا سبب سخط ميرابو . فلا تعجبي ياسيدتي ان يكون ميرابو قد اتخذ كل طريقة حتى طريقة الاهانة لاستلفات نظرك اليه . لانه يعتبر انك اذا التفت اليه وانت غضبى من تلك الاهانة فذلك خير له وادعى الى كبريائه من ان لا تلتفتي اليه ابداً

اما الملكة فاعجبها هذا القول فلبثت مبهوتة ثم قالت . اذاً انت معتقد ان هذا الرجل يرضى بالانحياز الينا. فاجاب جيلبار لا ريب في ذلك عندي ياMولاتي فمثل ميرابو والملكة مثل جواد سائر في طريقه واذا حاد الجواد عن الطريق فبجذبة واحدة بعنانه يعود اليها. فقالت الملكة ولكن اذا رضيت انا موافقة هذا الرجل فانني لا اضمن موافقة الملك لان الملك يحسبه عدوًا . فقال جيلبار كلا يامولاتي ان ميرابو ليس بعدو للملك . فاني نظرته على طريق فرساليا لما كان الملك عائداً منها الى باريز . فقطعت الملكة كلامه قائلة . اظنك نظرته مسروراً بظفره معتزاً بقوته . فقال بل رايته مرتاعاً للاخطار التي كانت تتهددكما من كل جانب . وهذا ما قاله لي يومئذ بهذا الشان . قال « اذا كنت قادراً على اقناع الملك والملكة بالخروج من باريز فانك تخدمهما وتخدم فرنسا خدمة نافعة . ومتى عزما على ذلك فاخبرني الخبر لانقذهما بطريقة لديّ »

فبهتت الملكة وقالت هل ان المسيو دي ميرابو يعتقد بوجوب سفرنا من باريز ايضاً . فقال جيلبار كان يعتقد بوجوب ذلك من قبل اما الآن فقد غير رايه . قالت ومن اين علمت ذلك قال من ورقة دفعها اليّ في هذا الصباح بعد حادثة الخباز فرنسوى . فدهشت الملكة وسالت جيلبار : ورقة من ميرابو نفسه . قال نعم ياسيدتي واليك هذه الورقة . انما ارجو المعذرة لانها غير مرتبة ولا لائقة بجلالتك لانها كتبت على مائدة بائع خمر فاجابت لا بأس باس فان كل شيء على غير ترتيب ولانظام في هذا الزمان ثم تناولت الورقة وقرأت فيها ما يلي

« ان الحادثة التي حدثت اليوم غيرت مجرى الامور

« يمكن الحصول على فوائد كثيرة من هذا الراس المقطوع

« فان الخوف سيستحوذ على المجمع الوطني فيطلب اعضاؤه اقامة الاحكام العسكرية
« والمسيو دي ميرابو قادر على جعل المجمع يقرر اقامة الاحكام العسكرية
« وهو قادر ايضاً ان يحمل على نا كار الوزير الاول ويسقط وزارته
« ومتى سقطت هذه الوزارة فليعهدوا الى ميرابو ولافاييت ان يؤلفا وزارة جديدة والمسيو دي ميرابو يضمن حينئذٍ تحسن الاحوال من كل وجه »

ولما اتت الملكة على هذه الورقة التفتت الى جيلبار وسالته ما رايك في هذا يامسيو جيلبار . فاجاب رأيي ياسيدتي ان ميرابو مصيب وانه لا ينقذ فرنسا الا الوزارة الجديدة التي يقترحها

فسكتت الملكة هنيهة ثم قالت فليبعث الي اذاً ببيان اسماء الرجال الذين يريد ان تتالف منهم الوزارة الجديدة وليكتب لي تقريرًا عن الحالة السياسية الحاضرة

فقال جيلبار وهل اطلب منه الآن مقدمةً لهذا الاتفاق ان يسعى في اقامة الاحكام العسكرية واعادة السلطة للقوة التنفيذية . قالت فليسع ولكني اعيد عليك قولي باني لا اضمن موافقة الملك اما انا فموافقةٌ كما ترى . فسكت جيلبار عن هذا القول لانه كان يعتقد بانها ذات سلطان على الملك فمتى شاءت حملته على ما تريد . ثم سالها وهل تاذنين لي جلالتك بان ابلغ ميرابو بانك تطلبين منه بيانًا باسماء الوزراء وتقريرًا عن الحالة الحاضرة فقالت الملكة قل ما له شئت ان تقوله ولكن اذكر انك تباحث رجلاً حديث العهد في صداقتنا وربما عاد فانقلب وصار عدوًا لنا

فقال جيلبار اما هذا الامر فكوني خلية البال منه ياسيدتي لاني اعرف الناس باخلاق ميرابو . فاذني لي الآن ان اسرع الى المجمع الوطني لاطلب من ميرابو ان يعمل بما تم عليه الاتفاق

ثم ان جيلبار سلم وخرج مسرعاً . فلما وصل الى قاعة المجمع الوطني راى الاعضاء في هياج شديد لان الخباز فرنسوى الذي قتلته العامة في ذلك النهار هو رجل المجمع وخادمه لانه كان يعدُّ الخبز لاعضائه فضلاً عن حدوث هذه الجناية على مقربة من مكان المجمع . وكان الاعضاء يجولون في القاعة ذهابًا وايابًا الا ميرابو فانه كان جاثمًا في كرسيه جثمة الاسد في عرينه وهو ثابت الجاش هادىء البال

ولما دخل جيلبار الى قاعة المجمع استنار وجه الاسد فاشار اليه جيلبار براسه اشارة عمودية من فوق الى اسفل دلالة على نجاح مهمته ثم انه مزق ورقة من دفتر بجيبه وكتب

عليها بقلم رصاصي ما يأتي

« ان احد الفريقين الذي تحسبه واحسبه اشد سلطاناً ونفوذاً قد وافق على اقتراحك

«وقد طلب بياناً بمشروع الوزارة الجديد وتقريراً عن الحالة السياسية الحاضرة . فابعث الآن بالاول واكتب الثاني غداً

« اسعَ في اعادة السلطة للقوة التنفيذية والقوة التنفيذية تعتمد عليك »

ثم ان جيلبار طوى هذه الورقة وكتب عليها هذه الكلمات « الى المسيو دي ميرابو » ونادى احد حراس المكان فدفعها اليه ليوصلها الى صاحبها

فتناولها الحارس وسار توّاً الى ميرابو فدفعها اليه

فتناولها ميرابو بعدم اكتراث كانه يتناول شيئاً لا يهمه ثم اخذ يقراها بعدم اكتراث ايضاً كانه غير عابيء بموضوعها

ولم يظهر على وجهه في اثناء قراءتها لا دليل على رضاه ولا دليل على سخطه . فمن نظره يقرأها لم يعلم اذا كان ساخطاً منها او راضياً عنها

وبعد ان اتم قراءتها مزق ورقة من دفتر جيبه وكتب عليها بقلمه سطوراً كثيرة بهيئة لا شيء من الاكتراث والمبالاة فيها . ثم طوى الورقة ودفعها الى الحارس وقال له: اوصلها الى الذي اعطاك الورقة التي جئتني بها . فاخذها الحارس الى الدكتور جيلبار ففتحها الدكتور باهتمام شديد فوجد فيها هذه الاسطر التي لو عُمل بها لتغيرت مستقبل فرنسا كلها . وهذا نصها

« سامحي

« غداً ابعث بالتقرير اليك

« اما اسماء الوزراء فهذا بيانها

« المسيو نكار . وزير اول (يجب ابقاؤه في الوزارة انتفاعاً بشهرته لدى الشعب وافناء لقوته)

« رئيس اساقفة بوردو . لوزارة العدلية (ونطلب منه ان يحسن اختيار عماله)

« الدوق دي ليانكور . لوزارة الحرب (وهو رجل ذو شرف وعزم وحزم فضلاً عن حبه للملك وهذا مما يضمن لنا سلامة الملك)

« الدوق دي لاروشفوكول . لقصر الملك ولمدينة باريز (ويكون « توريت » معه)

« الكونت دي لا مارك · لوزارة البحرية (لا يمكن تعيينه لوزارة الحرب لان هذه الوزارة للدوق دي ليانكور · والمسيو دي لامارك مشهور بالامانة والحزم والجد في العمل)

« اسقف دوتين · لوزارة المالية

« الكونت ميرابو· من مستشاري الملك · من غير وزارة · (لم يبق محل في هذا الزمان للاوهام وبناء عليه يجب على الحكومة ان تصرح علانية بانها لا تستند منذ الآن فصاعداً الا الى المبادىء الصحيحة ولا تتخذ اعواناً لها الا من اصحاب المواهب والاخلاق)

« تارجه · يعين محافظاً لباريز

« لافاييت· من مستشاري الملك · يرقى الى رتبة مارشال و يعين قائداً عاماً للجيش رغبة في تنظيمه · وقيادته الى اجل

« المسيو دي مونمورين · والي · ودوق · (وتوفى ديونه)

« المسيو دي سكور · لوزارة الخارجية

« المسيو مونيه · لادارة مكتبة الملك (١)

ولما اتى جيلبار على قراءة هذه الورقة تامل في سطورها فظهر له ان احرفها مضطربة بعض الاضطراب مما يدل على ان ميرابو كتبها و يده ترتجف قليلاً من تاثره وان كان لم يبدُ في وجهه شيء من هذا التاثر · ثم ان جيلبار كتب ثانية الى ميرابو الورقة التالية

« اني عائد الى صاحبة المنزل الذي اعتمدنا على استئجاره لابلغها الشروط التي اقترحتها بشان الاستئجار

« ابعث اليَّ حين انتهاء الجلسة بورقة تحتوي على نتيجتها

ثم عاد جيلبار الى التويلري وكان و بير يقص في هذه الساعة على الملكة بشان الخباز فرنسوى قصة اثرت فيها اشد تاثير و بيانها ان الجماهير التي كانت حاملة راس ذلك الخباز المسكين كانت سائرة به في احد الشوارع واذا بها تسمع امراة تصيح صيحة عظيمة فالتفتوا اليها فراوها تسقط على الارض مغشياً عليها

(١) بعد وفاة ميرابو وجدوا ورقة كهذه الورقة في جملة اوراقه وفيها الاسماء والشروح المتقدمة وذلك مما جعل المؤرخين يرجحون ميل ميرابو الى الملكية في آخر ايامه بعد اذ كان من اشد مقاوميها

وكانت هذه المراة زوجة ذلك الخباز وقد وقع نظرها على راس زوجها المقطوع قبل وقوفها على الحادثة · ومن سوء حظها انها كانت حاملاً

فلما سمعت الملكة ذلك بكت وصاحت بو بير : اذهب واستخبر خبر هذه المراة · فاذا كانت لم تمت بعد فقل لها ان تأتي لمقابلتي · واذا كانت حاملاً كما تقول فابلغها انني ساكون عرابة ولدها

ولكن الملكة لم تتم كلامها حتى دخل جيلبار وكان قد سمعه وفهم معناه فصاح من صميم قلبه : ليت جميع الفرنسويين يسمعونك الآن ياسيدتي ليعلموا رقة قلبك وشرف اخلاقك

اما الملكة فبقيت مبهوتة لهذا الكلام لانها ذكرت الكونت دي شارني الذي كان كثيرًا ما يقول لها مثله

ثم ان جيلبار دفع ورقة ميرابو الى الملكة فتناولتها وسالته ان يبقيها لها لتنظر فيها · ثم مدت اليه يدها مودعة ليقبلها · فدهش لذلك جيلبار وقبلها

وقد دهش لانها كانت المرة الاولى التي اذنت له الملكة فيها بتقبيل يدها

ولما عاد جيلبار الى منزله وجد فيه الكتاب التالي وهو من خط ميرابو

« كانت المناقشة شديدة في الجلسة

« ولكنه تقرر مع ذلك اقامة الاحكام العسكرية

« وقد طلب روبسبير وبوزوت تاليف محكمة عليا لمحاكمة الذين يجنون على الامة جناية كجناية هذا الصباح فجعلت المجمع بعين محكمة الشاتله الملكية للنظر في جميع القضايا المختصة بالجناية على الوطن والامة

« وقد قلت من غير تمهيد ولا محاولة ان سلامة فرنسا متوقفة على قوة الملكية · فصفق لهذا القول ثلاثة ارباع الاعضاء

« نحن اليوم في ٢١ اكتوبر فاذا قابلت يوم ٦ اكتوبر بهذا اليوم ظهر لك ان الملكية تقدمت تقدماً محسوساً »

الفصل الرابع والعشرون

﴿ مظالم الاحكام في تلك الايام ﴾

الشاتله

قال ميرابو في كتابه السابق انهُ جعل المجمع الوطني يعين محكمة « الشاتله » لمحاكمة الذين يجنون على الوطن والامة · وقد اتخذ هذا التعيين دليلاً على تقدم الملكية · فما السبب في ذلك

يعرف السبب متى عُرفت ماهية الشاتله واهميته · ولبيان ذلك نقول

ان الشاتله كان في القرن الثالث عشر سجناً ومحكمة وقد بناه الملك فيليب اغسطس

وفي سنة ١١٨٩ اصيب هذا الملك بالجنون الذي كان فاشياً في تلك الايام (١) وهو الحروب الصليبية لاسترجاع اورشليم فحالف هذا الملك الملك ريكاردوس قلب الاسد وسافر واياه الى الاماكن المقدسة

ولكنه قبل سفره خاف ان ينقسم شعبه بعضه على بعض في مدة غيابه كما انقسم الشعب الانكليزي في غياب الملك هنري الثاني فاراد ان يشغله بشيء يصرف فكره عن الانقسام فامر المهندسين ان يشرعوا بعد سفره ببناء سور كبير حول باريز · وقد ترك لهم رسم هذا السور

الا ان المهندسين لم يعتدوا بهذا الرسم لانه كان ضيقاً وقد خافوا ان يضيق عن باريز بعد بنائه لان هذه العاصمة كانت آخذة بالنمو بسرعة غريبة ولذلك توسعوا في بناء هذا السور وادخلوا فيه جميع القرى والبلدان الصغيرة التي كانت في ضواحي باريز

وكان لكل ناحية من هذه النواحي محكمة خاصة بها وامير خاص يحكمها وهو مستقل عن باقي الامراء زملائه · فكانت هذه المحاكم المختلفة تحكم احكاماً متناقضة متباينة · فلما استفحل هذا الامر وكان ذلك في عهد لويس التاسع اصدر هذا الملك امرًا بتعيين محكمة « الشاتله » لاستئناف جميع القضايا التي تصدرها تلك المحاكم اذا شاء اصحابها استئنافها · وهكذا صارت محكمة الشاتله منذ ذلك اليوم محكمة عليا

و بديهي ان لويس التاسع لو لم يكن واثقاً بمحكمة الشاتله لما خولها هذه السلطة · و بناء عليه كانت هذه المحكمة معتبرة على مدى الاجيال محكمة ملكية

(١) الحروب الصليبية

ولذلك عدّ ميرابو تعيينهـا للنصل في الدعاوى الوطنية فوزًا للملكية . لان المجمع الوطني لو كان كارهاً للملكية وغير مريد لها لما رضي الشانله محكمة وطنية

وكانت القضية الاولى التي عُهد الى هذه المحكمة النظر فيها قضية مقتل الخباز فرنسوى. فاحيل اليها الضابط الذي خرج من الخانة على صوت العجوز وصار يحرض الشعب. فحكمت المحكمة بتجريده من رتبه واعدامه فجرد منها واعدم

وكانوا قد اعدموا قبله ايضاً رجلين من القتلةوذلك من غير محاكمة مكتفين باشتهارهم بالاشتراك في تلك الجناية

ثم احيلت اليها قضيتان . الاولى قضية اوجار المتهم بانه دفع مالاً كثيرًا الى حاشية الملكة لتتمكن به من جمع الجند في ساحة مارس وقضية بيير فيكتور بزنفال الذي كان يقود الجند الالماني في باريز والمتهم بانه امر باطلاق الرصاص على الشعب

اما الشعب فانه كان لا يعبأ بالمتهم الاول ولكنه كان شديد الاهتمام بالمتهم الثاني لما ذاقه منه ومن جنوده من مر العذاب . واما الملك والملكة فانهما كانا يلحان على المحكمة بوجوب تبرءة ساحة هذين الرجلين لانهما من المخلصين للبلاط

فنظرت المحكمة في قضية الاول وبرأت ساحته . فلم يهتم به الناس كثيرًا

الا انها لما شرعت في محاكمة الثاني غصت قاعة الشانله بسكان باريز خاصتها وعامتها وكانوا كلهم ينتظرون بصبر فارغ نتيجة المحاكمة . ولكن ذلك لم يمنع المحكمة من تبرءة بزنفال ايضاً

فاستاء الشعب من هذا الظلم الظاهر

وقبل انصراف الناس من قاعة المحاكمة اخذ احد الحاضرين ورقة وكتب عليها بضعة اسطر ثم ادارها كما تدار الاسطوانة وقذف بها الى كرسي رئاسة المحكمة . فوقع نظر الرئيس عليها فمد يده وتناولها . ولما فضها قرأ فيها الايات الاربعة التالية

Magistrats qui lavez augeard
Qui lavez Besenval, qui laveriez la peste,
vous êtes du papier brouillard :
Vous enlevez la tache, et la tache vous reste

وهذا معناها تقريباً

« ايها القضاة الذين برأتم ساحة اوجار و بزنفال

« والذين تبرئون الطاعون ايضاً
« انتم كورق النشاش
« ترفعون البقعة القذرة ولكنها تبقى فيكم

وكان في ذيل هذه الابيات اسم ناظمها

فلما قرأها الرئيس التفت ليجد صاحبها · فرآه واقفاً على مقعد في وسط القاعة وهو يشير اليه باصبعه اشارة معناها : انا هو

فلم يجسر الرئيس ان يأمر بالقاء القبض عليه · وذلك لسببين · الاول ان هذا الرجل كان « كاميل ديمولين » الصحافي الشهير واحد زعماء الثورة في تلك الايام والثاني ان الحق كان في جانبه

وهذه احدى نتائج الظلم في كل زمان ومكان

ثم انصرف الناس افواجاً افواجاً وهم يتحادثون بنتيجة الحكم · وكان الدكتور جيلبار في جملة الحاضرين فخرج معهم · الا انه ما كاد يُدرك الباب حتى شعر بيد توضع على كتفه وسمع قائلاً يقول : ما رايك في هذين الحكمين ايها الدكتور

وكان الرجل الذي خاطب الدكتور يلبس ملابس تدل على انه من اوساط الناس اما الدكتور فقد ارتعدت فرائصه عند سماعه ذلك الصوت فالتفت الى صاحبه واذ تحققه أجاب : الحكم في ذلك موكول لك يا معلم لانك تعرف الحاضر والماضي والمستقبل

فقال الرجل المجهول اما انا فاني اقول « الويل للبريء الذي يساق الى هذه المحكمة بعد هذين الحكمين »

فقال جيلبار ولماذا تحسب المتهم الذي يأتي بعدهما بريئاً

فضحك الرجل المجهول وقال « لان من نواميس هذا العالم ان الاشرار يأكلون الحصرم والاخيار يضرسون ·

ولا ريب ان « القارىء » قد عرف ان هذا الرجل الذي وصفناه بالمجهول انما هو كاليوسترو الرجل الماثل الذي تقدم ذكره في غير هذا الموضع ·

فلما سمع جيلبار الكلمة التي قالها صاحبه واظهر فيها كل ما في نفسه من الارتياب والشك في عدالة هذه الحياة رام التخلص من البحث في هذه الشؤون فمد يده الى كاليوسترو وقال استودعك الله يا معلم

فقال كاليوسترو لقد اسرعت في المسير · فاجاب جيلبار ضاحكاً لدي اشغال يجب

عليَّ الاسراع اليها . قال اظنك ذاهباً الى موعد . فقال جيلبار نعم . فقال كاليوسترو وهل تقابل ميرابو او لافاييت او الملكة في هذا الموعد

فدهش جيلبار ووقف وقفة القلق الحائر لانه وجد كاليوسترو عالماً بوجود شؤون هامة بينه وبين من تقدم ذكرهم ثم قال . انك تخيفني باقوالك في بعض الاحيان . فقال كاليوسترو لا اخيفك ولا تخيفني هل لك ان تسير معي لاطلعك على امور سرية تتعلق بالامور السرية التي تخابر بها اصحابك . فازداد جيلبار دهشة فقال انني سائر معك حيثما اردت فقد اقلقت بالي بكلامك

واتفق حينئذ مرور مركبة في الطريق فنادى كاليوسترو السائق ثم ركب المركبة مع الدكتور . فالتفت السائق الى كاليوسترو كأنه عرف ان هذا الرجل هو الذي يدير حركة الاثنين فسأله . اي مكان تقصدان . فاجاب كاليوسترو خذنا الى حيث تعلم . ثم اشار الى السائق اشارة ماسونية مخصوصة

فدهش السائق لما رأى الاشارة فاجابَ باشارة مثلها ثم قال . عفواً عفواً يا مولاي فانني ما عرفتك لاول مرة

فقال كاليوسترو بهيئة العظمة . اما انا فانني عرفتك لاول نظرة لانني مع كثرة رعيتي أعرف كل واحد منها

ثم ان السائق غمز خيله فسارت بالمركبة خبباً وما زالت سائرة حتى وصلت الى قصر لكاليوسترو وهو قصر دخله جيلبار قبل الآن . فنزل كاليوسترو وضيفه من المركبة ثم سال كاليوسترو السائق هل لديك شيء تقوله . فقال السائق نعم ولو لم القَ مولاي لرفعت اليه تقريراً في هذا المساء . فقال كاليوسترو تكلم . قال لا استطيع ذلك امام الغريب.

فابتعد الدكتور جيلبار لما سمع هذا القول . فدنا حينئذ السائق من كاليوسترو واسرَّ اليه اموراً لم يسمع منها الدكتور عن بعد سوى هاتين الكلمتين : فقراس : ومونسيو ولما انتهى الحديث مدَّ كاليوسترو يده الى جيبه واخرج منها ذهبين ليعطيه اياها . فامتنع السائق وقال لا يجهل مولاي انه لا يجوز لنا اخذ المال جزاء على تقاريرنا . فقال كاليوسترو ولكني اعطيك ما اعطيكه اجرة لمركبتك لا جزاء لتقريرك فقال السائق . اما اجرة المركبة فانني اقبلها . ثم مد يده وتناول الذهبين وذهب مسروراً

اما جيلبار وكاليوسترو فانهما دخلا الى ذلك القصر ليغير كاليوسترو ملابسه

الفصل الخامس والعشرون

﴿ في قصر كاليوسترو ﴾

وكان هذا القصر قائماً في شارع سان كلود وقد تقدم ان جيلبار يعرفه لانه دخل اليه منذ ١٧ عاماً

غير انه دخله في ذلك الزمان وهو شاب فقير لا يملك شروى نقير اما الآن فهو رجل كبير · ومع ذلك فانه لم يتمالك ان يضطرب حين دخوله اليه لتذكره ايامه الماضية وما كان قد شاهده فيه من غرائب الامور ·

ولما صار جيلبار وكاليوسترو في القاعة التفت كاليوسترو اليه وقال ضاحكاً · اتذكر هذه القاعة ياجيلبار · فقال جيلبار كيف لا اذكرها فانها تذكرني جميلاً صنعته معي · فقال كاليوسترو دعنا من ذكر ذلك فانني لم اصنع معك شيئاً من الجميل كما تقول لانك رددت اليّ ما كنت اخذته · فقال جيلبار وهل تحسب قليلاً ان يأتيك فتى فقير فتعطيه مائة الف ريال دفعة واحدة · فقال كاليوسترو وهل تحسب انت قليلاً ان يردّ ذلك الفتى المائة الف ريال بعد اخذها دون ان يستعمل منها سوى ذهبين فقط

فاجاب جيلبار ان ذلك الفتى لم يصنع سوى صنع الرجل المستقيم · اما انت فانك كنت رجلاً كريماً

فقال كاليوسترو ضاحكاً ولكن اعلم ياجيلبار انه اهون على الانسان في هذا الزمان ان يكون كريماً من ان يكون مستقيماً · فانه من السهل عليه ان يهب من ماله مائة الف ريال اذا كان يملك ملايين ولكنه ليس من السهل عليه ان يردّ مائة الف ريال اذا كان لا يملك شيئاً

فقال جيلبار دعنا من هذا ولنعد الى موضوعنا · فقال كاليوسترو ضاحكاً · نعم فلنعد الى مشروع الوزارة · فقال جيلبار مدهوشاً اي وزارة تعني · فقال كاليوسترو وزارة يتولاها ميرابو ولافاييت · اتنكر هذه الوزارة يا دكتور · انك اذا انكرتها اضطررتني ان اعيد على مسامعك ذكر جميع الامور التي اتيتها توصلاً اليها هل تريد ذلك · فقال جيلبار وقد ازدادت دهشته نعم اريد ذلك فتكلم

فقال كاليوسترو اسمع ايها الرجل الذي لا تصدق احداً · منذ ١٥ يوماً قابلتَ الملك ورمتَ اقناعه باستمالة ميرابو اليه · ثم خرجت من لدنه ساعة دخول المسيو

دي فراس عليه

فقال جيلبار نعم وذلك يدل على انه لم يقتل بعد كما تنبأت له

فقال كاليوسترو ولماذا لا تمهل المسكين مدة اخرى فاني لا اعهدك قاسياً الى هذا الحد . امهل نفسه قبل الخروج من جسده بقدر ما يمهل المستاجر للخروج من المنزل الذي يقيم فيه اي ثلاثة اشهر فقط . وبعد ثلاثة اشهر ترى اذا كان ما قلته صدقاً او كذباً . اما الآن فدعنا من ذلك ولنعد الى موضوعنا . فبعد مقابلتك الملك قابل الملك الملكة واستشارها فلم تعارض في ذلك الامر بقدر ما عارض الملك . هل اخطأت بشيء الى الآن يا مسيو جيلبار . فقال جيلبار كلا . قال وبعد ذلك قابلت الملكة ايها الدكتور واسهبت في قولك ان خلاص المملكة متوقف على ميرابو

فقال جيلبار نعم هـذا رايي . قال كاليوسترو وهو رايي انا ايضاً ولذلك سيسقط مشروعك . فصاح جيلبار كيف يسقط . فقال كاليوسترو نعم انه سيسقط لانني لا اريد خلاص الملكية ولكن دعني الآن اكمل . فلما الححت على الملكة وجدت انها اقتنعت من كلامك فسرك ذلك وحسبت الفضل فيه راجعاً الى قوة براهينك وقد جهلت الاسباب التي حملتها برهة على التسليم

فقال جيلبار وما هي هذه الاسباب في رايك . فقال كاليوسترو ان الملكة كانت قبل محادثتها اياك بهذا الامر مجروحة جرحاً حياً فلاجئتها بهذه المؤامرة السياسية وجدت فيها تسلية وتعزية عما بقلبها من الشجن والحزن فرات ان تهتم بها . وفضلاً عن ذلك فانها كثيراً ما سمعت ان ميرابو كاره لها وانه يهينها في منبر الخطابة وان له جرأة الاسود ومنظرها فاحبت ان ترى هذا الرجل الغريب وتتلذذ برؤيته خاضعاً لها جاثياً تحت قدميها بعد ان كان من مهينيها حاسبة انها تنتقم لنفسها بذلك . افهمت الاسباب التي حملتها على الرضى بمشروعك . وقد قلت لك ان هذا المشروع سيسقط لان ميرابو مدين والبلاط لا يفي ديونه

فقال جيلبار ولماذا لا تفيها انت يا معلم فانك وفيت قبلها ديون الكردينال دي رومان

فقال كاليوسترو انني وفيت ديون الكردينال دي رومان لان ذلك عاد عليَّ بفائدة كبرى . فقال جيلبار وما هي هذه الفائدة قال مسالة عقد الملكة . فليحدث ميرابو حادثة كحادثة عقد الملكة وانا افي ديونه (١) ومع ذلك فهو الآن لا يعتمد عليَّ وانما يعتمد على لافاييت

---

(١) مسالة « عقد الملكة » مسالة مشهورة في الدنيا كلها وقد اهتم بها جميع المؤرخين

الذي وعده بتسليمه ٠٠ الف فرنك وهو ينوي ان لا يسلمه اياها بل يتركه يركض وراءها كما تركض الكلاب في طلب الخبز

فقال جيلبار منزعجاً لهذا التشبيه . ما هذا ايها الكونت . اما كاليوسترو فانه اردف بقوله كانه يخاطب ميرابو امامه

— مسكين انت يا ميرابو . فان جميع هؤلاء الحمق والبله الذين لك صلات بهم يحملون عقلك الكبير تبعة التبذير والجنون اللذين اصبت بهما في شبابك . وغير بعيد ان يكون العناية دخل في ذلك تكفيراً عن ذلك الجنون . فان مونسيو يقول « ميرابو رجل لا يعرف الادب » والكونت دارتوى يقول « ميرابو رجل مبذر » وقد وفي اخوه اي اخو دارتوى ديونه ثلاث مرات . و يقول ريفارول « ان ميرابو ثرثار كبير » و يقول كيلرمي « ميرابو لص » و يقول الراهب موري « ميرابو قاتل » و يقول تارجه « ميرابو رجل ضائع » و يقول بلتيه « ميرابو خطيب يصفر له سامعوه اكثر مما يصفقون له » و يقول شعبز نتز « ميرابو مصاب بالجدري في نفسه » و يقول لمبزك « يجب سجن ميرابو سجناً ابدياً » و يقول مارات « يجب شنق ميرابو » — مع انك ياميرابو اذا متّ غداً احتفل بك الشعب احتفالاً ما وراءه احتفال ورأيت هؤلاء الاقزام الذين تُشرف عليهم من سماء عظمتك والذين يضغط عليهم مجرد وجودك يمشون في جنازتك صارخين « ويل لك يا فرنسا لانك فقدت خطيبك . وويل للمملكة لانها فقدت سندها »

فقال جيلبار وهل يخطر في بالك ان تتنبأ ايضاً بموت ميرابو

اهتماماً شديداً للوقوف على صحيحها وفاسدها . ويقول بعضهم انها من اشد الاسباب التي حملت الفرنسويين على كراهة ملوكهم والقيام بالثورة عليهم . ولذلك قال كاليوسترو آنفاً ما قاله عنها

وبيان هذه المسالة الغريبة التي شغلت اوروبا كلها في ذلك الزمان ان بومر وباسانج وهما صائغا البلاط الفرنسوي شرعا في عهد الملك الخامس عشر في ابتياع انفس الجواهر التي في فرنسا واوروبا ليصيغا منها عقداً نفيساً لم يُصنع مثله في الدنيا ويبيعاه الى مدام دي باري عشيقة الملك لانها كانت مولعة بالجواهر ولعاً شديداً . ولكن الملك لويس الخامس عشر توفي من سوء حظ الصائغين قبل شرائه العقد لعشيقته وخلفه الملك لويس السادس عشر الذي تزوج بالملكة ماري انطوانت فعرض الصائغين عقدهما على المملكة . وكانت قيمته مليون وستمائة الف فرنك ٠٠٠

فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال • وهل تعتقد حقيقة ان ميرابو يحيى بعد اليوم حياة طويلة • انظر الى دمائه التي تغلي غلياناً في عروقه • انظر الى قلبه العظيم الذي تخنقه رغائبه • انظر الى نفسه المتقدة التي تاكل بعضها اذ لا تجد ما تاكله• انظر الى كل ذلك واحكم بعد هذا اذا كان صاحبها يبقى في الحياة وقتاً طويلاً • الا تعلم ان قوى الانسان مهما كانت عظيمة فانها تنحل شيئاً فشيئاً وتضعف قليلاً قليلاً اذا استمر اصطدامها بالمصاعب التي لا يمكن اجتيازها • اتحسب ان الرجل الكبير يستطيع مقاومة الناس الصغار الى ما لا نهاية له دون ان تخور عزائمه • وهذا ميرابو يقاوم عبثاً صغار الناس منذ سنتين فانهم يسحقونه كل حين بهذه الكلمة « رجل رديء السمعة » وكأن هذه الكلمة صخرة هائلة كلما وثب ميرابو ودفعها عن كتفيه الكبيرتين عادت فسقطت عليه وسحقته • اتعلم ماذا قالوا للملك حين رضي برفع ميرابو الى منصب الوزارة • لقد قالوا له « انكم اذا استوزرتم ميرابو ياذا الجلالة صاحت باريز انه سيء السمعة فتردد فرنسا كلها انه سيء السمعة وحينئذ تنادي اوروبا كلها ايضاً ان ميرابو الوزير الفرنسوي رجل سيء السمعة ولا يخفى ما في ذلك من الضرر بسمعة فرنسا نفسها » وقد قالوا ذلك كانهم يعتقدون ان الله يصنع الرجال العظام في ذات القوالب التي يصنع بها باقي الناس او كأن الدائرة العظيمة التي يصنعها ويوسعها لتسع الفضائل الكبرى لا تحتوي ايضاً بحكم الطبع على الرذائل الكبرى • فاقصر يا جيلبار انك تسعى عبثاً في جعل ميرابو وزيراً • ميرابو لا يكون وزيراً ابداً • وانما يكون وزيراً رجل بليد مثل تيرغو ورجل كبير الدعوى مثل نَاكَار ورجل احمق مثل دي كالون ورجل جاحد مثل دي بريين • اما ميرابو فانه استدان مائة الف فرنك وخطف امراة رجل بليد فذهبت هذه المراة واحبت ضابطاً جيلاً ثم تسممت لان هذا الضابط هجرها • ومن اجل ذلك كان ميرابو سيء السمعة وحُرم من الوصول الى الوزارة : حقاً ان الحياة رواية محزنة • ولو لم اكن قد وطنت النفس على الضحك منها والاستهزاء بها لكنت ابكي كثيراً عليها

فلما رأته الملكة اولعت به ولكن خزانة الدولة كانت فارغة من المال فكرهت شراءه فاخذه الصائغ بومر احد صاحبيه وذهب به سائحاً في عواصم العالم يعرضه على ملوكه وملكاته لانه كان قد جاذف بكل ثروته لجمعه وصنعه فلم يبتعه منه احد بسبب ثمنه الهائل فعاد الى باريز والياًس ملء صدره فخطر له ان يعود الى عرضه على الملكة فدخل عليها في عام ١٧٨١ وانطرح على قدميها قائلاً انه عازم على الانتحار اذا كانت لا تبتاع عقده

فقال جيلبار وقد اعجبته بلاغة صديقه ولكن ماذا تستنتج من كل ذلك . فقال كاليوسترو الم تعلم بعد ما استنتجته منه . قلت واقول لك ان ميرابو الرجل العظيم . السياسي الكبير . الخطيب الذي لا مثيل له . سيصرف عمره ولا يكون وزيراً . فان ذكاء المرء محسوب عليه

فقال جيلبار وهل ذلك لان الملك يعارض في هذا الامر . فقال كاليوسترو اذهب غداً الى المجمع الوطني واسمع ما يقال هنالك . فقال جيلبار ولماذا لا توقفني على ذلك الان اذا كنت واقفاً عليه فقال كاليوسترو لكي لا احرمك لذة سماع الامر الجديد غداً . فقال جيلبار ولكن غداً لناظره بعيد . قال فاذا كنت تستبعد غداً فاذهب معي في هذا المساء الى نادي اليعقوبيين وهنالك اوقفك على امور ذات شان

فاتفقا على الذهاب الى نادي اليعقوبيين

الفصل السادس والعشرون

❊ نادي اليعقوبيين ❊

وهو النادي الثوري الشهير

وكان هذا النادي يومئذ في بدء عهده اذ لم يكن قد انقضى بعد ثلاثة اشهر على انشائه ومع ذلك فقد بلغ عدد المشتركين فيه اكثر من ٦٠ الف عضو وبعد انقضاء سنة على انشائه بلغ عدد اعضائه اربعمائة الف رجل

فاستاءت الملكة منه وقالت له جزىء العقد و بعه اجزاء فان الناس يشترونه منك ثم امرته بان لا يزعجها مرة ثانية بمثل هذا السؤال . ولكن الملكة مع ذلك كانت شديدة الميل الى العقد وكان الصائغ عالماً بميلها هذا . وذلك سبب الحاحه

وهنا بدأت الحادثة الغريبة التي حدثت في مسالة شراء هذا العقد . فقد كان السفير الفرنسوي في فيينا رجلاً يدعى الكردينال دي روهان من اسرة روهان الشهيرة فسخط عليه الملك والملكة فعزلاه من السفارة فعاد الى فرساليا وفي نيته استرضاه الملك . فعرف في سنة ١٧٨١ في سافرن امرأة تدعى الكونتس دي لاموت فاحبها وصار يهبها الاموال الطائلة من صندوق الفقراء . فاتخذت الكونتس دي لاموت هذه الاموال سبيلاً

وكان اعضاؤه من خاصة الناس وفيهم كثيرون من ضباط البر والبحر . وكان هذا النادي بمثابة نقطة مركزية لجميع الجمعيات السرية التي كانت تعمل في فرنسا في ذلك الزمان من الجمعية الماسونية فنازلاً . وقد لقبوه بالنادي اليعقوبي لانه كان قائماً في دير قديم يدعى دير اليعقوبيين في شارع سان اونوره

ولما وصل الدكتور جيلبار وصديقه كاليوسترو الى النادي سال كاليوسترو صديقه اتدخل الى قاعة النادي ام تصعد الى مقاعد الزائرين . فاجاب جيلبار لست عضواً في النادي لا دخل الى قاعته فقال كاليوسترو ولكنك تعلم انني من اعضائه كما اني من اعضاء جميع الجمعيات السرية وبما انك صديقي فانك تدخل معي . فقال جيلبار بل افضل الصعود الى مقاعد الزائرين فاننا ننظر منها جميع الحاضرين . فصعد كاليوسترو وجيلبار الى المقاعد

وكانت هذه المقاعد غاصة في كل مكان بجماهير الزائرين فلم يكن فيها مكان واحد خالياً . ولكن كاليوسترو لم يبالِ بذلك بل دنا من الصفوف المتقدمة وقال كلمة امام اثنين كانا جالسين في الصف الاول فنهضا في الحال بكل احترام واكرام وتنازلا عن مقعديهما لكاليوسترو ورفيقه . فجلس جيلبار وكاليوسترو واطلاّ من ذلك العلو على تلك القاعة الواسعة

الى الظهور والدخول الى البلاط ادخلت اليه وصارت من نساء الملكة

فحينئذ اخذ الكردينال روهان يلح على صديقته بان تسترضي الملكة عنه وتستأذنها بمقابلته . وكان الكردينال يومئذ عضواً في الاكادمي الفرنسوية ومديراً لكلية السوربون واسقفاً لستراسبورج وكان في نحو الخمسين من العمر . الا انه كان مع ذلك يعتقد الظرف واللطف في نفسه ويرجو ان تحبه الملكة . وكان الكونتس دي لاموت رات هذا الامر مورداً غزيراً للمال فاخذت تطمع روهان وتبانه عن الملكة وميلها اليه اموراً لا اصل لها حتى اجترأ الكردينال وسالها ان تطلب من الملكة مقابلته على انفراد

فدبرت الكونتس دي لاموت لذلك طريقة شيطانية . فانها كانت تعرف فتاة تدعى مدموازل ديسينيين وهي شديدة الشبه بالملكة فاستدعتها ودبرت الحيلة معها على ان تدفع لها ١٠ الف فرنك ثم ذهبت الى الكردينال وقالت له ان الملكة تقابلك في هذه الليلة في احدى جوانب الحديقة المظلمة . فطار الكردينال فرحاً . وفي الساعة المعينة ادخلوه

وكانت القاعة منارة بنور ضئيل فكان الاعضاء لا يظهرون فيها الا كاشباح بعيدة وكانوا كلهم يخطرون في صحن القاعة ذهاباً واياباً وكل ملابسهم تدل على انهم من الطبقة الخاصة

وكان في جملتهم جمهور غفير من ضباط البر والبحر بملابسهم العسكرية وكثيرون من رجال الادب والفنون . فمنهم لاهارب وشنيه واندريه وسيدين وشمفور ولاكلو . ومنهم « تالما » الممثل المشهور ودافيد الرسام الطائر الصيت الذي لا يبعد ان يكون الان قد ابتاع ذلك القلم الذي رسم به رسمين واحداً من اجمل ما خطه قلم الانسان والثاني من اقبح ما رسمه الرسامون . الاول رسم « اليمين في ملعب المدينة » — انظر الجزء الاول من نهضة الاسد الصفحة ٤٦ — والثاني رسم « مارات مقتول في حمامه » . ومنهم « فرنه » الذي عُين عضواً في الاكادمي مكافاة له على رسمه رسم « فوزْ بول واميل » والذي يجهل وجود ضابط كورسيكي كان في هذه الساعة مستنداً الى ذراع تالما مع ان هذا الضابط سيجعله في المستقبل يرسم خمسة رسوم من اجمل ما خطه قلم الانسان وهي « اجتياز جبل سان برنارد » « معارك ريفولي » « واقعة مارانجو » « واقعة دوستريتز » « واقعة واكرام » ذلك ان هذا الضابط يدعى الضابط بونابرت

تحت جنح الظلام الى المكان المعين في الحديقة وهو مكان مظلم محفوف بالازهار فانتظر الكردينال فيه قدوم الملكة . وبعد هنيهة راى خيالاً ناصع البياض له قامة الملكة وهيئتها متقدماً منه فطار صوابه وخف لاستقباله فتناول الخيال وردة وقدمها اليه قائلاً « فلننس الماضي » ولكن الخيال لم يفه بهذه الكلمة حتى ركضت الكونتس دي لاموت قائلة « لقد جاءوا لقد جاءوا » تعني بذلك اناساً مفاجئين . ثم قبضت على ذراع الكردينال وذهبت به وهو في اشد حالات التاثر والانفعال

اما الشخص الذي دفع الوردة الى الكردينال فلم يكن سوى المدموازل دبسينين التي تقدم ذكرها . واما الملكة فالمؤرخون العارفون يرجحون انها كانت واقفة في مكان بعيد تفرج همومها بمشاهدة ذلك المنظر المضحك . ولكن اعداءها يزعمون ان الشخص الذي قابل الكردينال كان نفس الملكة وهو امر مستحيل كما ان اصدقاءها يزعمون ان الملكة كانت جاهلة كل هذه الحادثة وهو امر بعيد ايضاً لاسباب لا محل لذكرها

وبعد هذه الحادثة صار الكردينال يكتب للملكة رسائل حب ووداد فكانت الكونتس دي لاموت تاخذ منه هذه الرسائل وتاتيه باجوبتها زاعمة انها من خط الملكة

ومنهم « لاريف » الممثل الذي كان مناظرًا تاماً والذي كان يفضل فولتير على كورنيل وبلوى على راسين . ومنهم لابس المنشد الشهير ولافاييت ولامث وديبور وسياياس وتوريت وشابليه ولانجينه ومونلوزيه وكلهم من مشاهير الرجال . وفي وسطهم كلهم رجل شامخ الانف عالي الجبهة وهو الخطيب « بارناف » نائب كرنو بل الذي كان بعضهم يعتبرونه مناظرًا لميرابو في الخطابة مع ان ميرابو كان يسحقه سحقاً كما خطر له ان يضع قدمه عليه

فاجال جيلبار نظره في اولئك الرجال مرتاحاً لما كان يشاهده عليهم من دلائل الارستوقراطية ثم قال لكاليوسترو . اي رجل بين هؤلاء الرجال يبغض المملكة بغضاً حقيقياً

فقال كاليوسترو هل انظر الى ذلك بعيني ام بعيون الناس ام بعيني المسيو ناكار او الراهب موري . قال بل انظر بعينيك فقال كاليوسترو هنا رجلان كما ذكرت . فقال جيلبار ليس كثيرًا ان يكون بين اربعمائة رجل رجلان يكرهان المملكة

فقال كاليوسترو بل ذلك كثير اذا كان احدهما يقتل لويس السادس عشر والثاني يخلفه

فارتعدت فرائص جيلبار عند هذا الكلام ثم قال اذًا انت تزعم وجود بريتوس وقيصر هنا . فقال نعم وقد صدقت فقال جيلبار ارني اذًا هذين الرجلين . فقال كاليوسترو بايهما نبتدئ . فقال جيلبار لنتبع الترتيب ولنبدأ بالذي يهدم اولاً . فمد كاليوسترو اصبعه مشيرًا وقال انظر الى ذلك الرجل

والحقيقة انها كانت من خط عشيق الكونتس كاز يدعى ريتو دي فيليت وفي ذات يوم ورد على الكردينال كتاب من الملكة كما كانت تقول الكونتس وهي تسأله فيه ان يبعث اليها بمائة وخمسين الف فرنك لانها محتاجة الى المال . فدفع الكردينال هذا المبلغ الى الكونتس دي لاموت في الحال . ومنذ هذا الحين صارت الكونتس وزوجها يسرفان ويبذران . واذا سألهما احد من اين لكما كل هذا المال اجابا انه من فضل الملكة

فظهر من ذلك للناس علو مكانة الكونتس وزوجها في البلاط فجاءها في ذات يوم احد اقرباء الصائغ باسانج احد صاحبي العقد وسأل الكونتس ان تتوسط لدى الملكة في شرائه فلم تعده الكونتس بشيء ولكنها عادت فراجعت فكرها فوجدت لنفسها في هذا الامر ربحاً عظيماً فقصدت صاحب العقد بعد انقضاء بضعة اسابيع وابلغته ان الملكة تريد شراء العقد

فنظر جيلبار الى المكان الذي اشار اليه كاليوسترو فوقع نظره على رجل مستند الى المنبر وجسمه محجوب بالظلام وليس فيه شيء ظاهراً سوى وجهه الذي كانت تنيره بعض الاشعة الضئيلة . فتأمل جيلبار هذا الوجه فوجده نحيفاً اصفر وفيه لوائح الجمود والسكون . فقال ليس هذا الوجه وجه بريتوس او كروميل . فضحك كاليوسترو وقال نعم ان هذا الرجل لا يشبه بريتوس ولا كروميل ولكن اذكر قول قيصر « اني لا اخشى اولئك الرجال السمان الذين يصرفون نهارهم على المائدة وليلهم في الملاهي وانما اخاف اولئك الرجال النحاف الاجسام الصفر الوجوه الذين يكثرون من التامل والافتكار » فانظر . الا ينطبق هذا القول على هذا الرجل . فقال جيلبار بلى فقال كاليوسترو وهل عرفته قال اعلمني عرفته اما هو نائب داراس في المجمع الوطني فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اما هو ذلك الرجل الذي لا يصغي اليه احد كلما وقف في منبر الخطابة فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اليس اسمه مكسيمليان دي روبسبير فقال نعم . قال جيلبار فاي شان يكون في المستقبل لرجل ضعيف خامل كهذا الرجل

فقال كاليوسترو وهل تظنه انت أيضاً خاملاً قاصراً كما يظنه باقي الناس . نعم انه ليس لروبسبير منظر ميرابو الاسدي ولا جرأة بارناف ولا منطق سياياس ولكنه رجل قانوني مستقيم بل انه الاستقامة المتجسدة . فلا تستغرب ان يصل الى الدرجة التي ذكرتها

فقال جيلبار ولكن من اين اتى هذا الرجل وما هو اصل عائلته .

فاجاب كاليوسترو على الخبير بها سقطت فانني اعرف الناس بعائلة روبسبير . ان

ولكنها تكره شراءه بنفسها ولذلك عهدت هذا الامر الى رجل كبير الشان فعلى صاحب العقد ان يتفق معه ويكون على حذر فيما يختص بثمنه . وكان ذلك في ٢١ يناير من عام ١٧٨٥

وفي ٢٤ منه قصد الكردينال دي روهان محل الصائغين لشراء العقد كأن الكونتس دي لاموت ابلغته ان الملكة لا يكل ميلها اليه الا متى ابتاع ذلك العقد لها

فابلغه الصائغان ان ثمن العقد مليون وستمائة الف فرنك فرضي الكردينال بشرائه بهذا الثمن والمقترح عليها أن يدفع لها عند استلام العقد ٤٠٠ الف فرنك وما بقي من الثمن يدفعه اقساطاً متتابعة في كل اربعة اشهر قسطاً واحداً الى حين استيفاء الثمن . فرضي بذلك الصائغان ووقعا مع الكردينال على شروط الاتفاق في ٢٩ يناير . وبعد انقضاء يومين اخذا اليه العقد فاراها صك الاتفاق موقعاً عليه من الملكة نفسها وكتاباً من الملكة تقول

اصل هذه العائلة ايرلندي وربما كانت من جملة العيال التي هجرت ايرلنده في القرن السادس عشر وجاءت الى شواطيء فرنسا الشمالية فاقامت في ديورها ومناسكها . وكان جد روبسبير مجهلاً لجاء فرع من هذه العائلة واقام في مدينة اراس التي هي مركز من مراكز الاشراف والاكليروس فولد لهذه العائلة اخوان واختان وكانت ولادة الرجل الذي امامنا في سنة ١٧٥٨ ولما بلغ الحادية عشرة توفي ابواه فاصبح في هذا السن كبير العائلة فتهم مقامه منها على صغر سنه وصار يعنى باخوته . وقد درس في مدرسة اراس ثم ارسل الى مدرسة لويس الكبير في باريز فاتمّ دروسه فيها . وكان يقضي اوقاته حزيناً منفرداً لانه بلا عائلة تسلي حزنه وتؤنس وحشته ولما خرج من المدرسة عُين قاضياً في محكمة جنائية فرفعت اليه في ذات يوم قضية قتل فحكم على القاتل بالاعدام . ولكنه بعد الحكم بكته ضميره على انه حكم باعدام نفس بشرية وراى ان وظيفته تقضي عليه بذلك فاستعفى منها وجعل نفسه محامياً . فجاءه في ذات يوم بعض الفلاحين وسألوه ان يدافع عنهم في قضية اقاموها على اسقف اراس فنظر روبسبير في اوراق القضية فوجد الحق في جانبهم فدافع عنهم وربح القضية . وكان سكان اراس ينظرون يومئذ في تعيين نائب عنهم لارساله الى باريز فانتخبوه وبعثوه فاصبح عضوًا في المجمع الوطني

فقال جيلبار وماذا عمل منذ ذلك الحين فاجاب كاليوسترو . انه لم يعمل بعد عملاً كبيرًا ولكن كفاه انه اشد الاعضاء نصرة للشعب . فانه لما قصد مليار جنرال النساء قاعة المجمع في فرساليا وعرض على اعضائه مسالة المجاعة وما يقاسيه الشعب منها سكت جميع الاعضاء حتى اشدهم جرأة الا روبسبير فانه نهض وايد طلب النساء

فيه انها ابتاعت العقد . فاطمأن الصائغان وسرا بانقضاء هذه المشكلة

وفي ذلك اليوم نفسه (اول فبراير) ذهب الكردينال الى التويلري منشرح الصدر ومعه العقد فقابلته الكونتس دي لاموت ومعها رجل زعمت انه من حراس قصر الملكة قادم لاستلام العقد منه فدفع الكردينال العقد اليها فدفعته الى حارس امامه وعاد الكردينال من حيث اتى

وفي ٢ فبراير ذهب الصائغان الى القصر لمشاهدة العقد في جيد الملكة فوجدا انها لم تتقلده فاستاءا وابلغا ذلك الى الكردينال فقال لهما الكردينال ان الملكة تروم مخاطبة الملك بشان هذا العقد قبل ان تتقلده لئلا يسالها من اين اتى . ثم اوصاها بان يُبلغا شكرها الى الملكة على ابتياعها العقد منهما

انه مهاجم ومدافع معاً · لقد ولد في وسط الحرب وسيعظم بالحرب ويسقط بالحرب · قلت لك انك لا تستطيع تقدير الدماء التي يهرقها روبسبير في حياته · فخذ الآن هذه الدماء · ضاعفها عشر مرات بل مائة مرة بل الف مرة ومع ذلك فانها لا تبلغ نصف البحر الاعظم الذي سيجريه هذا الشاب منها · فانه سيجمع جيوشاً لا يقل احدها عن خمسمائة الف رجل ويحارب في معارك تدوم الواحدة منها ثلاثة ايام ويطلق فيها ١٠٠ الف مدفع

فقال جيلبار وماذا ينتج عن ذلك كله · فقال كاليوسترو ينتج عن ذلك تغيير وجه العالم · فاننا نحن الان ندفن العالم القديم وسيستقبل اولادنا عما قريب عالماً جديداً · وهذا الرجل هو بواب العالم الجديد وسينتسب اليه القرن القادم الذي يعيش فيه

فقال جيلبار وماذا يكون اسم هذا الرجل · فقال كاليوسترو انه يسمى الان بونابرت ولكنه سيسمى نابوليون

فاخذ جيلبار يتامل وجه الكورسيكي ويفكر في الماضي والحاضر والمستقبل · ولم يكن مصدقاً لما قصه عليه كاليوسترو ولكنه كان يفكر فيه رغماً عنه

وبقي ساعة يفكر وهو يجيل نظره في القاعة وعقله شارد ولذلك لم يفطن الى افتتاح الجلسة وصعود خطيب الى منبر الخطابة · وبعد برهة شعر بيد شديدة تضغط على ذراعه فالتفت فلم يجد كاليوسترو ولكنه وجد ميرابو مكانه

وكانت لوائح الغضب بادية في وجه ميرابو · فنظر اليه جيلبار نظرة استفهام عن هذا الغضب · فقال ميرابو اما علمت ما جرى · فقال كلا قال لقد هزءوا بك وبي وضحكوا منك ومني فان البلاط لا يريدني · فقال جيلبار لم افهم كلامك بعد يا كونت · فقال ميرابو

وهو يرتعد ويرتعش · فقابله الملكة بالعنفوان والكبرياء ونظرت اليه نظر بريئة من الذنب · اما الملك فانه لطف لهجته حين رأى شدة منظر الملكة وقال له اجلس الى المائدة واكتب دفاعاً عنك · فجلس الكردينال يكتب بيد مرتجفة وقد استهل دفاعه بقوله « كنت احسب ان المرأة التي كنت اراها هي الملكة » ولما قرأ الملك كتابة الكردينال قال له « لا اقدر يا موسيو الا ان ابقي شخصك في قبضتي لان اسم الملكة عزيز عليّ فيجب ان اتحقق كل تفاصيل هذه المسالة » يعني انه يريد سجنه · فاخذ الكردينال يتذلل ويلتمس منه ان لا يصعقه بهذه الضربة الفجائية امام جميع الناس الذين كانوا ينتظرونه في الكنيسة فرام الملك اطلاق سبيله فغضبت الملكة لذلك وسالت الملك باكية ان يصون شرفها فطاوعها الملك وكان الكردينال قد سار يريد العودة الى الكنيسة فصاح الوزير

أما سمعت القرار الذي قرروه الان . فقال كلا قال كيف لم تسمعه فهل كنت نائماً . فقال لا وانما كنت اتفكر واتأمل . فقال ميرابو

لقد اقترحت اليوم اقتراحاً مآله انه يجوز للوزراء حضور جلسات المجمع فلم يرضَ الاعضاء المعروفون بالميل الى البلاط عن هذا الاقتراح بل قاوموه وسيقترحون غداً على المجمع اقتراحاً آخر مآله انه لا يجوز لكل عضو من اعضاء المجمع الوطني ان يكون وزيراً . وهكذا يهدمون بامر جلالته ما بنيناه وينقضون ما ابرمناه . ثم رفع ميرابو صوته ومدَّ قبضته القوية متهدداً كجبار يناطح جباراً وقال : ولكني اقسم باسم ميرابو انني اردّ لهم هذه الضربة . فان ايديهم اذا كانت تنقض وزارة فان يدي تهدم عرش مملكة

فقال جيلبار وهل عدلتَ عن الدفاع عن مشروعنا في المجلس فاجاب ميرابو كلا بل سادافع واناضل لانني ممن لا يُدفنون الا تحت الردم والانقاض

قال ذلك ثم نهض وعلى جبهته غضب بنير وجهه كما تنير الصاعقة الغيوم في كبد الظلام . وكان منظره حينئذ هائلاً ومهيباً معاً

وفي اليوم التالي اجتمع المجمع الوطني فاقترح العضو لانجينه « انه لا يجوز لاعضاء المجمع ان يكونوا وزراء » فقام ميرابو وقعد وحمل على هذا الاقتراح حملات شديدة ولكنه سعى عبثاً فان المجمع وافق على الاقتراح باكثرية عظيمة

فلما وافق المجمع على هذا الاقتراح انتصب ميرابو وقال بغضب : انني اقترح ان يزاد على هذا الاقتراح عبارة لا تغير شيئاً منه وهي : « يجوز لكل اعضاء المجلس ان يكونوا وزراء ما عدا الكونت دي ميرابو »

برتوبل بالحرس « ايها الحراس اقبضوا على الكردينال » فاسرع الحراس وقبضوا عليه وارسلوه الى الباستيل

وكانت الكونتس دي لاموت قد سافرت من فرساليا قاصدة المانيا بامر من الكردينال ولكنها لما وصلت الى بار في فرنسا اقامت فيها غير متنكرة ولا خائفة ولما علمت بسجن الكردينال لم تفرَّ كأنها كانت واثقة بالنجاة بناءً على ما تعرفه من البلاط . فالقي القبض عليها في ١٨ اغسطس وزُجت في الباستيل ايضاً . ثم القي القبض على كاليوسترو صديق الكردينال وعلى ريتو دي فيليت عشيق الكونتس دي لاموت الذي كان يكتب لها رسائل الملكة وعلى مدموازل ديسينيي او مدموازل اوليفا كما كانوا يسمونها وهي التي كانت تشبه الملكة

فصعق الاعضاء من هذه الجسارة واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . اما ميرابو فانه نزل من منبر الخطابة بخطى الظافر وجميع الاعضاء سكوت كالاصنام ثم خرج بعظمة وكبرياء من قاعة الجلسة

فكان فشله شبيهاً بالانتصار

وقد صدق ميرابو في ظنه فانه ما من احد اسقط مشروعه ومشروع الدكتور جيلبار غير الملك والملكة

الفصل السابع والعشرون

الملك ومشروع الفرار

قدوم بوليه

وانما اسقط الملك والملكة مشروع ميرابو لان كل واحد منهما كان يطلب النجاة في الفرار من باريز وكان الملك ينتظر نتيجة رحلة شارني والملكة تنتظر نتيجة مشروع فقراس تمهيداً لهذا الفرار

غير ان الملك لم يطل انتظاره فان شارني لما وصل الى متز وابلغ الجنرال دي بوليه ارادة الملك بعث هذا الجنرال في الحال ابنه الى باريز لمخابرة الملك وتدبير طريقة لفراره من عاصمته

وكان الجنرال دي بوليه من اقرباء لافاييت فلما علم لافاييت بوصول نجل الجنرال الى باريز بعث يدعوه اليه وهو يجهل بالطبع السبب في مجيئه فقابله الشاب بوليه وجعله يفهم

وفي ٥ سبتمبر من عام ١٧٨٥ احيلت هذه القضية على البرلمان لينظر فيها . وكان خبرها قد ملأ الدنيا باسرها . اما الشعب الفرنسوي فانه كان منتصراً للكردينال على الملكة وقد شاعت يومئذٍ اشاعات كثيرة عنها

وكان تارجيه مدافعاً عن الكردينال فاظهر براءته لدى البرلمان واثبت ان الكونتس دي لاموت خدعته بما ابلغته عن الملكة وانها اي مدام دي لاموت هي المجرمة الحقيقية اما الكونتس دي لاموت فانها انكرت مقابلة الحديقة وقالت ان الكردينال وكاليوسترو سرقا العقد وباعاه وانها وزوجها بريئان . وكان الشعب المجتمع حول البرلمان لانتظار الحكم يزيد على ١٠ الاف نفس . وكان ذلك في ٣١ مايو من عام ١٧٨٦

ان السبب في مجيئه الى باريز رغبته في الالتقاء بباريزية يحبها

فانطلى محال هذا الكلام على الجنرال لافاييت

ثم ساله لافاييت اذا كان يرغب في مواجهة الملك فقال الشاب بوليه في نفسه ان التقادير قد ساعدتني ثم اجاب انه مشتاق لمواجهة الملك فعزما في ذلك النهار على مواجهته.

ولما جاءت الساعة المعينة لذلك ذهب به لافاييت الى التويلري فلما دخلا حيتهما الجنود تحية عسكرية وهي لا تعلم انها كانت تحيي في ذلك الوقت نصير الثورة وعدوها لافاييت نصيرها و بوليه عدوها

وقد جعل لافاييت و بوليه زيارتهما الاولى للملكة فلما ابصرت الملكة الشاب بوليه نهضت اليه كلبوة وجدت اشبالها بعد ان فقدتها ثم مدت اليه يدها صارخة . هذا انت يا مسيو دي بوليه

وكانت الملكة تجهل ان الملك راسل المركيز دي بوليه فيما يختص بمشروع الفرار فلم يكن ذلك اذاً بالسبب الذي دفعها هذا الاندفاع وانما السبب رؤيتها نبيلاً من نبلاء مملكتها قادماً لزيارتها وعرض اخلاصه عليها في زمن كان الناس يفرون من الملكية ويبتعدون عنها

وقد قالت الملكة ذلك القول دون ان تعبأ بلافاييت او تنظر اليه فلم يرق هذا الامر الشاب بوليه غير انه تقدم بالرغم عنه وجثا على الارض ثم اخذ اليد الممدودة اليه وقبلها باحترام شديد

فانقبض لافاييت هنيهة ثم ابتسم وقال : حقاً يا ابن عمي انه كان يجب عليك ان

و بعد فحص البرلمان جميع تفاصيل القضية حكم ببراءة الكردينال روهان وكاليوسترو و بنفي ريتو دي فيليت الذي كان يكتب الرسائل نفياً مؤبداً و بسجن الكونت دي لاموت سجناً مؤبداً و بجلد الكونتس دي لاموت وكيها في كتفيها بحديد محمي دلالة على العار وسجنها في مستشفى السالبتريير

فغضب الملك والملكة لهذا الحكم غضباً شديداً لانه يحصر الذنب كله في نساء الملكة . فنفي الكردينال روهان الى دير له في اوفرنيا . وقد هاجر من فرنسا في ايام الثورة الى انتهيم وتوفي فيها في عام ١٨٠١ . اما الكونتس دي لاموت فقد نفذ الحكم فيها ولكنها استطاعت الفرار من السالبتريير في عام ١٧٨٧ فوصلت الى لندرا في ٤ اغسطس منه وهناك كتبت

تقدمني انت للملكة لا ان اقدمك انا اليها

فاحست الملكة بما في قول لافاييت فالتفتت اليه لتزيل تأثير ذلك الاندفاع وقالت عفواً يا جنرال فانني لم ارَ الكونت منذ سنوات طوال ولذلك سررت الان برؤيته

فاجاب لافاييت : ان للملكة يامولاتي ان تظهر عواطفها كما تشاء . فقالت الملكة بل قد اخطأت يا جنرال فاصفح عن خطاءي ولنتصافح الآن على الطريقة الانكليزية او الاميركية

ثم مدت اليه يدها لتهز يده فمد لافاييت يده يبطء وقال انني آسف ياسيدتي لانك تذكرينني دائماً بالطريقة الانكليزية والاميركية مع علمك انني فرنسوي

وقد ارادت الملكة بقولها « على الطريقة الاميركية » الاشارة الى ما عمله لافاييت في اميركا ايام الثورة الاميركية

ثم جلست الملكة متعبة كأنّ هذه المحادثة انهكت قواها . وسألت لافاييت هل عندك خبر جديد ايها الجنرال

فاغتنم لافاييت هذه الفرصة للانتقام وقال كم قد اسفت يامولاتي لانك لم تحضري امس جلسة المجمع الوطني . فانك لو حضرتها لشهدتِ مشهداً مؤثراً . فلقد حضر الى قاعة المجمع شيخ طاعن في السن ليشكر المجمع والملك فقالت الملكة ومن يكون هذا الشيخ فقال لافاييت . هو كبير الانسانية في هذا الزمان . هو شيخ له من العمر ١٢٠ سنة وقد قدم الى المجمع ووراءه خمسة اعقاب من ابنائه واحفاده ليشكر المجمع على التقرير الذي اصدره في ٤ اغسطس وفحواه المساواة بين جميع بني الانسان . فان هذا الرجل عاش عبداً رقاً في حكم لويس الرابع عشر ومضى عليه منذ ذلك الحين ٨٠ سنة وهو كذلك فلما تحررت

تاريخ حياتها واودعته من الطعن في الملكة وعزت اليها من الامور ما يكره كل كاتب نقله . وقد توفيت الكونتس دي لاموت في عام ١٧٩١ وذلك ان لصوصاً دخلوا منزلها لقتلها في الليل فالقت بنفسها من النافذة فراراً منهم فلقيت منيتها

اما العقد فلم يظهر له بعد ذلك اثر . واما ثمنه فقد راح الصائغان وورثتها يطلبونه من ورثة الكردينال دي روهان على غير جدوى . وقد حطت هذه الحادثة من شان الملكية في فرنسا حطاً شديداً فكره الفرنسويون ملوكهم بسببها . ولذلك قال كاليوسترو بلسان ديماس انه يفي ديون ميرابو كما وفى ديون روهان اذا كان ميرابو يُحدث له حادثة كحادثة العقد تحط من شان الملكية وتعود بالنفع على مشروعه الجمهوري

المساواة والغي الرق جاء المجمع ليشكره على هذا العمل باسم الاعقاب الماضية والمقبلة فقالت الملكة وماذا صنع المجمع به . فقال لافاييت . لما دخل هذا الرجل على الاعضاء نهض جميع الاعضاء احتراماً له وجعلوه يجلس و يلبس قبعته وهم وقوف مبالغة في اكرامه

فتنهدت الملكة لانهـا فهمت مراد لافاييت واجابته لتنتقم منه ايضاً . اما انا فاني قابلت شخصاً آخر بينما كان المجمع يقابل ذلك الشيخ . فقال لافاييت ومن هو هذا الشخص يا سيدتي . قالت هو زوجة الخباز فرنسوي المسكين الذي قتلوه ظلماً . وقد وعدتها بان اكون عرابة لولدها بعد ولادتها هذا اذا لم يكن الولد قد مات في بطنها من الخوف والحزن . فاسالك ايها الجنرال هل من مانع يمنع من اقامة حفلة العماد في كنيسة نوتردام .

فاجاب لافاييت . ان هذا الكلام يا سيدتي يجعل سامعيه يظنون انك اسيرة في قصرك وقد انتشرت هذه الاشاعة كل الانتشار فرجائي يا سيدتي ان لا تظني ذلك وان تقنعي الملك بالعودة الى التنزه والصيد ليعلم الناس في فرنسا وفي اوروبا ايضاً فساد تلك الاشاعة .

فابتسمت الملكة هنا ابتساماً دل على عدم تصديقها الكلام الذي سمعته واما لافاييت فانه اردف بقوله . واما مسالة العماد فالامر فيها وفي كل الشؤون لجلالتك . فمتى شئت اختاري الكنيسة والوقت واصدري اوامرك تنفذ في الحال

فابتسمت الملكة للجنرال والشاب بوليه ابتسام الوداع فخرجا من لدنها وقصدا منزل الملك

وكان لويس السادس عشر حينئذ في معمل الحدادة فلما بلغه قدوم لافاييت بعث يرجوه ان يوافيه الى هذا المعمل . ذلك ان الملك خصص قاعة من قاعات التويلري وجعل فيها كل آلات الحدادة من السندان والمنفخ فنازلاً لانه كان شديد الولع بهذه الصناعة كما تقدم

وكانت هذه القاعة قائمة فوق القاعة المخصصة بنومه

فلما وصل لافاييت وبوليه الى باب المعمل سال الحارس بوليه عن اسمه ليبلغه الى الملك مع اسم لافاييت فاجابه لافاييت ابلغ الملك حضوري وانا اقدم رفيقي الى جلالته

وكان الشاب بوليه حينئذ كثير الافتكار في الحادثة التي دارت بين لافاييت والملكة لانه لم يلحظ من كلام الملكة انها عارفة بالسبب الذي جاء من اجله ولم تظهر له منها حركة ولا اشارة في هذا الموضوع . فدخل الشاب مع لافاييت على الملك وهو يتاهب لملاحظة كل

حركات الملك وسكناته

ولما وقعت عين الملك على لافاييت قال له ضاحكاً : اعذرني ايها الجنرال لاني استقبلتك هنا . ولكن الحداد يؤكد لك انه مسرور بزيارتك معمله . وقد كان احد الفحامين يقول لجدي هنري الرابع « ان الفحام سيد في محله » اما انا فاقول لك انك سيد في محل الملك ومحل الحداد ايضاً »

وكان في هذا القول اشارة الى سلطة لافاييت العظيمة في ذلك الزمان فانهم كانوا يسمونه « ملك الملك » رمزاً الى ان الملك لم يكن يستطيع ان يعمل عملاً لا يريده لافاييت

وكان الملك حينئذٍ وراء مائدة العمل وامامه المبارد وآلات الحدادة وهو بلباس العمل ويداه ملطختان بآثار الحديد الذي كان يعالجه في يده

فاجابه لافاييت : انني حيثما تشرفت بمقابلة الملك سواء كان ذلك في معمل الحدادة او في قاعات القصر فانه يبقى دائماً ملكي وابقى دائماً خادماً لجلالته

فقال الملك نعم وانا لا اشك في ذلك ايها المركيز

وقد كان الملك يلقب لافاييت مركيزاً مع ان لافاييت كان قد تنازل عن هذا اللقب كما تنازل يومئذ جميع انصار الشعب والحرية عن القابهم ومراتبهم

ثم سال الملك لافاييت هل غيرت ياورانك ايها الجنرال فاني ارى معك ضابطاً جديداً

فاجاب لافاييت ان هذا الشاب يامولاي هو الكونت لويس بوليه نجل المركيز دي بوليه وقد جئت لاقدمه لجلالتكم

فاجفل الملك اجفالاً خفيفاً شعر به الشاب ولكن لم يشعر به لافاييت ثم قال . آه . هذا انت يامسيو دي بوليه . اعذرني لانني لم اعرفك ايها الكونت وقل لي هل فارقت متز منذ زمن طويل

فاجاب الشاب منذ خمسة ايام يامولاي

وقد علم الشاب من سؤال الملك « هل فارقت متز منذ زمن طويل » انه يقصد بذلك سؤاله هل التقيت بشارني وعرفت منه سبب رسالته . فاجابه جواباً فهم منه الملك كل شيء وهو « فارقتها منذ خمسة ايام » اي انني حضرت وصول الكونت شارني اليها وعلمت سبب سفارته

فاصبح الملك والشاب منذ هذا الحين يتخاطبان بلغة سرية يفهمانها ولا يفهم لافاييت منها شيئاً ·

ثم ان لافاييت سال الملك عن الشيء الذي يصنعه في يديه فاجاب الملك انني اصنع قفلاً من اصعب الاقفال · وقد اتعبني جداً حتى انني لا شك في انني استطيع اتمامه وحدي · وذلك لان هذا النوع من الاقفال أصعب الانواع كلها · فكم كنت اتمنى ان يكون الآن المعلم «كامين» عندي ليريحني منه · فقال لافاييت ولماذا لا يجيء المعلم كامين يا مولاي · فضحك الملك وقال لانه يخشى ان يساء الظن به اما علمت ايها الجنرال ان الدنو من الملك في هذا الزمان صار مدعاة الى اساءة الظن والتهمة · وفضلاً عن ذلك فان حراسك يفتشون الواردين الى القصر والصادرين عنه فهو يخشى حين دخوله او خروجه ان يفتشوه فيحسبوا المبارد التي تكون في جيوبه خناجر وهناك المصيبة الكبرى · ثم ضحك الملك ضحكاً لطيفاً

فقال لافاييت انني اذا شددت كل هذا التشديد في حراسة الملك يا مولاي فانما اقصد بذلك القيام بواجب عليّ لانني مسئول عن حياة الملك لدى فرنسا بل لدى اوروبا كلها · اما فيما يختص بالرجل الذي يعنيه الملك فمتى صدر امره بادخاله الى القصر ينفذ امره في الحال

فاجاب الملك اشكرك يا مسيو دي لافاييت فلا حاجة للاسراع في ذلك وانما احتاج الى هذا الرجل بعد بضعة ايام فقط · وهو يقيم في فرساليا في شارع الرزرفوار فمتى احتجت اليه بعثت في طلبه

ثم ان الملك نظر الى الشاب بوليه نظرة خصوصية كأن معناها « فتش عن هذا الرجل وجئني به » ففهم بوليه من نظرة الملك معنى كلامه فاغمض عينيه مشيراً الى انه قد فهم الكلام

وبعد ذلك سأل الملك الشاب بوليه هل انت عازم على الاقامة وقتاً طويلاً في باريز ام انت عائد الى ابيك · فاجاب الشاب انني سأقيم في باريز بضعة ايام يا مولاي ثم اقصد فرساليا لزيارة جدة لي تقيم في شارع الرزرفوار فيها وبعد ذلك اعود الى باريز لمقابلة شخص انتظر اوامره ثم اسافر الى متز

فلما قال الشاب ان عمته تقيم في شارع الرزرفوار في فرساليا حيث كان يقيم المعلم «كامين» تحقق الملك ان الشاب فهم كلامه حق الفهم

فابتسم له الملك وودعه مع لافاييت فخرج الرجلان من لدنه . وبعد خروجهما قال الملك في نفسه « لقد فهم الشاب مرادي فبعد بضعة ايام سياتيني المعلم كامين ليساعدني على وضع هذا القفل السري في الخزانة السرية »

الفصل الثامن والعشرون

✱ مشروع الفرار الثاني ✱
والايدي السرية

ظهر من الفصل المتقدم ان المشروع الذي اعده الملك للفرار من باريز قد دخل في دور العمل بعد اذ كان في موضع البحث والنظر . بقي المشروع الثاني الذي هو مشروع الملكة وهذا اوان البحث فيه

في مساء ذلك اليوم الذي قابل فيه الملك لافاييت وبوليه حدث حادث مهم في منزل حقير قذر في الطبقة الاخيرة من دار قائمة في حي الجويفري في باريز . وبيانه ان رجلاً كان جالساً في ذلك المنزل يكتب وراء مائدة وامامه امراة في الخامسة والثلاثين من العمر تتكر في امور الدنيا وغلام صغير ياكل قطعة من الخبز . وبعد هنيهة رمى الولد الخبز من يده وقال لامه . اماه لا اريد خبزًا وانما اريد قضيب سكر . فالتفتت الام بغضب الى الرجل الذي كان جالساً الى المائدة يكتب وقالت له . اما سمعت طلب ابنك فانه يريد قضيب سكر

فمد الرجل يده الى جيبه كانه يروم ان يتناول منها شيئاً ثم انه اعاد يده عن جيبه قبل ان تصل اليها لعلمه ان جيبه فارغة . وبقي مكباً على الكتابة

فصاحت به المراة بغضب اشد ما لك لا تسمع . فالتفت الرجل الى الغلام وقال له انتظر الى الغد فاعطيك ما طلبت . فاستشاط الغلام غيظاً واخذ يبكي ويصيح قائلاً بل اريد قضيب سكر اليوم اليوم

فانتهره الاب وقال له اصمت والا قمت وضربتك . فنهضت المراة كاللبوة وقالت جرب واضربه اذا استطعت ايها الرجل السكير لاريك كيف يكون الضرب

فقال الرجل ولكن ما العمل يا مدام اوليفا فانني لا املك الآن فلساً واحدًا فلينتظر الى الغد فانني قد قلت لك انني ساصبح غد او بعد غدًا صاحب ملايين . فازداد الولد

بكاء وطلباً لقضيب السكر فمدت امه يدها الى جيبها واخرجت منها قطعة صغيرة من النقود وهي تتمتم وتدمدم ودفعتها اليه فاخذها الولد وهرع ليبتاع بها قضيب السكر

ولما خرج الولد التفتت المراة الى الرجل وقالت له ما اقل عقلك واكثر وهمك هل تعتقد حقيقة انك ستربح غداً ملايين . فقال الرجل اذا كنت لا تصدقين ذلك فغداً ترين . قالت وما هذا العمل الذي سيرفعك في يوم واحد من الفقر الى الغنى فقال غداً ترين فتنفست المراة الصعداء وقالت آه لو كان ريشليو لم يمت بعد . فقال ماذا تقولين قالت ولو كان الكردينال روهان لم يخسر جميع ماله . قال ما هذا الكلام . قالت ولو كانت مدام دي لاموت لم تفرّ الى انكلترا . قال ماذا تقولين . قالت اقول انه لو كان هؤلاء الذين ذكرتهم لا يزالون كما كانوا لما احتجت ان اقاسم واحداً تعيساً مثلك شظف العيش بل كنت قادرة على كسب المال بقدر ما اشاء

وكانت هذه المراة هي المدموازل ديسينيي التي كانت تدعى مدام اوليفا وهي الفتاة التي كانت تشبه الملكة والتي قابلت الكردينال دي روهان في الحديقة وهو يظن انها الملكة . راجع ما ورد عنها في « عقد الملكة » في هامش الرواية في هذا الجزء

اما الرجل فهو زوجها المسيو دي بوزير الذي كان غنياً و بذر ماله

فلما سمعها تتمنى ذلك التمني ضاق صدره فصاح بها . ولكن قلت لك انتظري الى الغد فاجيئك بملايين

فضحكت اوليفا وقالت ارني معك عشر قطع من الذهب اولاً لاصدق بوجود الملايين فقال بوزير ولكنني اقول لك ان العناية ستعطينا . فازداد ضحك اوليفا وقالت انت اتتكل على العناية فابقَ متكلاً عليها . قال وهل تنكرين العناية ايضاً . هل انت جاحدة

فرفعت اوليفا كتفيها دلالة على عدم اهتمامها بهذا السؤال

فقال بوزير اذاً انت من راي المسيو فولتير الذي ينكر العناية . فقالت اوليفا حقاً انك ابله يا بوزير

فهز بوزير راسه وقال اما انا فانني لا انكر العناية ابداً . بل اعتقد انها اذا ارادت سعادة انسان اعطته من غير حساب بواسطةٍ ومن غير واسطة . وهكذا اعتقد ان ابني الذي نزل الان ليبتاع قضيب سكر قد يعود الينا وفي يده كيس طافح بالذهب اذا كان الله يريد ذلك

وما اتى بوزير على كلامه حتى دُفع الباب وظهر الغلام صارخاً . اماه اماه معي ذهب

فاسرعت المراة والرجل فابصرا في يمينه قطعة ذهب وفي يساره قضيب سكر فسالته امه من اين جئت بالذهب فقال رآني رجل عند بائع السكر واعطاني اياه

ولم يتم الولد عبارته حتى ظهر في الباب رجل حسن اللباس مهيب المنظر فسلم ببشاشة قائلاً . مساء الخير يا مدموازل نيكول . مساء الخير يا موسيو دي بوزير

فصاح الولد هذا هو الرجل الذي اعطاني الذهب

اما الرجل وزوجته فانهما صاحا من فم واحد . الكونت كاليوسترو . ما جاء به

وكان هذا الرجل هو كاليوسترو نفسه . واما سبب قدومه الى هذا المكان فهو سر من الاسرار التي سيرد الكلام عنها والتي كان لها تاثير عظيم على مشروع الملك والملكة

تم الجزء الاول من « وثبة الاسد »